(فهرسة الجزء الرابع من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

٢٤٦ استيلاء

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)



الجزء الرابع

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن

ابن خلدون المغربي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(أخبار الدولة العلوية المزاحمة لدولة بني العباس)

ونبدأ منهم بدولة الادارسة بالمغرب الاقصى قد تقدم لنا ذكر شيعة أهل البيت لعلي ابن أبي طالب و بنيه رضي الله عنهم وما كان من شأنهم بالكوفة وموجدتهم على الحسن في تسليم الامر لغيره واضطراب الامر على زياد بالكوفة من أجلهم حتى قتل المتولون كبر ذلك منهم حجر بن عدي وأصحابه ثم استدعوا الحسين بعد وفاة معاوية فكان من قتله بكربلاء ما هو معروف ثم ندم الشيعة على قعودهم عن مناصرته فخرجوا بعد وفاة يزيد و بيعة مروان وخرج عبيد الله بن زياد عن الكوفة وسموا أنفسهم التوابين وولوا عليهم سليمان بن صرد ولقيتهم جيوش بن زياد بأطراف الشام فاستلحموهم ثم خرج المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالبا بدم الحسين رضي الله عنه وداعيا لمحمد بن الحنفية وتبعه على ذلك جموع من الشيعة وسماهم شرطة الله وزحف اليه عبيد الله بن زياد فهزمه المختار وقتله و بلغ محمد بن الحنفية من أحوال المختار ما نقمه عليه فكتب اليه بالبراءة منه فصار الى الدعاء لعبد الله بن الزبير ثم استدعى الشيعة من بعد ذلك زيد بن علي بن الحسين الى الكوفة أيام هشام

ابن عبد الملك فقتله صاحب الكوفة يوسف بن عمر وصلبه وخرج اليه ابنه يحيى بالجوزجان من خراسان فقتل وصلب كذلك وطلت دماء أهل البيت في كل ناحية وقد تقدم ذلك كله في أخبار الدولتين ثم اختلف الشيعة وافترقت مذاهبهم في مصير الامامة الى العلويه وذهبوا طرائق قددا فمنهم الامامية القائلون بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بالامامة و يسمونه الوصي بذلك ويتبرؤن من الشيخين لمنعوه حقه بزعمهم وخاصموا زيدا بذلك حين دعا بالكوفة ومن لم يتبرأ من الشيخين رفضوه فسموا بذلك رافضة ومنهم الزيدية القائلون بامامة بني فاطمة لفضل علي وبنيه على سائر الصحابة وعلى شروط يشترطونها وامامة الشيخين عندهم صحيحة وان كان علي أفضل وهذا مذهب زيد واتباعه وهم جمهور الشيعة وأبعدهم عن الانحراف والغلو ومنهم الكيسانية نسبة الى كيسان يذهبون الى امامة محمد بن الحنفية و بنيه من بعد الحسن والحسين ومن هؤلاء كانت شيعة بني العباس القائلون بوصية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالامامة وانتشرت هذه المذاهب بين الشيعة وافترق كل مذهب منها الى طوائف بحسب اختلافهم وكان الكيسانية شيعة بني الحنفية أكثرهم بالعراق وخراسان ولما صار أمر بني أمية الى اختلال أجمع أهل البيت بالمدينة و بايعوا بالخلافة سرا لمحمد بن عبد الله ابن حسن المثنى بن الحسن بن علي وسلم له جميعهم وحضر هذا العقد أبو جعفر عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو المنصور و بايع فيمن بايع له من أهل البيت وأجمعوا على ذلك لتقدمه فيهم لما علموا له من الفضل عليهم ولهذا كان مالك وأبو حنيفة رحمهما الله يحتجان اليه حين خرج من الحجاز و يريدون أن امامته أصح من امامة أبي جعفر لانعقاد هذه البيعة من قبل وربما صار اليه الامر من عند الشيعة بانتقال الوصية من زيد بن علي وكان أبو حنيفة يقول بفضله و يحتج الى حقه فتأدت اليهما المحنة بسبب ذلك ايام أبي جعفر المنصور حتى ضرب مالك على الفتيا في طلاق المكره وحبس أبو حنيفة على القضاء (ولما انقرضت) دولة بني أمية وجاءت دولة بني العباس وصار الامر لابي جعفر المنصور سعى عنده ببني حسن وأن محمد ابن عبد الله يروم الخروج وأن دعاته ظهروا بخراسان فحبس المنصور لذلك بني حسن واخوته حسن وابراهيم وجعفر وعلى القائم وابنه موسى بن عبد الله وسليمان وعبد الله ابن اخيه داود ومحمد واسمعيل واسحق بنو عمه ابراهيم بن الحسن في خمسة وأربعين من أكابرهم وحبسوا بقصر ابن هبيرة ظاهر الكوفة حتى هلكوا في حبسهم ولوهبوا الطلب محمد بن عبد الله فخرج بالمدينة سنة خمس وأربعين وبعث اخاه ابراهيم

الى البصرة فغلب عليها وعلى الاهواز وفارس وبعث الحسن بن معاوية الى مكة فلكها وبعث عاملا الى اليمن ودعا لنفسه وخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم وتسمى بالمهدى وكان يدعى النفس الزكية وحبس رباح بن عثمان المرى عامل المدينة فبلغ الخبر الى أبى جعفر المنصور فأشفقوا من أمره وكتب اليه كتابه المشهور (ونصه) بعد البسملة من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم وان لك ذمة الله وعهده وميثاقه ان تبت من قبل أن نقدر عليك أن نؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن تابعك وجميع شيعتك وأن أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ما شئت من الحاجات وأن اطلق من سجن من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه وان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام (فأجابه) محمد بن عبد الله بكتاب نصه بعد البسملة من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين ابن عبد الله محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى فقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما أعطيتموه بنا ونهضتم فيه بسعينا وحزتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمتم انه ليس أحد من بنى هاشم يشد بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا ونسبنا وانا بنو بنته فاطمة فى الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدنى العجم ولم تعرق فى أمهات الاولاد وان الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا على بن أبى طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى الى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة ومن المتولدين فى الاسلام سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين من قبل جدى الحسن والحسين

فما زال الله يختار لى حتى اختار لى فى معنى النار فولدنى أرفع الناس درجة فى الجنة وأهون أهل النار عذابا يوم القيامة فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت فى بيعتى أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك فى ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى بقبول الامان منك فاما أمانك الذى عرضت على فهو أى الامانات هى أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن على أم أمان أبى مسلم والسلام (فأجابه المنصور) بعد البسملة من عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله فقد أتانى كتابك وبلغنى كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء وقد جعل الله العم أبا وبدأ به على الولد فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبى وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطى على قرب الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه وأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب فان الله لم يهد أحدا من ولدها الى الاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير فى الآخرة والاولى وأسعدهم بدخول الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب وفاطمة أم الحسين وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل قد أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم قرابة ابنته وانها القرابة قريبة غير أنها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها ولقد طلب بها أبوك من كل وجه وأخرجها تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا وأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان. وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه

شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ ما لا من غير حله فان كان لكم فيها شيء فقد بعتموه فأما قولك ان الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار ستردّ فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون واما قولك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الاولاد وانك أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرّا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد والده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي بن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير ولقد علمت أن جدك عليا حكم الحكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فأجمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن علي بن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الاقتاب كالسبي المجلوب الى الشأم ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون اباك في أدبار كل صلاة مكتوبة كما يلعن الكفرة فسفهناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا بما ذكرنا من فضل علي قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلي أبوك بالدماء ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم وكانت للعباس من دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر بها وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس وكان وارثه دون عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا ان العباس اخرج الى بدر كرها لمات عما أبي طالب وعقيل جوعا أو يلحسان جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فعزناكم في الكفر وفديناكم من الاسر وورثناه دونكم خاتم الانبياء وأدركنا بثأركم اذ عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام (ثم عقد) أبو جعفر على حربه لعيسى ابن عمه موسى بن علي فزحف اليه في العساكر وقاتله بالمدينة فهزمه وقتله في منتصف رمضان سنة خمس

وأربعين ولحق ابنه علي بالسند الى أن هلك هنالك واختفى ابنه الآخر عبد الله الاشتر الى أن هلك في أخبار طويلة قد استوفيناها كلها في اخبار أبي جعفر المنصور ورجع عيسى الى المنصور فجهزه لحرب ابراهيم أخي محمد بالبصرة فقاتله آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه وقتله حسبما مرّ ذكره هنالك وقتل معه عيسى بن زيد بن علي فيمن قتل من أصحابه (وزعم ابن قتيبة) أن عيسى بن زيد بن علي ثار على المنصور بعد قتل أبي مسلم ولقيه في مائة وعشرين ألفا وقاتله أياما الى ان هم المنصور بالفرار ثم أتيح له الظفر فانهزم عيسى ولحق بابراهيم بن عبد الله بالبصرة فكان معه هنالك الى أن لقيه عيسى ابن موسى بن علي وقتلهما كما مر (ثم خرج بالمدينة أيام المهدي) سنة تسع وستين من بني حسن الحسين بن علي بن حسن المثلث وهو أخو عبد الله بن حسن المثنى وعم المهدي وبويع للرضا من آل محمد وسار الى مكة وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي وقد كان قدم حاجا من البصرة فولاه حربه يوم التروية فقاتله بفخة على ثلاثة أميال من مكة وهزمه وقتله وافترق أصحابه وكان فيهم عمه ادريس بن عبد الله فأفلت من الهزيمة مع من أفلت منهم يومئذ ولحق بمصر نازعا الى المغرب وعلى بريد مصر يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان يتشيع فعلم بشأن ادريس وأتاه الى المكان الذي كان به مستخفيا وحمله على البريد الى المغرب ومعه راشد مولاه فنزل بوليلي سنة ست وسبعين وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من قبائل البربر وكبيرهم لعهده فأجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته وخلع الطاعة العباسية وكشف القناع واجتمع عليه البرابرة بالمغرب فبايعوه وقاموا بأمره وكان فيهم مجوس فقاتلهم الى ان أسلموا وملك المغرب الاقصى ثم ملك تلمسان سنة ثلاث وسبعين ودخلت ملوك زناتة أجمع في طاعته واستفحل ملكه وخاطب ابراهيم ابن الاغلب صاحب القيروان وخاطب الرشيد بذلك فشدّ اليه الرشيد مولى من موالي المهدي اسمه سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ وأنفذه بكتابه الى ابن الاغلب فأجازه ولحق بادريس مظهرا النزوع اليه فيمن نزع من وحدان المغرب متبرئا من الدعوة العباسية ومنتحلا للطالبيين واختصه الامام ادريس وحلي بعينه وكان قد تأبط سما في سنون فناوله اياه عند شكاية من وجع أسنانه فكان فيما زعموا حتفه ودفن بوليلي سنة خمس وسبعين وفر الشماخ ولحقه راشد بوادي ملوية فاختلفا بينهما ضربتين قطع فيها راشد يده وأجاز الشماخ الوادي فأعجزه وبايع البرابرة بعد مهلكه ابنه ادريس سنة ثمان وثمانين واجتمعوا على القيام بأمره ولحق به كثير من العرب من افريقية والاندلس وعجز بنو الاغلب أمراء افريقية عنه فاستفحلت له

ولبنيه بالمغرب الاقصى دولة الى ان انقرضت على يد أبي العافية وقومه مكناسة أولياء العبيديين أعوام ثلاثة عشر وثلثمائة حسبما نذكر ذلك في أخبار البربر ونعدّد ملوكهم هنالك واحداً واحداً وانقراض دولتهم وعودها ونستوعب ذلك كله لانه أمس بالبربر فانهم كانوا القائمين بدعوتهم (ثم خرج يحيى) أخو محمد بن عبد الله بن حسن وادريس في الديلم سنة ست وسبعين أيام الرشيد واشتدت شوكتهم وسرّح الرشيد لحربه الفضل بن يحيى فبلغ الطالقان وتلطف في استنزاله من بلاد الديلم على أن يشترط ما أحب ويكتب له الرشيد بذلك خطه فتم بينهما وجاء به الفضل فوفى له الرشيد بكل ما أحب وأجرى له أرزاقاً سنية ثم حبسه بعد ذلك لسعاية كانت فيه من آل الزبير فيقال أطلقه بعدها ووصله بمال ويقال سمه لشهر من اعتقاله ويقال أطلقه جعفر ابن يحيى افتياتاً فكان بسببه نكبة البرامكة وانقرض شأن بني حسن وخفيت دعوة الزيدية حيناً من الدهر حتى كان منهم بعد ذلك باليمن والديلم ما نذكره والله غالب على أمره

(الخبر عن خروج الفاطميين بعد فتنة بغداد)

كانت الدولة العباسية قد تمهدت من لدن أبي جعفر المنصور منهم وسكن أمر الخوارج والدعاة من الشيعة من كل جهة حتى اذا هلك الرشيد ووقع بين بنيه من الفتنة ما وقع وقتل الامين بيد طاهر بن الحسين ووقع في حصار بغداد من الحرب والعبث ما وقع وبقي المأمون مقيماً بخراسان تسكيناً لأهلها عن ثائرة الفتن وولى على العراق الحسن بن سهل اتسع الخرق حينئذ بالعراق وأشيع عن المأمون أن الفضل بن سهل غلب عليه وحجره فامتعض الشيعة لذلك وتكلموا وطمع العلوية في التوثب على الامر فكان في العراق أعقاب ابراهيم بن محمد بن حسن المثنى المقتول بالبصرة أيام المنصور وكان منهم محمد بن اسمعيل بن ابراهيم ولقبه أبوه طباطبا للكنة كانت في لسانه أيام مرباه بين داياته فلقب بها وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يدعون الى امامته لانها كانت متوارثة في آبائه من ابراهيم الامام جده على ما قلناه في خبره فخرج سنة تسع وتسعين ودعا لنفسه ووافاه أبو السرايا السري بن منصور كبير بني شيبان فبايعه وقام بتدبير حربه وملك الكوفة وكثر تابعوه من الاعراب وغيرهم وسرح الحسن بن سهل زهير بن المسيب لقتاله فهزمه طباطبا واستباح معسكره ثم مات محمد في صبيحة ذلك اليوم فجأة ويقال ان أبا السرايا سمه لما منعه من الغنائم فبايع أبو السرايا يومه ذلك لمحمد ابن محمد بن زيد بن علي زين العابدين واستبد عليه وزحفت عليهم جيوش المأمون

فهزمهم

فهزمهم أبو السرايا وملك البصرة وواسط والمدائن وسرّح الحسن بن سهل لحربه هرثمة بن أعين وكان مغضباً فاسترضاه وجهز له الجيوش وزحف الى أبي السرايا وأصحابه فغلبهم على المدائن وهزمهم وقتل منهم خلقاً ووجه أبو السرايا الى مكة الحسين الافطس ابن الحسن بن علي زين العابدين والى المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن المثنى ابن الحسن والى البصرة زيد بن موسى بن جعفر الصادق وكان يقال له زيد النار لكثرة من أحرق من الناس بالبصرة فملكوا مكة والمدينة والبصرة وكان بمكة مسرور الخادم الاكبر وسليمان بن داود بن عيسى فلما أحسوا بقدوم الحسين فروا عنها وبقي الناس في الموقف فوضى ودخلها الحسين من الغد فعاث في أهل الموسم ما شاء الله واستخرج الكنز الذي كان في الكعبة من عهد الجاهلية وأقره النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده وقدره فيما قيل مائتا قنطار ثنتان من الذهب فأنفقه وفرقه في أصحابه ما شاء الله ثم ان هرثمة واقع أبا السرايا فهزمه ثم بحث عن منصور بن المهدي فكان أميرا معه واتبع أبا السرايا فغلبه على الكوفة وخرج الى القادسية ثم الى واسط ولقيه عاملها وهزمه ولحق بجلولا مغلولا جريحا فقبض عليه عاملها وقدمه الى الحسن بن سهل بالنهروان فضرب عنقه وذلك سنة مائتين وبلغ الخبر الطالبيين بمكة فاجتمعوا وبايعوا محمد بن جعفر الصادق وسموه أمير المؤمنين وغلب عليه ابناه علي وحسين فلم يكن يملك معهما من الامر شيأ ولحق ابراهيم ابن أخيه موسى الكاظم ابن جعفر الصادق باليمن في أهل بيته فدعا لنفسه هنالك وتغلب على الكثير من بلاد اليمن وسمي الجزار لكثرة ما قتل من الناس وخلص عامل اليمن وهو اسحق بن موسى ابن عيسى الى المأمون فجهزه لحرب هؤلاء الطالبيين فتوجه الى مكة وغلبهم عليها وخرج محمد بن جعفر الصادق الى الاعراب بالساحل فاتبعهم اسحق وهزمهم ثم طلبهم وطلب محمد الامان فأمنه ودخل مكة وبايع للمأمون وخطب على المنبر بدعوته وسابقته الجيوش الى اليمن فشردوا عنه الطالبيين وأقاموا فيها الدعوة العباسية ثم خرج الحسين الافطس ودعا لنفسه بمكة فقتله المأمون وقتل ابنيه علياً ومحمداً ثم ان المأمون لما رأى كثرة الشيعة واختلاف دعاتهم وكان يرى مثل رأيهم أو قريبا منه في شأن علي والسبطين فعهد بالعهد من بعده لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سنة احدى ومائتين وكتب بذلك الى الآفاق وتقدم الى الناس فنزع السواد ولبس الخضرة فحقد بنو العباس ذلك من أمره وبايعوا بالعراق لعمه ابراهيم بن المهدي سنة ثنتين ومائتين وخطب له ببغداد وعظمت الفتنة وشخص المأمون من خراسان متلافياً أمر العراق وهلك علي بن موسى في طريقه فجأة ودفن بطوس سنة ثلاث ومائتين

ووصل المأمون الى بغداد سنة أربع وقبض على عمه ابراهيم وعفا عنه وسكنت الفتنة
(وفي سنة تسع) بعدها خرج باليمن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي
ابن أبي طالب يدعو للرضا من آل محمد وبايعه أهل اليمن وسرح اليه المأمون مولاه
دينارا واستأمن له فأمنه وراجع الطاعة (ثم كثر خروج الزيدية) من بعد ذلك بالحجاز
والعراق والجبال والديلم وهرب الى مصر خلق وأخذ منهم خلق وتتابع دعاتهم
(فأول) من خرج منهم بعد ذلك محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن زين العابدين هرب
خوفا من المعتصم سنة تسع عشرة ومائتين وكان بمكان من العبادة والزهد فلحق
بخراسان ثم مضى الى الطالقان ودعا بها لنفسه واتبعته أمم الزيدية كلهم ثم حاربه
عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فغلبه وقبض عليه وحمله الى المعتصم فحبسه حتى
مات ويقال انه مات مسموما (ثم خرج) من بعده بالكوفة أيضا الحسين بن محمد بن
حمزة بن عبد الله بن الحسين الاعرج بن علي بن زين العابدين واجتمع اليه الناس من
بني أسد وغيرهم من جوعه وأشياعه وذلك سنة احدى وخمسين ومائتين وزحف اليه
ابن شيكال من أمراء الدولة فهزمه ولحق بصاحب الزنج فكان معه وكاتبه أهل
الكوفة في العود اليه وظهر عليه صاحب الزنج فقتله وكان خروج صاحب الزنج
بالبصرة قبله بقليل واجتمعت له جموع العبيد من زنج البصرة وأعمالها وكان يقول
في لفظه من أعلمه أنه من ولد عيسى بن زيد الشهيد وأنه علي بن محمد بن زيد بن عيسى
ثم انتسب الى يحيى بن زيد الشهيد والحق أنه دعي في أهل البيت كما نذكره في أخباره
وزحف اليه الموفق أخو المعتمد ودارت بينه وبينهم حروب الى أن قتله ومحا أثر تلك
الدعوة كما قدمناه في أخبار الموفق ونذكره في أخبارهم (ثم خرج في الديلم) من ولده
الحسن بن زيد بن الحسن السبط الداعي المعروف بالعلوي وهو الحسن بن زيد بن محمد
ابن اسمعيل بن الحسن خرج لخمس وخمسين فملك طبرستان وجرجان وسائر أعمالها وكانت
له ولشيعته الزيدية دولة هنالك ثم انقرضت آخر المائة الثالثة وورثها من ولد الحسن
السبط ثم من ولد عمر بن علي بن زين العابدين الناصر الاطروش وهو الحسن بن علي بن
الحسين بن علي بن عمر وهو ابن عم صاحب الطالقان أسلم الديلم على يد هذا الاطروش
وملك بهم طبرستان وسائر أعمال الداعي وكانت له ولبنيه هنالك دولة وكانوا سببا لملك
الديلم البلاد وتغلبهم على الخلفاء كما نذكر ذلك في أخبار دولتهم (ثم خرج باليمن) من الزيدية
من ولد القاسم الرسي بن ابراهيم طباطبا أخي محمد صاحب أبي السرايا أعوام ثمانية
وثمانين ومائتين يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي فاستولى على صعدة وأورث عقبه
فيها ملكا باقيا لهذا العهد وهي مركز الزيدية كما نذكر في أخبارهم (وفي خلال ذلك)

خرج

خرج بالمدينة الاخوان محمد وعلي ابنا الحسن بن جعفر بن موسى الكاظم وعاثا في
المدينة عيثا شديدا وتعطلت الصلاة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من شهر وذلك
سنة احدى وسبعين (ثم ظهر بالمغرب) من دعاة الرافضة أبو عبد الله الشيعي في كتامة من
قبائل البربر أعوام ستة وثمانين ومائتين داعيا لعبيد الله المهدي محمد بن جعفر بن محمد بن
اسمعيل الامام بن جعفر الصادق فظهر على الاغالبة بالقيروان وبايع لعبيد الله المهدي
سنة ست وتسعين فتم أمره وملك المغربين واستفحلت له دولة بالمغرب ورثها بنوه
ثم استولوا بعد ذلك على مصر سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فملكها منهم المعز لدين الله معد
ابن اسمعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي وشيد القاهرة ثم ملك الشأم واستفحل
ملكه الى ان انقرضت دولتهم على العاضد منهم على يد صلاح الدين بن أيوب سنة خمس
وستين وخمسمائة (ثم ظهر في سواد الكوفة) سنة ثمان وخمسين ومائتين من دعاة الرافضة
رجل اسمه الفرج بن يحيى ويدعى قرمط بكتاب زعم أنه من عند أحمد بن محمد بن الحنفية
فيه كثير من كلمات الكفر والتحليل والتحريم وادعى أن أحمد بن الحنفية هو المهدي
المنتظر وعاث في بلاد السواد ثم في بلاد الشأم وتلقب وكرويه بن مهرويه واستبد
طائفة منهم بالبحرين ونواحيها ورئيسهم أبو سعيد الجنابي وكان له هنالك ملك ودولة
أورثها بنيه من بعده الى ان انقرضت أعوامهم كما نذكر في أخبار دولتهم وكان أهل
البحرين هؤلاء يرجعون الى دعوة العبيديين بالمغرب وطاعتهم (ثم كان بالعراق) من دعاة
الاسمعيلية وهؤلاء الرافضة طوائف آخرون واستبدوا بكثير من النواحي ونسب اليهم
فيها القلاع قلعة الموت وغيرها وينسبون تارة الى القرامطة وتارة الى العبيديين وكان
من رجالاتهم الحسن بن الصباح في قلعة الموت وغيرها الى ان انقرض أمرهم آخر
الدولة السلجوقية (وكان باليمامة ومكة والمدينة) من بعد ذلك دول للزيدية والرافضة
فكان باليمامة دولة لبني الاخضر وهو محمد بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن
عبد الله بن حسن المثنى خرج أخوه اسمعيل بن يوسف في بادية الحجاز سنة ثنتين وخمسين
ومائتين وملك مكة ثم مات فمضى أخوه محمد الى اليمامة فملكها وأورثها لبنيه الى ان
غلبهم القرامطة (وكان بمكة) دولة لبني سليمان بن داود بن حسن المثنى خرج محمد بن
سليمان أيام المأمون وتسمى بالناهض وملك مكة واستقرت امارتها في بنيه الى أن غلبهم
عليها الهواشم وكبيرهم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى
ابن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون فملكها من ابراهيم سنة أربع وخمسين
وأربعمائة وغلب بني حسن على المدينة وداول الخطبة بمكة بين العباسيين والعبيديين
واستفحل ملكه في بنيه الى أن انقرضوا آخر المائة السادسة وغلب على مكة بنو أبي

بقى امراؤها لهذا العهد ملك أوّلهم أبو عزيز قتادة بن ادريس مطاعن بن عبد الكريم ابن موسى بن عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون وورث دولة الهواشم وملكهم وأورثها بنيه الى هذا العهد كما نذكر فى أخبارهم وهؤلاء كلهم زيدية (وبالمدينة) دولة للرافضة لولد الهناء قال المسبحى اسمه الحسن بن طاهر بن مسلم وفى كتاب العتبى مؤرّخ دولة ابن سبكتكين ان مسلما اسمه محمد بن طاهر وكان صديقا لكافور ويدبر أمره وهو من ولد الحسن بن علىّ زين العابدين واستولى طاهر بن مسلم على المدينة أعوام ستين وثلثمائة وأورثها بنيه لهذا العهد كما نذكر فى أخبارهم والله وارث الارض ومن عليها

{الخبر عن الادارسة ملوك المغرب الاقصى ومبدا دولتهم وانقراضها ثم تجددها مفترقة فى نواحى المغرب}

لما خرج حسين بن علىّ بن حسن المثلث بن حسن المثنى بن الحسن السبط بمكة فى ذى القعدة سنة ست وتسعين ومائة أيام المهدى واجتمع عليه قرابته وفيهم عماه ادريس ويحيى وقاتلهم محمد بن سليمان بن على بفجة على ثلاثة أميال بمكة فقتل الحسين فى جماعة من أهل بيته وانهزموا وأسر كثير منهم ونجا يحيى بن ادريس وسليمان وظهر يحيى بعد ذلك فى الديلم وقد ذكرنا خبره من قبل وكيف استنزله الرشيد وحبسه *(وأما ادريس)* ففرّ ولحق بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور ويعرف بالمسكين وكان واضح يتشيع فعلم شأن ادريس وأتاه الى الموضع الذى كان به مستخفيا ولم ير شيأ أخلص من أن يحمله على البريد الى المغرب ففعل ولحق ادريس بالمغرب الاقصى هو ومولاه راشد ونزل بوليلة سنة ثنتين وسبعين وبها يومئذ اسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير اوربة وكبيرهم لعهده فأجاره وجمع البرابر على القيام بدعوته وكشف القناع فى ذلك واجتمعت عليه زواغة ولواتة وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة وكافة البرابر بالمغرب فبايعوه وقاموا بأمره وخطب الناس يوم بويع فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه لا تمدّن الاعناق الى غيرنا فان الذى تجدونه عندنا من الحق لا تجدونه عند غيرنا ولحق به من اخوته سليمان ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها ونذكر خبره فيما بعد (ولما استوثق) أمر ادريس وتمت دعوته زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية مثل قندلاوه وبهلوانه ومديونة مازار وفتح تامسنا ومدينة شاله وتادلا وكان أكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فأسلموا على يديه طوعا وكرها وهدم معاقلهم وحصونهم ثم زحف الى

تلمسان وبها من قبائل بنى يفرن ومغراوه سنة ثلاث وسبعين ولقيه أميرها محمد بن خزر ابن خزلان فأعطاه الطاعة وبذل له ادريس الامان ولسائر زناتة فأمكنه من قياد البلد وبنى مسجدها وأمر بعمل منبره وكتب اسمه فيه حسبما هو مخطوط فى صفح المنبر لهذا العهد ورجع الى مدينة وليلى ثم دسّ اليه الرشيد مولى من موالى المهدى اسمه سليمان ابن حريز ويعرف بالشماخ أنفذه بكتابه الى ابن الاغلب فأجازه ولحق بادريس مظهرا النزوع اليه فيمن نزع من وحران المغرب متبرئا من الدعوة العباسية ومنتحلا للطلب واختصه الامام ادريس وحلا بعينه وكان قد تأبط سما فى سنون فناوله اياه عند شكايته من وجع أسنانه فكان فيه كما زعموا حتفه ودفن بوليلى سنة خمس وسبعين وفرّ الشماخ ولحقه فيما زعموا راشد بوادى ملوية فاختلفا ضربتين قطع فيها راشد يد الشماخ وأجاز الوادى فأعجزه واعتلق بالبرابر من أوربة وغيرهم فحمل من دعوته فى ابنه ادريس الاصغر من جاريته كنزة بايعوه حملا ثم رضيعا ثم فصيلا الى ان شبّ واستتم فبايعوه بجامع وليلى سنة ثمان وثمانين ابن احدى عشرة سنة وكان ابن الاغلب دسّ اليهم الاموال واستمالهم حتى قتلوا راشدا مولاه سنة ست وثمانين وقام بكفالة ادريس من بعده أبو خالد بن يزيد بن الياس العبدى ولم يزل كذلك الى ان بايعوا لادريس فقاموا بأمره وجددوا لأنفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وافتتحوا بلاد المغرب كلها واستوثق لهم الملك بها واستوزر ادريس مصعب بن عيسى الازدى المسمى بالمجوم من ضربة فى بعض حروبهم وسمته على الخرطوم وكأنها خطام ونزع اليه كثير من قبائل العرب والاندلس حتى اجتمع اليه منهم زهاء خمسمائة فاختصهم دون البربر وكانوا له بطانة وحاشية واستفحل بهم سلطانه ثم قتل كبير أوربة اسحق بن محمود سنة ثنتين وتسعين لما أحسّ منه بموالاة ابراهيم بن الاغلب وكثرت غاشية الدولة وأنصارها وضاقت وليلى بهم فاعتام موضعا للبناء مدينة لهم وكانت فاس موضعا لبنى يوغش وبنى الخير من زواغة وكان فى بنى يوغش مجوس ويهود ونصارى وكان موضع شيبوبة منها بيت نار لمجوسهم وأسلموا كلهم على يده وكانت بينهم فتن فبعث للاصلاح بينهم كاتبه أبا الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجى ثم جاء الى فاس وضرب أبنيته بكزواوه وشرع فى بنائها فاختط عدوة الاندلس سنة ثنتين وتسعين وفى سنة ثلاث بعدها اختط عدوة القرويين وبنى مساكنه وانتقل اليها وأسس جامع الشرفاء وكانت عدوة القرويين من لدن باب السلسلة الى غدير الجوزاء والجرف واستقام له أمر الخلافة وأمر القائمين بدعوته وأمر العزو والملك ثم خرج غازيا المصامدة سنة سبع وتسعين فافتتح بلادهم ودانوا بدعوته ثم غزا تلمسان وجدد بناء مسجدها واصلاح منبرها وأقام بها ثلاث سنين وانتظمت كلمة البرابرة وزناتة

ومحوا دعوة الخوارج منهم واقتطع الغربيين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الاقصى الى شلف ودافع ابراهيم بن الاغلب عن حماه بعد ماضايقه بالمكايد واستفاد الاولياء واستمال بهلول بن عبد الواحد المظفري بمن معه من قومه عن طاعة ادريس الى طاعة هرون الرشيد ووفد عليه بالقيروان واستراب ادريس بالبرابرة فصالح ابراهيم ابن الاغلب وسكن من غربه وعجز الاغالبة من بعد ذلك عن مدافعة هؤلاء الادارسة ودافعوا خلفاء بنى العباس بالمعاذير بالغض من ادريس والقدح فى نسبه الى أبيه ادريس بما هو أوهن من خيوط العناكب (وهلك ادريس) سنة ثلاث عشرة وقام بالامر من بعده ابنه محمد بعهده اليه فأجمع أمره بوفاة جدته كنزة أم ادريس على أن يشرك اخوته فى سلطانه ويقاسم ممالك أبيه فقسم المغرب بينهم أعمالا اختص منها

القاسم بطنجة والبصرة وسبتة وتيطاوين

وقلعة حجر النسر وما الى ذلك من البلاد والقبائل واختص عمر

بتيكيسان وترغة وما بينهما من قبائل صنهاجة وغمارة واختص

داود ببلاد هوارة وتسول وتازى وما بينهما من القبائل مكناسة وغياثة واختص

عبد الله باغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الاقصى واختص

يحيى باصيلا والعرائش وبلاد ورغة وما الى ذلك واختص عيسى بشالة

وسلا وازمور وتامسنا وما الى ذلك من القبائل واختص حمزة بوليلى واعمالها وأبقى الباقين فى كفالته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم وبقيت تلمسان لولد سليمان بن عبد الله وخرج عيسى بازمور على أخيه محمد طالبا الامر لنفسه فبعث لحربه أخاه عمر بعد أن دعا القاسم لذلك فامتنع ولما أوقع عمر بعيسى وغلب على ما فى يده استنابه الى أعماله باذن أخيه محمد ثم أمره أخوه محمد بالنهوض الى حرب القاسم لقعوده عن اجابته فى محاربة عيسى فزحف اليه وأوقع به واستناب عليه الى ما فى يده فصار الريف البحرى كله من عمل عمر هذا من تيكيساس وبلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وهذا ساحل البحر الرومى ثم ينعطف الى أصيلا ثم سلا ثم ازمور وبلاد تامسنا وهذا ساحل البحر الكبير وتزهد القاسم وبنى رباطا بساحل أصيلا للعبادة الى ان هلك واتسعت ولاية عمر بعمل عيسى والقاسم وخلصت طويته لاخيه محمد الامير وهلك فى امارة أخيه محمد ببلد صنهاجة بموضع يقال له فج الفرس سنة عشرين ومائتين ودفن بفاس وعمر هذا هو جد الحموديين الداخلين بالاندلس من بنى أمية كما نذكره وعقد الامير محمد على عمله لولده على ابن عمر ثم كان مهلك الامير محمد لسبعة أشهر من مهلك أخيه عمر سنة احدى وعشرين ومائتين بعد أن استخلف ولده عليا فى مرضه وهو ابن تسع سنين فقام بأمره الاولياء

هذا البياض كله من الاصل

والحاشية من العرب وأوربة وسائر البربر وصنائع الدولة وبايعوه غلاما مترعرعا وقاموا بأمره وأحسنوا كفالته وطاعته فكانت أيامه خير أيام وهلك سنة أربع وثلاثين لثلاث عشرة سنة من ولايته وعهد لأخيه يحيى بن محمد فقام بالامر وامتد سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستبحرت فاس فى العمران وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار وبنيت الارباض ورحل اليها الناس من الثغور القاصية واتفق ان نزلتها امرأة من أهل القيروان تسمى أم البنين بنت محمد الفهرى وقال ابن أبى ذرع اسمها فاطمة وانها من هوارة وكانت مثرية بموروث أفادته من ذويها واعتزمت على صرفه فى وجوه الخير فاختطت المسجد الجامع بعدوة القرويين أصغر ما كان سنة خمس وأربعين فى أرض بيضاء كان أقطعها الامام ادريس وأنبطت بصحنها بئرا شرب الناس فكأنما نبهت بذلك عزائم الملوك من بعدها ونقلت اليه الخطبة من جامع ادريس لضيق محلته وجوار بيته واختط بعد ذلك أحمد بن سعيد بن أبى بكر اليفرنى صومعته سنة خمس وأربعين وثلثمائة على رأس مائة سنة من اختطاط الجامع حسبما هو منقوش فى الحجارة بالركن الشرقى منها ثم أوسع فى خطته المنصور بن أبى عامر وجلب اليه الماء وأعد له السقاية والسلسلة بباب الحفاة منه ثم أوسع فى خطته آخر ملوك لمتونة من الموحدين وبنى مرين واستمرت العمارة به وانصرفت هممهم الى تشييده والمنافسات فى الاحتفال به فبلغ الاحتفال فيه ما شاء الله حسبما هو مذكور فى تواريخ المغرب وهلك يحيى هذا سنة

بياض فى الاصل

وولى ابنه يحيى بن يحيى فأساء السيرة وكثر عبثه فى الحرم وثارت به العامة لمركب شنيع أتاه وتولى كبر الثورة عبد الرحمن بن أبى سهل الجزامى وأخرجوه من عدوة القرويين الى عدوة الاندلسيين فتوارى ليلتين ومات أسفا لليلته وانقطع الملك من عقب محمد بن ادريس وبلغ الخبر بشأن يحيى الى ابن عمه على بن عمر صاحب الريف واستدعاه أهل الدولة من العرب والبربر والموالى فجاء الى فاس ودخلها وبايعوه واستولى على أعمال المغرب الى ان ثار عليه عبد الرزاق الخارجى خرج بجبال مديونة وكان على رأى الصفرية فزحف الى فاس وغلب عليها ففر الى أوربة وملك عبد الرزاق عدوة الاندلس وامتنعت منه عدوة القرويين وولوا على أنفسهم يحيى بن القاسم بن ادريس وكان يعرف بالصرام بعثوا اليه فجاءهم فى جموعه وكانت بينه وبين الخارجى حروب ويقال انه أخرجه من عدوة الاندلس واستعمل عليها ثعلبة بن محارب بن عبد الله كان من أهل الربض بقرطبة من ولد المهلب بن أبى صفرة ثم استعمل ابنه عبد الله المعروف بعبود من بعده ثم ابنه محارب بن عبود بن ثعلبة الى أن اغتاله الربيع بن سليمان سنة ثنتين وتسعين

ومائتين وقام بالامر مكانه يحيى بن ادريس بن عمر صاحب الريف وهو ابن أخي علي بن
عمر فملك جميع أعمال الادارسة وخطب له على سائر أعمال المغرب وكان أعلى بني ادريس
ملكا وأعظمهم سلطانا وكان فقيها عارفا بالحديث ولم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه
في السلطان والدولة وفي أثناء ذلك كله خلط الملك للشيعة بافريقية وتغلبوا على
الاسكندرية واختطوا المهدية كما نذكره في دولة كتامة ثم طمحوا الى ملك المغرب وعقدوا
لمصالة بن حبوس كبير مكناسة وصاحب تاهرت على محاربة ملوكه سنة خمس وثلثمائة
فزحف اليه في عساكر مكناسة وكتامة وبرز لمدافعته يحيى بن ادريس صاحب المغرب
بجموعه من المغرب وأولياء الدولة من أوربة وسائر البرابرة والموالي والتقوا على مكناسة
وكانت الدبرة على يحيى وقومه ورجع الى فاس مغلولا وأجازله بها معاملة الى أن صالحه
على مال يؤديه اليه وطاعة معروفة لعبيد الله الشيعي سلطانه يؤديها فقبل الشرط وخرج
عن الامر وخلع نفسه وأنفذ بيعته الى عبيد الله المهدي وأبقى عليه مصالحه في سكنى
فاس وعقد له على عملها خاصة وعقد لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة يومئذ
وصاحب تسول وتازا على سائر أعمال البربر كما نذكره في أخبار مكناسة ودولة موسى
وكان بين موسى بن أبي العافية وبين يحيى بن ادريس شحناء وعداوة يضطغنها كل واحد
لصاحبه حتى اذا عاد مصالة الى المغرب في غزاته الثانية سنة تسع أغراه موسى بن أبي
العافية بطلحة بن يحيى بن ادريس صاحب فاس فقبض عليه مصالة واستصفى أمواله
وذخائره وغربه الى أصيلا والريف عمل ذي قرباه ورحمه وولى على فاس ريحان الكتامي
ثم خرج يحيى يريد افريقية فاعترضه ابن أبي العافية وسجنه سنتين وأطلقه ولحق بالمهدية
سنة احدى وثلاثين وهلك في حصار أبي يزيد سنة   واستبد ابن أبي
العافية بملك المغرب وثار على ريحان الكتامي بفاس سنة ثلاث عشرة وثلثمائة الحسن
ابن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بالحجام ونفى ريحان عنها وملكها عامين وزحف
للقاء موسى بن أبي العافية وكانت بينهما حروب شديدة هلك فيها ابنه منهال بن موسى
وانجلت المعركة على أكثر من ألف قتيل وخلص الحسن الى فاس منهزما وغدر به
حامد بن حمدان الاوربي واعتقله وبعث الى موسى فوصل الى فاس وملكها وطالبه
باحضار الحسن فدافعه عن ذلك وأطلق الحسن متنكرا فتدلى من السور فسقط ومات
من ليلته وفر حامد بن حمدان الى المهدية وقتل موسى بن أبي العافية عبد الله بن ثعلبة بن
محارب وابنيه محمدا ويوسف وذهب ملك الادارسة واستولى ابن أبي العافية على جميع
المغرب وأجلى بني محمد بن القاسم بن ادريس وأخاه الحسن الى الريف فنزلوا البصرة
واجتمعوا الى كبيرهم ابراهيم بن محمد بن القاسم أخي الحسن وولوه عليهم واختط لهم

بياض بالأصل

الحصن المعروف بهم هنالك وهو حجر النسر سنة سبع عشرة وثلثمائة ونزلوه وبنو عمر بن
ادريس يومئذ بغمارة من لدن تيجساس الى سبتة وطنجة وبقي ابراهيم كذلك وثمر
الناصر المرواني لطلب المغرب وملك سبتة على بن ادريس سنة تسع عشرة وكبيرهم
يومئذ أبو العيش بن ادريس بن عمر فانجابوا له عنها وأنزل بها حاميته وهلك ابراهيم بن محمد
كبير بني محمد فتولى عليهم من بعده أخوه القاسم الملقب بكانون وهو أخو الحسن الحجام
واسمه القاسم بن محمد بن القاسم وقام بدعوة الشيعة انحرافا عن أبي العافية ومذاهبه
واتصل الامر في ولده وغمارة أولياؤهم والقائمون بأمرهم كما نذكره في أخبار غمارة
ودخلت دعوة المروانيين خلفاء قرطبة الى المغرب وتغلبت زناتة على الضواحي ثم ملك
بنو يعرب فاس وبعدهم مغراوة وأقام الادارسة بالريف مع غمارة وتجدد لهم به ملك
في بني محمد وبني عمر بمدينة البصرة وقلعة حجر النسر ومدينة سبتة وأصيلا ثم تغلب
عليهم المروانيون وأثخنوهم الى الاندلس ثم أجازوهم الى الاسكندرية وبعث العزيز
العبيدي بن كانون منهم لطلب ملكهم بالمغرب فغلبه عليه المنصور بن أبي عامر وقتله
وعليه كان انقراض أمرهم وانقراض سلطان أوربة من المغرب وكان من أعقاب
الادارسة الذين اووا الى غمارة فكانوا الداثلين من ملوك الاموية بالاندلس وذلك أن
الادارسة لما انقرض سلطانهم وصاروا الى بلاد غمارة واستجدوا بها رياسة واستمرت
في بني محمد وبني عمر من ولد ادريس بن ادريس وكانت للبربر اليهم بسبب ذلك طاعة
وخلطة وكان بنو حمود هؤلاء   من غمارة فأجازوا مع البربر حين أجازوا
في مظاهرة المستعين ثم غلبوه بعد ذلك على الامر وصار لهم ملك الاندلس حسبما نذكر
في أخبارهم (وأما سليمان) أخو ادريس الاكبر فانه فر الى المغرب أيام العباسيين فلحق
بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه ادريس وطلب الامر هنالك فاستنكره البرابرة وطلبه ولاة
الاغالبة فكان في طلبهم تصحيح نسبه ولحق بتلمسان فملكها وأذعنت له زناتة وسائر قبائل
البربر هنالك وورث ملكه ابنه محمد بن سليمان على سننه ثم افترق بنوه على ثغور المغرب
الاوسط واقتسموا ممالكه ونواحيه فكانت تلمسان من بعده لابنه محمد بن أحمد بن القاسم
ابن محمد بن أحمد وأظن هذا القاسم هو الذي يدعي بنو عبد الواد نسبه فان هذا أشبه من
القاسم بن ادريس بمثل هذه الدعوى وكانت ارشكول لعيسى بن محمد بن سليمان وكان
منقطعا الى الشيعة وكانت جراوة لادريس بن محمد بن سليمان ثم لابنه عيسى وكنيته أبو
العيش ولم تزل امارتها في ولده ووليها بعده ابنه ابراهيم بن عيسى ثم ابنه يحيى بن ابراهيم
ثم أخوه ادريس بن ابراهيم وكان ادريس بن ابراهيم صاحب ارشكول منقطعا الى
عبد الرحمن الناصر وأخوه يحيى كذلك وارتاب من قبله ميسور قائد الشيعة فقبض

بياض بالأصل

عليه سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ثم انحرف عنهم فلما أخذ ابن أبى العافية بدعوة العلوية نابذ أولياء الشيعة فحاصر صاحب جراوة الحسن بن أبى العيش وغلبه على جراوة فلحق بابن عمه ادريس بن ابراهيم صاحب ارشكول ثم حاصرها البورى بن موسى بن أبى العافية وغلب عليهما وبعث بهما الى الناصر فأسكنهما قرطبة وكانت تنس لابراهيم بن محمد بن سليمان ثم لابنه محمد من بعده ثم لابنه يحيى بن محمد ثم ابنه على بن يحيى وتغلب عليه زيرى بن مناد سنة ثنتين وأربعين وثلثمائة ففر الى الخير بن محمد بن خزر وجاز ابناه حمزة ويحيى الى الناصر فتلقاهما رحبا وتكرمة ورجع يحيى منهما الى طلب تنس فلم يظفر بها وكان من ولد ابراهيم هذا أحمد بن عيسى بن ابراهيم صاحب سوق ابراهيم وسليمان بن محمد بن ابراهيم من رؤساء المغرب الاوسط وكان من بنى محمد بن سليمان هؤلاء وبطوش بن حناتش بن الحسن بن محمد بن سليمان قال ابن حزم وهم بالمغرب كثير جدا وكان لهم بها ممالك وقد بطل جميعها ولم يبق منهم بها رئيس بنواحى بجاية وحمل بنى حمزة هؤلاء جوهر الى القيروان وبقيت منهم بقايا فى الجبال والاطراف معروفون هنالك عند البربر والله وارث الارض ومن عليها

* (الخبر عن صاحب الزنج وتصاريف أمره واضمحلال دعوته) *

هذه الدعوة فيها اضطراب منذ أولها فلم يتم لصاحبها دولة وذلك أن دعاة العلوية منذ زمان المعتصم من الزيدية كما شرحناه وكان من أعظمهم الذين دعا لهم شيعتهم بالنواحى على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد ولما اشتهر أمره فر وقتل ابن عمه على بن محمد بن الحسن بن على بن عيسى وبقى هو متغيبا فادعى صاحب الزنج هذا سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهدى انه هو فلما ملك البصرة ظهر هذا المطلوب ولقيه صاحب الزنج حيا معروفا بين الناس فرجع عن دعوى نسبه وانتسب الى يحيى بن زيد قتيل الجون ونسبه المسعودى الى طاهر بن الحسين بن على وقال فيه على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر ويشكل ذلك بأن الحسين بن فاطمة لم يكن له عقب الا من زين العابدين قاله ابن حزم وغيره فان أراد بطاهر طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن عبيد الله بن الحسن الاصغر بن زين العابدين فتطول سلسلة نسبه وتشتمل على اثنى عشر الى الحسين ابن فاطمة ويبعد ذلك الى العصر الذى ظهر فيه والذى عليه المحققون الطبرى وابن حزم وغيرهما أنه رجل من عبد القيس من قرية تسمى وردنين من قرى الرى واسمه على ابن عبد الرحيم حدثته نفسه بالتوثب ورأى كثرة خروج الزيدية من الفاطميين فانتحل هذا النسب وادعاه وليس من أهله ويصدق هذا انه كان خارجيا

على رأى الازارقة يلعن الطائفتين من أهل الجمل وصفين وكيف يكون هذا من علوى صحيح النسب ولأجل انتحاله هذا النسب وبطلانه فى دعاويه فسد أمره فقتل ولم تقم له دولة بعد أن فعل الافاعيل وعاث فى جهات البصرة واستباح الامصار وخربها وهزم العساكر وقتل الامراء الاكابر واتخذ لنفسه حصونا قتل فيها ملجاويه مكر سنة الله فى عباده (وسياق الخبر عنه) انه شخص من الذين حجبوا ببغداد مع جماعة من حاشية المنتصر ثم سار الى البحرين سنة تسع وأربعين ومائتين فادعى أنه علوى من ولد الحسين ابن عبيد الله بن العباس بن على ودعا الناس الى طاعته فاتبعه كثير من أهل هجر ثم تحول الى الاحساء ونزل على بعض بنى تميم ومعه قوارة يحيى بن محمد الازرق وسليمان بن جامع وقاتل أهل البحرين فهزموه وافترقت العرب عنه ولحق بالبصرة والفتنة فيها بين البلالية والسعدية وبلغ خبره محمد بن رجاء العامل فطلبه فهرب وحبس ابنه وزوجته وبعض أصحابه ولحق هو ببغداد فانتسب الى عيسى بن زيد الشهيد كما قلناه وأقام بها حولا ثم بلغه أن البلالية والسعدية أخرجوا محمد بن رجاء من البصرة وأن أهله خلصوا فرجع الى البصرة فى رمضان سنة خمس وخمسين ومعه يحيى بن محمد وسليمان بن جامع ومن أهل بغداد الذين استمالهم جعفر بن محمد الصمدحانى وعلى بن أبان وعبدان غير من سمينا فنزل بظاهر البصرة ووجه دعوته الى العبيد من الزنوج وأفسدهم على مواليهم ورغبهم فى العتق ثم فى الملك واتخذ راية رسم فيها ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية وجاءه موالى العبيد فى طلبهم فأمرهم بضربهم وحبسهم ثم أطلقهم وتسايل اليه الزنوج واتبعوه وهزم عساكر البصرة والابلة وذهب الى القادسية وجاءت العساكر من بغداد فهزمهم ونهب النواحى وجاء المدد الى البصرة مع جعلان من قواد الترك وقاتلوه فهزمهم ثم ملك الابلة واستباحها وسار الى الاهواز وبها ابراهيم ابن المدبر على الخوارج فافتتحها وأسر ابن المدبر سنة ست وخمسين الى أن فر من محبسهم فبعث المعتمد سعيد بن صالح الحاجب لحربهم سنة سبع وخمسين وهو يومئذ عامل البصرة وسار من واسط فهزمه على بن أبان من قواد الزنج لحربهم هزمه الى البحرين فتحصن بالبصرة وزحف على بن أبان لحصاره حتى نزل على أمانة ودخلها وأحرق جامعها ونكب عليه صاحب الزنج فصرفه وولى على البصرة مكانه يحيى بن محمد البحرانى وبعث المعتمد محمد المولد الى البصرة فأخرج عنها الزنج ثم بيتوا محمد بن المولد فهزموه ثم ساروا الى الاهواز وعليها منصور الخياط فواقع الزنج فغلبوه وكان المعتمد قد استقدم أخاه أبا أحمد الموفق من مكة وعقد له على الكوفة والحرمين وطريق مكة واليمن ثم عقد له على بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والاهواز

وأمره أن يعقد ليارجوج على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين مكان سعيد
ابن صالح ثم انهزم سعيد بن صالح فعقد ليارجوج لمنصور بن جعفر مكانه ثم قتله الزنج
كما قلناه فأمر المعتمد أخاه الموفق بالمسير اليهم فى ربيع سنة ثمان وخمسين وعلى مقدمته
مفلح فأجفل الزنج عن البصرة وسار قائدهم على بن ابان فلقى مفلحا فقتل مفلح وانهزم
أصحابه ورجع الموفق الى سامرا وكان اصطيخور ولى الاهواز بعد منصور الخياط وجاءه
يحيى بن محمد البحرانى من قواد الزنج وبلغهم مسير الموفق فانهزم يحيى البحرانى ورجع
فى السفن فأخذ وحمل الى سامرا فقتل وبعث صاحب الزنج مكانه على بن أبان
وسليمان الشعرانى فملكوا الاهواز من يد اصطيخور سنة تسع وخمسين بعد أن هزموه
وهرب فى السفن فغرق وسرح المعتمد لحربهم موسى بن بغا بعد ان عقد له على تلك
الاعمال فبعث الى الاهواز عبد الرحمن بن مفلح والى البصرة اسحق بن كنداجيق
والى باداورد ابراهيم بن سليمان وأقاموا فى حروبهم مدة سنة ونصفها ثم استعفى موسى
ابن بغا وولى على تلك الاعمال مكانه مسرور البلخى وجهز المعتمد أخاه أبا أحمد الموفق
لحربهم بعد أن عهد له بالخلافة ولقبه الناصر لدين الله الموفق وولى على أعمال المشرق
كلها الى آخر اصفهان وعلى الحجاز فسار لذلك سنة ثنتين وستين واعترضه يعقوب
الصفار يريد بغداد فشغل بحربه وانهزم الصفار وانتزع من يده ما كان ملكه
من الاهواز وكان مسرور البلخى قد سار الى المعتمد وحضر معه حرب الصفار فاغتنم
صاحب الزنج خلو تلك النواحى من العسكر وبث سراياه للنهب والتخريب فى القادسية
وجاءت العساكر من بغداد مع اغرتمش وخشتش فهزمهم الزنج وقائدهم سليمان
ابن جامع وقتل خشتش وكان على بن أبان من قوادهم قد سار الى الاهواز وأميرها يومئذ
محمد بن هزارمرد الكردى فبعث مسرور البلخى أحمد بن الينونة لقتالهم فغلب أولا
على الاهواز على بن أبان ثم ظاهره محمد بن هزارمرد والاكراد فرجع الى السوس
وأقام على بن أبان وصاحبه بتستر وطمع انه يخطب لصاحب الزنج فخطب هو للصفار
فاقتتلا وانهزم على بن أبان وخرج واضطربت فارس بالفتنة ثم ملك الصفار الاهواز
وواعد الزنج وسار سليمان بن جامع من قواد الزنج وولى الموفق على مدينة واسط
أحمد بن المولد فزحف اليه الخليل بن أبان فهزمه واقتحم واسطا واستباحها سنة أربع
وستين وضربت خيولهم فى نواحى السواد الى النعمانية الى جرجرايا فاستباحوها
وسار على بن أبان الى الاهواز فحاصرها واستعمل الموفق عليها مسرورا البلخى فبعث
تكيد البخارى الى تستر فهزمهم على بن أبان وجماعة الزنج وسألوه الموادعة فوادعهم
واتهمه مسرور فقبض عليه وبعث مكانه أغرتمش فهزم الزنج أولا ثم هزموه ثانيا

فوادعهم ثم سار على بن أبان الى محمد بن هزارمرد الكردى فغلبه على رامهرمز حتى
صالحه عليها على مائتى ألف درهم وعلى الخطبة له فى أعماله ثم سار ابن أبان لحصار بعض
القلاع بالاهواز فزحف اليه مسرور البلخى فهزمه واستباح معسكره وكان الموفق
لما اقتحم الزنج مدينة واسط بعث ابنه أبا العباس سنة ست وستين فى عشرة آلاف
من المقاتلة ومعه السفن فى النهر عليها أبو حمزة نصير فكتب اليه نصير بأن سليمان بن
جامع أقبل فى المقاتلة والسفن برا وبحرا وعلى مقدمته الجنانى ولحقهم سليمان
ابن موسى الشعرانى بالعساكر ونزلوا من الطفح الى أسفل واسط فسار اليهم أبو العباس
فهزمهم فتأخروا وراءهم وأقام على واسط يردد عليهم الحروب والهزائم مرة بعد
أخرى ثم أمر صاحب الزنج قائده ابن أبان وابن جامع أن يجتمعا لحرب أبى العباس بن
الموفق وبلغ ذلك الموفق فسار من بغداد فى ربيع سنة سبع وستين فانتهى الى
المنيعة وقاتل الزنج فانهزموا أمامه واتبعهم أصحاب أبى العباس ابنه فاقتحموا عليهم
المنيعة وقتلوا وأسروا وهدم سور المنيعة وطمس خندقها وهرب الشعرانى وابن جامع
وسار أبو العباس الى المنصورة بطهشا فنازلها وغلب عليها وأفلت ابن جامع الى واسط
وغلب على ما فيها من الذخائر والاموال وهدم سورها وطم خنادقها ورجع الى واسط
ثم سار الموفق الى الزنج بالاهواز واستخلف ابنه هرون على جنده بواسط وجاءه الخبر
برجوع الزنج الى طهشا والمنصورة فرد اليهم من يوقع بهم ومضى لوجهه فانتهى
الى السوس وعلى بن أبان بالاهواز فسار الى صاحبه واستأمن المخلفون هنالك الى
الموفق فأمنهم وسار الى تستر وأمن محمد بن عبد الله الكردى ثم وافى الاهواز
وكتب الى ابنه هرون أن يوافيه بالجند بنهر المبارك من فرات البصرة وبعث ابنه
أبا العباس لحرب الخبيث بنهر أبى الخصيب واستأمن اليه جماعة من قواده فأمنهم
وكتب اليه بالدعوة والاعذار وزحف اليه فى مدينته المختارة له وأطلق السفن فى البحر
وعبى عساكره وهى نحو من خمسين ألفا والزنج فى نحو من ثلثمائة ألف مقاتل ونصب
الآلات ورتب المنازل للحصار وبنى المقاعد للقتال واختط مدينة الموفقية لنزوله
وكتب بحمل الاموال والميرة اليها فحملت وقطع الميرة عن المختارة وكتب الى البلاد
بانشاء السفن والاستكثار منها وقام يحاصرها من شعبان سنة سبع وستين الى صفر
من سنة سبعين ثم اقتحم عليهم المختارة فملكها وفر الخبيث وابنه انكلاى وابن جامع الى
معقل أعده واتبعه طائفة من الجند فانقطعوا عنه وأمرهم من الغد باتباعه فانهزم
وقتل من أصحابه واسر ابن جامع ثم قتل صاحب الزنج وجىء برأسه ولحق انكلاى
بالدينارى فى خمسة آلاف ولحقهم أصحاب الموفق فظفروا بهم وأسروهم أجمعين وكان

درمونة من قواده قد لحق بالبطيحة واعتصم بالمغايض والآجام ليقطع الميرة عن أصحاب الموفق فلما علم بقتل صاحبه استأمن الى الموفق فأمنه ثم أقام الموفق بمدينته قليلا وولى على البصرة والابلة وكور دجلة ورجع الى بغداد فدخلها فى جمادى سنة سبعين وكان لصاحب الزنج من الولد محمد ولقبه انكلاى ومعناه بالزنجية ابن الملك ثم يحيى وسليمان والفضل حبسوا فى المطبق الى أن هلكوا والله وارث الارض ومن عليها

{ الخبر عن دعاة الديلم والجيل من العلوية وما كان لهم من الدولة بطبرستان للداعى وأخيه أولا ثم للاطروش وبنيه وتصاريف ذلك الى انقضائه }

(كان) أبو جعفر المنصور قد اختص من العلوية من بنى الحسن السبط حافده الحسن ابن زيد بن الحسن وولاه المدينة وهو الذى امتحن الامام مالكا رحمه الله كما هو معروف وهو الذى أغرى المنصور من قبل ببنى حسن وأخبره بدسيسة محمد المهدى وابنه عبد الله فى شأن الدعاء لهم حتى قبض عليهم وحملهم الى العراق كما قدمناه وكان له عقب بالرى منهم الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن والى المدينة ولما حدث بين عامل طبرستان محمد بن أوس الكافل بها لسليمان بن عبد الله بن طاهر نائبا عن محمد بن طاهر صاحب خراسان وبين محمد وجعفر من بنى رستم من أهل نواحى طبرستان حادث فتنة وقد تقدم ذكرها أغروا به أهل تلك النواحى وبعثوا الى الديلم ليستنجدوا بهم عليه وكانوا على المجوسية يومئذ وهم حرب لمحمد بن أوس لدخوله بلادهم وقتله وسبيه منهم أيام المسالمة وملكهم يومئذ وهشوذار بن حسان فأجابوا ابنى رستم الى حربه وبعث ابنا رستم الى محمد بن ابراهيم بطبرستان لتكون الدعوة له فامتنع ودلهم على الحسن بن زيد بالرى فاستدعوه بكتاب محمد بن ابراهيم فشخص اليهم وقد اتفق الديلم وابنا رستم وأهل ناحيتهم على بيعته فبايعوه وانضم اليهم أهل جبال طبرستان وزحف الى آمد فقاتله ابن أوس دونه وخالفه الحسن بن زيد فى جماعة الى آمد فملكها ونجا ابن أوس الى سليمان بن عبد الله بن طاهر بسارية وزحف اليهم الحسن فخرجوا للقائه فناشبهم الحرب وبعث بعض قواده الى سارية فملكها وانهزم سليمان الى جرجان واستولى الحسن على معسكره بما فيه وعلى حرمه وأولاده فبعثهم اليه فى السفن ويقال ان سليمان انهزم له لدسيسة التشيع التى كانت فى بنى طاهر ثم أقبل الحسن بن زيد الى طبرستان فملكها وهرب عنها سليمان ثم بعث الحسن دعاته الى النواحى وكان يعرف بالداعى العلوى فبعث الى الرى القاسم ابن عمه على بن اسمعيل وبها القاسم بن على بن زين العابدين السمرى فملكها واستخلف بها محمد بن جعفر بن أحمد بن عيسى بن حسين الصغير

ابن زين العابدين وبعث الى قزوين الحسين المعروف بالكوكبى بن أحمد بن محمد ابن اسمعيل بن محمد بن جعفر وهزمه وأسره فبعث الحسن بن زيد قائده دواجن الى محمد بن ميكال فهزمه وقتله وملك الرى من يده وذلك سنة خمسين ومائتين ثم زحف سليمان بن عبد الله بن طاهر من جرجان فى العساكر فأجفل الحسن بن زيد عن طبرستان الى الديلم ودخلها سليمان ثم قصد سارية وأتاه ابنا قاران بن شهرزاد من الديلم وأتاه أهل آمد وغيرهم طائعين فصفح عنهم ثم سار محمد بن طاهر الى لقاء الحسن فهزمه وقتل من أعيان أصحابه ثلثمائة وأربعين رجلا ثم زحف موسى بن بغا لحربهم سنة ثلاث وخمسين فلقيه الحسن الكوكبى على قزوين وانهزم الى الديلم واستولى موسى بن بغا على قزوين ثم رجع الكوكبى سنة ست وخمسين فاستولى على الرى واستولى القاسم ابن على بعدها على الكرخ سنة سبع ثم زحف الحسن بن زيد الى جرجان وبعث اليها محمد بن طاهر صاحب خراسان العساكر فهزمهم الحسن وغلبهم عليها وانتقض أمر ابن طاهر بخراسان من يومئذ واختلف المغلبون عليه وكان ذلك داعيا الى انتزاع يعقوب الصفار خراسان من يده ثم غلبه الحسين سنة تسع وخمسين على قومس

(استيلاء الصفار على طبرستان)

كان عبد الله السجزى ينازعه يعقوب بن الليث الصفار الرياسة بسجستان فلما استولى يعقوب على الامر هرب عبد الله الى نيسابور مستجيرا بابن طاهر فأجاره فلما هلك يعقوب الصفار بنيسابور هرب عبد الله الى الحسن بن زيد ونزل سارية وبعث فيه يعقوب الصفار فلم يسلمه الحسن بن زيد فسار اليه يعقوب سنة ستين وهزمه فلحق بأرض الديلم ولحق عبد الله بالرى وملك يعقوب سارية وآمد وجبى خراجها وسار فى طلب الحسن فتعلق بجبال طبرستان واعترضه الامطار والاوحال فلم يخلص الا بمشقة وكتب الى الخليفة بخبر الحسن وما فعله معه وسار الى الرى فى طلب عبد الله السجزى فأمكنه منه والى الرى فقتله ثم رجع الحسن بن زيد الى طبرستان سنة احدى وستين وغلب عليها أصحاب الصفار واقتطعها عنهم ثم انتقض السجستانى على يعقوب ابن الليث بخراسان وملكها من يده كما ذكرناه فسار وحاربه أبو طلحة بن شركب وأمره الحسن بن زيد فسار السجستانى الى محاربته بسبب ذلك سنة خمس وستين وانتزع جرجان من يده ثم خرج عنها القتال عمرو بن الليث بعد موت أخيه يعقوب كما نذكر فى أخبارهم فملكها الحسن بن زيد ثم أوقع السجستانى بالحسن بن زيد سنة ست وستين كبسه بجرجان وهو غار فهزمه ولحق بآمد وملك سارية واستخلف عليها الحسن ابن محمد بن جعفر بن عبد الله العيسى بن الحسين الاصغر بن زين العابدين وانصرف

فأظهر الحسن بسارية قتل الحسن بن زيد ودعا لنفسه فبايعه جماعة ثم وافاه الحسن بن زيد فظفر به وقتله

(وفاة الحسن بن زيد وولاية أخيه)

ثم توفى الحسن بن زيد صاحب طبرستان فى رجب سنة سبعين وولى مكانه أخوه محمد وكان قيامهم أولا على ابن طاهر كما ذكرناه ثم غلب يعقوب الصفار على خراسان وانتقض عليه أحمد السجستانى وملكها من يده ثم مات يعقوب سنة خمس وستين وولى مكانه اخوه عمرو وزحف الى خراسان وقاسم السجستانى فيها وكانت بينهما حروب وكان الحسن داعى طبرستان يقابلهما جميعا الى أن هلك وولى مكانه اخوه كما ذكرناه وكانت قزوين تغلب عليها اثناء ذلك عساكر الموفق ووليها أذكوتكين من مواليهم فزحف الى الرى سنة ثنتين وسبعين وزحف اليه محمد بن زيد فى عالم كبير من الديلم وأهل طبرستان وخراسان فانهزم وقتل من عسكره ستة آلاف وأسر ألفان وغنم أذكوتكين عسكره جميعا وملك الرى وفرق عماله فى نواحيها ثم مات السجستانى وقام بأمره فى خراسان رافع ابن الليث من قواد الطاهرية فغلب محمد بن زيد على طبرستان وجرجان فلحق بالديلم ثم صالحه سنة احدى وثمانين وخطب له فيها سنة ثنتين وثمانين على أن ينجده على عمرو ابن الليث وكتب له عمرو بن الليث يعذله عن ذلك فأقصر عنه فلما غلب عمرو على رافع رعى لمحمد بن زيد خذلانه لرواح فخلى له عن طبرستان وملكها

(مقتل محمد بن زيد)

كان عمرو بن الليث لما ملك خراسان وقتل رافع بن هرثمة طلب من المعتضد ولاية ماوراء النهر فولاه واتصل الخبر باسمعيل بن أحمد السامانى ملك تلك الناحية فعبر جيحون وهزم جيوش عمرو بن الليث ورجع الى بخارى فزحف عمرو بن الليث من نيسابور الى بلخ وأعوزه العبور وجاء اسمعيل فعبر النهر وأخذ عليه الجهات بكثرة جموعه فأصبح كالمحاصر ثم اقتتلوا فانهزم عمرو وأسره اسمعيل وبعث به الى المعتضد سنة ثمان وثمانين فحبسه الى أن قتل وعقد لاسمعيل على ما كان بيد عمرو ولما اتصل بمحمد بن زيد واقعة عمرو وأسره سار من طبرستان لا يرى أن اسمعيل يقصدها فلما انتهى الى جرجان بعث اليه اسمعيل يصده عن ذلك فأبى فسرح اليه محمد بن هرون وكان من قواد رافع بن هرثمة وصار من قواد اسمعيل بن سامان فلقى محمد بن زيد على جرجان واقتتلوا فانهزم محمد بن هرون أولا ثم رجعت الكرة على محمد بن زيد وافترقت عساكره وقتل من عسكره عالم وأسر ابنه زيد وأصابته هو جراحات هلك منها

لايام قلائل وغنم ابن هرون عسكره بما فيه وسار الى طبرستان فملكها وبعث بزيد الى اسمعيل فأنزله ببخارى ووسع عليه الانفاق واشتدت عليه شوكة الديلم وحاربهم اسمعيل سنة تسع وثمانين وملكهم يومئذ ابن حسان فهزمهم وصارت طبرستان وجرجان فى ملك بنى سامان مع خراسان الى أن ظهر بها الاطروش كما نذكر بعد ويقال ان زيد بن محمد بن زيد ملك طبرستان من بعد ذلك الى ان توفى وملكها من بعده ابنه الحسن بن زيد

(ظهور الاطروش العلوى وملكه طبرستان)

الاطروش هذا من ولد عمر بن زين العابدين الذى كان منهم داعى الطالقان أيام المعتصم وقد مر ذلك واسم الاطروش الحسن بن على بن الحسين بن على بن عمر دخل الى الديلم بعد مقتل محمد بن زيد وأقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان فاسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه وبنى فى بلادهم المساجد وحملهم على رأى الزيدية فدانوا به ثم دعاهم الى المسير معه الى طبرستان وكان عاملها محمد بن نوح من قبل أحمد بن اسمعيل بن سامان وكان كثير الاحسان اليهم فلم يجيبوا الاطروش الى البغى عليه ثم عزل ابن سامان عن طبرستان ابن نوح وولى عليها غيره فأساء السيرة فأعاد اليها ابن نوح ثم مات فاستعمل عليها أبا العباس محمد بن ابراهيم صعلوكا فأساء السيرة وتنكر لرؤساء الديلم فدعاهم الحسن الاطروش للخروج معه فأجابوه فسار اليهم صعلوك ولقيهم بشاطئ البحر على مرحلة من سالوس فانهزم وقتل من أصحابه نحو من أربعة آلاف وحصر الاطروش بقيتهم فى سالوس حتى استأمنوا اليه فأمنهم ونزل آمد وجاء صهره الحسن بن قاسم ابن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد البطحانى بن القاسم بن الحسن بن زيد والى المدينة وقد مر ذكره فلم يحضر قتل أولئك المستأمنين واستولى الاطروش على طبرستان وتسمى الناصر وذلك سنة احدى وثلثمائة ولحق صعلوك بالرى وسار منها الى بغداد ثم زحف الناصر سنة ثنتين فخرج عن آمد ولحق بسالوس وبث اليه صعلوك العساكر فهزمهم الحسن الداعى وهو الحسن بن زيد ثم زحفت اليه عساكر خراسان وهى للسعيد نصر بن أحمد فقتلوه سنة أربع وثلثمائة وولى صهره وبنوه وكانت بينهم حروب بالديلم كما نذكره وكان له من الولد أبو القاسم وأبو الحسن وكان قواده من الديلم جماعة منهم ليلى بن النعمان وولاه صهره الحسن بعد ذلك جرجان وما كان بن كالى وكانت له ولاية استراباذ ويقرا من كتاب الديلم وكان من قواده من الديلم جماعة أخرى منهم اسفار بن شيرويه من أصحاب ما كان ومرداويج (١) من أصحاب اسفار

(١) قال المسعودى فى مروج الذهب وتفسير مرداويج معلق الرجال وقد يكتب مرداويج بالزاى

والسيكرى من أصحابه أيضا وسولويه من أصحاب مرداويج ويأتى الخبر عن جميعهم وكان الحسن بن قاسم صهر الاطروش وكان رديفه فى الامر حتى كان يعرف بالداعى الصغير واستعمل على جرجان سنة ثمان وثلثمائة ليلى بن النعمان من كبار الديلم وكان له مكان فى قومه وكان الاطروش وأولاده يلقبونه المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله وكانت خراسان يومئذ لنصر بن أحمد من بنى سامان وكان الدامغان ثغرها من ناحية طبرستان وكان بها قراتكين من موالى ابن سامان فوقعت بينه وبين ليلى حروب وهزمه ليلى واستفحل أمره ونزع اليه فارس مولى قراتكين فأكرمه وأصهر اليه بأخته واستأمن اليه أبو القاسم بن حفص وهو ابن أخت أحمد بن سهل قائد السامانية عندما نكب خاله أحمد فأمنه وأجاره ثم حرضه الحسن بن قاسم الداعى الصغير على المسير الى نيسابور فسار اليها ومعه أبو القاسم بن حفص فملكها من يد قراتكين سنة ثمان وثلثمائة وخطب بها للداعى وأنفذ السعيد نصر عساكره اليه من بخارى مع قائده حمويه بن على ومعه محمد بن عبيد الله البلعى وأبو جعفر صعلوك وخوارزمشاه وسيجور الدوانى وبقراخان فلقيهم ليلى بطوس وقاتلوه فانهزم الى آمد ولم يقدر على الحصار ولحقه بقراخان فقبض عليه وبعث حمويه من قتله واستأمن الديلم اليهم فأمنوهم وأشار حمويه بقتلهم فاستجاروا بالقواد وبعث برأس ليلى الى بغداد وذلك فى ربيع من سنة تسع وبقى فارس مولى قراتكين بجرجان

(امارة العلوية بطبرستان بعد الاطروش)

ولما قتل الحسن الاطروش سنة أربع وثلثمائة كما قدمناه ولى مكانه بطبرستان صهره وهو الحسن بن القاسم وقد مر ذكره ويسمى بالداعى الصغير وتلقب بالناصر وبعض الناس يقولون هو الحسن بن محمد أخى الاطروش هكذا قال ابن حزم وغيره وليس بصحيح وانما هو صهره الحسن بن القاسم من عقب الحسين بن زيد والى المدينة ثم من عقب حافده محمد البطحانى بن القاسم بن الحسن وكان أبو الحسن ابن الاطروش باستراباذ فبايع له ما كان بن كالى وقام بأمره فلما قتل ليلى بن النعمان صاحب جرجان وعاد قراتكين اليها ثم انصرف عنها وجاءه أبو الحسن بن الاطروش باستراباذ فبايع له فملكها فبعث السعيد بن سامان صاحب خراسان قائده سيجور الدوانى فى أربعة آلاف فارس لحصاره بجرجان فحاصره شهرا ومع الحسن صاحب جيشه سرخاب بن وهشوداب وهو ابن عم ما كان بن كالى فلما اشتد بهم الحصار خرج أبو الحسن وسرخاب فى ثمانية آلاف من الديلم والجند فانهزم سيجور أولا فاتبعوه وقد أكمن لهم الكمائن فخرجت عليهم وقتل من الديلم والجند نحو أربعة آلاف وخلص

أبو الحسن فى البحر الى استراباذ ولحقه سرخاب فخلفه وأقام سيجور بجرجان ثم هلك سرخاب وسار أبو الحسن الى سارية واستخلف ما كان بن كالى على استراباذ فاجتمع اليه الديلم وولوه على أنفسهم وزحف اليه عساكر السعيد بن سامان فحاصروه مدة ثم خرج عن استراباذ الى سارية فملكوها وولوا عليها بقراخان وعادوا الى جرجان ثم الى نيسابور ثم سار ما كان بن كالى الى استراباذ وملكها من يد بقراخان ثم ملك جرجان وأقام بها وذلك سنة عشر وثلثمائة ثم استولى اسفار بن شيرويه على جرجان واستقل بها وكان سبب ذلك أنه كان من أصحاب ما كان بن كالى ونكره لبعض أحواله فطرده من عسكره وسار الى أبى بكر بن محمد بن اليسع من السامانية بنيسابور فخدمه وبعثه فى عسكر الى جرجان ليفتحها له وقد كان ما كان سار الى طبرستان وولى على جرجان مكانه أخاه أبا الحسن عليا وكان أبو الحسن بن الاطروش معتقلا عنده وهم ليلة بقتله وقصده فى محبسه فظفر به أبو على وقتله وخرج من الدار واختفى وبعث من الغد الى القواد فبايعوا له وولوا على جيشه على بن خرشيد ورضوا به واستقدموا اسفار ابن شيرويه فاستأذن بكر بن محمد وقدم عليهم وسار اليهم ما كان بن كالى فحاربوه وغلبوه على طبرستان وأنزلوا بها أبا على بن الاطروش فأقام بها أياما ومات على اثره على ابن خرشيد صاحب جيشه وجاء ما كان بن كالى لحرب اسفار بطبرستان فانهزم اسفار ولحق ببكر بن محمد بجرجان وأقام الى ان توفى سنة خمس عشرة وثلثمائة فولاه السعيد على جرجان وأرسل الى مرداويج بن دينار الجيلى وجعله امير جيشه وزحفوا الى طبرستان فملكوها وكان الحسن بن القاسم الداعى قد استولى على الرى وقزوين وزنجار وأبهر وقم وقائده ما كان بن كالى الديلمى فسار الى طبرستان وقاتله اسفار فانهزم ما كان والحسن بن القاسم الداعى وقتل بخذلان أصحابه اياه لانه كان يشتد عليهم فى تغيير المنكرات فتشاوروا فى ان يستقدموا هذرسيدان من رؤساء الجيل وكان خال مرداويج ووشكين فيقدموه عليهم ويحبسوا الحسن الداعى وينصبوا أبا الحسن ابن الاطروش ونما الخبر بذلك الى الداعى وقدم هذرسيدان فلقيه الداعى مع القواد وأدخلهم الى قصره بجرجان ليأكلوا من مائدته فدخلوا وقتلهم عن آخرهم فعظمت نفرتهم عنه فخذلوه فى هذا الموطن وقتل واستولى اسفار على طبرستان والرى وجرجان وقزوين وزنجار وأبهر وقم والكرج ودعا للسعيد بن سامان صاحب خراسان وأقام بسارية واستعمل على آمد هرون بن بهرام وقصد بذلك استخلاصه لنفسه لانه كان يخطب لابى جعفر من ولد الناصر الاطروش فولاه آمد وزوجه باحدى نسائه الاعيان بها وحضر عرسه أبو جعفر وغيره من العلويين وهجم عليه اسفار يوم عرسه بآمد فقبض على أبى جعفر وغيره من أعيان العلويين وحملهم الى بخارى فاعتقلوا بها

الى أن خلصوا من بعد ذلك (ومن تاريخ بعض المتأخرين) أن الحسن بن القاسم الداعى صهر الاطروش بويع بعد موته ولقب الناصر وملك جرجان وكان الديلم قد اشتملوا على جعفر بن الاطروش وتابعوه فصار الداعى الى طبرستان وملكها ولحق جعفر بدنباوند (١) فقبض عليه على بن أحمد بن نصر وبعث به الى على بن وهشودان ابن حسان ملك الديلم وهو عامله فحبسه على بن وهشودان بن حسان ملك الديلم فلما اقتل أطلقه من بعده حسرة فيروز فاستجاش جعفر بالديلم وعاد الى طبرستان فملكها وهرب الحسن ثم مات جعفر فبويع أبو الحسن ابن أخيه الحسن فلما ظهر ماكان بن كالى بايع للحسن الداعى وأخرجه اليه وقبض على الحسن بن أحمد وهو ابن أخى جعفر وحبسه بجرجان عند أخيه أبى على ليقتله فقتله الحسن ونجا وبايعه القواد بجرجان ثم حاربه ماكان فانهزم الحسن الى آمد ومات بها وبويع أخوه أبو جعفر بن محمد ابن أحمد وقصده ماكان من الرى فهرب من آمد الى سارية وبها اسفار ابن شيرويه فقاتل دونه وانهزم اسفار الى جرجان واستأمن الى أبى بكر بن محمد ابن الياس ثم بايع ماكان لابى القاسم الداعى وخرج الحسن الى الرى وطلب مرداويج بثأر خاله سيداب بن بندار وكان الداعى بجرجان سنة احدى وعشرين وثلثمائة وانصرف ماكان الى الديلم ثم ملك طبرستان وبايع بها لابى على الناصر ابن اسمعيل بن جعفر بن الاطروش فهلك بعد مدة ومضى أبو جعفر محمد بن أبى الحسن أحمد بن الاطروش الى الديلم الى أن غلب مرداويج على الرى فكتب اليه وأخرجه عن الديلم وأحسن اليه فلما غلب على طبرستان وأخرج ماكان عنها بايع لابى جعفر هذا وسمى صاحب القلنسوة الى أن مات وبويع أخوه ولقب الثائر وأقام مع الديلم وزحف سنة ست وثلاثين الى جرجان وبها ركن الدولة بن بويه فسرح اليه ابن العميد فانهزم الثائر وتعلق بالجبال وأقام مع الديلم وملوك العجم يخطبون له الى أن هلك سنة خمس وخمسين وثلثمائة لثلاثين سنة من ملكه وبايعوا لاخيه الحسين ابن جعفر وتلقب بالناصر وتقبض عليه ليكوبن وشكس ملك الجبل وسلمه وانقرض ملك الفاطميين أجمع بتلك الجبال والبقاء لله وحده

(١) قوله دنباوند بضم الدال المهملة وسكون النون وباء موحدة وألف وفتح الواو وسكون النون ثم دال مهملة وبعضهم يقول دماوند بالميم والاول أصح اه من ابى الفداء

{الخبر عن دولة الاسماعيلية ونبدأ منهم بالعبيديين الخلفاء بالقيروان والقاهرة وما كان لهم من الدولة من المشرق والمغرب}

أصل هؤلاء العبيديين من الشيعة الامامية وقد تقدم لنا حكاية مذهبهم والبراءة من الشيخين ومن سائر الصحابة لعدولهم عن بيعة على الى غيره مع وصية النبى صلى الله عليه وسلم له بالامامة بزعمهم وبهذا امتازوا عن سائر الشيعة والا فالشيعة كلهم

مطبقون

مطبقون على تفضيل على ولم يقدح ذلك عند الزيدية فى امامة أبى بكر لقولهم بجواز امامة المفضول مع الافضل ولا عند الكيسانية لانهم لم يدعوا هذه الوصية فلم يكن عندهم قادح فيمن خالفها وهذه الوصية لم تعرف لاحد من أهل النقل وهى من موضوعات الامامية وأكاذيبهم وقد يسمون رافضة قالوا لانه لما خرج زيد الشهيد بالكوفة واختلف عليه الشيعة ناظروه فى أمر الشيخين وأنهم ظلموا عليا فنكر ذلك عليهم فقالوا له وأنت أيضا فلم يظلمك أحد ولا حق لك فى الامر وانصرفوا عنه ورفضوه فسموا رافضة وسمى أتباعه زيدية ثم صارت الامامة من على الى الحسن ثم الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق كل هؤلاء بالوصية وهم ستة أئمة لم يخالف أحد من الرافضة فى امامتهم ثم افترقوا من ههنا فرقتين وهم الاثناعشرية والاسماعيلية واختص الاثناعشرية باسم الامامية لهذا العهد ومذهبهم أن الامامة انتقلت من جعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم وخرج دعاته بعد موت أبيه فحمله هرون من المدينة وحبسه عند عيسى بن جعفر ثم أشخصه الى بغداد وحبسه عند ابن شاهك ويقال ان يحيى بن خالد سمه فى رطب فقتله وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وزعم شيعتهم أن الامام بعده ابنه على الرضا وكان عظيما فى بنى هاشم وكانت له مع المامون صحبة وعهد له بالامر من بعده سنة احدى ومائتين عند ظهور الدعاة للطالبيين وخروجهم فى كل ناحية وكان المأمون يومئذ بخراسان لم يدخل العراق بعد مقتل أخيه الامين فنكر ذلك عليه شيعة العباسيين وبايعوا لعمه ابراهيم بن المهدى ببغداد فارتحل المأمون الى العراق وعلى الرضا معه فهلك على فى طريقه سنة ثلاث ومائتين ودفن بطوس ويقال ان المأمون سمه (ويحكى) أنه دخل عليه يعوده فى مرضه فقال له أوصنى فقال له على اياك أن تعطى شيأ وتندم عليه ولا يصح ذلك لنزاهة المأمون عن اراقة الدماء بالباطل سيما دماء أهل البيت ثم زعم شيعتهم أن الامر من بعد على الرضا لابنه محمد التقى وكان له من المأمون مكان وأصهر اليه فى ابنته فأنكحه المأمون اياها سنة خمس ومائتين ثم هلك سنة عشرين ومائتين ودفن بمقابر قريش وتزعم الاثناعشرية أن الامام بعده ابنه على ويلقبونه الهادى ويقال الجواد ومات سنة أربع وخمسين ومائتين وقبره بقم وزعم ابن سعيد أن المقتدر سمه ويزعمون أن الامام بعده ابنه الحسن ويلقب العسكرى لانه ولد بسر من رأى وكانت تسمى العسكر وحبس بها بعد أبيه الى أن هلك سنة ستين ومائتين ودفن الى جنب أبيه فى المشهد وترك حملا ولد منه ابنه محمد فاعتقل ويقال دخل مع أمه فى السرداب بدار أبيه وفقد فزعمت شيعتهم أنه الامام بعد أبيه ولقبوه المهدى والحجة

(قف على سبب التسمية بالرافضة والزيدية)

وزعموا أنه حى لم يمت وهم الآن ينتظرونه ووقفوا عند هذا الانتظار وهو الثانى عشر من ولد على ولذلك سميت شيعته الاثنى عشرية وهذا المذهب فى المدينة والكرخ والشأم والحلة والعراق وهم حتى الآن على ما بلغنا يصلون المغرب فاذا اقضوا الصلاة قدموا مركبا الى دار السرداب بجهازه وحليته ونادوا بأصوات متوسطة أيها الامام اخرج الينا فان الناس منتظرون والخلق حائرون والظلم عام والحق مفقود فاخرج الينا فتقرب الرحمة من الله فى آثارك ويكررون ذلك الى أن تبدو النجوم ثم ينصرفون الى الليلة القابلة هكذا دأبهم وهؤلاء من الجهل بحيث ينتظرون من يقطع بموته مع طول الامد لكن التعصب حملهم على ذلك وربما يحتجون لذلك بقصة الخضر والاخرى أيضا باطلة والصحيح أن الخضر قد مات (واما الاسماعيلية) فزعموا ان الامام بعد جعفر الصادق ابنه اسمعيل وتوفى قبل أبيه وكان أبو جعفر المنصور طلبه فشهد له عامل المدينة بأنه مات وفائدة النص عندهم على اسمعيل وان كان مات قبل أبيه بقاء الامامة فى ولده كما نص موسى على هرون صلوات الله عليهما ومات قبله والنص عندهم لا مرجع وراءه لان البداء على الله محال ويقولون فى ابنه محمد انه السابع التام من الائمة الظاهرين وهو أول الائمة المستورين عندهم الذين يستترون ويظهرون الدعاة وعددهم ثلاثة ولن تخلو الارض منهم عن امام اما ظاهر بذاته أو مستور فلا بد من ظهور حجته ودعاته والائمة يدور عددها عندهم على سبعة عدد الاسبوع والسموات والكواكب والنقباء تدور عندهم على اثنى عشر وهم يغلطون الائمة حيث جعلوا عدد النقباء للائمة واول الائمة المستورين عندهم محمد بن اسمعيل وهو محمد المكتوم ثم ابنه جعفر المصدق ثم ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبد الله المهدى صاحب الدولة بافريقية والمغرب التى قام بها أبو عبد الله الشيعى بكتامة وكان من هؤلاء الاسماعيلية القرامطة واستقرت لهم دولة بالبحرين فى أبى سعيد الجنابى وبنيه أبى القاسم الحسين بن فروخ بن حوشب الكوفى داعى اليمن لمحمد الحبيب ثم ابنه عبد الله ويسمى بالمنصور وكان من الاثنى عشرية أولا فلما بطل ما فى أيديهم رجع الى رأى الاسماعيلية وبعث محمد الحبيب أبو عبد الله الى اليمن داعية له فلما بلغه عن محمد بن يعفر ملك صنعاء أنه أظهر التوبة والنسك وتخلى عن الملك فقدم اليمن ووجد بها شيعة يعرفون ببنى موسى فى عدن لاعة وكان على بن الفضل من أهل اليمن ومن كبار الشيعة وطاهر بن حوشب على أمره وكتب له الامام محمد بالعهد لعبد الله ابنه وأذن له فى الحرب فقام بدعوته وبثها فى اليمن وجيش الجيوش وفتح المدائن وملك صنعاء وأخرج منها بنى يعفر وفرق الدعاة فى اليمن واليمامة والبحرين

والسند

والسند والهند ومصر والمغرب وكان يظهر الدعوة للرضا من آل محمد ويبطن محمدا الحبيب تسترا الى ان استولى على اليمن وكان من دعاته أبو عبد الله الشيعى صاحب كتامة ومن عنده سار الى افريقية فوجد فى كتامة من الباطنية خلقا كثيرا وكان هذا المذهب هنالك من لدن الدعاة الذين بعثهم جعفر الصادق الى المغرب أقاموا بافريقية وبثوا فيها الدعوة وتناقله من البرابرة أمم وكان أكثرهم من كتامة فلما جاء أبو عبد الله الشيعى داعية المهدى ووجد هذا المذهب فى كتامة فقام على تعليمه وبثه واحيائه حتى تم الامر وبويع لعبد الله كما نذكر الآن فى أخبارهم

(ابتداء دولة العبيديين)

وأولهم عبيد الله المهدى بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن جعفر الصادق ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذى ثبت ببغداد أيام القادر بالطعن فى نسبهم وشهد فيه أعلام الائمة وقد مر ذكرهم فان كتاب المعتضد الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض عليه لما سار الى المغرب شاهد بصحة نسبهم وشعر الشريف الرضى مسجل بذلك والذين شهدوا فى المحضر فشهادتهم على السماع وهى ما علمت وقد كان نسبهم ببغداد منكرا عند أعدائهم شيعة بنى العباس منذ مائة سنة فتلون الناس بمذهب أهل الدولة وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفى مع أن طبيعة الوجود فى الانقياد اليهم وظهور كلمتهم حتى فى مكة والمدينة أدل شئ على صحة نسبهم وأما من يجعل نسبهم فى اليهودية والنصرانية لميمون القداح وغيره فكفاه ذلك اثما وسفسفة وكان شيعة هؤلاء العبيديين بالمشرق واليمن وافريقية وكان أصل ظهورهم بافريقية دخول الحلوانى وأبى سفيان من شيعتهم اليها أنفذهما جعفر الصادق وقال لهما بالمغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر فنزل أحدهما ببلد مرغة والآخر ببلد سوف جمار وكلاهما من أرض كتامة ففشت هذه الدعوة فى تلك النواحى وكان محمد الحبيب ينزل سلمية من أرض حمص وكان شيعتهم يتعاهدونه بالزيارة اذا زاروا قبر الحسين فجاء محمد بن الفضل من عدن لاعة من اليمن لزيارة محمد الحبيب فبعث معه رستم بن الحسن بن حوشب من أصحابه لاقامة دعوته باليمن وأن المهدى خارج فى هذا الوقت فسار وأظهر الدعوة للمهدى من آل محمد بنعوته المعروفة عندهم واستولى على أكثر اليمن وتسمى بالمنصور وابتنى حصنا بجبل لاعة وملك صنعاء من بنى يعفر وفرق الدعاة فى اليمن واليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب وكان أبو عبد الله الحسين بن محمد بن زكريا المعروف بالمحتسب وكان محتسبا بالبصرة وقيل انما المحتسب

أخوه أبو العباس المخطوم وأبو عبد الله هذا يعرف بالمعلم لانه كان يعلم مذهب الامامية فاتصل أبو عبد الله بمحمد الحبيب ورأى ما فيه من الاهلية فأرسله الى ابن حوشب باليمن ليأخذ عنه ثم يذهب الى المغرب ويقصد بلد كتامة فيظهر بينهم الدعوة فجاء أبو عبد الله الى ابن حوشب ولزمه وشهد مجالسه وأفاد علمه ثم خرج مع حاج اليمن الى مكة فلقي بالموسم رجالات كتامة ورؤساءهم وفيهم من لقي الحلوانى وابن بكار وأخذوا عنهما فقصدهم أبو عبد الله في رحالهم وكان منهم موسى بن حريث كبير بنى سكان من جملة أحد شعوبهم وأبو القاسم الورنجومى من أحلافهم ومسعود ابن عيسى بن ملال المساكتى وموسى بن تكاد فجلس اليهم وسمعوا منه مذاهبهم ورأوا ما هو عليه من العبادة والزهد فعلق بقلوبهم وصار يتعهدهم في رحالهم فاغتبطوا به واغتبط بهم ولما أرادوا الرحلة الى بلادهم سألوه الصحبة فوافقهم طاويا وجه مذهبه عنهم بعد أن سألهم عن قومهم وعصابتهم وبلادهم وملكة السلطان فيهم فكشفوا له علم ذلك وأنهم انما يعطون السلطان طاعة معروفة فاستيقن تمام أمره فيهم وخرج معهم الى المغرب وسلكوا طريق الصحراء وعدلوا عن القيروان الى أن وصلوا بلد سوماتة وبها محمد بن حمدون بن سماك الاندلسى من بجاية الاندلس نزيلا عندهم وكان قد أدرك الحلوانى وأخذ عنه فنزل أبو عبد الله الشيعى عليه فأكرمه وفاوضه وتفرس ابن حمدون فيه أنه صاحب الدولة ثم ارتحلوا وصحبهم ابن حمدون ودخلوا بلد كتامة منتصف ربيع سنة ثمان وثمانين ومائتين فنزل على موسى بن حريث بلده انكجان في بلد بنى سكان من جيلة وعين له مكان منزله بفج الاخيار وأن النص عنده من المهدى بذلك وبهجرة المهدى وأن أنصار الاخيار من أهل زمانه وأن اسمهم مشتق من الكتمان واجتمع اليه الكثير من أهل كتامة ولقى علماءهم واشتمل عليه الكثير من أهوائهم فجاهر مذهبه وأعلن بامامة أهل البيت ودعا للرضا من آل محمد واتبعه أكثر كتامة وكانوا يسمونه بأبى عبد الله الشيعى والمشرقى وبلغ خبره الى أمير افريقية ابراهيم بن أحمد بن الاغلب فبعث اليه بالتهديد والوعيد فأساء الرد عليه وخاف رؤساء كتامة عادية ابن الاغلب وأغراهم عمال بلادهم بالشيعى مثل موسى بن عياش صاحب مسيلة وعلى بن حفص بن عسلوجة صاحب سطيف وجاء ابن تميم صاحب بلزمة فاجتمعوا وتفاوضوا في شأنه وحضر يحيى المساكتى وكان يدعى بالامير ومهدى بن أبى كمارة رئيس لهيعة وفرج بن حيران رئيس اجانة وثمل بن بجل رئيس لطانة وراسلوا بيان بن صقلان رئيس بنى سكان وأبو عبد الله الشيعى عندهم بجبل ايكجان في أن يسلمه اليهم أو يخرجه من بلدهم وحذروه عاقبة أمره فرد أمره

الى أهل العلم فجاؤا بالعلماء وهموا باغتياله فلم يتم لهم ذلك وأطبقت جملة على مظاهرته فهزموا هؤلاء المثيرين عليه وردوهم خائبين ثم راجعوا بيان بن صقلاب في أمره ولاطفوه حتى صفا اليهم وشعر بذلك أبو عبد الله الشيعى وأصحابه فبعثوا الى الحسن ابن هرون الغسانى يسألونه الهجرة اليهم فأجابهم ولحق ببلدة تازروت من بلادهم واجتمعت غسان لنصرته مع بطون كتامة الذين بايعوه من قبل فاعتز وامتنع وعظم أمره ثم انتقض على الحسن بن هرون أخوه محمد منافسة له في الرياسة وكان صديقا لمهدى بن أبى كمارة فداخله في التثريب على أبى عبد الله وعظمت الفتنة بين لهيعة وغسان وولى أبو عبد الله الشيعى الحسن بن هرون على حروبه وظهر بعد أن كان مختفيا وكان لمهدى بن أبى كمارة شيخ لهيعة أخ اسمه أبو مدينى وكان من أحباب أبى عبد الله فقتل أخاه مهديا ورأس على لهيعة مكانه فصاروا جميعا الى ولاية أبى عبد الله وأبى مدينى شيخهم ثم تجمعت كتامة لحرب الشيعى وأصحابه ونازلوه بمكانه من تازروت وبعث الشيعى سهل بن فوكاش الى فحل بن نوح رئيس لطانة وكان صهره ليخذله عن حربهم فمشى في السلم الى كتامة وأبوا الا أن يناجزوهم الحرب فغلبهم أبو عبد الله وأصحابه وانهزمت كتامة وأبلى عروبة بن يوسف الملوشى في ذلك اليوم بلاء حسنا واجتمعت الى أبى عبد الله غسان كلها وبلزمة ولهيعة وعامة الجاية ورئيسهم يومئذ ما كنون بن ضبارة وأبو زاكى تمام بن معارك ولحق بجيلة من الجاية فرج بن خيران ويوسف بن محمد من لطانة وفحل بن نوح واستقام أمر الباقى للشيعى وجمع فتح ابن يحيى من أطاعه من قومه مسالمة لحرب الشيعى فسار اليهم وأوقع بهم ولحق فلهم بسطيف ثم استأمنوا اليه فأمنهم ودخلوا في أمره وولى منهم هرون بن يونس على حروبه ولحق رئيسهم فتح بن يحيى بعجيسة وجمع ثانية لحرب الشيعى فسار اليه ومعه جموع كتامة وتحصن منه فتح ببعض قلاعهم فحاصره الشيعى وفتحها واجتمعت اليه عجيسة وزواوة وجميع قبائل كتامة ورجع الى تازروت وبث دعاته في كل ناحية فدخل الناس في أمره طوعا وكرها ولحق فتح بن يحيى بالامير ابراهيم بن أحمد بتونس واستحثه لحرب الشيعى ثم فتح أبو عبد الله مساكتة بمداخلة بعض أهلها وقتل صاحبها موسى بن عياش وولى عليها ما كنون بن ضبارة الجايى وهو أبو يوسف ولحق ابراهيم بن موسى بن عياش بأبى العباس ابراهيم بن الاغلب بتونس بعد خروج أبيه الى صقلية وكان فتح ابن يحيى المساكتى قد نزع اليه من قبل ذلك ووعده المظاهرة فجهز العساكر وعقد عليها لابنه أبى خوال وزحف من تونس سنة تسع وثمانين فدوخ كتامة ثم صمد الى تازروت فلقيه أبو عبد الله الشيعى في جموعه ببلد ملوسة فهزمهم أبو خوال وفر الشيعى من قصر تازروت الى ايلجان فامتنع بها فهدم أبو خوال القصر واتبعه وتوغل أبو خوال

فى بلاد كتامة فاضطرب أمره وتوقع البيات وسار ابراهيم بن موسى بن عياش من عسكر أبى خوال الى نواحى مسيلة يتجسس الاخبار فتواقع مع طائفة من أصحاب الشيعى فهزموه واتبعوه الى المعسكر فاضطرب وأجفل ابو خوال وخرج من بلاد كتامة واستوطن أبو عبد الله ايكجان وبنى بها بلدا وسماها دار الهجرة واستبصر الناس فى أمره ودخلوا فى دعوته ثم هلك الحسن بن هرون وجهز أبو العباس العساكر ثانية مع ابنه أبى خوال ورده لحرب الشيعى وكتامة فسار فى بلادهم ورجع منهزما وأقام قريبا منهم يدافعهم ويمنعهم من التقدم وفى خلال ذلك هلك ابراهيم بن أحمد بن الاغلب وقتل ابنه أبو العباس وقام بالامر ابنه زيادة الله فاستدعى أخاه أبا خوال وقتله وانتقل من تونس الى رقادة وانهمك فى لذاته وانتشرت جيوش الشيعى فى البلاد وعلا أمره وبشرهم بأن المهدى قرب ظهوره فكان كما قال

(وصول المهدى الى المغرب واعتقاله بسجلماسة ثم خروجه من الاعتقال وبيعته)

ولما توفى محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن اسمعيل الامام عهد الى ابنه عبيد الله وقال له أنت المهدى وتهاجر بعدى هجرة بعيدة وتلقى محنا شديدة واتصل خبره بسائر دعاته فى افريقية واليمن وبعث اليه أبو عبد الله رجالا من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم وأنهم فى انتظاره وشاع خبره واتصل بالعباسيين فطلبه المكتفى ففر من أرض الشأم الى العراق ثم لحق بمصر ومعه ابنه أبو القاسم غلاما حدثا وخاصته ومواليه بعد أن كان أراد قصد اليمن فبلغه ما أحدث بها على بن الفضل من بعد ابن حوشب وانه أساء السيرة فأنثنى عن ذلك واعتزم على اللحاق بأبى عبد الله الشيعى بالمغرب فارتحل من مصر الى الاسكندرية ثم خرجوا من الاسكندرية فى زى التجار وجاء كتاب المكتفى الى عامل مصر وهو يومئذ عيسى النوشرى بخبرهم والقعود لهم بالمراصد وكتب نعته وحليته فسرح فى طلبهم حتى وقف عليهم وامتحن أحوالهم فلم يقف على اليقين فى شئ منها فخلى سبيلهم وجد المهدى فى السير وكان له كتب فى الملاحم منقولة عن آبائه سرقت من رحله فى طريقه فيقال ان ابنه أبا القاسم استردها من برقة حين زحف الى مصر ولما انتهى الى طرابلس وفارقه التجار أهل الرفقة بعث معهم أبا العباس أخا أبى عبد الله الشيعى الى أخيه بكتامة ومر بالقيروان وقد سبق خبرهم الى زيادة الله وهو يسأل عنهم فقبض على أبى العباس وسأله فأنكر فحبسه وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدى ففاته وسار الى قسنطينة ثم عدل عنها خشية على أبى العباس أخى الشيعى المعتقل بالقيروان فذهب الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فأكرمه ثم جاء كتاب زيادة الله ويقال كتاب المكتفى بأنه المهدى الذى داعيته فى كتامة فحبسه اليسع ثم ان

أبا عبد الله الشيعى بعد مهلك أبى خوال الذى كان مضايقا لهم اجتمعت اليه سائر كتامة وزحف الى سطيف فحاصرها مدة وكان بها على بن جعفر بن عسكوجة صاحبها وأخوه أبو حبيب فملكها وكان بها أيضا داود بن جاثة من كبار لهيعة لحق بها فيمن لحق من وجوه كتامة فقام بها من بعد على وأخيه واستأمن أهل سطيف فأمنهم أبو عبد الله ودخلها فهدمها وجهز زيادة الله العساكر الى كتامة مع قريبه ابراهيم بن حشيش وكانوا أربعين ألفا فانتهى الى قسنطينة فأقام بها وهم متحصنون بجبلهم ثم زحف اليهم وواقعهم عند مدينة بلزمة فانهزم الى باغاية ولحق بالقيروان وكتب الشيعى بالفتح الى المهدى مع رجال من كتامة أخفوا أنفسهم حتى وصلوا اليه وعرفوه بالخبر ثم زحف الشيعى الى طبنة فحاصرها وقتل فتح بن يحيى المساكتى ثم افتتحها على الامان ثم زحف الى بلزمة فملكها عنوة وجهز زيادة الله العساكر مع هرون الطبنى عامل باغاية فانتهوا الى مدينة ازمول وكانوا فى طاعة الشيعى فهدمها هرون وقتل أهلها وزحف اليه عروبة بن يوسف من أصحاب الشيعى فهزمه وقتله ثم فتح الشيعى مدينة تيجست كلها على يد يوسف الغسانى ولحق عسكرها بالقيروان وشاع عن الشيعى وفاؤه بالامان فأمنه الناس وكثر الارجاف بزيادة الله فجهز العساكر وأزاح العلل وأنفق ما فى خزائنه وذخائره وخرج بنفسه سنة خمس وتسعين ونزل الاربس ثم حاد عن اللقاء وأشار عليه أصحابه بالرجوع الى القيروان ليكون ردأ للعساكر فرجع وقدم على العساكر ابراهيم بن أبى الاغلب من قرابته وأمره بالمقام هنالك ثم زحف الشيعى الى باغاية فهرب عاملها وملكها صلحا وبعث الى مدينة قرطاجنة فافتتحها عنوة وقتل عاملها وسرح عساكره فى افريقية فرددوا فيها الغارات على قبائل البربر من نفزة وغيرهم ثم استأمن اليه أهل تيفاش فأمنهم واستعمل عليهم صواب بن أبى القاسم السكتانى فجاء ابراهيم بن أبى الاغلب واقتحمها عليه ثم نهض الشيعى فى احتفال من العساكر الى باغاية ثم الى سكتانة ثم الى تبسة ففتحها كلها على الامان ثم الى القصرين من قمودة فأمن أهلها وأطاعوه وسار يريد رقادة فخشى ابراهيم ابن أبى الاغلب على زيادة الله لقلة عسكره فنهض الى الشيعى واعترضه فى عساكره واقتتلوا ثم تحاجزوا ورجع الشيعى الى ايكجان وابراهيم الى الاربس ثم سار الشيعى ثانية بعساكره الى قسنطينة فحاصرها واقتحمها على الامان ثم الى قفصة كذلك ثم رجع الى باغاية فأنزل بها عسكرا مع أبى مكدولة الجيلى ثم سار الى ايكجان وخالفه ابراهيم الى باغاية وبلغ الخبر الى الشيعى فسرح لقتاله أبا مدينى بن فروخ اللهيصى ومعه عروبة بن يوسف الملوشى ورجاء بن أبى قنة فى اثنى عشر ألفا فقاتلوا ابن أبى الاغلب ومنعوه من باغاية فرحل عنها واتبعوه الى فج العرعر ورجعوا عنه ثم زحف أبو عبد الله الشيعى

سنة ست وتسعين فى مائتى ألف من العساكر الى ابراهيم بن أبى الاغلب بالاربس ثم اقتتلوا أياما ثم انهزم ابراهيم واستبيح معسكره وفر الى القيروان ودخل الشيعى الاربس فاستباحها ثم سار فنزل قمودة واتصل الخبر بزيادة الله وهو برقادة ففر الى المشرق ونهبت قصوره وافترق أهل رقادة الى القيروان وسوسة ولما وصل ابراهيم بن أبى الاغلب الى القيروان نزل قصر الامارة وجمع الناس وأرادهم على البيعة له على أن يعينوه بالاموال فاعتذروا وتصايحت به العامة ففر عنها ولحق بصاحبه وبلغ أبا عبد الله الشيعى خبر فرارهم بسبيبة فقدم الى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبى خنزير فساروا وأمنوا الناس وجاء على أثرهم وخرج أهل رقادة والقيروان للقائه فأمنهم وأكرمهم ودخل رقادة فى رجب سنة ست وتسعين ونزل قصرها وأطلق أخاه أبا العباس من الاعتقال ونادى بالامان فتراجع الناس وفر العمال فى النواحى وطلب أهل فهربوا وقسم دور البلد على كتامة فسكنوها وجمع أموال زيادة الله وسلاحه فأمر بحفظها وحفظ جواريه واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين أحدا ونقش على السكة من أحد الوجهين بلغت حجة الله ومن الآخر تفرق أعداء الله وعلى السلاح عدة فى سبيل الله وفى وسم الخيل الملك لله ثم ارتحل الى سجلماسة فى طلب المهدى واستخلف على افريقية أخاه أبا العباس وترك معه أبا زاكى تمام بن معارك الاجانى واهتز المغرب لخروجه وفرت زناتة من طريقه ثم بعثوا اليه بالطاعة فقبلهم وأرسل الى اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة يتلطفه فقتل الرسل وخرج للقائه فلما تراءى الجمعان انفض معسكره وهرب هو وأصحابه وخرج أهل البلد من الغد للشيعى وجاؤا معه الى محبس المهدى وابنه فأخرجهما وبايع للمهدى ومشى مع رؤساء القبائل بين أيديهما وهو يبكى من الفرح ويقول هذا مولاكم حتى أنزله بالمخيم وبعث فى طلب اليسع فأدرك وجىء به فقتل وأقاموا بسجلماسة أربعين يوما ثم ارتحلوا الى افريقية ومروا بايكجان فسلم الشيعى ما كان بها من الاموال للمهدى ثم نزلوا رقادة فى ربيع سنة سبع وتسعين وحضر أهل القيروان وبويع للمهدى البيعة العامة واستقام أمره وبث دعاته فى الناس فأجابوا الا قليلا عرض عليهم السيف وقسم الاموال والجوارى فى رجال كتامة وأقطعهم الاعمال ودون الدواوين وجبى الاموال وبعث العمال على البلاد فبعث على طرابلس ماكنون بن ضبارة الاجانى وعلى صقلية الحسن بن أحمد بن أبى خنزير فسار اليها ونزل البحر ونزل مازر فى عيد الاضحى من سنة سبع وتسعين فاستقضى اسحق بن المنهال وولى أخاه على كريت ثم أجاز البحر سنة ثمان وتسعين الى العدوة الشمالية ونزل بسيط قلورية من بلاد

بياض بالاصل

الافرنج فأثخن فيها ورجع الى صقلية فأساء السيرة فى أهلها فثاروا به وحبسوه وكتبوا الى المهدى فقبل عذرهم وولى عليهم مكانه على بن عمر البلوى فوصل خاتم تسع وتسعين

(مقتل أبى عبد الله الشيعى وأخيه)

لما استقام سلطان عبيد الله المهدى بافريقية استبد بأمره وكفح أبا عبد الله الشيعى وأخاه أبا العباس عن الاستبداد عليه والتحكم فى أمره فعظم ذلك عليهما وصرح أبو العباس بما فى نفسه فنهاه أخوه أبو عبد الله عن ذلك فلم يصغ اليه ثم استماله أبو العباس لمثل رأيه فأجابه وبلغ ذلك الى المهدى فلم يصدقه ثم نهى أبا عبد الله عن مباشرة الناس وقال انه مفسد للهيبة فتلطف فى رده ولم يجبه اليه ففسدت النية بينهما واستفسدوا كتامة وأغروهم به وذكروهم بما أخذه من أموال ايكجان واستأثر به دونهم وألقوا اليهم أن هذا ليس هو الامام المعصوم الذى دعونا اليه حتى بعث الى المهدى رجل كان فى كتامة يعرف بشيخ المشايخ وقال له جئنا بآية على أمرك فقد شككنا فيك فقتله المهدى ثم عظمت استرابتهم واتفقوا على قتل المهدى وداخلهم فى ذلك أبو زاكى تمام ابن معارك وغيره من قبائل كتامة ونمى الخبر الى المهدى فتلطف فى أمرهم وولى من داخلهم من قواد كتامة على البلاد فبعث تمام بن معارك على طرابلس وبعث الى عاملها ما كنون بقتله فقتله عند وصوله ثم اتهم المهدى ابن القديم بمداخلتهم وكان من أصحاب زيادة الله فأمر بقتله واستصفاء أمواله وكان أكثرها لزيادة الله ثم ان المهدى استدعى عروبة بن يوسف وأخاه حباسة وأمرهما بقتل الشيعى وأخيه فوقفا لهما عند القصر وحمل عروبة على أبى عبد الله فقال له لا تفعل فقال الذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك ثم أجهز عليهما فى نصف جمادى سنة ثمان وتسعين ويقال ان المهدى صلى على أبى عبد الله وترحم عليه وعلم أن الذى حمله على ذلك اغراء أبى العباس أخيه وثارت فتنة بسبب قتلهما من أصحابهما فركب المهدى وسكنها ثم ثارت فتنة أخرى بين كتامة وأهل القيروان وفشا القتل فيهم فركب المهدى وسكنها وكف الدعاة عن طلب التشيع من العامة وقتل جماعة من بنى الاغلب برقادة لما رجعوا اليها بعد زيادة الله

(بقية أخبار المهدى بعد الشيعى)

ولما استقام أمر المهدى بعد الشيعى جعل ولاية عهده لابنه أبى القاسم نزار وولى على برقة وما اليها حباسة بن يوسف وعلى المغرب أخاه عروبة وأنزله باغاية فسار الى تاهرت فاقتحمها وولى عليها دواس بن صولات اللهيصى ثم انتقضت عليه كتامة بقتله أبا عبد الله الشيعى ونصبوا طفلا لقبوه المهدى وزعموا أنه نبى وأن أبا عبد الله الشيعى لم يمت فجهز

ابنه أبا القاسم لحربهم فقاتلهم وهزمهم وقتل الحفل الذى نصبوه وأثخن فيهم ورجع ثم انتقض أهل طرابلس سنة ثلثمائة وأخرجوا عاملهم ماكنون فبعث اليهم ابنه أبا القاسم فحاصرها طويلا ثم فتحها وأثخن فيهم وأغرمهم ثلثمائة ألف دينار ثم أغزى ابنه أبا القاسم وجوعه كتامة سنة احدى وثلثمائة الى الاسكندرية ومصر وبعث اصطوله فى البحر فى مائتين من المراكب وشحنها بالامداد وعقد عليها لحباسة بن يوسف وسارت العساكر فملكوا برقة ثم الاسكندرية والفيوم وبعث المقتدر العساكر من بغداد مع سبكتكين ومؤنس الخادم فتواقعوا مرات وأجلاهم عن مصر فرجعوا الى المغرب ثم عاد حباسة فى العساكر فى البحر سنة ثنتين الى الاسكندرية فملكها وسار يريد مصر فجاء مؤنس الخادم من بغداد لمحاربته فتواقعوا مرات وكان الظهور آخرا لمؤنس وقتل من أصحابه نحو من سبعة آلاف وانصرف الى المغرب فقتله المهدى وانتقض لذلك أخوه عروبة بالمغرب واجتمع اليه خلق كثير من كتامة والبربر وسرح اليهم المهدى مولاه غالبا فى العساكر فهزمهم وقتل عروبة وبنى عمه فى أمم لا تحصى ثم انتقض اهل صقلية وتقبضوا على عاملهم على بن عمرو وولوا عليهم أحمد بن قهرب فدعا للمقتدر العباسى وذلك سنة أربع وثلثمائة وخلع طاعة المهدى وجهز اليه الاصطول مع الحسن بن أبى خنزير فلقيه أصطول بن قهرب فغلبه وقتل ابن أبى خنزير ثم راجع أهل صقلية أمرهم وكاتبوا المهدى وثاروا بابن قهرب فخلعوه وبعثوا به الى المهدى فقتله على قبر ابن أبى خنزير وولى على صقلية على بن موسى بن أحمد وبعث معه عساكر كتامة ثم اعتزم المهدى على بناء مدينة على ساحل البحر يتخذها معتصما لاهل بيته لما كان يتوقعه على الدولة من الخوارج (ويحكى عنه) أنه قال بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار وأراهم موقف صاحب الحمار بساحتها فخرج بنفسه يرتاد موضعا لبنائها ومر بتونس وقرطاجنة حتى وقف على مكانها جزيرة متصلة بالبر كصورة كف اتصلت بزند فاختط المهدية بها وجعلها دار ملكه وأدار بها سورا محكما وجعل لها أبوابا من الحديد وزن كل مصراع مائة قنطار وابتدأ بنائها آخر سنة ثلاث ولما ارتفع السور رمى من فوقه بسهم الى ناحية المغرب ونظر الى منتهاه وقال الى هذا الموضع يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد ثم أمر أن يحت فى الجبل دار لانشاء السفن تسع مائة سفين وبحث فى أرضها أهراء للطعام ومصانع للماء وبنى فيها القصور والدور فكملت سنة ست ولما فرغ منها قال اليوم أمنت على الفواطم ثم جهز ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر مرة ثانية سنة سبع وثلثمائة فملك الاسكندرية ثم سار فملك الجيزة والاشمونين وكثيرا من الصعيد وكتب الى أهل مكة بطلب الطاعة فلم يجيبوا اليها وبعث المقتدر مؤنسا الخادم

فى العساكر وكانت بينه وبين أبى القاسم عدة وقعات ظهر فيها مؤنس وأصاب عسكر أبى القاسم الجهد من الغلاء والوباء فرجع الى افريقية وكانت مراكبهم قد وصلت من المهدية الى الاسكندرية فى ثمانين اصطولا مددا لابى القاسم وعليها سليمان الخادم ويعقوب الكتامى وكانا شجاعين وسار الاصطول من طرسوس للقائهم فى خمسة وعشرين مركبا والتقوا على رشيد وظفرت مراكب طرسوس وأحرقوا وأسروا سليمان ويعقوب فمات سليمان فى حبس مصر وهرب يعقوب من حبس بغداد الى افريقية ثم اغزى المهدى سنة ثمان مصالة بن حبوس فى رجالات مكناسة الى بلاد المغرب فأوقع بملك فاس من الادارسة وهو يحيى بن ادريس بن ادريس بن عمرو واستنزله عن سلطانه الى طاعة المهدى فأعطى بها صفقته وعقد لموسى بن أبى العافية المكناسى من رجالات قومه على أعمال المغرب ورجع ثم عاود غزو المغرب سنة تسع فدوخه ومهد جوانبه وأغراه قريبه عامل المغرب موسى بن أبى العافية بيحيى بن ادريس صاحب فاس فتقبض عليه وضم فاس الى اعمال موسى ومحا دعوة الادارسة من المغرب وأجهضهم عن اعماله فتحيزوا الى بلاد الريف وغمارة واستجدوا بها ولاية كما نذكره فى أخبار غمارة ومنهم كان بنو حمود العلويون المستولون على قرطبة عند انقراض ملك الامويين فى سنة ثلاث وأربعمائة كما نذكر هنالك ثم صمد مصالة الى بلاد سجلماسة فقتل أميرها من آل مدرار المكناسيين المنحرف عن طاعة الشيعة وعقد لابن عمه كما نذكر فى أخبارهم وسار فى أتباعه زناتة فى نواحى المغرب فكانت بينه وبينهم حروب هلك مصالة فى بعضها على يد محمد بن خزر واضطرب المغرب فبعث المهدى ابنه أبا القاسم غازيا الى المغرب فى عساكر كتامة وأولياء الشيعة سنة خمس عشرة وثلثمائة ففر محمد بن خزر وأصحابه الى الرمال وفتح أبو القاسم بلد مزاتة ومطماطة وهوارة وسائر الاباضية والصفرية ونواحى تاهرت قاعدة المغرب الاوسط الى ماوراءها ثم عاج الى الريف فافتتح بلد لكور من ساحل المغرب الاوسط ونازل صاحب جراوة من آل ادريس وهو الحسن بن أبى العيش وضيق عليه ودوخ أقطار المغرب ورجع ولم يلق كيدا ومر بمكان بلد المسيلة وبها بنو كملان من هوارة وكان يتوقع منهم الفتنة فنقلهم الى فحص القيروان وقضى الله أن يكونوا أولياء لصاحب الحمار عند خروجه ولما نقلهم أمر ببناء المسيلة فى بلدهم وسماها المحمدية ودفع على بن حمدون الاندلسى من صنائع دولتهم الى بنائها وعقد له عليها وعلى الزاب بعد اختطاطها فبناها وحصنها وشحنها بالاقوات فكانت مددا للمنصور فى حصار صاحب الحمار كما نذكر ثم انتقض موسى بن أبى العافية عامل فاس والمغرب وخلع طاعة الشيعة وانحرف

الى الامو ية من وراء البحر وبث دعوتهم فى أقطار المغرب فنهض اليه أحمد بن بصلين المكناسي قائد المهدى وسار فى العساكر فلقيه ميسور وهزمه وأوقع به وبقومه بمكناسة وأزعجه عن الغرب الى الصحارى وأطراف البلاد ودوخ المغرب وثقف أطرافه ورجع ظافرا

(وفاة عبيد الله المهدى وولاية ابنه أبى القاسم)

ثم توفى عبيد الله المهدى فى ربيع سنة ثنتين وعشرين لاربع وعشرين سنة من خلافته وولى ابنه أبو القاسم محمد ويقال نزار بعده ولقب القائم بأمر الله فعظم حزنه على أبيه حتى يقال انه لم يركب سائر أيامه الامرتين وكثر عليه الثوار وثار بجهات طرابلس ابن طالوت القرشى وزعم أنه ابن المهدى وحاصر طرابلس ثم ظهر للبربر كذبه فقتلوه ثم أغزى المغرب وملكه وولى على فاس أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامى وحاصر الادارسة ملوك الريف وغوارة فنهض ميسور الخصى من القيروان فى العساكر ودخل المغرب وحاصر فاس واستنزل عاملها أحمد بن بكر ثم نهض فى اتباع موسى فكانت بينهما حروب وأخذ الثورى بن موسى فى بعضها أسيرا وأجلاه ميسور عن المغرب وظاهره عليه الادارسة الذين بالريف وانقلب ميسور الى القيروان سنة أربع وعشرين وعقد للقاسم بن محمد كبير أدارسة الريف من ولد محمد بن ادريس على أعمال ابن أبى العافية وما يفتحه من البلاد فملك المغرب كلها ماعدا فاس وأقام دعوة الشيعة بسائر أعماله ثم جهز أبو القاسم اسطولا ضخما الغزو ساحل الافرنجة وعقد عليه ليعقوب ابن اسحق فأثخن فى بلاد الافرنجة وسبى ونازل بلد جنوة وافتتحها وعظم صنع الله فى شأنها ومروا بسردانية من جزر الفرنج فأثخنوا فيها ثم مروا بقرقيسا من سواحل الشأم فأحرقوا مراكبها ثم بعث عسكرا الى مصر مع خادمه زيدان فملكوا الاسكندرية وجاءت عساكر الاخشيد من مصر فأزعجوهم عنها ورجعوا الى المغرب

(أخبار أبى يزيد الخارجى)

وهو أبو يزيد مخلد بن كيراد وكان أبوه كيراد من أهل قسطيلة من مدائن بلد توزر وكان يختلف الى بلاد السودان بالتجارة وبها ولد ولده أبو يزيد ونشأ بتوزر وتعلم القرآن وخالط النكارية من الخوارج وهم الصفرية فمال الى مذهبهم وأخذ به ثم سافر الى تاهرت وأقام بها يعلم الصبيان ولما سار الشيعى الى سجلماسة فى طلب المهدى انتقل هو الى تقيوس وأقام يعلم فيها وكان يذهب الى تكفير أهل ملته واستباحة الاموال والدماء والخروج على السلطان ثم أخذ نفسه بالحسبة على الناس وتغيير المنكر سنة

ست عشرة وثلثمائة فكثر اتباعه ولما مات المهدى خرج بناحية جبل أوراس وركب الحمار وتلقب بشيخ المؤمنين ودعا للناصر صاحب الاندلس من بنى أمية فاتبعه امم من البربر وزحف اليه عامل باغاية فلقيه فى جموع البربر وهزمه وزحف الى باغاية فحاصرها ثم انهزم عنها وكتب الى بنى واسى من قبائل زناتة بضواحى قسنطينة يأمرهم بحصارها فحاصروها سنة ثلاث وثلاثين ثم فتح تبسة صلحا ومجانة كذلك وأهدى له رجل من أهل مرماجنة حمارا أشهب فكان يركبه وبه لقب وكان يلبس جبة صوف قصيرة ضيقة الكمين وكان عسكر الكتاميين على الاربس فانفضوا وملكها أبو يزيد وأحرقها ونهبها وقتل فى الجامع من لجأ اليه وبعث عسكرا الى سبيبة ففتحها وقتل عاملها وبلغ الخبر الى القاسم فقال لابد أن يبلغ المصلى من المهدية ثم جهز العساكر وبعثها الى رقادة والقيروان وبعث خادمه ميسورا الخصى لحربه وبعث عسكرا مع خادمه بشرى الى باجة فنهض اليه أبو يزيد وهزمه الى تونس ودخل أبو يزيد باجة فنهبها وأحرقها وقتل الاطفال وسبى النساء واجتمع اليه قبائل البربر واتخذ الابنية والبيوت وآلات الحرب وبعث اليه بشرى عسكرا من تونس وبعث أبو يزيد للقائهم عسكرا آخر فانهزم أصحاب أبى يزيد وظفر أصحاب بشرى ثم ثار أهل تونس ببشرى فهرب فاستأمنوا لابى يزيد فأمنهم وولى عليهم وسار الى القيروان وبعث القائم خديعه بشرى للقائه وأمره أن يبعث من يتجسس عن أخباره فبعث طائفة وبعث أبو يزيد طائفة أخرى فانهزم عسكر أبى يزيد وقتل منهم أربعة آلاف وجىء بأسراهم الى المهدية فقتلوا فسار أبو يزيد الى قتال الكتاميين فهزم طلائعهم واتبعهم الى القيروان ونزل على رقادة فى مائتى ألف مقاتل وعاملها يومئذ خليل بن اسحق وهو ينتظر وصول ميسور بالعساكر ثم ضايقه أبو يزيد وأغراه الناس بالخروج فخرج وهزمه أبو يزيد فمضى الى القيروان ودخل أبو يزيد رقادة فعاث فيها وبعث أيوب الزويلى فى عسكر الى القيروان فملكها فى صفر سنة ثلاث وثلاثين ونهبها وأمن خليلا فقتله أبو يزيد وخرج اليه شيوخ أهل القيروان فأمنهم ورفع النهب عنهم وزحف ميسور الى أبى يزيد وكان معه أبو كملان فكاتبوا أبا يزيد وداخلوه فى الغدر بميسور وكتب اليه القائم بذلك فحذرهم فطردهم عنه ولحقوا بأبى يزيد وساروا معه الى ميسور فانهزم ميسور وقتله بنو كملان وجاؤا برأسه فأطافه بالقيروان وبعث بالبشرى الى البلاد وبلغت هزيمة ميسور الى القائم بالمهدية فاستعد للحصار وأمر بحفر الخنادق وأقام أبو يزيد سبعين يوما فى مخيم ميسور وبث السرايا فى كل ناحية يغنمون ويعودون وأرسل سرية الى سوسة ففتحوها عنوة واستباحوها وخرب عمران افريقية من سائر الضواحى ولحق

فلهم بالقيروان حفاة عراة ومات أكثرهم جوعا وعطشا ثم بعث القائم الى رؤساء كتامة والقبائل والى زيرى بن مناد ملك صنهاجة بالمسير الى المهدية فتأهبوا لذلك وسمع أبو يزيد بخبرهم فنزل على خمسة فراسخ من المهدية وبث السرايا فى جهاتها وسمع كتامة بافتراق عسكره فى الغارة فخرجوا اليه آخر جمادى الاولى وكان ابنه فضل قد جاء بالمدد من القيروان فبعثه للقاء كتامة وركب فى اثرهم والتقى أصحابه منهزمين ولما رآه الكتاميون انهزموا بغير قتال واتبعهم أبو يزيد الى باب المهدية ورجع ثم جاء بعد أيام لقتالهم فوقف على الخندق المحدث وعليه جماعة من العبيد فقاتلهم ساعة وهزمهم وجاوزا السور الى البحر ووصل المصلى على رمية سهم من البلد والبربر يقاتلون من الجانب الآخر ثم حمل الكتاميون عليهم فهزموهم وبلغ ذلك أبا يزيد وسمع بوصول زيرى بن مناد فاعتزم أن يمر بباب المهدية ويأتى زيرى وكتامة من ورائهم فقاتلوا أهل الارباض ومالوا عليه لما عرفوه ليقتلوه وتخاص بعد الجهد ووصل الى منزله فوجدهم يقاتلون العبيد كما تركهم فقوى أصحابه وانهزم العبيد ثم رحل وتأخر قليلا وحفر على معسكره خندقا واجتمع عليه خلق عظيم من البربر ونفوسة والزاب وأقاصى المغرب وضيق على أهل المرية ثم زحف اليها آخر جمادى فقاتلها وتورط فى قتالها يومه ذلك ثم خلص وكتب الى عامل القيروان ان يبعث اليه مقاتلتها فجاؤا وزحف بهم آخر رجب فانهزم وقتل من أصحابه ثم زحف الزحف الرابع آخر شوال ولم يظفر ورجع الى معسكره واشتد الحصار على أهل المهدية حتى أكلوا الميتات والدواب وافترق أهلها فى النواحى ولم يبق بها الا الجند وفتح القائم أهراء الزرع التى أعدها المهدى وفرقها فيهم ثم اجتمعت كتامة وعسكروا بقسنطينة فبعث اليهم أبو يزيد بعثا من ورجومة وغيرهم فهزموا كتامة ووافت أبا يزيد حشود البربر من كل ناحية وأحاط بسوسة وضيق عليها ثم انتقض البربر عليه بما كان منه من المجاهرة بالمحرمات والمنافسة بينهم فانفضوا عنه ورجع الى القيروان سنة أربع وثلاثين وغنم أهل المهدية معسكره وكثر عبث البربر فى أمصار افريقية وضواحيها وثار أهل القيروان بهم وراجعوا طاعة القائم وجاء على بن حمدون من المسيلة بالعساكر فبيته أيوب بن أبى يزيد وهزمه وسار الى تونس وجاءت عساكر القائم فواقعوه مرات وانهزم الى القيروان فى ربيع سنة أربع وثلاثين فبعث أيوب ثانية لقتال على بن حمدون ببلطة وكانت حروبه معه سجالا الى أن اقتحم عليه البلد بمداخلة بعض أهلها ولحق ابن حمدون ببلاد كتامة واجتمعت قبائل كتامة ونفزة ومزاتة وعسكروا بقسنطينة وبعث ابن حمدون العساكر الى هوارة فأوقعوا بهم وجاءهم مدد أبى يزيد فلم يغن عنهم وملك ابن حمدون مدينة تيجست وباغاية ثم زحف أبو يزيد الى

قوله أهراء قال المجد والهرى بالضم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان الجمع أهراء اه

سوسة فى جمادى الآخرة من سنته وبها عساكر القائم وتوفى القائم وهو بمكانه من حصارها

(وفاة القائم وولاية ابنه المنصور)

ثم توفى القائم أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدى صاحب افريقية بعد أن عهد الى ولده اسمعيل بعده وتلقب بالمنصور وكتم موت أبيه حذرا أن يطلع عليه أبو يزيد وهو بمكانه من حصار سوسة فلم يسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود الى أن فرغ من أمر أبى يزيد كما يذكر

(بقية أخبار أبى يزيد ومقتله)

ولما مات القائم كان أبو يزيد محاصر السوسة كما تقدم وقد جهد أهلها الحصار فلما ولى اسمعيل المنصور وكان اول عمله أن بعث الاساطيل من المهدية الى سوسة مشحونة بالمدد من المقاتلة والامتعة والميرة مع رشيق الكاتب ويعقوب بن اسحق وخرج بنفسه فى أثرهم وأشار أصحابه بالرجوع فرجع ووصل الاسطول الى سوسة وخرجوا لقتال أبى يزيد وعساكر سوسة معهم فانهزم أبو يزيد واستبيح معسكره نهبا واحراقا ولحق بالقيروان فمنعه أهلها من الدخول وثاروا بعامله فخرج اليه ورحل الى سبيبة وذلك أواخر شوال سنة أربع وجاء المنصور الى القيروان وأمن أهلها وأبقى على حرم أبى يزيد وأولاده وأجرى عليهم الرزق وخرجت سرية من عسكر المنصور لاستكشاف خبر أبى يزيد وجاءت أخرى من عسكر أبى يزيد لمثل ذلك فالتقوا وانهزمت سرية المنصور فقوى أبو يزيد بذلك وكثر جمعه وعاد فقاتل القيروان وخندق المنصور على عسكره وقاتلهم أبو يزيد فكان الظفر أول يوم للمنصور ثم قاتلهم ثانيا فانهزموا وثبت المنصور وراجع أصحابه من طريق المهدية وسوسة ولما رأى أبو يزيد امتناعهم عليه رحل أواخر ذى القعدة ثم رجع فقاتلهم وكانت الحرب سجالا وبعث السرايا الى طريق المهدية وسوسة نكاية فيهم وبعث الى المنصور فى حرمه وأولاده فبعثهم اليه بعد أن وصلهم وقد كان أقسم على الرحيل فلما وصلوا اليه نكث وقاتلهم خامس المحرم سنة خمس وثلاثين فهزمهم ثم عبى المنصور عساكره منتصف المحرم وجعل البرابر فى الميمنة وكتامة فى الميسرة وهو وأصحابه فى القلب وحمل أبو يزيد على الميمنة فهزمها ثم على القلب فلقيه المنصور واشتد القتال ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم وأسلم أثقاله وعسكره وقتل خلق من أصحابه وبلغت رؤس القتلى الذى فى أيدى صبيان القيروان عشرة آلاف ومضى أبو يزيد لوجهه ومر بباغاية فمنعه أهلها من الدخول

فأقام يحاصرها ورحل المنصور فى ربيع الاول لاتباعه واستخلف على المهدية مراما الصقلى وأدركه على باغاية فأجفل المنصور فى اتباعه وكلما قصد حصنا سبقه المنصور اليه الى ان نزل المنصور طبنة فجاءته رسل محمد بن خزر أمير مغراوة من أصحاب أبى يزيد ومواطنه بالمغرب الاوسط فاستأمن للمنصور فامنه وأمره بطلب أبى يزيد ووصل أبو يزيد الى بنى برزال وكانوا نكارية وبلغه خبر المنصور فى اتباعه فسلك الرملة ثم عاد الى نواحى غمرت فصادف المنصور وقاتله فانهزم أبو يزيد الى جبل سالات والمنصور فى أثره فى جبال وأوعار ومضايق تفضى الى القفر وأصابهم الجهد وعلم أنه ليس امامه الا المفازة الى بلاد السودان فرجع الى غمرت من بلاد صنهاجة ووفد عليه هنالك زيرى ابن مناد أمير صنهاجة فأكرمه ووصله كما يجب له وجاء كتاب محمد بن خزر بالمكان الذى فيه أبو يزيد من المفازة وأقام المنصور هنالك لمرض أصابه فرجع أبو يزيد الى المسيلة وحاصرها فلما عوفى المنصور رحل أول رجب سنة خمس وثلاثين وقصده فأفرج عن المسيلة وقصد المفازة يريد بلاد السودان فأبى عليه بنو كملان أصحابه فرجعوا الى جبال كتامة وعجيسة فتحصنوا بها وجاء المنصور فنزل بساحتهم عاشر شعبان ونزل أبو يزيد فقاتلهم فانهزم وأسلم عسكره وأولاده وطعنه بعض الفرسان فأكبه وحامى عنه أصحابه فقتل فى الحومة ما يزيد على عشرة آلاف وتخلص ثم سار المنصور فى أثره أول رمضان ولم يقدر أحد من الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وصعوبته ثم انهزم أبو يزيد لما ضرسه الحرب وترك أثقاله وساروا الى رؤس الجبال يرمون بالصخور وتزاحفوا حتى تعانقوا بالايدى وكثر القتل ثم تحاجزوا وتحصن أبو يزيد بقلعة كتامة واستأمن الذين معه من هوارة فأمنهم المنصور وحصر أبا يزيد فى القلعة وقاتلها غير مرة حتى افتتحها عنوة وأضرمها نارا وقتل أصحاب أبى يزيد فى كل ناحية وجمع أهله وأولاده فى القصر وأظلم الليل فأمر المنصور باشعال النيران فى الشعراء المحيطة بالقصر حتى أضاء الليل لتكون أحواله بمرأى منهم حذرا من فراره حتى خرج الليل وحمل فى أصحاب المنصور حملة منكرة فأفرجوا له وأمر المنصور بطلبه فألفوه وقد حمله ثلاثة من أصحابه لانه كان جريحا فسقط من الوعر وارتث فحملوه الى المنصور فسجد سجدة الشكر وأقام عنده الى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين ثم هلك من الجراحة التى به فأمر بسلخ جلده وحشوه تبنا واتخذ له قفصا فأدخل فيه مع قردين يلاعبانه بعثاله ورحل الى القيروان والمهدية ولحق ابنه فضل بمعبد بن خزر وزحف به الى طبنة وبسكرة وقصد المنصور فانهزم معبد وصعد الى كتامة فبعث اليه العساكر مع مواليه شفيع وقيصر ومعهما زيرى بن مناد فى صنهاجة فانهزم فضل ومعبد وافترق جمعهم ورجع المنصور الى

قوله وارتث أى حمل من المعركة كما فى القاموس

القيروان فدخلها

(بقية أخبار المنصور)

ثم انتقض حميد بن يصلتن عامل المغرب وانحرف عن طاعة الشيعة ودعى للاموية من وراء البحر وزحف الى تاهرت فحاصرها فنهض اليه المنصور فى صفر سنة ست وثلاثين وجاء الى سوق حمزة فأقام به وحشد زيرى بن مناد جموع صنهاجة من كل ناحية ورحل مع المنصور فأفرج حميد عن تاهرت وعقد عليها ليعلى بن محمد اليفرنى وعقد لزيرى ابن مناد على قومه وعلى سائر بلادهم ثم رحل لقتال لواتة فهربوا الى الرمال وأقام هو على وادميناس وكان هنالك ثلاثة جبال كل منهم عليه قصر مبنى بالحجر المنحوت فوجد فى وجه احد هذه القصور كتابة على حجر فسيح فأمر المنصور التراجمة بقراءته واذا فيه أنا سليمان السردغوس خالف أهل هذا البلد على الملك فبعثنى اليهم ففتح الله عليهم وبنيت هذا البناء لاذكر به ذكر هذه الغريبة ابن الرقيق فى تاريخه ثم رحل المنصور الى القيروان بعد ان خلع على زيرى بن مناد وحمله ودخل المنصورية فى جمادى سنة ست وثلاثين فبلغه ان فضل بن أبى يزيد جاء الى جبل أوراس وداخل البربر فى الثورة فخرج اليه المنصور فدخل الرمل ورجع المنصور الى القيروان ثم الى المهدية ورجع فضل بن أبى يزيد الى باغاية وأقام يحاصرها فغدر به باطيط وبعث برأسه الى المنصور ثم عقد سنة تسع وثلاثين للحسين بن على بن أبى الحسين الكلبى على صقلية وأعمالها وكانت لخليل بن اسحق فصرفه الحسين واستقل بولايتها فكان له فيها ولبنيه ملك سنذكره وبلغ المنصور ان ملك افرنجة يريد غزو المسلمين فأخرج اسطوله وشحنه بالعساكر لنظر مولاه فرج الصقلى وأمر الحسين بن على عامل صقلية بالخروج معه فأجازوا البحر الى عدوة الافرنجة ونزلوا قلورية ولقيهم رجاء ملك الفرنجة فهزموه وكان فتحا لا كفاء له وذلك سنة أربعين وثلثمائة ورجع فرج بالغنائم الى المهدية سنة ثنتين وأربعين وكان معبد بن خزر بعد مظاهرته لفضل بن أبى يزيد لم يزل منتقضا وأولياء المنصور فى طلبه حتى أخذ فى بعض الوقائع وسيق مع ابنه الى المنصور فطيف بهما فى أسواق المنصورية ثم قتلا سنة احدى وأربعين وثلثمائة

(وفاة المنصور وولاية ابنه المعز)

ثم توفى المنصور اسمعيل بن القاسم سلخ رمضان سنة احدى وأربعين لسبع سنين من خلافته أصابه الجهد من مطر وثلج تجلد على ملاقاته ودخل على أثره الحمام فعست حرارته ولازمه السهر فمات وكان طبيبه اسحق بن سليمان الاسرائيلى قد نهاه عن

الحمام فلم يقبل وولى الامر بعده ابنه معد ولقب المعز لدين الله فاستقام أمره وخرج لجبل أوراس سنة ثنتين وأربعين وجالت فيه عساكره واستأمن اليه بنو كملان ومليلة من هوارة ودخلوا فى طاعته فأمنهم وأحسن اليهم واستأمن اليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد فأمنه ورجع الى القيروان وترك مولاه قيصر فى العساكر وعقد له على باغاية فدوخ البلاد وأحسن الى الناس وألف من كان شاردا من البربر ورجع بهم الى القيروان فأكرمهم المعز ووصلهم ثم وفد بعدهم محمد بن خزر أمير مغراوة فلقاه مبرة وتكريما وأقام عنده بالقيروان الى ان هلك سنة ثمان وأربعين واستقدم المعز زيرى ابن مناد سنة ثلاث وأربعين أمير صنهاجة فقدم من اشير فأجزل صلته ورده الى عمله وبعث الى الحسين بن على عامل صقلية سنة أربع وأربعين أن يخرجه باسطوله الى ساحل المرية من بلاد الاندلس فعاث فيه وغنم وسبى ورجع فأخرج الناصر صاحب الاندلس اسطوله الى سواحل افريقية مع غالب مولاه فمنعتهم العساكر وأقلعوا ثم عاودوا سنة خمس وأربعين فى سبعين مركبا فأحرقوا مرسى الخزر وعاثوا فى جهات سوسة ثم فى نواحى طبرنة ورجعوا واستقام أمر المعز فى بلاد افريقية والمغرب واتسعت ايالته وكانت أعماله من ايفكان خلف تاهرت بثلاثة مراحل الى زناتة التى دون مصر وعلى تاهرت وايفكان يعلى بن محمد اليفرنى وعلى أشير وأعمالها زيرى بن مناد الصنهاجى وعلى المسيلة وأعمالها جعفر بن على الاندلسى وعلى باغاية وأعمالها قيصر الصقلى وكان على فاس أحمد بن بكر بن أبى سهل الجذامى وعلى سلجماسة محمد بن واسول المكناسى ثم بلغه سنة سبع وأربعين ان يعلى بن محمد اليفرنى داخل الاموية من وراء البحر وان أهل المغرب الاقصى نقضوا طاعة الشيعة فأغزى جوهرا الصقلى الكاتب الى المغرب بالعساكر وكان على وزارته وخرج معه جعفر بن على صاحب المسيلة وزيرى ابن مناد صاحب اشير وتلقاهم يعلى بن محمد صاحب المغرب الاوسط ولما ارتحل عن ايفكان وقعت هيعة فى أصحاب صيلة وقيل له ان بنى يعرب أوقعوها فقبض على يعلى وناشته سيوف كتامة لحينه وخرب ايفكان وأسر ابنه يدو بن يعلى وتمادوا الى فاس ثم تجاوزوها الى سلجماسة فأخذها وتقبض على الشاكر لله محمد بن الفتح الذى تلقب بامير المؤمنين من بنى واسول وولى ابن المعتز من بنى عمه مكانه ودوخ المغرب الى البحر ثم رجع الى فاس وحاصرها وواليها يومئذ أحمد بن بكر بن أبى سهل الجذامى وقاتلها مدة فامتنعت عليه وجاءته هدايا الامراء الادارسة من السوس ثم رحل الى سلجماسة وبها محمد بن واكول من مكناسة وقد تلقب بامير المؤمنين الشاكر لله وضرب السكة باسمه تقدست عزة الله فلما سمع بجوهر هرب ثم أخذ أسيرا وجىء به الى جوهر وسار عن

سلجماسة وافتتح البلاد فى طريقه ثم عاد الى فاس وأقام فى حصارها الى ان افتتحها عنوة على يد زيرى بن مناد تسنم أسوارها ليلا ودخلها وتقبض على أحمد بن بكر وذلك سنة ثمان وأربعين وولى عليها من قبله وطرد عمال بنى أمية من سائر المغرب وانقلب الى القيروان ظافرا عزيزا وضم تاهرت الى زيرى بن مناد وقدم بالفاطميين وبأحمد ابن بكر وبمحمد بن واسال أسيرين فى قفصين ودخل بهما الى المنصورية فى يوم مشهود وكانت ولاية المغرب والمشرق منقسمة بين موليه قيصر ومظفر وكانا متغلبين على دولته فقبض عليهما سنة تسع وأربعين وقتلهما وفى سنة خمسين كان تغلب النصارى على جزيرة اقريطش وكان بها أهل الاندلس من جالية الحكم بن هشام بسبب ثورة الربض ففر بهم الى الاسكندرية فثاروا بها وعبد الله بن طاهر يومئذ عامل مصر فحاصرهم بالاسكندرية حتى نزلوا على الامان وان يجيزوا البحر الى جزيرة اقريطش فعمروها ونزلوها منذ تلك الايام وأميرها أبو حفص البلوطى منهم واستبد بها وورث بنوه رياسة فيها الى ان نازلهم النصارى فى هذه السنة فى سبعمائة مركب واقتحموها عليهم عنوة وقتلوا منهم وأسروا وبقيت فى أيدى النصارى لهذا العهد والله غالب على أمره وافتتح صاحب صقلية سنة احدى وخمسين قلعة طرمين من حصون صقلية بعد حصار طويل أجهدهم فنزلوا على حكم صاحب صقلية بعد تسعة أشهر ونصف للحصار وأسكن المسلمين بالقلعة وسماها المعزية نسبة الى المعز صاحب افريقية ثم سار صاحب صقلية بعدها وهو أحمد بن الحسن بن على بن أبى الحسن الى حصار رمطة من قلاع صقلية فاستمدوا ملكهم صاحب القسطنطينية فجهز لهم العساكر برا وبحرا واستمد صاحب صقلية المعز فامده بالعساكر مع ابنه الحسن ووصل مدده الى مدينة مسينى وساروا بجموعهم الى رمطة وكان على حصارها الحسن بن عمار فحمل عسكرا على رمطة وزحف الى عسكر الروم مستميتا فقاتلهم فقتل أمير الروم وجماعة من البطارقة وهزموا أقبح هزيمة واعترضهم خندق فسقطوا فيه وأثخن المسلمون فيهم وغنموا عسكرهم واشتد الحصار على أهل رمطة وعدموا الاقوات فاقتحمها المسلمون عنوة وركب فل الروم البحر يطلبون النجاة فأتبعهم الامير أحمد بن الحسن فى اسطوله فأدركهم وسبح بعض المسلمين فى الماء فخرق مراكبهم وانهزموا وبث أحمد سرايا المسلمين فى مدائن الروم فغنموا منها وعاثوا فيها حتى صالحوهم على الجزية وكانت هذه الواقعة سنة أربع وخمسين وتسمى وقعة المجاز

(فتح مصر)

ثم ان المعز لدين الله بلغه اضطراب أحوال مصر بعد موت كافور الاخشيدى وعظم

فيها الغلاء وكثرت الفتن وشغل بغداد عنهم بما كان من الفتن بين بختيار بن معز الدولة وعضد الدولة ابن عمه فاعتزم المعز على المسير الى مصر وأخرج جوهرا الكاتب الى المغرب لحشد كتامة وأوعز الى أعمال برقة لحفر الآبار فى طريقها وذلك سنة خمس وخمسين فسيره الى مصر وخرج لتوديعه وأقام أياما فى معسكره وسار جوهر وبلغ خبره الى عساكر الاخشيدية بمصر فافترقوا وكان ماذكر فى أخبارهم وقدم جوهر منتصف شعبان من سنة ثمان وخمسين فدخلها وخطب فى الجامع العتيق منه باسم المعز وأقيمت الدعوة العلوية وفى جمادى من سنة تسع وخمسين دخل جوهر جامع ابن طولون فصلى فيه وأمر بزيادة حى على خير العمل فى الاذان فكان أول أذان أذن به فى مصر ثم بعث الى المعز بالهدايا وباعيان دولة الاخشيدية فحبسهم المعز بالمهدية وأحسن الى القضاة والعلماء من وفدهم وردهم الى مصر وشرع جوهر فى بناء القاهرة واستحث المعز للقدوم على مصر

(فتح دمشق)

ولما فتحت مصر وأخذ بنو طغج هرب منهم الحسن بن عبد الله بن طغج الى مكة ومعه جماعة من قوادهم فلما استشعر جوهر به بعث جعفر بن فلاح الكتامى فى العساكر اليه فقاتله مرارا ثم أسره ومن كان معه من القواد وبعث بهم الى جوهر فبعث بهم جوهر الى المعز بافريقية ودخل جعفر الرملة عنوة فاستباحها ثم أمن من بقى وجبى الخراج وسار الى طبرية وبها ابن ملهم وقد أقام الدعوة للمعز فتجافى عنه وسار الى دمشق فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز لايام من المحرم سنة تسع وخمسين وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمى وكان مطاعا فيهم فجمع الاوباش والذعار وثار بهم فى الجمعة الثانية ولبس السواد وأعاد الخطبة للمطيع فقاتلهم جعفر بن فلاح أياما وأولى عليهم الهزائم وعاثت جيوش المغاربة فى أهل دمشق فهرب ابن أبى يعلى ليلا من البلد وأصبحوا حيارى وكانوا قد بعثوا الشريف الجعفرى الى جعفر فى الصلح فأعاده اليهم بتسكين الناس والوعد الجميل وان يدخل البلد فيطوف فيه ويرجع الى معسكره فدخل وعاث المغاربة فى البلد بالنهب فثار الناس بهم وحملوا عليهم وقتلوا منهم وشرعوا فى حفر الخنادق وتحصين البلد ومشى الشريف أبو القاسم فى الصلح بينهم وبين جعفر ابن فلاح فتم ذلك منتصف ذى الحجة من سنة تسع وخمسين ودخل صاحب شرطة جعفر فسكن الناس وقبض على جماعة من الاحداث وقتل منهم وحبس ثم قبض على الشريف أبى القاسم بن أبى يعلى فى المحرم من سنة ستين وبعث به الى مصر واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح وكان خرج بافريقية فى سنة ثمان وخمسين أبو جعفر الزناتى

واجتمعت

واجتمعت اليه جموع من البربر والنكارية وخرج اليه المعز بنفسه وانتهى الى باغاية وافترقت جموع أبى خزر وسلك الاوعار فعاد المعز وأمر بلكين بن زيرى بالمسير فى طلبه فسار لذلك حتى انقطع عنه خبره ثم جاء أبو جعفر مستأمنا سنة تسع وخمسين فقبله وأجرى عليه الرزق وعلى أثر ذلك وصلت كتب جوهر باقامة دعوته بمصر والشأم وباستدعائه اليها فاشتد سرور المعز بذلك وأظهره فى الناس ونطق الشعراء بامتداحه ثم زحف القرامطة الى دمشق وعليهم ملكهم الاعصم ولقيهم جعفر بن فلاح فظفر بهم وقتلهم ثم رجعوا اليه سنة احدى وستين وبرز اليهم جعفر فهزموه وقتلوه وملك الاعصم دمشق وسار الى مصر وكاتب جوهر بذلك للمعز فاعتزم على الرحلة اليها

(مسير المعز الى مصر ونزوله بالقاهرة)

ولما انتهت هذه الاخبار الى المعز اعتزم على المسير الى مصر وبدأ بالنظر فى تمهيد المغرب وقطع شواغله وكان محمد بن الحسن بن خزر المغراوى من الفاعلية بالمغرب الاوسط وقد كثرت جموعه من زناتة والبربر وكان جبارا طاغيا فأهم المعز أمره وخشى على افريقية غائلته فأمر بلكين بن زيرى بن مناد بغزوه فغزاه فى بلاده وكانت بينهما حروب عظيمة ثم انهزم محمد بن خزر وجموعه ولما أحس بالهزيمة تحامل على سيفه فقتل نفسه وقتل فى المعركة سبعة عشر من أمراء زناتة وأسر منهم كثير وذلك سنة ستين وسر المعز ذلك وقعد للهناء به واستقدم بلكين بن زيرى فاستخلفه على افريقية والمغرب وأنزله القيروان وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح وولى على طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامى ولم يجعل لبلكين ولاية عليه ولا على صاحب صقلية وجعل على جباية الاموال زيادة الله بن القديم وعلى الخراج عبد الجبار الخراسانى وحسين بن خلف المرصدى بنظر بلكين وعسكر ظاهر المنصورية آخر شوال من سنة احدى وستين وأقام على سردانية قريبا من القيروان حتى فرغ من أعماله ولحقته عساكره وأهل بيته وعماله وحمل له ما كان فى قصره من الاموال والامتعة وارتحل بعد أربعة أشهر من مقامه وسار معه بلكين قليلا ثم ودعه ورده الى عمله وسار هو الى طرابلس فى عساكره وهرب بعضهم الى جبل نفوسة فامتنعوا بها وسار الى برقة فقتل بها شاعره محمد بن هانئ الاندلسى وجد قتيلا بجانب البحر فى آخر رجب من سنة ثنتين وستين ثم سار الى الاسكندرية وبلغها فى شعبان من هذه السنة ولقيه بها أعيان مصر فأكرمهم ووصلهم وسار فدخل القاهرة لخمس من رمضان من هذه السنة فكانت منزله ومنزل الخلفاء بعده الى آخر دولتهم

(حروب المعز مع القرامطة واستيلاؤه على دمشق)

كان للقرامطة على بنى طفج بدمشق ضريبة يؤدونها اليهم فلما ملك بن فلاح بدعوة المعز قطع تلك الضريبة وآسفهم بذلك فرجعوا الى دمشق وعليهم الاعصم ملكهم فبرز اليهم جعفر بن فلاح فهزموه وقتلوه وملكوا دمشق وما بعدها الى الرملة وهرب من كان بالرملة وتحصنوا بيافا وملك القرامطة الرملة وجهزوا العساكر على يافا وسار والى مصر ونزلوا عين شمس وهى المعروفة لهذا العهد بالمطرية واجتمع اليهم خلق كثير من العرب وأولياء بنى طفج وحاصروا المغاربة بالقاهرة وقاتلوهم أياما فكان الظفر بهم ثم خرج المغاربة واستماتوا وهزموهم فرحلوا الى الرملة وضيقوا حصار يافا وبعث اليهم جعفر بالمدد فى البحر فأخذه القرامطة وانتهى الخبر الى المعز بالقيروان وجاء الى مصر ودخلها كما ذكرناه وسمع أنهم يريدون المسير الى مصر فكتب الى الاعصم يذكره فضل بنيه وأنهم انما دعوا له ولآبائه وبالغ فى وعظه وتهدده فاساء فى جوابه وكتب اليه وصل كتابك الذى قل تحصيله وكثر تفصيله ونحن سائرون اليك والسلام وسار من الاحساء الى مصر ونزل عين شمس فى عساكره واجتمع اليه الناس من العرب وغيرهم وجاء حسان بن الجراح فى جموع عظيمة من طيئ وبث سراياه فى البلاد فعاثوا فيها وأهم المعز شأنه فراسل ابن الجراح واستماله بمائة ألف دينار على ان ينهزم على القرامطة واستحلفوه على ذلك وخرج المعز ليوم عينوه لذلك فانهزم ابن الجراح بالعرب وثبت القرامطة قليلا ثم انهزموا وأخذ منهم نحو ألف وخمسمائة أسير وسار وافى اتباعهم ولحق القرامطة باذرعات وساروا منها الى الاحساء وقتلوا صبرا ونهب معسكرهم وجرد المعز القائد أبا محمود فى عشرة آلاف فارس وسار وافى اتباعهم ولحق القرامطة باذرعات وساروا منها الى الاحساء وبعث المعز القائد ظالم ابن موهوب العقيلى واليا على دمشق فدخلها وكان العامل بها من قبل القرامطة أبو الهيجاء وابنه فى جماعة منهم فحبسهم ظالم وأخذ أموالهم ورجع القائد أبو محمود من اتباع القرامطة الى دمشق فتلقاه ظالم وسر بقدومه وسأله المقام بظاهر دمشق حذرا من القرامطة ففعل ودفع أبا الهيجاء وابنه فبعث بهم الى مصر فحبسوا بها وعاث أصحاب أبى محمود فى دمشق فاضطرب الناس وقتل صاحب الشرطة بعضهم فثاروا به وقتلوا أصحابه وركب ظالم بذراريهم وأجفل أهل الضواحى الى البلد من عيث المغاربة ثم وقعت فى منتصف شوال من سنة ثلاث وستين فتنة بين العامة وبين عسكر أبى محمود وقاتلوه أياما ثم هزمهم وتبعهم الى البلد وكان ظالم بن موهوب يدارى العامة فأشفق فى هذا اليوم على نفسه وخرج من دار الامارة وأحرق المغاربة ناحية باب الفراديس ومات فيها خلق واتصلت الفتنة الى ربيع الآخر من سنة أربع وستين ثم وقع الصلح بينهم على اخراج ظالم من البلد وولاية

جيش بن الصمصامة ابن اخت محمود فسكن الناس اليه ثم رجع المغاربة الى العيث وعاد العامة الى الثورة وقصدوا القصر الذى فيه جيش فهرب ولحق بالعسكر وزحف الى البلد فقاتلهم وأحرق ما كان بقى وقطع الماء عن البلد فضاقت الاحوال وبطلت الاسواق وبلغ الخبر الى المعز فنكر ذلك على أبى محمود واستعظمه وبعث الى ريان الخادم فى طرابلس يأمره بالمسير الى دمشق لاستكشاف حالها وان يصرف القائد أبا محمود عنها فصرفه الى الرملة وبعث الى المعز بالخبر وأقام بدمشق الى أن وصل افتكين واليا على دمشق وكان أفتكين هذا من موالى عز الدولة بن بويه ولما ثار الاتراك على ابنه بختيار مع سبكتكين ومات سبكتكين قدمه الاتراك عليهم وحاصر وابختيار بواسط وجاء عضد الدولة لانجاده فاجفلوا عن واسط فتركوه ببغداد وسار افتكين فى طائفة من الجند الى حمص فنزل قريبا منها وقصده ظالم بن موهوب العقيلى ليقبضه فعجز عنه وسار افتكين فنزل بظاهر دمشق وبها زياد خادم المعز وقد غلب عليه وعلى أعيان البلد الاحداث والدعار فلم يملكوا معهم أمر أنفسهم فخرج الاعيان الى افتكين وسألوا منه الدخول اليهم ليولوه وشكوا اليه حال المغاربة وما يحملونهم عليه من عقائد بعض الرفض وما أنزل بهم عمالهم من الظلم والعسف فأجابهم واستحلفهم وحلف لهم وملك البلد وخرج منها زياد الخادم وقطع خطبة المعز العلوى وخطب للطائع العباسى وقمع أهل الفساد ودفع العرب عما كانوا استولوا عليه من الضواحى واستقل بملك دمشق وكاتب المعز يطلب طاعته وولايتها من قبله فلم يثق اليه ورده وتجهز لقصده وجهز العساكر فتوفى بعسكره ببلبيس كما يذكر

(وفاة المعز وولاية ابنه العزيز)

ثم توفى المعز بمصر فى منتصف ربيع الآخر سنة خمس وستين لثلاث وعشرين سنة من خلافته وولى ابنه نزار بعهده اليه ووصيته ولقب العزيز بالله وكتم موت أبيه الى عيد النحر من السنة فصلى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزى بأبيه وأقر يعقوب بن كلس على الوزارة كما كان أيام أبيه وأقر بلكين بن زيرى على ولاية افريقية وأضاف اليه ولاية عبد الله بن يخلف الكتامى وهى طرابلس وسرت وجرابيه وكان أهل مكة والمدينة قد خطبوا للمعز أبيه فى الموسم فتركوا الخطبة للعزيز فبعث جيوشه الى الحجاز فحاصروا مكة والمدينة وضيقوا عليهم حتى رجعوا الى دعوتهم وخطب للعزيز بمكة وكان أمير مكة عيسى بن جعفر والمدينة طاهر بن مسلم ومات فى هذه السنة فولى ابنه الحسن وابن أخيه مكانه

(بقية أخبار افتكين)

ولما توفى المعز وولى العزيز قام افتكين وقصد البلاد التى لهم بساحل الشأم فبدأ بصيدا فحاصرها وبها ابن الشيخ فى رؤس المغاربة وظالم بن موهوب العقيلى فبرزوا اليه وقاتلوه فاستجد لهم ثم كر عليهم وأوقع بهم وقتل منهم أربعة آلاف وسار الى عكة فحاصرها وقصد طبرية وفعل فيها مثل صيدا ورجع واستشار العزيز وزيره يعقوب ابن كلس فأشار بارسال جوهر الكاتب اليه فجهزه العزيز وبعثه وأقبل افتكين على أهل دمشق يريهم التحول عنهم ويذكرهم بذلك ليختبرهم فتطارحوا اليه واستأتوا واستحلفهم على ذلك ووصل جوهر فى ذى القعدة سنة خمس وستين فحاصر دمشق شهرين وضيق حصارها وكتب افتكين الى الاعصم ملك القرامطة يستنجده فسار اليه من الاحساء واجتمع اليهم من رجال الشأم والعرب نحو من خمسين ألفا وأدركوا جوهرا بالرملة وقطعوا عنه الماء فارتحل الى عسقلان فحاصروه بها حتى بلغ الجهد وأرسل جوهر الى افتكين بالمغاربة والوعد والقرمطى يمنعه ثم سأله فى الاجتماع فجاء افتكين ولم يزل جوهر يعتل له فى الذروة والغارب وافتكين يعتذر بالقرمطى ويقول أنت حملتنى على مداراته فلما أيس منه كشف لهم عما هم فيه من الضيق وسأله الصنيعة وأنها يتخذها عند العزيز فحلف له على ذلك وعزله القرمطى وأراه جوهر أن يحمل العزيز على المسير بنفسه فضم من عزله وأبى الا الوفاء وانطلق جوهر الى مصر وأغرى العزيز بالمسير اليهم فتجهز فى العساكر وسار وجوهر فى مقدمته ورجع افتكين والقرمطى الى الرملة واحتشدوا ووصل العزيز فاصطفوا للحرب بظاهر الرملة فى محرم سنة سبع وستين وبعث العزيز الى افتكين يدعوه الى الطاعة ويرغبه ويعده بالتقدم فى دولته ويدعوه الى الحضور عنده فتقدم بين الصفين وترجل وقبل الارض وقال قل لامير المؤمنين لو كان قبل هذه لسارعت وأما الآن فلا يمكننى وحمل على الميسرة فهزمهم وقتل الكثير منهم فامتعض العزيز وحمل هو والميمنة جميعا فهزمهم ووضع المغاربة السيف فقتلوا نحوا من عشرين ألفا ثم نزل فى خيامه وجىء بالاسرى فخلع على من جاء بهم وبذل لمن جاء بافتكين مائة ألف دينار فلقيه المفرج بن دغفل الطائى وقد جهده العطش فاستسقاه فسقاه وتركه بعرشه مكرما وجاء الى العزيز فأخبره بمكانه وأخذ المائة ألف التى بذلها فيه وأمكنه من قياده ولما حضر عند العزيز وهو لا يشك انه مقتول أكرمه العزيز ووصله ونصب له الخيام وأعاد اليه ما نهب له ورجع به الى مصر فجعله أخص خدمه وحجابه وبعث الى الاعصم القرمطى من يرده اليه ليصله كما فعل بافتكين فأدركه بطبرية وامتنع من الرجوع فبعث اليه بعشرين ألف دينار وفرضها له ضريبة وسار

القرمطى الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر ورقى رتبة افتكين وخص به الوزير يعقوب ابن كلس فسمه وسمع العزيز بأنه سمه فحبسه أربعين يوما وصادره على خمسمائة ألف دينار ثم خلع عليه وأعاده الى وزارته وتوفى جوهر الكاتب فى ذى القعدة من سنة احدى وثمانين وقام ابنه الحسن مقامه ولقب قائد القواد وكان افتكين قد استخلص أيام وزارته بدمشق رجلا اسمه قسام فعلا صيته وكثر تابعه واستولى على البلد ولما انهزم افتكين والقرامطة بعث العزيز القائد أبا محمود بن ابراهيم واليا على دمشق كما كان لابيه المعز فوجد فيها قساما قد ضبط البلد وهو يدعو للعزيز فلم يتم له معه ولاية وبقى قسام مستبدا عليه الى أن مات أبو محمود سنة سبعين ثم جاء أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل الى دمشق عند انهزامه أمام عضد الدولة فمنعه قسام من الدخول وخاف أن يغلبه على البلد بنفسه أو بأمر العزيز واستوحش أبو تغلب لذلك فقاتله قليلا ثم رحل الى مطرية وجاءت عساكر العزيز مع قائده الفضل فحاصروا قساما بدمشق ولم يظفروا به ورجعوا ثم بعث العزيز سنة تسع وستين سليمان بن جعفر بن فلاح فنزل بظاهرها ولم يمكنه قسام من دخولها ودس الى الناس فقاتلوه وأزعجوه عن مكانه وكان مفرج بن الجراح أمير بنى طىء وسائر العرب بأرض فلسطين قد كثرت جموعه وقويت شوكته وعاث فى البلاد وخربها فجهز العزيز العساكر لحربه مع قائده بلتكين التركى فسار الى الرملة واجتمع اليه العرب من قيس وغيرهم ولقى ابن الجراح وقد أكمن لهم بلتكين من ورائهم فانهزم ومضى الى انطاكية فأجاره صاحبها وصادف خروج ملك الروم من القسطنطينية الى بلاد الشأم فخاف ابن الجراح وكاتب بكجور مولى سيف الدولة وعامله على حمص ولجأ اليه فأجاره ثم زحف بلتكين الى دمشق وأظهر لقسام انه جاء لاصلاح البلد وكان مع قسام جيش بن الصمصامة ابن أخت أبى محمود قد قام بعده فى ولايته فخرج الى بلتكين فأمره بالنزول معه بظاهر البلد هو وأصحابه واستوحش قسام وتجهز للحرب ثم قاتل وانهزم أصحابه ودخل بلتكين أطراف البلد فنهبوا وأحرقوا واعتزم أهل البلد على الاستئمان الى بلتكين وشافهوه بذلك فأذن لهم وسمع قسام فاضطرب وألقى ما بيده واستأمن الناس الى بلتكين لأنفسهم ولقسام فأمن الجميع وولى على البلد أميرا اسمه خطلج فدخل البلد وذلك فى المحرم سنة ثنتين وسبعين ثم اختفى قسام بعد يومين فنهبت دوره ودور أصحابه وجاء ملقيا بنفسه على بلتكين فقبله وحمله الى مصر فأمنه العزيز وكان بكجور فى غوية من غلمان سيف الدولة وعامله على حمص وكان يمد دمشق أيام هذه الفتنة والغلاء ويحمل الاقوات من حمص اليها ويكاتب العزيز بهذه الخدم ثم استوحش سنة ثلاث وسبعين من مولاه أبى المعالى

فاستنجز من العزيز وعده اياه بولاية دمشق وصادف ذلك أن المغاربة بمصر أجمعوا على التوثب بالوزير بن كلس ودعت الضرورة الى استقدام بلتكين من دمشق فأمره العزيز بالقدوم وولاية بكجور على دمشق ففعل ودخلها بكجور فى رجب من سنة ثلاث وسبعين وعاث فى أصحاب ابن كلس وحاشيته بدمشق لما كان يبلغه عنه من صد العزيز عن ولايته ثم أساء السيرة فى أهل دمشق فسعى ابن كلس فى عزله عند العزيز وجهز العساكر سنة ثمان وسبعين مع منير الخادم وكتب الى نزال عامل طرابلس بمظاهرته وجمع بكجور العرب وخرج للقائه فانهزم ثم خاف من وصول نزال فاستأمن لهم وتوجه الى الرقة فاستولى عليها ودخل منير دمشق واستقر فى ولايتها وارتفعت منزلته عند العزيز وجهزه لحصار سعد الدولة بحلب وكان بكجور بعد انصرافه من دمشق الى الرقة سأل من سعد الدولة العود الى ولاية حمص فمنعه فأجلب عليه واستنجد العزيز لحربه وبعث الى نزال عامل طرابلس بمظاهرته فسار اليه بالعساكر وخرج سعد الدولة من حلب للقائهم وقد أضمر نزال الغدر ببكجور وتقدم اليه بذلك عيسى بن نسطورس وزير العزيز بعد ابن كلس وجاء سعد الدولة للقائهم وقد استمد عامل انطاكية للروم فأمده بجيش كثير وداخل العرب الذين مع بكجور فى الانهزام عنه ووعدوه ذلك من أنفسهم فلما تراءى الجمعان وشعر بكجور بخديعة العرب فاستمات وحمل على الصف بقصد سعد الدولة فقتل لؤلؤ الكبير مولاه بطعنه اياه ثم حمل عليه سعد الدولة فهزمه فسار الى بعض العرب وحمل الى سعد الدولة فقتله وسار الى الرقة فملكها وقبض جميع أمواله وكانت شيأ لا يعبر عنه وكتب أولاده الى العزيز يستشفعون به فشفع الى سعد الدولة فيهم أن يبعثهم الى مصر ويتهدده على ذلك فأساء سعد الدولة الرد وجهز لحصار حلب الجيوش مع منجوتكين فنزل عليها وحاصرها وبها أبو الفضائل ابن سعد الدولة ومولاه لؤلؤ الصغير وأرسلا الى سيل ملك الروم يستنجدانه وهو فى قتال بلغار فبعث الى عامل انطاكية أن يمدهما فسار فى خمسين ألفا حتى نزل جسر العاصى وبلغ خبره الى منجوتكين فارتحل عن حلب ولقى الروم فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا وسار الى انطاكية وعاث فى نواحيها وخرج أبو الفضائل فى مغيب منجوتكين الى ضواحى حلب فنقل ما فيها من الغلال وأحرق بقيتها لتفقد عساكر منجوتكين الاقوات فلما عاد منجوتكين الى الحصار جهز عسكره وأرسل لؤلؤ الى أبي الحسن المغربي فى الصلح فعقد لهم ذلك ورحل منجوتكين الى دمشق وبلغ الخبر الى العزيز فغضب وكتب الى منجوتكين بالعود الى حصار حلب وابعاد الوزير المغربي وأنفذ الاقوات للعسكر فى البحر الى طرابلس وأقام منجوتكين فى حصار حلب وأعاد وامراسلة ملك الروم

فاستنجدوه وأغروه وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد مجدا فى السير وبعث لؤلؤ الى منجوتكين بالخبر حذرا على المسلمين وجاءته جواسيسه بذلك فأجفل بعد أن خرب ما كان اتخذه فى الحصار من الاسواق والقصور والحمامات ووصل ملك الروم الى حلب ولقى أبا الفضائل ولؤلؤا ثم سار فى الشأم وافتتح حمص وشيزر ونهبهما وحاصر طرابلس أربعين يوما فامتنعت عليه وعاد الى بلاده وبلغ الخبر الى العزيز فعظم عليه واستنفر الناس للجهاد وبرز من القاهرة وذلك سنة احدى وثمانين ثم انتقض منير فى دمشق فزحف اليه منجوتكين الى دمشق

(أخبار الوزراء)

كان وزير المعز لدين الله يعقوب بن يوسف بن كلس أصله من اليهود وأسلم وكان يدبر الاحوال الاخشيدية بمصر وعزله أبو الفضائل بن الفرات سنة سبع وخمسين وصادره فاستتر بمصر ثم فر الى المغرب ولقى المعز لدين الله وجاء فى ركابه الى مصر فاستوزره وعظم مقامه عنده واستوزره بعده ابنه العزيز الى أن توفى سنة ثمانين وصلى عليه العزيز وحضر دفنه وقضى عنه دينه وقسم عمله فرد النظر فى الظلامات الى الحسن بن عمار كبير كتامة ورد النظر فى الاموال الى عيسى بن نسطورس ولم تزل الوزارة سائر دولتهم فى أرباب الاقلام وكانوا عمكان وكان منهم البارزى وكان مع الوزارة قاضى القضاة وداعى الدعاة وسأل أن يرسم اسمه على السكة فغرب ومنع ومات قتيلا بتنيس وأبو سعيد النسرى وكان يهوديا وأسلم قبل وزارته والجرجانى وقطع الجرجانى فى أمر منع من الكتب فيه فكتب وحلف الحاكم بيمين لا تكفر ليقطعنه ثم رده بعد ثلاث وخلع عليه وابن أبى كدينة ثلاثة عشر شهرا ثم صرف وقتل وأبو الطاهر بن باشاد وكان من أهل الدين واستعفى فأعفى وأقام معتكفا فى جامع مصر وسقط ليلة من السطح فمات وكان آخرهم الوزير أبو القاسم بن المغربى وكان بعده بدر الجمالى أيام المستنصر وزير سيف الدولة واستبد له على الدولة ومن بعده منهم كما يأتى فى أخبارهم

(أخبار القضاة)

كان النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون فى خطة القضاء للمعز بالقيروان ولما جاء الى مصر أقام بها فى خطة القضاء الى أن توفى وولى ابنه على ثم توفى سنة أربع وسبعين وثلثمائة فولى العزيز أخاه أبا عبد الله محمدا خلع عليه وقلده سيفا وكان المعز قد وعد أباه بقضاء ابنه محمد هذا بمصر وتم فى سنة تسع وثمانين أيام الحاكم وكان كبير الصيت كثير الاحسان شديد الاحتياط فى العدالة فكانت أيامه شريفة وولى بعده ابن

عمه أبو عبد الله الحسين على بن النعمان أيام الحاكم ثم عزل سنة أربع وتسعين وقتل وأحرق بالنار وولى مكانه ملكة بن سعيد الفارقى الى أن قتله الحاكم سنة خمس وأربعمائة بنواحى القصور وكان عالى المنزلة عند الحاكم ومداخلا له فى أمور الدولة وخالصة له فى خلواته وولى بعده أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى العوام واتصل فى آخرين الى آخر دولتهم كان كثيرا ما يجمعون للقاضى المظالم والدعوة فيكون داعى الدعاة وربما يفردون كلا منهما وكان القاضى عندهم يصعد مع الخليفة المنبر مع من يصعده من أهل دولته عندما يخطب الخلفاء فى الجمع والاعياد

(وفاة العزيز وولاية ابنه الحاكم)

قد تقدم لنا أن العزيز استنفر الناس للجهاد سنة احدى وثمانين وبرز فى العساكر لغزو الروم ونزل بلبيس فاعتورته الامراض واتصلت به الى أن هلك آخر رمضان سنة ست وثمانين لاحدى عشرة سنة ونصف من خلافته ولقب الحاكم بأمر الله واستولى برجوان الخادم على دولته كما كان لابيه العزيز بوصيته بذلك وكان مدبر دولته وكان رديفه فى ذلك أبو محمد الحسن بن عمار ويلقب بأمين الدولة وتغلب على ابن عمار وانبسطت أيدى كتامة فى أموال الناس وحرمهم ونكر منجوتكين تقديم ابن عمار فى الدولة وكاتب برجوان بالموافقة على ذلك فأظهر الانتقاض وجهز العساكر لقتاله مع سليمان بن جعفر بن فلاح فلقيهم بعسقلان وانهزم منجوتكين وأصحابه وقتل منهم ألفين وسيق أسيرا الى مصر فأبقى عليه ابن عمار واستماله للمشارقة وعقد على الشأم لسليمان بن فلاح ويكنى أبا تميم فبعث من طبرية أخاه عليا الى دمشق فامتنع أهلها فكاتبهم أبو تميم وتهددهم وأذعنوا ودخل على البلد ففتك فيهم ثم قدم أبو تميم فأمن وأحسن وبعث أخاه عليا الى طرابلس وعزل عنها جيش ابن الصمصامة فسار الى مصر وداخل برجوان فى الفتك بالحسن بن عمار وأعيان كتامة وكان معهما فى ذلك شكر خادم عضد الدولة نزع الى مصر بعد مهلك عضد الدولة ونكبة أخيه شرف الدولة اياه فخلص الى العزيز فقربه وحظى عنده فكان مع برجوان وجيش بن الصمصامة وثارت الفتنة واقتتل المشارقة والمغاربة فانهزمت المغاربة واختفى ابن عمار وأظهر برجوان الحاكم وجدد له البيعة وكتب الى دمشق بالقبض على أبى تميم بن فلاح فنهب ونهبت خزائنه واستمر القتل فى كتامة واضطربت الفتنة بدمشق واستولى الاحداث ثم أذن برجوان لابن عمار فى الخروج من أستاره وأجرى له أرزاقه على أن يقيم بداره واضطرب الشأم فانتقض أهل صور وقام بها رجل ملاح اسمه العلاقة وانتقض مفرج بن دغفل بن الجراح ونزل على الرملة وعاث فى البلاد وزحف الدوقش

ملك الروم الى حصن أفامية محاصرا لها وجهز برجوان العساكر مع جيش ابن الصمصامة فسار الى عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدون واسطولا فى البحر واستنجد العلاقة ملك الروم فأنجده بالمقاتلة فى المراكب فظفر بهم أسطول المسلمين واضطرب أهل صور وملكها ابن حمدان وأسر العلاقة وبعث به الى مصر فسلخ وصلب وسار جيش ابن الصمصامة الى الفرج بن دغفل فهرب امامه ووصل الى دمشق وتلقاه أهلها مذعنين وأحسن اليهم وسكنهم ورفع أيدى العدوان عنهم ثم سار الى أفامية وصاف الروم عندها فانهزم أولا هو وأصحابه وثبت بشارة اخشيدى بن قرارة فى خمس عشرة فارسا ووقف الدوقش ملك الروم على رابية فى ولده وعدة من غلمانه ينظر فعل الروم فى المسلمين فقصد كردى من مصاف الاخشيدى وبيده عصا من حديد يسمى الخشت وظنه الملك مستأمنا فلما دنا منه ضربه بالخشت فقتله وانهزم الروم وأتبعهم جيش ابن الصمصامة الى انطاكية يغنم ويسبى ويحرق ثم عاد مظفرا الى دمشق فنزل بظاهرها ولم يدخل واستخلص رؤساء الاحداث واستحجبهم وأقيم له الطعام فى كل يوم وأقام على ذلك برهة ثم أمر أصحابه اذا دخلوا للطعام أن يغلق باب الحجرة عليهم ويوضع السيف فى سائرهم فقتل منهم ثلاثة آلاف ودخل دمشق وطاف بها وأحضر الاشراف فقتل رؤساء الاحداث بين أيديهم وبعث بهم الى مصر وأمن الناس ثم انه توفى وولى محمود بن جيش وبعث برجوان الى سيل ملك الروم فصالحه عشر سنين وبعث جيشا الى برقة وطرابلس المغرب ففتحها وولى عليها يانس الصقلى ثم ثقل مكان برجوان على الحاكم فقتله سنة تسع وثمانين وكان خصيا أبيض وكان له وزير نصرانى استوزره الحاكم من بعده ثم قتل الحسين بن عمار ثم الحسين بن جوهر القائد ثم جهز العساكر مع يارختكين الى حلب وقصد حسان بن فرج الطائى لما بلغ من عيثه وفساده فلما رحل من غزوه الى عسقلان لقيه حسان وأبوه مفرج فانهزم وقتل ونهبت النواحى وكثرت جموع بنى الجراح وملكوا الرملة واستقدموا الشريف أبا الفتوح الحسن ابن جعفر أمير مكة فبايعوه بالخلافة ثم استمالهما الحاكم ورغبهما فرداه الى مكة وراجعا طاعة الحاكم وراجع هو كذلك وخطب له بمكة ثم جهز الحاكم العساكر الى الشأم مع على بن جعفر بن فلاح وقصد الرملة فانهزم حسان بن مفرج وقومه وغلبهم على تلك البلاد واستولى على أموالهم وذخائرهم وأخذ ما كان لهم من الحصون بجبل السراة ووصل الى دمشق فى شوال سنة تسعين فملكها واستولى عليها وأقام مفرج وابنه حسان شريدين بالقفر نحوا من سنتين ثم هلك مفرج وبعث حسان ابنه الى الحاكم فأمنه وأقطعه ثم وفد عليه بمصر فأكرمه ووصله

(خروج أبى ركوة ببرقة والظفر به)

كان أبو ركوة هذا يزعم أنه الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل وانه هرب من المنصور بن أبى عامر حين تتبعهم بالقتل وهو ابن عشرين سنة وقصد القيروان فأقام بها يعلم الصبيان ثم قصد مصر وكتب الحديث ثم سار الى مكة واليمن والشأم وكان يدعو للقائم من ولد أبيه هشام واسمه الوليد وانما لقبه أبا ركوة لانه كان يحملها للوضوء على عادة الصوفية ثم عاد الى نواحى مصر ونزل على بنى قرة من بادية هلال بن عامر وأقام يعلم الصبيان ويؤمهم فى صلاتهم ثم أظهر ما فى نفسه ودعا للقائم وكان الحاكم قد أسرف فى القتل فى أصناف الناس وطبقاتهم والناس معه على خطر وكان قتل جماعة من بنى قرة وأحرقهم بالنار لفسادهم فبادر بنو قرة وكانوا فى اعمال برقة فأجابوه وانقادوا له وبايعوا وكان بينهم وبين لواتة ومزاتة وزناتة جيرانهم فى الاصل حروب ودماء فوضعوها واتفقوا على بيعته وكتب عامل برقة أنيال الطويل بخبرهم الى الحاكم فأمره بالكف عنهم ثم اجتمعوا وساروا الى برقة فهزموا العامل برمادة وملكوا برقة وغنموا الاموال والسلاح وقتلوه وأظهر أبو ركوة العدل وبلغ الخبر الى الحاكم فاطمأنت نفسه وكف عن الاذى والقتل وجهز خمسة آلاف فارس مع القائد أبى الفتوح الفضل بن صالح فبلغ ذات الحمام وبينها وبين برقة مفازة صعبة معطشة وأمر أبو ركوة من غور المياه التى فيها على قلبها ثم سار للقائهم بعد خروجهم من المفازة على جهد العطش فقاتلهم ونال منهم وثبت أبو ركوة واستأمن اليه جماعة من كتامة لما نالهم من أذى الحاكم وقتله فأمنهم ولحقوا به وانهزمت عساكر الحاكم وقتل خلق كثير منهم ورجع أبو ركوة الى برقة ظافرا وردد البعوث والسرايا الى الصعيد وأرض مصر وأهم الحاكم أمره وندم على ما فرط وجهز على بن فلاح العساكر لحربهم وكاتب الناس أبا ركوة يستدعونه وممن كتب اليه الحسن بن جوهر قائد القواد وبعثهم فى ستة عشر ألف مقاتل سوى العرب وبعث أخاه فى سرية فواقع بنى قرة وهزمهم وقتل من شيوخهم عبد العزيز بن مصعب ورافع بن طراد ومحمد بن أبى بكر واستمال الفضل بنى قرة فاجابه ماضى بن مقرب من أمرائهم وكان يطالعه باخبارهم وبعث على بن فلاح عسكرا الى الفيوم فكبسه بنو قرة وهزموه ونزل أبو ركوة بالهرمين ورجع من يومه ثم رحل الفضل الى الفيوم لقتالهم فواقعهم برأس البركة وهزمهم واستأمن بنو كلاب وغيرهم ورجع على بن فلاح وتقدم الفضل لطلب أبى ركوة وخذل ماضى بن مقرب بنى قرة عن أبى ركوة فقالوا له انج بنفسك الى بلد النوبة ووصل الى تخومهم وقال أنا رسول الحاكم فقالوا لابد من استئذان الملك فوكلوا به وطالعوا الملك بحقيقة الحال

وكان صغيرا قد ولى بعد مرقة أبيه وبعث اليه الفضل بشأنه وطلبه فكتب الى شجرة بن منيا قائد الخيل بالثغر بان يسلمه الى نائب الحاكم فجاء به رسول الفضل وأنزله الفضل فى خيمة وحمله الى مصر فطيف به على جمل لابساطرطورا وخلفه قرد يصفعه ثم حمل الى ظاهر القاهرة ليقتل فمات قبل وصوله وقطع رأسه وصلب وبالغ الحاكم فى اكرام الفضل ورفع مرتبته ثم قتله بعد ذلك وكان ظفر الحاكم بابى ركوة سنة سبع وتسعين

(بقية أخبار الحاكم)

كان الحسن بن عمار زعيم كتامة مدبر دولته كما ذكرناه وكان برجوان خادمه وكافله وكان بين الموالى والكتاميين فى الدولة منافسة وكان كثيرا ما يفضى الى القتال واقتتلوا سنة سبع وثمانين وأركب المغاربة ابن عمار والموالى برجوان وكانت بينهم حروب شديدة ثم تحاجزوا واعتزل ابن عمار الامور وتخلى بداره عن رسومه وجراياته وتقدم برجوان بتدبير الدولة وكان كاتب بن فهر بن ابراهيم يربع وينظر فى الظلامات ويطالعه وولى على برقة يانس صاحب الشرطة مكان صندل ثم قتل برجوان سنة تسع وثمانين ورجع التدبير الى القائد أبى عبد الله الحسين بن جوهر وبقى ابن فهر على حاله وفى سنة تسعين انقطعت طرابلس عن منصور بن بلكين بن زيرى صاحب افريقية وولى عليها يانس العزيزى من موالى العزيز وصل اليها وأمكنه عامل المنصور منها وهو عصولة بن بكار وجاء الى الحاكم بأهله وولده وماله وأطلق يد يانس على مخلفه بطرابلس يقال كان له من الولد نيف وستون بين ذكر وأنثى ومن السرارى خمس وثلاثون فتلقى بالمبرة وهيئ له القصور ورتب له الجراية وقلده دمشق وأعمالها فهلك بها السنة من ولايته وفى سنة ثنتين وتسعين وصل الصريخ من جهة فلفول بن خزرون المغراوى فى ارتجاع طرابلس الى منصور بن بلكين فجهزت العساكر مع يحيى بن على الاندلسى الذى كان جعفر أخوه عامل الزاب للعبيديين ونزع الى بنى أمية وراء البحر ولم يزل هو وأخوه فى نصر يفهم الى أن قتل المنصور بن أبى عامر جعفرا منهما ونزع أخوه يحيى الى العزيز بمصر فنزل عليه وتصرف فى خدمته وبعثه الآن الحاكم فى العساكر لما قدمناه فاعترضه بنو قرة ببرقة ففضوا جموعه ورجع الى مصر وسار يانس من برقة الى طرابلس فكان من شأنه مع عصولة ما ذكرناه وبعد وفاة عصولة ولى على دمشق مفلح الخادم وبعده على ابن فلاح سنة ثمان وتسعين وبعد مسير يانس ولى على برقة صندل الاسود وفى سنة ثمان وتسعين عزل الحسين بن جوهر القائد وقام بتدبير الدولة صالح بن على بن صالح الروباذى ثم نكب حسين القائد بعد ذلك وقتل ثم قتل صالح بعد ذلك وقام بتدبير الدولة الكاف بن نصر بن عبدون وبعده زرعة بن عيسى بن نسطورس ثم أبو عبد الله الحسن

ابن طاهر الوزان وكثر عيث الحاكم فى أهل دولته وقتله اياهم مثل الجرجراى وقطعه أيديهم حتى ان كثيرا منهم كانوا يهربون من سطوته وآخرون يطلبون الامان فيكتب لهم به السجلات وكان حاله مضطربا فى الجور والعدل والاخافة والامن والنسك والبدعة وأما ما يرمى به من الكفر وصدور السجلات باسقاط الصلوات فغير صحيح ولا يقوله ذو عقل ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته وأما مذهبه فى الرافضة فمعروف ولقد كان مضطربا فيه مع ذلك فكان يأذن فى صلاة التراويح ثم ينهى عنها وكان يرى بعلم النجوم ويؤثره وينقل عنه أنه منع النساء من التصرف فى الاسواق ومنع من أكل الملوخيا ورفع اليه ان جماعة من الروافض تعرضوا لاهل السنة فى التراويح بالرجم وفى الجنائز فكتب فى ذلك سجلا قرئ على المنبر بمصر كان فيه أما بعد فان أمير المؤمنين يتلو عليكم آية من كتاب الله المبين لا اكراه فى الدين الآية مضى أمس بما فيه وأتى اليوم بما يقتضيه معاشر المسلمين نحن الائمة وأنتم الامة

هكذا بياض فى الاصل

من شهد الشهادتين ولا يحل عروة بين اثنين تجمعها هذه الاخوة عصم الله بها من عصم وحرم لها ما حرم من كل محرم من دم ومال ومنكح الصلاح والاصلح بين الناس أصلح والفساد والافساد من العباد يستقبح يطوى ما كان فيما مضى فلا ينشر ويعرض عما انقضى فلا يذكر ولا يقبل على ما مر وأدبر من اجراء الامور على ما كانت عليه فى الايام الخالية أيام آبائنا الائمة المهتدين سلام الله عليهم أجمعين مهديهم بالله وقائمهم بأمر الله ومنصورهم بالله ومعزهم لدين الله وهو اذ ذاك بالمهدية والمنصورية وأحوال القيروان تجرى فيها ظاهرة غير خفية ليست بمستورة عنهم ولا مطوية يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون صلاة الخمس للدين بها جاءهم فيها يصلون وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التكبير عليها المربعون يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ولا يؤذى من بها لا يؤذنون لا يسب أحد من السلف ولا يحتسب على الواصف فيهم بما يوصف والخالف فيهم بما خلف لكل مسلم مجتهد فى دينه اجتهاده والى الله ربه ميعاده عنده كتابه وعليه حسابه ليكن عباد الله على مثل هذا عملكم منذ اليوم لا يستعلى مسلم على مسلم بما اعتقده ولا يعترض معترض على صاحبه فيما اعتمده من جميع ما نصه أمير المؤمنين فى سجله هذا وبعده قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم

نعملون

تعملون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب فى رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة

(وفاة الحاكم وولاية الظاهر)

ثم توفى الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بن نزار قتيلا ببركة الحبش بمصر وكان يركب الحمار ويطوف بالليل ويخلو بدار فى جبل المقطم للعبادة ويقال لاستنزال روحانية الكواكب فصعد ليلة من ليالى لثلاث بقين من شوال سنة

بياض بالأصل

احدى عشرة ركب على عادته ومشى معه راكبان فردهما واحدا بعد آخر فى تصاريف أموره ثم افتقد ولم يرجع وأقاموا أياما فى انتظاره ثم خرج مظفر الصقلى والقاضى وبعض الخواص الى الجبل فوجدوا حماره مقطوع اليدين واتبعوا أثره الى بركة الحبش فوجدوا ثيابه مزررة وفيها عدة ضربات بالسكاكين فأيقنوا بقتله ويقال ان أخته بلغه أن الرجال يتناوبون بها فتوعدها فأرسلت الى ابن دواس من قواد كتامة وكان يخاف الحاكم فأغرته بقتله وهونته عليه لما يرميه به الناس من سوء العقيدة فقد يهلك الناس ونهلك معه ووعدته بالمنزلة والاقطاع فبعث اليه رجلين فقتلاه فى خلوته ولما أيقنوا بقتله اجتمعوا الى أخته ست الملك فأحضرت على بن دواس وأجلس على بن الحاكم صبيا لم يناهز الحلم وبايع له الناس ولقب الظاهر لاعزاز دين الله ونفذت الكتب الى البلاد بأخذ البيعة له ثم حضر ابن دواس من الغد وحضر معه القواد فأمرت ست الملك خادمها فعلاه بالسيف أمامهم حتى قتله وهو ينادى بثار الحاكم فلم يختلف فيه اثنان وقامت بتدبير الدولة أربع سنين ثم ماتت وقام بتدبير الدولة الخادم معضاد وتافر بن الوزان وولى وزارته أبو القاسم على بن أحمد الجرجراى وكان متغلبا على دولته وانتقض الشأم خلال ذلك وتغلب صالح بن مرداس من بنى كلاب على حلب وعاث بنو الجراح فى نواحيه فبعث الظاهر سنة عشرين قائده الزبرى والى فلسطين فى العساكر وأوقع بصالح بن الجراح وقتل صالح وابنه وملك دمشق وملك حلب من يد شبل الدولة نصر بن صالح وقتله وكان بينه وبين بنى الجراح قبل ذلك وهو بفلسطين حروب حتى هرب من الرملة الى قيسارية فاعتصم بها وأخرب ابن الجراح الرملة وأحرقها وبعث السرايا فانتهت الى العريش وخشى أهل بلبيس وأهل القرافة على أنفسهم فانتقلوا الى مصر وزحف صالح بن مرداس فى جموع العرب لحصار دمشق وعليها يومئذ ذو القرنين ناصر الدولة بن الحسين وبعث حسان ابن الجراح اليهم بالمدد ثم صالحوا صالح بن مرداس وانتقل الى حصار حلب وملكها من يد شعبان الكتامى وجردت العساكر من الشام مع الوزيرى وكان ما تقدم وملك دمشق وأقام بها

(وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر)

ثم توفى الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على ابن الحاكم منتصف شعبان سنة سبع وعشرين لست عشرة سنة من خلافته فولى ابنه أبو تميم معد ولقب المستنصر بأمر الله وقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم على بن أحمد الجرجراى وكان بدمشق الوزيرى واسمه أنوش تكين وكانت البلاد صلحت على يديه لعدله ورفقه وضبطه وكان الوزير الجرجراى يحسده ويبغضه وكتب اليه بابعاد كاتبه أبى سعيد فأنفذ اليه أنه يحمل الوزيرى على الانتقاض فلم يجب الوزيرى الى ذلك واستوحش وجاء جماعة من الجند الى مصر فى بعض حاجاتهم فداخلهم الجرجراى فى التوثب به ودس معهم بذلك الى بقية الجند بدمشق فتعللوا عليه فخرج الى بعلبك سنة ثلاث وثلاثين فمنعه عاملها من الدخول فسار الى حماة فمنع أيضا فقوتل وهو خلال ذلك ينهب فاستدعى بعض أوليائه من كفرطاب فوصل اليه فى ألفى رجل وسار الى حلب فدخلها وتوفى بها فى جمادى الآخرة من السنة وفسد بعده أمر الشأم وطمع العرب فى نواحيه وولى الجرجراى على دمشق الحسين بن حمدان فكان قصارى أمره منع الشأم وملك حسان بن مفرج فلسطين وزحف معز الدولة ابن صالح الكلابى الى حلب فملك المدينة وامتنع عليه أصحاب القلعة وبعثوا الى مصر للنجدة فلم ينجدهم فسلموا القلعة لمعز الدولة ابن صالح فملكها

(مسير العرب الى افريقية)

كان المعز بن باديس قد انتقض دعوة العبيديين بافريقية وخطب للقائم العباسى وقطع الخطبة للمستنصر العلوى سنة أربعين وأربعمائة فكتب اليه المستنصر يتهدده ثم انه استوزر الحسين بن على التازورى بعد الجرجراى ولم يكن فى رتبته فخاطبه المعز دون ما كان يخاطب من قبله كان يقول فى كتابه اليهم عبده ويقول فى كتاب التازورى صنيعته فحقد ذلك وأغرى به المستنصر وأصلح بين زغبة ورياح من بطون هلال وبعثهم الى افريقية وملكهم كل ما يفتحونه وبعث الى المعز أما بعد فقد أرسلنا اليك خيولا وحملنا عليها رجالا فحولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا فساروا الى برقة فوجدوها خالية لان المعز كان أباد أهلها من زناتة فاستوطن العرب برقة واحتقر المعز شأنهم واشترى العبيد واستكثر منهم حتى اجتمع له منهم ثلاثون ألفا وزحف بنو زغبة الى طرابلس فملكوها سنة ست وأربعين وجازت رياح الاثبج وبنو عدى الى افريقية فاضرموها نارا ثم سار أمراؤهم الى المعز وكبيرهم مؤنس بن يحيى من بنى مرداس

من زياد فأكرمهم المعز وأجزل لهم عطاياه فلم يغن شيأ وخرجوا الى ما كانوا عليه من الفساد ونزل بافريقية بلاء لم ينزل بها مثله فخرج اليهم المعز فى جموعه من صنهاجة والسودان نحو من ثلاثين ألفا والعرب فى ثلاثة آلاف فهزموه وأثخنوا فى صنهاجة بالقتل واستباحوهم ودخل المعز القيروان مهزوما ثم بيتهم يوم النحر وهم فى الصلاة فهزموه أعظم من الاولى ثم سار اليهم بعد أن احتشد زناتة معه فانهزم ثالثة وقتل من عسكره نحو من ثلاثة آلاف ونزل العرب بمصلى القيروان ووالوا عليهم الهزائم وقتلت منهم أمم ثم أباح لهم المعز دخول القيروان للميرة فاستطالت عليهم العامة فقتلوا منهم خلقا وأدار المعز السور على القيروان سنة ست وأربعين ثم ملك مؤنس بن يحيى مدينة باجة سنة ست وأربعين وأمر المعز أهل القيروان بالانتقال الى المهدية للتحصن بها وولى عليها ابنه تميما سنة خمس وأربعين ثم انتقل اليها سنة تسع وأربعين وانطلقت أيدى العرب على القيروان بالنهب والتخريب وعلى سائر الحصون والقرى كما نذكر فى أخبارهم ثم كانت الخطبة للمستنصر ببغداد على يد البساسيرى من مماليك بنى بويه عند انقراض دولتهم واستيلاء السلجوقية كما نذكره فى أخبارهم

(مقتل ناصر الدولة ابن حمدان بمصر)

كانت أم المستنصر متغلبة على دولته وكانت تصطنع الوزراء وتوليهم وكانوا يتخذون الموالى من الاتراك للتغلب على الدولة فمن استوحشت منه أغرت به المستنصر فقتله فاستوزرت أولا أبا الفتح الفلاحى ثم استوحشت منه فقبض عليه المستنصر وقتله ووزر بعده أبا البركات حسن بن محمد وعزله ثم ولى الوزارة أبا محمد التازورى من قرية بالرملة تسمى تازور وقام بالدولة الى ان قتل ووزر بعده أبو عبد الله الحسين بن البابلى وكان فى الدولة من موالى السودان ناصر الدولة ابن حمدان واستمالوا معهم كتامة والمصامدة وخرج العبيد الى الضياع واجتمعوا فى خمسين ألف مقاتل وكان الاتراك ستة آلاف وشكوا الى المستنصر فلم يشكهم فخرجوا الى غرمائهم والتقوا بكوم الريش وأكمن الاتراك للعبيد ولقوهم فانهزموا وخرج كمينهم على العبيد وضربوا البوقات والكاسات فارتاب العبيد وظنوه المستنصر فانهزموا وقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا وفدى الاتراك وتغلبوا وعظم الافتراء فيهم فخلت الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقى العسكر من الشأم وغيره الى الصعيد واجتمعوا مع العبيد وكانوا خمسة عشر ألفا وساروا الى الجيزة فلقيهم الاتراك وعليهم ناصر الدولة بن حمدان فهزموهم الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك ظافرين واجتمع العبيد فى الصعيد وحضر الاتراك بدار المستنصر فأمرت أمه العبيد بالدار أن يفتكوا بمقدمى الاتراك ففعلوا

وهربوا الى ظاهر البلد ومعهم ناصر الدولة وقاتل أولياء المستنصر فهزمهم وملك الاسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منهما ومن سائر الريف للمستنصر وراسل الخليفة العباسى ببغداد وافترق الناس من القاهرة ثم صالح المستنصر ودخل القاهرة واستبد عليه وصادر أمه على خمسين ألف دينار وافترق عنه أولاده وكثير من أهله فى البلاد ودس المستنصر لقواد الاتراك بأنه يحول الدعوة فامتعضوا لذلك وقصدوه فى بيته وهو آمن منهم فلما خرج اليهم تناولوه بسيوفهم حتى قتلوه وجاؤا برأسه ومروا على أخيه فى بيته فقطعوا رأسه وأتوا بهما جميعا الى المستنصر وذلك سنة خمس وستين وولى عليهم الذكر منهم وقام بأمر الدولة

(استيلاء بدر الجمالى على الدولة)

أصل بدر هذا من الارمن من صنائع الدولة بمصر ومواليها وكان حاجبا لصاحب دمشق واستكفاه فيما وراء بابه ثم مات صاحب دمشق فقام بالامور الى أن وصل الامير على دمشق وهو ابن منير فسار هو الى مصر وترقى فى الولايات الى أن ولى عكا وظهر منه كفاية واضطلاع ولما وقع بالمستنصر ما وقع من استيلاء الترك عليه والفساد والتضييق استقدم بدر الجمالى لولاية الامور بالحضرة فاستأذن فى الاستكثار من الجند لقهر من تغلب من جند مصر فاذن له فى ذلك وركب البحر من عكا فى عشرة مراكب ومعه جند كثيف من الارمن وغيرهم فوصل الى مصر وحضر عند الخليفة فولاه ما وراء بابه وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق ولقبه بالسيد الاجل أمير الجيوش مثل والى دمشق وأضيف الى ذلك كافل قضاة المسلمين وداعى دعاة المؤمنين ورتب الوزارة وزاده سيفه ورد الامور كلها اليه ومنه الى الخليفة وعاهده الخليفة على ذلك وجعل اليه ولاية الدعاة والقضاة وكان مبالغا فى مذهب الامامية فقام بالامور واسترد ما كان تغلب عليه أهل النواحى مثل ابن عمار بطرابلس وابن معرف بعسقلان وبنى عقيل بصور ثم استرد من القواد والامراء بمصر جميع ما أخذوه أيام الفتنة من المستنصر من الاموال والامتعة وسار الى دمياط وقد تغلب عليها جماعة من المفسدين من العرب وغيرهم فاثخن فى لواتة بالقتل والنهب فى الرجال والنساء وسبى نساءهم وغنم خيولهم ثم سار الى جهينة ومعهم قوم من بنى جعفر فلقيهم على طرخ العليا سنة تسع وستين فهزمهم وأثخن فيهم وغنم أموالهم ثم سار الى أسوان وقد تغلب عليها كنز الدولة محمد فقتله وملكها وأحسن الى الرعايا ونظم حالهم وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين وعادت الدولة الى أحسن ما كانت عليه

بياض بالأصل

(وصول الغز الى الشأم واستيلاؤهم عليه وحصارهم مصر)

كان السلجوقية وعساكرهم من الغز قد استولوا فى هذا العصر على خراسان والعراقين وبغداد وملكهم طغرلبك وانتشرت عساكرهم فى سائر الاقطار وزحف اتسز بن افق من أمراء السلطان ملكشاه وسموه الشاميون أقسيس والصحيح هذا وهو اسم تركى هكذا قال ابن الاثير فزحف سنة ثلاث وثلاثين بل وستين ففتح الرملة ثم بيت المقدس وحصر دمشق وعاث فى نواحيها وبها المعلى بن حيدرة ولم يزل يوالى عليها البعوث الى سنة ثمان وستين وكثر عسف المعلى بأهلها مع ما هم فيه من شدة الحصار فثاروا به وهرب الى بلبيس ثم لحق بمصر فحبس الى أن مات ولما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى منهم ولقبوه وزير الدولة ثم اضطربوا بما هم فيه من الغلاء وجاء أمير من القدس فحاصرهم حتى نزلوا على أمانه وأنزل وزير الدولة بقلعة بانياس ودخل دمشق فى ذى القعدة وخطب فيها للمقتدى العباسى ثم سار الى مصر سنة تسع وستين فحاصرها وجمع بدر الجمالى العساكر من العرب وغيرهم وقاتله فهزمه وقتل أكثر أصحابه ورجع اتسز منهزما الى الشأم فأتى دمشق وقد صانوا مخلفه فشكرهم ورفع عنهم خراج سنة تسع وستين وجاء الى بيت المقدس فوجدهم قد عاثوا فى مخلفه وحصروا أهله وأصحابه فى مسجد داود عليه السلام فحاصرهم ودخل البلد عنوة وقتل أكثر أهله حتى قتل كثيرا فى المسجد الاقصى ثم جهز أمير الجيوش بدر الجمالى العساكر من مصر مع قائده نصير الدولة فحاصر دمشق وضيق عليها وكان ملك السلجوقية السلطان ملكشاه قد أقطع أخاه تتش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشأم وما يفتحه منها فزحف الى حلب وحاصرها وضيق عليها ومعه جموع كثيرة من التركمان فبعث اليه اتسز من دمشق يستصرخه فسار اليه وأجفلت عساكر مصر عن دمشق وخرج اتسز من دمشق للقائه فقتله وملك البلد وذلك سنة احدى وسبعين وملك ملكشاه بعد ذلك حلب واستولى السلجوقية على الشأم أجمع وزحف أمير الجيوش بدر الجمالى من مصر فى العساكر الى دمشق وبها تاج الدولة تتش فحاصره وضيق عليه وامتنع عليه ورجع وزحفت عساكر مصر سنة ثنتين وثمانين الى الشأم فاسترجعوا مدينة صور من يد أولاد القاضى عين الدولة بن أبى عقيل كان أبوهم قد انتزى عليها ثم فتحوا مدينة صيدا ثم مدينة جبيل وضبط أمير الجيوش البلاد وولى عليها العمال وفى سنة أربع وثمانين استولى الفرنج على جزيرة صقلية وكان أمير الجيوش قد ولى على مدينة صور منير الدولة الجيوشى من طائفته فانتقض سنة ست وثمانين وبعث اليه أمير الجيوش العساكر فثار به أهل المدينة واقتحمت عليهم العساكر وبعث منير الدولة الى مصر

فى جماعة من أصحابه فقتلوا كلهم ثم توفى أمير الجيوش بدر الجمالى سنة سبع وثمانين فى ربيع الاول لثمانين سنة من عمره وكان له موليان أمين الدولة لاويز ونصير الدولة أفتكين فحذرهم بانه يروم الاستبداد ورغبه فى ولد مولاه بدر فلما قضى بدر نحبه استدعى المستنصر لاويز ليقلده فانكر ذلك افتكين وركب فى الجند وشغبوا على المستنصر واقتحموا القصر وأسمعوه خشن الكلام فرجع الى ولاية ولد بدر وقدم للوزارة ابنه محمد الملك أبا القاسم شاه ولقبه بالافضل مثل لقب أبيه وكان أبو القاسم ابن المقرى رديفا لبدر فى وزارته بما كان اختصه لذلك فولى بعد موته الوزارة المقرى وكانت عندهم عبارة عن التوقيع بالقلم الغليظ وقام الافضل أبو القاسم بالدولة يجرى على سنن أبيه فى الاستبداد وكانت وفاة المستنصر قريبا من ولايته

(وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلى)

ثم توفى المستنصر معد بن الظاهر يوم التروية سنة سبع وثمانين لستين سنة من خلافته ويقال لخمس وستين بعد أن لقى أهوالا وشدائد وانفتقت عليه فتوق استهلك فيها أمواله وذخائره حتى لم يكن له الا بساطه الذى يجلس عليه وصار الى حد العزل والخلع حتى تدارك أمره باستقدام بدر الجمالى من عكا فتقوم أمره ومكنه فى خلافته ولما مات خلف من الولد أحمد ونزارا وأبا القاسم وكان المستنصر فيما يقال قد عهد لنزار وكانت بينه وبين أبى القاسم الافضل عداوة فخشى بادرته وداخل عمته فى ولاية أبى القاسم على أن تكون لها كفالة الدولة فشهدت بأن المستنصر عهد له بحضر القاضى والداعى فبويع ابن ست ولقب المستعلى بالله وأكره أخوه الاكبر على بيعته ففر الى الاسكندرية بعد ثلاث وبها نصير الدولة افتكين مولى بدر الجمالى الذى سعى للافضل فانتقض وبايع لنزار بعهده ولقب المصطفى لدين الله وسار الافضل بالعساكر وحاصرهم بالاسكندرية واستنزلهم على الامان وأعطاهم اليمين على ذلك واركب نزارا السفن الى القاهرة وقتل بالقصر وجاء الافضل ومعه افتكين أسيرا فاحضره يوما ووبخه فهم بالرد عليه فقتل بالضرب بالعصى وقال لا يتناول اليمين هذه القتلة ويقال ان الحسين ابن الصباح رئيس الاسماعيلية بالعراق قصد المستنصر فى زى تاجر وسأله اقامة الدعوة له ببلاد العجم فأذن له فى ذلك وقال له الحسن من أمامى بعدك فقال ابنى نزار فسار ابن الصباح ودعا الناس ببلاد العجم اليه سرا ثم أظهر أمره وملك القلاع هنالك مثل قلعة الموت وغيرها كما نذكره فى أخبار الاسماعيلية وهم من أجل هذا الخبر يقولون بامامة نزار ولما ولى المستعلى خرج ثغر عن طاعته وولى عليه والبه كشيلة وبعث المستعلى العساكر فحاصره ثم اقتحموا عليه وحملوه الى مصر فقتل بها سنة احدى

وتسعين

وتسعين وأربعمائة وكان تتش صاحب الشام قد مات واختلف بعده ابناه رضوان ودقاق وكان دقاق بدمشق ورضوان بحلب فخطب رضوان فى اعماله للمستعلى بالله أياما قلائل ثم عاود الخطبة للعباسيين

(استيلاء الفرنج على بيت المقدس)

كان بيت المقدس قد أقطعه تاج الدولة تتش للامير سليمان بن أرتق التركمانى وقارن ذلك استفحال الفرنج واستطالتهم على الشأم وخروجهم سنة تسعين وأربعمائة ومروا بالقسطنطينية وعبروا خليجها وخلى صاحب القسطنطينية سبيلهم ليحولوا بينه وبين صاحب الشأم من السلجوقية والغز فنازلوا أولا انطاكية فأخذوها من يد باغيسيان من قواد السلجوقية وخرج منهاها ربا فقتله بعض الارمن فى طريقه وجاء برأسه الى الفرنج بانطاكية وعظم الخطب على عساكر الشأم وسار كربوقا صاحب الموصل فنزل مرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تتش وسليمان بن أرتق وطغتكين اتابك صاحب حمص وصاحب سنجار وجمعوا من كان هنالك من الترك والعرب وبادروا الى انطاكية لثلاثة عشر يوما من حلول الفرنج بها وقد اجتمع ملوك الفرنج ومقدمهم بنيد وخرج الفرنج وتصافوا مع المسلمين فانهزم المسلمون وقتل الفرنج منهم الوفا واستولوا على معسكرهم وساروا الى معرة النعمان وحاصروها أياما وهربت حاميتها وقتلوا منها نحوا من مائة ألف وصالحهم ابن منقذ على بلده شيرز وحاصروا حمص فصالحهم عليها جناح الدولة ثم حاصروا عكة فامتنعت عليهم وادرك عساكر الغز من الوهن مالا يعبر عنه فطمع أهل مصر فيهم وسار الافضل بن بدر بالعساكر لاسترجاع بيت المقدس فحاصرها وبها سقمان وأبو الغازى ابنا أرتق وابن أخيهما ياقوتى وابن عمهما سوتج ونصبوا عليها نيفا وأربعين منجنيقا وأقاموا عليها نيفا وأربعين يوما ثم ملكوها بالامان فى سنة تسعين وأحسن الافضل الى سقمان وأبى الغازى ومن معهما وخلى سبيلهم فسار سقمان الى بلد الرها وأبو الغازى الى بلد العراق وولى الافضل على بيت المقدس ورجع الى مصر ثم سارت الفرنج الى بيت المقدس وحاصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه برجين ثم اقتحموها من الجانب الشمالى لسبع بقين من شعبان واستباحوها أسبوعا ولجأ المسلمون الى محراب داود عليه السلام واعتصموا به الى أن استنزلهم الفرنج بالامان وخرجوا الى عسقلان وقتل بالمسجد عند الشجرة سبعون ألفا وأخذوا من المسجد نيفا وأربعين قنديلا من الفضة بزنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة وتنورا من الفضة بزنة أربعين رطلا بالشامى ومائة وخمسين قنديلا من الصفر وغير ذلك

مما لا يحصى وأجفل أهل بيت المقدس وغيرهم من أهل الشأم الى بغداد باكين على ما أصاب الاسلام ببيت المقدس من القتل والسبى والنهب وبعث الخليفة أعيان العلماء الى السلطان بركيارق واخوته محمد وسنجر بالمسير الى الجهاد فلم يتمكنوا من ذلك للخلاف الذى كان بينهم ورجع الوفد مؤيسين من نصرهم وجمع الافضل أمير الجيوش بمصر العساكر وسار الى الفرنج فساروا اليهم وكبسوهم على غير أهبة فهزموهم وافترق عسكر مصر وقد لاذوا بجم الشعراء هنالك فاضرموها عليهم نارا فاحترقوا وقتل من ظهر ورجع الفرنج الى عسقلان فحاصروها حتى أنزلوا لهم عشرين ألف دينار فارتحلوا

(وفاة المستعلى وولاية ابنه الآمر)

ثم توفى المستعلى أبو القاسم أحمد بن المستنصر منتصف صفر سنة خمس وتسعين لسبع سنين من خلافته فبويع ابنه أبو على بن خمس سنين ولقب الآمر بأحكام الله ولم يل الخلافة فيهم أصغر منه وسن المستنصر فكان هذا لا يقدر على ركوب الفرس وحده

(هزيمة الفرنج لعساكر مصر)

ثم بعث الافضل أمير الجيوش بمصر العساكر لقتال الفرنج مع سعد الدولة الفراسى أميرا مملوك أبيه فلقى الفرنج بين الرملة ويافا ومقدمهم بغدوين فقاتلهم وانهزم وقتل واستولى الفرنج على معسكره فبعث الافضل ابنه شرف المعالى فى العساكر فبارزوهم قرب الرملة وهزمهم واختفى بغدوين فى الشجر ونجا الى الرملة مع جماعة من زعماء الفرنج فحاصرهم شرف المعالى خمسة عشر يوما حتى أخذهم فقتل منهم أربعمائة صبرا وبعث ثلثمائة الى مصر ونجى بغدوين الى يافا ووصل فى البحر جموع من الفرنج للزيارة فندبهم بغدوين للغزو وسار بهم الى عسقلان فهرب شرف المعالى وعاد الى أبيه وملك الفرنج عسقلان وبعث العساكر فى البر مع تاج العجم مولى أبيه الى عسقلان وبعث الاسطول فى البحر الى يافا مع القاضى ابن قادوس فبلغ الى يافا واستدعى تاج العجم وحبسه وبعث جمال الملك من مواليه الى عسقلان مقدم العساكر الشامية ثم بعث الافضل سنة ثمان وتسعين ابنه سنا الملك حسين وأمر جمال الملك بالسير معه لقتال الفرنج فساروا فى خمسة آلاف واستمدوا طغتكين أتابك دمشق فأمدهم بألف وثلثمائة ولقوا الفرنج بين عسقلان ويافا فتفانوا بالقتل وتحاجزوا وافترق المسلمون الى عسقلان ودمشق وكان مع الفرنج بكتاش بن تتش عدل عنه طغتكين بالملك الى بنى أخيه دقاق بن تتش فلحق بالافرنج مغاضبا

(استيلاء الفرنج على طرابلس وبيروت)

كانت طرابلس رجعت الى صاحب مصر وكان يحاصرها من الفرنج ابن المردانى صاحب صيجيل والمدد يأتيهم من مصر فلما كانت سنة ثلاث وخمسين وصل اسطول من الفرنج مع ويمتدين صيجيل من قامصتهم فنزل على طرابلس وتشاجر مع المردانى فبادر بقدوين صاحب القدس وأصلح بينهم ونزلوا جميعا على طرابلس وألصقوا أبراجهم بسورها وتأخرت الميرة عنهم من مصر فى البحر لركود البحر فاقتحمها الفرنج عنوة ثانى الاضحى من سنة ثلاث وخمسين وقتلوا ونهبوا وأسروا وغنموا وكان واليها قد استأمن قبل فتحها فى جماعة من الجند فلحقوا بدمشق ووصل الاسطول بالمدد وكفاية سنة من الاقوات بعد فتحها ففرقوه فى صور وصيدا وبيروت واستولى الفرنج على معظم سواحل الشأم وانما خصصنا هذه بالذكر فى الدولة العلوية لانها كانت من أعمالهم وسنذكر البقية فى أخبار الفرنج ان شاء الله تعالى

(استرجاع أهل مصر بعسقلان)

كان الامير قد استولى عسقلان من قواد شمس الخلافة فداخل بقدوين صاحب بيت المقدس من الفرنج وهاداه ليمتنع به على أهل مصر وجهز أمير الجيوش عسكرا من مصر للقبض عليه اذا حضر وشعر بذلك وانتقض وأخرج من عنده من أهل مصر وخاف الافضل أن يسلم عسقلان الى الفرنج فاقره على عمله وارتاب شمس الخلافة باهل عسقلان واتخذ بطانة من الارمن فاستوحش أهل البلد فثاروا به وقتلوه وبعثوا الى الآمر والافضل بذلك فارسل اليهم الوالى من مصر وأحسن اليهم واستقامت أحوالهم وحاصر بقدوين بعد ذلك مدينة صور وفيها عساكر الارمن واشتد فى حصارها بكل نوع وكان بها عز الملك الاعز من أولياء الامر فاستمد طغتكين أتابك دمشق فامده بنفسه وطال الحصار وحضر أوان الغلال فخشى الفرنج أن يفسد طغتكين غلال بلدهم فافرجوا عنها الى عكا وكفى الله شرهم ثم زحف بقدوين ملك الفرنج من القدس الى مصر وبلغ سنتين وسبح فى النيل فانتقض عليه جرح كان به وعاد الى القدس ومات وعهد بملك القدس للقمص صاحب الرها ولولا ما نزل بملوك السلجوقية من الفتنة لكانوا قد استرجعوا من الفرنج جميع ما ملكوه من الشأم ولكن الله خبأ ذلك لصلاح الدين ابن أيوب حتى فاز بذكره

(مقتل الافضل)

قد تقدمنا أن الآمر ولاه الافضل صغيرا ابن خمس فلما استجمع واشتد تنكر للافضل

وثقلت وطأته عليه فانتقل الافضل الى مصر و بنى بها دارا ونزلها وخطب منه الافضل
ابنته فزوجها على كره منه وشاور الآمر أصحابه فى قتله فقال له ابن عمه عبد المجيد وكان
ولى عهده لا تفعل وحذره سوء الاحدوثة لما اشتهر بين الناس من نصحه ونصح أبيه
وحسن ولايتهما للدولة ولا بد من اقامة غيره والاعتماد عليه فيتعرض للعذر من مثلها
الى الامتناع منه ثم أشار عليه من مداخلة ثقته أبى عبد الله بن البطائحى فى مثل ذلك
فانه يحسن تدبيره ويضع عليه من يغتاله ويقتل به فيسلم عرضك وكان ابن البطائحى فراشا
بالقصر واستخلصه الافضل ورقاه واستحجبه فاستدعاه الآمر وداخله فى ذلك ووعده
بمكانه فوضع عليه رجلان فقتلاه بمصر وهو سائر فى موكبه من القاهرة منقلبا من خزانة
السلاح فى سنة خمس عشرة وخمسمائة كان يفرق السلاح على العادة فى الاعياد
وثار الغبار فى طريقه فانفرد عن الموكب فبدره الرجلان وطعناه فسقط وقتلا وحمل
الى داره وبه رمق فجاءه الآمر متوجعا وسأله عن ماله فقال أمّا الظاهر فأبو الحسن
ابن أبى اسامة يعرفه وكان أبوه قاضيا بالقاهرة وأصله من حلب وأمّا الباطن
فان البطائحى يعرفه ثم قضى الافضل نحبه لثمان وعشرين سنة من وزارته واحتاط
الآمر على داره فوجد له ستة آلاف كيس من الذهب العين وخمسين أردبا من الورق
ومن الديباج الملون والمتاع البغدادى والاسكندرى وظرف الهند وأنواع الطيوب
والعنبر والمسك ما لا يحصى حتى لقد كان من ذخائره دكة عاج وأبنوس محلاة بالفضة
عليها عرم مثمن من العنبر زنته ألف رطل وعلى العرم مثل طائر من الذهب برجلين
مرجانا ومنقار زمرذا وعينان ياقوتتان كان ينصبها فى بيته ويضوع عرفها فيعم القصر
وصارت الى صلاح الدين

(ولاية ابن البطائحى)

قال ابن الاثير كان أبوه من جواسيس الافضل بالعراق ومات ولم يخلف شيأ ثم ماتت أمه
وتركته معلقا فتعلم البناء أولا ثم صار يحمل الامتعة بالاسواق ويدخل بها على الافضل
فخف عليه واستخدمه مع الفراشين وتقدم عنده واستحجبه ولما قتل الافضل ولاه الآمر
مكانه وكان يعرف بابن فاتك وابن القائد فدعاه الآمر جلال الاسلام ثم خلع عليه بعد
سنتين من ولايته للوزارة ولقبه المأمون فجرى على سنن الافضل فى الاستبداد ونكر
ذلك الامر وتنكر له واستوحش المأمون وكان له أخ يلقب المؤتمن فاستاذن الآمر
فى بعثه الى الاسكندرية لحمايتها ليكون له ردأ هنالك فأذن له وسار معه القواد وفيهم على
ابن السلار وتاج الملوك قايمن وسنا الملك الجمل ودرى الحروب وأمثالهم وأقام
المأمون على استيحاش من الآمر وكثرت السعاية فيه وأنه يدعى انه ولد نزار من جارية

خرجت من القصر حاملا به وأنه بعث ابن نجيب الدولة الى اليمن يدعو له فبعث الآمر
الى اليمن فى استكشاف ذلك

(مقتل البطائحى)

ولما كثرت السعاية فيه عند الآمر وتوغر صدره عليه كتب الى القواد الذين كانوا مع
أخيه بثغر الاسكندرية بالوصول الى دار الخلافة فهم لذلك على بن
بياض بالأصل
سلار فحضروا واستأذن المؤتمن بعدهم فى الوصول فأذن له وحضر رمضان من سنة
تسع عشرة فجاؤا الى القصر للافطار على العادة ودخل المأمون والمؤتمن فقبض عليهما
وحبسهما داخل القصر وجلس الآمر من الغد فى ايوانه وقرأ عليه وعلى الناس كتابا
بتعديد ذنوبهم وترك الآمر رتبة الوزارة خلوا وأقام رجلين من أصحاب الدواوين
يستخرجان الاموال من الخراج والزكاة والمكس ثم عزلهما لظلمهما ثم حضر الرسول
الذى بعثه الى اليمن ليكشف خبر المأمون وحضر ابن نجيب وداعيته فقتل وقتل
المأمون وأخوه المؤتمن

(مقتل الآمر وخلافة الحافظ)

كان الآمر مؤثرا للذاته طموحا الى المعالى وقاعدا عنها وكان يحدث نفسه بالنهوض
الى العراق فى كل وقت ثم يقصر عنه وكان يقرض الشعر قليلا ومن قوله

أصبحت لا أرجو ولا ألتقى * الا الهى وله الفضل
جدى نبى وامامى أبى * ومذهبى التوحيد والعدل

وكانت الفداوية تحاول على قتله فيتحرز منهم واتفق أن عشرة منهم اجتمعوا فى بيت
وركب بعض الايام الى الروضة ومر على الجسر بين الجزيرة ومصر فسبقوه فوقفوا
فى طريقه فلما توسط الجسر انفرد عن الموكب لضيقه فوثبوا عليه وطعنوه وقتلوا لحينهم
ومات هو قبل الوصول الى منزله سنة أربع وعشرين وخمسمائة لتسع وعشرين سنة
ونصف من خلافته وكان قد استخلص مملوكين وهما برغش العادل وبرعوارد هزبر
الملوك وكان يؤثر العادل منهما فلما مات الآمر تحيلوا فى قيام المأمون عبد الحميد بالامر
وكان أقرب القرابة سنا وأبوه أبو القاسم بن المستضى عمه وقالوا ان الآمر أوصى
بأن فلانة حامل فدلته الرؤيا بأنها تلد ذكرا فهو الخليفة بعدى وكفالته لعبد الحميد
فاقاموه كافلا ولقبوه الحافظ لدين الله وذكروا من الوصية أن يكون هزبر الملوك وزيرا
والسعيد باس من موالى الافضل صاحب الباب وقرأوا السجل بذلك فى دار الخلافة

(ولاية أبى على بن الافضل الوزارة ومقتله)

ولما تقرر الامر على وزارة هزبر الملوك وخلع عليه أنكر ذلك الجند وتولى كبر ذلك رضوان بن ونحش كبيرهم وكان أبو على بن الافضل حاضرا بالقصر فحثه برغش العادل على الخروج حسدا لصاحبه وأوجد له السبيل الى ذلك فخرج وتعلق به الجند وقالوا هذا الوزير ابن الوزير وتنصل فلم يقبلوا وضربوا له خيمة بين القصرين وأحدقوا به وأغلقت أبواب القصر فتسوروه وولجوا من طيقانه واضطر الحافظ الى عزل هزبر الملك ثم قتله وولى أبو على أحمد بن الافضل الوزارة وجلس بدست أبيه ورد الناس أموال الوزارة المقضية واستبد على الحافظ ومنعه من التصرف ونقل الاموال من الذخائر والقصر الى داره وكان اماميا متشددا فاشار عليه الامامية باقامة الدعوة للقائم المنتظر وضرب الدراهم باسمه دون الدنانير ونقش عليها الله الصمد الامام محمد وهو الامام المنتظر وأسقط ذكر اسمعيل من الدعاء على المنابر وذكر الحافظ وأسقط من الاذان حى على خير العمل ونعت نفسه بنعوت أمر الخطباء بذكرها على المنابر وأراد قتل الحافظ بن قتله الآمر من اخوته فان الآمر أجحفهم عند نكبة الافضل وقتلهم فلم يقدر أبو على على قتله فخلعه واعتقله وركب بنفسه فى المواسم وخطب للقائم مموها فتنكر له أولياء الشيعة ومماليك الخلفاء وداخل يونس الجند من كتامة وغيرهم فى شأنه واتفقوا على قتله وترصد له قوم من الجند فاعترضوه خارج البلد وهو فى موكبه وهم يتلاعبون على الخيل ثم اعتمدوه فطعنوه وقتلوه وأخرجوا الحافظ من معتقله وجددوا له البيعة بالخلافة ونهب دار أبى على وركب الحافظ وحمل ما بقى فيها الى القصر واستوزر أبا الفتح يانسا الحافظى ولقبه أمير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور واستبد عليه فاستوحش كل منهما بصاحبه ويقال ان الحاكم وضع له سما فى المستراح هلك به وذلك آخر ذى الحجة سنة ست وعشرين

(قيام حسن بن الحافظ بأمر الدولة ومكره بأبيه ومهلكه)

ولما هلك يانس أراد الحافظ أن يخلى دست الوزارة ليستريح من التعب الذى عرض منهم للدولة وأجمع أن يفوض الامور الى ولده وفوض الى ابنه سليمان ومات لشهرين فأقام ابنه الآخر حسنا فحدثته نفسه بالخلافة وعزم على اعتقال أبيه وداخل الاجناد فى ذلك فاطاعوه واطلع أبوه على أمره ففتك بهم يقال انه قتل منهم فى ليلة أربعين وبعث أبوه خادما من القصر لقتاله فهزمه حسن وبقى الحافظ محجورا وفسد أمره وبعث حسن بهرام الارمنى لحشد الارمن ليستظهر بهم على الجند وثاروا بحسن وطلبوه من أبيه ووقفوا بين القصرين وجمعوا الحطب لاحراق القصر واستبشع الحافظ قتله بالحديد فامر طبيبه ابن فرقة عنه فى ذلك سنة تسع وعشرين

(وزارة بهرام ورضوان بعده)

ولما مات حسن بن الحافظ ورحل بهرام لحشد الارمن اجتمع الجند وكان بهرام كبيرهم راودوا الحافظ على وزارته فوافقهم وخلع عليه وفوض اليه الامور السلطانية واستثنى عليه الشرعية وتبعه تاج الدولة فتمكن فى الدولة واستعمل الارمن وأهانوا المسلمين وكان رضوان بن ولخيس صاحب الباب وهو الشجاع الكاتب من أولياء الدولة وكان ينكر على بهرام ويهزأ به فولاه بهرام الغربية ثم جمع رضوان وأتى الى القاهرة ففر بهرام وقصد قوص فى ألفين من الارمن ووجد أخاه قتيلا فلم يعرض لاهل قوص وباء بحق الخلافة وصعد الى اسوان فامتنعت عليه بكنز الدولة ثم بعث رضوان العساكر فى طلبه مع أخيه الاكبر وهو ابراهيم الاوحد فاستنزله على الامان له وللارمن الذين معه وجاء به فأنزله الحافظ فى القصر الى أن مات على دينه واستقر رضوان فى الوزارة ولقب بالافضل وكان سنيا وكان أخوه ابراهيم اماميا فأراد الاستبداد وأخذ فى تقديم معارفه سيفا وقلما وأسقط المكوس وعاقب من تصدى لها فتغير له الخليفة فأراد خلعه وشاور فى ذلك داعى الدعاة وفقهاء الامامية فلم يعينوه فى ذلك بشئ وفطن له الحافظ فدس خمسين فارسا ينادون فى الطرقات بالثورة عليه وينهضون باسم الحافظ فركب لوقته هاربا منتصف شوال سنة ثلاث وثلاثين ونهبت داره وركب الحافظ وسكن الناس ونقل ما فيها الى قصره وسار رضوان يريد الشأم ليستنجد الترك وكان فى جملته شاور وهو من مصطفيه وأرسل الحافظ الامير بن مصال ليرده على الامان فرجع وحبس فى القصر وقيل وصل الى سرخد فأكرمه صاحبها أمين الدولة كمشتكين وأقام عنده ثم رجع الى مصر سنة أربع وثلاثين فقاتلهم عند باب القصر وهزمهم ثم افترق عنه أصحابه وأرادوا العود الى الشأم فبعث عنه الحافظ بن مصال وحبسه بالقصر الى سنة ثلاث وأربعين فنقب الحبس وهرب الى الجيزة وجمع المغاربة وغيرهم ورجع الى القاهرة فقاتلهم عند جامع ابن طيلون وهزمهم ثم دخل القاهرة ونزل عند جامع الاقمر وأرسل الى الحافظ فى المال ليفرقه فبعث عشرين ألفا على عادتهم مع الوزير ثم استزاد عشرين وعشرين وفى خلال ذلك وضع الحافظ عليه جمعا كثيرا من السودان فحملوا عليه وقتلوه وجاؤا برأسه الى الحافظ واستمر الحافظ فى دولته مباشرا لاموره وأخلى رتبة الوزارة فلم يول أحدا بعده

(وفاة الحافظ وولاية ابنه الظافر)

ثم توفى الحافظ لدين الله عبد الحميد بن الامير أبى القاسم أحمد بن المستنصر سنة أربع

وأربعين لتسع عشرة سنة ونصف من خلافته وعن أبى العالية يقال بلغ عمره سبعا وسبعين سنة ولم يزل فى خلافته محجور الوزارة ولما مات ولى بعده ابنه أبو منصور اسمعيل بعهده اليه بذلك ولقب الظافر بأمر الله

(وزارة ابن مصال ثم ابن السلار)

كان الحافظ لما عهد لابنه الظافر أوصاه بوزارة ابن مصال فاستوزره أربعين يوما وكان على بن السلار واليا على الاسكندرية ومعه بلارة بنت عمه القاسم وابنه منها عباس وتزوجت بعده بابن السلار وشب عباس وتقدم عند الحافظ حتى ولى الغربية فلم يرض ابن السلار بوزارة ابن مصال واتفق مع عباس على عزله وبلغ الخبر الى ابن مصال فشكا الى الظافر فلم يشكه فقال ذووا الحروب ليس هنا من يقاتل ابن السلار فغضب الظافر ودس عليه من بنى على مصلحيه فخرج الى الصعيد وقدم ابن السلار الى القاهرة فاستوزره الظافر وهو منكر له ولقبه العادل وبعث العساكر مع العباس ربيبه فى اتباع ابن مصال فخرج فى طلبه وكان جماعة من لواتة السودان فتحصنوا من عباس فى جامع دلام فأحرقه عليهم وقتل ابن مصال وجاء برأسه وقام ابن سلار بالدولة وحفظ النواميس وشد من مذاهبه أهله وكان الخليفة مستوحشا منه منكرا له وهو مبالغ فى النصيحة والخدمة واستخدم الرجالة لحراسته فارتاب له صبيان الخاص من حاشية الخليفة فاعتزموا على قتله ونمى ذلك اليه فقبض على رؤسهم فحبسهم وقتل جماعة منهم وافترقوا ولم يقدر الظافر على انكار ذلك واحتفل ابن السلار بأمر عسقلان ومنعها من الفرنج وبعث اليها بالمدد كل حين من الاقوات والاسلحة فلم يغن ذلك عنها وملكها الفرنج وكان لذلك من الوهن على الدولة ما تحدث به الناس

ولما قتل العادل بن السلار صبيان الخاص تأكد نكر الخليفة له واشتد قلقه وكان عباس بن أبى الفتوح صديقا ملاطفا له فكان يسكنه ويهديه وكان لعباس ولد اسمه نصير استخصه الظافر واستدناه ويقال كان يهواه ففاوض العادل عباسا فى شأن ابنه عن مخالطة ابنه للظافر فلم ينته ابنه فنهى العادل جدته أن يدخل الى بيته فشق ذلك على نصير وعلى أبيه وتنكر للعادل وزحف الفرنج الى عسقلان فجهز العادل الجيوش والعساكر اليها مددا مع ما كان بذهابه وبعثهم مع عباس بن أبى الفتوح فارتاب لذلك وفاوض الظافر فى قتل العادل وحضر معهم مؤيد الدولة الامير أسامة بن منقذ أحد أمراء شيرز وكان   عند الظافر وصديقا للعباس فاستصوب ذلك وحث عليه وخرج عباس بالعساكر الى بلبيس وأوصى ابنه نصيرا بقتله فجاء فى جماعة الى بيت جدته والعادل نائم فدخل اليه وضربه فلم يجهز عليه وخرج الى أصحابه ثم دخلوا

بياض بالاصل

بياض بالاصل

جميعا

جميعا فقتلوه وجاؤا برأسه الى الظافر ورجع عباس من بلبيس بالعساكر فاستوزره الظافر وقام بالدولة وأحسن الى الناس وأيس أهل عسقلان من المدد فاسلموا أنفسهم وبلدهم بعد حصار طويل وكان ذلك كله سنة ثمان وأربعين

(مقتل الظافر وأخويه وولاية ابنه الفائز)

ولما وزر عباس للظافر وقام بالدولة كان ولده نصير من ندمان الظافر وكان يهواه كما تقدم وكان أسامة بن منقذ من خلصاء عباس وأصدقائه فقبح عليه سوء المقالة فى ابنه وأشار عليه بقتل الظافر فاستدعى ابنه نصيرا وقبح عليه فى شناعة الاحدوثة فيه بين الناس وأغراه باغتيال الظافر ليمحو عنه ما يتحدث به الناس فسأل نصير من الظافر أن يأتى الى بيته فى دعوة فركب من القصر اليه فقتله نصير ومن جاء معه ودفنهم فى داره وذلك فى محرم سنة تسع وأربعين وباكر   القصر ولم ير الظافر وسأل خدام القصر فأحسن العذر ورجع الى أخوى الظافر يوسف وجبريل فخبرهما بركوب الظافر الى دار نصير فقالا له خبر الوزير فلما جاء عباس من الغد اخبره بأنه ركب الى بيت نصير ابنه ولم يعد فاستشاط غيظا عليه ورماه بأنه داخل أخويه فى قتله ثم استدعاهما فقتلهما وقتل معهما ابنا هنالك لحسن بن الحافظ ثم أخرج ابنه أبا القاسم عيسى بن خمس سنين وحمله على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له بالخلافة ولقبه الفائز بالله ونقل عباس بسبب ذلك ما فى القصر من الاموال والذخائر ما لاحد له وعند خروجه بأخويه رأى القتلى فاضطرب وفزع وبقى سائر أيامه يعتاده الصرع

(وزارة الصالح بن رزيك)

ولما قتل الظافر وأخواه كما ذكرناه كتب النساء من القصر الى طلائع بن رزيك وكان واليا على الاشمونين والبهنسة وجاء الخبر بأن الناس اختلفوا على عباس بسبب ذلك فجمع وقصد القاهرة ولبس السواد حزنا ورفع على الرماح الشعور التى بعث بها النساء حزنا ولما عبر البحر خرج عباس وولده ودفعوا ما قدروا عليه من مال وسلاح من حاصل الدولة ومعهما صديقهما اسامة بن منقذ فاعترضهم الفرنج وقاتلوا فقتل عباس وأسر ولده ونجا أسامة الى الشأم ودخل طلائع القاهرة فى ربيع سنة تسع وخمسين وجاء الى القصر راجلا ثم مضى الى دار عباس ومعه الخادم الذى حضر لقتله فاستخرجه من التراب ودفنه عند آبائه وخلع الفائز عليه الوزارة ولقبه الصالح وكان اماميا كاتبا أديبا فقام بأمر الدولة وشرع فى جمع الاموال والنظر فى الولايات وكان الاوحد بن تميم من قرابة عباس واليا على تنيس وكان لما سمع بفعلة قريبه عباس جمع

بياض بالاصل

رزيك بضم الراء وتشديد الزاى المكسورة وسكون المثناة التحتية بعدها كاف قاله ابن خلكان اه

وقصد القاهرة فسبقه طلائع فلما استقل بالوزارة أعاده الى عمله بدمياط وتنيس ثم بعث فى فداء نصير بن عباس من الفرنج فجىء به وقتله وصلبه بباب زويلة ثم نظر فى المزاحمين من أهل الدولة ولم يكن أرفع رتبة من تاج الملوك قايماز وابن غالب فوضع عليهما الجند فطلبوهما فهربا ونهب دورهما وتتبع كبراء الامراء بمثل ذلك حتى خلا الجو ووضع الرقباء والحجاب على القصر وثقلت وطأته على الحرم ودبرت عمة الفائز فى قتل الصالح وفرقت الاموال فى ذلك ونمى الخبر اليه فجاء الى القصر وأمر الاستاذين والصقالبة بقتلها فقتلوها سرا وصار الفائز فى كفالة عمته الصغرى وعظم استبداد الفائز واستفحل أمره وأعطى الولايات للامراء واتخذ مجلسا لاهل الادب يسامرون فيه وكان يقرض الشعر ولا يجيده وولى شاور السعدى على قرضه وأشار عليه حجابه بصرفه واستقدمه فامتنع وقال ان عزلنى دخلت بلاد النوبة وعلى عهده كان استيلاء نور الدين محمود الملك العادل على دمشق من يد بنى طغتكين أتابك تتش سنة تسع وأربعين وخمسمائة

(وفاة الفائز وولاية العاضد)

ثم توفى الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى بن الظافر اسمعيل سنة خمس وخمسين لست سنين من خلافته فجاء الصالح بن رزيك الى القصر وطلب الخدام باحضار أبناء الخلفاء ليختار منهم وعدل عن كبرائهم الى صغرائهم لمكان استبداده فوقع اختياره على أبى محمد عبد الله بن يوسف قتيل عباس فبايع له بالخلافة وهو غلام ولقبه العاضد لدين الله وزوجه ابنته وجهزها بما لم يسمع بمثله

(مقتل الصالح بن رزيك وولاية ابنه رزيك)

ولما استفحل أمر الصالح وعظم استبداده بجباية الاموال والتصرف وحجر العاضد تنكر له الحرم ودس الى الامراء بقتله وتولت كبر ذلك عمة العاضد الصغرى التى كانت كافلة الفائز بعد أختها واجتمع قوم من القواد والسودان منهم الريفى الخادم وابن الداعى والامير بن قوام الدولة وكان صاحب الباب وتواطؤا على قتله ووقفوا فى دهليز القصر وأخرج ابن قوام الدولة الناس امامه وهو خارج من القصر واستوقفه عنبر الريفى يحادثه وتقدم ابنه رزيك فوثب عليه جماعة منهم وجرحوه وضرب ابن الداعى الصالح فأثبته وحمل الى داره فبقى يجود بنفسه يومه ذلك واذا أفاق يقول رحمك الله يا عباس ومات من الغد وبعث الى العاضد يعاتبه على ذلك فحلف على البراءة من ذلك ونسبه الى العمة وأحضر ابنه رزيك وولاه الوزارة مكان أبيه ولقبه

العادل فأذن له فى الاخذ بثاره فقتل العمة وابن قوام الدولة والاستاذ عنبر الريفى وقام بحمل الدولة وأشير عليه بصرف شاور من قوص وقد كان أبوه أوصاه بيقائه وقال له قد ندمت على ولايته ولم يمكنى عزله فصرفه وولى مكانه الامير بن الرفعة فاضطرب شاور وخرج الى طريق الواحات وجمع وقصد القاهرة وجاء الخبر الى رزيك فعجز عن لقائه وخرج فى جماعة من غلمانه بعدة أحمال من المال والثياب والجوهر وانتهى الى طفيحة واعترضه ابن النضر وقبض عليه وجاء به الى شاور فاعتقله واعتقل معه أخاه فأراد الهرب من محبسه فوشى به أخوه فقتل لسنة من ولايته ولتسع سنين من ولاية أبيه

(وزارة شاور ثم الضرغام من بعده)

ودخل شاور القاهرة سنة ثمان وخمسين ونزل بدار سعيد السعداء ومعه ولده طى وشجاع والطارى وولاه العاضد الوزارة ولقبه أمير الجيوش وأمكنه من أموال بنى رزيك فاستصفى معظمها وزاد أهل الرواتب والجرايات عشرة أمثالها واحتجب عن الناس وكان الصالح بن رزيك قد أنشأ فى لواقته أمراء يسمون البرقية وكان مقدمهم الضرغام وكان صاحب الباب فنازع شاورفى الوزارة لتسعة أشهر من ولايته وثار عليه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشأم وقتل ولده عليا وكثيرا من أمراء المصريين حتى ضعفت الدولة وخلت من الاعيان وأدى ذلك الى خرابها

(مسير شيركوه وعساكر نور الدين الى مصر مع شاور)

ولما لحق شاور الى الشأم نزل على الملك العادل نور الدين بدمشق صريخا وشرط له ثلث الجباية على أن يقيم له العساكر وجهز نور الدين شيركوه وكان مقدما فى دولته ويذكر سبب اتصاله به فى موضعه فساروا فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وقد تقدم نور الدين الى أسد الدين شيركوه بأن يعيد شاور الى وزارته وينتقم له ممن نازعه وسار نور الدين بعساكره الى طرف بلاد الفرنج ليمنعهم من اعتراض أسد الدين ان هموا به ولما وصل أسد الدين وشاور الى بلبيس لقيهم ناصر الدين همام وفخر الدين همام أخو الضرغام فى عساكر مصر فهزموه ورجع الى القاهرة وقتل رفقاؤه الامراء البرقية الذين أغروه بشاور ودخل أسد الدين القاهرة ومعه أخو الضرغام أسيرا وفر الضرغام فقتل بالجسر عند مشهد السيدة نفيسة وقتل أخواه وعاد شاور الى وزارته وتمكن منها ثم نكث عهده مع أسد الدين وسلطانه وصرفه الى الشأم

(فتنة أسد الدين مع شاور وحصاره)

ولما رجع أسد الدين من مصر الى الشأم أقام بها فى خدمة نور الدين ثم استأذن نور الدين العادل سنة ثنتين وستين فى العود الى مصر فأذن له وجهزه فى العساكر وسار الى مصر ونازل بلاد الفرنج فى طريقه ثم وصل الى اطفيح من ديار مصر وعبر النيل الى الجانب الغربى ونزل الجيزة وتصرف فى البلاد الغربية نيفا وخمسين واستمد شاور الفرنج وجاء بهم الى مصر وخرج معهم للقاء أسد الدين شيركوه فأدركوه بالصعيد فرجع للقائهم على رهب لكثرة عددهم وصدقهم القتال فهزمهم على قلة من معه فانهم لم يبلغوا ألفى فارس ثم سار الى الاسكندرية وهو يجبى الاموال فى طريقه الى أن وصلها فاستأمن أهلها وملكها وولى عليها صلاح الدين يوسف بن أخيه نجم الدين أيوب ورجع الى جباية الصعيد واجتمعت عساكر مصر والفرنج على القاهرة وأزاحوا عللهم وساروا الى الاسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار أسد الدين اليهم من الصعيد ثم خذله بعض من معه من التركمان بمداخلة شاور وبعثوا اليه اثر ذلك فى الصلح فصالحهم ورد اليهم الاسكندرية ورجع الى دمشق فدخلها آخر ذى القعدة من سنة ثنتين وستين واستطال الفرنج على أهل مصر وشرطوا عليهم أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وأن تكون أبوابها بأيديهم لئلا تدخل عساكر نور الدين وقرر ضريبة يحملها كل سنة فأجابه الى ذلك

(رجوع أسد الدين الى مصر ومقتل شاور ووزارته)

ثم طمع الافرنج فى مصر واستطالوا على أهلها وملكوا بلبيس واعتزموا على قصد القاهرة وأمر شاور بتخريب مصر خشية عليها منهم فحرقت ونهب أهلها ونزل الفرنج على القاهرة وأرسل العاضد الى نور الدين يستنجده وخشى شاور من اتفاق العاضد ونور الدين فداخل الفرنج فى الصلح على ألفى ألف دينار مصرية معجلة وعشرة آلاف أردب من الزرع وحذرهم أمر القهر الى ذلك وكان فيه السفير الجليس بن عبد القوى وكان الشيخ الموفق كاتب السر وكان العاضد قد أمرهم بالرجوع الى رأيه وقال هو رب الحرمة علينا وعلى آبائنا وأهل النصيحة لنا فأمر الكامل شجاع بن شاور القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى أن يأتيه ويشاوره فقال له قل لمولانا يعنى العاضد ان تقرير الجزية للفرنج خير من دخول الغز للبلاد واطلاعهم على الاحوال ثم بعث نور الدين العساكر مع أسد الدين شيركوه مددا للعاضد كما سأل وبعث معه صلاح الدين ابن أخيه وجماعة الامراء فلما سمع الفرنج بوصولهم أفرجوا عن القاهرة ورجعوا الى بلادهم وقال ابن الطويل مؤرخ دولة العبيديين انه هزمهم على القاهرة ونهب معسكرهم ودخل أسد الدين الى القاهرة فى جمادى سنة أربع وستين وخلع عليه

العاضد ورجع الى معسكره وفرضت له الجرايات وبقى شاور على ريبة وخوف وهو يماطله فيما يعين له من الاموال ودس العاضد الى أسد الدين بقتل شاور وقال هذا غلامنا ولا خير لك فى بقائه ولا لنا فبعث عليه صلاح الدين بن أخيه وعز الدين خرديك وجاء شاور الى أسد الدين على عادته فوجده عند قبر الامام الشافعى فسار اليه هنالك فاعترضه صلاح الدين وخرديك فقتلاه وبعثا برأسه الى العاضد ونهبت العامة دوره واعتقل ابناه شجاع والطازى وجماعة من أصحابه بالقصر وخلع عليه للوزارة ولقب المنصور أمير الجيوش وجلس فى دست الوزارة واستقر فى الامر وغلب على الدولة وأقطع البلاد لعساكره واستعمل أصحابه فى ولايتها ورد أهل مصر الى بلدهم وأنكر ما فعلوه فى تخريبها ثم اجتمع بالعاضد مرة أخرى وقال له جوهر الاستاذ يقول لك مولانا لقد تيقنا ان الله ادخرك نصرة لنا على أعدائنا فحلف له اسد الدين على النصيحة فقال له الامل فيك أعظم وخلع عليه وحسن عنده موقع الجليس بن عبد القوى وكان داعى الدعاة وقاضى القضاة فأبقاه على مراتبه

(وفاة أسد الدين وولاية صلاح الدين الوزارة)

ثم توفى أسد الدين رحمه الله تعالى لشهرين فى أيام قلائل من وزارته وقيل لاحد عشر شهرا وأوصى أصحابه أن لا يفارقوا القاهرة ولما توفى كان معه جماعة من الامراء النورية منهم عين الدولة الفاروقى وقطب الدين ينال وعين الدين المشطوب الهكاوى وشهاب الدين محمود الحارمى فتنازعوا فى طلب الرياسة وفى الوزارة وجمع كل أصحابه للمغالبة ومال العاضد الى صلاح الدين لصغره وضعفه عنهم ووافقه أهل دولته على ذلك بعد أن ذهب كثير منهم الى دفع الغز وعساكرهم الى الشرقية وبولى عليهم قراقوش ومال آخرون الى وزارة صلاح الدين ومال العاضد الى ذلك لمكافأته عن خدمته السالفة فاستدعاه وولاه الوزارة واضطرب أصحابه وكان الفقيه عيسى الهكارى من خلصاء صلاح الدين فاستمالهم اليه الا عين الدولة الفاروقى فانه سار الى الشأم وقام صلاح الدين بوزارة مصر نائبا عن نور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويشركه فى الكتاب مع كافة الامراء بالديار المصرية ثم استبد صلاح الدين بالامور وضعف أمر العاضد وهدم دار المعرفة بمصر وكانت حبسا وبناها مدرسة للشافعية وبنى دار الغزل كذلك للمالكية وعزل قضاة الشيعة وأقام قاضيا شافعيا فى مصر واستناب فى جميع البلاد

(حصار الفرنج دمياط)

ولما جاء أسد الدين وأصحابه الى مصر وملكوها ودفعوهم عنها ندموا على ما فرطوا فيها وانقطع عنهم ما كان يصل اليهم وخشوا غائلة الغز على بيت المقدس وكاتبوا الفرنج بصقلية والاندلس واستنجدوهم وجاءهم المدد من كل ناحية فنازلوا دمياط سنة خمس وستين وبها شمس الخواص منكورين فأمدها صلاح الدين بالعساكر والاموال مع بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز واستمد نور الدين واعتذر عن المسير اليها بشأن مصر والشيعة فبعث نور الدين العساكر اليها شيأ فشيأ وسار بنفسه الى بلاد الفرنج بسواحل الشأم فضيق عليها فأقلع الفرنج عن دمياط لخمسين يوما من نزولها فوجدوا بلادهم خرابا وأثنى العاضد على صلاح الدين فى ذلك ثم بعث صلاح الدين غرايه نجم الدين وأصحابه الى مصر وركب العاضد للقائه تكرمة له

(واقعة الخصيان وعمارة)

ولما استقام الامر لصلاح الدين بمصر غص به الشيعة وأولياؤهم واجتمع منهم العوريش وقاضى القضاة ابن كامل والامير المعروف والكاتب عبد الصمد وكان فصيحا وعمارة اليمنى الشاعر الزبيدى وكان متولى كبرها فاتفقوا على استدعاء الفرنج لاخراج الغز من مصر وجعلوا لهم نصيبا وافرا من ارتفاعها وعمدوا الى شيعى من خصيان القصر اسمه نجاح ولقبه مؤتمن الدولة وكان قد ربى العاضد وصهره فأغروه بذلك ورغبوا على أن يجمع رسول الفرنج بالعاضد فجمعه معه فى بيته ملبسا بذلك ولم يكن العاضد الذى حضر وأوهموا أنه عقد معه ثم اتصل الخبر بنجم الدين بن مضيال من أولياء الشيعة وكان نجم الدين قد اختصه صلاح الدين وولاه الاسكندرية واستغضبه بهاء الدين قراقوش ببعض النزغات فظنوا انه غضب فاطلعوه على شأنهم وأن يكون وزيرا وعمارة كاتب الدست وصاحب ديوان الانشاء والمكاتبات مكان الفاضل بن كامل قاضى القضاة داعى الدعاة وعبد الصمد جابى الاموال والعوريش ناظرا عليه فوافقهم ابن مضيال ووشى بهم الى صلاح الدين فقبض عليهم وعلى رسول الفرنج وقررهم فى عدة مجالس وأحضر زمام القصر وهو مختص العز وانكر عليه خروج العاضد الى بيت نجاح فحلف على نفسه وعلى العاضد ان هذا لم يقع وأخبر العاضد بطلب حضور نجاح مع مختص فحضر واعترف بالحق أن العاضد لم يحضر فتحقق صلاح الدين براءته وكان عمارة يجالس شمس الدولة تورانشاه فنقل لاخيه صلاح الدين انه امتدحه بقصيدة يغريه فيها بالمضى الى اليمن ويحمله على الاستبداد وانه تعرض فيها للجناب النبوى بما يوجب استباحة دمه وهو قوله

فاخلق لنفسك ملكا لا تضاف به * الى سواك وأور النار فى العلم

هذا ابن تومرت قد كانت ولايته * كما يقول الورى لحما على وضم
وكان أول هذا الدين من رجل * سعى الى أن دعوه سيد الامم

فجمعهم صلاح الدين وشنقهم فى يوم واحد بين القصرين وأخر ابن كامل عنهم عشرين يوما ثم شنقه ومر عمارة بباب القاضى الفاضل فطلب لقاءه فمنع فقال وهو سائر الى المشنقة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

وفى كتاب ابن الاثير ان صلاح الدين انما اطلع على أمرهم من كتابهم الذى كتبوه الى الفرنجة عثر على حامله وقرئ الكتاب وجئ به الى صلاح الدين فقتل مؤتمن الخلافة لقرينة وعزل جميع الخدام واستعمل على القصر بهاء الدين قراقوش وكان خصيا أبيض وغضب السودان لقتل مؤتمن الخلافة واجتمعوا فى خمسين ألفا وقاتلوا أجناد صلاح الدين بين القصرين وخالفهم الى بيوتهم فأضرمها نارا واحترق أموالهم وأولادهم فانهزموا وركبهم السيف ثم استأمنوا ونزلوا الجيزة وعبر اليهم شمس الدولة تورانشاه فاستلحمهم

(قطع الخطبة للعاضد وانقراض الدولة العلوية بمصر)

كان نور الدين العادل يوم استقل صلاح الدين بملك مصر وضعف أمر العاضد بها وتحكم فى قصره يخاطبه فى قطع دعوتهم من مصر والخطبة بها للمستضىء العباسى وهو يماطل بذلك حذرا من استيلاء نور الدين عليه ويعتذر بتوقع المخالفة من أهل مصر فى ذلك فلا يقبل ثم ألزمه ذلك فاستأذن فيه أصحابه فأشاروا به وأنه لا يمكن مخالفة نور الدين ووفد عليه من علماء العجم الفقيه الخبشانى وكان يدعى بالامير العالم فلما رأى احجامهم عن هذه الخطبة قال أنا أخطبها فلما كان أول جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستنصر فلم ينكر أحد عليه فأمر صلاح الدين فى الجمعة الثانية الخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا خطبة العاضد ويخطبوا للمستضىء ففعلوا وكتب بذلك الى سائر أعمال مصر وكان العاضد فى شدة من المرض فلم يعلمه أحد بذلك وتوفى فى عاشوراء من السنة وجلس صلاح الدين للعزاء فيه واحتوى على قصر الخلافة بما فيه فحمله بهاء الدين قراقوش اليه وكان فى خزائنهم من الذخيرة ما لم يسمع بمثله من أصناف الجواهر واليواقيت والزمرد وحلى الذهب وآنية الفضة والذهب ووجد ماعون القصر من الموائد والطسوت والاباريق والقدور والصحاف والخوان والبواقيل والمنابر والطيافر والقباقب والاسورة كل ذلك من الذهب ووجد من أنواع الطيوب واللباس والمذهبات والقرقبيات المعلقات والوشى ما لا تقله الاوقار ومن الكتب ما يناهز مائة وعشرين

بياض بالأصل

ألف سفر أعطاها للفاضل عبد الرحيم البيساني كاتبه وقاضيه ومن الظهر والكراع
والسلاح ومن الخدم والوصائف خمسين ألفا ومن المال ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ مائة بيت
(بياض بالأصل)
ثم حبس رجالهم ونساءهم حتى ماتوا وكانت بالدولة عند عهد العزيز والحاكم قد خلا
جوها من رجالات كتامة وتفرقوا في المشرق في سبيل ذلك الملك وانقرضوا بانقراض
أمر الشيعة وموت العاضد آخر خلفائهم وأكلتهم الاقطار والوقائع شأن الدول كما
ذكرناه من قبل ولما هلك العاضد وحول صلاح الدين الدعوة الى العباسية اجتمع قوم من
الشيعة بمصر وبايعوا الداود بن العاضد ونمى خبرهم الى صلاح الدين فقبض عليهم وقتلهم
وأخرج داود من القصر وذلك سنة تسع وستين وخمسمائة ثم خرج بعد حين ابنه
سليمان بن داود رضي الله تعالى عنه بالصعيد وحبس الى أن هلك وظهر بعد حين بجهة
فاس بالمغرب محمد بن عبد الله بن العاضد ودعا هنالك وتسمى بالمهدي فقتل وصلب
ولم يبق للعبيديين ذكر الا في بلاد الحشيشية من العراق وهم دعاة الفداوية وفي بلاد
الاسماعيلية التي كانت فيها دعوتهم بالعراق وقام بها ابن الصباح في قلعة الموت وغيرها
كما يذكر في أخبارهم الى أن انقرضت تلك الدعوة أجمع بانقطاع دعوة العباسيين
ببغداد على يد هولاكو من ولد جنكزخان ملوك التتر سنة خمس وخمسين وستمائة
والامر لله وحده هذه أخبار الفاطميين ملخصة من كتاب ابن الاثير ومن تاريخ دولتهم
لابن الطوير وقليل من ابن المسبحي جمعت ما أمكنني منها ملخصا والله ولي العون

(الخبر عن بني حمدون ملوك المسيلة والزاب بدعوة العبيديين ومآل أمرهم)

كان علي بن حمدون أبوهم من أهل الاندلس وهو علي بن حمدون بن سماك بن مسعود
ابن منصور الجذامي يعرف بابن الاندلسي واتصل بعبيد الله وأبي القاسم بالمشرق قبل
شأن الدعوة وبعثوه من طرابلس الى عبد الله الشيعي فأحسن اللقاء والانصراف
ولزمهم أيام اعتقالهم بسجلماسة فلما استفحل ملكهم جذبوا أبا ضبيعة ورقوه الى
الرتب ولما رجع أبو القاسم من حركته الى المغرب سنة خمس عشرة وثلثمائة واختط
مدينة المسيلة استعمل علي بن حمدون على بنائها وسماها المحمدية ولما تم بناؤها عقد له
على الزاب وأنزله بها وشحنها بالاقوات التي كانت ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور
لابي يزيد صاحب الحمار بجبل كتامة ولم يزل واليا على الزاب وربي ابنيه جعفرا ويحيي
بدار أبي القاسم وكان جعفر صبيرا للمعد المعز ولما كانت فتنة أبي يزيد وأضرمت افريقية
نارا وفتنة وأهاب القائم الاولياء من كل ناحية كتب الى ابن حمدون أن يحشد قبائل
البربر ويوافيه فنهض الى المهدية في عسكر ضخم بقسنطينة وهو يحتشد كل من مر به
في طريقه حتى وصل الى شق بنارية ثم قارب باجة وكان بها أيوب بن أبي يزيد في عسكر

كبير من النكارية والبربر فزحف اليهم وتناور الفريقان ثم بيته أيوب فاستباح
معسكره وتردى علي بن حمدون من بعض الشواهق فهلك سنة أربع وثلاثين وثلثمائة
ولما انقضت فتنة أبي يزيد عقد المنصور على المسيلة والزاب لجعفر بن علي بن حمدون
وأنزله بها وأخاه يحيي واستجدوا بها سلطانا ودولة وبنوا القصور والمتنزهات واستفحل
بها ملكهم وقصدهم بها العلماء والشعراء وكان فيمن قصدهم ابن هانئ شاعر الاندلس
وأمداحه فيهم معروفة مذكورة وكان بين جعفر هذا وبين زيري بن مناد عداوة
جرتها المنافسة والمساماة في الدولة فساء أثر زيري فيه عند صدمته للمغرب وفتكه
بزناتة وسعوا به الى الخليفة وألقح له في جوانحه العداوة فكانت داعيته الى زناتة
وتولى محمد بن خزر أمير مغراوة ثم ان المعز لما اعتزم على الرحيل الى القاهرة سنة ثنتين
وثلثمائة استقدم جعفرا فاسترابت جعفر ومال بعسكره الى زناتة قبل قدومه وانقطعت
الرسائل بينه وبين صنهاجة والخليفة المعز وشملت عليه زناتة قبل قدومه واجتمعوا
عليه ودعا الى نقض طاعة المعز والدعاء للحاكم المستنصر فوجدهم أقدم اجابة لها
وناهضهم زيري الحرب قبل استكمال التعبية فكانت عليه من أمراء زناتة فكبا بزيري
فرسه فطاح فقطعوا رأسه وبعثوا به مع جماعة من زناتة الى الحاكم المستنصر فكرم
الحاكم وفادتهم ونصب رأس زيري بسوق قرطبة وأسنى جوائز الوفد ورفع منزلة يحيي
ابن علي وأذن لجعفر في اللحاق بسدته ولما علمت زناتة أن يوسف بن زيري يطالبهم بدم
أبيه أظهروا العذر به ورأى أن تجنب ثقافهم الى ذات يده وعجز رؤساؤهم عن الذب
والدفاع عنها وقبض الايدي عن تناوله لدنو الفتنة ومراس العصبية فأوجس الخيفة
في نفسه وألطف الحيلة في الفرار رغبة بحلته وشحن السفن بجامعه من المال والمتاع
والرقيق والحشم وذخيرة السلطان وأجاز البحر ولحق بسدة الخلافة من قرطبة وأجاز
معه عظماء الزناتيين معطين الصفقة على القيام بدعوته والاحتطاب في حبل طاعته
فكرم مثواه وأجمل وفادتهم وأحسن منصرفهم وانقلبوا لخدمته والتشيع له
ومناغاة الادارسة ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ في خدمته بالمغرب الاقصى وبث دعوته وتخلف عنهم
(بياض بالأصل)
أولاد علي بن حمدون بالحضرة وأقاموا بسدة الخلافة ونظموا في طبقات الوزراء
وأجرت عليهم سنيات الارزاق والتحقوا على حديث عهدهم بالقوم من أولياء الدولة
ثم كان بعد ذلك شأن اعتقالهم على طريق التأديب لمرتكب من نازعهم خرقوا به
حدود الآداب مع الخلافة فاستدعوا الى القصر واعتقلوا ثم اطلقوا الايام قلائل
لما انغمس الحكم في علة الفالج وركدت ريح المروانية بالمغرب واحتاجت الدولة
الى رجالهم لسد الثغور ودفع العدو واستدعى يحيي بن محمد بن هاشم من العدوة وكان

والياعلى فاس والمغرب وأداله الحاجب المصحفى لجعفر بن على بن حمدون وجعوا بين
الاتقاع فى مقارعة زناتة بالعدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة عند
بياض بالأصل
الخلافة لما كانوا صاروا اليه من النكبة وطروق المحنة فعقدوا له ولاخيه يحيى على
المغرب وخلعوا عليهما وأمكنوهما من مال وكسا فاخرة للخلع على ملوك العدوة فنهض
جعفر الى المغرب سنة خمس وستين وضبطه واجتمع اليه ملوك زناتة من بنى يفرن
ومغراوة ومكناسة ولما هلك الحكم وولى هشام وقام بأمره المنصور بن أبى عامر
اقتصر لاول قيامه على سبتة من بلاد العدوة فضبطها بجند السلطان ورجال الدولة
وقلدها أرباب السيوف والاقلام من الاولياء والحاشية وعدل فى ضبطه على ما وراء
ذلك على ملوك زناتة وتفقدهم بالجوائز والخلع وصار الى اكرام وفودهم واثبات من
رغب الاثبات فى ديوان السلطان منهم فجدوا فى ولاية الدولة وبث الدعوة وفسد ما بين
هذين الاميرين جعفر وأخيه واقتطع يحيى مدينة البصرة لنفسه وذهب بأكثر
الرجال ثم كانت على جعفر النكبة التى نكبته بنو غواطة فى غزاته اياهم ثم استدعاه
بياض بالأصل
محمد بن أبى عامر لاول أمره لما رأى من الاستكانة اليه وشد أزره به عليه
كراهته لما لقيه بالاندلس من الحكم ثم أصحبه وتخلى لاخيه عن عمل المغرب وأجاز
البحر الى ابن أبى عامر فحل منه بالمكان الاثير ولما زحف بلكين الى المغرب سنة تسع
وستين زحفته المشهورة خرج محمد بن أبى عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه
وأجاز جعفر بن على الى سبتة وعقد له على حرب بلكين وأمده بمائة حمل من المال
وانضمت اليه ملوك زناتة ورجع عنهم بلكين كما نذكره ولما رجع الى ابن أبى عامر
بياض بالأصل
فاغتاله فى بعض ليالى معاقرتهم وأعدله رجالا فى طريقه من سمره الى داره فقتلوه سنة
ولحق يحيى بن على بمصر ونزل بدار العزيز وتلقاه بالمبرة والتكريم
وطال به ثواؤه واستكفى به العظائم ولما استصرخ فلفول بن خزرون بالحاكم
فى استرجاع طرابلس من يد صنهاجة المتغلبين عليه دفع اليه العساكر وعقد عليها ليحيى
بن على واعترضه بنو قرة من الهلاليين ببرقة ففلوه وفضوا جوعه ورجع الى مصر ولم يزل
بمصر الى أن هلك هنالك والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الخبر عن القرامطة واستمداد أمرهم وما استقر لهم من الدولة بالبحرين وأخبارها الى حين انقراضها

هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا الطالبيين وانما قام بها دعاة
المهدى من أهل البيت على اختلاف منهم فى تعيين هذا المهدى كما نذكره وكان مدار
دعوتهم على رجلين أحدهما يسمى الفرج بن عثمان القاشانى من دعاة المهدى ويسمى

ايضا

أيضا كروية بن مهدوية وهو الذى انتهى اليه دعاتهم بسواد الكوفة ثم بالعراق والشأم
ولم يتم لهؤلاء دولة والآخر يسمى أباسعيد الحسن بن بهرام الجنابى كانت دعوته
بالبحرين واستقرت له هنالك دولة ولبنيه وانتسب بعض مزاعهم الى دعاة الاسماعيلية
الذين كانوا بالقيروان كما نذكره ودعوى هؤلاء القرامطة فى غاية الاضطراب مختلة
العقائد والقواعد منافية للشرائع والاسلام فى الكثير من مزاعهم وأول من قام بها
بسواد الكوفة سنة ثمان وسبعين ومائتين رجل أظهر الزهد والتقشف وزعم أنه
يدعو الى المهدى وأن الصلوات المفروضة خمسون كل يوم واستجاب له جمع كثير ولقب
قرمط وأصلها بالكاف وكان يأخذ من كل من يجيب دعوته دينارا للامام وجعل
عليهم نقباء وسماهم الحواريين وشغل الناس بذلك عن شؤنهم وحبسه عامل الناحية
ففر من محبسه ولم يوقف له على خبر فازداد أتباعه فتنة فيه ثم زعم أنه الذى بشر به أحمد
ابن محمد ابن الحنفية وأن أحمد نبى وفشى هذا المذهب فى السواد وقرئ بينهم كتاب
زعموا أنه جاءهم من داعيه المهدى نصه بعد البسملة يقول الفرج بن عثمان الحمد لله
بكلمته وتعالى باسمه المنجد لاوليائه باوليائه قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها لتعلم
عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها أوليائى الذين عرفوا عبادى سبيلى
اتقونى يا أولى الالباب وأنا الذى لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وأنا الذى أبلو
عبادى وأستخبر خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى ألقيته فى جنتى وأخلدته
فى نعمتى ومن زال عن أمرى وكذب رسلى أخلدته مهانا فى عذابى وأتممت أجلى
وأظهرت على ألسنة رسلى فأنا الذى لا يتكبر على جبار الا وضعته ولا عزيز الا أذللته
فليس الذى أصر على أمره ودام على جهالته وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين
أولئك هم الكافرون ثم يركع ويقول فى ركوعه مرتين سبحان ربى ورب العزة تعالى
عما يصف الظالمون وفى سجوده الله أعلى مرتين الله أعظم مرة والصوم مشروع يوم
المهرجان والنيروز والنبيذ حرام والخمر حلال والغسل من الجنابة كالوضوء ولا يؤكل
ذوناب ولا ذو مخلب ومن خالف وحارب وجب قتله ومن لم يحارب أخذت منه الجزية
انتهى الى غير ذلك من دعاوى شنيعة متعارضة يهدم بعضها بعضا وشاهد عليهم بالكذب
والذى حملهم على ذلك انما هو ما اشتهر بين الشيعة من أمر المهدى مستندين فيه الى
الاحاديث التى خرجها بعضهم وقد أريناك عللها فى مقدمة الكتاب فى باب الفاطمى
فلهجوا به وبالدعوة اليه فمن الصادق فيمن يعينه وان كان كاذبا فى استحقاقه ومنهم من بنى
أمره على الكذب والانتحال عساه يستولى بذلك على حظ من الدنيا
بياض بالأصل
بها
صفقة وقد يقال ان ظهور هذا الرجل كان قبل مقتل صاحب الزنج وانه سار على

الامان وقال له ان ورائى مائة ألف سيف فناظرنى لعلنا نتفق ونتعاون ثم اختلفا وانصرف قرمط عنه وكان يسمى نفسه القائم بالحق وزعم بعض الناس أنه كان يرى رأى الازارقة من الخوارج ثم زحف اليه أحمد بن محمد الطائى صاحب الكوفة فى العساكر فأوقع بهم وفتك بهم وتتابعت العساكر فى السواد فى طلبهم وأبادوهم وفرّ هو الى احياء العرب فلم يجبه أحد منهم فاختفى فى القفر فى جب بناه واتخذه لذلك وجعل عليه باب حديد واتخذ بجانبه تنورا سحرا ان أرهقه الطلب فلا يفطن له ولما اختفى فى الجب بعث أولاده فى كلب بن دبرة بأنهم من ولد اسمعيل الامام مستجيرون بهم ثم دعوا الى دعوتهم أثناء ذلك وكانوا ثلاثة يحيى وحسين وعلى فلم يجبهم أحد الى ذلك الا بنو القليص بن ضمضم بن على بن جناب فبايعوا ليحيى على أنه يحيى بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل الامام وكنوه أبا القاسم ولقبوه الشيخ ثم حوّل اسمه وادّعى أنه محمد بن عبد الله وأنه كان يكتم هذا الاسم وأن ناقته التى يركبها مأمورة ومن تبعها منصور فزحف اليه سبك مولى المعتضد فى العساكر فهزمها وقتل فسار اليه محمد بن أحمد الطائى فى العساكر فانهزمت القرامطة وجئ ببعضهم أسيرا فاحتضره المعتضد وقال هل تزعمون أن روح الله وأنبيائه تحل فيكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل فقال له يا هذا أرأيت لو حلت روح ابليس فما ينفعك فاترك ما لا يعنيك الى ما يعنيك فقال له قل فيما يعنينى فقال له قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوكم العباس حى فلم يطلب هذا الامر ولا بايعه أحد ثم قبض أبو بكر واستخلف عمر وهو يرى العباس ولم يعهد اليه عمر ولا جعله من أهل الشورى وكانوا ستة وفيهم الاقرب والابعد وهذا اجماع منهم على دفع جدك عنها فبماذا تستحقون أنتم الخلافة فأمر المعتضد به فعذب وخلعت عظامه ثم قطع مرتين ثم قتل ثم زحف القرامطة الى دمشق وعليها طفج مولى ابن طولون سنة تسعين واستصرخ بابن سيده بمصر فجاءت العساكر لامداده فقاتلهم مرارا وقتل يحيى بن ذكرويه المسمى بالشيخ فى خلق من أصحابه واجتمع فلهم على أخيه الحسين وتسمى أحمد أبا العباس وكانت فى وجهه شامة يزعم أنها [بياض بالأصل] فلقب صاحب الشامة المهدى أمير المؤمنين وأتاه ابن عمه عيسى بن مهدى وهو عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسمعيل الامام ولقبه المدثر وعهد اليه وزعم أنه المذكور فى القرآن ولقب غلاما من أهله المطوق ثم دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادى وسار الى دمشق فحاصرها حتى صالحوه على مال ودفعوه له ثم سار الى حمص وحماة والمعرة وبعلبك فخطب له بها واستباحها جميعا ثم الى سلمية وبها جماعة من بنى هاشم فاستلحمهم حتى الصبيان بالمكاتب والبهائم ثم خرج المكتفى اليه وقدم عساكره

فكبسهم

فكبسهم ونجا فلهم الى حلب وانتهى المكتفى الى الرقة وقد سار بدر مولى ابن طولون فى اتباع القرامطة فهزمهم وأثخن فيهم وبعث المكتفى العساكر مع يحيى بن سليمان الكاتب وفيهم الحسين بن حمدان من بنى تغلب ومعهم بنو شيبان فواقعوا القرامطة سنة احدى وتسعين فهزموهم وقتل منهم خلق من أصحاب القرمطى ونجا بنفسه أبو القاسم ببعض ذخيرته وسار هو مستخفيا الى ناحية الكوفة ومعه المدثر والمطوق وغلام له وانتهوا الى الرحبة فوشى بهم الى العامل فقبض عليهم وبعثهم الى المكتفى بالرقة ورجع الى بغداد فقطعهم بعد أن ضرب صاحب الشامة مائتى سوط وأما على بن ذكرويه ففرّ بعد مقتل أخيه يحيى على دمشق الى ناحية الفرات واجتمع اليه فل من القرامطة فاستباح طبرية ثم لما اتبعهم الحسين بن حمدان فرّ الى اليمن واجتمع اليه دعاتهم هنالك وتغلب على كثير من مدنه وقصد صنعاء فهرب عنها ابن يعفر فاستباحها وتجافى عن صعدة لذمة العلوية بينه وبين بنى الرسى ونازل بنى زياد بزبيد ومات فى نواحى اليمن وفى خلال ذلك بعث أبو ذكرويه الى بنى القليص بعد أن كانوا استكانوا وأقاموا بالسماوة فبعث اليهم من أصحابه عبد الله بن سعيد ويسمى أبا غانم فجاءهم بكتابه سنة ثلاث وتسعين بأنه أوحى اليه بأن صاحب الشامة وأخاه الشيخ مقتولان وان امامه يظهر من بعدهما ويملأ الارض عدلا ويظهر وطاف أبو غانم على احياء كلب فاجتمع اليه جماعة منهم وقصد الشأم فاستباح بصرى وأذرعات ونازل دمشق وعاملها يومئذ أحمد بن كيغلغ وهو غائب بمصر فى محاربة الخليجى الثائر من شيعة بنى طولون على عساكر المكتفى وقاتله خلفاؤه فهزمهم وقتل بعضهم وسار الى الاردن فقتل عاملها ونهب طبرية وبعث المكتفى الحسين بن حمدان فى العساكر ففرّ أبو غانم الى السماوة وغوّر مياهها واتبعته العساكر الى أن جهدهم العطش ثم رجع الحسين بهم الى الرحبة وقيل انهم تقبضوا على أبى غانم وقتلوه وافترق جمعهم وذلك سنة ثلاث وتسعين

(ظهور ذكرويه ومقتله)

ثم اجتمع القرامطة الى ذكرويه وأخرجوه من الجب الذى كان مختفيا فيه منذ عشرين سنة وحضر عنده دعاتهم فاستخلف عليهم أحمد بن القاسم بن أحمد وعرفهم بماله عليهم من المنة وان رشادهم فى امتثال أمره ورمز لهم فى ذلك بآيات من القرآن حرّف تأويلها وسار وهو محتجب يدعونه السيد ولا يرونه والقاسم يباشر الامور ويتولاها وبعث المكتفى عساكره فهزمهم القرامطة بالسواد وغنموا معسكرهم وساروا لاعتراض الحاج ومرّوا بالصوان وحاصروا الواقصة فامتنعت عليهم وطموا

الآبار والمياه فى تلك النواحى وبعث المكتفى محمد بن اسحق بن كنداج الصهالى
ورجعوا ونهب القرامطة الحاج وقتلوهم بعد أن قاتلوهم ثلاثا على غير ماء فاستسلموا
وغنم أموالهم وأموال التجار وأموال بنى طولون كانوا انقلوها من مصر الى مكة ثم من
مكة الى بغداد عندما أجمعوا النقل اليها ثم حاصر القرامطة بقية الحاج فى حصن قيل
فامتنعوا وجهز المكتفى العساكر مع وصيف بن صوارتكين وجماعة من القواد فساروا
على طريق خفان وأدركوا القرامطة فقاتلوهم يومين ثم هزموهم وضرب ذكرويه على
رأسه فانهشم وجىء به أسيرا وبخليفته القاسم وابنه وكاتبه وزوجته ومات لخمس ليال
فسيق شلوه الى بغداد وصلب وبعث برأسه الى خراسان من أجل الحاج الذين نهبهم
من أهلها ونجا الفل من أصحابه الى الشأم فأوقع بهم الحسين بن حمدان واستلحمهم
وتتبعوا بالقتل فى نواحى الشأم والعراق وذلك سنة أربع وتسعين وثلثمائة

(خبر قرامطة البحرين ودولة بنى الجنابى منها)

وفى سنة احدى وثمانين جاء الى القطيعى من البحرين رجل تسمى بيحيى بن المهدى
وزعم أنه رسول من المهدى وانه قد قرب خروجه وقصد من أهل القطيف على بن المعلى
ابن أحمد الدبادى وكان متغاليا فى التشيع فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهدى وشنع
الخبر فى سائر قرى البحرين فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابى واسمه الحسن بن بهرام
وكان من عظمائهم ثم غاب عنهم يحيى بن المهدى مدة ورجع بكتاب المهدى يشكرهم
على اجابتهم ويأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلاثين عن كل رجل بياض بالاصل
فدفعوها ثم غاب وجاء بكتاب آخر يدفعوا اليه خمس أموالهم فدفعوا وقام يتردد
فى قبائل قيس ثم أظهر أبو سعيد الجنابى الدعوة بالبحرين سنة ثلاث وثمانين واجتمع
اليه القرامطة والاعراب وسار الى القطيف طالبا البصرة وكان عليها أحمد بن محمد بن
يحيى الواثق فأدار السور على البصرة وبعث المعتمد عن ابن عمر الغنوى وكان على
فارس فاقطعه اليمامة والبحرين وضم اليه ألفين من المقاتلة وسيره الى البصرة
فاحتشد وخرج للقاء الجنابى ومن معه ورجع عنه عند اللقاء بنو ضبة فانهزم وأسره
الجنابى واحتوى على معسكره وحرق الاسرى بالنار ثم من عليه وأطلقه فسار الى
الابلة ومنها الى بغداد وسار أبو سعيد الى هجر فملكها وأمنها واضطربت البصرة للهزيمة
وهم أهلها بالارتحال فمنعهم الواثق ومن كتاب ابن سعيد فى خبر قرامطة البحرين ملخصا
من كلام الطبرى فلعله كما ذكره قال كان ابتداء أمر القرامطة سنة ثمان وثلثمائة فنقل
الكلام وكان أبو سعيد عهد لابنه الاكبر سعيد فلم به وثار به أخوه بياض بالاصل
الاصغر والظاهر سليمان فقتله وقام بأمرهم وبايعه العقدانية وجاءه كتاب عبيد الله

المهدى بالولاية وفى سنة ست وثمانين وصل أبو القاسم القائم الى مصر واستدعى
أبا طاهر القرمطى وانتظره فأعجله مؤنس الخادم عن انتظاره وسار من قبل المقتدر
فهزمه ورجع الى المهدية ثم سار أبو الطاهر سنة سبع الى البصرة فاستباحها ورجع
واضطربت بغداد وأمر المقتدر باصلاح ماتثلم من سورها ثم زحف اليها أبو الطاهر
سنة احدى عشرة فاستباحها وخرب الجامع وتركها خربة ثم خرج سنة ثنتى عشرة
لاعتراض الحاج فأوقع بهم وهزم قواد السلطان الذين كانوا معهم وأسر أميرهم
أبا الهيجاء بن حمدون واستصفى النساء والصبيان وترك الباقى بالبرية فهلكوا ثم خرج
سنة أربع عشرة الى العراق فعاث فى السواد ودخل الكوفة وفعل فيها أشد من
البصرة وفى سنة أربع عشرة وقع بين العقدانية وأهل البحرين خلاف فخرج
أبو الطاهر وبنى مدينة الاحساء وسماها المؤمنية فلم تعرف الا به وبنى قصره وأصحابه
حوله وفى سنة خمس عشرة استولى على عمان وهرب واليها فى البحر الى فارس وزحف
سنة ست عشرة الى الفرات وعاث فى بلاده وبعث المقتدر عن يوسف بن أبى الساج
من اذربيجان وولاه واسط وبعثه لحربه فالتقوا بظاهر الكوفة وهزمه أبو طاهر
وأسره وأرجف أهل بغداد وسار أبو طاهر الى الانبار وخرجت العساكر من بغداد
لدفاعه مع مؤنس المظفر وهرون بن غريب الخال فلم يطيقوا دفاعه وتوافقوا
ثم تحاجزوا وعاد مؤنس الى بغداد وسار هو الى الرحبة واستباحها ودوخ بلاد الجزيرة
بسراياه وسار الى هيت والكوفة وقاتل الرقة فامتنعت عليه وفرض الاتاوة على
أعراب الجزيرة يحملونها الى هجر ودخل فى دعوته جماعة من بنى سليم بن منصور
وبنى عامر بن صعصعة وخرج اليه هرون بن غريب الخال فانصرف أبو طاهر الى البرية
وظفر هرون بفريق منهم فقتلهم وعاد الى بغداد وفى سنة سبع عشرة هجم على مكة
وقتل كثيرا من الحاج ومن أهلها ونهب أموالهم جميعا وقلع باب البيت والميزاب وقسم
كسوة البيت فى أصحابه واقتلع الحجر الاسود وانصرف به وأراد أن يجعل الحج عنده
وكتب اليه عبيد الله المهدى من القيروان يوبخه على ذلك ويتهدده فكتب اليه
بالعجز عن رده من الناس ووعد برد الحجر فرده سنة تسع وثلاثين بعد أن خاطبه منصور
اسمعيل من القيروان فى رده فردوه وقد كان الحكم المتغلب على الدولة ببغداد أيام
المستكفى بذل لهم خمسين ألفا من الذهب على أن يردوه فأبوا وزعموا أنهم انما حملوه
بأمر امامهم عبيد الله وانما يردونه بأمره وأمر خليفته وأقام أبو طاهر بالبحرين
وهو يتعاهد العراق والشأم بالغزو حتى ضربت له الاتاوة ببغداد وبدمشق على بنى
طغج ثم هلك أبو طاهر سنة ثنتين وثلاثين لاحدى وثلاثين سنة من ملكه ومات عن

عشرة من الولد كبيرهم سابور وولى أخوه الاكبر أحمد بن الحسن واختلف بعض العقدانية عليه ومالوا الى ولاية سابور بن أبى طاهر وكاتبوا القائم فى ذلك فجاء جوابه بولاية الاخ أحمد وأن يكون الولد سابور ولى عهده فاستقر أحمد فى الولاية عليهم وكنوه أبا منصور وهو الذى ردّ الحجر الاسود الى مكانه كما قلناه ثم قبض سابور على عمه أبى منصور فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك وذلك سنة ثمان وخمسين ثم ثار بهم أخوه فأخرجه من الاعتقال وقتل سابور ونفى اخوته وأشياعهم الى جزيرة أوال ثم هلك أبو منصور سنة تسع وخمسين يقال مسموما على يد شيعة سابور وولى ابنه أبو علىّ الحسن ابن أحمد ويلقب الاعصم وقيل الاغنم فطالت مدّته وعظمت وقائعه ونفى جمعا كثيرا من ولد أبى طاهر يقال اجتمع منهم بجزيرة أوال نحو من ثلثمائة وحج هذا الاعصم بنفسه ولم يتعرض للحاج ولا أنكر الخطبة للمطيع

(فتنة القرامطة مع المعز العلوى)

ولما استولى جوهر قائد المعز لدين الله على مصر وجعفر بن فلاح الكتامى على دمشق طالب الحسن بالضريبة التى كانت له على دمشق فمنعوه ونابذوه وكتب له المعز وأغلظ عليه ودس لشيعة أبى طاهر وبنيه انّ الامر لولده وأطلع الحسن على ذلك فخلع المعز سنة ثنتين وخطب للمطيع العباسى فى منابره ولبس السواد ثم زحف الى دمشق وخرج جعفر بن فلاح لحربه فهزمه الاعصم وقتله وملك دمشق وسار الى مصر فحاصر جوهرا بها وضيق عليه ثم غدر به العرب وأجفلوا فأجفل معهم وعاد الى الشأم ونزل الرملة وكتب اليه المعز سنة احدى وستين بالنفى والتوبيخ وعزله عن القرامطة وولى بنى أبى طاهر فخرجوا من أوال ونهبوا الاحساء فى غيبته وكتب اليهم الطائع العباسى بالتزام الطاعة وأن يصالحوا ابن عمهم ويقيموا بجزيرة أوال وبعث من أحكم بينهم الصلح ثم سار الاعصم الى الشأم وتخطاها دون صور نقاتلوه وراء الخنادق وبذل جوهر المال للعرب فافترقوا عنه وانهزم ونهب معسكره وجاء المعز من افريقية ودخل القاهرة سنة ثلاث وستين وسرّح العساكر الى الشأم فاستولوا عليه فنهض الاعصم اليهم فأوقع بهم وأثخن فيهم وانتزع ما ملكوه من الشأم وسار الى مصر وبعث المعز لدين الله ابنه عبد الله فلقيهم على بلبيس وانهزم الاعصم وفشا القتل والاسر فى أصحابه فكانوا نحوا من ثلاثة آلاف ورجع الاعصم الى الاحساء واستخلص المعز بنى الجراح أمراء الشأم من طيئ حتى استرجع بهم ما غلب عليه القرامطة من الشأم بعد حروب وحصار ثم مات المعز سنة خمس وستين وطمع الاعصم فى بلاد الشأم وكان افتكين التركى مولى معز الدولة بن بويه لما انتقض على أبيه بختيار وهزمه ببغداد سار

افتكين منهزما الى دمشق وكانوا مضطربين فخرجوا اليه وولوه عليهم وصالح المعز الى أن توفى فنابذ العزيز وبعث اليه جوهر فى العساكر فحاصره فكتب افتكين الى الاعصم واستدعاه فجاء الى الشأم سنة ست وستين وخرج معه افتكين ونازلوا الرملة فملكوها من يد جوهر وزحف اليهم العزيز وهزمهم وتقبض على افتكين ولحق الاعصم بطبرية منهزما ثم ارتحل منها الى الاحساء وأنكروا ما فعله الاعصم من البيعة لبنى العباس واتفقوا على اخراج الامر عن ولد أبى سعيد الجنابى وقدموا رجلين منهم وهما جعفر واسحق وسار بنو أبى سعيد الى جزيرة أوال وكان بنو أبى طاهر قبلهم فقتلوا كل من دخل اليهم من ولد أحمد بن أبى سعيد وأشياعه ثم قام بأمر القرامطة جعفر واسحق هذان ورجعوا الى دعوة العلوية ومحاربة بنى .... ورجعوا سنة أربع وستين الى الكوفة فملكوها وبعث صمصام الدولة بن بويه العساكر اليهم فهزمهم على الفرات وقتل منهم خلق واتبعوهم الى القادسية ثم اختلف جعفر واسحق وطمع كل منهما فى الرياسة على صاحبه وافترق أمرهم وتلاشت دعوتهم الى أن استولى الاصغر بن أبى الحسن الثعلبى سنة ثمان وتسعين عليهم وملك الاحساء من أيديهم وأذهب دولتهم وخطب للطائع واستقرت الدولة له ولبنيه

بياض بالاصل

(ذكر المتغلبين بالبحرين من العرب بعد القرامطة)

كان بأعمال البحرين خلق من العرب وكان القرامطة يستنجدونهم على أعدائهم ويستعينون بهم فى حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم فى بعض الاوقات وكان أعظم قبائلهم هنالك بنو ثعلب وبنو عقيل وبنو سليم وأظهرهم فى الكثرة والعزة بنو ثعلب ولما فشلت دولة القرامطة بالبحرين واستحكمت العداوة بينهم وبين بنى بويه بعد انقراض ملك بنى الجنابى وعظم اختلافهم عمد القائم بدعوة العباسية وكان خالصة للقرامطة ودعاه الى اذهاب دولتهم فأجابه وداخل بنى مكرم رؤساء عمان فى مثل ذلك فأجابوه واستولى الاصغر على البحرين وأورثها بنيه واستولى بنو مكرم على عمان ثم غص بنو ثعلب بسليم واستعانوا عليهم ببنى عقيل وطردوهم من البحرين فساروا الى مصر ومنها كان دخولهم الى افريقية كما يأتى ثم اختلف بنو ثعلب وبنو عقيل بعد مدة وطردهم بنو ثعلب الى العراق فملكوا الكوفة والبلاد العراقية وامتد ملك الاصغر وطالت أيامه وتغلب على الجزيرة والموصل وحارب بنى عقيل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة برأس عين من بلاد الجزيرة وغص بشأنه نصير الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر فقام له وجمع له الملوك من كل ناحية فهزمه واعتقله ثم أطلقه ومات وبقى الملك متوارثا فى بنيه بالبحرين الى أن ضعفوا وتلاشوا وانقرضت

دولة بنى عقيل بالجزيرة وغلبهم عليها وعلى تلك البلاد أولياء الدولة السلجوقية فتحولوا عنها الى البحرين مواطنهم الاولى ووجدوا بنى ثعلب قد أدركهم الهرم فغلبوا عليهم قال ابن سعيد سألت أهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة احدى وخمسين وستمائة عن البحرين فقالوا الملك فيها لبنى عامر بن عوف بن عامر بن عقيل وبنو ثعلب من جملة رعاياهم وبنو عصفور منهم أصحاب الاحساء (ولنذكر) هنا نبذة فى التعريف بكاتب القرامطة وامصار البحرين وعمان لما ان ذلك من توابع أخبارهم

(الكاتب) كان كاتبهم أبو الفتح الحسين بن محمود ويعرف بكشاجم كان من أعلام الشعراء وذكره الثعالبى فى اليتيمة والحصرى فى زهر الآداب وهو بغدادى المولد واشتهر بخدمة القرامطة فيما ذكره البيهقى وكتب لهم بعده ابنه أبو الفتح نصر ولقبه كشاجم مثل أبيه وكان كاتبا للاعصم

(البحرين) اقليم يسمى باسم مدينته ويقال هجر باسم مدينة أخرى ومنه كانت حضرية نخربها القرامطة وبنوا الاحساء وصارت حاضرة وهذا الاقليم مسافة شهر على بحر فارس بين البصرة وعمان شرقيها بحر فارس وغربيها متصل باليمامة وشماليها البصرة وجنوبها عمان كثيرة المياه يبطونها على القامة والقامتين كثيرة البقل والفواكه مفرطة الحر منهالة الكثبان يغلب الرمل عليهم فى منازلهم وهى من الاقليم الثانى وبعضها فى الثالث كانت فى الجاهلية لعبد القيس وبكر بن وائل من ربيعة وملكها للفرس وعاملها من قبلهم المنذر بن ساوى التميمى ثم صارت رياستها صدر الاسلام لبنى الجارودى ولم يكن ولاة بنى العباس ينزلون هجر الى أن ملكها أبو سعيد القرمطى بعد حصار ثلاث سنين واستباحها قتلا واحراقا وتخريبا ثم بنى أبو طاهر مدينة الاحساء وتوالت دولة القرامطة وغلب على البحرين بنو أبى الحسن بن ثعلب وبعدهم بنو عامر ابن عقيل قال ابن سعيد والملك الآن فيهم فى بنى عصفور

(الاحساء) بناها أبو طاهر القرمطى فى المائة الثالثة وسميت بذلك لما فيها من احساء المياه فى الرمال ومراعى الابل وكانت للقرامطة بها دولة وجالوا فى أقطار الشأم والعراق ومصر والحجاز وملكوا الشأم وعمان

(دارين) هى من بلاد البحرين ينسب اليها الطيب كما تنسب الرماح الى الخط بجانبها فيقال مسك دارين والرماح الخطية

(عمان) وهى من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان وهى خامسها اقليم سلطانى منفرد على بحر فارس من غربيه مسافة شهر شرقيها بحر فارس وجنوبيها بحر الهند وغربيها بلاد حضرموت وشماليها البحرين كثيرة

النخل والفواكه وبها مغاص اللؤلؤ سميت بعمان بن قحطان أول من نزلها بولاية أخيه يعرب وصارت بعد سيل العرم للازد وجاء الاسلام وملوكها بنو الجلندى والخوارج بها كثيرة وكانت لهم حروب مع عمال بنى بويه وقاعدتهم تروى وملك عمان من البحر ملوك فارس غير مرة وهى فى الاقليم الثانى وبها مياه وبساتين وأسواق وشجرها النخل وكانت بها فى الاسلام دولة لبنى شامة بن لؤى بن غالب وكثير من نسابة قريش يدفعونهم عن هذا النسب أولهم بها محمد بن القاسم الشامى بعثه المعتضد وأعانه ففتحها وطرد الخوارج الى تروى قاعدة الجبال وأقام الخطبة لبنى العباس وتوارث ذلك بنوه وأظهروا اشعار السنة ثم اختلفوا سنة خمس وثلثمائة وتحاربوا ولحق بعضهم بالقرامطة وأقاموا فى فتنة الى أن تغلب عليهم أبو طاهر القرمطى سنة سبع عشرة عند اقتلاعه الحجر وخطب بها لعبيد الله المهدى وترددت ولاة القرامطة عليها من سنة سبع عشرة الى سنة خمس وسبعين فترهب واليها منهم وزهد وملكها أهل تروى الخوارج وقتلوا من كان بها من القرامطة والروافض وبقيت فى أيديهم ورياستها للازد منهم ثم سار بنو مكرم من وجوه عمان الى بغداد واستخدموا لبنى بويه وأعانوهم بالمراكب من فارس فملكوا مدينة عمان وطردوا الخوارج الى جبالهم وخطبوا لبنى العباس ثم ضعفت دولة بنى بويه ببغداد فاستبد بنو مكرم بعمان وتوارثوا ملكها وكان منهم مؤيد الدولة أبو القاسم على بن ناصر الدولة الحسين بن مكرم وكان ملكا جوادا ممدوحا قاله البيهقى ومدحه مهيار الديلمى وغيره ومات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة بعد مدة طويلة فى الملك وفى سنة ثنتين وأربعين ضعف ملك بنى مكرم وتغلب عليهم النساء والعبيد فزحف اليها الخوارج وملكوها وقتلوا بقيتهم وانقطع منها رسم الملك وصار فى حجار من مدر هذا الاقليم قلهاة هى عرضة عمان على بحر فارس من الاقليم الثانى ومما يلى الشحر وحجار فى شماليها الى البحرين بينهما سبع مراحل وهى فى جبال منيعة فلم تحتج الى سور وكان ملكها سنة ثمان وأربعين زكريا بن عبد الملك الازدى من ذرية رياسة وكان الخوارج بتزوى مدينة الشراة يدينون لهم ويرون انهم من ولد الجلندى

الخبر عن الاسماعيلية أهل الحصون بالعراق وفارس والشأم وسائر أمورهم ومصايرها

هذا المذهب هو مذهب القرامطة وهم غلاة الرافضة وهو على ما رأيته من الاضطراب والاختلاف ولم يزل متناقلا فى أهله بانحاء العراق وخراسان وفارس والشأم واختلف بعضهم باختلاف الاعصار والامصار وكانوا يدعون أولا قرامطة ثم قيل لهم بالعراق

باطنية ثم الاسماعيلية ثم النزارية لما حدث من عهد المستضيء العلوى لابنه نزار وقتله شيعتهم بمصر ولم يبايعوا له وكان عنده ابن الصباح من هؤلاء الاسماعيلية ونفى الامامة بعده عن أئمتهم بمصر فسموا أصحابه لذلك نزارية وكان هذا المذهب بعد موت ذكرويه وانحلال عقدتهم بقى منبثا فى الاقطار ويتناوله أهله ويدعون اليه ويكتمونه ولذلك سموا الباطنية وفشت اذيتهم بالامصار بما كانوا يعتقدونه من استباحة الدماء فكانوا يقاتلون الناس ويجتمع لذلك جموع منهم يكمنون فى البيوت ويتوصلون الى مقاصدهم من ذلك ثم عظمت أمورهم أيام السلطان ملك شاه عندما استمر الملك للعجم من الديلم والسلجوقية وعقل الخلفاء وعجزوا عن النظر فى تحصين امامتهم وكف الغوائل عنها فانتشروا فى هذه العصور وربما اجتمع منهم جماعة بساوة بانحاء همذان فصلوا صلاة العيد بانحائهم فحبسهم الشحنة ثم أطلقهم ثم استولوا بعد ذلك على الحصون والقلاع فأول قلعة غلبوا عليها قلعة عند فارس كان صاحبها على مذهبهم فأووا اليه واجتمعوا عنده وصاروا يخطفون الناس من السابلة وعظم ضررهم بتلك النواحى ثم استولوا على قلعة اصفهان واسمها شاه در كان السلطان ملك شاه بناها وأنزل بها عامله فاتصل به أحمد بن غطاش كان أبوه من مقدمى الباطنية وعنه أخذ ابن الصباح وغيره منهم وكان أحمد هذا عظيما فيهم لمكان أبيه ورسوخه فى العلم بينهم فعظموه لذلك وتوجوه وجمعوا له مالا وقدموه عليهم واتصل بصاحب القلعة فا ثر مكانه وقلده الامور حتى اذا توفى استولى أحمد بن غطاش على قلعة شاه در وأطلق أيدى أصحابه فى نواحيها يخيفون السابلة من كل ناحية ثم استولوا على قلعة الموت من نواحى قزوين وهى من بنيان الديلم ومعنى هذا الاسم عندهم تعليم العقاب ويقال لتلك الناحية طالقان وكانت فى ضمان الجعفرى فاستناب بها علويا وكان الرى أبو مسلم صهر نظام الملك واتصل به الحسن بن الصباح وكان بينهم عالما بالتعاليم والنجوم والسحر وكان من جملة تلامذة ابن غطاش صاحب قلعة اصفهان ثم اتهمه أبو مسلم بجماعة من دعاة المصريين عنده فهرب منه وجال فى البلاد وانتهى الى مصر فأكرمه المستنصر وأمره بدعاء الناس الى امامته وقال له الحسن من الامام بعدك فأشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشأم والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ورجع الى خراسان بقلعة الموت فنزل على العلوى فأكرمه واعتقد البركة فيه وأقام بها وهو يحاول احكام امره فى تملكها فلما تم له من ذلك ما أراد أخرج العلوى منها وملكها واتصل الخبر بنظام الملك فبعث العسكر لحصارها فجهدها الحصار وبعث جماعة من الباطنية فقتلوا نظام الملك ورجعت العساكر واستولوا أيضا على قلعة طبس وما جاورها من قلاع قوهستان وهى زوزن

وقائد وكان رئيس قوهستان المنور من اعقاب بنى سيمجور أمراء خراسان للسامانية فطلبه عامل قوهستان وأراد اغتصاب أخته فاستدعى الاسماعيلية وملكهم هذه القلاع واستولوا على قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصفهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولى سقاور من أمراء الغز وولى عليها بعض الترك فاتصل به بعض الباطنية وخدمه وأهدى له حتى صارت مفاتيح القلعة فى يده فدس لابن غطاش فى قلعة شاه در فجاء فى جمع من أصحابه ليلا وهرب التركى فملكها وقتل من كان بها وقوى بها على أهل اصفهان وفرض عليهم القطائع ومن قلاعهم أسوياوند بين الرمل وآمد ملكوها بعد ملك شاه غدرا ومنها ازدهر ملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن ابن الصباح ومنها كردكوه ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور قرب ارجان ملكها أبو حمزة الاسكاف من أهل ارجان وقد كان سافر الى مصر فأخذ بمذهبهم ورجع داعية لهم ومنها قلعة ملاوخان بين فارس وخوزستان امتنع بها المفسدون نحوا من مائتى سنة لقطع الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما ملك ملك شاه أقطعها للامير انز فولى عليها من قبله وداخله الباطنية الذين من أرجان فى بيعها منهم فأبى فقالوا نرسل اليك من يناظرك حتى نرى الحق فى مذهبنا وبعثوا اليهم رجالا منهم فاعتقلوا مملوكه حتى سلم لهم مفاتيح القلعة وقبضوا على صاحبها وقويت شوكتهم وامتدت أيدى الناس الى قتلهم واعتقدوا جهادهم وثاروا بهم فى كل وجهة فقتلوهم وقتلتهم العامة باصفهان وكانوا قد ظهروا بها عند محاصرة السلطان بركيارق اصفهان وبها أخوه محمد وأمه خاتون الجلالية وفشت فيها دعوتهم وكثر فيها الاغتيال من أتباعهم فثاروا بهم وقتلوهم وحفروا الاخاديد وأوقدوها بالنيران وجعلوا يأتون بالباطنية فيلقونهم فيها وتجرد جاولى سقاور وكان واليا بفارس للجهاد فيهم وتحيل عليهم بجماعة من أصحابه أظهروا الهروب اليهم فأوثقوا بهم وسار هو من بعد ذلك الى همذان فأغزاهم ثم صار الباطنية من بعد ذلك الى همذان لقتل أمراء السلجوقية غدرا فكان يقصد أحدهم أميرا من هؤلاء وقد استبطن خنجرا واستمات جماعتهم على ذلك السلطان بركيارق واستعان بهم على أمر أخيه فكان أحدهم يعرض نفسه بين يدى الامير حتى يتمكن من طعنه فيطعنه ويهلك غالبا ويقتل الباطنى لوقته فقتلوا منهم كذلك جماعة ولما ظهر بركيارق على أخيه محمد انتشروا فى عسكره واستغووا طائفة منهم وتهددوا بالقتل على ذلك حتى ارتاب أمراء العسكر بأنفسهم وخافوا عاديتهم ولازموا حمل السلاح وشكوا الى بركيارق بذلك وبما يلقونه منهم ومن عسكر أخيه فيما يرمونهم به من الاتحاد بهؤلاء الباطنية فأذن فى قتلهم وركب والعسكر معه

فتتبعوهم بالقتل حتى ان الامير محمدا من أعقاب علاء الدولة بن كاكويه وكان صاحب مدينة يزد اتهم برأيهم فهرب وقتل وكتب الى بغداد فى أبى ابراهيم الاسترابادى وكان بركيارق بعثه رسولا فأخذ هنالك وقتل واستلحموا فى كل جهة واستلحم المتهمون وانطلقت عليهم الايدى فى كل ناحية وذلك سنة ست وثمانين ولما استفحل أمر السلطان محمد بعد أخيه بركيارق زحف الى قلعة شاهدر التى بها أحمد بن غطاش لقربها من اصفهان سرير ملكه فجمع العساكر والامم وخرج فى رجب من أول المائة السادسة وأحاط بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ ورتب الامراء لقتالها نوبا ولما اشتد الامر بهم سألوا فتوى الفقهاء فى أمرهم وكتبوا ما نصه ما يقول السادة الفقهاء أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وكتبه ورسله وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مساعدتهم ومراعاتهم وأن يقبل طاعتهم ويحرسهم من كل أذى أم لا فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم وجمعوا للمناظرة فقال السمنجانى من كبار الشافعية يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم لا يرون مخالفة امامهم اذا خالف أحكام الشرع وبذلك تباح دماؤهم اجماعا وطالت المناظرة فى ذلك ثم سألوا أن يأتيهم من العلماء من يناظرهم وعينوا أعيانا من اصفهان وقصدوا بذلك المطاولة والتعلل فبعثهم السلطان اليهم فعادوا من غير شئ فاشتد السلطان اليهم فى حصارهم واستأمنوا على أن يعوضوا عن قلعتهم بقلعة خالنجان على سبعة فراسخ من اصفهان وأن يؤجلوا فى الرحيل شهرا فأجابهم وأقاموا فى تلك المدة يجمعون ما يقدرون عليه من الاطعمة ووثبوا على بعض الامراء وسلم منهم فجدد السلطان حصارهم وطلبوا أن ينتقلوا الى قلعة الناظر وطبس ويبعث السلطان معهم من يوصلهم ويقيم الباقون بضرس من القلعة الى أن يصل الاولون ثم يبعث مع الآخرين من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة الموت فأجابهم الى ذلك وخرج الاولون الى الناظر وطبس وخرب السلطان القلعة وتمسك ابن غطاش بالضرس الذى هو فيه وعزم على الاعتصام به وزحف اليه الناس عامة وهرب بعضهم الى السلطان فدله على عورة المكان فصعدوا اليه وقتلوا من وجدوا فيه وكانوا ثمانين وأخذ ابن غطاش أسيرا فسلخ وحشى جلده تبنا وقتل ابنه وبعث برأسهما الى بغداد وألقت زوجه نفسها من الشاهق فهلكت

(خبر الاسماعيلية بالشأم)

لما قتل أبو ابراهيم الاسترابادى ببغداد كما تقدم هرب بهرام ابن أخيه الى الشأم وأقام هنالك داعية متخفيا واستجاب له من الشأم خلق وكان الناس يتبعونهم لكثرة

بما اتصفوا به من القتل غدرا وكان أبو الغازى بن ارتق بحلب يتوصل بهم الى غرضه فى أعدائه وأشار أبو الغازى على ابن طغتكين الاتابك بدمشق بمثل ذلك فقبل رأيه ونقل اليه فأظهر حينئذ شخصه وأعلن بدعوته وأعانه الوزير أبو على طاهر بن سعد المزدغانى لمصلحتهم فيه فاستفحل أمره وكثر تابعوه وخاف من عامة دمشق فطلب من ابن طغتكين ووزيره أبى على حصنا يأوى اليه فأعطوه قلعة بانياس سنة عشرين وخمسمائة وترك بدمشق خليفة له يدعو الناس الى مذهبه فكثروا وانتشروا وملك هو عدة حصون فى الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادى التيم من أعمال بعلبك طوائف من المجوس والنصرانية والدرزية وأميرهم يسمى الضحاك فسار بهرام لقتالهم سنة ثنتين وعشرين واستخلف على بانياس اسمعيل من أصحابه ولقيهم الضحاك فى ألف رجل وكبس عسكره فهزمهم وقتله وعاد فلهم الى بانياس فأقام بأمرهم اسمعيل وجمع شملهم وبث دعاته فى البلاد وعاضده المزدغانى وزير دمشق وانتصر لهذه الطائفة وأقام بدمشق خليفة لبهرام اسمه أبو الوفاء فقوى أمره وكثر أتباعه واستبد على صاحبها تاج الملوك بن طغتكين ثم ان المزدغانى راسل الفرنج أن يملكهم دمشق على أن يعطوه صور وتواعدوا اليوم عينوه ودس للاسماعيلية أن يكونوا ذلك اليوم على أهبة ونمى الخبر الى اسمعيل فخاف أن يثور به الناس فأعطى بانياس للفرنج وانتقل اليهم ومات سنة أربع وعشرين وكان للاسماعيلية قلاع فى تلك الجهات تتصل بعضها ببعض أعظمها قلعة مصيات فسار صلاح الدين لما ملك الشأم سنة ثنتين وسبعين اليها وحاصر مصيات وضيق حصارها وبعث سنان مقدم الاسماعيلية الى خال صلاح الدين بحماة وهو شهاب الدين الحادى أن يسأل صلاح الدين فى الصلح معهم ويتهددونه على ذلك سرا فسار الى صلاح الدين وأصلح أمرهم عنده ورحل عنهم

(بقية الخبر عن قلاع الاسماعيلية بالعراق)

ولم تزل قلاع هؤلاء الاسماعيلية بالعراق عشا لهذه الغواية وسفطا لهؤلاء الخباث منذ ثار بها أحمد بن غطاش والحسن بن الصباح وكان لهذا الحسن مقالات فى مذاهب الرافضة غريبة فى الغلو داخلة من باب الكفر وتسميها الرافضة المقالات الجديدة ولا يدين بقبولها الا الغلاة منهم وقد ذكرها الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل فعليك به ان أردت معرفتها وبقى الملوك يقصدونهم بالجهاد لما اشتهر عنهم من الضرر بالاغتيال ولما افترق أمر السلجوقية واستبد اتغمش بالرى وهمذان سار اليهم سنة ثلاث وستمائة الى قلاعهم المجاورة لقزوين فحاصرها وفتح منها خمس قلاع واعتزم على حصار قلعة الموت فعرض له ما شغله عن ذلك ثم زحف اليهم جلال الدين منكبرتى بن علاء الدين

خوارزم شاه عندما رجع من الهند وملك بلاد أذربيجان وأرمينية فقتلوا بعض أمرائه بمثل قتلهم فسار الى بلادهم ودوّخ نواحي الموت وقد مرّ ذكره وقلاعهم التى بخراسان خرّبها واستباحها وقتلا ونهبا وكانوا منذ ظهر التتر قد شرهوا على الجهات فأوقع بهم جلال الدين هذه الواقعة سنة أربع وعشرين وستمائة وكفهم عما سموا اليه من ذلك ولما استفحل أمر التتر سار هولاكو أعوام الخمسين والستمائة من بغداد وخرب قلاعهم وزحف الظاهر بعد ذلك الى قلاعهم التى بالشأم فخرب كثيرا منها وطوع ما بقى منها وصارت مصيات وغيرها فى طاعته وانقرض أمرهم الا مغتالين يستعملهم الملوك فى قتل أعدائهم على البعد غدرا ويسمون الفداوية أى الذين يأخذون فدية أنفسهم على الاستمانة فى مقاصد من يستعملهم والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن دولة بنى الاخيضر باليمامة من بنى حسن)

كان موسى الجون بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن السبط لما اختفى أخواه محمد وابراهيم طالبه أبو جعفر المنصور باحضارهما فضمن له ذلك ثم اختفى وعثر عليه المنصور فضربه ألف سوط فلما قتل أخوه محمد المهدى بالمدينة اختفى موسى الجون الى أن هلك وكان من عقبه اسمعيل وأخوه محمد الاخيضر ابنا يوسف بن ابراهيم بن موسى فخرج اسمعيل فى أعراب الحجاز وتسمى السفاك سنة احدى وخمسين ومائتين ثم قصد مكة فهرب عاملها جعفر بسباسات وانتهب منزله ومنازل أصحاب السلطان وقتل جماعة من الجند وأهل مكة وأخذ ما كان حمل للاصلاح من المال وما فى الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وأخذ كسوة الكعبة وأخذ من الناس نحوا من مائتى ألف دينار ثم نهبها وأحرق بعضها بعضا وأقام فى ذلك خمسين يوما ثم سار الى المدينة فتوارى عاملها وحاصرها حتى مات أهلها جوعا ولم يصل أحد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل عساكر المعتز الى المدينة فافرج عنها ورجع الى مكة وحاصرها حتى جهدها الحصار ورحل بعد مقامه شهرين الى جدة فأخذ أموال التجار ونهب ما فى مراكبهم ورجع الى مكة وقد وصل اليها محمد بن عيسى بن المنصور وعيسى بن محمد المخزومى بعثهما المعتز لقتاله فتواقعوا بعرفة واقتتلوا وقتل من الحاج نحو ألف وسلبوا الناس وهربوا الى مكة وبطل الموقف الا اسمعيل وأصحابه وخطب لنفسه ثم رجع الى جدة واستباحوها ثانية ثم هلك لسنة من خروجه بالجدرى آخر سنة ثنتين وخمسين أيام حرب المستعين والمعتز وكان يتردد بالحجاز منذ ثنتين وعشرين سنة ومات ولم يعقب وولى مكانه أخوه محمد الاخيضر وكان أسن منه بعشرين سنة ونهض الى اليمامة فملكها واتخذ

قلعة الخضرمية وكان له من الولد محمد وابراهيم وعبد الله ويوسف وهلك فولى بعده ابنه يوسف وأشرك ابنه اسمعيل معه فى الامر مدة حياته ثم هلك وانفرد اسمعيل بملك اليمامة وكان له من الاخوة الحسن وصالح ومحمد بنو يوسف فلما هلك اسمعيل ولى من بعده أخوه الحسن وبعده ابنه أحمد بن الحسن ولم يزل ملكها فيهم الى أن غلب عليهم القرامطة وانقرض أمرهم والبقاء لله وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلى البحر المحيط ملك بنى صالح ذكرهم صاحب كتاب رجار فى الجغرافيا ولم نقف على نسب صالح هذا من خبر يعول عليه وقال بعض المؤرخين انه صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله الملقب أبا الكرام ابن موسى الجون وأنه خرج أيام المأمون بخراسان وحمل اليه وحبسه وابنه محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك فى بلد غانة ولم يذكر ابن حزم فى أعقاب موسى الجون صالحا هذا بهذا النسب ولعله صالح الذى ذكرناه آنفا فى ولد يوسف بن محمد الاخيضر والله أعلم

{الخبر عن دولة السليمانيين من بنى الحسن بمكة ثم بعدها باليمن ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم}

مكة هذه أشهر من أن نعرف بها أو نصفها الا أنه لما انقرض سكانها من قريش بعد المائة الثانية بالفتن الواقعة بالحجاز من العلوية مرة بعد أخرى فأقفرت من قريش ولم يبق بها الا اتباع بنى حسن اخلاط من الناس ومعظمهم موال سود من الحبشة والديلم ولم يزل العمال عليها من قبل بنى العباس وشيعتهم والخطبة لهم الى أن اشتغلوا بالفتن أيام المستعين والمعتز وما بعدهما فحدثت الرياسة فيها لبنى سليمان بن داود بن حسن المثنى بن الحسن السبط وكان كبيرهم آخر المائة الثانية محمد بن سليمان وليس هو سليمان ابن داود لان ذلك ذكره ابن حزم أنه قام بالمدينة أيام المأمون وبين العصرين نحو من مائة سنة سنة احدى وثلثمائة أيام المقتدر وخلع طاعة العباسية وخطب فى الموسم فقال الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز زهر الايمان من أكمامه وكمل دعوة خير الرسل باسباطه لا بنى أعمامه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وكف عنا بركته أسباب المعتدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

لاطلبن بسيفى * ما كان للحق دينا * وأسطون بقوم * بغوا وجاروا علينا

يعدون كل بلاد * من العراق علينا

وكان يلقب بالزيدى نسبة الى نحلته من مذاهب الامامية وبقى ركب العراق يتعاهد مكة الى أن اعترضه أبو طاهر القرمطى سنة ثنتى عشرة وأسر أبا الهيجاء بن حمدان والد سيف الدولة وجماعة معه وقتل الحجاج وترك النساء والصبيان بالقفر فهلكوا

واقطع الحاج من العراق بسبب القرامطة ثم أنفذ المقتدر سنة سبع عشرة منصور الديلمي من مواليه فوافاهم يوم التروية بمكة أبو طاهر القرمطي فنهب الحاج وقتلهم حتى في الكعبة والحرم واستلأ زمزم بالقتلى والحجاج يصيحون كيف يقتل جيران الله فيقول ليس بجار من خالف أوامر الله ونواهيه ويتلو انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وكان يخطب لعبيد الله المهدي صاحب افريقية ثم قلع الحجر الاسود وحمله الى الاحساء وقلع باب البيت وحمله وطلع رجل يقلع الميزاب فسقط ومات فقال اتركوه فانه محروس حتى يأتي صاحبه يعني المهدي فكتب اليه ما نصه والعجب من كتبك الينا ممتنا علينا بما ارتكبته واجترمته باسمنا من حرم الله وجيرانه بالاماكن التي لم تزل الجاهلية تحرم اراقة الدماء فيها واهانة أهلها ثم تعديت ذلك وقلعت الحجر الذي هو يمين الله في الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت أن نشكرك فلعنك الله ثم لعنك والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل في يومه ما عمل فيه حساب غده انتهى فانحرفت القرامطة عن طاعة العبيديين لذلك ثم قتل المقتدر على يد مؤنس سنة عشرين وثلثمائة وولي أخوه القاهر وحج بالناس أميره تلك السنة وانقطع الحج من العراق بعدها الى أن كاتب أبو علي يحيى الفاطمي سنة سبع وعشرين من العراق أبا طاهر القرمطي أن يطلق السبيل للحجاج على مكس يأخذه منهم وكان أبو طاهر يعظمه لدينه ويؤمله فأجابه الى ذلك وأخذ المكس من الحجاج ولم يعهد مثله في الاسلام وخطب في هذه السنة بمكة للراضي بن المقتدر وفي سنة تسع وعشرين لاخيه المتقي من بعده ولم يصل ركب العراق في هذه السنين من القرامطة ثم ولي المستكفي بن المكتفي سنة ثلاث وثلاثين على يد توروز أمير الامراء ببغداد فخرج الحاج في هذه السنة لمهادنة القرامطة بعد أبي طاهر ثم خطب للمطيع ابن المقتدر بمكة مع معز الدولة سنة أربع وثلاثين عندما استولى معز الدولة ببغداد وقلع عين المستكفي واعتقله ثم تعطل الحاج بسبب القرامطة وردوا الحجر الاسود سنة تسع وثلاثين بأمر المنصور العلوي صاحب افريقية وخطابه في ذلك لاميرهم أحمد بن أبي سعيد ثم جاء الحاج الى مكة سنة ثنتين وأربعين مع أمير من العراق وأمير من مصر فوقعت الحرب بينهما على الخطبة لابن بويه ملك العراق أو ابن الاخشيد صاحب مصر فانهزم المصريون وخطب لابن بويه واتصل ورود الحاج من يومئذ فلما كانت سنة ثمان وأربعين وجاء الحاج من بغداد ومصر كان أمير الحاج من العراق محمد بن عبيد الله فأجابه الى ذلك ثم جاء الى المنبر مستعدا وأمر بالخطبة لابن بويه فوجم الآخر وتمت عليه الحيلة وعاقبه أميره كافور ويقال قتله ووقع ابن بويه لمحمد بن

بياض بالاصل

عبيد

عبيد الله باتصال امارته على الحاج ولما كانت سنة ست وخمسين وصل بركب العراق أبو أحمد الموسوي نقيب الطالبيين وهو والد الشريف الرضي ليحج بالناس ونهب بنو سليم حاج مصر وقتل أميرهم وفي سنة ست وخمسين حج بالناس أبو أحمد المذكور وخطب بمكة لبختيار بعد موت أبيه معز الدولة والخليفة يومئذ المطيع واتصل حج أبي أحمد بركب العراق وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة فلما قتل أحمد وقعت الفتنة بين أبي الحسن القرمطي وخلع طاعة العبيديين وخطب للمطيع وبعث اليه بالرايات السود ونهض الى دمشق فقتل جعفر بن فلاح قائد العلويين وخطب للمطيع ثم وقعت الفتنة بين أبي الحسن وبين جعفر وحصلت بينهم دماء وبعث المعز العلوي من أصلح بينهم وجعل دية القتلى الفاضلة في مال المعز وهلك بمصر أبو الحسن فولي أخوه عيسى ثم ولي بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر سنة أربع وثمانين ثم جاءت عساكر عضد الدولة ففر الحسن بن جعفر الى المدينة ولما مات العزيز بالرملة وعاد بنو أبي طاهر وبنو أحمد بن أبي سعيد الى الفتنة فجاء من قبل الطائع أمير علوي الى مكة وأقام لهم بها الخطبة وفي سنة سبع وستين بعث العزيز من مصر باديس بن زيري الصنهاجي وهو أخو بلكين صاحب افريقية أميرا على الحاج فاستولى على الحرمين وأقام له الخطبة وشغل عضد الدولة في العراق بفتنة بختيار ابن عمه فبطل ركب العراق ثم عاد في السنة بعدها وخطب لعضد الدولة أبو أحمد الموسوي وانقطعت بعدها خطبة العباسيين عن مكة وعادت لخلفاء مصر العبيديين الى حين من الدهر وعظم شأن أبي الفتوح واتصلت امارته في مكة وكتب اليه القادر سنة ست وتسعين في الاذن لحاج العراق فأجابه على ان الخطبة للحاكم صاحب مصر وبعث الحاكم الى ابن جراح أمير طيء باعتراضهم وكان على الحاج الشريف الرضي وأخوه المرتضى فلاطفهم ابن جراح وخلى سبيلهم على أن لا يعودوا ثم اعترض حاج العراق سنة أربع وتسعين الاصيغر الثعلبي عندما ملك الجزيرة فوعظه قارئان كانا في الركب ثم اعترضهم في السنة بعدها اعراب خفاجة ونهبوهم وسار في طلبهم علي بن يزيد أمير بني أسد فأوقع بهم سنة ثنتين وأربعمائة ثم عادوا الى مثل ذلك من السنة بعدها فعاد علي بن يزيد وأوقع بهم وسما له بذلك ذكر وكان سببا لملكه وملك قومه ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين الى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر ونكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وانتقض له وحمل الوزير أبو القاسم المغربي على طلب الامر لنفسه وكان الحاكم قتل أباه وأعمامه فخطب أبو الفتوح لنفسه وتلقب الراشد بالله وسار الى مدينة الرملة لاستدعاء ابن الجراح أمير طيء لمغاضبة بينه وبين الحاكم ثم سرب الحاكم أمواله في بني الجراح فانتقضوا على

أبى الفتوح وأسلوه وفر الوزير المغربى الى ديار بكر من أرض الموصل ومعه ابن سبابة وفر التهامى الى الرى وكان معه وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين ثم راجع أبو الفتوح الطاعة فعفى عنه الحاكم وأعاده الى امارته بمكة ولم يحج من العراق فى هذه السنين أحد وفى سنة ثنتى عشرة حج بأهل العراق أبو الحسن محمد بن الحسن الافساسى فقيه الطالبين واعترضهم بنو نبهان من طىء وأميرهم حسان بن عدى وقاتلوهم فهزموهم وقتل أميرهم حسان وخطب فى هذه السنة للظاهر بن الحاكم بمكة ولما كان الموسم سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ضرب رجل من قوم مصر الحجر الاسود بدبوس فصدعه وثلمه وهو يقول كم تعبد كم تقبل فتبادر اليه الناس فقتلوه وثار أهل العراق بأهل مصر فنهبوهم وفتكوا فيهم ثم حج بركب العراق سنة أربع عشرة النقيب بن الافساسى وخشى من العرب فعاد الى دمشق الشأم وحج فى السنة التى بعدها وبطل حج العراق ولما بويع القائم العباسى سنة ثنتين وعشرين رام أن يجهز الحاج فلم يقدر لاستيلاء العرب وانحلال أمر بنى بويه ثم خطب بمكة للمستنصر بن الظاهر ثم توفى الامير أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن سليمان رئيس مكة وبنى سليمان سنة ثلاثين وأربعمائة لاربعين سنة من امارته وولى بعده امارة مكة ابنه شكر وجرت له مع أهل المدينة خطوب ملك فى أثنائها المدينة وجمع بين الحرمين وعليه انقرض دولة بنى سليمان سنة ثلاثين بمكة وجاءت دولة الهواشم كما نذكر وشكر هذا هو الذى يزعم بنو هلال بن عامر انه تزوج الجازية بنت سرحان من أمراء الاثبج منهم وهو خبر مشهور بينهم فى أقاصيصهم وحكايات يتناقلونها ويطرزونها بأشعار من جنس لغتهم ويسمونه الشريف ابن هاشم وقال ابن حزم غلب جعفر بن أبى هاشم على مكة أيام الاخشيديين وولى بنوه من بعده عيسى بن جعفر وأبو الفتوح وابنه شكر بن أبى الفتوح وقد انقرض لان شكرا لم يولد له وصار أمر مكة الى عبد كان له انتهى كلام ابن حزم وليس أبو هاشم الذى نسب جعفر اليه أبا الهواشم الذى يأتى ذكرهم لان هذا كان أيام الاخشيديين وذلك أيام المستضىء العبيدى وبينهما نحو من مائة سنة

(الخبر عن دولة الهواشم بمكة من بنى الحسن وتصاريف أحوالهم الى انقراضها)

هؤلاء الهواشم من ولد أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبى الكرام بن موسى الجون ونسبه معروف وقدمر وكانت بين هؤلاء الهواشم وبين السليمانيين فتن متصلة ولما مات شكر ذهبت الرياسة من بنى سليمان لانه لم يعقب وتقدم فيهم طراد بن أحمد ولم يكن من بيت الامارة وانما كانوا يؤملونه لاقدامه وشجاعته وكان رئيس الهواشم يومئذ محمد بن جعفر بن محمد وهو أبو هاشم المذكور وقد ساد

فى الهواشم وعظم ذكره فاقتتلوا سنة أربع وخمسين بعد موت شكر فهزم الهواشم بنى سليمان وطردوهم عن الحجاز فساروا الى اليمن وكان لهم بها ملك كما نذكر واستقل بامارة مكة الامير محمد بن جعفر وخطب للمستنصر العبيدى ثم ابتدأ الحاج من العراق سنة ست وخمسين بنظر السلطان ألب أرسلان بن داود ملك السلجوقية حين استولى على بغداد والخلافة طلب منه القائم ذلك فبذل المال وأخذ رهائن العرب وحج بالناس أبو الغنائم نور الدين المهدى الزينى نقيب الطالبيين ثم جاور فى السنة بعدها واستمال الامير محمد بن جعفر عن طاعة العبيديين فخطب لبنى العباس سنة ثمان وخمسين وانقطعت ميرة مصر عن مكة فعذله أهله على ما فعل فرد الخطبة للعبيديين ثم خاطبه القائم وعاتبه وبذل له أموالا فخطب له سنة ثنتين وستين بالموسم فقط وكتب الى المستنصر بمصر معتذرا ثم بعث القائم أبا الغنائم الزينى سنة ثلاث وستين أميرا على الركب العراقى ومعه عسكر ضخم ولامير مكة من عند ألب أرسلان ثلاثون دينارا وتوقيعا بعشرة آلاف دينار واجتمعوا بالموسم وخطب الامير محمد بن جعفر وقال الحمد لله الذى هدانا الى أهل بيته بالرأى المصيب وعوض بيته بلبسة الشباب بعد لبسة المشيب وأمال قلوبنا الى الطاعة ومتابعة امام الجماعة فانحرف المستنصر عن الهواشم ومال الى السليمانيين وكتب الى على بن محمد الصليحى صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم على استرجاع ملكهم وينهض معهم الى مكة فنهض وانتهى الى المهجم وكان سعيد بن نجاح الاحول موتور بنى الصليحى قد جاء من الهند ودخل صنعاء فثار بها واتبع الصليحى فى سبعين رجلا وهو فى خمسة آلاف فبيته بالمهجم وقتله ثم جمع محمد بن جعفر أجنادا من الترك وزحف بها الى المدينة فأخرج منها بنى حسن وملكها وجمع بين الحرمين ثم مات القائم العباسى وانقطع ما كان يصل الى مكة فقطع محمد بن جعفر الخطبة للعباسيين ثم جاء الزينى من قابل بالاموال فأعادها ثم بعث المقتدى سنة سبعين منبرا الى مكة صنيعا استجيد خشبه ونقش عليه بالذهب اسمه وبعث على الحاج ختلغ التركى وهو أول تركى تأمر على الحاج وكان واليا بالكوفة وقهر العرب مع جماعته فبعثه المقتدى أميرا على الحاج فوقعت الفتنة بين الشيعة وأهل السنة وكسر المنبر وأحرق وتم الحج ثم عاودوا الفتنة سنة ثلاث وسبعين وقطعت الخطبة للمستنصر وأعيدت للمقتدى واتصلت امارة ختلغ على الحاج وبعده خمارتكين الى أن مات ملك شاه ووزيره نظام الملك فانقطعت الخطبة للعباسيين وبطل الحاج من العراق باختلاف السلجوقية وتغلب العرب ومات المقتدى خليفة بغداد وبويع ابنه المستظهر ومات المستنصر خليفة مصر وبويع ابنه المستعلى من امارته وهو الذى

أظهر الخطبة العباسية بمكة وبها ابتدئ أمره وكان يسقطها بعض الاحيان وولى بعده ابنه قاسم فكثر اضطرابه ومهد بنو مزيد أصحاب الحلة طريق الحاج من العراق فاتصل حجهم وحج سنة ثنتى عشرة وخمسمائة نظر الخادم من قبل المسترشد بركب العراق وأوصل الخلع والاموال الى مكة ثم توفى قاسم بن محمد سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من امارته وكانت فى اضطراب وتغلب وولى بعده ابنه أبو قليبة بمكة فافتتح بالخطبة العباسية وأحسن الثناء عليه بالعدل ووصل نظر الخادم أميرا على الركب ومعه الاموال والخلع ثم مات أبو قليبة سنة سبع وعشرين لعشر سنين من امارته والخطبة للعباسيين وامارة الحاج لنظر الخادم ثم كانت واقعة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وتعطل ركب الحاج ثم حج نظر الخادم فى السنة بعدها ثم بعثت أسماء الصليحية صاحبة اليمن لامير مكة قاسم بن أبى قليبة فتوعدته على قطع خطبة الحافظ وماتت فكفاه الله شرها وانقطع الركب العراقى فى هذه السنين للفتن والغلاء ثم حج سنة أربع وأربعين نظر الخادم ومات فى طريقه فولى مولاه قيماز واعترضه رعب من الاعراب فنهب الركب واتصل حج قيماز والخطبة لبنى العباس الى سنة خمس وخمسين قبله وبويع المستنجد فخطب له كما كان لابيه المقتفى ثم قتل قاسم بن أبى قليبة سنة ست وستين وبعث المستضىء بالركب طاشتكين التركى وانقضت دولة العبيديين بمصر ووليها صلاح الدين بن أيوب واستولى على مكة واليمن وخطب له بالحرمين ثم مات المستضىء سنة خمس وسبعين وبويع ابنه الناصر وخطب له بالحرمين وحجت أمه بنفسها سنة خمس وثلاثين وكانت له آثار عظيمة ورجعت فانهت الى الناصر ابن عيسى بن قاسم ما اطلعت عليه من أحواله فعزله عن امارة مكة وولى أخاه مكثر بن قاسم وكان جليل القدر ومات سنة تسع وثمانين السنة التى مات فيها صلاح الدين وضعف أمر الهواشم وكان أبو عزيز بن قتادة يناسبهم من جهة النساء فورث أمرهم وملك مكة من أيديهم وانقرضت دولتهم والبقاء لله

{ الخبر عن بنى قتادة أمراء مكة بعد الهواشم
ثم عن بنى أبى نمى منهم أمرائها لهذا العهد }

كان من ولد موسى الجون الذى مر ذكره فى بنى حسن عبد الله أبى الكرام وكان له على ما نقل نسابتهم ثلاثة من الولد سليمان وزيد وأحمد ومنه تشعبت ولده فأما زيد فولده اليوم بالصحراء بنهر الحسنية وأما أحمد فولده بالدهنا وأما سليمان فكان من ولده مطاعن بن عبد الكريم بن يوسف بن عيسى بن سليمان وكان لمطاعن ادريس وثعلب بالثعالبة بالحجاز فكان لادريس ولدان قتادة النابغة وصرخة فأما صرخة فولده شيع

يعرفون بالشكرة وأما قتادة النابغة فكان يكنى أبا عزيز وكان من ولده على الاكبر وشقيقه حسن فمن ولد حسن ادريس وأحمد ومحمد وجماز وامارة ينبع فى أعقابهم ومنهم لهذا العهد أميران يتداولان امارتها من ولد ادريس بن حسن بن ادريس وأما أبو عزيز قتادة النابغة فمن ولده موالى عز أمراء مكة لهذا العهد وكان بنو حسن بن الحسن كلهم موطنين بنهر العلقمية من وادى ينبع لعهد امارة الهواشم بمكة وكانوا ظواعن بادية ولما نشأ فيهم قتادة هذا جمع قومه ذوى مطاعن وأركبهم واستبد بامارتهم وكان بوادى ينبع بنو خراب من ولد عبد الله بن حسن بن الحسن وبنو عيسى ابن سليمان بن موسى الجون فحاربهم بنو مطاعن هؤلاء وأميرهم أبو عزيز قتادة وأخرجهم وملك ينبع والصفراء واستكثر من الجند والمماليك وكان على عهد المستنصر العباسى فى أواسط المائة السادسة وكان الامراء يومئذ بمكة الهواشم من ولد جعفر بن هاشم بن الحسن بن محمد بن موسى بن أبى الكرام عبد الله وقد مر ذكرهم وكان آخرهم مكثر بن عيسى بن قاسم الذى بنى القلعة على جبل أبى قبيس ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة فسار قتادة الى مكة وانتزعها من أيديهم وملكها وخطب للناصر العباسى وأقام فى امارتها نحوا من أربعين سنة واستفحل ملكه واتسع الى نواحى اليمن وكان لقبه أبا عزيز وفى سنة ثلاث وستمائة حج بالركب وجه السبع التركى من مماليك الناصر وفر من طريقه الى مصر فنهب الركب وفى سنة ثمان وستمائة وثب شخص من حاج العراق على شريف من قرابة قتادة فقتله فاتهم الشرفاء به أمراء الركب فثاروا بهم وقتلوا منهم خلقا ثم بعث اليهم بالاموال من بغداد وبعث قتادة بعض أولاده يستعتب فأعتب (وفى سنة خمس عشرة) خطب بمكة للعادل بن أيوب بعد الناصر الخليفة وللكامل بن العادل بعدهما (وفى سنة ست عشرة) كان خروج التتر وكان قتادة عادلا وأمن الناس فى أيامه ولم يعد قط على أحد من الخلفاء ولا من الملوك وكان يقول أنا أحق بالخلافة وكانت الاموال والخلع تحمل اليه واستدعاه الناصر فى بعض السنين فكتب اليه

ولى كف ضرغام أذل ببسطها * وأشرى بها عز الورى وأبيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها * وفى بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الرجا ثم ابتغى * خلاصا لها انى اذا لوضيع
وما أنا الا المسك فى كل بقعة * يضوع وأما عندكم فيضيع

واتسعت دولته ذلك ملك مكة والينبع وأطراف اليمن وبعض اعمال المدينة وبلاد نجد وكان يستكثر من المماليك وتوفى سنة سبع عشرة وستمائة ويقال سمه ابنه حسن

و يقال داخل ابنه حسن جاريته فأدخلته ليلا لتخنق أباه ثم قتلها وملك مكة واستعض لذلك ابنه راجح بن أبي عزيز قتادة وشكاه الى أمير حاج اقباش التركى عند وصوله فأشكاه ووعده بالانصاف منه فأغلق حسن أبواب مكة وخرج بعض أصحابه الى الامير اقباش فلقوه عند باب المعلى فقتلوه وعلقوه بالمسعى ثم جاء المسعود بن الكامل سنة عشرين من اليمن الى مكة فحج وقاتله حسن ببطن المسعى فغلبه المسعود وملك مكة ونصب رايته وأزال راية أمير الركب وكتب الخليفة من بغداد يعاتب أباه على ذلك وعلى مافعله فى مكة والتخلف فكتب اليه أبوه برئت يا أقسى من ظهر العادل ان لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فغرم ديات الشرفاء وأصابه شلل فى يده ومضى حسن بن قتادة الى بغداد صريخا بعد أن بقى طريدا بالشأم والجزيرة والعراق ثم جاء الى بغداد دخيلا وهم الترك بقتله باقباش أمير الركب فنعوا منه ومات ببغداد سنة ثنتين وعشرين ودفن بمشهد الكاظم ثم مات المسعود ابن الكامل بمكة سنة ست وعشرين ودفن بالمعلى وبقى على مكة قائده فخر الدين بن الشيخ وعلى اليمن أمير الجيوش عمر بن على بن رسول (وقصد راجح بن قتادة) مكة سنة تسع وعشرين مع عساكر عمر بن رسول فملكها سنة ثلاثين من يد فخر الدين بن الشيخ ولحق فخر الدين بمصر ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الامير جبريل وملكوا مكة وهرب راجح الى اليمن ثم جاء عمر بن رسول معه بنفسه فهربت عساكر مصر وملك راجح مكة وخطب لعمر بن رسول بعد المستنصر ولما ملك التتر العراق سنة أربع وثلاثين وعظم أمرهم وانتهوا الى اربل أبطل المستنصر الحج من أمر الجهاد وأفتاه العلماء بذلك ثم جهز المعتصم الحاج مع أمه سنة ثلاث وأربعين وشيعها الى الكوفة ولما حجت ضرب تركى فى الموسم شريفا وكتب راجح فيه الى الخليفة فقطعت يده وبطل الحج بعد ذلك ثم قوى أمر الموطئ امام الزيدية باليمن واعتزم على قطع الخطبة لبنى العباس فضاق به المظفر بن عمر بن رسول وكاتب المعتصم يحرضه على تجهيز الحاج بسبب ذلك ثم قوى أمر الموطئ امام الزيدية باليمن وسار جماز بن حسن بن قتادة سنة احدى وخمسين الى الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب بدمشق مستجيشا على أبى سعد على أن يقطع ذكر صاحب اليمن من مكة فجهز له عسكرا وسار الى مكة فقتل أبا سعد فى الحرم ونقض عهد الناصر وخطب لصاحب اليمن (قال ابن سعيد) وفى سنة ثلاث وخمسين بلغنى وأنا بالمغرب أن راجح بن قتادة جاء الى مكة وهو شيخ كبير السن وكان يسكن السدير على نحو اليمن فوصل الى مكة وأخرج منها جماز بن أبى عزيز فلحق بالينبع قال وفى سنة ثنتين وستين وصل الخبر الى المغرب بأن أمر مكة دائر بين أبى نمى بن أبى سعد الذى

قتل جماز به على امارة مكة وبين غالب بن راجح الذى أخرجه أبوه جماز الى الينبع ثم استبد أبو نمى على أمر مكة ونفى قتلة أبيه أبى سعد الى الينبع وهم ادريس وجماز ومحمد وقد كان ادريس منهم والى أمر مكة قليلا فانطلقوا الى الينبع وملكوه وأعقابهم أمراؤه لهذا العهد وأقام أبو نمى أميرا بمكة نحوا من خمسين سنة وهلك على رأس المائة السابعة أو بعدها بسنتين وخلف ثلاثين ولدا

(امارة بنى أبى نمى بمكة)

ولما هلك أبو نمى قام من بعده بأمر مكة ابناه رميثة وحميضة ونازعهما عطيفة وأبو الغيث فاعتقلاهما ووافق ذلك وصول بيبرس الجاشنكير كافل الملك الناصر بمصر لاول ولايته فأطلقهما وولاهما وبعث برميثة وحميضة الى مصر ثم ردهما السلطان الى امارتهما بمكة مع عسكره وبعث اليه بعطيفة وأبى الغيث ثم طال تنازعهم وتعاقبهم فى امارة مكة مرة بعد أخرى وهلك أبو الغيث فى بعض حروبهم ببطن مر ثم تنازع حميضة ورميثة وسار رميثة الى الملك الناصر سنة خمس عشرة واستمد بأمرائه وعساكره وهرب حميضة بعد أن استصفى أموال أهل مكة ثم رجع بعد رجوع العساكر الى مكة ثم اصطلحوا وتوافقوا ثم خالف عطيفة سنة ثمان عشرة ووصل الى السلطان وجاء بالعسكر فملك مكة وتقبض على رميثة فسجن أياما ثم أطلق سنة عشرين عند مقدم السلطان من حجه وأقام بمصر وبقى حميضة مشردا الى ان استأمن السلطان فأمنه وكان معه جماعة من المماليك فروا اليه من مصر أيام انتقاضه فشعروا بطاعته فخافوا على أنفسهم أن يحضروا معه فقتلوه وجاؤا الى السلطان يعتقدون ذلك وسيلة عنده فأقاد رميثة منهم بأخيه فقتل المباشر للقتل وعفا عن الباقين وأطلق رميثة الى مكة مشاركا لاخيه عطيفة فى امارتها ثم هلك عطيفة سنة (بياض بالاصل) وأقام أخوه رميثة بعده مستقلا بامارة مكة الى أن كبر وهرم ثم هلك وكان ابناه ثقبة وعجلان قد اقتسما معه امارة مكة برضاه ثم أراد الرجوع عن ذلك فلم يجيباه الى شئ مما أرادوا واستمرا على ولايتهما معه ثم تنازعا وخرج ثقبة وبقى عجلان بمكة ثم غلبه عليها ثقبة ثم اجتمعا بمصر سنة ست وخمسين فولى صاحب الامر بمصر عجلان منهما وفر ثقبة الى بلاد الحجاز فأقام هنالك وعاقبه الى مكة مرارا وجاء عجلان سنة ثنتين وستين بالمدد من عسكر القاهرة فكبسه ثقبة وقتل أخاه (بياض بالاصل) وبعضا من العسكر ولم يزل عجلان على امارته سالكا سبيل العدل والانصاف فى الرعية متجافيا عن الظلم عما كان عليه قومه من التعرض للتجار والمجاورين وسعى فى أيام امارته فى قطع ما كان لعبيدهم على الحاج من المكس وثبت لهم فى ديوان السلطان عليها عطاء يتعاهدهم أيام الموسم

وكانت من حسنات سلطان مصر وسعى هذا الامير عجلان جزاه الله خيرا وأقام على ذلك الى أن هلك سنة سبع وسبعين وولى ابنه أحمد بعده وقد كان فوض اليه فى حياته وقاسمه فى أمره فقام أحمد بأمر مكة وجرى على سنن أبيه فى اثبات مراسم العدل واحياء معالمه حتى شاع عنه ذلك فى الآفاق على ألسنة الحاج والمجاورين وولاه صاحب مصر لعهده الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على ما كان أبوه وسير اليه بالخلع والتفويض على عادتهم فى ذلك وكان فى محبس أحمد جماعة من قرابته منهم أخوه محمد ومحمد ابن أخيه ثقبة وعنان ابن عمه مغامس فى آخرين فلما مات أحمد هربوا من محبسهم ولحقوا بهم فردوهم وأجلوا محمد بن عجلان منهم الاعنانا فانه لحق بمصر مستجيشا على محمد وكبيش فأنجده السلطان وبعثه مع أمير الركب ليطالع أحوالهم واستصحب معه جماعة من الباطنية فتكوا بمحمد عند لقائه المحمل الذى عليه كسوة الكعبة بشارة الخليفة وتقبيله الخف الذى يحمله على العادة فى ذلك وتركوه صريعا فى مكانه ودخلوا الى مكة فولى أمير الحاج عنان بن مغامس ولحق كبيش وشيعته بجدة فلما انقضى الموسم ورجع الحاج جاء كبيش وأصحابه وحاصروا مكة وكان بينهم وبين عنان حروب قتل كبيش فى بعضها ثم لحق على بن عجلان وأخوه حسن بالملك الظاهر صاحب مصر فرأى أن يحسم المادة بولايته فولاه سنة تسع وثمانين مشاركا لعنان بن مغامس فى الامارة وسار مع أمير الركب فلما وصلوا الكومرد بكروا الى مكة على العادة وخرج عنان للقائهم ثم نكص من بعض الطريق هاربا ودخل على مكة واستقل بامارتها ولما انقضى الموسم ورجع الحاج جاء عنان ومعه بنو عمه مبارك وجماعة الشرفاء فحاصروا مكة على على ونازعوه الامارة ثم أفرجوا ثم رجعوا وحالهم على ذلك متصل لهذا العهد ووفدوا على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرد عليا بالامارة وأفاض عليه العطاء وأكثف له الجند والمستخدمين وأبقى عنان بن مغامس عنده وأجرى عليه الرزق ونظمه فى أهل دولته ثم نمى الى السلطان أنه يروم الفرار الى الحجاز لينازع أمير مكة على بن عجلان فقبض عليه وحبسه وقبض على بن عجلان على الاشراف الذين كانوا هنالك شيعة له ثم من عليهم وأطلقهم فعادوا الى منازعته والفتنة معه لهذا العهد والله متولى الامور لا رب غيره

الخبر عن بنى مهنى امراء المدينة النبوية من بنى الحسن وذكر أوليتهم ومفتتح امارتهم

كانت المدينة بلد الانصار من الاوس والخزرج كما هو معروف ثم افترقوا على أقطار الارض فى الفتوحات وانقرضوا ولم يبق بها أحد الا بقايا من الطالبيين قال

ابن

ابن الحصين فى ذيله على الطبرى دخلت المائة الرابعة والخطبة بالمدينة للمقتدر قال وترددت ولاية بنى العباس عليها والرياسة فيها بين بنى حسين وبنى جعفر الى أن أخرجهم بنو حسين فسكنوا بين مكة والمدينة ثم أجلاهم بنو حرب من زبيد الى القرى والحصون وأجاز وهم الى الصعيد فهم هنالك الى اليوم وبقى بنو حسين بالمدينة الى أن جاءهم طاهر بن مسلم من مصر فملكوه عليهم وفى الخبر عن وصول طاهر هذا أن مسلما أباه اسمه محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بن جعفر ويسمى عند الشيعة حجة الله بن عبيد الله بن الحسين الاصغر بن زين العابدين وكان مسلم هذا صديقا لكافور المتغلب على الاخشيدية بمصر وكان يدبر أمره ولم يكن بمصر لعصره أوجه منه ولما ملك العبيديون مصر وجاء المعز لدين الله ونزل بالقاهرة التى اختطها وذلك سنة خمس وستين وثلثمائة خطب يومئذ من مسلم هذا كريمته لبعض بنيه فرده مسلم فسخطه المعز ونكبه واستصفى أمواله وأقام فى اعتقاله الى أن هلك ويقال فر من محبسه فهلك فى سفره ولحق ابنه طاهر بن محمد بعد ذلك بالمدينة فقدمه بنو حسين على أنفسهم واستقل بامارتها سنين ثم مات سنة احدى وثمانين وثلثمائة وولى مكانه ابنه الحسن وفى كتاب العتبى مؤرخ دولة ابن سبكتكين ان الذى ولى بعده هو صهره وابن عمه داود بن القاسم ابن عبيد الله بن طاهر وكنيته أبو على واستقل بها دون ابنه الحسن الى أن هلك وولى بعده ابنه هانى ثم ابنه مهنى ولحق الحسن بمحمود بن سبكتكين فأقام عنده بخراسان وهذا غلط لان المسبحى مؤرخ العبيديين ذكر وفاة طاهر بن مسلم فى سنتها كما قلناه وولاية الحسن ابنه وقال فى سنة ثلاث وثمانين وعامل المدينة الحسن بن طاهر ويلقب مهنى والمسبحى أقعد بأخبار المدينة ومصر من العتبى الا أن أمراء المدينة لهذا العهد ينتسبون الى داود ويقولون جاء من العراق فلعلهم لقنوا ذلك عمن لا يعرفه ومؤرخ حماة متى ينسب أحدا من أوليهم انما ينسبه الى أبى داود والله أعلم وقال أبو سعيد وفى سنة تسعين وثلثمائة ملكها أبو الفتوح حسن بن جعفر أمير مكة من بنى سليمان بأمر الحاكم العبيدى وأزال عنها امارة بنى مهنى من بنى الحسين وحاول نقل الجسد النبوى الى مصر ليلا فأصابتهم ريح عاصفة أظلم لها الجو وكادت تقتلع البناء من أصله فردهم أبو الفتوح عن ذلك ورجع الى مكة وعاد بنو مهنى الى المدينة وذكر مؤرخ حماة من أمرائهم منصور بن عمارة ولم ينسبه وقال مات سنة سبع وتسعين وأربعمائة وولى بعده ابنه قال وهم من ولد مهنى وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنى ابن حسين بن مهنى بن داود وكنيته أبو قليتة وأنه حضر مع صلاح الدين بن أيوب غزاة انطاكية وفتحها سنة أربع وثمانين وخمسمائة وقال الزنجارى مؤرخ الحجاز فيما ذكر

عنه ابن سعيد حين ذكر ملوك المدينة من ولد الحسين فقال وأحقهم بالذكر لجلالة قدره
قاسم بن جماز بن قاسم بن مهنى ولاه المستضىء فأقام خمسا وعشرين سنة ومات سنة
ثلاث وثمانين وخمسمائة وولى ابنه سالم بن قاسم وكان شاعرا وهو الذى كانت بينه وبين
أبى عزيز قتادة صاحب مكة وقعة المصارع ببدر سنة احدى وستمائة زحف أبو عزيز من
مكة وحاصره بالمدينة واشتد فى حصاره ثم ارتحل وجاء المدد الى سالم من بنى
لام احدى بطون همذان فأدرك أبا عزيز ببدر واقتتلوا وهلك من الفريقين خلق
وانهزم أبو عزيز الى مكة وفى سنة احدى وستمائة جاء المعظم عيسى بن العادل لجدد
المصانع والبرك وكان معه سالم بن قاسم أمير المدينة جاء يشكو من قتادة فرجع معه ومات
فى الطريق قبل وصوله الى المدينة وولى بعده ابنه شيحة وكان سالم قد استخدم عسكرا من
التركمان فمضى بهم جماز بن شيحة الى قتادة وغلبه وفر الى الينبع وتحصن بها وفى سنة
سبع وأربعين قتل صاحب المدينة شيحة وولى ابنه عيسى ثم قبض عليه أخوه جماز سنة
تسع وأربعين وملك مكانه قال ابن سعيد وفى سنة تسع وخمسين كان بالمدينة أبو الحسن
ابن شيحة بن سالم وقال غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين أبو مالك منيف بن شيحة
ومات سنة سبع وخمسين وولى أخوه جماز وطال عمره ومات سنة أربع وسبعمائة وولى
ابنه منصور ولحق أخوه مقبل بالشأم ووفد على بيبرس بمصر فأقطعه نصف أقطاع
منصور ثم أقبل الى المدينة على حين غفلة من أخيه منصور وبها ابنه أبو كبيشة فملكها
عليه ولحق أبو كبيشة بأحياء العرب ثم استجاشهم ورجع الى المدينة سنة تسع فقتل عمه
مقبلا وجاء منصور الى محل امارته وكان لمقبل ابن اسمه ماجد فأقطع بعض اقطاع أبيه
فأقام مع العرب يجلب على المدينة ويخالف منصورا عمه اليها متى خرج عنها ووقع بين
منصور وبين قتادة صاحب الينبع حرب سنة احدى عشرة من أجله ثم جاء ماجد بن
مقبل بالمدينة سنة سبع عشرة لقتال عمه منصور واستنجد منصور بالسلطان فبعث اليه
العساكر وحاصر ماجد بن مقبل بالمدينة ثم قاتلهم وانهزم وبقى منصور على امارته وتوفى
سنة خمس وعشرين وولى ابنه كبيش بن منصور على امارته وطالت أيامه ونازعه ودى
ابن جماز وحاصره وولى بعده طفيل وقبض عليه طاز سنة احدى وخمسين وولى عطية
ثم توفى عطية سنة ثلاث وثمانين وولى بعده طفيل وقبض عليه فامتنع وولى جماز بن هبة
ابن جماز بن منصور وملوك الترك بمصر يختارون لولايتها من هذين البيتين لا يعدلون
عنهما الى سواهما وولايتها اليوم لجماز بن هبة بن جماز وابن عمه

بياض بالأصل

ابن محمد بن عطية ينازعه لما بينهما من المنازعة والمنافسة قديما وحديثا شأن العجلين
فى التنور وهما جميعا على مذهب الامامية من الرافضة ويقولون بالأئمة الاثنى عشر

وبما

وبما ناسب ذلك من اعتقادات الامامية والله يخلق ما يشاء ويختار هذا آخر الخبر
عن أمراء المدينة ولم أقف على أكثر منه والله المقدر لجميع الامور وسبحانه لا اله الا هو

(الخبر عن دولة بنى الرسى أئمة الزيدية بصعدة وذكر أوليتهم ومصاير أحوالهم)

قد ذكرنا فيما تقدم خبر محمد بن ابراهيم الملقب أبوه طباطبا ابن اسمعيل بن ابراهيم
ابن حسن الدعى وظهوره أيام المأمون وقيام أبى السرايا ببيعته وشأنه كله ولما هلك
وهلك أبو السرايا وانقرض أمرهم طلب المأمون أخاه القاسم الرسى ابن ابراهيم
طباطبا ففر الى السند ولم يزل به الى أن هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ورجع ابنه
الحسن الى اليمن وكان من عقبه الأئمة بصعدة من بلاد اليمن وكان من عقبه أقاموا
للزيدية بها دولة اتصلت آخر الايام وصعدة جبل فى الشرق عن صنعاء وفيه حصون
كثيرة أشهرها صعدة وحصن تلا وجبل مطابة وتعرف كلها ببنى الرسى وأول من خرج
بها منهم يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى دعا لنفسه بصعدة وتسمى بالهادى وبويع بها
سنة ثمان وثمانين فى حياة أبيه الحسين وجمع الجموع من شيعتهم وغيرها وحارب ابراهيم
ابن يعفر فقال أسعد بن يعفر السادس من أعقابه التبابعة لصنعاء وكلا فغلبه على صنعاء
ونجران فملكها وضرب السكة ثم انتزعها بنو يعفر منه ورجع الى صعدة وتوفى
سنة ثمان وتسعين لعشر سنين من ولايته هكذا قال ابن الحار قال وله مصنفات فى الحلال
والحرام وقال غيره كان مجتهدا فى الاحكام الشرعية وله فى الفقه آراء غريبة وتواليف
بين الشيعة معروفة قال الصولى وولى بعده ابنه محمد المرتضى واضطرب الناس عليه
وهلك سنة عشرين وثلثمائة لست وعشرين سنة من ولايته وولى بعده أخوه الناصر
أحمد واستقام ملكه واطرد فى بنيه بعده فولى بعده ابنه حسين المنتخب ومات سنة أربع
وعشرين وولى بعده أخوه القاسم المختار الى أن قتله أبو القاسم الضحاك الهمدانى
سنة أربع وأربعين وقال الصولى من بنى الناصر الرشيد والمنتخب ومات سنة أربع
وعشرين وقال ابن حزم لما ذكر ولد أبى القاسم الرسى فقال ومنهم القائمون بصعدة من
أرض اليمن أولهم يحيى الهادى له رأى فى الفقه وقد رأيته ولم يبعد فيه عن الجماعة
كل البعد كان لابنه أحمد الناصر بنون ولى منهم صعدة بعده جعفر الرشيد وبعده أخوه
القاسم المختار ثم الحسن المنتخب ومحمد المهدى قال وكان اليمانى القائم بمارده سنة
ثلاث وأربعين وثلثمائة يذكر أنه عبد الله بن أحمد الناصر أخو الرشيد والمختار والمنتخب
والمهدى وقال ابن الحاب ولم تزل امامتهم بصعدة مطردة الى أن وقع الخلاف بينهم وجاء
السليمانيون من مكة عندما أخرجهم الهواشم فغلبوا عليهم بصعدة وانقرضت
دولتهم بها فى المائة السادسة قال ابن سعيد وكان من بنى سليمان حين خرجوا من مكة

الى اليمن أحمد بن حمزة بن سليمان فاستدعاهم أهل زبيد لينصرهم على على بن مهدى الخارجى حين حاصرهم وبها فاتك بن محمد من بنى نجاح فأجابهم على أن يقتلوا فاتكا فقتلوه سنة ثلاث وخمسمائة وملكوا عليهم أحمد بن حمزة فلم يطق مقاومة على بن مهدى ففر عن زبيد وملكها ابن مهدى قال وكان عيسى بن حمزة أخو أحمد فى عشرة باليمن ومنهم غانم بن يحيى ثم ذهب ملك بنى سليمان من جميع التهائم والجبال واليمن على يد بنى مهدى ثم ملكهم بنو أيوب وقهروهم واستقر ملكهم آخرا فى المنصور عبد الله ابن أحمد بن حمزة قال ابن العديم أخذ الملك بصعدة عن أبيه واشتدت يده مع الناصر العباسى وكان يناظره ويبعث دعاته الى الديلم وجيلان حتى خطب له هنالك وصار له فيها ولاة وأنفق الناصر عليه أموالا فى العرب باليمن ولم يظفر به قال ابن الاثير جمع المنصور عبد الله بن حمزة أيام الزيدية بصعدة سنة ثنتين وخمسمائة وزحف الى اليمن فخاف منه المعز بن سيف الاسلام طغتكين بن أيوب ثم زحف اليه المعز فهزمه ثم جمع ثانية سنة ثنتى عشرة وستمائة جموعا من همذان وخولان وارتجت له اليمن وخاف المسعود بن الكامل وهو يومئذ صاحب اليمن ومعه الكرد والترك وأشار أمير الجيوش عمر بن رسول بمعاجلته قبل أن يملك الحصون ثم اختلف أصحاب المنصور ولقيه المسعود فهزمه وتوفى المنصور سنة ثلاثين وستمائة عن عمر مديد وترك ابنا اسمه أحمد ولاه الزيدية ولم يخطبوا له بالامامة ينتظرون علو سنه واستكمال شروطه ولما كانت سنة خمس وأربعين بايع قوم من الزيدية لاحمد الموطئ من بقية الرسى وهو أحمد بن الحسين من بنى الهادى لانهم لما أخرجهم بنو سليمان من كرسى امامتهم بصعدة آووا الى جبل قطابة بشرقى صعدة فلم يزالوا هنالك وفى كل عصر منهم امام شائع بأن الامر اليهم الى أن بايع الزيدية الموطئ وكان فقيها أديبا عالما بمذهبهم قواما صواما بويع سنة خمس وأربعين وستمائة وأهم نور الدين عمر بن رسول شأنه فحاصره بحصن ثلا سنة وامتنع عليه فأفرج عنه وجمل العساكر من الحصون المجاورة لحصاره ثم قتل عمر بن رسول وشغل ابنه المظفر بحصن الدملوة فتمكن الموطئ وملك عشرين حصنا وزحف الى صعدة فغلب السليمانيين عليها وقد كانوا بايعوا لاحمد بن امامهم عبد الله المنصور ولقبوه المتوكل عندما بويع للموطئ بالامامة فى ثلا لانهم كانوا ينتظرون استكمال سنه فلما بويع الموطئ بايعوه ولما غلبهم على صعدة نزل أحمد المتوكل امامهم وبايع له وأمنه وذلك سنة تسع وأربعين ثم حج سنة خمسين وبقى أمر الزيدية بصعدة فى عقب الموطئ هذا وسمعت بصعدة أن الامام بصعدة كان قبيل الثمانين والسبعمائة على بن محمد فى أعقابهم وتوفى قبل الثمانين والسبعمائة على بن محمد من

أعقابهم وولى ابنه صلاح وبايعه الزيدية وكان بعضهم يقول ليس هو بامام لعدم شروط الامامة فيقول هو أنا لكم ماشئتم امام أو سلطان ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين وقام بعده ابنه نجاح وامتنع الزيدية من بيعته فقال أنا محتسب لله هذا ما بلغنا عنهم بمصر أيام المقام فيها والله وارث الارض ومن عليها

* (الخبر عن نسب الطالبيين وذكر المشاهير من أعقابهم) *

وأما نسب هؤلاء الطالبيين فأكثرها راجع الى الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب من فاطمة رضى الله عنها وهما سبطا الرسول صلى الله عليه وسلم والى أخيهما محمد ابن الحنفية وان كان لعلى رضى الله عنه غيرهم من الولد الا أن الذين طلبوا الحق فى الخلافة وتعصبت لهم الشيعة ودعوا لهم فى الجهات انما هم الثلاثة لا غيرهم فأما الحسن فمن ولده الحسن المثنى وزيد ومنهما العقب المشهود له فى الدعوة والامامة ومن ولد حسن المثنى عبد الله الكامل وحسن المثلث وابراهيم العمر وعباس وداود فأما عبد الله الكامل وبنوه فقد مر ذكرهم وأنسابهم عند ذكر ابنه محمد المهدى وأخبارهم مع أبى جعفر المنصور وكان منهم الملوك الادارسة بالمغرب الاقصى بنو ادريس بن ادريس ابن عبد الله الكامل ومن عقبهم بنو حمود ملوك الاندلس الدائلون بها من بنى أمية آخر دولتهم ومنهم بنو حمود بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر بن ادريس وسيأتى ذكر أخبارهم ومنهم بنو سليمان بن عبد الله الكامل كان من عقبه ملوك اليمامة بنو محمد الاخيضر بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون ومنهم بنو صالح بن موسى بن عبد الله الساقى ويلقب بأبى الكرام بن موسى الجون وهم الذين كانوا ملوكا بغانة من بلاد السودان بالمغرب الاقصى وعقبهم هنالك معروفون ومن عقبه أيضا الهواشم بنو أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد الاكبر بن موسى الثانى بن عبد الله أبى الكرام كانوا أمراء مكة لعهد العبيديين وقد مر ذكرهم ومن أعقابهم بنو قتادة بن ادريس ابن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن موسى الجون وملكوا مكة بعد الهواشم على يد قتادة أبيهم هذا فمنهم بنو نمى بن سعد بن على بن قتادة أمراء مكة لعهدنا ومن عقب داود بن حسن المثنى السليمانيون الذين كانوا بمكة وهم بنو سليمان ابن داود وغلبهم عليها الهواشم آخرا وصاروا الى اليمن فقامت الزيدية بدعوتهم كما مر فى أخبارهم ومن عقب حسن المثلث بن حسن المثنى حسين بن على بن حسن المثلث الخارج على الهادى وقد مر ذكره ومن عقب ابراهيم العمر بن حسن المثنى ابن طباطبا واسمه ابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم كان منهم محمد بن طباطبا أبو الائمة بصعدة الذين غلبهم عليها بنو سليمان بن داود بن حسن المثنى حين جاؤا من مكة ثم غلبهم

بنو الرسى عليها ورجعوا الى امامهم بصعدة وهم بها لهذا العهد ومنهم بنو سليمان بن داود
ابن حسن المثنى وابنه محمد بن سليمان القائم بالمدينة أيام المأمون قال ابن حزم وعقبه
بالمدينة لابى جعفر المنصور ولا عقب لزيد الا منه وكان من عقبه محمد بن الحسن بن
محمد بن ابراهيم بن الحسن بن زيد قام بالمدينة أيام المعتمد وجاهر بالمنكرات والقتل الى أن
تعطلت الجماعات ومن عقبه أيضا القائم بطبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن
الحسن بن زيد وأخوه محمد القائم من بعده وقد مر خبرهما ومنهم الداعى الصغير بالرى
وطبرستان وهو الحسن بن القاسم بن على بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد الطعانى بن
القاسم بن الحسن بن زيد وكانت بين هذا الداعى الصغير وبين الاطروش حروب وقتل
هذا الداعى سنة تسع عشرة وثلثمائة ومن عقبه أيضا القاسم بن على بن اسمعيل أحد
قواد الحسن بن زيد وهم غير وانم أهل تلك الآفاق وأذهبوا بهجتهم وكانوا سببا
لتورد الديلم بلاد الاسلام لما يستجيشونهم وخرج معهم ومع الاطروش الحسنى ما كان
ابن كالى ملك الديلم وكان مرداويح وبنو بويه من بعض رجاله وكان لهم من عشيرهم
قواد ورجال تسموا باسم الديلم من أجل مرباهم بينهم والله يخلق ما يشاء (وأما الحسين)
وهو القتيل بالطعن أيام يزيد بن معاوية فمن ولده على بن زين العابدين بن زيد الشهيد
ومحمد الباقر وعبد الله الارقط وعمر والحسن الاعرج فمن ولد الارقط الحسين الكوكبى
ابن أحمد بن محمد بن اسمعيل بن أحمد بن عبد الله الارقط كان من قواد الحسن الاطروش
ابن الحسن بن على القائم بن على بن عمر قام بأرض الطالقان أيام المعتصم ثم هرب من
سفك الدماء واستتر الى أن مات وكان معتزليا ومنهم الاطروش أسلم على يديه الديلم وهو
الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر وكان فاضلا حسن المذهب عدلا ولى طبرستان
وقتل سنة أربع وثلثمائة وقام بعده أخوه محمد ومات وقام الحسين ابن أخيه محمد بن
على وقتل بها سنة ست عشرة وثلثمائة قتله جيوش نصر بن أحمد بن اسمعيل بن أحمد بن
نوح بن أسد السامانى صاحب خراسان ومن ولد الحسين الهمرج بن زين العابدين بن
عبد الله العقيقى بن الحسين كان من ولده الحسين بن محمد بن جعفر بن عبد الله العقيقى
قتله الحسن بن زيد صاحب طبرستان ومنهم جعفر بن عبيد الله بن الحسين الاعرج
كان شيعته يسمونه حجة الله وكان من عقبه الملقب بمسلم الذى دبر أمر مصر أيام كافور
وهو محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسين بن جعفر حجة الله وابنه طاهر
ابن مسلم ومن عقب طاهر هذا أمراء المدينة لهذا العهد بنو جماز بن هبة بن جماز بن
منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن القاسم بن مهنى ومهنى بن مهنى بن داود بن القاسم
أخى مسلم وعمر وطاهر وزعم ابن سعيد ان بنى جماز بن شيحة أمراء المدينة هؤلاء من

ولد عيسى بن زيد الشهيد وفيه نظر ومن ولد الحسين الحسن الاعرج وزيد هو القائم
بالكوفة على هشام بن عبد الملك سنة احدى وعشرين ومائة وقتل وخرج ابنه يحيى
سنة خمس وعشرين بخراسان وقتل وقد انتمى صاحب الزنج فى بعض أوقاته اليه
وأخوه عيسى بن زيد الذى حارب المنصور أول خلافته من ولد الحسين الذى كان من
عقبه يحيى بن عمر بن يحيى القائم بالكوفة أيام المستعين وكان حسن المذهب فى الصحابة
واليه ينسب العمريون الذين استولوا على الكوفة أيام الديلم من قبل السلطان ببغداد
وعلى بن زيد بن الحسين بن زيد قام بالكوفة ثم هرب الى صاحب الزنج بالبصرة فقتله
وأخذ جارية له كان سباها من البصرة ومن ولد محمد الباقر بن زين العابدين عبد الله
الافطح وجعفر الصادق فكانت لعبد الله الافطح شيعة يدعون امامته منهم
زرارة بن أعين الكوفى ثم قام بالمدينة وسأله عن مسائل من الفقه فألفاه جاهلا فرجع عن
القول بامامته فانقطعت الافطحية وزعم ابن حزم أن بنى عبيد ملوك مصر ينسبون
اليه وليس ذلك بصحيح ومن ولد جعفر الصادق اسمعيل الامام وموسى الكاظم ومحمد
الديباجة فأما محمد الديباجة فخرج بمكة أيام المأمون وبايع له أهل الحجاز بالخلافة وحمله
المعتصم لماج وجاء به الى المأمون فعفا عنه ومات سنة ثلاث ومائتين وأما اسمعيل
الامام وموسى الكاظم فعليهما وعلى بنيهما مدار اختلاف الشيعة وكان الكاظم
على زى الاعراب مائلا الى السواد وكان الرشيد يؤثره ويتجافى عن السعاية فيه
كما مر ثم حبسه ومن عقبه بقية الائمة الاثنى عشر عند الامامية من لدن على بن أبى
طالب الوصى ووفاته سنة خمس وثلاثين ثم ابنه الحسن ووفاته سنة خمس وأربعين
ثم أخوه الحسين ومقتله سنة احدى وستين ثم ابنه زين العابدين ووفاته ثم ابنه

بياض بالاصل

محمد الباقر ووفاته سنة احدى وثمانين ومائة ثم ابنه جعفر الصادق ووفاته سنة ثلاث
وأربعين ومائة ثم ابنه موسى الكاظم ووفاته سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو سابع الائمة
عندهم ثم ابنه على الرضا ووفاته سنة ثلاث ومائتين ثم ابنه محمد المقتفى ووفاته سنة
عشرين ومائتين ثم ابنه على الهادى ووفاته سنة أربع وخمسين ومائتين ثم ابنه حسن
العسكرى ووفاته سنة ستين ومائتين ثم ابنه محمد المهدى وهو الثانى عشر وهو عندهم
حى منتظر وأخبارهم معروفة ومن عقب موسى الكاظم من غير الائمة ابنه ابراهيم
المرتضى ولاه محمد بن طباطبا وأبو السرايا على اليمن فذهب اليها ولم يزل بها أيام المأمون
يسفك الدماء حتى لقبه الناس بالجزار وأظهر الامامة عندما عهد المأمون لاخيه
الرضا ثم اتهم المأمون بقتله فجاهر وطلب لنفسه ثم عقد المأمون على حرب الفاطميين
باليمن لمحمد بن زياد بن أبى سفيان لما بينهم من البغضاء فأوقع بهم مرارا وقتل شيعتهم

وفرّق جماعتهم ومن عقبه موسى بن ابراهيم جد الشريف الرضى والمرتضى واسم كل منهما على بن الحسين بن محمد بن موسى بن ابراهيم ومن عقب موسى الكاظم ابنه زيد ولاه أبو السرايا على الاهواز فسار الى البصرة وملكها وأحرق دور العباسيين بها فسمى زيد النار ومن عقبه زيد الجنة بن محمد بن زيد بن الحسن بن زيد النار من أفاضل هذا البيت وصلحائهم حمل الى بغداد فى محنة الفاطميين أيام المتوكل ودفع الى ابن أبى دواد ليمتحنه فشهد له وأطلقه ومن عقب موسى الكاظم ابنه اسمعيل ولاه أبو السرايا على فارس ومن عقب جعفر الصادق من غير الائمة محمد وعلى ابنا الحسين بن جعفر قاما بالمدينة سنة احدى وسبعين ومائتين وسفكا الدماء وانتهبا الاموال واستلحما آل جعفر بن أبى طالب وأقامت المدينة شهرا لا تقام فيها جمعة ولا جماعة ومن عقب اسمعيل الامام العبيديون خلائف القيروان ومصر بنو عبيد الله المهدى بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل وقد مرّ ذكرهم وما للناس من الخلاف فى نسبهم وهو مطروح كله وهذا أصح ما فيه وقال ابن حزم انهم من بنى حسن النغيض وهو عم المهدى وعنده أنها دعوى منهم (وأما محمد ابن الحنفية) فكان من ولده عبد الله بن عباس وأخوه على بن محمد وابنه الحسن بن على بن محمد وكل ادّعت الشيعة امامته وخرج باليمن على المأمون ولد على من غير هؤلاء عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله ابن محمد بن على بن أبى طالب ومن ولد جعفر بن أبى طالب عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب القائم بفارس وبويع بالكوفة وأراد بعض شيعة العباسية تحويل الدعوة اليه فمنع أبو مسلم من ذلك وكانت له شيعة ينتظرونه وساقوا الخلافة اليه من أبى هاشم بن محمد ابن الحنفية بالوصية وكان فاسقا وكان معاوية ابنه نظير أبيه فى الشر انتهى الكلام فى أنساب الطالبيين وأخبارهم فلنرجع الآن الى أخبار بنى أمية بالاندلس المنازعين للدعوة العباسية ثم نرجع الى دول القائمين بالدعوة العباسية المستبدين عليهم من العرب والترك واليمن والجزيرة والشأم والعراق والمغرب والله المستعان

{ الخبر عن دولة بنى أمية بالاندلس من هذه الطبقة المنازعين للدعوة العباسية وبداية أمرهم وأخبار ملوك الطوائف من بعدهم }

كان هذا القطر الاندلسى من العدوة الشمالية عن عدوة البحر الرومى وبالجانب الغربى منها يسمى عند العرب اندلوش وتسكنه أمم من افرنجة المغرب أشدهم وأكثرهم الجلالقة وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على أمره لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن تنصرف

القوط

القوط الى الاندلس فساروا اليها وملكوها ولما أخذ الروم واللطينيون بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من أهل افرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وكانت دار ملكهم وربما ⁝ بياض بالأصل ⁝ ما بينها وبين قرطبة وماردة واشبيلية وأقاموا كذلك نحو أربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لزريق وهو سمة لملوكهم كجرجير سمة ملوك صقلية ونسب القوط وخبر دولتهم قد تقدم وكانت لهم خطوة وراء البحر فى هذه العدوة الجنوبية خطوها من فرضة المجاز بطنجة ومن زقاق البحر الى بلاد البربر واستعبدوهم وكان ملك البرابرة بذلك القطر الذى هو اليوم جبال غمارة يسمى بليان وكان يدين بطاعتهم وبملتهم وموسى بن نصير أمير العرب اذ ذاك عامل على افريقية من قبل الوليد ابن عبد الملك ومنزله بالقيروان وكان قد أغزى لذلك العهد عساكر المسلمين بلاد المغرب الاقصى ودوّخ أقطاره وأوغل فى جبال طنجة هذه حتى وصل خليج الزقاق واستنزل بليان لطاعة الاسلام وخلف مولاه طارق بن زياد الليثى واليا بطنجة وكان بليان ينقم على لزريق ملك القوط لعهده بالاندلس لفعلة بابنته فى داره كما زعموا على عادتهم فى بنات بطارقتهم فغضب لذلك وأجاز الى لزريق فأخذ ابنته منه ثم لحق بطارق فكشف للعرب عورة القوط ودلهم على غرة فيهم أمكنت طارقا الفرصة فانتهزها لوقته وأجاز البحر سنة ثنتين وتسعين من الهجرة باذن أميره موسى بن نصير فى نحو ثلثمائة من العرب وانتهب معهم من البربر زهاء عشرة آلاف فصيرهم عسكرا ⁝ بياض بالأصل ⁝ ونزل بهم جبل الفتح فسمى جبل طارق به والآخر على طريف بن مالك النخعى ونزل بمكان مدينة طريف فسمى به وأداروا الاسوار على أنفسهم للتحصين وبلغ الخبر لزريق فنهض اليهم يجر أمم الاعاجم وأهل ملة النصرانية فى زهاء أربعين ألفا فالتقوا بفحص شريش فهزمه الله ونفلهم أموال أهل الكفر ورقابهم وكتب طارق الى موسى بن نصير بالفتح وبالغنائم فحركته الغيرة وكتب الى طارق يتوعده بأنه يتوغل بغير اذنه ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به واستخلف على القيروان ولده عبد الله وخرج معه حبيب بن أبى عبد الله المهدى الفهرى ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة فى عسكر ضخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الاندلس وتلقاه طارق وانقاد واتبع وتمم موسى الفتح وتوغل فى الاندلس الى برشلونة فى جهة الشرق وأربونة فى الجوف وصنم قادس فى الغرب ودوّخ أقطارها وجمع غنائمها وجمع أن يأتى المشرق على القسطنطينية ويتجاوز الى الشأم ودروب الاندلس ويخوض ما بينها من بلاد الاعاجم أمم

النصرانية مجاهدا فيهم مستحملا لهم الى أن يلحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد
فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث
اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر الى سفيره أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو وكتب له
بذلك عهده ففت ذلك فى عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية
بثغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها وأنزله بقرطبة فاتخذها
دار امارة واحتل موسى بالقيروان سنة خمس وتسعين وارتحل الى الشرق سنة ست
بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على العجل والظهر يقال كان من
جملتها ثلاثون ألف فارس من السبى وولى على افريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان
فسخطه ونكبه وسارت عساكر الاندلس بابنه عبد العزيز باغراء سليمان فقتلوه لسنتين
من ولايته وكان خيرا فاضلا وافتتح فى ولايته مدائن كثيرة وولى من بعده أيوب بن
حبيب اللخمى وهو ابن أخت موسى بن نصير فتولى عليها ستة أشهر ثم تتابعت ولاة
العرب على الاندلس فتارة من قبل الخليفة وتارة من قبل عامله على القيروان وأثخنوا
فى أمم الكفر وافتتحوا برشلونة من جهة الشرق وحصون بشتالة وبسائطها من جهة
الجوف وانقرضت أمم القوط وارز الجلالقة ومن بقى من أمم العجم الى جبال قشتالة
واربونة وأفواه الدروب فتحصنوا بها وأجازت عساكر المسلمين ما وراء برشلونة من
دروب الجزيرة حتى احتلوا بسائط وراءها وتوغلوا فى بلاد الفرنجة وعصف ريح
الاسلام بأمم الكفر من كل جهة وربما كان بين جنود الاندلس من العرب اختلاف
وتنازع أوجب للعدو بعض الكرة فرجع الفرنج ما كانوا غلبوهم عليه وكان محمد بن
يزيد عامل افريقية لسليمان بن عبد الملك لما بلغه مهلك عبد العزيز بن موسى بن نصير بعث
الى الاندلس الحرب بن عبد الرحمن بن عثمان   فقدم الاندلس وعزل   بياض بالأصل
أيوب بن حبيب وولى سنتين وثمانية أشهر ثم بعث عمر بن عبد العزيز على الاندلس
السمح بن مالك الخولانى على رأس المائة من الهجرة وأمره أن يخمس أرض
الاندلس فخمسها وبنى قنطرة قرطبة واستشهد غازيا بأرض الفرنجة سنة ثنتين ومائة
فقدم أهل الاندلس عليهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى الى أن قدم عنبسة بن سحيم
الكلبى من قبل يزيد بن مسلم عامل افريقية وكان أولهم يحيى بن سلمة الكلبى
أنفذه حنظلة ابن صفوان الكلبى والى افريقية لما استدعى منه أهل الاندلس واليا
بعد مقتل عنبسة فقدمها آخر سنة سبع وأقام فى ولايتها سنتين ونصفا ولم يغز ثم قدم
اليها عثمان بن أبى   واليا من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمى   بياض بالأصل
صاحب افريقية وعزله لخمسة أشهر بحذيفة بن الاحوص العتبى فوافاها سنة عشر

وعزل قريبا يقال لسنة من ولايته واختلف هل تقدمه عثمان أم هو تقدم عثمان ثم ولى
بعده الهيثم بن عبيد الكلابى من قبل عبيدة بن عبد الرحمن أيضا قدم فى المحرم سنة
احدى عشرة وغزا أرض مقرشة فافتتحها وأقام عشرة أشهر وتوفى سنة ثلاث عشرة
لسنتين من ولايته وقدم بعده محمد بن عبد الله بن الحبحاب صاحب افريقية فدخلها
سنة ثلاث عشرة وغزا افرنجة وكانت له فيهم وقائع وأجب عسكره فى رمضان سنة
أربع عشرة فولى سنتين وقال الواقدى أربع سنين وكان ظلوما جائرا فى حكومته
وغزا أرض البشكنس سنة خمس عشرة ومائة وأوقع بهم وغنم ثم عزل فى رمضان
سنة ست عشرة وولى عتبة بن الحاج السلولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب فقدم سنة
سبع عشرة وأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهدا مظفرا حتى بلغ سكنى المسلمين
أردونة وصار مساكنهم على نهر ودونة ثم قام عليه عبد الملك بن قطن الفهرى سنة
احدى وعشرين فخلعه وقتله ويقال أخرجه من الاندلس وولى مكانه الى أن دخل
بلج بن بشر بأهل الشأم سنة أربع وعشرين كامر فغلب عليه وولى الاندلس سنة
أو نحوها وقال الرازى ثار أهل الاندلس بعقبة بن الحجاج أميرهم فى صفر من سنة ثلاث
وعشرين فى خلافة هشام بن عبد الملك وولوا عليهم عبد الملك بن قطن ولايته الثانية
فكانت ولاية عقبة ستة أعوام وأربعة أشهر وتوفى بسرقوسة فى صفر سنة ثلاث
وعشرين واستقام الامر لعبد الملك ثم دخل بلج بن بشر من أهل الشأم ناجيا من وقعة
كلثوم بن عياض مع البربر محلومه فثار على عبد الملك وقتله وانحاز الفهريون الى جانب
فامتنعوا عليه وكاشفوه واجتمع عليهم من نكر فعلته بابن قطن وقام بأمرهم قطن
وأمية ابنا عبد الملك بن قطن والتقوا فكانت الدبرة على الفهريين وهلك بلج من الجراح
التى أصابته فى حربهم وذلك سنة أربع وعشرين لسنة أو نحوها من امارته ثم ولى
ثعلبة بن سلامة الجذامى غلب على امارة الاندلس بعد مهلك بلج وانحاز عنه الفهريون
فلم يطيعوه وولى سنتين أظهر فيها العدل ودانت له الاندلس عشرة أشهر الى أن ثار به
العصبة اليمانية فعسر أمره وهاجت الفتنة وقدم أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبى
من قبل حنظلة بن صفوان عامل افريقية وركب اليها البحر من تونس سنة خمس
وعشرين فدانت له أهل الاندلس وأقبل اليه ثعلبة وابن أبى سعد وابنا عبد الملك
فلقيهم وأحسن اليهم واستقام أمره وكان شجاعا كريما ذا رأى وحزم وكثر أهل الشأم
عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقهم فى البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها
دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص لشبهها بها وأهل قنسرين حيان
وسماها قنسرين وأهل الاردن رية وهى مالقة وسماها الاردن وأهل فلسطين شذونة

وهى شريش وسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وسماها مصر وقفل ثعلبة الى الشرق ولحق بمروان بن محمد وحضر حروبه وكان أبو الخطاب أعرابيا عصبيا أفرط عند ولايته فى التعصب لقومه من اليمانية وتحامل على المضرية وأسخط قيسا وأمر فى بعض الايام بالضميل بن حاتم كبير القيسية وكان من طوالع بلج وهو الضميل بن حاتم بن شمر بن ذى الجوشن ورأس على الحضرية فأمر به يوما فأقيم من مجلسه وتقنع فقال له بعض الحجاب وهو خارج من القصر أقم عمامتك يا أبا الجوشن فقال ان كان لى قوم فسيقيمونها فسار الضميل بن حاتم زعيمهم يومئذ وألب عليه قومه واستعان بالمنحرفين عنه من اليمنية فخلع أبا الخطاب سنة ثمان وعشرين لاربع سنين وتسعة أشهر من ولايته وقدم مكانه ثوابة بن سلامة الجذامى وهاجت الحرب المشهورة وخاطبوا بذلك عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية فكتب الى ثوابة بعهده على الاندلس منسلخ رجب سنة تسع وعشرين فضبط الاندلس وقام بأمره الضميل واجتمع عليه الفريقان وهلك لسنين من ولايته ووقع الخلاف بافريقية وتلاشت أمور بنى أمية بالمشرق وشغلوا عن قاصية المغرب بكثرة الخوارج وعظم أمر المسودة فبقى أهل الاندلس فوضى ونصبوا للاحكام خاصة عبد الرحمن بن كثير ثم اتفق جند الاندلس على اقتسام الامارة بين المضرية واليمنية وادالتها بين الجندين سنة لكل دولة وقدم المضرية على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى سنة تسع وعشرين واستقر سنة ولايته بقرطبة دار الامارة ثم وافقتهم اليمنية لميعاد ادالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيهم واتفاقهم فبيتهم يوسف بمكان نزلهم من شقندة من قرى قرطبة من الضميل بن حاتم والقيسية والمضرية فاستلحموهم واستبد يوسف بما وراء البحرين عدوة الاندلس وغلب اليمنية على أمرهم فاستكانوا للغلبة وتربصوا بالدوائر الى أن جاء عبد الرحمن الداخل فكان يوسف بن عبد الرحمن قد ولى الضميل بن حاتم سرقسطة فلما ظهر أمر المسودة بالمشرق ثار الحباب بن رواحة الزهرى بالاندلس داعيا لهم وحاصر الضميل بسرقسطة واستمد يوسف فلم يمده رجاء هلاكه بما كان يغص به وأمدته القيسية فأخرج عنه الحباب وفارق الضميل سرقسطة فملكها الحباب وولى يوسف الضميل على طليطلة الى أن كان من أمر عبد الرحمن الداخل ما نذكره

(مسير عبد الرحمن الداخل الى الاندلس وتجديده الدولة بها)

لما نزل ما نزل ببنى أمية بالمشرق وغلبهم بنو العباس على الخلافة وأزالوهم عن كرسيها وقتل عبد الله بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفائهم سنة ثنتين وثلاثين ومائة وتتبع بنو مروان بالقتل فطلبوا من بعدها بطن الارض وكان ممن أفلت منهم عبد الرحمن بن

معاوية بن هشام بن عبد الملك وكان قومه يتحينون له ملكا بالمغرب ويرون فيه علامات لذلك يؤثرونها عن مسلمة بن عبد الملك وكان هو قد سمعها منه مشافهة فكان يحدث نفسه بذلك فخاص الى المغرب ونزل على أخواله نفزة من برابرة طرابلس وشعر به عبد الرحمن بن حبيب وكان قتل ابنى الوليد بن عبد الملك لما دخلا افريقية من قبله فلحق عبد الرحمن بمغيلة ويقال بمكناسة ويقال نزل على قوم من زناتة فأحسنوا قبوله واطمأن فيهم ثم لحق بمليلة وبعث بدرا مولاه الى من بالاندلس من موالى المروانيين وأشياعهم فاجتمع بهم وبثوا له بالاندلس دعوة ونشروا له ذكرا ووافق ذلك ما قدمناه من الفتنة بين اليمنية والمضرية فاجتمعت اليمنية على أمره ورجع اليه بدر مولاه بالخبر فأجاز البحر سنة ثمان وثلاثين فى خلافة أبى جعفر المنصور ونزل بساحل السند وأتاه قوم من اهل اشبيلية فبايعوه ثم انتقل الى كورة رجب فبايعه عاملها عيسى بن مسور ثم رجع الى شدونة فبايعه عتاب بن علقمة اللخمى ثم أتى مورور فبايعه ابن الصباح ونهض الى قرطبة واجتمعت عليه اليمنية ونمى خبره الى والى الاندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وكان غازيا بجليقة فانفض عسكره وسار الى قرطبة وأشار عليه وزيره الضميل بن حاتم بالتلطف له والمكر به فلم يتم له مراده وارتحل عبد الرحمن من المنكب فاحتل بمالقة فبايعه جندها ثم برندة فبايعه جندها ثم بشريش كذلك ثم باشبيلية فتوافت عليه الامداد والامصار وتسايلت المضرية اليه حتى اذا لم يبق مع يوسف ابن عبد الرحمن غير الفهرية والقيسية لمكان الضميل منه زحف اليه حينئذ عبد الرحمن بن معاوية وناجزهم الحرب بظاهر قرطبة فانكشف ورجع الى غرناطة فتحصن بها وأتبعه الامير عبد الرحمن فنازله ثم رغب اليه يوسف فى الصلح فعقد له على ان يسكن قرطبة وأقفله معه ثم نقض يوسف عهده وخرج سنة احدى وأربعين ولحق بطليطلة واجتمع اليه زهاء عشرين ألفا من البربر وقدم الامير عبد الرحمن لقتاله عبد الملك بن عمر المروانى كان وفد عليه من المشرق وكان أبوه عمر بن مروان بن الحكم فى كفالة أخيه عبد العزيز بمصر فلما هلك سنة خمس عشرة بقى عبد الملك بمصر فلما دخلت المسودة أرض مصر خرج عبد الملك يوم الاندلس فى عشرة رجال من بيته مشهورين بالبأس والنجدة حتى نزل على عبد الرحمن سنة احدى وأربعين فعقد له على اشبيلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور وسار يوسف اليهما وخرجا اليه فلقياه وتناجز الفريقان فكانت الدبرة على يوسف وأبعد الفر واغتاله بعض أصحابه بناحية طليطلة واحتز رأسه وتقدم به الى الامير عبد الرحمن فاستقام أمره واستقر بقرطبة وبنى القصر والمسجد الجامع أنفق ثمانين ألف دينار ومات قبل تمامه وبنى مساجد ووفد عليه جماعة من أهل بيته

من المشرق وكان يدعو للمنصور ثم قطعها الماتم له الملك بالاندلس ومهد أمرها وخلد لبنى مروان السلطان بها وجدد ما طمس لهم بالمشرق من معالم الخلافة وآثارها واستلحم الثوار فى نواحيها وقطع دعوة العباسيين من منابرها وسد المذاهب منهم دونها وهلك سنة ثنتين وسبعين ومائة وكان يعرف بعبد الرحمن الداخل لان اول داخل من ملوك بنى مروان هو وكان أبو جعفر المنصور يسميه صقر بنى امية لما رأى ما فعل بالاندلس وما ركب اليها من الاخطار وانه صمد اليها من أنأى ديار المشرق من غير عصابة ولا قوة ولا انصار فغلب على أهلها وعلى أميرهم وتناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة وامضاء عزم ثم تحلى واطيع وأورثه عقبه وكان عبد الرحمن هذا يلقب بالامير وعليه جرى بنوه من بعده فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين اذبايع الخلافة بمقر الاسلام ومبتدا العرب حتى كان عبد الرحمن الناصر وهو الثامن منهم على ما نذكره فتسمى بأمير المؤمنين وتوارث ذلك بنوه واحدا بعد واحد وكان لبنى عبد الرحمن الداخل بهذه العدوة الاندلسية ملك ضخم ودولة ممتعة اتصلت الى ما بعد المائة الرابعة كما نذكر وعند ما شغل المسلمون بعبد الرحمن وتمهيد أمره وقوى أمر الخلافة واستفحل سلطانه وتجهز فرويلة بن الافونش ملكهم سار الى ثغور البلاد فأخرج المسلمين منها وملكها من أيديهم وردمدينلك وبريعال وسمورة وسلمنقة وقشتالة وسقوبية وصارت للجلالقة حتى افتتحها المنصور بن أبى عامر رئيس الدولة كما نذكر فى أخباره ثم استعادوها بعده من بلاد الاندلس واستولوا على جميعها وكان عبد الرحمن عند ما تمهد له الامر بالاندلس ودعا للسفاح ثم خلعه واستبد بأمره كما ذكرناه وجد هشام بن عبد ربه الفهرى مخالفا بطليطلة على يوسف من قبله وبقى على خلافه ثم أغزاه عبد الرحمن سنة تسع وأربعين بدرا مولاه وتمام بن علقمة فحاصراه ومعه حيوة بن الوليد الحصبى وحمزة بن عبد الله بن عمر حتى غلباه وجاء بهم الى قرطبة فصلبوا وسار من افريقية سنة تسع وأربعين العلاء بن مغيث اليحصبى ونزل باجة من بلاد الاندلس داعيا الى جعفر المنصور واجتمع اليه خلق فسار عبد الرحمن اليه ولقيه بنواحى اشبيلية فقاتله أياما ثم انهزم العلاء وقتل فى سبعة آلاف من أصحابه وبعث عبد الرحمن برؤس كثيرة منهم الى القيروان ومكة فألقيت فى أسواقها سرا ومعها اللواء الاسود وكتاب المنصور للعلاء ثم ثار سعيد اليحصبى المعروف بالمطرى بمدينة لبلة طالبا بثار من قتل من اليمنية مع العلاء وملك اشبيلية وسار اليه عبد الرحمن فامتنع ببعض الحصون فحاصره وكان عتاب بن علقمة اللخمى بمدينة شذونة فامد المطرى وبعث عبد الرحمن بدرا مولاه فحال دون المدد دون المطرى ثم طال عليه الحصار وقتل فى بعض أيامه وولى سكانه بالقلعة

خلفة بن مروان ثم استأمن من بالقلعة الى عبد الرحمن وأسلموا اليه الحصن فخربه وقتل عبد الرحمن خلفة ومن معه ثم سار الى غياث فحاصره بشذونة حتى استأمنوا فأمنهم وعاد الى قرطبة فخرج عليه عبد الرحمن بن خراشة الاسدى بكورة جيان وبعث اليه العساكر فافترق جمعه واستأمن فأمنه ثم خرج عليه سنة خمس غياث بن المستبد الاسدى فجمع عامل باجة العساكر وسار اليه فهزمه وقتله وبعث برأسه الى عبد الرحمن بقرطبة وفى هذه السنة شرع عبد الرحمن فى بناء السور على قرطبة ثم ثار رجل بشرق الاندلس من بربر مكناسة يعرف بشقنا بن عبد الواحد كان يعلم الصبيان وادعى انه من ولد الحسين الشهيد وتسمى بعبد الله بن محمد وسكن شنتبرية واجتمع اليه خلق من البربر فسار اليه عبد الرحمن فهرب فى الجبال واعتصم بها فرجع وولى على طليطلة حبيب بن عبد الملك فولى حبيب شنتبرية سليمان بن عثمان بن مروان بن عثمان بن أبان بن عثمان ابن عفان فسار اليه سليمان وقتله وغلب على ناحية قورية فسار اليه عبد الرحمن سنة ثنتين وخمسين وأعياه أمره وصار ينتقل فى البلاد ويهزم العساكر وكان سكن بحصن شيطران من جبال بلنسية فسار اليه عبد الرحمن سنة ست وخمسين واستخلف على قرطبة ابنه سليمان فأتاه الخبر بعصيان أهل اشبيلية وثورة عبد الغفار وحيوة بن قلاقس مع اليمانية فرجع عن شقنا وهاله أمر اشبيلية وقدم عبد الملك بن عمر لقتالهم فساروا اليه ولقيهم مستميتا فهزمهم وأثخن فيهم ولحق بعبد الرحمن فشكره هاله وجزاه خيرا ووصله بالصهر وولاه الوزارة ونجا عبد الغفار وحيوة بن قلاقس الى اشبيلية فسار عبد الرحمن سنة سبع وخمسين اليها فقتلهم وقتل خلقا ممن كان معهم واستراب من يومئذ بالعرب فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالى ولما كانت سنة احدى وستين غدر بشقنا رجلان من أصحابه وجاء برأسه الى عبد الرحمن ثم سار عبد الرحمن بن حبيب الفهرى المعروف بالقلعى من افريقية الى الاندلس مظهرا للدعوة العباسية ونزل بتدمير واجتمع اليه البربر وكان سليمان بن يقظان عاملا على برشلونة فكتب اليه يدعوه الى أمره فلم يجبه فسار اليه فى البربر ولقيه سليمان فهزمه وعاد الى تدمير وزحف اليه عبد الرحمن من قرطبة فاعتصم بجبل بلنسية فبذل عبد الرحمن فيه الاموال فاغتاله رجل من أصحابه البربر وحمل رأسه الى عبد الرحمن وذلك سنة ثنتين وستين ورجع عبد الرحمن الى قرطبة ثم خرج دحية الغسانى فى بعض حصون البيرة فبعث اليه شهيد بن عيسى فقتله وخالف البربر وعليهم بحرة بن البرانس فبعث بدرا مولاه فقتله وفرق جموعهم وفر القائد السلمى من قرطبة الى طليطلة وعصى بها فبعث حبيب بن عبد الملك وحاصره فهلك فى الحصار وزحف عبد الرحمن سنة أربع

وستين الى سرقسطة وبها سليمان بن يقظان والحسين بن عاصى وقد حاصرهما ثعلبة بن عبيد من قواده فامتنعت عليه وقبض سليمان على ثعلبة وبعث الى ملك الفرنج فجاء وقد تنفس عنه الحصار فدفع اليه ثعلبة ثم غلب الحسين على سليمان وقتله وانفرد فحاصره عبد الرحمن حتى صالحه وسار الى بلاد الفرنج والبشكنس ومن وراءهم من الملوك ورجع الى وطنه وغدر الحسين بسرقسطة فسار اليه عامله ابن علقمة فأسر أصحابه ثم سار اليه عبد الرحمن سنة ست وستين وملكها عنوة وقتل الحسين وقتل أهل سرقسطة ثم خرج سنة ثمان وستين أبو الاسود محمد بن يوسف بن عبد الرحمن فلقيه بقسطلونة وهزمه وأثخن فى أصحابه ثم لقيه ثانية سنة تسع وستين فهزمه ثم هلك سنة سبعين فى اعمال طليطلة وقام مكانه أخوه قاسم وغزاه عبد الرحمن فحاصره فجاء بغير امان فقتله ثم توفى عبد الرحمن سنة ثنتين وسبعين ومائة لثلاثة وثلاثين سنة من امارته

(وفاة عبد الرحمن الداخل وولاية ابنه هشام)

ولما هلك عبد الرحمن كان ابنه الاكبر سليمان واليا على طليطلة وكان ابنه هشام على ماردة وكان قد عهد له بالامر وكان ابنه عبد الله المسكين حاضرا بقرطبة فأخذ البيعة لاخيه هشام وبعث اليه بالخبر فسار الى قرطبة وقام بالدولة وغص بذلك أخوه سليمان فأظهر الخلاف بطليطلة ولحق به أخوه عبد الله وبعث هشام فى أثره فلم يلحق وسار هشام فى العساكر فحاصرهم بطليطلة وخالفه سليمان الى قرطبة فلم يظفر بشئ منها وبعث هشام بن عبد الملك فى أثره فقصد ماردة فحاربه عامله وهزمه الله بغير أمان ودخل فى طاعته فأكرمه ثم بعث سنة أربع وسبعين ابنه معاوية لحصار أخيه سليمان بتدمير فدوخ نواحيها وهرب سليمان الى جبال بلنسية فاعتصم بها ورجع معاوية الى أبيه بقرطبة ثم طلب سليمان العبور الى عدوة البربر بأهله وولده فأجازه هشام وأعطاه ستين ألف دينار صلحا على تركة أبيه وأقام بعدوة المغرب وسار معه أخوه عبد الله ثم خرج على هشام سعيد بن الحسين بن يحيى الانصارى بطرسوسة من شرق الاندلس وكان قد التجأ اليها حين قتل أبوه ودعى الى اليمانية فملكها وأخرج عاملها يوسف العبسى فعارضه موسى بن فرقوق فى المضرية بدعوة هشام وخرج أيضا مطروح بن سليمان بن يقظان بمدينة برشلونة وملك مدينة سرقسطة واشقة وكان هشام فى شغل بأمر أخويه فلما فرغ منهما بعث أبا عثمان عبيد الله بن عثمان بالعساكر الى مطروح فحاصره بسرقسطة أياما ثم أفرج عنه ونزل بطرسوسة قريبا وأقام بتحيفة ثم غدر بمطروح بعض أصحابه وجاء برأسه الى أبى عثمان فبعث به الى هشام وسار الى سرقسطة فملكها ثم دخل الى دار الحرب غازيا وقصد ألبة والقلاع فلقى العدو وظفر بهم وفتح الله

عليه وذلك سنة خمس وسبعين وبعث هشام العساكر مع يوسف بن بخية الى جليقة فلقى ملكها ابن منده وهزمه وأثخن فى العدو وفى هذه السنة دخل أهل طليطلة فى طاعة الامير هشام بعد منصرف أخويه عنهم فقبلهم وأمنهم وبعث عليها ابنه الحكم واليا فضبطها وأقام بها وفى سنة ست وسبعين بعث هشام وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث لغزاة العدو فبلغ ألبة والقلاع وأثخن فى نواحيها ثم بعثه فى العساكر الى أربونة وجرندة فأثخن فيهما ووطئ أرض سرطانية وتوغل فى بلادهم ورجع بالغنائم التى لا تحصى واستمد الطاغية بالبشكنس وجيرانه من الملوك فهزمهم عبد الملك ثم بعث بالعساكر مع عبد الكريم بن عبد الواحد الى بلاد جليقة فأثخنوا فى بلاد العدو وغنموا ورجعوا وفى هذه السنة هاجت فتنة بتاكرنا وهى بلاد رندة من الاندلس وخلع البربر هنالك الطاعة فبعث اليهم هشام ابن عبد القادر بن أبان بن عبد الله مولى معاوية ابن أبى سفيان فأبادهم وخرب بلادهم وفر من بقى منهم فدخلوا فى القبائل وبقيت تاكرنا قفراء خالية سبع سنين وفى سنة تسع وسبعين بعث هشام الحاجب عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فى العساكر الى جليقة فانتهى الى سترقة فجمع ملك الجلالقة واستمد بالملوك ثم حام عن اللقاء ورجع أدراجه وأتبعه عبد الملك وتوغل فى بلادهم وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى فالتقوا بعبد الملك وأثخنوا فى البلاد واعترضهم عسكر الافرنج فنالوا منهم بعض الشئ ثم خرجوا ظافرين سالمين

(وفاة هشام وولاية ابنه الحكم)

ثم توفى هشام بن عبد الرحمن سنة ثمانين ومائة لسبع سنين من امارته وقيل ثمان سنين وكان من أهل الخير والصلاح وكان كثير الغزو والجهاد وهو الذى أكمل بناء الجامع بقرطبة الذى كان أبوه شرع فيه وأخرج المصرف لآخذى الصدقة على الكتاب والسنة ولما مات ولى ابنه الحكم بعده فاستكثر من المماليك وارتباط الخيل واستفحل ملكه وباشر الامور بنفسه ولاول ولايته أجاز ابنه عبد الله البلنسى من عدوة المغرب فملك بلنسية ثم أخوه سليمان من طنجة فحاربهما الحكم سنة ثم ظفر بعمه سليمان فقتله سنة أربع وثمانين وأقام عبد الله ببلنسية وكف عن الفتنة وأرسل الحكم فى الصلح على يد يحيى بن يحيى الفقيه وغيره فصالحه سنة ست وثمانين وفى خلال الفتنة مع عميه سليمان وعبد الله اغتنم الفرنج الفرصة واجتمعوا وقصدوا برشلونة فملكوها سنة خمس وثمانين وتأخرت عساكر المسلمين الى ما دونها وبعث الحكم العساكر الى برشلونة مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الجلالقة فأثخن فيها وخالفهم العدو الى المضايق فرجع الى التعبية وظفر بهم ورجع الى بلاد الاسلام ظافرا وفى سنة احدى وثمانين ثار

البهلول بن مرزوق بناحية الثغر وملك سرقسطة وفيها جاء عبد الله البلنسى عم الحكم كما ذكرناه وفى هذه السنة خالف عبيدة بن عمير بطليطلة وكان القائد عمروس بن يوسف من قواد الحكم بطلبيرة فكتب الى هشام بحصارهم فحاصرهم ثم استمال بنى مخشى من أهل طليطلة فقتلوا عبيدة وبعثوا برأسه الى عمروس فبعث به الى الحكم وأنزل بنى مخشى عنده فقتلهم البربر بطلبيرة بثار كانت لهم وقتل عمروس الباقين واستقامت تلك الناحية واستعمل عمروس ابنه يوسف على مدينة طليطلة ولحق بالفرنج سنة تسع وثمانين بعض أهل الحرابة وأطمعوا الفرنج فى ملك طليطلة فزحفوا اليها وملكوها وأسروا أميرها يوسف وحبسوه بصخرة قيسر وسار عمروس من فوره الى سرقسطة ليحميها من العدو وبعث العساكر مع ابن عمه فلقى العدو وهزمهم وسار الى صخرة قيسر وقد وهن الفرنج من الهزيمة فافتتحها وبعث عمروس نائبه وخلص يوسف وعظم صيته

(وقعة الربض)

كان الحكم فى صدر ولايته قد انهمك فى لذاته واجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثى وطالوت الفقيه وغيرهما فثاروا به وامتنع فخلعوه وبايعوا محمد بن القاسم من عمومة هشام وكان بالربض الغربى من قرطبة محلة متصلة بقصره وحصروه سنة تسعين ومائة وقاتلهم فغلبهم وافترقوا وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض العدوة ولحقوا بالاسكندرية ونزل بها منهم جمع وثاروا بها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر صاحب مصر وافتتحها وأجازهم الى جزيرة اقريطش كما مر وكان مقدمهم أبا حفص عمر البلوطى فلم يزل رئيسا عليهم وولده من بعده الى أن ملكها الفرنج من أيديهم

(وقعة الحفرة بطليطلة)

كان أهل طليطلة يكثرون الخلاف ونفوسهم قوية لحصانة بلدهم فكانت طاعتهم ملتاثة فأعيا الحكم أمرهم واستقدم عمروس بن يوسف من الثغر وكان أصله من أهل مدينة وشقة من المولدين وكان عاملا عليها فداخله فى التدبير على أهل طليطلة وكتب له بولايتها فأنسوا به واطمأنوا اليه ثم داخلهم فى الخلع وأشار عليهم ببناء مدينة يعتزل فيها مع أصحاب السلطان فوافقوه وأمضى رأيه فى ذلك ثم بعث صاحب الاعلى الى الحكم يستنجده على العدو فبعث العساكر مع ابنه عبد الرحمن والوزراء ومروا بطليطلة ولم يعرض عبد الرحمن لدخولها ثم رجع العدو وكفى الله شره فاعتزم عبد الرحمن على العود الى قرطبة فأشار عمروس عند ذلك على أهل طليطلة بالخروج الى عبد الرحمن

فخرج

فخرج اليه الوجوه وأكرمهم ودس خادم الحكم كتابه الى عمروس بالحيلة على أهل طليطلة فأشار عليهم عمروس بأن يدخلوا عبد الرحمن البلد وأنزله بداره واتخذ صنيعا للناس واستعد له (بياض بالاصل) على موعد لذلك فكان يدخلهم من باب ويخرجهم من آخر خشية الزحام فيدخلون الى حفرة فى القصر وتضرب رقابهم عليها الى أن قتل معظمهم وفطن الباقون فنفروا وحسنت طاعتهم من بعد ذلك الى أيام الفتنة كما نذكر ثم عصى اصبغ بن عبد الله بماردة وأخرج عامل الحكم فسار اليه الحكم وحاصره وجاءه الخبر بعصيان أهل قرطبة فرجع وقتلهم ثم استنزل أصبغ من بعد ذلك وأنزله قرطبة وفى سنة ثنتين وتسعين جمع لزريق بن قارله ملك الفرنج وسار لحصار طرسوسة فبعث الحكم ابنه عبد الرحمن فى العساكر فهزمه وفتح الله على المسلمين ثم عاود أهل ماردة الخلاف عن الحكم سنة أربع وتسعين فسار اليهم وقاتلهم ثلاث سنين وكثر عيث الفرنج فى الثغور فسار اليهم سنة ست وتسعين فافتتح الحصون وخرب النواحى وأثخن فى القتل والسبى والنهب وعاد الى قرطبة ظافرا وفى سنة مائتين بعث الحكم العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فسار فيها وخربها ونهبها وهدم عدة من حصونها وأقبل اليه ملك الجلالقة فى جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل وأقاموا على ذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الامطار ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين

(وفاة الحكم وولاية ابنه عبد الرحمن الاوسط)

ثم توفى الحكم بن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته وهو أول من جند بالاندلس الاجناد والمرتزقة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الحشم والحواشى وارتبط الخيول على بابه واتخذ المماليك وكان يسميهم الخرس لعجمتهم وبلغت عدتهم خمسة آلاف وكان يباشر الامور بنفسه وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يقرب الفقهاء والعلماء والصالحين وهو الذى وطأ الملك لعقبه بالاندلس ولما مات قام بأمره من بعده ابنه عبد الرحمن فخرج عليه لاول امارته عبد الله البلنسى عم أبيه وسار الى تدمير يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فخام عن اللقاء ورجع الى بلنسية ومات اثر ذلك فنقل عبد الرحمن ولده وأهله الى قرطبة ثم غزا لاول ولايته الى جليقة فأبعد وأطال الغيبة وأثخن فى أمم النصرانية هنالك ورجع وقدم عليه سنة ست ومائتين من العراق زرياب المغنى مولى المهدى ومعلم ابراهيم الموصلى واسمه على بن نافع فركب لتلقيه وبالغ فى اكرامه وأقام عنده بخير حال وأورث صناعة الغناء بالاندلس وخلف ولده مخلفه كبيرهم عبد الرحمن فى صناعته وحظوته وفى سنة سبع كانت وقعة بالثغر

كان الحكم قد قبض على عاملها ربيع وصلبه حيا لما بلغه من ظلمه وهلك الحكم اثر ذلك فتوافى المتظلمون من ربيع الى قرطبة يطلبون ظلاماتهم ومعظمهم جند البيرة ووقفوا بباب القصر وشغبوا وبعث عبد الرحمن من يسكتهم فلم يقبلوا فركبت العساكر اليهم وأوقعوا بهم ونجا الفل منهم الى البيرة وبالشر وتتبعهم عبد الرحمن وفى هذه السنة نشأت الفتنة بين المضرية واليمانية واقتتلوا فهلك منهم نحو من ثلاثة آلاف وبعث عبد الرحمن اليهم يحيى بن عبد الله بن خالد فى جيش كثيف ليكفهم عن الفتنة فكفوا عن القتال لما أحسوا بوصوله ثم عاودوا الحرب عند مغيبه وأقاموا على ذلك سبع سنين وفى سنة ثمان أغزا حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى ألبة والقلاع فخرب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونهم وصالح بعضا على الجزية واطلاق أسرى المسلمين وانصرف ظافرا وفى سنة ثلاث عشرة انتقض عليه أهل ماردة وقتلوا عامله فبعث اليهم العساكر فافتتحوها وعاودوا الطاعة وأخذوا رهائنهم وخربوا سورها ورجعوا عنهم ثم أمر عبد الرحمن بنقل حجارة السور الى النهر فعاودوا الخلاف وأسروا العامل وأصلحوا سورهم فسار اليهم عبد الرحمن سنة أربع عشرة وحاصرهم فامتنعوا عليه ثم بعث العساكر سنة سبع عشرة فحاصرها فامتنعوا ثم حاصرها سنة عشرين وافتتحها ونجا فلهم مع محمود بن عبد الجبار منهم الى ملت شلوط فاعتصم بها سنة عشرين ومائتين فبعث عبد الرحمن العساكر لحصاره فلحق بدار الحرب واستولى على حصن من حصونهم أقام به خمسة أعوام حتى حاصره اذفونش ملك الجلالقة وافتتح الحصن وقتل محمودا وجميع أصحابه .نة خمس وعشرين وفى سنة خمس عشرة خرج بمدينة طليطلة هاشم الضراب من أهل واقعة الربض واشتدت شوكته واجتمعت له الخلق وأوقع بأهل شنت برية فبعث عبد الرحمن العساكر لقتاله فلم يصيبوا منه ثم بعث عساكر أخرى فقاتلوه بنواحى دورقة فهزموه وقتل هو وكثير من أصحابه واستمر أهل طليطلة على الخلاف وبعث عبد الرحمن ابنه أمية لحصارها فحاصرها مدة ثم أفرج عنها ونزل قلعة رباح وبعث عسكر الاغارة عليها وكان أهل طليطلة قد خرجوا فى اتباعه الى قلعة رباح فكمن لهم فأوقعوا به فاغتم لذلك وهلك لايام قليلة وبعث عبد الرحمن العساكر لحصارها ثانيا فلم يظفروا وكن المغيرون عليها بقلعة رباح يعاودونها بالحصار كل حين ثم بعث عبد الرحمن أخاه الوليد فى العساكر سنة ثنتين وعشرين لحصارها وقد أشرفوا على الهلكة وضعفوا عن المدافعة فاقتحمها عنوة وسكن أهلها وأقام الى آخر ثلاث وعشرين ورجع وفى سنة أربع وعشرين بعث عبد الرحمن قريبه عبيد الله بن البلنسى فى العساكر لغزو بلاد ألبة والقلاع ولقى العدو

فهزمهم وكثر السبى والقتل ثم خرج لزريق ملك الجلالقة وأغار على مدينة سالم بالثغر فسار اليه فرتون بن موسى وقاتله فهزمه وأكثر القتل فى العدو والاسر ثم سار الى الحصن الذى بناه أهل ألبة بالثغر نكاية للمسلمين فافتتحه وهدمه ثم سار عبد الرحمن فى الجيوش الى بلاد جليقية فدوخها وافتتح عدة حصون منها وجال فى أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبى والغنائم وفى سنة ست وعشرين بعث عبد الرحمن العساكر الى أرض الفرنجة وانتهوا الى أرض سرطانية وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة ولقيهم العدو فصبروا حتى هزم الله عدوهم وكان لموسى فى هذه الغزاة مقام محمود ووقعت بينه وبين بعض قواد عبد الرحمن ملاحاة وأغلظ له القائد فكان ذلك سببا لانتقاضه فعصى على عبد الرحمن وبعث اليه الجيوش مع الحرث بن بزيغ فقاتله موسى وانهزم وقتل ابن عمه ورجع الحرث الى سرقسطة ثم زحف الى تطيلة وحاصر بها موسى حتى نزل عنها على الصلح الى اربط وأقام الحرث بتطيلة أياما ثم سار لحصار موسى فى اربط فاستنصر موسى بغرسية من ملوك الكفر فجاءه وزحف الحرث وأكمنوا له فلقيهم على نهر بلبة فخرجت عليه الكمائن بعد أن أجاز النهر وأوقعوا به وأسروه وقد فقئت عينه واستشاط عبد الرحمن لهذه الواقعة وبعث ابنه محمدا فى العساكر سنة تسع وعشرين وحاصر موسى بتطيلة حتى صالحه وتقدم الى بنبلونة فأوقع بالمشركين عندها وقتل غرسية صاحبها الذى أنجد موسى على الحرث ثم عاود موسى الخلاف فزحفت اليه العساكر فرجع الى المسالمة ورهن ابنه عند عبد الرحمن على الطاعة وقبله عبد الرحمن وولاه تطيلة فسار اليها واستقرت فى عمالته ثم كان فى هذه السنة خروج المجوس فى أطراف بلاد الاندلس ظهروا سنة ست وعشرين بساحل أشبونة فكانت بينهم وبين أهلها الحرب ثلاثة عشر يوما ثم تقدموا الى قادس ثم الى اشدونة وكانت بينهم وبين المسلمين بها وقعة ثم قصدوا اشبيلية ونزلوا قريبا منها وقاتلوا أهلها منتصف المحرم من سنة ثمان وعشرين فهزمهم المسلمون وغنموا ثم مضوا الى باجة ثم الى مدينة أشبونة ثم أقلعوا من هنالك وانقطع خبرهم وسكنت البلاد وذلك سنة ثلاثين وتقدم عبد الرحمن الاوسط باصلاح ما خربوه من البلاد وأكثف الحامية بها وذكر بعض المؤرخين حادثة المجوس هذه سنة ست وأربعين ولعلها غيرها والله أعلم وفى سنة احدى وثلاثين بعث عبد الرحمن العساكر الى جليقية فدوخوها وحاصروا مدينة ليون ورموا سورها فلم يقدروا عليه لان عرضه سبعة عشر ذراعا فثلموا فيه ثلمة ورجعوا ثم أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم بن مغيث فى العساكر الى بلاد برشلونة فجاز فى نواحيها وأجاز الدروب التى تسمى السرب الى بلاد الفرنجة فدوخها

قتلا وأسرا وسبيا وحاصر مدينتهم العظمى وعاث فى نواحيها وقفل وقد كان ملك القسطنطينية توفلس بن توفيل بعث الى الامير عبد الرحمن سنة خمس وعشرين بهدية ويطلب مواصلته فكافأه عبد الرحمن عن هديته وبعث اليه يحيى الغزال من كبار الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فأحكم بينهما المواصلة وارتفع لعبد الرحمن ذكر عند منازعيه من بنى العباس وفى سنة ست وثلاثين هلك نصر الخصى القائم بدولة الامير عبد الرحمن وكان يضغن على مولاه ويمالئ ابنه عبد الرحمن على ابنه الآخر ولى عهده بما كانت أم عبد الله قد اصطنعته وكانت حظية عند السلطان ومنحرفة عن ابنه محمد ولى العهد فداخلت نصرا هذا فى أمرها وداخل هو طبيب الدار فى أن يسم محمدا ولى العهد ودس الطبيب بذلك الى الامير مع قهرمانة داره وان نصرا أكرهه على اذابة السم فيه وباكر نصر القصر ودخل على السلطان يستفهمه عن شرب الدواء فوجده بين يديه وقال له ان نفسى قد بشعته فاشرب به أنت فوجم فأقسم عليه فلم يسعه خلافه فشربه وركب مسرعا الى داره فهلك لحينه وحسم السلطان علة ابنه عبد الله وكان من بعدها مهلكه

(وفاة عبد الرحمن الاوسط وولاية ابنه محمد)

ثم توفى عبد الرحمن الاوسط بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين لاحدى وثلاثين سنة من امارته وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكانت أيامه أيام هدو وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها الماء وجعل له مصنعا اتخذه الناس شريعة وزاد فى جامع قرطبة رواقين ومات قبل أن يستتمه فأتمه ابنه محمد بعده وبنى بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة ولما مات ولى مكانه ابنه محمد فبعث لاول ولايته العساكر مع أخيه الحكم الى قلعة رباح لاصلاح أسوارها وكان أهل طليطلة خربوها فرمّها وأصلح حالها وتقدم الى طليطلة فعاث فى نواحيها ثم بعث الجيوش مع موسى بن موسى صاحب تطيلة فعاث فى نواحى البة والقلاع وفتح بعض حصونها ورجع وبعث عساكر أخرى الى نواحى برشلونة وماوراءها فعاثوا فيها وفتحوا حصون برشلونة ورجعوا ثم سار محمد سنة أربعين فى جيوشه الى طليطلة فاستمدوا ملك جليقة وملك البشكنس فسار والانجادهم مع أهل طليطلة فلقيهم الامير محمد على وادى سليط وقد أكمن لهم فأوقع بهم وبلغ عدة القتلى من أهل طليطلة والمشركين عشرين ألفا ثم سار اليهم سنة ثلاث وأربعين فأوقع بهم ثانية وأثخن فيهم وخرب ضياعهم فصالحوه ثم نكثوا وفى سنة خمس وأربعين ظهرت مراكب المجوس ونزلوا باشبيلية والجزيرة

وأحرقوا مسجدها ثم عادوا الى تدمير ودخلوا قصر اريولة وساروا الى سواحل الفرنجة وعاثوا فيها وانصرفوا فلقيهم مراكب الامير محمد فقاتلوهم وغنموا منهم مركبين واستشهد جماعة من المسلمين ومضت مراكب المشركين الى بنبلونة وأسروا صاحبها غرسية وفدى نفسه منهم بسبعين ألف دينار وفى سنة سبع وأربعين حاصر طليطلة ثلاثين يوما ثم بعث الامير محمد سنة احدى وخمسين أخاه المنذر فى العساكر الى نواحى البة والقلاع فعاثوا فيها وجمع لزريق للقائهم فلقيهم وانهزم وأثخن المسلمون فى المشركين بالقتل والاسر وكان فتحا لا كفاء له ثم غزا الامير محمد بنفسه سنة احدى وخمسين بلاد الجلالقة فأثخن وخرب وانتقض عليه عبد الرحمن بن مروان الجليقى فيمن معه من المولدين وساروا الى التخم ووصل يده باذفونش ملك جليقة فسار الى الوزير هاشم بن عبد الرحمن فى عساكر الاندلس سنة ثلاث وستين فهزمه عبد الرحمن وحصل هاشم فى أسره ثم وقعت المراودة فى الصلح على أن ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشما فتم ذلك سنة خمس وستين ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشما بعد سنتين ونصف من أمره ثم تغير اذفونش لعبد الرحمن بن مروان وفارقه وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ونزل مدينة انطانية بجهات ماردة وهى خراب فحصنها وملك ما اليها من بلاد البيون وغيرها من بلاد الجلالقة واستضافها الى بطليوس وكان مطرف بن موسى بن ذى النون الهوارى عاملا بشنتبرية فانتقض وأغار على أهل طليطلة فخرجوا اليه فى عشرين ألفا ولقيهم فهزمهم وانهزم معهم مطرف بن عبد الرحمن وقتل من أهل طليطلة خلق وكان مطرف بن موسى فردا فى الشجاعة ومحلا من النسب ولقى شنجة صاحب بنبلونة أمير البشكنس فهزمه شنجة وأسره وفر من الاسر ورجع الى شنتبرية فلم يزل بها قويم الطاعة الى أن مات آخر دولة الامير محمد وفى سنة احدى وستين انتقض أسد بن الحرث بن بديع بتاكرنا وهى رندة فبعث اليهم الامير محمد العساكر وحاصروهم حتى استقاموا على الطاعة وفى سنة ثلاث وستين أغزى الامير محمد ابنه المنذر الى دار الحرب وجعل طريقه على ماردة وكان بها ابن مروان الجليقى ومرت طائفة من عسكر المنذر بماردة فخرج عليهم ابن مروان ومعه جمع من المشركين استظهر بهم فقتل تلك الطائفة عن آخرهم وفى سنة أربع وستين بعث ابنه المنذر ثانية الى بلد بنبلونة ومر بسرقسطة فقاتل أهلها ثم تقدم الى تطيلة وعاث فى نواحيها وخرب بلاد بنى موسى ثم مضى لوجهه الى بنبلونة فدوخها ورجع وفى سنة ست وستين أمر الامير محمد بانشاء المراكب بنهر قرطبة ليدخل بها الى البحر المحيط ويأتى جليقة من ورائها فلما تم انشاؤها وجرت فى البحر أصابها الريح

وتقطعت فلم يسلم منها الا القليل وفي سنة سبع وستين انتقض عمر بن حفصون بحصن يشتر من جبال مالقة وزحف اليه عساكر تلك الناحية فهزمهم وقوي أمره وجاءت عساكر الامير محمد فصالحهم ابن حفصون واستقام أمر الناحية وفي سنة ثمان وستين بعث الامير محمد ابنه المنذر لقتال أهل الخلاف فقصد سرقسطة وحاصرها وعاث في نواحيها وفتح حصن ربطة ثم تقدم الى دير بروجة وفيه محمد بن لب بن موسى ثم قصد مدينة لاردة وقرطاجنة ثم دخل دار الحرب وعاث في نواحي البة والقلاع وفتح منها حصونا ورجع وفي سنة سبعين سار هاشم بن عبد العزيز بالعساكر لحصار عمر بن حفصون بحصن يشتر واستنزله الى قرطبة فأقام بها وفيها شرع اسمعيل بن موسى ببناء مدينة لاردة فجمع صاحب برشلونة لمنعه من ذلك وسار اليه فهزمه اسمعيل وقتل أكثر رجاله وفي سنة احدى وسبعين سار هاشم بن عبد العزيز في العساكر الى سرقسطة فحاصرها هاشم وافتتحها ونزلوا جميعا على حكمه وكان في عسكره عمر بن حفصون واستدعاه من الثغر فحضر معه هذه الغزاة فهرب ولحق بيشتر فامتنع به وسار هاشم الى عبد الرحمن بن مروان الجليقي وحاصره بحصن منت مولن ثم رجع عنه فأغار ابن مروان على اشبيلية ولقيت ثم نزل منت شلوط فامتنع فيه وصالح عليه الامير محمد واستقام على طاعته الى أن هلك الامير محمد وكان ملك رومة والفرنجة لعهده اسمه قرلبيب بن لوزنيق

(وفاة الامير محمد وولاية ابنه المنذر)

ثم توفي الامير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل في شهر صفر من سنة ثلاث وسبعين لخمس وثلاثين سنة من امارته وولي بعده ابنه المنذر فقتل لاول ولايته هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وسار في العساكر لحصار ابن حفصون فحاصره بحصن يشتر سنة أربع وسبعين وافتتح جميع قلاعه وحصونه وكان منها رية وهي مالقة وقبض على واليها من قبله عيشون فقتله ولما اشتد الحصار على ابن حفصون سأل الصلح فأجابه وأفرج عنه فنكث فرجع لحصاره وصالح ثم نكث مرتين فأقام المنذر على حصاره وهلك قريبا فانفرج عن ابن حفصون

(وفاة المنذر وولاية أخيه عبد الله ابن الامير محمد)

ثم توفي المنذر محاصرا لابن حفصون بجبل يشتر سنة خمس وسبعين لسنتين من امارته فولي مكانه أخوه عبد الله ابن الامير محمد وقفل بالعساكر الى قرطبة وقد اضطربت نواحي الاندلس بالثوار ولما كثر الثوار قل الخراج لامتناع أهل النواحي من الاداء

وكان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة ألف منها للجيوش ومائة ألف للنفقة في النوائب ومايعرض ومائة ألف ذخيرة ووفرا فأنفقوا الوفر في تلك السنين وقل الخراج

(أخبار الثوار وأولهم ابن مروان ببطليوس واشبونة)

قد تقدم لنا أن عبد الرحمن بن مروان انتقض على الامير محمد بن عبد الرحمن سنة خمس وخمسين في غزاته الى بلاد الجلالقة واجتمع اليه المولدون وصار الى التخم ووصل يده باذفونش ملك الجلالقة فعرف لذلك بالجليقي وذكرنا كيف سار اليه هاشم بن عبد العزيز سنة ثلاث وستين في عساكر الاندلس فهزمه ابن مروان وأسره ثم وقع الصلح على اطلاق هاشم وأن ينزل ابن مروان بطليوس فتم ذلك سنة خمس ونزل عبد الرحمن بطليوس فشيدها وترس بالدولتين ثم تغير له اذفونش وقاتله ففارق دار الحرب ونزل مدينة انطانية بجهات ماردة فحصنها وهي خراب وملك ما اليها من بلد اليون وغيرها من بلاد الجلالقة واستضافها الى بطليوس واستعمل له الامير عبد الله على بطليوس وكان معه بدار الحرب سعدون السرساقي وكان من الابطال الشجعان وكان دليلا للغزو وهو من الخارجين معه فلما نزل عبد الرحمن بطليوس انتزى سعدون ببعض الحصون ما بين قلنيرة وباجة ثم ملك قلنيرة وترس بأهل الدولتين الى أن قتله اذفونش في بعض حروبه معه

(ابن تاكيت بماردة)

كان محمد بن تاكيت من مصمودة وثار بناحية الثغر أيام الامير محمد وزحف الى ماردة وبها يومئذ جند من العرب وكتامة فاعمل الحيلة في اخراجهم منها ونزلها هو وقومه مصمودة

(بقية خبر ابن مروان)

ولما ملك ابن تاكيت ماردة زحفت اليه العساكر من قرطبة وجاء عبد الرحمن بن مروان من بطليوس مددا له فحاصروهم أشهرا ثم أقلعوا وكان بماردة جموع من العرب ومصمودة وكتامة فتحيل محمد بن تاكيت على العرب وكتامة وأفاد بهم فأخرجهم واستقل بماردة هو وقومه وعظمت الفتنة بينه وبين عبد الرحمن بن مروان صاحب بطليوس بسبب مظاهرته عليه وحاربه فهزمه ابن مروان مرارا كانت احداها على لقنت استلحم فيها مصمودة فقصت من جناح ابن تاكيت واستجاش بسعدون السرساقي صاحب قلنيرة فلم يغنه وعلا كعب ابن مروان عليهم وتوثق أمره وطلبه ابن

حفصون فى الولاية فامتنع ثم هلك اثر ذلك سنة   أيام الامير عبد الله وولى ابنه
عبد الرحمن بن مروان وأثخن فى البرابرة المجاورين له وهلك لشهرين من ولايته فعقد
الامير عبد الله على بطليوس لاميرين من العرب ولحق من بقى من ولد عبد الرحمن
بحصن شونة وكانا اثنين من أعقابه وهما مروان وعبد الله ابنا ابنه محمد وعمهما مروان
ثم خرجا من حصن شونة ولحقا بآخر من أصحاب جدهما عبد الرحمن ثم اضطرب
الاميران ببطليوس وتنازعا وقتل أحدهما الآخر واستقل ببطليوس ثم تسور عبد الله
منهما سنة ست وثمانين فقتله وملك بطليوس واستفحل أمره واستجل له الامير عبد الله
عليها ونازل حصون البرابرة حتى طاعوا له وحارب ابن تاكيت صاحب ماردة
ثم اصطلحوا وأقاموا جميعا طاعة الامير عبد الله ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم الى آخر
دولته

بياض بالاصل

(ثورة لب بن محمد بسرقسطة وتطيلة)

ثم ثار لب بن محمد بن لب بن موسى بسرقسطة سنة ثمان وخمسين ومائتين أيام الامير محمد
فترددت اليه الغزوات حتى استقام وأسجل له الامير محمد على سرقسطة وتطيلة
وطرسونة فأحسن حمايتها واستفحلت امارته فيها ونازله ملك الجلالقة اذفونش
فى بعض الايام بطرسونة فنزل اليه ورده على عقبه منهزما وقتل نحوا من ثلاثة آلاف
من قومه وانتقض على الامير عبد الله وحاصر تطيلة

(ثورة مطرف بن موسى بن ذى النون الهوارى بشنت برية)

كان لمطرف صيت من الشجاعة ومحل من النسب والعصبية فثار فى شنت برية
وكانت بينه وبين صاحب بنبلونة سلطان البشكنس من الجلالقة حروب أسره العدو
فى بعضها ففر من الاسر ورجع الى شنت برية واستقامت طاعته الى آخر دولة الامير محمد

(ثورة الامير ابن حفصون فى بشتر ومالقة ورندة والبيرة)

وهو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن اذفونش القس هكذا
نسبه ابن حيان أول ثائر كان بالاندلس وهو الذى افتتح الخلاف بها وفارق الجماعة
أيام محمد بن عبد الرحمن فى سنى السبعين والمائتين خرج بجبل بشتر من ناحية رية
ومالقة وانضم اليه الكثير من جند الاندلس ممن فى قلبه مرض فى الطاعة وابتنى قلعته
المعروفة به هنالك واستولى على غرب الاندلس الى رندة وعلى السواحل من البيرة الى
البيرة وزحف اليه هاشم بن عبد العزيز الوزير فحاصره واستنزله الى قرطبة سنة سبعين

ثم

ثم هرب ورجع الى حصن بشتر ولما توفى الامير محمد تغلب على حصن الحامة ورية ورندة
والبيرة وغزاه المنذر سنة أربع وسبعين فافتتح جميع قلاعه وقتل عامله برية ثم سأل
الصلح فعقد له المنذر ثم نكث ابن حفصون وعاد الى الخلاف فحاصره المنذر الى أن هلك
محاصراله فرجع عنه الامير عبد الله واستفحل أمر ابن حفصون والثوار وتوالت عليه
الغزوات والحصار وكاتب ابن الاغلب صاحب افريقية وهاداه وأظهر دعوة
العباسية بالاندلس فيما اليه وتثاقل ابن الاغلب على اجابته لاضطراب افريقية فأمسك
وأكثر الاجلاب على قرطبة وبنى حصن بلاية قريبا منها وغزاه عبد الله وافتتح بلاية
والبيرة ثم قصده فى حصنه فحاصره أياما وانصرف عنه فاتبعه ابن حفصون فكر عليه
الامير عبد الله وهزمه وأثخن فيه وافتتح البيرة من أعماله ووالى عليه الحصار فى كل
سنة فلما كانت   وثمانين   بياض بالاصل
عمر بن حفصون
وخالص ملك الجلالقة فنبذ اليه أمراؤه بالحصون عهده وسار الوزير أحمد بن أبى
عبيدة لحصاره فى العساكر فاستنجد بابراهيم بن حجاج الثائر باشبيلية واقياه فهزمهما
وراجع ابن حجاج الطاعة وعقد له الامير عبد الله على اشبيلية وبعث ابن حفصون
بطاعته للشيعة عندما تغلبوا على القيروان من يد الاغالبة وأظهر بالاندلس دعوة
عبيد الله ثم راجع طاعة بنى أمية عندما هيأ الله للناصر ما هيأه من استفحال الملك
واستنزال الثوار واستقام الى أن هلك سنة ست وثلثمائة لسبع وثلاثين سنة من ثورته
وقام مكانه ابنه جعفر فأقره الناصر على أعماله ثم دس اليه أخوه سليمان بن عمر بعض
رجالاتهم فقتله لسنتين أو ثلاثة من ولايته وكان مع الناصر فسار الى أهل بشتر
وملكوه مكان أخيه وذلك سنة ثمان وثلثمائة وخاطب الناصر فعقد له كما كان أخوه
ثم نكث وتكرر انكاثه ورجوعه ثم بعث اليه الناصر وزيره عبد الحميد بن بسيل
بالعساكر ولقيه فهزمه وقتله وجىء برأسه الى قرطبة وقدم المولدون أخاه حفص بن عمر
فانتكث ومضى على العصيان وغزاه الناصر وجهز العساكر لحصاره حتى استأمن له
ونزل الى قرطبة بعد سنة من ولايته وخرج الناصر الى بشتر فدخله وجال فى اقطاره
ورفع أشلاء عمر وابنه جعفر وسليمان فصلبهم بقرطبة وخرب جميع الكنائس التى كانت
فى الحصون التى بنواحى رية وأعمال مالقة ثلاثين حصنا فأكثر وانقرض أمر بنى
حفصون وذلك سنة خمس عشرة وثلثمائة والبقاء لله

(ثوار اشبيلية المتعاقبون)

ابن أبى عبدة وابن خلدون وابن حجاج وابن مسلمة وأول الثوار كان باشبيلية أمية
ابن عبد الله الغافر بن أبى عبدة وكان جده أبو عبدة عاملا عليها من قبل عبد الرحمن

الداخل قال ابن سعيد ونقله عن مؤرخي الاندلس الحجازي ومحمد بن الاشعث وابن حبان قال لما اضطربت الاندلس بالفتن أيام الامير عبد الله وسما رؤساء البلاد الى التغلب وكان رؤساء اشبيلية المرشحون لهذا الشأن أمية بن عبد الغافر وكريب ابن خلدون الحضرمي وأخوه خالد وعبد الله بن حجاج وكان الامير عبد الله قد بعث على اشبيلية ابنه محمدا وهو أبو الناصر والنفر المذكورون يحومون على الاستبداد فثاروا بمحمد ابن الامير عبد الله وحصروه في القصر مع أمه وانصرف ناجيا الى أبيه ثم استبد أمية بولايتها على مداراتهم ودس على عبد الله بن حجاج من قتله فقام أخوه ابراهيم مكانه فثاروا به وحاصروه في القصر ولما أحيط به خرج اليهم مستميتا بعد أن قتل أهله وأتلف موجوده فقتل وعاثت العامة برأسه وذلك أعوام الثمانين والثلثمائة وكتب ابن خلدون وأصحابه بذلك الى الامير عبد الله وأن أمية خلع وقتل فتقبل منهم للضرورة وبعث عليهم عمه هشام بن عبد الرحمن واستبدوا عليه وتولى كبر ذلك كريب ابن خلدون واستبد عليهم بالرياسة قال ابن حبان ونسبهم في حضرموت وهم باشبيلية نهاية في النباهة مقتسمين الرياسة السلطانية والعلمية وقال ابن حزم انهم من ولد وائل ابن حجر ونسبهم في كتاب الجمهرة وكذلك قال ابن حبان في بني حجاج قال الحجازي ولما قتل عبد الله بن حجاج قام أخوه ابراهيم مقامه وظاهر بني خلدون على قتل أمية وأنزل نفسه منهم منزلة الخديم واستبد كريب وعسف أهل اشبيلية فنفر عنه الناس وتمكن لابراهيم الغرض وصار يظهر الرفق كلما أظهر كريب الغلظة وينزل نفسه منزلة الشفيع والملاطف ثم دس للامير عبد الله بطلب الولاية ليشتد بكتابه على كريب ابن خلدون وكتب له بذلك عهده فأظهره للعامة وثاروا جميعا بكريب فقتلوه واستقام ابراهيم بن حجاج على الطاعة للامير عبد الله وحصن مدينة قرمونة وجعل فيها مرتبط خيوله وكان يتردد ما بينها وبين اشبيلية وهلك ابن حجاج واستبد ابن مسلمة بمكانه ثم استقرت اشبيلية آخرا بيد الحجاج بن مسلمة وقرمونة بيد محمد بن ابراهيم بن حجاج وعقد له الناصر ثم انتقض وبعث له الناصر بالعساكر وجاء ابن حفصون لمظاهرة ابن مسلمة فهزمته العساكر وبعث ابنه شفيعا فلم يشفعه فبعث ابن مسلمة بعض أصحابه سرا فداخل الناصر في المكر به وعقد له وجاء بالعساكر وخرج ابن مسلمة للحديث معه فغدروا به وملكوا عليه أمره وحملوه الى قرطبة ونزل عامل السلطان اشبيلية وكان من الثوار على الامير عبد الله قريبه وغدر به أصحابه فقتل

(مقتل الامير محمد ابن الامير عبد الله ثم مقتل أخيه المطرف)

كان المطرف قد أكثر السعاية في أخيه محمد عند أبيهما حتى اذا تمكنت سعايته وظهر

سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ ببلد ابن حفصون ثم استأمن ورجع وبالغ المطرف في السعاية الى أن حبسه أبوه ببعض حجر القصر وخرج لبعض غزواته واستخلف ابنه المطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه مفتاتا بذلك على أبيه وحزن الامير عبد الله على ابنه محمد وضم ابنه عبد الرحمن الى قصره وهو ابن يوم فربي مع ولده ثم بعث الامير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة سنة ثلاث وثمانين ومائتين ومعه الوزير عبد الملك بن أمية فقتل المطرف بالوزير لعداوة بينهما وسطا به أبوه الامير عبد الله وقتله أشر قتلة ثأرا فيها منه بأخيه محمد وبالوزير وعقد مكان الوزير لابنه أمية فسخ على الفقراء بأنفه وترفع على الوزراء فمقتوه وسعوا فيه عند الامير عبد الله بأنه بايع جماعة من سماسرة الشر لاخيه هشام بن محمد ولفقت بذلك شهادات اعتمد القاضي حينئذ قبولها

بياض بالاصل

للساعين أن يجعلوا في الجماعة للمشهود عليهم بالبيعة بعض أعدائه فتمت الحيلة وقتل هشام أمية الوزير وذلك سنة أربع وثمانين

(وفاة الامير عبد الله بن محمد وولاية حافده عبد الرحمن الناصر بن محمد)

ثم توفي الامير عبد الله في شهر ربيع الاول من آخر المائة الثالثة لست وعشرين سنة من امارته وولي حافده عبد الرحمن ابن ابنه محمد قتيل أخيه المطرف وكانت ولايته من الغريب لانه كان شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها وحازها دونهم ووجد الاندلس مضطربة فسكنها وقاتل المخالفين حتى اذعنوا واستنزل الثوار ومحا أثر ابن حفصون كبيرهم وحمل أهل طليطلة على الطاعة وكانوا معروفين بالخلاف والانتقاض واستقامت الاندلس وسائر جهاتها في نيف وعشرين سنة من أيامه ودامت أيامه نحوا من خمسين سنة استفحل فيها ملك بني أمية بتلك النواحي وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين عندما تلاشى أمر الخلافة بالمشرق واستبد موالي الترك على بني العباس وبلغه ان المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلفاء وكان كثير الجهاد بنفسه والغزو الى دار الحرب الى أن انهزم عام الخندق سنة ثلاث وعشرين ومحص الله المسلمين فقعد عن الغزو بنفسه وصار يردد الصوائف في كل سنة فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الفرنج ما لم يطأه قبل في أيام سلفه ومدت اليه أمم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان وأوفدوا اليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاحتمال فيما يعن من مرضاته ووصل الى سدته ملوك الجلالقة من أهل جزيرة الاندلس المتاخمين لبلاد المسلمين لجهات قشتالة ومنبلونة وما اليها من الثغور الجوفية فقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه ثم سما الى ملك العدوة فتناول سبتة من أيدي أهلها سنة سبع

عشرة وأطاعه بنو ادريس امراء العدوة وملوك زناتة البربر وأجاز اليه الكثير منهم كما
نذكر فى أخباره وبدء أمره لاوّل ولايته بتخفيف المغارم عن الرعايا واستحجب موسى بن
محمد بن يحيى واستوزر عبد الملك بن جهور بن عبد الملك بن جوهر وأحمد بن عبد الملك
ابن سعد وأهدى له هديته المشهورة المتعددة الاصناف ذكرها ابن حيان وغيره وهى
مما نقل من ضخامة الدولة الاموية واتساع أحوالها وهى خمسمائة ألف مثقال من
الذهب العين وأربعمائة رطل من التبر ومصارفه خمسة وأربعون ألف دينار ومن
سبائك الفضة مائتا بدرة واثنا عشر رطلا من العود الهندى يختم عليه كالشمع
ومائة وثمانون رطلا من العود الصنى المتخير ومائة رطل من العود الشبه المنقى ومائة
أوقية من المسك الذكى المفضل فى جنسه وخمسمائة أوقية من العنبر الاشهب المفضل
فى جنسه على خلقته من غير صناعة ومنها قطعة ململمة عجيبة الشكل وزن مائة أوقية
وثلثمائة أوقية من الكافور المرتفع الذكاء ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم
المرقوم بالذهب للباس الخلفاء مختلفة الالوان والصنائع وعشرة أفرية من عالى جلود
الفنك الخراسانية وستة من السرادقات العراقية وثمان وأربعون من الملاحف
البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب وثلاثون شقة الغربون من الملاحف
لسروج الهبات وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد وأربعة آلاف رطل من
الحرير المغزول وألف رطل من الحرير المنتقى للاستغزال وثلاثون بساطا من الصوف
وعشرمائة منقاة مختلفة ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة وخمسة عشر
من نخاخ الخز المقطوع شطرها ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تجافيف الزينة أيام
البروز والمواكب وألف ترس سلطانية ومائة ألف سهم من النبال البارعة الصنعة
ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة
النعوت وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية ولجم بغال مجالس
سروجها خز جعفرى عراقى ومائة فرس من عتاق الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف
والغزوات ومن الرقيق أربعون وصيفا وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن
ومن سائر الاصناف ومن الصخر سيات ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار
وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه قيمته خمسون ألف
دينار وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها

(سطوة الناصر بأخيه القاضى بن محمد)

كان محمد بن عبد الجبار ابن الامير محمد وعبد الجبار هو عم أبى الناصر قد سعى عنده

فى

فى أخيه القاضى بن محمد وأنه يريد الخلاف والبيعة لنفسه وسعى القاضى فى محمد
ابن عبد الجبار وأنه يروم الانتقاض واستطلع على الجلى من أمرهما وتحقق نقضهما
فقتلهما سنة ثمان وثلثمائة

(سطوة الناصر ببنى اسحق المروانيين)

وهو اسحق بن محمد بن اسحق بن ابراهيم بن الوليد بن ابراهيم بن عبد الملك بن مروان
دخل جدهم أوّل الدولة ولن يزالوا فى اكرام وعز واستقرت الرياسة فى اسحق وسكن
اشبيلية أيام الفتنة عند ابن حجاج ثم هلك ابن حجاج وولى ابن مسلمة فاتهمه وقبض عليه
وعلى ولده وصهره يحيى بن حكم بن هشام بن خالد بن أبان بن خالد بن عبد الله بن عبد الملك
ابن الحرث بن مروان فقتل الولد والصهر وكان عنده سفير لابن حفصون فشفع
فى الشيخ اسحق وولده أحمد ثم ملك الناصر اشبيلية من يد ابن مسلمة فرحل اسحق الى
قرطبة واستوزره الناصر واستوزر بنيه أحمد وابنه ومحمد وعبد الله ففتحوا
الفتوحات وكفوا المهمات وعلت مقاديرهم فى الدولة وتوفى أبوهم اسحق فورثوا مكانه
فى كل رفيعة ثم هلك كبيرهم عبد الله وكان مقدمهم عند الناصر واستوزره ثم اتهمه
الناصر بالخلاف وكثرت فيهم السعايات وصاروا فى مجال الظنون فسطا بهم الناصر
وغربهم فى النواحى فانزوى أمية منهم فى تسترين سنة خمس وعشرين وخلع الطاعة
وقصده الناصر فى العساكر فدخل دار الحرب وأجاره رذمير ملك الجلالقة ثم تغير له فجاء
الى الناصر من غير عهد وعفا عنه وبقى فى غمار الناس الى ان هلك وأمّا أحمد فعزل عن
سرقسطة لما نكب أبوه وبقى خاملا مغضيا ثم تكاثرت السعاية فيه فقتل وأمّا أحمد فبقى
فى جملة الناصر حتى اذا تحرك الى سرقسطة نمى عنه ففر ولقى فى مفره جماعة من أهل
سرقسطة فقتلوه

(أخبار الناصر مع الثوّار)

كان أوّل فتحه أبيح له أسجه بعث اليها بدرا مولاه وحاجبه فافتتحها من يد ابن حفصون
سنة ثلثمائة وغزا فى أثرها بنفسه فافتتح أكثر من ثلاثين حصنا من يد ابن حفصون منها
البيرة ودوخ سائر أقطاره وضيق مخنقه بالحصار واستنزل سعيد بن مزيل من حصن
المنتلون وحصن سمنان وفى سنة احدى وثلثمائة ملك اشبيلية من يد أحمد بن مسلمة
كما ذكرناه ثم سار سنة ثنتين فى العساكر فنازل حصون ابن حفصون وانتهى الى الجزيرة
الخضراء وضبط البحر ونظر فى اساطيله واستكثر منها ومنع ابن حفصون من البحر
وسأله فى الصلح على لسان يحيى بن اسحق المروانى فعقد له ثم أغزى اسحق بن محمد القرشى

الى الثوار برسية وبلنسية فأثخن فى نواحيها وفتح أريولة وأغزى بدرا مولاه الى مدينة لبلة فاستنزل منها عثمان بن نصر الثائر بها وساقه مقيدا الى قرطبة ثم أغزى اسحق ابن محمد سنة خمس مدينة قرمونة فملكها من يد حبيب بن سوارة كان ثائرا بها وفتح حصن ستمرية سنة ست وحصن طرش سنة تسع وأطاعه أحمد بن أضحى الهمدانى الثائر بحصن الحامة ورهن ابنه على الطاعة وغزا ابن حفصون سنة أربع عشرة فردته العساكر الى الجمرة لحصاره ورجع وبعث اليه حفص يستأمنه فأمنه وجاء الى قرطبة وملك الناصر ببشتر كما مر ثم انتقض سنة خمس وعشرين أمية بن اسحق فى تسترين وقدمنا ذكر أوليته ومحمد بن هشام التجيبى فى سرقسطة ومطرف بن منذر التجيبى فى قلعة أيوب فغزاهم الناصر بنفسه وبدأ بقلعة أيوب فحاصرها وقتل مطرف فى أول جولة عليها وقتل معه يونس بن عبد العزيز ولجأ أخوه الى القصبة حتى استأمن وعفا عنه وقتل من كان معهم من النصرانية أهل البة وافتتح ثلاثين من حصونهم وبلغه انتقاض طوطة ملكة البشكنس فغزاها فى بنبلونة ودوخ أرضها واستباحها ورجع ثم غزا سنة سبع وعشرين غزوة الخندق الى جليقة فانهزم وأصيبت فيها المسلمون وأسر محمد ابن هاشم التجيبى وحاول الناصر اطلاقه فاطلق بعد سنتين وثلاثة أشهر وقعد الناصر بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردد البعوث والصوائف وثار سنة ثلاث وأربعين بجهات ماردة ثائر وتوجهت اليه العساكر فجاؤا به وباصحابه ومثل بهم وقتلوا

(أخبار طليطلة ورجوعها الى الطاعة)

قال ابن حيان اختطها دربنقيوش الجبار وكان قوادرومة ينزلونها دار ملك ثم ثار بها برباط من نجدانية فملكها واختلف قوادرومة على حصاره ثم وثب به بعض أصحابه فقتله وملكها ثم قتل ورجعت الى قوادرومة ثم انتقض أهلها وولوا أميرا منهم اسمه انيش ثم قتل ورجعت الى قوادرومة وقام أولهم شنتيلة وأطاعه أهل الاندلس وامتنع على ملوك رومة ثم غزاهم وحاصر رومة وفتح كثيرا من بلادها ورجع الى طليطلة وثار عليه البشكنس فظهر عليهم وأوقع بهم ولحقوا بالجبال وهلك شنتيلة بعد تسع وملك مكانه على الغوط بسيلة ست سنين ولم يغن فيها ثم ولى منهم حندس وغزا افريقية وولى بعده قنبان وبنى الكنائس وبلغه خبر المبعث فقال له بليان وكان من أكابر الغوط وأعاظمهم وجدت فى كتاب مطريوس العالم عن دانيال النبى أنهم يملكون الاندلس ثم هلك قنبادر وملك ابنه ست عشرة سنة وكان سيئ السيرة وولى بعده لزريق

بياض بالاصل

ثم لم تزل طليطلة دار فتنة وعصبية ومنعة أتعبت عبد الرحمن الداخل سبع سنين وانتقضت على هشام والحكم وعلى عبد الرحمن الاوسط الى أن جاء الناصر فأدخلهم

فى

فى الطاعة كرها لما أكمل فتح ماردة وبطليوس وتسترين سار اليهم فى العساكر وحاصرهم وجاء الطاغية يظاهرهم فدافعه الناصر وجثم عليها فخرج أميرهم ثعلبة ابن محمد بن عبد الوارث الى الناصر فاستقال واستأمن فأمنه وعفا عنه ودخلها الناصر وجال فى أقطارها ورجع عنها فلم يزالوا مستقيمين على الطاعة بعد

(أخبار الناصر مع أهل العدوة)

ثم سما للناصر أمل فى ملك عدوة البربر من بلاد المغرب فافتتح أمره بملك سبتة من بنى عصام ولاتها واستدعى أمراء البربر بالعدوة وبلغ الخبر ابراهيم بن محمد أمير بنى ادريس فبادر الى سبتة وحاصرها أنفة من عبور الناصر اليهم ثم استقال وكاتب الناصر بالولاية وأما ادريس بن ابراهيم صاحب ارشكول من الادارسة فبادر بولاية الناصر وكاتبه وأهدى اليه وتقبل أثره فى ذلك محمد بن خزر أمير مغراوة وموسى بن أبى العافية أمير مكناسة وهو يومئذ صاحب المغرب بعد أن ملك قواعد المغرب الاوسط وهى تنس ووهران وشرشال والبطحاء وأهدوا الى الناصر فقبل وكافأهم وأحكم ولايتهم وبادر جماعة من الادارسة الى مثل ذلك منهم القاسم بن ابراهيم والحسن بن عيسى وأهدى صاحب فاس هدية عظيمة وعقد له الناصر على أهل بيته ولما فشت دعوة الناصر فى المغرب الاقصى بعث عبيد الله المهدى قائده ابن يصل أمير مكناسة وعامل تاهرت فزحف فى العساكر الى المغرب سنة احدى وعشرين وكتب موسى بن أبى العافية الى الناصر يستنجده فأخرج اليه قاسم بن طملس فى العساكر ومعه الاسطول فوصل الى سبتة وبلغه الخبر بأن موسى بن أبى العافية هزم عساكر جيد فاقصر ورجع حسبما هو مذكور فى أخبارهم

(أخبار الناصر مع الفرنجة والجلالقة)

وكان فى أول المائة الرابعة ملك على الجلالقة أردون بن رذمير بن برمند بن قريولة ابن ذفونش بن بيطر وخرج سنة ثنتين وثلثمائة الى الثغر الجوفى لاول ولاية الناصر وعاث فى جهات ماردة وأخذ حصن الحنش وبعث الناصر وزيره أحمد بن عبدة فى العساكر الى بلاده فدوخها ثم أغزاه ثانية سنة خمس فنكث وقتل ثم أغزى بدرا مولاه فدوخ ورجع ثم غزا بنفسه بلاد جليقة سنة ثمان واستنصر اردون بسانجة ابن غرسية ملك البشكنس وصاحب بنبولة فهزمهم الناصر ووطئ بلادهم وخربها وفتح حصونهم وهدمها وردد الغزو بعد ذلك فى بلد غرسية الى أن هلك ادفونش وولى بعده ابنه فرويلة قال ابن حيان لما ملك فرويلة بن أردون بن رذمير ملك الجلالقة سنة

ثلاث عشرة وثلثمائة ملك أخوه ادفونش ونازعه أخوه سانجة واستقل غرسية بليون من قواعد ملكهم وظاهر ادفونش على أمره ابن أخيه وهو ادفونش بن فرويلة وصهره سانجة فانهزموا وافترقت كلمتهم ثم اجتمعوا ثانية وخلعوا سانجة وأخرجوه عن مدينة ليون ففر الى قاصية جليقة وولى أخاه رذمير بن أردون على ملكه بغربي جليقة الى قلنسرية وهلك سانجة اثر ذلك ولم يعقب واستقل ادفونش وخرج على أخيه رذمير وملك مدينة سنت ماذكش ثم أكثروا عليه العذل فى نزوعه عن الرهبانية فرجع الى رهبانيته ثم خرج ثانيا وملك مدينة ليون وكان رذمير أخوه غازيا الى سمورة فرجع اليه وحاصره بها حتى اقتحمها عليه عنوة سنة عشرين وثلثمائة فحبسه ثم سمله فى جماعة من ولد أبيه اردون خافهم على أمره وكان غرسية بن سانجة ملك البشكنس لما هلك قام بأمرهم بعده أخته طوطة وكفلت ولده ثم انقضت سنة خمس وعشرين فغزا الناصر بلادها وخرب نواحى بليونة وردد عليها الغزوات وفى أثناء هذه الغزوات نازل محمد ابن هشام التجيبى سرقسطة حتى أطاع كامر وكذا أمية بن اسحق فى تسترين وكان الناصر سنة ثنتين وعشرين قد غزا الى وخشمة واستدعى محمد بن هشام من سرقسطة فامتنع ورجع اليه وافتتح حصونه وأخذ أخاه يحيى من حصن روطة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته طوطة بنت اشير بطاعتها وعقد لابنها غرسية بن سانجة على بنبلونة ثم عدل الى البلة وبسائطها فدوخها وخرب حصونها ثم اقتحم جليقة وملكها يومئذ رذمير ابن أردون فخام عن اللقاء ودخل هو وحشمه فنازله الناصر فيها وهدم برغش وكثيرا من معاقلهم وهزمهم مرارا ورجع ثم كانت بعدها غزوة الخندق ولم يغز الناصر بعدها بنفسه وكان يردد الصوائف وهابته أمم النصرانية ووفدت عليه سنة ست وثلاثين رسل صاحب القسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسنطين بن ليون بن شل واحتفل الناصر للقائهم فى يوم مشهود وكتب فيه العساكر بالسلاح فى أكمل هيئة وزى وزين القصر الخلافى بأنواع الزينة وأصناف الستور وجمل السرير الخلافى بمقاعد الابناء والاخوة والاعمام والقرابة ورتب الوزراء والخدمة فى مواقفهم ودخل الرسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدوا رسالتهم وأمر يومئذ الاعلام ان يخطبوا فى ذلك المحفل ويعظموا أمر الاسلام والخلافة ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه واعزازه وذلة عدوه فاستعدوا لذلك ثم بهرهم هول المجلس فرجعوا وشرعوا فى الغزل فارتج عليهم وكان فيهم أبو على القالى وافد العراق كان فى جملة الحكم ولى العهد وندبه لذلك استئثارا لفخره فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطى من غير استعداد ولا روية ولا تقدم له أحد فى ذلك بشئ فخطب واستخفر وجلا فى ذلك القصد وأنشد آخره شعرا طويلا

ارتجله

ارتجله فى ذلك الغرض ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه أكثر من كل ما وقع وأعجب الناصر به وولاه القضاء بعدها وأصبح من رجالات العالم وأخباره مشهورة وخطبته فى ذلك اليوم منقولة فى كتب ابن حيان وغيره ثم انصرف هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم هشام بن كليب الجاثليق ليجدد الهدنة ويؤكد المودة ويحسن الاجابة ورجع بعد سنتين وقد أحكم من ذلك ما شاء وجاءت معه رسل قسنطين ثم جاء رسل ملك الصقالبة وهو يومئذ هوتو وآخر من ملك اللمان وآخر من ملك الفرنجة وراء المغرب وهو يومئذ أفوه وآخر من ملك الفرنجة بقاصية المشرق وهو يومئذ كلدة واحتفل السلطان لقدومهم وبعث مع رسل الصقالبة ربيعا الاسقف الى ملكهم هوتو ورجعوا بعد سنتين وفى سنة أربع وأربعين جاء رسول اردون بن رذمير وأبوه رذمير وهو الذى سمل أخاه ادفونش وقدمر ذكره يبعث يخطب السلم فعقد له ثم بعث فى سنة خمس وأربعين يطلب ادخال فردلند بن عبد شلب قومس قشتيلية فردلند وقدمر ذكره ومال الى أردون بن رذمير كما ذكرناه وكان غرسية بن سانجة حافد الطوطة بنت اشنير ملكة البشكنس فامتعضت لحل حافدها غرسية ووفدت على الناصر سنة سبع وأربعين ملقية بنفسها فى عقد السلم لها ولولدها سانجة بن رذمير الملك واعانة حافدها غرسية بن سانجة على ملكه ونصره من عدوه وجاء ملك جليقة فرد عليه ملكه وخلع الجلالقة طاعة اردون وبعث الى الناصر يشكوه على فعلته وكتب الى الامم فى النواحى بذلك وبما ارتكبه فردلند قومس قشتيلة وعظيم قوامسه فى نكثه ووثوبه ونفر بذلك عند الامم ولم يزل الناصر على موالاته واعانته الى ان هلك ولما وصل رسول كلدة ملك الافرنجة بالمشرق كما تقدم وصل معه رسول مغيرة بن شبير ملك برشلونة وطركونة راغبا فى الصلح فأجابه الناصر ووصل بعده رسول صاحب رومة يطلب المودة فأجيب

(سطوة الناصر بابنه عبد الله)

كان الناصر قد رشح ابنه الحكم وجعله ولى عهده وآثره على جميع ولده ودفع اليه كثيرا من التصرف فى دولته وكان أخوه عبد الله يساميه فى الرتبة فغص لذلك وأغراه الحسد بالنكثة فنكث وداخل من فى قلبه مرض من أهل الدولة فأجابوه وكان منهم ياسر الفتى وغيره ونمى الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلى فيه وقبض على ابنه عبد الله وعلى ياسر الفتى وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين سنة ثلاث وتسعين

(مبانى الناصر)

ولما استفحل ملك الناصر صرف نظره الى تشييد المباني والقصور وكان جده الامير محمد وأبوه عبد الرحمن الاوسط وجده الحكم قد اختلفوا في ذلك وبنوا قصورهم على أكمل الاتقان والضخامة وكان منها المجلس الزاهر والبهو الكامل والقصر المنيف فبنى هو الى جانب الزاهر قصره العظيم وسماه دار الروضة وجلب الماء الى قصورهم من الجبل واستدعى عرفاء المهندسين والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية ثم أخذ في بناء المتنزهات فاتخذ منيا الناعورة خارج القصور وساق لها الماء من أعلى الجبل على بعد المسافة ثم اختط مدينة الزهراء واتخذها منزله وكرسيا الملكه فانشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما علا على مبانيهم الاولى واتخذ فيها مجالات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح الطيور ومظللة بالشباك واتخذ فيها دار الصناعة آلات من آلات السلاح للحرب والحلي للزينة وغير ذلك من المهن وأمر بعمل الظلة على صحن الجامع بقرطبة وقاية للناس من حر الشمس

(وفاة الناصر وولاية ابنه الحكم المستنصر)

ثم توفي الناصر سنة خمسين وثلثمائة أعظم ما كان سلطانه وأعز ما كان الاسلام بملكه وكان له قضاة أربعة مسلم بن عبد العزيز وأحمد بن بقي بن مخلد ومحمد ابن عبد الله بن أبي عيسى ومنذر بن سعيد البلوطي ولما توفي الناصر ولي ابنه الحكم وتلقب المستنصر بالله وولى على حجابته جعفر المصحفي وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الاصناف ما ذكره ابن حيان في المقتبس وهي مائة مملوك من الفرنج ناشئة على خيول صافنة كاملو الشكة والاسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندوية وثلثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الاجناس وثلثمائة خوذة كذلك ومائة بيضة هندية وخمسون خوذة حبشية من حبشيات الافرنجة غير الحبش التي يسمونها الطاشانية وثلثمائة حربة افرنجية ومائة ترس سلطانية الجنس وعشرة جواشن نقية مذهبة وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس ولاول وفاة الناصر طمع الجلالقة في الثغور فغزا الحكم بنفسه واستباحها وقفل فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ثم أغزى غالبا مولاه بلاد جليقة وسار الى مدينة سالم قبل الدخول لدار الحرب فجمع له الجلالقة ولقيهم على اشتة فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلاد فردلند القومس ودوخها وكان سانجة بن رذمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم يحيى بن محمد التجيبي صاحب سرقسطة في العساكر وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا وعاث في نواحيها وأغزى الهذيل بن هاشم ومولاه غالبا فعاثا فيها

وقفلا وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية وكان من أعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطرية على يد قائد وشقة وغنم ما فيها من الاموال والسلاح والآلات والاقوات وفي بسيطه من الغنم والبقر والرمك والاطعمة والسبي ما لا يحصى وفي سنة أربع وخمسين سار غالب الى بلاد البة ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فأخذ حصن غرماج ودوخ بلادهم وانصرف وظهرت في هذه السنة مراكب المجوس في البحر الكبير وأفسدوا ببسائط اشبونة وناشبهم الناس القتال فرجعوا الى مراكبهم وأخرج الحكم القواد لاحتراس السواحل وأمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل حركة الاسطول ثم وردت الاخبار بأن العساكر نالت منهم من كل جهة من السواحل ثم كانت وفادة أردون بن ادفونش ملك الجلالقة وذلك أن الناصر لما أعان عليه سانجة بن رذمير وهو ابن عمه وهو الملك من قبل أردون وحمل النصرانية واستظهر أردون بصهره فردلند قومس قشتيلية ثم توقع مظاهرة الحكم لسانجة كما ظاهره أبوه الناصر فبادر بالوفادة على الحكم مستجيرا به فاحتفل لقدومه وكان يوما مشهودا وصفه ابن حيان كما وصف أيام الوفادات قبله ووصل الى الحكم وأجلسه ووعده بالنصر على عدوه وخلع عليه لما جاء ملقيا بنفسه وعاقده على موالاة الاسلام ومقاطعة فردلند القومس وأعطى على ذلك صفقة يمينه ورهن ولده غرسية ودفعت الصلات والحملات له ولاصحابه وانصرف معه وجوه نصارى الذمة بقرطبة وليد بن مغيث القاضي وأصبغ بن عبد الله بن نبيل الجاثليق وعبد الله بن قاسم مطران طليطلة ليوطؤا له الطاعة عند رعيته ويقبضوا رهنه وذلك سنة احدى وخمسين وعند ذلك بعث ابن عمه سانجة بن رذمير ببيعته وطاعته مع قوامس من أهل جليقة وسمورة وأساقفهم يرغب في قبوله ويتقي بما فعل أبوه الناصر معه فتقبل بيعتهم على شروط شرطها كان منها هدم الحصون والابراج القريبة من ثغور المسلمين ثم بعث قومس الفرنجة برسل ومنيرة اثناء سيره ملك برشلونة وطركونة وغيرها يسألان تجديد العهد واقرارهما على ما كانا عليه وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقالبة وعشرون قنطارا من الصوف السمور وخمسة قناطير من القرصدس وعشرة أذراع صقلبية ومائتا سيف افرنجية فقبل هديتهم وعقد لهم على أن يهدما الحصون التي بقرب الثغور وعلى أن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وان ينذروه بما يكون من النصارى في الاجلاب على المسلمين ثم وصلت رسل غرسية بن سانجة ملك البشكنس في جماعة من الاساقفة والقوامس يسألون الصلح بعد ان كان توقف فعقد لهم الحكم ورجعوا

وفى سنة ‌‌ وردت أم لزريق بن بلاكش القومس بالقرب من جليقة وهو القومس الاكبر فأخرج الحكم لتلقيها واحتفل لقدومها فى يوم مشهود فوصلها وأسعفها وعقد السلم لابنها كما رغبت وأحبت ودفع لها مالا تقسمه بين وفدها وحملت على بغلة فارهة بسرج ولجام مثقلين بالذهب وملحفة ديباج ثم عاودت مجلس الحكم للوداع فعاودها بالصلات لسفرها وانطلقت ثم أوطأ عساكره من أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها فى أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ووفد عليه ملوكهم من آل خزر وبنى أبى العافية فأجزل صلتهم وأكرم وفادتهم وأحسن منصرفهم واستنزل بنى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف وأجازهم البحر الى قرطبة ثم أجلاهم الى الاسكندرية حسبما نشير الى ذلك كله بعد وكان محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعة للكتب فى أنواعها مالم يجمعه أحد من الملوك قبله قال ابن حزم أخبرنى بكية الخصى وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بنى مروان أن عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة فى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين لا غير فأقام للعلم والعلماء سلطانا نفقت فيها بضائعه من كل قطر ووفد عليه أبو على القالى صاحب كتاب الامالى من بغداد فأكرم مثواه وحسنت منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه واختص بالحكم المستنصر واستفاد علمه وكان يبعث فى الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ويسرب اليهم الاموال لشرائها حتى جلب منها الى الاندلس مالم يعهدوه وبعث فى كتاب الاغانى الى مصنفه أبى الفرج الاصفهانى وكان نسبه فى بنى أمية وأرسل اليه فيه ألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل أن يخرجه بالعراق وكذلك فعل مع القاضى أبى بكر الابهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك وجمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده الا ما يذكر عن الناصر العباسى ابن المستضىء ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة الى أن بيع أكثرها فى حصار البربر أمر باخراجها وبيعها الحاجب واضح من موالى المنصور بن أبى عامر ونهب ما بقى منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة كما نشير اليه بعد واتصلت أيام الحكم المستنصر وأوطأ العساكر أرض العدوة من المغرب الاقصى والاوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة ومغراوة ومكناسة فبثها فى أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما يليهم ووفد عليه ملوكهم من آل خزر وبنى أبى العافية فأجزل

صلتهم وأكرم وفادتهم

(وفاة الحكم المستنصر وبيعة ابنه هشام المؤيد)

ثم أصابت الحكم العلة فلزم الفراش الى أن هلك سنة ست وستين وثلثمائة لست عشرة سنة من خلافته وولى من بعده ابنه هشام صغيرا مناهزا الحلم وكان الحكم قد استوزر له محمد بن أبى عامر نقله من خطة القضاء الى وزارته وفوض اليه فى أموره فاستقل وتوفرت حاله عند الحكم فلما توفى الحكم بويع هشام ولقب المؤيد بعد ان قتل ليلتئذ أخو الحكم المرشح لامره تناول الفتك به محمد بن عامر هذا بممالأة جعفر بن عثمان المصحفى حاجب أبيه وغالب مولى الحكم صاحب مدينة سالم ومن خصيان القصر ورؤسائهم فائق وجودر فقتل محمد بن أبى عامر المغيرة وبايع لهشام

(أخبار المنصور بن أبى عامر)

ثم سما محمد بن أبى عامر المتغلب على هشام لمكانه فى السن وثاب له رأى فى الاستبداد فمكر بأهل الدولة وضرب بين رجالها وقتل بعضها ببعض وكان من رجال اليمنية من مغافر واسمه محمد بن عبد الله بن ابى عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغافرى دخل جده عبد الملك مع طارق وكان عظيما فى قومه وكان له فى الفتح أثر فاستوزره الحكم لابنه هشام كما ذكرناه فلما مات الحكم حجبه محمد وغلب عليه ومنع الوزراء من الوصول اليه الا فى النادر من الايام يسلمون وينصرفون وأرخص للجند فى العطاء وأعلى مراتب العلماء وقمع أهل البدع وكان ذا عقل ورأى وشجاعة وبصر بالحروب ودين متين ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم وقتل بعضها ببعض كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوقيعه حتى استأصل بهم وفرق جموعهم وأول ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفى على نكبتهم فنكبهم وأخرجهم من القصر وكانوا ثمانمائة أو يزيدون ثم أصهر الى غالب مولى الحكم وبالغ فى خدمته والتنصح له واستعان به على المصحفى فنكبه ومحا أثره من الدولة ثم استعان على غالب بجعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة النازع الى الحكم أول الدولة بمن كان معه من زناتة والبربر ثم قتل جعفر عماله ابن عبد الودود وابن جوهر وابن ذى النون وأمثالهم من أولياء الدولة من العرب وغيرهم ثم لما خلا الجو من أولياء الخلافة والمرشحين للرياسة رجع الى الجند فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتب منهم جندا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبنى يفرن وبنى برزال ومكناسة وغيرهم فتغلب على هشام وحجره

واستولى على الدولة وملأ الدنيا وهو فى جوف بيته مع تعظيم الخلافة والخضوع لها ورد الامور اليها وترديد الغزو والجهاد وقدم رجال البرابرة زناتة وأخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتم له ما أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالامر وابتنى لنفسه مدينة فنزلها وسماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا بتحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور ونفذت الكتب والاوامر والمخاطبات باسمه وأمر بالدعاء له على المنابر وكتب اسمه فى السكة والطرز وعمر دوانه بما سوى ذلك وجند البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلوج للاستيلاء على تلك الرغبة وقهر من يطاول اليها من الغلبة فظفر من ذلك بما أراد وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب فغزا اثنين وخمسين غزوة فى سائر أيام ملكه لم ينكسر له فيها راية ولا فل له جيش ولا أصيب له بعث ولا هلكت سرية وأجاز عساكره الى العدوة وضرب بين ملوك البرابرة بعضهم فى بعض فاستوثق ملكه بالمغرب وأذعنت له ملوك زناتة وانقادوا الحكمه وأطاعوا السلطانه وأجاز ابنه عبد الملك الى ملوك مغراوة بفاس من آل خزر لما سخط زيرى بن عطية ملكهم لما بلغه من اعلانه بالنيل منه والغض من والتأنف لحجر الخليفة هشام فأوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها وعقد لملوك زناتة على المغرب وأعماله من سجلماسة وغيرها على ما نشير اليه بعد وشرد زيرى بن عطية الى تاهرت وأبعد المفر وهلك فى مفره ثم قفل عبد الملك الى قرطبة واستعمل واضحا على المغرب وهلك المنصور أعظم ما كان ملكا وأشد استيلاء سنة أربع وسبعين وثلثمائة بمدينة سالم منصرفه من بعض غزواته ودفن هنالك وذلك لسبع وعشرين سنة من ملكه

(المظفر بن المنصور)

ولما هلك المظفر قام بالامر من بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وجرى على سنن أبيه وأخيه فى حجر الخليفة هشام والاستبداد عليه والاستقلال بالملك دونه ثم ثاب له رأى فى الاستئثار بما بقى من رسوم الخلافة فطلب من هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه وأحضر لذلك الملأ من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد فكان يوما مشهودا وكتب عهده من انشاء أبى حفص بن برد بما نصه هذا ما عهد هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين الى الناس عامة وعاهد الذى عليه من نفسه خاصة وأعطى به صفقة يمينه بيعة تامة بعد أن أمعن النظر وأطال الاستخارة وأهمه ما جعل الله اليه من الامامة ونصب اليه من أمر المؤمنين واتقى حلول القدر بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف وخشى ان هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع لهذه الامة علما تأوى اليه وملجأ تنعطف اليه أن يلقى ربه تبارك وتعالى مفرطا ساهيا عن أداء

الحق

الحق اليها واعتبر عند ذلك من أحياء قريش وغيرها من يستحق أن يستند هذا الامر اليه ويعول فى القيام به عليه ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وصيانته بعد اطراح الهوى والتحرى للحق والتزلف الى الله عز وجل بما يرضيه وبعد أن قطع الاقاصى وأسخط الاقارب فلم يجد أحدا يوليه عهده ويفوض اليه الخلافة بعده غيره لفضل نسبه وكرم خيمه وشرف مرتبته وعلو منصبه مع تقاه وعفافه ومعرفته وحزمه وتفاوته المأمون العيب الناصح الحبيب أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر وفقه الله تعالى اذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره ونظر فى شأنه واعتبره فرآه مسارعا فى الخيرات سابقا الى الحلبات مستوليا على الغايات جامعا للماثرات ومن كان المنصور أباه والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مداه ويحوى من خلال الخير ما حواه مع أن أمير المؤمنين أيده الله بما طالع من مكنون العلم ووعاه من مخزون الغيب رأى أن يكون ولى عهده القحطانى الذى حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه فلما استوى له الاختيار وتقابلت عنده الآثار ولم يجد عنه مذهبا ولا الى غيره معدلا خرج اليه من تدبير الامور فى حياته وفوض اليه الخلافة بعد وفاته طائعا راضيا مجتهدا وأمضى أمير المؤمنين هذا وأجازه وأنفذه ولم يشترط فيه ثنيا ولا خيارا وأعطى على الوفاء به فى سره وجهره وقوله وفعله عهد الله وميثاقه وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء الراشدين من آبائه وذمة نفسه ان لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يزول وأشهد على ذلك الله والملائكة وكفى بالله شهيدا وأشهد من أوقع اسمه فى هذا وهو جائز الامر ماضى القول والفعل بمحضر من ولى عهده المأمون أبى المظفر عبد الرحمن بن المنصور وفقه الله تعالى وقبل له ما قلده والزمه نفسه ما فى الذمة وذلك فى شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وكتب الوزراء والقضاة وسائر الناس شهاداتهم بخطوط أيديهم وتسمى بعدها بولى العهد ونقم أهل الدولة عليه ذلك فكان فيه حتفه وانقراض دولته ودولة قومه والله وارث الارض ومن عليها

(ثورة المهدى ومقتل عبد الرحمن المنصور وانقراض دولتهم)

ولما حصل عبد الرحمن المنصور على ولاية العهد ونقم ذلك الامويون والقرشيون وغصوا بأمره واتفقوا على تحويل الامر جملة من المضرية الى اليمنية فاجتمعوا لشأنهم وتمشت من بعض الى بعض رجالاتهم وأجمعوا أمرهم فى غيبة من الحاجب الناصر بلاد الجلالقة فى غزاه من صوائفه ووثبوا بصاحب الشرطة ففتكوا به بمقعده من باب قصر الخلافة بقرطبة سنة تسع وتسعين وثلثمائة وخلعوا هشاما المؤيد وبايعوا محمد بن

هشام بن عبد الجبار بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله من اعياص الملك واعقاب الخلفاء ولقبوه المهدي وطار الخبر الى الحاجب بمكانه من الثغر فانفض جمعه وقفل الى الحضرة مدلا بمكانه زعيما بنفسه حتى اذا قرب من الحضرة تسلل عنه الجند ووجوه البربر ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي القائم بالامر وأغروه بالناصر واعترضه منهم من تقبض عليه واحتز رأسه وحمله الى المهدي والى الجماعة وذهبت دولة العامريين

(ثورة البربر وبيعة المستعين وفرار المهدي)

كان الجند من البرابرة وزناتة قد ظاهروا المنصور على أمره وأصحبوا شيعة لبنيه من بعده ورؤساؤهم يومئذ زاوي بن مناد الصنهاجي وبنو ماكسن ابن أخيه زيري ومحمد ابن عبد الله البرزالي ونصيل بن حميد المكناسي الفازع أبوه عن العبيديين الى الناصر وزيري بن غزانة المنيطي وأبو زيد بن دوناس اليفرني وعبد الرحمن بن عطاف اليفرني وأبو نور بن أبي قرة اليفرني وأبو الفتوح بن ناصر وحزرون بن محصن المغراوي وبكساس ابن سيد الناس ومحمد بن ليلى المغراوي فيمن اليهم من عشائرهم فلحقوا بمحمد بن هشام لما رأوا من انتقاض أمر عبد الرحمن وسوء تدبيره وكانت الاموية تعتمد عليهم ما كان من مظاهرتهم العامريين وتنسب اليهم تغلب المنصور وبنيه على أمرهم فسخطتهم القلوب وخزرتهم العيون وتنفست بذلك صدور الغوغاء من أذيال الدولة ولفظت به ألسنة الدهماء من المدينة وأمر محمد بن هشام ان لا يركبوا ولا يتسلحوا وردوا في بعض الايام من باب القصر وانتهب العامة يومئذ دورهم ودخل زاوي وابن أخيه حباسة وأبو الفتوح بن الناصر على المهدي شاكين بما أصابهم فاعتذر اليهم وقتل من آذاهم من العامة في أمرهم وكان مع ذلك مظهرا لبغضهم مجاهرا بسوء الثناء عليهم وبلغهم انه سره الفتك بهم فتمشت رجالاتهم وأسروا نجواهم   بياض بالاصل

هشام بن سليمان بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله وفشا في الخاصة حديثهم فعوجلوا من أمرهم ذلك وأغرى بهم السواد الاعظم فثاروا بهم وأزعجوهم عن المدينة وتقبض على هشام وأخيه أبي بكر وأحضرا بين يدي المهدي فضرب أعناقهما ولحق سليمان ابن أخيهما الحكم بجنود البربر وزناتة وقد اجتمعوا بظاهر قرطبة وتآمروا فبايعوه ولقبوه المستعين بالله ونهضوا به الى ثغر طليطلة فاستجاش بابن ادفونش ثم نهض في جموع البرابرة والنصرانية الى قرطبة وبرز اليهم المهدي في كافة أهل البلد وخاصة الدولة وكانت الدبرة عليهم واستلحم منهم ما يزيد على عشرين ألفا وهلك من خيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم ودخل المستعين قرطبة خاتم المائة الرابعة ولحق ابن عبد الجبار بطليطلة

(رجوع المهدي الى ملكه بقرطبة)

ولما استولى المستعين على قرطبة خالفه محمد بن هشام المهدي الى طليطلة واستجاش بابن ادفونش ثانية فنهض معه الى قرطبة وهزم المستعين والبرابرة بعقبة البقر من ظاهرها في آخر باب سنة ودخل المهدي قرطبة وملكها

(هزيمة المهدي وبيعته للمؤيد هشام ومقتله)

ولما دخل المهدي الى قرطبة خرج المستعين الى البرابرة وتفرقوا في البسائط والقرى فينهبون ويقتلون ولا يبقون على أحد ثم ارتحلوا الى الجزيرة الخضراء فخرج المهدي وابن ادفونش واتبعهم المستعين والبرابرة اثناء ذلك يحاصرونهم حتى خشي الناس من اقتحام البرابرة عليهم فاغروا أهل القصر وحاجبه المدبر بالمهدي وان الفتنة انما جاءت من قبله وتولى كبر ذلك واضح العامري فقتلوا المهدي محمد بن هشام واجتمعت الكافة على تجديد البيعة لهشام المؤيد ليعتصموا به من معرة البرابرة وما يسومونهم به ملوكهم من سوء العذاب وعاد هشام الى خلافته وأقام واضح العامري لحجابته وهو من موالي المنصور بن أبي عامر

(حصار قرطبة واقتحامها عنوة ومقتل هشام)

واستمر البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم ولم يفرق عن أهل قرطبة تمعه هشام المؤيد والبرابرة يترددون اليها ذاهبين وجائين بأنواع النهب والفتك الى أن هلكت القرى والبسائط وعدمت المرافق وصافت أحوال أهل قرطبة وجهدهم الحصار وبعث المستعين والبرابرة الى ابن ادفونش يستقدمونه لمظاهرتهم فبعث اليه هشام المؤيد وحاجبه واضح يكفونه عن ذلك بأن نزلوا له عن ثغور قشتالة التي كان المنصور اقتحمها فسكن عزمه وسكن عن مظاهرتهم ثم اتصل الحصار بمخنق البلد وصدق البرابرة القتال فاقتحموها عنوة سنة ثلاث وأربعمائة وفتكوا بهشام المؤيد ودخل المستعين ولحق باهل قرطبة من البرابرة في نسائهم ورجالهم وبناتهم وأبنائهم ومنازلهم وظن المستعين ان قد استحكم أمره وتوثبت البرابرة والعبيد على الاعمال فولوا المدن العظيمة وتقلدوا الاعمال الواسعة مثل باديس بن حزس في غرناطة ومحمد بن عبد الله البرزالي في قرمونة وأبو نور بن أبي شبل   بالاندلس وصار الملك طوائف   بياض بالاصل في آخرين من أهل الدولة مثل ابن عباد باشبيلية وابن الافطس ببطليوس وابن ذي النون بطليطلة وابن أبي عامر ببلنسية ومرسية وابن هود بسرقسطة ومجاهد العامري بدانية والجزائر منذ عهد هذه الفتنة كما نذكر في أخبارهم

(ثوار ابن حمود واستيلاؤه وقومه على ملك قرطبة)

ولما افترق شمل جماعة قرطبة وتغلب البرابرة على الامر وكان على بن حمود وأخوه قاسم من عقب ادريس قد أجازوا معهم من العدوة فدعوا لانفسهم وتعصب معهم الكثير من البربر وملكوا قرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين ومحوا ملك بنى أمية واتصل ذلك فى خلق منهم سبع سنين ثم رجع الملك فى بنى أمية وفى ولد الناصر نحوا من سبع سنين ثم خرج عنهم وافترق الامر فى رؤساء الدولة من العرب والموالى والبربر واقتسموا الاندلس ممالك ودولا وتلقبوا بألقاب الخلفاء كما نذكر ذلك كله مستوفى فى أخبارهم

(عود الملك الى بنى أمية وأولاد المستظهر)

لما قطع أهل قرطبة دعوة الحموديين بعد سبع من ملكهم و زحف اليهم قاسم بن حمود فى جموع من البربر فهزمهم أهل قرطبة ثم اجتمعوا واتفقوا على ردّ الامر الى بنى أمية واختاروا لذلك عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار أخا المهدى وبايعوه فى رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة ولقبوه المستظهر وقام بأمره المستكفى ثم ثار على المستظهر لشهرين من خلافته محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر أمير المؤمنين كان المنصور بن أبى عامر قتل أباه عبد الرحمن لسعيه فى الخلاف فثار الآن محمد هذا وتبعه الغوغاء وفتك بالمستظهر واستقل بأمر قرطبة وتلقب بالمستكفى

(عود الامر الى بنى حمود)

وبعد ستة عشر شهرا من بيعة المستكفى رجع الامر الى يحيى بن على بن حمود وهو المعتلى كما نذكر فى أخبارهم وفرّ المستكفى الى ناحية الثغر ومات فى مفرّه

(المعتمد من بنى أمية)

ثم خلع أهل قرطبة المعتلى بن حمود ثانيا سنة سبع عشرة وبايع الوزير أبو محمد جهور ابن محمد بن جهور عميد الجماعة وكبير قرطبة لهشام بن محمد أخى المرتضى وكان بالثغر فى لاردة عند ابن هود ولما بلغه خبر البيعة له انتقل الى البرنت واستقر عند المتغلب عليها محمد بن عبد الله بن قاسم وكانت البيعة له انتقل سنة ثمان عشرة وأربعمائة وتلقب المعتمد بالله وأقام مترددا فى الثغر ثلاثة أعوام واشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف واتفقوا على أن ينزل دار الخلافة بقرطبة فاستقدمه ابن جهور والجماعة ونزلها آخر سنة عشرين وأقام يسيرا ثم خلعه الجند سنة ثنتين وعشرين وفرّ الى لاردة فهلك بها

سنة ثمان وعشرين وانقطعت دولة الاموية والله غالب على أمره

{الخبر عن دولة بنى حمود التى ادالت من دولة بنى أمية بالاندلس وأولية ملكهم وتصاريف أمورهم الى آخرها}

كان فى جملة المستعين مع البربر والمغاربة أخوان من ولد عمر بن ادريس وهما القاسم وعلى ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر كانوا فى لفيف البرابرة فى بلاد غمارة واستجدوا بها رياسة استمرت فى بنى محمد وبنى عمر من ولد ادريس فكانت للبربر اليهم صاغية بسبب ذلك وخلطة وبقى الفخر منهم يتنازغدره من غمارة فأجاز وامع البربر وصاروا فى جملة المستعين مع امراء العدوة من البربر فعقد لهما المستعين فيمن عقد له من المغاربة عقد لعلى منهما على طنجة وعملها وللقاسم وكان الاسنّ على الجزيرة الخضراء وكان فى نفوس المغاربة والبرابرة تشيع لاولاد ادريس متوارث من دولتهم بالعدوة كما ذكرناه واستقام أمر على بن حمود وتمكن سلطانه واتصلت دولته عامين الى ان قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمائة فولى مكانه أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون ونازعه فى الامر بعد أربع سنين من خلافته يحيى ابن أخيه على بسبتة وكان أمير الغرب وولى عهد أبيه فبعث اليه أشياعهم من البربر بالامع جند الاندلس سنة عشر واحتل بمالقة وكان أخوه ادريس بها منذ عهد أبيهما فبعث الى سبتة ووصل الى يحيى بن على راوى بن زيرى من غرناطة وهو عميد البرابرة ثانية يومئذ فزحف الى قرطبة فملكها سنة ثنتى عشرة وتلقب المعتلى واستوزر أبا بكر بن ذكوان وفرّ المأمون الى اشبيلية و بايع له القاضى محمد بن اسمعيل بن عباد واستمال بعضا من البرابرة ثانية واستجاشهم على ابن أخيه ورجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة ولحق المعتلى بمكانه من مالقة وتغلب على الجزيرة الخضراء عمل المأمون من لدن عهد المستعين وتغلب أخوه ادريس على طنجة من وراء البحر وكان المأمون يعتدها حصنا لنفسه وبنيه و يستودع بها ذخيرته و بلغ الخبر الى قرطبة بتغلبه على قواعده وحصونه مع ما كان يتشدد على بنى أمية فاضطرب أمر المأمون وثار عليه أهل قرطبة ونقضوا طاعته وبايعوا المستظهر ثم للمستكفى من بنى أمية كما ذكرناه وتحيز المأمون و برابرته الى الارباض فاعتصموا به وقاتلوا دونه وحاصروا المدينة خمسين يوما ثم صمم أهل قرطبة لمدافعتهم فافرجوا عن الارباض وانفضت جموعهم سنة أربع عشرة ولحق المأمون باشبيلية وبها ابنه محمد ومحمد بن زيرى من رجالات البربر فاطمعه القاضى محمد ابن اسمعيل بن عباد فى الملك وان يمتنعوا من القاسم فمنعوه وأخرجوا اليه ابنه وضبطوا بلدهم ثم اشتد ابن عباد وأخرج محمد بن زيرى ولحق المأمون بشريش ورجع عنه البربر

الى يحيى المعتلى ابن أخيه فبايعوه سنة خمس عشرة وزحف الى عمه المأمون بشريش
فتغلب عليه ولم يزل عنده أسيرا وعند أخيه ادريس من بعده بمالقة الى أن هلك فى محبسه
سنة سبع وعشرين وأربعمائة واستقل يحيى المعتلى بالامور واعتقل محمدا والحسن
ابنى عمه القاسم المأمون بالجزيرة ووكل بهما أبا الحجاج من المغاربة وأقاما كذلك
ثم خلع أهل قرطبة المستكفى وصاروا الى طاعة المعتلى واستعمل عليهم عبد الرحمن
ابن عطاف اليفرنى من رجالات البربر وفر المستكفى الى ناحية الثغر فهلك بمدينة سالم
ثم نقض أهل قرطبة طاعة المعتلى سنة سبع عشرة وصرفوا عامله عليهم ابن عطاف
وبايعوا المعتمد أخى المرتضى ثم خلعوه كما ذكرنا فى خبره واستبد بأمر قرطبة الوزير
ابن جهور بن محمد كما نذكره فى أخبار ملوك الطوائف وأقام يحيى بن المعتلى يتخيفهم
ويردد العساكر لحصارهم الى ان انفقت الكافة على اسلام المدائن والحصون له فعلا
سلطانه واشتد أمره وظاهره محمد بن عبد الله البرزالى على أمره فنزل عنده بقرمونة
يحاصر فيها ابن عباد باشبيلية الى أن هلك سنة ست وعشرين بمداخلة ابن عباد للبرزالى
فى اغتياله فركب المعتلى لخيل أغارت على معسكره بقرمونة من جند ابن عباد وقد
أكمنوا له فكبا به فرسه وقتل وتولى قتله محمد بن عبد الله البرزالى وانقطعت دولة بنى
حمود بقرطبة وكان أحمد بن موسى بن بقية والخادم نجى الصقلى وزيرى دولة
الحموديين عند أولها فرجعا الى مالقة دار ملكهم واستدعوا أخاه ادريس بن على
ابن حمود من سبتة وطنجة وبايعوه على أن يولى سبتة حسن ابن أخيه يحيى فتم أمره
بمالقة وتلقب المتأيد بالله وبايعه المرية وأعمالها ورندة والجزيرة وعقد لحسن ابن أخيه
يحيى على سبتة ونهض معه نجى الخادم وكان له ظهور على ملوك الطوائف وكان أبوه
القاسم بن عباد قد استفحل ملكه لذلك العهد ومد يده الى انتزاع البلاد من أيدى
الثوار وملك أشبونة واستجة من يد محمد بن عبد الله البرزالى وبعث العساكر مع ابنه
اسمعيل لحصار قرمونة فاستصرخ محمد بن عبد الله بالقائد هذا وبزاوى فجاء زاوى
بنفسه وبعث القائد هذا عساكره مع ابن بقية فكانت بينهم وبين ابن عباد حروب شديدة
هزم فيها ابن عباد وقتل وحمل رأسه الى ادريس المتأيد وهلك ليومين بعدها سنة احدى
وثلاثين وأربعمائة واعتزم ابن بقية على بيعة ابنه يحيى الملقب حيون فأعجله عن ذلك
نجى الخادم وبادر اليه من سبتة ومعه حسن بن يحيى المعتلى فبايعه البربر ولقب
المستنصر وقتل ابن بقية وفر يحيى بن ادريس الى قمارش فهلك بها سنة أربع وثلاثين
ويقال بل قتله نجى ورجع نجى الى سبتة ليحفظ ثغرها ومعه ولد حسن بن يحيى صبيا
وترك السطيفى على وزارة حسن لثقته به وبايعته غرناطة وجملة من بلاد الاندلس

وهلك حسن مسموما بيد ابنة عمه ادريس ثأرت بأخيها حسن سنة ثمان وثلاثين فاعتقل
السطيفى أخاه ادريس بن يحيى وكتب الى نجى وابن حسن المستنصر الذى كان عنده
بسبتة ليعقد له واغتاله نجى وأجاز الى مالقة ودعى لنفسه ووافقه البربر والجند ثم نهض
الى الجزيرة ليستأصل حسنا ومحمدا ابنى قاسم بن حمود ورجع خاسئا فاغتاله فى طريقه
بعض عبيد القاسم وقتلوه وبلغ الخبر الى مالقة فثارت العامة بالسطيفى وقتل وأخرج
ادريس بن يحيى المعتلى من معتقله وبويع له سنة أربع وثلاثين وأطاعته غرناطة
وقرمونة وما بينهما ولقب العالى وولى على سبتة سكوت ورزق الله من عبيد أبيه ثم قتل
محمدا وحسنا ابنى عمه ادريس فثار السودان بدعوة أخيهما محمد بمالقة وامتنعوا
بالقصبة وكانت العامة مع ادريس ثم أسلموه وبويع محمد بمالقة سنة ثمان وثلاثين
وتلقب المهدى وولى أخاه عهده ولقبه السامى ثم نكر منه بعض النزغات ونفاه الى
العدوة فأقام بين غمارة ولحق العالى بقمارش فامتنع بها وأقام يحاصر مالقة وزحف
باديس من غرناطة منكرا على المهدى فعله فامتنع عليه فبايع له وانصرف وأقام
المهدى فى ملكه بمالقة وأطاعته غرناطة وجيان وأعمالها الى أن مات بمالقة سنة
أربع وأربعين وبويع ادريس المخلوع ابن يحيى المعتلى من مكانه بقمارش وبويع له بمالقة
وأطلق أيدى عبيده عليها لحقده عليهم ففر كثير منهم الى أن هلك سنة سبع وأربعين
وبويع محمد الاصغر ابن ادريس المتأيد وتلقبه وخطب له بمالقة والمرية ورندة ثم سار
اليه باديس فتغلب على مالقة سنة تسع وأربعين وأربعمائة وسار محمد المستعلى الى المرية
مخلوعا واستدعاه أهل مليلة فأجاز اليهم وبايعوه سنة تسع وخمسين وبايعه بنو ورقدى
وقلوع جارة ونواحيها وهلك سنة   وأربعمائة وأما محمد بن
القاسم المعتقل بمالقة ففر هو من ذلك الاعتقال سنة أربع عشرة ولحق بالجزيرة
الخضراء فملكها وتلقب المعتصم الى أن مات سنة أربعين ثم ملكها بعده ابنه القاسم
الواثق الى أن هلك سنة خمسين وصارت الجزيرة للمعتضد بن عباد وكان سكوت
البرغواطى الحاجب مولى القاسم الواثق محمد بن المعتصم ويقال مولى يحيى المعتلى
واليا على سبتة من قبلهم فلما غلب ابن عباد على الجزيرة طلبه فى الطاعة وطلب هو ملك
الجزيرة فامتنعت عليه واتصلت الفتنة بينهما الى أن كان من أمر المرابطين وتغلبهم على
سبتة وعلى الاندلس ما سنذكره والبقاء لله وحده سبحانه وتعالى

بياض بالأصل

(الخبر عن ملوك الطوائف بالاندلس بعد الدولة الاموية)

كان ابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم لما انتثر ملك الخلافة العربية بالاندلس
وافترق الجماعة بالجهات وصار ملكها فى طوائف من الموالى والوزراء وأعياص

الخلافة وكبار العرب والبربر واقتسموا خططها وقام كل واحد بأمر ناحية منها وتغلب بعض على بعض استقل آخرا بأمرها ملوك منهم استفحل شأنهم ولاذوا بالجزية للطاغية أو يظاهرون عليهم أو ينتزعونهم ملكهم حتى أجاز اليهم يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وغلبهم جميعا على أمرهم فلنذكر أخبارهم واحدا بعد واحد

الخبر عن بنى عباد ملوك اشبيلية وغربى الاندلس وعمن تغلبوا عليه من أمراء الطوائف

كان أولهم القاضى أبو القاسم محمد بن ذى الوزارتين أبى الوليد اسمعيل بن محمد بن اسمعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم اللخمى وعطاف هو الداخل الى الاندلس فى طوالع لخم وأصلهم من جند حمص ونزل عطاف قرية طشانة بشرق اشبيلية ونسل بنيه بها وكان محمد بن اسمعيل بن قريش صاحب الصلاة بطشانة ثم ولى ابنه اسمعيل الوزارة باشبيلية سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وولى ابنه أبو القاسم القضاء بها والوزارة من سنة أربع عشرة وأربعمائة الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين وكان أصل رياسته أنه كان له اختصاص بالقاسم بن حمود وهو الذى أحكم عقد ولايته وكان محمد بن زيرى من اقيال البرابرة واليا على اشبيلية فلما فر القاسم من قرطبة وقصده داخل ابن عباد محمد بن زيرى فى غرناطة ففعل وطردوا القاسم وطردوا بعده ابن زيرى وصار الامر شورى بينه وبين أبى بكر الزبيدى معلم هشام وصاحب مختصر العين فى اللغة ومحمد بن برغ الالهانى ثم استبد عليهم وجند الجند ولم يزل على القضاء ولما منع القاسم من اشبيلية عدل عنها الى قرمونة ونزل على محمد بن عبد الله البرزالى وكان ولى قرمونة أيام هشام والمهدى من بعده ثم استبد بها سنة أربع وأربعمائة زمان الفتنة فداخله ابن عباد فى خلع القاسم والاستبداد بها ثم تنصح للقاسم فتحول الى شريش واستبد محمد بن البرزالى بقرمونة واستبد أبو القاسم الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين كما قلناه وقام بأمره ابنه عباد وتلقب المعتضد واستولى على سلطانه واشتدت حروبه وأيامه وتناول طائفة من الممالك بعد بالاندلس وانفسح أمده وأول ما افتتح أمره بمداخلة محمد بن عبد الله البرزالى صاحب قرمونة فى افساد ما بينه وبين القاسم بن حمود حتى تحول عنه الى شريش ثم تحارب مع عبد الله بن الافطس صاحب بطليوس وغزاه ابنه اسمعيل فى عساكره ومعه محمد بن عبد الله البرزالى فلقيه المظفر بن الافطس فهزمهما وأسر المظفر بن البرزالى الى أن أطلقه بعد حين ثم فسد ما بينه وبين البرزالى واتصلت الفتنة بينهما الى أن قتله ابنه اسمعيل خرج اليه فى سرية فأغار على قرمونة وأكمن الكمائن فركب محمد البرزالى فى أصحابه واستطرد له اسمعيل الى أن بلغ به الكمين

فخرجوا عليه فقتلوه وذلك سنة أربع وثلاثين ثم خالف عليه ابنه اسمعيل وأغراه العبيد والبرابرة بالملك فأخذ ما قدر عليه من المال والذخيرة وفر الى جهة الجزيرة للتوثب بها وكان أبوه ليلتئذ بحصن الفرج فأنفذ الخيالة فى طلبه فمال الى قلعة الورد فتقبض واليها عليه وأنفذه الى أبيه فقتله وقتل كاتبه وكل من كان معه ثم رجع الى مطالبة البربر المنتزين بالثغور وأول من نذكر منهم صاحب قرمونة وكان بها المستظهر العزيز بن محمد بن عبد الله البرزالى وليها بعد أبيه كما ذكرناه وكانت له معها استجة والمرور وكان عوزور واركش للوزير نوح الرموى من برابرة العدوة شيعة المنصور واستبد بها سنة أربع ومات سنة ثلاث وثلاثين وولى ابنه عز الدولة الحاجب أبو مياد محمد بن نوح ومات سنة   وكان بريد أبو نور بن أبى قرة اليفرنى استبد بها أيام الفتنة بياض بالاصل

سنة خمسين من يد عامر بن فتوح من صنائع العلويين ولم يزل المعتضد يضايقه واستدعاه بعض الايام لولاية فحبسه وكاده فى ابنه بكتاب على لسان جاريته برندة أنه ارتكب منها محرما ثم أطلقه فقتل ابنه وشعر بالمكيدة فمات أسفا سنة خمسين وولى ابنه أبو نصر الى أن غدر به فى الحصن بعض أجناده فسقط من السور ومات سنة تسع وخمسين وكان بشريش خزرون بن عبدون ثار بها سنة ثنتين وأربعمائة فتقبض عليه ابن عباد وطالبهم وطاف على حصونهم وصار يهاديهم وأسجل لهم بالبلاد التى بأيديهم فاسجل لابن نوح بأركش ولابن خزرون بشريش ولابن أبى قرة برندة وصاروا فى حزبه ووثقوا به ثم استدعاهم لوليمة وغدر بهم فى حمام استعمله لهم على سبيل الكرامة وأطبقه عليهم فهلكوا جميعا الا ابن نوح فانه سالمه من بينهم لليد التى كانت له عنده فى مثلها ثم بعث من تسلم معاقلهم وصارت فى أعماله وخرج باديس لطلب ثارهم منه واجتمعت اليه عشائرهم فنازلوه مدة ثم انصرفوا وأجازوا الى العدوة فاحتلوا بسبتة وطردهم سكوت فهلكوا فى المجاعة التى صادفوا وأحلوا بالمغرب لذلك العهد واستقل ابن عباد وكان باونبة وشلطليش عبد العزيز البكرى وكانت عساكر المعتضد ابن عباد تحاصره فشفع فيه ابن جهور للمعتضد فأمهله مدة ثم هلك ابن جهور فعاد الى مطالبته الى أن تخلى له عنها سنة ثلاث وأربعين فولى عليها ابنه المعتمد ثم سار الى شلب وبها المظفر أبو الاصبغ عيسى بن القاضى أبى بكر محمد بن سعيد بن مزين ثار بها سنة تسع عشرة ومات سنة ثنتين وأربعين فسار اليها المعتضد وملكها من يد ابنه ونقل اليها المعتمد فنزلها واتخذها دار امارة ثم سار الى شنت بريه وبها المعتصم محمد بن سعيد بن هرون فانخلع له عنها سنة تسع وثلاثين وأضافها للمعتمد وكان بلبلة تاج الدين أبو العباس أحمد بن يحيى التحصينى ثار بها سنة أربع عشرة وخطب له باونبة

وشلطليش ومات سنة ثلاث وثلاثين وأوصى الى أخيه محمد وضايقه المعتضد فهرب الى قرطبة واستبد بها ابن أخيه فتح بن خلف بن يحيى وانخلع للمعتضد سنة خمس وأربعين وصارت هذه كلها من ممالك بنى عباد وتملك المعتضد أيضا مرسية وثار بها عليه ابن رشيق البناء وتسمى خاصة الدولة وبقى ثمان سنين ثم ثاروا عليه سنة خمس وخمسين ورجعوا الا بن عباد وتملك المعتضد مرتلة من يد ابن طيفور سنة ست وثلاثين وكان تملكها من يد عيسى بن نسب الجيش الثائر بها وصارت هذه الممالك كلها فى ملك ابن عباد وكانت بينه وبين باديس بن حبوس صاحب غرناطة حروب الى أن هلك سنة احدى وستين وولى من بعده ابنه المعتمد بن المعتضد بن اسمعيل أبو القاسم بن عباد وجرى على سنن أبيه واستولى على دار الخلافة قرطبة من يد ابن جهور وفرق أبناءه على قواعد الملك وأنزلهم بها واستفحل ملكه بغرب الاندلس وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف مثل ابن باديس بن حبوس بغرناطة وابن الافطس ببطليوس وابن صمادح بالمرية وغيرهم وكانوا يطلبون سلمه ويعملون فى مرضاته وكلهم يدارون الطاغية ويتقونه بالجزى الى أن ظهر بالعدوة ملك المرابطين واستفحل أمر يوسف بن تاشفين وتعلقت آمال المسلمين فى الاندلس باعانته وضايقهم الطاغية فى طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقته اليهودى الذى كان يتردد اليه لاخذ الجزية بسبب كلمة أسف بها ثم أجاز البحر صريخا الى يوسف بن تاشفين وكان من اجازته اليه ومظاهرته اياه ما يأتى ذكره فى أخباره ثم طلب الفقهاء بالاندلس من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجازوه بالامتثال حتى اذا رجع من بلادهم رجعوا الى حالهم وهو خلال ذلك يردد العساكر للجهاد ثم أجاز اليهم وخلع جميعهم ونقلهم الى العدوة واستولى على الاندلس كما يأتى ذكره فى أخباره وصار ابن عباد فى قبضة حكمه بعد حروب نذكرها ونقله الى اغمات قرية مراكش سنة أربع وثمانين وأربعمائة واعتقله هنالك الى أن هلك سنة ثمان وثمانين وكانت بالاندلس ثغور أخرى دون هذه ولم يستول عليها ابن عباد فمنها بلد السهلة استبد بها هذيل بن خلف ابن رزين أول المائة الخامسة بدعوة هشام وتسمى مؤيد الدولة وهلك شهيدا سنة خمسين وملك بعده أخوه حسام الدولة عبد الملك بن خلف ولم يزل أميرا عليها الى أن ملكها المرابطون من يده عند تغلبهم على الاندلس ومنها بلد البونت والذى تغلب عليها عبد الله بن قاسم الفهرى أزمان الفتنة وتسمى نظام الدولة وهو الذى كان المعتمد عنده عندما ولاه الجماعة بقرطبة ومن عنده جاء اليها وهلك سنة احدى وعشرين وولى ابنه محمد يمين الدولة وكانت بينه وبين مجاهد حروب وملك بعده ابنه أحمد عقد الدولة وهلك

سنة أربعين وملك أخوه عبد الله جناح الدولة الى أن خلعه المرابطون سنة خمس وثمانين ولنرجع الى ذكر بقية الملوك الاكابر من الطوائف والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(أخبار ابن جهور)

كان رئيس الجماعة أيام الفتنة بقرطبة أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله ابن محمد بن المعمر بن يحيى ابن أبى المغافر بن أبى عبيدة الكلبى هكذا نسبه ابن شكوال وأبو عبيدة هو الداخل الى الاندلس وكانت لهم وزارة الدولة العامرية بقرطبة واستبد جهور هذا سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة لما خلع الجند المعتز آخر خلفاء بنى أمية ولم يدخل فى أمور الفتنة فاستولى على المملكة ورتب الامور ولم يتحول عن داره الى قصر الخلافة وكان على سنن أهل الفضل يعود المرضى ويشهد الجنائز ويؤذن عند مسجدهم بالربض الشرقى ويصلى التراويح ولا يحتجب عن الناس فأسندوا أمرهم اليه الى أن يوجد خليفة الى أن خاطبهم محمد بن اسمعيل بن عباد يعرفهم أن هشاما المؤيد عنده باشبيلية وأكثر فى ذلك فخطب له بقرطبة بعد مراوضات ثم أتى به الى قرطبة فمنعوه الدخول وأضربوا عن ذكره فى الخطبة وانفرد ابن جهور بأمرهم الى أن هلك فى محرم سنة خمس وثلاثين ودفن بداره وولى ابنه أبو الوليد محمد بن جهور باتفاق من الكافة فجرى على سنن أبيه وكان قد قرأ على مكى بن أبى طالب المكى وغيره فكان مكرما لاهله واستوزر ثقته ابراهيم بن يحيى فكفاه وهلك كما هو معروف ففوض التدبير الى ابنه عبد الملك فأساء السيرة وتنكره الناس وحاصره ابن ذى النون بقرطبة فاستغاث بمحمد بن عباد فأمده بالجيش ووصى عسكره بذلك فداخلوا أهل قرطبة وخلعوه سنة احدى وستين وأخرجوه عن قرطبة واعتقل بشلطليش الى أن هلك سنة ثنتين وسبعين وولى ابن عباد على قرطبة ابنه سراج الدولة وقدمها من بلنسية ودخلها الى أن قتل بها مسموما وحمل الى طليطلة فدفن بها وزحف المعتمد بن عباد بعد مهلكه الى قرطبة فملكها سنة تسع وستين وقتل ابن عكاشة واستخلف ابنه المأمون الفتح بن محمد وصار غرب الاندلس كله فى ملكه الى أن دخل المرابطون الاندلس وغلبوا عليهم سنة أربع وثمانين فقتل الفتح وحمل أباه المعتمد الى اغمات كما ذكرناه ونذكره والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(أخبار ابن الافطس صاحب بطليوس من غرب الاندلس ومصاير أمره)

ملك بطليوس من غرب الاندلس عند الفتنة واهتياجها أبو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الافطس واستبد بها سنة احدى وستين وأربعمائة فهلك وولى من بعده ابنه المظفر أبو بكر واستفحل ملكه وكان من أعاظم ملوك الطوائف وكانت بينه و بين ابن ذى النون حروب مذكورة وكذا مع ابن عباد بسبب ابن يحيى صاحب ملبلة أعانه ابن عباد عليه فاستولى بسبب ذلك على كثير من ثغوره ومعاقله واعتصم المظفر ببطليوس بعد هزيمتين هلك فيهما خلق كثير وذلك سنة ثلاث وأربعين ثم أصلح بينهما ابن جهور وهلك المظفر سنة ستين وأربعمائة وتولى بعده ابنه المتوكل أبو حفص عمر بن محمد المعروف بساجة ولم يزل سلطانا بها الى أن قتله يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين سنة تسع وثمانين وأربعمائة وقتل معه أولاده أغراه به ابن عباد فلما تمكنت الاسترابة من المتوكل خاطب الطاغية واستراح اليه بمادهمه وشعر به ابن عباد فكاتب يوسف بن تاشفين واستحثه لمعاجلته قبل أن يتصل بالطاغية ويتصل بالثغر فاغذ اليه السير ووافاه سنة   فقبض عليه وعلى بنيه وقتلهم يوم الاضحى حسبما نذكر فى أخبارهم ورثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة وهى

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

عدد فيها أهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكى الجماد وسنذكر قصتهم فى أخبار لمتونة وفتحهم الاندلس والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

(أخبار باديس بن حبوس ملك غرناطة والبيرة)

كان عميد صنهاجة فى الفتنة البربرية زاوى بن زيرى بن مناد أجاز الى الاندلس على عهد المنصور فلما هاجت الفتنة البربرية وانحل نظام الخلافة كان فحل ذلك الشول وكبش تلك الكتائب وعمد الى البيرة ونزل غرناطة واتخذها دار الملكه ولما بايع الموالى العامريون للمرتضى المروانى وتولى كبر ذلك مجاهد العامرى ومنذر بن يحيى بن هاشم التجيبي وعمد الى غرناطة فلقيهم زاوى بن زيرى فى جموع صنهاجة وهزمهم سنة عشرين وأربعمائة وقتل المرتضى وأصاب زاوى من ذخائرهم وأموالهم وعددهم مالم يقتنه ملك ثم وقع فى نفسه سوء آثار البربر بالاندلس أيام هذه الفتنة وحذر مغبة ذلك فارتحل الى سلطان قومه بالقيروان واستخلف على غرناطة ابنه فدبر القبض على ابن رصين ومشيخة غرناطة اذا رجعوا عن أبيه وشعروا بذلك فبعثوا الى ابن أخيه ماكسن بن زيرى من بعض الحصون فوصل وملك غرناطة واستبد بها الى أن هلك سنة تسع وعشرين وولى ابنه باديس وكانت بينه وبين ذى النون وابن عباد حروب واستولى على سلطانه كاتبه وكاتب أبيه اسمعيل بن نغزلة الذمى ثم نكبه وقتله سنة

تسع وخمسين وقتل معه خلقا من اليهود وتوفى سنة سبع وستين وولى حافده المظفر أبو محمد عبد الله بن بلكين بن باديس وولى أخاه تميما بمالقة بعهد جده وخلعهما المرابطون سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وجلا الى اغمات ووريكة واستقرا هنالك حسبما نذكر بعد فى أخبارهم مع يوسف بن تاشفين والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

﴿الخبر عن بنى ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى وتصاريف أمورهم ومصاير أحوالهم﴾

جدهم اسمعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذى النون أصله من قبائل هوارة ورأس سلفه فى الدولة المروانية وكانت لهم رياسة فى شنتريه ثم تغلب على حصن افليتين أزمان الفتنة سنة تسع وأربعمائة وكانت طليطلة ليعيش بن محمد بن يعيش واليها منذ أول الفتنة فلما هلك سنة سبع وعشرين استدعاها اسمعيل الظافر من حصن افليتين بعض أجناد طليطلة فمضى اليها وملكها وامتد ملكه بجنجالة من عمل مرسية ولم يزل أميرا بها الى أن هلك سنة تسع وعشرين وولى ابنه المأمون أبو الحسن يحيى واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكانت بينه وبين الطاغية مواقف مشهورة وفى سنة خمس وثلاثين غزى بلنسية وغلب على صاحبها المظفر ذى السابقين من ولد المنصور بن أبى عامر ثم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد وقتل ابنه أبا عمر بعد ان كان ملكها وهلك الظافر بها مسموما سنة سبع وستين كما ذكرناه وولى بعده على طليطلة حافده القادر يحيى بن اسمعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون وكان الطاغية بن ادفونش قد استفحل أمره لما خلا الجو من مكان الدولة الخلافية وخف ما كان على كاهله من أمر العرب فالتهم البسائط وضايق ابن ذى النون حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وشرط عليه أن يظاهره على أخذ بلنسية وعليها عثمان القاضى ابن أبى بكر بن عبد العزيز من وزراء ابن أبى عامر فخلعه أهلها خوفا من القادر أن يمكن منهم الفنش فدخلها القادر وأقام بها سنتين وقتل سنة احدى وثمانين على ما نذكر بعد ان شاء الله تعالى

﴿الخبر عن ابن أبى عامر صاحب شرق الاندلس من بنى ملوك الطوائف وأخبار الموالى العامريين الذين كانوا قبله وابن صمادح قائده بالمرية وتصاريف أحوالهم ومصايرها﴾

بويع للمنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبى عامر بشاطبة سنة احدى

عشرة وأربعمائة أقامه الموالى العامريون عند الفتنة البربرية فاستبد بها ثم ثار عليه أهل شاطبة فأفلت ولحق ببلنسية فملكها وفوض أمره للموالى وكان من وزرائه ابن عبد العزيز وكان خيران العامرى من مواليهم تغلب من قبل ذلك على أريولة سنة أربع ثم ملك مرسية سنة سبع ثم جيان ثم المرية سنة تسع وبايعوا جميعا للمنصور عبد العزيز ثم انتقض خيران على المنصور وسار من المرية الى مرسية وأقام بها ابن عمه أبا عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبى عامر خرج اليه من قرطبة من حجر القاسم بن حمود وخلص الى خيران بانوال جليلة فجمع الموالى فأخذوا ماله وطردوه ثم ولاه خيران وسماه المؤتمن ثم المعتصم ثم تنكر عليه وأخرجه من مرسية ولحق بالمرية وأغرى به الموالى فأخذوا ماله وطردوه ولحق بغرب الاندلس الى ان مات ثم هلك خيران بالمرية سنة تسع عشرة وقام بالامر بعده الامير عميد الدولة أبو القاسم زهير العامرى وزحف الى غرناطة فبرز اليه باديس بن حبوس وهزمه وقتل بظاهرها سنة تسع وعشرين فصار ملكه للمنصور عبد العزيز صاحب بلنسية وملكها من يده سنة سبع وخمسين ولما هلك المأمون بن ذى النون وولى حافده القادر ولى على بلنسية أبا بكر بن عبد العزيز بقية وزراء ابن أبى عامر فداخله ابن هود فى الانتقاض على القادر ففعل واستبد بها وضبطها سنة ثمان وستين حين تغلب المقتدر على دانية ثم هلك سنة ثمان وسبعين لعشر سنين من ولايته وولى ابنه القاضى عثمان فلما سلم القادر بن ذى النون طليطلة زحف الى بلنسية ومعه الفنش كما قلناه وخلع أهل بلنسية عثمان بن أبى بكر وأمكنوا منها القادر خوفا من استيلاء النصرانى وذلك سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ثم ثار على القادر سنة ثلاث وثمانين القاضى جعفر بن عبد الله بن جحاب وقتله واستبد بها ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وثمانين وقتلوه ثم تغلب المرابطون على الاندلس وزحف ابن ذى النون قائدهم الى بلنسية فاسترجعها من أيديهم سنة خمس وتسعين وأربعمائة وأما معن بن صالح قائد الوزير ابن أبى عامر فأقام بالمرية لما ولاه المنصور سنة ثمان وثمانين وتسمى ذا الوزارتين ثم خلعه وولى ابنه المعتصم أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح واستبد بها أربعا وأربعين سنة وثار عليه صاحب لورقة ابن شبيب وكان أبوه معز ولا عليها فجهز اليه المعتصم جيشا واستمد ابن شبيب المنصور بن أبى عامر صاحب بلنسية ومرسية بالعدو واستمد المعتصم بباديس ونهض عمه صمادح بن باديس بن صمادح فقاتلوا حصونا من حصون لورقة واستولوا عليها ورجعوا ولم يزل المعتصم أميرا بالمرية الى أن هلك سنة ثمانين وولى ابنه وخلعه يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة أربع وثمانين وأجاز الى العدوة ونزل على آل حماد بالقلعة وبها مات ولده والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر

{ الخبر عن بنى هود ملوك سرقسطة من الطوائف صارت }
{ اليهم من بنى هاشم وما كان من أوليتهم ومصاير أمورهم }

كان منذر بن مطرف بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبى صاحب الثغر الاعلى وكان بين المنصور وعبد الرحمن منافسة على الامارة والرياسة وكانت دار امارته سرقسطة ولما بويع المهدى بن عبد الجبار وانقرض أمر العامريين وجاءت فتنة البربر كان مع المستعين حتى قتل هشام مولاه فامتعض لذلك وفارقه وبايع المروانى للمرتضى مع مجاهد ومن اجتمع اليه من الموالى والعامريين وزحفوا الى غرناطة فلقيهم زاوى بن زيرى وهزمهم ثم ارتابوا بالمرتضى ووضعوا عليه من قتله مع خيران بالمرية واستبد منذر هذا بسرقسطة والثغر وتلقب بالمنصور وعقد ما بين طاغية جليقة وبرشلونة وبنيه وهلك سنة أربع عشرة وولى ابنه وتلقب المظفر وكان أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامى من أهل نسبهم مستبدا بمدينة تطيلة ولاها منذ أول الفتنة وجدهم هود هو الداخل للاندلس ونسبه الازد الى سالم مولى أبى حذيفة قال هود بن عبد الله بن موسى بن سالم وقيل هود من ولد روح بن زنباع فتغلب سليمان على المظفر يحيى بن المنذر وقتله سنة احدى وثلاثين وملك سرقسطة والثغر الاعلى وابنه يوسف المظفر لاردة ثم نشأت الفتنة بينهما واستنصر المقتدر بالافرنج والبشكنس فجاؤا الميعاد فوقعت الفتنة بين المسلمين وبينهم ثائرة وانصرفوا الى يوسف صاحب لاردة فحاصرهم بسرقسطة وذلك سنة ثلاث وأربعين وهلك أحمد المقتدر سنة أربع وسبعين لتسع وثلاثين سنة من ملكه فولى بعده ابنه يوسف المؤتمن وكان قائما على العلوم الرياضية وله فيها تآليف مثل الاستهلال والمناظر ومات سنة ثمان وسبعين وهى السنة التى استولى فيها النصارى على طليطلة من يد القادر بن ذى النون وولى بعده المستعين وعلى يده كانت وقعة وشقة زحف سنة تسع وثمانين فى آلاف لا تحصى من المسلمين وهلك فيها خلق نحو عشرة آلاف ولم يزل أميرا بسرقسطة الى ان هلك شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة بظاهر سرقسطة فى زحف الطاغية اليها وولى بعده ابنه عبد الملك وتلقب عماد الدولة وأخرجه الطاغية من سرقسطة سنة ثنتى عشرة فنزل روطة من حصونها وأقام بها الى ان هلك سنة ثلاث عشرة وولى ابنه أحمد وتلقب سيف الدولة والمستنصر وبالغ النكاية فى الطاغية ثم سلم له روطة على أن يملكه بلاد الاندلس فانتقل معه الى طليطلة بحشمه وآلته وهنالك هلك سنة ست وثلاثين وخمسمائة وكان من ممالك بنى هود هؤلاء مدينة طرطوشة وقد كان بقايا من الموالى العامريين فملكها سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ثم هلك سنة خمس وأربعين وملكها بعده يعلى العامرى ولم تطل مدته وملكها بعده نبيل الى ان نزل عنها لعماد الدولة أحمد

ابن المستعين سنة ثلاث وخمسين فلم تزل فى يده وفى يد بنيه من بعده الى ان غلب عليها العدو فيما غلب عليه من شرق الاندلس والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الخبر عن مجاهد العامرى صاحب دانية والجزائر الشرقية وأخبار بنيه ومواليهم من بعدهم ومصاير أمورهم

كان فتح ميورقة سنة تسعين ومائتين على يد عصام الخولانى وذلك انه خرج حاجا فى سفينة اتخذها لنفسه فعصفت بهم الريح فأرسوا بجزيرة ميورقة وطال مقامهم هنالك واختبروا من أحوالهم ما أطمعهم فى فتحها فلما رجع بعد فرضه أخبر الامير بما رأى فيها وكان من أهل الغناء عنده فى مثلها فبعث معه القطائع فى البحر ونفر الناس معه الى الجهاد فحاصرها أياما وفتحوها حصنا حصنا الى أن كمل فتحها وكتب عصام بالفتح الى الامير عبد الله فكتب له بولايتها فوليها عشر سنين وبنى فيها المساجد والفنادق والحمامات ولما هلك قدم أهل الجزيرة عليهم ابنه عبد الله وكتب له الامير بالولاية ثم زهد وترهب وركب الى المشرق حاجا وانقطع خبره وذلك سنة خمسين وثلثمائة وبعث الناصر المروانى اليها الموفق من الموالى فأنشأ الاساطيل وغزا بلاد الافرنج وهلك سنة تسع وخمسين أيام الحكم المستنصر وولى بعده كوثر من مواليه يجرى على سنن الموفق فى جهاده وهلك سنة تسع وثمانين أيام المنصور فولى عليها مقاتل من مواليه وكان كثير الغزو والجهاد وكان المنصور وابنه المؤيد يعدانه فى جهاده وهلك سنة ثلاث وأربعمائة أزمان الفتنة وكان مجاهد بن يوسف بن على من فحول الموالى العامريين وكان المنصور قد رباه وعلمه مع مواليه القراآت والحديث والعربية فكان مجيدا فى ذلك وخرج من قرطبة يوم قتل المهدى سنة أربعمائة وبايع هو والموالى العامريين وكثير من جند الاندلس للمرتضى كما قدمناه ولقيهم زاوى بفحص غرناطة فهزمهم وبدد شملهم ثم قتل المرتضى كما تقدم وسار مجاهد الى طرطوشة فملكها ثم تركها وانتقل الى دانية واستقل بها وملك ميورقة ومنورقة ويابسة واستبد سنة ثلاث عشرة ونصب المعيطى كما مر فأراد الاستبداد ومنع طاعة مجاهد ومنعه أهل ميورقة من ذلك فبعث عنه مجاهد وقدم على ميورقة عبد الله ابن أخيه فولى خمس عشرة سنة ثم هلك وكان غزا سردانية فى الاساطيل فاقتحمها وأخرج النصارى منها وقبضوا على ابنه أسيرا ففداه بعد حين وولى مجاهد على ميورقة بعد ابن أخيه مولاه الاغلب سنة ثمان وعشرين وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسية وابن أبى عامر صاحب بلنسية حروب الى أن هلك مجاهد سنة ست وثلاثين وولى ابنه على وتسمى اقبال الدولة وأصهر الى المقتدر بن هود وأخرجه من دانية سنة ثمان وستين

ونقله

ونقله الى سرقسطة ولحق ابنه سراج الدولة بالافرنجة وأمدوه على شروط شرطها لهم فتغلب على بعض حصونه ثم مات فيما زعموا مسموما بحيلة من المقتدر سنة تسع ومات على قريبا من وفاة المقتدر سنة أربع وسبعين ويقال بل فر أمام المقتدر الى بجاية ونزل على صاحبها يحيى بن حماد ومات هنالك وأما الاغلب مولى مجاهد صاحب ميورقة فكان صاحب غزو وجهاد فى البحر ولما هلك مجاهد استأذن ابنه عليا فى الزيارة فأذن له وقدم على الجزيرة صهره ابن سليمان بن مشكيان نائبا عنه وبعث على آل الاغلب فاستعفاه وأقام سليمان خمس سنين ثم مات فولى على مكانه مبشرا وتسمى ناصر الدولة وكان أصله من شرق الاندلس أسر صغيرا وجبه العدو وأقام بدانية مجبوبا بمجاهد فى أسرى وسردانية واصطفاه فولاه بعد مهلك سليمان فولى خمس سنين وانقرض ملك على وتغلب عليه المقتدر بن هود فاستبد مبشر بميورقة والفتنة يومئذ تموج بين ملوك الطوائف وبعث الى دانية فى تسليم أهل سيده فبعثوا اليه بهم وأولاهم جميلا ولم يزل يردد الغزو الى أرض العدو الى أن جمع طاغية برشلونة ونازله بميورقة عشرة أشهر ثم افتتحها واستباحها سنة من ولايته وكان بعث بالصريخ الى على بياض بالاصل

ابن يوسف صاحب المغرب من لمتونة فلم يوافهم الاسطول بالمدد الا بعد استيلاء العدو فلما وصل الاسطول دفعوا العدو عنها وولى على بن يوسف من قبله وأنور بن أبى بكر اللمتونى فعسف بهم وأرادهم على بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر فثاروا به وصفدوه وبعثوا الى على بن يوسف فردهم الى ولاية محمد بن على بن اسحق بن غانية المستولى صاحب غرب الاندلس فبعث اليها أخاه محمد بن على من قرطبة كان واليا عليها فوصل الى ميورقة فصفد أنور وبعث به الى مراكش وأقام فى ولايتها عشر سنين الى أن هلك أخوه يحيى وسلطانهم على بن يوسف واستقرت ميورقة فى ملك بنى غانية هؤلاء وسلطانهم وكانت لهم فى زمن على بن يوسف بها دولة وخرج منها على ويحيى الى بجاية وملكوها من الموحدين وكانت لهم معهم حروب بافريقية كما نذكر فى أخبارهم بعد أخبار لمتونة وملك الافرنج ميورقة من أيدى الموحدين آخر دولتهم والبقاء لله والملك يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم

الخبر عن ثوار الاندلس آخر الدولة اللمتونية واستبداد بنى مردنيش ببلنسية ومزاحمتهم لدولة بنى عبد المؤمن من أولها الى آخرها ومصاير أحوالهم وتصاريفها

لما شغل لمتونة بالعدو وبحرب الموحدين بعد عليهم الاندلس وعادت الى الفرقة بعض الشئ فثار ببلنسية سنة سبع وثلاثين وخمسمائة القاضى مروان بن عبد الله بن مروان

ابن حضاب وخلعوه لثلاثة أشهر من ملكه ونزل بالمرية ثم رحل الى ابن غانية بميورقة فسجن بها وثار بمرسية أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن طاهر ثم خلع وقتل لاربعة أشهر من ولايته وولى حافد المستعين بن هود شهرين ثم ولى ابن عياض وبايع أهل بلنسية بعد ابن حضاب للامير أبى محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامى وأقام مجاهدا الى ان استشهد فى بعض أيامه مع النصارى سنة أربعين وخمسمائة فبويع لعبد الله ابن عياض كان ثائرا بمرسية كما قدمناه وهلك سنة ثنتين وأربعين فبويع الى ابن أخيه محمد بن أحمد بن سعيد بن مردنيش وملك شاطبة ومدينة شقر ومرسية وكان ابراهيم ابن همشك من قواده فعبث فى أقطار الاندلس وأغار على قرطبة وتملك بها ثم استرجعت منه ثم غدر بغرناطة وملكها من أيدى الموحدين وحصرهم بالقصبة هو وابن مردنيش ثم استخلصها عبد المؤمن من أيديهم بعد حروب شديدة دارت بينهم بفحص غرناطة لقيه فيها ابن همشك وابن مردنيش وجيوش من أمم النصرانية استعانوا بهم فى المدافعة عن غرناطة فهزمهم عبد المؤمن وقتلهم أبرح قتل وحاصر يوسف بلنسية فخطب للخليفة العباسى المستنجد وكاتبه فكتب له بالعهد والولاية ثم بايع للموحدين سنة ست وستين وكان المظفر عيسى بن المنصور بن عبد العزيز الناصر بن أبى عامر عند ما انصرف الى ملك شاطبة ومرسية تغلب على بلنسية مدة ثم هلك سنة خمس وخمسين وخمسمائة ورجعت الى ابن مردنيش وكان أحمد بن عيسى تغلب على حصن مزيلة ثائرا بالمرابطين من أتباعه فغلب منذر بن أبى وزير عليه فأجاز سنة أربعين وخمسمائة الى عبد المؤمن ورغبه فى ملك الاندلس فبعث معه البعوث وتغلبوا على بنى غانية أمراء المرابطين بالاندلس وكان بميورقة أيضا منذ اضطراب أمر لمتونة محمد بن على بن غانية المستوفى وليها سنة عشرين وخمسمائة واستشهد بها ورحل عنها سنة سبع وثلاثين الى زيارة أخيه يحيى ببلنسية واستخلف على ميورقة عبد الله بن تيما قدمت فلما مكث وثار عليه ثوار فرجع محمد بن غانية وأصلح شأنها الى أن هلك سنة سبع وستين وولى ابنه ابراهيم أبو اسحق وتوفى سنة ثمانين وخمسمائة وولى بعده أخوه طلحة وبايع للموحدين سنة احدى وثمانين وأوفد عليهم أهل ميورقة فبعثوا معهم على بن الربرتير فلما وصل الى ميورقة ثار على طلحة بنو أخيه اسحق وهم على ويحيى ويعفر ابن الربرتير وخلعوا طلحة ثم بلغهم موت يوسف بن عبد المؤمن فخرجوا الى افريقية حسبما نذكر فى أخبار دولتهم فانقرضت دولة المرابطين بالمغرب والاندلس وادال الله منهم بالموحدين وقتلوهم فى كل وجه واستفحل أمرهم بالاندلس واستعملوا فيها القرابة من بنى عبد المؤمن وكانوا يسمونهم السادة واقتسموا ولايتها بينهم وأجاز يعقوب المنصور منهم غازيا بعد

ان استقر أهل العدوة كافة من زناتة فأوقع العرب بابن أدفونش ملك الجلالقة بالاركة من نواحى بطليوس الوقعة المذكورة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وأجاز ابنه الناصر من بعده سنة تسع فمحص الله المسلمين واستشهد منهم عدة ثم تلاشت أمراء الموحدين من بعده وانتزى بالسادة بنواحى الاندلس فى كل عمله وضعف بمراكش فصاروا الى الاستجاشة بالطاغية بقص واستسلام حصون المسلمين اليه فى ذلك فسمت رجالات الاندلس واعقاب العرب من دولة الاموية وأجمعوا اخراجهم فثاروا بهم لحين وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامى الثائر بالاندلس وقام ببلنسية زيان بن أبى الحملات مدافع بن يوسف بن سعد من أعقاب دولة بنى مردنيش وثوار آخرون ثم خرج على ابن هود فى دولته من اعقاب دولة العرب أيضا وأهل نسبهم محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر وتلقب محمد هذا بالشيخ فحاربه أهل الجبل وكانت لكل منهما دولة أورثها بنيه فأما زيد بن مردنيش فكان مع عشرة من بنى مردنيش رؤساء بلنسية واستظهر الموحدون على امارتها ولما وليها السيد أبو زيد ابن محمد بن أبى حفص بن عبد المؤمن بعد مهلك المستنصر كما نذكر فى أخبارهم وذلك سنة عشرين وستمائة كان زيان هذا بطانته وصاحب أمره ثم انتقض عليه سنة ست وعشرين عندما بويع ابن هود بمرسية وخرج الى ابده فخشيه السيد أبو زيد وبعث اليه يلاطفه فى الرجوع فامتنع ولحق السيد أبو زيد بطاغية برشلونة ودخل فى دين النصرانية أعاذنا الله من ذلك وملك زيان بلنسية واتصلت الفتنة بينه وبين ابن هود وخالف عليه بنو عمه عزيز بن يوسف بن سعد فى جزيرة شقر وصاروا الى طاعة ابن هود وزحف زيان للقائه على شريش فانهزم وتبعه ابن هود ونازله فى بلنسية أياما وامتنعت عليه فاقلع وتكالب الطاغية على ثغور المسلمين ونازل صاحب برشلونة أنيشة وملكها وزحف زيان اليها بجميع من معه من المسلمين سنة أربع وثلاثين ونفر معه أهل شاطبة وجزيرة شقر فكانت عليهم الواقعة العظيمة التى استشهد فيها أبو الربيع سليمان وأخذ الناس فى الانتقال عن بلنسية فبعث اليهم يحيى بن أبى زكريا صاحب افريقية بالمدد من الاموال والاسلحة والطعام مع قريبه يحيى عندما نبذ دعوة بنى عبد المؤمن وأوفد عليه أعيان بلنسية وهى محصورة فرجع الى دانية ثم أخذ الطاغية بلنسية سنة ست وثلاثين وخرج زيان الى جزيرة شقر وأقام بدعوة الامير أبى زكريا وبعث اليه بيعتها مع كاتبه الحافظ أبى عبد الله محمد بن الابار فوصل الى تونس وأنشده قصيدته المشهورة على روى السين بلغ فيها من الاجادة حيث شاء وهى معروفة وسيأتى ذكرها فى دولة بنى حفص بافريقية من الموحدين ثم هلك ابن هود وانتقض أهل مرسية على ابنه

أبي بكر الواثق وكان واليه بها أبو بكر بن خطاب فبعثوا الى زيان واستدعوه فدخلها وانتهب قصرها وحملهم على البيعة للامير أبي زكريا على ولاية شرق الاندلس كله وذلك سنة سبع وثلاثين ثم انتقض عليه ابن عصام بأريولة ولحق به قرابة زيان بمدينة لقنت فلم يزل بها الى أن أخذها منه طاغية برشلونة سنة أربع وأربعين فأجاز الى تونس وبها مات سنة ثمان وستين وأما ابن هود فسيأتي الخبر عن دولته وأما ابن الاحمر فلم تزل الدولة في أعقابه لهذا العهد ونحن ذاكرون أخبارهم لانهم من بقايا دولة العرب والله خير الوارثين

الخبر عن ثورة ابن هود على الموحدين بالاندلس ودولته وأولية أمره وتصاريف أحواله

هو محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان المستعين بن محمد بن هود ثار بالصخيرات من عمل مرسية مما يلي رقوط عند فشل دولة الموحدين واختلاف السادة الذين كانوا أمراء بلنسية وذلك عندما هلك المستنصر سنة عشرين وبايع الموحدون بمراكش لعمه المخلوع عبد الواحد بن أمير المؤمنين يوسف ثار العادل ابن أخيه المنصور بمرسية ودخل في طاعة صاحب حيان أبو محمد عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن وخالفهما في ذلك السيد أبو زيد أخوه ابن محمد بن أبي حفص وتفاقمت الفتنة واستظهر كل على أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الثغور وقلقت من ذلك ضمائر أهل الاندلس فتصدر ابن هود لهذه الثورة وهو من أعقاب بني هود من ملوك الطوائف وكان يؤمل لها وربما امتحنه الموحدون لذلك مرات فخرج في نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين وجهز اليه والي مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران موسى بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن عسكرا فهزمهم وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد وخطب للمستنصر صاحب بغداد لذلك العهد من بني العباس وزحف اليه السيد أبو زيد بن محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن من شاطبة وكان واليه بها فهزمه ابن هود ورجع الى شاطبة واستجاش بالمأمون وهو يومئذ باشبيلية بعد أخيه العادل فخرج في العساكر ولقيه ابن هود فانهزم واتبعه الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت عليه فاقلع عنه ورجع الى اشبيلية ثم انتقض على السيد أبي زيد ببلنسية زيان بن أبي الحملات مدافع ابن حجاج بن سعد بن مردنيش وخرج عنه الى أبدة وذلك سنة ست وعشرين وكان بنو مردنيش هؤلاء أهل عصابة وأولي بأس وقوة فتوقع أبو زيد اختلال أمره وبعث اليه ولاطفه في الرجوع فامتنع فخرج أبو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية نعوذ بالله وبايعت أهل شاطبة لابن هود ثم تابعه أهل جزيرة شقر حملهم عليها ولاتهم بنو عزيز بن يوسف عم زيان بن

مردنيش ثم بايعه اهل خبسان واهل قرطبة وتسمى بامير المسلمين وبايعه اهل اشبيلية عند رحيل المأمون عنها الى مراكش وولى عليهم أخاه ونازعه زيان بن مردنيش وكانت بينهما ملاقاة انهزم فيها زيان سنة تسع وعشرين وحاصره ابن هود ببلنسية ثم أقلع ولقي الطاغية على ماردة فانهزم ومحص الله المسلمين وانهزم بعدها أخرى على الكوس ولم تزل غزواته مترددة في بلاد العدو كل سنة وحربه معهم سجالا والطاغية يلتقم الثغور والقواعد ثم استولى ابن هود على الجزيرة الخضراء وجبل الفتح فرضتي المجاز على سبتة من يد السيد أبي عمران موسى لما انتقض على أخيه المأمون ونازله بسبتة فبايع هو لابن هود وأمكنه منها ثم ثار بها الياناشتي على مايذكر ثم بويع للسلطان محمد بن يوسف بن نصر سنة تسع وعشرين بأرجونة ودخلت قرطبة في طاعته ثم قرمونة ثم انتقض أهل اشبيلية وأخرجوا سالم بن هود وبايعوا الابن مروان أحمد بن محمد الباجي وجهز عسكرا للقاء ابن الاحمر فانهزموا وأسر قائده ثم أصفق الباجي مع ابن الاحمر على فتنة ابن هود وصالح ابن هود الفنش على فعلتهم على ألف دينار في كل يوم ثم صارت قرطبة الى ابن هود وزحف الى الباجي وابن الاحمر فانهزم ونزل ابن الاحمر ظاهر اشبيلية ثم غدر الباجي فقتله وتولى ذلك صهره اشقيلولة وزحف سالم بن هود الى اشبيلية فنازلها وامتنعت عليه ووصل خطاب الخليفة المستنصر العباسي الى ابن هود من بغداد سنة احدى وثلاثين وفد به أبو علي حسن بن علي بن حسن بن الحسين الكردي الملقب بالكمال وجاء بالراية والخلع والعهد ولقبه المتوكل وقدم عليه بذلك في غرناطة في يوم مشهود وبايع له ابن الاحمر وعندما غدر ابن الاحمر بالباجي فر من اشبيلية شعيب بن محمد الى البلد فاعتصم بها وتسمى المعتصم فحاصره ابن هود وأخذها من يده ثم خرج العدو من كل جهة ونازلوا ثغور المسلمين وأحاطوا بهم وانتهت محلاتهم على الثغور الى سبع محلاتهم ثم حاصر الطاغية مدينة قرطبة وغلب عليها سنة ثلاث وثلاثين وبايع أهل اشبيلية للرشيد من بني عبد المؤمن ثم زحف ابن الاحمر الى غرناطة وملكها كما يذكر وبويع للرشيد سنة سبع وثلاثين وكان عبد الله أبو محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الملك الاموي الرميمي وزير ابن هود وكان يدعوه ذا الوزارتين ولاه المرية من عمله فلم يزل بها وقدم عليه المتوكل سنة خمس وثلاثين وستمائة فهلك بالحمام ودفن بمرسية ويقال انه قتله ثم استبد من بعده المؤيد واستنزله عنها ابن الاحمر سنة ثلاث وأربعين ولما هلك المتوكل ولي من بعده بمرسية ابنه أبو بكر محمد بعهده اليه وتلقب بالواثق وثار عليه عزيز بن عبد الملك بن خطاب سنة ست وثلاثين لاشهر من ولايته فاعتقله وكان يلقب ضياء الدولة ثم تغلب زيان بن مردنيش على مرسية وقتل ابن

خطاب لانهر من ولايته وأطلق الواثق من هود من اعتقاله ثم ثار عليه بمدينة مرسية
محمد بن هود عم المتوكل سنة ثمان وثلاثين وأخرج منها زيان بن مردنيش وتلقب بهاء
الدولة وهلك سنة سبع وخمسين وستمائة وولى ابنه الامير أبو جعفر ثم ثار عليه سنة ثنتين
وستين أبو بكر الواثق الذى كان ابن خطاب خلعه وهو المتوكل أمير المسلمين وبقى بها
أميرا الى أن ضايقه الفنش والبرشلونى فبعث اليه عبد الله بن على بن اشقيلولة وتسلم
مرسية منه وخطب بها لابن الاحمر ثم خرج منها راجعا الى ابن الاحمر فأوقع به
البصرى فى طريقه ورجع الواثق الى مرسية ثالثة فلم يزل بها الى أن ملكها العدو من
يده سنة ثمان وستين وعوضه منها حصنا من عملها يسمى يس الى أن هلك والله خير
الوارثين

{الخبر عن دولة بنى الاحمر ملوك الاندلس لهذا
العهد ومبدأ أمورهم وتصاريف أحوالهم}

أصلهم من أرجونة من حصون قرطبة ولهم فيها سلف فى أبناء الجند ويعرفون ببنى
نصر وينسبون الى سعد بن عبادة سيد الخزرج وكان كبيرهم لآخر دولة الموحدين محمد
ابن يوسف بن نصر ويعرف بالشيخ وأخوه اسمعيل وكانت لهم وجاهة فى ناحيتهم
ولما فشل ريح الموحدين وضعف امرهم وكثر الثوار بالاندلس وأعطى حصونها
للطاغية واستقل بأمر الجماعة محمد بن يوسف بن هود الثائر بمرسية فأقام بدعوته
العباسية وتغلب على شرق الاندلس أجمع فتصدى محمد بن يوسف هذا للثورة على ابن
هود وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة على الدعاء للامير أبى زكريا صاحب افريقية
وأطاعته جيان وشريش سنة ثلاثين بعدها وكان يعرف بالشيخ ويلقب بابى دبوس
واستظهر على أمره أولا بقرابته من بنى نصر وأصهاره بنى اشقيلولة عبد الله وعلى
ثم بايع لابن هود سنة احدى وثلاثين عندما وصله خطاب الخليفة من بغداد ثم ثار
باشبيلية أبو مروان الباجى عند خروج ابن هود عنها ورجوعه الى مرسية فداخله محمد
ابن الاحمر فى الصلح على أن يزوجه ابنته فأطاعه ودخل اشبيلية سنة ثنتين وثلاثين
ثم فتك بابن الباجى وقتله وتناول الفتك به على بن اشقيلولة ثم راجع أهل اشبيلية
بعدها لشهر دعوة ابن هود وأخرجوا ابن الاحمر ثم تغلب على غرناطة سنة خمس
وثلاثين بمداخلة أهلها ثم ثار ابن أبى خالد بدعوته فى جيان ووصلته بيعتها فقدم اليها
أبا الحسن بن اشقيلولة ثم جاء على اثره ونزلها واستقر بها بعد مهلك ابن هود وبايع
للرشيد سنة تسع وثلاثين ثم تناول المؤيد من يد محمد بن الرميمى فخلعه أهل البلد سنة
ثلاث وستين وبايعوا لابن الاحمر ثم ثار أبو عمرو بن الجد واسمه يحيى بن عبد الملك بن محمد

الحافظ أبى بكر وملك اشبيلية وبايع للامير أبى زكريا بن حفص صاحب افريقية سنة
ثلاث وأربعين وولى عليهم أبو زكريا أميرا وقام بأمرهم القائد شغاف والعدو أثناء
ذلك يلتقم بلاد المسلمين وحصونهم من لدن عام عشرين أو قبله وصاحب برشلونة من ولد
البطريق الذى استعمله الافرنجة عليها الاول استرجاعهم لها من أيدى العرب فتغلب
عليها وبعد عن الفرنجة وضعف لعهده سلطانهم ووصلوا وراء الدروب وعجزوا فكانوا
عن برشلونة وجاعتها أعجز فسما أهل طاغيتها منهم لذلك العهد واسمه حاقة الى التغلب
على ثغور المسلمين واستولى على ماردة سنة ست وعشرين وستمائة ثم ميورقة سنة سبع
وعشرين الى سرقسطة وشاطبة كان تملكها منذ مائة وخمسين من
السنين قبلها ثم بلنسية سنة ست وثلاثين وستمائة بعد حصار طويل وطوى ما بين ذلك
من الحصون والقرى حتى انتهى الى المرية وحصونها وابن أدفونش أيضا ملك الجلالقة
هوابن وآباؤه من قبله يتقرى الفرستيرة حصنا حصنا ومدينة مدينة
الى أن طواها واستعبد ابن الاحمر هذا لاول أمره بما كان بينه وبين الثوار بالاندلس
من المنازعة فوصل يده بالطاغية فى سبيل الاستظهار على أمره فوصله وشد عضده
وصار ابن الاحمر فى جملته وأعطاه ابن هود ثلاثين من الحصون أو نحوها فى كف غربه
عن ابن الاحمر وأن يعينه على ملك قرطبة فتسلمها ثم تغلب على قرطبة سنة ثلاث وثلاثين
وأعاد اليها خيرة الله كلمة الكفر ثم نازل اشبيلية سنة ست وأربعين وابن الاحمر معه
مظهر الامتعاض لابن الجد وحاصرها سنتين ثم دخلها صلحا وانتظم معها حصونها
وثغورها وأخذ طليطلة من يد ابن كماشة وغلب بعد ذلك ابن محفوظ على شلب وطلبيرة
سنة تسع وخمسين ثم ملك مرسية سنة خمس وستين ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك
الاندلس كورة كورة وثغرا ثغرا الى أن ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة من
الغرب والبيرة من شرق الاندلس نحو عشر مراحل من الغرب الى الشرق
وفى مقدار مرحلة أو ما دونها فى العرض ما بين البحر والجوف ثم سخط بعد ذلك الشيخ
ابن الاحمر وطمع فى الاستيلاء على كافة الجزيرة فامتنعت عليه وتلاحق بالاندلس غزاة
من زناتة الثائرين يومئذ من بنى عبد الواد وتوجين ومغراوة وبنى مرين وكان أعلاهم
كعبا فى ذلك وأكثرهم غزى بنو مرين فأجاز أولا أولاد ادريس بن عبد الحق وأولاد
رحو بن عبد الله بن عبد الحق اعياص الملك منهم سنة ستين أو نحوها عقد لهم عمهم
يعقوب بن عبد الحق سلطان المغرب وأجازوا فى ثلاثة آلاف أو نحوها فتقبل ابن
الاحمر اجازتهم ودفع بهم فى نحر عدوه ورجعوا ثم تهايلوا اليه من بعد ذلك من كل بيت
من بيوت بنى مرين ومعظمهم الاعياص من بنى عبد الحق لما تزاحمهم مناكب

بياض بالاصل

السلطان فى قومهم وتغص بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغتنين بها من بأسهم وشوكتهم فى المدافعة عن المسلمين ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان ولم يزل الشأن هذا الى أن هلك محمد بن يوسف بن الاحمر سنة احدى وسبعين وستمائة وقام بأمره من بعده ابنه محمد وكان يعرف بالفقيه لما كان يقرأ الكتاب من بين أهل بيته ويطالع كتب العلم وكان أبوه الشيخ أوصاه باستصراخ ملوك زناتة من بنى مرين الداثلين بالمغرب من الموحدين وأن يوثق عهده بهم ويحكم أواخى سلطانه بمداخلتهم فأجاز محمد الفقيه ابن الاحمر الى يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين سنة ثنتين وسبعين وستمائة عندما تم استيلاؤه على بلاد المغرب وتغلبه على مراكش وافتقاده سرير ملك الموحدين بها فأجاب صريخه وأجاز عساكر المسلمين من بنى مرين وغيرهم الى الجهاد مع ابنه منديل ثم جاء على أثرهم وأمكنه ابن هشام من الجزيرة الخضراء كان ثائرا بها فتسلمها منه ونزل بها وجعلها ركابا لجهاده وينزل بها جيش الغزو ولما أجاز سنة ثنتين وسبعين كما قلناه هزم زعيم النصرانية ثم حذره ابن الاحمر على ملكه فداخل الطاغية ثم حذر الطاغية فراجعه وهو مع ذلك يده فى نحره بشوكة الاعياص الذين نزعوا اليه من بنى مرين بما شاركوا صاحب المغرب من نسب ملكه وقاسموه فى يعسوبية قبيلته فكان له بذلك مدفع عن نفسه ومرض فى طاعة قرابته من بنى اشقيلولة كان عبد الله منهم بمالقة وعلى بوادى آش وابراهيم بحصن قمارش فالتاثوا عليه وداخلوا يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين فى المظاهرة عليه فكان له معهم فتنة وأمكنوا يعقوب من الثغور التى بأيديهم مالقة ووادى آش حتى استخلصها هذا السلطان الفقيه من بعد ذلك كما نذكره فى أخبار بنى مرين مع بنى الاحمر وصار بنو اشقيلولة آخرا وقرابتهم بنى الزرقاء الى المغرب ونزلوا على يعقوب بن عبد الحق وأكرم مثواهم واقطعهم واستعملهم فى كبير الخطط للدولة حسبما نذكر واستبد السلطان الفقيه ابن الاحمر بملك ما بقى من الاندلس وأورثه عقبه من غير قبيل ولا كثير عصبة ولا استكثار من الحامية الا من يأخذه الجلاء من خول زناتة وأعياص الملك فينزلون بهم غزى ولهم عليهم عزة وتغلب وسبب ذلك ما قدمناه فى الكتاب الاول من افتقاد القبائل والعصائب بأرض الاندلس جملة فلا تحتاج الدولة هنالك الى كبير عصبية وكان للسلطان ابن الاحمر فى أول أمره عصبية من قرابته بنى نصر وأصهارهم بنى اشقيلولة وبنى المولى ومن تبعهم من الموالى والمصطنعين كانت كافية فى الامر من أوله مع معاضدة الطاغية على ابن هود ونوار الاندلس ومعاضدة ملك المغرب على الطاغية والاستظهار بالاعياص على ملك المغرب فكان لهم بذلك كله اقتدار على بلوغ أمرهم وتمهيده ورعايتهم

في

فى مدافعة الطاغية اجتماع الخاصة والعامة فى عداوته والرهب منه بما هو عدو للدين فتستوى القلوب فى مدافعته ومخافته فينزل ذلك بعض الشئ منزلة العصبية وكانت اجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق اليه أربع مرات وأجاز ابنه يوسف اليهم بعد أبيه ثم شغلته الفتنة مع بنى يغمراسن الى أن هلك السلطان الفقيه سنة احدى وسبعمائة وهو الذى أعان الطاغية على منازلة طريف وأخذها وكان يمير عسكره مدة حصاره اياها الى أن فتحها سنة   لما كانت ركابا لصاحب المغرب متى هم بالجواز لقرب مسافة الزقاق فلما ملكها الطاغية صارت عينا على من يروم الجواز من الغزاة فعضب أمره عليهم وولى من بعده ابنه محمد المخلوع واستبد عليه وزيره محمد بن محمد ابن الحكم اللخمى من مشيخة رندة ووزرائها لعجزه واستولى على أمره الى أن ثار به أخوه أبو الجيوش نصر بن محمد فقتل الوزير واعتقل أخاه سنة ثمان وسبعمائة وكان أبوهما السلطان الفقيه استعمل على مالقة الرئيس أبا سعيد بن عمه اسمعيل بن نصر وطالت فيها امارته وهو الذى تملك سبتة وغدر بنى العزفى بها على عهد المخلوع وبدعوته كما نذكر فى أخبار سبتة ودولة بنى مرين وكان أصهر اليه فى ابنته وكان له منها ابنه أبو الوليد اسمعيل فلما تملك أبو الجيوش نصر غرناطة واستولى على سلطانهم بها ساءت سيرته وسيرة وزيره ابن الحاج وأحقد الاعياص من بنى مرين واستظهر الرعية بالقهر والعسف وكان بنو ادريس بن عبد الله بن عبد الحق أمراء على الغزاة بمالقة وكان كبيرهم عثمان بن أبى العلى فداخل أبا الوليد فى الخروج على السلطان نصر وتناول الامر من يده لضعفه وسعفه بطانته وأقربائه فاعتزموا على ذلك ولم يتم لهم الا باعتقال أبيه أبى الجيوش فاعتقلوه وبايعوا أبا الوليد وثار بمالقة سنة سبع عشرة الرئيس أبو سعيد وزحفوا الى غرناطة فهزموا عساكر أبى الجيوش وثارت به الدهماء من أهل المدينة وأحيط به وصالحهم على الخروج الى وادى آش فلحق بها وجدد بها ملكا الى أن مات سنة ثنتين وعشرين ودخل أبو الوليد الى غرناطة فاصل بها النفسه وبنيه ملكا جديدا وسلطانا فسيحا ونازله ملك النصارى الفنش بغرناطة سنة ثمان عشرة وأبلى فيها بنى أبى العلا ثم كان من تكييف الله تعالى فى قتله وقتل رديفه واستلحام جيوش النصرانية بظاهر غرناطة ما ظهرت فيه معجزة من معجزات الله وتردد الى أرض النصرانية بنفسه غازيا مرات مع عساكر المسلمين من زناتة والاندلس وكانت زناتة أعظم غناء فى ذلك لقرب عهدهم بالتقشف والبداوة التى ليست للناس وبلغ أبو الوليد من العز والشوكة الى أن غدر به بعض قرابته من بنى نصر سنة سبع وعشرين وسبعمائة طعنه غدرا عندما انفض مجلسه بباب داره فأنفذه وحمل الى فراشه ولحق القادر بدار

بياض بالاصل

عثمان بن أبي العلى فقتله لحينه وقتل الموالى المجاهدين فخرج عليهم ولحق باندرش
فتملكها واستدعى محمد بن الرئيس أبي سعيد فى معتقله بسلوباشة ونصبه للملك فلم يتم له
مراده من ذلك ورجعوا آخرا للمهادنة وقتل السلطان محمد وزيره ابن المحروق بداره
غدرا سنة تسع وعشرين استدعاه للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق
وتناوله مع علوجه طعنا بالخناجر الى أن مات وقام السلطان بأعباء ملكه ورجع عثمان
ابن أبي العلى الى مكانه من يعسوبية الغزاة وزناتة حتى اذا هلك قدم عليهم مكانه ابنه
ابا ثابت وأجاز السلطان محمد الى المغرب صريخا للسلطان أبي الحسن على الطاغية
فوجده مشغولا بفتنة أخيه محمد ومع ذلك جهز له العساكر وعقد عليها سنة ثلاث
وثلاثين واستراب بنو أبي العلى بمداخلة السلطان أبي الحسن فتشاوروا فى أمره
وغدروا به يوم رحيله من الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا أخاه أبا الحجاج
يوسف فقام بالامر وشمر عن ساعده فى الاخذ بثار أخيه فنكب بنى العلى وغربهم الى
تونس وقدم على الغزاة مكان أبي ثابت بن عثمان قريبه من بنى رحو بن عبد الله بن
عبد الحق وهو يحيى بن عمر بن رحو فقام بأمرهم وطال أمر رياسته واستدعى السلطان
أبو الحجاج السلطان أبا الحسن صاحب المغرب فأجاز ابنه عندما تم له الفتح بتلمسان
وعقد له على عساكر جمة من زناتة والمطوعة فغزاهم وغنم وقفل راجعا وتلاحقت به
جموع النصارى وبيتوه على حدود أرضهم فاستشهد كثير من الغزاة وأجاز السلطان
أبو الحسن سنة احدى وأربعين بكافة أهل المغرب من زناتة ومغراوة والمرتزقة
والمتطوعة فنازل طريف وزحف اليه الطاغية فلقيه بظاهرها فانكشف المسلمون
واستشهد الكثير منهم وهلك فيها نساء السلطان وحرمه وفسطاطه من معسكره وكان
يوم ابتلاء وتمحيص وتغلب الطاغية اثرها على القلعة ثغر غرناطة ونازل الجزيرة
الخضراء وأخذها صلحا سنة ثلاث وأربعين ولم يزل أبو الحجاج فى سلطانه الى أن هلك
يوم الفطر سنة خمس وخمسين طعنه فى سجوده من صلاة العيد وغد من صفاعفة البلد
كان مجتمعا وتولى ابنه واستبد عليه مولاهم رضوان حاجب أبيه وعمه فقام بأمره
وغلبه عليه وحجبه وكان اسمعيل أخوه ببعض قصور الحمراء قلعة الملك وكانت له ذمة
وصهر من محمد بن عبد الله بن اسمعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد بما كان أبوه أنكحه
شقيقة اسمعيل هذا وكان أبو يحيى هذا يدعى بالرئيس وجده محمد هذا هو الذى قدمنا
أن عثمان بن أبي العلى دعاه من مكان اعتقاله للملك فداخل محمد هذا الرئيس بعض
الزعالقة من الغوغاء وبيت حصن الحمراء وتسوره وولج على الحاجب رضوان فى داره
فقتله وأخرج صهره اسمعيل ونصبه للملك ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة ستين

وسبعمائة

وسبعمائة وكان السلطان محمد هذا المخلوع بروضة خارج الحمراء فلحق بوادى آش
وأجاز منها الى العدوة ونزل على ملك المغرب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن
فرعى له ذمته وأحمد نزوله وارتاب شيخ الغزاة يحيى بن عمر بالدولة ففر الى دار الحرب
ولحق منها بالمغرب ونزل على السلطان أبي سالم فأحمد نزوله وولى مكانه على الغزاة بغرناطة
من جهة ادريس بن عثمان بن أبي العلى وقام الرئيس بأمر اسمعيل أخيه ودبر ملكه
ثم ترددت السعايات وندر الرئيس بالنكبة فغدر باسمعيل وقتله واخوته جميعا سنة
احدى وستين وقام بملك الاندلس ونبذ الى الطاغية عهده ومنعه ما كان سلفه يعطونه
من الجزية على بلاد المسلمين فشمر الطاغية لحربه وجهز العساكر اليه فأوقع المسلمون
بهم بوادى آش وعليهم بعض الرؤساء من قرابة السلطان فعظمت النكاية وأرسل
ملك المغرب الى الطاغية فى شأن محمد المخلوع ورده الى ملكه فأركب الاساطيل وأجازه
الى الطاغية فلقيه ووعده المظاهرة على أمره وشرط له الاستئثار بما يفتح من حصون
المسلمين ثم نقض فيما افتتح منها ففارقه السلطان واوى الى الثغر المغربى فى مملكة بنى
مرين وأمكن من ثغور رندة فزحف منها الى مالقة سنة خمس وستين فافتتحها وفر
الرئيس محمد بن اسمعيل من غرناطة ولحق بالطاغية وكان معه ادريس بن عثمان شيخ
الغزاة فحبسه الى أن فر من محبسه بعد حين كما نذكر فى أخبارهم وزحف السلطان محمد
فمن معه وأتوه بحاجب الرئيس وقتله واستلحم معه الرجال من الزعالقة الذين قتلوا
الحاجب وتسوروا قصور الملك ودخل السلطان محمد غرناطة واستولى على ملكه وقدم
على الغزاة شيخهم يحيى بن عمر واختص ابنه عثمان ثم نكبهما السنة وحبسهما بالمطبق
بالمرية ثم غربهما بعد أعوام وقدم على الغزاة قريبهما على بن بدر الدين بن محمد بن رحو
ثم مات فقدم مكانه عبد الرحمن بن أبي يفلوسن وترفع على السلطان أبي على بن محمد ملك
المغرب وتملأ هذا السلطان محمد المخلوع أريكة ملكه بالحمراء ممتنعا بالظهور والترف
والعزة على الطاغية والجلالقة وعلى ملوك المغرب بالعدوة بما نال دولتهم جميعا من
الهرم الذى يلحق الدول وأما الجلالقة فانتقضوا على ملكهم بطرة بن ادفونش سنة
ثمان وستين من لدن مهلك أبيهما ووقعت بين بطرة وبين ملك برشلونة بسبب اجارته
عليه فتن وحروب جر منها الجلالقة وكانت سببا لانتقاضهم على بطرة واستدعائهم
لاخيه الفنش فجاء وبايعوه وانحرفوا اليه جميعا عن بطرة فتحيز الى ناحية بلاد المسلمين
واستدعى هذا السلطان محمدا صاحب غرناطة لنصره من عدوه وأغزاه بلاد الفنش ففتح
كثيرا من معاقلها وخرب بها مثل حيان وابدة واثر وغيرها وعاث فى بسائطها ونزل قرطبة
وخرب نواحيها ورجع ظافرا غانما ولحق ببطرة سلطان الافرنجة الاعظم فى ناحية الشمال

من وراء جزيرة الاندلس وهو صاحب جزيرة اركبلطرة وتسمى بنسر غالس وفد عليه صريخا وزوجه بنته فبعث ابنه لنصره فى أمم الافرنج وانهزم الفنش أمامهم وارتجع بطرة البلاد حتى اذا رجعت عساكر الافرنجة رجع الفنش فارتجع البلاد ثانيا وحاصر أخاه بطرة فى بعض حصون جليقة حتى أخذه وقتله واستولى على ملكهم واغتنم السلطان صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فاعتز عليهم ومنع الجزية التى كانوا يأخذونها من المسلمين منذ عهد سلفه فأقاموا من لدن سنة ثنتين وسبعين لا يعطونهم شيأ واستمر على ذلك وسما الى مطالبتهم بنسر غالس ملك الفرنجة من ورائهم الذى جاء لنصر بطرة وأنكحه بطرة ابنته وولدت له ولدا فزعم أبوه هذا الملك أنه أحق بالملك من الفنش وغيره على عادة العجم فى تمليك الاسباط من ولد البطن وطالت الحرب بينهما ونزل بالجلالقة من ذلك شغل شاغل واقتطع الكثير من ثغورهم وبلادهم فنعهم ابن الاحمر الجزية واعتز عليهم كما ذكرناه والحال على ذلك لهذا العهد وأما ملوك المغرب فان السلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن لما استبد بملكه واستفحل أمره وكان عبد الرحمن بن ابى يفلوسن مقدما على الغزاة بالاندلس كما قلناه وهو قسيمه فى النسب ومرادفه فى الترشيح للملك فعثر السلطان عبد العزيز على مكاتبة بينه وبين أهل دولته فارتاب وبعث الى ابن الاحمر فى حبسه فحبسه وحبس معه الامير مسعود بن ماسى لكثرة خوضه فى الفتنة ومكاتبته لاهل الدولة فلما توفى السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وبويع ابنه محمد السعيد يافعا وكفله وزير أبيه أبو بكر بن غازى الثائر أطلق ابن الاحمر عبد الرحمن بن يفلوسن من محبسه فنقم ذلك عليه الوزير أبو بكر كافل الدولة بالمغرب واعتزم على بعث الرؤساء من قرابة ابن الاحمر الى الاندلس لمنازعته ومده بالمال والجيش وبلغ ذلك ابن الاحمر فعاجله عنه وسار فى العساكر الى فرضة المجاز ونازل جبل الفتح ومعه ابن يفلوسن وابن ماسى واركبهما السفن فنزلوا ببلاد بطرة فاضطرب المغرب واشتد الحصار على أهل جبل الفتح واستأمنوا الى ابن الاحمر وأطاعوه وكان بسبتة محمد بن عثمان بن الكاس صهر أبى بكر بن غازى وقريبه بعثه لضبط المراسى عند ما نزل ابن الاحمر على الجبل وبطنجة يومئذ جماعة من ولد السلطان أبى الحسن المرشحين محبوسون منذ عهد عبد العزيز فوقعت المراسلة من السلطان ابن الاحمر ومحمد ابن عثمان ونكر عليه مبايعتهم لولد صغير لم يراهق وأشار ببيعة واحد من أولئك المرشحين المحبوسين بطنجة ووعده بالمظاهرة والمدد بالمال والجيش ووقع اختيار محمد ابن عثمان على السلطان أبى العباس أحمد فأخرجه وبايع له وقد كان أولئك القبة تعاهدوا فى محبسهم أن من استولى منهم على الملك أطلق الباقين منهم فوفى لهم السلطان

أبو العباس لاول بيعته وأطلقهم من المحبس وبعثهم الى الاندلس ونزلوا على السلطان ابن الاحمر فأكرمهم وجعلهم لنظره وبعث بالاموال والعساكر للسلطان أبى العباس ولوزيره محمد بن عثمان وكتب الى عبد الرحمن بن يفلوسن بموافقتهما واجتماعهما على الامر فساروا جميعا ونازلوا دار الملك بفاس حتى استأمن أبو بكر بن غازى للسلطان أبى العباس وأمكنه من البلد الجديد دار الملك فدخلها فى محرم سنة ست وسبعين وشيع عبد الرحمن بن يفلوسن الى مراكش وأعمالها وسوغ له ملكها كما كان الوفاق بينهما من قبل وبعث بالسعيد بن عبد العزيز المنصوب واتصلت الموالاة والمهاداة بينه وبين ابن الاحمر وانتقض ما بينه وبين عبد الرحمن صاحب مراكش ونهض مرارا وحاصره وابن الاحمر يمده تارة ويسعى بينهما فى الصلح أخرى الى أن نهض اليه سنة أربع وثمانين وحاصره شهرا واقتحم عليه حصنه عنوة وقتله ورجع الى فاس ثم نهض الى تلمسان وهرب صاحبها أبو أحمد سلطان بنى عبد الواد ودخل السلطان أبو العباس تلمسان وكان جماعة من سماسرة الفتن قد سعوا ما بينه وبين السلطان ابن الاحمر بالفساد حتى أوغروا صدره وحملوه على نقض دولة السلطان أبى العباس ببعض الاعياص الذين عنده فاختار من أولئك القبة الذين نزلوا عليه من طنجة موسى ابن السلطان أبى عنان واستوزر له مسعود بن ماسى وركب السفن معه الى سبتة فبادر أهلها بطاعة موسى وأتوه ببيعتهم وارتحل عنهم الى فاس وملك السلطان ابن الاحمر سبتة وصارت فى دعوته وعمد السلطان موسى الى دار الملك بفاس فوقف عليها يوما واستأمنوا اليه آخر النهار فدخلها سنة ست وثمانين وأصبح جالسا على سرير ملكه وطار الخبر الى السلطان أبى العباس وقد ارتحل من تلمسان لقصد أبى حمو وبنى عبد الواد بمكانهم من [بياض بالأصل] فكر راجعا وأغذ السير الى فاس فلما تجاوز تازى وتوسط ما بينها وبين فاس افترق عنه بنو مرين وسائر عساكره وساروا على راياتهم الى السلطان موسى ونهب معسكره ورجع هو الى تازى فتوثق منه عاملها حتى جاء بريد السلطان من فاس فتقبض عليه وحمله الى فاس وأزعجه السلطان موسى الى الاندلس ونزل على ابن الاحمر كما كان هو واستولى السلطان موسى على المغرب واستبد عليه وزيره مسعود وطالب ابن الاحمر بالنزول على سبتة فامتنع ونشأت بينهما الفتنة ودس ابن ماسى لاهل سبتة بالثورة على حامية السلطان ابن الاحمر عندهم فثاروا عليهم وامتنعوا بالقصبة حتى جاءهم المدد فى اساطيل ابن الاحمر فسكن أهل سبتة واطمأنت الحال ونزع الى السلطان ابن الاحمر جماعة من أهل الدولة وسألوه ان يبعث لهم ملكا من الاعياص الذين عنده فبعث اليهم الواثق محمد بن الامير أبى الفضل ابن السلطان أبى

الحسن وشيعه فى الاسطول الى سبتة وخرج الى غمارة وبلغ الخبر الى مسعود بن ماسى فخرج اليه فى العسكر وحاصره بتلك الجبال ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى ابن السلطان أبى عنان بفاس فارتحل راجعا ولما وصل الى دار الملك نصب على الكرسى صبيا من ولد السلطان أبى العباس كان تركه بفاس وجاء السلطان أبو عنان ابن الامير أبى الفضل ونزل بجبل زرهون قبالة فاس وخرج ابن ماسى فى العساكر فنزل قبالته وكان متولى أمره أحمد بن يعقوب الصبيحى وقد غص به أصحابه فذبوا عليه وقتلوه امام خيمة السلطان وامتعض السلطان لذلك ووقعت المراسلة بينه وبين ابن ماسى على ان يبايع بشرط الاستبداد عليه واتفقا على ذلك ولحق السلطان بابن ماسى ورجع به الى دار الملك فبايع له وأخذ له البيعة من الناس وكانت معه حصة من جند السلطان ابن الاحمر مع مولى من مواليه فحبسهم جميعا واستعض لذلك السلطان فاركب أبا العباس البحر وجاء معه بنفسه الى سبتة فدخلها وعساكر ابن ماسى عليها يحاصرونها فبايعوا جميعا للسلطان أبى العباس ورجع ابن الاحمر الى غرناطة وسار السلطان أبو العباس الى فاس واعترضه ابن ماسى فى العساكر فحاصره بالصفيحة من جبل غمارة وتحدث أهل عسكره فى اللحاق بالسلطان أبى العباس ففزعوا اليه وهرب ابن ماسى وحاصره السلطان شهرا حتى نزلوا على حكمه فقطع ابن ماسى بعد أن قتله ومثل به وقتل سلطانه واستلحم سائر بنى ماسى بالنكيل والقتل والعذاب واستولى على المغرب واستبد بملكه وأفرج السلطان ابن الاحمر على سبتة وأعادها اليه واتصلت الموالاة بينهما وأقام ابن الاحمر فى اعتزازه ولم تطرقه نكبة ولا حادثة سائر أيامه الا ما بلغنا أنه نمى له عن ابنه ولى عهده أبى الحجاج يوسف انه يروم التوثب به وكان على سفر فى بعض نواحى الاندلس فقبض على ولده لحينه ورجع الى غرناطة ثم استكشف حاله فظهرت براءته فاطلقه وأعاده الى أحسن أحواله والا ما بلغنا أيضا انه لما سار من غرناطة الى جبل الفتح شاربا لاحوال السلطان أبى العباس وهو بالصفيحة من جبال غمارة وابن ماسى يحاصره فنمى اليه ان بعض حاشيته من أولاد الوزراء وهو ابن مسعود البلنسى ابن الوزير أبى القاسم بن حكيم قد اتفقوا على اغتياله وان ابن ماسى دس اليهم بذلك ونصبت له على ذلك العلامات التى عرفها فقبض عليهم لحينه ولم يمهلهم وقتلهم وجميع من داخلهم فى ذلك ورجع الى غرناطة وأقام ممتنعا بملكه الى ان هلك سنة ثلاث وتسعين فولى مكانه ابنه أبو الحجاج وبايعه الناس وقام بأمره خالد مولى أبيه وتقبض على اخوته سعد ومحمد ونصر فهلكوا فى محبسهم ولم يوقف لهم على خبر ثم سعى عنده فى خالد القائم بدولته أنه أعد السم لقتله وان يحيى بن الصائغ اليهودى

بياض بالاصل

طبيب

طبيب دارهم داخله فى ذلك ففتك بخالد وقتل بين يديه صبرا بالسيوف لسنة أو نحوها من ملكه وحبس الطبيب فذبح فى محبسه ثم هلك سنة أربع وتسعين لسنتين أو نحوها من ملكه وبويع ابنه محمد وقام بأمره محمد الخصاصى القائد من صنائع أبيه والحال على ذلك لهذا العهد والله غالب على امره وقد انقضى ذكر الدولة الاموية المنازعين لبنى العباس ومن تبعهم من الملوك بالاندلس فلنذكر الآن شيأ من أخبار ملوك النصرانية الذين يجاورون المسلمين بجزيرة الاندلس من سائر نواحيهم ونلم بطرف من أنسابهم ودولهم

الخبر عن ملوك بنى ادفونش من الجلالقة ملوك الاندلس بعد الغوط ولعهد المسلمين وأخبار من جاورهم من الفرنجة والبشكنس والبرتغال والالمام ببعض أخبارهم

والملوك لهذا العهد من النصرانية أربعة فى أربعة من العمالات محيطة بعمالة المسلمين قد ظهر اعجاز الملة فى مقامهم معهم وراء البحر بعدما استرجعوا من أيديهم ما نظمه الفتح الاسلامى أول الامر واعظم هؤلاء الملوك الاربعة قشتالة وعمالاته عظيمة متسعة مشتملة على أعمال جليقية كلها مثل قشتالة وغليسية والقرنتيرة وهى بسيط قرطبة واشبيلية وطليطلة وجيان آخذة فى جوف الجزيرة من المغرب الى المشرق ويليه من جانب الغرب ملك البرتغال وعمالته صغيرة وهى آشبونة ولا أدرى نسبه فيمن هو من الامم ويغلب على الظن أنه من أعقاب القوامس الذين تغلبوا على عمالات بنى أدفونش فى العصور الماضية كما نذكر بعد ولعله من أسباطهم وأولى نسبهم والله أعلم ويلى ملك قشتالة هذا من جهة الشرق ملك نبرة وهو ملك البشكنس وعمالته صغيرة فاصلة بين عمالات قشتالة وعمالة ملك برشلونة وقاعدة ملك نبرة وهى مدينة بنبلونة وملك برشلونة وما وراءها ونحن الآن نذكر أخبار هذه الامم من عهد الفتح بما يظهر لك منه تفصيل أخبارهم وذلك أن النصرانية لما تغلب عليهم المسلمون عند الفتح سنة تسعين من الهجرة وقتلوا الزريق ملك الغوط وانساحوا فى نواحى جزيرة الاندلس وأجفلت أمم النصرانية كلها أمامهم الى سيف البحر من جانب الجوف وتجاوزوا الدروب وراء قشتالة واجتمعوا بجليقية وملكوا عليهم ثلاثة ابن ناقلة فأقام ملكا تسع عشرة سنة وهلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة وولى ابنه قافلة سنتين ثم هلك فولوا عليهم بعدهما أدفونش ابن بطرة وهو الذى اتصل ملكه فى عقبه لهذا العهد ونسبهم فى الجلالقة من العجم كما تقدم ويزعم ابن حيان انهم من أعقاب الغوط وعندى ان ذلك ليس بصحيح فان أمة الغوط قد دثرت وغبرت وهلكت وقل أن يرجع أمر بعد ادباره وانما هو ملك مستجد

فى أمة أخرى والله أعلم فجمعهم ادفونش بن بطرة على حماية مابقى من أرضهم بعد
أن ملك المسلمون عامتها وانتهوا الى جليقية وأقصروا عن الفتح بعدها حتى فشلت الدولة
الاسلامية بالاندلس وارتجع النصارى الكثير مما غلبوا عليه وكان مهلك
أدفونش بن بطرة سنة اثنتين وأربعين ومائة لثمان عشرة سنة من ملكه وولى بعده ابنه
فرويلة احدى عشرة سنة قوى فيها سلطانه وقارنه فيها شغل عبد الرحمن الداخل بتمهيد
أمره فاسترجع مدينة لك وبرتغال وسمورة وسلمنقة وشقرنية وقشتالة بعد ان كانت
انتظمت للمسلمين فى الفتح وهلك سنة ثمان وخمسين وولى ابنه شيلون عشر سنين وهلك
سنة ثمان وستين فولوا مكانه أدفونش منهم ووثب عليه سمول ماط فقتله وملك مكانه
سبع سنين وعلى عقب ذلك استفحل ملك عبد الرحمن بالاندلس وأغزى جيوشه أرض
جليقية ففتح وغنم وأسر ثم ولى منهم أدفونش آخر سنة ثنتين وخمسين وهلك سنة ثمان
وستين فولوا مكانه أدفونش منهم ووثب أحد ملوكهم المستبدين بأمرهم قال ابن حيان
كانت ولاية رذمير هذا عند ترهب أخيه أدفونش الملك قبله وذلك سنة تسع عشرة
وثلثمائة على عهد الناصر وتهيأ للناصر الظهور عليه الى أن كان التمحيص على المسلمين
فى غزوة الخندق وذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة وكانت الواقعة بالخندق وقريبا من
مدينة شنت ماكس كما ذكر فى أخباره ثم هلك رذمير سنة تسع وثلاثين وولى اخوه
سانجة وكان تياها معجبا بطالا فانتقض سلطانه ووهن ملك قومه وانتزى عليه قوامس
دولته فلم يتم لبنى ادفونش بعدها ملك مستبد فى الجلالقة الامن بعد أزمان الطوائف
وملوكهم كما ذكرناه وكان اضطراب ملكهم كما نقل ابن حيان على يد فردلند بن عبد شلب
قومس البة والقلاع فكان أعظم القوامس وهم ولاة الاعمال من قبل الملك الاعظم
فانتقض على سانجة البة وظاهرهم ملك البشكنس على سانجة وورد سانجة على الناصر
بقرطبة صريخا فأمده واستولى بذلك الامداد على سمورة فملكها وأنزل المسلمين بها
واتصلت الحرب بين سانجة وبين فردلند الى أن أسر فردلند فى بعض أيام حروبهم
وحصل فى أسر ملك البشكنس على أن ينفذ اليه أسيره فردلند بن عبد شلب قومس البة
والقلاع فأبى من ذلك وأطلقه ووفد على المنتصر أزذون بن أدفونش المقارع لسانجة
صريخا سنة احدى وخمسين فأجابه وأنفذ غالبا مولاه فى مدده ثم هلك سانجة ملك بنى
أدفونش ببطليوس وقام بأمرهم بعده ابنه رذمير وهلك أيضا فردلند بن عبد شلب
قومس ألبة وولى بعده ابنه غرسية ولقى رذمير المسلمين بالثغر فى بعض صوائفهم
وعظمت نكايته بعد مهلك الحكم المستنصر الى أن قيض الله لهم المنصور بن أبى عامر
حاجب ابنه هشام فأثخن فى عمل رذمير وغزاه مرارا وحاصره فى سمورة ثم فى ليون

بعد

بعد أن زحف الى غرسية بن فردلند صاحب البة وظاهر معه ملك البشكنس فغلبهما
ثم ظاهروا مع رذمير وزحفوا جميعا للقائه بشنت ماكس فهزمهم واقتحمها عليهم
وخربها وتشاءم الجلالقة برذمير وخرج عليهم عمه برمند بن أرذون وافترق أمرهم
ثم رجع رذمير طاعة المنصور سنة أربع وسبعين وهلك على أثرها فأطاعت أمه
واتفقت الجلالقة على برمند بن أرذون وعقد له المنصور على سمورة والعيون
وما اتصل بهما من أعمال غليسية الى البحر الاخضر واشترط عليه فقبل ثم امتعض
برمند لما نزل بالجلالقة عيث المنصور سنة ثمان وسبعين فافتتح حيون وحاصره فى سمورة
ففر عنها وأسلمها أهلها الى المنصور فاستباحها ولم يبق لملك الجلالقة الاحصون يسيرة
بالجبل الحاجز بين بلدهم وبين البحر الاخضر ثم اختلف حال برمند فى الطاعة
والانتقاض والمنصور يردد اليه الغزو حتى أذعن وأخفر ذمته الخارج على
المنصور فأسلمه اليه سنة خمس وثمانين وضرب عليه الجزية وأوطن المسلمين مدينة
سمورة سنة تسع وثمانين وولى عليها أبا الاحوص معن بن عبد العزيز التجيبى ثم سار الى
غرسية بن فردلند صاحب البة وكان أعان المخالفين على المنصور وكان فيمن أعان عليه
حين خرج عليه فنازل المنصور مدينة أشبونة قاعدة غليسية فملكها وخربها وهلك
غرسية هذا فولى ابنه سانجة وضرب المنصور عليهم الجزية وصار أهل جليقية جميعا
فى طاعته وكانوا كالعمال له الا برمند بن أرذون ومند بن عبد شلب قومس غليسية
فانهما كانا أملك لامرهما على أن مندا بعث بنته للمنصور سنة ثلاث وثمانين وصيرها
جارية له فأعتقها وتزوجها ثم انتقض برمند وغزاه المنصور فبلغ شنت ياقب موضع
حج النصرانية ومدفن يعقوب الحوارى من أقصى غليسية وأصابها خالية فهدمها ونقل
أبوابها الى قرطبة فجعلها فى سنت الزيادة التى أضافها الى المسجد الاعظم ثم تطارح
برمند بن أرذون فى السلم وأنفذ ابنه بلاية مع معن بن عبد العزيز صاحب جليقية فوصل
به الى قرطبة وعقد له السلم وانصرف الى أبيه وألح المنصور على أرغومس من القوامس
وكانوا فى طرف جليقية بين سمورة وقشتيلة وقاعدتهم شنت برية فافتتحها سنة خمس
وثمانين ثم هلك برمند بن أرذون ملك بنى أدفونش وولى ابنه أدفونش وهو صاحب
بسيط غرسية واحتكما الى عبد الملك بن المنصور فخرج أصبغ بن سلمة قاضى النصارى
للفصل بينهما فقضى به لمند بن عبد شلب فلم يزل أدفونش برمند فى كفالته الى أن قتل
غيلة سنة ثمان فاستبد أدفونش بأمره وطلب القوامس المقتدرين على أبيه وعلى من
سلف من قومه برسوم الملك فحاز ذلك منهم لنفسه وبعث على نواحيهم من عنده وأذعنوا
له وسقط ذكرهم فى وقته مثل بنى أرغومس وبنى فردلند الذين قدمنا ذكرهم وقد

بياض بالاصل

كان قيامهم أيام سانجة بن رذمير من بنى أدفونش كما قدمناه جمعهم أدفونش للقاء عبد الملك المظفر بن المنصور فظاهرهم ملك البشكنس ولقيهم بظاهر فلونية فهزمهم وافتتح الحصن صلحا ثم انقرض أمر المنصور وبنيه وجاءت الفتنة البربرية على رأس المائة الرابعة فانتهز الفرصة فى المسلمين صاحب البة وهو سانجة بن غرسية وصار يظاهر الفرقة الخارجة على الاخرى الى ان أدرك بعض الامل وقتله ملك البشكنس سنة ست وأربعمائة وتغلب النصارى على ما كان غلب عليه بقشتالة وجلقية ولم يزل أدفونش ملكا على جليقية وأعمالها واتصل الملك فى عقبه الى ان كان شأن الطوائف وتغلب المرابطون ملوك المغرب من لمتونة على ملوك الطوائف واستولوا على الاندلس وانقرض منها ملك العرب أجمع وفى تواريخ لمتونة وأخبارهم ان ملك قشتالة الذى ضرب الجزية على ملوك الطوائف سنة خمسين وأربعمائة هو البيطبين ويظهر انه كان متغلبا على سانجة بن أبرك الملك يومئذ من بنى أدفونش وهو مذكور فى أخبارهم وانه لما هلك قام بأمره بنوه فردلند وغرسية ورذمير وولى أمرهم فردلند واحتوى على شنت برية وعلى كثير من عمل ابن الافطس ثم هلك وخلف سانجة وغرسية والفنش فتنازعوا ثم خلص الملك للفنش وعلى عهده مات الظاهر اسمعيل بن ذى النون سنة سبع وستين وأربعمائة وهو المستولى على طليطلة سنة ثمان وسبعين وهو يومئذ اعتزاز النصرانية بجزيرة الاندلس وكان من بطارقته وقواميس دولته البرهانس فكان يلقب الانبذور ومعناه ملك الملوك وهو الذى لقى يوسف بن تاشفين بالزلاقة وكانت الدائرة عليه وذلك سنة احدى وثمانين وحاصر ابن هود فى سرقسطة وكان ابن عمه رذمير منازعا له فزحف الى طليطلة وحاصرها فامتنعت عليه وحاصر القسمر بلية وغرسية المرية والبرهانس مرسية وقسطون شاطبة وسرقسطة ثم استولى على بلنسية سنة تسع وثمانين وارتجعها المرابطون من يده بعد ان غلبوا ملوك الطوائف على أمرهم ثم مات الفنش سنة احدى وخمسمائة وقام بأمر الجلالقة زوجته وتزوجت رذمير ثم فارقته وتزوجت بعده قطا من أقماطها وجاءت منه بولد كانوا يسمونه السليطين وأوقع ابن رذمير بابن هود سنة ثلاث وخمسمائة الواقعة المشهورة التى استشهد فيها وملك ابن رذمير سرقسطة وفر عماد الدولة وابنه الى روطة فأقام الى ان استنزله السليطين ونقله الى قشتالة ثم كانت بين رذمير وأهل قشتالة حروب هلك فيها البرهانس سنة سبع وخمسمائة وذلك لآخر أيام المرابطين بلمتونة ثم انقرض أمرهم على يد الموحدين وكان أمر النصارى لعهد المنصور يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن كان دائرا بين ثلاثة من ملوكهم الفنش والبيبوح وابن الرند وكبيرهم الفنش وهو أميرهم يوم

الارك

الارك الذى كان للمنصور عليهم سنة احدى وتسعين وخمسمائة والبيبوح صاحب ليون هو الذى مكر بالناصر عام العقاب فداخله وقدم عليه وأظهر له التنصيح فبذل له أموالا ثم غدر به وكر عليه الهزيمة يوم العقاب ثم هلك الناصر وولى ابنه المستنصر وفشل ريح بنى عبد المؤمن واستولى الفنش على جميع ما افتتحه المسلمون من معاقل الاندلس وارتجعها ثم هلك الفنش وولى ابنه هراندة وكان احول وكان يلقب بذلك وهو الذى ارتجع قرطبة واشبيلية من أيدى بنى هود وعلى عهده زحف ملك أرغون فارتجع شرق الاندلس كله شاطبة ودانية وبلنسية وسرقسطة وسائر الثغور والقواعد الشرقية وانحاز المسلمون الى سيف البحر وملكوا عليهم ابن الاحمر بعد ولاية ابن هود ثم هلك هراندة وولى ابنه ثم هلك ابنه وولى ابنه هراندة وأجاز بنو مرين الى الاندلس صريخا لابن الاحمر وسلطانهم يومئذ يعقوب بن عبد الحق فلقيته جموع النصرانية بواد لك وعليهم ذنبة من اقماط بنى أدفونش وزعمائهم فهزمهم يعقوب بن عبد الحق وبقيت فتن متصلة ولم يلقه يعقوب وانما كان يغزو بلادهم ويكثر فيها العيث الى أن ألقوه بالسلم وخالف على هراندة ملك قشتالة هذا ابنه سانجة فوفد هراندة على يعقوب بن عبد الحق صريخا وقبل يده فقبل وفادته وأمده بالمال والجيش ورهن فى المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم فلم يزل بدار بنى عبد الحق من بنى مرين لهذا العهد ثم هلك هراندة سنة ثلاث وثمانين واستقل ابنه سانجة بالملك ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب وعقد معه السلم ثم انتقض وحاصر طريف وملكها وهلك سنة ثلاث وتسعين فولى ابنه هراندة ثم هلك سنة ثنتى عشرة وسبعمائة فولى ابنه بطرة صغيرا وكفله عمه جوان وكان نزلهما جميعا على غرناطة عند زحفهما اليها سنة ثمان عشرة وسبعمائة فولى ابنه الهنشة بن بطرة صغيرا وكفله زعماء دولتهم ثم استبد بأمره وزحف الى السلطان أبى الحسن وهو محاصر لطريف سنة احدى وخمسين فهلك فى الطاعون الجارف وملك ابنه بطرة وقرابته القمط برشلونة فأجاره ملكها وزحف اليه بطرة مرارا وتغلب على كثير من أعماله وحاصر بلنسية مرارا ثم اتيح الغلب للقمط سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فاستولى على بلاد قشتالة وزحفت اليه أمم النصرانية لما كانوا سئموا من عنف بطرة وسوء ملكته ولحق بطرة بأمم الفرنجة الذين وراء قشتالة فى الجوف بجهات اللمانية وفرطانية الى سيف البحر الاخضر وجزيرة قدوج شنت مزين ملكهم الاعظم وهو البلنس غالس وجاء معه مددا بأمم لا تحصى حتى ملك قشتالة والقرنتيرة ورجعوا عنه الى بلادهم بعد ان أصابهم وباء هلك الكثير منهم ثم اتصلت الحرب بين بطرة وأخيه القمط الى أن غلبه القمط واعتصم منه بطرة ببعض الحصون ونازله

القمط حتى اذا أشرف على أخذه بعث بطرة الى بعض الزعماء سر النيل النزول في جواره فأجابه و وشى به لاخيه القمط فكبسه في بيت ذلك الزعيم وقتله سنة ثنتين وسبعين وسبعمائة واستولى القمط على ملك بنى ادفونش أجمع واستنزل ابن أخيه بطرة من قرمونة وقد كان اعتصم بها بعد مهلك أبيه مع وزيره مرتين لبس هو واستقام له ملك قشتالة ونازعه البلنس غالس ملك الافرنجة بالابن الذى هو من بنت بطرة على عادة العجم فى تمليك ابن البنت محتجا بأن القمط لم يكن لرشدة واتصلت الحرب بينهما وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعوا من الجزية التى كانت عليهم لمن قبله وهلك هذا القمط سنة احدى وثمانين وسبعمائة فملك ابنه سانجة وفر ابنه الآخر غرمس الى غرناطة ثم رجع الى نواحى قشتالة والامر على ذلك لهذا العهد وفتنتهم مع الفنش ملك الفرنج موصولة وعاديتهم لذلك عن المسلمين مرفوعة والله من ورائهم محيط واما ملك البرتغال بجهة اشبونة غرب الاندلس ومملكته صغيرة وهى من أعمال جليقية وصاحبها لهذا العهد متميز بسمته وملكه مشارك لابن ادفونش فى نسبه ولا أدرى كيف يتصل نسبه معهم واما ملك برشلونة بجهة شرق الاندلس فعمالتهم واسعة ومملكتهم كبيرة اشتمل على برشلونة بجهة وارغون وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة وبنورقة ونسبهم فى الفرنج وسياق الخبر عن ملكهم ما نقل ابن حيان ان الغوط الذين كانوا بالاندلس كانوا قديما فى ملك الفرنج ثم اعتزوا عليهم وامتنعوا ونبذوا اليهم عهدهم وكانت برشلونة من ممالك الفرنج وعمالاتهم فلما جاء الله بالاسلام وكان الفتح قعد الفرنج عن نصر الغوط لتلك العداوة فلما انقضى أمر الغوط زحف المسلمون الى الفرنج فازعجوهم عن برشلونة وملكوها ثم تجاوزوا الدروب من ورائها الى البسائط بالبر الكبير فملكوا من قواعدها جزيرة أربونة وما اليها من تلك البسائط ثم كانت فترة عند انقراض الدولة الاموية بالمشرق وبداية الدولة العباسية افتتن فيها العرب بالاندلس وانتهز الفرنج فرصتهم فارتجعوا بلادهم الى برشلونة فملكوها لهذا العهد مائتين من الهجرة وولوا عليهم من قبلهم وصار أمرها راجعا الى ملك رومة من الفرنجة وهو قارله الاكبر وكان من الجبابرة ثم ركبهم من الخلاف والمنافسة فى أوقات ضعفهم واختلاف ملوكهم كالذى ركبه المسلمون من ضعفت يده من الملوك فاقتطع الامراء نواحيهم بكل جهة فكان ملوك برشلونة هؤلاء ممن اقتطع عمله وكان ملوك بنى أمية لاول دولتهم يتراضون بمهادنة هؤلاء الملوك أهل برشلونة حذرا من مدد صاحب رومة ثم صاحب القسطنطينية من ورائه فلما كانت دولة المنصور بن أبى عامر بين اقطاع برشلونة عن ملك الفرنج شمر المنصور لغزوهم

واستباح بلادهم وأثخن فى أعمالهم وافتتح برشلونة وخربها وأنزل بهم النقمات وملكهم لعهده برويل بن سير وكانت حالة لظهر عليه كحاله مع سائر الملوك النصارى ولما هلك برويل ترك من الولد تلبة وريند وأومنقود ثم انتقض أومنقود على عبد الملك ابن المنصور فغزاه وأخذه فى بعض ثغوره صلحا ثم كانت الفتنة البربرية وحضرها أومنقود فهلك فى الوقعة مع البربر سنة أربعمائة وانفرد بيمند بملك برشلونة الى ان هلك بعد عشر وأربعمائة وملك ابنه بلتنفير وكفلته امه وحاربت يحيى بن منذر من ملوك الطوائف وهى التى تغلبت على ثغر طرشوشة واتصل الملك فى عقب بيمند وكان الملك منهم لآخر دولة الموحدين جامعة بن بطرة بن ادفونش بن ريند وهو الذى ارتجع بلنسية وملكهم بهذا العهد اسمه بطرة ولم يبلغنى كيف اتصال نسبه بقومه وملك بعد العشرين من هذه المائة وهو حى لهذا العهد وابنه غالب عليه لكبر سنه والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

{أخبار القائمين للدولة العباسية من العرب المستبدين بالنواحى ونبدأ منهم ببنى الاغلب ولاة افريقية وأولية أمرهم ومصاير أحوالهم}

قد ذكرنا فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه شأن فتح افريقية على يد عبد الله ابن أبى سرح وكيف زحف اليها فى عشرين ألفا من الصحابة وكبار العرب ففض جموع النصرانية الذين كانوا بها من الفرنجة والروم والبربر وهدم سبيطلة قاعدة ملكهم وخربها واستبيحت أموالهم وسبيت نساؤهم وبناتهم وافترق أمرهم وساحت خيول العرب فى جهات افريقية وأثخنوا بها فى أهل الكفر قتلا وأسرا حتى لقد طلب أهل افريقية من ابن أبى سرح ان يرحل عنهم بالعرب الى بلادهم ويعطوه ثلثمائة قنطار من الذهب ففعل وقفل الى مصر سنة سبع وعشرين

(معاوية بن خديج)

ثم أغزى معاوية بن أبى سفيان معاوية بن خديج السكونى افريقية سنة أربع وثلاثين وكان عاملا على مصر فغزاها ونازل جلولاء وقاتل مدد الروم الذى جاءها من قسطنطينية لقيهم بقصر الاحمر فغلبهم وأقلعوا الى بلادهم وافتتح جلولاء وغنم وأثخن وقفل

(عقبة بن نافع)

ثم ولى معاوية سنة خمس وأربعين عقبة بن نافع بن عبد الله بن قيس الفهرى على

افريقيـة واقتطعها عن معاوية بن خديج فبنى القيروان وقاتل البربر وتوغل فى أرضهـم

(أبو المهاجر)

ثم استعمل معاوية على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن افريقية وولى مولاه أبا المهاجر دينارا سنة خمس وخمسين فغزا المغرب وبلغ الى تلمسان وخرب قيروان عقبة واساء عزله وأسلم على يديه كسيلة الاوربى بعد حرب ظفر به فيها

(عقبة بن نافع ثانيا)

ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة رجع عقبة بن نافع الى افريقية سنة ثنتين وستين فدخل افريقية وقد نشأت الردة فى البرابرة فزحف اليهم وجعل مقدمته زهير بن قيس البلوى وفر منه الروم والافرنجة فقاتلهم وفتح حصونهم مثل لميس وباغاية وفتح أذنة قاعدة الزاب بعد أن قاتله ملوكها من البربر فهزمهم وأصاب من غنائمهم وحبس أبا المهاجر فلم يزل فى اعتقاله ثم رحل الى طنجة فأطاعه بليان ملك غمارة وصاحب طنجة وهاداه وأتحفه ودله على بلاد البربر وراءه بالمغرب مثل وايلى عند زرهون و بلاد المصامدة و بلاد السوس وكانوا على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فسار عقبة وفتح وغنم وسبى وأثخن فيهم وانتهى الى السوس وقاتل مسوفة من أهل اللثام وراء السوس ووقف على البحر المحيط وقفل راجعا وأذن لجيوشه فى اللحاق بالقيروان وكان كسيلة ملك أوربة والبرانس من البربر قد اضطغن عليه بما كان يعامله به من الاحتقار يقال انه كان يحاصره فى كل يوم و يأمره بسلخ الغنم اذا ذبحت لمطبخه فانتهز فيه الفرصة وأرسل البربر فاعترضوا له فى تهودا وقتلوه فى ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين واستشهدوا كلهم وأسر فى تلك الوقعة محمد بن أوس الانصارى فى نفر فخلصهم صاحب قفصة وبعث بهم الى القيروان مع من كان بها من المخلفين والذرارى و رجع زهير ابن قيس الى القيروان واعتزم على القتال وخالفه حنش بن عبد الله الصنعانى وارتحل الى مصر واتبعه الناس فاضطر زهير الى الخروج معهم وانتهى الى برقة فأقام بها مرابطا واستأمن من كان بالقيروان الى كسيلة فأمنهم ودخل القيروان وأقاموا فى عهده

(زهير بن قيس البلوى)

ولما ولى عبد الملك بن مروان بعث الى زهير بن قيس بمكانه من برقة بالمدد وولاه حرب

البرابرة

البرابرة فزحف سنة سبع وستين ودخل افريقية ولقيه كسيلة على ميس من نواحى القيروان فهزمه زهير بعد حروب صعبة وقتله واستلحم فى الوقعة كثير من أشراف البربر ورجالاتهم ثم قفل زهير الى المشرق زاهدا فى الملك وقال انما جئت للجهاد وأخاف ان نفسى تميل الى الدنيا وسار الى مصر واعترضه بسواحل برقة اسطول صاحب قسطنطينية جاؤا لقتاله فقاتلهم واستشهد رحمه الله تعالى

(حسان بن النعمان الغسانى)

ثم ان عبد الملك بن مروان بعد أن قتل عبد الله بن الزبير وصفا له الامر أمر حسان بن النعمان الغسانى بغزو افريقية وأمده بالعساكر ودخل القيروان وافتتح قرطاجنة عنوة وخربها وفر من كان بها من الروم والافرنجة الى صقلية والاندلس ثم اجتمعوا فى صطفورة و بنزرت وهزمهم ثانية وانحاز الفل الى باجة و بونة فتحصنوا بها ثم سار حسان الى الكاهنة ملكة جراوة بجبل أوراس وهى يومئذ أعظم ملوك البربر فحاربها وانهزم المسلمون وأسر منهم جماعة وأطلقتهم الكاهنة سوى خالد بن يزيد القيسى فانها أمسكته وأرضعته مع ولديها وصيرته أخالهما وأخرجت العرب من افريقية وانتهى حسان الى برقة وجاءه كتاب عبد الملك بالمقام حتى يأتيه المدد ثم بعث اليه المدد سنة أربع وسبعين فسار الى افريقية ودس الى خالد بن يزيد يستعمله فأطلعه على خبرهم واستحثه فلقى الكاهنة وقتلها وملك جبل اوراس وما اليه ودوخ نواحيه وانصرف الى القيروان وأمن البربر وكتب الخراج عليهم وعلى من معهم من الروم والفرنج على أن يكون معه اثنا عشر ألفا من البربر لا يفارقونه فى مواطن جهاده ورجع الى عبد الملك واستخلف على افريقية رجلا اسمه صالح من جنده

(موسى بن نصير)

ولما ولى الوليد بن عبد الملك كتب الى عمه عبد الله وهو على مصر ويقال عبد العزيز أن يبعث بموسى بن نصير الى افريقية وكان أبوه نصير من حرس معاوية فبعثه عبد الله وقدم القيروان وبها صالح خليفة حسان فعزله ورأى البربر قد طمعوا فى البلاد فوجه البعوث فى النواحى و بعث ابنه عبد الله فى البحر الى جزيرة ميورقة فغنم منها وسبى وعاد ثم بعثه الى ناحية أخرى وابنه مروان كذلك وتوجه هو الى ناحية فغنم منها وسبى وعاد و بلغ الخمس من المغنم سبعين ألف رأس من السبى ثم غزا طنجة وافتتح درعة وصحراء تافيلالت وارسل ابنه الى السوس وأذعن البربر لسلطانه ودولته

وأخذ رهائن المصامدة وأنزلهم بطنجة وذلك سنة ثمان وثمانين وولى عليها طارق بن زياد الليثى ثم أجاز طارق الى الاندلس دعاه اليها يليان ملك غمارة فكان فتح الاندلس سنة تسعين وأجاز موسى بن نصير على أثره فكمل فتحها كما ذكرناه ثم قفل موسى الى الشرق واستخلف على افريقية ابنه عبد الله وعلى الاندلس عبد العزيز وهلك الوليد وولى سليمان سنة ست وتسعين فسخط موسى وحبسه

(محمد بن يزيد)

ولما ولى سليمان وحبس موسى بن نصير عزل ابنه عبد الله عن افريقية وولى مكانه محمد ابن يزيد مولى قريش فلم يزل عليها حتى مات سليمان

(اسمعيل بن أبى المهاجر)

ولما مات سليمان استعمل عمر بن عبد العزيز على افريقية اسمعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر وكان حسن السيرة وأسلم جميع البربر فى أيامه

(يزيد بن أبى مسلم)

ولما تولى يزيد بن عبد الملك ولى على افريقية يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج وكاتبه فقدم سنة احدى ومائة واساء السيرة فى البربر ووضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة منهم تأسيا بما فعله الحجاج بالعراق فقتله البربر لشهر من ولايته ورجعوا الى محمد ابن يزيد مولى من الانصار الذين كان عليهم قبل اسمعيل وكتبوا الى يزيد بالطاعة والعذر عن قتل ابن أبى مسلم فأجابهم بالرضا وأقر محمد بن أبى يزيد على عمله

(بشر بن صفوان الكلبى)

ثم ولى يزيد على افريقية بشر بن صفوان الكلبى فقدمها سنة ثلاث ومائة فمهدها وسكن أرجاءها وغزا بنفسه صقلية سنة تسع وهلك مرجعه عنها

(عبيدة بن عبد الرحمن)

ثم عزل هشام بن عبد الملك بشر بن صفوان عن افريقية وولى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن السلمى وهو ابن أخى أبى الاعور فقدمها سنة عشر

(عبيد الله بن الحبحاب)

ثم عزل هشام عبيدة بن عبد الرحمن وولى مكانه عبيد الله بن الحبحاب مولى بنى سلول وكان واليا على مصر فأمره أن يمضى الى افريقية واستخلف على مصر ابنه أبا القاسم وسار الى

افريقية فقدمها سنة أربع عشرة وبنى جامع تونس واتخذ لها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية وبعث الى طنجة ابنه اسمعيل وجعل معه عمر بن عبيد الله المرادى وبعث على الاندلس عقبة بن حجاج القيسى وبعث حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع غازيا الى المغرب فبلغ السوس الاقصى وأرض السودان وأصاب من مغانم الذهب والفضة والسبى كثيرا ودوخ بلاد المغرب وقبائل البربر ورجع ثم أغزاه ثانية فى البحر الى صقلية سنة ثنتين وعشرين ومعه عبد الرحمن بن حبيب فنازل سرقوسة أعظم مدائن صقلية وضرب عليهم الجزية وأثخن فى سائر الجزيرة وكان محمد بن عبيد الله بطنجة قد اساء السيرة فى البربر وأراد أن يخمس من أسلم منهم وزعم أنه الفىء فاجمعوا الانتقاض وبلغهم مسير العساكر مع حبيب بن أبى عبيدة الى صقلية فثار ميسرة المظفرى بدعوة الصفرية من الخوارج وزحف الى طنجة فقتل عمر بن عبيد الله وملكها واتبعه البربر وبايعوه بالخلافة وخاطبوه بأمير المؤمنين وفشت مقالته فى سائر القبائل بافريقية وبعث ابن الحبحاب اليه خالد بن حبيب الفهرى فيمن بقى معه من العساكر واستقدم حبيب ابن أبى عبيدة من صقلية ومن معه من العساكر وبعثه فى اثر خالد واقيهم ميسرة والبربر بناحية طنجة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم تحاجزوا ورجع ميسرة الى طنجة فنكره البربر سوء سيرته فقتلوه وولوا عليهم مكانه خالد بن حبيب الزناتى واجتمع اليه البربر ولقيه خالد ابن حبيب فى العرب وعساكر هشام فانهزموا وقتل خالد بن حبيب وجماعة من العرب وسميت بهم غزوة الاشراف وانتقضت افريقية على ابن الحبحاب وبلغ الخبر الى الاندلس فعزلوا عامله عقبة بن الحجاج وولوا عبد الملك بن قطن كما مر

(كلثوم بن عياض)

ولما انتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك بهزيمة العساكر بالمغرب استنقص ابن الحبحاب وكتب اليه يستقدمه وولى على افريقية سنة ثلاث وعشرين كلثوم بن عياض وعلى مقدمته بلج بن بشر القشيرى فاساء الى أهل القيروان فشكوا الى حبيب بن أبى عبيدة وهو بتلمسان موافق للبربر فكتب الى كلثوم بن عياض ينهاه ويتهدده فاعتذر واغضى له عنها ثم سار واستخلف على القيروان عبد الرحمن بن عقبة ومر على طريق سبيبة وانتهى الى تلمسان ولقى حبيب بن عبيدة فاقتتلا ثم اتفقا ورجعا جميعا وزحف البرابرة اليهم على وادى طنجة وهو وادى سوا فانهزم بلج فى الطلائع وانتهوا الى كلثوم فانكشف واشتد القتال وقتل كلثوم وحبيب بن أبى عبيدة وكثير من الجند ونجا أهل الشأم الى سبتة مع بلج بن بشر فحاصرهم البرابرة وأرسلوا الى عبد الملك بن قطن أمير الاندلس فى ان يجيزوا اليه فأجابهم الى ذلك بشرط ان يقيموا سنة واحدة وأخذ رهنهم على ذلك وانقضت

السنة وطالبهم بالشرط فقتلوه وملك بلج الاندلس وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبيدة ابن عقبة بن نافع لما قتل أبوه حبيب مع كلثوم بن عياض وأجاز بلج الى الاندلس فلكها فأجاز عبد الرحمن الى الاندلس يحاول ملكها فلما جاء أبو الخطار الى الاندلس من قبل حنظلة ايس عبد الرحمن من أمرها فرجع الى تونس سنة ست وعشرين وقد توفى هشام وولى الوليد بن يزيد فدعا لنفسه وسار الى القيروان ومنع حنظلة من قتاله وبعث اليه وجوه الجند فانتهز عبد الرحمن الفرصة فيهم وأوثقهم لئلا يقاتله أصحابهم وأغذ السير الى القيروان فرحل حنظلة من افريقية وقفل الى المشرق سنة سبع وعشرين واستقل عبد الرحمن بملك افريقية وولى مروان بن محمد فكتب له بولايتها ثم ثارت عليه الخوارج فى كل جهة فكان عمر بن عطاب الازدى بطبنياش وعروة بن الوليد الصفرى بتونس وثابت الصنهاجى بباجة وعبد الجبار بن الحرث بطرابلس على رأى الاباضية فزحف عبد الرحمن اليهما سنة احدى وثلاثين فظفر بهما وقتلهما وسرح أخاه الياس لابن عطاب فهزمه وقتله ثم زحف الى عروة بتونس فقتله وانقطع أمر الخوارج وزحف سنة خمس وثلاثين الى جموع من البربر بنواحى تلمسان فظفر بهم وقفل ثم بعث جيشا فى البحر الى صقلية وآخر الى سردانية فاثخنوا فى امم الفرنج حتى استقروا بالجزاء ثم دالت دولة بنى العباس وبعث عبد الرحمن بطاعته الى السفاح ثم الى أبى جعفر من بعده ولحق كثير من بنى أمية الى افريقية وكان ممن قدم عليه القاضى وعبد المؤمن ابنا الوليد بن يزيد ومعهما ابنة عم لهما فزوجها عبد الرحمن من أخيه الياس ثم بلغ عبد الرحمن عنهما السعى فى الخلافة فقتلهما وامتعضت لذلك ابنة عمهما فاغرت زوجها بأخيه عبد الرحمن واستفسدته وكان عبد الرحمن قد أرسل الى أبى جعفر بهدية قليلة وذهب يعتذر عنها فلم يحسن العذر وأفحش فى الخطاب فكتب اليه المنصور يتهدده وبعث اليه بالخلعة فانتقض هو ومزق خلعته على المنبر فوجد أخوه الياس بذلك السبيل الى ما كان يحاول عليه وداخل وجوها من الجند فى الفتك بعبد الرحمن واعادة الدعوة للمنصور ومالأه فى ذلك أخوه عبد الوارث وفطن عبد الرحمن لهما فأمر الياس بالمسير الى تونس وجاء ليودعه ومعه أخوه عبد الوارث فقتلاه فى آخر سبع وثلاثين لعشر سنين من امارته

(حبيب بن عبد الرحمن)

ولما قتل عبد الرحمن نجا ابنه حبيب الى تونس فلحق به بعد ان طلبوه وضبطوا أبواب القصر ليأخذوه فلم يظفروا به وكان عمه عمران بن حبيب بتونس فلحق به واتبعه الياس فاقتتلوا مليا ثم اصطلحوا على أن يكون لحبيب قفصة وقصطيلة ونفزاوة ولعمران

تونس وصطفورة وهى تبرزو والجزيرة ولالياس سائر افريقية وتم هذا الصلح سنة ثمان وثلاثين وسار حبيب الى عمله ببلاد الجريد وسار الياس مع أخيه عمران الى تونس فغدر بعمران وقتله وجماعة من الاشراف معه وعاد الى القيروان وبعث بطاعته الى أبى جعفر المنصور مع عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضى افريقية ثم سار حبيب الى تونس فملكها وجاءه عمه الياس فقاتله وخالفه حبيب الى القيروان فدخلها وفتق السجون فرجع الياس فى طلبه وفارقه أكثر أصحابه الى حبيب فلما تواقفا دعاه حبيب الى البراز فتبارزا وقتله حبيب ودخل القيروان وملكها آخر سنة ثمان وثلاثين ونجا عمه الآخر عبد الوارث الى ورفجومة من قبائل البربر وكبيرهم يومئذ عاصم بن جميل وكان كاهنا ويدعى النبوة فأجار عبد الوارث وقاتلهم حبيب فهزموه الى قابس واستفحل أمرهم وكتب من كان بالقيروان من العرب الى عاصم بن جميل يدعونه للولاية عليهم واستحلفوه على الحماية والدعاء للمنصور فلم يجب الى ذلك وقاتلهم فهزمهم واستباح القيروان وخرب المساجد واستهانها ثم سار الى حبيب بن عبد الرحمن بقابس فقاتله وهزمه ولحق حبيب بجبل أوراس فأجاره أهله وجاء عاصم فقاتلهم فهزموه وقتل جماعة من أصحابه وقام بأمر ورفجومة والقيروان من بعده عبد الملك وقتله سنة أربعين ومائة وكانت امارة الياس على افريقية سنة ونصفا وامارة حبيب ثلاث سنين

(عبد الملك بن أبى الجعد الورفجومى)

ولما قتل عبد الملك بن أبى الجعد حبيب بن عبد الرحمن رجع فى قبائل ورفجومة الى القيروان وملكها واستولت ورفجومة على افريقية وساروا فى أهل القيروان بالعسف والظلم كما كان عاصم واسوأ منه وافترق أهل القيروان بالنواحى فرارا بأنفسهم وشاع خبرهم فى الآفاق فخرج بنواحى طرابلس عبد الاعلى بن السمح المغافرى الاباضى منكرا لذلك وقصد طرابلس وملكها

(عبد الاعلى بن السمح المغافرى)

ولما ملك عبد الاعلى مدينة طرابلس بعث عبد الملك بن أبى الجعد العساكر لقتاله سنة احدى وأربعين فلقيهم أبو الخطاب وهزمهم وأثخن فيهم واتبعهم الى القيروان فملكها وأخرج ورفجومة منها واستخلف عليها عبد الرحمن بن رستم وسار الى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية أبى جعفر

(محمد بن الاشعث الخزاعى)

كان أبو جعفر المنصور لما وقع بافريقية ما وقع من الفتنة وملك قبائل ورفجومة

القيروان وفد عليه رجالات من جند افريقية يشكون ما نزل بهم من ورفجومة ويستصرخونه فولى على مصر وافريقية محمد بن الاشعث الخزاعى فنزل مصر وبعث على افريقية أبا الاحوص عمرو بن الاحوص العجلى وسار فى مقدمته فلقيه أبو الخطاب عبد الاعلى بسرت وهزمه بالعساكر ومعهم الاغلب بن سالم بن عقال ابن خفاجة بن سوادة التميمى فسار لذلك ولقى أبا الخطاب بسرت ثانية فانهزم أبو الخطاب وقتل عامة أصحابه وذلك سنة أربع وأربعين وبلغ الخبر الى عبد الرحمن ابن رستم بالقيروان ففر عنها الى تاهرت وبنى هنالك مدينة ونزلها وقام ابن الاشعث فافتتح طرابلس واستعمل عليها المخارق غفار الطائى وقام بأمر افريقية وضبطها وولى على طبنة والزاب الاغلب بن سالم ثم ثارت عليه المضرية وأخرجوه سنة ثمان وأربعين فقفل الى المشرق الاغلب بن سالم ولما قفل ابن الاشعث الى المشرق ولى على المضرية عيسى بن موسى الخراسانى فبعث أبو جعفر المنصور الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمى بعده على افريقية وكان من أصحاب أبى مسلم بخراسان وقدم مع ابن الاشعث فولاه على الزاب وطبنة فقدم القيروان وسكن الناس ثم خرج عليه أبو قرة اليفرنى فى جموع البربر فهرب وسكن   فأبى عليه الجند وخلعوه وكان الحسن بن حرب الكندى بقابس فكاتب الجند وثبطهم عن الاغلب فلحقوا به وأقبل بهم الى القيروان فملكها ولحق الاغلب بقابس ثم رجع الى اقبال الحسن بن حرب سنة خمسين فهزمه وسار الى القيروان فكر عليه الحسن دونها واقتتلوا واصاب الاغلب سهم فقتله وقدم أصحابه عليهم المغافر بن غفار الطائى الذى كان على طرابلس وجلوا على الحسن فانهزم أمامهم الى تونس ثم لحق بكتامة وخيل المخارق فى اتباعه ثم رجع الى تونس بعد شهرين فقتله الجند وقيل أصحاب الاغلب قتلوه فى الموقف الذى قتل فيه الاغلب وقام بأمر افريقية المخارق بن غفار الى ان كان ما نذكره

(عمر بن حفص هزارمرد)

ولما بلغ أبا جعفر المنصور مقتل الاغلب بن سالم بعث على افريقية مكانه عمر بن حفص هزارمرد من ولد قبيصة بن أبى صفرة أخى المهلب فقدمها سنة احدى وخمسين فاستقامت أموره ثلاث سنين ثم سار لبناء السور على مدينة طبنة واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المهلبى فلما توجه لذلك ثار البربر بافريقية وغلبوا على من كان بها وزحفوا الى القيروان وقاتلوا أبا حازم فقتلوه واجتمع البربر الاباضية بطرابلس وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب

ابن

ابن حبيب الاباضى مولى كندة وكان على طرابلس الجنيد بن بشار الاسدى من قبل عمر بن حفص فأمده بالعساكر وقاتلوا أبا حازم فهزمهم وحصرهم بقابس وانتقضت افريقية من كل ناحية ثم ساروا فى عسكر الى طبنة وحاصروا بها عمر بن حفص فيهم أبو قرة اليفرنى فى أربعين ألفا من الصفرية وعبد الرحمن بن رستم فى خمسة عشر ألفا من الاباضية جاؤا معه والمسور الزناتى فى عشرة آلاف من الاباضية وأمم من الخوارج من صنهاجة وزناتة وهوارة ما لا يحصى فدافعهم عمر بن حفص بالاموال وفرق كلمتهم وبذل لاصحاب أبى قرة مالا فانصرفوا واضطر أبو قرة لاتباعهم فبعث عمر جيشا الى ابن رستم وهو بتهودا فانهزم الى تاهرت وضعف الاباضية عن حصار طبنة فافرجوا عنها وسار أبو حاتم الى القيروان وحاصرها ثمانية أشهر واشتد حصارها وسار عمر بن حفص وجهز العساكر لطبنة فخالفه أبو قرة الى طبنة فهزموه وبلغ أبا حاتم وأصحابه وهو على القيروان مسير عمر بن حفص اليهم فسار واللقائه فمال هو من الاربس الى تونس ثم جاء الى القيروان فدخلها واستعد للحصار واتبعه أبو حاتم والبربر فحاصروه الى أن جهده الحصار وخرج لقتالهم مستميتا فقتل آخر سنة أربع وخمسين وولى مكانه أخوه لامه حميد بن صخر فوادع أبا حاتم على أن يقيم دعوة العباسية بالقيروان وخرج أكثر الجند الى طبنة وأحرق أبو حاتم أبواب القيروان وثلم سورها

(يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب)

ولما بلغ المنصور انتقاض افريقية على عمر بن حفص وحصاره بطبنة ثم بالقيروان بعث اليه يزيد بن أبى حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة فى ستين ألف مقاتل وبلغ خبره عمر بن حفص فحمله ذلك على الاستماتة حتى قتل وسار يزيد بن حاتم فقدم عليها وأبو حاتم يعقوب بن حبيب مستول عليها فسار الى طرابلس للقائه واستخلف على القيروان عمر بن عثمان الفهرى فانتقض وقتل أصحابه وخرج المخارق بن غفار فرجع اليهما أبو حاتم فقرا من القيروان ولحقا بجيجل من سواحل كتامة فتركهما واستخلف على القيروان عبد العزيز بن السمع المغافرى وسار للقاء يزيد وسار يزيد الى طرابلس فلحق أبو حاتم بجبال نفوسة واتبعته عساكر يزيد فهزمهم فسار اليه يزيد بنفسه وقاتله قتالا شديدا فانهزم البربر وقتل أبو حاتم فى ثلاثين ألفا من أصحابه وتتبعهم يزيد بالقتل بثأر عمر بن حفص ثم ارتحل الى القيروان فدخلها منتصف سنة خمس وخمسين وكان عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن الفهرى مع أبى حاتم فلحق بكتامة وبعث يزيد فى طلبه فحاصروهم ثم ظفروا بهم وهرب عبد الرحمن وقتل جميع من كان معه وبعث يزيد المخارق بن غفار على الزاب ونزل طبنة وأثخن فى البربر فى وقائع كثيرة مع ورفجومة وغيرهم الى أن

هلك يزيد سنة سبعين ومائة فى خلافة هرون الرشيد وقام بأمره ابنه داود فخرج عليه البربر وأوقع بهم ورجع الى القيروان الى ان كان من أمره ما نذكر

(أخوه روح بن حاتم)

ولما بلغ الرشيد وفاة يزيد بن حاتم وكان أخوه روح على فلسطين استقدمه وعزاه فى أخيه وولاه على افريقية فقدمها منتصف احدى وسبعين وسار داود ابن أخيه يزيد الى الرشيد وكان يزيد قد أذل الخوارج ومهد البلاد فكانت ساكنة أيام روح ورغب فى موادعة عبد الوهاب بن رستم وكان من الوهبية فوادعه ثم هلك روح فى رمضان سنة أربع وسبعين وكان الرشيد قد بعث بعهده سرا الى نصر بن حبيب من قرابتهم فقام بالامر بعد روح الى أن ولى الفضل

(ابنه الفضل بن روح)

ولما توفى روح بن حاتم قام حبيب بن نصر مكانه وسار ابنه الفضل الى الرشيد فولاه على افريقية مكان أبيه فعاد الى القيروان فى محرم سنة سبع وسبعين واستعمل على تونس المغيرة ابن أخيه بشر بن روح وكان غلاما غرا فاستخف بالجند واستوحشوا من الفضل لما أساء فيهم السيرة واخذهم بموالاة حبيب بن نصر فاستعفى أهل تونس من المغيرة فلم يستعفهم فانتقضوا وقدموا عليهم عبد الله بن الجارود و يعرف بعبدربه الانبارى وبايعوه على الطاعة وأخرجوا المغيرة وكتبوا الى الفضل أن يولى عليهم من أراد فولى عليهم ابن عمه عبد الله بن يزيد بن أبى حاتم وسار الى تونس ولما قاربها بعث ابن الجارود جماعة لتلقيه واستفهامه فى أى شئ جاء فعدوا عليه وقتلوه افتياتا بذلك على ابن الجارود واضطر الى اظهار الخلاف وتولى كبر ذلك محمد بن الفارسى من قواد الخراسانية وكتب الى القواد والعمال فى النواحى واستفسدهم على الفضل وكثر جموع ابن الجارود وخرج الفضل فانهزم واتبعه ابن الجارود واقتحم عليه القيروان ووكل به و بأهله من يوصلهم الى قابس ثم رده من طريقه وقتله منتصف ثمان وسبعين ورجع ابن الجارود الى تونس وامتعض لقتل الفضل جماعة من الجند مقدمهم مالك بن المنذر ووثبوا بالقيروان فملكوها وسار اليهم ابن الجارود من تونس فقتلهم وقتل مالك ابن المنذر وجماعة من أعيانهم ولحق فلهم بالاندلس فقدموا عليهم الصلت بن سعيد وعادوا الى القيروان واضطربت افريقية

(خزيمة بن أعين)

ولما بلغ الرشيد مقتل الفضل بن روح وما وقع بافريقية من الاضطراب ولى مكانه

خزيمة بن أعين وبعث الى ابن الجارود يحيى بن موسى لمحله عند أهل خراسان ويقال يقطين يرغبه فى الطاعة فأجابه بشرط الفراغ من العلاء بن سعيد وعلم يقطين أنه يغالطه فداخل صاحبه محمد بن الفارسى واستماله فنزع عن ابن الجارود وخرج ابن الجارود من القيروان فرارا من العلاء فى محرم سنة تسع وسبعين لسبعة أشهر من ولايته وسار للقاء ابن الفارسى من القيروان وتزاحفا للقتال فدعا ابن الجارود ابن الفارسى الى خلوة وقد دس رجلا من أصحابه يغتاله فى خلوتهما فقتله وانهزم أصحابه وسابق العلاء ابن سعيد و يقطين الى القيروان فسبق اليها العلاء وملكها وفتك فى أصحاب ابن الجارود ولحق ابن الجارود بهرثمة فبعث به الى الرشيد وكتب اليه أن العلاء بن سعيد هو الذى أخرجه من القيروان فأمره بان يبعث بالعلاء فبعث به مع يقطين فاعتقل ابن الجارود وأحسن الى العلاء الى أن توفى بمصر وسار هرثمة الى القيروان فقدمها سنة سبع وسبعين فأمن الناس وسكنهم و بنى القصر الكبير بالمنستير سنة من قدومه و بنى السور على طرابلس مما يلى البحر وكان ابراهيم بن الاغلب عاملا على الزاب وطبنة فهاداه ولاطفه فعقد له على عمله فقام بأمره وحسن أثره ثم خرج عليه عياض بن وهب الهوارى وكليب بن جميع الكلبى وجمعا الجموع فسرح هرثمة اليهما يحيى بن موسى من قواد الخراسانية ففرق جموعهما وقتل كثيرا من أصحابهما ورجع الى القيروان ولما رأى هرثمة كثرة الثوار والخلاف بافريقية استعفى الرشيد من ولايتها فأعفاه ورجع الى العراق لسنتين ونصف من ولايته

(محمد بن مقاتل العكى)

ثم بعث الرشيد على افريقية محمد بن مقاتل العكى وكان صنيعه فقدم القيروان فى رمضان سنة احدى وثمانين فكان مسئ السيرة فاختلف عليه الجند وقدموا مخلد ابن مرة الازدى فبعث اليه العساكر فهزم وقتل ثم خرج عليه بتونس تمام بن تميم التميمى سنة ثلاث وثمانين واجتمع اليه الناس وسار الى القيروان فخرج اليه محمد بن مقاتل ولقيه فانهزم أمامه ورجع الى القيروان وتمام فى اتباعه الى أن دخل عليه القيروان وأمنه تمام على أن يخرج عن افريقية فسار محمد الى طرابلس و بلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتقض لمحمد وسار بجموعه الى القيروان وهرب تمام بين يديه الى تونس وملك القيروان واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس وأعاده الى امارته بالقيروان آخر ثلاث وثمانين وزحف تمام لقتالهم فخرج اليه ابراهيم بن الاغلب بأصحابه فهزمه وسار فى اتباعه الى تونس واستأمن له تمام فأمنه وجاء به الى القيروان وبعث به الى بغداد فاعتقله الرشيد

(ابراهيم بن الاغلب)

ولما استوثق الامر لمحمد بن مقاتل كره أهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب فى أن يطلب من الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد فى ذلك على أن يترك المائة ألف دينار التى كانت من مصر الى افريقية وعلى أن يحمل هو من افريقية أربعين ألفا وبلغ الرشيد غناؤه فى ذلك واستشار فيه أصحابه فأشار هرثمة بولايته فكتب له بالعهد الى افريقية منتصف أربع وثمانين فقام ابراهيم بالولاية وضبط الامور وقفل ابن مقاتل الى المشرق وسكنت البلاد بولاية ابن الاغلب وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها بجملته وخرج عليه سنة ست وثمانين بتونس حمديس من رجالات العرب ونزع السواد فسرح اليه ابن الاغلب عمران بن مجالد فى العساكر فقاتله وانهزم حمديس وقتل من أصحابه نحو عشرة آلاف ثم صرف همه الى تمهيد المغرب الاقصى وقد ظهر فيه دعوة العلوية بادريس بن عبد الله وتوفى ونصب البرابرة ابنه الاصغر وقام مولاه راشد بكفالته وكبر ادريس واستفحل أمره براشد فلم يزل ابراهيم يدس الى البربر ويسرب فيهم الاموال حتى قتل راشد وسيق رأسه اليه ثم قام بأمر ادريس بعده بهلول بن عبد الرحمن المظفر من رؤس البربر فاستفحل أمره فلم يزل ابراهيم يتلطفه ويستميله بالكتب والهدايا الى أن انحرف عن دعوة الادارسة الى دعوة العباسية فصالحه ادريس وكتب اليه يستعطفه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكف عنه ثم خالف أهل طرابلس على ابراهيم بن الاغلب سنة تسع وثمانين وثاروا بعاملهم سفيان بن المهاجر وأخرجوه من داره الى المسجد وقتلوا عامة أصحابه ثم أمنوه على أن يخرج من طرابلس فخرج سفيان لشهر من ولايته واستعملوا عليهم ابراهيم بن سفيان التميمى فبعث اليهم ابراهيم بن الاغلب العساكر وهزمهم ودخل طرابلس عسكره ثم استحضر ابراهيم الذين تولوا كبر ذلك فحضروا فى ذى الحجة آخر السنة وعفا عنهم وأعادهم الى بلدهم ثم انتقض عمران بن مجالد الربعى سنة خمس وتسعين على ابن الاغلب وكان بتونس واجتمع معه على ذلك قريش بن التونسى وكثرت جموعهما وسار عمران الى القيروان فملكها وقدم عليه قريش من تونس وخندق ابراهيم على نفسه بالعباسية فحاصروه سنة كاملة كانت بينه وبينهم حروب كان الظفر فى آخرها لابن الاغلب وكان عمران بعث الى أسد بن الفرات القاضى فى الخروج اليهم وامتنع ثم بعث الرشيد الى ابراهيم بالمال فنادى فى الناس بالعطاء ولحق به أصحاب عمران وانتقض أمره ولحق بالزاب فأقام به الى أن توفى ابن الاغلب ثم بعث ابراهيم على طرابلس ابنه عبد الله سنة ست وتسعين فثار عليه الجند

وحاصروه

وحاصروه بداره ثم أمنوه على أن يخرج عنهم فخرج واجتمع اليه الناس وبذل العطاء وأتاه البربر من كل ناحية وزحف الى طرابلس فهزم جندها ودخل المدينة ثم عزله أبوه وولى سفيان بن المضاء فثارت هوارة بطرابلس وهجموا الجند فلحقوا بابراهيم بن الاغلب وأعاد معهم ابنه عبد الله فى ثلاثة عشر ألفا من العساكر ففتك بهوارة وأثخن فيهم وجدد سور طرابلس وبلغ الخبر الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فجمع البربر وجاء الى طرابلس فحاصرها وسد عبد الوهاب باب زناتة وكان يقاتل من باب هوارة ثم جاءه الخبر بوفاة أبيه فصالحهم على أن يكون البلد والبحر لعبد الله وأعمالها لعبد الوهاب وسار الى القيروان وكانت وفاة ابراهيم فى شوال سنة ست وتسعين

(ابنه أبو العباس عبد الله)

ولما توفى ابراهيم بن الاغلب عهد لابنه عبد الله وكان غائبا بطرابلس والبربر يحاصرونه كما ذكرناه وأوصى ابنه الآخر زيادة الله أن يبايع له بالامارة ففعل وأخذ له البيعة على الناس بالقيروان وكتب اليه بذلك فقدم أبو العباس عبد الله فى صفر سنة سبع وتسعين ولم يرع حق أخيه فيما فعله وكان ينقصه ولم يكن فى أيامه فتنة بما مهد له أبوه الامر وكان جائرا حتى قيل ان مهلكه كان بدعوة حفص بن حميد من الاولياء الصالحين من أهل جود ومهريك وفد عليه فى جماعة من الصالحين يشكو ظلامة فلم يصغ اليهم فخرج حفص يدعو عليه وهم يؤمنون فأصابته قرحة فى أذنه عن قريب هلك منها فى ذى الحجة سنة احدى ومائتين لخمس سنين من ولايته

(أخوه زيادة الله)

ولما توفى أبو العباس ولى مكانه أخوه زيادة الله وجاءه التقليد من قبل المأمون وكتب اليه يأمره بالدعاء لعبد الله بن طاهر على منابره فغضب من ذلك وبعث مع الرسول بدنانير من سكة الادارسة يعرض له بتحويل الدعوة ثم استأذنه قرابته فى الحج وهم أخوه الاغلب وابنا أخيه أبى العباس محمد وأبو محمد ديهر وابراهيم أبو الاغلب فأذن لهم وانطلقوا لقضاء فرضهم فقضوه وأقاموا بمصر حتى وقعت بين زيادة الله وبين الجند الحروب فاستقدمهم واستوزر أخاه الاغلب وهاجت الفتن واستولى كل رئيس بناحية فملكوها عليه كلها وزحفوا الى القيروان فحصروه وكان فاتحة الخلاف زياد بن سهل بن الصقلبية خرج سنة سبع ومائتين وجمع وحاصر مدينة باجة فسرح اليه العساكر فهزموه وقتلوا أصحابه ثم انتقض منصور الترمذى بطبنة وسار الى تونس فملكها وكان العامل عليها اسمعيل بن سفيان وسفيان أخو الاغلب فقتله لتخلص له

طاعة الجند وسرح زيادة الله العساكر من القيروان مع غلبون ابن عمه ووزيره واسمه
الاغلب بن عبد الله بن الاغلب وتهددهم بالقتل ان انهزموا فهزمهم منصور وخشوا
على أنفسهم ففارقوا الوزير غلبون وافترقوا على افريقية واستولوا على باجة
والجزيرة وصطفورة والاربس وغيرها واضطربت افريقية ثم اجتمعوا الى منصور
وسار بهم الى القيروان فملكها وحاصره فى العباسية أربعين يوما وعمروا سور القيروان
الذى خربه ابراهيم بن الاغلب ثم خرج اليه زيادة الله فقاتله فهزمه ولحق بتونس وخرب
زيادة الله سور القيروان ولحق قواد الجند بالبلاد التى تغلبوا عليها فلحق منهم عامر بن
نافع الازرق بسبيبة وسرح زيادة الله سنة تسع ومائتين عسكرا مع محمد بن عبد الله بن
الاغلب فهزمهم عامر وعادوا ورجع منصور الى تونس ولم يبق على طاعة زيادة الله من
افريقية الا تونس والساحل وطرابلس ونفزاوة وبعث الجند الى زيادة الله بالامان
وأن يرحل عن افريقية وبلغه ان عامر بن نافع يريد نفزاوة وان برابرتها دعوه فسرح
اليهم مائتى مقاتل لمنع عامر بن نافع فرجع عامر عنها وهزمه الى قسطيلة ورجع ثم هرب
عنها واستولى سفيان على قسطيلة وضبطها وذلك سنة تسع ومائتين واسترجع
زيادة الله قسطيلة والزاب وطرابلس واستقام أمره ثم وقعت الفتنة بين منصور
الطبندى وبين عامر بن نافع لان منصورا كان يحسده ويضغن عليه فاستمال عامر الجند
وحاصره بقصره بطبندة حتى استأمن اليه على أن يركب الى الشرق وأجابه الى ذلك
وخرج منصور من طبندة منهزما ثم رجع فحاصره عامر حتى استأمن اليه ثانيا على يد
عبد السلام بن المفرج من قواد الجند وأخذ له الامان من عامر على أن يركب البحر
الى المشرق فأجابه عامر وبعثه مع ثقاته الى تونس وأوصى ابنه وكان يغريه أن يقتله
اذا مر به فقتله وبعث برأسه ورأس ابنه وأقام عامر بن نافع بمدينة تونس الى أن توفى
سنة أربع عشرة ورجع عبد السلام بن المفرج الى باجة فأقام بها الى أن انتقض فضل
ابن أبى العين بجزيرة شريك سنة ثمان عشرة ومائتين فسار اليه عبد السلام بن
المفرج الربعى وجاءت عساكر زيادة الله فقاتلوهما وقتل عبد السلام وانهزم فضل الى
مدينة تونس وامتنع بها وحاصرته العساكر حتى اقتحموها عليه وقتلوا كثيرا من
أهلها وهرب آخرون حتى أمنهم زيادة الله وعادوا وفى سنة تسع عشرة ومائتين فتح أسد
ابن الفرات صقلية كانت صقلية من عمالات الروم وأمرها راجع الى صاحب
قسطنطينية وولى عليها سنة احدى عشرة ومائتين بطريقا اسمه قسطنطيل واستعمل
على الاسطول قائدا من الروم حازما شجاعا فغزا سواحل افريقية وانتهبها ثم بعد مدة
كتب ملك الروم الى قسطنطيل يأمره بالقبض على مقدم الاسطول وقتله ونمى الخبر

اليه

اليه بذلك فانتقض وتعصب له أصحابه وسار الى مدينة سرقوسة من بلاد صقلية فملكها
وقاتله قسطنطيل فهزمه القائد ودخل مدينة قطانية فأتبعه جيشا أخذوه وقتلوه
واستولى القائد على صقلية فملكها وخوطب بالملك وولى على ناحية من الجزيرة رجلا
اسمه بلاطة وكان ميخاييل ابن عم بلاطة على مدينة بلرم فانتقض هو وابن عمه على
القائد واستولى بلاطة على مدينة سرقوسة وركب القائد فى أساطيله الى افريقية
مستنجدا بزيادة الله فبعث معهم العساكر واستعمل عليهم أسد بن الفرات قاضى
القيروان فخرجوا فى ربيع سنة ثنتى عشرة فنزلوا بمدينة مازر وساروا الى بلاطة ولقيهم
القائد وجميع الروم الذين بها استمدهم فهزموا بلاطة والروم الذين معه وغنموا أموالهم
وهرب بلاطة الى قلورية فقتل واستولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة ووصلوا
الى قلعة الكرات وقد اجتمع بها خلق كثير فخادعوا القاضى أسد بن الفرات
فى المراودة على الصلح وأداء الجزية حتى استعدوا للحصار ثم امتنعوا عليه فحاصرهم
وبعث السرايا فى كل ناحية وكثرت الغنائم وحاصروا سرقوسة برا وبحرا وجاءه المدد
من افريقية وحاصروا بلرم وزحف الروم الى المسلمين وهم يحاصرون سرقوسة
قد بعثوهم واشتد حصار المسلمين بسرقوسة ثم أصاب معسكرهم الفناء وهلك كثير منهم
ومات أسد بن الفرات أميرهم ودفن بمدينة قصريانة ومعهم القائد الذى جاء يستنجدهم
فخادعه أهل قصريانة وقتلوه وجاء المدد من القسطنطينية فتصافوا مع المسلمين
وهزموهم ودخل فلهم الى قصريانة ثم توفى محمد بن الجوارى أمير المسلمين وولى بعده
زهير بن عوف ثم محص الله المسلمين فهزمهم الروم مرات وحصروهم فى معسكرهم
حتى جهدهم الحصار وخرج من كان فى كبركيت من المسلمين بعد أن هدموها وساروا
الى مازر وتعذر عليهم الوصول الى اخوانهم وأقاموا كذلك الى سنة أربع عشرة
الى أن أشرفوا على الهلاك فوصلت مراكب افريقية مددا واسطول من الاندلس
خرجوا للجهاد واجتمع منهم ثلثمائة مركب فنزلوا الجزيرة وأفرج الروم عن حصار
المسلمين وفتح المسلمون مدينة بلرم بالامان سنة سبع عشرة ثم ساروا سنة تسع عشرة
الى مدينة قصريانة وهزموا الروم عليها سنة عشرين ثم بعثوا الى طرميس ثم بعث
زيادة الله الفضل بن يعقوب فى سرية الى سرقوسة فغنموا ثم سارت سرية أخرى
واعترضها بطريق صقلية فامتنعوا منه فى وعر وخمل من الشعراء حتى يئس منهم
وانصرف على غير طائل فحمل عليهم أهل السرية وانهزموا وسقط البطريق عن فرسه
فطعن وجرح وغنم المسلمون ما معهم من سلاح ودواب ومتاع ثم جهز زيادة الله
الى صقلية ابراهيم بن عبد الله بن الاغلب فى العساكر وولاه أميرا عليها فخرج منتصف

رمضان وبعث اسطولا فلقى اسطولا للروم فغنمه وقتل من كان فيه وبعث اسطولا آخر الى قصوره فلقى اسطولا فغنمه وسارت سرية الى جبل النار والحصون التى فى نواحيها وكثر السبى بايدى المسلمين وبعث الاغلب سنة احدى وعشرين اسطولا نحو الجزائر فغنموا وعادوا وبعث سرية الى قطلبانة وأخرى الى قصريانة كان فيهما التمحيص على المسلمين ثم كانت وقعة أخرى كان فيها الظفر للمسلمين وغنم المسلمون من اسطولهم تسع مراكب ثم عثر بعض المسلمين على عورة من قصريانة فدل المسلمين عليها ودخلوا منها البلد وتحصن المشركون بحصنه حتى استأمنوا ونفعه الله وغنم المسلمون غنائمه وعادوا الى بلرم الى ان وصلهم الخبر بوفاة زيادة الله فوهنوا أولا ثم انشطوا وعادوا الى الصبر والجهاد وكانت وفاة زيادة الله منتصف سنة ثلاث وعشرين ومائتين لاحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته

(أخوهما أبو عقال الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب)

ولما توفى زيادة الله بن ابراهيم تولى أخوه الاغلب ويكنى أبا عقال فأحسن الى الجند وازال المظالم وزاد العمال فى أرزاقهم وكفهم عن الرعية وخرج عليه بقسطيلة خوارج زواغة ولواتة وبكاسة وقتلوا عاملها بها وبعث اليهم العساكر فقتلهم واستأصلهم وبعث سنة أربع وعشرين سرية الى صقلية فغنموا وعادوا ظافرين وفى سنة خمس وعشرين استأمن للمسلمين عدة حصون من صقلية فأمنوهم وفتحوها صلحا وسار اسطول المسلمين الى قلورية ففتحوها ولقوا اسطول القسطنطينية فهزموهم وفى سنة ست وعشرين سارت سرايا المسلمين بصقلية الى قصريانة ثم حصن الغيران وأثخنوا فى نواحيها كما نذكر ثم توفى الاغلب بن ابراهيم فى ربيع من سنة ست وعشرين ومائتين لسنتين وسبعة أشهر من امارته

(ابنه أبو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم)

ولما توفى أبو عقال الاغلب ولى بعده ابنه أبو العباس ودانت له افريقية وشيد مدينة بقرب تاهرت وسماها العباسية وذلك سنة سبع وعشرين وأحرقها أفلح بن عبد الوهاب ابن رستم وكتب الى صاحب الاندلس يتقرب اليه بذلك فبعث اليه بمائة ألف درهم وفى أيامه ولى سحنون القضاء سنة أربع وثلاثين بعد عزل ابن الجواد وضربه سحنون فمات ومات سحنون سنة أربعين ومائتين وثار عليه أخوه أبو جعفر وغلبه ثم اتفقا على ان يستوزره فاستبد عليه وقتل وزراءه ومكث على ذلك ثم أقام أبو العباس محمد بأمره واستبد سنة ثلاث وأربعين بعد ان استعد لذلك رجالا وحارب أخوه أبو جعفر فغلبه محمد

واستقض عليه وأخرجه من افريقية الى مصر سنة ست وأربعين ومائتين لستة عشر شهرا من ولايته

(ابنه أبو ابراهيم أحمد بن أبى العباس محمد)

لما توفى أبو العباس محمد بن أبى عقال سنة ثنتين وأربعين ولى مكانه ابنه أبو ابراهيم أحمد فأحسن السيرة وأكثر العطاء للجند وكان مولعا بالعمارة فبنى بافريقية نحوا من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد واتخذ العبيد جندا وخرج عليه بناحية طرابلس خوارج من البربر فغلبهم عاملها وهو يومئذ أخوه عبد الله بن محمد بن الاغلب سرح اليهم أخاه زيادة الله يحاربهم واستلحمهم وكتب الى أخيه أبى ابراهيم بالفتح وفى أيامه افتتحت قصريانة من مدن صقلية فى شوال سنة أربع وأربعين وبعث بفتحها الى المتوكل وأهدى له من سبيها ثم توفى ابراهيم هذا سنة تسع وأربعين لثمان سنين من ولايته

(ابنه زيادة الله الاصغر بن أبى ابراهيم بن أحمد)

ولما توفى أبو ابراهيم ولى مكانه ابنه زيادة الله ويعرف بزيادة الله الاصغر فجرى على سنن سلفه ولم تطل أيامه وتوفى سنة خمسين لحول من ولايته

(أخوه أبو الغرانيق بن أبى ابراهيم بن أحمد)

ولما توفى زيادة الله كما قدمناه ولى مكانه أخوه محمد ويلقب بابى الغرانيق فغلب عليه اللهو والشراب وكانت فى أيامه حروب وفتن وفتح جزيرة مالطة سنة خمس وخمسين وتغلب الروم على مواضع من جزيرة صقلية وبنى محمد حصونا ومحارس على ساحل البحر بالمغرب على مسيرة خمسة عشر يوما من برقة الى جهة المغرب وهى الآن معروفة ثم توفى أبو الغرانيق منتصف احدى وستين لاحدى عشرة سنة من ولايته

(بقية أخبار صقلية)

وفى سنة ثمان وعشرين سار الفضل بن جعفر الهمدانى فى البحر ونزل مرسى مسينة وحاصرها فامتنعت عليه وبث السرايا فى نواحيها فغنموا ثم بعث طائفة من عسكره وجاؤا الى البلد من وراء جبل مطل عليه وهم مشغولون بقتاله فانهزموا وأعطوا البلد ففتحها ثم حاصر سنة ثنتين وثلاثين مدينة لنتينى وكاتب أهلها بطريق صقلية يستمدونه فأجابهم وأعطاهم العلامة بايقاد النار على الجبل وبلغ ذلك الفضل بن جعفر فأوقد النار على الجبل وأكمن لهم من ناحيته فخرجوا واستطرد لهم حتى جاوزوا الكمين فخرجوا عليهم فلم ينج منهم الا القليل وسلموا البلد على الامان وفى سنة ثلاث وثلاثين

أجاز المسلمون الى أرض انكبردة من البر الكبير وملكوا منها مدينة وسكنوها وفى سنة أربع وثلاثين صالح أهل رغوس وسلموا المدينة للمسلمين فهدموها بعد أن حملوا جميع ما فيها وفى سنة ثلاث وثلاثين توفى أمير صقلية محمد بن عبد الله بن الاغلب واجتمع المسلمون بعده على ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب بعد موت أميرهم وكتب له محمد ابن الاغلب بعهده على صقلية وكان من قبل يغزو ويبعث السرايا وتأتيه الغنائم ولما جاءه كتاب الولاية خرج بنفسه وعلى مقدمته عمه رياح فعاث فى نواحى صقلية وردد البعوث والسرايا الى قطانية وسرقوسة وبوطيف ورغوس فغنموا وخربوا وحرقوا وافتتح حصونا جمة وهزم أهل قصريانة وهى مدينة ملك صقلية وكان الملك قبله يسكن سرقوسة فلما افتتحها المسلمون كما ذكرناه انتقل الملك الى قصريانة وخبرتها أن العباس كان يردد الغزو الى نواحى سرقوسة وقصريانة شاتية وصائفة فيصيب منهم ويرجع بالغنائم والاسارى فلما كان فى شاتية منها أصاب منهم أسارى وقدمهم للقتل فقال له بعضهم وكان له قدر وهيبة استبقنى وأنا أملك قصريانة ودلهم على عورة البلد فجاؤها ليلا ووقفهم على باب صغير فدخلوا منه فلما توسطوا البلد وضعوا السيف وفتحوا الابواب ودخل العباس فى العسكر فقتل المقاتلة وسبى بنات البطارقة وأصاب فيها ما يعجز الوصف عنه وذل الروم بصقلية من يومئذ وبعث ملك الروم عسكرا عظيما مع بعض بطارقته وركبوا البحر الى مرسى سرقوسة فجاءهم العباس من بلرم فقاتلهم وهزمهم وأقلع فلهم الى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من اسطولهم ثلاثة أو أكثر وذلك سنة سبع وثلاثين وافتتح بعدها كثيرا من قلاع صقلية وجاء مدد الروم من القسطنطينية وهو يحاصر قلعة الروم فنزلوا سرقوسة وزحف اليهم العباس من مكانه وهزمهم ورجع الى قصريانة فحصنها وأنزل بها الحامية ثم سار سنة سبع وأربعين الى سرقوسة فغنم ورجع واعتل فى طريقه فهلك منتصف سنته ودفن فى نواحى سرقوسة وأحرق النصارى شلوه وذلك لاحدى عشرة سنة من امارته واتصل الجهاد بصقلية والفتح وأجاز المسلمون الى عدوة الروم فى الشمال وغزوا أرض قلورية وانكبردة وفتحوا فيها حصونا وسكن بها المسلمون ولما توفى العباس اجتمع الناس على ابنه عبد الله وكتبوا الى صاحب افريقية وبعث عبد الله السرايا ففتح القلاع وبعد خمسة أشهر من ولايته وصل خفاجة بن سفيان من افريقية على صقلية فى منتصف ثمان وأربعين وأخرج ابنه محمودا فى سرية الى سرقوسة فعاث فى نواحيها وخرج اليهم الروم فقاتلهم وظفر ورجع ثم فتح مدينة نوطوس سنة خمس وخمسين الى سرقوسة وجبل النار واستأمن اليه أهل طرميس ثم غدروا فسرح ابنه محمدا فى العساكر وسبى أهلها ثم سار خفاجة الى رغوس

وافتتحها وأصابه المرض فعاد الى بلرم ثم سار سنة ثلاث وخمسين الى سرقوسة وقطانية فخرب نواحيها وأفسد زرعها وبعث سراياه فى أرض صقلية فامتلأت أيديهم من الغنائم وفى سنة أربع وخمسين وصل بطريق من القسطنطينية لاهل صقلية فقاتله جمع من المسلمين وهزموه وعاث خفاجة فى نواحى سرقوسة ورجع الى بلرم وبعث سنة خمس وخمسين ابنه محمدا فى العساكر الى طرميس وقد دله بعض العيون على بعض عوراتها فدخلوها وشرعوا فى النهب وجاء محمد بن خفاجة من ناحية أخرى فظنوه مددا للعدو فاجفلوا ورآهم محمد مجفلين فرجع ثم سار خفاجة الى سرقوسة فحاصرها وعاث فى نواحيها ورجع فاغتاله بعض عسكره فى طريقه وقتله وذلك سنة خمس وخمسين وولى الناس عليهم ابنه محمدا وكتبوا الى محمد بن أحمد أمير افريقية فأقره على الولاية وبعث اليه بعهده

(ابراهيم بن أحمد أخو أبى الغرانيق)

ولما توفى أبو الغرانيق ولى أخوه ابراهيم وقد كان عهد لابنه أبى عقال واستحلف أخاه ابراهيم أن لا ينازعه ولا يعرض له بل يكون نائبا عنه الى أن يكبر فلما مات عدا عليه أهل القيروان وحملوه على الولاية عليهم لحسن سيرته وعدله فامتنع ثم أجاب وترك وصية أبى الغرانيق فى ولده أبى عقال وانتقل الى قصر الامارة وقام بالامر أحسن قيام وكان عادلا حازما فقطع البغى والفساد وجلس لسماع شكوى المتظلمين فأمنت البلاد وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر حتى كانت النار توقد فى ساحل سبتة للنذير بالعدو فيصل ايقادها بالاسكندرية فى الليلة الواحدة وبنى سور سوسة وفى أيامه كان مسير العباس بن أحمد بن طولون مخالفا على أبيه صاحب مصر سنة خمس وستين فملك برقة من يد محمد بن قهرب قائد ابن الاغلب ثم ملك لبدة ثم حاصر طرابلس واستمد ابن قهرب نفوسة فأمدوه والتقى العباس بن طولون بقصر حاتم سنة سبع وستين فهزمه ورجع الى مصر ثم خالفت وزداجة ومنعوا الرهن وفعلت مثل ذلك هوارة ثم لواتة وقتل ابن قهرب فى حروبهم فسرح ابراهيم ابنه أبا العباس عبد الله اليهم فى العساكر سنة تسع وستين فأثخن فيهم وفى سنة ثمانين كثر الخوارج وفرق العساكر اليهم فاستقاموا واستركب العبيد السودان واستكثر منهم فبلغوا ثلاثة آلاف وفى سنة احدى وثمانين انتقل الى سكنى تونس واتخذ بها القصور ثم تحرك الى مصر سنة ثلاث وثمانين لمحاربة ابن طولون واعترضته نفوسة فهزمهم وأثخن فيهم ثم انتهى الى سرت فانفضت عنه الحشود فرجع وبعث ابنه أبا العباس عبد الله على صقلية سنة سبع وثمانين فوصل اليها فى مائة وستين مركبا وحصر طرابنة وانتقض عليه بلرم وأهل كبركيت وكانت بينهم فتنة

فاغراه كل واحد منهم بالآخرين ثم اجتمعوا لحربه وزحف اليه أهل بلرم فى البحر فهزمهم واستباحهم وبعث جماعة من وجوهها الى أبيه وفر آخرون من أعيانهم الى القسطنطينية وآخرون الى طرميس فاتبعهم وعاث فى نواحيها ثم حاصر أهل قطانية فامتنعوا عليه فأعرض عن قتال المسلمين وتجهز سنة ثمان وثمانين للغزو فغزا دمقش ثم مسيني ثم جاء فى البحر الى ربو ففتحها عنوة وشحن مراكبه بغنائمها ورجع الى مسيني فهدم سورها وجاء مدد القسطنطينية فى المراكب فهزمهم وأخذ لهم ثلاثين مركبا ثم أجاز الى عدوة الروم وأوقع بأمم الفرنجة من وراء البحر ورجع الى صقلية وجاء فى هذه السنة رسول المعتضد بعزل الامير ابراهيم لشكوى أهل تونس به فاستقدم ابنه أبا العباس من صقلية وارتحل هو اليها مظهرا الغربة الانتجاع هكذا قال ابن الرقيق وذكر انه كان جائرا ظلوما سفاكا للدماء وانه أصابه آخر عمره ماليخوليا أسرف بسببها فى القتل فقتل من خدمه ونسائه وبناته مالا يحصى وقتل ابنه أبا الاغلب لظن ظنه به وافتقد ذات يوم منديلا لشرابه فقتل بسببه ثلثمائة خادم وأما ابن الاثير فاثنى عليه بالعقل والعدل وحسن السيرة وذكر أن فتح سرقوسة كان فى أيامه على يد جعفر بن محمد أمير صقلية وأنه حاصرها تسعة أشهر وجاءهم المدد من قسطنطينية فى البحر فهزمهم ثم فتح البلد واستباحها واتفقوا كلهم على أنه ركب البحر من افريقية الى صقلية فنزل طرابنة ثم تحول عنها الى بلرم ونزل على دمشق وحاصرها سبعة عشر يوما ثم فتح مسيني وهدم سورها ثم فتح طرميس آخر شعبان من سنة تسع وثمانين ووصل ملك الروم بالقسطنطينية ففتحها ثم بعث حافده زيادة الله ابن ابنه أبى العباس عبد الله الى قلعة يقش فافتتحها وابنه أبو محرز الى رمطة فأعطوا الجزية ثم عبر الى عدوة البحر وسار فى بر الفرنج ودخل قلورية عنوة فقتل وسبى ورهب منه الفرنجة ثم رجع الى صقلية ورغب منه النصارى فى قبول الجزية فلم يجب الى ذلك ثم سار الى كنسة فحاصرها واستأمنوا اليه فلم يقبل ثم هلك وهو محاصر لها آخر تسع وثمانين لثمان وعشرين سنة من امارته فولى أهل العسكر عليهم حافده أبا مضر ليحفظ العساكر والامور الى أن يصل ابنه أبو العباس وهو يومئذ بافريقية فأمن أهل كنسة قبل أن يعلموا بموت جده وقبل منهم الجزية وأقام قليلا حتى تلاحقت به السرايا من النواحى ثم ارتحل وحمل جده ابراهيم فدفنه فى بلرم وقال ابن الاثير حمله الى القيروان فدفنه بها

(ظهور الشيعى بكتامة)

وفى أيامه ظهر أبو عبد الله الشيعى بكتامة يدعو للرضا من آل محمد ويبطن الدعوة لعبيد الله المهدى من ابناء اسمعيل الامام واتبعه كتامة وهو من الاسباب التى دعته

للتوبة والاقلاع والخروج الى صقلية وبعث اليه موسى بن عياش صاحب ميلة بالخبر وبعث ابراهيم رسوله الى الشيعى بانكجان يهدده ويحذره فلم يقبل وأجابه بما يكره فلما قربت أمور أبى عبد الله وجاء كتاب المعتضد لابراهيم كما قدمناه أظهر التوبة ومضى الى صقلية وكانت بعده بافريقية حروب أبى عبد الله الشيعى مع قبائل كتامة حتى استولى عليهم واتبعوه وكان ابراهيم قد أسر لابنه أبى العباس فى شأن الشيعى ونهاه عن محاربته وأن يلحق به الى صقلية ان ظهر عليه

(ابنه أبو العباس عبد الله بن ابراهيم أخى محمد أبى الغرانيق)

ولما هلك ابراهيم سنة تسع وثمانين كما قدمناه قدم حافده زيادة الله بالجيوش على أبيه أبى العباس عبد الله فقام بأمر افريقية وعظم غناؤه وكتب الى العمال كتابا يقرأ على الناس بالوعد الجميل والعدل والرفق والجهاد واعتقل ابنه زيادة الله هذا لما بلغه عنه من اعتكافه على اللذات واللهو وأنه يروم التوثب عليه وولى على صقلية مكانه محمد بن السرقوسى وكان أبو العباس حسن السيرة عادلا بصيرا بالحروب وكانت أيامه صالحة وكان نزوله بتونس ولما تم فى استولى أبو عبد الله الشيعى على كتامة ودخلوا فى أمره كافة وزحف الى ميلة فافتتحها وقتل موسى بن عياش وكان فتح بن يحيى أمير مسالة من كتامة حارب أبا عبد الله طويلا ثم غلبه واستولى على قومه فنزع فتح الى أبى العباس وحرضه على قتال بكتاخول وانما كان يكر على جفنة اذا انظر وزحف اليه من تونس سنة تسع وثمانين ودخل سطيف ثم بلزمه وقتل من دخل فى دعوتهم ولقيه أبو عبد الله الشيعى فانهزم وهرب من تاوزرت الى انكجان وهدم أبو خول قصر الشيعى ثم قاتلهم يوما الى الليل فانهزم عسكر أبى خول ولحق بتونس ورجع بكتامة الى مواضعهم ولما دخل أبو خول بأبيه جدد له العسكر وأعاده ثانية وانتظمت اليه القبائل وسار حتى نزل سطيف ثم ارتحل منها الى لقائهم وزحف اليه أبو عبد الله فهزمه ورجع الى سطيف ثم ارتحل منها الى لقائهم وفى أثناء ذلك صانع زيادة الله بعض الخدم على قتل أبيه أبى العباس فقتل نائما فى شعبان سنة تسعين ومائتين واطلق زيادة الله من اعتقاله

(ابنه أبو مضر زيادة الله)

ولما أطلق زيادة الله من الاعتقال اجتمع أهل الدولة وبايعوه فقتل الخصيان الذين قتلوا أباه وأقبل على اللذات واللهو ومعاشرة المضحكين والصفاعين وأهمل أمور الملك

واستقل وكتب الى أخيه أبي خول على لسان أبيه يستقدمه وقدم فقتله وقتل عمومته واخوته وقوى أمر الشيعي وانتقل زيادة الله الى رقادة لئلا ان يخالفه الشيعي اليها وفتح الشيعي مدينة سطيف فسرح زيادة الله العساكر لحربه وعقد عليها لابراهيم ابن حبيش من صنائعه فخرج في أربعين ألفا وأقام بقسطيلة ستة أشهر فاجتمعت اليه مائة ألف وزحف الى كتامة وتلاقوه بباجانة فاخترمت عساكره وولت الهزيمة عليه وانتهى الى باغاية ثم انتقل الى القيروان وافتتح أبو عبد الله مدينة طبنة وقتل فتح ابن يحيى المسالتي وكان بها ثم فتح بلزمة وهدم سورها ثم وصل عروبة بن يوسف من امراء كتامة الى باغاية وأوقع بالعساكر التي كانت بها بجمرة لحريم بنظر هرون بن الطبني وأرسل أبو عبد الله الشيعي الى تيجس فحاصرها ثم افتتحها صلحا وكثر الارجاف بالقيروان ففتح زيادة الله ديوان العطاء واستلحق واستركب وأجمع الخروج فخرج الى الاربس سنة خمس وتسعين فلما انتهى اليها تخوف غائلة الشيعي وأشار عليه أهل بيته بالرجوع فرجع الى رقادة وقدم على العساكر ابراهيم بن أبي الاغلب من وجوه أهل بيته ثم زحف أبو عبد الله الى باغاية ففتحها صلحا وهرب عاملها ثم سرب أبو عبد الله الجيوش فبلغت مجانة وأوقعوا بقبائل نفزة واستولوا على تيفاش وزحف ابن أبي الاغلب الى تيفاش فمنعه أهلها وهزمه واطلائعه فافتتحها وقتل من كان بها ثم خرج أبو عبد الله الشيعي في عساكر كتامة الى باغاية ثم الى سكاية ثم الى سبيبة ثم الى قودة فاستولى على جميعها وأمن أهلها ورحل ابن أبي الاغلب من الاربس ثم سار أبو عبد الله الى قسطيلة وقفصة فأمنهم ودخلوا في دعوته وانصرف الى باغاية ثم الى انكجان وزحف ابن أبي الاغلب الى باغاية فقاتلها وامتنعت عليه ورجع الى الاربس ثم زحف أبو عبد الله الى الاربس سنة ست وتسعين في جمادى ومر بشقبنارية وأمن أهلها الى قودة

(خروج زيادة الله الى المشرق)

ولما وصل الخبر الى زيادة الله بوصول الشيعي الى قودة حمل أمواله وأثقاله ولحق بطرابلس معتزما على الشرق وأقبل الشيعي الى افريقية وفي مقدمته عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير ووصل الى رقادة في رجب سنة ست وتسعين وتلقاه أهل القيروان وبايعوا لعبيد الله المهدي كما ذكرناه في أخبارهم ودولتهم وأقام زيادة الله بطرابلس سبعة عشر يوما وانصرف ومعه ابراهيم بن الاغلب وكان نمى عنه أنه أراد الاستبداد لنفسه بالقيروان بعد خروج زيادة الله فاعرض عنه واطرحه وبلغ مصر فمنعه عاملها عيسى النوشري من الدخول الا عن أمر الخليفة وأنزله بظاهر البلد ثمانية أيام وانصرف الى ابن الفرات وزير المقتدر يستأذن له في الدخول فأتاه كتابه بالمقام

في

في الرقة حتى يأتيه رأى المقتدر فأقام بها سنة ثم جاءه كتاب المقتدر بالرجوع الى افريقية وامر النوشري بامداده بالرجال والمال لاسترجاع الدعوة بافريقية ووصل الى مصر فأصابته بها علة مزمنة وسقط شعره ويقال انه سم وخرج الى بيت المقدس ومات بها وتفرق بنو الاغلب وانقطعت أيامهم والبقاء لله وحده والله سبحانه وتعالى أعلم

{بقية أخبار صقلية ودولة بني أبي الحسن الكلبيين بها من العرب}
{المستبدين بدعوة العبيديين وبداية أمرهم وتصاريف أحوالهم}

ولما استولى عبيد الله المهدي على افريقية ودانت له وبعث العمال في نواحيها بعث على جزيرة صقلية الحسن بن محمد بن أبي خنزير من رجالات كتامة فوصل الى مازر سنة سبع وتسعين في العساكر فولى أخاه على كبركيت وولى على القضاء بصقلية اسحق بن المنهال ثم سار سنة ثمان وتسعين في العساكر الى ومش فعاث في نواحيها ورجع ثم شكى أهل صقلية سوء سيرته وثاروا به وحبسوه وكتبوا الى المهدي معتذرين فقبل عذرهم وولى عليهم أحمد بن قهرب وبعث سرية الى أرض قلورية فدوخوها ورجعوا بالغنائم والسبي ثم أرسل سنة ثلثمائة ابنه عليا الى قلعة طرمين المحدثة ليتخذها حصنا لحاشيته وأمواله حذرا من ثورة أهل صقلية فحصرها ابنه ستة أشهر ثم اختلف عليه العسكر فأحرقوا خيامه وأرادوا قتله فمنعه العرب ودعاهو الناس الى طاعة المقتدر فأجابوه وقطع خطبة المهدي وبعث الاسطول الى افريقية ولقوا أسطول المهدي وقائده الحسن بن أبي خنزير فقتلوه وأحرقوا الاسطول وسار أسطول ابن قهرب الى صفاقس فخربوها وانتهوا الى طرابلس وانتهى الخبر الى القائم بن المهدي ثم وصلت الخلع والالوية من المقتدر الى ابن قهرب ثم بعث الجيش في الاسطول الى قلورية فعاثوا في نواحيها ورجعوا ثم بعث ثانية اسطولا الى افريقية فظفر به اسطول المهدي فانتقض أمره وعصى عليه أهل كبركيت وكاتبوا المهدي ثم ثار الناس بابن قهرب آخر الثلثمائة وحبسوه وأرسلوه الى المهدي فأمر بقتله على قبر ابن خنزير في جماعة من خاصته وولى على صقلية أبا سعيد بن أحمد وبعث معه العساكر من كتامة فركب اليها البحر فنزل في طرابنة وعدى عليه أهل صقلية بمن معه من العساكر فامتنعوا عليه وقاتله أهل كبركيت وأهل طرابنة فهزمهم وقتلهم ثم استأمن اليه أهل طرابنة فأمنهم وهدم أبوابها وأمره المهدي بالعفو عنهم ثم ولى المهدي على صقلية سالم بن راشد وأمده سنة ثلاث عشرة بالعساكر فعبر البحر الى أرض انكبردة فدوخها وفتحوا فيها حصونا ورجعوا ثم عادوا اليها ثانية وحاصروا مدينة ادرنت أياما ورحلوا عنها ولم يزل أهل صقلية يغيرون على ما بأيدي الروم من جزيرة صقلية وقلورية ويعيثون في نواحيها

وبعث المهدى سنة ثنتين وعشرين جيشا فى البحر مع يعقوب بن اسحق فعاث فى نواحى جنوة ورجعوا ثم بعث جيشه من قابل ففتحوا مدينة جنوة ومروا بسردانية فأحرقوا فيها مراكب وانصرفوا ولما كانت سنة خمس وعشرين انتقض أهل كبركيت على أميرهم سالم بن راشد وقاتلوا جيشه وخرج اليهم سالم بنفسه فهزمهم وحصرهم ببلدهم واستمد القائم فأمده بالعساكر مع خليل بن اسحق فلما وصل الى صقلية شكا اليه أهلها من سالم بن راشد واسترحمته النساء والصبيان وجاءه أهل كبركيت وغيرها من أهل صقلية بمثل ذلك فرق لشكواهم ودس اليهم سالم بأن خليلا انما جاء للانتقام منهم بمن قتلوا من العسكر فعاودوا الخلاف واختط خليل مدينة على مرسى المدينة وسماها الخالصة وتحقق بذلك أهل كبركيت ما قال لهم سالم واستمدوا للعرب فسار اليهم خليل منتصف ست وعشرين وحصرهم ثمانية أشهر يغاديهم بالقتال ويراوحهم حتى اذا جاء الشتاء رجع الى الخالصة واجتمع أهل صقلية على الخلاف واستمدوا ملك القسطنطينية فأمدهم بالمقاتلة والطعام واستمد خليل القائم فأمده بالجيش فافتتح قلعة أبى ثور وقلعة البلوط وحاصر قلعة بلاطنو الى أن انقضت سنة سبع وعشرين فارتحل عنها وحاصر كبركيت ثم حبس عليها عسكر الحصار مع أبى خلف بن هرون ورحل عنها وطال حصارها الى سنة تسع وعشرين فهرب كثير من أهل البلد الى بلد الروم واستأمن الباقون فأمنهم على النزول عن القلعة ثم غدر بهم فارتاع لذلك سائر القلاع وأطاعوا ورجع خليل الى افريقية آخر سنة تسع وعشرين وحمل معه وجوه أهل كبركيت فى سفينة وأمر بخرقها فى لجة البحر فغرقوا أجمعين ثم ولى على صقلية عطاف الازدى ثم كانت فتنة أبى يزيد وشغل القائم والمنصور بأمره فلما انقضت فتنة أبى يزيد عقد المنصور على صقلية للحسن بن أبى الحسن الكلبى من صنائعهم ووجوه قواده وكنيته أبو الغنائم وكان له فى الدولة محل كبير وفى مدافعة أبى يزيد غناء عظيم وكان سبب ولايته أن أهل بلرم كانوا قد استضعفوا عطافا واستضعفهم العدو لعجزه فوثب به أهل المدينة يوم الفطر من سنة خمس وثلاثين وتولى كبر ذلك بنو الطبر منهم ونجا عطاف الى الحصن وبعث للمنصور يعلمه ويستمده فولى الحسن بن على على صقلية وركب البحر الى مازر وأرسى بها فلم يلقه أحد منهم وأتاه فى الليل جماعة من كتامة واعتذروا اليه عن الناس بالخوف من بنى الطبر وبعث بنو الطبر عيونهم عليه واستضعفوه وواعدوه أن يعودوا اليه فسبق ميعادهم ودخل المدينة ولقيه حاكم البلد وأصحاب الدواوين واضطر بنو الطبر الى لقائه وخرج اليهم كبيرهم اسمعيل ولحق به من انحرف عن بنى الطبر فكثر جمعه ودس اسمعيل بعض غلمانه فاستغاث بالحسن من بعض عبيده

انه أكره امرأته على الفاحشة يعتقد ان الحسن لا يعاقب مملوكه فتخشن قلوب أهل البلد عليه وفطن الحسن لذلك فدعا الرجل واستحلفه على دعواه وقتل عبده فسر الناس بذلك ومالوا عن الطبرى وأصحابه وافترق جمعهم وضبط الحسن أمره وخشى الروم بادرته فدفعوا اليه جزية ثلاث سنين وبعث ملك الروم بطريقا فى البحر فى عسكر كبير الى صقلية واجتمع هو والسردغرس واستمد الحسن بن على المنصور فأمده بسبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل وجمع الحسن من كان عنده وسار برا وبحرا وبعث السرايا فى أرض قلورية ونزل على ابراجه فحاصرها وزحف اليه الروم فصالحه على مال أخذه وزحف الى الروم ففروا من غير حرب ونزل الحسن على قلعة قيشانة فحاصرها شهرا وصالحهم على مال ورجع بالاسطول الى مسينى فشتى بها وجاءه أمر المنصور بالرجوع الى قلورية فعبر الى خراجة فلقى الروم والسردغرس فهزمهم وامتلأ من غنائمهم وذلك يوم عرفة سنة أربعين وثلثمائة ثم سار الى خراجة فحاصرها حتى هادنه ملك الروم قسطنطين ثم عاد الى ربو وبنى بها مسجدا وسط المدينة وشرط على الروم أن لا يعرضوا له وان من دخله من الاسرى أمن ولما توفى المنصور وملك ابنه المعز سار اليه الحسن واستخلف على صقلية ابنه أحمد وأمره المعز بفتح القلاع التى بقيت للروم بصقلية فغزاها وفتح طرمين وغيرها سنة احدى وخمسين وأعيته رمطة فحاصرها فجاءها من القسطنطينية أربعون ألفا مددا وبعث أحمد يستمد المعز فبعث اليه المدد بالعساكر والاموال مع أبيه الحسن وجاء مدد الروم فنزلوا بمرسى مسينة وزحفوا الى رمطة ومقدم الجيوش على حصارها الحسن بن عمار وابن أخى الحسن بن على فأحاط الروم بهم وخرج أهل البلد اليهم وعظم الامر على المسلمين فاستماتوا وحملوا على الروم وعقروا فرس قائدهم منويل فسقط عن فرسه وقتل جماعة من البطارقة معه وانهزم الروم وتبعهم المسلمون بالقتل وامتلأت أيديهم من الغنائم والاسرى والسبى ثم فتحوا رمطة عنوة وغنموا ما فيها وركب فل الروم من صقلية وجزيرة رفق فى الاسطول ناجين بأنفسهم فأتبعهم الامير أحمد فى المراكب فغرقوا مراكبهم وقتل كثير منهم وتعرف هذه الوقعة بوقعة المجاز وكانت سنة أربع وخمسين وأسر فيها ألف من عظمائهم ومائة بطريق وجاءت الغنائم والاسارى الى مدينة بلرم حضرة صقلية وخرج الحسن للقائهم فاصابته الحمى من الفرح فمات وحزن الناس عليه وولى ابنه أحمد باتفاق أهل صقلية بعد أن ولى المعز عليهم يعيش مولى الحسن فلم ينهض بالامر ووقعت الفتنة بين كتامة والقبائل وعجز عن تسكينها وبلغ الخبر الى المعز فولى عليها أبا القاسم على بن الحسن نيابة عن أخيه أحمد ثم توفى أحمد بطرابلس سنة تسع

وخمسين واستبد بالامارة أخوه أبو القاسم علي وكان مدلا محبا وسار اليه سنة احدى وسبعين ملك الفرنج في جموع عظيمة وحصر قلعة رمطة وملكها وأصاب سرايا المسلمين وسار الامير أبو القاسم في العساكر من بلرم يريدهم فلما قاربهم خام عن اللقاء ورجع وكان الافرنج في الاسطول يعاينونه فبعثوا بذلك للملك بردويل فسار في اتباعه وأدركه فاقتتلوا وقتل أبو القاسم في الحرب وأهم المسلمين أمرهم فاستماتوا وقاتلوا الفرنج فهزموهم أقبح هزيمة ونجا بردويل الى خيامه برأسه وركب البحر الى رومة وولى المسلمون عليهم بعد الامير أبي القاسم ابنه جابر فرحل بالمسلمين لوقته راجعا ولم يعرج على الغنائم وكانت ولاية الامير أبي القاسم اثنتي عشرة سنة ونصفا وكان عادلا حسن السيرة ولما ولى ابن عمه جعفر بن محمد بن علي بن أبي الحسن وكان من وزراء العزيز وندمائه استقامت الامور وحسنت الاحوال وكان يحب أهل العلم ويجزل الهبات لهم وتوفى سنة خمس وسبعين وولى أخوه عبد الله فاتبع سيرة أخيه الى أن توفى سنة تسع وسبعين وولى ابنه ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي الحسن فأنسى بجلائله وفضائله من كان قبله منهم الى أن أصابه الفالج وعطل نصفه الايسر سنة ثمان وثمانين وولى ابنه تاج الدولة جعفر بن ثقة الدولة يوسف فضبط الامور وقام بأحسن قيام وخالف عليه أخوه علي سنة خمس وأربعمائة مع البربر والعبيد فزحف اليه جعفر فظفر به وقتله ونفى البربر والعبيد واستقامت أحواله ثم انقلبت حاله واختلت على يد كاتبه ووزيره حسن بن محمد الباغاني فثار عليه الناس بسببها وجاؤا حول القصر وأخرج اليهم أبو الفتوح في محفة فتلطف بالناس وسلم اليهم الباغاني فقتلوه وقتلوا حافده أبا رافع وخلع ابنه ابن جعفر ورحل الى مصر وولى ابنه ابن جعفر سنة عشرة ولقبه بأسد الدولة بن تاج الدولة ويعرف بالاكحل فسكن الاضطراب واستقامت الاحوال وفوض الامور الى ابنه ابن جعفر وجعل مقاليد الامور بيده فاساء ابن جعفر السيرة وتحامل على صقلية ومال الى أهل افريقية وضج الناس وشكوا أمرهم الى المعز صاحب القيروان وأظهروا دعوته فبعث الاسطول فيه ثلثمائة فارس مع ولديه عبد الله وأيوب واجتمع أهل صقلية وحصروا أميرهم الاكحل وقتل وحمل رأسه الى المعز سنة سبع عشرة وأربعمائة ثم ندم أهل صقلية على ما فعلوه وثاروا بأهل افريقية وقتلوا منهم نحوا من ثلثمائة وأخرجوهم وولوا الصمصام أخا الاكحل فاضطربت الامور وغلب السفلة على الاشراف ثم ثار أهل بلرم على الصمصام وأخرجوه وقدموا عليهم ابن الثمنة من رؤس الاجناد وتلقب القادر بالله واستبد بمازر ابنه عبد الله قبل الصمصام وغلب ابن الثمنة على ابن

الاكحل فقتله واستقل بملك الجزيرة الى أن أخذت من يده ولما استبد ابن الثمنة بصقلية تزوج ميمونة بنت الجراس فتخيل له منها شئ فسقاها السم ثم تلافاها وأحضر الاطباء فانعشوها وأفاقت فندم واعتذر فأظهرت له القبول واستأذنته في زيارة أخيها بقصريانة وأخبرت أخاها فحلف أن لا يردها ووقعت الفتنة وحشد ابن الثمنة فهزمه ابن جراس فانتصر ابن الثمنة بالروم وجاء القمص وجاز ابن بتقر بن خبرة ومعه سبعة من اخوته وجمع من الافرنج ووعدهم بملك صقلية فداخل في بعضه وقصد قصريانة وحكموا على مروا من المنزل وخرج ابن جراس فهزمه ورجع الى افريقية عمر بن خلف بن مكي فنزل تونس وولى قضاءها ولم يزل الروم يملكونها حتى لم يبق الا المعاقل وخرج ابن الجراس باهله وماله صلحا سنة أربع وستين وأربعمائة وتملكها رجار كلها وانقطعت كلمة الاسلام منها ودولة الكلبيين وهم عشرة ومدتهم خمس وتسعون سنة ومات رجار في قلعة مليطو من أرض قلورية سنة أربع وتسعين وولى ابنه رجار الثاني وطالت أيامه وله ألف الشريف أبو عبد الله الادريسي كتاب نزهة المشتاق في أخبار الآفاق وسماه قصار رجار علما عليه معروفا به في الشهرة والله مقدر الليل والنهار

{ الخبر عن جزيرة اقريطش وما كان بها للمسلمين من }
{ الملك على يد بني البلوطي الى أن استرجعها العدو }

هذه الجزيرة من جزر البحر الرومي ما بين صقلية وقبرس في مقابلة الاسكندرية على يد الجالية أهل الربض وذلك أن أهل الربض الغربي من قرطبة وكان محلة متصلة بقصر الحكم بن هشام فنقموا عليه وثاروا به سنة ثنتين ومائتين فأوقع بهم الوقعة المشهورة واستلحمهم وهدم ديارهم ومساجدهم وأجلى الفل منهم الى العدوة ونزلوا بفاس وغيرها وغرب آخرين الى الاسكندرية فنزلوا وافترقوا في جوانبها وتلاحى رجل منهم مع جزار من سوقة الاسكندرية فنادوا بالثار واستلحموا كثيرا من أهل البلد وأخرجوا بقيتهم وامتنعوا بها وولوا عليهم أبا حفص عمر بن شعيب البلوطي ويعرف بأبي الغيض من أهل قرية مطروح من عمل فحص البلوط الجاور لقرطبة فقام برياستهم وكان على مصر يومئذ عبد الله بن طاهر فزحف اليهم وحصرهم بالاسكندرية فاستأمنوا له فأمنهم وبعثهم الى جزيرة اقريطش فعمروها وأميرهم أبو حفص البلوطي وتداولها بنوه من بعده مدة من مائة وأربعين سنة الى أن ملكها أرمانوس بن قسطنطين ملك القسطنطينية من يد عبد العزيز بن شعيب من أعقابه سنة خمس وثلثمائة وأخرجوا المسلمين منها والله بعيد الكرة ويذهب آثار الكفرة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

أخبار اليمن والدول الاسلامية التى كانت فيه للعباسيين والعبيديين وسائر ملوك العرب وابتداء ذلك وتصاريفه على الجملة ثم تفصيل ذلك على مدنه وممالكه واحدة بعد واحدة

قد كنا قدمنا فى أخبار السير النبوية كيف صار اليمن فى ملكة الاسلام بدخول عامله فى الدعوة الاسلامية وهو باذان عامل كسرى وأسلم معه أهل اليمن وأمره النبى صلى الله عليه وسلم على جميع مخاليفها وكان منزله صنعاء كرسى التابعة ولما مات بعد حجة الوداع قسم النبى صلى الله عليه وسلم اليمن على عمال من قبله وجعل صنعاء لابنه شهربان بن باذان وذكرنا خبر الاسود العنسى وكيف أخرج عمال النبى صلى الله عليه وسلم من اليمن وزحف الى صنعاء فملكها وقتل شهربان بن باذان وتزوج امرأته واستولى على أكثر اليمن وارتد أكثر أهله وكتب النبى صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وعماله والى من ثبت على اسلامه فداخلوا زوجة شهربان بن باذان التى تزوجها فى أمره على يد ابن عمها فيروز وتولى كبر ذلك قيس بن عبد يغوث المرادى فبيته هو وفيروز (بياض بالاصل) وذاذويه باذن زوجته فقتلوه ورجع عمال النبى صلى الله عليه وسلم الى أعمالهم وذلك قبيل الوفاة واستبد قيس بصنعاء وجمع الفل من جند الاسود فولى أبو بكر على اليمن فيروز فجمع اليه من الابناء وأمر الناس بطاعته فقاتل قيس بن مكشوح وهزمه ثم ولى أبو بكر المهاجر بن أبى أمية فقاتل أهل الردة باليمن وكذلك عكرمة بن أبى جهل وأمره أن يبدأ بالمرتدة فسار معها وحضر حرب الجمل وولى على اليمن عبيد الله بن عباس ثم أخاه عبد الله ثم ولى معاوية على صنعاء فيروز الديلمى ومات سنة ثلاث وخمسين ثم جعل عبد الملك اليمن فى ولاية الحجاج لما بعثه لحرب ابن الزبير سنة ثنتين وسبعين ولما جاءت دولة بنى العباس ولى السفاح على اليمن عمه داود بن على حتى اذا توفى سنة ثلاث وثلاثين ولى مكانه محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الملك عبد الدار ثم تعاقب الولاة على اليمن وكانوا ينزلون صنعاء حتى انتهت الخلافة الى المأمون وظهرت دعاة الطالبيين بالنواحى وبايع أبو السرايا من بنى شيبان بالعراق لمحمد بن ابراهيم طباطبا بن اسمعيل بن ابراهيم أخو المهدى النفس الزكية محمد بن عبد الله بن حسن وكثر الهرج وفرق العمال فى الجهات ثم قتل وبويع محمد بن جعفر الصادق بالحجاز وظهر باليمن ابراهيم بن موسى الكاظم سنة مائتين ولم يتم أمره وكان يعرف بالجزار لسفكه الدماء وبعث المأمون عساكره الى اليمن فدوخوا نواحيه وجلوا كثيرا من وجوه الناس فاستقام أمر اليمن كما نذكره

(دعوة زياد بالدعوة العباسية)

ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون كان فيهم محمد بن زياد ولد عبد الله بن زياد بن أبى سفيان فاستعطف المأمون وضمن له حياطة اليمن من العلويين فوصله وولاه على اليمن وقدمها سنة ثلاث ومائتين وفتح تهامة اليمن وهى البلد التى على ساحل البحر الغربى واختط بها مدينة زبيد ونزلها وأصارها كرسيا للتلك المملكة وولى على الجبال مولاه جعفرا وفتح تهامة بعد حروب من العرب واشترط على عرب تهامة أن لا يركبوا الخيل واستولى على اليمن أجمع ودخلت فى طاعته أعمال حضرموت والشحر وديار كندة وصار فى مرتبة التبابعة وكان فى صنعاء قاعدة اليمن بنو جعفر من حمير بقية الملوك التبابعة استبدوا بها مقيمين بالدعوة العباسية ولهم مع صنعاء شبام ونجران وحرش وكان أخوهم أسعد بن يعفر ثم أخوه قد دخلوا فى طاعة ابن زياد وولى بعده ابنه ابراهيم ثم ابنه زياد بن ابراهيم ثم أخوه أبو الجيش اسحق بن ابراهيم وطالت مدته الى ان أسن وبلغ الثمانين وقال عمارة ملك ثمانين سنة باليمن وحضرموت والجزائر البحرية ولما بلغه قتل المتوكل وخلع المستعين واستبداد الموالى على الخلفاء مع ارتفاع اليمن ركب بالمظلة شأن سلاطين العجم المستبدين وفى أيامه خرج باليمن يحيى بن الحسين ابن القاسم الرسى ابن ابراهيم بن طباطبا بدعوة الزيدية جاء بها من السند وكان جده القاسم قد فر الى السند بعد خروج أخيه محمد مع أبى السرايا ومهلكه كما مر فلحق القاسم بالسند وأعقب بها الحسين ثم ابنه يحيى باليمن سنة ثمان وثمانين ونزل صعدة وأظهر دعوة الزيدية وزحف الى صنعاء فملكها من يد أسعد بن يعفر ثم استردها منه بنو أسعد ورجع الى صعدة وكان شيعته يسمونه الامام وعقبه الآن بها وقد تقدم خبرهم وفى أيام أبى الجيش بن زياد أيضا ظهرت دعوة العبيديين باليمن فأقام بها محمد ابن الفضل بعدن لاعة وجبال اليمن الى جبال المذيخرة سنة أربعين وثلثمائة وبقى له باليمن من السرجة الى عدن عشرون مرحلة ومن مخلافة الى صنعاء خمس مراحل ولما غلبه محمد بن الفضل بهذه الدعوة امتنع أصحاب الاطراف عليه مثل بنى اسعد ابن يعفر بصنعاء وسليمان بن طرف بعثر والامام الرسى بصعدة فسلك معهم طريق المهادنة ثم هلك أبو الجيش سنة احدى وسبعين وثلثمائة بعد ان اتسعت جبايته وعظم ملكه قال ابن سعيد رأيت مبلغ جبايته وهو ألف ألف مكررة مرتين وثلثمائة ألف وستة وستون ألفا من الدنانير العثرية ما عدا ضرائبه على مراكب السند وعلى العنبر الواصل بباب المندب وعدن ابين وعلى مغائص اللؤلؤ وعلى جزيرة دهلك ومن بعضها وصائف وكانت ملوك الحبشة من وراء البحر يهادونه ويخطبون مواصلته ولما مات خلف صبيا صغيرا اسمه عبد الله وقيل ابراهيم وقيل زياد وكفلته اخته ومولاه

رشيد الحبشي واستبد عليهم الى ان انقرضت دولتهم سنة سبع وأربعمائة ثم هلك هذا الطفل فولوا طفلا آخر من بني زياد أصغر منه وقال ابن سعيد لم يعرف عمارة اسمه لتوالي الحجبة عليه ويعني عمارة مؤرخ اليمن وقيل هذا الطفل الاخير اسمه ابراهيم وكفلته عمته ومرجان من موالي الحسن بن سلامة واستبد بأمرهم ودولتهم وكان له موليان اسم احدهما قيس والآخر نجاح فجعل الطفل المملك في كفالته وأنزله معه بزبيد وولى نجاحا على سائر الاعمال خارج زبيد ومنها الكرارة واللجم وكان يؤثر قيسا على نجاح ووقع بينهما تنافر ورفع لقيس ان عمة الطفل تميل الى نجاح وتكاتبه دونه فقبض عليها باذن مولاه مرجان ودفنها حية واستبد وركب بالمظلة وضرب السكة وانتقض نجاح لذلك فزحف في العساكر وبرز قيس للقائه فكانت بينهما حروب ووقائع انهزم قيس في آخرها وقتل في خمسة آلاف من عسكره وملك نجاح زبيد سنة عشر وأربعمائة ودفن قيسا ومولاه مرجانا مكان الطفل والعمة واستبد وضرب السكة باسمه وكاتب ديوان الخلافة ببغداد فعقد له على اليمن ولم يزل مالكا لتهامة قاهرا لاهل الجبال وانتزع الجبال كلها من مولاه الحسن بن سلامة ولم تزل الملوك تتقي صولته الى أن قتله علي الصليحي القائم بدعوة العبيديين على يد جارية بعث بها اليه سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة فقام بالامر بعده بزبيد مولاه كهلان ثم استولى الصليحي على زبيد وملكها من يده كما نذكر

(الخبر عن بني الصليحي القائمين بدعوة العبيديين باليمن)

كان القاضي محمد بن علي الهمداني ثم الصليحي رئيس حران من بلاد همدان وينتسب في بني يام ونشأ له ولد اسمه علي وكان صاحب الدعوة يومئذ عامر بن عبد الله الزوابي نسبة الى زوابة من قرى حران ويقال انه كان عنده كتاب الجفر من ذخائر أبيهم بزعمهم فرأى فيه ان علي ابن القاضي محمد مذكور فيه فقرأ علي على عامل الداعي وأخذ عنه ولما توسم فيه الاهلية أراه مكان اسمه في الجفر وأوصافه وقال لابيه القاضي احتفظ بابنك فيملك جميع اليمن ونشأ فقيها صالحا وجعل يحج بالناس على طريق الطائف والسروات خمس عشرة سنة فطار ذكره وعظمت شهرته وألقي على ألسنة الناس انه سلطان اليمن ومات الداعي عامر الزوابي فأوصى له بكتبه وعهد اليه بالدعوة ثم حج بالناس سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على عادته واجتمع بجماعة من قومه همدان كانوا معه فدعاهم الى النصرة والقيام معه فأجابوه وبايعوه وكانوا ستين رجلا من رجالات قومهم فلما عادوا قام في مسار وهو حصن بذروة جبل حمام وحصن ذلك الحصن ولم يزل أمره ينمي وكتب الى المستنصر صاحب مصر يسأله الاذن في اظهار الدعوة فأذن له وأظهرها وملك اليمن كله ونزل صنعاء واختط بها القصور وأسكن عنده ملوك اليمن الذين غلب

عليهم

عليهم وهزم بني طرف ملوك عثرة وتهامة وأعمل الحيلة في قتل نجاح مولى بني زياد ملك زبيد حتى تم له ذلك على يد جارية أهداها اليه كما ذكرناه سنة اثنتين وخمسين ثم سار الى مكة بأمر المستنصر صاحب مصر ليمحو منها الدعوة العباسية والامارة الحسنية واستخلف على صنعاء ابنه المكرم أحمد وحمل معه زوجته أسماء بنت شهاب قد سباها سعيد بن نجاح ليلة البيات فكتبت الى ابنها المكرم اني حبلى من العبد الاحول فادركني قبل ان أضع والا فهو العار الذي لا يمحوه الدهر فسار المكرم من صنعاء سنة خمس وسبعين في ثلاثة آلاف ولقي الحبشة في عشرين ألفا فهزمهم ولحق سعيد بن نجاح بجزيرة دهلك ودخل المكرم الى أمه وهي جالسة بالطاق الذي عنده رأس الصليحي وأخيه فأنزلهما ودفنهما ورفع السيف وولى خاله أسعد بن شهاب على أعمال تهامة كما كان وأنزله بزبيد منها وارتحل بأمه الى صنعاء وكانت تدبر ملكه ثم جمع أسعد بن شهاب أموال تهامة وبعث بها مع وزيره أحمد بن سالم ففرقتها أسماء على وفود العرب ثم هلكت أسماء سنة سبع وسبعين وخرجت زبيد من يد المكرم واستردها سعيد بن نجاح سنة تسع وسبعين ثم انتقل المكرم الى ذي جبلة سنة ثمانين وولى على صنعاء عمران بن الفضل اليمداني فاستبد بها وتوارثها عقبه وتسمى ابنه أحمد باسم السلطان واشتهر به وبعده ابنه حاتم بن أحمد وليس بعده بصنعاء من نذكر حتى ملكها بنو سليمان لما غلبهم الهواشم على مكة كما مر في أخبارهم ولما انتقل المكرم الى ذي جبلة وهي مدينة اختطها عبد الله ابن محمد الصليحي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وكان انتقاله باشارة زوجه سيدة بنت أحمد التي صار اليها تدبير ملكه بعد أمه أسماء فنزلها وبنى فيها دار العز وتحيل على قتل سعيد بن نجاح فتم له كما نذكر في أخبار ابن نجاح وكان مشغولا بلذاته محجوبا بزوجته ولما حضرته الوفاة سنة أربع وثمانين عهد الى ابن عمه المنصور بن أحمد المظفر بن علي الصليحي صاحب معقل اشيح وأقام بمعقله وسيدة بنت أحمد بذي جبلة وخطبها المنصور سبأ وامتنعت منه فحاصرها بذي جبلة وجاءها أخوها لامها سليمان بن عامر وأخبرها ان المستنصر زوجك منه وأبلغها أمره بذلك وتلا عليها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم وان أمير المؤمنين زوجك من الداعي المنصور أبي حمير سبأ بن أحمد بن المظفر على مائة ألف دينار وخمسين ألفا من أصناف التحف واللطائف فانعقد النكاح وسار اليها من معقل أشيح الى ذي جبلة ودخل اليها بدار العز ويقال انها شبهت بجارية من جواريها فقامت على رأسه ليلها كله وهو لا يرفع الطرف اليها حتى أصبح فرجع الى معقله وأقامت هي بذي جبلة وكان المتولي عليها المفضل بن أبي البركات من بني يام رهط الصليحي واستدعى عشيرته جنبا

وأنزلهم عنده بذى جبلة فكان يسطو بهم وكانت سيدة تأتى التعكر فى الصيف وبه ذخائرها وخزائنها فاذا جاء الشتاء رجعت الى ذى جبلة ثم انفرد المفضل لقتال نجاح فرتب فى حصن التعكر فقيها يلقب بالجمل مع جماعة من الفقهاء أحدهم ابراهيم بن زيد ابن عمر عمارة الشاعر فبايعوا الجمل على أن يحيوا الدعوة الامامية فرجع المفضل من طريقه وحاصرهم وجاءت خولان لنصرتهم وضايقهم المفضل وهلك فى حصارهم سنة أربع وخمسمائة فجاءت بعده الحرة سيدة وأنزلتهم على عهد فنزلوا ووفت لهم به وكفلت عقب المفضل وولده وصار معقل التعكر فى يد عمران بن الذر الخولانى وأخيه سليمان واستولى عمران على الحرة سيدة مكان المفضل ولما ماتت استبد عمران وأخوه بحصن التعكر واستولى منصور بن المفضل بن أبى البركات على ذى جبلة حتى باعه من الداعى الذريعى صاحب عدن كما يأتى واعتصم بمعقل أشيح الذى كان للداعى المنصور سبا بن أحمد وذلك ان المنصور توفى سنة ست وثمانين وأربعمائة واختلف أولاده من بعده وغلب ابنه على منهم على المعقل وكان ينازع المفضل بن أبى البركات والحرة سيدة وأعياهما أمره فتحيل المفضل بسم أودعه سفرجلا أهداه اليه فمات منه واستولى بنو أبى البركات على بنى المظفر فى أشيح وحصونه ثم باع حصن ذى جبلة من الداعى الزريعى صاحب عدن بمائة ألف دينار ولم يزل يبيع معاقله حصنا حصنا حتى لم يبق له غير معقل تعز أخذه منه على بن مهدى بعد أن ملك ثمانين سنة وبلغ من العمر مائة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الخبر عن دولة بنى نجاح بزبيد موالى بنى زياد) (ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم)

ولما استولى الصليحى على زبيد من يد كهلان بعد ان أهلكه بالسم على يد الجارية التى بعثها اليه سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة كما مر وكان لنجاح ثلاثة من الولد معارك وسعيد وجياش فقتل معارك نفسه ولحق سعيد وجياش بجزيرة دهلك وأقاما هنالك يتعلمان القرآن والآداب ثم رجع سعيد الى زبيد مغاضبا لاخيه جياش واختفى بها فى نفق احتفره تحت الارض ثم استقدم أخاه جياشا فقدم وأقاما هنالك فى الاختفاء ثم ان المستنصر العبيدى الخليفة بمصر قطع دعوته بمكة محمد بن جعفر أميرها من الهواشم فكتب الى الصليحى يأمره بقتاله وحمله على اقامة الدعوة العلوية بمكة فسار على الصليحى لذلك من صنعاء وظهر سعيد وأخوه من الاختفاء وبلغ خبرهم الصليحى فبعث عسكرا نحوا من خمسة آلاف فارس وأمرهم بقتلهما وقد كان سعيد وجياش خالفا العسكر وسارا فى اتباع الصليحى وهو فى عساكره فبيتوه فى اللهجم وهو متوجه الى

مكة فانتقض عسكره وقتل وتولى قتله جياش بيده سنة ثلاث وسبعين ثم قتل عبد الله الصليحى أخا على فى مائة وسبعين من بنى الصليحى وأسر زوجته أسماء بنت عمه شهاب فى مائة وخمس وثلاثين من ملوك القحطانيين الذين غلبوا باليمن وبعث الى العسكر الذين ساروا لقتل سعيد وجياش فأمنهم واستخدمهم ورحل الى زبيد وعليها أسعد بن شهاب أخو زوجة الصليحى ففر أسعد الى صنعاء ودخل سعيد الى زبيد وأسماء زوجة الصليحى امامه فى هودج ورأس الصليحى وأخيه عند هودجها وأنزلها بدارها ونصب الرأسين قبالة طاقها فى الدار وامتلأت القلوب منه رعبا وتلقب نصير الدولة وتغلب ولاة الحصون على ما بأيديهم ودس المكرم بن الصليحى بن سعيد بن نجاح بصنعاء على لسان بعض أهل الثغور وضمن له الظفر فجاء سعيد لذلك فى عشرين ألفا من الحبشة وسار اليه المكرم من صنعاء وهزمه وحال بينه وبين زبيد فهرب الى جزيرة دهلك ودخل المكرم زبيد وجاء الى أمه وهى جالسة بالطاق وعندها رأس الصليحى واخيه فأنزلهما ودفنهما وولى على زبيد خاله أسعد سنة سبع وتسعين وكتب المكرم الى عبد الله بن يعفر صاحب حصن الشعر بأن يغرى سعيدا بالمكرم وانتزاع ذى جبلة من يده لاشتغاله بلذاته واستيلاء زوجه سيدة بنت أحمد عليه وانه يلج فتمت الحيلة فسار سعيد فى ثلاثين ألفا من الحبشة وأكمن له المكرم تحت حصن الشعر فثاروا به هنالك وانهزمت عساكره وقتل ونصب رأسه عند الطاق الذى كان فيها رأس الصليحى بزبيد واستولى عليها المكرم وانقطع منها ملك الحبشة وهرب جياش ومعه وزير أخيه خلف بن أبى الطاهر المروانى ودخلا عدن متنكرين ثم لحقا بالهند وأقاما بها ستة أشهر ولقيا هنالك كاهنا جاء من سمرقند فبشرهما بما يكون لهما فرجعا الى اليمن وتقدم خلف الوزير الى زبيد وأشاع موت جياش واستأمن لنفسه ولحق جياش فأقاما هنالك مختفيين وعلى زبيد يومئذ أسعد بن شهاب خال المكرم ومعه على بن القم وزير المكرم وكان حنقا على المكرم ودولته فداخله الوزير خلف ولاعب ابنه الحسين الشطرنج ثم انتقل الى ملاعبة أبيه فاغتبط به وأطلعه على رأيه فى الدولة وكان يتشيع لآل نجاح وانتمى بعض الايام وهو يلاعب فسمعه على بن القم واستكشف أمره فكشف له القناع واستحلفه وجياش أثناء ذلك يجمع أشياعه من الحبشة وينفق فيهم الاموال حتى اجتمع له خمسة آلاف فثار بهم فى زبيد سنة ثنتين وثمانين ونزل دار الامارة ومن على أسعد بن شهاب وأطلقه لزمانة كانت به وبقى ملكا على زبيد يخطب للعباسيين والصليحيون يخطبون للعبيديين والمكرم يبعث العرب للغارة على زبيد كل حين الى ان هلك جياش على رأس المائة الخامسة وكانت كنيته ابن القطاى وكان

موصوفا بالعدل وولى بعده ابنه الفاتك صبيا لم يحتلم ودبر واملكه وجاء عمه ابراهيم لقتاله وبرز واله فثار عبد الواحد بالبلد وبعث منصور الى الفضل بن أبى البركات صاحب التعكر فجاء لنصره مضمرا للغدر به ثم بلغه انتقاض أهل التعكر عليه فرجع ولم يزل منصور فى ملكه بزبيد الى ان وزر له أبو منصور عبيد الله فقتله مسموما سنة سبع عشرة وخمسمائة ونصب فاتكا ابنه طفلا صغيرا واستبد عليه وقام بضبط الملك وهان عليه التعرض لآل نجاح حتى هربت منه أم فاتك هذا وسكنت خارج المدينة وكان قرما شجاعا وله وقائع مع الاعداء وحاربه ابن نجيب داعى العلوية فامتنع عليه وهو الذى شيد المدارس للفقهاء بزبيد واعتنى بالحاج ثم راودها فارك بنت جياش ولم تجد بدا من اسعافه فامكنته حتى اذا قضى وطره مسحت ذكره بمنديل مسموم فتثر لحمه وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقام بأمر فاتك بعده زريق من موالى نجاح قال عمارة كان شجاعا فاتكا قرما وكان من موالى ام فاتك المختصين بها قال عمارة وفى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة توفى فاتك بن المنصور وولى بعده ابن عمه وسميه فاتك ابن محمد بن فاتك وسرور قائم بوزارته وتدبير دولته ومحاربة اعدائه وكان يلازم المسجد الى ان دس عليه على بن مهدى الخارجى من قتله فى المسجد وهو يصلى العصر يوم الجمعة ثانى عشر صفر سنة احدى وخمسين وثار السلطان بالقاتل فقتل جماعة من أهل المسجد ثم قتل واضطرب موالى نجاح بالدولة وثار عليهم ابن مهدى الخارجى وحاربهم مرارا وحاصرهم طويلا واستعانوا بالشريف المنصور أحمد بن حمزة السليمانى وكان يملك صعدة فاغاثهم على ان يملكوه ويقتلوا سيدهم فاتك بن محمد فقتلوه سنة ثلاث وخمسين وملكوا عليهم الشريف أحمد فعجز عن مقاومة ابن مهدى وفر تحت الليل وملكها على بن مهدى سنة أربع وخمسين وانقرض أمر آل نجاح والملك لله

{ الخبر عن دولة بنى الزريع بعدن من دعاة
العبيديين باليمن وأولية أمرهم ومصايره }

وعدن هذه من أمنع مدائن اليمن وهى على ضفة البحر الهندى ومازالت بلد تجارة من عهد التبابعة وأكثر بنائهم بالاخصاص ولذلك يطرقها الحريق كثيرا وكانت صدر الاسلام دار ملك لبنى معن ينتسبون الى معن بن زائدة ملكوها من أيام المأمون وامتنعوا على بنى زياد وقنعوا منهم بالخطبة والسكة ولما استولى الداعى على بن محمد الصليحى رعى لهم ذمام العروبة وقرر عليهم ضريبة يعطونها ثم أخرجهم منها ابنه أحمد المكرم وولى عليها بنى المكرم من عشيرة جسم بن يام من همذان وكانوا أقرب عشائره اليه فأقامت فى ولايتهم زمنا ثم حدثت بينهم الفتنة وانقسموا الى فئتين بنى مسعود

ابن المكرم وبنى الزريع بن العباس بن المكرم وغلب بنو الزريع بعد حروب عظيمة قال ابن سعيد وأول مذكور منهم الداعى بن أبى السعود بن الزريع أول من اجتمع له الملك بعد بنى الصليحى وورثه عنه بنوه وحاربه ابن عمه على بن أبى الغارات بن مسعود ابن المكرم صاحب الزعازع فاستولى على عدن من يده بعد مقاساة ونفقات فى الاعراب ومات بعد فتحها بسبعة أشهر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وولى ابنه الاغر وكان مقيما بحصن الدملوة المعقل الذى لا يرام وامتنع عليه بعده ابن بلال ابن الزريع من مواليه وخشى محمد بن سبا على نفسه ففر الى منصور بن المفضل من ملوك الجبال الصليحيين بذى جبلة ثم مات الاغر قريبا فبعث بلال عن محمد بن سبا فوصل الى عدن وكان التقليد جاء من مصر باسم الاغر فكتب مكانه محمد بن سبا وكان فى نعوته الداعى المعظم المتوج المكنى بسيف أمير المؤمنين فوقعت كلها عليها وزوجه بلال بنته ومكنه من الاموال التى كانت فى خزائنه ثم مات بلال عن مال عظيم وورثه محمد بن سبا وأنفقه فى سبل الكرم والمروآت واشترى حصن ذى جبلة من منصور بن المفضل بن أبى البركات كما ذكرناه واستولى عليه وهو دار ملك الصليحيين وتزوج سيدة بنت عبد الله الصليحى وتوفى سنة ثمان وأربعين وولى ابنه عمران بن محمد بن سبا وكان ياسر بن بلال يدبر دولته وتوفى سنة ستين وخمسمائة وترك ولدين صغيرين وهما محمد وأبو السعود فحبسهما ياسر بن بلال فى القصر واستبد بالامر وكان ياسر محمد كثير العطية للشعراء ومن وفد عليه ومدحه ابن قلاقس شاعر الاسكندرية ومن قصائده فى مدحه

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا

وهو آخر ملوك الزريعيين ولما دخل سيف الدولة أخو صلاح الدين الى اليمن سنة ست وستين وستمائة واستولى عليها جاء الى عدن فملكها وقبض على ياسر بن بلال وانقطعت دولة بنى زريع وصار اليمن للمعز وفيه ولاتهم بنو أيوب كما نذكر فى أخبارهم وكانت مدينة الجدة قرب عدن اختطها ملوك الزريعيين فلما جاءت دولة بنى أيوب تركوها ونزلوا تعز من الجبال كما يأتى ذكره

(أخبار ابن مهدى الخارجى وبنيه وذكر دولتهم باليمن وبدايتها وانقراضها)

هذا الرجل من أهل العترة من سواحل زبيد وهو على بن مهدى الحميرى كان أبوه مهدى معروفا بالصلاح والدين ونشأ ابنه على طريقته فاعتزل ونسك ثم حج ولقى علماء العراق وأخذ الوعظ من وعاظهم وعاد الى اليمن واعتزل ولزم الوعظ وكان حافظا فصيحا ويخبر بحوادث أحواله فيصدق فمال اليه الناس واغتبطوا به وصار يتردد للحج سنة احدى وستين ويعظ الناس فى البوادى فاذا حضر الموسم ركب على نجيب له ووعظ الناس

ولما استولت ام فاتك على بنى جياش أيام ابنها فاتك بن منصور أحسنت فيه المعتقد
وأطلقت له ولقرابته وأصهاره خرجهم فحسنت أحوالهم وآثروا وركبوا الخيول وكان
يقول فى وعظه دنا الوقت يشير الى وقت ظهوره واشتهر ذلك عنه وكانت ام فاتك تصل
أهل الدولة عنه فلما ماتت سنة خمس وأربعين جاءه أهل الجبال وحالفوه على النصرة
وخرج من تهامة سنة ثمان وثلاثين وقصد الكود افانهزم وعاد الى الجبال وأقام الى
سنة احدى وأربعين ثم اعادته الحرة ام فاتك الى وطنه وماتت سنة خمس وأربعين
فخرج الى خوازن ونزل ببطن منهم يقال له حيوان فى حصن يسمى الشرف وهو حصن
صعب ليس يرتقى على مسيرة يوم من سفح الجبل فى طريقه أوعار فى وادضيق عقبة
كؤد وأصحابه سماهم الانصار وسمى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين وأمر
للانصار رجلا اسمه سبا وللمهاجرين آخر اسمه شيخ الاسلام واسمه النوبة واحتجب
عمن سواهما وجعل يشن الغارات على أرض تهامة وأعانه على ذلك خراب النواحى
بزبيد فاخرب سابلتها ونواحيها وانتهى الى حصن الدائر على نصف مرحلة من زبيد
وأعمل الحيل فى قتل مسرور مدبر الدولة فقتل كما مر وأقام يخيف زبيد بالزحوف قال
عمارة زاحفها سبعين زحفا وحاصرها طويلا واستمدوا الشريف أحمد بن حمزة
السليمانى صاحب صعدة فامدهم وشرط عليهم قتل سيدهم فاتك فقتلوه سنة ثلاث
وخمسين وملك عليهم الشريف ثم عجز وهرب عنهم واستولى على بن مهدى عليها فى رجب
سنة أربع وخمسين ومات لثلاثة اشهر من ولايته وكان يخطب له بالامام المهدى أمير
المؤمنين وقامع الكفرة والملحدين وكان على رأى الخوارج يتبرأ من على وعثمان
ويكفر بالذنوب وله قواعد وقواميس فى مذهبه يطول ذكرها وكان يقتل على شرب
الخمر قال عمارة كان يقتل من خالفه من أهل القبلة ويبيح نساءهم وأولادهم وكانوا
يعتقدون فيه العصمة وكانت أموالهم تحت يده ينفقها عليهم فى مؤنهم ولا يملكون معه
مالا ولا فرسا ولا سلاحا وكان يقتل المنهزم من أصحابه ويقتل الزانى وشارب الخمر وسامع
الغناء ويقتل من تأخر عن صلاة الجماعة ومن تاخر عن وعظه يوم الاثنين والخميس وكان
حنفيا فى الفروع ولما توفى تولى بعده ابنه عبد النبى وخرج من زبيد واستولى على اليمن
أجمع وبه يومئذ خمس وعشرون دولة فاستولى على جميعها ولم يبق له سوى عدن ففرض
عليها الجزية ولما دخل شمس الدولة تورشاه بن أيوب أخو صلاح الدين سنة ست وستين
وخمسمائة واستولى على الدولة التى كانت باليمن فقبض على عبد النبى وامتحنه وأخذ
منه أموالا عظيمة وحمله الى عدن فاستولى عليها ثم نزل زبيد واتخذها كرسى المملكة
ثم استوخمها وسار فى الجبال ومعه الاطباء يتخير مكانا صحيح الهواء ليتخذ فيه سكناه فوقع

اختيارهم على مكان تعز فاختط به المدينة ونزلها وبقيت كرسى المملكة وبنيه ومواليهم
بنى رسول كما نذكر فى أخبارهم وبانقراض دولة بنى المهدى انقرض ملك العرب من
اليمن وصار للغز ومواليهم *(ولنذكر الآن)* طرفا من الكلام على قواعد اليمن
ومدنه واحدة واحدة كما أشار اليه ابن سعيد *(اليمن)* من جزيرة العرب يشتمل
على كراسى سبعة للملك تهامة والجبال وفى تهامة مملكتان مملكة زبيد ومملكة عدن
ومعنى تهامة ما انخفض من بلاد اليمن مع ساحل البحر من البرين من جهة الحجاز
الى آخر أعمال عدن دورة البحر الهندى قال ابن سعيد وجزيرة العرب فى الاقليم الاول
ويحيط بها البحر الهندى من جنوبها وبحر السويس من غربها وبحر فارس من
شرقها وكانت اليمن قديما للتبابعة وهى أخصب من الحجاز وأكثر أهلها القحطانية
وفيها من عرب وائل وملكها لهذا العهد لبنى رسول موالى بنى أيوب ودار ملكهم تعز
بعد أن نزلوا الجرة أولا وبصعدة من اليمن أئمة الزيدية وبزبيد وهى مملكة اليمن شمالها
الحجاز وجنوبها البحر الهندى وغربها بحر السويس اختطها محمد بن زياد أيام المأمون
سنة أربع ومائتين وهى مدينة مسورة تدخلها عين جارية تحلها الملوك وعليها غيطان
يسكنونها أيام الغلة وهى الآن من ممالك بنى رسول وبها كان ملك بنى زياد ومواليهم
ثم غلب عليها بنو الصليحى وقد مر خبرهم *(عثر وحلى والسرجة)* من أعمال
زبيد فى شمالها وتعرف باعمال ابن طرف مسيرة سبعة أيام فى يومين من السرجة الى
حلى ومكة ثمانية أيام وعثر هى منبر الملك وهى على البحر وكان سليمان بن طرف ممتنعا بها
على أبى الجيش بن زياد وكان مبلغ ارتفاعه خمسمائة ألف دينار ثم دخل فى طاعته وخطب
له وحمل المال ثم صارت هذه المملكة للسليمانيين من بنى الحسن من امراء مكة حين
طردهم الهواشم عن مكة وكان غالب بن يحيى منهم يؤدى الاتاوة لصاحب زبيد وبه
استعان محمد مفلح الفاتكى من سرور ثم هلك بعدها ثم عيسى بن حمزة من بنيه ولما
ملك الغز اليمن أخذ يحيى أخو عيسى أسيرا وسيق الى العراق فحاول عليه عيسى فتخلصه
من الأسر ورجع الى اليمن فقتل أخاه عيسى وولى مكانه المهجم من أعمال زبيد على
ثلاثة مراحل عليها وعربها من العسيرة من حكم وجعفر قبيلتين منهم ويجلب منها
الزنجبيل *(السرير)* آخر أعمال تهامة من اليمن وهى على البحر دون سور
وبيوتها أخصاص وملكها راجح بن قتادة سلطان مكة أعوام الخمسين وستمائة وله قلعة
على نصف مرحلة منها *(الزرائب)* من الاعمال الشمالية من زبيد وكانت لابن طرف
واجتمع له فيها عشرون ألفا من الحبشة الذين معه جميعا وقال ابن سعيد فى أعمال زبيد
والاعمال التى فى الطريق الوسطى بين البحر والجبال وهى فى خط زبيد فى شمالها وهى

الجادة الى مكة قال عمارة هى الجادة السلطانية منها الى البحر يوم أو دونه وكذلك الى
الجبال ويجتمع الطريقان الوسطى والساحلية فى السرير ويفترقان *(عدن)*
من ممالك اليمن فى جوف زبيد وهى كرسى عملها وهى على ضفة البحر الهندى وكانت بلد
تجارة منذ أيام التبابعة وبعدها عن خط الاستواء ثلاث عشرة درجة ولا تنبت زرعا
ولا شجرا ومعاشهم السمك وهى ركاب الهند من اليمن وأول ملكها لبنى معن بن زائدة
استقاموا لبنى زياد وأعطوهم الاتاوة ولما ملك الصليحيون أقرهم الداعى ثم أخرجهم
ابنه أحمد المكرم وولاها بنى المكرم من جشم بن يام رهطه بهمدان وصفا الملك فيها
لبنى الزريع منهم وقنع منهم بالاتاوة حتى ملكها من أيديهم شمس الدولة بن أيوب
كما تقدم *(عدن أبين)* من يمنات المدن وهى الى جهة الشحر *(الزعزاع)*
باودية ابن أيوب عدن وكانت لبنى مسعود بن المكرم المقارعين لبنى الزريع *(الجوة)*
اختطها ملوك الزريعيين قرب عدن ونزلها بنو أيوب ثم انتقلوا الى تعز *(حصن ذى
جبلة)* من حصون مخلاف جعفر اختطه عبد الله الصليحى أخو الداعى سنة ثمان
وخمسين وأربعمائة وانتقل اليه ابنه المكرم من حصن صنعاء وزوجه سيدة بنت أحمد
المستبدة عليه وهى التى تحكمت سنة ثمانين ومات المكرم وقد فوض الامر فى الملك
والدعوة الى سبا بن أحمد بن المظفر الصليحى وكان فى معقل أشيح وكانت تستظهر بقبيل
جنب وكانوا خاملين فى الجاهلية فظهروا بمخلاف جعفر ثم وصل من مصر ابن نجيب
الدولة داعيا ونزل مدينة جند واعتضد بهمدان فحاربته السيدة بجنب وخولان الى
ان ركب البحر وغرق وكان يتولى أمورها المفضل بن أبى البركات بعد زوجها المكرم
واستولى عليها *(التعكر)* من مخلاف جعفر كان لبنى الصليحى ثم لسيدة من بعدهم
ثم طلبه منها المفضل بن أبى البركات فسلمته اليه وأقام فيه الى ان سار الى زبيد وحاصر
فيها بنى نجاح وطالت غيبته فثار بالتعكر جماعة من الفقهاء وقتلوا نائبه وبايعوا الابراهيم
ابن زيدان منهم وهو عم عمارة الشاعر واستظهروا بخولان فرجع المفضل وحاصرهم
كما ذكرنا ذلك من قبل *(حصن خدد)* كان لعبد الله بن يعلى الصليحى وهو من
مخلاف جعفر وكان المفضل قد أدخل من خولان فى حصون المخلاف عددا كثيرا فى بنى
بحر وبنى منبه ورواح وشعب فلما مات المفضل وفى كفالته سيدة كما مر وثب مسلم بن الذر
من خولان فى حصن خدد وملكه من يد عبد الله بن يعلى الصليحى ولحق عبد الله بحصن
مصدود ورثته سيدة لمكان المفضل واستخلصته الدولة من مدينة الجند ومن اليمن
بأمرها *(حصن مصدود)* من حصون مخلاف جعفر وهى خمسة ذو جبلة والتعكر
وحصن خدد ولما غلبت خولان على حصن خدد من يد عبد الله الصليحى ولحق بحصن

قوله وهى خمسة المعدود هنا أربعة منها حصن مصدود اهـ مصححه

مصدود

مصدود واستولى عليه منهم زكريا بن شكير البحرى وكان بنو الكردى من حمير ملوكا
قبل بنى الصليحى باليمن وانتزع بنو الصليحى ملكهم وكان لهم مخلاف بحصونه ومخلاف
معافر ومخلاف الجند وحصن سمدان ثم استقرت لمنصور بن المفضل بن أبى البركات
وباعها من بنى الزريع كما مر *(صنعاء)* قاعدة التبابعة قبل الاسلام وأول مدينة
اختطت باليمن وبنتها فيما يقال عاد وكانت تسمى أوال من الاولية بلغتهم وقصر غمدان
قريب منها أحد البيوت السبعة بناه الضحاك باسم الزهرة وحجت اليه الامم وهدمه
عثمان وصنعاء أشهر حواضر اليمن وهى فيما يقال معتدلة وكان فيها أول المائة الرابعة
بنو يعفر من التبابعة ودار ملكهم كحلان ولم يكن لها نباهة فى الملك الى أن سكنها بنو
الصليحى وغلب عليها الزيدية ثم السليمانيون من بعد بنى الصليحى *(قلعة كحلان)*
من أعمال صنعاء لبنى يعفر من التبابعة بناها قرب صنعاء ابراهيم وكانت له صعدة
ونجران واعتصم بنو يعفر بقلعة كحلان وقال البيهقى سيد قلعة كحلان أسعد بن يعفر
وحارب بنى الرسى وبنى زياد أيام أبى الجيش *(حصن الصمدان)* من أعمال صنعاء
كانت فيه خزائن بنى الكردى الحميريين الى أن ملكه على الصليحى ورد عليهم المكرم
بعض حصونهم الى ان انقرض أمرهم على يد على بن مهدى وكان لهم مخلاف جعفر
الذى منه مدينة ذى جبلة ومعقل التعكر وهو مخلاف الجند ومخلاف معافر ومقر ملكهم
السمدان وهو أحصن من الدمولة *(قلعة منهاب)* من قلاع صنعاء بالجبال ملكها
بنو زريع واستبد بها منهم الفضل بن على بن راضى بن الداعى محمد بن سبا بن زريع
نعته صاحب الجزيرة بالسلطان وقال كانت له قلعة منهاب وكان حيا سنة ست وثمانين
وخمسمائة وصارت بعده لاخيه الاعز ابى على *(جبل الدبجرة)* وهو بقرب
صنعاء وقد اختط جعفر مولى بنى زياد سلطان اليمن مخلاف جعفر فنسب اليه *(عدن
لاعة)* بجانب الدبجرة أول موضع ظهرت فيه دعوة الشيعة باليمن ومنها محمد
ابن المفضل الداعى ووصل اليها أبو عبد الله الشيعى صاحب الدعوة بالمغرب وفيها قرأ على
على بن محمد الصليحى صبيا وهى دار دعوة اليمن كان محمد بن المفضل داعيا على عهد
أبى الجيش بن زياد وأسعد بن يعفر *(بيحان)* ذكرها عمارة فى المخاليف الجبلية
وملكها انستوان بن سعيد القحطانى *(تعمر)* من أجل معاقل الجبال المطلة على
تهامة ما زال حصنا للملوك وهو اليوم كرسى لبنى رسول ومعدود فى الامصار وكان به
من ملوك اليمن منصور بن المفضل بن أبى البركات وبنو المظفر وورثها عنه ابنه منصور
ثم باعها حصنا حصنا من الداعى بن المظفر والداعى الزريعى الى أن بقى بيده حصن تعمر
فأخذه منه ابن مهدى *(معقل اشيح)* من أعظم حصون الجبال وفيه خزائن

بنى المظفر من الصليحيين صارت له بعهد المكرم ابن عمه صاحب ذى جبلة وقلده المستنصر الدعوة وتوفى سنة ست وثمانين وأربعمائة وغلب ابنه على على معقل الملك أشيح واعيا المفضل أمره الى أن تحيل عليه وقتله بالسم وصارت حصون بنى المظفر الى بنى أبى البركات ثم مات المفضل وخلف ابنه منصورا واستقل بملك أبيه بعد حين وباع جميع الحصون فباع ذا جبلة من الداعى الزريعى صاحب عدن بمائة ألف دينار وحصن صبر بعد أن كان حلف بالطلاق من زوجته أنه يستبقيه وطلق زوجته الحرة وتزوجها الزريعى وطال عمره وملك ابن عشرين وبقى فى الملك ثمانين وأخذ منه معقل على بن مهدى *(صعدة)* مملكتها تلو مملكة صنعاء وهى فى شرقيها وفى هذه المملكة ثلاثة قواعد صعدة وجبل قطابة وحصن تلا وحصون أخرى وتعرف كلها ببنى الرسى وقد تقدم ذكر خبره وأما حصن تلا فمنه كان ظهور الموطئ الذى أعاد امامة الزيدية لبنى الرضا بعد ان استولى عليها بنو سليمان فأوى الى جبل قطابة ثم بايعوا الاحمد الموطئ سنة خمس وأربعين وستمائة وكان فقيها عابدا وحاصره نور الدين بن رسول فى هذا الحصن سنة جرعليه عسكر الحصار ثم مات ابن رسول سنة ثمان وأربعين واشتغل ابنه المظفر بحصار حصن الدمولة فتمكن الموطئ وملك حصون اليمن وزحف الى صعدة وبايعه السليمانيون وامامهم أحمد المتوكل كما مر فى أخبار بنى الرسى وأما قطابة فهو جبل شاهق مشرف على صعدة الى ان كان ماذكرناه *(حران ومسار)* أما حران فهو اقليم من بلاد همذان وحران بطن من بطونهم كان منهم الصليحى وحصن مسار هو الذى ظهر فيه الصليحى وهو من اقليم حران قال البيهقى بلادهم شرقية بجبال اليمن وتفرقوا فى الاسلام ولم يبق لهم قبيلة وفرقة الا فى اليمن وهو أعظم قبائل اليمن وبهم قام الموطئ وملكوا جملة من حصون الجبال ولهم بها اقليم بكيل واقليم حاشد وهما ابنا جشم ابن حيوان أنوق بن همدان قال ابن حزم ومن بكيل وحاشد افترقت قبائل همدان انتهى ومن همدان بنو الزريع أصحاب السلطنة والدعوة فى عدن والجوة ومنهم بنو يام من قبائل همدان انتهى ومن همدان بنو الزريع سبعة وهم الآن فى نهاية من التشيع ببلادهم وأكثرهم زيدية *(بلاد خولان)* قال البيهقى هى شرقية من جبال اليمن ومتصلة ببلاد همذان وهى حصون خددو التعكر وغيرهما وهم أعظم قبائل اليمن مع همدان ولهم بطون كثيرة وافترقوا على بلاد الاسلام ولم يبق منهم وبرية الا باليمن *(مخلاف بنى أصبح)* هو بوادى سحول وذو أصبح الذى ينسبون اليه قد تقدم ذكره فى انساب حمير من التبابعة والاقيال ومخلاف يحصب مجاور له وهو أخو أصبح *(مخلاف بنى وائل)* مدينة هذا المخلاف شاحط وصاحبها أسعد بن وائل وبنو

وائل

وائل بطن من ذى الكلاع وذو الكلاع من سبا تغلبوا على هذه البلاد عن مهلك الحسن بن سلامة حتى عادوا الى الطاعة واختط مدينة الكدد على مخلاف سهام ومدينة المعقل على وادى دوال ومات سنة ثنتين وأربعمائة *(بلاد كندة)* وهى من جبال اليمن مما يلى حضرموت وجبال الرمل وكان لهم بها ملوك وقاعدتهم دمون ذكرها امرؤ القيس فى شعره *(بلاد مذحج)* مو الى جهات الجند من الجبال وينزلها من مذحج عنس وزبيد ومراد ومن عنس بافريقية فرقة وبرية مع ظواعن أهلها ومن زبيد بالحجاز بنو حرب بين مكة والمدينة وبنو زبيد الدين بالشام والجزيرة فهم من طيئ وليسوا من هؤلاء *(بلاد بنى نهد)* فى أجواف السروات وتبالة والسروات بين تهامة والجبال ونجد من اليمن والحجاز كسوأة الفرس وبنو نهد من قضاعة سكنوا اليمن جوار خثعم وهم كالوحوش والعامة تسميهم السرو وأكثرهم أخلاط من جبلة وخثعم ومن بلادهم تبالة يسكنها قوم من نهير وائل ولهم بها صولة وهى التى وليها الحجاج واستحقرها فتركها *(البلاد المضافة الى اليمن)* أولها اليمامة قال البيهقى هو بلد منقطع بعمله والتحقيق انه من الحجاز كما هى نجران من اليمن وكذا قال ابن حوقل وهى دونها فى المملكة وأرضها تسمى العروض لاعتراضها بين الحجاز والبحرين وفى شرقيها البحرين وغربيها أطراف اليمن والحجاز وجنوبها نجران وشمالها نجد من الحجاز وفى أطرافها عشرون مرحلة وهى على أربعة أميال من مكة وقاعدتها حجر بالفتح وبلد اليمامة كانت مقرا للملوك بنى حنيفة ثم اتخذ بنو حنيفة حجرا وبينهما يوم وليلة وبطواهرها أحياء من بنى يربوع من تميم واحياء من بنى عجل قال البكرى واسمها جو وسميت باسم زرقاء اليمامة سماها بذلك تبع الآخر وهى فى الاقليم الثانى مع مكة وبعدهما عن خط الاستواء واحد ومنازلها توضح وقرقرا وقال الطبرى ان رمل عالج من اليمامة والشحر وهى من أرض وبار وكانت اليمامة والطائف لبنى هزان بن يعفر والسكسك وغلبتهم عليها طسم وجديس ثم غلبتهم بنو هزان آخرا وملكوا اليمامة وطسم وجديس فى تبعهم وآخر ملوك بنى ثم غلبت جديس ومنهم باليمامة التى سميت مدينة جو بها وأخبارها معروفة ثم استولى على اليمامة بعد طسم وجديس بنو حنيفة وكان منهم هودة بن على ملك اليمامة وتتوج ويقال انما كانت خرزات هودة بن على ملك اليمامة على عهد النبوة وأسر وأسلم وثبت عند الردة وكان منهم مسيلمة وأخباره معروفة قال ابن سعيد وسألت عرب البحرين وبعض مذحج لمن اليمامة اليوم فقالوا العرب من قيس عيلان وليس لبنى حنيفة بها ذكر *(بلاد حضرموت)* قال ابن حوقل هى فى شرقى عدن بقرب البحر ومدينتها صغيرة

بياض بالأصل

ولها أعمال عريضة وبينها وبين عمان من الجهة الاخرى رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وكانت مواطن لعاد وبها قبر هود عليه السلام وفى وسطها جبل بشام وهى فى الاقليم الاول وبعدها عن خط الاستواء ثنتا عشرة درجة وهى معدودة من اليمن بلد نخل وشجر ومزارع وأكثر أهلها يحكمون بأحكام علىّ وفاطمة ويبغضون عليا للتحكيم وأكبر مدينة بها الآن قلعة بشام فيها خيل الملك وكانت لعاد مع الشحر وعمان وغلبهم عليها بنو يعرب بن قحطان ويقال ان الذى دل عادا على جزيرة العرب هو رقيم بن ارم كان سبق اليها مع بنى هود فرجع الى عاد ودلهم عليها وعلى دخولها بالجوار فلما دخلوا غلبوا على من فيها ثم غلبهم بنو يعرب بن قحطان بعد ذلك وولى على البلاد فكانت ولاية ابنه حضرموت على هذه البلاد وبه سميت الشحر من ممالك جزيرة العرب مثل الحجاز واليمن وكان معقل عن حضرموت وعمان والذى يسمى الشحر قصبته ولا زرع فيه ولا نخل انما أموالهم الابل والمعز ومعاشهم من اللحوم والالبان ومن السمك الصغار ويعلفونها للدواب وتسمى هذه البلاد أيضا بلاد مهرة وبها الابل المهرية وقد يضاف الشحر الى عمان وهو ملاصق لحضرموت وقيل هو باطنها وفى هذه البلاد يوجد اللوبان وفى ساحله العنبر الشحرى وهو متصل فى جهة الشرق ومن غربيها ساحل البحر الهندى الذى عليه عدن وفى شرقيها بلاد عمان وجنوبها بحر الهند مستطيلة عليه وشمالها حضرموت كأنها ساحل لها ويكونان مع الملك واحد وهى فى الاقليم الاول وأشد حرا من حضرموت وكانت فى القديم لعاد وسكنها بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاعة وهم كالوحوش فى تلك الرمال ودينهم الخارجية على رأى الاباضية منهم وأول من نزل بالشحر من القحطانية مالك بن حمير خرج على أخيه واثلة وهو ملك بقصر غمدان فحاربه طويلا ومات مالك فولى بعده ابنه قضاعة بن مالك فلم يزل السكسك يحاربه الى ان قهره واقتصر قضاعة على بلاد مهرة وملك بعده ابنه الحاف ثم مالك بن الحاف وانتقل الى عمان وبها كان سلطانه قال البيهقى وملك مهرة ابن حيدان بن الحاف بلاد قضاعة وحارب عمه مالك بن الحاف صاحب عمان حتى غلبهم عليها وليس لهم اليوم فى غير بلادهم ذكر وببلاد الشحر مدينة مرباط وظفار على وزن نزال وظفار دار ملك التبابعة ومرباط بساحل الشحر وقد خربت هاتان المدينتان وكان أحمد بن محمد بن محمود الحميرى ولقبه الناخودة وكان تاجرا كثير المال يعبر الى صاحب مرباط بالتجارة ثم استوزره ثم هلك فملك أحمد الناخودة ثم خربها وخرب ظفار سنة تسع عشرة وستمائة وبنى على الساحل مدينة ظفار بضم الضاد المعجمة وسماها الاحمدية باسمه وخرب القديمة لانها لم يكن لها مرسى *(نجران)* قال

صاحب الكمائم هى صقع منفرد عن اليمن وقال غيره هى من اليمن قال البيهقى مسافتها عشرون مرحلة وهى شرقى صنعاء وشماليها وتوالى الحجاز وفيها مدينتان نجران وجرش متقاربتان فى القدر والعادية غالبة عليها وسكانها كالاعراب وبها كعبة نجران بنيت على هيئة غمدان كعبة اليمن وكانت طائفة من العرب تحج اليها وتنحر عندها وتسمى الدير وبها قس بن ساعدة كان يتعبد فيها ونزلها من القحطانية طائفة من جرهم ثم غلبهم عليها حمير وصاروا ولاة للتبابعة وكان كل ملك منهم يسمى الافعى وكان منهم افعى نجران واسمه القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن شهاب بن زيد بن وائل بن حمير وكان كاهنا وهو الذى حكم بين أولاد نزار لما أتوه حسبما هو مذكور وكان واليا على نجران لبلقيس فبعثته الى سليمان عليه السلام وآمن وبث دين اليهودية فى قومه وطال عمره ويقال ان البحرين والمشلل كانتا له قال البيهقى ثم نزل نجران بنو مذحج واستولوا عليها ومنهم الحرث بنو كعب وقال غيره لما خربت اليمانية فى سيل العرم مرّوا بنجران فحاربتهم مذحج ومنها افترقوا قال ابن حزم ونزل فى جوار مذحج بالصلح الحرث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد ثم غلبوا عليها مذحجا وصارت لهم رياستها ودخلت النصرانية نجران من قيمون وخبره معروف فى كتب السير وانتهت رياسة بنى الحرث فيها الى بنى الريان ثم صارت الى بنى عبد المدان وكان يزيد منهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم على يد خالد بن الوليد ووفد مع قومه ولم يذكره ابن عبد المؤمن وهو مستدرك عليه وابن أخيه زياد بن عبد الرحمن بن عبد المدان خال السفاح ولاه نجران واليمامة وخلف ابنيه محمدا ويحيى ودخلت المائة الرابعة والملك بها لبنى أبى الجود ابن عبد المدان واتصل فيهم وكان بينهم وبين الفاطميين حروب وربما يغلبونهم بعض الاحيان على نجران وكان آخرهم عبد القيس الذى أخذ علىّ بن مهدى الملك من يده ذكره عمارة وأثنى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

{الخبر عن دولة بنى حمدان المستبدين بالدعوة العباسية من العرب بالموصل والجزيرة والشام ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم}

كان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار ولهم محل فى الكثرة والعدد وكانت مواطنهم بالجزيرة فى ديار ربيعة وكانوا على دين النصرانية فى الجاهلية وصاغيتهم مع قيصر وحاربوا المسلمين مع غسان وهرقل أيام الفتوحات فى نصارى العرب يومئذ من غسان واياد وقضاعة وزابلة وسائر نصارى العرب ثم ارتحلوا مع هرقل الى بلاد الروم ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجزية فقالوا يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة فنفعل

وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بنى مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم ابن ثعلب وكان من رهطه عمرو بن بسطام صاحب السند أيام بنى أمية ثم كان منهم بعد ذلك فى الاسلام ثلاثة بيوت آل عمر بن الخطاب العدوى وآل هرون المغمر وآل حمدان ابن حمدون بن الحرث بن لقمان بن أسد ولم يذكر ابن حزم هؤلاء البيوت الثلاثة فى بطون بنى ثعلب فى كتاب الجمهرة ووقفت على حاشية فى هذا الموضع من كتابه فيها ذكر هؤلاء الثلاثة كالاستلحاق عليه وقال فى بنى حمدان وقيل انهم موالى بنى أسد ثم قال آخر الحاشية انه من خط المصنف يعنى ابن حزم ولما فشا دين الخارجية بالجزيرة أيام مروان بن الحكم وفرق جموعه ومحا آثار تلك الدعوة ثم ظهر فى الجزيرة بعد حين أثر من تلك الدعوة وخرج مساور بن عبد الله بن مساور البجلى من الشراب أيام الفتنة بعد مقتل المتوكل واستولى على أكثر أعمال الموصل وجعل دار هجرته الحديثة وكان على الموصل يومئذ عقبة بن محمد بن جعفر بن محمد بن الاشعث الخزاعى الذى ولى المنصور جده محمدا على افريقية وعليه خرج مساور ثم ولى على الموصل أيوب بن أحمد بن عمر ابن الخطاب الثعلبى سنة أربع وخمسين واستخلف عليها ابنه الحسن فسار الى مساور فى جموع قومه وفيهم حمدون بن الحرث فهزموا الخوارج وفرقوا جمعهم ثم ولى أيام المهتدى عبد الله بن سليمان بن عمران الازدى فغلبه الخوارج وملك مساور الموصل ورجع الى الحديثة ثم انتقض أهل الموصل أيام المعتمد سنة تسع وخمسين وأخرجوا العامل وهو ابن اساتكين الهيثم بن عبد الله بن المعتمد العدوى من بنى ثعلب فامتنعوا عليه وولوا مكانه اسحق بن أيوب من آل الخطاب فزحف ومعه حمدان بن حمدون وحاصرها مدة ثم كانت فتنة اسحق بن كنداجق وانتقاضه على المعتمد واجتمع لمدافعته على بن داود صاحب الموصل وحمدان بن حمدون واسحق بن أيوب فهزمهم اسحق بن كنداجق وافترقوا فاتبع اسحق بن أيوب الى نصيبين ثم الى آمد واستجار فيها بعيسى بن الشيخ الشيبانى وبعث الى المعز موسى بن زرارة صاحب أرزن فامتنع بانجادهما ثم ولى المعتمد ابن كنداجق على الموصل سنة سبع وستين فاجتمع لحربه اسحق بن أيوب وعيسى بن الشيخ وأبو المعز بن زرارة وحمدان بن حمدون فى ربيعة وثعلب فهزمهم ابن كنداجق وحاصرهم ولجؤا الى آمد عند عيسى بن الشيخ الشيبانى وحاصرهم بها وتوالت عليهم الحروب وهلك مساور الخارجى أثناء هذه الفتن فى حربه مع العساكر سنة ثلاث وستين واجتمع الخوارج بعده على هرون بن عبد الله البجلى واستولى على الموصل وكثر تابعه وخرج عليه محمد بن خرداد من أصحابه فغلبه على الموصل فقصد حمدان بن حمدون مستنجدا به فسار معه ورده الى الموصل

ولحق محمد بالحديثة ورجع أصحابه الى هرون ثم سار هرون من الموصل الى محمد فأوقع به وقتله وعاث فى الاكراد الجلالية أصحابه وغلب على القرى والرساتيق وجعل رجله يأخذ الزكاة والعشر ثم زحف بنو شيبان لقتاله سنة ثنتين وسبعين فاستنجد بحمدان بن حمدون وانهزم قبل وصوله اليه ثم كانت الفتنة بين اسحق بن كنداجق ويوسف بن أبى الساج وأخذ ابن أبى الساج بدعوة ابن طولون وغلب على الجزيرة والموصل ثم عاد وملكها لابن كنداجق وولى عليها هرون بن سيما سنة تسع وسبعين ومائتين فطرده أهلها واستنجد ببنى شيبان فسار وامعه الى الموصل واستمد أهلها الخوارج وبنى ثعلب فسار لامدادهم هرون الشارى وحمدان فهزمهم بنو شيبان وخاف أهل الموصل من ابن سيما فبعثوا الى بغداد وولى عليهم المعتمد على بن داود الازدى ولما بلغ المعتضد ممالأة حمدان بن حمدون لهرون الشارى وما فعله بنو شيبان وقد كان خرج لاصلاح الجزيرة وأعطاه بنو شيبان رهنهم على الطاعة زحف الى حمدان وهزمه فلحق بماردين وترك بها ابنه الحسين وهرب فسار مع وصيف ونصر القشورى وعبروا بدير الزعفران وبه الحسين بن حمدان فاستأمن اليهم وبعثوا به الى المعتضد وأمر بهدم القلعة واتبع وصيف حمدان فهزمه وعبر الى الجانب الغربى ثم سار الى معسكر المعتضد وكان اسحق بن أيوب الثعلبى قد سبق الى طاعة السلطان وهو فى معسكره فقصد خيمته ملقيا بنفسه عليه فأحضره عند المعتضد فحبسه ثم سار نصر القشورى فى اتباع هرون فهزم الخوارج ولحق باذربيجان واستأمن آخرون الى المعتضد ودخل هرون البرية ثم سار المعتضد سنة ثلاث وثمانين فى طلب هرون وبعث فى مقدمته وصيفا وسرح معه الحسين بن حمدان بن بكرين واشترط له اطلاق ابيه ان جاء بهرون فاتبعه وأسره وجاء به الى المعتضد فخلع عليه وعلى اخوته وطوقه وفك القيود عن حمدان ووعده باطلاقه ومات اسحق بن أيوب العدوى وكان على ديار ربيعة فولى المعتضد مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمد

* (مبدأ الدولة وولاية أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل) *

ولما ولى المكتفى عقد لابى الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل وأعمالها وكان الاكراد الهذبانية قد عاثوا فى نواحيها ومقدمهم محمد بن سلال فقاتلهم وعبر وراءهم الى الجانب الشرقى وقاتلهم على الخازر وقتل مولاه سيما ورجع ثم أمده الخليفة فسار فى اثرهم سنة أربع وتسعين وقاتلهم على اذربيجان وهزم محمد بن سلال بأهله وولده واستباحهم ابن حمدان ثم استأمن محمد وجاء الى الموصل واستأمن سائر الاكراد الحميدية واستقام أمر أبى الهيجاء ثم كانت فتنة الخلع ببغداد سنة ست وتسعين وقتل

الوزير العباس بن الحسن وخلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز يوما أو بعض يوم وعاد المقتدر كما مر ذلك كله فى أخبار الدولة العباسية وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة وكان ممن تولى كبر هذه الفتنة مع القواد وباشر قتل الوزير مع من قتله فهرب وطلبه المقتدر وبعث فى طلبه القاسم بن سيما وجماعة من القواد فلم يظفروا به فكتب الى أبى الهيجاء وهو على الموصل فسار مع القاسم ولقيهم الحسين عند تكريت فانهزم واستأمن فأمنه المقتدر وخلع عليه وولاه أعمال قم وقاشان ثم رده بعد ذلك الى ديار ربيعة

(انتقاض أبى الهيجاء ثم الحسين بن حمدان)

ولما كانت سنة تسع وتسعين خالف أبو الهيجاء بالموصل الى سنة ثنتين وثلثمائة وكان الحسين بن حمدان على ديار ربيعة كما قدمناه فطالبه الوزير عيسى بن عيسى بحمل المال فدافعه فأمره بتسليم البلاد الى العمال فامتنع فجهز اليه الجيش فهزمهم فكتب الى مؤنس الخجلى وهو بمصر يقاتل عساكر العلوية بأن يسير الى قتال الحسين بعد فراغه من أمره فسار اليه سنة ثلاث وثلثمائة فارتحل بأهله الى أرمينية وترك البلاد وبعث مؤنس العساكر فى اثره فأدركوه وقاتلوه فهزموه وأسروه وابنه عبد الوهاب وأهله وأصحابه وعاد به الى بغداد فأدخل على جمل وقبض المقتدر يومئذ على أبى الهيجاء وجميع بنى حمدان فحبسهم جميعا ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس بعدها وقتل الحسين سنة ست وولى ابراهيم بن حمدان سنة سبع على ديار ربيعة وولى مكانه داود بن حمدان

(ولاية أبى الهيجاء ثانية على الموصل ثم مقتله)

ثم ولى المقتدر أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان على الموصل سنة أربع عشرة فبعث ابنه ناصر الدولة الحسين عليها وأقام هو ببغداد ثم بلغه افساد العرب والاكراد فى نواحيها وفى نواحى عمله الآخر بخراسان فبعث الى ابنه ناصر الدولة فأوقع بالعرب فى الجزيرة ونكل بهم وجاء فى العساكر الى تكريت فخرج ورحل بهم الى شهرزور وأوقع بالاكراد الجلالية حتى استقاموا على الطاعة ثم كان خلع المقتدر سنة سبع عشرة وثلثمائة بأخيه القاهر ثم عاد ثانى يوم وأحيط بالقاهر فى قصره فتذمم بأبى الهيجاء وكان عنده يومئذ وأطال المقام يحاول على النجاة به فلم يتمكن من ذلك وانفض الناس على القاهر ومضى أبو الهيجاء يفتش عن بعض المنافق فى القصر يتخلص منه فاتبعه جماعة وفتكوا به وقتلوه منتصف المحرم من السنة وولى المقتدر مولاه تحريرا على الموصل

(ولاية سعيد ونصر ابنى حمدان على الموصل)

ثم ان أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل وديار ربيعة وما بيد ناصر الدولة فولاه الراضى سنة ثلاث وعشرين وسار الى الموصل فخرج ناصر الدولة لتلقيه وخالفه أبو العلاء الى بيته وقعد ينتظره فأنفذ ناصر الدولة جماعة من غلمانه فقتلوه وبلغ الخبر الى الراضى فأعظم ذلك وأمر الوزير ابن مقلة بالمسير الى الموصل فسار اليها وارتحل ناصر الدولة واتبعه الوزير الى جبل السن ورجع عنه وأقام بالموصل واحتال بعض أصحاب ابن حمدان ببغداد على ابن الوزير وبذل له عشرة آلاف دينار على أن يستحث أباه ففعل وكتب اليه بأمور أزعجته فاستعمل على الموصل من وثق به من أهل الدولة ورجع الى بغداد فى منتصف شوال ورجع ناصر الدولة الى الموصل فاستولى عليها وكتب الى الراضى فى الصفح وأن يضمن البلاد فأجيب الى ذلك واستقر فى ولايته

*(مسير الراضى الى الموصل)

وفى سنة سبع وعشرين تأخر ضمان البلاد من ناصر الدولة فغضب الراضى وسار ومدبر دولته تحكم وسار الى الموصل وتقدم تحكم الى تكريت فخرج اليه ناصر الدولة فانهزم أصحابه وسار الى نصيبين واتبعه تحكم فلحق به وكتب تحكم الى الراضى بالفتح فسار فى السفن يريد الموصل وكان ابن رائق مختفيا ببغداد منذ غلبه ابن البريدى على الدولة فظهر عند ذلك واستولى على بغداد وبلغ الخبر الى الراضى فأصعد من الماء الى البر واستقدم تحكم من نصيبين واستعاد ناصر الدولة ديار ربيعة وهو يعلم بخبر ابن رائق وبعث فى الصلح على تعجيل خمسمائة ألف درهم فأجابه الى ذلك وسار الراضى وتحكم الى بغداد ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد رسولا من ابن رائق فى الصلح على أن يولى ديار مضر وهى حران والرها والرقة وتضاف اليها قنسرين والعواصم فأجيب الى ذلك وسار عن بغداد الى ولايته ودخل الراضى وتحكم بغداد ورجع ناصر الدولة بن حمدان الى الموصل

(مسير المتقى الى الموصل وولاية ناصر الدولة امارة الامراء)

كان ابن رائق بعد مسيره الى ديار مضر والعواصم سار الى الشأم وملك دمشق من يد الاخشيد ثم الرملة ثم لقيه الاخشيد على عريش مصر وهزمه ورجع الى دمشق ثم اصطلحا على أن يجعلا الرملة تخما بين الشأم ومصر وذلك سنة ثمان وعشرين ثم توفى الراضى سنة تسع وعشرين وولى المتقى وقتل تحكم وجاء البريدى الى بغداد وهرب الاتراك التحكمية الى الموصل وفيهم توزون وجحجح ثم لحقوا بأبى بكر محمد بن رائق واستحثوه الى العراق وغلب بعدهم على الخلافة الاتراك الديلمية وجاء أبو الحسن

البريدى من واسط وأقام ببغداد أربعة وعشرين يوما أمير الامراء ثم شغب عليه الجند فرجع الى واسط وغلب كورتكين ثم حجر المتقى وكتب الى ابن رائق يستدعيه فسار من دمشق فى رمضان سنة تسع وعشرين واستخلف عليها أبا الحسن أحمد بن على بن حمدان على أن يحمل اليه مائة ألف دينار وسار ابن رائق الى بغداد وغلب كورتكين والديلمة وحبس كورتكين بدار الخلافة ثم شغب عليه الجند وبعث أبو عبد الله البريدى أخاه أبا الحسن الى بغداد فى العساكر فغلبوا عليها وهرب المتقى وابنه أبو منصور وزاد فى المبرة فنثر الدراهم على ابن الخليفة وبالغ فى مبرته حتى ركب للانصراف وأمسك ابن رائق للحديث معه فاستدعاه المتقى وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء وخلع على أخيه أبى الحسن ولقبه سيف الدولة وكان قتل ابن رائق لتسع بقين من رجب وولاية ناصر الدولة مستهل شعبان من سنة ثلاثين ثم سار الاخشيدى من مصر الى دمشق فملكها من يد عامل ابن رائق وسار ناصر الدولة مع المتقى الى بغداد

(أخبار بنى حمدان ببغداد)

ولما قتل ابن رائق وأبو الحسن البريدى على بغداد وقد سخطه العامة والخاصة فهرب بجكم الى المتقى وأجمع توزون وأصحابه الى الموصل واستحثوا المتقى وناصر الدولة فأنجدوهم الى بغداد وولى على الخراج والضياع بديار مضر وهى الرها وحران والرقة أبا الحسن على بن خلف بن طياب وكان عليها أبو الحسن على بن أحمد بن مقاتل من قبل ابن رائق فقاتله ابن طياب وقتله ولما قرب المتقى وناصر الدولة من بغداد هرب أبو الحسن بن البريدى الى واسط بعد مقامه مائة يوم وعشرة أيام ودخل المتقى بغداد ومعه بنو حمدان وقلد توزون شرطة جانبى بغداد وذلك فى شوال من السنة ثم سار بنو حمدان الى واسط فنزل ناصر الدولة بالمدائن وبعث أخاه سيف الدولة الى قتال البريدى وقد سار من واسط اليهم فقاتلوه تحت المدائن ومعهم توزون وبجكم والاتراك فانهزموا أولا ثم أمدهم ناصر الدولة بمن كان معه من المدائن فانهزم البريدى الى واسط وعاد ناصر الدولة الى بغداد منتصف ذى الحجة وبين يديه الاسرى من أصحاب البريدى وأقام سيف الدولة بموضع المعركة حتى اندملت جراحه وذهب وهنه ثم سار الى واسط فلحق البريدى بالبصرة واستولى على واسط فأقام بها معتزما على اتباع البريدى الى البصرة واستمد أخاه ناصر الدولة فى المال فلم يمده وكان للاتراك عليه استطالة وخصوصا توزون وبجكم ثم جاء أبو عبد الله الكوفى بالمال من قبل ناصر الدولة ليفرقه فى الاتراك فاعترضه توزون وبجكم وأراد البطش به فأخفاه سيف الدولة عنهما ورده الى أخيه

ثم ثار الاتراك بسيف الدولة سلخ شعبان فهرب من معسكره الى بغداد ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه وكان أبو عبد الله الكوفى لما وصل الى ناصر الدولة وأخبره خبر أخيه أراد أن يسير الى الموصل فركب المتقى اليه واستمهله وعاد الى قصره فأغذ السير الى الموصل بعد ثلاثة عشر شهرا من امارته وثار الديلم والاتراك ونهبوا داره ولما هرب سيف الدولة من معسكره بواسط عاد الاتراك الى معسكرهم وولوا توزون أميرا وبجكم صاحب جيش ولحق سيف الدولة ببغداد منتصف رمضان بعد مسير أخيه وبلغه خبر توزون ثم اختلف الاتراك وقبض توزون على بجكم وسمله وسار سيف الدولة ولحق بأخيه بالموصل وولى توزون امارة الامراء ببغداد

(خبر عدل التحكمى بالرحبة)

كان عدل هذا مولى بحكم ثم صار مع ابن رائق وأصعد معه الى الموصل ولما قتل ابن رائق صار فى جملة ناصر الدولة بن حمدان فبعثه مع على بن خلف بن طياب الى ديار مضر فاستولى ابن طياب عليها وقتل نائب ابن رائق وكان بالرحبة من ديار مضر رجل من قبل ابن رائق يقال له مسافر بن الحسين فامتنع بها وجبى خراجها واستولى على تلك الناحية فأرسل اليه ابن طياب عدلا التحكمى فاستولى عليها وفر مسافر عنها واجتمع التحكمية الى عدل واستولى على طريق الفرات وبعض الخابور ثم استنصر مسافر بجمع من بنى نمير وسار الى قرقيسيا وملكها وارتجعها عدل من يده ثم اعتزم عدل على ملك الخابور وانتصر أهله ببنى نمير فأعرض عدل عن ذلك حينا حتى امنوا ثم أسرى الى فسيح سمصاب وهى من أعظم قرى خابور فقاتلها ونقب السور وملكها ثم ملك غيرها وأقام فى الخابور ستة أشهر وجبى الاموال وقوى جمعه واتسعت حاله ثم طمع فى ملك بنى حمدان فسار يريد نصيبين لغيبة سيف الدولة عن الموصل وبلاد الجزيرة ونكب عن الرحبة وحران لان يأنس المؤنسى كان بها فى عسكر ومعه جمع من بنى نمير فحاد عنها الى رأس عين ومنها الى نصيبين وبلغ الخبر الى أبى عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فجمع وسار اليه فلما التقى الجمعان استأمن أصحاب عدل الى ابن حمدان ولم يبق معه الا القليل فقبض عليه وسمله وبعث به مع ابنه الى بغداد فى آخر شعبان سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

(مسير المتقى الى الموصل وعوده)

ولما انصرف ناصر الدولة وسيف الدولة عن المتقى من بغداد جاء توزون من واسط واستولى على الدولة ثم رجع الى واسط ووقعت بينه وبين ابن البريدى بالبصرة مواصلة

وهم واستوحش لها المتقى وكان بعض أصحاب توزون منافرا له فأكثر فيه السعاية عند المتقى والوزير ابن مقلة وخوفهما اتصاله بابن البريدى وقارن ذلك اتصال ابن شيرزاد بتوزون ومسيره اليه بواسط فذكروا الخليفة بما فعل ابن البريدى معه فى المرة الاخرى وخوفوه عاقبة أمرهم فكتب الى ابن حمدان أن ينفذ اليه عسكرا يسير بصحبته اليهم فأنفذه مع ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان ووصلوا الى بغداد سنة ثنتين وثلاثين وخرج المتقى معهم بأهله وأعيان دولته ومعه الوزير ابن مقلة وانتهى الى تكريت فلقيه سيف الدولة هنالك وجاء ناصر الدولة فأصعد المتقى الى الموصل ولما بلغ الخبر الى توزون سار نحو تكريت فلقيه سيف الدولة عندها فقاتله ثلاثة أيام ثم هزمه توزون ونهب سواده وسواد أخيه وسار سيف الدولة الى الموصل وتوزون فى اتباعه فخرج ناصر الدولة والمتقى وجملته الى نصيبين ثم الى الرقة ولحقهم سيف الدولة اليها وملك توزون الموصل وبعث اليه المتقى يعاتبه على اتصاله بابن البريدى وأنه انما استوحش من ذلك فان آثر رضاه فليصالح ابن حمدان فأجاب توزون الى ذلك وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وعاد توزون الى بغداد وأقام المتقى بالرقة ثم أحس من ابن حمدان ضجرا به وبلغ سيف الدولة أن محمد بن ينال الترجمان أغرى المتقى بسيف الدولة وهو الذى كان أفسد بين المتقى وتوزون فقبض عليه سيف الدولة وقتله وارتاب المتقى بذلك فكتب الى توزون يستصلحه وكتب الى الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر يستقدمه فسار اليه الاخشيد ولما وصل الى حلب وعليها من قبل سيف الدولة ابن عمهم أبو عبد الله سعيد بن حمدان فرحل عنها وتخلف عنه ابن مقاتل الذى كان بدمشق مع ابن رائق ولما وصل الاخشيد الى حلب لقيه ابن مقاتل فأكرمه واستعمله على خراج مصر ثم سار الى المتقى بالرقة فلقيه منتصف ثلاث وثلاثين فبالغ المتقى فى اكرامه وبالغ هو فى الادب معه وحمل اليه الهدايا والى وزيره وحاشيته وسأله المسير الى مصر أو الشام فأبى فأشار عليه أن لا يرجع الى توزون فأبى وأشار على ابن مقلة أن يسير معه الى مصر ليحكمه فى دولته تخوفه من توزون فلم يعمل وجاءهم رسل توزون فى الصلح وأنهم استحلفوه للخليفة والوزير فانحدر المتقى الى بغداد آخر المحرم وعاد الاخشيد الى مصر ولما وصل المتقى الى هيت لقيه توزون فقبل الارض ورأى أنه تحلل عن يمينه بتلك الطاعة ثم وكل به وسمل المتقى ورجع الى بغداد فبايع للمستكفى ولما ارتحل المتقى عن الرقة ولى عليها ناصر الدولة ابن عمه أبا عبد الله بن سعيد بن حمدان وعلى طريق الفرات وديار مضر وقنسرين وجند والعواصم وحمص فلما وصل الى الرقة طمع أهلها فيه فقاتلهم وظفر

بهم ورجع الى حلب وقد كان ولى على هذه البلاد قبله أبا بكر محمد بن على بن مقاتل

(استيلاء سيف الدولة على حلب وحمص)

ولما ارتحل المتقى من الرقة وانصرف الاخشيد الى الشام بقى بأنس المؤنسى بحلب فقصده سيف الدولة وملكها من يده ثم سار الى حمص فلقيه بها كافور مولى الاخشيد فهزمه سيف الدولة وسار الى دمشق فامتنعوا عليه فرجع وجاء الاخشيد من مصر الى الشام وسار فى اتباع سيف الدولة فاصطفا بقنسرين ثم تحاجزوا ورجع سيف الدولة الى الجزيرة والاخشيد الى دمشق ثم سار سيف الدولة الى حلب فملكها وسارت عساكر الروم اليها فقاتلهم وظفر بهم ثم بلغ ناصر الدولة بن حمدان ما فعله توزون من سمل المتقى وبيعة المستكفى فامتنع من حمل المال وهرب اليه غلمان توزون فاستخدمهم ونقض الشرط فى ذلك وخرج توزون والمستكفى قاصدين الموصل وترددت الرسل بينهما فى الصلح فتم ذلك آخر سنة ثلاث وثلاثين وعاد المستكفى وتوزون الى بغداد فتوفى توزون اثر عوده وولى الامور بعده ابن شيرزاد واستعمل على واسط قائدا وعلى تكريت آخر فأما الذى على واسط فكاتب معز الدولة ابن بويه واستقدمه فتقدم بغداد واستولى على الدولة فخلع المستكفى وبايع للمطيع وأما الذى على تكريت فسار الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وسار معه وولاه عليها من قبله

(الفتنة بين ابن حمدان وابن بويه)

ولما خلع معز الدولة بن بويه المستكفى عند استيلائه على بغداد امتعض ناصر الدولة ابن حمدان لذلك وسار من الموصل الى العراق وبعث معز الدولة بن بويه قواده فالتقى الجمعان بعكبرا واقتتلوا وخرج معز الدولة مع المطيع الى عكبرا وكان ابن شيرزاد ببغداد وأقام بها ولحق بناصر الدولة بن حمدان وجاء بعساكره الى بغداد فنزلوا بالجانب الغربى وناصر الدولة بالجانب الشرقى ووقع الغلاء فى معسكر معز الدولة والخليفة لانقطاع الميرة وبقى عسكر ابن حمدان فى رخاء من العيش لاتصال الميرة من الموصل واستعان ابن شيرزاد بالعامة والعيارين على حرب معز الدولة والديلم وضاق الامر بمعز الدولة حتى اعتزم على الرجوع الى الاهواز ثم أمر أصحابه بالعبور من قطربل بأعلى دجلة وتسابق أصحاب ناصر الدولة الى مدافعتهم ومنعهم وبقى فى خف من الناس فأجاز اليه شجعان الديلم من أقرب الاماكن فهزموه وملك معز الدولة الجانب الشرقى وأعاد المطيع الى داره فى محرم سنة خمس وثلاثين ورجع ناصر الدولة الى عكبرا وأرسل فى الصلح فوقف الاتراك التوزونية الذين معه على خبر رسالته فهموا بقتله فأغذ السير

الى الموصل ومعه ابن شيرزاد وأحكم الصلح مع معز الدولة

(استيلاء سيف الدولة على دمشق)

وفى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة توفى الاخشيد أبو بكر محمد بن طغج صاحب مصر والشأم فنصب للامر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور واستولى عليه كافور الاسود وخادم أبيه وسار بهما الى مصر وجاء سيف الدولة الى دمشق فملكها وارتاب به أهلها فاستدعوا كافورا فجاءهم وخرج سيف الدولة الى حلب ثم اتبعوه فعبر الى الجزيرة وأقام أنوجور على حلب ثم اتفقوا واصطلحوا وعاد أنوجور الى مصر وسيف الدولة الى حلب وأقام كافور بدمشق قليلا ثم عاد الى مصر واستعمل على دمشق بدرا الاخشيد ويعرف بيدير ثم عزله بعد سنة وولى أبا المظفر طغج

(الفتنة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين تكين والاتراك)

كان مع ناصر الدولة جماعة من الاتراك أصحاب توزون فروا اليه كما قدمنا فلما وقعت المراسلة بينه وبين معز الدولة فى الصلح ثاروا به وهرب منهم وعبر الى الجانب الغربى ونزل والقرامطة فأجاروه وبعثوا معه الى مأمنه وفى جملته ابن شيرزاد فقبض ناصر الدولة عليه واجتمع الاتراك بعده فقدموا عليهم تكين الشيرازى وقبضوا على من تخلف من أصحاب ناصر الدولة واتبعوه الى الموصل فسار عنها الى نصيبين ودخل الاتراك الموصل وبعث ناصر الدولة الى معز الدولة يستصرخه فبعث اليه الجيوش مع وزيره أبى جعفر الصيمرى وخرج الاتراك من الموصل فى اتباع ناصر الدولة الى نصيبين فمضى الى سنجار ثم الى الحديثة ثم الى السن وهم فى اتباعه وبقى هنالك العساكر فقاتلوا الاتراك وهزموهم وسيق قائدهم تكين الى ناصر الدولة فسمله لوقته ثم حبسه وسار مع الصيمرى الى الموصل فأعطاه ابن شيرزاد وارتحل به الى بغداد

بياض بالاصل

(انتقاض جمان بالرحبة ومهلكه)

كان جمان هذا من أصحاب توزون وسار الى ناصر الدولة بن حمدان فلما كان فى محاربة معز الدولة ببغداد استراب بمن معه من الديلم وجمعهم على جمان هذا وأخرجه الى الرحبة واليا فعظم أمره وانتقض سنة ست وثلاثين على ناصر الدولة وحدثته نفسه بالتغلب على ديار مضر فسار الى الرقة وحاصرها سبعة عشر يوما وانهزم عنها ووثب أهل الرحبة بأصحابه وعماله فقتلوهم لسوء سيرتهم وجاء من الرقة فأثخن فيهم وبعث ناصر الدولة بن حمدان حاجبه باروخ مع عسكر فاقتتلوا على الفرات وانهزم جمان فغرق فى الفرات واستأمن أصحابه الى باروخ فأمنهم ورجع الى ناصر الدولة

(فتنة

(فتنة ناصر الدولة مع معز الدولة)

ثم وقعت الفتنة بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة ابن بويه وسار اليه معز الدولة من بغداد سنة سبع وثلاثين فسار هو من الموصل الى نصيبين وملك معز الدولة الموصل فظلم الرعايا وأخذ أموالهم وأجمع الاستيلاء على بلاد ابن حمدان كلها فجاءه الخبر بأن عساكر خراسان قصدت جرجان والرى وبعث أخوه ركن الدولة يستمده فصالح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة والشأم على ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة وعلى أن يخطب له ولاخويه عماد الدولة وركن الدولة وعاد الى بغداد فى ذى الحجة آخر سبع وثلاثين

(غزوات سيف الدولة)

كان أمر الثغور راجعا الى سيف الدولة بن حمدان ووقع الفداء سنة خمس وثلاثين فى ألفين من الاسرى على يد نصر الثملى ودخل الروم سنة ثنتين وثلاثين مدينة وامرغين فنهبوها وسبوها وأقاموا بها ثلاثا وهم فى ثمانين ألفا مع الدمشق ثم سار سيف الدولة سنة سبع وثلاثين غازيا الى بلاد الروم فقاتلوه وهزموه ونزل الروم على مرعش فأخذوها وأوقعوا بأهل طرسوس ثم دخل سنة ثمان وثلاثين وتوغل فى بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة وغنم وسبا ولما قفل أخذت الروم عليه المضايق وأثخنوا فى المسلمين قتلا وأسرا واستردوا ما غنموه ونجا سيف الدولة فى فل قليل ثم ملك الروم سنة احدى وأربعين مدينة سروج واستباحوها ثم دخل سيف الدولة سنة ثلاث وأربعين الى بلاد الروم فأثخن فيها وغنم وقتل قسطنطين بن الدمشق فيمن قتل فجمع الدمشق عساكر الروم والروس والبلغار وقصد الثغور فسار اليه سيف الدولة بن حمدان والتقوا عند الحرث فانهزم الروم واستباحهم المسلمون قتلا وأسرا وأسر صهر الدمشق وبعض أسباطه وكثير من بطارقته ورجع سيف الدولة بالظفر والغنيمة ثم دخل بلاد الروم النصرانية ثم رجع الى أذنة وأقام بها حتى جاءه نائبه على طرسوس فخلع عليه وعاد الى حلب وامتعض الروم لذلك فرجعوا الى بلادهم ثم غزا الروم طرسوس والرها وعاثوا فى نواحيها سبيا وأسرا ورجعوا ثم غزا سيف الدولة بلاد الروم سنة ست وأربعين وأثخن فيها وفتح عدة حصون وامتلأت أيدى عسكره من الغنائم والسبى وانتهى الى خرسنة ورجع وقد أخذت الروم عليه المضايق فقال له أهل طرسوس ارجع معنا فان الدروب التى دخلت منها قد ملكها الروم عليك فلم يرجع اليهم وكان معجبا برأيه فظهر الروم عليه فى الدرب واستردوا ما أخذوا منهم ونجا فى فل قليل بنحو من الثلثمائة

ثم دخل سنة خمسين قائد من موالى سيف الدولة الى بلاد الروم من ناحية ميافارقين فغنم وسبا وخرج سالما

(الفتنة بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن بويه)

قد تقدم لنا ما وقع من الصلح بين ناصر الدولة وبين معز الدولة بن بويه وطالبه فى المال فانتقض وسار اليه معز الدولة الى الموصل منتصف السنة وملكها وفارقها ناصر الدولة الى نصيبين وحمل نوابه ومن يعرف وجوه المال وجبايته وأنزلهم فى قلاعه مثل الزعفرانى وكواشى ودس الى العرب بقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الاقوات فرحل معز الدولة الى نصيبين لما بها من الغلات السلطانية واستخلف سبكتكين الحاجب الكبير على الموصل وبلغه فى طريقه ان أبا الرجاء وعبد الله ابنى ناصر الدولة مقيمان بسنجار فقصدهما فهربا وخلفا أثقالهما وانتهب العسكر خيامهما ثم عادا الى معسكر معز الدولة وهم غارون فنالوا منهم ورجعوا الى سنجار وسار معز الدولة الى نصيبين ففارقها ناصر الدولة الى ميافارقين واستأمن كثير من أصحابه الى معز الدولة فسار ناصر الدولة الى أخيه سيف الدولة بحلب فقام بخدمته وباشرها بنفسه وأرسل الى معز الدولة فى الصلح بينه وبين أخيه فامتنع معز الدولة من قبول ناصر الدولة لانتقاضه واخلافه فضمن سيف الدولة البلاد بالفى ألف وتسعمائة ألف درهم وأطلق معز الدولة أسرى أصحابهم وتم ذلك فى محرم سنة ثمان وأربعين ورجع معز الدولة الى العراق وناصر الدولة الى الموصل

(استيلاء الروم على عين زربة ثم على مدينة حلب)

وفى المحرم من سنة احدى وخمسين نزل الدمشق فى جموع الروم على عين زربة وملك الجبل المطل عليها وضيق عليها حصارها ونصب عليها المنجنيقات وشرع فى النقب فاستأمنوا ودخل المدينة ثم ندم على تأمينهم لما رأى من اختلال أحوالهم فنادى فيهم ان يخرجوا بجميع أهاليهم الى المسجد فمات منهم فى الابواب بكظ الزحام خلق ومات آخرون فى الطرقات وقتل من وجدوا آخر النهار واستولى الروم على أموالهم وامتعتهم وهدموا سور المدينة وفتحوا فى نواحى عين زربة أربعة وخمسين حصنا ورحل الدمشق بعد عشرين يوما بنية العود وخلف جيشه بقيسارية وكان ابن الزيات صاحب طرسوس قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان واعترضه الدمشق فى بعض مذاهبه فأوقع به وقتل أخاه وأعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة وألقى ابن الزيات نفسه فى النهر فغرق ثم رجع الدمشق الى بلاد الثغور وأغذ السير الى مدينة حلب وأعجل سيف

الدولة عن الاحتشاد فقاتله فى خف من أصحابه فانهزم سيف الدولة واستلحم آل حمدان واستولى الدمشق على ما فى داره خارج حلب من خزائن الاموال والسلاح وخرب الدار وحصر المدينة وأحس أهل حلب مدافعته فتأخر الى جبل جوشن ثم انطلقت أيدى الدعار بالبلد على النهب وقاتلهم الناس على متاعهم وخربت الاسوار من الحامية فجاء الروم ودخلوها عليهم وبادر الاسرى الذين كانوا فى حلب وأثخنوا فى الناس وسبى من البلد بضعة عشر ألفا ما بين صبى وصبية واحتمل الروم ما قدروا عليه وأحرقوا الباقى ولجأ المسلمون الى قصبة البلد فامتنعوا بها وتقدم ابن أخت الملك الى القلعة يحاصرها فرماه حجر منجنيق فمات وقتل الدمشق به من كان معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفا ومائتين وارتحل الدمشق عنهم ولم يعرض لسواد حلب وأمرهم بالعمارة على أنه يعود ابن عمه عن قريب فخيب الله ظنه وأعاد سيف الدولة عين زربة وأصلح أسوارها وغزا حاجبه مع أهل طرسوس الى بلاد الروم فأثخنوا فيها ورجعوا فجاء الروم الى حصن سبة فملكوه وملكوا أيضا حصن دلوكة وثلاثة حصون مجاورة لهم ثم سار نجا غلام سيف الدولة الى حصن زياد فلقيهم جمع من الروم فانهزم الروم وأسر منهم خمسمائة رجل وفى هذه السنة أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان وكان عاملا على منبج وفيها سار جيش من الروم فى البحر الى جزيرة اقريطش وبعث اليهم المعز بالمدد فاسر الروم وانهزم من بقى منهم ثم ثار الروم فى ثنتين وخمسين بعدها بملكهم فقتلوه وملكوا غيره وصار ابن الشميسرة دمشقا

(انتقاض أهل حران)

كان سيف الدولة قد ولى هبة الله ابن أخيه ناصر الدولة غيرها من ديار مضر فساءت سيرته فيهم وطرح الامتعة على التجار وبالغ فى الظلم فانتظروا به غيبته عند عمه سيف الدولة وثاروا بعماله ونوابه فطردوهم فسار هبة الله اليهم وحاصرهم شهرين وأفحش فى القتل فيهم ثم سار سيف الدولة فراجعوا الطاعة وأدخلوا هبة الله وأفحش فى القتل واستقاموا

(انتقاض هبة الله)

وفى هذه السنة بعث سيف الدولة الصوائف الى بلاد الروم فدخل أهل طرسوس من درب ومولاه نجا من درب وأقام هو ببعض الدروب لانه كان أصابه الفالج قبل ذلك بسنتين فكان يعالج منه شدة اذا عاوده وجعه وتوغل أهل طرسوس فى غزوتهم وبلغوا قونية وعادوا فعاد سيف الدولة الى حلب واشتد وجعه فأرجف الناس بموته فوثب عبد الله ابن أخيه وقتل ابن نجا النصرانى من غلمان سيف الدولة ولم يتيقن حياة عمه

رحل الى حران وامتنع بها وبعث سيف الدولة غلامه نجا الى حران فى طلبه فلحق هبة الله بأبيه بالموصل ونزل نجا على حران آخر شوال من سنة ثنتين وخمسين وصادر أهلها على ألف ألف درهم وأخذها منهم فى خمسة أيام بالضرب والنكال وباعوا فيها ذخائرهم حتى أملقوا وصاروا الى ميافارقين ونزلها شاعرة فتسلط العيارون على أهلها

(انتقاض نجا بميافارقين وأرمينية واستيلاء سيف الدولة عليها)

ولما فعل نجا بأهل حران مافعل واستولى على أموالهم فقوى بها وبطر وسار الى ميافارقين وقصد بلاد أرمينية وكان قد استولى على أكثرها رجل من العراق يعرف بأبى الورد فقاتله نجا على ماملك منها وأخذ قلاعه وبلاده فملك خلاط وملاذكرد وأخذ كثيرا من أموال أبى الورد وقتله ثم انتقض على سيف الدولة واتفق ان معز الدولة ابن بويه استولى على الموصل ونصيبين فكاتبه نجا يعده المساعدة على بنى حمدان ثم صالحه ناصر الدولة ورجع الى بغداد فسار سيف الدولة الى نجا فهرب منه بين يديه واستولى على جميع البلاد التى ملكها من أبى الورد واستأمن اليه نجا واخوه وأصحابه فأمنهم وأعاد نجا الى مرتبته ثم وثب عليه غلمانه وقتلوه فى داره بميافارقين فى ربيع سنة ثلاث وخمسين

(مسير معز الدولة الى الموصل وحروبه مع ناصر الدولة)

كان الصلح قد استقر بين ناصر الدولة ومعز الدولة على ألف ألف درهم فى كل سنة ثم طلب ناصر الدولة دخول ولده أبى تغلب المظفر فى اليمين على زيادة بذلها فامتنع سيف الدولة من ذلك وسار الى الموصل منتصف سنة ثلاث وخمسين ولحق ناصر الدولة بنصيبين وملك معز الدولة الموصل وسار عنها فى اتباع ناصر الدولة بعد ان استخلف على الموصل فى الجباية والحرب فلم يثبت ناصر الدولة وفارق نصيبين وملكها معز الدولة وخالفه أبو تغلب الى الموصل وعاث فى نواحيها وهزمه قواد معز الدولة بالموصل فسكنت نفس معز الدولة وأقام (بياض بالأصل) يترقب أخباره وخالف ناصر الدولة الى الموصل فأوقع بأصحابه وقتلهم وأسر قواده واستولى على مخلفه من المال والسلاح وحمل ذلك كله الى قلعة كواشى وبلغ الخبر الى معز الدولة فلحق بالقواد وأعيا معز الدولة أمرهم ثم أرسلوا اليه فى الصلح فأجاب وعقد لناصر الدولة على الموصل وديار ربيعة وجميع أعماله بعقدها المعلوم وعلى أن يطلق الاسرى الذين عنده من أصحاب معز الدولة ورجع معز الدولة الى بغداد

(حصار المصيصة وطرسوس واستيلاء الروم عليها)

وفى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة خرج الدمشق فى جموع الروم فنازل المصيصة وشدد حصارها وأحرق رساتيقها وبلغ الى نقب السور فدافعه أهلها أشد مدافعة ثم رحل الى اذنة وطرسوس وطال عيثه فى نواحيها وأكثر القتل فى المسلمين وغلت الاسعار فى البلاد وقلت الاقوات وعاود مرض سيف الدولة فمنعه من النهوض اليهم وجاء من خراسان خمسة آلاف رجل غزاة فبلغوا الى سيف الدولة فارتحل بهم للمدافعة فوجد الروم انصرفوا فافترق هؤلاء الغزاة فى الثغور من أجل الغلاء وكان الروم قد انصرفوا بعد خمسة عشر يوما وبعث الدمشق الى أهل المصيصة واذنة وطرسوس يتهددهم بالعود ويأمرهم بالرحيل من البلاد ثم عاد اليهم وحاصر طرسوس فقاتلهم أشد قتال وأسروا بطريقا من بطارقته وسقط الدمشق لى أهل المصيصة ورجعوا الى بلادهم ثم سار يقفور ملك الروم من القسطنطينية سنة أربع وخمسين الى الثغور وبنى بقيسارية مدينة ونزلها وجهز عليها العساكر وبعث أهل المصيصة وطرسوس فى الصلح فامتنع وسار بنفسه الى المصيصة فدخلها عنوة واستباحها ونقل أهلها الى بلاد الروم وكانوا نحوا من مائتى ألف ثم سار الى طرسوس واستنزل أهلها على الامان وعلى أن يحملوا من أموالهم وسلاحهم ماقدروا عليه وبعث معهم حامية من الروم يبلغونهم انطاكية وأخذ فى عمارة طرسوس وتحصينها وجلب الميرة اليها ثم عاد الى القسطنطينية وأراد الدمشق بن شمشيق ان يقصد سيف الدولة فى ميافارقين ومنعه الملك من ذلك

(انتقاض أهل انطاكية وحمص)

ولما استولى الروم على طرسوس لحق الرشيق النعيمى من قوادهم وأولى الرأى فيهم بانطاكية فى عدد وقوة فاتصل به ابن أبى الاهوازى من الجباة بانطاكية وحسن له العصيان وأراه أن سيف الدولة بميافارقين عاجز عن العود الى الشأم بما هو فيه من الزمانة وأعانه بما كان عنده من مال الجباة فأجمع رشيق الانتقاض وملك انطاكية وسار الى حلب وبها عرقوبة وجاء الخبر الى سيف الدولة بأن رشيقا جمع الانتقاض ونجا ابن الاهوازى الى انطاكية فأقام فى امارتها رجلا من الديلم اسمه وزير ولقبه الامير وأوهم أنه علوى وتسمى هو بالاستاذ وأساء السيرة فى أهل انطاكية وقصدهم عرقوبة من حلب فهزموه ثم جاء سيف الدولة من ميافارقين الى حلب وخرج الى انطاكية وقاتل وزيرا وابن الاهوازى أياما وجىء بهما اليه أسيرين فقتل وزيرا وحبس ابن الاهوازى أياما وقتله وصلح أمر انطاكية ثم ثار بحمص مروان القرمطى كان من متابعة القرامطة وكان يتقلد السواحل لسيف الدولة فلما تمكن ثار بحمص فملكها وملك غيرها فى غيبة سيف الدولة بميافارقين وبعث اليه عرقوبة مولاه بدرا بالعساكر

فكانت بينهما عدة حروب أصيب فيها مروان بسهم فأثبت وبقى أياما يجود بنفسه والقتال بين أصحابه وبين بدر وأسر بدر فى بعض تلك الحروب فقتله مروان وعاش بعده أياما ثم مات وصلح أمرهم

(خروج الروم الى الثغور واستيلاؤهم على دارا)

وفى سنة خمس وخمسين خرجت جموع الروم الى الثغور فحاصروا آمد ونالوا من أهلها قتلا وأسرا فامتنعت عليهم فانصرفوا الى دارا قريبا من ميافارقين فأخذوها وهرب الناس الى نصيبين وسيف الدولة يومئذ بها فهم بالهروب وبعث عن العرب ليخرج معهم ثم انصرف الروم وأقام هو بمكانه وساروا الى انطاكية فحاصروها مدة وعاثوا فى جهاتها فامتنعت فعاد الروم الى طرسوس

(وفاة سيف الدولة ومحبس أخيه ناصر الدولة)

وفى صفر من سنة خمس وخمسين توفى سيف الدولة أبو الحسن على بن أبى الهيجاء عبد الله ابن حمدان بحلب وحمل الى ميافارقين فدفن بها وولى مكانه بعده ابنه أبو المعالى شريف ثم فى جمادى الاولى منها حبس ناصر الدولة أخوه بقلعة الموصل حبسه ابنه أبو تغلب فضل الله الغضنفر وكان كبير ولده وكان سبب ذلك أنه كبر وساءت اخلاقه وخالف أولاده وأصحابه فى المصالح وضيق عليهم فضجروا منه ولما بلغهم معز الدولة بن بويه اعتزم أولاده على قصد العراق فنهاهم ناصر الدولة وقال لهم اصبروا حتى ينفق بختيار ما خلف أبوه معز الدولة من الذخيرة فتظفروا به والا استظهر عليكم وظفر بكم فلجوا فى ذلك ووثب به أبو تغلب بموافقة البطانة وحبسه بالقلعة ووكل بخدمته وخالفه بعض اخوته فى ذلك واضطرب أمره واضطر الى مداراة بختيار بن معز الدولة وأرسل له فى تجديد الضمان ليحتج به على اخوته فضمنه بألفى ألف درهم فى كل سنة

(ولاية أبى المعالى بن سيف الدولة بحلب ومقتل أبى فراس)

ولما مات سيف الدولة كما ذكرناه ولى بعده ابنه أبو المعالى شريف وكان سيف الدولة قد ولى أبا فراس بن أبى العلاء سعد بن حمدان عندما خلصه من الاسر الذى أسره الروم فى منبج فاستفداه فى الفداء الذى بينه وبين الروم سنة خمس وخمسين وولاه على حمص فلما مات سيف الدولة استوحش من أبى المعالى بعده ففارق حمص ونزل فى صدد قرية فى طرف البرية قريبا من حمص فجمع أبو المعالى الاعراب من بنى كلاب وغيرهم وبعثهم مع عرقوبه فى طلبه فجاء الى صدد واستأمن له أصحاب أبى فراس وكان فى جملتهم فأمر به عرقوبه فقتل واحتمل رأسه الى أبى المعالى وكان أبو فراس خاله

(أخبار أبى تغلب مع اخوته بالموصل)

كان لناصر الدولة بن حمدان زوجة تسمى فاطمة بنت أحمد الكردية وهى ام أبى تغلب وهى التى دبرت مع ابنها أبى تغلب على أبيه فلما حبس ناصر الدولة كاتب ابنه حمدان يستدعيه ليخلصه مما هو فيه وظفر أبو تغلب بالكتاب فنقل أباه الى قلعة كواشى واتصل ذلك بحمدان وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها ولما اتصل به شأن الكتاب سار الى نصيبين وجمع الجموع وبعث الى اخوته فى الافراج عن أبيهم فسار أبو تغلب لحربه وانهزم حمدان قبل اللقاء للرقة فحاصره أبو تغلب أشهرا ثم اصطلحا وعاد كل منهما الى مكانه ثم مات ناصر الدولة فى محبسه سنة ثمان وخمسين ودفن بالموصل وبعث أبو تغلب أخاه أبا البركات الى حمدان بالرحبة فافترق عنه أصحابه وقصد العراق مستجيرا ببختيار فدخل بغداد فى شهر رمضان من سنته وحمل اليه الهدايا وبعث بختيار الى أبى تغلب النقيب أبا أحمد والد الشريف الرضى فى الصلح مع أخيه حمدان فصالحه وعاد الى الرحبة منتصف سنة تسع وخمسين وفارقه أبو البركات ثم استقدمه أبو تغلب فامتنع من القدوم عليه فبعث اليه أخاه أبا البركات ثانيا فى العساكر فخرج حمدان الى البرية وترك الرحبة فملكها أبو البركات واستعمل عليها وسار الى الرقة ثم الى عربان وخالفه حمدان الى الرحبة فكبسها وقتل أصحاب أبى تغلب بها فرجع اليه أبو البركات وتقاتلا فضرب أبا البركات على رأسه فشجه ثم ألقاه الى الارض وأسره ومات من يومه وحمل الى الموصل فدفن بها عند أبيه وجهز أبو تغلب الى حمدان وقدم أخاه أبا فراس محمدا الى نصيبين ثم عزله عنها لانه داخل حمدان ومالأه عليه فاستدعاه وقبض عليه وحبسه بقلعة ملاشى من بلاد الموصل فاستوحش أخوه ابراهيم والحسن ولحقا بأخيهما حمدان فى شهر رمضان وساروا جميعا الى سنجار وسار أبو تغلب من الموصل فى أثرهم فى شهر رمضان سنة ستين وثلثمائة فخاموا عن لقائه واستأمن اليه أخوه ابراهيم والحسن خديعة ومكرا فأمنهما ولم يعلم وتبعهما كثير من أصحاب حمدان وعاد حمدان من سنجار الى عربان واطلع أبو تغلب على خديعة أخويه فهربا منه ثم استأمن الحسن ورجع اليه وكان حمدان أقام نائبا بالرحبة غلامه نجا فاستولى على أمواله وهرب بها الى حران وبها سلامة البرقعيدى من قبل أبى تغلب فرجع حمدان الى الرحبة وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وبعث العساكر الى الرحبة فعبروا الفرات واستولوا عليها ونجا حمدان بنفسه ولحق ببختيار مستجيرا به ومعه أخوه ابراهيم فأكرمهما ووصلهما وأقاما عنده ورجع أبو تغلب الى الموصل وذلك كله آخر سنة ستين وثلثمائة

(خروج الروم الى الجزيرة والشام)

وفى سنة خمس وثمانين دخل ملك الروم الشام فسار فى نواحيها ولم يجد من يدافعه فعاث فى نواحى طرابلس وكان أهلها قد أخرجوا عاملهم الى عرقة لسوء سيرته فنهب الروم أمواله ثم حاصر الروم عرقة فلكوها ونهبوها ثم قصدوا حمص وقد انتقل أهلها عنها فأحرقوها ورجعوا الى بلاد السواحل وملكوا منها ثمانية عشر بلدا واستباحوا عامة القرى وساروا فى جميع نواحى الشأم ولا مدافع لهم الا أن بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم ثم رجع ملك الروم مجمعا حصار حلب وانطاكية وبلغه استعدادهم فرحل عنهم الى بلاده ومعه من السبى مائة ألف رأس وكان بحلب قرعوية مولى سيف الدولة فدافعهم وبعث ملك الروم سراياه الى الجزيرة فبلغوا كفرتوثا وعاثوا فى نواحيها ولم يكن من أبى تغلب مدافعة لهم

(استبداد قرعوية بحلب)

كان قرعوية غلام سيف الدولة وهو الذى أخذ البيعة لابنه أبى المعالى بعد موته فلما كان سنة ثمان وخمسين انتقض على أبى المعالى وأخرجه من حلب واستبد بملكها وسار أبو المعالى الى حران فمنعه أهلها فسار الى والدته بميافارقين وهى بنت سعيد بن حمدان أخت أبى فراس ولحق أصحابه بأبى تغلب وبلغ أمه بميافارقين وهى بنت سعيد بن حمدان أخت أبى فراس انه يريد القبض عليها فمنعته أياما من الدخول حتى استوثقت لنفسها وأذنت له ولمن رضيته وأطلقت لهم الارزاق ومنعت الباقين وسار أبو المعالى لقتال قرعوية بحلب فامتنع عليه ثم لحق أبو المعالى بحماة وأقام بها وبقيت الخطبة بحران له ولا والى عليهم من قبله فقدموا عليهم من يحكم بينهم

(مسير أبى تغلب من الموصل الى ميافارقين)

ولما سمع أبو تغلب بخروج أبى المعالى من ميافارقين الى حلب لقتال قرعوية سار اليها وامتنعت زوجة سيف الدولة منه واستقر الامر بينهما على أن تحمل اليه مائتى ألف درهم ثم نمى اليها انه يحاول على ملك البلد فكبسته ليلا ونالت من معسكره فبعث اليها بالاطفها فاعادت اليه بعض مانهب وحملت اليه مائة ألف درهم وأطلقت الاسارى فرجع عنها

(استيلاء الروم على انطاكية ثم حلب ثم ملاذكرد)

وفى سنة تسع وخمسين خرج الروم الى انطاكية فنزلوا بحصن الوفاء بقربها وهم نصارى

فحاصروهم واتفقوا على أن يرحلوا الى انطاكية فاذا نزل الروم عليها ثاروا من داخل وانتقل أهل الوفاء ونزلوا بجبل انطاكية وجاء بعد شهرين أخو يعفور ملك الروم فى أربعين ألفا من جموع الروم ونازل انطاكية فأخلاه أهل الوفاء السور من ناحيتهم وملكوا البلد وسبوا منها عشرين ألفا ثم أنفذ ملك الروم جيشا كثيفا الى حلب وأبو المعالى بن سيف الدولة عليها يحاصرها ففارقها أبو المعالى وقصد البرية وملك الروم حلب وتحصن قرعوية وأهل البلد بالقلعة فحاصروها مدة ثم ضربوا الهدنة بينهم على مال يحمله قرعوية وعلى ان الروم اذا أرادوا الميرة من قرى الفرات لا يمنعونهم منها ودخل فى هذه الهدنة حمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر وما بين ذلك من الحصون والقرى وأعطاهم رهنهم على ذلك الروم وأفرج الروم عن حلب وكان ملك الروم قد بعث جيشا الى ملاذكرد من أعمال أرمينية فحاصروها وفتحوها عنوة ورعب أهل الثغور منهم فى كل ناحية

(مقتل يعفور ملك الروم)

كان يعفور ملكا بالقسطنطينية وهى البلاد التى بيد بنى عثمان لهذا العهد وكان من يليها يسمى الدمستق وكان يعفور هذا شديدا على المسلمين وهو الذى أخذ حلب أيام سيف الدولة وملك طرسوس والمصيصة وعين زربة وكان قتل الملك قبله وتزوج امرأته وكان له منها ابنان فكفلهما يعفور وكان كثيرا ما يطرق بلاد المسلمين ويدوخها فى ثغور الشأم والجزيرة حتى هابه المسلمون وخافوه على بلادهم ثم أراد أن يجب ربيبيه ليقطع نسلهما ففرقت أمهما من ذلك وأرسلت الى الدمستق بن الشمشقيق وداخلته فى قتله وكان شديد الخوف من يعفور وهذا كان أبوه مسلما من أهل طرسوس يعرف بابن العفاش تنصر ولحق بالقسطنطينية ولم يزل يترقى فى الاطوار الى أن نال من الملك ما ناله وهذه غلطة ينبغى للعقلاء أن يتنزهوا عنها ولا ينال الملك من كان غريبا فى السوقة وفقيدا للعصابة بالكلية وبعيدا عن نسب أهل الدولة فقد تقدم من ذلك فى مقدمة الكتاب ما فيه كفاية

(استيلاء أبى تغلب على حران)

وفى منتصف سنة تسع وخمسين سار أبو تغلب الى حران وحاصرها نحوا من شهر ثم جنح أهلها الى مصالحته واضطربوا فى ذلك ثم توافقوا عليه وخرجوا الى أبى تغلب واعطوه الطاعة ودخل فى اخوانه وأصحابه فصلى الجمعة ورجع الى معسكره واستعمل عليهم سلامة البرقعيدى وكان من أكابر أصحاب بنى حمدان وبلغه الخبر بأن نميرا عاثوا فى بلاد الموصل وقتلوا العامل ببرقعيد فأسرع العود

(مصالحة قرعويه لابى المعالى)

قد تقدم لنا استبداد قرعويه بحلب سنة ثمان وخمسين وخروج أبى المعالى بن سيف الدولة منها وانه لحق بأمه بميافارقين ثم رجع لحصار قرعويه بحلب ثم رجع الى حمص ونزل بها ثم وقع الاتفاق بينه وبين قرعويه على أن يخطب له بحلب ويخطبان جميعا للمعز العلوى صاحب مصر

(مسير الروم الى بلاد الجزيرة)

وفى سنة احدى وستين سار الدمشق فى جموع الروم الى الجزيرة فأغار على الرها ونواحيها ثم تنقل فى نواحى الجزيرة ثم بلغ نصيبين واستباحها ودوخها ثم سار فى ديار بكر ففعل فيها مثل ذلك ولم يكن لابى ثعلب فى مدافعتهم أكثر من حمل المال اليهم وسار جماعة من أهل تلك البلاد الى بغداد مستنفرين وجلسوا الى الناس فى المساجد والمشاهد يصفون ماجرى على المسلمين وخوفوهم عاقبة أمرهم فتقدمهم أهل بغداد الى دار الطائع الخليفة وأرادوا الهجوم عليه فأغلقت دونهم الابواب فأعلنوا بشتمه ولحق آخرون من أهل بغداد ببختيار وهو بنواحى الكوفة يستغيثونه من الروم فوعدهم بالجهاد وأرسل الى الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهز للغزو وأن يستنفر العامة وكتب الى أبى ثعلب بن حمدان باعداد الميرة والعلوفات والتجهيز وأنه عازم على الغزو ووقعت بسبب ذلك فتنة فى بغداد من قبل اشتغال العامة بذلك أدت الى القتل والنهب بين عصائب الفتيان والعيارين

(أسر الدمشق وموته)

ولما فعل الدمشق فى ديار مضر والجزيرة مافعل قوى طمعه فى فتح آمد فسار اليه أبو ثعلب وقدم أخاه أبا القاسم هبة الله واجتمعا على حرب الدمشق ولقياه فى رمضان سنة ثنتين وستين وكانت الجولة فى مضيق لاتتصرف فيه الخيل وكان الروم على غير أهبة فانهزموا وأخذ الدمشق أسيرا فلم يزل محبوسا عند أبى ثعلب الى أن مرض سنة ثلاث وستين وبالغ فى علاجه وجمع له الاطباء فلم ينتفع بذلك ومات

(استيلاء بختيار بن معز الدولة على الموصل وما كان بينه وبين أبى ثعلب)

قد تقدم لنا ما كان بين أبى ثعلب وأخويه حمدان وابراهيم من الحروب وأنهما سارا الى بختيار بن معز الدولة صريخين فوعدهما بالنصرة وشغل عن ذلك بما كان فيه فابطأ عليهما أمره وشرب ابراهيم ورجع الى أخيه ابى ثعلب فتحرك عزم بختيار على

قصد الموصل وأغراه وزيره ابن بقية لتقصيره فى خطابه فسار ووصل الى الموصل فى ربيع سنة ثلاث وستين ولحق أبو ثعلب بسنجار وأخلى الموصل من الميرة ومن الدواوين وخالف بختيار الى بغداد ولم يحدث فيها حدثا من نهب ولا غيره وانما قاتل أهل بغداد فحدثت فيهم الفتنة بسبب ذلك بين عامتها واضطرب أمرهم وخصوصا الجانب الغربى وسمع بختيار بذلك فبعث فى أثره وزيره ابن بقية وسبكتكين فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين فى الضاحية وتأخر أبو ثعلب عن بغداد وحاربه يسيرا ثم داخله فى الانتقاض واستيلاء سبكتكين على الامر ثم أقصر سبكتكين عن ذلك وخرج اليه ابن بقية وراسلوا أبا ثعلب فى الصلح على مال يضمنه ويرد على أخيه حمدان اقطاعه ماسوى ماردين وكتبوا بذلك الى بختيار وارتحل أبو ثعلب الى الموصل وأشار ابن بقية على سبكتكين باللحاق ببختيار فتقاعد ثم سار وارتحل بختيار عن الموصل بعد أن جهد منه أهل البلد بما نالهم من ظلمه وعسفه وطلب منه أبو ثعلب الاذن فى اللقب سلطانى وأن يحط عنه من الضمان فأجابه وسار ثم بلغه فى طريقه أن أبا ثعلب نقض وقتل بعضا من أصحاب بختيار عادوا الى الموصل لنقل أهاليهم فاستشاط بختيار واستدعى ابن بقية وسبكتكين فى العساكر وعادوا واجتمعا الى الموصل وفارقها أبو ثعلب وبعث أصحابه بالاعتذار والحلف على انكار مابلغه فقبل وبعث الشريف أبا أحمد الموسوى لاستحلافه وتم الصلح ورجع بختيار الى بغداد فجهز ابنته الى أبى ثعلب وقد كان عقد له عليها من قبل

(عود أبى المعالى بن سيف الدولة الى حلب)

قد تقدم لنا أن قرعويه مولى أبيه سيف الدولة كان تغلب عليه وأخرجه من حلب سنة سبع وخمسين وثلثمائة فسار الى والدته بميافارقين ثم الى حماة فنزلها وكانت الروم قد أمنت حمص وكثر أهلها وكان قرعويه قد استناب بحلب مولاه بكجور فقوى عليه وحبسه فى قلعة حلب وملكها سنين فكتب أصحاب قرعويه الى أبى المعالى واستدعوه فسار وحاصرها أربعة أشهر وملكها وأصلح أحوالها وازدادت عمارتها حتى انتقل الى ولاية دمشق كما يذكر

(استيلاء عضد الدولة بن بويه على الموصل وسائر ملك بنى حمدان)

ولما ملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد وهزم بختيار ابن عمه معز الدولة سار بختيار فى الفل الى الشأم ومعه حمدان بن ناصر الدولة أخو أبى ثعلب فحسن له قصد الموصل على الشأم وقد كان عضد الدولة عاهده أن لا يتعرض لابى ثعلب لمودة بينهما

تنكث وقصدها ولما انتهى الى تكريت أتته رسل أبى تغلب بالصلح وأن يسير اليه بنفسه وعساكره و يعيده على ملك بغداد على أن يسلم اليه أخاه حمدان فسلمه الى رسل أبى تغلب فحبسه وسار بختيار الى الحديثة ولقى أبا تغلب وسار معه الى العراق فى عشرين ألف مقاتل وزحف نحوهما عضد الدولة والتقوا بنواحى تكريت فى شوال سنة ست وستين فهزمهما عضد الدولة وقتل بختيار ونجا أبو تغلب الى الموصل فاتبعه عضد الدولة وملك الموصل فى ذى القعدة وحمل معه الميرة والعلوفات للاقامة وبث السرايا فى طلب أبى تغلب ومعه المرزبان بن بختيار وأخواله أبو اسحق وطاهر ابنا معز الدولة ووالدتهم وسار لذلك أبو الوفاء طاهر بن اسمعيل من أصحابه وسار حاجبه أبو طاهر طغان الى جزيرة ابن عمر ولحق أبو تغلب بنصيبين ثم انتقل الى ميافارقين فأقام بها و بلغه مسير أبى الوفاء اليه ففارقها الى تدليس وجاء أبو الوفاء الى ميافارقين فامتنعت عليه فتركها وطلب أبا تغلب فخرج من ارزن الروم الى الحسينية من أعمال الجزيرة وصعد الى قلعة كواشى وغيرها من قلاعه ونقل منها ذخيرته وعاد فعاد أبو الوفاء الى ميافارقين وحاصرها واتصل بعضد الدولة مجيئه الى القلاع فسار اليه ولم يدركه واستأمن اليه كثير من أصحابه وعاد الى الموصل وبعث قائده ظغان الى تدليس فهرب منها أبو تغلب واتصل بملكهم المعروف بورد الرومى وكان منازعا لملكهم الاعظم فى الملك فوصل ورديه بيد أبى تغلب وصاهره ليستعين به واتبعه فى مسيره عسكر عضد الدولة وأدركوه فهزمهم وأثخن فيهم ونجا لهم الى حصن زياد ويسمى خرت برت وأرسل الى ورد يستمده فاعتذر بما هو فيه ووعده بالنصر ثم انهزم ورد أمام ملك الروم فأيس أبو تغلب من نصره وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد حتى جاء خبر ميافارقين وكان أبو الوفاء لما رجع من طلب أبى تغلب حاصر ميافارقين والوالى عليها هزارمرد فضبط البلد ودافع أبا الوفاء ثلاثة أشهر ثم مات وولى أبو تغلب مكانه مؤنسا من موالى الحمدانية ودس أبو الوفاء الى بعض أعيان البلد فاستماله فبعث له فى الناس رغبة وشعر بذلك مؤنس فلم يطق مخالفتهم فانقاد واستأمن وملك أبو الوفاء البلد وكان فى أيام حصاره قد افتتح سائر حصونه فاستولى على سائر ديار بكر وأمن أصحاب أبى تغلب وأحسن اليهم ورجع الى الموصل وبلغ الخبر الى أبى تغلب منقلبه من دار الحرب فقصد الرحبة وبعث الى عضد الدولة يستعطفه فشرط عليه المسير اليه فامتنع ثم استولى عضد الدولة على ديار مضر وكان عليها من قبل أبى تغلب سلامة البرقعيدى من كبار أصحاب بنى حمدان وكان أبو المعالى ابن سيف الدولة بعث اليها جيشا من حلب فحاربوها وامتنعت عليهم و بعث أبو المعالى الى عضد الدولة وعرض بنفسه عليه فبعث عضد

الدولة النقيب أبا أحمد الموسوى الى سلامة البرقعيدى وتسلمها بعد حروب وأخذ لنفسه منها الرقة وردّ باقيها على سعد الدولة فصارت له ثم استولى عضد الدولة على الرحبة وتفرغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه واستولى على جميع أعماله واستخلف أبا الوفاء على الموصل ورجع الى بغداد فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ثم بعث عضد الدولة جيشا الى الاكراد الهكارية من أعمال الموصل فحاصروهم حتى استقاموا وسلموا قلاعهم ونزلوا الى الموصل فحال الثلج بينهم و بين بلادهم فقتلهم قائد الجيش وصلبهم على جانبى طريق الموصل

(مقتل أبى تغلب بن حمدان)

ولما أيس أبو تغلب بن حمدان من اصلاح عضد الدولة والرجوع الى ملكه بالموصل سار الى الشأم وكان على دمشق قسام داعية العزيز العلوى غلب عليها بعد افتكين وقد تقدم ذلك وكيف ولى افتكين على دمشق فخاف قسام من أبى تغلب ومنعه من دخول البلد فأقام بظاهرها وكاتب العزيز وجاءه الخبر بأنه يستقدمه فرحل الى طبرية بعد مناوشة حرب بينه وبين قسام وجاء فلّ يد العزيز لحصار قسام بدمشق ومرّ بأبى تغلب ووعده عن العزيز بكل جميل ثم حدثت الفتنة بين دغفل وقسام وأخرجهم وانتصروا بأبى تغلب فنزل بجوارهم مخافة دغفل والقائد الذى يحاصر دمشق ثم ثار أبو تغلب فى بنى عقيل الى الرملة فى محرّم سنة تسع وتسعين فاستراب به الفضل ودغفل وجمعوا الحرب به ففرّ بنو عقيل عنه وبقى فى سبعمائة من غلمانه وغلمان أبيه وولى منهزما فلحقه الطلب فوقف يقاتل فضرب وأسر وحمل الى دغفل وأراد الفضل حمله الى العزيز فخاف دغفل أن يصطنعه كما فعل بافتكين فقتله وبعث الفضل بالرأس الى مصر وحمل بنو عقيل أخته جميلة وزوجته بنت سيف الدولة الى أبى المعالى بحلب فبعث بجميلة الى الموصل وبعث بها أبو الوفاء الى عضد الدولة ببغداد فاعتقلها

(وصول ورد المنازع لملك الروم الى ديار بكر مستجيرا)

كان ملك الروم أرمانوس لما توفى خلف ولدين صغيرين وهما بسيل وقسطنطين ونصب أحدهما للملك وعاد حينئذ الدمستق يعفور من بلاد الاسلام بعد أن عاث فى نواحيها وبالغ فى النكاية فاجتمع اليه الروم ونصبوه للنيابة عن ابنى أرمانوس فداخلت أمهما ابن الشمشيق على الدمستقية وقبض على لاون أخى دمستق وعلى ابنه ورديس ابن لاون واعتقلهما فى بعض القلاع وسار الى بلاد الشأم وأعظم فيها النكاية ومرّ بطرابلس فحاصرها وكان لوالدة الملك أخ خصى وهو يومئذ وزير فوضع على

ابن الشمشقيق من سقاه السم وأحس به من نفسه فأغذ السير الى القسطنطينية فمات فى طريقه وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة فى الامر وصاهر أبا تغلب بن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور وقصد الروم ووالى عليهم الهزائم فخافه الملكان وأطلقا ورديس بن لاوون وبعثاه على الجيوش لقتال الورد فقاتله فانهزم ورد الى ديار بكر سنة تسع وستين وثلثمائة ونزل بظاهر ميافارقين وبعث أخاه الى عضد الدولة مستنصرا به وبعث ملكا الروم بالقسطنطينية الى عضد الدولة فاستمالاه فرجح جانبهما وأمر بالقبض على ورد وأصحابه فقبض عليه أبو على التميمى عامل ديار بكر وعلى ولده وأخيه وأصحابه وأودعهم السجن بميافارقين ثم بعثهم الى بغداد فحبسوا بها الى أن أطلقهم بهاء الدولة ابن عضد الدولة سنة خمس وسبعين وشرط عليه اطلاق عدد من المسلمين واسلام سبعة من الحصون برساتيقها وأن لا يتعرض لبلاد المسلمين ما عاش وجهزه فسار وملك فى طريقه ملطية وقوى بما فيه وصالحه ورديس بن لاوون على أن يكون قسطنطينية وجانب الشمال من الخليج له وحاصر قسطنطينية وبها الملكان ابنا أرمانوس وهما بسيل وقسطنطين فى ملكها وأقرا وردا على ما بيده قليلا ثم مات وتقدم بسيل فى الملك ودام عليه ملكه وحارب البلغار خمسا وثلاثين سنة وظفر بهم وأجلاهم عن بلادهم وأسكنها الروم

(ولاية بكجور على دمشق)

قد قدمنا ولاية بكجور على حمص لابى المعالى بن سيف الدولة وأنه عمرها وكان أهل دمشق ينتقلون اليها لما نالهم من جور قسام وما وقع بها من الغلاء والوباء وكان بكجور يحمل الاقوات من حمص تقربا الى العزيز صاحب مصر وكاتبه فى ولايتها فوعده بذلك ثم استوحش من أبى المعالى سنة ثلاث وسبعين وأرسل الى العزيز يستنجز وعده فى ولاية دمشق فمنع الوزير بن كلس من ولايته ريبة به وكان بدمشق من قبل العزيز القائد بلكين بعثه فمنع الوزير بعد قسام وساء أثر ابن كلس فى الدولة واجتمع الكتاميون بمصر على التوثب بابن كلس ودعته الضرورة لاستقدام بلكين من دمشق فأمر العزيز باستقدامه وولى بكجور مكانه فدخلها فى رجب سنة ثلاث وسبعين وأساء السيرة فيها وعاث فى أصحاب الوزير بن كلس وأقام على ذلك ستا وعجز أهل دمشق منه وجهزت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم وكوتب نزال والى طرابلس بمعاضدته فسار فى العساكر وجمع بكجور عسكرا من العرب وغيرهم وخرج للقائه فهزمه منير واستأمن اليه بكجور على أن يرحل عن دمشق فأمنه ورحل الى الرقة واستولى عليها وتسلم منير دمشق وأقام بكجور بالرقة واستولى على الرحبة ما يجاور الرقة وراسل بهاء الدولة

ابن عضد الدولة بالطاعة وباد الكردى المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير اليه وأبا المعالى سعد الدولة صاحب حلب بالعود الى طاعته على أن يقطعه حمص فلم يجبه أحد الى شئ فأقام بالرقة يراسل موالى سعد الدولة أبى المعالى ويستميلهم فى الغدر به فاجابوه وأخبروه أن أبا المعالى مشغول بلذاته فاستمد حينئذ العزيز فكتب الى نزال بطرابلس وغيره من ولاة الشام أن يمدوه ويكونوا فى تصرفه ودس اليهم عيسى ابن نسطورس النصرانى وزير العزيز فى المباعدة عنه لعداوته مع ابن كلس الوزير قبله وتجديدها مع ابن منصور هذا فكتب نزال الى بكجور يواعده بذلك فى يوم معلوم وأخلفه وسار بكجور من الرقة وبلغ خبر مسيره الى أبى المعالى فسار من حلب ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه وكتب الى بكجور يستميله ويذكره الحقوق وأن يقطعه من الرقة الى حمص فلم يقبل وكتب أبو المعالى الى صاحب انطاكية يستمده فأمده بجيش الروم وكتب الى العرب الذين مع بكجور يرغبهم فى الاموال والاقطاع فوعدوه خذلان بكجور عند اللقاء فلما التقى العسكران وشغل الناس بالحرب عطف العرب على سواد بكجور فنهبوه ولحقوا بأبى المعالى فاستمات بكجور وحمل على موقف أبى المعالى يريده وقد أزاله لؤلؤ عن موقفه ووقف مكانه خشية عليه وحمل ذلك فلما انتهى بكجور لحملته برز اليه لؤلؤ وضربه فأثبته وأحاط به أصحابه فولى منهزما وجاء بعضهم الى أبى المعالى فشارطه على تسليمه اليه فقبل شرطه وأحضره فقتله وسار الى الرقة وبها سلامة الرشيق مولى بكجور وأولاده وأبو الحسن على بن الحسين المغربى وزيره فاستأمنوا اليه فأمنهم ونزلوا عن الرقة فملكها واستكثر ما مع أولاد بكجور فقال له القاضى ابن أبى الحصين هو مالك وبكجور لا يملك شيأ ولا حنث عليك فاستصفى مالهم أجمع وشفع فيهم العزيز فأساء عليه الرد وهرب الوزير المغربى الى مشهد على

(خبر باد الكردى ومقتله على الموصل)

كان من الاكراد الحميدية بنواحى الموصل ومن رؤسائهم رجل يعرف بباد وقيل باد لقب له واسمه أبو عبد الله الحسين بن دوشتك وقيل باد اسمه وكنيته أبو شجاع ابن دوشتك وانما أبو عبد الله الحسين أخوه وكان له بأس وشدة وكان يخيف السابلة ويبذل ما يجتمع له من النهب فى عشائره فكثرت جموعه ثم سار الى مدينة أرمينية فملك مدينة ارجيش ثم رجع الى ديار بكر فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده فى جملة الوفود وخافه على نفسه فهدا وأبعد فى مذهبه وبلغ عضد الدولة أمره فطلبه فلم يظفر به ولما هلك عضد الدولة سار باد الى ديار بكر فملك آمد وميافارقين ثم ملك نصيبين فجهز صمصام الدولة العساكر اليه مع الحاجب أبى القاسم سعيد بن محمد فلقيه على خابور

الحسينية من بلاد كواشى فانهزم الحاجب وعساكره وقتل كثير من الديلم ولحق الحاجب سعيد بالموصل وباد فى اتباعه وثارت عامة الموصل بالحاجب لسوء سيرته فاخرجوه ودخل باد الموصل سنة ثلاث وسبعين وقوى أمره وسما الى طلب بغداد وأهم صمصام الدولة أمره ونظر مع وزيره ابن سعدان فى توجيه العساكر اليه وأنفذ كبير القواد زياد بن شهراكونه فتجهز لحربه وبالغوا فى مدده وازاحة علله فلقيهم فى صفر سنة أربع وسبعين وانهزم باد وقتل كثير من أصحابه وأسر آخرون وطيف بهم فى بغداد واستولى الديلم على الموصل وأرسل زياد القائد عسكرا الى نصيبين فاختلفوا على مقدمهم وكتب ابن سعدان وزير صمصام الدولة الى أبى المعالى بن حمدان صاحب حلب يومئذ بولاية ديار بكر وادخالها فى عمله فسير اليه أبو المعالى عسكره الى ديار بكر فلم يكن لهم طاقة بأصحاب باد فحاصروا ميافارقين أياما ورجعوا الى حلب وبعث سعد الحاجب من يستولى غدرا بباد فدخل عليه رجل فى خيمته وضربه بالسيف على ساقه يظنها رأسه فنجا من الهلكة ثم بعث باد الى زياد القائد وسعد الحاجب بالموصل يطلب الصلح فأتمروا بينهم على أن تكون ديار بكر لباد والنصف من طورعبدين فخلصت ديار بكر لباد من يومئذ وانحدر زياد القائد الى بغداد وأقام سعد الحاجب بالموصل الى أن توفى سنة سبع وسبعين فطمع باد فى الموصل وبعث اليها شرف الدولة بن بويه أبا نصر خواشاده فى العساكر فزحف اليه باد وتأخر المدد عن أبى نصر فبعث عن العرب من بنى عقيل وبنى نمير لمدافعة باد وأقطعهم البلاد واستولى باد على طورعبدين آخر الجبال ولم ينحجر وأرسل أخاه فى عسكر لقتال العرب فقتل وانهزم عسكره وأقام باد قبالة خواشاده حتى جاء الخبر بموت شرف الدولة بن بويه فزحف خواشاده الى الموصل وقامت العرب بالصحراء وباد بالجبال

(عود بنى حمدان الى الموصل ومقتل باد)

كان أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسن ابنا ناصر الدولة بن حمدان قد لحقا بعد مهلك أخيهما أبى ثعلب وكانا ببغداد واستقرا فى خدمة شرف الدولة بن عضد الدولة فلما تولى شرف الدولة وخواشاده فى الموصل بعثهما اليها ثم أنكر ذلك عليه أصحابه فكتب الى خواشاده عامل الموصل يمنعهما فكتب اليهما بالرجوع عنه فلم يجيبا واغذا السير الى الموصل حتى نزلا بظاهرها وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك الذين عندهم وخرجوا الى بنى حمدان وزحف الديلم لقتالهم فانهزموا وقتل منهم خلق وامتنع باقيهم بدار الامارة وأراد أهل الموصل استلحامهم فمنعهم بنو حمدان وأخرجوا خواشاده ومن معه على الامان الى بغداد وملكوا الموصل وتسايل اليهم العرب من كل ناحية

وبلغ الخبر الى باد وهو بديار بكر بملك الموصل وجمع فاجتمع اليه الاكراد البشنوية أصحاب قلعة فنك وكان جمعهم كثيرا واستمال أهل الموصل بكتبه فأجابه بعضهم فسار ونزل على الموصل وبعث أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان الى أبى عبد الله محمد بن المسيب أمير بنى عقيل يستنصرانه وشرط عليهما جزيرة ابن عمر ونصيبين فقبلا شرطه وسار أبو عبد الله صريخا وأقام أخوه أبو طاهر بالموصل وباد يحاصره وزحف أبو الرواد فى قومه مع أبى عبد الله بن حمدان وعبروا دجلة عند بلد وجاؤا الى باد من خلفه وخرج أبو طاهر والحمدانية من أمامه والتحم القتال ونكب باد فرسه فوقع طريحا ولم يطق الركوب وجهض العدو عنه أصحابه فتركوه فقتله بعض العرب وحمل رأسه الى بنى حمدان ورجعوا ظافرين الى الموصل وذلك سنة ثمانين

(مهلك أبى طاهر بن حمدان واستيلاء بنى عقيل على الموصل)

لما هلك باد طمع أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان فى استرجاع ديار بكر وكان أبو على ابن مروان الكردى وهو ابن أخت باد قد خلص من المعركة ولحق بحصن كيفا وبه أهل باد وماله وهو من أمنع المعاقل فتزوج امرأة خاله واستولى على ماله وعلى الحصن وسار فى ديار بكر فملك ما كان لخاله فيها بلدا بلدا وبينما هو يحاصر ميافارقين زحف اليه أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان يحاربانه فهزمهما وأسر عبد الله منهما ثم أطلقه ولحق بأخيه أبى طاهر وهو يحاصر آمد فزحفا لقتال ابن مروان فهزمهما وأسر أبا عبد الله ثانية الى أن شفع فيه خليفة مصر فأطلقه واستعمله الخليفة على حلب الى أن هلك وأما أبو طاهر فلحق بنصيبين فى فل من أصحابه وبها أبو الدرداء محمد بن المسيب أمير بنى عقيل وسار الى الموصل فملكها وأعمالها وبعث الى بهاء الدولة أن ينفذ اليه عاملا من قبله فبعث اليها قائدا كان تصرفه عن أبى الدرداء ولم يكن له من الامر شئ الى أن استبد أبو الدرداء واستغنى عن العامل وانقرض ملك بنى حمدان من الموصل والبقاء لله

(مهلك سعد الدولة بن حمدان بحلب وولاية ابنه أبى الفضائل واستبداد لؤلؤ عليه)

ولما هزم سعد الدولة مولاه بكجور وقتله حين سار اليه من الرقة رجع الى حلب فأصابه فالج وهلك سنة احدى وثمانين وكان مولاه لؤلؤ كبير دولته فنصب ابنه أبا الفضائل وأخذ له العهد على الاجناد وتراجعت اليهم العساكر وبلغ الخبر أبا الحسن المغربى وهو بمشهد على فسار الى العزيز بمصر وأغراه بملك حلب فبعث اليها قائده منجوتكين فى العساكر وحاصرها ثم ملك البلد واعتصم أبو الفضائل ولؤلؤ بالقلعة وبعث أبو الفضائل ولؤلؤ الى ملك الروم يستنجدانه وكان مشغولا بقتال البلغار فأرسل الى

نائبه بانطاكية أن يسير اليهم فسار فى خمسين ألفا ونزل جسر الحديد على وادى العاصى فنفر اليه منجوتكين فى عساكر المسلمين وهزم الروم الى انطاكية واتبعهم فنهب بلادها وقراها وأحرقها ونزل أبو الفضائل ولؤلؤ من القلعة الى مدينة حلب فنقل ما فيها من الغلال وأحرق الباقى وعاد منجوتكين الى حصارهم بحلب وبعث لؤلؤ الى أبى الحسن المغربى فى الوساطة لهم فى الصلح فصالحهم منجوتكين ورحل الى دمشق ضجرا من الحرب وتعذر الاقوات ولم يراجع العزيز فى ذلك فغضب العزيز وكتب اليه يوبخه ويأمره بالعود لحصار حلب فعاد وأقام عليها ثلاثة عشر شهرا فبعث أبو الفضائل ولؤلؤ مراسلة لملك الروم وحرضوه على انطاكية وكان قد توسط بلاد البلغار فرجع عنها وأجفل فى الحشد ورجع الى حلب وبلغ الخبر الى منجوتكين فأجفل عنها بعد أن أحرق خيامه وهدم مبانيه وجاء ملك الروم وخرج اليه أبو الفضائل ولؤلؤ فشكراه ورجعا ورحل ملك الروم الى الشأم ففتح حمص وشيزر ونهبهما وحاصر طرابلس فامتنعت عليه فأقام بها أربعين ليلة ثم رحل عائدا الى بلده

(انقراض بنى حمدان بحلب واستيلاء بنى كلاب عليها)

ثم ان أبا نصر لؤلؤا مولى سيف الدولة عزل أبا الفضائل مولاه بحلب وأخذ البلد منه ومحا دعوة العباسية وخطب للحاكم العلوى بمصر ولقبه مرتضى الدولة ثم فسد حاله معه فطمع فيه بنو كلاب بن ربيعة وأميرهم يومئذ صالح بن مرداس وتقبض لؤلؤ على جماعة منهم دخلوا الى حلب كان فيهم صالح فاعتقله مدة وضيق عليه ثم فر من محبسه ونجا الى أهله وزحف الى حلب ولؤلؤ وكانت بينه وبينهم حروب هزمه صالح آخرها وأسره سنة ستين وأربعمائة وخلص أخوه فنجا الى حلب فحفظها وبعث الى صالح فى فديه أخيه وشرط له ما شاء فأطلقه ورجع الى حلب واتهم مولاه فتحا وكان نائبه على القلعة بالمداخلة فى هزيمته فأجمع نكبته ونمى اليه الخبر فكاتب الحاكم العلوى وأظهر دعوته وانتقض على لؤلؤ فأقطعه الحاكم صيدا وبيروت ولحق لؤلؤ بالروم فى انطاكية فأقام عندهم ولحق فتح بصيدا واستعمل الحاكم على حلب من قبله وانقرض أمر بنى حمدان من الشأم والجزيرة أجمع وبقيت حلب فى ملك العبيديين ثم غلب عليها صالح بن مرداس الكلابى وكانت بها دولة له ولقومه وورثها عنه بنوه كما يذكر فى أخبارهم

{الخبر عن دولة بنى عقيل بالموصل وابتداء
أمرهم بأبى الدرداء وتصاريف أحوالهم}

كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمير وبنو خفاجه وكلهم من عامر بن صعصعة وبنو طيئ

من

من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشأم فى عدوة الفرات وكانوا كالرعايا لبنى حمدان يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم فى الحروب ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بنى حمدان وساروا الى ملك البلاد ولما انهزم أبو طاهر بن حمدان أمام أبى على بن مروان بديار بكر كما قدمناه سنة ثمانين ولحق بنصيبين وقد استولى عليها أبو الدرداء محمد ابن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن عمر بن مهند أمير بنى عقيل ابن كعب بن ربيعة ابن عامر فقتل أبا طاهر وأصحابه وسار الى الموصل فملكها وبعث الى بهاء الدولة بن بويه المستبد على الخليفة بالعراق فى أن يبعث عاملا على الموصل فبعث عاملا من قبله والحكم راجع لابى الدرداء وأقام على ذلك سنتين وبعث بهاء الدولة سنة اثنتين وثمانين عساكره الى الموصل مع أبى جعفر الحجاج بن هرمز فغلب عليها أبا الدرداء وملكها وزحف لحربه أبو الدرداء فى قومه ومن اجتمع اليه من العرب فكانت بينهم حروب ووقائع وكان الظفر فيها للديلم

(مهلك أبى الدرداء وولاية أخيه المقلد)

ثم مات أبو الدرداء سنة ست وثمانين وولى امارة بنى عقيل مكانه أخوه على بعد أن تطاول اليها أخوهما المقلد بن المسيب وامتنع بنو عقيل لان عليا كان أسن منه فصرف المقلد وجهه الى ملك الموصل واستمال الديلم الذين فيها مع أبى جعفر بن هرمز فمالوا اليه وكتب الى بهاء الدولة أن يضمنه الموصل بألفى الف درهم كل سنة ثم أظهر لاخيه على وقومه أن بهاء الدولة قد ولاه واستمدهم فساروا معه ونزلوا على الموصل وخرج الى المقلد من كان استماله من الديلم واستأمن اليهم أبو جعفر قائد الديلم فأمنوه وركب السفن الى بغداد واتبعوه فلم يظفروا منه بشئ وتملك المقلد ملك الموصل

(فتنة المقلد مع بهاء الدولة بن بويه)

كان المقلد يتولى حماية غربى الفرات وكان له ببغداد نائب فيه تهوّر وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة وكان بهاء الدولة مشغولا بفتنة أخيه فكتب نائب المقلد اليه يشكو من أصحاب بهاء الدولة فجاء فى العساكر وأوقع بهم ومد يده الى جباية الاموال وخرج نائب بهاء الدولة ببغداد وهو أبو على بن اسمعيل عن ضمان القصر وغيره فغالط بهاء الدولة وأنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز للقبض على أبى على بن اسمعيل ومصالحة المقلد بن المسيب فصالحه على أن يحمل الى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ويخطب له ولابى جعفر بعده ويأخذ من البلاد رسم الحماية وأن يخلع على المقلد الخلع السلطانية ويلقب حسام الدولة ويقطع الموصل والكوفة والقصر والجامعين

وجلس له ولابى جعفر القادر بالله فاستولى على البلاد وقصده الاعيان والاماثل وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبى على بن اسمعيل ثم هرب ولحق بمهذب الدولة

(القبض على على بن المسيب)

كان المقلد بن المسيب قد وقعت المشاجرة بين أصحابه وأصحاب أخيه فى الموصل قبل مسيره الى العراق فلما عاد الى الموصل أجمع الانتقام من أصحاب أخيه ثم نوى أنه لا يمكنه ذلك مع أخيه فأعمل الحيلة فى قبض أخيه وأحضر عسكره من الديلم والاكراد وورى بقصر دقوقا واستحلفهم على الطاعة ثم نقب دار أخيه وكانت ملاصقة له ودخل اليه فقبض عليه وحبسه وبعث زوجته وولديه قراوش وبدران الى تكريت واستدعى رؤساء العرب وخلع عليهم وأقام فيهم العطاء فاجتمعت له زهاء ألفى فارس وخرجت زوجة أخيه بولديها الى أخيها الحسن بن المسيب وكانت أحياؤه قريبا من تكريت فاستجاش العرب على المقلد وسار اليه فى عشرة آلاف فخرج المقلد عن الموصل واستشار الناس فى محاربة أخيه فأشار رافع بن محمد بن مغز بالحرب وأشار أخوه غريب بن محمد بالموادعة وصلة الرحم وبينما هو فى ذلك اذ جاءت أخته رميلة بنت المسيب شافعة فى أخيها على فأطلقه ورد عليه ماله وتوادع الناس وعاد المقلد الى الموصل وتجهز لقتال على بن مزيد الاسدى بواسط لانه كان مغضبا لاخيه الحسن فلما قصد الحلة خالفه على الى الموصل فدخلها وعاد اليه المقلد وتقدمه أخوه الحسن مشفقا عليه من كثرة جموع المقلد فاصلح ما بينهما ودخل المقلد الى الموصل وأخواه معه ثم خاف على فهرب ثم وقع الصلح بينهما على أن يكون أحدهما بالبلد ثم هرب على فقصده المقلد ومعه بنو خفاجه فهرب الى العراق واتبعه المقلد فلم يدركه ورجع عنه ثم سار المقلد الى بلد على بن مزيد فدخله ثانية ولحق ابن مزيد بمهذب الدولة صاحب البطيحة فأصلح ما بينهما

(استيلاء المقلد على دقوقا)

ولما فرغ المقلد من شان أخويه وابن مزيد سار الى دقوقا فملكها وكانت لنصرانيين قد استعبدا أهلها وملكها من أيديهما جبريل بن محمد من شجعان بغداد أعانه عليها مهذب الدولة صاحب البطيحة وكان مجاهدا يحب الغزو فملكها وقبض على النصرانيين وعدل فى البلد ثم ملكها المقلد من يده وملكها بعده محمد بن عنان ثم بعده قراوش ابن المقلد ثم انتقلت الى فخر الملك أبى غالب فعاد جبريل واستجاش بموشك بن حكويه من أمراء الاكراد وغلب عليها عمال فخر الدولة ثم جاء بدران بن المقلد فغلب جبريل وموشك عليها وملكها

(مقتل المقلد وولاية ابنه قراوش)

كان للمقلد موال من الاتراك فهربوا منه واتبعهم فظفر بهم وقتل وقطع وأفحش فى المثلة فخاف اخوانهم منه واغتنموا غفلته فقتلوه فيها بالانبار سنة احدى وسبعين وكان قد عظم شأنه وطمع فى ملك بغداد ولما قتل كان ولده الاكبر قراوش غائبا وكانت أمواله بالانبار فخاف نائبه فيها عبد الله بن ابراهيم بن شاروية بادرة عمه الحسن وراسل أبا منصور بن قراد وكان بالسندية وقاسمه فى مخلف المقلد على أن يدافع الحسن ان قصده فأجابه الى ذلك وأرسل عبد الله الى قراوش يستحثه فوصل ووفى لابن قراد بما عاهده عليه نائبه عبد الله وأقام ابن قراد عنده ثم ان الحسن بن المسيب جاء الى مشايخ بنى عقيل شاكيا مما فعله قراوش وابن قراد عنده فسعوا بينهم فى الصلح واتفق الحسن وقراوش على الغدر بابن قراد وأن يسير أحدهما الى الآخر متحاربين فاذا تلاقيا قبضا على ابن قراد ففعلا ذلك فلما تراءى الجمعان نمى الخبر الى ابن قراد فهرب واتبعه قراوش والحسن ولم يدركاه ورجع قراوش الى بيوته فأخذها بما فيها من الاموال فوجه الاموال الى أن أخذها أبو جعفر الحجاج بن هرمز

(فتنة قراوش مع بهاء الدولة بن بويه)

ولما كانت سنة ثنتين وتسعين بعث قراوش بن المقلد جمعا من بنى عقيل الى المدائن فحصروها فبعث أبو جعفر بن الحجاج بن هرمز نائب بهاء الدولة ببغداد عسكرا اليهم فدفعوهم عنها فاجتمعت عقيل وبنو أسد وأميرهم على بن مزيد وخرج أبو جعفر اليهم واستجاش بخفاجه وأحضرهم من الشأم فانهزم واستبيح عسكره وقتل وأسر من الاتراك والديلم كثير ثم جمع العساكر ثانيا ولقيهم بنواحى الكوفة فهزمهم وقتل وأسر وسار الى أحياء بنى مزيد ونهب منها ما لا يقدر قدره ثم سار قراوش الى الكوفة سنة سبع وتسعين وكانت لابى على بن ثمال الخفاجى وكان غائبا عنها فدخل قراوش الكوفة وصادرهم ثم قتل أبو على سنة تسع وتسعين وكان الحاكم صاحب مصر قد ولاه الرحبة فسار اليها وخرج اليه عيسى بن خلاط العقيلى فقتله وملكها ثم ملكها بعده غيره الى أن ولى أمرها صالح بن مرداس الكلابى صاحب حلب

(قبض قراوش على وزرائه)

كان معتمد الدولة قراوش بن المقلد قد استوزر أبا القاسم الحسين بن على بن الحسين المغربى وكان من خبره أن أباه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان فذهب عنه الى مصر وولى بها الاعمال وولد ابنه أبا القاسم ونشأ هنالك ثم قتله الحاكم فلحق أبو القاسم

بحسان بن مفرج بن الجراح الطائى بالشأم وأغراه بالانتقاض والبيعة لابى الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة ففعل ذلك ولم يتم أمر أبى الفتوح ورجع الى مكة ولحق أبو القاسم المغربى بالعراق واتصل بفخر الملك فارتاب به القادر لانتسابه الى العلوية فأبعده فخر الملك فقصد قراوش بالموصل فاستوزره ثم قبض عليه سنة احدى عشرة وأربعمائة وصادره على مال زعم أنه ببغداد والكوفة فأحضره وترك سبيله فعاد الى بغداد ووزر لشرف الدولة بن بويه بعد وزيره مؤيد الملك الرجيحى وكان مداخلا لعنبر الخادم الملقب بالاثير المستولى على الدولة يومئذ ثم سخطه الاتراك وسخطوا الاثير فأشار عليه بالخروج عن بغداد فخرج الوزير وأبو القاسم معه الى السندية وبها قراوش فأنزلهم وساروا الى أوانا وبعث الاتراك الى الاثير عنبر بالاستعتاب فاستعتب ورجع وهرب أبو القاسم المغربى الى قراوش سنة خمس عشرة لعشرة أشهر من وزارته ثم وقعت فتنة بالكوفة كان منشؤها من صهره ابن أبى طالب فأرسل الخليفة الى قراوش فى ابعاده عنه فأبعده وسار الى ابن مروان الى ديار بكر وهنالك يذكر بقية خبره ثم قبض معتمد الدولة قراوش على أبى القاسم سليمان بن فهر عامل الموصل له ولابيه وكان من خبره أنه كان يكتب فى حداثته بين يدى أبى اسحق الصابى ثم اتصل بالمقلد بن المسيب وأصعد معه الى الموصل واقتنى بها الضياع ثم استعمله قراوش على الجبايات فظلم أهلها وصادرهم فحبسه وطالبه بالمال فعجز وقتل

(حروب قراوش مع العرب وعساكر بغداد)

وفى سنة احدى عشرة اجتمع العرب على فتن قراوش وسار اليه دبيس بن على بن مزيد الاسدى وغريب بن معن وجاءهم العسكر من بغداد فقاتلوه عند سر من رأى ومعه رافع بن الحسين فانهزم ونهبت أثقاله وخزائنه وحصل فى أسرهم وفتحوا تكريت عنوة من أعماله ورجعت عساكر بغداد اليها واستجار قراوش بغريب بن معن فأطلقه ولحق بسلطان بن الحسن من عمال أمير خفاجه واتبعه عسكر من الترك وقاتلهم غربى الفرات وانهزم هو وسلطان وعاث العسكر فى أعماله فبعث الى بغداد بمراجعة الطاعة وقبل ثم كانت الفتنة بينه وبين أبى أسد وخفاجه سنة سبع عشرة لان خفاجه تعرضوا لاعماله بالسواد فسار اليهم من الموصل وأسيرهم أبو الفتيان منيع بن حسان فاستجاش بدبيس ابن على بن مزيد فجاءه فى قومه بنى أسد وعسكر من بغداد والتقوا بظاهر الكوفة وهو يومئذ لقراوش فخام قراوش عن لقائهم وأجفل ليلا للانبار واتبعوه فرحل عنها الى حلله واستولى القوم على الانبار وملكوها ثم فارقوها وافترقوا فاستعادها قراوش ثم كانت الحرب بينه وبين بنى عقيل فى هذه السنة وكان سببها ان الاثير عنبر الخادم

بياض بالأصل

حاكم دولة بنى بويه انتقض عليه الجند وخافهم على نفسه فلحق بقراوش فجاء قراوش وأخذله أقطاعه وأملاكه بالقيروان فجمع مجد الدولة بن قراد ورافع بن الحسين جمعا كبيرا من بنى عقيل وانضم اليهم بدران أخو قراوش وساروا لحربه وقد اجتمع هو وغريب بن معن والاثير عنبر وأمدهم ابن مروان فكانوا فى ثلاثة عشر ألفا والتقوا عند بلدهم فلما تصافوا والتحم القتال خرج بدران بن المقلد الى أخيه قراوش فصالحه وسط المصاف وفعل ثوران بن قراد كذلك مع غريب بن معن فتوادعوا جميعا واصطلحوا وأعاد قراوش الى أخيه بدران مدينة الموصل ثم وقعت الحرب بين قراوش وبين خفاجه ثانيا وكان سببها أن منيع بن حسان أمير خفاجه وصاحب الكوفة سار الى الجامعين بلد دبيس ونهبها فخرج دبيس فى طلبه الى الكوفة فقصد الانبار ونهبها هو وقومه فسار قراوش اليهم ومعه غريب بن معن الانبار ثم مضى فى اتباعهم الى القصر فخالفوه الى الانبار ونهبوها وأحرقوها واجتمع قراوش ودبيس فى عشرة آلاف وخاموا عن لقاء خفاجه فلم يكن من قراوش الابناء السور على الانبار ثم سار منيع بن حسان الخفاجى الى الملك كيجار والتزم الطاعة وخطب له بالكوفة وأزال حكم بنى عقيل عن سقى الفرات ثم سار بدران بن المقلد فى جموع من العرب الى نصيبين وحاصرها وهى لنصير الدولة بن مروان فجهز لهم الجند وبعثهم اليها فقاتلوا بدران فانهزم أولا ثم عطف عليهم فانهزموا وأثخن فيهم وبلغه الخبر أن أخاه قراوش قد وصل الى الموصل فأجفل خوفا منه

بياض بالأصل

(استيلاء الغز على الموصل)

كان هؤلاء الغز من شعوب الترك بمفازة بخارى وكثر فسادهم فى جهاتها فأجاز اليهم محمود بن سبكتكين وهرب صاحب بخارى وحضر عنده أميرهم أرسلان بن سلجوق فقبض عليه وحبسه بالهند ونهب أحياءهم وقتل كثيرا منهم فهربوا الى خراسان وأفسدوا ونهبوا فبعث اليهم العساكر فأثخنوا فيهم وأجلوهم عن خراسان ولحق كثير منهم باصبهان وقاتلوا صاحبها وذلك سنة عشرين وأربعمائة ثم افترقوا فسارت طائفة منهم الى جبل بكجار عند خوارزم ولحقت طائفة أخرى بأذربيجان وأميرها يومئذ وهشوذان فأكرمهم ووصلهم ليكفوا عن فسادهم فلم يفعلوا وكان مقدموهم أربعة بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا فدخلوا مراغة سنة تسع وعشرين ونهبوها وأثخنوا فى الاكراد الهذبانية وسارت طائفة منهم الى الرى فحاصروها وأميرها علاء الدين بن كاكويه واقتحموا عليه البلد وأثخنوا فى النهب والقتل وفعلوا كذلك فى الكرخ وقزوين ثم ساروا الى أرمينية وعاثوا فى نواحيها وفى أكرادها ثم عاثوا فى الدينور سنة

ثلاثين ثم أوقع وهشوذان صاحب تبريز بجماعة منهم فى بلده وكانوا ثلاثين ومقدمهم فضعف الباقون وأكثرفيهم القتل واجتمع الغز الذين بأرمينية وساروا نحو بلاد الاكراد الهكارية من أعمال الموصل فأثخنوا فيهم وعاثوا فى البلاد ثم كر عليهم الاكراد فنالوا منهم وافترقوا فى الجبال وتمزقوا وبلغهم مسير ينال أخى السلطان طغرلبك وهم فى الرى وكانوا شاردين منه فأجفلوا من الرى وقصدوا ديار بكر والموصل سنة ثلاث وثلاثين ونزلوا جزيرة ابن عمر ونهبوا باقردى وبازبدى والحسنية وغدر سليمان بن نصير الدولة بن مروان بأمير منهم وهو منصور بن عز عنيل فقبض عليه وحبسه وافترق أصحابه فى كل جهة وبعث نصير الدولة بن مروان عسكرا فى اتباعهم وأمدهم قراوش صاحب الموصل بعسكر آخر وانضم اليهم الاكراد البشنوية أصحاب فنك فأدركوهم فاستمات الغز وقاتلوهم ثم تحاجزوا وتوجهت العرب الى العراق للمشتى وأخربت الغز ديار بكر ودخل قراوش الموصل ليدفعهم عنها لما بلغه أن طائفة منهم قصدوا بلده فلما نزلوا برقعيد عزم على الافارة عليهم فتقدموا اليه فرجع الى مصانعتهم بالمال على ما شرطوه وبينما هو يجمع لهم المال وصلوا الى الموصل فخرج قراوش فى عسكره وقاتلهم عامة يومه وعادوا للقتال من الغد فانهزمت العرب وأهل البلد وركب قراوش سفينة فى الفرات وخلف جميع ماله ودخل الغز البلد ونهبوا ما لا يحصى من المال والجوهر والحلى والاثاث ونجا قراوش الى السند وبعث الى الملك جلال الدولة يستنجده والى دبيس بن على بن مزيد وأمراء العرب والاكراد يستمدهم وأفحش الغز فى أهل الموصل قتلا ونهبا وعيثا فى الحرم وصانع بعض الدروب والمحال منها عن أنفسهم بمال ضمنوه فكفوا عنهم وسلموا وفرضوا على أهل المدينة عشرين ألف دينار فقبضوها ثم فرضوا أربعة آلاف أخر وشرعوا فى تحصيلها فثار بهم أهل الموصل وقتلوا من وجدوا منهم فى البلد ولما سمع اخوانهم اجتمعوا ودخلوا البلد عنوة منتصف سنة خمس وثلاثين ووضعوا السيف فى الناس واستباحوها اثنى عشر يوما وانسدت الطرق من كثرة القتلى حتى واروهم جماعات فى الحفائر وطلبوا الخطبة للخليفة ثم لطغرلبك وطال مقامهم بالبلد فكتب الملك جلال الدولة بن بويه ونصير الدولة بن مروان الى السلطان طغرلبك يشكون منهم فكتب الى جلال الدولة معتذرا بأنهم كانوا عبيدا وخدما لنا فأفسدوا فى جهات الرى فخافوا على أنفسهم وشردوا ويعده بأنه يبعث العساكر اليهم وكتب الى نصير الدولة بن مروان يقول له بلغنى أن عبيدنا قصدوا بلادك فصانعتهم بالمال وأنت صاحب ثغور ينبغى أن تعطى ما تستعين به على الجهاد ويعده انه يرسل من يدفعهم عن بلاده ثم سار دبيس بن مزيد الى قراوش مددا واجتمعت اليه بنو عقيل

وساروا من السن الى الموصل فتأخر الغز الى تل اعفر وأرسلوا الى أصحابهم بديار بكر ومقدمهم ناصغلى وبوقا فوصلوا اليهم وتزاحفوا مع قراوش فى رمضان سنة خمس وثلاثين فقاتلوهم الى الظهر وكشفوا العرب عن حللهم ثم استماتت العرب فانهزمت الغز وأخذهم السيف ونهب العرب أحياءهم وبعثوا برؤس القتلى الى بغداد واتبعهم قراوش الى نصيبين ورجع عنهم وقصدوا ديار بكر فنهبوها ثم أرزن الروم كذلك ثم اذربيجان ورجع قراوش الى الموصل

* (استيلاء بدران بن المقلد على نصيبين) *

قد تقدم لنا محاصرة بدران نصيبين ورحله عنها من أخيه قراوش ثم اصطلحا بعد ذلك واتفقا وتزوج نصير الدولة ابنة قراوش فلم يعدل بينها وبين نسائه وشكت الى أبيها فبعث عنها ثم هرب بعض عمال ابن مروان الى قراوش وأطمعه فى الجزيرة فتعلل عليه قراوش بصداق ابنته وهو عشرون ألف دينار وطلب الجزيرة ونصيبين لاخيه بدران فامتنع ابن مروان من ذلك فبعث قراوش جيشا لحصار الجزيرة وآخر مع أخيه بدران لحصار نصيبين ثم جاء بنفسه وحاصرها مع أخيه وامتنعت عليه وتسللت العرب والاكراد الى نصير الدولة بن مروان بميافارقين وطلب منه نصيبين فسلمه اليه وأعطى قراوش من صداق ابنته خمسة عشر ألف دينار وكان ملك ابن مروان فى دقوقا فزحف اليه أبو الشوك من امراء الاكراد فحاصره بها وأخذها من يده عنوة وعفا عن أصحابه ثم توفى بدران سنة خمس وعشرين وجاء ابنه عمر الى قراوش فأقره على ولاية نصيبين وكان بنو نمير قد طمعوا فيها وحاصروه فسار اليهم ودافعهم عنها

* (الفتنة بين قراوش وغريب بن معن) *

كانت تكريت لابى المسيب رافع بن الحسين من بنى عقيل فجمع غريب جمعا من العرب والاكراد وأمده جلال الدولة بعسكر وسار الى تكريت فحاصرها وكان رافع ابن الحسين عند قراوش بالموصل فسار لنصره بالعساكر ولقيه غريب فى نواحى تكريت فانهزم واتبعه قراوش ورافع ولم يتعرضوا لمحلته وماله ثم تراسلوا واصطلحوا

* (فتنة قراوش وجلال الدولة وصلحهما) *

كان قراوش قد بعث عسكره سنة احدى وثلاثين لحصار خميس بن ثعلب بتكريت واستجار خميس بجلال الدولة فبعث اليه بالكف عنه فلم يفعل فسار بنفسه يحاصره وكتب الى الاتراك ببغداد يستفسدهم عن جلال الدولة وسار جلال الدولة الى الانبار

فامتنعت عليه وسار قراوش للقائه واعوزت عساكر جلال الدولة الاقوات ثم اختلفت عقيل على قراوش وبعث الى جلال الدولة بمعاودة الطاعة فتحالفا وعاد كل الى بلده

(أخبار ملوك القسطنطينية لهذه العصور)

كان بسيل وقسطنطين قد تزوج أبوهما امهما فى يوم عيد ركب الى الكنيسة فرآها فى النظارة فشغف بها وكان أبوها من أكابر الروم فخطبها منه وتزوجها وولدت الولدين ومات أبوهما وهما صغيران وتزوجت بعده بمدة تغفور وملك وتصرف وأراد أن يجب ولديها وأغرت الدمشق بقتله فقتله وتزوجت به وأقامت معه سنة ثم خافها وأخرجها بولديها الى دير بعيد فأقامت فيه سنة أخرى ثم دست الى بعض الرهبان لقتل الدمشق فأقام بكنيسة الملك يتحيل لذلك حتى جاء الملك واستطعمه القربان فى العيد من يده فدس له فيه سما ومات وجاءت هى قبل العيد بليال الى القسطنطينية فملك ولدها بسيل واستبدت عليه لصغره فلما كبر سار لقتال البلغار فى بلادهم وبلغه وهو هنالك وفاتها فأمر خادما له بتدبير الامر فى غيبته بالقسطنطينية وأقام فى قتال البلغار أربعين سنة ثم انهزم وعاد الى القسطنطينية وتجهز ثانية وعاد اليهم فظفر بهم وقتل ملكهم وملك بلادهم ونقل أهلها الى بلاد الروم قال ابن الاثير وهؤلاء البلغار الذين ملك بلادهم بسيل غير الطائفة المسلمة منهم وهؤلاء أقرب من أولئك الى بلاد الروم بشهرين وكلاهما بلغار انتهى وكان بسيل عادلا حسن السيرة وملك على الروم نيفا وسبعين سنة ولما مات ملك أخوه قسطنطين ثم مات وخلف بنات ثلاثا فملكت الكبرى وتزوجت بأرمانوس من بيت ملكهم وهو الذى ملك الرها من المسلمين وكان له من قبل الملك رجل يخدمه من السوقة الصيارفة اسمه ميخاييل فاستخلصه وحكمه فى دولته فمالت زوجة أرمانوس اليه وأعملا الحيلة فى قتل الملك أرمانوس فقتلاه خنقا وتزوجته على كره من الروم ثم عرض لميخاييل هذا مرض شوه خلقته فعهد بالملك الى ابن أخيه واسمه ميخاييل فملك بعده وقبض على أخواله واخوتهم وضرب الدنانير باسمه سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ثم أحضر زوجته بنت الملك وحملها على الرهبانية والخروج عن الملك وضربها ونفاها الى جزيرة فى البحر ثم اعتزم على قتل البطرك للراحة من تحكمه فأمره بالخروج الى الدير لعمل وليمة يحضرها عنده وأرسل جماعة من الروم والبلغار لقتله فبذل لهم البطرك مالا على الابقاء ورجع الى بيعته وحمل الروم على عزل ميخاييل فأرسل الى زوجته الملكة من الجزيرة التى نفاها اليها فلم تفعل وأقبلت على رهبانيتها فخلعها البطرك من الملك وملكت أختها الصغيرة بدرونة وأقاموا من خدم أبيها من

يدبر ملكها وخلعوا ميخاييل وقاتل أشياعه أشياع بدرونة فظفر بهم أشياع بدرونة ونهبوهم وفزع الروم الى التماس ملك يدبرهم وقارعوا بين المرشحين فخرجت القرعة على قسطنطين فملكوه وتزوجته الملكة الكبرى ونزلت لها الصغيرة عن الملك سنة أربع وثلاثين ثم خرج خارجى من الروم اسمه ميناس وكثر جمعه وبلغ عشرين ألفا وجهز قسطنطين اليه العساكر فقتلوه وسيق رأسه اليه وافترق أصحابه ثم ورد على القسطنطينية سنة خمس وثلاثين مراكب للروم ووقعت منها محاورات نكرها الروم فحاربوهم وكانوا قد فارقوا مراكبهم الى البر فأحرقوها وقتلوا الباقين

(الوحشة بين قراوش والاكراد)

كان للاكراد عدة حصون تجاور الموصل فمنها للحميدية قلعة العقر وما اليها وصاحبها أبو الحسن بن عكشان وللهدبانية قلعة أربل وأعمالها وصاحبها أبو الحسن بن موشك ونازعه أخوه أبو على بن اربل فأخذها منه باعانة ابن عكشان وأسر أخاه أبا الحسن وكان قراوش وأخوه زعيم الدولة أبو كامل مشغولين بالعراق فنكرا ذلك لما بلغهما ورجعا الى الموصل فطلب قراوش من الحميدى والهدبانى النجدة على نصير الدولة ابن مروان فجاء الحميدى بنفسه وبعث الهدبانى أخاه وأصلح قراوش ونصير الدولة ثم قبض على عكشان وصالحه على اطلاق أبى الحسن بن موشك وامتنع أخوه أبو على وكان عكشان عونا عليه فأجاب ورهن فى ذلك ولده ثم أرسل أبا على فى ذلك الامر وحضر بالموصل ليسلم اربل الى أخيه أبى الحسن وسلم قراوش اليه قلاعه وخرج ابن عكشان وأبو على ليسلما اربل الى أبى الحسن بن موشك فغدرا به وقبضا على أصحابه وهرب هو الى الموصل وتأكدت الوحشة بينهما وبين قراوش

(خلع قراوش بأخيه أبى كامل ثم عوده)

بياض بالاصل:

ثم وقعت الفتنة بين معتمد الدولة وقراوش وأخيه زعيم الدولة أبى كامل وكان سببها ان قريشا ابن أخيهما بدران فتن عمه أبا كامل وجمع عليه الجموع وأعانه عمه الآخر واستمد قراوش بنصير الدولة بن مروان فبعث اليه بابنه سليمان وأمده الحسن بن عكشان وغيرهما من الاكراد وساروا الى معلايا فنهبوها وأحرقوها ثم اقتتلوا فى المحرم سنة احدى وأربعين يوما وثانيا ووقفت الاكراد ناحية عن المصاف ولم يغشوا المجال وتسلل عن قراوش بعض جموعه من العرب الى أخيه وبلغه ان شيعة أخيه أبى كامل بالانبار ووثبوا فيها وملكوها فضعف أمره وأحس من نفسه الظهور عليه ولم يبرح فركب أخوه أبو كامل وقصد حلته فركب قراوش للقائه وجاء به أبو كامل لحلته

ثم بعث به الى الموصل ووكل به وملك أبو كامل الموصل واشتط عليه العرب فخاف العجز والفضيحة ان يراجعوا طاعة أخيه فسبقهم اليها وأعاده الى ملكه وبايعه على الطاعة ورجع قراوش الى ملكه وكان أبو كامل قد أحدث الفتنة بين البساسيرى كافل الخلافة ببغداد ومالك الامر فيها لما فعله بنو عقيل فى عراق العجم من التعرض لاقطاعه فسار اليهم البساسيرى وجمع أبو كامل بنى عقيل ولقيه فاقتتلوا قتالا شديدا ثم تحاجزوا فلما رجع قراوش الى ملكه نزع جماعة من أهل الانبار الى البساسيرى شاكين سيرة قراوش وطلبوا أن يبعث معهم عسكرا وعاملا الى بلدهم ففعل ذلك وملكها من يد قراوش وأظهر فيهم العدل

(خلع قراوش ثانية واعتقاله)

كان قراوش لما أطاعه أخوه أبو كامل بقى معه كالوزير يتصرف الان قراوش أنف من ذلك وأعمل الحيلة فى التخلص منه فخرج من الموصل سائرا الى بغداد وشق ذلك على أخيه أبى كامل فأرسل اليه أعيان قومه ليردوه طوعا أو كرها فلاطفوه أولا وشعر منهم بالدخيلة فأجاب الى العود وشرط سكنى دار الامارة فلما جاء الى أبى كامل قام عبرته وأكرامه ووكل به من يمنعه التصرف

(وفاة أبى كامل وولاية قريش بن بدران)

لما ملك قريش بن بدران وحبس عمه بقلعة الجراحية ارتحل يطلب العراق سنة أربع وأربعين فانتقض عليه أخوه المقلد وسار الى نور الدولة دبيس بن مزيد فنهب قريش حلله وعاد الى الموصل واختلف العرب عليه ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقريش بنواحى العراق ثم استمال قريش العرب عليه ونهب عمال الملك الرحيم ما كان لقريش ابن المسيب صاحب الحظيرة مخالفا عليه وبعث قريش بعض أصحابه فلقيهم وأوقع بهم فسار اليه قريش ولقيه فهزمه واتبعه الى حلل بلاد ابن غريب ونهبها ودخل العراق وبعث الى عمال الملك الرحيم بالطاعة وضمان ما كان عليه فى أعماله فأجابوه الى ذلك لشغل الملك الرحيم بخوزستان فاستقر أمره وقوى *(وفاة قراوش)* وفى سنة أربع وأربعين هذه توفى معتمد الدولة أبو منيع قراوش بن المقلد بمحبسه فى قلعة الجراحية وحمل الى الموصل ودفن بها ببلد نينوى شرقيها وكان من رجال العرب

(استيلاء قريش على الانبار)

وفى سنة ست وأربعين زحف قريش بن بدران من الموصل ففتح مدينة الانبار وملكها من يد عمال البساسيرى وسار البساسيرى الى الانبار فاستعادها

(حرب قريش بن بدران والبساسيرى ثم اتفاقهما وخطبة قريش لصاحب مصر)

كان قريش بن بدران قد بعث بطاعته الى طغرلبك وهو بالرى وخطب له بجميع أعماله وقبض على الملك الرحيم وكان قريش معه فنهب معسكره واختفى وسمع به السلطان فأمنه ووصل اليه فأكرمه ورده الى عمله وكان البساسيرى قد فارق الملك الرحيم عند مسيره من واسط الى بغداد ومسير طغرلبك من حلوان وقصد نور الدولة دبيس بن مزيد للمصاهرة بينهما وكان سبب مفارقة البساسيرى للملك الرحيم كتاب القائم له بابعاده لاطلاعه على كتابه الى خليفة مصر فلما وصل قريش بن بدران الى بغداد وعظم استيلاء السلطان طغرلبك على الدولة بعث جيشا وزحف البساسيرى للقائهم ومعه نور الدولة دبيس فالتقوا بسنجار فانهزم قريش وقطلمش وأصحابهما وقتل كثير منهم وعاث أهل سنجار فيهم وسار بهم الى الموصل وخطب بها للمستنصر خليفة مصر وقد كانوا بعثوا اليه بطاعتهم من قبل فبعث اليهم بالخلع ولقريش جملتهم

(استيلاء طغرلبك على الموصل وولاية أخيه نيال عليها ومعاودة قريش الطاعة)

كان السلطان طغرلبك لما طال مقامه ببغداد ساء أثر عساكره فى الرعايا فبعث القائم وزيره رئيس الرؤساء أن يحضر عميد الملك الكندرى وزير طغرلبك ويعظه فى ذلك ويهدده برحيل القائم عن بغداد فبلغه خلال ذلك شأن الموصل فرحل اليها وحاصر تكريت ففتحها وقبل من صاحبها نصر بن عيسى من بنى عقيل مالا بذله منه ورحل عنه فمات نصر وولى بعده أبو الغنائم بن المحلبان فأصلح حاله مع رئيس الرؤساء ورحل السلطان من البوازيج وكان فى انتظار أخيه ياقوتى بن تنكير ثم توجه السلطان الى نصيبين وبعث هزارسب الى البرية لقتال العرب وفيهم قريش ودبيس وأصحاب حران والرقة من نمير فأوقع بهم ونال منهم وأسر جماعة فقتلهم وعاد الى السلطان طغرلبك فبعث اليه قريش ودبيس بطاعتهما وان يتوسط لهما عند السلطان فعفا السلطان عنهما وقال للبساسيرى ردهما الى الخليفة فيرى ما عندهما فرحل البساسيرى عند ذلك الى الرحبة وتبعه اتراك بغداد ومقبل بن المقلد وجماعة من بنى عقيل وبعث السلطان الى قريش ودبيس هزارسب بن تنكير ليقضى ما عندهما ويحضرهما وكان ذلك بطلبهما ثم خافا على أنفسهما فبعث قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر ودبيس ابنه بهاء الدولة منصورا فقبلهما السلطان وكتب لهما باعمالهما وكان لقريش من الاعمال الموصل ونصيبين وتكريت وقوانا ونهر بيطر وهيت والانبار وبادرونا ونهر الملك ثم قصد السلطان ديار بكر ووصل اليه أخوه ابراهيم نيال وأرسل هزارسب الى قريش ودبيس

يحذرهما منه وسار لسنجار لاجل واقعته مع قريش ودبيس فبعث العساكر اليها واستباحوها وقتل أميرها على بن مرجا وخلق كثير من اهلها رجالا ونساء وشفع ابراهيم نيال فى الباقين فكف عنهم وأقطع سنجار والموصل وتلك الاعمال كلها الاخيه ابراهيم نيال وعاد الى بغداد فدخلها فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين

{مفارقة نيال الموصل وما كان لقريش فيها
وفى بغداد مع البساسيرى وحبسهما القائم}

وفى سنة خمسين وأربعمائة خرج ابراهيم نيال من الموصل الى بلاد الروم فخشى طغرلبك أن يكون منتقضا وبادر بكتابه وكتاب الخليفة اليه فرجع وخرج الوزير الكندرى للقائه وخالفه البساسيرى وقريش الى الموصل فملكها وحاصر القلعة حتى استأمن أهلها على يد ابن موسك وصاحب اربد فأمناهم وهدما القلعة وسار السلطان طغرلبك من وقته الى الموصل ففارقها واتبعهما الى نصيبين ففارقه أخوه نيال فى رمضان سنة خمسين وسار السلطان طغرلبك فى اثره وحاصره بهمذان وجاء البساسيرى الى بغداد وكان هزارسب بواسط ودبيس ببغداد وقد استدعاه الخليفة للدفاع فسئم المقام ورجع الى بلده وجاء البساسيرى وقريش ووزير بنى بويه أبو الحسن بن عبد الرحيم ونزلوا بجوانب بغداد ونزل عميد العراق بالعسكر قبالة البساسيرى ورئيس الرؤساء وزير الخليفة قبالة الآخرين وخطب البساسيرى للمستنصر صاحب مصر بجوامع بغداد وأذن بحى على خير العمل ثم استعجل رئيس الرؤساء الحرب فاستجره القوم ثم كروا عليه فهزموه واقتحموا حريم الخلافة وملكوا القصور بما فيها وركب الخليفة فوجد عميد العراق قد استأمن الى قريش بن بدران فاستأمن هو كذلك وأمنهما قريش وأعادهما وعذله البساسيرى فى الانفراد بذلك دونه وقد تعاهدا على خلاف ذلك فاستعتب له بالوزير رئيس الرؤساء ودفعه اليه وأقام الخليفة والعميد عنده فقتل البساسيرى الوزير ابن عبد الرحيم وبعث قريش بالخليفة القائم مع ابن عمه مهارش بن مجلى الى حديثة عانة فأنزله بها مع أهله وحرمه وحاشيته حتى اذا فرغ السلطان طغرلبك من أمر أخيه نيال وقتله ورجع الى بغداد بعث البساسيرى وقريش فى اعادة القائم الى داره فامتنع وأجفل عن بغداد فى ذى القعدة سنة احدى وخمسين وشمل النهب مدينة بغداد وضواحيها من بنى شيبان وغيرهم وبعث السلطان طغرلبك الامام أبا بكر محمد بن فورك الى قريش بن بدران يشكره على فعله بالخليفة وبابنة أخيه زوجة الخليفة ارسلان خاتون وانه بعث ابن فورك لاحضارهما وكتب قريش الى مهارش ابن عمه بأن يلحق به هو والخليفة فى البرية فأبى وسار بالخليفة الى العراق وجعل طريقه على الرى ومر ببدر

ابن مهلهل فخدم القائم وخرج السلطان للقاء الخليفة وقدم اليه الاموال والآلات وعرضه أرباب الوظائف ولقيه بالنهروان وجاء معه الى قصره كما تقدم فى أخباره وبعث السلطان خمارتكين الطغرائى فى العساكر لاتباع البساسيرى والعرب وجاء الى الكوفة واستصحب سرايا ابن منيع بنى خفاجة وسار السلطان فى اثرهم وصبحت السرية البساسيرى فى حلة دبيس بن مزيد من الكوفة فنهبوها وفر دبيس وقاتل البساسيرى وأصحابه فقتل فى المعركة

(وفاة قريش بن بدران وولاية ابنه مسلم)

ثم توفى قريش بن بدران سنة ثلاث وخمسين ودفن بنصيبين وجاء فخر الدولة أبو نصر محمد ابن محمد بن جهير من دارا وجمع بنى عقيل على ابنه أبى المكارم مسلم بن قريش فولوه عليهم واستقام أمره وأقطعه السلطان سنة ثمان وخمسين الانبار وهيت وحربى والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فركب الوزير ابن جهير فى المركب للقائه ثم سار سنة ستين وأربعمائة الى الرحبة فقاتل بها بنى كلاب وهم فى طاعة المستنصر العلوى فهزمهم وأخذ اسلابهم وبعث بأشلائهم وعليها سمات العلوية فطيف بها منكسة ببغداد

(استيلاء مسلم بن قريش على حلب)

وفى سنة ثنتين وسبعين سار شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى مدينة حلب فحاصرها ثم أفرج عنها فحاصرها تتش بن الب ارسلان وقد كان ملك الشام سنة احدى وسبعين قبلها فأقام عليها أياما ثم أفرج عنها وملك بزاعة والبيرة وبعث أهل حلب الى مسلم بن قريش بأن يملكوه من بلدهم ورئيسها يومئذ ابن الحسين العباسى فلما قرب منهم امتنعوا من ذلك فترصد لهم بعض التركمان وهو صاحب حصن بنواحيها وأقام كذلك أياما حتى صادف ابن الحسين يتصيد فى ضيعته فأسره وبعث به الى مسلم بن قريش فأطلقه على أن يسلموا اليه البلد فلما عاد الى البلد تم له ذلك وسلم له البلد فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابنى محمد بن مرداس وبعث ابنه ابراهيم وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك حلب وسأل ان يقدر عليه ضمانه فأجابه السلطان الى ذلك وأقطع ابنه محمدا مدينة بالس ثم سار مسلم الى حران وأخذها من بنى وثاب النميريين وأطاعه صاحب الرها ونقش السكة باسمه

(حصار مسلم بن قريش دمشق وعصيان أهل حران عليه)

وفى سنة ست وسبعين سار شرف الدولة الى دمشق فحاصرها وصاحبها تتش فخرج فى عسكره وهزم مسلم بن قريش فارتحل عنها راجعا الى بلاده وقد كان استمد أهل مصر

فلم يجدوه وبلغه الخبر بأن أهل حران نقضوا الطاعة وان ابن عطية وقاضيها ابن حلية عازمون على تسليم البلد للترك فبادر الى حران وصالح فى طريقه ابن ملاعب صاحب حمص وأعطاه سلمية ورفنية وحاصر حران وخرب أسوارها واقتحمها عنوة وقتل القاضى وابنه

(حرب ابن جهير مع مسلم بن قريش واستيلاؤه على الموصل ثم عودها اليه)

كان فخر الدولة أبو نصر محمد بن أحمد بن جهير من أهل الموصل واتصل بخدمة بنى المقلد ثم استوحش من قريش بن بدران واستجار ببعض رؤساء بنى عقيل فأجاروه منه ومضى الى حلب فاستوزره معز الدولة أبو ثمال بن صالح ثم فارقه الى نصير الدولة بن مروان بديار بكر فاستوزره ولما عزل القائم وزيره أبا الفتح محمد بن منصور بن دارس استدعاه للوزارة فتحيل فى المسير الى بغداد واتبعه ابن مروان فلم يدركه ولما وصل الى بغداد استوزره القائم سنة أربع وخمسين وطغرلبك يومئذ هو السلطان المستبد على الخلفاء واستمرت وزارته وتخللها العزل فى بعض المرات الى أن مات القائم وولى المقتدى وصارت السلطنة الى ملكشاه فعزله المقتدى سنة احدى وسبعين بشكوى نظام الملك الى الخليفة به وسؤاله عزله فعزله وسار ابنه عميد الدولة الى نظام الملك باصفهان واستصلحه وشفع فيه الى المقتدى فأعاد ابنه عميد الدولة ثم عزله سنة ست وسبعين فبعث السلطان ملكشاه ونظام الملك الى المقتدى بتخلية سبيل بنى جهير اليه فوفدوا عليه باصفهان ولقوا منه مبرة وتكرمة وعقد السلطان ملكشاه لفخر الدولة على ديار بكر وبعث معه العساكر وأمره أن يأخذ البلاد من ابن مروان وأن يخطب لنفسه بعد السلطان وينقش اسمه على السكة كذلك فسار لذلك وتوسط ديار بكر ثم أردفه السلطان سنة سبع وسبعين بالعساكر مع الامير أرتق جد الملوك بماردين لهذا العهد وكان ابن مروان عندما أحس بمسير العساكر اليه بعث الى شرف الدولة مسلم بن قريش يستنجده على أن يعطيه آمد من أعماله فجاء الى آمد وفخر الدولة بنواحيها وقد ارتاب من اجتماع العرب على نصرة ابن مروان ففتر عزمه عن لقائهم وسارت عساكر الترك الذين معه فصبحوا العرب فى أحيائهم فانهزموا وغنموا أموالهم ومواشيهم ونجا شرف الدولة الى آمد وحاصره فخر الدولة فيمن معه من العساكر وبعث مسلم بن قريش الى الامير أرتق يقضى عنه فى الخروج من آمد على مال بذله له فأغضى له وخرج الى الرقة وسار أحمد بن جهير الى ميافارقين بلد ابن مروان لحصارها ففارقه بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة الى العراق وسار ابن جهير الى خلاط وكان السلطان ملكشاه لما بلغه انحصار مسلم بن قريش بآمد بعث عميد الدولة اقسنقر جد الملك العادل محمود

فى عساكر الترك ولقيهم الامير أرتق فى طريقهم سائرا الى العراق فعاد معهم وجاؤا الى الموصل فملكوها وسار السلطان فى عساكره الى بلاد مسلم بن قريش وانتهى الى البوازيج وقد خلص مسلم بن قريش من الحصار بآمد ووصل الى الرحبة وقد ملكت عليه الموصل وذهبت أمواله فراسل مؤيد الملك بن نظام الملك فتوسل به فتقبل وسيلته وأذن له فى الوصول الى السلطان بعد أن أعطاه من العهد ما رضى به وسار مسلم ابن قريش من الرحبة فأحضره مؤيد الملك عند السلطان وقدم هدية فاخرة من الخيل وغيرها ومن جملتها فرسه الذى نجا عليه وكان لا يجارى فوقع من السلطان موقعا وصالحه وأقره على بلاده فرجع الى الموصل وعاد السلطان الى ما كان بسبيله

(مقتل مسلم بن قريش وولاية ابنه ابراهيم)

قد قدمنا ذكر قطلمش قريب السلطان طغرلبك وكان سار الى بلاد الروم فملكها واستولى على قونية واقصراى ومات فملك مكانه ابنه سليمان وسار الى انطاكية سنة سبع وسبعين وأربعمائة وأخذها من يد الروم كما نذكر فى أخباره وكان لشرف الدولة مسلم بن قريش بانطاكية جزية يؤديها اليه صاحبها الفردروس من زعماء الروم فلما ملكها سليمان ابن قطلمش بعث اليه يطالبه بتلك الجزية ويخوفه معصية السلطان فأجابه بأنى على طاعة السلطان وأمرى فيها غير خفى وأما الجزية فكانت مضروبة على قوم كفار يعطونها عن رؤسهم وقد أدال الله منهم بالمسلمين ولا جزية عليهم فسار شرف الدولة ونهب جهات انطاكية وسار سليمان فنهب جهات حلب وشكت اليه الرعايا فرد عليهم ثم جمع شرف الدولة جموع العرب وجموع التركمان مع أميرهم جق وسار الى انطاكية فسار سليمان للقائه والتقيا فى أعمال انطاكية فى صفر سنة ثمان وسبعين ولما التقوا مال الامير جق بمن معه من التركمان الى سليمان فاختل مصاف مسلم بن قريش وانهزمت العرب عنه وثبت فقتل فى أربعمائة من أصحابه وكان ملكه قد اتسع من نهر عيسى وجميع ما كان لابيه وعمه قرواش من البلاد وكانت أعماله فى غاية الخصب والامن وكان حسن السياسة كثير العدل ولما قتل مسلم اجتمع بنو عقيل وأخرجوا أخاه ابراهيم من محبسه بعد أن مكث فيه سنين مقيدا حتى أفسد القيد مشيته فأطلقوه وولوه على أنفسهم مكان أخيه مسلم ولما قتل مسلم سار سليمان بن قطلمش الى انطاكية وحاصرها شهرين فامتنعت عليه ورجع وفى سنة تسع وسبعين بعدها بعث عميد العراق عسكرا الى الانبار فملكها من يد بنى عقيل وفيها أقطع السلطان ملكشاه مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وزوجه باخته خاتون زليخة فتسلم جميع هذه البلاد وامتنع محمد بن المشاطر من تسليم حران فأكرهه السلطان

على تسليمها

{ نكبة ابراهيم وتنازع محمد وعلى ابنى مسلم بعده على ملك الموصل ثم استيلاء على عليها }

لم يزل ابراهيم بن قريش ملكا بالموصل وأميرا على قومه بنى عقيل حتى استدعاه السلطان ملك شاه سنة ثنتين وثمانين فلما حضر اعتقله و بعث فخر الدولة بن جهير على البلاد فملك الموصل وغيرها وأقطع السلطان عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجا لمسلم بن قريش وابها منه ابنه على وتزوجت بعده بأخيه ابراهيم فلما مات ملك شاه ارتحلت صفية الى الموصل ومعها ابنها على بن مسلم وجاءه أخوه محمد بن مسلم وتنازعا فى ملك الموصل وانقسمت العرب عليهما واقتتلوا على الموصل فانهزم محمد وملك على ودخل الموصل وانتزعها من يد ابن جهير

(عود ابراهيم الى ملك الموصل ومقتله)

لما مات ملك شاه واستبدت تركان خاتون بعده بالامور وأطلقت ابراهيم من الاعتقال فبادر الى الموصل فلما قاربها سمع ان على بن أخيه مسلم قد ملكها ومعه أمه صفية عمة ملك شاه فبعث اليها وتلطف بها فدفعت اليه ملك الموصل فدخلها وكان تتش صاحب الشأم أخو ملك شاه قد طمع فى ملك العراق واجتمع اليه الامراء بالشأم وجاء أقسنقر صاحب حلب وسار الى نصيبين فملكها و بعث الى ابراهيم أن يخطب له و يسهل طريقه الى بغداد فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش ومعه أقسنقر وجموع الترك وخرج ابراهيم للقائه فى ثلاثين ألفا والتقى الفريقان بالمغيم فانهزم ابراهيم وقتل وغنم الترك حللهم وقتل كثير من نساء العرب أنفسهن خوفا من الفضيحة واستولى تتش على الموصل

{ ولاية على بن مسلم على الموصل ثم استيلاء كربوقا وانتزاعه اياها من يده وانقراض أمر بنى المسيب من الموصل }

ولما قتل ابراهيم وملك تتش الموصل ولى عليها على بن أخيه مسلم بن قريش فدخلها مع أمه صفية عند ملك شاه واستقرت هى وأعمالها فى ولايته وسار تتش الى ديار بكر فملكها ثم الى أذربيجان فاستولى عليها وزحف اليه بركيان وابن أخيه ملك شاه وتقاتلا فانهزم تتش وقام بمكانه ابنه رضوان وملك حلب وأمره السلطان بركيان باطلاق كربوقا فأطلقه واجتمعت عليه رجال وجاء الى حران فملكها وكاتبه محمد بن مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثوران بن وهيب وأبو الهيجاء الكردى يستنصرونه على على بن مسلم بن قريش بالموصل فسار اليهم وقبض على محمد بن مسلم وسار به الى نصيبين فملكها ثم سار الى

الموصل فامتنعت عليه ورجع الى مدينة بلد وقتل بها محمد بن مسلم غريقا وعاد الى حصار الموصل واستنجد على بن مسلم بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه منجدا له وبعث كربوقا اليه عسكرا مع أخيه التونتاش فرده مهزوما الى الجزيرة فتمسك بطاعة كربوقا وجاء مددا له على حصار الموصل واشتد الحصار بعلى بن مسلم فخرج من الموصل ولحق بصدقة بن مزيد بالحلة وملك كربوقا بلد الموصل بعد حصار تسعة أشهر وانقرض ملك بنى المسيب من الموصل وأعمالها واستولى عليها ملوك الغز من السلجوقية أمراؤهم والبقاء لله وحده

(الخبر عن دولة بنى صالح بن مرداس بحلب وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم)

كان ابتداء أمر صالح بن مرداس ملك الرحبة وهو من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ومجالاتهم بضواحى حلب وقال ابن حزم انه من ولد عمرو بن كلاب وكانت مدينة الرحبة لابى على بن ثمال الخفاجى فقتله عيسى بن خلاط العقيلى وملكها من يده وبقيت له مدة ثم أخذها منه بدران بن المقلد وزحف لؤلؤ السارى نائب الحاكم بدمشق فملك الرقة ثم الرحبة من يد بدران وعاد الى دمشق وكان رئيس الرحبة ابن محلكان فاستبد بها وبعث الى صالح بن مرداس يستعين به على أمره فأقام عنده مدة ثم فسد ما بينهما وقاتله صالح ثم اصطلحا وزوجه ابن محلكان ابنته ودخل البلد ثم انتقل ابن محلكان الى عانة باهله وماله بعد أن أطاعوه وأخذ رهنهم ثم نقضوا وأخذوا ماله وسار اليهم ابن محلكان مع صالح فوضع عليه صالح من قتله وسار الى الرحبة فملكها واستولى على أموال ابن محلكان وأقام دعوة العلويين بمصر

(ابتداء أمر صالح فى ملك حلب)

قد قدمنا أن لؤلؤا مولى أبى المعالى بن سيف الدولة استبد بحلب على ابنه أبى الفضائل وأخذ البلد منه ومحا دعوة العباسية وخطب للحاكم العلوى بمصر ثم فسد حاله معه وطمع صالح بن مرداس فى ملك حلب وذكرنا هنالك ما كان بين صالح ولؤلؤ من الحروب وأنه كان له مولى اسمه فتح وضعه فى قلعة حلب حافظا لها فاستوحش وانتقض على لؤلؤ بممالأة صالح بن مرداس وبايع للحاكم على أن أقطعه صيدا وبيروت وسوغه ما كان فى حلب من الاموال ولحق لؤلؤ بانطاكية وأقام عند الروم وخرج فتح بحرم لؤلؤ وأمه وتركهن فى منبج وترك حلب وقلعتها الى نواب الحاكم وتداولت فى أيديهم حتى وليها بعض بنى حمدان من قبل الحاكم يعرف بعزيز الملك اصطنعه الحاكم وولاه حلب ثم عصى على ابنه الظاهر وكانت عمته بنت الملك مدبرة لدولته فوضعت على عزيز الملك

من قتله وولوا على حلب عبد الله بن على بن جعفر الكتامى ويعرف بابن شعبان الكتامى وعلى القلعة صفى الدولة موصوفا الخادم

(استيلاء صالح بن مرداس على حلب)

ولما ضعف أمر العبيديين بمصر من بعد المائة الرابعة وانقرض أمر بنى حمدان من الشأم والجزيرة تطاولت العرب الى الاستيلاء على البلاد فاستولى بنو عقيل على الجزيرة واجتمع عرب الشأم فتقاسموا البلاد على أن يكون لحسان بن مفرج بن دغفل وقومه طيئ من الرملة الى مصر ولصالح بن مرداس وقومه بنى كلاب من حلب الى عانة ولسنان ابن عليان وقومه دمشق وأعمالها وكان العامل على هذه البلاد من قبل الظاهر خليفة مصر أنوشتكين الى عسقلان وملكها ونهبها حسان وسار صالح بن مرداس الى حلب فملكها من يد ابن شعبان وسلم له أهل البلد ودخلها وصعد ابن شعبان الى القلعة فحصرهم صالح بالقلعة حتى جهدهم الحصار واستأمنوا وملك القلعة وذلك سنة أربع وعشرين وأربعمائة واتسع ملكه ما بين بعلبك وعانة

(مقتل صالح وولاية ابنه أبى كامل)

ولم يزل صالح مالكا لحلب الى سنة عشرين فجهز الظاهر العساكر من مصر الى الشأم لقتال صالح وحسان وعليهم أنوشتكين الدريدى فسار لذلك ولقيهما على الاردن بطبرية وقاتلهما فانهزما وقتل صالح وولده الاصغر ونجا ولده الاكبر أبو كامل نصر بن صالح الى حلب وكان يلقب شبل الدولة ولما وقعت هذه الواقعة طمع الروم أهل انطاكية فى حلب فزحفوا اليها فى عدد كثير

(مسير الروم الى حلب وهزيمتهم)

ثم سار ملك الروم الى حلب فى ثلثمائة ألف مقاتل ونزل قريبا من حلب ومعه ابن الدوقس من أكابر الروم وكان منافرا له فخالفه وفارقه فى عشرة آلاف مقاتل ونمى اليه انه يروم الفتك به وأنه دس عليه فكر راجعا وقبض على ابن الدوقس واضطرب الروم واتبعهم العرب وأهل السواد الارمن ونهبوا أثقال الملك أربعمائة حمل وهلك أكثر عسكره عطشا ثم أشرف بعض العرب على معسكره فهربوا وتركوا سوادهم وأموالهم وأكرم الله المسلمين بالفتح

(مقتل نصر بن صالح واستيلاء الوزيرى على حلب)

وفى سنة تسع وعشرين زحف الوزيرى من مصر فى العساكر الى حلب وخليفتهم يومئذ

المستنصر وبرز اليه نصر فالتقوا عند حماة وانهزم نصر وقتل وملك الوزيرى حلب فى رمضان من هذه السنة

(مهلك الوزيرى وولاية ثمال بن صالح)

ولما ملك الوزيرى حلب واستولى على الشأم عظم أمره واستكثر من الاتراك فى الجند ونمى عنه الى المستنصر بمصر ووزيره الجرجاى أنه يروم الخلاف فدس الجرجاى الى جانب الوزيرى والجند بدمشق فى الثورة به وكشف لهم عن سوء رأى المستنصر فثاروا به وعجز عن مدافعتهم فاحتمل أثقاله وسار الى حلب ثم الى حماة فمنع من دخولها فكاتب صاحب كفرطاب فسار اليه وشيعه الى حلب ودخلها وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ولما توفى فسد أمر الشأم وانحل النظام وتزايد طمع العرب وكان معز الدولة ثمال بن صالح بالرحبة منذ مهلك أبيه وأخيه فقصد حلب وحاصرها فملك المدينة وامتنع أصحاب الوزيرى بالقلعة واستمدوا أهل مصر وشغل الوالى بدمشق بعد الوزيرى وهو الحسين بن حمدان لحرب حسان بن مفرج صاحب فلسطين فاستأمن أصحاب الوزيرى الى ثمال بن صالح بعد حصاره اياها حولا فأمنهم وملكها فى صفر سنة أربع وثلاثين فلم يزل مملكا عليها الى أن زحفت اليه العساكر من مصر مع أبى عبيد الله بن ناصر الدولة بن حمدان وبلغت جموعهم خمسة آلاف مقاتل فخرج اليهم ثمال وقاتلهم وأحسن دفاعهم وأصابهم سيل كاد يذهب بهم فأفرجوا عن حلب وعادوا الى مصر ثم عادت العساكر ثانية من مصر سنة احدى وأربعين مع رفق الخادم فقاتلهم ثمال وهزمهم وأسر الخادم رفقا ومات عنده

(رغبة ثمال عن حلب ورجوعها لصاحب مصر وولاية ابن ملهم عليها)

لم تزل العساكر تتردد من مصر الى حلب وتضيق عليها حتى سئم ثمال بن صالح امارتها وعجز عن القيام بها فبعث الى المستنصر بمصر وصالحه على أن ينزل له عن حلب فبعث عليها مكين الدولة أبا على الحسن بن ملهم فتسلمها آخر سنة تسع وأربعين وسار ثمال الى مصر ولحق أخوه عطية بن صالح بالرحبة واستولى ابن ملهم عليها

(ثورة أهل حلب بابن ملهم وولاية محمود بن نصر بن صالح)

وأقام ابن ملهم بحلب سنتين أو نحوها ثم بلغه عن أهل حلب أنهم كاتبوا محمد بن نصر بن صالح فقبض عليه فثار به أهل حلب وحصروه بالقلعة وبعثوا الى محمود فجاء منتصف ثنتين وخمسين وحاصره معهم بالقلعة واجتمعت معه جموع العرب واستمد ابن ملهم المستنصر فكتب الى أبى محمد الحسن بن الحسين بن حمدان أن يسير اليه فى العساكر

فسار الى حلب وأجفل محمود عنها ونزل ابن ملهم الى البلد ودخلها ناصر الدولة ونهبتها عساكره وابن ملهم ثم تواقع محمود وناصر الدولة بظاهر حلب فانهزم ناصر الدولة بن حمدان وأسر فرجع به محمود الى البلد وملكها وملك القلعة فى شعبان من هذه السنة وأطلق أحمد بن حمدان وابن ملهم فعادا الى مصر

(رجوع ثمال بن صالح الى ملك حلب وفرار محمود بن نصر عنها)

لما هزم محمود بن حمدان وأخذ القلعة من يد ابن ملهم وكان معز الدولة ثمال بن صالح بمصر منذ سلمها للمستنصر سنة تسع وأربعين فسرحه المستنصر الآن وأذن له فى ملك حلب من ابن أخيه فحاصره فى ذى الحجة من سنة ثنتين وخمسين واستنجد محمود بخاله منيع بن شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران فأمده بنفسه وجاء لنصره فأفرج ثمال عن حلب وسار الى البرية فى محرم سنة ثلاث وخمسين ثم عاد منيع الى حران وملك ثمال حلب فى ربيع سنة ثلاث وخمسين وغزا بلاد الروم فظفر وغنم

(وفاة ثمال وولاية أخيه عطية)

ثم توفى ثمال بحلب قريبا من استيلائه وذلك فى ذى القعدة سنة أربع وخمسين وعهد بحلب لاخيه عطية بن صالح وكان بالرحبة من لدن مسير ثمال الى مصر فسار وملكها

(عود محمود الى حلب وملكه اياها من يد عطية)

ولما ملك عطية حلب وكان ذلك عند استيلاء السلجوقية على ممالك العراق والشأم وافتراقهم على العمالات ونزل به قوم منهم فاستخدمهم وقوى بهم ثم خشى أصحابه غائلتهم فأشاروا بقتلهم فسلط أهل البلد عليهم فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصدوا محمود بن نصر بحران فاستنهضوه لملك حلب وجاءهم فحاصرها وملكها فى رمضان سنة خمس وخمسين واستقام أمره ولحق عطية عمه بالرقة فملكها الى أن أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ثلاث وستين فسار الى بلد الروم سنة خمس وستين واستقام أمر محمود بن نصر فى حلب وبعث الترك الذين جاؤا فى خدمته مع أميرهم ابن خان سنة ستين الى بعض قلاع الروم فحاصروها وملكها وسار محمود الى طرابلس فحاصرها وصالحوه على مال فأفرج عنهم ثم سار اليه السلطان الب ارسلان بعد فراغه من حصار ديار بكر وآمد والرها ولم يظفر بشئ منها كما نذكر فى أخبارهم وجاء الى حلب وحاصرها وبها محمود بن نصر وجاءت رسالة الخليفة القائم بالرجوع الى الدعوة العباسية فأعادها وسأل من الرسول ازهر أبو الفراس طراد الزينى أن يعفيه السلطان من الحضور عنده فأبى السلطان من ذلك واشتد الحصار على محمود وأنسربهم

حجارة المجانيق فخرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب متطارحين على السلطان فخلع على محمود فى حلب آخر ثمان وستين وعهد لابنه شبيب الى الترك الذين ملكوا أباه وهم بالحاضر وقد بلغه عنهم العيث والفساد فلما دنا من حللهم تلقوه فلم يجبهم وقاتلهم وأصيب بسهم فى تلك الجولة ومات

(مهلك نصر بن محمود وولاية أخيه سابق)

ولما هلك نصر ملك أخوه سابق قال ابن الاثير وهو الذى أوصى له أبوه بالملك فلم ينفذ عهده لصغره فلما ولى استدعى أحمد شاه مقدم التركمان الذين قتلوا أباه فخلع عليه وأحسن اليه وبقى فيها ملكا

{استيلاء مسلم بن قريش على حلب من يد سابق وانقراض دولة بنى صالح بن مرداس}

ولما كانت سنة ثنتين وسبعين زحف تتش بعد أن ملك دمشق الى حلب فحاصرها أياما ووجل أهل حلب من ولاية الترك فبعثوا الى مسلم بن قريش ليملكوه ثم بدا لهم فى أمره ورجع من طريقه وكان مقدمهم يعرف بابن الحسين العباسى وخرج ولده متصيدا الى ضيعة له فأرسل له بعض أهل القلاع بنواحى حلب من التركمان وأسره وأرسله الى مسلم بن قريش فعاهده على تمكينه من البلد وعاد الى أبيه فسلم البلد الى مسلم بن قريش وملكها سنة ثلاث وسبعين ولحق سابق بن محمود وأخوه وثاب الى القلعة واستنزلهما بعد أيام على الامان واستولى على نواحيها وبعث الى السلطان ملك شاه بالفتح وان يضمن البلد على العادة فأجابه الى ذلك وصارت فى ولاية مسلم بن قريش الى ان ملكها السلطان من بعده

(استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية أقسنقر عليها)

قد تقدم لنا أن مسلم بن قريش قتله سليمان بن قلطمش كما مر فى أخبار مسلم فلما قتله أرسل اليه ابن الحسين العباسى مقدم أهل حلب يطلب تسليمها اليه وكان تتش أيضا قد حاصرها وضيق عليها يطلب ملكها فوعد كلا منهما ونمى الخبر الى تتش فسار الى حلب وجاءه سليمان بن قلطمش فاقتتلا وقتل سليمان سنة تسع وسبعين وبعث برأسه الى ابن الحسين فكتب انه يشاور السلطان ملك شاه فى ذلك فغضب تتش وحاصره وداخله بعض أهل البلد فغدر به وأدخله ليلا فملك تتش مدينة حلب وشفع الامير ارتق بن اكسك من امراء تتش فى ابن الحسينى وامتنع بالقلعة سالم بن مالك بن بدران

ابن المقلد فحاصره تتش وكان ابن الحتيتى قد كاتب السلطان ملك شاه واستدعاه لملك حلب عندما خاف من أخيه تاج الدولة تتش فسار اليها من اصفهان سنة تسع وأربعين ومر بالموصل ثم تسلم حران من يد ابن الشاطر وأقطعها لمحمد بن قريش ثم سار الى الرها فملكها من يد الروم وكانوا اشتروها من ابن عطية وسار الى قلعة جعفر فملكها وقتل من بها من بنى قشير وأخذ صاحبها جعفرا شيخا أعمى وولدين له وكانوا يفسدون السابلة ويرجعون اليها ثم سار الى منبج فملكها وسار الى حلب وأخوه تتش يحاصر القلعة سبعة عشر يوما من حصارها وعاد الى دمشق وملك السلطان مدينة حلب وقاتل القلعة ساعة من نهار رشقا بالسهام فاذعن سالم بن مالك بن بدران بالطاعة والنزول عنها على ان يقطعه قلعة جعفر فاقطعها له السلطان فلم تزل بيده وبيد بنيه الى ان ملكها منهم نور الدين الشهيد وبعث نصر بن على بن منقذ الكنانى صاحب شيزر بالطاعة وولى على حلب قسيم الدولة اقسنقر جد العادل نور الدين الشهيد وارتحل عائدا الى العراق وسأله أهل حلب ان يعفيهم من ابن الحتيتى فاستصحبه وأرسله الى ديار بكر فنزلها الى ان توفى على حال شديدة من الفقر والاملاق والله مالك الامور لا رب غيره

* (الخبر عن دولة بنى مزيد ملوك الحلة وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم) *

كان بنو مزيد هؤلاء من بنى أسد وكانت محلاتهم من بغداد الى البصرة الى نجد وهى معروفة وكانت لهم النعمانية وكانت بنو دبيس من عشائرهم فى نواحى خوزستان فى جزائر معروفة بهم وكان كبير بنى مزيد أبو الحسن على بن مزيد وأخوه أبو الغنائم وسار أبو الغنائم الى بنى دبيس فأقام عندهم وفر فلم يدركوه ولحق بناحية أبى الحسن فسار اليهم أبو الحسن واستمد عميد الجيوش فأمده بعسكر من الديلم فى البحر ولقيهم فانهزم أبو الحسن وقتل أبو الغنائم وذلك سنة احدى وأربعمائة فلما كانت سنة خمس جمع أبو الحسن وسار اليهم لادراك الثار بأخيه وجمع بنى دبيس وهم مضر وحسان ونبهان وطراد فاجتمع اليهم العرب ومن فى نواحيهم من الاكراد الشاهجان والحادانية وتزاحفوا ثم انهزم بنو دبيس وقتل حسان ونبهان واستولى أبو الحسن بن مزيد على أموالهم وحللهم ولحق الفل منهم بالجزيرة وقلده فخر الدولة أمر الجزيرة الدبيسية واستثنى منها الطيب وقرقوب وأقام أبو الحسن هنالك ثم جمع مضر بن دبيس جمعا وكبسه فنجا فى فل يسير ولحق ببلد النيل منهزما واستولى مضر على أمواله وعلى الجزيرة وملكها

* (وفاة على بن مزيد وولاية ابنه دبيس) *

ثم توفى أبو الحسن بن مزيد سنة ثمان وقام بالامر مكانه ابنه نور الدولة أبو الاغر دبيس وقد كان أبوه عهد لاخيه فى حياته وخلع عليه سلطان الدولة وأذن فى ولايته فلما ولى بعد أبيه نزع أخوه المقلد الى بنى عقيل فأقام بينهم وكانت بسبب ذلك بين دبيس وقراوش أميرى بنى عقيل فتن وحروب وجمع دبيس عليه بنى خفاجه وملك الانبار من يده سنة سبع عشرة ثم انتقض خفاجه على دبيس وأميرهم منيع بن حسان وسار الى الجامعين فنهبها وملك الكوفة وصار أمر دبيس وقراوش الى الوفاق واستوى الامر على ذلك ومنعت خفاجه بنى عقيل من سقى الفرات

* (استيلاء منصور بن الحسين على الجزيرة الدبيسية) *

كانت الجزيرة الدبيسية قد استقرت لطراد بن دبيس وكان منصور بن الحسين من شعوب بنى أسد تغلب عليها وأخرج طراد بن دبيس عنها سنة ثمان عشرة ثم مات طراد فسار ابنه أبو الحسن الى جلال الدولة ببغداد وكان منصور بن الحسين قد خطب للملك أبى كاليجار وقطع الخطبة لجلال الدولة فسأل منه على بن طراد أن يبعث معه عسكرا ليخرج منصورا من الجزيرة فأنفذ معه العسكر وسار الى واسط ثم أغذ السير وكان منصور جمع للقائه وأعانه بعض امراء الترك وهو أبو صالح كركبر وكان قد هرب من جلال الدولة الى أبى كاليجار فأعان منصورا على شأنه ولقوا على بن طراد فهزموه وقتلوه وجماعة من الترك الذين بعثهم جلال الدولة لنصرته واستقر ملك الجزيرة الدبيسية لمنصور بن الحسين

* (فتنة دبيس مع جلال الدولة وحروبه مع قومه) *

كان المقلد أخو دبيس بن مزيد قد لحق ببنى عقيل كما ذكرناه وكانت بينه وبين نور الدولة دبيس عداوة فسار الى منيع بن حسان أمير خفاجه واجتمعا على قتال دبيس على خلافة جلال الدين وخطب لابى كاليجار واستقدمه للعراق فجاء الى واسط وبها ابن جلال الدولة ففارقها وقصد النعمانية ففجر عليه البثوق من بلده وأرسل أبو كاليجار الى قراوش صاحب الموصل والاثير عنبر الخادم ان ينحدروا الى العراق فانحدروا الى الكحيل ومات بها الاثير عنبر وجمع جلال الدولة عساكره واستنجد أبا الشوك صاحب بلاد الاكراد فأنجده وانحدر الى واسط وأقام بها وتتابعت الامطار والاوحال فسار جلال الدولة الى الاهواز بلد أبى كاليجار لينهبها وبعث أبو كاليجار اليه بأن عساكر محمود بن سبكتكين قد قصدت العراق ليرده عن الاهواز فلم يلتفت الى ذلك وسار ونهب الاهواز وبلغ الخبر الى أبى كاليجار فسار الى مدافعته وتخلف عنه دبيس خوفا على حلله

من خفاجه والتقى أبو كاليجار وجلال الدولة فانهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه كثير واستولى جلال الدولة على واسط وأعاد اليها ابنه عبد العزيز كما كان ولما فارق دبيس أبا كاليجار وجد جماعة من عشيرته قد خالفوا عليه وعاثوا فى نواحى الجامعين فقاتلهم وظفر بهم وأسر منهم جماعة منهم أبو عبد الله الحسين ابن عمه أبى الغنائم وشبيب وسرايا ووهب بنو عمه حماد بن مزيد وحبسهم بالجوسق ثم جمع المقلد أخوه جموعا من العرب واستمد جلال الدولة فأمده بعسكر وقصدوا دبيس فانهزم وأسر جماعة من أصحابه ونزل المعتقلون بالجوسق فنهبوا حلله ولحق دبيس بالشريد منهزما فسار به الى مجد الدولة وضمن عنه المال المقرر فى ولايته فأجيب الى ذلك وخلع عليه واستقام حاله وذهب المقلد مع جماعة من خفاجه فنهبوا مطيراباد والنيل أقبح نهب وعاثوا فى منازلها ولم تكن الحلة بنيت يومئذ وعبر المقلد دجلة الى أبى الشوك فأقام عنده حتى أصلح أمره

(الفتنة بين دبيس وأخيه ثابت)

كان أبو قوام ثابت بن على بن مزيد متصلا بالبساسيرى سنة أربع عشرين وتزحزح لهم دبيس عن البلاد وملك ثابت النيل وأعمال دبيس وبعث دبيس طائفة من أصحابه لقتال ثابت فانهزموا فسار دبيس عن البلاد وتركها لثابت حتى رجع البساسيرى الى بغداد فسار فى جموع بنى أسد وخفاجه ومعه أبو كامل منصور بن قراد وتركوا حللهم بين حصنى وجرى وساروا جريدة ولقيهم ثابت عند جرجرايا فاقتتلوا مليا ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يعود دبيس الى أعماله ويقطع أخاه ثابتا بعض تلك الاعمال وتحالفوا على ذلك وافترقوا وجاء البساسيرى منجدا لثابت فبلغه الخبر بالنعمانية فرجع

(الفتنة بين دبيس وعسكر واسط)

كان الملك الرحيم قد أقطع دبيس بن مزيد سنة احدى وأربعين حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهى من اقطاع جند واسط فسخطوا ذلك واجتمعوا وبعثوا اليه بالتهديد فراجعهم الى حكم الملك الرحيم فغضبوا وزحفوا اليه فلقيهم وأمكن لهم فهزمهم وأثخن فيهم وغنم أموالهم ودوابهم ورجعوا الى واسط يستنجدون جند بغداد ويرغبون من البساسيرى فى المدافعة عنهم ويعطوه نهر الصلة ونهر الفضل.

(ايقاع دبيس بخفاجه)

وفى سنة ست وأربعين قصد بنو خفاجه الجامعين من أعمال دبيس فعاثوا فيها من غربى الفرات وكان دبيس فى شرقيه فاستنجد البساسيرى فجاء بنفسه وعبر دبيس الفرات

معه وقاتل خفاجه وأجلاهم عن الجامعين فملكوا البرية ورجع عنهم ثم عادوا للفساد فعاد اليهم فدخلوا البرية فاتبعهم الى خفان فأوقع بهم وأثخن فيهم وحاصر خفان ثم اقتحمه وأخرجهم ورجع الى بغداد ومعه اسارى من خفاجه فصلبوا ثم سار الى جرى فحاصرها ووضع عليهم سبعة آلاف دينار فالتزموها وأمنهم

(حرب دبيس مع الغز وخطبته للعلوى صاحب مصر ومعاودته الطاعة)

ولما انقرض أمر بنى بويه وغلب عليهم الغز وصارت الدولة للسلطان طغرلبك سلطان السلجوقية وجاء السلطان طغرلبك الى بغداد واستولى على الخليفة وخطب له على منابر الاسلام وقبض على الملك الرحيم آخر ملوك بنى بويه حسبما ذلك كله مذكور فى أخبارهم وكان البساسيرى قد فارق الملك الرحيم قبل مسيره من واسط الى بغداد للقاء طغرلبك مجمعا على الخلاف على الغز مع قطلمش ابن عم طغرلبك جد الملوك ببلاد الروم أولاد قليج ارسلان ومعه معتمد الدولة أبو الفتح عمر وسار معهم قريش بن بدران صاحب الموصل فلقيهم دبيس والبساسيرى على سنجار وهزمهم ورجع قريش الى دبيس جريحا فخلع عليه وسار معهم وذهب بهم الى الموصل وخرج دبيس وقريش والبساسيرى الى البرية ومعهم جماعة من بنى نمير أصحاب حران والرقة واتبعهم عساكر السلطان مع هزارست من امراء السلجوقية فأوقع بهم ورجع بالغنائم والاسرى وأرسل دبيس وقريش الى هزارست ان يستعطف بهم السلطان ففعل وبعث دبيس ابنه بهاء الدولة مع وافد قريش فأكرمهما السلطان طغرلبك ثم انتقض عليه أخوه ينال بهمذان فسار لحربه وترك بغداد وخالفه البساسيرى اليها وبعث الخليفة القائم عن دبيس ليقيم عنده ببغداد فاعتذر بأن العرب لا تقيم وطلب الخليفة فى الخروج اليه حتى يجتمع عليه هو وهزارست ويدافعوا عن بغداد وجاء البساسيرى ودخل بغداد ومعه قريش بن بدران فملكها سنة خمسين وخطب فيها للعلويين واستقدم الخليفة القائم بقريش بن بدران فاذمه وبعثه الى عانة عند مهارش العقيلى من بنى عمه وفعل البساسيرى وجموعه فى بغداد الافاعيل وأطاعه دبيس بن على بن مزيد وصدقة بن منصور بن الحسين صاحب الجزيرة الدبيسية وكان ولى بعد أبيه وقد تقدم ذكر هذا كله ثم رجع السلطان من همذان بعد قتل أخيه وقضى أشغاله فاجفل البساسيرى وأصحابه من بغداد ولحق ببلاد دبيس وفارقه صدقة بن منصور الى هزارست بواسط وأعاد طغرلبك الخليفة الى داره وسار السلطان فى اتباعه وفى مقدمته خمارتكين الطغرائى فى ألفى فارس ومعه سرايا بن منيع الخفاجى فصبحت المقدمة دبيس بن مزيد والبساسيرى فهرب دبيس ووقف البساسيرى فقتل وذلك سنة احدى وخمسين ورجع السلطان الى بغداد ثم اشتدر

الى واسط وجاءه هزارسب بن تنكين فأصلح عنده حال دبيس بن مزيد وصدقة بن منصور ابن الحسين وحضرا عند السلطان وجا آ في ركابه الى بغداد فخلع عليهما وردهما الى عمالتهما

(وفاة دبيس وامارة ابنه منصور)

ولم يزل دبيس على أعماله الى ان توفى سنة اربع وسبعين لسبع وخمسين سنة من امارته وكان ممدوحا ورثاه الشعراء بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته ولما مات ولى في أعماله وعلى بنى أسد ابنه أبو كامل منصور ولقب بهاء الدولة وسار الى السلطان ملك شاه فأقره على أعماله وعاد في صفر سنة خمس وسبعين فاحسن السيرة

(وفاة منصور بن دبيس وولاية ابنه صدقة)

ثم توفى بهاء الدولة أبو كامل منصور بن دبيس بن على بن مزيد صاحب الحلة والنيل وغيرهما في ربيع الاول سنة تسع وسبعين فأرسل الخليفة نقيب العلويين أبا الغنائم الى ابنه سيف الدولة صدقة يعزيه وسار صدقة الى السلطان ملك شاه فخلع عليه وولاه مكان أبيه

(انتقاض صدقة بن منصور بن دبيس على السلطان بركيارق)

وكان السلطان بركيارق قد خرج عليه أخوه محمود بن ملك شاه ينازعه في الملك وكانت بينهما عدة وقعات ولم يزل صدقة بن منصور على طاعته ويحضر حروبه تارة بنفسه وتارة يبعث اليه العساكر مع ابنه الى سنة أربع وتسعين فبعث اليه وزير السلطان بركيارق وهو الاعز أبو المحاسن الدهستانى يطلبه فيما تخلف عنده من المال وهو ألف ألف دينار ويتهدده عليه فقطع صدقة الخطبة لبركيارق وعاد الى بغداد في هذه السنة منهزما امام أخويه محمد وسنجر فبعث الامير ايازمن أكبر أصحابه وطرد نائب السلطان عن الكوفة واستضافها اليه

(استيلاء صدقة على واسط وهيت)

كان السلطان محمد في سنة ست وتسعين مستوليا على بغداد والخطبة بها وشحنته فيها أبو الغازى بن ارتق وصدقة بن دبيس على طاعته ومظاهرته ثم ظهر في هذه السنة بركيارق على محمد وحاصره بأصفهان فامتنع عليه فأفرج عنه الى همذان وبعث كمشتكين القيصرى شحنة الى بغداد فاستدعى أبو الغازى أخاه سقمان بن أرتق من حصن كيفا يستعين به في مدافعة كمشتكين وجاء كمشتكين الى بغداد وخطب بها لبركيارق وخرج أبو الغازى وسقمان الى دجيل فأقاما به بحرى وجاء صدقة بن مزيد الى

صرصر بعد أن جاءه رسول الخليفة في طاعة ايلغازى وسقمان فهادا وعاثت عساكرهما في نواحى دجيل وتقدما الى بغداد وبعث معهما صدقة ابنه دبيسا فخيموا بالرملة وقاتلهم العامة وكثر الهرج وبعث الخليفة الى صدقة يعظم عليه الامر فأشار باخراج كمشتكين القيصرى من بغداد لتصلح الاحوال فأخرج الى النهروان في ربيع سنة ست وتسعين وعاد صدقة الى الحلة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد ولحق القيصرى بواسط وخطب بها لمحمد فسار اليه صدقة وأخرجه وجاء ايلغازى واتبعوا القيصرى واستأمن الى صدقة فأكرمه وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وبعده لصدقة وايلغازى وولى كل واحد منهما ولده على واسط وذهب ايلغازى الى بغداد وعاد صدقة الى الحلة وأرسل ابنه منصورا مع ايلغازى الى المستنصر ليستظهر رضاه فرضى عنه ثم استولى صدقة على هيت وكان بركيارق أقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهيبة وكان مقيما في جماعة من بنى عقيل عند صدقة ثم تشاجرا ومال بنو عقيل الى صدقة وحج عقب ذلك ورجع فوكل به صدقة وبعث ابنه دبيس ليتسلم هيت فمنعه نائب ثروان بها وهو محمد بن رافع بن رفاع بن منيعة بن مالك بن المقلد فلما أخذ صدقة واستاسار الى هيت وبها منصور بن كثير نائبا عن عمه ثروان فلقى صدقة وحاربه ثم انتقض جماعة من أهل البلد وفتحوا لصدقة فملكها وخلع على منصور وأصحابه وعاد الى الحلة واستخلف على هيت ابن عمه ثابت بن كامل ثم اصطلح السلطان محمد وبركيارق وسار صدقة في شوال الى واسط فملكها وأخرج الترك الذين كانوا بها وأحضر مهذب الدولة بن أبى الخير فضمنه البلد لثلاثة أشهر بقيت من السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة

(استيلاء صدقة بن مزيد على البصرة)

كانت البصرة منذ سنين في ولاية اسمعيل بن ارسلان جق من السلجوقية أقام فيها عشر سنين وعظم تمكنه للخلاف الواقع بين بركيارق ومحمد وكان يظهر طاعة صدقة وموافقته فلما صفا الامر لمحمد رغب اليه صدقة في ابقائه فابقاه وبعث السلطان محمد عاملا على خاصة البصرة فمنعه اسمعيل فأمر السلطان صدقة بأخذ البصرة منه وأظهر منكبرس الخلاف فشغلوا عن البصرة وبعث اليه صدقة بتسليم الشرطة الى مهذب الدولة بن أبى الخير فمنع من ذلك فسار صدقة اليه وحصن اسمعيل القلاع التى استجدها حوالى البصرة واعتقل وجوه البلد من العباسيين والعلويين والقاضى والمدرس والاعيان وحاصرها صدقة وخرج اسمعيل لقتاله وخالفه طائفة من أصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد فاقتحموها وانهزم اسمعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها ونهبت البلد وانحدر المهذب بن أبى الخير في السفن فأخذ القلعة التى كانت لاسمعيل بمطارا

ثم استأمن اسمعيل الى صدقة فأمنه وجاء صدقة فأمن أهل البصرة ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة منتصف تسع وتسعين وأربعمائة لستة عشر يوما من مقامه بالبصرة وسار اسمعيل نحو فارس فطرقه المرض فى رام هرمز ومات وكان صدقة قد استعمل على البصرة مملوكا جده دبيس واسمه اليونتاش ورتب معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق وقصدوا البصرة فدخلوها بالسيف وأسروا اليونتاش وأقاموا بها شهرا ينهبون ويخربون وبعث صدقة عسكرا فوصل بعد خروجهم من البلد فانتزع السلطان البصرة من صدقة وبعث اليها شحنة وعميدا واستقام أمرها

(استيلاء صدقة على تكريت)

كانت تكريت لبنى معن من بنى عقيل وكانت الى آخر سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن معن فلما مات وليها ابن أخيه أبو منعة بن ثعلب بن حماد ووجد بها خمسمائة ألف دينار وتوفى سنة خمس وثلاثين ووليها ابنه أبو غشام الى سنة أربع وأربعين فوثب عليه أخوه عيسى فحبسه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه ومات عيسى اثر ذلك وخافت زوجته من عود أخيه أبى غشام الى الملك فقتلته فى محبسه وولت على القلعة أبا الغنائم ابن المحلبان فسلمها الى أصحاب طغرلبك وسارت هى الى الموصل فقتلها ابن أبى غشام بأبيه وأخذ مسلم بن قريش مالها وولى طغرلبك على قلعة تكريت أبا العباس الرازى فمات لستة أشهر فولى عليها المهرباط وهو أبو جعفر محمد بن أحمد بن غشام من بلد الثغر فأقام بها احدى وعشرين سنة ومات فوليها ابنه سنتين وأخذتها منه تركان خاتون وولت عليها كوهرابين الشحنة ثم مات ملكشاه فملكها قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فولى عليها رجلا يعرف بأبى نصر المصارع ثم عادت الى كوهرابين اقطاعا ثم أخذها منه مجد الملك البارسلانى فولى عليها المقابن هزارشب الديلمى وأقام بها اثنتى عشرة سنة فظلم أهلها وأساء السيرة فلما أجازه سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين وأربعمائة نهبها وكان كيقباد نهبها البلاد وسقمان نهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد أخيه بركيارق أقطعها الامير اقسنقر البرسقى شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباد الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها فى صفر من هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقى ولم يملكها ومات كيقباد بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها ورام بن أبى قريش بن ورام وكان كيقباد ينسب الى البطانية

(الخلف بين صدقة وصاحب البطيحة)

قد ذكرنا أن السلطان محمدا أقطع صدقة بن مزيد مدينة واسط فضمنها صدقة لمهذب الدولة بن أبى الخير وولى فى أعمالها أولاده فبذروا الاموال وطالبه صدقة عند انقضاء السنة بالمال وحبسه وسعى فى خلاصه بدران بن ابن صدقة وكان صهرا لمهذب الدولة وأعاده الى البطيحة وضمن حماد والمختم محمد والده مهذب الدولة كانا أخوين وهما ابنا أبى الخير وكانت لهما رياسة قومهما وهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختم محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه ونازع ابراهيم صاحب البطيحة حتى غلبه مهذب الدولة وقبض عليه وسلمه الى كوهرابين فحمله الى اصفهان فهلك فى الطريق وعظم أمر مهذب الدولة وصير كوهرابين أمير البطيحة وصارت جماعته لحكمه وكان حماد شابا وكان مهذب الدولة يداريه بجهده وهو يضمر نقضه فلما مات كوهرابين انتقض حماد عن مهذب الدولة وأظهر ما فى نفسه واجتهد مهذب الدولة فى استصلاحه فلم يقدر وجمع ابنه القيسر وقصد حمادا فهرب الى صدقة بالحلة وبعث معه مددا من العسكر وحشد مهذب الدولة وسار فى العساكر برا وبحرا وأكمن حماد لهم وأصحابه واستطردوا بين أيديهم ثم خرجت عليهم الكمائن فانهزموا وأرسل حماد يستمد صدقة فبعث اليه مقدم جيشه وجمعوا السفن وكان مهذب الدولة جوادا فبعث الى مقدم الجيش بالانعامات والصلات فمال اليه وأشار عليه أن يبعث ابن النفيس الى صدقة فرضى عنه وأصلح بينه وبين حماد ابن عمه وذلك آخر المائة الخامسة

(مقتل صدقة وولاية ابنه دبيس)

كان صدقة بن منصور بن مزيد شيعة للسلطان محمد بن ملكشاه على أخيه بركيارق ومن أعظم أنصاره ولما هلك بركيارق واستبد السلطان محمد بالملك رعى وسائله فى ذلك وأقطعه واسطا وأذن له فى ملك البصرة وأنزله منزل المصافاة حتى كان يجير عليه وسخط مرة على سرخاب بن كيخسرو صاحب ساوة فلجئ اليه مستجيرا به فأجاره وطلبه السلطان فمنعه وكان العميد أبو جعفر يستبدله السلطان لكثرة السعاية ويغريه به وينكر دالته وتبسطه فتعين السلطان وسار الى العراق وأرسل الى صدقة فاستشار صدقة أصحابه فأشار ابنه دبيس بملاطفته واستعطافه بالهدايا وأشار سعيد بن حميد صاحب جيشه بالمحاربة فجنح الى رأيه واستطال فى الخطاب وجمع الجند وأفاض فيهم العطاء واعترضهم فكانوا عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل وبعث اليه المستظهر مع على بن طراد الزينى نقيب النقباء يعظه فى المخالفة ويحضه على لقاء السلطان فاعتذر بالخوف منه

ثم بعث اليه السلطان أقضى القضاة أباسعيد الهروى ليؤمّنه و يستنفره لجهاد الفرنج
فى جملته فامتنع و وصل السلطان الى بغداد فى ربيع من سنة احدى و خمسمائة ومعه
وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك فقدم البرسقى شحنة بغداد فى جماعة من الامراء
فنزلوا بصرصر مسلحة لقدوم عسكر السلطان وانه انما جاء فى ألفى فارس للاصلاح
والاستئلاف فلما تبين له لجاج صدقة أرسل الى الامراء بأصفهان بأن يستجيشوا
ويقدموا فكتب صدقة الى الخليفة بالمقاربة وموافقة السلطان ثم رجع صدقة عن رأيه
وقال اذا رحل السلطان عن بغداد مددته بالاموال والرجال لجهاده وأما الآن
وعساكره متصلة فلا وفاق عندى وقد أرسل الى جاولى سكاوو صاحب الموصل
وايلغازى بن أرتق صاحب ماردين بالانتقاض على السلطان وأيس السلطان من
استقامته ووصل اليه ببغداد قراوش شرف الدولة وكرواوى بن خراسان التركمانى
وأبو عمران فضل بن ربيعة بن خادم بن الجرج الطائى وكان آباؤه أصحاب البلقاء وبيت
المقدس ومنهم حسان بن مفرج وطرده كفرتكين أتابك دمشق لما كان عليه من
الاجلاب تارة مع الفرنج وتارة مع أهل مصر فلجأ الى صدقة وقبله وأكرمه وأجزل له
العطاء سبعة آلاف دينار فلما كانت هذه الحادثة رغب عن صدقة وسار فى طلائعه
فهرب الى السلطان فخلع عليه وعلى أصحابه وسوّغه دار صدقة عن الهروب وأذن له فعبر
من الانبار وكان آخر العهد به ثم أنفذ السلطان فى جمادى الاولى الى واسط الامير
محمد بن بوقا التركمانى فملكها وأخرج منها أصحاب صدقة وأنفذ خيله الى بلد قوسان
من أعمال صدقة فنهبه وأقام أياما حتى بعث صدقة ابن عمه ثابت بن سلطان فى عسكر
فخرج منها الامير محمد وملكها ثابت وأقاموا على دجلة وخرج ثابت لقتالهم فهزموه
واقتحموا البلد ومنعهم الامير محمد من النهب ونادى بالامان وأمر السلطان الامير
محمدا بنهب بلاد صدقة فسار اليها وأودع مدينة واسط لقسيم الدولة البرسقى ثم سار
السلطان من بغداد آخر رجب ولقيه صدقة واشتد القتال وتخاذلت عنه عبادة
وخفاجه ورفع صوته بالابتهال بالناشرة بالعرب ورغب الاكراد بالمواعيد ثم
غشيه الترك فحمل عليهم وهو ينادى أنا ملك العرب أنا صدقة فأصابه سهم أثبته وتعلق به
غلام تركى يسمى برغش فجذبه الى الارض فقال يا برغش ارفق فقتله وحمل رأسه الى
السلطان فأنفذه الى بغداد وأمر بدفن شلوه وقتل من أصحابه ثلاثة آلاف أو يزيدون
ومن بنى شيبان نحو مائة وأسر ابنه دبيس ونجا ابنه بدران الى الحلة ومنها الى البطيحة
عند صهره مهذب الدولة وأسر سرجان بن كيخسرو والمستجير بصدقة الى السلطان وسعيد
ابن حميد العمدى صاحب الجيش وكان مقتل صدقة لاحدى وعشرين سنة من امارته

وهو الذى بنى الحلة بالعراق وكان قد عظم شأنه وعلا قدره بين الملوك وكان جوادا حليما
صدوقا عادلا فى رعيته وكان يقرأ ولا يكتب وكانت له خزانة كتب منسوبة الخط
ألوف مجلدات ورجع السلطان الى بغداد من دون الحلة وأرسل أمانا الزوج صدقة
فجاءت الى بغداد وأمر السلطان الامراء بتلقيها وأطلق لها ولدها دبيسا واعتذر لها
من قتل صدقة واستحلف دبيسا على الطاعة وأن لا يحدث حدثا وأقام فى ظله وأقطعه
السلطان اقطاعا كثيرا ولم يزل دبيس مقيما عند السلطان محمد الى أن توفى وملك ابنه
محمود سنة احدى عشرة فرغب دبيس من السلطان محمود أن يسرحه الى بلده فسرحه
وعاد اليها فملكها واجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد واستقام أمره

(خبر دبيس مع البرسقى ومع الملك مسعود)

لما توفى الخليفة المستظهر سنة ثنتى عشرة وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر
من غائلة أخيه وانحدر فى البحر الى المدائن وسار منها الى الحلة فأبى أن يكرهه فتلطف
على بن طراد لاخى الخليفة فأجاب وتكفل دبيس بما يطلبه وبينما هو فى خلال ذلك برز
البرسقى من بغداد مجلبا على دبيس الجموع وسار أخو الخليفة الى واسط فملكها فى صفر
سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقوى أمره وكثرت جموعه فبعث الخليفة الى دبيس فى شأنه
وانه خرج عن جواره فالتى أمره بالطاعة وبعث اليه وهو بواسط عسكرا من قبله فتلقاه
وقبض عليه وبعثه الى أخيه المسترشد وكان مسعود أخو السلطان محمد بالموصل ومعه
أتابكه حيوس بك فاعتزما على قصد العراق لغيبة السلطان محمود عنه فسار لذلك ومعه
وزيره فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكى بن اقسنقر
أبو المعالى أبو الملك العادل وكرواوى بن خراسان التركمانى صاحب البوازيج
وأبو الهيجاء صاحب اربل وصاحب سنجار فلما قاربوا بغداد خاف البرسقى شأنهم
وبعث اليه الملك مسعود وحيوس بك أنهم انما جاؤا نجدة على دبيس وكان البرسقى انما
ارتاب من حيوس بك فصالحهم ودخل مسعود بغداد ونزل دار المملكة وجاء منكبرس
فى العساكر فسار البرسقى عن بغداد لمحاربته ودفاعه فمال الى النعمانية وعبر دجلة
واجتمع مع دبيس بن صدقة وكان دبيس قد صانع مسعودا وصاحبه بالهدايا والالطاف
مدافعة عن نفسه فلما لقيه منكبرس اعتضد به وسار الملك مسعود والبرسقى وحيوس بك
الى المدائن للقائهما ثم خاموا عن لقائهما لكثرة جموعهما ونكبوا عن المدائن وعبروا
نهر صرصر وأكثروا النهب فى تلك النواحى من الطائفتين وبعث اليهم المسترشد
بالموعظة ويأمرهم بالموادعة والمصالحة فأجابوا الى ذلك ثم بلغهم أن دبيسا ومنكبرس
قد بعثا العساكر مع منصور أخى دبيس وحسين بن أوزبك ربيب منكبرس ليخالفوهم

الى بغداد تخلوها من الحامية فأغذ البرسقى السير الى بغداد وترك ابنه عز الدين مسعود على العسكر وصحبه عماد الدين زنكى بن أقسنقر وانتهى الى ديالى ومنع العسكر من العبور ثم جاءه الخبر ليومين بصلح الفريقين كما أشار الخليفة فتمت رتاطه وعبر الى الجانب الغربى من بغداد وجاء فى أثره منصور أخو دبيس وحسين ربيب منكبرس فنزلا فى الجانب الشرقى من بغداد وأغار البرسقى على نعم الملك مسعود فأخذها وعاد فخيم بجانب آخر من بغداد وخيم مسعود وحيوس بك من جانب آخر ودبيس ومنكبرس من جانب ومعهما عز الدولة بن البرسقى منفردا عن أبيه وكان حيوس بك قد بعث الى السلطان محمود بطلب الزيادة له وللملك مسعود فجاء كتاب مع رسوله يذكر أن السلطان كان أقطعهم اذربيجان حتى اذا بلغه مسيرهم الى بغداد تثاقل عن ذلك وقد جهز العساكر الى الموصل ووقع الكتاب بيد منكبرس فبعث الى حيوس بك وضمن له اصلاح الحال وكان يؤثر مصلحته اذ كان متزوجا بأمه فتم الصلح وافترق عن البرسقى أصحابه وبطل ما كان يحدث به نفسه من الاستبداد بالعراق وصار مع الملك مسعود واستقر منكبرس شحنة ببغداد ورجع دبيس الى الحلة

* (فتنة دبيس مع السلطان محمود واجلاؤه عن بغداد ثم معاودته الطاعة) *

كان دبيس بن صدقة كثيرا ما يكاتب حيوس بك أتابك الملك مسعود ويغريهم بطلب السلطنة ويعدهم بالمساعدة ليحصل له بذلك علو اليد كما كان لابيه مع بركيارق ومحمد ابنى ملك شاه وكان قسيم الدولة البرسقى شحنة بغداد قد سار للملك مسعود وأقطعه مراغة مع الرحبة وكانت بينه وبين دبيس عداوة مستحكمة فأغراهم دبيس بالقبض عليه ففارقهم البرسقى الى السلطان محمود فأكرمه ثم اتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن على الاصفهانى الطغرائى بالملك مسعود وكان ولده أبو المؤيد محمد يكاتب الطغرائى عن الملك مسعود فلما وصل أبوه عزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس واستوزره وحسن لهم ما أشار به دبيس فعزموا عليه ونمى الخبر الى السلطان محمود فكاتبهم بالوعيد فأظهروا أمرهم وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وبلغهم أن عساكر محمود متفرقة فأغذوا السير لمحاربته والتقوا عند عقبة استراباد فى ربيع سنة أربع عشرة وأبلى البرسقى وكان فى مقدمته ثم انهزم مسعود وأسر كثير من أصحابه وجىء بالوزير أبى اسمعيل الطغرائى فأمر بقتله لسنة من ولايته وكان حسن الكتابة والشعر وله تصانيف فى صنعة الكيمياء وسار مسعود يطلب الموصل بعد أن استأمن البرسقى وأدركه فرده الى أخيه وعفا عنه وعطف عليه ولحق حيوس بك بالموصل ثم بلغه فعل السلطان محمود ومعه ألف سفينة لعبوره فبادر دبيس لطلب الامان بعد أن أرسل

حرمه الى البطيحة وسار بأمواله عن الحلة وأمر بنهبها ولحق بأبلغازى بن ارتق بماردين ووصل السلطان الى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها وأرسل دبيس أخاه منصورا من قلعة صفد فى عسكر الى العراق فمر بالحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وبعث الى يرنقش الذكوى فى صلاح حاله مع السلطان محمود فقبض على منصور أخى دبيس وولده وحبسهما ببعض القلاع حذاء الكرخ ثم أذن دبيس لجماعة من أصحابه بالمسير الى أقطاعهم بواسط فمنعهم أتراك واسط فبعث اليهم عسكرا مع مهلهل بن أبى العسكر وأمر مظفر بن أبى الخير فساعده واستمد أهل واسط البرسقى فأمدهم بعسكر وسار مهلهل للقائهم قبل مجىء المظفر فهزم وأخذ أسيرا فى جماعة من أصحابه وأصعد المظفر من البطيحة ينهب ويفسد حتى قارب واسط وسمع بالهزيمة فأسرع منحدرا ووقع على كتاب بخط دبيس الى مهلهل يأمره بالقبض على مظفر بن أبى الخير ومطالبته بالاموال فبعثوا به الى المظفر وسار معهم وبلغ دبيسا أن السلطان كحل أخاه فلبس السواد ونهب البلاد وأخذ للمسترشد بنهر الملك وأجفل الناس الى بغداد وسار عسكر واسط الى النعمانية فأوقعوا بمن هنالك من عساكر دبيس وأجلوهم عنها وكان دبيس قد أسر فى واقعة البرسقى عفيفا خادم الخليفة فأطلقه وحمله الى المسترشد عقابا ووعيدا على كحل أخيه فغضب الخليفة وتقدم الى البرسقى بالخروج لحرب دبيس وخرج بنفسه فى رمضان سنة عشرة وأتاه سليمان بن مهارش من الحديثة فى جماعة من بنى عقيل وقريش بن مسلم صاحب الموصل فى كافة بنى عقيل وأمر المسترشد باستنفار الجند كافة وفرق فيهم الاموال والسلاح وجاء دبيسا ما لم يكن يحتسبه فرجع الى الاستعطاف وبرز الخليفة آخر ذى الحجة وعبر دجلة وهو فى أكمل زيه ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وبلغ البرسقى مسير المسترشد فعاد الى خدمته ونزل معه بالحديثة ثم سار الى الموصل على سبيل التعبية والبرسقى فى المقدمة وعبى دبيس أصحابه صفا واحدا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة وقد كان وعد أصحابه بنهب بغداد وسبى حريمها فالتقى الفريقان فانهزم عسكر دبيس وأسر جماعة من أصحابه فقتلوا صبرا وسبيت حرمه ورجع المسترشد الى بغداد يوم عاشوراء من سنة سبع عشرة ونجا دبيس وعبر الفرات وقصد غزنة من عرب نجد مستنصرا بهم فأبوا عليه فسار الى المنتفق وحالفهم على أخذ البصرة فدخلوا ونهبوا أهلها وقتل مقدم عسكرها وبعث المسترشد الى البرسقى بالعتاب على اهمال أمر البصرة فتجهز البرسقى للانحدار اليها ففارقها دبيس ولحق بقلعة جعبر وصار مع الفرنج وأطمعهم فى حلب وسار معهم

لحصارها سنة ثمان عشرة فامتنعت عليهم فعادوا عنها ولحق هو بالملك طغرلبك بن السلطان ابن محمد فأغراه بالمسير الى العراق كما نذكر

(مسير دبيس الى الملك طغرل)

لما سار دبيس من الشأم الى الملك طغرل باذربيجان تلقاه بالمبرة والتكرمة وأنظمه في خواصه ووزرائه وأغراه دبيس بالعراق وضمن له ملكه فسار معه لذلك وانتهوا الى دقوقا في عساكر كثيرة وكتب مجاهد الدين مهروز صاحب تكريت الى المسترشد بالخبر فتجهز لمدافعتهم وجمع العساكر فبلغوا اثنى عشر ألف فارس وبرز من بغداد في صفر سنة تسع عشرة وفي مقدمته برتقش الذكوى ونزل الخالص وانتهى الى طغرل خروج المسترشد فعدل الى طريق خراسان ونزل جلولاء وتفرق أصحابه للنهب وبرز اليه الوزير جلال الدين بن صدقة في عسكر كبير فنزل الدسكرة ولحقه المسترشد وكان معه ورحل طغرل ودبيس الى الهارونية ثم سارا الى تامرا ليقطعا جسر النهروان فحفظ دبيس المعابر وتقدم طغرل الى بغداد وتملكها ونهبها ثم رحل دبيس من تامرا وأقام طغرل لحمى أصابته وحالت بينهما الامطار والسيول ثم أخذ دبيس ثقلا جاء للخليفة فيه ملبوس وطعام كثير وكان لحقه الجوع والتعب والبرد فأخذ من ذلك الملبوس ولبسه وأكل من الطعام كثيرا واستقبل الشمس فأخذه النوم ورقد وأما الخليفة لما بلغه الخبر بأخذ الثقل رجع الى بغداد ففي حال سيره عثر على دبيس وهو نائم فوقف وأيقظه ففتح عينيه ورأى الخليفة فبادر بتقبيل الارض على العادة وسأل العفو فرق له الخليفة وثناه الوزير بن صدقة عن ذلك ووقف دبيس ازاء عسكر برتقش يحادثهم ثم مدوا الجسر آخر النهار للعبور فتسلل دبيس عنهم ولحق بالملك طغرل وسار معه الى عمه الملك سنجر وعاثوا في أعمال همذان واتبعهم السلطان محمود فلم يظفر بهم

(مسير دبيس الى السلطان سنجر)

لما أيس طغرل من ملك العراق عندما سار اليه مع دبيس عاد منه وسار هو ودبيس الى السلطان سنجر وهو يومئذ صاحب خراسان والمتقدم على بني ملك شاه فشكى اليه طغرل ودبيس من المسترشد وبرتقش الشحنة ووعدهم النصفة منهم ثم داخله دبيس وأطمعه في ملك العراق وخيل له أن المسترشد والسلطان محمود متفقان على مباعدته ولم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى حرك حفيظته لذلك وسار الى العراق سنة ثنتين وعشرين فوصل الى الري واستدعى السلطان محمودا من همذان يختبر ما خيل له دبيس فجاء محمود مبادرا وأكذب دبيسا فيما خيل وأمر السلطان سنجر العساكر

بتلقى السلطان محمود وأجلسه معه على التخت وأقام عنده الى آخر سنة ثنتين وعشرين ثم عاد الى خراسان وأوصاه باعادة دبيس الى بلده فرجع السلطان محمود الى همذان ودبيس معه ثم سار الى بغداد في محرم سنة ثلاث وعشرين وأنزل دبيس بداره واسترضى له الخليفة فرضي عنه وامتنع من ولايته وبذل دبيس مائة ألف دينار لذلك فلم يقبله وعاد السلطان محمود الى همذان منتصف السنة

(فتنة دبيس مع محمود وأسره)

كانت زوجة السلطان محمود وهي ابنة عمه سنجر تعنى بأمر دبيس فماتت عند رحيل السلطان الى همذان فانحل أمره ثم مرض السلطان فأخذ دبيس ابنه الصغير وقصد العراق فجمع المسترشد لمدافعته وكان بهروز شحنة بغداد بالحلة فهرب عنها وملكها دبيس في رمضان سنة ثلاث وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان محمود فأحضر الامير ابن قزل والاحمديلي وكانا ضمنا دبيس فطالبهما بالضمان فسار الاحمديلي في أثره وجاء السلطان الى العراق فبعث اليه دبيس بهدايا عظيمة كان فيها مائتا ألف دينار وثلثمائة فرس بسروج مثقلة بالذهب ثم جاء الى البصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الاموال وبعث السلطان في أثره العساكر فدخل البرية وجاءه عند مفارقته البصرة قاصد من صرصر يستدعيه وكان صاحبها خصيا فتوفي في هذه السنة وخلف سرية له فاستولت على القلعة وأرادت أن تتم أمرها برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس وحاله في العراق وكثرة عشيرته فكتبت تستدعيه لتتزوج به وتملكه القلعة بما فيها فلحقه الكتاب بعد مفارقته البصرة وقفل من العراق الى الشام ومعه الادلاء ومر بدمشق فحبسه واليها عنده وبعث فيه عماد الدين زنكي وكان عدوه وكان عنده ابن تاج الملوك مأسورا في واقعة كانت بينهما فطلب أن يبعث اليه دبيس ويفادى به ابنه والامراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك وحصل دبيس في يد زنكي وقد أيقن بالهلاك فأطلقه زنكي وحمل له الاموال والدواب والسلاح وخزائن الامتعة كما يفعل مع أكابر الملوك وبلغ المسترشد خبره فبعث سديد الدين بن الانباري يطلبه من تاج الملوك فسار لذلك من جزيرة ابن عمر وبلغه في طريقه أنه بعثه الى زنكي وأنه فاته القصد منه

(مسير دبيس الى بغداد مع زنكي وانهزامهما)

لما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين وولي بعده داود ونازعه عمومته مسعود وسلجوق ثم استقرت السلطنة لمسعود وكان أخوهما طغرل عند عمه سنجر بخراسان وكان كبير بيت أهل السلجوقية وله الحكم على ملوكهم فنكر على السلطان محمود لقتاله

سلجوق وطغرل وساربه الى العراق وانتهى الى همذان وبعث الى عماد الدين زنكي فولاه شحنة بغداد والى دبيس بن صدقة وهو عند زنكي فأقطعه الحلة وتجهز السلطان محمود لقتال سنجر وطغرل واستدعى الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد وعاجلهم ورجع المسترشد الى بغداد وقد سمع بوصول زنكي ودبيس اليها ولقيهم بالعباسية فهزمهم وقتل من عسكرهم ودخل بغداد وسار دبيس الى بلاد الحلة وكانت بيد أقبال المسترشد فبعث اليها بالمدد فهزموا دبيس ونجا من المعركة ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وابن أبى الخير صاحب البطيحة وملكها الى سنة سبع وعشرين فبعث اقبال الخادم وبرتقش الشحنة العساكر الى دبيس فلقيهم فى عسكر واسط وانهزم وسار الى السلطان مسعود فأقام عنده

(مقتل دبيس وولاية ابنه صدقة)

لم يزل دبيس مقيما عند السلطان مسعود الى أن حدثت الفتنة بينه وبين المسترشد ومات أخوه طغرل كما هو مذكور فى أخبارهم وسار مسعود الى همذان بعد موت أخيه طغرل فملكها وفارقه جماعة من أعيان أمرائه ومعهم دبيس بن صدقة مستوحشين منه واستأمنوا للخليفة فحذر من دبيس ولم يقبلهم فمضوا الى خورستان واتفقوا مع برسق بن برسق ثم تدارك الخليفة رأيه وبعث الى الامراء الذين مع دبيس بالامان وكانوا لما ردهم الخليفة بسبب دبيس أجمعوا القبض عليه وخدمة الخليفة به وشعر بهم وهرب الى السلطان مسعود وبرز الخليفة من بغداد فى رجب من سنة تسع وعشرين لقتال مسعود وكتب اليه أكثر أهل الاعمال بالطاعة وأرسل اليه داود بن السلطان محمود من اذربيجان بأن يقصد المسترشد الدينور ليحضر ردا ودحر به فأبى وسار على التعبية حتى بلغ واعرج فالتقوا هنالك وانهزمت عساكر المسترشد وأخذ أسيرا ومعه وزيره شرف الدين على بن طراد وقاضى القضاة وابن الانبارى وجماعة من أعيان الدولة وغنم ما فى عسكره وعاد السلطان الى بغداد وبعث الامير بكاية شحنة الى بغداد وكثر العويل والبكاء والضجيج ببغداد على الخليفة وجعل الخليفة فى خيمة ووكل به وراسله السلطان مسعود فى الصلح وشرط عليه ما لا يؤديه ولا يجمع العساكر ولا يخرج من داره ما بقى وانعقد ذلك بينهما وبينما هما فى ذلك وصل رسول السلطان سنجر فركب السلطان مسعود للقائه وافترق المتوكلون بالمسترشد فدخل عليه خيمته آخر ذى القعدة من سنة تسع وعشرين جماعة الباطنية وقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه ولما قتل المسترشد اتهم السلطان مسعود أن دبيس بن صدقة دس أولئك النفر عليه فأمر بقتله وقصده بغلام فوقف على رأسه عند باب خيمته وهو ينكث الارض باصبعه

فأطار رأسه وهو لا يشعر وبلغ الخبر الى ابنه صدقة وهو بالحلة فاجتمعت اليه عساكر أبيه ومماليكه واستأمن اليه الامير قطلغ تكين وأمر السلطان مسعود الشحنة بك آبه بمعاجلته وأخذ الحلة من يده الى أن قدم السلطان بغداد سنة احدى وثلاثين فقصده صدقة وأصلح حاله معه ولزم بابه

(مقتل صدقة وولاية ابنه محمد)

ولما قتل المسترشد ولى ابنه الراشد باشارة السلطان مسعود ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان مسعود وأغراه بها عماد الدين زنكي صاحب الموصل ومعه الراشد وبايع السلطان مسعود للمقتفى سنة ثلاثين وخلع الراشد ففارق الموصل وسار الامراء الذين كانوا مع داود الى السلطان مسعود ورضى عنهم ورجع الى همذان وأذن للعساكر فى العود الى بلادهم وتمسك بصدقة بن دبيس وزوجه ابنته وسار الراشد من الموصل الى اذربيجان قاصدا الملك واجتمع اليه صاحب فارس وخورستان وجماعة الامراء فسار اليهم السلطان مسعود وهزمهم وأخذ صاحب فارس الامير منكبرس فقتله صبرا وتسلل صاحب خورستان وعبد الرحمن طغايرك صاحب خلخال الى السلطان مسعود وهو فى خف من الناس فحملوا عليه وهزموه وقبضوا على جماعة من الامراء الذين معه فقتلهم منكبرس فيهم صدقة بن دبيس وعنبر بن أبى العسكر وذهب داود الى همذان فملكها واستقال السلطان مسعود من عثرته وولى على الحلة محمد بن دبيس وجعل معه مهلهل بن أبى العسكر أخا عنبر يدبره واستقام أمره بالحلة وكان من شأن الراشد والسلجوقية ما نذكره فى أخبارهم

(تغلب على بن دبيس على الحلة وملكه اياها من أخيه محمد)

ثم خرج على السلطان مسعود سنة ست وأربعين بوزابة صاحب فارس وخورستان وبايع للسلطان محمد ابن السلطان محمود وسار معهم عباس صاحب الرى وملكوا كثيرا من البلاد فسار السلطان مسعود اليهم من بغداد واستخلف بها الامير مهلهل ابن أبى العسكر ونظر الخادم وأشار مهلهل على السلطان مسعود عند رحيله من بغداد أن يحبس على بن دبيس بقلعة تكريت ونمى اليه الخبر فهرب فى فرقليل ومضى الى بنى أسد فجمعهم فسار الى الحلة فبرز اليه محمد أخوه فهزمه على وملك الحلة واستهان السلطان أمره أولا فاستفحل وضم اليه جمعا من غلمانه وغلمان أبيه وأهل بيته وعساكرهم وكثر جمعهم فسار اليه مهلهل فيمن معه فى بغداد من العسكر وضربوا عليه مصافا وكسرهم وعادوا منهزمين الى بغداد وكان أهلها يتعصبون لعلى بن دبيس

فكانوا يعيطون اذا ركب مهلهل أو بعض أصحابه يا علي كله فكثر ذلك منهم بحيث امتنع مهلهل من الركوب وبدء على تفرق كل يد في أوضاع الامراء بالحلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد ومن فيها على وجل منه ووضع الخليفة الخاصية على الاسوار وأرسل الى على يحضه على الاستقامة فأجاب بالآمال والطاعة فسكن الناس

(أخذ السلطان الحلة من يد على وعوده اليها)

كان على بن دبيس كثير العسف بالرعية والظلم لهم وارتفعت شكوى الرعية به الى السلطان مسعود سنة ثنتين وأربعين فاشتكاهم وأقطع الحلة سلاركرد فسار اليها من همذان وجمع عسكرا من بغداد وقصد الحلة واحتاط على أهل على وأقام بالحلة في مماليكه وأصحابه ورجعت عنه العساكر ولحق على بن دبيس بالتقشكنجر وكان في اقطاعه باللعف متجنيا على السلطان مسعود فستنجده على فأنجده وسار معه الى واسط وسار معهما الطرنطاى صاحب واسط فانتزعوا الحلة من سلاركرد ورجع الى بغداد آخر ثنتين وأربعين واستولى على على الحلة

(نكبة على بن دبيس)

ثم انتقض على السلطان مسعود سنة أربع وأربعين جماعة من الامراء منهم التقشكنجر والطرنطاى وعلى بن دبيس وبايعوا ملك شاه ابن السلطان محمود وساروا به الى العراق وراسلوا المقتفى في الخطبة له فامتنع وجمع العساكر وحصن بغداد وأرسل الى السلطان مسعود بالخبر فشغل عنهم بلقاء عمه السلطان سنجر كان سار اليه بالرى ولما علم التقشكنجر بذلك نهب النهروان وقبض على على بن دبيس وهرب الطرنطاى الى النعمانية ثم وصل السلطان مسعود الى بغداد فرحل التقشكنجر من النهروان وأطلق على بن دبيس فسار الى السلطان مسعود فلقيه ببغداد واستعطفه فرضى عنه

(وفاة على بن دبيس وانقراض بنى مزيد)

ثم توفى على بن دبيس صاحب الحلة عليلا بعد اباد واتهم طبيبه محمد بن صالح بالادهان فيه فمات بعده بقليل ثم مات السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقية الاعاظم وبويع ملك شاه ابن أخيه محمود بعده واستبد المقتفى على ملوك السلجوقية بعده وبعث السلطان ملك شاه سلاركرد الى الحلة فملكها ولحق به مسعود بلال شحنة بغداد هرب منها عند موت السلطان مسعود وأظهر لسلاركرد الوفاق ثم قبض عليه وغرقه واستبد بالحلة وبعث المقتفى اليه العساكر مع الوزير عون الدين بن هبيرة فبرز مسعود بلال للقائهم فانهزم وعاد الى الحلة فمنعه أهلها من الدخول فسار الى تكريت وملك ابن هبيرة الحلة وبعث

العساكر الى الكوفة وواسط فملكوها ثم جاءت عساكر السلطان ملك شاه الى واسط وخرجت منها عساكر المقتفى الى واسط فملكها ثم الى الحلة كذلك ثم عاد الى بغداد آخر ذى القعدة سنة سبع وأربعين ثم قبض الامراء على ملك شاه سنة ثمان وأربعين وبايعوا لاخيه محمد وطلب الخطبة من المقتفى فمنع منها فسار السلطان محمد بن محمود الى العراق سنة احدى وخمسين واضطرب الناس ببغداد واهتم المقتفى بالاحتشاد وجاءته عساكر واسط وبعث السلطان مهلهل بن أبى العسكر الى الحلة فملكها وحاصر السلطان محمد بغداد سنة ثنتين وخمسين وامتنعت عليه فرجع وتوفى المقتفى سنة خمس وخمسين وبويع ابنه المستنجد واستبد بأمره كما كان أبوه ومنع خطبة السلجوقية من بغداد وكان فى نفسه شئ من بنى أسد لاجلابهم على بغداد مع مهلهل بن أبى العسكر أيام حصار السلطان محمد لها فأمر يردن بن قماج بقتالهم واجلائهم وكانوا منتشرين فى البطائح ولا يقدر عليهم وجمع عساكره وبعث عن ابن معروف مقدم المنتفق من أرض البصرة فجاءه فى جمع كبير وحاصرهم حتى انحسر الماء عنهم وأبطأ أمرهم على المستنجد فبعث الى يردن يعاتبه وينسبه الى موافقتهم فى التشيع فجهد هو وابن معروف فى قتالهم وسد مسالكهم فى الماء واستسلموا فقتل منهم أربعة آلاف ونودى عليهم بالجلاء من الحلة فافترقوا فى البلاد ولم يبق منهم بالعراق من يعرف وسلمت بطائحهم وبلادهم الى ابن معروف والمنتفق وانقرضت دولة بنى مزيد والبقاء لله

{الخبر عن ملوك العجم القائمين بالدعوة العباسية فى ممالك الاسلام والمستبدين على الخلفاء ونبدأ منهم أولا بدولة ابن طولون بمصر وبداية أمرهم ومصاير أحوالهم}

قد تقدم لنا عند ذكر الفتوحات فتح مصر على يد عمرو بن العاص سنة عشرين من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه باذنه وولاه عليها وافتتح ما وراءها فى المغرب الى طرابلس وودان وغدامس حسبما ذلك مذكور هنالك وأقام عمرو فى ولايتها أيام عمر كلها وولى عثمان على الصعيد عبد الله بن أبى سرح وأفردها بالولاية وكان يعدو على عمرو فغضب عمرو وأبى من الرجوع الى ولاية مصر فضمها عثمان لعبد الله بن أبى سرح وولاه عليها وكانت فى أيامه غزوة الصوارى جاءت مراكب الروم من القسطنطينية فى ألف مركب ونزلوا بسواحل الاسكندرية وانتقض أهل القرى ورغب أهل الاسكندرية من عثمان أن يمدهم بعمرو بن العاص فبعثه وزحف اليهم فى العرب ومعه المقوقس فى القبط وخرجوا من البحر ومعهم من انتقض من أهل القرى ففتح الله على المسلمين وهزموا الروم الى الاسكندرية وأمضى عمرو فى قتالهم ورد على أهل القرى ما غنم المسلمون منهم وعذرهم بالاكراه ورجع الى المدينة وأقام عبد الله فى ولايته

وغزا افريقية وافتتحها ثم غزا بلد النوبة ووضع عليهم الجزية المعروفة الباقية على
الايام وذلك سنة احدى وثلاثين ثم كان من بعد ذلك يبعث معاوية بن حديج فيفتح
ويثخن الى ان استملك فتح افريقية ووفد على عثمان آخر أيامه عندما اهتاجت الفتنة
وكثر الطعن عليه من جماعة جند مصر يتعللون بالشكوى من ابن أبي سرح مع وفد
من الجند شاكين من عمالهم بالامصار وعزله عثمان يسترضيهم به فكانت قضية الكتاب
المنسوب الى مروان وحصارهم عثمان بداره وخرج عبد الله من مصر مددا لعثمان
فخالفه محمد بن ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الى مصر وانتزى بها ورجع عبد الله من
طريقه فمنعه الدخول فسار الى عسقلان وأقام بها حتى قتل عثمان ثم سار الى الرملة
وكانت من مهماته فأقام بها هاربا من الفتنة حتى مات ولم يبايع عليا ولا معاوية ثم قتل
عمرو بن العاص محمد بن أبي حذيفة وفي كيفية قتله اياه اضطراب ثم ولى علىّ على مصر
قيس بن سعد بن عبادة وكان ناصحا له شديدا على عدوه واستماله معاوية فاساء في الرد عليه
وأشاع معاوية خلاف ذلك عنه فعزله علىّ من أجل ذلك وولى ذلك الاشتر النخعي واسمه
مالك بن الحرث بن يغوث بن سلمة بن ربيعة بن الحرث بن خزيمة بن سعد بن مالك بن النخع
وسار اليها فمات بالقلزم قريبا منها سنة سبع وثلاثين فولى علىّ مكانه محمد بن أبي بكر
وكان نشأ في حجره ثم بعث معاوية الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين قد اعتزل الناس
بعد مقتل عثمان واستماله واجتمع معه على قتال علىّ وولاه مصر فسار اليها بعد انقضاء
أمر صفين وأمر الحكمين وطلب معاوية الخلافة وقد اضطرب الامر على محمد
ابن أبي بكر وخرج عليه معاوية بن حديج السكوني مع جماعة من العثمانية بنواحي
مصر فكاتب عمرو العثمانية وسرح الكتائب الى مصر وفي مقدمتها معاوية بن حديج
فهزموا عساكر محمد وافترق عنه أصحابه وقتل كما هو معروف في أخباره ودخل عمرو
ابن العاص الفسطاط وملك مصر الى سنة ثلاث وأربعين فتوفي وملك مكانه ابنه عبد
الله ثم عزله معاوية وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان وتوفي سنة أربع وأربعين وولى مكانه
عقبة بن عامر الجهني ثم عزله سنة سبع وأربعين وولى مكانه معاوية بن حديج ثم اقتطع
عنه افريقية سنة خمسين وولى عليها عقبة بن نافع ثم جمع مصر وافريقية لمسلمة بن مخلد
الانصاري فبعث مسلمة على افريقية مولاه أبا المهاجر واساء عزل عقبة كما هو معروف
ثم مات معاوية وولى ابنه يزيد واضطربت الامور وبويع عبد الله بن الزبير بمكة
وانتشرت دعوته في الممالك الاسلامية فبعث على مصر عبد الرحمن بن جحدم القرشي
وهو عبد الرحمن بن عقبة بن اياس بن الحرث بن عبد بن أسد بن جحدم الفهري ثم بويع
مروان وانتقض ابن الزبير وسار مروان الى مصر فأخرج منها عبد الرحمن بن جحدم

وولى عليها عمر بن سعيد الاشرف ثم بعثه للقاء مصعب بالشام وولى مكانه على مصر ابنه
عبد العزيز بن مروان ثم هلك سنة خمس وكان مروان قد مات فولى مكانه ابنه عبد الله
ابن عبد الملك ثم عزله الوليد سنة تسع وثمانين وولى عليها قرة بن شريك بن مرثد
ابن الحرث العبسي ومات سنة خمس وتسعين فولى الوليد مكانه عبد الملك بن رفاعة سنة
تسع وتسعين وكان قد استخلفه عند موته ويقال بل ولى قبله أسامة بن زيد التنوخي
ثم عزل عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن رفاعة سنة تسع وتسعين وولى مكانه أيوب
ابن شرحبيل بن أكرم بن ابرهة بن الصباح الاصبحي ثم عزله يزيد بن عبد الملك وولى مكانه
بشر بن صفوان وأقره يزيد ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى   ابن رفاعة
وتوفي بعد خمس عشرة ليلة واستخلف أخاه الوليد بن رفاعة وأقره هشام فأقام سبعة
أشهر ثم عزله وولى حنظلة بن صفوان في المحرم سنة أربع وعشرين وأقره هشام
ثم استعفى مروان بن محمد حين ولى فأعفاه وولى مكانه حسان بن عتامة بن عبد الرحمن
اليحصبي وكان بالشام فاستخلف حير بن نعيم الحضرمي بمصر ثم قدم ورفض ولايتها فولى
مكانه حفص بن الوليد لستة عشر يوما من ولايته وبقي حفص شهرين ثم ولى مروان
الحوثرة بن سهل بن العجلان الباهلي في محرم سنة ثمان وعشرين ثم صرف عنها في رجب
سنة احدى وثلاثين وولى المغيرة بن عبد الله بن مسعود الفزاري ثم مات في جمادى سنة
ست وثلاثين واستخلف ابنه الوليد وولى مروان بن عبد الملك بن موسى بن نصير فأمر
باتخاذ المنابر في الكور وانما كانوا يخطبون على العصي ثم قدم مروان بن محمد الى مصر
وكان فيها مهلكه كما هو معروف ثم جاءت الدولة العباسية فولى السفاح على مصر عمه
صالح بن علىّ سنة أربع وثلاثين ومائة وبقيت في ولايته يستخلف عليها فاستخلف أولا
محصن بن فاني الكندي ثمانية أشهر ثم أبا عون عبد الملك بن يزيد مولى مناه ثمانية أشهر
وولى داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة في محرم سنة أربع وسبعين ثم عزله في محرم سنة خمس
وسبعين لسنة من ولايته وأعاد اليها موسى بن عيسى ثم صرفه في ربيع سنة ست وسبعين
وولى ابن عمه ابراهيم بن صالح وتوفي لثلاثة أشهر من ولايته وقام بالامر بعده ابنه صالح
فولى الرشيد عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي في رمضان سنة ست وسبعين ثم عزله بعد
الحول وولى هرثمة بن أعين ثم أمره بالمسير الى افريقية لثلاثة أشهر من ولايته سلخ ثمان
وسبعين وولى أخاه عبيد الله بن المسيب ثم أعاد موسى بن عيسى في رمضان سنة تسع
وسبعين فاستخلف ابنه يحيي ثم صرف موسى في منتصف سنة ثمانين لعشرة أشهر من
ولايته واعيد عبد الله بن المهدي ثم صرفه في رمضان سنة احدى وثمانين وأعيد
اسمعيل بن صالح بن علىّ من العمومة فاستخلف ثم صرف في منتصف ثنتين وثمانين

بياض بالأصل

وأعيد لعشرة أشهر من ولايته وولى الليث بن الفضل من أهل اسبورد فوليها أربع سنين ونصفا وعزل ثم ولى الرشيد من قرابته احمد بن اسمعيل بن على منتصف سبع وثمانين فبقى عليها سنتين وشهرين ثم ولى مكانه عبد الله بن محمد بن الامام ابراهيم بن محمد ويعرف بابن زينب وصرفه عنها آخر شعبان من سنة تسعين لسنة وشهرين من ولايته وولى حاتم بن هرثمة بن أعين فقدم فى شوال سنة أربع وتسعين ثم صرفه الامير منتصف خمس وتسعين لسنة وثلاثة أشهر من ولايته وولى جابر بن الاشعث بن يحيى بن النعمان الطائى منتصف خمس وتسعين فأخرجه الجند منها سنة ست وتسعين لسنة من ولايته ثم ولى المأمون عليها عباد بن محمد بن حيان البلخى مولى كندة ويكنى أبا نصر ثم عزله لسنة ونصف من ولايته فى صفر سنة ثمان وتسعين وولى المطلب بن عبد الله بن مالك ابن الهيثم الخزاعى وقدمها من مكة فى منتصف ربيع الاول ثم صرفه فى شوال لثمانية أشهر من ولايته وولى من عمومته العباس بن موسى بن عيسى فبعث عليها ابنه عبد الله ومعه الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله تعالى عنه فأقام عليها شهرين ونصفا فقتله الجند يوم النحر سنة ثمان وتسعين وولوا عليهم المطلب بن عبد الله ثم جرت بينه وبين السرى وبين الحكم بن يوسف مولى بنى ضبة من أهل بلخ من قوم يقال لهم الزط جرت بينه وبين أهل المطلب حروب وخرج هاربا الى مكة بعد سنة وثمانية أشهر من ولايتها ووليها السرى باجماع الجند فى رمضان سنة مائتين ثم وثب به الجند بعد ستة أشهر وولوا سليمان بن غالب بن جبريل بن يحيى بن قرة البجلى فى ربيع الاول سنة احدى عشرة وولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مولى خزاعة فأقام عشرة ثم ولى المأمون عليها أخاه أبا اسحق الملقب فى خلافته بالمعتصم فأقر عيسى الجلودى وبعده عمير بن الوليد التميمى فى صفر سنة أربع عشرة ثم قتل بعد شهرين واستخلف ابنه محمد بن عمير شهرا ثم أعاد عيسى الجلودى ثم جاء أبو اسحق المعتصم الى الفسطاط وعاد الى الشأم واستخلف عبدويه بن جبلة فى المحرم فاتح خمس عشرة فأقام سنة وولى عيسى بن منصور بن موسى الخراسانى الرافعى مولى بنى نصر بن معاوية ثم قدم المأمون مصر لسنة من ولايته فسخط على عيسى بن منصور وعمر المقياس وجسرا آخر بالفسطاط وولى كندر بن عبد الله ابن نصر الصفدى ويكنى أبا مالك ورجع الى العراق ومات كندر فى ربيع سنة تسع عشرة ومائتين واستخلف ابنه المظفر ولما صارت الخلافة للمعتصم ولى على مصر مولاه اشناس ويكنى أبا جعفر فى رجب سنة ثمان عشرة فاستخلف عليها موسى بن أبى العباس ثابت من بنى حنيفة من أهل الشاش فى رمضان سنة تسع عشرة ومائتين واستخلف ابنه المظفر فأقام مستخلفا لاشناس أربع سنين ونصفا ثم عزله بعد سنتين واستخلف مالك

ابن كيدر بن عبد الله الصفدى فقدم فى ربيع سنة أربع وعشرين ثم عزله بعد سنتين واستخلف على بن يحيى الارمنى وقدم فى ربيع سنة ست وعشرين ثم عزله بعد سنتين وثمانية أشهر واستخلف عيسى بن منصور الذى كان مستخلفا للمعتصم أيام المأمون وسخطه المأمون عند قدومه مصر فقدم عيسى فى محرم سنة تسع وعشرين ثم مات اشناس بعد الثلاثين وقد استخلف على مصر ايتاخ مولى المعتصم وأقيم ايتاخ مكان اشناس فأقر الواثق ايتاخ على مصر فأقر ايتاخ عيسى بن منصور فى ربيع سنة ست وثلاثين فبقى أربعة أشهر ثم استخلف ايتاخ هرثمة بن النضر الجبلى فقدم منتصف سنة ثلاث وثلاثين وأقام سنة ثم مات سنة أربع وثلاثين وقام بأمره ابنه حاتم رضى الله تعالى عنه فاستخلف ايتاخ على بن يحيى الارمنى فى رمضان سنة أربع وثلاثين ثم صرف ايتاخ عن ولاية مصر فى محرم سنة خمس وثلاثين بعد وفاة المعتصم وولى المتوكل على مصر ابنه المستنصر فاستخلف عليها اسحق بن يحيى بن معاذ الختلى وقدم فى ذى القعدة منه سنته وفى أيامه أخرج ولد على من مصر الى العراق ثم صرف فى ذى القعدة من سنة ست وثلاثين واستخلف المستنصر عليها عبد الرحمن بن يحيى بن منصور بن طلحة بن زريق وهو ابن عم طاهر بن الحسين وقدم فى ذى القعدة سنة ست وثلاثين ثم صرفه واستخلف عنبسة بن اسحق بن عبس بن عنبسة من أهل هراة ويكنى أبا حاتم فى صفر سنة ثمان وثلاثين وفى ولايته كبس الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين واستخلف يزيد بن عبد الله بن دينار من مواليهم ويكنى أبا خالد وفى أيامه منع العلويون من ركوب الخيل واقتناء العبيد ثم ولى المستنصر الخلافة فى شوال سنة سبع وأربعين فأقر يزيد على ولاية مصر ثم صرف عنها فى ربيع سنة ثلاث وخمسين لعشر سنين من ولايته وولى المعتز مكانه مزاحم بن خاقان بن عرطوج التركى فى ربيع سنة أربع وخمسين وعهد الى أزجور بن أولغ طرخان التركى فأقام خمسة أشهر وخرج حاجا فى رمضان سنة أربع وخمسين وولى أحمد بن طولون واستقل بها أمره وكانت له ولابنيه بها دولة كما نذكر الآن أخبارها

الخبر عن دولة أحمد بن طولون بمصر وبنيه ومواليه
بنى طغج وابتداء أمرهم وتصاريف أحوالهم

قال ابن سعيد ونقله من كتاب ابن الداية فى أخبار بنى طولون كان طولون أبو أحمد من الطغزغز وهم الترك حمله نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون فى وظيفته من المال والرقيق والبراذين وولد له احمد سنة عشرين ومائتين من جارية اسمها ناسم وتوفى طولون سنة أربعين ومائتين وكفله رفقاء أبيه بدار الملك حتى نبتت مرتبته وتصرف فى خدمة السلطان وانتشر له ذكر عند الاولياء ففاق به على أهل طبقته وشاع بين الترك صونه ودينه

وأمانته على الاسرار والاموال والفروج وكان يستصغر عقول الاتراك ويرى أنهم
ليسوا بأهل للرتب وكان يحب الجهاد وطلب من محمد بن أحمد بن خاقان أن يسأل من
عبد الله الوزير أن يكتب لهما بأرزاقهما الى الثغر ويقيما هنالك مجاهدين وسار الى
طرسوس وأعجبه ما عليه أهل الحق من تغيير المنكر واقامة الحق فأنس وعكف على
طلب الحديث ثم رجع الى بغداد وقدامته لا علماود يناوسياسة ولما تنكر الاتراك
للمستعين وبايعوا المعتز وآل أمر المستعين الى الخلع والتغريب الى واسط وكلوا به
أحمد بن طولون فأحسن عشرته ووسع عليه وألزمه أحمد بن محمد الواسطى يومه وكان
حسن العشرة فكه المجالسة ولما اعتزموا على قتله بعثوا الى أحمد بن طولون أن يمضى ذلك
فتفادى منه فبعثوا سعيدا الحاجب فسمله ثم قتله ودفنه ابن طولون وعظم محله بذلك
عند أهل الدولة انتهى كلام ابن سعيد وقال ابن عبد الظاهر وقفت على سيرة للاخشيد
قديمة عليها خط الفرغانى وفيها أن أحمد هو ابن النج من الاتراك كان طولون صديق أبيه
ومن طبقته فلما مات النج رباه طولون وكفله فلما بلغ من الحداثة مشى مع الحشوية
وغزا وتنقلت به الاحوال الى أن صار معدودا فى الثقات وولى مصر واستقر بها قال
صدر الدين بن عبد الظاهر ولم أر ذلك لغيره من المؤرخين انتهى ولما وقع اضطراب
الترك ببغداد وقتل المستعين وولى المعتز واستبد عليه الاتراك وزعيمهم يومئذ بابك
وولاه المعتز مصر ونظر فيمن يستخلفه عليها فوقع اختياره على أحمد بن طولون فبعثه
عليها وسار معه أحمد بن محمد الواسطى ويعقوب بن اسحق ودخلها فى رمضان سنة
أربع وخمسين وعلى الخوارج بها أحمد بن المدبر وعلى البريد شقير مولى قبيحة
فأهدى له ابن المدبر ثم استوحش منه وكاتب المعتز بأن ابن طولون يروم العصيان
وكاتب صاحب البريد بمثل ذلك فسطا بشقير صاحب البريد ومات من غده ثم قتل المعتز
وولى المهتدى فقتل بابك ورتب مكانه يارجوج وولاه مصر وكانت بينه وبين أحمد
ابن طولون مودة أكيدة فاستخلفه على مصر وأطلق يده على الاسكندرية والصعيد بعد
أن كان مقتصرا على مصر فقط وجعل اليه الخراج فسقطت رتبة ابن المدبر ثم أعاده
المعتمد فلم ينهض الى مساماة ابن طولون ولا منازعته ثم كتب اليه المعتمد بضبط عيسى
ابن شيخ الشيبانى وكان يتقلد فلسطين والاردن وتغلب على دمشق وطمع فى مصر ومنع
الحمل واعترض حمل ابن المدبر وكان خمسة وسبعين حملا من الذهب فأخذها فكتب اليه
المعتمد يومئذ بولاية أعماله فادعى العجز وأنكر مال الحمل ونزع السواد وأنفذ أماجور
من الحضرة فى العساكر الى دمشق سنة سبع وخمسين ثم خرج أحمد بن طولون الى
الاسكندرية ومعه أخوه موسى وكان يتجنى عليه ويرى أنه لم يوف بحقه وظهر ذلك منه

في

فى خطابه فأوقع به ونفاه وحبس كاتبه اسحق بن يعقوب واتهمه بأنه أفضى بسره الى
أخيه وخرج أخوه حاجا وسار من هنالك الى العراق ووصف أخاه بالجميل فحظى بذلك
عند الموفق واستفحل أمر أحمد واستكثر من الجند وخافه أماجور بالشأم وكتب الموفق
يغريه بشأنه وأنه يخشى على الشأم منه فكتب الموفق الى ابن طولون بالشخوص الى
العراق لتدبير أمر السلطان وأن يستخلف على مصر فشعر ابن طولون بالمكيدة
فى ذلك فبعث كاتبه أحمد بن محمد الواسطى الى يارجوج والى الوزير وحمل اليهما
الاموال والهدايا وكان يارجوج متمكنا فى الدولة فسعى فى أمره وأعفاه من الشخوص
وأطلق ولده وحرمه واشتدت وطأة ابن طولون وخافه أحمد بن المدبر فكتب الى أخيه
ابراهيم أن يتلطف له فى الانصراف عن مصر فورد الكتاب بتقليده خراج دمشق
وفلسطين والاردن وصانع ابن طولون بضياعه التى ملكها وسار الى عمله بمصر وشيعه
ابن طولون ورضى عنه وذلك سنة ثمان وخمسين وولى الوزير على الخراج من قبله
وتقدم لابن طولون باستحثاثه فتتابع حمل الاموال الى المعتمد ثم كتب ابن طولون بأن
تكون جباية الخراج له فأسعف بذلك وأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليده خراج مصر
وضريبتها وخراج الشأم وبعث اليه نفيس الخادم ومعه صالح بن أحمد بن حنبل قاضى
الثغور ومحمد بن أحمد الجزوعى قاضى واسط شاهدين باعفائه ما زاد على الرسم من المال
والطرزومات يارجوج فى رمضان سنة تسع وخمسين وكان صاحب مصر ومن أقطاعه
ويدعى له قبل ابن طولون فلما مات استقل أحمد بمصر

(فتنة ابن طولون مع الموفق)

لما استأمن الزنج وتغلبوا على نواحى البصرة وهزموا العساكر بعث المعتمد الى الموفق
وكان المهتدى نفاه الى مكة فعهد له المعتمد بعد ابنه المفوض وقسم ممالك الاسلام بينهما
وجعل الشرق للموفق ودفعه لحرب الزنج وجعل الغرب للمفوض واستخلف عليه
موسى بن بغا واستكتب موسى بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وأودع كتاب عهدهما
فى الكعبة وسار الموفق لحرب الزنج واضطرب الشرق وقعد الولاة عن الحمل وشكا
الموفق الحاجة الى المال وكان ابن طولون يبعث الاموال الى المعتمد يصطنعه بذلك
فأنفذ الموفق نحريرا خادم المتوكل الى أحمد بن طولون يستحثه لحمل الاموال والطرز
والرقيق والخيل ودس اليه أن يعتقله واطلع على الكتب وقتل بعض القواد وعاقب
آخرين وبعث مع نحرير ألفى ألف ومائتى ألف دينار ورقيقا وطرزا وجمع الرسم
وبعث معه من أسلمه الى ثقة أماجور صاحب الشأم ولما فعل ابن طولون بنحرير ما فعل
كتب الموفق الى موسى بن بغا بصرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها أماجور

فكتب الى أناجور بتقليدها فعجز عن مناهضة أحمد فسار موسى بن بغا ليسلم اليه مصر وبلغ الرقة واستحث أحمد فى الاموال فتهيأ أحمد لحربه وحصن الجزيرة معقلا لحربه وذخيرته وأقام موسى بالرقة عشرة أشهر واضطرب عليه الجند وشغبوا وطالبوه بالارزاق واختفى كاتبه موسى بن عبيد الله بن وهب فرجع وتوفى سنة أربع وستين ثم كتب الموفق الى ابن طولون باستقلال ما حمله من المال وعنفه وهدده فأساء ابن طولون جوابه وان العمل لجعفر بن المعتمد ليس لك فأحفظ ذلك الموفق وسأل من المعتمد أن يولى على الثغور من يحفظها وأن ابن طولون لا يؤمن عليها لقلة اهتمامه بأمرها فبعث محمد بن هرون التغلبى عامل الموصل وركب السفن فألقته الريح بشاطئ دجلة فقتله الخوارج أصحاب مساور الشارى

(ولاية أحمد بن طولون على الثغور)

وكانت أمهات الثغور يومئذ انطاكية وطرسوس والمصيصة وملطية وكان على انطاكية محمد بن على بن يحيى الارمنى وعلى طرسوس سيما الطويل واليه أمر الثغور وجاء فى بعض أيامه الى انطاكية فمنعه الارمنى من الدخول فدس الى أهل البلد بقتله فقتلوه وأحفظ ذلك الموفق فولى على الثغور أرجون بن أولغ طرخان التركى وأمره بالقبض على سيما الطويل فقام بالثغور وأساء التصرف وحبس الارزاق عن أهلها وكانت قلعة لؤلؤة من قلاع طرسوس فى نحر العدو وأهم أهل طرسوس أمرها فبعثوا الى حاميتها خمسة آلاف دينار رزقا من عندهم فأخذها أرجون لنفسه وضاعت حاميتها وافترقوا وكتب الموفق الى أحمد بن طولون بتقليد الثغور وأن يبعث عليها من قبله فبعث من قبله طخشى بن بكروان وحسنت حالهم وطلب منه ملك الروم الهدنة واستأذن فى ذلك ابن طولون فمنعه وقال انما حملهم على ذلك تخريبكم لقلاعهم وحصونهم فيكون فى الصلح راحة لهم فخاش لله منه وأمره برم الثغور وأرزاق الغزاة

(استيلاء أحمد بن طولون على الشأم)

قد تقدم لنا ولاية أناجور على دمشق سنة سبع وخمسين وما وقع بينه وبين أحمد بن طولون ثم توفى أناجور فى شعبان سنة أربع وستين ونصب ابنه على مكانه وقام يدبر أمره أحمد بن بغا وعبيد الله بن يحيى بن وهب وسار الى الشأم موريا بمشارفة الثغور واستخلف ابنه العباس على مصر وضم اليه أحمد بن محمد الواسطى وعسكر فى مينة الاصبغ وكتب الى على بن أناجور باقامة الميرة للعساكر فأجاب الآمال وسار ابن طولون الى الرملة وبها محمد بن أبى رافع من قبل أناجور ومدبر دولته أحمد بن

هنالك منذ نفاه المهتدى فأكرمه ثم سار عن دمشق واستخلف عليها أحمد بن دوغباش ورحل الى حمص وبها أكبر قواد أناجور فشكت الرعية منه فعزله وولى عيثا التركى ثم سار الى انطاكية وقد امتنع بها سيما الطويل بعد أن كتب بالطاعة وأن ينصرف عنه فأبى وحاصرها وشدد حصارها وضجر أهلها من سيما فداخل بعضهم أحمد بن طولون ودلوه على بعض المسارب فدخلها منه فى فاتحة خمس وستين وقتل سيما الطويل وقبض على أمرائه وكاتبه ثم سار الى طرسوس فملكها ودخلها فى خلق كثير وشرع فى الدخول الى بلاد الروم للغزو وبينما هو يروم ذلك جاءه الخبر بانتقاض ابنه العباس الذى استخلفه بمصر فرجع وبعث عسكرا الى الرقة وعسكرا الى حران وكانت لمحمد بن أناشر فأخرجوه عنها وهزموه وبلغ الخبر الى أخيه موسى فسار الى حران وكان شجاعا وكان مقدم العسكر بحران بن جيعونة فأهمه أمرهم فقال له أبو الاغر من العرب أنا آتيك بموسى واختار عشرين فارسا من الشجعان وسار الى معسكر موسى فأكمن بعضهم ودخل بالباقين بعض الخيام فعقدت واهتاج العسكر وهرب أبو الاغر واتبعوه فخرج عليهم الكمين فهزموهم وأسر موسى وجاء به أبو الاغر الى جيعونة قائد ابن طولون فاعتقله وعاد الى مصر سنة ست وستين

(الخبر عن انتقاض العباس بن أحمد بن طولون على أبيه)

لما رحل أحمد بن طولون الى الشأم واستخلف ابنه العباس وكان أحمد بن الواسطى محكما فى الدولة وكان للعباس بطانة يدارسونه الادب واللهو وأراد أن يولى بعضهم الوظائف ولم يكونوا يصلحون لها فمنع الواسطى من ذلك خشية الخلل فى الاعمال فحمل هؤلاء البطانة عليه عند العباس وأغروه به وكتب هو الى أحمد يشكوهم فأجابه بمداراة الامور الى حين وصوله وكان محمد بن رجاء كاتب أحمد مداخلا لابنه العباس فكان يبعث اليه بكتب الواسطى يتنزل له فاطلع على جواب أبيه عن كتبه بالمداراة فازداد خوفا وحمل ما كان هنالك من المال والسلاح وهو ألف ألف دينار وتسلف من التجار مائتى ألف أخرى واحتمل أحمد بن محمد الواسطى وأيمن الاسود مقيدين وسار الى برقة ورجع أحمد الى مصر وبعث له جماعة فيهم القاضى أبو بكرة بكار بن قتيبة والصابونى القاضى وزياد المرى مولى أشهب فتلطفوا به بالموعظة حتى لان ثم منعه بطانته وخوفوه فقال لبكار ناشدتك الله هل تأمنه على فقال هو قد حلف وأنا لا أعلم فمضى على ريبته ورجع القوم الى أبيه وسار هو الى افريقية يطلب ملكها وسهل عليه أصحابه أمر ابراهيم بن أحمد بن الاغلب صاحبها وكتب اليه بأن المعتمد قلده افريقية وأنه أقره عليها وانتهى الى مدينة لبدة فخرج عليه عامل ابن الاغلب فقبض عليه ونهب البلد

وقتل أهله وفضح نساءهم فاستغاثوا بالياس بن منصور كبير نفوسة ورئيس الاباضية وقد كان خاطبه يتهدده على الطاعة وبلغ الخبر الى ابن الاغلب فبعث العساكر مع خادمه بلاغ وكتب الى محمد بن قهرب عامل طرابلس بأن يظاهر معه على قتال العباس فسار ابن قهرب وناوشه القتال من غير مسارعة ثم صحبهم الياس فى اثنى عشر ألفا من قومه وجاء بلاغ الخادم من خلفه فأجفل واستبيح أمواله وذخائره وقتل أكثر من كان معه وأفلت بحاشيته وانطلق أيمن الاسود من القيد ورجع الى مصر وجاء العباس الى برقة مهزوما وكان قد أطلق أحمد الواسطى بعد أن ضمن حزب برقة احضاره فلما رجع أعاده الى محبسه فهرب من الحبس ولحق بالفسطاط ووجد أحمد بن طولون قد سار الى الاسكندرية عازما على الرحيل الى برقة فهوّن أمره ومنعه من الرحيل بنفسه وخرج طبارجى وأحمد الواسطى فجاؤا به مقيدا على بغل وذلك سنة سبع وستين وقبض على كاتبه محمد بن رجاء وحبسه لما كان يطلع ابنه العباس على كتبه ثم ضرب ابنه وهو بالـعلية وحبسه

(خروج الصوفى والعمرى بمصر)

كان أبو عبد الرحمن العمرى بمصر وهو عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر مقيما بالقاصية من الصعيد وكان البجاة يغيرون فى تلك الاعمال ويعيثون فيها وجاؤا يوم عيد فنهبوا وقتلوا فخرج هذا العمرى غضبا لله وأكمن لهم فى طريقهم ففتك بهم وسار فى بلادهم حتى أعطوا الجزية واشتدت شوكته وزحف العلوى لقتاله فهزمه العمرى وذلك سنة ستين وكان من خبر هذا العلوى أنه ظهر بالصعيد سنة سبع وخمسين وذكر أن اسمه ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب ويعرف بالصوفى فملك مدينة اسنا ونهبها وعاث فى تلك الناحية وبعث اليه ابن طولون جيشا فهزمهم وأسر مقدم الجيش فقطعه فأعاد اليه جيشا آخر وانهزم الى الواحات ثم عاد الى الصعيد سنة تسع وخمسين وسار الى الاشمونين ثم سار للقاء العمرى وانهزم الى اسوان وعاث فى جهاتها وبعث اليه ابن طولون العسكر فهرب الى عيذاب وعبر البحر الى مكة فقبض عليه الوالى بمكة وبعث به الى ابن طولون فحبسه مدة ثم أطلقه ومات بالمدينة ثم بعث ابن طولون العسكر الى العمرى فلقى قائدهم وقال انى لم أخرج بالفساد ولا يؤذى مسلم ولا ذمى وانما خرجت للجهاد فشاور أميرك فى فأبى وناجزه الحرب فانهزم العسكر ورجعوا الى ابن طولون فأخبروه بشأنه فقال هلا كنتم شاورتمونى فيه فقد نصره الله عليكم ببغيكم ثم وثب عليه بعد مدة غلامان له فقتلاه وجاآ برأسه الى أحمد بن طولون فقتلهما

(انتقاض برقة)

وفى سنة احدى وستين وثب أهل برقة بعاملهم محمد بن فرج الفرغانى فأخرجوه ونقضوا طاعة ابن طولون فبعث اليهم العساكر مع غلامه لؤلؤ وأمره بالملاينة فحاصرهم أياما وهو يلين لهم حتى طمعوا فيه ونالوا من عسكره فبعث الى أحمد بخبره فأمره بالاشتداد فشد حصارهم ونصب عليهم المجانيق فاستأمنوا ودخل البلد وقبض على جماعة من أعيانهم فضربهم وقطعهم ورجع الى مصر واستعمل عليهم مولى من مواليه وذلك قبل خلاف العباس على أبيه

(انتقاض لؤلؤ على ابن طولون)

كان ابن طولون قد ولى مولاه لؤلؤا على حلب وحمص وقنسرين وديار مضر من الجزيرة وأنزله الرقة وكان يتصرف عن أمره ومتى وقع فى مخالفته عاقب ابن سليمان كاتب لؤلؤ فسقط لؤلؤ فى المال وقطع الحمل عن أحمد بن طولون وخاف الكاتب مغبة ذلك فحمل لؤلؤا على الخلاف وأرسل الى الموفق بعد أن شرط على المعتمد شروطا أجابه الموفق اليها وسار الى الرقة وبها ابن صفوان العقيلى فحاربه وملكها منه وسلمها الى أحمد بن مالك بن طوق وسار الى الموفق فوصل اليه بمكانه من حصار صاحب الزنج وأقبل عليه واستعان به فى تلك الحروب وولاه على الموصل ثم قبض عليه سنة ثلاث وسبعين وصادره على أربعمائة ألف دينار فافتقر وعاد الى مصر آخر أيام هرون بن خمارويه فقيرا فريدا

(مسير المعتمد الى ابن طولون وعوده عنه من الشأم)

كان ابن طولون يداخل المعتمد فى السر ويكاتبه ويشكو اليه المعتمد ما هو فيه من الحجر والتضييق عليه من أخيه الموفق والموفق بسبب ذلك ينافر ابن طولون ويسعى فى ازالته عن مصر ولما وقع خلاف لؤلؤ على ابن طولون خاطب المعتمد وخوفه الموفق واستدعاه الى مصر وأن الجيوش عنده لقتال الفرنج فأجابه المعتمد الى ذلك وأراد لقاءه بجميع عساكره فمنعه أهل الرأى من أصحابه وأشاروا عليه بالعدول عن المعتمد جملة وأن أمره يؤل معه الى أكثر من أمر الموفق من أجل بطانته التى يؤثرها على كل أحد واتصلت الاخبار بأن الموفق شارف القبض على صاحب الزنج فبعث ابن طولون بعض عساكره الى الرقة لانتظار المعتمد واغتنم المعتمد غيبة الموفق وسار فى جمادى سنة ثمان وستين ومعه جماعة من القوّاد الذين معه فقبض عليهم وقيدهم وقد كان ساعد بن مخلد وزير الموفق خاطبه فى ذلك عن الموفق فأظهر طاعتهم حين صاروا الى عمله وسار معهم الى أوّل عمل أحمد بن طولون فلم يرحل معهم حين رحلوا ثم جلس معهم بين يدى المعتمد

وعذلهم فى المسير الى ابن طولون ودخولهم تحت حكمه وحجره ثم قام بهم عند المعتمد ليناظرهم فى خلوة فلما دخلوا خيمته قبض عليهم ثم رجع الى المعتمد فعذله فى الخروج عن دار خلافته وفراق أخيه وهو فى قتال عدوه ثم رجع بالمعتمد والذين معه حتى أدخلهم سر من رأى ء بلغ الخبر الى ابن طولون فقطع خطبة الموفق ومحا اسمه من الطرز فتقدم الموفق الى المعتمد بلعن ابن طولون فى دار العامة فأمر بلعنه على المنابر وعزله عن مصر وفوض اليه من باب الشماسية الى افريقية وبعث الى مكة بلعنه فى المواسم فوقعت بين أصحاب ابن طولون وعامل مكة حرب ووصل عسكر الموفق مع جعفر الباعردى فانهزم فيها أصحاب ابن طولون وسلبوا وأمر جعفر المصريين وقرؤا الكتاب فى المسجد بلعن ابن طولون

بياض بالاصل

(اضطراب الثغور ووصول أحمد بن طولون اليها ووفاته)

كان عامل أحمد بن طولون على الثغور طلخشى بن بلذدان واسمه خلف وكان نازلا بطرسوس وكان مازيار الخادم مولى فتح بن خاقان معه بطرسوس وارتاب به طلخشى لخبسه فوثب جماعة من أهل طرسوس واستنقذوا مازيار من يده وولوه وهرب خلف وتركوا الدعاء لابن طولون فسار ابن طولون من مصر وانتهى الى أذنة وكاتب مازيار واستماله فامتنع واعتصم بطرسوس فرجع ابن طولون الى حمص ثم الى دمشق فأقام بها ثم رجع وحاصره فى فصل الشتاء بعد أن بعث اليه يدعوه وانساح على معسكر أحمد وخيمه وكادوا يهلكون فتأخر ابن طولون الى أذنة وخرج أهل طرسوس فنهبوا العسكر وطال مقام أحمد بأذنة فى طلب البرد ثم ثار الى المصيصة فأقام بها ومرض هنالك ثم تماسك الى انطاكية فاشتد وجعه ونهاه الطبيب عن كثرة الغذاء فتناوله سرا فكثر عليه الاختلاف لان أصل علته هيضة من لبن الجواميس وثقل عليه الركوب فحملوه على العجلة فبلغ الفرما وركب من ساحل الفسطاط الى داره وحضره طبيبه فسهل عليه الامر وأشار بالحمية فلم يداوم عليها وكثر الاسهال وحميت كبده من سوء الفكر فساءت أفعاله وضرب بكار بن قتيبة القاضى وأقامه للناس فى الميدان وخرق سواده وأوقع بابن هرثمة وأخذ ماله وحبسه وقتل سعيد بن نوفل مضر وبابا السباط ثم جمع أولياءه وغلمانه وعهد الى ابنه أبى الجيش خمارويه وأوصاهم بانظاره وحسن النظر فسكنوا الى ذلك لخوفهم من ابنه أبى العباس المعتقل ثم مات سنة ست وسبعين ومائتين لست وعشرين سنة من امارته وكان حازما سائسا وبنى جامعه بمصر وأنفق فيه مائة وعشرين ألف دينار وبنى قلعة يافا وكان يميل الى مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وخلف من المال عشرة آلاف ألف دينار ومن الموالى سبعة آلاف ومن الغلمان أربعة آلاف

بياض بالاصل

ومن

ومن الخيل المرتبطة مائة ومن الدواب لركابه مائتين وثلاثين وكان خراج مصر لايامه مع ما ينضاف اليها من ضياع الامراء لحضرة السلطان أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وعلى المارستان وأوقافه ستين ألف دينار وعلى حصن الجزيرة والجزيرة وهى المسماة لهذا العهد بقلعة الروضة ثمانين ألف دينار وخربت بعد موته وجددها الصالح نجم الدين بن أيوب ثم خربت ثانية ولم يبق منها الا اطلال داثرة وكان يتصدق فى كل شهر بألف دينار ويجرى على المسجونين خمسمائة دينار فى كل شهر وكانت نفقة مطابخه وعلوفته ألف دينار فى كل يوم

(ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون)

ولما توفى أحمد بن طولون اجتمع أهل الدولة وخواص الاولياء وكبيرهم أحمد بن محمد الواسطى والغالب على الدولة الحسن بن مهاجر فاتفقوا على بيعة ابنه أبى الجيش خمارويه وأحضروا ابنه العباس من محبسه وعزاه الواسطى وهم يبكون ثم قال بايع لاخيك فأبى فقام طبارجى وسعد الايسر من الموالى وسحبوه الى حجرة فى القصر فاعتقلوه بها وأخرج من الغد ميتا وأخرجوا أحمد الى مدفنه وصلى عليه ابنه أبو الجيش وواراه ورجع الى القصر مقيما لامر سلطانه

(مسير خمارويه الى الشام وواقعته مع ابن الموفق)

ولما توفى أحمد بن طولون كان اسحق بن كنداج عاملا على الجزيرة والموصل وابن أبى الساج على الكوفة وقد ملك الرحبة من يد أحمد بن مالك فطمعا فى ملك الشام واستأذنا الموفق فأذن لهما ووعدهما بالمدد وسار اسحق الى الرقة والثغور والعواصم فملكها من يد ابن دعاس عامل ابن طولون واستولى اسحق على حمص وحلب وانطاكية ثم على دمشق وبعث خمارويه العساكر الى الشام فملكوا دمشق وهرب العامل الذى انتقض بها ثم سار العسكر الى شيزر فأقام عليها قبالة اسحق وابن أبى الساج وهما ينتظران المدد من العراق ثم هجم الشتاء فتفرق عسكر خمارويه فى دور شيزر ووصل العسكر من العراق مع أبى العباس أحمد بن الموفق الذى صارت اليه الخلافة ولقب المعتضد فكبسوا عسكر خمارويه فى دور شيزر وتمكنوا فيهم ونجا الفل الى دمشق والمعتضد فى اتباعهم فارتحلوا عنها وملكها المعتضد فى شعبان سنة احدى وسبعين ولحق عسكر خمارويه بالرملة فأقاموا بها وكتبوا الى خمارويه بالخبر وسار المعتضد نحوهم من دمشق وبلغه وصول خمارويه وكثرة عساكره فهم بالعود ومعه أصحاب خمارويه الذين خالفوا عليه ولحقوا به وكان ابن كنداج وابن أبى

الساج متوحشين من المعتضد لسوء معاملته لهما والتقى العسكران على الماء الذى عليه الطواحين بالرملة فولى خمارويه منهزما مع عصابة معه ليس لهم دربة بالحرب ومضى الى مصر بعد أن أكمن مولاه سعد الايسر فى عسكر وجاء المعتضد فملك خيام خمارويه وسواده وهو يظن الظفر فخرج سعد الايسر من كمينه وقصد الخيام وظن المعتضد أن خمارويه قد رجع فركب وانهزم لا يلوى على شئ وجاء الى دمشق فمنعوه الدخول فمضى الى طرسوس ولما افتقد سعد الايسر خمارويه نصب أخاه أبا العشائر لقيادة العساكر ووضع العطاء ووصلت البشائر الى مصر فسر خمارويه بالظفر وخجل من الهزيمة وأكثر الصدقة وأكرم الاسرى وأطلقهم وسارت عساكره الى الشام فارتجعوه كله من أصحابه فأخرجوهم ولحقوا بالعراق وغزا بالصائفة هذه السنة مازيار صاحب الثغر وغنم وعاد ثم غزا كذلك سنة ثلاث وسبعين

(فتنة ابن كنداج وابن أبى الساج والخطبة لابن طولون بالجزيرة)

كان ابن أبى الساج عاملا على قنسرين واسحق على الجزيرة والموصل فتنافسوا فى الاعمال واستظهر ابن أبى الساج بخمارويه وخطب له بأعماله وبعث ابنه رهينة اليه فسار فى عساكره بعد أن بعث اليه الاموال وانتهى الى السن وعبر ابن أبى الساج الفرات ولقى اسحق بن كنداج على الرقة فهزمه وجاز خمارويه من بعده فعبر الفرات الى الرافقة ونجا اسحق الى ماردين وحصره ابن أبى الساج ثم خرج وسار الى الموصل فصده ابن أبى الساج عنها وهزمه فعاد الى ماردين واستولى ابن أبى الساج على الجزيرة والموصل وخطب فى أعمالها لخمارويه ثم لنفسه بعده وبعث العساكر مع غلامه فتح لجباية نواحى الموصل فأوقع بالشراة اليعقوبية ومكر بهم وعلم أصحابهم بما فعل معهم فجاؤا اليه وهزموه واستلحموا أصحابه ونجا ابن أبى الساج فى فل قليل ثم انتقض ابن أبى الساج على خمارويه سنة خمس وسبعين وذلك أن اسحق بن كنداج سار الى خمارويه بمصر وصار فى جملته فانتقض ابن أبى الساج وسار خمارويه اليه فلقيه على دمشق فى المحرم فانهزم ابن أبى الساج واستبيح معسكره وكان وضع بحمص خزائنه فبعث خمارويه عسكرا الى حمص فمنعوه من دخولها واستولوا على خزائنه ومضى ابن أبى الساج الى حلب ثم الى الرقة وخمارويه فى اتباعه ثم فارق الرقة الى الموصل وعبر خمارويه الفرات واحتل بمدينة بلد وأقام بها وسار ابن أبى الساج الى الحديثة وبعث خمارويه عساكره وقواده مع اسحق بن كنداج فى طلب ابن أبى الساج فعبر دجلة وأقام بتكريت واسحق فى عشرين ألفا وابن أبى الساج فى ألفين وأقاموا يترامون فى العدوتين ثم جمع ابن كنداج السفن ليمد الجسر للعبور فخالفهم ابن أبى الساج الى

الموصل ونزل بظاهرها فرحلوا فى اتباعه فسار لقتالهم فانهزم اسحق الى الرقة وتبعه ابن أبى الساج وكتب الى الموفق يستأذنه فى عبور الفرات الى الشام وأعمال خمارويه فاجابه بالتربص وانتظار المدد ولما انهزم اسحق سار الى خمارويه وبعث معه العسكر ورجع فنزل على حد الفرات من أرض الشام وابن أبى الساج قبالته على حدود الرقة فعبرت طائفة من عسكر ابن كنداج لم يشعروا بهم وأوقعوا بجمع من عسكر ابن أبى الساج فلما رأى أن لا مانع لهم من العبور سار الى الرقة الى بغداد وقدم على الموفق سنة ست وسبعين فأقام عنده الى أن ولاه اذربيجان فى سنته واستولى ابن كنداج على ديار ربيعة وديار مضر وأقام الخطبة فيها لخمارويه

(عود طرسوس الى ايالة خمارويه)

قد كنا قدمنا أن مازيار الخادم ثار بطرسوس سنة سبعين وحاصره أحمد بن طولون فامتنع عليه فلما ولى خمارويه وفرغ من شواغله أنفذ الى مازيار سنة سبع وسبعين ثلاثين ألف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف واصطنعه فرجع الى طاعته وخطب له بالثغور ثم دخل بالصائفة سنة ثمان وسبعين وحاصروا اسكند فأصابه منها حجر منجنيق رثه ورجع الى طرسوس فمات بها وقام بأمر طرسوس ابن عجيف وكتب الى خمارويه فأقره على ولايتها ثم عزله واستعمل مكانه محمدا ابن عمه موسى بن طولون وكان من خبره أن أباه موسى لما ملك أحمد أخوه مصر تبسط عليه بدلالة القرابة وذوى الارحام فلم يحتمله أحمد ورده عليه وكسر جاهه فانحرف موسى وسخط دولته ثم خاطبه فى بعض مجالسه بما لا يحتمله السلطان فضربه ونفاه الى طرسوس وبعث اليه بمال يتزوده فأبى من قبوله وسار الى العراق ورجع الى طرسوس فأقام بها الى أن مات وترك ابنه محمدا وولاه خمارويه وبعث الى أميرهم راغب فأكرمه خمارويه وأنس به وطالت مقامته عنده وشاع بطرسوس أن خمارويه حبسه فاستعظم الناس ذلك وثاروا بأميرهم محمد بن موسى وحبسوه رهينة فى راغب وبلغ الخبر الى خمارويه فسرحه الى طرسوس فلما وصلها أطلقوا أميرهم محمد بن موسى وقد سخطهم فسار عنهم الى بيت المقدس وعاد ابن عجيف الى ولايته بدعوة خمارويه وغزا سنة ثمانين بالصائفة ودخل معه بدر الحمامى فظفروا وغنموا ورجعوا ثم دخل بالصائفة سنة احدى وثمانين من طرسوس طغج بن جف الفرغانى من قبل خمارويه فى عساكره طرابزون وفتح ملكودية

(صهر المعتضد مع خمارويه)

ولما ولى المعتضد الخلافة بعث الى خمارويه خاطبا قطر الندا ابنته وكانت أكمل نساء

عصرها فى الجمال والآداب وكان مستولى خطبتها أمينه الخصى ابن عبد الله ابن الجصاص فزوجه خماروبه بها وبعثها مع ابن الجصاص وبعث معها من الهدايا مالا يوصف وقدمت سنة تسع وسبعين فدخل بها وتمتع بجمالها وآدابها وتمكن سلطانه فى مصر والشام والجزيرة الى أن هلك

(مقتل خماروبه وولاية ابنه جيش)

كان خماروبه قد سار سنة ثنتين وثمانين الى دمشق فأقام بها أياما وسعى اليه بعض أهل بيته بأن جواريه يتخذون الخصيان يفترشوهن وأراد استعلام ذلك من بعضهن فكتب الى نائبه بمصر أن يقرر بعضهن فلما وصله الكتاب قرر بعض الجوارى وضربهن وخاف الخصيان ورجع خماروبه من الشام وبات فى مخدعه فأتاه بعضهم وذبحه على فراشه فى ذى الحجة سنة ثنتين وثمانين وهرب الذين تولوا ذلك فاجتمع القواد صبيحة ذلك اليوم وأجلسوا ابنه جيش بن خماروبه على كرسى سلطانه وأفيض العطاء فيهم وسيق الخدم الذين تولوا قتل خماروبه فقتل منهم نيف وعشرون

(مقتل جيش بن خماروبه وولاية أخيه هرون)

ولما ولى جيش كان صبيا غرا فعكف على لذاته وقرب الاحداث والسفلة وتنكر لكبار الدولة وبسط فيهم القول وصرح لهم بالوعيد فأجمعوا على خلعه وكان طغج بن جف مولى أبيه من كبار الدولة وكان عاملا لهم على دمشق فانتقض وخلع طاعته وسار آخرون من القواد الى بغداد منهم اسحق بن كنداج وخاقان المعلجى وبدر بن جف أبو طغج وقدموا على المعتضد فخلع عليهم وأقام سائر القواد بمصر على انتقاضهم وقتل قائدا منهم ثم وثبوا بجيش فقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وحرقوه وبايعوا لاخيه هرون وذلك لتسعة أشهر من ولايته

(فتنة طرسوس وانتقاضها)

قد تقدم لنا أن راغبا مولى الموفق نزل طرسوس للجهاد فأقام بها ثم غلب عليها بعد ابن عجيف ولما ولى هرون بن خماروبه سنة ثلاث وثمانين ترك الدعاء له ودعا لبدر مولى المعتضد وقطع طرسوس والثغور من عمالة بنى طولون ثم بعث هرون بن خماروبه الى المعتضد أن يقاطعه على أعماله بمصر والشام بأربعمائة ألف وخمسين ألف دينار ويسلم قنسرين والعواصم وهى الثغور للمعتضد فأجابه الى ذلك وسار من آمد وكان قد ملكهما من يد محمد بن أحمد ابن الشيخ فاستخلف ابنه المكتفى عليها وسار سنة ست وثمانين فتسلم قنسرين والثغور من يد أصحاب هرون وجعلها مع الجزيرة فى ولاية

ابنه المكتفى

(ولاية طغج بن جف على دمشق)

ولما ولى هرون بعد أخيه جيش على ماولى عليه من اختلاف القواد وقوة أيديهم خشى أهل الدولة من افتراق الكلمة ففوضوا أمرها الى أبى جعفر بن ايام كان مقدما عند أحمد وخماروبه فأصلح ما استطاع وبقى يرتق الفتق ويجبر الصدع ثم نظر الى الجند الذين كانوا خالفوا بدمشق مع طغج بن جف فبعث اليهم بدرا الحمامى والحسين بن أحمد الماردانى فأصلحا مورد الشام وأفردا طغج بن جف بولاية دمشق واستعملا فى سائر الاعمال ورجعا الى مصر والامور مضطربة والقواد طوائف لا ينقاد منهم أحد الى أحد الى أن وقع ما نذكر

(زحف القرامطة الى دمشق)

قد تقدم لنا ابتداء أمر القرامطة وما كان منهم بالعراق والشام وأن ذكرويه ابن مهداويه داعية القرامطة لما هزم بسواد الكوفة وأفنى أصحابه القتل لحق ببنى القليص بن كلب بن وبرة فى السماوة فبايعوه ولقبوه الشيخ وسموه يحيى وكنوه أبا القاسم وزعم أنه محمد بن عبد الله بن المكتوم بن اسمعيل الامام فلقبوه المدثر وزعم أنه المشار اليه فى القرآن ولقب غلاما من أهله المطوق وسار من حمص الى حماة ومعرة النعمان الى بعلبك ثم الى سلمية فقتل جميع من فيها حتى النساء والصبيان والبهائم ونهب سائر القرى من كل النواحى وعجز طغج بن جف وسائر جيشه وصاحبه هرون عن دفاعهم وتوجه أهل الشام ومصر الى المكتفى مستغيثين فسار الى أهل الشام سنة تسعين ومر بالموصل وقدم بين يديه أبا الاعز من بنى حمدان فى عشرة آلاف رجل ونزل قريبا من حلب وكبسه القرمطى صاحب الشامة فقتل منهم جماعة ونجا ابو الاعز الى حلب فى فل من أصحابه وحاصره القرمطى ثم أفرج عنه وانتهى المكتفى الى الرقة وبعث محمد ابن سليمان الكاتب فى العساكر ومعه الحسين من بنى حمدان وبنو شيبان فناهضه فى المحرم سنة احدى وتسعين على حماة وانهزم القرامطة وأخذ صاحب الشامة أسيرا فبعث به الى الرقة وبين يديه المدثر والمطوق وتقدم المكتفى الى بغداد ولحقه محمد ابن سليمان بهم فأمر المكتفى بضربهم وقطعهم وضرب أعناقهم وحسم داءهم حتى ظهر منهم من ظهر بالبحرين

{ استيلاء المكتفى على الشام ومصر وقتل هرون }
{ وشيبان ابنى خماروبه وانقراض دولة بنى طولون }

ونبدأ أولا بخبر محمد بن سليمان المتولى بتحويل دولة بنى طولون كان أصله من ديار مضر من الرقة اصطنعه أحمد بن طولون وخدمه فى مصر ثم تنكر له وعامله فى جاهه وأقاربه بما أحفظه وخشى على نفسه فلحق ببغداد ولقى بها مبرة وتكرمة واستخدمه الخلفاء وجعلوه كاتب الجيش فما زال يغريهم بملك مصر الى أن ولى هرون بن خمارويه وفشلت دولة بنى طولون بالشام وعاث القرامطة فى نواحيه وعجز هرون عن مدافعتهم ووصل صريخ أهل الشأم الى المكتفى فقام لدفع ضررهم عن المسلمين ودفع محمد بن سليمان لذلك وهو يومئذ من أعظم قواده فسار بالعساكر فى مقدمته ثم أمره المكتفى باتباع القرامطة وأقام بالرقة فسار حتى لقيهم وقاتلهم حتى هزمهم واستلحمهم ودفع عن الشأم ضررهم ورجع بالقرمطى صاحب الشامة وأصحابه أسرى الى المكتفى بالرقة فرجع الى بغداد وقتلهم هنالك وشفى نفسه ونفس المسلمين منهم وكان محمد بن سليمان لما تخلف عن المكتفى عند وصوله الى بغداد فأمره بالعود وبعث معه جماعة من القواد وأمده بالاموال وبعث دميانة غلام مازيار فى الاسطول وأمره بالمسير الى سواحل مصر ودخول نهر النيل والقطع عن أهل مصر ففعل وضيق عليهم وسار محمد بن سليمان والعساكر واستولى على الشأم وما وراءه فلما قارب مصر كاتب القواد يستميلهم فجاء اليه بدر الحمامى وكان رئيسهم فكسر ذلك من شوكتهم وتتابع اليه القواد مستأمنين فبرز هرون لقتالهم فيمن معه من العساكر وأقام قبالتهم واضطرب عسكره فى بعض الايام من فتنة وقعت بينهم واقتتلوا فركب هرون ليسكنهم فأصابته حربة من بعض المغاربة كان فيها حتفه فقام عمه شيبان بن أحمد بن طولون بعده وبذل الاموال للجند من غير حسبان ولا تقدير ثم أباح نهب ما بقى منه يصطنعهم بذلك فنهبوه فى ساعة واحدة وتشوف الى جمع المال فعجز عنه واضطرب وفسد تدبيره وتسايل الى محمد ابن سليمان جنده وفاوض أعيان دولته فى أمره فاتفقوا على الاستئمان الى محمد بن سليمان فبعث اليه مستأمنا فسار اليه ثم تبعه قواده وأصحابه فركب محمد الى مصر واستولى عليها وقيد بنى طولون وحبسهم وكانوا سبعة عشر رجلا وكتب بالفتح فأمره المكتفى باشخاص بنى طولون جميعا من مصر والشأم الى بغداد فبعث بهم ثم أمر باحراق القطائع التى بناها أحمد بن طولون على شرقى مصر وكانت ميلا فى ميل فأحرقت ونهب الفسطاط

بياض بالاصل

(ولاية عيسى النوشزى على مصر وثورة الخليجى)

ولما اعتزم محمد بن سليمان على الرجوع الى بغداد وكان المكتفى قد ولاه على مصر فولى المكتفى عيسى بن محمد النوشزى وقدم فى منتصف سنة ثنتين وتسعين ثم ثار بنواحى مصر

ابراهيم الخليجى وكان من قواد بنى طولون وتخلف عن محمد بن سليمان وكتب الى المكتفى عيسى النوشزى بالخبر وكثرت جموع الخليجى وزحف الى مصر فخرج النوشزى هاربا الى الاسكندرية وملك الخليجى مصر وبعث المكتفى العساكر مع فاتك مولى أبيه المعتضد وبدر الحمامى وعلى مقدمتهم أحمد بن كيغلغ فى جماعة من القواد ولقيهم الخليجى على العريش فى صفر سنة ثلاث وتسعين فهزمهم ثم تراجعوا وزحفوا اليه وكانت بينهم حروب فنى فيها أكثر أصحاب الخليجى وانهزم الباقون فظفر عسكر بغداد ونجا الخليجى الى الفسطاط واختفى به ودخل قواد المكتفى المدينة وأخذوا الخليجى وحبسوه وكان المكتفى عندما بلغته هزيمة ابن كيغلغ وسار ابن كيغلغ فى ربيع وبرز المكتفى من ورائهم يسير الى مصر فجاءه كتاب فاتك بالخبر وبحبس الخليجى فكتب المكتفى بحمله ومن معه الى بغداد وبرز من تكريت فبعث فاتك بهم وحبسوا ببغداد ورجع عيسى النوشزى الى مصر فى منتصف ثلاث وتسعين فلم يزل واليا عليها الى ان توفى فى شعبان سنة سبع وتسعين لخمس سنين من ولايته وشهرين وقام بأمره ابنه محمد وولى المقتدر على مصر أبا منصور تكين الخزرى فقدمها آخر شوال من سنة سبع وتسعين وقام واليا عليها واستفحلت دولة العلويين بالمغرب وجهز عبيد الله المهدى العساكر مع ابنه أبى القاسم سنة احدى وثلثمائة فملك برقة فى ذى الحجة آخرها ثم سار الى مصر وملك الاسكندرية والفيوم وبلغ الخبر الى المقتدر فقلد ابنه أبا العباس مصر والمغرب وعمره يومئذ أربع سنين وهو الذى ولى الخلافة بعد ذلك ولقب الراضى ولما قلده مصر استخلف له عليها مؤنسا الخادم وبعثه فى العساكر الى مصر وحاربهم فهزمهم ورجعوا الى المغرب فأعاد عبيد الله العساكر سنة ثنتين مع قائده حباسة الكتامى وجاء فى الاسطول فملك الاسكندرية وسار منها الى مصر وجاءه مؤنس الخادم فى العساكر فقاتله وهزمه ثم كانت بينهم وقعات وانهزم أصحاب المهدى آخرا فى منتصف ثنتين وثلثمائة وقتل منهم نحو من سبعة آلاف ورجعوا الى المغرب فقتل المهدى حباسة وعاد مؤنس الى بغداد

(ولاية ذكاء الاعور)

لم يزل تكين الخزرى واليا على مصر استخلافا الى أن صرف آخر ثنتين وثلثمائة فولى المقتدر مكانه أبا الحسن ذكاء الاعور وقدم منتصف صفر من سنة ثلاث فلم يزل واليا عليها الى أن توفى سنة سبع لاربع سنين من ولايته

(ولاية تكين الخزرى ثانية)

لما صرف المقتدر ذكا ولى مكانه أبا منصور تكين الخزرى ولاية ثانية فقدم فى شعبان سنة سبع وكان عبيد الله المهدى قد جهز العساكر مع ابنه أبى القاسم ووصل الى الاسكندرية فى ربيع من سنة سبع وملكها ثم سار الى مصر وملك الجزيرة والاشمونين من الصعيد وما اليه وكتب أهل مكة بطاعته وبعث المقتدر من بغداد مؤنسا الخادم فى العساكر فواقع أبا القاسم عدة وقعات وجاء الاسطول من افريقية الى الاسكندرية فى ثمانين مركبا مددا لابى القاسم وعليه سليمان بن الخادم ويعقوب الكتامى فسار اليهم فى اسطول طرسوس فى خمسة وعشرين مركبا وفيها النفط والمدد وعليها أبو اليمن فالتقت العساكر فى الاساطيل فى مرسى رشيد فظفر اسطول طرسوس باسطول افريقية وأسر كثير منهم وقتل بعضهم وأطلق البعض وأسر سليمان الخادم فهلك فى محبسه بمصر وأسر يعقوب الكتامى وحمل الى بغداد فهرب منها الى افريقية واتصل الحرب بين أبى القاسم ومؤنس وكان الظفر لمؤنس ووقع الغلاء والوباء فى عسكر أبى القاسم ففنى كثير منهم بالموت ووقع الموتان فى الخيل فعاد العسكر الى المغرب واتبعهم عساكر مصر حتى أبعدوا فرجعوا عنهم ووصل أبو القاسم الى القيروان منتصف السنة ورجع مؤنس الى بغداد وقدم تكين الى مصر كما مر ولم يزل واليا عليها الى أن صرف فى ربيع من سنة تسع

(ولاية أحمد بن كيغلغ)

ولاه المقتدر بعد هلال بن بدر فقدم فى جمادى وصرف لخمسة أشهر من ولايته وأعيد تكين المرة الثالثة فقدم فى عاشوراء سنة ثلاث عشرة وأقام واليا عليها تسع سنين الى أن توفى فى منتصف ربيع الاول سنة احدى وعشرين وفى أيامه جدد المقتدر عهده لابنه أبى العباس على بلاد المغرب ومصر والشأم واستخلف له مؤنسا وذلك سنة ثمان عشرة وقال ابن الاثير وفى سنة احدى وعشرين توفى تكين الخزرى بمصر فولى عليها مكانه ابنه محمد وبعث له القاهر بالخلع وثار به الجند فظفر بهم انتهى

(ولاية أحمد بن كيغلغ الثانية)

ولاه القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين بعد أن كان ولى محمد بن طغج وهو عامل دمشق وصرفه لشهر من ولايته قبل ان يتسلم العمل ورده الى أحمد بن كيغلغ كما قلناه فقدم مصر فى رجب سنة ثنتين وعشرين ثم عزل آخر رمضان من سنة ثلاث وعشرين وولى الراضى الخليفة بأن يدعى على المنبر باسمه ويزاد فى ألقابه الاخشيد فقام بولاية مصر أحسن قيام ثم انتزع الشام من يده كما نذكر

(استيلاء

(استيلاء ابن رائق على الشام من يد الاخشيد)

كان محمد بن رائق أمير الامراء ببغداد وقد مر ذكره ثم نازعه مولاه تحكم وولى مكانه سنة ست وعشرين وهرب ابن رائق ثم استتر ببغداد واستولى عليها ورجع الخليفة من تكريت بعد أن كان قدم تحكم ثم كتب اليه واسترده وقد عقد الصلح مع ناصر الدولة بن حمدان من قبل أن يسمع بخبر ابن رائق ثم عادوا جميعا الى بغداد وراسلهم ابن رائق مع أبى جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد فى الصلح فاجيب وقلده الراضى طريق الفرات وديار مضر التى هى حران والرها وما جاورهما وجند قنسرين والعواصم فسار اليها واستقر بها ثم طمحت نفسه سنة ثمان وعشرين الى ملك الشام فسار الى مدينة حمص فملكها وكان على دمشق بدر بن عبد الله مولى الاخشيد ويلقب بتدبير فملكها ابن رائق من يده وسار الى الرملة يريد مصر وبرز الاخشيد من مصر فالتقوا بالعريش وأكمن له الاخشيد ثم التقيا فانهزم الاخشيد أولا وملك أصحاب ابن رائق سواده ونزلوا فى خيامهم ثم خرج عليهم كمين الاخشيد فانهزموا ونجا ابن رائق الى دمشق فى فل من أصحابه فبعث اليه الاخشيد أخاه أبا نصر بن طغج فى العسكر فبرز اليهم ابن رائق وهزمهم وقتل أبو نصر فى المعركة فبعث ابن رائق شلوه الى مصر مع ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب اليه بالعزاء والاعتذار وان مزاحما فداء فخلع عليه ورده الى أبيه وتم الصلح بينهما على أن تكون الشام لابن رائق ومصر للاخشيد والتخم بينهما للرملة وحمل الاخشيد عنها مائة واربعين ألفا كل سنة وخرج الشأم عن حكم الاخشيد وبقى فى عمالة ابن رائق الى أن قتل تحكم والبريدى وعاد ابن رائق من الشأم الى بغداد فاستدعاه المتقى وصار أمير الامراء بها فاستخلف على الشام أبا الحسن على بن أحمد بن مقاتل ولما وصل الى بغداد قاتله كورتكين القائم بالدولة فظفر به وحبسه وقاتل عامة أصحابه من الديلم وزحف اليهم البريدى من واسط سنة ثلاثين فانهزم المتقى وابن رائق وسار الى الموصل وكان المتقى قد استنجد ناصر الدولة بن حمدان فبعث اليه أخاه سيف الدولة ولقيه المتقى بتكريت ورجع معه الى الموصل وقتل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن رائق وولى امارة الامراء للمتقى فلما سمع الاخشيد بمقتل ابن رائق سار الى دمشق ثم استولى يوسف بعد ذلك عليها سنة ثنتين وثلاثين وولى ناصر الدولة بن حمدان فى ربيع سنة ثنتين وثلاثين على اعمال ابن رائق كلها وهى طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وحمص أبا بكر محمد بن على بن مقاتل وأنفذه اليها من الموصل فى جماعة من القواد ثم ولى بعده فى رجب ابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على تلك الاعمال وامتنع أهل الكوفة من طاعته

فظفر بهم وملكها وسار الى حلب كان المتقي قد سار الى الموصل سنة احدى وثلاثين مغاضبا الامير الامراء توزون فأقام بالموصل عند بني حمدان ثم سار الى الرقة فأقام بها وكتب الى الاخشيذ يشكو اليه ويستقدمه فأتاه من مصر ومر بحلب فخرج عنها الحسين بن سعيد بن حمدان وتخلف عنه أبو بكر بن مقاتل للقاء الاخشيذ فاكرمه واستعمله على خراج مصر وولى على حلب يانس المؤنسي وسار الاخشيذ من حلب الى الرقة في محرم سنة ثلاث وثلاثين وأهدى له ولوزيره الحسين بن مقلة وحاشيته وأشار عليه بالمسير الى مصر والشأم ليقوم بخدمته فأبى لخوفه من توزون وأن يلزم الرقة وكان قد أنفذ رسله الى توزون في الصلح وجاؤه بالاجابة فلم يعرج على شئ من اشارته وسار الى بغداد وانصرف الاخشيذ الى مصر وكان سيف الدولة بالرقة معهم فسار الى حلب وملكها ثم سار الى حمص وبعث الاخشيذ عساكره اليها مع كافور مولاه فلقيهم سيف الدولة الى قنسرين والتقيا هنالك وتحاربا ثم افترقا على منعة وعاد الاخشيذ الى دمشق وسيف الدولة الى حلب وذلك سنة ثلاث وثلاثين وسارت الروم الى حلب وقاتلهم سيف الدولة فظفر بهم

{وفاة الاخشيذ وولاية ابنه أنوجور واستبداد
كافور عليه واستيلاء سيف الدولة على دمشق}

ثم توفي الاخشيذ أبو بكر بن طغج بدمشق سنة أربع وثلاثين وقيل خمس وولي مكانه أبو القاسم أنوجور وكان صغيرا فاستبد عليه كافور وسار من دمشق الى مصر فخالفه سيف الدولة فسار الى حلب وزحف أنوجور في العساكر اليه فعبر سيف الدولة الى الجزيرة وحاصر أنوجور حلب أياما ثم وقع الصلح بينهما وعاد سيف الدولة الى حلب وأنوجور الى مصر ومضى كافور الى دمشق وولى عليها بدرا الاخشيذي المعروف بتدبير فرجع الى مصر فأقام يدبرها سنة ثم عزل عنها وولي أبو المظفر طغج وقبض على تدبير

(وفاة أنوجور ووفاة أخيه علي واستبداد كافور عليه)

ثم علت سن أبي القاسم أنوجور ورام الاستبداد بأمره وازالة كافور فشعر به وقتله فيما قيل مسموما سنة ونصب أخاه عليا للامر في كفالته وتحت استبداده الى أن هلك

(وفاة علي بن الاخشيذ وولاية كافور)

ثم توفي علي بن الاخشيذ سنة خمس وخمسين فأعلن كافور بالاستبداد بالامر دون بني الاخشيذ وركب بالمظلة وكتب له المطيع بعهده على مصر والشأم والحرمين وكناه العالي

بالله

بالله فلم يقبل الكنية واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات وكان من أعاظم الملوك جوادا ممدوحا سيوسا كثير الخشية لله والخوف منه وكان يداري المعز صاحب المغرب ويهاديه وصاحب بغداد وصاحب اليمن وكان يجلس للمظالم في كل سبت الى أن هلك

(وفاة كافور وولاية أحمد بن علي بن الاخشيذ)

ثم توفي كافور منتصف سبع وخمسين لعشرة سنين وثلاثة أشهر من استبداده منها سنتان وأربعة أشهر مستقلا من قبل المطيع وكان أسود شديد السواد واشتراه الاخشيذ بثمانية عشر دينارا ولما هلك اجتمع أهل الدولة وولوا أحمد بن علي بن الاخشيذ وكنيته أبو الفوارس وقام بتدبير أمره الحسن بن عمه عبد الله بن طغج وعلى العساكر شمول مولى جده وعلى الاموال جعفر بن الفضل واستوزر كاتبه جابر الرياحي ثم أطلق ابن الفرات بشفاعة ابن مسلم الشريف وفوض أمر مصر الى ابن الرياحي

(مسير جوهر الى مصر وانقراض دولة بني طغج)

ولما فرغ المعز لدين الله من شواغل المغرب بعث قائده جوهرا الصقلي الكاتب الى مصر وجهزه في العساكر وأزاح عللها وسار جوهر من القيروان الى مصر ومر ببرقة وبها أفلح مولى المعز فلقيه وترجل له فملك الاسكندرية ثم الجيزة ثم أجاز الى مصر وحاصرها وبها أحمد بن علي بن الاخشيذ وأهل دولته ثم افتتحها سنة ثمان وخمسين وقتل أبا الفوارس وبعث بضائعهم وأموالهم الى القيروان صحبة الوفد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها وانقرضت دولة بني طغج وأذن سنة تسع وخمسين في جامع ابن طولون بحي على خير العمل وتحولت الدعوة بمصر للعلوية واختط جوهر مدينة القاهرة في موضع العسكر وسير جعفر بن فلاح الكتامي الى الشأم فغلب القرامطة عليه كما تقدم ذلك في أخبارهم

{الخبر عن دولة بني مروان بديار بكر بعد بني
حمدان ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم}

كان حق هذه الدولة أن نصل ذكرها بدولة بني حمدان كما فعلنا في دولة بني المقلد بالموصل وبني صالح بن مرداس بحلب لان هذه الدول الثلاث انما نشأت وتفرعت عن دولتهم الا أن بني مروان هؤلاء ليسوا من العرب وانما هم من الاكراد فأخرنا دولتهم حتى نسقها مع العجم ثم أخرناها عن دولة بني طولون لان دولة بني طولون متقدمة عنها في الزمن بكثير فلنشرع الآن في الخبر عن دولة بني مروان وقد كان تقدم لنا خبر باد الكردي واسمه الحسين بن دوستك وكنيته أبو عبد الله وقيل كنيته أبو شجاع وانه

خال أبي علي بن مروان الكردي أنه تغلب على الموصل وعلى ديار بكر ونازع فيها الديلم ثم غلبوه عليها وأقام بجبال الاكراد ثم مات عضد الدولة وشرف الدولة ثم جاء أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين الى الموصل فملكاها ثم حدثت الفتنة بينهما وبين الديلم وطمع باد في ملك الموصل وهو بديار بكر فسار الى الموصل فغلبه ابنا ناصر الدولة وقتل في المعركة وقد مر الخبر عن ذلك كله فلما قتل خلص ابن أخته أبو علي بن مروان من المعركة ولحق بحصن كيفا وبه أهل باد وذخيرته وهو من أمنع المعاقل فتحيل في دخوله بأن خاله أرسله واستولى عليه وتزوج امرأة خاله ثم سار في ديار بكر فملك جميع ما كان لخاله باد وزحف اليه ابنا حمدان وهو يحاصر ميافارقين فهزمهما ثم رجعا اليه وهو يحاصر آمد فهزمهما ثانيا وانقرض أمرهما من الموصل وملك أبو علي بن مروان ديار بكر وضبطها واستطال عليه أهل ميافارقين وكان شيخها أبو الاصغر فتركهم يوم العيد حتى أصحروا وكبسهم بالصحراء وأخذ أبا الاصغر فألقاه من السور ونهب الاكراد عامة البلد وأغلق أبو علي الابواب دونهم ومنعهم من الدخول فذهبوا كل مذهب وذلك كله سنة ثمانين وثلثمائة

(مقتل أبي علي بن مروان وولاية أخيه أبي منصور)

كان أبو علي بن مروان قد تزوج بنت سعد الدولة بن سيف الدولة وزفت اليه من حلب وأراد البناء بها بآمد فخاف شيخها أن يفعل به وبهم ما فعل في ميافارقين فخذر أصحابه منه وأشار عليهم أن ينثروا الدنانير والدراهم اذا دخل ويقصدوا بها وجهه فيضربوه فكان كذلك ثم أغفله وضرب رأسه واختلط أصحابه فرمى برأسه اليهم وكر الاكراد راجعين الى ميافارقين فاستراب بهم مستحفظها أن يملكوها عليه ومنعهم من الدخول ثم وصل ممهد الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبي علي الى ميافارقين فأمكنه المستحفظ من الدخول فملكه ولم يكن له فيه الا السكة والخطبة ونازعه أخوه أبو نصر فأقام بها مضيقا عليه فغلبه أبو منصور وبعثه الى قلعة اسعرد فأقام بها مضيقا عليه وأما آمد فتغلب عليها عبد الله شيخهم أياما وزوج بنته من ابن دمنة الذي تولى قتل أبي علي بن مروان فقتله ابن دمنة وملك آمد وبنى لنفسه قصرا ملاصقا للسور وأصلح أمره مع ممهد الدولة بالطاعة وهادى ملك الروم وصاحب مصر وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره

(مقتل ممهد الدولة بن مروان وولاية أخيه أبي نصر)

ثم ان ممهد الدولة أقام بميافارقين وكان قائده شروة متحكما في دولته وكان له مولى

قد ولاه الشرطة وكان ممهد الدولة يبغضه وهم بقتله مرارا ثم يتركه من أجل شروة فاستفسد مولاه شروة على ممهد الدولة لحضوره فلما حضر عنده قتله وذلك سنة ثنتين وأربعمائة ثم خرج على أصحابه وقرابته يقبض عليهم كأنه بأمر ممهد الدولة ثم مضى الى ميافارقين ففتحوا له يظنونه ممهد الدولة فملكها وكتب الى أصحاب القلاع يستدعيهم على لسان ممهد الدولة وفيهم خواجا أبو القاسم صاحب أرزن الروم فسار الى ميافارقين ولم يسلم القلعة لاحد وسمع في طريقه بقتل ممهد الدولة فرجع من الطريق الى أرزن الروم وأحضر أبا نصر بن مروان من اسعرد وجاء به الى أبيهم مروان وكان قد أضر ولزم قبر ابنه أبي علي بارزن هو وزوجته فأحضره خواجا عنده واستحلفه عند أبيه وقبر أخيه وملك أرزن وبعث شروة من ميافارقين الى اسعرد عن أبي نصر بن مروان ففاته الى أرزن فأيقن بانتقاض أمره ثم ملك أبو نصر سائر ديار بكر ولقب نصير الدولة ودامت أيامه وأحسن السيرة وقصده العلماء من سائر الآفاق وكثروا عنده وكان ممن قصده أبو عبد الله الكازروني وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر وقصده الشعراء ومدحوه وأجزل جوائزهم وأقامت الثغور معه آمنة والرعية في أحسن ملكة الى أن توفي

(استيلاء نصير الدولة بن مروان على الرها)

كانت مدينة الرها بيد عطير وكاتبوا أبا نصر بن مروان أن يملكوه فبعث نائبه بآمد ويسمى زنك فملكها واستشفع عطير بصالح بن مرداس صاحب حلب الى ابن مروان فأعطاه نصف البلد ودخل الى نصير الدولة بميافارقين فأكرمه ومضى الى الرها فأقام بها مع زنك وحضر بعض الايام مع زنك في صنيع وحضر ابن النائب الذي قتله فحمله زنك على الاخذ بثاره فاتبعه لما خرج ونادى بالثار واستنفر أهل السوق فقتلوه في ثلاثة نفر وكمن له بنو نمير خارج البلد وبعثوا من يغير منهم عليها فخرج زنك في العسكر ولما جاوز الكمين خرجوا عليه وقاتلوه وأصابه حجر فمات من ذلك فاتح ثمان عشرة وخلصت الرها لنصير الدولة ثم شفع صالح بن مرداس في ابن عطير وابن شبل فرد اليهما البلد الى أن باعه ابن عطير من الروم كما يأتي

(حصار بدران بن مقلد نصيبين)

كانت نصيبين لنصير الدولة بن نصر بن مروان فسار اليها بدران بن المقلد في جموع بني عقيل وحاصرها فظاهر على العساكر الذين بها وأمدهم نصير الدولة بعسكر آخر فبعث بدران من اعترضهم في طريقهم وهزمهم فاحتفل ابن مروان في الاحتشاد وبعث

العساكر الى نصيبين فخرجوا عليه فهزموه أولا ثم كر عليهم ففتك فيهم وأقام يقاتلهم حتى سمع بأن أخاه قرواش وصل الى الموصل فخشى منه وارتحل عنها

(دخول الغز الى ديار بكر)

هؤلاء الغز من طوائف الترك وهم الشعب الذين منهم السلجوقية وقد تقدم لنا كيف أجازوا الى خراسان لما قبض محمد بن سبكتكين على ارسلان بن سلجق منهم لخبثه وما ظهر من فسادهم فى خراسان وكيف أوقع بهم مسعود بن سبكتكين من بعد أبيه محمود ففروا الى الذين يريدون أذربيجان واللحاق بمن تقدم منهم هنالك ويسمون العراقية بعد أن عاثوا فى همذان وقزوين وأرمينية وعاث الآخرون فى اذربيجان وقتل وهشوذان صاحب تبريز منهم جماعة ثم عاثوا فى الاكراد واستباحوهم ثم جاءهم الخبر بأن ينال ابراهيم أخا السلطان طغرلبك سار الى الرى فأجفلوا منها سنة ثلاث وثلاثين ووصلوا اذربيجان واتصلت الاخبار بأن ينال فى أثرهم فأجفلوا ثانيا خوفا منه لانهم كانوا له ولاخوته رعية ولما أجفلوا سلك بهم الدليل فى الجبال على الزوزان وأسهلوا الى جزيرة ابن عمر فسار بعضهم الى ديار بكر ونهبوا قزوين وبازيدى والحسنية وبقى آخرون بالجانب الشرقى من الجزيرة وسار آخرون الى الموصل وكان سليمان بن نصير الدولة قيما بها فراسلهم فى الصلح على أن يسير معهم الى الشأم فقبلوا ثم صنع سليمان صنيعا ودعا اليه ابن غرغلى وقبض عليه وحبسه وأجفل الغز فى كل ناحية واتبعهم عساكر نصير الدولة وقرواش والاكراد البشنوية ثم قصدت العرب العراق للمشتى وعاد الغز الى جزيرة ابن عمر فحصروها وخربوا ديار بكر نهبا وقتلا وصانعهم نصير الدولة باطلاق منصور بن غرغلى الذى حبسه سليمان فلم يكف اطلاقه من فسادهم وساروا الى نصيبين وسنجار والخابور ودخل قرواش الموصل كما نبهنا واتبعه طائفة منهم فكان من خبره معهم ما قدمناه فى أخباره

(مسير الروم الى بلد ابن مروان ثم فتح الرها)

ولما كانت الدعوة العلوية قد انتشرت فى الشأم والجزيرة وكان سبب ذلك أن وثابا النميرى صاحب حران والرقة يخطب لهم فلما ولى الوزيرى للعلويين على الشأم بعث الى ابن مروان بالتهديد وأنه يسير الى بلاده فاستمد ابن مروان قرواش صاحب الموصل وشبيب بن وثاب صاحب الرقة ودعاهما الى الموافقة وقطع الدعوة العلوية فأجابوه وخطبوا للقائم وقطعوا الخطبة للمستنصر وذلك سنة ثلاثين فقام الوزيرى فى ركائبه وتهددهم وأعاد ابن وثاب خطبة العلوية بحران فى ذى الحجة آخر السنة

(مقتل سليمان بن نصير الدولة)

كان نصير الدولة قد ولى ابنه سليمان ويكنى أبا حرب الامور وكان يحاوره فى الجزيرة بشر موشك بن المحلى زعيم الاكراد فى حصون له هنالك منيعة ووقعت بينهما منافرة ثم استماله سليمان ومكر به وكان الامير أبو طاهر البشنوى صاحب قلعة فنك وغيرها وهو ابن أخت نصير الدولة وكان صديقا لسليمان فكان مما استماله به موشك ان زوجه بابنة أبى طاهر فاطمأن موشك الى سليمان وسار الى غزو الروم بارمينية وأمده نصير الدولة ابن مروان بالعساكر والهدايا وقد كان خطب له من قبل ذلك وأطاعه فشفع عنده فى موشك فقتله سليمان وقال لطغرلبك انه مات وشكر له أبو طاهر حيث كان صهره

بياض بالاصل ذريعة الى قتله فخافه سليمان وتبرأ اليه مما وقع فأظهر القبول وطلب الاجتماع ونزل من حصنه فنك لذلك وخرج سليمان اليه فى قلة من أصحابه فقتله عبيد الله وأدرك من ثار أبيه وبلغ الخبر الى نصير الدولة فبادر بابنه نصير وبعث معه العساكر لحماية الجزيرة وسمع قريش بن بدران صاحب الموصل فطمع فى ملك جزيرة ابن عمر فسار اليها واستمال الاكراد الحسنية والبشنوية واجتمعوا على قتال نصير بن مروان فأحسن المدافعة عن بلده وقاتلهم وجرح قريش جراحا عديدة ورجع الى الموصل وأقام نصير ابن مروان بالجزيرة والاكراد على خلافه

(مسير طغرلبك الى ديار بكر)

ولما انصرف طغرلبك من الموصل وملكها وفر قريش عنها ثم عاود الطاعة وذلك سنة ثمان وأربعين فسار طغرلبك بعدها الى ديار بكر وحاصر جزيرة ابن عمر وكان ابن مروان فى خدمته وهداياه مترادفة عليه فى مسيره الى الموصل وعوده فبعث اليه بالمال مفاداة عن الجزيرة ويذكر ما هو بصدده من الجهاد وحماية الثغر فأفرج عنه طغرلبك وسار الى سنجار كما ذكرناه فى أخبار قريش

(وفاة نصير الدولة بن مروان وولاية ابنه نصر)

وفى سنة ثلاث وخمسين توفى نصير الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر وكان لقبه القادر بالله ومات لثنتين وخمسين سنة من ولايته وكان قد عظم استيلاؤه وتوفرت أمواله وحسن فى عمارة الثغور وضبطها اثره وكان يهادى السلطان طغرلبك بالهدايا العظيمة ومنها حبل الياقوت الذى كان لبنى بويه اشتراه من أبى منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار فحسنت حاله عنده وكان يناغى عظماء الملوك فى الترف فيشترى الجارية بخمسمائة دينار وأكثر واجتمع عنده منهن للافتراش

والاستخدام أزيد من ألف واقتنى من الاوانى والآلات ما تزيد قيمته على مائتى ألف دينار وجمع فى عصمته بنات الملوك وأرسل طباخين الى الديار المصرية وأنفق عليهم جملة حتى تعلموا الطبخ هنالك ووفد عليه أبو القاسم ابن المغربى من أهل الدولة العلوية بمصر ونخر الدولة بن جهير من الدولة العباسية فأقبل عليهما واستوزرهما ووفد عليه الشعراء فوصلهم وقصده العلماء فحمدوا عنده مقامهم ولما توفى فى   كان الظفر فيها لنصر واستقر بميافارقين ومضى أخوه سعيد الى آمد فملكها واستقر الحال بينهما على ذلك

بياض بالأصل

(وفاة نصر بن نصير الدولة وولاية ابنه منصور)

ثم توفى نظام الدين نصر بن نصير الدولة فى ذى الحجة سنة ثنتين وسبعين وولى ابنه منصور ودبر دولته ابن الانبارى ولم يزل فى ملكه الى أن قدم ابن جهير وملك البلاد من يده

(مسير ابن جهير الى ديار بكر)

كان نخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير من أهل الموصل واستخدم لجارية قرواش ثم لاخيه بركة وسار عنه بالعوائد الى ملك الروم ثم استخدم لقريش بن بدران وأراد حبسه فاستجار ببعض بنى عقيل ومضى الى حلب فوزر لمعز الدولة أبى ثمال بن صالح ثم مضى الى عطية ولحق منها بنصير الدولة بن مروان واستوزره وأصلح حال دولته ولما توفى فى سنة ثلاث وخمسين دبر أمر ابنه نصر القائم بعده ثم هرب الى بغداد سنة أربع وخمسين استدعى منها للوزارة فوزر بعد محمد بن منصور بن دوات ثم تداول العزل والولاية مرات هو وابنه عميد الملك واستخدم لنظام الملك والسلطان طغرلبك وكان شفع عند الخليفة فلما عزل ابنه آخرا بعث عنه السلطان ونظام الملك وعن ابنه وجميع أقاربه وسار اليه باصفهان ولقاه مبرة وتكريما وبعثه فى العساكر لفتح ديار بكر وأخذها من يد بنى مروان وأعطاه الآلات وأذن له أن يخطب لنفسه بعد السلطان وينقش اسمه على السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين

(استيلاء ابن جهير على آمد)

قد ذكرنا مسير نخر الدولة بن جهير فى العساكر الى ديار بكر ثم أمده السلطان سنة سبع وسبعين بأرتق بن أكسك فى العساكر واستنجد نصر بن مروان شرف الدولة مسلم بن قريش على أن يعطيه آمد فأنجده وسار لمظاهرته فأقصر نخر الدولة بن جهير عن حربهم عصبة للعرب وخالفه أرتق وسار فى الترك اليهم وهزمهم ولحق مسلم بآمد وحاصره بها فبذل المال لارتق وخلص من أمره ولحق بالرقة وسار ابن جهير الى ميافارقين

فرجع عنه منصور بن مزيد وابنه صدقة ومن معهما من العرب وسار نخر الدولة المعروف بالقرم فنزل عليها وشدد حصارها ونزل يوما بعض الحامية من السور وأخلى مكانه فوقف فيه بعض العامة ونادى بشعار السلطان واتبعه سائر الحامية بالسور وبعثوا الى زعيم الرؤساء ابن جهير فركب اليهم وملك البلد وذلك سنة ثمان وسبعين ونصب أهل البلد بيوت النصارى الذين كانوا يستخدمون لبنى مروان فى الجبايات وانتقموا منهم والله أعلم

(استيلاء ابن جهير على ميافارقين وجزيرة ابن عمر وانقراض دولة بنى مروان)

كان نخر الدولة بن جهير لما بعث ابنه الى آمد سار هو الى ميافارقين وأقام على حصارها منذ سنة سبع وسبعين وجاء سعد الدولة كوهرائين مددا واشتد الحصار وانثلم السور فى بعض الايام فنادى أهلها بشعار ملك شاه ودخل نخر الدولة وملك البلد واستولى على أموال بنى مروان وذخائرهم وبعثها الى السلطان ملك شاه مع ابنه زعيم الرؤساء فوصل اصفهان فى شوال سنة ثمان وسبعين وسار نخر الدولة وكوهرائين الى بغداد وكان قد بعث عسكر الحصار جزيرة ابن عمر فحصروها وثار بها أهل بيت من أعيانها يعرفون ببنى رهان وفتحوا بابا صغيرا للبلد كان منفذا للرجالة وأدخلوا العسكر منه وملكوه بدعوة السلطان ملك شاه وانقرضت دولة بنى مروان ولحق منصور بن نظام الدين نصر بن نصير الدولة بالجزيرة وأقام فى ايالة الغز ثم قبض عليه جكرمس وحبسه بدار يهودى فمات بها سنة تسع وثمانين والبقاء لله وحده

{الخبر عن دولة بنى الصفار ملوك سجستان المتغلبين على خراسان ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم}

كان أهل هذه الدولة قوما اجتمعوا بنواحى سجستان ونسبوا القتال الخوارج الشراة تلك الناحية عندما اضطربت الدولة ببغداد لقتل المتوكل وسموا أنفسهم المتطوعة وكان اجتماعهم على صالح بن نصر الكنانى ويقال له صالح المتطوعى وصحبه جماعة منهم درهم بن الحسن ويعقوب بن الليث الصفار وغلبوا على سجستان وملكوها ثم سار اليهم طاهر بن عبد الله أمير خراسان وغلبهم عليها وأخرجهم منها ثم هلك صالح اثر ذلك وقام بأمره فى المتطوعة درهم بن الحسن فكثر أتباعه وكان يعقوب بن الليث قائده وكان درهم مضعفا فتحيل صاحب خراسان عليه حتى ظفر به وبعثه الى بغداد فحبس بها واجتمع المتطوعة على يعقوب بن الليث قائده وكاتب درهم بكاتب المعتز يسأله ولايتها وأن يقلده حرب الخوارج فكتب له بذلك وأحسن الغناء فى حرب الشراة وتجاوزه الى سائر أبواب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم سار من سجستان الى

خراسان سنة ثلاث وخمسين ومائتين وعلى الانبار ابن أوس فجمع لمحاربة يعقوب وسار اليهم فى التعبية فاقتتلوا وانهزم ابن أوس وملك يعقوب هراة وبوشنج وعظم أمره وهابه صاحب خراسان وغيرها من الاطراف

(استيلاء يعقوب الصفار على كرمان ثم على فارس وعودها)

كان على فارس على بن الحسين بن شبل وكتب الى المعتز يطلب كرمان ويذكر عجز ابن طاهر عنها وكان قد أبطأ الخوارج فكتب له المعتز بولاية كرمان وكتب ليعقوب الصفار أيضا بولايتها بقصد التضريب بينهما لتمحض طاعتهما أو طاعة أحدهما فارسل على بن الحسين من فارس على كرمان طوق بن المغلس من أصحابه فسبق اليها يعقوب وملكها وجاء يعقوب فأقام قريبا منها شهرين يترقب خروج طوق اليه ثم ارتحل الى سجستان ووضع طوق أوزار الحرب وأقبل على اللهو واتصل ذلك بيعقوب فى طريقه فكر راجعا وأغذ السير ودخل كرمان وحبس طوقا وبلغ الخبر الى على بن الحسين وهو على شيراز فجمع عسكره ونزل مضيق شيراز وأقبل يعقوب حتى نزل قبالته والمضيق متوعر بين جبل ونهر ضيق المسلك بينهما فاقتحم يعقوب النهر بأصحابه وأجاز الى على بن الحسين وأصحابه فانهزموا وأخذ على بن الحسين أسيرا واستولى على سواده ودخل شيراز وملكها وجبى الخراج وذلك سنة خمس وخمسين وقيل قد وقع بينهما بعد عبور النهر حروب شديدة وانهزم آخرها على وكان عسكره نحوا من خمسة عشر ألفا من الموالى والاكراد فرجعوا منهزمين الى شيراز آخر يومهم وازدحموا فى الابواب وبلغ القتلى منهم خمسة آلاف ثم افترقوا فى نواحى فارس وانتهبوا الاموال ولما دخل يعقوب شيراز وملك فارس امتحن عليا وأخذ منه ألف بدرة ومن الفرش والسلاح والآلة ما لا يحصى وكتب للخليفة بطاعته وأهدى هدية جليلة منها عشرة بازات بيض وباز أبلق صينى ومائة نافجة من المسك وغير ذلك من الطرف ورجع الى سجستان ومعه على وطوق فى اعتقاله ولما فارق فارس بعث المعتز عماله اليها

(ولاية يعقوب الصفار على بلخ وهراة)

ولما انصرف يعقوب عن فارس ولى عليها المعتز من قبله والخلفاء بعده وليها الحرث بن سيما فوثب به محمد بن واصل بن ابراهيم التميمى من رجال العرب وأحمد بن الليث من الاكراد الذين بنواحيها فقتلاه واستولى ابن واصل على فارس سنة ست وخمسين وأظهر دعوة المعتمد وبعث عليها المعتمد الحسين بن الفياض فسار اليه يعقوب بن الليث سنة سبع وخمسين وكتب اليه المعتمد بالنكير على ذلك وبعث اليه الموفق بولاية بلخ

وطخارستان فملكها وخرب المبانى التى بناها داود بن العباس بظاهر بلخ وتسمى باساداباخ ثم سار الى كابل واستولى عليها وقبض على رتبيل وبعث بالاصنام التى أخذها من كابل وملك البلاد الى المعتمد وأهدى اليه هدية جليلة المقدار وعاد الى بست معتزما على العود الى سجستان فاحفظه بعض قواده بالرحيل قبله فغضب وأقام منه الى سجستان ثم سار الى خراسان وملك هراة ثم الى بوشنج فملكها وقبض على عاملها الحسين ابن على بن طاهر الكبير وكان كبير بيتهم وشفع له فيه محمد بن طاهر صاحب خراسان فأبى من اسعافه وبقى فى قلبه وولى على هراة وبوشنج وباذغيس ورجع الى سجستان

(استيلاء الصفار على خراسان وانقراض أمر بنى طاهر)

كان بسجستان عبد الله السجزى ينازع يعقوب بن الليث فلما قوى يعقوب واستفحل سار عبد الله الى خراسان وطمع فى ملكها وحاصر محمد بن طاهر فى كرسى ولايته نيسابور ثم تردد الفقهاء بينهم فى الصلح حتى تم بينهما وولاه محمد الطبسين وقهستان ثم بعث يعقوب الى محمد فى طلبه فأجاره وأحفظ ذلك يعقوب فسار الى محمد بنيسابور فخام محمد عن لقائه ونزل يعقوب بظاهر نيسابور وخرج اليه قرابة محمد وعمومته وأهل بيته ودخل نيسابور واستعمل عليها وذلك سنة تسع وخمسين وكتب الى المعتمد بأن أهل خراسان استدعوه لعجز ابن طاهر وتفريطه فى أمره وغلبة العلوى على طبرستان فكتب اليه المعتمد بالنكير والاقتصار على ما بيده والا سلك به سبيل المخالفين وقيل فى ملكه نيسابور غير ذلك وهو أن محمد بن طاهر لما أصاب دولته العجز والادبار كاتب بعض قرابته يعقوب ابن الليث الصفار واستدعوه فكتب يعقوب الى محمد بن طاهر بمجيئه الى ناحيته موريا بقصد الحسن بن زيد فى طبرستان وأن المعتمد أمره بذلك وأنه لا يعرض لشئ من أمر خراسان وبعث بعض قواده عينا عليه وعنفه على الاهمال والعجز وقبض على جميع أهل بيته نحوا من مائة وستين رجلا وحملهم جميعا الى سجستان وذلك لاحدى عشرة سنة من ولاية محمد واستولى يعقوب على خراسان وهرب منازعه عبد الله السجزى الى الحسين بن زيد صاحب طبرستان وقد كان ملكها من لدن سنة احدى وخمسين فأجاره الحسين وسار اليه يعقوب سنة ستين وحاربه فانهزم الحسين الى أرض الديلم واعتصم بجبال طبرستان وملك يعقوب سارية وآمد ورجع فى طلب السجزى الى الرى وتهدد العامل على دفعه اليه فبعث به وقتله يعقوب

(استيلاء الصفار على فارس)

قد تقدم لنا تغلب محمد بن واصل على فارس سنة ست وخمسين ومسير الصفار اليه سنة

سمع ورجوعه عنها وانه أعاضه عنها بلخ وطخارستان ثم ان المعتمد أضاف فارس الى موسى بن بغا مع الاهواز والبصرة والبحرين واليمامة وما بيده من الاعمال فولى موسى على فارس من قبله عبد الرحمن بن مفلح وبعثه الى الاهواز وأمده بطاشتمر وزحفوا الى ابن واصل وسار لحرب موسى بن بغا بواسط فولى على الاهواز مكانه أبا الساج وأمره بمحاربة الزنج فبعث صهره عبد الرحمن لذلك فلقيه على بن اباز قائد الزنج وهزمه وقتل وملك الزنج الاهواز وعاثوا فيها وأديل من أبى الساج بابراهيم بن سيما وسار لحرب ابن واصل واضطربت الناحية على موسى بن بغا فاستعفى من ولايتها وأعفاه المعتمد وطمع يعقوب الصفار فى ملك فارس فسار من سجستان عمدا ورجع ابن واصل من الاهواز اليه وترك محاربة ابن سيما وأغذ السير ليفجأه على بغتة ففطن له الصفار وسار اليهم وقد أعيوا وتعبوا من شدة السير والعطش ولما ترائى الجمعان تخاذل أصحاب ابن واصل وانهزموا من غير قتال وغنم الصفار فى معسكره وما كانوا أصابوا الابن مفلح واستولى على بلاد فارس ورتب بها العمال وأوقع بأهل ذم لاعانتهم ابن واصل وطمع فى الاستيلاء على الاهواز وغيرها

(حروب الصفار مع الموفق)

ولما ملك الصفار خراسان من يد ابن طاهر وقبض عليه وملك فارس من يد ابن واصل وكان المعتمد نهاه عن تلك فلم ينته صرح المعتمد بأنه لم يوله ولا فعل ما فعل باذنه وأحضر حاج خراسان وطبرستان والرى وخاطبهم بذلك فسار الصفار الى الاهواز سنة ثنتين

بياض بالاصل

أصحابه الذين أسروا بخراسان فأبى الا العزم على الوصول الى الخليفة ولقائه وبعث حاجبه درهما يطلب ولاية طبرستان وخراسان وجرجان والرى وجارس والشرطة ببغداد فولاه المعتمد ذلك كله مضافا الى سجستان وكرمان وأعاد حاجبه بذلك ومعه عمرو بن سيما فكتب يقول لا بد من الحضور بباب المعتمد وارتحل من عسكر مكرم جائيا وخرج أبو الساج من الاهواز لتلقيه لدخول الاهواز فى أعماله فأكرمه ووصله وسار الى بغداد ونهض المعتمد من بغداد فعسكر بالزعفرانية ووافاه مسرور البلخى من مكانه من مراجهة الزنج وجاء يعقوب الى واسط فملكها ثم سار منها الى دير العاقول وبعث المعتمد أخاه الموفق لمحاربته وعلى ميمنته موسى بن بغا وعلى ميسرته موسى البلخى فقاتله منتصف رجب وانهزمت ميسرة الموفق وقتل فيها ابراهيم ابن سيما وغيره من القواد ثم تزاحفوا واشتدت الحرب وجاء للموفق محمد بن أوس والدرانى مددا من المعتمد وفشل أصحاب الصفار ولما رأوا مدد الخليفة انهزموا وخرج الصفار واتبعهم أصحاب الموفق وغنموا من عسكره نحوا من عشرة آلاف من

الظهر ومن الاموال والمسك ما يؤد حمله وكان محمد بن طاهر معتقلا فى العسكر منذ قبض عليه بخراسان فخلص ذلك اليوم وجاء الى الموفق وخلع عليه وولاه الشرطة ببغداد وسار الصفار الى خوزستان فنزل جنديسابور وراسله صاحب الزنج على الرجوع ويعده المساعدة فكتب له قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة وكان ابن واصل قد خالف الصفار الى فارس وملكها فكتب اليه المعتمد بولايتها وبعث اليه الصفار جيشا مع عمر بن السرى من قواده فأخرجه عنها وولى على الاهواز محمد بن عبيد الله بن هزارمرد الكردى ثم رجع المعتمد الى سامرا والموفق الى واسط واعتزم الموفق على اتباع الصفار فقعد به المرض عن ذلك وعاد الى بغداد ومعه مسرور البلخى وأقطعه مالابى الساج من الضياع والمنازل وقدم معه محمد بن طاهر فقام بولاية الشرطة ببغداد

(انتقاض الخجستانى بخراسان على يعقوب الصفار وقيامه بدعوة بنى طاهر)

كان من أصحاب محمد بن طاهر ورجالاته أحمد بن عبد الله بن خجستان وكان متوليا على

بياض بالاصل

وهى من جبال سراة وأعمال باذغيس فلما استولى الصفار على نيسابور وخراسان انضم أحمد هذا الى أخيه على بن الليث وكان شركب الجمال قد تغلب على مرو ونواحيها سنة تسع وخمسين وتغلب على نيسابور سنة ثلاث وستين وأخرج منها الحسين بن طاهر وكان لشركب ثلاثة من الولد ابراهيم وهو أكبرهم وأبو حفص يعمر وأبو طلحة منصور وكان ابراهيم قد أبلى فى واقعة المغار مع الحسن بن زيد بجرجان فقدمه الصفار وحسده أحمد الخجستانى فخوفه عادية الصفار وزين له الهرب وكان يعمر أخوه محاصرا لبعض بلاد بلخ فاتفق ابراهيم وأحمد الخجستانى فى الخروج الى يعمر وسبقه ابراهيم الى الموعد ولم يلقه فسار الى سرخس ولما عاد الصفار الى سجستان سنة احدى وستين ولى على هراة أخاه عمرو بن الليث فاستخلف عليها طاهر بن حفص الباذغيسى وجاء الخجستانى الى على بن الليث وزين له أن يقيم بخراسان نائبا عنه فى أموره واقطاعه فطلب ذلك من أخيه يعقوب فأذن له فلما ارتحلوا عن خراسان جمع أحمد الخجستانى وأخرج على بن الليث من بلده سنة احدى وستين وملك تونس وأعاد دعوة بنى طاهر وملك نيسابور سنة ثنتين وستين واستقدم رافع بن هرثمة من رجالات بنى طاهر فجعله صاحب جيشه وسار الى هراة فملكها من يد طاهر بن حفص وقتله ثم قتل يعمر ابن شركب واستولى على بلاد خراسان ومحا منها دعوة يعقوب بن الليث ثم جاء الحسن ابن طاهر أخو محمد باصفهان ليخطب له فأبى فخطب له أبو طلحة بن شركب بنيسابور وانتقض الخجستانى واضطربت خراسان فتنة وزحف اليها الحسن بن زيد فقاتلوه وهزموه ثم ملك نيسابور من يد عمرو بن الليث وترك الخطبة لمحمد بن طاهر وخطب

للمعتمد ولنفسه من بعده كما هو مشروح فى أخبار الخجستانى

(استيلاء الصفار على الاهواز)

قد تقدم لنا استيلاء الصفار على فارس بعد خراسان ثم سار منها الى الاهواز وكان أحمد ابن اسوقة قائد مسرور البلخى على الاهواز قد نزل تستر فرحل عنها ونزل يعقوب جنديسابور وفرت عساكر السلطان من تلك النواحى وبعث يعقوب بالخضر بن العين الى الاهواز وعلى بن أبان والزنج يحاصرونها فتأخروا عنها الى نهر السدرة ودخل الخضر الاهواز وملكها بدعوة الصفار وكان عسكره وعسكر الزنج يغير بعضهم على بعض ثم أوقع الزنج بعسكره ولحق الخضر بعسكر مكرم واستخرج ابن أبان ما كان فى الاهواز ورجع الى نهر السدرة وبعث يعقوب الامداد الى الخضر وأمره بالكف عن قتال الزنج والمقام بالاهواز فوادع الزنج وشحن الاهواز بالاقوات وأقام

(وفاة يعقوب الصفار وولاية عمرو أخيه)

ثم توفى يعقوب الصفار فى شوال سنة خمس وستين بعد أن افتتح الزنج وقتل ملكها وأسلم أهلها على يده وكانت مملكة واسعة الحدود وافتتح زابلستان وهى غزنة وأعمالها وكان المعتمد قد استماله وولاه على سجستان والسند ثم تغلب على كرمان وخراسان وفارس وولاه المعتمد على جميعها ولما مات قام مكانه أخوه عمرو بن الليث وكتب الى المعتمد بطاعته فولاه الموفق من قبل اعمال أخيه وهى خراسان واصفهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وبعث اليه بالخلع فولى عمرو بن الليث على الشرطة ببغداد وسر من رأى من قبله عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وخلع عليه الموفق وعمرو بن الليث وولى على اصفهان من قبله أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف وولى على طريق مكة والحرمين محمد بن أبى الساج

(مسير عمرو بن الليث الى خراسان لقتال الخجستانى)

قد تقدم ذكر الخجستانى وتغلبه على نيسابور وهراة بدعوة بنى طاهر سنة ثنتين وستين فلما توفى يعقوب سار عمرو الى خراسان سنة خمس وستين واستولى على هراة وسار الخجستانى بنيسابور فقاتله فانهزم عمرو ورجع الى هراة وكان الفقهاء بنيسابور يشيعون لعمرو لولاية الخليفة اياه فأوقع الخجستانى الفتنة بينهم بالميل الى بعضهم وتنكر منهم عن بعض ليشغلهم بها ثم سار الى هراة سنة سبع وستين وحاصر عمرو بن الليث فلم يظفر بشئ فتركه وخالفه الى سجستان ووثب أهل نيسابور بنائبه عليهم وأمدهم عمرو بن الليث بجنده فقبضوا على نائب الخجستانى وأقاموا بها ورجع الخجستانى من سجستان فأخرجهم

وملكها وكان أبو منصور طلحة بن شركب محاصر البلخ من قبل ابن طاهر وكاتبه عمرو بن الليث واستقدمه وأعطاه أموالا واستخلفه على خراسان ورجع الى سجستان وبقى أبو طلحة بخراسان والخجستانى يقاتله الى أن قتل الخجستانى سنة ثمان وستين قتله بعض مواليه كما مر فى أخباره مع رافع بخراسان كان رافع بن هرثمة من قواد بنى طاهر بخراسان فلما ملكها يعقوب سار اليه واستقر فى منزله بتامين من قرى باذغيس فلما قتل الخجستانى اجتمع الجيش على رافع وهو بهراة فأقروه عليهم وكان أبو طلحة بن شركب قد سار من جرجان الى نيسابور فسار اليه رافع وحاصرها وخرج عنها أبو طلحة الى مرو وخطب بها وبهراة لمحمد بن طاهر وولى على هراة من قبله ثم زحف اليه عمرو بن الليث فغلبه عليها وولى عليها محمد بن سهل بن هاشم ورجع وبعث أبو طلحة الى اسمعيل بن أحمد يستنجده فأنجده بعسكر سار بهم الى مرو وأخرج منها محمد بن سهل وخطب لعمرو بن الليث وذلك فى شعبان سنة احدى وسبعين ثم عزل المعتمد عمرو بن الليث عن سائر أعمال خراسان وقلدها الموفق محمد بن طاهر وهو مقيم ببغداد فاستخلف محمد عليها رافع بن هرثمة وأقر نصر بن محمد أحمد السامانى على ماوراء النهر فسار رافع الى اسمعيل يستنجده على أبى طلحة فجاءه فى أربعة آلاف مددا واستقدم رافع أيضا على بن الحسين المروروذى وساروا جميعا الى أبى طلحة وهو بمرو سنة ثنتين وسبعين وغلبوه عليها ولحق بهراة وعاد اسمعيل الى خوارزم فجبى أموالها ورجع الى نيسابور

(حروب عمرو مع عساكر المعتمد ومع الموفق)

ولما عزل المعتمد عمرو بن الليث عن خراسان أمر بلعنه على المنابر وأعلم حاج خراسان بذلك وقلد محمد بن طاهر أعمالها فاستخلف عليها رافع بن الليث وكتب المعتمد الى أحمد ابن عبد العزيز بن أبى دلف بعزله عن اصفهان والرى وبعث اليه العساكر لقتاله سنة احدى وسبعين فزحف اليه عمرو فى خمسة عشر ألفا من المقاتلة فهزمه أحمد بن عبد العزيز والعساكر واستباحوا معسكره ودفعوه عن اصفهان والرى وكان المعتمد لما عزله ولعنه بعث صاعد بن مخلد فى العساكر الى فارس لقتال عمرو بن الليث واخراجه من فارس فسار لذلك ولم يظفر ورجع سنة ثنتين وسبعين ثم سار الموفق سنة أربع وسبعين الى فارس لحرب عمرو بن الليث فسير عمرو قائده عباس بن اسحق الى شيراز وابنه محمد بن عمرو الى ارجان وبعث على مقدمته أبا طلحة بن شركب صاحب جيشه فاستأمن أبو طلحة الى الموفق وفت ذلك فى عضد عمرو وخام عن لقائه وسار الموفق الى شيراز وارتاب بأبى طلحة فقبض عليه وملك الموفق فارس وعاد عمرو الى كرمان فسار الموفق فى طلبه فلحق بسجستان على المفازة وتوفى ابنه محمد بن عمرو بها وامتنعت كرمان وسجستان على

الموفق فعاد الى بغداد وارتاب عمرو بن الليث باخيه على فحبسه بكرمان وحبس معه ابنه المعدل والليث فهربوا من محبسهم ولحقوا برافع بن الليث عند ما ملك طبرستان وجرجان من محمد بن زيد العلوى سنة سبع وسبعين فأقاموا عنده وهلك على بن الليث وبقى ولداه عنده ثم رضى المعتمد عن عمرو بن الليث وولاه الشرطة ببغداد وكتب اسمه على الاعلام والترسة سنة ست وسبعين واستخلف فى الشرطة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ثم سخطه لسنة ومحا اسمه من الاعلام

(ولاية عمرو بن الليث على خراسان ثانيا ومقتل رافع بن الليث)

ثم سخط المعتمد رافع بن الليث لامتناعه من تخلية قرى السلطان بالرى بعد أن أمره بذلك فكتب الى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف يأمره بمحاربة رافع واخراجه عن الرى وكتب الى عمرو بن الليث بولاية خراسان وحارب أحمد بن عبد العزيز سنة ثمانين فقاتل أخويه عمرو بكرا ابنى عبد العزيز فهزمهما الى اصفهان وأقام بالرى باقى سنته ثم سار الى اصفهان فملكها سنة احدى وثمانين وعاد الى جرجان ووافى عمرو بن الليث خراسان واليا عليها بجموعه وتورط رافع بن الليث ورجع الى مصالحة محمد بن زيد وبعث اليه طبرستان فصالح محمد بن زيد وخطب له بطبرستان سنة ثنتين وثمانين على أن يمده باربعة آلاف من الديلم وسار عن طبرستان الى نيسابور سنة ثلاث وثمانين فحاربه عمرو وهزمه الى ابيورد وأخذ منه المعدل والليث ابنى أخيه ثم أراد رافع المسير الى هراة فأخذ عليه عمرو الطريق لسرخس وسرب رافع فى المضايق ونكب عن جمهور الطريق فدخل نيسابور وحاصره فيها عمرو بن الليث ثم برز لقتاله واستأمن بعض قواد رافع الى عمرو فانهزم رافع وأصحابه وبعث الى محمد بن وهب يستمده كما شرط له وكان عمرو قد حذر محمد بن زيد من امداده فأقصر عن ذلك وتفرق عن رافع أصحابه وغلمانه وكانوا أربعة آلاف غلام وفارقه محمد بن هرون الى أحمد بن اسمعيل بن سمان ببخارى وخرج رافع منهزما الى خوارزم فى فل من العسكر وحمل بقية المال والآلة وذلك فى رمضان سنة ثلاث وثمانين فلما رآه صاحب خوارزم أبو سعيد الدرغانى فى قلة من العسكر غدر به وقتله فى أول شوال وحمل رأسه الى عمرو بن الليث بنيسابور فأنفذه عمرو الى بغداد فكتب اليه المعتضد بولاية الرى مضافة الى خراسان وأنفذ له الالوية والخلع سنة أربع وثمانين

(استيلاء بنى سامان على خراسان وهزيمة عمرو بن الليث وحبسه ثم مقتله)

لما بعث عمرو بن الليث برأس رافع بن هرثمة الى المعتضد طلب ولاية ما وراء النهر فولاه

وبعث اليه بالخلع واللواء فسرح عمرو الجيوش من نيسابور مع قائده محمد بن بشير وغيره من قواده لمحاربة اسمعيل بن أحمد وانتهوا الى آمد فعبر اسمعيل جيحون وهزمهم وقتل محمد بن بشير وغيره من قواده ورجع الفل الى عمرو بنيسابور وعاد اسمعيل الى بخارى وتجهز للمسير الى اسمعيل وسار الى بلخ وبعث اليه اسمعيل انك قد حزت الدنيا العريضة فاتركنى فى هذا الثغر فأبى وعبر اسمعيل وأخذ عليه الجهات فصار محصورا وندم وطلب المحاجزة فأبى اسمعيل وقاتله فانهزم عمرو ونكب عن طريق العسكر الى مضيق تفرد فيه وتوارى فى أجمة فوحلت به دابته ولم يتفطن له أصحابه فأخذ أسيرا وبعث به اسمعيل الى المعتضد بعد أن خيره فاختار المسير اليه ووصل الى بغداد سنة ثمان وثمانين وأدخل على جمل وحبس وبعث المعتضد الى اسمعيل بولايته خراسان الى أن توفى المعتضد وجاء المكتفى الى بغداد وكان فى نفسه اصطناعه وكره ذلك الوزير القاسم بن عبيد الله فوضع عليه من قتله سنة تسع وثمانين

(ولاية طاهر بن محمد بن عمرو على سجستان وكرمان ثم على فارس)

ولما أسر عمرو وسار الى محبسه قام مكانه بسجستان وكرمان حافده طاهر بن محمد بن عمرو وهو الذى مات أبوه محمد بمفازة سجستان عندما هرب عمرو أمام الموفق من فارس ثم سار طاهر الى فارس وسار اليها فى الجيوش سنة ثمان وثمانين واعترضه بدر فعاد طاهر الى سجستان وملك بدر فارس وجبى أموالها ثم بعث طاهر بن محمد سنة تسع وثمانين يطلب المقاطعة على فارس بمال يحمله وكان المعتضد قد توفى فعقد له المكتفى عليها وتشاغل طاهر بالصيد واللهو ومضى الى سجستان فغلب على الامر بفارس الليث ابن عمه على بن الليث وسبكرى مولى جده عمرو وكان معهما أبو قابوس قائد طاهر فلحق بالخليفة المكتفى وكتب طاهر رده بما جباه من المال ويحتسب له من جملته فلم يجب الى ذلك

(استيلاء الليث على فارس ثم مقتله واستيلاء سبكرى)

ولما تغلب سبكرى على فارس لحق الليث بن على بطاهر ابن عمه وزحف طاهر الى فارس فهزمه السبكرى وأسره وبعث به وبأخيه يعقوب الى المقتدر سنة سبع وتسعين وضمن فارس بالحمل الذى كان قرره فولاه على فارس ثم زحف اليه الليث بن على بن الليث فملك فارس   الليث للقائهم وجاء الخبر بأن الحسين بن حمدان سار من قم مددا لمؤنس فركب لاعتراضه وتاه الدليل عن الطريق فأصبح على معسكر مؤنس فثاروا واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيرا وأشار أصحاب مؤنس بأن

بياض بالاصل

يقبض على سبكرى معه ويملك بلاد فارس ويقرّه الخليفة فوعدهم بذلك ودس الى سبكرى بأن يهرب الى شيراز وأصبح يلوم أصحابه على ظهور الخبر من جهتهم وعاد بالليث الى بغداد واستولى سبكرى على فارس واستبد كاتبه عبد الرحمن بن جعفر على أموره فسعى فيه أصحابه عند سبكرى حتى قبض عليه وحملوه على العصيان فمنع الحمل فكتب هو من محبسه الى الوزير ابن الفرات يعرفه بأمرهم وكتب ابن الفرات الى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود الى فارس ويعاتبه حيث لم يقبض على سبكرى فسار مؤنس الى الاهواز وراسله سبكرى وهاداه وعلم ابن الفرات بميل مؤنس اليه فأنفذ وصيفا وجماعة من القواد ومعهم محمد بن جعفر وأمرهم بالتعويل عليه فى فتح فارس وكتب الى مؤنس باستصحاب الليث الى بغداد ففعل وسار محمد بن جعفر الى فارس ورافع سبكرى على شيراز فهزمه وحاصره بها وحاربه ثانية فهزمه ونهب أمواله ودخل سبكرى مفازة خراسان فظفرت به جيوش خراسان وأسروه وبعثوا به الى بغداد وولى على فارس فتح خادم الافشين

(انقراض ملك بنى الليث من سجستان وكرمان)

وفى سنة ثمان وتسعين توفى فتح صاحب فارس فولى المقتدر مكانه عبد الله بن ابراهيم المسمعى وأضاف اليه كرمان من أعمال بنى الليث وسار أحمد بن اسمعيل بن سامان الى الرى فبعث منها جيوشه الى سجستان سنة ثمان وتسعين مع جماعة من قواده وعليهم الحسن بن على المروروذى وكانت سجستان لما أسر طاهر سنة سبع وتسعين ولى بها بعده الليث بن على بن الليث فلما أسر الليث كما تقدم ولى بعده أخوه المعدل بن على بن الليث فلما بلغه مسير هذه العساكر اليه من قبل أحمد بن اسمعيل بعث أخاه أبا على بن الليث محمد بن على بن الليث الى بست والرخج ليجبيهما ويبعث منهما الى سجستان بالميرة فسار اليه أحمد بن اسمعيل بن سامان وعلى سجستان أبو صالح منصور بن عمه اسحق بن أحمد بن سامان مسير سبكرى من فارس الى سجستان فى المفازة فبعث اليه جيشا فأخذه وكتب الامير أحمد الى المقتدر بالخبر وبالفتح فأمره بحمل سبكرى والليث فبعث الى بغداد وحبسهما

{ثورة أهل سجستان بأصحاب ابن سامان ودعوتهم الى بنى عمرو ابن الليث بن الصفار ثم عودهم الى طاعة أحمد بن اسمعيل بن سامان}

كان محمد بن هرمز ويعرف بالمولى الصندلى خارجيا وهو من أهل سجستان خرج أيام بنى سامان وأقام ببخارى وسخط بعض الاعيان بها فسار الى سجستان واستمال جماعة

من الخوارج رئيسهم ابن الحفار فخرجوا وقبضوا على منصور بن اسحق عاملهم من بنى سامان وحبسوه وولوا عليهم عمرو بن يعقوب بن محمد بن الليث وخطبوا له فبعث أحمد بن اسمعيل الجيوش ثانيا مع الحسين بن على سنة ثلثمائة وحاصرها ستة أشهر ومات الصندلى فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفار الى الحسين بن على وخرج منصور بن اسحق من محبسه واستعمل أحمد بن اسمعيل على سجستان سيمجور الدوانى ورجع الحسين بالجيوش الى الامير أحمد ومعه يعقوب وابن الحفار فى ذى الحجة سنة ثلثمائة

(استيلاء خلف بن أحمد بن على على سجستان ثم انتقاضهم عليه)

كان خلف بن أحمد من ذرية عمرو بن الليث الصفار وهو بسطة برسمه بانوا ولما فشل أمر بنى سامان استولى على سجستان وكان من أهل العلم ويجالسهم ثم حج سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة واستخلف على أعماله طاهر بن الحسين من أصحابه فلما عاد من الحج انتقض عليه طاهر بن الحسين من أصحابه فسار خلف الى بخارى مستجيشا بالامير منصور بن سامان فبعث معه العساكر وملك سجستان وكثرت أمواله وجنوده وقطع ما كان يحمله الى بخارى فسارت العساكر اليه ومقدمهم (بياض بالاصل) وحاصروا خلف ابن أحمد فى حصن أرل من أمنع الحصون وأعلاها ولما اشتد به الحصار وفنيت الاموال والآلات كتب الى نوح بن منصور صاحب بخارى بأن يستأمنه ويرجع الى دفع الحمل فكتب نوح بن منصور الى أبى الحسن بن سيمجور عامله على خراسان وقد عزل بالمسير الى حصار خلف فسار من قهستان الى سجستان وحاصر خلف وكانت بينهما مودة فأشار عليه سيمجور بتسليم حصن أرل للحسن لتتفرق الجيوش عنه الى بخارى ويرجع هو الى شأنه مع صاحبه فقبل خلف مشورته ودخل سيمجور الى حصن أرل وخطب فيه للامير نوح ثم سلمه للحسن بن طاهر وانصرف الى بخارى وكان هذا أول وهن دخل على بنى سامان من سوء طاعة أصحابهم

(استيلاء خلف بن أحمد على كرمان ثم انتزاع الديلم لها)

ولما استفحل أمر خلف بسجستان حدثت نفسه بملك كرمان وكانت فى أيدى بنى بويه وملكهم يومئذ عضد الدولة فلما وهن أمرهم ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة ابنى عضد الدولة جهز العساكر الى كرمان وعليهم عمرو ابنه وقائدهم يومئذ تمرتاش من الديلم فلما قاربها عمرو هرب تمرتاش الى بردشير وحمل ما أمكنه وغنم عمرو الباقى وملك كرمان وجبى الاموال وكان صمصام الدولة صاحب فارس فبعث العساكر الى

أغرتاش مع أبي جعفر وأمره بالقبض عليه لاتهامه بالميل الى أخيه بهاء الدولة فسار وقبض عليه وحمله الى شيراز وسار بالعساكر الى عمرو بن خلف فقاتله عمرو بدارزين وانهزم الديلم وعادوا الى طريق جيرفت وبعث صمصام الدولة عسكرا آخر مع العباس ابن أحمد من أصحابه فلقوا عمرو بن خلف بالسيرجان فى المحرم سنة ثنتين وثمانين فهزموه وعاد الى أبيه بسجستان مهزوما ووبخه ثم قتله ثم عزل صمصام الدولة العباس عن كرمان فأشاع خلف بأن أستاذهرمز سمه واستنفر الناس لغزو كرمان وبعثهم مع ابنه طاهر فانتهوا الى برماشير وملكوها من الديلم ولحق الديلم بجيرفت واجتمعوا بها وبعثوا بها الى بردشير حامية من العسكر وهو أصل بلاد كرمان وحصرها فحصرها طاهر ثلاثة أشهر وضيق على أهلها وكتبوا الى أستاذهرمز يستمدونه قبل أن يغلبهم عليها طاهر فخاطر بنفسه وركب اليهم المضايق والاوعار حتى دخلها وعاد طاهر الى سجستان واستنفر الناس لغزو الديلم بجيرفت واجتمعوا بها وبعثوا الى بردشير حامية من العسكر وهو أصل بلاد كرمان وذلك سنة أربع وثمانين

(استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها ومقتله)

كان طاهر بن خلف من العقوق لابيه على عظيم وانتقض عليه وجرت بينهما وقائع كان الظفر بها لخلف ففارق طاهر سجستان وسار الى كرمان وبها الديلم عسكر بهاء الدولة فصعد الى جبالها واحتمى بقوم هنالك كانوا عصاة ونزل على جيرفت فملكها ولقيه الديلم فهزمهم واستولى على الكثير مما بأيديهم فبعث بهاء الدولة عسكرا مع أبي جعفر بن أستاذهرمز فغلب طاهرا على كرمان فعاد الى سجستان وقاتل أباه فهزمه وملك البلاد وامتنع أبوه خلف ببعض حصونه وكان الناس قد سئموا منه لسوء سيرته فرجع الى مخادعة ابنه فتواعد اللقاء تحت القلعة وأكمن له بالقرب كمينا فلما لقيه خرج الكمين واستمكن منه أبوه خلف فقتله أبوه

(استيلاء محمود بن سبكتكين على سجستان ومحو آثار بنى الصفار منها)

كان خلف بن أحمد قد بعث ابنه طاهرا الى قهستان فملكها ثم الى بوشنج كذلك وكانت هى وهراة لبغراجق عم محمود وكان محمود مشتغلا بالفتنة مع قواد بنى سامان فلما فرغ منها استأذنه عمه فى اخراج طاهر بن خلف فأذن له وسار اليه سنة تسعين وثلثمائة ولقيه بنواحى بوشنج فهزمه ولج فى طلبه فكر عليه طاهر وقتله فساء ذلك محمودا وجمع عساكره وسار الى خلف بن أحمد وحاصره بحصن اصبهبل وضيق عليه حتى بذل له أموالا اجلا له وأعطاه الرهن عليها فأفرج عنه ثم عهد خلف بملكه الى ابنه وعكف على العبادة والعلم

خوفا من محمود بن سبكتكين فلما استولى طاهر على الملك عق أباه وكان من أمره ما تقدم ولما قتل طاهر تغيرت نيات عساكره وساءت فيه ظنونهم واستدعوا محمود بن سبكتكين وملكوه مدينتهم وقعد خلف فى حصنه وهو حصن الطاق له سبعة أسوار محكمة وعليها خندق عميق له جسر يرفع ويحط عند الحاجة فحاصره محمود سنة ثلاث وتسعين وطم الخندق بالاعواد والتراب فى يوم واحد وزحف لقتاله بالفيول وتقدم عظيمها فاقتلع باب الحصن بنابه وألقاه وملك محمود السور الاول ودفع عنه أصحاب خلف الى السور الثانى ثم الى الثالث كذلك فخرج خلف واستأمن وحضر عنده محمود وخيره فى المقام حيث شاء من البلاد فاختار الجوزجان وأقام بها أربع سنين ثم نقل عنه الخوض فى الفتنة وأنه راسل ايلك خان يغريه بمحمود فنقله الى جردين وحبسه هنالك الى أن هلك سنة تسع وتسعين وورثه ابنه أبو حفص ولما ملك محمود سجستان واستنزل خلف من حصن الطاق ولى على سجستان أحمد الفتحى من قواد أبيه ثم انتقض أهل سجستان فسار اليهم محمود سنة ثلاث وتسعين فى ذى الحجة وحصرهم فى حصن أول واقتحمه عليهم عنوة وقتل أكثرهم وسبى باقيهم حتى خلت سجستان منهم وصفا ملكها له فاقطعها أخاه نصرا مضافة الى نيسابور وانقرض ملك بنى الصفار وذويهم من سجستان والبقاء لله وحده

{الخبر عن دولة بنى سامان ملوك ما وراء النهر المقيمين بها الدولة العباسية وأولية ذلك ومصايره}

أصل بنى سامان هؤلاء من العجم كان جدهم أسد بن سامان من أهل خراسان وبيوتها وينتسبون فى الفرس الى بهرام حشيش الذى ولاه كسرى أنوشروان مرزبان اذربيجان وبهرام حشيش من اهل الرى ونسبهم اليه هكذا أسد بن سامان خداه بن جثمان بن طغان بن نوشردين بن بهرام نجرين بن بهرام حشيش ولا وثوق لنا بضبط هذه الاسماء وكان لاسد أربعة من الولد نوح وأحمد ويحيى والياس وأصل دولتهم هذه فيما وراء النهر أن المأمون لما ولى خراسان اصطنع بنى أسد هؤلاء وعرف لهم حق سلفهم واستعملهم فلما انصرف الى العراق ولى على خراسان غسان بن عباد من قرابة الفضل بن طاهر مكان ابنه اسحق ومحمد بن الياس ثم مات أحمد بن أسد بفرغانة سنة احدى وستين وكان له من الولد سبعة نصر ويعقوب ويحيى واسمعيل واسحق واسد وكنيته أبو الاشعث وحميد وكنيته أبو غانم ولما توفى أحمد وكانت سمرقند من أعماله استخلف عليها ابنه نصرا وأقام فى ولايتها أيام بنى طاهر وبعدهم وكان يلى أعماله من قبل ولاة خراسان الى حين انقراض أمر بنى طاهر واستولى الصفار على خراسان

(ولاية نصر بن أحمد على ماوراء النهر)

ولما استولى الصفار على خراسان وانقرض أمر بنى طاهر عقد المعتمد لنصر بن أحمد على أعمال ماوراء النهر فبعث جيوشه الى شط جيحون مسلحة من عبور الصفار فقتل مقدمهم ورجعوا الى بخارى وخشيهم واليها على نفسه ففر عنها وولوا عليهم ثم عزلوا ثم لوا ثم عزلوا فبعث نصر أخاه اسمعيل على شط بخارى وكان يعظم محله ويقف فى خدمته ثم ولى على غزنة أبا اسحق بن التكين ثم ولى على خراسان من بعد ذلك رافع بن هرثمة بولاية بنى طاهر وأخرج عنها الصفار وحصلت بينه وبين اسمعيل أعمال خوارزم فولاه اياها وفسد ما بين اسمعيل وأخيه نصر وزحف اليه سنة ثنتين وسبعين فأرسل قائده حمويه ابن على الى رافع يستنجده فسار اليه بنفسه منها وأصلح بينهما ورجع الى خراسان ثم انتقض ما بينهما وتحاربا سنة خمس وسبعين وظفر اسمعيل بنصر ولما حضر عنده ترجل له اسمعيل وقبل يده ورده الى كرسى امارته بسمرقند وأقام نائبا عنه ببخارى وكان اسمعيل خيرا مكرما لاهل العلم والدين

(وفاة نصر بن أحمد وولاية أخيه اسمعيل على ماوراء النهر)

ثم توفى نصر سنة تسع وسبعين وقام مكانه فى سلطان ماوراء النهر أخوه اسمعيل وولاه المعتضد ثم ولاه خراسان سنة سبع وثمانين وكان سبب ولايته على خراسان أن عمرو بن الليث كان المعتضد ولاه خراسان وأمره بحرب رافع بن هرثمة فحاربه وقتله وبعث برأسه الى المعتضد وطلب منه ولاية ماوراء النهر فولاه وسير العساكر لمحاربة اسمعيل بن أحمد مع محمد بن بشير من خواصه فانتهوا الى آمد بشط جيحون وعبر اليهم اسمعيل فهزمهم وقتل محمد بن بشير ورجع الى بخارى فسار عمرو بن الليث من نيسابور الى بلخ يريد العبور الى ماوراء النهر فبعث اليه اسمعيل يستعطفه بأن الدنيا العريضة فى يدك وانما لى هذا الثغر فأبى ولج وعبر اسمعيل النهر وأحاط به وهو على نجد فصار محصورا وسال المهاجزة فأبى اسمعيل وقاتله فهزمه وأخذه بعض العسكر أسيرا وبعث به الى سمرقند ثم خيره فى انفاذه الى المعتضد فاختاره فبعث به اليه ووصل الى بغداد سنة ثمان وثمانين وأدخل على جمل وحبس وأرسل المعتضد الى اسمعيل بولاية خراسان كما كانت لهم فاستولى عليها وصارت بيده ولما قتل عمرو بن الليث طمع محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان والديلم فى ملك خراسان فسار اليها وهو يظن أن اسمعيل بن أحمد لا يريدها ولا يتجاوز عمله فلما سار الى جرجان وقد وصل كتاب المعتضد الى اسمعيل بولاية خراسان كتب اليه ينهاه عن المسير اليها فأبى فسرح اليه محمد بن هرون قائد رافع وكان قد فارقه عند هزيمته ومقتله ولحق باسمعيل فسرحه فى العساكر لقتال محمد بن زيد

العلوى ولقيه على جرجان فانهزم محمد بن زيد وغنم ابن هرون عسكره وأصابت محمد بن زيد جراحات هلك لايام منها وأسر ابنه زيد فانزله اسمعيل ببخارى وأجرى عليه وسار محمد ابن هرون الى طبرستان فملكها وخطب فيها لاسمعيل وولاه اسمعيل عليها

(استيلاء اسمعيل على الرى)

كان محمد بن هرون قد انتقض فى طبرستان على اسمعيل وخلع دعوة العباسية وكان الوالى على أهل الرى من قبل المكتفى أغرتمش التركى وكان سيئ السيرة فيهم فاستدعوا محمد بن هرون من طبرستان فسار اليها وحارب أغرتمش فقتله وقتل ابنين له وأخاه كيغلغ من قواد المكتفى واستولى على الرى فكتب المكتفى الى اسمعيل بولاية الرى وسار اليها فخرج محمد بن هرون عنها الى قزوين وزنجان وعاد الى طبرستان واستعمل اسمعيل بولاية الذين على جرجان فارس الكبير وألزمه باحضار محمد بن هرون فكاتبه فارس وضمن له اصلاح حاله فقبل قوله وانصرف عن حسان الديلمى الى بخارى فى شعبان سنة تسعين ثم قبض فى طريقه وأدخل الى بخارى مقيدا فحبس بها ومات لشهرين

(وفاة اسمعيل بن أحمد وولاية ابنه احمد)

ثم توفى اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان وماوراء النهر فى منتصف سنة خمس وتسعين وكان يلقب بعد موته بالماضى وولى بعده أبو نصر أحمد وبعث اليه المكتفى بالولاية وعقد له لواء بيده وكان اسمعيل عادلا حسن السيرة حليما وخرجت الترك فى أيامه سنة احدى وتسعين الى ماوراء النهر فى عدد لا يحصى يقال كان معهم سبعمائة قبة وهى لا تكون الا للرؤساء فاستنفر لهم اسمعيل الناس وخرج من الجند والمتطوعة خلق كثير وخرجوا الى الترك وهم غارون فكبسوهم مصبحين وقتلوا منهم ما لا يحصى وانهزم الباقون واستبيح عسكرهم ولما مات وولى ابنه أبو نصر أحمد واستوسق أمره ببخارى بعث عن عمه اسحق بن أحمد من سمرقند فقبض عليه وحبسه ثم عبر الى خراسان ونزل نيسابور وكان فارس الكبير مولى أبيه عاملا على جرجان وكان ظهر له أن أباه عزله عن جرجان بفارس هذا وكان فارس قد ولى الرى وطبرستان وبعث الى اسمعيل بن أحمد بثمانين حملا من المال فلما سمع بوفاة اسمعيل استردها من الطريق وحقد له أبو نصر ذلك كله فخافه فارس فلما نزل أبو نصر نيسابور كتب فارس الى المكتفى يستأذنه فى المسير اليه وسار فى أربعة آلاف فارس وأتبعه أبو نصر فلم يدركه وتحصن منه عامل أبى نصر بالرى ووصل الى بغداد فوجد المقتدر قد ولى بعد المكتفى وقد وقعت حادثة ابن المعتز فولاه المقتدر ديار ربيعة وبعثه فى طلب بنى حمدان وخشى أصحاب المقتدر أن يتقدم

عليهم فوضعوا عليه غلاما له فسمه ومات بالموصل وتزوج الغلام امرأته

(استيلاء أحمد بن اسمعيل على سجستان)

كانت سجستان فى ولاية الليث بن على بن الليث وخرج الى طلب فارس فأسره مؤنس الخادم وحبس ببغداد وولى على سجستان أخوه المعدل ثم سار أبو نصر أحمد بن اسمعيل سنة سبع وتسعين من بخارى الى الرى ثم الى هراة وطمع فى ملك سجستان فبعث اليه العسكر فى محرم سنة ثمان وتسعين مع أعيان قواده أحمد بن سهل ومحمد بن المظفر وسيمجور الدوانى والحسين بن على المروروذى فلما بلغ الخبر الى المعدل بعث أخاه محمد ابن على الى بست والرخج فحاصرته العساكر بسجستان وسار أحمد بن اسمعيل الى بست فملكها وأسر محمد بن على وبلغ الخبر الى المعدل فاستأمن الى الحسين فملكها وحمل المعدل معه الى بخارى وولى الامير على سجستان أباصالح منصور بن عمه اسحق بن أحمد وكان قد قبض على اسحق لاول ولايته ثم أطلقه الآن وأعاده الى سمرقند وفرغانة وقد كان سبكرى هزمته عساكر المقتدى بفارس وخرج الى مفازة سجستان فبعث الحسين عسكر الاعتراضه وأخذ أسيرا وبعثوا به وبمحمد بن على الى بغداد وبعث المقتدر الى أحمد بالخلع والهدايا ثم انتقض أهل سجستان على سيمجور الدوانى وولوا منصور ابن عمه اسحق على نيسابور

(مقتل أبى نصر أحمد بن اسمعيل وولاية ابنه نصر)

ثم قتل أبو نصر أحمد صاحب خراسان وما وراء النهر آخر جمادى الآخرة سنة احدى وثلثمائة وكان مولعا بالصيد فخرج الى بربر متصيدا وكان له أسد يربط كل ليلة على باب خيمته فأغفل ليلة فعدا عليه بعض غلمانه وذبحوه على سريره وحمل الى بخارى فدفن بها ولقب الشهيد وقتل من وجد من أولئك الغلمان وولى الامير مكانه ابنه أبا الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثمان سنين ولقب السعيد وتولى الامور له أصحاب أبيه ببخارى وحمله على عاتقه أحمد بن الليث مستولى الامور وانتقض عليه أهل سجستان وعم أبيه اسحق بن أحمد بسمرقند وابناه منصور والياس ومحمد بن الحسين ونصر بن محمد وأبو الحسين بن يوسف والحسن بن على المروروذى وأحمد بن سهل وليلى بن النعمان من الديلم صاحب العلويين بطبرستان ومعه سيمجور وأبو الحسين بن الناصر الاطروش وقراتكين وخرج عليه اخوته يحيى ومنصور وابراهيم بنو أبيه وجعفر بن داود ومحمد ابن الياس ومرداويج وشكيرا بنا زياد من أمراء الديلم وكان السعيد نصر مظفرا على جميعهم

(انتقاض سجستان)

ولما قتل أحمد بن اسمعيل انتقض أهل سجستان وبايعوا للمقتدر وبعثوا اليه وأخرجوا سيمجور الدوانى فأضافها المقتدر الى بدر الكبير وأنفذ اليها الفضل بن حميد وأبا يزيد من قبل السعيد نصر وسعيد الطالقانى بغزنة كذلك فقصدها الفضل وخالد واستوليا على غزنة وبسنة وقبضا على سعيد الطالقانى وبعثا به الى بغداد وهرب عبد الله الجهستانى ثم اعتل الفضل وانفرد خالد بالامور ثم انتقض فأنفذ اليه المقتدر أخا فجح الطولونى فهزمه خالد وسار الى كرمان فأنفذ اليه بدر الجيش فأخذ أسيرا ومات وحمل الى بغداد

(انتقاض اسحق العم وابنه الياس)

كان اسحق بن أحمد عم الامير أحمد بن اسمعيل واليا على سمرقند فلما بلغه مقتل الامير أحمد وولاية ابنه السعيد نصر دعا لنفسه بسمرقند وتابعه ابنه الياس على ذلك وساروا الى بخارا فبرز اليهم القائد حمويه بن على فهزمهم الى سمرقند ثم جمعوا وعادوا فهزمهم ثانية وملك سمرقند من أيديهم عنوة واختفى اسحق وجد حمويه فى طلبه فضاق به مكانه واستأمن الى حمويه وحمله الى بخارا وأقام بها الى أن هلك ولحق الياس بفرغانة فأقام بها الى أن خرج ثانية كما يأتى

(ظهور الاطروش واستيلاؤه على طبرستان)

قد تقدم لنا فى أخبار العلوية ذكر أن دولة الاطروش وبنيه بطبرستان وهو الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمرو بن على بن الحسن السبط وأنه استعمل الامير أحمد على طبرستان مكانه أبا العباس أحمد عبد الله بن محمد بن نوح فأحسن السيرة وعدل فى الرعية وأكرم العلوية وبالغ فى الاكرام والاحسان اليهم واستمال رؤساء الديلم وهاداهم وكان الحسن الاطروش قد دخل اليهم بعد قتل محمد بن زيد وأقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام ويقتصر منهم على العشر ويدافع عنهم ملكهم ابن حسان فاسلم منهم خلق كثير واجتمعوا اليه وبنى فى بلادهم المساجد ودعاهم للمسير معه الى طبرستان فلم يجيبوه الى ذلك ثم عزل أبو العباس وتولى سلام فلم يحسن سياسة الديلم فخرجوا عليه وقاتلوه فهزمهم واستعان بالامير أحمد السعيد فأعاد الامير أحمد اليها ابن نوح فاستعمل عليها أبا العباس محمد بن ابراهيم صعلوك ففسد ما بينه وبين الديلم باساءة السيرة وعدم السياسة فطلبهم الاطروش فى الخروج معه فخرجوا ولقيهم ابن صعلوك على مرحلة من

سالوس وهى ثغر طبرستان فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف وحصر الاطروش الباقين ثم أمنهم وعاد الى آمد وسار اليهم الحسن بن القاسم العلوى الداعى صهر الاطروش فقتلهم متعللا عليهم بأنه لم يحضر لعهدهم واستولى الاطروش على طبرستان سنة احدى وثلثمائة أيام السعيد نصر وخرج صعلوك الى الرى متعللا عليهم ومنها الى بغداد وكان الذين أسلموا على يد الاطروش الديلم من وراء اسفيجاب الى آمد فيهم شيعة زيدية وكان الاطروش زيديا وخرجت طبرستان يومئذ من ملك بنى سامان

(انتقاض منصور بن اسحق العم والحسين المروروذى)

كان الامير أحمد بن اسمعيل لما افتتح سجستان ولى عليها منصورا ابن عمه اسحق وكان الحسين بن على هو الذى تولى فتحها وطمع فى ولايتها ثم افتتحها ثانيا كما ذكرنا فوليها سيجور الدوانى فاستوحش الحسين لذلك وداخل منصور بن اسحق فى الانتقاض على أن تكون امارة خراسان لمنصور والحسين بن على خليفته على اعماله فلما قتل الامير أحمد انتقض الحسين بهراة وسار الى منصور بنيسابور فانتقض أيضا وخطب لنفسه سنة ثنتين وثلاثين وسار القائد حمويه بن على من بخارا فى العساكر لمحاربتهما ومات منصور قبل وصوله فلما قارب حمويه نيسابور سار الحسين عنها الى هراة وأقام بها وكان محمد بن جند على شرطته   من مدة طويلة وبعث من بخارا بالنكير فخشى على نفسه وعدل عن الطريق الى هراة فسار الحسين بن على من هراة الى نيسابور بعد أن استخلف عليها اخاه منصورا فملك نيسابور فسار الى محاربته من بخارا أحمد ابن سهل فحاصر هراة وملكها من منصور على الامان ثم سار الى نيسابور فحاصر بها الحسين وملكها عنوة وأسر الحسين سنة ثنتين وثلثمائة وأقام أحمد بن سهل بنيسابور وجاءه ابن جيد من مرو وقبض عليه وسيره والحسين بن على الى بخارا فأما ابن جيد من مرو فسير الى خوارزم ومات بها وأما الحسين فحبس ثم خلصه أبو عبد الله الجهانى مدبر الدولة وعاد الى خدمة السعيد نصر

بياض بالاصل

(انتقاض أحمد بن سهل بنيسابور وفتحها)

كان الامير أحمد بن سهل من قواد اسمعيل ثم ابنه أحمد ثم ابنه نصر بن أحمد قال ابن الاثير وهو أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن جبلة بن كامكان بن يزدجرد بن شهريار الملك قال وكان كامكان دهقانا بنواحى مرو قال وكان لاحمد اخوة ثلاثة وهم محمد والفضل والحسين قتلوا فى عصبية العرب والعجم وكان خليفة عمرو بن الليث على مرو فسخطه وحبسه بسجستان ثم فرّ من محبسه ولحق بمرو فملكها واستأمن الى أحمد بن

اسمعيل وقام بدعوته فاستدعاه الى بخارا وأكرمه ورفع منزلته ونظمه فى طبقة القواد وبقى فى خدمته وخدمة بنيه فلما انتقض الحسين بن على بنيسابور على السعيد نصر بن أحمد بن اسمعيل سنة ثنتين وثلثمائة سار اليه أحمد بن سهل فى العساكر وظفر به كما مر وولى السعيد نصر بن احمد بن اسمعيل على نيسابور قراتكين مولاهم

(مقتل ليلى بن النعمان ومهلكه)

كان ليلى بن النعمان من كبار الديلم ومن قواد الاطروش وكان الحسن بن القاسم الداعى قد ولاه على جرجان سنة ثلاث وثلثمائة وكان أولاد الاطروش يحلونه فى كتابهم بالمؤيد لدين الله المنتصر لاولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كريما شجاعا ولما ولى جرجان سار اليه قراتكين وقاتله عشرة فراسخ من جرجان فانهزم قراتكين واستأمن غلامه فارس الى ليلى فى ألف رجل من أصحابه فأمنه وأكرمه وزوجه اخته واستأمن اليه أبو القاسم بن حفص ابن أخت سهل وحرضه على المسير الى نيسابور وبها قراتكين وكان أجناده قد كثروا وضاقت عليهم الاموال فاستأذن الداعى فى المسير الى نيسابور فأذن له وسار اليها فى ذى الحجة سنة ثمان وثلثمائة فملكها وأقام بها الخطبة للداعى الحسين بن القاسم وأنفذ السعيد نصر العساكر من بخارا مع حمويه بن على ومحمد بن عبيد الله البلعمى وأبى جعفر صعلوك وخوارزم شاه وسيجور الدوانى فانهزم أكثر أصحاب حمويه وثبت القواد وجالت العساكر جولة فانهزم ليلى ودخل آمد ولحقه بقراخان ملك الترك جاء مع العساكر مددا فقبض على ليلى فى آمد وبعث الى حمويه بذلك فبعث اليه من قطع رأس ليلى فى ربيع سنة تسع وثلثمائة وبعث به الى بخارا وطلب قواد الديلم الذين كانوا مع ليلى الامان فأمنوهم بعد أن أشار حمويه بقتلهم والراحة منهم فلم يوافقوه وهؤلاء القواد هم الذين خرجوا بعد ذلك على الجهات وملكوها مثل أسفار ومرداويح وشبكين وبنى بويه وستأتى أخبارهم وبقى فارس غلام قراتكين بجرجان والياعليها ثم جاءه قراتكين واستأمن اليه غلامه فارس فأمنه ثم قتله سنة ست عشرة وثلثمائة وانصرف عن جرجان

(حرب سيجور مع ابن الاطروش)

ولما قتل قراتكين غلامه سنة ست عشرة وثلثمائة وانصرف عن جرجان سار اليها أبو الحسن بن ناصر الاطروش من استراباذ فملكها وأنفذ السعيد لحربه سيجور الدوانى فى أربعة آلاف فارس فنزل على فرسخين من جرجان وخرج اليه أبو الحسن فى ثمانية آلاف راجل من الديلم فاقتتلا وكان سيجور قد أكمن لهم وأبطأ عليه الكمين فانهزم

واتبعه سرخاب وشغل عسكر أبى الحسن بالنهب ثم خرج عليهم الكمين بعد ساعة فانهزم أبو الحسن وقتل من عسكره نحو من أربعة آلاف وركب البحر الى استراباذ واجتمع اليه فل من أصحابه وجاءه سرخاب بعد أن رجع عن سيجور وجمع عيال أصحابه ومخلفيهم وقدم بهم وأقام سيجور بجرجان ثم مات سرخاب ورجع ابن الاطروش الى سارية بعد أن استخلف ما كان بن كالى على استراباذ واجتمع اليه الديلم وأمروه ثم سار الى استراباذ ومعه محمد بياض بالأصل ليظهر غناؤهم فخرج من سارية وولوا عليها بقراخان ووصلوا الى جرجان ثم الى نيسابور ورجع ما كان الى استراباذ مع جرجان ولحق بقراخان بنيسابور وهذا كان مبتدأ أمر ما كان بن كالى وستأتى أخباره

(خروج الياس بن اسحق)

قد تقدم لنا انتقاض اسحق وابنه الياس بسمرقند سنة احدى وثلثمائة وكيف غلبهم النائد ويه وسار باسحق الى بخارا ومات بها ولحق ابنه الياس بفرغانة فأقام بها الى سنة ست عشرة وثلثمائة وأجمع المسير الى سمرقند واستظهر بمحمد بن الحسين برمت من قواد بنى سامان واستمد أهل فرغانة من الترك فأمدوه واجتمع اليه ثلاثون ألف فارس وقصد سمرقند وبعث السعيد للمدافعة عنها أبا عمرو ومحمد بن أسد وغيره فى ألفين وخمسمائة راجل فلما ورد الياس كمنوا له بين الشجر حتى اذا اشتغلت عساكره بضرب الابنية خرجوا عليه فانهزم الحسن بن ست ولحق باسفيجاب ومنها الى ناحية طراز وكريت فلقيه دهقان الناحية فقتله وأنفذ رأسه الى بخارا ثم استمد الياس صاحب الشاش وهو أبو الفضل بن أبى يوسف فأمده بنفسه وبعث اليه اليسع بالمدد وعاود محاربة الوالى بسمرقند فانهزم الى كاشغر وأسر أبو الفضل وحمل الى بخارا فمات بها وسار الياس الى كاشغر وصاحبها طغاتكين من ملوك الترك فصاهره بابنته وأقام معه

(استيلاء السعيد على الرى)

كان المقتدر قد عقد على الرى ليوسف بن أبى الساج وسار اليه سنة احدى عشرة فملكه من يد أحمد بن على أخى صعلوك وقد كان فارق أخاه صعلوكا وسار الى المقتدر فولاه على الرى ثم انتقض على المقتدر ووصل يده بما كان بن كالى قائد الديلم وأولاد الاطروش وهم بطبرستان وجرجان وفارق طاعة المقتدر فسار اليه يوسف ابن أبى الساج وحاربه فقتله واستولى على الرى ثم استدعاه المقتدر سنة أربع عشرة الى واسط لقتال القرامطة وكتب الى السعيد نصر بن أحمد بولاية الرى فاستخلف عليها بياض بالأصل وأمره بالمسير اليها وأخذها فاتك مولى يوسف بن أبى الساج فسار نصر السعيد لذلك

أول سنة أربع عشرة فلما وصل الى جبل قارن منعه أبو نصر الطبرى من الاجتياز به فبذل له ثلاثين ألف دينار واسترضاه وسار الى الرى فخرج عنها فاتك واستولى عليها السعيد منتصف السنة وأقام بها شهرين ثم عاد عنها الى بخارى واستعمل عليها محمد بن على الملقب صعلوك فأقام بها الى شعبان سنة ست عشرة ومرض فكاتب الداعى وما كان بن كالى فى القدوم ليسلم لهم الرى فقدموا واستولوا على الرى وسار صعلوك عنها فمات فى طريقه وأقام الحسن الداعى بالرى مالكا لها واستولى معها على قزوين وزنجان وأبهر وقم ومعه ما كان وكان أسفار قد استولى على طبرستان فسار الداعى وما كان اليه والتقوا على سارية فانهزم وقتل الداعى كما مر فى أخبار العلوية بطبرستان

(ولاية أسفار على جرجان والرى)

كان أسفار بن شيرويه من أعيان الديلم وكان من أصحاب ما كان بن كالى وقد تقدم لنا أن أبا الحسن بن الاطروش ولى ما كان على استراباذ وان الديلم اجتمعوا اليه وأمروه وأنه ملك جرجان واستولى بعدها على طبرستان وولى أخاه أبا الحسن بن كالى على جرجان وكان أسفار بن شيرويه من قواده فانصرف مغاضبا عنه سنة خمس عشرة الى بكر بن محمد بن اليسع بنيسابور فبعثه بكر الى جرجان ليفتحها واضطرب أمر جرجان لان ما كان ابن كالى اعتقل بها أبا على الاطروش بنظر أخيه ابن كالى فوثب الاطروش على أخيه أبى الحسن وقتله وملك جرجان واستقدم أسفار بن شيرويه فقدم وضبط أمره وسار اليهم ما كان من طبرستان فى جيوشه فهزموه واتبعوه الى طبرستان فملكوها وأقاموا بها وهلك أبو على بن الاطروش بطبرستان فعاد ما كان بن كالى وأخرج اسفار بن شيرويه من طبرستان ثم زحف اسفار الى الداعى وما كان والتقوا على السارية فانهزم الداعى وما كان وقتل الداعى واستولى اسفار على طبرستان وجرجان والرى وقزوين وزنجان وأبهر وقم والكرخ ودعا للسعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان واستعمل على آمد هرون بن بهرام يريد استخلاصه لنفسه لان هرون كان يخطب لابى جعفر من ولد الاطروش فولاه آمد وزوجه ببعض نساء الاعيان بها وحضر عرسه أبو جعفر وغيره من العلويين فهجم عليه اسفار يوم العرس فقبض على أبى جعفر والعلويين وحملهم الى بخارى فاعتقلوا بها واستفحل أمر اسفار وانتقض على السعيد صاحب خراسان وعلى الخليفة المقتدر وسار السعيد من بخارى الى نيسابور لمحاربته وأشار عليه وزيره محمد بن مطرف الجرجانى بطاعة السعيد وخوفه منه فقبل اشارته ورجع الى طاعة السعيد وقبل شروطه من حمل المال وغيره ثم انتقض عليه مرداويج

واستدعى ما كان من طبرستان وهزم اسفار وقتله وملك ما بيده من الاعمال كما نذكر في أخبار الديلم ثم ملك طبرستان وجرجان من يد ما كان فاستمد ما كان السعيد فأمده بأبي على بن محمد المظفر فهزمهما مرداويج وعاد أبو على الى نيسابور وما كان الى خراسان

(خروج أولاد الامير أحمد بن اسمعيل على أخيهم السعيد)

كان السعيد نصر بن أحمد لما ولى استراب باخوته وكانوا ثلاثة أبو زكريا يحيى وأبو صالح منصور وأبو اسحق ابراهيم أولاد الامير أحمد بن اسمعيل فحبسهم في القندهان ببخارى ووكل بهم فلما سار السعيد الى نيسابور سنة خمس عشرة فتقوا السجن وخرجوا منه على يد رجل خباز من اصفهان يسمى أبا بكر داخلهم في محبسهم بتسهيل نفقتهم التى كانت على يده وجاء الى القندهان قبل يوم الجمعة الذى كان ميقاتا للفتحه وأقام عندهم مظهر اللزهد والدين وبذل للبواب دنانير على أن يخرجه ليلحق الصلاة في الجماعة ففتح له الباب وقد أعدهم جماعة للوثوب فحبسوا البواب وأخرجوا أولاد الامير أحمد ومن معهم في الحبس من العلويين والديلم والعيارين واجتمع اليهم من كان وافقهم من العسكر والقواد ورأسهم شروين الجبلى وبايعوا يحيى بن الامير أحمد ونهبوا خزائن السعيد وقصوره وقدم يحيى أبا بكر الخباز وبلغ الخبر الى السعيد فعاد من نيسابور الى بخارى وكان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيما بجرجان فاستدعى ما كان بن كالى وصاهره وولاه نيسابور فسار اليها ولما جاء السعيد الى بخارا اعترضه أبو بكر الخباز عند النهر فهزمه السعيد وأسره ودخل بخارا فعذبه وأحرقه في تنوره الذى كان يخبز فيه ولحق يحيى بسمرقند ثم مر بنواحى الصغانيان وبها أبو على بن أحمد بن أبى بكر بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان مقيما بجرجان فاستدعى ما كان بن كالى الى جرجان ولقوا بها محمد بن الياس وقوى أمره فلما جاء يحيى الى نيسابور خطب له وأظهر دعوته ثم قصدهم السعيد فافترقوا ولحق ابن الياس بكرمان ولحق يحيى وقراتكين ببست والرخج ووصل السعيد الى نيسابور سنة عشرين واصطلح قراتكين وأمنه وولاه بلخ وذهبت الفتنة وأقام السعيد بنيسابور الى أن استأمن اليه أخواه يحيى ومنصور وحضرا عنده وهلكا وفر ابراهيم الى بغداد ومنها الى الموصل وهلك قراتكين ببست وصلحت أمور الدولة وكان جعفر بن أبى جعفر بن داود واليا لبنى سامان على الختل فاستراب به السعيد وكتب الى أبى على أحمد بن أبى بكر محمد بن المظفر وهو بالصغانيان أن يسير اليه فسار اليه وحاربه وكسره وجاء به الى بخارى فحبس بها فلما فتق السجن خرج مع يحيى وصحبهم ثم لما رأى تلاشى أموره

استأذنه في المسير الى الختل فأذن له فسار اليها وأقام بها ورجع الى طاعة السعيد سنة ثمان عشرة وصلح حاله والختل بخاء معجمة مضمومة وتاء مثناة فوقانية مشددة مفتوحة

(ولاية ابن المظفر على خراسان)

كان أبو بكر محمد بن المظفر واليا للسعيد نصر على جرجان ولما استفحل أمر مرداويج بالرى كما يأتى في أخبار الديلم خرج عنها ابن المظفر ولحق بالسعيد نصر في نيسابور وهو مقيم بها فسار السعيد في عساكره نحو جرجان ووقعت المكاتبة بين محمد ابن عبيد الله البلغمى مدبر دولته وبين مطرف بن محمد واستماله محمد فمال اليه مطرف وقتله سلطانه مرداويج ثم بعث محمد ينتصح لمرداويج ويذكره نعمة السعيد عنده في اصطناعه وتوليته وتطوق العار في ذلك لمطرف الوزير الهالك ويهول عليه أمر السعيد ويخوفه ويشير عليه بمسالمة جرجان اليه وصالحه السعيد عليها ولما فرغ السعيد من أمر جرجان وأحكمه استعمل محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان سنة احدى وعشرين ورد اليه تدبير الامور بجميع نواحيها وسار الى كرسى ملكه ببخارى واستقر بها

(استيلاء السعيد على كرمان)

كان محمد بن الياس من أصحاب السعيد ثم سخطه وحبسه وشفع فيه محمد بن عبيد الله البلغمى فأطلقه وسيره محمد بن المظفر الى جرجان ثم سار الى يحيى واخوته عندما توثبوا ببخارى فكان معه في الفتنة وخطب له بنيسابور كما مر فلما زحف السعيد اليهم فارق يحيى ولحق بكرمان واستولى عليها ثم خرج الى بلاد فارس وبها ياقوت مولى الخلفاء فوصل اليه باصطخر يريد ان يستأمن له وأطلع ياقوت على مكره فرجع الى كرمان ثم بعث السعيد ما كان بن كالى في العساكر سنة احدى وعشرين وقاتل ابن الياس وهزمه وملك كرمان بدعوة السعيد نصر بن أحمد وسار الياس الى الدينور ثم رجع ما كان عن كرمان على ما نذكره بعد فرجع اليها ابن الياس وسبب خروج ما كان ان السعيد بعد قتل مرداويج كتب اليه والى محمد بن المظفر صاحب خراسان ان يقصد جرجان والرى وبها وشمكير أخو مرداويج فجاء ما كان على المفازة ووصل الى نيسابور بعد ان كان محمد بن المظفر قد استولى عليها بعث اليه مددا فهزمتهم عساكر وشمكير فأقصر ما كان عن حربهم وأقام بنيسابور وجعلت ولايتها له وذلك أول سنة أربع وعشرين ثم صفت كرمان لمحمد بن الياس بعد حروب مع جيش نصر كان له الظفر فيها آخرا

(استيلاء ما كان على كرمان وانتقاضه)

لما ملك ما نحين جرجان وأقام ما كان بنيسابور وجعات ولايتها له وهلك ما نحين لايام من دخوله جرجان استنفر محمد المظفر ما كان للمسير الى جرجان فاعتل بالخروج بجميع أصحابه وسار الى اسفراين فانفذ عسكرا الى جرجان واستولى عليها ثم انتقض وسار الى نيسابور وبها محمد بن المظفر وكان غير مستعد للحرب فسار نحو سرخس ودخل ما كان نيسابور سنة أربع وعشرين ثم رجع عنها خوفا من اجتماع العساكر

(ولاية على بن محمد على خراسان وفتحه جرجان)

كان أبو بكر محمد بن المظفر بن محتاج صاحب خراسان من ولاة السعيد عليها سنة احدى وعشرين فلما كانت سنة سبع وعشرين اعتل أبو بكر وطال به مرضه وقصد السعيد راحته فاستقدم ابنه أبا على من الصغانيان وبعثه أميرا على خراسان واستدعى أباه أبا بكر فلقى ابنه أبا على على ثلاث مراحل من نيسابور فوصاه وحمله حملا من سياسته وسار الى بخارى ودخل ابنه أبو على نيسابور من السنة فأقام بها أياما ثم سار في محرم سنة ثمان وعشرين الى جرجان وبها ما كان بن كالى مستنقضا على السعيد وقد غوروا المياه فى طريقه فسلك اليهم غمرة حتى نزل على فرسخ من جرجان وحاصرها وضيق عليها وقطع الميرة عنها حتى جهدهم الحصار وبعث ما كان بن كالى الى وشمكير وهو بالرى فأمده بقائد من قواده فلما وصل الى جرجان شرع فى الصلح بينهما لينجو فيه ما كان فتم ذلك وهرب ما كان الى طبرستان واستولى أبو على على جرجان سنة ثلاث وعشرين واستخلف عليها ابراهيم بن سيجور الدوانى

(استيلاء أبى على على الرى وقتل ما كان بن كالى)

ولما ملك أبو على جرجان أصلح أمورها ثم استخلف عليها ابراهيم بن سيجور وسار الى الرى فى ربيع سنة ثمان وعشرين وبها وشمكير بن زياد أخو مرداويج قد تغلب عليها من بعد أخيه وكان عماد الدولة وركن الدولة ابنا بويه يكاتبان أبا على صاحب خراسان ويستحثانه لقصد الرى بأن أبا على لا يقيم بها السعة ولايته فتصفو لهما فلما سار أبو على لذلك بعث وشمكير الى ما كان بن كالى يستنجده فسار اليه من طبرستان وسار أبو على وجاءه مدد ركن الدولة بن بويه والتقوا بنواحى الرى فانهزم وشمكير وما كان ثم ثبت ما كان ووقف مستميتا فاصابه سهم فقتله وهرب وشمكير الى طبرستان فأقام بها واستولى أبو على على الرى سنة تسع وعشرين وأنفذ رأس ما كان والاسرى معه الى بخارا فأقاموا حتى دخل وشمكير فى طاعة بنى سامان وسار الى خراسان سنة ثلاثين

واستوهبهم

واستوهبهم الاسرى فأطلقوا له وبقى الرأس ببخارا ولم يحمل الى بغداد

(استيلاء أبى على على بلد الجبل)

ولما ملك أبو على بن محتاج صاحب خراسان بلد الرى والجبل من يد وشمكير وأقام بها دعوة السعيد نصر بعث العساكر الى بلد الجبل ففتحها واستولى على زنجان وأبهر وقزوين وقم وكرخ وهمذان ونهاوند والدينور الى حدود حلوان ورتب فيها العمال وجبى الاموال وكان الحسن بن الفيرزان بسارية وهو ابن عم ما كان بن كالى وكان وشمكير يطمع فى طاعته له وهو يمتنع فقصده وشمكير وحاصره بسارية وملكها عليه واستنجد الحسن أبا على بن محتاج فسار معه لحصار وشمكير بسارية سنة ثلاثين وضيق عليه حتى سأل الموادعة فصالحه أبو على على طاعة السعيد نصر وأخذ رهنه ورحل عنه الى جرجان سنة احدى وثلاثين ثم بلغه موت السعيد فعاد أبو على الى خراسان فملكها وراسله الحسن بن الفيرزان يستميله ورد عليه ابنه سلار الرهينة ليستعين به على الخراسانية فوعده وأطمعه ولما ملك وشمكير الرى طمع فيه بنو بويه لانه كان قد اختل أمره بحادثته مع أبى على فسار الحسن بن الفيرزان الى الرى وقاتل وشمكير فهزمه واستأمن اليه الكثير من جنده وسار وشمكير الى الرى فاعترضه الحسن بن الفيرزان من جرجان وهزمه الى خراسان وراسل الحسن ركن الدولة وتزوج بنته واتصل ما بينهما

(وفاة السعيد نصر وولاية ابنه نوح)

ثم أصاب السعيد نصرا صاحب خراسان وما وراء النهر مرض السل فاعتل ثلاثة عشر شهرا ومات فى شعبان سنة احدى وثلاثين لثلاثين سنة من ولايته وكان يؤثر عنه الكرم والحلم وأخلص فى مرضه التوبة الى أن توفى ولما مات ولى مكانه ابنه نوح وكان يؤثر الكرم والحلم عنه وبايعه الناس ولقب الحميد وقام بتدبير ملكه أبو الفضل أحمد بن حمويه وهو من أكابر أصحاب أبيه كان أبوه السعيد ولى ابنه اسمعيل بخارا فى كفالة أبى الفضل وولايته فأساء السيرة مع نوح وحقد له ذلك وتوفى اسمعيل فى حياة أبيه وكان يؤثر أبا الفضل فحذره من ابنه نوح فلما ولى نوح سار أبو الفضل من بخارا وعبر جيحون الى آمد وكان بينه وبين أبى على بن محتاج صهر فبعث اليه يخبره بقدومه فنهاه عن القدوم عليه ثم كتب له نوح بالامان وولاه سمرقند وكان على الحاكم صاحب الدولة ولا يلتفت اليه والآخر يحقد عليه ويعرض عنه ثم انتقض عبد الله بن اشكام بخوارزم على الامير نوح فسار من بخارا الى مرو سنة ثنتين وثلاثين وبعث اليه جيشا مع ابراهيم بن فارس فمات فى الطريق واستجار ابن اشكام بملك الترك وكان

بياض بالاصل

ابنه محبوسا ببخارا فبعث اليه نوح باطلاق ابنه على أن يقبض على ابن اشكام وأجابه ملك الترك لذلك ولما علم بذلك ابن اشكام عاد الى طاعة نوح فعفا عنه وأكرمه

(استيلاء أبى على على الرى ودخول جرجان فى طاعة نوح)

ثم ان الامير نوحا سار الى مرو وأمر أبا على بن محتاج أن يسير بعساكر خراسان الى الرى ويتزعها من يد ركن الدولة بن بويه فسار لذلك ولقى فى طريقه وشمكير وافدا على الامير نوح فبعثه اليه وسار أبو على الى بسطام فاضطرب جنوده وعاد عنه منصور بن قراتكين من أكابر أصحاب نوح فقصدوا جرجان وصدهم الحسن بن الفيرزان فانصرفوا الى نيسابور وسار الى الامير نوح بمرو فأعاده وأمده بالعساكر وسار من نيسابور فى منتصف ثلاث وثلاثين وعلم ركن الدولة بكثرة جموعه فخرج من الرى واستولى أبو على عليها وعلى سائر أعمال الجبال وأنفذ نوابه الى الاعمال وذلك فى رمضان من سنته ثم سار الامير نوح من مرو الى نيسابور وأقام بها ووضع جماعة من الغوغاء والعامة يستغيثون من أبى على ويشكون سوء السيرة منه ومن نوابه فولى على نيسابور ابراهيم بن سيجور وعاد عنها وقصد أن يقيم أبو على بالرى لحسن دفاعه عنها وينقطع طمعه عن خراسان فاستوحش أبو على للعزل وشق عليه وبعث أخاه أبا العباس الفضل بن محمد الى كور الجبال وولاه همذان وخلافة العساكر فقصد الفضل نهاوند والدينور واستولى عليها واستأمن اليه رؤساء الاكراد بتلك النواحى واعطوا رهنهم على الطاعة وكان وشمكير لما وفد على الامير نوح بمرو كما قدمناه استمده على جرجان فأمده بعسكر وبعث الى أبى على بمساعدته فلقى أبا على منصرفه فى المرة الاولى من الرى الى نيسابور فبعث معه جميع من بقى من العسكر وسار وشمكير الى جرجان وقاتل الحسن ابن الفيرزان فهزمه واستولى على جرجان بدعوة نوح بن السعيد وذلك فى صفر سنة ثلاث وثلاثين

(انتقاض أبى على وولاية منصور بن قراتكين على خراسان)

قد تقدم لنا أن الامير نوحا عزل أبا على بن محتاج عن خراسان وكان من قبلها عزله عن ديوان الجند وهو لنظره وبعث من يستعرض الجند فمحا وأثبت وزاد فى العطاء ونقص فاستوحش لذلك كله واستوحش الجند من التعرض اليهم بالاسقاط ولارزاقهم بالنقصان وخلص بعضهم الى بعض بالشكوى واتفقوا فى سيرهم الى الرى وهم بهمذان على استقدام ابراهيم بن أحمد أخى السعيد الذى كان قد هرب امامه الى الموصل كما تقدم وظهر أبو على على شأنهم فنكر عليهم فتهددوه وكاتبوا ابراهيم

واستدعوه وجاء اليهم بهمذان فى رمضان سنة أربع وثلاثين وكاتبه أبو على وكتب أخوه الفضل سرا الى الامير نوح بذلك ونمى خبر كتابه الى أخيه أبى على فقبض عليه وعلى متولى الديوان وسار الى نيسابور واستخلف على الرى والجبل وبلغ الخبر الى الامير نوح فنهض الى مرو واضطرب الناس عليه وشكوا من محمد بن أحمد الحاكم مدبر ملكه ورأوا أنه الذى أوحش أبا على وأفسد الدولة فنقموا ذلك عليه واعتلوا عليه فدفع اليهم الحاكم فقتلوه منتصف خمس وثلاثين ووصل أبو على الى نيسابور وبها ابراهيم بن سيجور ومنصور بن قراتكين وغيرهما من القواد فاستمالهم وسار وامعه ودخلها فى محرم سنة ست وثلاثين ثم ارتاب بمنصور بن قراتكين فحبسه وسار من نيسابور ومعه العم ابراهيم الى مرو وهرب أخوه الفضل فى طريقه من محبسه ولحق بقهستان ولما قاربوا مرو اضطرب عسكر الامير نوح وجاء اليهم أكثرهم واستولى عليها وعلى طخارستان وبعث نوح العساكر من بخارا مع الفضل أبى على الى الصغانيان فأقاموا بها ودس اليهم أبو على فقبضوا على الفضل وبعثوا به الى بخارا وعاد أبو على من طخارستان الى الصغانيان فأقاموا بها فى ربيع سنة سبع وثلاثين وقاتل العساكر فغلبوه ورجع الى الصغانيان ثم تجاوزها وأقام قريبا منها ودخلتها العساكر فخربوا قصوره ومساكنه وخرجوا فى اتباعه فرجع وأخذ عليهم المسالك فضاقت أحوالهم وجنحوا الى الصلح معه على أن يبعث بابنه أبى المظفر عبد الله الى الامير نوح رهينة فانعقد ذلك منتصف سنة سبع وثلاثين وبعث بابنه الى بخارا فأمر نوح بلقائه وخلع عليه وخلطه بندمائه وسكنت الفتنة قال ابن الاثير هذا الذى ذكره مؤرخو خراسان فى هذه القصة وأما أهل العراق فقالوا ان أبا على لما سار نحو الرى استمد ركن الدولة بن بويه أخاه عماد الدولة فكتب يشير عليه بالخروج عن الرى وملكها أبو على وكتب عماد الدولة الى نوح سرا يبذل له فى الرى فى كل سنة مائة ألف دينار وزيادة على ضمان أبى على ويعجل له ضمان سنة ويحمله عليه ثم دس عماد الدولة الى نوح فى القبض على أبى على وخوفه منه فأجاب الامير نوح الى ذلك وبعث تقرير الضمان وأخذ المال ودس ركن الدولة الى أبى على بهمذان ورجع به على خراسان وعاد ركن الدولة الى الرى واضطربت خراسان ومنع عماد الدولة مال الضمان خوفا عليه فى طريقه من أبى على وبعث الى أبى على يحرضه على اللقاء ويعده بالمدد وفسد ما بينه وبين ابراهيم وانقبض عنه وان الامير نوحا سار الى بخارا عند مفارقتها أبى على وحارب ابراهيم العم ففارقه القواد الى الامير نوح فأخذ أسيرا وسمله الامير نوح وجماعة من أهل بيته والله أعلم

(انتقاض ابن عبد الرزاق بخراسان)

كان محمد بن عبد الرزاق عاملا بطوس وأعمالها وكان أبو على استخلفه بنيسابور عند مازحف منها الى الامير نوح فلما راجع الامير نوح ملكه انتقض ابن عبد الرزاق بخراسان وولى الامير نوح على خراسان محمد بن عبد الرزاق واتفق وصول وشمكير منهزما من جرجان امام الحسن بن فيرزان واستمد الامير نوحا فأخرج معه منصورا فى العساكر وأمرهما بمعاجلة ابن عبد الرزاق فخرج سنة ست وثلاثين الى استراباذ ومنصور فى اتباعه فلحق بجرجان واستأمن الى ركن الدولة بن بويه ومضى الى الرى وسار منصور بن قراتكين الى طوس وحاصر رافع الى قلعة اخرى فحاصره منصور بها حتى استأمن اليه وجمع مامعه فانهبه أصحابه وخرج معهم فافترقوا فى الجبال واحتوى منصور على ما وجد بالحصن وحمل عيال محمد بن عبد الرزاق وامه الى بخارا فاعتقلوا بها ولما وصل محمد بن عبد الرزاق الى ركن الدولة بن بويه أفاض عليه العطاء وسرحه الى محاربة المرزبان باذربيجان كما يأتى

{استيلاء ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان ومسير}
{العساكر الى جرجان والصلح مع الحسن بن الفيرزان}

ولما وقع من الاضطراب ماوقع بخراسان اجتمع ركن الدولة بن بويه والحسن ابن الفيرزان وقصدوا بلاد وشمكير فهزموه وملك ركن الدولة طبرستان وسار الى جرجان فملكها وأقام بها الحسن بن الفيرزان واستأمن قواد وشمكير اليهم فأمنوهم وسار وشمكير الى خراسان مستنجدا بصاحب خراسان فسار معه منصور بن قراتكين فى عساكر خراسان الى جرجان وبها الحسن بن الفيرزان واسترهن ابنه ثم بلغه عن الامير نوح ما أقلقه فأعاد على الحسن ابنه وعاد الى نيسابور وأقام وشمكير باورن

(مسير ابن قراتكين الى الرى وعوده اليه)

ثم سار منصور بن قراتكين سنة تسع وثمانين الى الرى بأمر الامير نوح لغيبة ركن الدولة بن بويه فى نواحى فارس فوصل الى الرى واستولى عليها وعلى الجبل الى قرميسين فكبس الذين بها من العسكر وهم غارون وأسروا مقدمهم محكما وحبس ببغداد ورجع الباقون الى همذان فسار سبكتكين نحوهم وجاء ركن الدولة اثر الانهزام وشاور وزيره أبا الفضل بن العميد فأشار عليه بالثبات ثم أجفل عسكر خراسان الى الرى لانقطاع الميرة عنهم وكان ذلك سواء بين الفريقين الا ان الديلم كانوا أقرب الى

البداوة فكانوا أصبر على الجوع والشظف فركب ركن الدولة واحتوى على ماخلفه عسكر خراسان

(وفاة ابن قراتكين ورجوع أبى على بن محتاج الى ولاية خراسان)

ثم توفى منصور بن قراتكين صاحب خراسان بالرى بعد عوده من اصفهان فى ربيع سنة أربعين وحملت جنازته الى اسفيجاب فدفن بها عند والده فولى الامير نوح على خراسان أبا على بن محتاج وأعاده الى نيسابور وقد كان منصور يستقيل من ولاية خراسان لما يلاقى بها من جندها ويستعفى نوحا المرة بعد المرة وكان نوح يعد أبا على بعوده الى ولايته فلما توفى منصور بعث اليه بالخلع واللواء وأمره بالمسير وأقطعه الرى وأمره بالمسير اليها فسار عن الصغانيان فى رمضان سنة أربعين واستخلف مكانه ابنه أبا منصور وانتهى الى مرو فأقام الى ان أصلح أمر خوارزم وكانت شاغرة ثم سار الى نيسابور فأقام بها ولما كانت سنة ثنتين وأربعين كتب وشمكير الى الامير نوح يأمر أبا على ابن محتاج بالمسير معه فى عساكر خراسان فساروا فى ربيع من السنة وخام ركن الدولة عن لقائهم فامتنع بطزل وأقام عليه أبو على عدة شهور يقاتله حتى سئم العسكر وعجفت دوابهم فمال الى الصلح وسعى بينهم فيه محمد بن عبد الرزاق المتقدم ذكره فتصالحا على مائتى ألف دينار ضريبة يعطيها ركن الدولة فى كل سنة ورجع أبو على الى خراسان وكتب وشمكير الى الامير نوح بأن أبا على لم ينصح فى الحرب وان بينه وبين ركن الدولة مداخلة وسار ركن الدولة بعد انصراف أبى على نحو وشمكير فانهزم الى اسفراين واستولى ركن الدولة على طبرستان

{عزل الامير أبى على عن خراسان ومسيره}
{الى ركن الدولة وولاية بكر بن مالك مكانه}

ولما تمكنت سعاية وشمكير من أبى على عند الامير نوح كتب اليه بالعزل عن خراسان سنة ثنتين وأربعين وكتب الى القواد بمثل ذلك واستعمل على الجيوش مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغانى وبعث أبو على يعتذر فلم يقبل وأرسل جماعة من أعيان نيسابور يسألون ابقاءه فلم يجيبوا فانتقض أبو على وخطب لنفسه بنيسابور وكتب نوح الى وشمكير والحسن بن الفيرزان بأن يتفقا ويتعاضدا على أولياء ركن الدولة حيث كانوا ففعلا ذلك فارتاب أبو على بأمره ولم يمكنه العود الى الصغانيان ولا المقام بخراسان فصرف وجهه الى ركن الدولة واستأذنه فى المسير اليه فأذن وسار أبو على الى الرى سنة ثلاث وأربعين فأكرمه ركن الدولة وأنزله معه واستولى بكر على خراسان

(وفاة الامير نوح وولاية ابنه عبد الملك)

ثم توفى الامير نوح بن نصر واقبه الحميد فى ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة لثنتى عشرة سنة من ولايته وولى بعده ابنه عبد الملك وقام بأمره بكر بن مالك الفرغانى فلما قر رأمر دولته وثبت ملكه أمر بكرا بالمسير الى خراسان فكان من شأنه مع أبى على ما قدمناه

(مسير العساكر من خراسان الى الرى واصفهان)

ثم زحفت عساكر خراسان الى الرى سنة أربع وأربعين وبها ركن الدولة بن بويه قدم اليها من جرجان واستمد أخاه معز الدولة ببغداد فأمده بالحاجب سبكتكين وبعث بكر عسكرا آخر من خراسان مع محمد بن ما كان على طريق المفازة الى اصفهان وكان بأصفهان أبو منصور على بن بويه بن ركن الدولة فخرج عنها بحرم أبيه وخزائنه وانتهى الى خالنجان ودخل محمد بن ما كان أصفهان وخرج فى اتباع بن بويه وأدرك الخزائن فأخذها وسار فأدركه ووافق وصول أبى الفضل بن العميد وزير ركن الدولة فى تلك الساعة فقاتله ابن ما كان وهزم أصحابه وثبت ابن العميد وشغل عسكر ابن ما كان بالنهب فاجتمع على ابن العميد جملة من العسكر فاستمات وحمل على عسكر ابن ما كان فهزمهم وأسر ابن ما كان وسار ابن العميد الى اصفهان فملكها وأعاد حرم ركن الدولة وأولاده الى حيث كانوا من اصفهان ثم بعث ركن الدولة الى بكر بن مالك صاحب الجيوش بخراسان وقرر معه الصلح على مال يحمله ركن الدولة اليه على الرى وبلد الجبل فتقرر ذلك بينهما وبعث اليه من عند أخيه ببغداد بالخلع واللواء بولاية خراسان فوصلت اليه فى ذى القعدة سنة أربع وأربعين

(وفاة عبد الملك بن نوح صاحب ماوراء النهر وولاية أخيه منصور)

ثم توفى الامير عبد الملك لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وثلاثين وثلثمائة لسبع سنين من ولايته وولى بعده أخوه أبو الحرث منصور بن نوح واستولى ركن الدولة لاول أيامه على طبرستان وجرجان فملكهما وسار وشمكير عنها فدخل بلاد الجبل

(مسير العساكر من خراسان الى الرى ووفاة وشمكير)

قد ذكرنا من قبل ان وشمكير كان يقدح فى عمال بنى سامان بأنهم لا ينصحون لهم ويداخلون عدوهم من الديلم ووفد أبو على بن الياس صاحب كرمان على الامير أبى الحرث منصور مستجيشا به على بنى بويه فحرضه على قصد الرى وحذره من الاستمالة

فى ذلك الى عماله كما أخبره وشمكير وبعث الى الحسن بن الفيرزان بالنفير مع عساكره ثم أمر صاحب جيوش خراسان أبا الحسن بن محمد بن سيمجور الدوانى بالمسير الى الرى وأوصاه بالرجوع الى رأى وشمكير وبلغ الخبر الى ركن الدولة فاضطرب وبعث بأهله وولده الى اصفهان واستمد ابنه عضد الدولة بفارس وبختيار ابن أخيه عز الدولة ببغداد فبادر عضد الدولة الى امداده وبعث العساكر على طريق خراسان يريد قصدها لخلوها من العسكر فاجفلت عساكر خراسان وانتهوا الى الدامغان فأقاموا وبرز ركن الدولة نحوهم فى عساكره من الرى وبينماهم فى ذلك ركب وشمكير يوما ليتصيد فاعترضه خنزير فاجفل فرسه وسقط الى الارض وانهشم ومات وذلك فى المحرم سنة سبع وخمسين وانتقض ما كانوا فيه وقام بيستون بن وشمكير مقام أبيه وراسل ركن الدولة وصالحه فامده ركن الدولة بالمال والرجال

(خبر ابن الياس بكرمان)

كان أبو على بن الياس قد ملك كرمان بدعوة بنى سامان واستبد بها وأصابه فالج وأزمن به وكان له ثلاثة من الولد اليسع والياس وسليمان فعهد الى اليسع وبعده الياس وأمر سليمان بالعود الى أرضهم ببلاد الصغد يقيم بها فيما لهم هنالك من الاموال لعداوة كانت بين سليمان واليسع فخرج سليمان لذلك واستولى على السيرجان فانفذ اليه أبوه أبو على ابنه الآخر فى عسكر وأمره باجلائه عن البلاد ولا يمكنه من قصد الصغد ان طلبها فسار وحاصره ولما ضاق الحصار على سليمان جمع أمواله ولحق بخراسان وملك اليسع السيرجان وسار الى خراسان ثم لحق أبو على ببخارا ومعه ابنه سليمان فأكرمه الامير أبو الحرث وقربه وأغزاه أبو على بالرى وتجهيز العساكر اليه كما ذكرناه وأقام عنده الى ان توفى سنة ست وخمسين كما نذكر فى أخباره ولحق اليسع ببخارا فأقام بها ثم سعى سليمان عند الامير أبى الحرث منصور فى المسير الى كرمان وأطمعه فى ملكها وان أهلها فى طاعته فبعث معه عسكرا فلما وصل اطاعه أهل نواحيها من القمص والبولص وجميع المنتقضين على عضد الدولة واستفحل أمره فسار اليه كوركين عامل عضد الدولة بكرمان وحاربه ونزعت عساكره عنه فانهزم وقتل معه ابنا أخيه اليسع وهما بكر والحسين وكثير من القواد وصارت كرمان للديلم

(انعقاد الصلح بين منصور بن نوح وبين بنى بويه)

ثم انعقد الصلح بين الامير أبى الحرث منصور بن نوح صاحب خراسان وماوراء النهر وبين ركن الدولة وزوجه ابنته وحمل اليه من الهدايا والتحف ما لم يحمل مثله وكتب

بينهم كتاب الصلح شهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق وتم ذلك على يد أبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور صاحب الجيوش بخراسان من جهة الامير أبى الحرث فى سنة احدى وستين

(وفاة منصور بن نوح وولاية ابنه نوح)

ثم توفى الامير أبو الحرث منصور ببخارا منتصف سنة ست وستين وثلثمائة وولى بعده ابنه أبو القاسم نوح صبيا لم يبلغ الحلم فاستوزر أبا الحسن العتبى وجعل على حجابة بابه مولاه أبا العباس قاسما وكان من موالى أبى الحسن العتبى فأهداه الى الامير أبى صالح وشركهما فى أمر الدولة أبو الحسن فائق وأقر على خراسان أبا الحسن محمد بن ابراهيم ابن سيجور واطردت أمور الدولة على استقامتها

(عزل ابن سيجور عن خراسان وولاية أبى العباس تاش)

قد تقدم لنا شأن خلف بن أحمد الليثى صاحب سجستان وانتصاره بالامير منصور ابن فرج على قريبه طاهر بن خلف بن أحمد بن الحسين المنتقض عليه سنة أربع وخمسين وأنه مده بالعسكر ورده الى ملكه ثم انتقض طاهر ثانيا بعد انصراف العسكر عن خلف وبعث مستجيشا فأمده ثانيا وقد هلك طاهر وولى ابنه الحسين فحاصره خلف وأرهقه الحصار فنزل لخلف عن سجستان ولحق بالسعيد نوح بن منصور وأقام خلف دعوة نوح فى سجستان وحمل المال متقررا عليه كل سنة ثم قصر فى الطاعة والخدمة وصار يتلقى الاوامر بالاعراض والاهمال فرمى بالحسين بن طاهر فى جيوش خراسان وحاصره بقلعة ارك وطال انحصاره وأمده العتبى الوزير بجماعة القواد كالحسن ابن مالك وبكتاش فأقاموا عليه سبع سنين حتى فنيت الرجال والاموال وكان ابن سيجور بخراسان وكانت أيامه قد طالت بها فلا يطيع السلطان الافيما رآه وكان خلف بن احمد صاحبه فلم يغن عليه وعوتب فى ذلك وعزل عن خراسان بابى العباس تاش فكتب يعتذر ورحل الى قهستان ينتظر جواب كتابه فجاءه كتاب الامير نوح بالمسير الى سجستان فسار واستنزل خلفا من معقله للحسين بن طاهر وسار خلف الى حصن الطاق وداخله ابن سيجور وأقام خطبة لرضا نوح به وانصرف ولما ولى الامير نوح الحاجب أبا العباس تاش قيادة خراسان سار اليها سنة احدى وسبعين فلقى هنالك فخر الدولة ابن ركن الدولة وشمس المعالى قابوس بن وشمكير ناجين من جرجان وكان من خبرهما ان عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة وهزمه ولحق فخر الدولة بقابوس وبعث عضد الدولة فى طلبه ترغيبا وترهيبا فأجاره قابوس وبعث عضد الدولة

فى طلبه أخاه مؤيد الدولة فى العساكر اليهم ولقيهم قابوس فهزموه فسار الى بعض قلاعه واحتمل منها ذخائره ولحق بنيسابور ولحق به فخر الدولة ناجيا من المعركة فأكرمهم أبو العباس تاش وأنزلهم خير منزل وأقاموا عنده واستولى مؤيد الدولة على جرجان وطبرستان

(مسير أبى العباس فى عساكر خراسان الى جرجان ثم مسيره الى بخارا)

ولما وصل قابوس بن وشمكير وفخر الدولة بن ركن الدولة الى أبى العباس تاش مستجيرين بالامير نوح على استرجاع جرجان وطبرستان من يد مؤيد الدولة كتب بذلك الى الامير نوح ببخارا فأمره بالمسير معهما واعادتهما الى ملكهما فسار معهما لذلك فى العساكر ونازلوا جرجان شهرين حتى ضاق عليهم الحصار وداخل مؤيد الدولة فائقا من قواد خراسان ورغبه فوعده بالانهزام ثم خرج مؤيد الدولة من جرجان فى عساكره مستميتا فهزمهم ورجعوا الى نيسابور وكتبوا الى بخارا بالخبر فأجابهم الامير نوح بالوعد واستنفر العساكر من جميع الجهات الى نيسابور للمسير مع قابوس وفخر الدولة فاجتمعوا هنالك ثم جاء الخبر بقتل الوزير أبى الحسن العتبى وكان زمام الدولة بيده فيقال ان أبا الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور وضع عليه من قتله وذلك سنة ثنتين وسبعين ولما قتل كتب الامير نوح بن منصور الى الحاجب أبى العباس تاش يستدعيه لتدبير دولته ببخارا فسار عن نيسابور اليها وقتل من ظفر به من قتلة أبى الحسن

(رد أبى العباس الى خراسان ثم عزله وولاية ابن سيجور)

ولما سار أبو العباس الى بخارا وكان أبو الحسن بن سيجور من حين سار الى سجستان كما مر مقيما بها ثم رجع آخرا الى قهستان فلما سار أبو العباس تاش الى بخارا وكتب ابن سيجور الى فائق يطلب مظاهرته على ملك خراسان اجابه الى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على خراسان وسار اليهما أبو العباس تاش فى العساكر ثم تراسلوا كلهم واتفقوا على أن يكون نيسابور وقيادة العساكر لابى العباس تاش وبلخ لفائق وهراة لابى الحسن بن سيجور وانصرف كل واحد الى ولايته وكان فخر الدولة بن بويه خلال ذلك معهما بنيسابور ينتظر النجدة الى أن هلك أخوه مؤيد الدولة بجرجان فى شعبان سنة ثلاث وسبعين واستدعاه أهل دولته للملك فكاتبه الصاحب ابن عباد وغيره فسار اليهم واستولى على ملك أخيه بجرجان وطبرستان وكان الامير نوح لما سار أبو العباس من بخارا الى نيسابور استوزر مكانه عبد الله بن عزيز وكانت بينه وبين أبى الحسن العتبى منافسة وعداوة ثم لما ولى الوزارة تقدم على عزل أبى العباس عن خراسان

وكتب الى أبي الحسن محمد بن ابراهيم بخراسان بولاية نيسابور

(انتقاض أبي العباس وخروجه مع ابن سيجور ومهلكه)

ولما عزل أبو العباس تاش عن خراسان كتب الى الامير نوح يستعطفه فلم يجبه فانتقض وكتب الى فخر الدولة يستمده على ابن سيجور فأمده بالاموال والعسكر مع أبي محمد عبد الله بن عبد الرزاق وسار الى نيسابور في عساكره وعساكر الديلم وتحصن ابن سيجور بنيسابور وجاءه مدد آخر من فخر الدولة وبرز ابن سيجور لقتالهم فهزموه وغنموا منه واستولى أبو العباس على نيسابور وكتب الى الامير نوح يستعطفه ولج ابن عزيز في عزله ثم ثاب لابن سيجور رأيه وعادت اليه قوته وجاءه الامراء من بخارا مددا وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة بفارس يستمده فأمده بألفي فارس مراغمة لعمه فخر الدولة فلما كثف جمعه زحف الى أبي العباس وقاتله فهزمه ولحق بفخر الدولة ابن بويه بجرجان فأكرمه وعظمه وترك له جرجان ودهستان واستراباذ اقطاعا وسار عنها الى الري وبعث اليه من الاموال والآلات ما يخرج عن الحد وأقام أبو العباس بجرجان ثم جمع العساكر وسار الى خراسان فلم يقدر على الوصول اليها وعاد الى جرجان وأقام بها ثلاث سنين ومات سنة سبع وسبعين وقام أهل جرجان بأصحابه لما كانوا يحقدون عليهم من سوء السيرة فقاتلهم أصحابه واستباحوهم حتى استأمنوا وكفوا عنهم ثم افترق أصحابه وسار أكثرهم وهم كبار الخواص والغلمان الى خراسان وقد كان صاحبها أبو الحسن سيجور مات فجأة وقام بأمرها مكانه ابنه أبو علي وأطاعه اخوته وكبيرهم أبو القاسم ونازعه فائق الولاية فلحق به أصحاب أبي العباس واستكثر بهم لشأنه

(ولاية أبي علي بن سيجور على خراسان)

قد تقدم اتفاق أبي الحسن بن سيجور وأبي العباس تاش وفائق على أن تكون نيسابور وقيادة خراسان لتاش وبلخ لفائق وهراة لابي علي بن أبي الحسن سيجور ثم عزل تاش بسعاية الوزير ابن عزيز وولي أبو الحسن وكانت بينهما الحرب التي مر ذكرها وانهزم تاش الى جرجان فاستقر أبو علي بهراة وفائق ببلخ وكان ابن عزيز يستحث الحسن لقصد جرجان ثم عزل ابن عزيز ونفي الى خوارزم وقام مكانه أبو علي محمد بن عيسى الدامغاني ثم عجز لما نزل بالدولة من قلة الخراج وكثرة المصاريف فصرف عن الوزارة بابي نصر بن أحمد ابن محمد بن أبي يزيد ثم عزل وأعيد أبو علي الدامغاني وهلك أبو الحسن بن سيجور خلال ذلك وقام ابنه أبو علي مقامه وكاتب الامير نوح بن منصور يطلب أن يعقد له الولاية

كما كانت لابيه فأجيب الى ذلك ظاهرا وكتب لفائق بولاية خراسان وبعث اليه بالخلع والالوية وكان أبو علي يظن أنها له فلما بدا له من ذلك ما لم يحتسب جمع عسكره وأغذ السير وأوقع بفائق ما بين هراة وبوشنج فانهزم فائق الى مرو الروذ وملك أبو علي مرو ووصله عهد الامير نوح بقيادة الجيوش وولاية نيسابور وهراة وقهستان ولقبه عماد الدولة ثم رقاه الامير نوح واستولى على سائر خراسان واستبد بها على السلطان حتى طلب نوح في بعض أعمالها لنفقته فمنعه وأقام مظهرا الطاعة وخشي غائلة السلطان من طلبة نوح فكاتب بقراخان ملك الترك ببلاد كاشغر وشاغور ويغريه ويستحثه لملك بخارا وما وراء النهر على أن يستقر هو بخراسان

(خبر فائق)

وأقام بعد انهزامه أمام أبي علي بمرو الروذ حتى اندملت جراحه واجتمع اليه أصحابه وسار الى بخارا قبل أن يستأذن فارتاب به الامير نوح فسرح اليه العساكر مع أخي الحاجب وفكنزرون فانهزم وعبر النهر الى بلخ فأقام بها أياما وسار الى ترمذ وكاتب بقراخان يستحثه وكتب الامير نوح الى والي الجوزجان أبي الحرث أحمد بن محمد الفيرقوني بقصد فائق فقصده في جموعه وسرح فائق اليه بعض عسكره فهزمه وعاد الى بلخ وكان طاهر بن الفضل قد ملك الصغانيان على أبي المظفر محمد بن أحمد وهو واحد خراسان فانقطع أبو المظفر الى فائق صريخا فأمده وسار الى طاهر بعسكر فائق واقتتلوا فانهزم طاهر وقتل وصارت الصغانيان لفائق

(استيلاء الترك على بخارا)

ولما خرج الامير نوح عن بخارا عبر النهر واستقر بآمل الشط وكاتب أبا علي بن سيجور يستحثه للنصرة وكاتب فائقا أيضا يستصرخه فلم يصرخه أحد منهما وبلغه مسير بقراخان عن بخارا فأغذ السير اليها وعاود الجلوس على كرسي ملكه وتباشر الناس بقدومه ثم بلغه مهلك بقراخان فتزايد سرورهم ولما عاد الامير نوح الى بخارا ندم أبو علي على ما فرط فيه من نصرته وأجمع الاستظهار بفائق فأزاحوه عن ملكه وملكوها ولحق فائق بأبي علي بن سيجور وتظاهرا على الامير نوح وذلك سنة أربع وثمانين

(عزل أبي علي بن سيجور عن خراسان وولاية سبكتكين)

ولما اجتمع أبو علي بن سيجور وفائق على منافرة الامير نوح وعصيانه كتب الامير نوح الى سبكتكين وكان أميرا على غزنة ونواحيها يستقدمه لنصره منهما وانجاده عليهما

وولاه خراسان وكان سبكتكين فى شغل عن أمرهم بما هو فيه من الجهاد مع كفار الهند فلما جاءه كتاب نوح ورسوله بادر اليه وتلقى أمره فى ذلك وعاد الى غزنة فجمع العساكر وبلغ الخبر أبا على وفائقا فبعثا الى فخر الدولة بن بويه يستنجدانه واستعانا فى ذلك بوزيره الصاحب بن عباد فبعث اليهما مددا من العساكر ثم سار سبكتكين وابنه محمود نحو خراسان سنة اربع وثمانين وسار الامير نوح واجتمعوا ولقوا أبا على وفائقا بنواحى هراة وكان معهما دارا بن قابوس بن وشمكير فنزع الى الامير نوح وانهزم أصحاب أبى على وفائق وقتل فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم الى نيسابور فلحقا بجرجان وتلقاهما فخر الدولة بالهدايا والتحف والاموال وأنزلهما بجرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين ولقبه سيف الدولة ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة وعاد نوح الى بخارى وترك سبكتكين بهراة ومحمودا بنيسابور

(عود ابن سيمجور الى خراسان)

لما افترق نوح وسبكتكين طمع أبو على وفائق فى خراسان فسار عن جرجان الى نيسابور فى ربيع سنة خمس وثمانين وبرز محمود للقائهما بظاهر نيسابور وأعجلوه عن وصول المدد من أبيه سبكتكين وكان فى قلة وانهزم الى أبيه وغنموا سواده وأقام ابو على بنيسابور وكان الامير نوح يستميله ويتلطف فى العذر مما كان من سبكتكين فلم يجبه الى ما طلب

(ظهور سبكتكين وابنه محمود على أبى على وفائق ومقتل أبى على)

ولما دخل أبو على نيسابور وانهزم عنها محمود جمع سبكتكين العساكر وسار اليه فالتقوا بطوس وجاء محمود على أثره مددا فانهزم هو وفائق الى أبيورد فاتبعهما سبكتكين بعد أن استخلف ابنه محمودا بنيسابور فلحقا بمرو ثم آمل الشط وكتبا الى الامير نوح يستعطفانه فشرط على أبى على أن ينزل بالجرجانية ويفارق فائقا ففعل ونزل قريبا من خوارزم بالجرجانية فأكرمه أبو عبد الله خوارزم شاه وسكن اليه وبعث من ليلته من جاء به واعتقله وأعيان أصحابه وبلغ الخبر الى مأمون بن محمد صاحب الجرجانية فاستعظم ذلك وسار بعساكره الى خوارزم شاه وافتتح مدينته وتسمى كاث عنوة وخلص أبا على من محبسه وعاد الى الجرجانية واستخلف بعض أصحابه على بلاد خوارزم ولما عاد الى الجرجانية أخرج خوارزم شاه وقتله بين يدى أبى على بن سيمجور وكتب الى الامير نوح يشفع فى أبى على فشفعه واستدعى أبا على الى بخارا فسار اليها وأمر الامراء والعساكر بتلقيه فلما دخل عليه أمر بحبسه وشفع سبكتكين فيه فهرب

ولحق بفخر الدولة وأقام عنده وأما فائق فلما فارقه أبو على كما شرط عليه الامير نوح سار الى ايلك خان ملك الترك بكاشغر فأكرمه وكتب الى نوح يشفع فيه فقبل شفاعته وولاه عليها وأقام بها

(وفاة الامير نوح وولاية ابنه منصور وولاية بكتزون على خراسان)

ثم توفى الامير نوح بن منصور منتصف سبع وثمانين لاحدى وعشرين سنة من ملكه وانتقض بموته ملك بنى سامان وصار الى الانحلال ولما توفى قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور وتابعه أهل الدولة واتفقوا على طاعته وقام بتدبير دولته بكتزون واستوزر أبا طاهر محمد بن ابراهيم وبلغ خبر وفاة نوح الى ايلك خان فطمع فى ملكهم وسار الى سمرقند وبعث من هنالك فائقا والخاصة الى بخارا فاضطرب منصور وهرب عن بخارا وقطع النهر ودخل فائق بخارا وأعلم الناس أنه انما جاء لخدمة الامير منصور فبعث مشايخ بخارا بذلك الى منصور ودخل واستقدموه بعد أن أخذوا له مواثيق العهود من فائق فاطمأن وعاد الى بخارا وأقام فائق بتدبير أمره وتحكم فى دولته وأبعد بكتزون الى خراسان أميرا وقد كان سبكتكين توفى فى شعبان من هذه السنة ووقعت الفتنة بين ابنيه اسمعيل ومحمود فتقدم بكتزون أيام فتنتهما واستولى على خراسان

(عود أبى القاسم بن سيمجور الى خراسان وخيبته)

قد ذكرنا مسير بكتزون الى خراسان عند مفره أيام محمود بن سبكتكين من خراسان وأقام عند فخر الدولة وعند أبيه مجد الدولة واجتمع عنده أصحاب أبيه وكتب اليه فائق من بخارا يغريه ببكتزون ويأمره بقصد خراسان ويخرج بكتزون منها فسار عن جرجان الى نيسابور وبعث جيشا الى اسفراين فملكوها من يد أصحاب بكتزون ثم ترددت السفراء بينهما ووقع الصلح والصهر وعاد بكتزون الى نيسابور

(انتقاض محمود بن سبكتكين وملكه نيسابور ثم خروجه عنها)

لما فرغ محمود بن سبكتكين من أمر الفتنة بينه وبين أخيه اسمعيل واستولى على ملك غزنة وعاد الى بلخ وجد بكتزون واليا على خراسان كما ذكرناه فبعث الى الامير منصور بن نوح يذكر وسائله فى الطاعة والمحاماة ويطلب ولاية خراسان فاعتذر له عنها وولاه ترمذ وبلخ وما وراءهما من أعمال بست فلم يرض ذلك وأعاد الطلب فلم يجب فسار الى نيسابور وهرب منها بكتزون وملكها محمود سنة ثمان وثمانين فسار الامير منصور من بخارا اليه فخرج عنها الى مرو الروذ وأقام بها

(خلع الامير منصور وولاية أخيه عبد الملك)

ولما سار الامير منصور عن بخارا الى خراسان لمدافعة محمود بن سبكتكين عن نيسابور سار بكتوزون للقائه فلقيه بسرخس ثم لم يلق من قبوله ما كان يؤمله فشكا ذلك الى فائق فألفاه واجدا مثل ذلك فخلصا فى نجواهما واتفقا على خلعه واقامة أخيه عبد الملك مقامه ووافقهما على ذلك جماعة من أعيان العسكر ثم قبضوا عليه وسملوه أول سنة تسعين لعشرين شهرا من ولايته وولى مكانه أخوه عبد الملك وبعث محمود الى فائق وبكتوزون يقبح عليهما فعلهما وسار نحوهما طامعا فى الاستيلاء على الملك

(استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان)

ثم سار محمود بن سبكتكين الى فائق وبكتوزون ومعهما عبد الملك الصبى الذى نصبوه فساروا اليه والتقوا بمرو سنة تسعين وقاتلهم فهزمهم وافترقوا ولحق عبد الملك بخارا ومعه فائق ولحق بكتوزون بنيسابور ولحق أبو القاسم بن سيجور بقهستان وقصد محمود نيسابور وانتهى الى طرسوس فهرب بكتوزون الى جرجان وبعث فى اثره ارسلان الحاجب الى أن وصل جرجان ورجع فاستخلفه محمود على طرسوس وسار الى هراة فخالفه بكتوزون الى نيسابور وملكها ورجع اليها محمود فأجفل عنها ومر بمرو فنهبها ولحق ببخارا واستقر محمود بخراسان وأزال عنها ملك بنى سامان وخطب فيها للقادر العباسى واستدعى الولاية من قبله فبعث اليه بالعهد عليها والخلع لبنى سيجور وأنزله نيسابور وسار هو الى بلخ كرسى أبيه فاقتعده واتفق أصحاب الاطراف بخراسان على طاعته مثل آل افريقون بالجوزجان والشاه صاحب غرسيان وبنى مأمون بخوارزم

(استيلاء ايلك خان على بخارا وانقراض دولة بنى سامان)

ولما ملك محمود خراسان ولحق عبد الملك بخارا اجتمع اليه فائق وبكتوزون وغيرهما من الامراء وأخذوا فى جمع العساكر لمناهضة محمود بخراسان ثم مات فائق فى شعبان من هذه السنة فاضطربوا ووهنوا لانه كان المقدم فيهم وكان خصيا من موالى نوح بن نصر فطمع ايلك خان فى الاستيلاء على ملكهم كما ملكه بقراخان قبله فسار فى جموع الترك يظهر المدافعة لعبد الملك عنه فاطمأنوا لذلك وخرج بكتوزون وغيره من الامراء والقواد للقائه فقبض عليهم جميعا ودخل بخارا عاشر ذى القعدة ونزل دار الامارة واختفى عبد الملك فبعث العيون عليه حتى ظفر به وأودعه السجن فى أرز كند فمات وحبس معه أخاه أبا الحرث منصورا المخلوع واخوته الآخرين أبا ابراهيم اسمعيل وأبا يعقوب وأعمامه أبا زكريا وأبا سليمان وأبا صالح القارى وغيرهم من بنى سامان

وانقرضت دولتهم بعد ان كانت انتشرت فى الآفاق ما بين حلوان وبلاد الترك ووراء النهر وكانت من أعظم الدول وأحسنها سياسة

(خروج اسمعيل بن نوح بخراسان)

ثم هرب أبو ابراهيم اسمعيل بن نوح من محبسه فى زى امرأة كانت تتعاهد خدمته فاختفى ببخارا ثم لحق بخوارزم وتلقب المنتصر واجتمع اليه بقايا القواد والاجناد وبعث قابوس عسكرا مع ابنيه منوجهر ودارا ووصل اسمعيل الى نيسابور فى شوال سنة احدى وتسعين وجبى أموالها وبعث اليه محمود مع التونتاش الحاجب الكبير صاحب هراة فلقيهم فانهزم المنتصر الى ابيورد وقصد جرجان فمنعه قابوس منها فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها فى ربيع سنة ثنتين وتسعين فأرسل اليها محمود العساكر مع منصور والتقوا فانهزم اسمعيل وأسر أبو القاسم بن سيجور فى جماعة من أعيان العسكر فبعث بهم منصور الى غزنة وسار اسمعيل حائرا فوافى أحياء الغز بنواحى بخارا فتعصبوا عليه وسار بهم الى ايلك خان فى شوال سنة ثلاث وتسعين فلقيه بنواحى سمرقند وانهزم ايلك واستولى الغز على سواده وأمواله وأسرى من قواده ورجعوا الى أحيائهم وتفاوضوا فى اطلاق الاسرى من أصحاب ايلك خان وشعر بهم اسمعيل فسار عنهم خائفا وعبر النهر الى آمل الشط وبعث الى مرو ونسا وخوارزم فلم يتقبلوه وعاودوا العبور الى بخارا وقاتله واليها فانهزم الى دبوسية وجمع بها ثم عاد فانهزم من عساكر بخارا وقاتله واليها وجاءه جماعة من فتيان سمرقند فصاروا فى جملته وبعث اليه أهله بأموال وسلاح ودواب وسار اليه ايلك خان بعد أن استوعب فى الحشد ولقيه بنواحى سمرقند فى شعبان سنة أربع وتسعين وظاهر الغز اسمعيل فكانت الدبرة على ايلك خان وعاد الى بلاد الترك فاحتشد ورجع الى اسمعيل وقد افترقت عنه أحياء الغز الى أوطانهم وخف جمعه فقاتلهم بنواحى مروسية فهزموه وقتل الترك فى أصحابه وعبر اسمعيل النهر الى جوزجان فنهبها وسار الى مرو وركب المفازة الى قنطرة راغول ثم الى بسطام وعساكر محمود فى اتباعه مع أرسلان الحاجب صاحب طوس وأرسل اليه قابوس عسكرا مع الاكراد الشاهجانية فأزعجوه عن بسطام فرجع الى ما وراء النهر وأدرك أصحابه الكلل والملال ففارقه الكثير منهم وأخبروا أصحاب ايلك خان وأعلموهم بمكانه فكبسه الجند فطاردهم ساعة ثم دخل فى حى من أحياء العرب بالفلاة من طاعة محمود بن سبكتكين يعرف أميرهم بابن بهيج وقد تقدم اليهم محمود فى طلبه فأنزله عندهم حتى اذا جن الليل وثبوا عليه وقتلوه وذلك سنة خمس وتسعين وانقرض أمر بنى سامان وانمحت آثار دولتهم والبقاء لله وحده

(الخبر عن دولة بنى سبكتكين ملوك غزنة وما ورثوه من الملك بخراسان وما وراء النهر عن مواليهم وما فتحوه من بلاد الهند وأوّل أمرهم ومصاير أحوالهم)

هذه الدولة من فروع دولة بنى سامان وناشئة عنها وبلغت من الاستطالة والعز المبالغ العظيمة واستولت على ما كانت دولة بنى سامان عليه فى عدوتى جيحون وما وراء النهر وخراسان وعراق العجم وبلاد الترك وزيادة بلاد الهند وكان مبدأ أمرهم عن غزنة وذلك ان سبكتكين من موالى بنى البتكين وكان البتكين من موالى بنى سامان وكان فى جملته وولاه حجابته وورد بخارا أيام السعيد منصور بن نوح وهو اذ ذاك حاجبه ثم توفى البتكين هذا وعقد له السعيد منصور بن نوح سنة خمس وستين وثلثمائة وولى ابنه نوح ويكنى أبا القاسم واستوزر أبا الحسن العتبى وولى على نيسابور أبا الحسن محمد بن سيجور وكان سبكتكين شديد الطاعة له والقيام بحاجاته وطرقت دولة بنى سامان النكبة من الترك واستولى بقراخان على بخارا من يد الامير نوح ثم رجع اليها ومات أبو الحسن بن سيجور وولى مكانه بخراسان ابنه أبو على واستبد على الامير نوح فى الاستيلاء على خراسان عند نكبة الترك فلما عاد الامير نوح الى كرسيه وثبت فى الملك قدمه كاشفه أبو على فى خراسان بالانتقاض واستدعى أبا منصور سبكتكين يستمده على أبى على ويستعين به فى أحوال الدولة فبادر لذلك وكان له المقام المحمود فيه وولاه الامير نوح خراسان فدفع عنها أبا على ثم استبد بعد ذلك على بنى سامان بها ثم غلبهم على بخارا وما وراء النهر ومحا أثر دولتهم وخلفهم أحسن خلف وأورث ذلك بنيه واتصلت دولتهم فى تلك الاعمال الى أن ظهر الغز وملك الشرق والغرب بنو سلجوق منهم فغلبوهم على أمرهم وملكوا تلك الاعمال جميعا من أيديهم حسبما نذكر ذلك كله ولنبدأ الآن بسبكتكين من الجهاد فى بلاد الهند قبل ولايته خراسان ثم نأتى بأخبارهم

(فتح بست)

كانت بست هذه من أعمال سجستان وفى ولايتها ولما فسد نظام تلك الولاية بانقراض دولة بنى الصفار واخترقت تلك العمالات طوائف فانفرد ببست أمير اسمه طغان ثم غلبه عليها آخر اسمه كان يكنى بأبى ثور فاستصرخ طغان سبكتكين على مال ضمنه على الطاعة والخدمة فسار سبكتكين الى بست وفتحها وأخذ الوزير أبا الفتح على بن محمد البستى الشاعر المشهور فأحضره واستكتبه وكتب لابنه محمود من بعده ثم استخلف سبكتكين وسار الى قصدار من ورائها فملكها وقبض على صاحبها ثم أعاده الى ملكه على مال يؤديه وطاعة يبذلها له

(غزو

(غزو الهند)

ثم سار سبكتكين بعد ما فتح بست وقصد غازيا بلاد الهند وتوغل فيها حتى افتتح بلادا لم يدخلها أحد من بلاد الاسلام ولما سمع به ملك الهند سار اليه فى جيوشه وقد عبى العساكر والفيلة على عادتهم فى ذلك بالتعبية المعروفة بينهم وانتهى الى لمغان من ثغوره وتجاوزه وزحف اليه سبكتكين من غزنة فى جموع المسلمين والتقى الجمعان ونصر الله المسلمين وأسر ملك الهند وفدى نفسه على ألف ألف درهم وخمسين فيلا ورهن فى ذلك من قومه وبعث معه رجالا لقبض ذلك فغدر بهم فى طريقه وقبض عليهم فسار سبكتكين فى تعبيته الى الهند فقبض كل من لقيه من جموعهم وأثخن فيهم وفتح لمغان وهدمها وهى ثغر الهند مما يلى غزنة فاهتز لذلك جبال واحتشد وسار الى سبكتكين فكانت بينهم حرب شديدة وانهزم جبال وجموع الكفر وخمدت شوكتهم ولم يقم لملوك الهند بعدها معه قائمة ثم صرف وجهه الى اعانة سلطانه الامير نوح كما نذكر

(ولاية سبكتكين على خراسان)

قد قدمنا أن الامير نوح بن منصور لما طرقته النكبة ببخارا من الترك وملكها عليه بقراخان عبر النهر الى آمل الشط واستصرخ ابن سيجور صاحب خراسان وفائقا صاحب بلخ فلم يصرخاه وبلغه مسير بقراخان عن بخارا فأغذ السير اليها وارتجع ملكه كما كان وهلك بقراخان فثبت قدمه فى سلطانه وارتاب أبو على وفائق بأمرهم عنده وغلط فائق بالمبادرة الى بخارا للتهنئة والتقدم فى الدولة من غير اذن فى ذلك فسرح الامير نوح غلمانه ومواليه فحاربوه وملكوا البخا من يده ولحق بأبى على بن سيجور فاستظهر به على فتنة الامير نوح وذلك سنة أربع وثمانين فكتب الامير نوح عند ذلك الى سبكتكين يستدعيه للنصرة عليهما وعقد له على خراسان وأعمالها وكان فى شغل شاغل من الجهاد بالهند كما ذكرناه فبادر لذلك وسار الى نوح فلقيه واتفق معه ثم رجع الى غزنة واحتشد وسار هو وابنه محمود ولقيا الامير نوحا بخراسان فى الموضع الذى تواعد معه ولقيهم أبو على بن سيجور وفائق فهزمهما وقتل فيهم أصحاب سبكتكين واتبعوهم الى نيسابور ثم صدوهم عنها الى جرجان واستولى نوح على نيسابور واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين وأنزله بها ولقبه سيف الدولة وأنزل أباه سبكتكين بهراة ولقبه ناصر الدولة ورجع الى بخارا

(الفتنة بين سيجور وفائق بخراسان وظهور سبكتكين وابنه محمود عليهم)

ولما رجع نوح الى بخارا وطمع أبو على بن سيجور وفائق فى انتزاع خراسان من يد

سبكتكين وابنه وبادروا الى محمود بن سبكتكين بنيسابور سنة خمس وثمانين وأعجلوه عن وصول المدد اليه من ابنه سبكتكين وكان فى قلة فانهزم الى أبيه بهراة وملك ابو على نيسابور وسار اليه سبكتكين فى العساكر والتقوا بطوس فانهزم أبو على وفائق حتى انتهيا الى آمل الشط واستعطف أبو على الامير نوحا فاستدعاه وحبسه ثم بعث به الى سبكتكين وحبسه عنده ولحق فائق بملك الترك ايلك خان فى كاشغر وشفع فيه الى الامير نوح فولاه سمرقند كما مر ذلك كله فى أخبارهم وكان أبو القاسم أخو أبى على قد نزع الى سبكتكين يوم اللقاء فأقام عنده مدة مديدة ثم انتقض وزحف الى نيسابور فجاء محمود بن سبكتكين فهرب ولحق بفخر الدولة بن بويه فأقام عنده واستولى سبكتكين على خراسان

(مزاحفة سبكتكين وايلك خان)

كان ايلك خان ولى بعد بقراخان على كاشغر وساغور وعلى أمم الترك وطمع فى اعمال الامير نوح كما طمع أبوه ومديده اليها شيأ فشيأ ثم اعتزم على الزحف اليه فكتب الامير نوح الى سبكتكين بخراسان يستجيشه على ايلك خان فاحتشد وعبر النهر وأقام بين نسف وكشف حتى لحقه ابنه محمود بالحشود من كل جهة وهنالك وصله أبو على بن سيجور مقيدا بعث به اليه الامير نوح فأبى من ذلك وجمع ايلك خان أمم الترك من سائر النواحى وبعث سبكتكين الى الامير نوح يستحثه فخام عن اللقاء وبعث قواده وجميع عساكره وجعلهم لنظره وفى تصريفه فألح عليه سبكتكين وبعث أخاه بغراجق وابنه محمودا لاستحثاثه فهرب الوزير بن عزيز خوفا منهم وتفادى نوح من اللقاء فتركوه وفت ذلك فى عزم سبكتكين وبعث ايلك خان فى الصلح فبادر سبكتكين وبعث أبا القاسم ثم ارتاب به عند عبوره الى ايلك خان فحبسه مع أبى على وأصحابه حتى رجع سبكتكين من طوس الى بلخ فبلغ الخبر بقتلهم ووصل نعى مأمون بن محمد صاحب الجرجانية بخوارزم غدر به صاحب جيشه فى صنيع أعده له وقتله ووصل خبر الامير نوح اثرهما وانه هلك منتصف رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة

(أخبار سبكتكين مع فخر الدولة بن بويه)

كان أبو على بن سيجور وفائق لما هزمهما سبكتكين لحقا بجرجان عند فخر الدولة بن بويه ثم لما أجلب أبو القاسم على خراسان وسار اليه محمود بن سبكتكين وعمه بغراجق وكان معه أبو نصر بن محمود الحاجب فهربا الى فخر الدولة وأقاما فى نزله وتحت جرايه بقومس والدامغان وجرجان وأناخ سبكتكين على طوس ثم وقعت المهاداة بينه وبين فخر الدولة ابن بويه صاحب الرى وكان آخر هدية من سبكتكين جاء بها عبد الله الكاتب من

ثغابة

ثغابة ونمى الى فخر الدولة انه يتجسس عدد الجند وغوامض الطرق فبعث الى سبكتكين بالعتاب فى ذلك ثم ضعف الحال بينهما واتصل ما بين فخر الدولة والامير نوح على يد سبكتكين

(وفاة سبكتكين وولاية ابنه اسمعيل)

ولما فرغ سبكتكين من أمر ايلك خان ورجع الى بلخ وأقام بها قليلا طرقه المرض فبادر به الى غزنة وهلك فى طريقه فى شعبان سنة سبع وثمانين لعشرين سنة من ملكه فى غزنة وخراسان ودفن بغزنة وكان عادلا خيرا حسن العهد محافظا على الوفاء كثير الجهاد ولما هلك بايع الجند لابنه اسمعيل بعهده اليه وكان أصغر من محمود فأفاض فيهم العطاء وانعقد أمره بغزنة

(استيلاء محمود بن سبكتكين على ملك أبيه وظفره بأخيه اسمعيل)

ولما ولى اسمعيل بغزنة استضعفه الجند واستولوا عليه واشتطوا عليه فى الطلب حتى أنفد خزائن أبيه وكان أخوه محمود بنيسابور فبعث اليه أن يكتب له بالاعمال التى لنظره مثل بلخ فأبى وسعى أبو الحرب والى الجوزجان فى الاصلاح بينهما فامتنع اسمعيل فسار محمود الى هراة معتزما عليه وتحيز معه عمه بغراجق ثم سار الى بست وبها أخوه نصر فاستماله وساروا جميعا الى غزنة وقد كتب اليه الامراء الذين مع اسمعيل واستدعوه ووعدوه بالطاعة وأغذ السير ولقيه اسمعيل بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم اسمعيل واعتصم بقلعة غزنة واستولى محمود على الملك وحاصر أخاه اسمعيل حتى استنزله على الامان فأكرمه وأشركه فى سلطانه وذلك لسبعة أشهر من ولاية اسمعيل واستقامت الممالك لمحمود ولقب بالسلطان ولم يلقب به أحد قبله ثم سار الى بلخ

(استيلاء محمود على خراسان)

لما ولى أبو الحرث منصور بعد نوح استوزر محمد بن ابراهيم وفوض أمره الى فائق كفالة وتدبيرا لصغره وكان عبد الله بن عزيز قد هرب من بخارا عند قدوم محمد اليها فى استحثاث الامير نوح للقاء ايلك خان كما مر فلما مات الامير نوح وولى ابنه منصور أطمع عزيز أبا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابى فى قيادة الجيش بخراسان وحمله على الانحدار به الى بخارا مستغيثا بايلك خان على غرضه فنهض ايلك خان لمصاحبتهما وسار بهما كأنه يريد سمرقند ثم قبض على أبى منصور وابن عزيز وأحضر فائقا وأمره بالمسير على مقدمته الى بخارا فهرب أبو الحرث وملك فائق بخارا ورجع ايلك خان واستدعى فائق أبا الحرث فاطمأن وبعث من مكانه بكتزون الحاجب الاكبر على

خراسان واقبه بستان الدولة ورجع الى بخارا فتلقاه فائق وقام بتدبير دولته وكانت بينه وبين بكتوزون دغن فأصلح أبوالحرث بينهما وأقام بكتوزون وجبى الاموال وزحف اليه أبوالقاسم بن سيجور وكانت بينهما الفتنة التى مرذكرها وجاء محمود الى بلخ بعد فراغه من فتنة أخيه اسمعيل فبعث الى أبى الحرث منصور رسله وهداياه فعقد له على بلخ وترمذ وهراة وبست واعتذر عن نيسابور فراجعه مع ثقته أبى الحسن الحولى فاستخلصه أبوالحرث لوزارته وقعد عن رسالة صاحبه فأقبل محمود الى نيسابور وهرب عنها بكتوزون فنهض ابوالحرث الى نيسابور فخرج محمود عنها الى مروالروذ وجمع أبو الحرث وكحلة بكتوزون وبايعوا الاخيه عبدالملك بن نوح وبعث محمود الى فائق وبكتوزون بالعتاب على صنيعهما بالسلطان وزحف اليهما فبرزا من مرو للقائه ثم سألوه الابقاء فأجاب وارتحل عنهم وبعض أوباشهم فى اعقابه فرجع اليهم وحشد والناس للقائه فهزمهم وافترقوا فسار عبدالملك الى بخارا وبكتوزون الى نيسابور وكان معهم أبوالقاسم بن سيجور ولحق بقهستان واستولى محمود على خراسان وذلك سنة تسع وثمانين ثم سار الى طوس وهرب بكتوزون الى جرجان وبعث محمود ارسلان الحاجب فى أثره فأخرجه من نواحى خراسان فولى ارسلان على طوس وسار الى هراة لمطالعة أحوالها فخالفه بكتوزون الى نيسابور وملكها ورجع فطرده عنها أبوالقاسم بن سيجور وملكها وولى محمود أخاه نصر بن سبكتكين قيادة الجيوش بخراسان وأنزله بنيسابور ثم سار الى بلخ فأنزل بها سريره ثم استراب باخيه اسمعيل فاعتقله ببعض القلاع موسعا عليه وكتب بالبيعة للقادر الخليفة من بنى العباس فبعث اليه بالخلع والالوية على العادة وقام بين يديه السماطان واستوثق له ملك خراسان وبقى يردد الغزو الى الهند كل سنة

(استيلاء محمود على سجستان)

كان خلف بن أحمد صاحب سجستان فى طاعة بنى سامان ولما شغل عنه بالفتن استفحل أمره وشغل للاستبداد فلما سار سبكتكين للقاء ملك الهند كما مر اغتنم الفرصة من بست وبعث اليها عسكرا فملكوها وجبوها ولما رجع سبكتكين من الهند ظافرا تلقاه بالمعاذير والتعزية والهدايا والطاعة فقبل وأعرض عنه وارتهن عنده على طاعته وسار معه الحرث أبوعلى بن سيجور بخراسان فلأيده ويدعسكره بالعطاء وتقدمه لقتال ايلك خان بما وراء النهر كما مر فدس الى ايلك خان يغريه بسبكتكين واعتزم سبكتكين على غزو سجستان ثم أدركه الموت فاغتنم خلف الفرصة وبعث طاهرا الى قهستان وبوشنج فملكها وكاتب البغراجق أخا سبكتكين فلما فرغ محمود من شأن خراسان بعث لبغراجق عمه بانتزاع قهستان وبوشنج فسار الى طاهر فهزمه واتبعه وكر عليه طاهر فقتله

وانهزم الفريقان وزحف محمود الى خلف سنة تسعين وثلثمائة فامتنع فى أحصن بلد وهى قلعة عالية منيعة وحاصره بها حتى لاذ بالطاعة وبذل مائة ألف دينار فافرج عنه وسار الى الهند فتوغل فيها وانتهى فى اثنى عشر ألف فارس وثلاثين ألف راجل فاختار محمود من عساكره خمسة عشر ألفا وسار لقتال جيبال فهزمه وأسره فى بنيه وحفدته وكثير من قرابته ووجد فى سلبه مقلد من فصوص يساوى مائة ألف دينار وأمثال ذلك على أصحابه وكان الاسرى والسبى خمسمائة ألف رأس وذلك سنة ثنتين وتسعين وفتح من بلاد الهند بلادا أوسع من بلاد خراسان ثم فادى جيبال ملك الهند نفسه بخمسين رأسا من الفيلة ارتهن فيها ابنه وحافده وخرج الى بلده فبعث الى ابنه اندبال وشاهينة وراء سيجور فأعطوه تلك الفيلة وسار لا يعود له ملك وسار السلطان محمود الى ويهند فحاصرها وافتتحها وبعث العساكر لتدويخ نواحيها فأثخنوا فى القتل فى أوباش كانوا مجتمعين للفساد مستترين بخمر الغياض فاستلحموهم ورجع السلطان محمود الى غزنة وكان خلف بن أحمد عند منصرف السلطان عنه أظهر النسك وولى ابنه طاهرا على سجستان فلما طالت غيبة السلطان أراد الرجوع الى ملكه فلم يمكنه ابنه فتمارض وبعث اليه بالحضور للوصية والاطلاع على خبايا الذخيرة فلما حضر اعتقله ثم قتله كما مر وبلغت ضمائر قواده اذلك وخافوه وبعثوا للسلطان محمود بطاعتهم ما بقيت له الدعوة فى سجستان سنة ثلاث وتسعين وسار السلطان محمود الى خلف فامتنع منه فى معقله بحصن الطاق وهو فى رأس شاهق تحيط به سبعة أسوار عالية ويحيط به خندق بعيد المهوى وطريقه واحدة على جسر فخيم عليه أشهرا ثم فرض على أهل العسكر قطع الشجر التى تليه وطم بها الخندق وزحف اليه وقدم الفيول بين يديه على تعبيتها الخطم الفيل الاعظم على باب الحصن فقلعه ورمى به وفشا القتل فى أصحاب خلف وتماسكوا داخل الباب يتناضلون باحجار المجانيق والسهام والحراب فرأى خلف هول المطلع فأناب واستأمن وخرج الى السلطان وأعطاه كثيرا من الذخيرة فرفع من قدره وخيره فى مقاماته فاختار الجوزجان فأذن له فى المسير اليها على ما بينه وبين ايلك خان من المداخلة ثم هلك خلف سنة تسع وتسعين وأبقى السلطان على ولده عمرو وكان خلف كثير الغاشية من الوافدين والعلماء وكان محسنا اليهم ألف تفسيرا جمع له العلماء من أهل ايالته وأنفق عليهم عشرين ألف دينار ووضعه فى مدرسة الصابونى بنيسابور ونسخه يستغرق عمر الكاتب الا أن يستغرق فى النسخ واستخلف السلطان على سجستان أحمد الفتحى من قواد أبيه ورجع الى غزنة ثم بلغه انتقاض أحمد بسجستان فسار اليهم فى عشرة آلاف ومعه أخوه صاحب الجيش أبى المظفر نصر والتونتاش الحاجب وزعيم

العرب أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطائى فحاصرهم وفتحها ثانية وولى عليها أخاه صاحب الجيش نصر بن سبكتكين مضافة الى نيسابور فاستخلف عليها وزيره أبا منصور نصر بن اسحق وعاد السلطان محمود الى بلخ مضمرا غزو الهند هكذا مساق خبر السلطان محمود مع خلف بن أحمد وخبر سجستان عند العينى وأما عند ابن الاثير فعلى ما وقع فى أخبار دولة بنى الصفار

(غزوة بهاطية والملتان وكوكبر)

ولما فرغ السلطان محمود من سجستان اعتزم على غزو بهاطية من أعمال الهند وهى وراء الملتان مدينة حصينة عليها انطاق من الاسوار وآخر من الخنادق بعيدة المهوى وكانت مشحونة بالمقاتلة والعدة واسم صاحبها بجير فعبر السلطان اليها جيحون وبرز اليه بجير فاقتتلوا بظاهر بهاطية ثلاثة أيام ثم انهزم بجير وأصحابه فى الرابع وتبعهم المسلمون الى باب البلد فلكوه عليهم وأخذتهم السيوف من أمامهم ومن ورائهم فبلغ القتل والسبى والسلب والنهب فيهم مبالغه وسار بجير فى رؤس الجبال فستر فى شعابها وبعث السلطان سرية فى طلبه فأحاطوا به وقتلوا من أصحابه ولما أيقن بالهلكة قتل نفسه بخنجر معه وأقام السلطان محمود فى بهاطية حتى أصلح أمورها واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الاسلام ورجع الى غزنة فلقى فى طريقه شدة من الامطار فى الوحل وزيادة المدد فى الانهار وغرق كثير من عسكره ثم بلغه عن أبى الفتوح والى الملتان انه ملحد وأنه يدعو أهل ولايته الى مذهبه فاعتزم على جهاده وسار كذلك ومنعه سيحور من العبور لكثرة المدد فبعث السلطان الى اندبال ملك الهند فى أن يبيح له العبور الى بلاده لغزو الملتان فأبى فبدأ بجهاده وسار فى بلاده ودوخها وفر اندبال بين يديه وهو فى طلبه الى أن بلغ قشمير ونقل أبو الفتوح أمواله على الفيول الى سرنديب وترك الملتان فقصدها السلطان وامتنع أهلها فحاصرهم حتى افتتحها عنوة وأغرمهم عشرين ألف ألف درهم عقوبة لهم على عصيانهم ثم سار الى كوكبر واسم صاحبها بيدا وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق أصنامها وهرب صاحبها الى قلعته وهى كالبحار وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف انسان وفيه خمسمائة وعشرون ألف راية وهو مشحون بالاقوات والمسالك اليه متعذرة بخمر الشجر وملتف الغياض فأمر بقطع الاشجار حتى اتضحت المسالك واعترضه دون الحصن واد بعيد المهوى فطم منه عشرين ذراعا بالاجربة المحشوة بالتراب وصيره جسرا ومضى منه الى القلعة وحاصرها ثلاثة وأربعين يوما حتى جنح صاحبها الى السلم وبلغ السلطان أن ايلك خان مجمع غزو خراسان فصالح ملك الهند على خمسين فيلا وثلاثة آلاف من الفضة وخلع عليه السلطان فلبس خلعته

وشد منطقته ثم قطع خلعته وأنفذها الى السلطان وتبعه بما عقد معه وعاد السلطان الى خراسان بعد ان كان عازما على التوغل فى بلاد الهند

(مسير ايلك خان الى خراسان وهزيمته)

كان السلطان محمود لما ملك ايلك خان بخارا كامره وكتب اليه مهنيا وتردد السفراء بينهما فى الوصلة وأوفد عليه سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكى امام الحديث ومعه طغان جق والى سرخس فى خطبة كريمته بهدية فاخرة من سبائك العقيان واليواقيت والدر والمرجان والوشى والحروصوانى الذهب مملوأة بالعنبر والكافور والعود والنصول وأمامه الفيول تحت الخروج المغشاة فقوبلت الهدية بالقبول والوافد بالتعظيم له ولمن أرسله وزفت المخطوبة بالهدايا والالطاف واتحدت الحال بين السلطانين ولم يزل السعاة يغرون ما بينهما حتى فسد ما بينهما فلما سار السلطان محمود الى الملتان اغتنم ايلك خان الفرصة وبعث سباسى تكين قريبه وقائد جيشه الى خراسان وبعث معه أخاه جعفر تكين وذلك سنة تسعين فملك بلخا وأنزل بها جعفر تكين وكان ارسلان الحاجب بهراة أنزله السلطان بها وأمره اذا دهمه أن ينحاز الى غزنة وقصد سباسى هراة وسكنها وندب الحسين بن نصر الى نيسابور فملكها ورتب العمال واستخرج الاموال وطار الخبر الى السلطان بالهند وقصد بلخ فهرب جعفر تكين الى ترمذ واستقر السلطان ببلخ وسرح ارسلان الحاجب فى عشرة آلاف من العساكر الى سباسى تكين بهراة فسار سباسى الى مرو واعترضه التركمان وقاتلهم فهزمهم وأثخن فيهم ثم سار الى أبيورد ثم الى نسا وارسلان فى اتباعه حتى انتهى الى جرجان فصد عنها وركب قلل الجبال والغياض وتسلط الاكراد كافة على اثقاله ورجاله واستأمن طوائف من أصحابه الى قابوس لعدم الظهر ثم عاد الى نسا وأصدر ما معه الى خوارزم شاه أبى الحسن على بن مأمون وديعة لايلك خان واقتحم المفازة الى مرو فسار السلطان لاعتراضه ورماه محمد بن سبع بمائة من القواد حملوا الى غزنة ونجا سباسى تكين فى فل من أصحابه فعبر النهر الى ايلك خان وقد كان ايلك خان بعث أخاه جعفر تكين فى ستة آلاف راجل الى بلخ ليفتر من عزيمة السلطان عن قصد سباسى تكين فلم يفتر ذلك من عزمه حتى أخرج سباسى من خراسان ثم قصدهم فانهزموا أمامه وتبعهم أخوه نصر بن سبكتكين صاحب جيش خراسان الى ساحل جيحون فقطع دابرهم ولما بلغ الخبر الى ايلك خان قام فى ركائبه وبعث بالصريخ الى ملك الختل وهو قدرخان بن بقراخان لقرابة بينهما وصهر فجاءه بنفسه ونفر معه واستجاش أحياء الترك ودهاقين ما وراء النهر وعبر النهر فى خمسين ألفا وانتهى الى السلطان خبره وهو

بطخارستان فقدم الى بلخ واستعد للحرب واستنفر جموع الترك والخند والخلجية والافقانية والغز بويه وعسكر على أربعة فراسخ من بلخ وتزاحفوا على التعبية فجعل السلطان فى القلب أخاه نصرا صاحب الجيش بخراسان وأبا نصر بن أحمد الفريغونى صاحب الجوزجان وأبا عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطائى فى كماة الاكراد والعرب والهنود وفى الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد التمرتاشى وفى الميسرة ارسلان الحاجب وحصن الصفوف بخمسمائة من الفيلة وجعل ايلك خان على ميمنته قدرخان ملك الختل وعلى ميسرته أخاه جعفر تكين وهو فى القلب وطالت الحرب واستمات الفريقان ونزل السلطان وعفر خده بالارض متضرعا ثم ركب وحمل فى فيلته على القلب فازاله عن مكانه وانهزم الترك واتبعوهم يقتلون ويأسرون الى أن عبروا بهم النهر وأكثر الشعراء تهنئة السلطان بهذا الفتح وذلك سنة سبع وتسعين ولما فرغ السلطان من هذه الحرب سار للهند للايقاع بنواسه شاه أحد أولاد الملوك كان أسلم على يده واستخلفه على بعض المعاقل التى افتتحها فارتد ونبذ الاسلام فأغذ السير اليه ففر أمامه واحتوى على المعاقل التى كانت فى يده من أصحابه وانقلب الى غزنة ظافرا وذلك سنة سبع وتسعين

(فتح بهيم نقرا)

ثم سار السلطان سنة ثمان وتسعين فى ربيع منها غازيا الى الهند فانتهى الى سبط ويهند فلقيه هنالك بن هزبال ملك الهند فى جيوش لا تحصى فصدقهم السلطان القتال فهزمهم واتبعهم الى قلعة بهيم نقرا وهى حصن على حصن عالية اتخذها أهل الهند خزانة للصنم ويودعون به أنواع الذخائر والجواهر التى يتقرب بها للصنم فدافع عنه خزنته أياما ثم استأمنوا وأمكنوا السلطان من القلعة فبعث عليه أبا نصر الفريغونى وحاجبه الكبير ابن التمرتاش وواسع تكين وكلفهما بنقل ما فى الخزائن فكان مبلغ المنقول من الوزن سبعين ألف ألف شاهية ومن الذهبيات والفضيات موزونة والديباج السوسى ما لا عهد بمثله ووجد فى جملتها بيت من الفضة الخالصة طوله ثلاثون ذراعا فى خمسة عشر صفائح مضروبة ومعالق للطى والنشر وشراع من ديباج طوله أربعون ذراعا فى عرض عشرين بقائمتين من ذهب وقائمتين من فضة فوكلهما بحفظ ذلك ومضوا الى غزنة فأمر بساحة داره ففرشت تلك الجواهر واجتمعت وفود الاطراف لمشاهدتها وفيهم رسول طغان أخى ايلك خان

(خبر الفريغون واستيلاء السلطان على الجوزجان)

وكان بنو فريغون هؤلاء ولاة على الجوزجان أيام بنى سامان يتوارثونها وكان لهم شهرة

مكارم وكان أبو الحرث أحمد بن محمد غرتهم وكان سبكتكين خطب كريمته لابنه محمود وأنكح كريمته أخت محمود لابنه أبى نصر فالتحم بينهما وهلك أبو الحرث فأقر السلطان محمود ابنه أبا نصر على ولايته الى أن مات سنة احدى وأربعمائة وكان أبو الفضل أحمد ابن الحسين الهمذانى المعروف بالبديع يؤلف له التآليف ويجعلها باسمه ونال عنده بذلك فوق ما أمل

(غزوة بارين)

ثم سار السلطان محمود على رأس المائة الرابعة لغزو بلاد الهند فدوخها واستباحها وأوقع بملكها ورجع الى غزنة فبعث اليه ملك الهند فى الصلح على جزية مفروضة وعسكر مقرر عليه وعلى تعجيل مال عظيم وهدية فيها خمسون فيلا وتقرر الصلح بينهما على ذلك

(غزوة الغور وقصران)

بلاد الغور هذه تجاور بلاد غزنة وكانوا يفسدون السابلة ويمتنعون بجبالهم وهى وعرة ضيقة وأقاموا على ذلك متمردين على كفرهم وفسادهم فامتعض السلطان محمود وسار لحسم عللهم سنة احدى وأربعمائة وفى مقدمته الترنتاش الحاجب والى هراة وأرسلان الحاجب والى طوس وانتهوا الى مضيق الجبل وقد شحنوه بالمقاتلة فنازلتهم الحرب ودهمهم السلطان فارتدوا على أعقابهم ودخل عليهم لبلادهم وملكها ودخل حصنا فى عشرة آلاف واستطردلهم السلطان الى فسيح من الارض ثم كر عليهم فهزمهم وأثخن فيهم وأسر ابن سورى وقرابته وخواصه وملك قلعتهم وغنم جميع أموالهم وكانت لا يعبر عنها وأسف ابن سورى على نفسه فتناول سما كان معه ومات ثم سار السلطان سنة ثنتين وأربعمائة لغزو قصران وكان صاحبها يحمل ضمانه كل سنة فقطع الحمل وامتنع بموالاة ايلك خان وسار اليه فبادر باللقاء وتنصل واعتذر وأهدى عشرين فيلا وألزمه السلطان خمسة عشر ألف درهم ووكل بقبضها ورجع الى غزنة

(خبر اليشار واستيلاء السلطان على غرشتان)

كان اسم اليشار عند الاعاجم لقبا على ملك غرشتان كما أن كسرى على ملك الفرس وقيصر على ملك الروم ومعناه الملك الجليل وكان اليشار أبو نصر محمد بن اسمعيل بن أسد ملكها الى ان بلغ ولده محمد سن النجابة فغلب على أبيه وانقطع أبو نصر للنظر فى العلوم لشغفه بها وصاحب خراسان يومئذ أبو على بن سيجور ولما انتقض على الرضى نوح خطبهم لطاعته وولايته فابوا من ذلك لانتقاضه على سلطانه فبعث العساكر اليهم

وحاصرهم زمانا ثم نهض سبكتكين الى أبى على بن سيمجور وانضاف البشار الى سبكتكين فى تلك الفتنة كلها فلما ملك السلطان محمود خراسان وأذعن له ولاة الاطراف والاعمال بعث اليهم فى الخطبة فأجابوه ثم استنفر محمد بن أبى نصر فى بعض غزواته فقعد عن النفير فلما رجع السلطان من غزوته بعث حاجبه الكبير أباسعيد الترنتاش فى العساكر وأردفه بارسلان الحاجب والى طوس لمناهضة البشار ملك غرشستان واستصحبا معهما أبا الحسن المنيعى الزعيم بمرو الروذ لعلمه بمخادع تلك البلاد فأما أبو نصر فاستأمن الى الحاجب وجاء به الى هراة مرفها محتاطا عليه وأما ابنه محمد فتحصن بالقلعة التى بناها أيام ابن سيمجور فحاصروها طويلا واقتحموها عنوة وأخذ أسيرا فبعث به الى غزنة واستصفيت أمواله وصودرت حاشيته واستخلف الحاجب على الحصن ورجع الى غزنة فامتحن الولد بالسياط واعتقله مرفها واستقدم أباه أبانصر من هراة فأقام عنده فى كرامة الى ان هلك سنة ست وأربعمائة

(وفاة ايلك خان وصلح أخيه طغان خان مع السلطان)

كان ايلك خان بعد هزيمته بخراسان يواصل الاسف وكان أخوه طغان يكبر عليه على فعلته وينقضه العهد مع السلطان وبعث الى السلطان يتبرأ ويعتذر فنافره ايلك خان بسبب ذلك وزحف اليه ثم تصالحا ثم هلك ايلك خان سنة ثلاث وأربعمائة وولى مكانه أخوه طغان خان فراسل السلطان محمود وصالحه وقال له اشتغل أنت بغزو الهند وأنا بغزو الترك فأجابه الى ذلك وانقطعت الفتنة بينهما وصلحت الاحوال ثم خرجت طوائف الترك من جانب الصين فى مائة ألف خركاة وقصدوا بلاد طغان فهال المسلمين أمرهم فاستنفر طغان من الترك أزيد من مائة ألف واستقبل جموع الكفرة فهزمهم وقتل نحوا من مائة ألف وأسر مثلها ورجع الباقون منهزمين وهلك طغان اثر ذلك وملك بعده أخوه ارسلان خان سنة ثمان وأربعمائة وخلص ما بينه وبين السلطان محمود وخطب بعض كرائمه للسلطان مسعود ولده فأجابه وعقد السلطان لابنه على هراة فسار اليها سنة ثمان وأربعمائة

(فتح بادين)

ثم سار السلطان سنة ثمان وأربعمائة عند ما فصل الشتاء غازيا الى الهند وتوغل فيها مسيرة شهرين وامتنع عظيم الهند فى جبل صعب المرتقى ومنع القتال واستدعى الهنود وملك عليهم الفيلة وفتح الله بادين وكثرت الاسرى والغنائم ووجد به فى بيت البدجى حجر منقوش قال التراجمة كتابته انه مبنى منذ أربعين ألف سنة ثم عاد الى غزنة وبعث

الى

الى القادر يطلب عهد خراسان وما بيده من الممالك

(غزوة تنيشرة)

كان صاحب تنيشرة غاليا فى الكفر والطغيان وانتهى الخبر الى السلطان فى ناحيته من الفيلة فيلة من الفيلمان الموصوفة فى الحروب فاعتزم السلطان على غزوه وسار اليه فى مسالك صعبة وعرة بين أودية وقفارات حتى انتهى الى نهر طام قليل المخاضة وقد استندوا من ورائه الى سفح جبل فسرب اليهم جماعة من الكماة خاضوا النهر وشغلوهم بالقتال حتى تعدت بقية العسكر ثم قاتلوهم وانهزموا واستباحهم المسلمون وعادوا الى غزنة ظافرين ظاهرين ثم غزا السلطان على عادته فضل الادلاء طريقهم فوقع السلطان فى مخاضات من المياه غرق فيها كثير من العسكر وخاض الماء بنفسه أياما حتى تخلص ورجع الى خراسان

(استيلاء السلطان على خوارزم)

كان مأمون بن محمد صاحب الجرجانية من خوارزم وكان مخلصا فى طاعة الرضى نوح أيام مقامه فى آمد كما مر فأضاف نسا الى عمله فلم يقبلها المودة بينه وبين أبى على ابن سيمجور وكان من خبره مع ابن سيمجور واستنقاذه اياه من أسر خوارزم شاه سنة ست وثمانين ما مر ذكره وصارت خوارزم كلها له ثم هلك وملك مكانه أبو الحسن على ثم هلك وملك مكانه ابنه مأمون وخطب الى السلطان محمود بعض كرائمه فزوجه اخته واتحد الحال بينهما الى ان هلك وولى مكانه أبو العباس مأمون ونكح اخته كما نكحها أخوه من قبله ثم دعاه الى الدخول فى طاعته والخطبة له كما دعا الناس فمنعه أصحابه وأتباعه وتوجس الخيفة من السلطان فى ذلك فرجعوا الى الفتك به فقتلوه وبايعوا ابنه داود وازداد خوفهم من السلطان فى ذلك فتعاهدوا على الامتناع ومقدمهم التكين البخارى وسار اليهم السلطان فى العساكر حتى أناخ عليهم فبيتوا محمد بن ابراهيم الطائى وكان فى مقدمة السلطان فقاتلهم الى ان وصل السلطان فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وركب التكين السفن ناجيا فغدره الملاحون وجاؤا به الى السلطان فقتله فى جماعة من القواد الذين قتلوا مأمونا على قبره وبعث بالباقين الى غزنة فأخرجوا فى البعوث الى الهند وأنزلوا هنالك فى حامية الثغور وأجريت لهم الارزاق واستخلف على خوارزم الحاجب الترنتاش ورجع الى بلاده

(فتح قشمير وقنوج)

ولما فرغ السلطان من أمر خوارزم وانضافت الى مملكته عدل الى بست وأصلح

أحوالها ورجع الى غزنة ثم اعتزم على غزو الهند سنة تسع وأربعمائة وكان قد دوخ بلادها كلها ولم يبق عليه الا قشمير ومن دونها الفيافى والمصاعب فاستنفر الناس من جميع الجهات من المرتزقة والمتطوعة وسار تسعين مرحلة وعبر نهر جيحون وجيلم وخيالاهو وامراوه وبث عساكره فى أودية لا يعبر عن شدة جريها وبعد أعماقها وانتهى الى قشمير وكانت ملوك الهند فى تلك الممالك تبعث اليه بالخدمة والطاعة وجاءه صاحب درب قشمير وهو جنكى بن شاهى وشهى فأقر بالطاعة وضمن دلالة الطريق وسار أمام العسكر الى حصن مأمون لعشرين من رجب وهو خلال ذلك يفتح القلاع الى أن دخل فى ولاية هردت أحد ملوك الهند فجاء طائعا مسلما ثم سار السلطان الى قلعة كلنجد من أعيان ملوكهم فبرز للقائه وانهزم واعترضهم انهار عميقة سقطوا فيها وهلكوا قتلا وغرقا يقال هلك منهم خمسون ألفا وغنم السلطان منهم مائة فيل وخمسة الى غير ذلك مما جل عن الوصف ثم عطف الى سقط التقيذ وهو بيت مبنى بالصخور الصم يشرع منها بابان الى الماء المحيط موضوعا بنيته فوق التلال وعن جنبتيه ألف قصر مشتملة على بيوت الاصنام وفى صدر البلد بيت أصنام منها خمسة من الذهب الاحمر مضروبة على خمسة أذرع فى الهواء قد جعلت عينا كل واحدة منهما ياقوتتان تساويان خمسين ألف دينار وعين الآخر قطعة ياقوت أزرق تزن أربعمائة وخمسين مثقالا وفى وزن قدمى الصنم الواحد أربعة آلاف وأربعمائة مثقال وجملة ما فى الاشخاص من الذهب ثمانية وتسعون ألف مثقال وزادت شخوص الفضة على شخوص الذهب فى الوزن فهدمت تلك الاصنام كلها وخربت وسار السلطان طالبا قنوج وخرب سائر القلاع فى طريقه ووصل اليها فى شعبان سنة تسع وقد فارقها نروجبال حين سمع بقدومه وعبر نهر كنك الذى تغرق الهنود فيه أنفسهم ويذرون فيه رمادا لمحرقين منهم وكان أهل الهند واثقين بقنوج وهى سبع قلاع موضوعة على ذلك الماء فيها عشرة آلاف بيت للاصنام تزعم الهنود أن تاريخها منذ مائتى ألف سنة أو ثلثمائة ألف سنة وانها لم تزل متعبدا لهم فلما وصلها السلطان ألفاها خالية قد هرب أهلها ففتحها كلها فى يوم واحد واستباحها أهل عسكره ثم أخذ فى السير منها الى قلعة لنج وتعرف بقلعة البراهمة فقاتلوا ساعة ثم تساقطوا من أعاليها على سنا الرماح وظباء الصفاح ثم سار الى قلعة اسا وملكها جندبال فهرب وتركها وأمر السلطان بتخريبها ثم عطف على جندراى من أكابر الهنود فى قلعة منيعة وكان جيبال ملك الهند من قبل ذلك يطلبه للطاعة والالفة فيمتنع عليه ولحق جيبال بنهر وجد أحد المغرورين بحصانة المعقل فنجا بنفسه ورام جندراى المدافعة وثوقا بامتناع قلعته ثم تنصح له بهيمبال ومنعه من ذلك

فهرب

فهرب اليه أمواله وأنصاره الى جبال وراء القلعة وافتتحها السلطان وحصل منها على غنائم وسار فى أتباع جندراى وأثخن فيهم قتلا ونهبا وغنم منهم أموالا وفيولا وبلغت الغنائم ثلاثة آلاف ألف درهم ذهبا وفضة ويواقيت والسبى كثير وبيع بدرهمين الى عشرة وكانت الفيول تسمى عندهم جنداى داد ثم قضى السلطان جهاده ورجع الى غزنة فابتنى مسجدها الجامع وجلب اليه جذوع الرخام من الهند وفرشه بالمرمر وأعالى جدرانه بالاصباغ وصباب الذهب المفرغة من تلك الاصنام واحتضر بناء المسجد بنفسه نقل اليه الرخام من نيسابور وجعل أمام البيت مقصورة تسع ثلاثة آلاف غلام وبنى بازاء المسجد مدرسة احتوت فيها الكتب من علوم الاولين والآخرين وأجريت بها الارزاق واختصت لنفسه يفضى منه اليه فى أمن من العيون وامر القواد والحجاب وسائر الخدام فبنوا بجانب المسجد من الدور ما لا يحصى وكانت غزنة تحتوى على مربط ألف فيل يحتاج كل واحد منها السياسة ومائدته خطة واسعة

(غزوة الافقانية)

لما رجع السلطان الى غزنة راسل بيدو والى قنوج واسمه راجبان بدلحه وطال بينهما العتاب وآل الى القتال فقتل والى قنوج واستلحمت جنوده وطغى بيدو وغلب على الملوك الذين معه وصاروا فى جملته ووعدهم برد ما غلبهم عليه السلطان محمود ونمى الخبر بذلك اليه فامتعض وسار الى بيدو فغلبه على ملكه وكان ابتداؤه فى طريقه بالافقانية طوائف من كفار الهند معتصمون بقلل الجبال ويفسدون السابلة فسار فى بلادهم ودوخها وعبر نهر كنك وهو واد عميق واذا جيبال من ورائه فعبر اليه على عسر العبور فانهزم جيبال وأسر كثير من أصحابه وخلص جريحا واستأمن الى السلطان فلم يؤمنه الا أن يسلم فسار ليلحق ببيدو فغدر به بعض الهنود وقتله فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم الى السلطان فى الطاعة على الاتاوة وسار الى مدينة بارى من أحصن بلاد الهند فألفاها خالية فأمر بتخريبها وعشر قلاع مجاورة لها وقتل من أهلها خلقا وسار فى طلب بيدو وقد تحصن بنهر أداره ماءه عليه من جميع جوانبه ومعه ستة وخمسون ألف فارس وثمانون ألف راجل وسبعمائة وخمسون فيلا فقاتلهم هنالك يوما وحجز بينهم الليل فأجفل بيدو وأصبحت دياره بلاقع وترك خزائن الاموال والسلاح فغنمها المسلمون وتتبعوا آثارهم فوجدوهم فى الغياض والآكام فأكثروا فيهم القتل والاسر ونجا بيدو بذماء نفسه ورجع السلطان الى غزنة ظافرا

(فتح سومنات)

كان للهند صنم يسمونه سومنات وهو أعظم أصنامهم فى حصن حصين على ساحل البحر بحيث تلتقفه أمواجه والصنم مبنى فى بيته على ستة وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص وهو من حجر طوله خمسة أذرع منها ذراعان غائصان فى البناء وليس له صورة مشخصة والبيت مظلم يضىء بقناديل الجوهر الفائق وعنده سلسلة ذهب بجرس وزنها مائتا من تحرك بأدوار معلومة من الليل فيقوم عباد البرهميين لعبادتهم بصوت الجرس وعنده خزانة فيها عدد كثير من الاصنام ذهبا وفضة عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار وكانوا يحجون الى هذا الصنم ليلة خسوف القمر فتجتمع اليه عوالم لا تحصى وتزعم الهنود أن الارواح بعد المفارقة تجتمع اليه فينشئها فيمن شاء بناء على التناسخ والمدّ والجذر عندهم هو عبادة البحر وكانوا يقرّبون اليه كل نفيس وذخائرهم كلها عنده ويعطون سدنته الاموال الجليلة وكان له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة وكان نهرهم المسمى كنك الذى يزعمون أن مصبه فى الجنة ويلقون فيه عظام الموتى من كبرائهم وبينه وبين سومنات مائتا فرسخ وكان يحمل من مائه كل يوم لغسل هذا الصنم وكان يقوم عند الصنم من عباد البرهميين ألف رجل فى كل يوم للعبادة وثلثمائة لحلق رؤس الزوّار ولحاهم وثلثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون ولهم على ذلك الجرايات الوافرة وكان كلما فتح محمود بن سبكتكين من الهند فتحا أو كسر صنما يقول أهل الهند ان سومنات ساخط عليهم ولو كان راضيا عنهم لاهلك محمودا دونه فاعتزم محمود بن سبكتكين الى غزوه وتكذيب دعاويهم فى شأنه فسار من غزنة فى شعبان سنة ست عشرة فى ثلاثين ألف فارس سوى المتطوّعة وقطع القفر الى الملتان وتزوّد له من القوت والماء قدر الكفاية وزيادة عشرين ألف حمل وخرج من المفازة الى حصون مشحونة بالرجال قد غوّروا آبارهم مخافة الحصار فقذف الله الرعب فى قلوبهم وفتحها وقتل سكانها وكسر أصنامها واستقى منها الماء وسار الى انهلوارن وأجفل عنها صاحبها بهيم وسار الى بعض حصونه وملك السلطان المدينة ومرّ الى سومنات ووجد فى طريقه حصونا كثيرة فيها أصنام وضعوها كالنقباء والخدمة لسومنات ففتحها وخرّبها وكسر الاصنام ثم سار فى قفر معطش واجتمع من سكانه عشرون ألفا لدفاعه فقاتلهم سراياه وغنموا أموالهم وانتهوا الى دبلواه على مرحلتين من سومنات فاستولى عليها وقتل رجالها ووصل الى سومنات منتصف ذى القعدة فوجد أهلها محتفين فى أسوارهم وأعلنوا بكلمة الاسلام فوقها فاشتد القتال حتى حجز بينهم الليل ثم أصبحوا الى القتال وأثخنوا فى الهنود وكانوا يدخلون الى الصنم فيعتنقونه ويبكون ويتضرّعون اليه ويرجعون الى القتال ثم انهزموا بعد

أن أفناهم القتل وركب فلهم السفن فأدركوا واقتسموا بين النهب والقتل والغرق وقتل منهم نحو من خمسين ألفا واستولى السلطان على جميع ما فى البيت ثم بلغه أن بهيم صاحب انهلوارن اعتصم بقلعة له تسمى كندهة فى جزيرة على أربعين فرسخا من البر فرام خوض البحر اليها ثم رجع عنها وقصد المنصورة وكان صاحبها ارتد عن الاسلام ففارقها وتسرّب فى غياض هنالك فأحاطت عساكر السلطان بها وتتبعوهم بالقتل فأفنوهم ثم سار الى بهاطية فدان أهلها بالطاعة ورجع الى غزنة فى صفر سنة سبع عشرة

(دخول قابوس صاحب جرجان وطبرستان فى ولاية السلطان محمود)

قد قدمنا وفادة قابوس على الامير نوح بن منصور بن سامان وعامله بخراسان أبى العباس تاش مستصرخا على بنى بويه عندما ملكوا طبرستان وجرجان من يده سنة احدى وسبعين وأقام بخراسان ثمانى عشرة سنة وهم يعدونه بالنصرة والمدد حتى يئس منهم ولما جاء سبكتكين وعده بمثل ذلك ثم شغله شغل بنى سيجور ثم وعده السلطان محمود وشغلته فتنة أخيه واستولى أبو القاسم بن سيجور على جرجان بعد مهلك فخر الدولة بن بويه ثم أمر من بخارا بالمسير الى خراسان فسار الى اسفراين واستمدّ قابوس رجال الديلم والجيل فأمدّوه وظاهروه على أمره حتى غلب على طبرستان وجرجان وملكها كما نذكر فى أخبار الديلم والجيل وكان نصر بن الحسن بن الفيرزان وهو ابن عم ما كان ابن كالى ينازعه فيهما فآل الحال بنصر الى أن اعتقله بنو بويه بالرى واستقل قابوس بولاية جرجان وطبرستان وديار الديلم كلها من ممالك محمود

(استيلاء السلطان محمود على الرى والجبل)

كان مجد الدولة بن فخر الدولة صاحب الرى وكان قد ضعف أمره وأدبرت دولته وكان يتشاغل بالنساء والكتاب نسخا ومطالعة وكانت أمه تدبر ملكه فلما توفيت انتقضت أحواله وطمع فيه جنده وكتب الى محمود يشكو ذلك ويستدعى نصرته فبعث اليه جيشا عليهم حاجبه وأمره أن يقبض على مجد الدولة فقبض عليه وعلى ابنه أبى دلف عند وصوله وطير بالخبر الى السلطان فسار فى ربيع من سنة عشرين ودخل الرى وأخذ أموال مجد الدولة وكانت ألف ألف دينار ومن الجوارى قيمة خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ستة آلاف ثوب ومن الآلات ما لا يحصى ووجد له خمسين زوجة ولدن نيفا وثلاثين ولدا فسئل عن ذلك فقال هذه عادة وأحضر مجد الدولة وعنفه وعرض له بتسفيه رأيه فى الانتصار عن جنده بمنه وبعثه الى خراسان فحبس بها ثم ملك السلطان قزوين وقلاعها ومدينة ساوه وآوه وصلب أصحاب مجد الدولة من الباطنية

ونفى المعتزلة الى خراسان وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجوم وأخذ مما سوى ذلك من الكتب مائة حمل وتحصن منه منوجهر بن قابوس ملك الجيل بالجبال الوعرة فقصده فيها ولم تصعب عليه فهرب منوجهر وتحصن بالغياض وبعث له بخمسمائة ألف دينار استصلاحا فقبلها ورجع عنه الى نيسابور وتوفي منوجهر عقب ذلك وولى بعده ابنه أنوشروان فأقره السلطان على ولايته وقرر عليه خمسمائة ألف دينار ضريبة وخطب للسلطان محمود في بلاد الجيل الى أرمينية وافتتح ابنه مسعود زنجان وأبهر من يد ابراهيم السلار بن المرزبان من عقب شوذان بن محمد بن مسافر الديلمي وجميع قلاعه ولم يبق بيده الا شهرزان قرر عليه فيها ضريبة كما يأتي في أخبار الديلم ثم أطاعه علاء الدولة بن كاكويه بأصفهان وخطب له وعاد السلطان الى خراسان واستخلف بالري ابنه مسعودا فقصد أصفهان وملكها من علاء الدولة واستخلف مسعود عليها بعض أصحابه وعاد عنها فثار أهلها بعامله وقتلوه فرجع اليهم واستباحهم ثم عاد الى الري فأقام بها

(استيلاء السلطان محمود على بخارا ثم عوده عنها)

كان ايلك خان ملك الترك وصاحب تركستان لما ملك بخارا من يد بني سامان سنة تسعين وثلثمائة ولى عليها ورجع الى بلاده كما مر وكان الغز أحياء بادية بضواحي بخارا وزعيمهم أرسلان بن سلجوق عم السلطان طغرلبك وكان بينه وبين ايلك خان وأخيه بقراخان حروب وفتن بسبب استظهار بني سامان بهم فلما ملك ايلك خان بخارا عرف لارسلان بن سلجوق حقه ورفع محله وهو مع ذلك مستوحش وكان علي تكين أخو ايلك خان وحبس أرسلان ولحق ببخارا فاستولى عليها وطلب موالاة أرسلان بن سلجوق فوالاه واستفحل أمرهما ونهض اليهما ايلك خان وقاتلهما فهزماه واستوثق أمر تكين في بخارا وكان يسيء جوار السلطان محمود بن سبكتكين في أعماله ويعترض رسله المترددين الى ملوك الترك فأحفظ ذلك السلطان وأجمع المسير اليه فنهض من بلخ سنة عشرين وأربعمائة وعبر النهر وقصد بخارا فهرب منها علي تكين ولحق بايلك خان ودخل السلطان بخارا وملك سائر أعمالها وأخذ الجزية من سمرقند وأجفلت أحياء الغز وارسلان بن سلجوق وتلطف في استدعائه فلما حضر عنده تقبض عليه وبعثه الى بعض قلاع الهند وحبسه بها وسار الى أحياء الغز فنهبهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا ورجع الى خراسان

(خبر السلطان محمود مع الغز بخراسان)

لما

لما حبس السلطان أرسلان بن سلجوق ونهب أحياءهم أجلاهم عن ضواحي بخارا فعبروا النهر يجيئون الى خراسان وامتدت فيهم أيدي العمال بالظلم والتعدي في أموالهم وأولادهم فتفرقوا وجاءت منهم طائفة في أكثر من ألفي خركاه الى كرمان ثم الى أصفهان وكانوا يسمون العراقية وطائفة الى جبل بلخان عند خوارزم القديمة وعاث كل منهم فيما سار فيه من البلاد وبعث السلطان الى علاء الدولة بأصفهان لرد الذين ساروا اليه الى الري وقبلهم وحاول ذلك بالغدر فلم يستطع وحاربهم فهزموه وساروا عنه الى اذربيجان وأفسدوا ما ساروا عليه وصانعهم وهشوذان صاحب اذربيجان وآنسهم وكان مقدموهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا وأما الذين ساروا الى خوارزم القديمة فكثر عيثهم في تلك النواحي وأمر السلطان محمود صاحب طوس أرسلان الحاجب أن يسير في طلبهم فأتبعهم سنتين ثم جاء السلطان على أثره فشردهم على نواحي خراسان واستخدم بعضهم وكان أمراؤهم كوكتاش وبوقا وقزل ويغمر وناصغلي ولما مات السلطان محمود استخدمهم ابنه مسعود أيضا وساروا معه من غزنة الى خراسان فسألوه فيمن بقي منهم بجبل بلخان عند خوارزم فأذن لهم أن يسهلوا الى البسائط على شرط الطاعة ثم انتقض أحمد نيال عامل الهند فسار مسعود اليه وولى على خراسان تاش فكثر عيث هؤلاء الغز في البلاد فأوقع بهم تاش وقتل أميرهم يغمر وبعث السلطان مسعود من أجلاهم عن البلاد ومثل بهم بالقتل والقطع والصلب فساروا الى الري طالبين اذربيجان للحاق بالعراقية منهم كما مر ذكرهم فملكوا الدامغان ونهبوها ثم سمنان ونهبوا جوار الري وايحاباذ ومشكويه من أعمال الري وخربوا كل ما مروا عليه من القرى والضياع واجتمع لحربهم تاش وأبو سهل الحمدوني صاحب الري وسار اليهم تاش في العساكر والفيلة على التعبئة ولقوه مستميتين وسبق اليه أحياؤهم فهزموه وقتلوه ثم ساروا الى الري فهزموا أبا سهل الحمدوني وعسكره ولحق بقلعة طبول ونهبوا الري واستباحوا أموالها وجاء عسكر من جرجان فاعترضوه وكبسوه وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا ومضوا الى اذربيجان ليجتمعوا بالعراقية ثم رجع علاء الدولة بن كاكويه الى أصفهان بعد مسيرهم من الري وطلبوا ولاية أبا سهل على طاعة مسعود فلم يتم وعاث الغز في اذربيجان وأوقع بهم وهشوذان وقتل منهم وجمع عليهم أهل اذربيجان وأوقع بهم ففارقوها اشفاقا من نيال وأخيه طغرلبك وافترقوا بين الموصل وديار بكر فملكوها ونهبوها وعاثوا في نواحيها كما مر ذكره في أخبار قرواش صاحب الموصل وابن مروان صاحب ديار بكر هذه أخبار أرسلان بن سلجوق مفصلة الا ما اختصر منها بالري واذربيجان فانه يأتي في مواضعه من دولة الديلم وأما طغرلبك واخوته داود

ويبقو وأخوه لامه نيال المسمى بعد الاسلام ابراهيم فانهزموا وأقاموا بعد سلجوق ببلاد ماوراء النهر وكان بينهم وبين على تكين صاحب بخارا حروب ظهر عليهم فيها فعبروا جيحون الى خوارزم وخراسان وكان من أخبارهم فيها وما آل أمرهم الى الملك والدولة ما يأتى ذكره

(افتتاح نرسى من الهند)

كان السلطان محمود قد استخلف على الهند من مواليه أحمد نيال تكين فغزا سنة احدى وعشرين مدينة نرسى من أعظم مدن الهند فى مائة ألف مقاتل فنهب وخرب الاعمال واستباحها وجاء الى المدينة فدخلها من أحد جوانبها واستباحها وما ولم يستوعبها حتى خرجوا فباتوا بظاهرها خوفا على أنفسهم من أهل البلد وقسموا الاموال كيلا وارادوا العود من الغد فدافعهم أهلها ورجع أحمد نيال بعساكره الى بلده

(وفاة السلطان محمود وولاية ابنه محمد)

ثم توفى السلطان محمود فى ربيع سنة احدى وعشرين وأربعمائة وكان ملكا عظيما استولى على كثير من الممالك الاسلامية وكان يعظم العلماء و يكرمهم وقصدوه من أقطار البلاد وكان عادلا فى رعيته رفيقا بهم محسنا اليهم وكان كثير الغزو والجهاد وفتوحاته مشهورة ولما حضرته الوفاة أوصى بالملك لابنه محمد وهو ببلخ وكان أصغر من مسعود الا أنه كان مقبلا عليه ومعرضا عن مسعود فلما توفى بعث أعيان الدولة الى محمد بخبر الوصية واستحثوه وخطب له فى أقاصى الهند الى نيسابور وسار الى غزنة فوصلها لاربعين يوما واجتمعت العساكر على طاعته وقسم فيهم الاعطيات

(خلع السلطان محمد ابن السلطان محمود وولاية ابنه الآخر مسعود الاكبر)

لما توفى السلطان محمود كان ابنه مسعود بأصفهان فسار الى خراسان واستخلف على اصفهان فثار أهلها بخليفته وعسكره فقتلوهم فعاد اليهم مسعود وحصرها وافتتحها عنوة واستباحها ثم استخلف عليها وسار الى الرى ومنها الى نيسابور وكتب الى أخيه محمد بالخبر وانه لا ينازعه ويقتصر على فتحه من طبرستان وبلد الجبل وأصفهان ويطلب تقديمه على محمد فى الخطبة فأحفظه ذلك واستحلف العساكر وسار الى مسعود وكان أكثر العساكر يميلون الى مسعود لقوته وشجاعته وعلو سنه وأرسل التونتاش صاحب خوارزم وكان من أصحاب السلطان محمود يشير على محمد بترك الخلاف فلم يسمع وسار فانتهى الى بكياباد أول رمضان من سنته وأقام وكان مشتغلا باللعب عن تدبير الملك

فيتفاوض

فتفاوض جنده فى خلعه والادالة منه بأخيه مسعود وتولى كبر ذلك عمه يوسف بن سبكتكين وعلى حشاوند صاحب أبيه وحبسوا محمدا بقلعة بكياباد وكتبوا بالخبر الى مسعود وارتحلوا اليه بالعساكر فلقوه بهراة فقبض على عمه وعلى صاحب أبيه وعلى جماعة من القواد واستقر فى ملك أبيه شهر ذى القعدة من سنته وأخرج الوزير أبا القاسم أحمد بن الحسن السيمندى من محبسه وفوض اليه الوزارة وأمور المملكة وكان أبوه قبض عليه سنة ست عشرة وصادره على خمسة آلاف دينار ثم سار الى غزنة فوصلها منتصف ثنتين وعشرين ووفدت عليه رسل جميع الملوك من جميع الآفاق واجتمع له ملك خراسان وغزنة والهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والرى وأصفهان والجبل وعظم سلطانه

(عود أصفهان الى علاء الدولة بن كاكويه ثم رجوعها للسلطان مسعود)

كان فناخسرو مجد الدولة بن بويه صاحب أصفهان وملكها السلطان محمود من يده فهرب عنها وامتنع بحصن قصران وأنزل السلطان محمود ابنه مسعودا بأصفهان وأنزل معه علاء الدولة بن كاكويه فاستقل بها وسار عنه مسعود ثم زحف اليه وملكها من يده ولحق علاء الدولة بخوزستان يستنجد أبا كاليجار بن سلطان الدولة وسار عنه الى تستر ليستمد له من أخيه جلال الدولة العساكر لمعاودة أصفهان وكان ذلك عقب فتنة وحرب بين أبى كاليجار وأخيه جلال الدولة فوعده أبو بذلك اذا اصطلحا وأقام عنده الى أن توفى السلطان محمود ولما توفى السلطان محمود جمع فناخسرو جمعا من الديلم والاكراد وقصد الرى وقاتله نائبه مسعود فهزمه ودفعه عن الرى وقتل فى عسكره قتلا وأسرا وعاد فناخسرو الى بلده وبلغ الخبر الى علاء الدولة بموت السلطان محمود وهو عند أبى كاليجار بخوزستان وقد أيس من النصر فبادر الى أصفهان فملكها ثم همذان وقصد الرى فقاتله نائب مسعود ورجع الى أصفهان ثم اقتحموا عليه البلد عنوة ونجا علاء الدولة الى قلعة قردخان على خمسة عشر فرسخا من همذان وخطب لمسعود بالرى وجرجان وطبرستان

(فتح التيز ومكران وكرمان ثم عود كرمان لابى كاليجار)

كان صاحب التيز ومكران لما توفى خلف ولدين أبا العساكر وعيسى واستبد عيسى منهما بالملك فسار أبو العساكر الى خراسان مستنجدا بمسعود فبعث معه عسكرا ودعوا عيسى الى الطاعة فامتنع وقاتلوه فاستأمن كثير من أصحابه الى أبى العساكر فانهزم عيسى وقتل فى المعركة واستولى أبو العساكر على البلاد وملكها وخطب فيها للسلطان

مسعود وذلك سنة ثنتين وعشرين وفى هذه السنة ملك السلطان مسعود كرمان وكانت للملك أبى كاليجار بن سلطان الدولة فبعث اليها السلطان مسعود عساكر خراسان فحاصروا مدينة بردسير وشدوا فى حصارها واستبدّ الى أطراف البلاد ثم وصل عسكر أبى كاليجار الى جيرفت واتبعوا الخراسانية بأطراف البلاد فعاودهزيمتهم ودخلوا المفازة الى خراسان وعادت العساكر الى فارس

(فتنة عساكر السلطان مسعود مع علاء الدولة بن كاكويه وهزيمته)

قد تقدم لنا هزيمة علاء الدولة أبى جعفر بن كاكويه من الرى ونجاته الى قلعة قردخان ثم سار منها الى يزدجرد ومعه فرهاد بن مرداويج مددا له وبعث صاحب الجيوش بخراسان عسكرا مع ابن عمران الديلمى لاعتراضهما فلما قاربهما العسكر فر فرهاد الى قلعة شكمين ومضى علاء الدولة الى سابورخرات وملك على بن عمران يزدجرد ثم ارسل فرهاد الى الاكراد الذين مع على بن عمران وداخلهم فى الفتك به وشعر بذلك فسار الى همذان ولحقه فرهاد فاعتصم بقلعة فى طريقه منيعة وكادوا يأخذونه لولا عوائق الثلج والمطر فى ذلك اليوم وكانوا ضاحين من الخيام فتركوه ورجعوا عنه وبعث ابن عمران الى تاش فرواش صاحب جيوش خراسان يستمده فى العسكر الى همذان وبعث علاء الدولة يستدعى أبا منصور ابن أخيه من أصفهان بالسلاح والاموال ففعل وسار على بن عمران من همذان لاعتراضه فكبسه بجرباذقان وغنم مامعه وقتل كثيرا من عسكره وأسره وبعث به الى تاش فرواش صاحب جيوش خراسان وسار الى همذان وزحف اليه علاء الدولة وفرهاد فانقسموا عليه وجاؤه من ناحيتين فانهزم علاء الدولة ونجا الى أصفهان وفرهاد ربا الى قلعة شمكين فتحصن بها

(مسير السلطان مسعود الى غزنة والفتن بالرى والجبل)

لما استولى السلطان على أمره سار من غزنة الى خراسان لتمهيد أمورها وكان عامله وعامل أبيه على الهند أحمد نيال تكين قد استفحل فيها أمره وحدثته نفسه بالاستبداد فمنع الحمل وأظهر الانتقاض فسار السلطان الى الهند ورجع أحمد نيال الى الطاعة وقام علاء الدولة باصفهان وأظهر الانتقاض ومعه فرهاد بن مرداويج فزحف اليهم أبو سهل وهزمهم وقتل فرهاد ونجا علاء الدولة الى جبال أصفهان وجرباذقان فامتنع بها وسار أبو سهل الى اصفهان فملكها سنة خمس وعشرين ونهب خزائن علاء الدولة وحمل كتبه الى غزنة وأحرقها الحسين الغورى بعد ذلك

(عود أحمد نيال تكين الى العصيان)

ولما

ولما عاد السلطان الى خراسان لقتال الغز عاد أحمد نيال تكين الى العصيان بالهند وجمع الجموع فبعث السلطان سنة ست وعشرين اليه جيشا كثيفا وكتب الى ملوك الهند بأخذ المذاهب عليه فلما قاتله الجيوش انهزم ومضى هاربا الى ملتان وقصد منها بهاطية وهو فى جمع فلم يقدر ملك بهاطية على منعه وأراد عبور نهر السند فى السفن فهيأ له الملك ليعبر الى جزيرة وسط النهر ظنها متصلة بالبر وأوصى الملك الملاحين أن ينزلوه بها ويرجعوا عنه وعلموا أنها منقطعة فضعفت نفوسهم وأقاموا بها سبعة أيام ففنيت أزوادهم وأكلوا دوابهم وأوهنهم الجوع وأجاز اليهم ملك بهاطية فاستوعبهم بالقتل والغرق والاسر وقتل أحمد نفسه

(فتح جرجان وطبرستان)

كانت جرجان وطبرستان وأعمالهما لدارا بن منوجهر بن قابوس وكان السلطان مسعود قد أقره عليها فلما سار السلطان الى الهند وانتشر الغز فى خراسان منع الحمل وداخل علاء الدولة بن كاكويه وفرهاد بن ما كان فى العصيان فلما عاد مسعود من الهند وأجلى الغز عن خراسان سار الى جرجان سنة ست وعشرين فملكها ثم سار الى آمد فملكها وفارقها أصحابها وافترقوا فى الغياض فتبعهم وقتل منهم وأسر ثم راسله دارا فى الصلح وتقرير البلاد عليه وحمل ما بقى عليه فأجابه السلطان الى ذلك ورجع الى خراسان

(مسير علاء الدولة الى اصفهان وهزيمته)

كان أبو سهل الحمدونى قد أنزله السلطان باصفهان ودلهم على النواحى القريبة من علاء الدولة فأوقع بهم وغنم مامعهم وقوى طمعه بذلك فى أصفهان فجمع الجموع وسار اليها فخرج اليهم أبو سهل وقاتلهم وتحيز من كان مع علاء الدولة من الاتراك الى أبى سهل فانهزم علاء الدولة ونهب سواده وسار الى يزدجرد ثم الى الطرم فلم يقبله ابن السلار صاحبها

بياض بالاصل

(استيلاء طغرلبك على خراسان)

كان طغرلبك وأخواه بيقو وجقربيك واسم طغرلبك محمد ولما أسر السلطان محمود أرسلان بن سلجوق وحبسه كما مرّ وأجاز أحياء من الغز الى خراسان فكان من أخبارهم ما قدمناه وأقام طغرلبك واخوته فى أحيائهم بنواحى بخارا ثم حدثت الفتنة بينهم وبين على تكين صاحب بخارا وكانت بينهم حروب ووقائع وأوقعوا بعساكره مرارا فجمع أهل البلاد عليهم وأوقع بهم واستلحمهم واستباحهم فانحازوا الى خراسان سنة

ست وعشرين واستخدموا لصاحب خوارزم وهو هرون بن التونتاش وغدر بهم فسار واعنه الى مفازة نسا ثم قصدوا مرو وطلبوا الامان من السلطان مسعود على أن يضمنهم امان السابلة فقبض على الرسل ولم يجبهم على ماسألوا و بعث العساكر فأوقعوا بهم على نسا ثم طار شررهم فى البلاد وعم ضررهم وسار السلطان ألب أرسلان الى نيسابور ففارقها أبو سهل الحمدونى فيمن معه واستولى عليها داود وجاء أخوه طغرلبك على اثره ولقيهم رسل الخليفة اليهم والى العراقية الذين قتلهم بالرى وهمذان يعنفهم وينهاهم عن الفساد ويطمعهم فتلقوا الرسل بالاعظام والتكرمة ثم امتدت عين داود الى نهب نيسابور فمنعه طغرلبك وعرض له بشهر رمضان ووصية الخليفة فلج فقوى طغرلبك فى المنع وقال والله لئن نهبت لأقتلن نفسى فكف داود عن ذلك وقسطوا على أهل نيسابور ثلاثين ألف دينار فرقوها فى أصحابهم وجلس طغرلبك على سرير ملك مسعود بدار الملك وصار يقعد للمظالم يومين فى الاسبوع على عادة ولاة خراسان وكانوا يخطبون للملك مسعود مغالطة وايهاما

(مسير السلطان مسعود من غزنة الى خراسان واجلاء السلجوقية عنها)

ولما بلغ الخبر الى السلطان مسعود باستيلاء طغرلبك والسلجوقية على نيسابور جمع عساكره من غزنة وسار الى خراسان فنزل بلخ فى صفر سنة ثلاثين وأصهر الى بعض ملوك الخانية دفعا للشر واقطع خوارزم ولحق اسمعيل بطغرلبك ثم أراح السلطان مسعود وفرغ من خوارزم والخانية فبعث السلطان سباشى فسار اليهم فى العساكر فلم يشف نفسه ونزل سرخس وعدلوا عن لقائه ودخلوا المفازة التى بين مرو وخوارزم واتبعهم السلطان مسعود وواقعهم فى شعبان من هذه السنة فهزمهم فباعدوا حتى عادوا فى نواحيه فأوقع بهم أخرى وكان القتلى فيها منهم ألفا وخمسمائة وهربوا الى المفازة وثار أهل نيسابور بمن عندهم وقتلوهم ولحق فلهم بأصحابهم فى المفازة وعدل السلطان الى هراة ليجهز العساكر لطلبهم فبلغه الخبر بأن طغرلبك سار الى استراباذ وأقام بها فى فصل الشتاء يظن أن الثلج يمنعهم عنه فسار السلطان اليه هنالك ففارقها طغرلبك وعدل عن طوس الى جبال الرى التى كان فيها طغرلبك وأصحابه وقد امتنعوا بجبالهم خوفا من السلطان لما كان منهم من موالاة السلجوقية فاغذ اليهم السير وصبحهم فتركوا أهلهم وأموالهم واعتصموا بوعر الجبل وغنمت عساكره جميع ما استولوا عليه ثم صعد اليهم بنفسه وعساكره وهلك كثير من العسكر بالثلج فى شعاب الجبل ثم ظفروا بهم فى قنة الجبل واستلحموهم وسار مسعود الى نيسابور فى جمادى سنة احدى وثلاثين ليريح ويخرج فى فصل الربيع لطلبهم فى المفاوز ثم عاد طغرلبك وأصحابه من المفازة وبعث اليهم

السلطان بالوعيد فيقال ان طغرلبك قال لكاتبه اكتب اليه قل اللهم مالك الملك الآية ولاتزده عليها ولما ورد الكتاب على السلطان مسعود كتب اليه وآنسه بالمواعيد وبعث اليه بالخلع وأمره بالرحيل الى آمل الشط على جيحون وأقطع نسا لطغرلبك ودهستان لداود وبداوة لبيقو وسمى كل واحد منهما بالدهقان فلم يقبلوا شيأ من ذلك ولا وثقوا به وأكثروا من العيث والفساد ثم كفوا عن ذلك وبعثوا الى السلطان مسعود يخادعونه بالطاعة ببلخ ورغبوه فى أن يسرح اليهم أخاهم ارسلان المحبوس بالهند فبعث اليه السلطان مسعود وجاؤا بارسلان من الهند ولما لم يتم بينهم أمر باعادته الى محبسه

(هزيمة السلطان مسعود واستيلاء طغرلبك على مدائن خراسان وأعمالها)

ولما تغلبت السلجوقية على نواحى خراسان وفضوا عساكر السلطان وهزموا الحاجب سباشى اهتز السلطان لذلك وأجمع لخراسان الحشد وبث العطاء وأزاح العلل وسار من غزنة فى الجيوش الكثيفة والفيلة العديدة على التعبية المألوفة ووصل الى بلخ ونزل بظاهرها وجاء داود باحيائه فنزل قريبا منه وأغار يوما على معسكره فساق من باب الملك مسعود عدة من الجنائب المقربات معها الفيل الاعظم وارتاع الملك لذلك وارتحل مسعود من بلخ فى رمضان سنة تسع وعشرين ومعه مائة ألف مقاتل ومر بالجوزجان فصلب الوالى الذى كان بها للسلجوقية وانتهى الى مرو والشاهجان ومضى داود الى سرخس واجتمع معه أخوه طغرلبك وبيقو وبعث اليهم السلطان فى الصلح فوفد عليه بيقو فأكرمه السلطان وخلع عليه واجابه هو عن أصحابه بالامتناع من الصلح للخوف من السلطان وسار من عند السلطان فسقط فى يده وسار فى اتباعهم من هراة الى نيسابور ثم سرخس كلما تبعهم الى مكان هربوا منه الى آخر حتى أظلهم فصل الشتاء فأقاموا بنيسابور ينتظرون انسلاخه فانسلخ والسلطان عاكف على لهوه غافل عن شأنه حتى انقضى زمن الربيع واجتمع وزراؤه وأهل دولته وعذلوه فى اهمال أمر عدوه فسار من نيسابور الى مرو فى طلبهم فدخلوا المفازة فدخل وراءهم مرحلتين وقد ضجر العسكر من طول السفر وعنائه وكانوا منذ ثلاث سنين منقلبين فيه منذ سفرهم مع سباشى فنزل بعض الايام فى منزلة على قليل من الماء وازدحم الناس على الورود واستأثر به أهل الدولة والحاشية فقاتلهم عليه الجمهور ووقعت فى العساكر لذلك هيعة وخالفهم الدعرة الى الخيام ينهبون ويتخطفون وكان داود وأحياؤه متابعا للعسكر على قرب يتخطف الناس من حولهم فشعر بتلك الهيعة فركب فى قومه وصدم العساكر وهم فى تلك الحال فولوا منهزمين والسلطان والوزير ثابتان فى موقفهما يحرضان الناس على الثبات فلم يثبت أحد فانصرف مع

المنهزمين فى فل وأتبعهم داود وأثخن فيهم بالقتل ثم رجع الى العسكر وقد غنمه أصحابه فآثرهم بالغنائم وقسم فيهم ما حصل له وقعد على كرسى السلطان وأقام عسكره ثلاثة أيام ولياليها على ظهر خشية من كرّ العسكر السلطانية عليهم ونجا السلطان الى غزنة فدخلها فى شوال سنة احدى وثلاثين وقبض على سباسى وغيره من الامراء وسار طغرلبك الى نيسابور فملكها آخر احدى وثلاثين ونهب عسكره أهلها وكان بها هرج عظيم من الدعرة وكانوا ينالون من الناس بالنهب والزنا والقتل فارتدعوا لذلك لهيبة طغرلبك وسكن الناس وملك السلجوقية البلاد فاربيقو الى هراة لملكها وسار داود الى بلخ وبها الحاجب التونتاش فاستخلفه السلطان عليها فأرسل اليه داود فى الطاعة فسجن الرسل وحاصره داود وبعث السلطان مسعود جيشا كثيفا لامداده ودفع السلجوقية عن البلاد فسار فريق منهم الى الرخج فدفعوا من كان بها من السلجوقية وهزموهم وافحشوا فى قتلهم واسرهم وسار فريق منهم الى بيقو فى هراة فقاتلوه ودفعوه عنها ثم بعث السلطان ابنه مودود بعساكر أخرى وجعل معه وزيره أبا نصر أحمد بن محمد ابن عبد الصمد يدبره فسار عن غزنة سنة ثنتين وثلاثين فلما قارب بلخ ودا ود يحاصرها بعث داود جماعة من عسكره فلقوا طلائع مودود فهزموهم فلما وصلت منهزمة تأخر مودود عن نهايته وأقام وسمع التونتاش باحجام مودود عنه فأطاع داود وخرج اليه

(خلع السلطان مسعود ومقتله وولاية أخيه محمد مكانه)

ولما بعث السلطان ولده مودود الى خراسان لمدافعة السلجوقية عنها أقام بعده سبعة أيام وخرج من غزنة فى ربيع سنة ثنتين وثلاثين يريد الهند للمشتى به على عادة أبيه ويستنفر الهنود لقتال السلجوقية واستصحب أخاه محمدا المسمول معه وكان أهل الدولة قد ضجروا منه فتفاوضوا فى خلعه وولاية أخيه محمد وأجمعوا ذلك فلما عبروا نهر سيحون وتقدم بعض الخزائن فتخلف أنوش تكين البلخى فى جماعة من الغلمان الفداوية ونهبوا بقية الخزائن وبايعوا لمحمد المسمول وذلك فى منتصف ربيع الآخر من السنة وافترق العسكر واقتتلوا وعظم الخطب وانهزم السلطان محمود وحاصروه فى رباط هنالك ثم استنزلوه على الامان وخيره أخوه محمد فى السكنى فاختار مسعود قلعة كيدى فبعث اليها وأمر باكرامه ورجع محمد بالعساكر الى غزنة وفوّض الى ابنه أحمد أمر دولته وكان أهوج فاعتزم على قتل عمه مسعود وداخل فى ذلك عمه يوسف وعلى خشاوند فوافقوه عليه وحرضوه فطلب من أبيه خاتمه ليختم به بعض خزائنهم وبعث به الى القلعة مع بعض خدمه ليؤدى رسالة مسعود وهو بخراسان يعتذر بأن أولاد أحمد ينال تكين قتلوا السلطان مسعود قصاصا بأبيهم فكتب اليه يتوعده ثم طمع الجند فى السلطان

محمد ومدوا أيديهم الى الرعايا ونهبوها وخربت البلاد وارتحل عنها محمد وكان السلطان مسعود شجاعا كريما غزير الفضل حسن الخط سخيا محبا للعلماء مقربا لهم محسنا اليهم والى غيرهم من ذوى الحاجات كثير الصلات والعطاء والجوائز للشعراء حليت تصانيف العلوم باسمه وكثرت المساجد فى البلاد بعمارته وكان ملكه فسيحا ملك اصفهان وهمذان والرى وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الداورن وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور وأطاعه أهل البر والبحر وقد صنف فى أخباره ومناقبه

(مقتل السلطان محمد وولاية مودود بن أخيه مسعود)

لما بلغ الخبر بمقتل السلطان مسعود الى ابنه مودود بخراسان سار مجدا فى عساكره الى غزنة فلقيه عمه محمد فى شعبان سنة ثنتين وثلاثين وانهزم محمد وقبض عليه وعلى ابنيه أحمد وعبد الرحمن وعلى أنوش تكين البلخى الخصى وعلى على خشاوند وقتلهم أجمعين الا عبد الرحمن لرفقه بأبيه مسعود عند القبض عليه وقتل كل من داخل فى قبض أبيه وخلعه وسار سيرة جده محمود وبلغ الخبر الى أهل خراسان فثار أهل هراة بمن عندهم من السلجوقية فأخرجوهم وتشوّف أهل خراسان للنصر على الغز من قبل مودود وكان أبوه السلطان مسعود قد بعث ابنه الآخر الى الهند أميرا عليها سنة ست وعشرين فلما بلغه موت أبيه بايع لنفسه وقتل الى لهاور والملتان فملكهما وأخذ الاموال وجمع العساكر وأظهر الخلاف على أخيه مودود وحضر عيد الاضحى فأصبح ثالثه ميتا بلهاور بعد ان كان مودود يجهز العساكر من غزنة لقتاله وهو فى شغل شاغل من أمره ففرغ عن الشواغل ورسخت قدمه فى ملكه وخالفه السلجوقية بخراسان وخاطبه خان الترك من وراء النهر بالانقياد والمتابعة

(استيلاء طغرلبك على خوارزم)

كانت خوارزم من ممالك محمود بن سبكتكين وابنه مسعود من بعده وكان عليها التونتاش حاجب محمود من أكابر امرائه ووليها لهما معا ولما شغل مسعود بفتنة أخيه محمد عند مهلك أبيهما أغار على تكين صاحب بخارا من أطراف البلاد وغيرهما فلما فرغ مسعود من مراجعة محمد واستقل بالملك بعث الى التونتاش بالمسير الى أعمال على وانتزاع بخارا وسمرقند منه وأمده بالعساكر فعبر جيحون سنة أربع وعشرين وأخذ من بلاد تكين كثيرا فأقام بها وهرب تكين بين يديه ثم دعته الحاجة الى الاموال للعساكر ولم يكن فى جبايته تلك البلاد وجاه بها فاستأذن فى العود الى خوارزم وعاد

واتبعه على تكين وكبسه على غرة فثبت وانهزم على تكين ونجا الى قلعة دبوسية وحاصره التونتاش وضيق عليه فبعث اليه واستعطفه فأفرج عنه وعاد الى خوارزم وكانت به جراحة من هذه الوقعة فانتقض عليه ومات وترك من الولد ثلاثة وهم هرون ورشيد واسمعيل وضبط وزيره أحمد بن عبد الصمد البلد والخزائن حتى جاء هرون الاكبر من الولد من عند السلطان بعهده على خوارزم ثم توفى الميمندى وزير السلطان مسعود وبعث على أبى نصر لوزارته واستناب أبو نصر عنده هرون بخوارزم ابنه عبد الجبار ثم استوحش من هرون وسخطه وأظهر العصيان فى رمضان سنة خمس وعشرين فاختفى عبد الجبار خوفا من غائلته وسعى عند السلطان مسعود وكتب مسعود الى شاه ملك ابن على أحد ملوك الاطراف بنواحى خوارزم بالمسير لقتال اسمعيل فسار وملك البلد فهزمهما وهرب اسمعيل وشكر الى طغرلبك وداود صريخين فسار داود الى خوارزم فلقيهما شاه ملك وهزمهما ثم قتل مسعود وملك ابنه مودود فدخل شاه ملك بأمواله وذخائره فى المفاوز الى دهستان ثم الى طبس ثم الى نواحى كرمان ثم الى أعمال البتر ومكران وقصد ارتاش أخا ابراهيم ينال وهو ابن عم طغرلبك فى أربعة آلاف فارس فأسره وسلمه الى داود واستأثر هو بما غنم من أمواله ثم أعاد ارتاش الى باذغيس وأقام على محاصرة هراة على طاعة مودود بن مسعود فامتنعوا منه خوفا من معرة هجومه عليهم

*(مسير العساكر من غزنة الى خراسان)

ولما ملك الغز خراسان واستولوا على سائر أملاكها وأعمالها واستولى طغرلبك على جرجان وطبرستان وخوارزم وابراهيم ينال على همذان وعلى الرى والجبل وولى على خراسان وأعمالها داود بن ميكايل وبعث السلطان أبو الفتح مودود عساكره مع بعض حجابه الى خراسان سنة خمس وثلاثين فسرح اليهم داود ابنه البارسلان فى العساكر فاقتتلوا وكان الغلب لالب ارسلان وعاد عسكر غزنة مهزوما وسار عسكر من الغز الى نواحى بست وعاثوا وأفسدوا فبعث أبو الفتح مودود اليهم عسكرا فقاتلهم وانهزموا وظفر عسكر مودود بهم وأثخنوا فيهم

(مسير الهنود لحصار لهاور وامتناعها وفتح حصون اخرى من بلادهم)

وفى سنة خمس وثلاثين اجتمع ثلاثة من ملوك الهند على لهاور فجمع مقدم العساكر الاسلامية هنالك عسكره وبعثهم للدفاع عنها وبعث الى السلطان مودود وحاصرها الثلاثة ملوك ثم أفرج الآخران وعادا الى بلادهما وسارت عساكر الاسلام فى اتباع

أحدهما وهو دوبال هربانة فانهزم منهم وامتنع بقلعة له هو وعساكره وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل وحاصرهم المسلمون حتى استأمنوا وسلموا ذلك الحصن وجميع الحصون التى من أعمال الملك وغنموا أموالهم وأطلقوا من كان فى الحصون من أسرى المسلمين بعد ان أعطوهم خمسة آلاف ثم ساروا الى ولاية الملك الآخر واسمه باس الرى فقاتلوه وهزموه وقتل فى المعركة هو وخمسة آلاف من قومه وأسر الباقون وغنم المسلمون ما معهم وأذعن ملوك الهند بعدها بالطاعة وحملوا الاموال وطلبوا الامان والاقرار على بلادهم فأجيبوا

(وفاة مودود وولاية عمه عبد الرشيد)

ثم توفى أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بغزنة لعشر سنين من ولايته فى رجب سنة احدى واربعين وقد كان كاتب فأجابوه وجمع كاليجار صاحب اصفهان العساكر وسار فى المفازة لنصره فمرض فى طريقه ورجع وسار خاقان الى ترمذ لنصره وطائفة أخرى مما وراء النهر الى خوارزم وسار مودود من غزنة فعرض له بعد رحيله من غزنة مرض القولنج فعاد الى غزنة وبعث الى وزيره أبى الفتح عبد الرزاق ابن أحمد الميمندى فى العساكر الى سجستان لانتزاعها من الغز ثم اشتد وجعه فمات ونصب ابنه للامر خمسة أيام ثم عدل الناس عنه الى عمه على بن مسعود وكان مسعود لاول ولايته قبض على عمه عبد الرشيد أخى محمود وحبسه بقلعة بطريق بست فلما قاربها الوزير أبو الفتح وبلغه وفاة مودود نزل عبد الرشيد الى العسكر فبايعوا له ورجعوا به الى غزنة فهرب على بن مسعود واستقر الامر لعبد الرشيد ولقب سيف الدولة وقيل جمال الدولة واستقام أمر السلجوقية بخراسان واندفعت العوائق عنهم

بياض بالأصل

(مقتل عبد الرشيد وولاية قرخاد)

كان لمودود صاحب اسمه طغرل وجعله حاجبا بابه وكان السلجوقية قد ملكوا سجستان وصارت فى قسم بيغو أخى طغرلبك وولى عليها أبا الفضل من قبله فأشار طغرلبك على عبد الرشيد بانتزاعها منهم وألح عليهم فى ذلك فبعث اليها طغرل فى ألف فارس فحاصر حصن الطاق أربعين يوما وكتب أبو الفضل من سجستان يستنجده وسار طغرل ولما سمع أصوات البوقات والدبادب وأخبر أنه بيغو فتحاجزوا وعلم أنه تورط ولقيهم مستميتا فهزمهم وسار الى هراة واتبعهم طغرل فرسخين وعاد الى سجستان فملكها وكتب الى عبد الرشيد بالخبر واستمده لغزو خراسان فأمده بالعساكر ثم حدثته نفسه بالملك فاغذ السير الى غزنة حتى كان على خمسة فراسخ منها كتب الى عبد الرشيد

باستيحاش العسكر وطلبهم الزيادة فى العطاء فشاور أصحابه فكشفوا له وجه المكيدة فى ذلك وحذروه من طغرل فصعد الى قلعة غزنة وتحصن بها وجاء طغرل من الغد فنزل فى دار الامارة وراسل أهل القلعة فى عبد الرشيد فأسلموه اليه فقتله واستولى على ملكهم وتزوج ابنة السلطان عبد الرشيد بياض بالأصل ويحضهم على الاخذ بثاره فأجابوا ودخلوا عليه فى مجلسه وقتلوه وجاء خبرا الحاجب لخمسة أيام من قتله وجمع وجوه القواد وأعيان البلد وبايع فرخاذ بن السلطان مسعود وقام بتدبير دولته وقتل الساعين فى بياض بالأصل

الى غزنة ولقى الغز وهزمهم ودخل غزنة فملكها من أيديهم ثم سار من غزنة الى كرمان وسنوران فملكها وكرمان هذه بين غزنة والهند وليست كرمان المعروفة ثم سار غياث الدين الى نهر السند ليعبر الى لهاور وكرسى خسروشاه بن بهرام شاه فبادر خسروشاه ومنعه العبور فرجع وملك ما يليه من جبال الهند وأعمال الانبار وولى على غزنة أخاه شهاب الدين ورجع الى فيروز كوه

* (استيلاء الغورية على لهاور ومقتل خسروشاه وانقراض دولة بنى سبكتكين) *

ولما ولى شهاب الدين الغورى غزنة أحسن السيرة فيهم وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحل ملكه وتطاول الى ملك لهاور وقاعدة الهند من يد خسروشاه فسار سنة تسع وسبعين فى عسكر غزنة والغور وعبر اليها وحاصرها وبذل الامان لخسروشاه وأنكحه ابنته وسوغه ما يريد من الاقطاع على ان يخرج اليه ويخطب لاخيه فأبى من ذلك وأقام شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه وخذله أهل البلد فبعث القاضى والخطيب يستأمنان له فأمنه ودخل شهاب الدين وبقى خسروشاه عنده مكرما وبقى شهرين بياض بالأصل من يد غياث الدين فأنفذ خسروشاه اليه فارتاب من ذلك وأمنه شهاب الدين وحلف له وبعث به وبأهله وولده مع جيش يحفظونهم فلما وصلوا بلد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه فكان آخر العهد به وانقرضت دولة بنى سبكتكين بموته وكان مبدؤها سنة ست وستين وثلثمائة فتكون مدة الدولة مائتين وثلاث عشرة سنة

{ الخبر عن دولة الترك فى كاشغر وأعمال تركستان وما كان لهم من الملك فى الملة الاسلامية بتلك البلاد وأولية أمرهم ومصاير أحوالهم }

كان هؤلاء الترك ملوك تركستان ولا أدرى أولية أمرهم بها الا أن أول من أسلم منهم سبق قراخان وتسمى عبد الملك وكانت له تركستان وقاعدتها كاشغر وساغون وختن وما يتصل بها الى أوان المفازة المتصلة بالصين فى ناحية الشمال عنهم أعمال طراز والشاش وهى للترك أيضا الا أن ملوك تركستان أعظم ملكا منهم بكثير وفى المغرب عنهم بلاد ما وراء النهر التى كان ملكها لبنى سامان وكرسيهم بخارا ولما أسلم ملكهم عبد الكريم سبق أقام على ملكه بتلك الناحية وكان يطيع بنى سامان هو وعقبه يستنفرونهم فى حروبهم الى ان ملك عهد الامير نوح بن منصور فى عشر التسعين والثلثمائة على حين اضطراب دولة بنى سامان وانتقاض عمالهم بخراسان وانتقض أبو على بن سيمجور فراسل بقراخان وأطمعه فى ملك بخارا فطمع بقراخان فى البلاد ثم قصد أعمال بنى سامان وملكها شيأ فشيا وبعث الامير نوح اليه العساكر

مع فائق أيخ فلقيهم بقراخان وهزمهم واسر ايخ وجماعة من القواد وسار فائق الى بقراخان واختص به وصار فى جملته ورجع الامير نوح الى بخارا كما مر من قبل وهلك بقراخان فى طريقه

(وفاة بقراخان وملك أخيه ايلك خان سليمان)

ولما ارتحل بقراخان من بخارا وهو على ما به من المرض أدركه الموت فى طريقه فمات سنة ثلاث وثمانين وكان دينا عادلا حسن السيرة محبا للعلماء وأهل الدين مكرما لهم متشيعا سنيا وكان يكتب مولى لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما مات ولى بعده أخوه ايلك خان سليمان ولقبه شهاب الدولة واستوثق ملكه بتركستان وأعمالها ووفد عليه فائق بعد حروبه بخراسان مع جيوش الامير نوح وسبكتكين وابنه محمود ولحق به مستصرخا فأكرمه ووعده وكتب الى الامير نوح يشفع فى فائق وان يوليه سمرقند فولاه عليها وأقام بها

(استيلاء ايلك خان على ماوراء النهر)

لما عاد بقراخان على بخارا وعاد اليها الامير نوح وقد كان من أبى على بن سيمجور واجلائه عن خراسان ما كان استدعى الامير نوح مولاه سبكتكين بعد ذلك واختلف ابناء بكتوزون كما تقدم ذلك سنة خمس وثمانين ثم هلك سبكتكين كما تقدم ذلك كله قبل ثم استوحش بكتوزون من منصور واتفق مع فائق على خلعه فخلعاه وسملاه بخراسان سنة تسع وثمانين وكان فائق خصيا من موالى نوح بن منصور وهذه الاخبار كلها مستوفاة فى دولة بنى سامان ثم بلغ الخبر الى ايلك خان فطمع فى ملك بخارا وأعمالها وسار فى جموع الترك الى بخارا موريا بالحماية عن عبد الملك والنصرة له وخرج بكتوزون والامراء والقواد للقائه فقبض عليهم وسار فدخل بخارا عاشر ذى القعدة من سنة تسع وثمانين ونزل دار الامارة وظفر بعبد الملك فحبسه فانكدر حتى مات وحبس معه أخاه المخلوع أبا الحرث منصور وأخويه الآخرين اسمعيل ويوسف ابنى نوح وأعمامه محمودا وداود وغيرهم وانقرضت دولة بنى سامان والبقاء لله

(ثورة اسمعيل الى بخارا ورجوعه عنها)

قد تقدم لنا أن اسمعيل فر من محبسه ولحق بخوارزم واجتمع اليه قوادهم وبايعوه ولقبوه المنتصر وبعث قائدا من أصحابه الى بخارا فهزم من كان بها من عساكر ايلك خان فهزمهم وقتل منهم وحبس وكان النائب بها جعفر تكين أخى ايلك خان فحبسه واتبع المنهزمين الى سمرقند ولحق اسمعيل باحياء الغز وجمعوا عليه وجاء ايلك خان

فى جيوشه والتقوا فانهزم ايلك خان وأسروا قواده وغنموا سواده ورجعوا الى بلادهم وتشاوروا فى الاسرى فارتاب بهم اسمعيل وعبر النهر وانضمت اليه فتيان سمرقند واتصل الخبر بايلك خان فجمع والتقى هو واسمعيل وهزمه بنواحى اسروشنة وعبر النهر الى نواحى الجوزجان ثم الى مرو وبعث محمود العساكر فى اثره من خراسان وكذلك قابوس من جرجان فعاد الى ماوراء النهر وقد ضجر أصحابه ونزل بحى من العرب فأمهلوه الليل وقتلوه واستقرت بخارا فى ملك ايلك خان وولى عليها أخوه على تكين

(عبور ايلك خان الى خراسان)

قد تقدم لنا ما كان انعقد بين ايلك خان ومحمود من المواصلة ثم دبت عقارب السعاية بينهما وأكثر محمود من غزو بلاد الهند ولما سار الى الملتان اغتنم ايلك خان الفرصة فى خراسان وبعث سباشى تكين صاحب جيشه وأخاه جعفر تكين الى بلخ فى عدة من الامراء وأرسلان الحاجب فسار أرسلان الى غزنة وملك سباشى هراة وأقام بها وبعث الى نيسابور عسكرا فاستولى عليها وبادر محمود بالرجوع من الهند وفرق العطايا وأزاح العلل واستنفر الاتراك الخلجية وسار الى جعفر تكين ببلخ ففارقها الى ترمذ وبعث العساكر الى سباشى بهراة ففارقها الى مرو ليعبر النهر فاعترضه التركمان فأوقع بهم وسار الى أبيورد والعساكر فى اتباعه ثم سار الى خراسان فاعترضه محمود وهزمه وأسر أخاه وجماعة من قواده وعبر النهر الى ايلك وأجلى عساكره وأصحابه من خراسان فبعث ايلك خان الى قراخان ملك الختل فاستنفر الترك الغزية وخلجا والهنود وعسكر على فرسخين من بلخ وتقدم ايلك وقراخان فى عساكرهما ونزلوا قبالته واقتتلوا يوما الى الليل ومن الغد اشتدت الحرب ونزل الصبر ثم حمل محمود فى الفيلة على ايلك خان فى القلب فاختل المصاف وانهزم الترك واتبعهم عساكر محمود وأثخنوا فيهم بالقتل والاسر الى أن عبروا النهر وانقلب ظافرا غانما وذلك سنة سبع وتسعين وثلثمائة

(وفاة ايلك خان وولاية أخيه طغان خان)

ثم هلك ايلك خان سنة ثلاث وأربعمائة وكان مواليا للسلطان محمود ومظاهرا له على أخيه طغان خان فلما ولى تجدد ما بينه وبين السلطان من الولاية وصلحت الاحوال وانمحت آثار الفتنة فى خراسان وماوراء النهر

(وفاة طغان خان وولاية أخيه أرسلان خان)

ثم توفى طغان خان ملك الترك سنة ثمان وأربعمائة بعد ان كان لها جهاد خرجوا من الصين فى زهاء ثلثمائة ألف وقصدوا بلاده فى ساعون وهال المسلمين أمرهم فاستنفر

طغان طوائف المسلمين وغيرهم واستقبلهم فهزمهم وقتل منهم نحو مائة ألف وأسر مثلها ورجع الباقون منهزمين ومات طغان اثر ذلك وولى بعده أخوه ارسلان وكان من الغريب الدال على قصد ايمان طغان انه كان عند خروج الترك الى بلاد ساغون عليلا فلما بلغه الخبر تضرع لله أن يعافيه حتى ينتقم من هؤلاء الكفرة ويدفعهم عن البلاد فاستجاب الله دعاءه وكان محبا لاهل العلم والدين ولما توفى واصل أرسلان خان الولاية مع السلطان محمود وأصهر الى ابنه مسعود فى بعض كرائمه فاستحكم الاتصال بينهما

(انتقاض قراخان على أرسلان وصلحه)

كان ارسلان خان قد ولى على سمرقند قراخان يوسف بن بقراخان هرون الذى ملك بخارا فانتقض عليه سنة تسع وأربعمائة وكاتب السلطان محمود صاحب خراسان يستظهر به على ارسلان خان فعقد السلطان على جيحون جسرا من السفن محكمة الربط بسلاسل الحديد وعبر اليه ثم خام عن لقائه فعاد الى خراسان وانقطعت الموالاة بينه وبين أرسلان خان وتصالح مع قراخان واتفقا على محاربة السلطان محمود والمسير الى بلاده فسارا الى بلخ وقاتلهما السلطان قتالا شديدا حتى انهزم الترك وعبروا النهر الى بلادهم وكان من غرق أكثر ممن نجا وعبر السلطان فى اثرهم ثم رجع عنهم

(أخبار قراخان)

الذى يظهر من كلام ابن الاثير أن قراخان ولى بلاد الترك بتركستان وساغون فانه ذكره عقب هذا الخبر بالعدل وحسن السيرة وكثرة الجهاد ثم قال عقب كلامه فمن فتوحاته ختن بين الصين وتركستان وهى كثيرة العلماء والفضلاء ثم قال وبقى كذلك الى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة فتوفى فيها ولما توفى خلف ثلاثة بنين أرسلان خان وكنيته أبو شجاع ولقبه شرف الدولة وبقراخان ولم يذكر الثالث والظاهر انه شرف الدولة قال وكان لارسلان كاشغر وختن وساغون وخطب له على منابرها وكان عادلا مكرما للعلماء وأهل الدين محسنا اليهم وقصده كثير منهم فأكرمهم قال وكان لبقراخان طراز واسبيجاب ووقعت الفتنة بين بقراخان وأرسلان فغلبه بقراخان وحبسه وملك بلاده وقال فى موضع آخر كان يقنع من اخوته وأقاربه بالطاعة فقسم البلاد بينهم وأعطى اخاه أرسلان تكين كثيرا من بلاد الترك وأعطى أخاه طراز واسبيجاب واعطى عمه طغان خان فرغانة باسرها وأعطى ابنه على تكين بخارا وسمرقند وغيرهما وقنع هو ببلاد ساغون وكاشغر قال وفى سنة خمس وثلاثين أسلم كثير من كفار الترك الذين كانوا يطرقون بلاد

الاسلام بنواحى ساغون وكاشغر ويعيثون فيها ويصيفون ببلاد بلاساغون فأسلموا وافترقوا فى البلاد وبقى من لم يسلم التتر والخطا فى نواحى الصين انتهى ورجع الى بقراخان الاول وقال فيه حبس أخاه ارسلان خان وملك بلاده ثم عهد بالملك لولده الاكبر واسمه حسين جعفر تكين وكان له ولد آخر أصغر من حسين اسمه ابراهيم فغارت أمه لذلك وقتلت بقراخان بالسم وخنقت أخاه ارسلان فى محبسه ثم استلحمت وجوه اصحابه وأمرائه وملكت ابنها ابراهيم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة وبعثته فى العساكر الى برسخان مدينة بنواحى تركستان وكان صاحبها يسمى ينال تكين فانهزم ابراهيم وظفر به ينال تكين وقتله واختلف أولاد بقراخان وفسد أمرهم وقصدهم طقفاج خان صاحب سمرقند وفرغانة فأخذ من أولاد بقراخان الملك من أيديهم

(الخبر عن طقفاج خان وولده)

كان بسمرقند وفرغانة أيام بنى بقراخان واخوته ملك من الترك الخانية اسمه نصر ايلك ويلقب عماد الدولة ويكنى أبا المظفر ثم فلج سنة ثنتين وأربعمائة ومات وقد عهد بملكه لابنه شمس الدولة نصر فقصده أخوه طغان خان ابن طقفاج وحاصره بسمرقند وبيته شمس الدولة فهزمه وظفر به وكان ذلك فى حياة أبيهما ثم جاء بعد مماته الى محاربة شمس الدولة بقراخان هرون بن قدرخان يوسف وطغرلخان وكان طقفاج قد استولى على ممالكها وحاصره بسمرقند ولم يظفروا به ورجعوا عنه وصارت أعمال الخانية كلها فى أيديهما والاعمال المتاخمة لسيحون لشمس الدولة والتخم بينهما خجندة وكان السلطان البارسلان قد تزوج بابنة قدرخان وكانت قبله زوجا لمسعود بن محمود بن سبكتكين وتزوج شمس الدولة بابنة البارسلان شمس الملك وذلك سنة خمس وستين وملكها ونقل ذخائرها الى سمرقند وخاف أهل بلخ منه فاستأمنوا اليه وخطبوا له فيها الان اياس البارسلان سار الى الجوزجان وجاء اليها التكين وولى عليها وعاد الى ترمذ فثار أهل بلخ بأصحابه وقتلوهم فرجع اليهم وأمر باحراق المدينة ثم عفا عنهم وصادر التجار وبلغ الخبر الى البارسلان فعاد من الجوزجان وسار فى العساكر الى ترمذ فى منتصف سنة خمس فلقيه التكين وهزمه وغرق كثير من اصحابه فى النهر ثم استقامت الامور للسلطان ملكشاه فسار الى ترمذ سنة ست وستين وحاصرها ورماها بالمنجنيق وطم خندقها حتى استأمن أهلها واعتصم بقلعتها أخو التكين ثم استأمن وأطلقه السلطان الى أخيه ثم سار ملكشاه الى سمرقند ففارقها وبعث أخوه السلطان فى الصلح فأجابه ورده الى سمرقند ورجع السلطان الى خراسان انتهى قال ابن الاثير ثم مات شمس الدولة وولى بعده أخوه خضرخان ثم مات خضرخان فولى بعده ابنه أحمد خان وكان أحمد هذا أسره

ملك شاه فى سمرقند لما فتحها ووكل به جماعة من الديلم فلقن عنهم معتقدات الاباحة والزندقة فلما ولى أظهر الانحلال فاعتزم جنده على قتله وتفاوضوا فى ذلك مع نائبه بقلعة قاشان فأظهر العصيان عليه ليجلب اليه فسار فى العساكر وحاصر القلعة وتمكن جنده منه فقبضوا عليه ورجعوا به الى سمرقند فدفعوه الى القضاة وقتلوه بالزندقة وولوا مكانه مسعود خان ابن عمه قال ابن الاثير وكان جده من ملوكهم وكان أصم وقصده طغان خان ابن قراخان صاحب طراز فقتله واستولى على الملك وولى على سمرقند أبا المعالى محمد ابن محمد بن زيد العلوى فوليها ثلاث سنين ثم عصى عليه فحاصره وأخذه فقتله ثم خرج طغان خان الى ترمذ فلقيه السلطان سنجر وظفر به وقتله وأخذ سمرقند عمر خان وملك سمرقند ثم هرب من جنده الى خوارزم فظفر به السلطان أحمد وولى سمرقند محمد خان وولى بخارى محمد تكين وقال ابن الاثير فى ذكر كاشغر وتركستان انها كانت لارسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا ثم صارت لمحمود نوراخان صاحب طراز والشاش فملكها سنة وثلاثة أشهر ثم مات فولى بعده طغراخان بن يوسف قدرخان وملك بلاد ساغون وأقام ست عشرة سنة ثم توفى فملك ابنه طغرل تكين شهرين ثم جاء هرون بقراخان بن طقفاج نوراخان وهو اخو يوسف طغرل خان فملك كاشغر وقبض على هرون واستولى على ختن وما يتصل به الى ساغون وأقام عشرين سنة وتوفى سنة ست وتسعين وأربعمائة فولى بعده أحمد بن ارسلان خان وبعث اليه المستظهر بالخلع ولقبه نور الدولة

(مقتل قدرخان صاحب سمرقند)

قال ابن الاثير سنة خمس وتسعين وأربعمائة لما سار سنجر الى بغداد مع أخيه السلطان محمد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند فى خراسان فخالف اليها سنجر بعد رجوعه اليها وقد عظم الخلاف بين بركيارق وأخيه محمد وكان بعض أمراء سنجر اسمه كندغدى يكاتب قدرخان ويغريه ويستحثه الى البلاد فسار قدرخان الى بلخ سنة سبع وتسعين فى مائة ألف وبادر سنجر اليها فى ستة آلاف فلما تقارب الحق كندغدى بقدرخان فبعثه الى ترمذ ليملكها وجاء الخبر الى سنجر بأن قدرخان نزل قريبا من بلخ وأنه خرج متصيدا فى ثلثمائة فارس فجرد اليه عسكرا مع أميره برغش فهزمهم وجاء بكندغدى وقدرخان أسيرين وقيل انه وقع بينهما مصاف وانهزم قدرخان وأسر فقتله سنجر وسار الى ترمذ فحاصرها حتى استأمن اليه كندغدى فأمنه ولحق بغزنة وكان محمد ارسلان خان ابن سليمان بن داود بقراخان نازلا بمرو فبعث عنه السلطان سنجر وولاه على سمرقند وهو من نسل الخانية مما وراء النهر وأمه بنت السلطان سنجر وولاه ملك شاه

دفع عن ملك آبائه فقصد مرو وأقام بها فلما قتل قدرخان ولاه سنجر أعماله وبعث معه العساكر الكثيرة فاستولى عليها واستفحل ملكه ثم انتقض عليه من أمراء الترك تيمور لنك وجمع وسار الى محمد خان بسمرقند وغيرها فاستنجد محمد خان السلطان سنجر فأنجده بالعساكر وسار الى تيمور لنك فهزمه وفض جموعه ورجعت العساكر اليه

(انتقاض محمد خان عن سنجر)

ثم بلغ السلطان سنجر سوء سيرة محمد فى رعيته واهماله لأوامر السلطان فسار اليه سنة سبع وخمسمائة فخاف محمد خان غائلته وبعث الى الامير قماج أعظم أمراء سنجر يعتذر ويسأله الصلح فشرط عليه الحضور عند السلطان فاعتذر بالخوف وأنه يقف من وراء جيحون ويقبل الارض من هنالك فأجيب الى ذلك ووقفوا بعدوة النهر حتى وافى محمد خان بشرطه وسكنت الفتنة

(استيلاء السلطان سنجر على سمرقند)

كان السلطان سنجر لما ملك سمرقند ولى عليها ارسلان خان بن سليمان بقراخان داود أصابه الفالج واستناب ابنه نصر خان فوثب به أهل سمرقند وقتلوه وتولى كبر ذلك اثنان منهم أحدهما علوى وكان أبوه محمد المفلوج غائبا فعظم عليه وبعث عن ابنه الآخر من تركستان فجاء وقتل العلوى وصاحبه وكان والد ارسلان خان قد بعث الى السلطان سنجر يستحثه قبل قدوم ابنه الآخر فسار سنجر لذلك فلما قدم الى أبيه ارسلان وقتل قاتلى أخيه بعث ارسلان الى السلطان سنجر يعرفه ويسأله العود الى بلده فغضب لذلك وأقام أياما ثم جيء اليه بأشخاص واعترفوا بأن محمد اخان بعثهم لقتله فغضب وسار الى سمرقند فملكها عنوة وتحصن محمد خان ببعض الحصون حتى استنزله سنجر بالامان بعد مدة وأكرمه وكانت بنته تحته فبعثه اليها وأقام عندها وولى على سمرقند حسين تكين ورجع الى خراسان ومات حسين تكين فولى بعده عليها محمود بن محمد خان أخا زوجته

(استيلاء الخطا على تركستان وبلاد ما وراء النهر وانقراض دولة الخانية)

قال ابن الاثير هذا الخبر عن اضطراب عنده فيه على أن أخبار هذه الدولة الخانية فى كتابه ليست جلية ولا متضحة وأرجو ان مد الله فى العمر أن أحقق أخبارها بالوقوف عليها فى مظان الصحة وألخصها مرتبة فانى لم أوفها حقها من الترتيب لعدم وضوحها فى نقله وحاصل ما تقرر فى هذا الخبر من أحد طرقه أنه قال ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد ساغون وختن وطراز وغيرها مما يجاورها من بلاد ما وراء النهر

كانت بيد الملوك الخانية من الترك وهم من نسل فراسياب ملكهم الاول المنازع لملوك الكينية من الفرس وأسلم جدهم الاول سبق قراخان ويقال سبب اسلامه أنه رأى فى منامه رجلا نزل من السماء فقال له باللسان التركى ما معناه اسلم تسلم فى الدنيا والآخرة فأسلم فى منامه وأصبح مظهرا لاسلامه ولما مات قام مقامه ابنه موسى واتصل الملك فى عقبه الى ارسلان خان بن محمد بن سليمان بن سبق فخرج عليه قدرخان فى ملكه سنة أربع وتسعين وأربعمائة واجتمع الترك عليه وكانوا طوائف فكان منهم القارغلية وبقية الغز الذين عبروا الى خراسان ونهبوها على ما مر وكان لارسلان ابن اسمه نصرخان وفى صحابته شريف علوى اسمه الاشرف محمد بن أبى شجاع السمرقندى فحسن له طلب الملك من أبيه وأطمعه فيه فقتلهما ارسلان ثم وقعت بينه وبين القارغلية من الترك وحشة دعتهم الى الانتقاض والعصيان واستنجد بالسلطان سنجر فعبر جيحون بعساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة ووصل الى سمرقند وهرب القارغلية بين يديه ثم عثر على رجالة استراب بهم فقبض عليهم وتهددهم فذكروا أن ارسلان خان وضعهم على قتله فرجع الى سمرقند وملك القلعة وبعث ارسلان أسيرا الى بلخ فمات بها وقيل انه اختراع منه ووضع هذه الحكاية وسيلة لذلك ثم ولى السلطان سنجر على سمرقند قلج طمغاج وهو أبو المعالى الحسن بن على المعروف بحسن تكين كان من أعيان بيت الخانية فلم تطل أيامه ومات فولى سنجر مكانه محمود ابن أخته وهو ابن السلطان ارسلان فأقام ملكا عليها وكان ملك الصين كوخان قد وصل الى كاشغر سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة فى جيوش كثيفة ومعنى كو بلسان أهل الصين أعظم وخان سمة ملوك الترك وكان أعور وكان يلبس لبسة ملوك الترك وهو مانوى المذهب ولما خرج من الصين الى تركستان انضاف اليه طوائف الخطا من الترك وكانوا قد خرجوا قبله من الصين وأقاموا فى خدمة الخانية أصحاب تركستان فانضافوا الى كو ملك الصين وكثف جمعه بهم وزحف اليه صاحب كاشغر وهو الخان أحمد بن الحسن بجموعه فهزمه وأقامت طوائف الخطا معه فى تلك البلاد وكان سبب خروجهم من الصين ونزولهم ساغون أن ارسلان محمد كان يستنجد بهم ويجرى عليهم الارزاق والاقطاعات وينزلهم مسالح فى ثغوره ثم استوحشوا منه ونفروا وطلبوا الرحلة الى غير بلاده وارتادوا البلاد واختاروا منها بلد ساغون فساروا اليها وردد عليهم ارسلان الغزو ولما جاء كوخان ملك الصين صاروا فى جملته حتى اذا رجع زحفوا الى بلاد تركستان فملكوها بلدا بلدا وكانوا اذا ملكوا المدينة يأخذون دينارا من كل بيت ولا يزيدون عليه ويكلفون من يطيعهم من الملوك أن يعلق فى منطقته لوحا من فضة علامة على الطاعة ثم ساروا الى

بلاد ماوراء النهر سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولقيهم محمود خان ابن ارسلان خان فهزموه الى سمرقند وبخارا واستنجد بالسلطان سنجر ودعاه لنصر المسلمين فجمع العساكر واستنجد صاحب سجستان ابن خلف والغورى صاحب غزنة وملوك ماوراء النهر وغيرهم وسار للقائهم وعبر النهر فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وشكا اليه محمود من القارغلية فأراد أخذهم فهربوا الى كوخان وسألوه أن يشفع لهم عند السلطان سنجر وكتب اليه يشفع لهم فلم يشفعه وكتب اليه يدعوه الى الاسلام ويتهدده ولما بلغ الكتاب الى كوخان عاقب الرسول وسار للقاء سنجر فى أمم الترك والخطا والقارغلية فلقيه السلطان سنجر أول صفر سنة ست وعلى ميمنته قماج وعلى ميسرته صاحب سجستان وأبلى ذلك اليوم وساء أثر القارغلية فى تلك الحرب وانهزم السلطان سنجر والمسلمون واستمر القتل فيهم وأسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان ابنة ارسلان خان محمد وأطلقهم الكفار ولم يكن فى الاسلام وقعة أعظم من هذه ولا أفحش قتلا واستقرت الدولة فيما وراء النهر للخطا والترك وهم يومئذ على دين الكفر وانقرضت دولة الخانية المسلمين الذين كانوا فيها ثم هلك كوخان منتصف سبع وثلاثين وكان جميلا حسن الصوت ويلبس الحرير الصينى وكان له هيبة على أصحابه ولا يقطع أحدا منهم خوفا على الرعية من العسف ولا يقدم أميرا على فوق مائة فارس خشية أن تحدثه نفسه بالعصيان وينهى عن الظلم وعن السكر ويعاقب عليه ولا ينهى عن الزنا ولا يقبحه ولما مات ملكت بعده ابنته وماتت قريبا فملكت بعدها أمها زوجة كوخان وبقى ماوراء النهر بيد الخطا الى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد بن خوارزم شاه صاحب دولة الخوارزمية سنة ثنتى عشرة وستمائة على ما يأتى فى أخبار دولتهم

(اجلاء قارغلية من وراء النهر)

لما ملك ما وراء النهر سمرقند وبخارى جقرى خان ابن حسين تكين من بيت الخانية وأمره سنة تسع وخمسين باجلاء الترك القارغلية من أعمال بخارا وسمرقند الى كاشغر والزامهم الفلاحة ومجانبة حمل السلاح فامتنعوا من ذلك وألح عليهم جقرى خان فامتنعوا واجتمعوا للحرب وساروا الى بخارا فبعث اليهم بالوعظ فى ذلك والوعد الجميل خلال ما جمع بقراخان وكبسهم على بخارا فانهزموا وأثخن فيهم وقطع دابرهم وأجلاهم عن نواحى سمرقند وصلحت تلك النواحى والله أعلم

{الخبر عن دولة الغورية القائمين بالدولة العباسية بعد بنى سبكتكين}
{وما كان لهم من السلطان والدولة وابتداء أمرهم ومصاير أحوالهم}

كان بنو الحسين أيام سبكتكين ملوكا على بلاد الغور لبنى سبكتكين وكانت لهم شدة وشوكة وكان منهم لآخر دولة بنى سبكتكين أربعة أمراء قد اشتهروا واستفحل ملكهم وهم محمد وشورى والحسين شاه وسام بنو الحسين ولا أدرى الى من ينسب الحسين وأظنهم الى بهرام شاه آخر ملوك بنى سبكتكين التحم به فعظم شأنه ثم كانت الفتنة بين بهرام وأخيه ارسلان فمال محمد الى ارسلان وارتاب به بهرام لذلك ثم انقضى أمر ارسلان وسار محمد بن الحسين فى جموعه الى غزنة سنة ثلاث وأربعين موريا بالزيارة وهو يريد الغدر به وشعر بذلك بهرام فحبسه ثم قتله واستوحش الغورية لذلك

(مقتل محمد بن الحسين الغورى وولاية أخيه الحسين شاه ثم أخيه شورى)

ولما قتل محمد ولى من بعده أخوه شاه ابن الحسين ثم كانت الوقعة وملك بعده أخوه شورى بن الحسين وأجمع الاخذ بثأر أخيه من بهرام شاه فجمع له وسار الى غزنة سنة ثلاث وأربعين فملكها وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند فجمع عسكره التى هنالك ورجع الى غزنة وعلى مقدمته السلار بن الحسين وأمير هندوخان ابراهيم العلوى وسار شورى للقائه فانفض عنه عسكر غزنة الى بهرام شاه فانهزم وأسره بهرام ودخل غزنة فى محرم سنة أربع وأربعين وصلب شورى على باب غزنة واستقر فى ملكه

{مقتل شورى بن الحسين وولاية أخيه علاء الدين
ابن الحسين واستيلاؤه على غزنة وانتزاعها منه}

لما هلك شورى بن الحسين ملك الغور من بعده أخوه الحسين ويلقب علاء الدولة واستولى على جبال الغور ومدينة بيروزكوه المجاورة لأعمال غزنة من بلاد الهند وهى تقارب فى اتساعها بلاد خراسان فاستفحل ملكه وطمع فى ملك خراسان وسار الى هراة باستدعاء أهلها فحاصرها ثلاثا ثم ملكها بالامان وخطب فيها للسلطان سنجر وسار الى بلخ وبها الامير قماج من قبل السلطان سنجر فغدر به أصحابه فملك علاء الدولة بلخ وسار الى السلطان سنجر وقاتله وظفر به فأسره ثم خلع عليه ورده الى بيروزكوه ثم سار علاء الدين يريد غزنة سنة سبع وأربعين ففارقها صاحبها بهرام شاه وملكها علاء الدولة وأحسن السيرة واستخلف عليهم أخاه سيف الدولة وعاد الى بلاد الغور فلما جاء فصل الشتاء وسد الثلج المسالك كتب أهل غزنة الى بهرام شاه واستدعوه فلما وصل وثبوا بسيف الدولة وصلبوه وبايعوا لبهرام شاه وملكوه عليهم كما كان

(انتقاض شهاب الدين وغياث الدين على عمهما علاء الدولة)

لما استفحل أمر علاء الدولة واستفحل ملكه استعمل على البلاد العمال وكان فيمن

ولاه بلاد الغور ابنا أخيه سالم بن الحسين وهما غياث الدين وشهاب الدين احسنا السيرة فى عملهما ومال اليهما الناس وكثرت السعاية فيهما عند عمهما بأنهما يريدان الوثوب فبعث عنهما فامتنعا فجهز اليهما العساكر فهزماها وأظهرا عصيانه وقطعا خطبته فسار اليهما فقاتلاه قتالا شديدا حتى انهزم فاستأمن اليهما فأجلساه على التخت وقاما بخدمته وزوج بنته غياث الدين منهما وبقى مستبدا على عمه علاء الدولة ثم عهد اليه بالامر من بعده ومات

(وفاة علاء الدولة وولاية غياث الدين ابن أخيه من بعده وتغلب الغز على غزنة)

ثم توفى علاء الدولة ملك الغورية سنة ست وخمسين وقام بالامر من بعده ببيروزكوه غياث الدين أبو الفتح ابن أخيه سالم وطمع الغز بموته فى ملك غزنة فملكوها من يده وبقى غياث الدين فى كرسيه ببيروزكوه وأعمالها وابنه سيف الدين محمد فى بلاد الغور ثم أساء السيرة الغز فى غزنة بعد مقامهم فيها خمس عشرة سنة واستفحل أمر غياث الدين فسار الى غزنة سنة احدى وسبعين فى عساكر الغورية والخلج والخراسانية ولقى الغز فهزمهم وملك غزنة من أيديهم وسار الى كرمان وشنوران فملكهما وكرمان هذه بين غزنة والهند وليست كرمان المعروفة ثم سار غياث الدين الى لهاور ليملكها من يد خسروشاه ابن بهرام فبادر خسروشاه الى نهر المد ومنعه العبور منه فرجع وملك ما يليه من جبال الهند وأعمال الافغان وولى غزنة أخاه شهاب الدين ورجع الى بيروزكوه

(استيلاء شهاب الدين الغورى على لهاور ومقتل خسروشاه صاحبها)

ولما ولى شهاب الدين الغورى غزنة أحسن السيرة فيهم وافتتح جبال الهند مما يليه فاستفحل ملكه وتطاول الى ملك لهاور وقاعدة الهند من يد خسروشاه فسار سنة تسع وسبعين فى عساكر خراسان والغور وعبر اليها وحاصرها وبذل الامان لخسروشاه وأنكحه ابنته وسوغه ما يريد من الاقطاع على أن يخرج اليه ويخطب لأخيه فأبى من ذلك وبقى شهاب الدين يحاصره حتى ضاق مخنقه بالحصار وخذله أهل البلد فبعث بالقاضى والخطيب يستأمنان له فأمنه ودخل شهاب الدين البلد وبقى خسروشاه عنده مكرما وبعد شهرين وصل الامر من غياث الدين بانفاذ خسروشاه اليه فارتاب من ذلك فأمنه شهاب الدين وحلف له وبعث به وبأهله وولده مع جيش يحفظونهم فلما وصلوا بلاد الغور حبسهم غياث الدين ببعض قلاعه فكان آخر العهد به وبابنه

(استيلاء غياث الدين على هوارة وغيرها من خراسان)

ولما استقر ملك غياث الدين بلهاور كتب الى أخيه شهاب الدين الذى تولى فتحها أن يقيم الخطبة له ويلقبه بألقاب السلطان فلقبه غياث الدنيا والدين معين الاسلام والمسلمين

قسيم أمير المؤمنين ولقب أخاه شهاب الدين بعز الدين ثم لما فرغ شهاب الدين من أمور لهاور وسار الى أخيه غياث الدين بفيروزكوه فاتفق رأيهما على المسير الى هراة من خراسان فسار فى العساكر فحاصرها وبها عسكر السلطان سنجر وأمراؤه فاستأمنوا اليهما وملكا هراة وسار الى بوشنج فملكها ثم الى باذغيس كذلك وولى غياث الدين على ذلك وعاد الى فيروزكوه وشهاب الدين الى غزنة ظافرين غانمين

(فتح أجرة على يد شهاب الدين)

لما عاد شهاب الدين الى غزنة راح بها أياما حتى استراحت عساكره ثم سار غازيا الى بلاد الهند سنة سبع وأربعين وحاصر مدينة أجرة وبها ملك من ملوكهم فلم يظفر منه بطائل فراسل امرأة الملك فى أنه يتزوجها اذا ملك البلد فأجابت بالعذر ورغبت فى ابنتها فأجاب فقتلت زوجها بالسم وملكته البلد فأخذ الصبية وأسلمت وحملها الى غزنة ووسع عليها الجراية ووكل بها من يعلمها القران حتى توفت والدتها وتوفت هى من بعدها لعشر سنين ولما ملك البلد سار فى نواحى الهند فدوخها وفتح الكثير منها وبلغ منها مالم يبلغه أحد قبله

(حروب شهاب الدين مع الهنود وفتح دهلى وولاية قطب الدين أيبك عليها)

ولما اشتدت نكاية شهاب الدين فى بلاد الهند تراسل ملوكهم وتلاوموا بينهم وتظاهروا على المسلمين وحشدوا عساكرهم من كل جهة وجاؤا بقضهم وقضيضهم فى حكم امرأة ملكت عليهم وسار هو فى عساكره من الغورية والخلج والخراسانية وغيرهم والتقوا فمحص الله المسلمين وأثخن فيهم الكفرة بالقتل وضرب شهاب الدين فى يده اليسرى فشلت وعلى رأسه فسقط عن فرسه وحجز بينهم الليل وحمله جماعة من غلمانه الى منجاته ببلده وسمع الناس بنجاته فتباشروا ووفدوا عليه من كل جهة وبعث اليه أخوه غياث الدين بالعساكر وعذله فى عجلته ثم ثارت الملكة ثانيا الى بلاد شهاب الدين بالعساكر وبعثت الى شهاب الدين بالخروج عن أرض الهند الى غزنة فأجاب الى ذلك بعد أن يستاذن أخاه غياث الدين وينظر جوابه وأقاموا على ذلك وقد حفظ الهنود مخاضات النهر بينهم وهو يحاول العبور فلا يجد وبينما هو كذلك جاءه بعض الهنود فدله على مخاضة فاستراب به حتى عرفه قوم من أهل أجرة والملتان وبعث الامير الحسن بن حرميد الغورى فى عسكر كثيف وعبر تلك المخاضة ووضع السيف فى الهنود فأجفل الموكلون بالمخاضات وعبر شهاب الدين وباقى العساكر وأحاطوا بالهنود ونادوا بشعار الاسلام فلم ينج منهم الا الاقل وقتلت ملكتهم وأسروا منهم أمما وتمكن شهاب الدين بعدها من بلاد الهند وحملوا له الاموال وضربت عليهم الجزية فصالحوه وأعطوه الرهن عليها

وأقطع قطب الدين أيبك مدينة دهلى وهى كرسى الممالك التى فتحها وأرسل عسكرا من الخلج مختارين ففتحوا من بلاد الهند مالم يفتحه أحد حتى قاربوا حدود الصين من جهة الشرق وذلك كله سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

(مقتل ملك الغور محمد بن علاء الدين)

قد تقدم لنا أن محمد بن علاء الدين ملك الغور بعد أبيه وأقام ملكا عليها ثم سار سنة ثمان وخمسين بعد أن احتفل فى الاحتشاد وجمع العساكر وقصد بلخ وهى يومئذ للغز فزحفوا اليه وجاءهم بعض العيون بأنه خرج من معسكره لبعض الوجوه فى خف من الجند فركبوا لاعتراضه ولقوه فقتلوه فى نفر من أصحابه واسروا منهم آخرين ونجا الباقون الى المعسكر فارتحلوا هاربين الى بلادهم وتركوا معسكرهم بما فيه فغنمه الغز وانقلبوا الى بلخ ومرو ظافرين غانمين

(الفتنة بين الغورية وبين خوارزم شاه على ما ملكوه من بلاد خراسان)

قد تقدم لنا أن غياث الدين وشهاب الدين ابنى أبى الفتح سام بن الحسين الغورى رجعا الى خراسان سنة سبع وأربعين فملكا هراة وبوشنج وباذغيس وغيرها وذلك عند انهزام سنجر أمام الغز وافترق ملكه بين أمرائه ومواليه فصاروا طوائف وأظهرهم خوارزم شاه بن أتسز بن محمد بن أنوشتكين صاحب خوارزم فلما كان سنة خمس وسبعين قام بأمره ابنه سلطان شاه ونازعه أخوه علاء الدين تكش فغلبه على خوارزم وخرج سلطان شاه الى مرو فملكها من يد الغز ثم أخرجوه منها فاستجاش بالخطا وأخرجهم من مرو وسرخس ونسا وابيورد وملكها جميعا وصرف الخطا الى بلادهم وكتب الى غياث الدين أن ينزل له عن هراة وبوشنج وباذغيس وما ملكه من خراسان وهدده على ذلك فراجعه باقامة الخطبة له بمرو وسرخس وما ملكه من خراسان فامتعض لذلك سلطان شاه وسار الى بوشنج فحاصرها وعاث فى نواحيها وجهز غياث الدين عساكره مع صاحب سجستان وابن أخته بهاء الدين سام بن باميان لغيبة أخيه شهاب الدين فى الهند فساروا الى خراسان وكان سلطان شاه يحاصر هراة فخام عن لقائهم ورجع الى مرو وعاث فى البلاد فى طريقه وأعاد الكتاب الى غياث الدين بالتهديد فاستقدم أخاه شهاب الدين من الهند فرجع مسرعا وساروا الى خراسان وجمع سلطان شاه جموعا ونزل الطالقان وترددت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح الى الصلح بالنزول له عن بوشنج وباذغيس وشهاب الدين يجنح الى الحرب وغياث الدين يكفهم وجاء رسول سلطان شاه لاتمام العقد فقام شهاب الدين العلوى وقال لا يكون هذا أبدا ولا تصالحوه وقام شهاب الدين ونادى فى عسكره بالحرب والتقدم الى مرو الروذ

وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه ودخل الى مرو فى عشرين فارسا وبلغ الخبر الى أخيه فسار ليعترضه عن جيحون وسمع سلطان شاه بتعرض أخيه له فرجع عن جيحون وقصد غياث الدين فأكرمه وأكرم أصحابه وكتب أخوه علاء الدين فى رده اليه وكتب الى نائب هراة يتهدده فاستعض غياث الدين لذلك وكتب الى خوارزم شاه بأنه مجيره وشفيع له ويطلب بلاده وميراثه من أبيه ويضمن له الصلح مع أخيه سلطان شاه وطلب منه مع ذلك أن يخطب له بخوارزم ويزوج أخته من شهاب الدين فامتعض علاء الدين لذلك وكتب بالتهديد فسرح غياث الدين جميع عساكره مع سلطان شاه الى خوارزم شاه وكتب الى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده فجمع عساكره وقام فى انتظارهم وسمع بذلك علاء الدين تكش وهو زاحف للقاء أخيه سلطان شاه وعساكر الغورية فخشى أن يخالفوه الى خوارزم وكر اليها راجعا واحتمل أمواله وعبر الى الخطا وقدم فقهاء خوارزم فى الصلح والصهر ووعظه الفقهاء وشكوا اليه بأن علاء الدين يستجيش بالخطا فاما أن تنجدهم وكرسى الملك فتمنعنا منهم أو تصالحه فأجاب الى الصلح ونزل بمعاوضة البلاد ورجع الى كرسيه

غزوة شهاب الدين الى الهند وهزيمة المسلمين بعد الفتح
ثم غزوته الثانية وهزيمة الهنود وقتل ملكهم وفتح اجمير

كان شهاب الدين قد سار سنة ثلاث وثمانين الى الهند وقصد بلاد اجمير وتعرف بولاية السوالك واسم ملكهم كوكه فملك عليهم مدينة تبرندة ومدينة أسرستى وكوه رام فاستعض الملك وسار للقاء المسلمين ومعه أربعة عشر فيلا واقيهم شهاب الدين فى عساكر المسلمين فانهزمت ميمنته وميسرته وحمل على الفيلة فطعن منها واحدا ورمى بحربة فى ساعده فسقط عن فرسه وقاتل أصحابه عليه فخلصوه وانهزموا ووقف الهنود بمكانهم ولما بعد شهاب الدين عن المعركة نزف من جرحه الدم فأصابه الغشى وحمله القوم على اكتافهم فى محفة اتخذوها من اللبود ووصلوا به الى لهاور ثم سار منها الى غزنة فأقام الى سنة ثمان وثمانين وخرج من غزنة غازيا الطلب الثار من ملك الهند ووصل الى برساور وكان وجوه عسكره فى سخطة منه منذ انهزموا عنه فى النوبة الاولى فحضروا عنده واعتذروا وعدوا من أنفسهم الثبات وتضرعوا فى الصفح فقبل منهم وصفح عنهم وسار حتى انتهى الى موضع المصاف الاول وتجاوزه بأربع مراحل وفتح فى طريقه بلادا وجمع ملك الهند وسار للقائه فكر راجعا الى أن قارب بلاد الاسلام بثلاث مراحل ولحقه الهنود قريبا من بربر فبعث شهاب الدين سبعين ألفا من عسكره ليأتوا العدو من ورائهم وواعدهم هو الصباح وأسرى هو ليلة فصبحهم فذهلوا وركب الملك فرسه للهروب فتمسك به أصحابه فركب الفيل واستماتت قومه عنده وكثر فيهم

القتل وخلص اليه المسلمون فأخذوه أسيرا وأحضروه عند شهاب الدين فوقف بين يديه وجذبوا بلحيته حتى قبل الارض ثم أمر به فقتل ولم ينج من الهنود الا القليل وغنم المسلمون جميع ما معهم وكان فى جملة الغنائم الفيول ثم سار شهاب الدين الى حصنهم الاعظم وهو اجمير ففتحه عنوة وملك جميع البلاد التى تقاربه وأقطعها كلها لمملوكه أيبك نائبه فى دهلى وعاد الى غزنة

(غزوة بناوس ومقتل ملك الهند ثم فتح بهنكر)

كان شهاب الدين ملك غزنة قد أمر مملوكه قطب الدين أيبك خليفته على دهلى أن يغزو بلاد الهند من ناحيته فسار فيها ودوخها وعاث فى نواحيها وسمع ملك بناوس وهو أكبر ملوك الهند وولايته من تخوم الصين الى بلاد ملا وأطولا ومن البحر الاخضر الى عشرة أيام من لهاور عرضا وتلك البلاد من أيام السلطان محمود مقيمون على اسلامهم فاستنفرهم معه مسلمون كانوا فى تلك البلاد فسار الى شهاب الدين سنة تسعين والتقوا على ماحون نهر كبير يقارب دجلة فاقتتلوا ونزل الصبر ثم نصر الله المسلمين واستلحم الهنود وقتل ملكهم وكثر السبى فى جواريهم والاسرى من أبنائهم وغنموا منهم تسعين فيلا وهرب بقية الفيول وقتل بعضها ودخل شهاب الدين بلاد بناوس وحمل من خزائنها ألفا وأربعمائة حمل وعاد الى غزنة ثم سار سنة ثنتين وتسعين الى بلاد الهند وحاصر قلعة بهنكر حتى تسلمها على الامان ورتب فيها الحامية وسار الى قلعة كواكير وبينهما خمس مراحل يعترضها نهر كبير فحاصرها شهرا حتى صالحوه على مال يحملونه فحملوا اليه حمل فيل من الذهب فرحل عنهم الى بلاد ابى رسود فأغار ونهب وسبى وأسر وعاد الى غزنة ظافرا

(استيلاء الغورية على بلخ وفتنتهم مع الخطا بخراسان)

كان الخطا قد غلبوا على مدينة بلخ وكان صاحبها تركيا اسمه ازبه يحمل اليهم الخراج كل سنة وراء النهر فتوفى أزبه سنة أربع وتسعين وكان بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود صاحب باميان من قبل خاله غياث الدين فسار الى بلخ وقطع الحمل للخطا وخطب لغياث الدين وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت فى طاعة الكفار فامتعض الخطا لذلك واعتزموا على فتنة الغورية واتفق أن علاء الدين تكش صاحب خوارزم بعث اليهم يغريهم ببلاد غياث الدين وكان سبب ذلك انه ملك الرى وهمذان واصفهان وما بينهما وتعرض لعساكر الخليفة وطلب الخطبة والسلطنة ببغداد كما كان ملوك السلجوقية فبعث الخليفة يشكوه الى غياث الدين يقبح فعله وينهاه عن قصد العراق ويتهدده بسلطان شاه وأخذ بلاده فأنف من ذلك وبعث الى الخطا يغريهم ببلاده فجهز

ملك الخطا جيشا كثيفا مع مقدم عساكره وعبروا النهر الى بلاد الغور وسار علاء الدين تكش الى طوس لحصارها لان غياث الدين عاجز عن الحركة بعلة النقرس فعاثوا فى بلاده ماشاء الله وحاصر الخطا بهاء الدين فاشتدت الحرب وثبت المسلمون وجاء المدد من عند غياث الدين ثم حملوا جميعا على الخطا فهزموهم الى جيحون وألقى الكثير منهم أنفسهم فى الماء فهلك منهم نحو اثنى عشر ألفا وعظم الامر على ملك الخطا وبعث الى علاء الدين تكش صاحب خوارزم يطوقه الذنب ويطالبه بدية القتلى من أصحابه والزمه الحضور عنده فبعث علاء الدين تكش يشكو ذلك الى غياث الدين فرد جوابه باللوم على عصيان الخليفة ودعا ذلك علاء الدين الى الفتنة مع الخطا وانتزاعه بخارا من أيديهم كما يأتى فى أخبارهم

(استيلاء الغورية على ملك خوارزم شاه بخراسان)

ثم توفى علاء الدين تكش صاحب خوارزم وكان قد ملك بعض خراسان وبلاد الرى والبلاد الجبالية فولى بعده ابنه قطب الدين ولقب علاء الدين بلقب أبيه وولى علاء الدين أخاه على شاه خراسان وأقطعه نيسابور وكان هندوخان ابن أخيهما ملكشاه فخاف عمه فلحق بمرو وجمع الجموع وبعث اليه عمه محمد العسكر مع جنقر التركى فهرب هندوخان ولحق بغياث الدين مستنجدا به على عمه فأكرمه ووعده ودخل جنقر الى مرو وحمل منها ولدخان وأمه مكرمين الى خوارزم وأرسل غياث الدين الى صاحب الطالقان محمد بن خربك بأن يتهدد جنقر فسار من الطالقان واستولى على مرو الروذ   وبعث الى جنقر يأمره بالخطبة بمرو لغياث الدين أو بفارقها فأساء الجواب ظاهرا واستأمن الى غياث الدين سرا ولما علم غياث الدين بذلك قوى طمعه فى البلاد وكتب الى أخيه شهاب الدين بالمسير الى خراسان فسار من غزنة فى عساكره فى منتصف سنة ست وتسعين ولما انتهى الى الطالقان استحثه جنقر صاحب مرو للبلد واخبره بطاعته حتى اذا وصل اليه خرج فى العساكر فقاتله وهزمه شهاب الدين وزحف بالفيلة الى السور فاستأمن جنقر وخرج اليه وملك شهاب الدين مرو وبعث بالفتح الى غياث الدين فجاء الى مرو وبعث جنقر الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان بن ملكشاه المستنجد به وأوصاه بالاحسان الى أهلها وسار الى سرخس فحاصرها ثلاثا وملكها على الامان وأرسل الى على شاه نائب علاء الدين محمد بنيسابور وينذره الحرب ان امتنع من الطاعة فاستعد للحصار وخربوا العمائر بظاهرها وقطعوا الاشجار وحمل محمود بن غياث الدين فضايق البلد وملك جانبها ورفع راية أبيه على السور وحمل شهاب الدين من الناحية الاخرى فسقط السور بين

يديه وملك البلد ونهب الجند عامتها ثم نودى بالامان ورفع النهب واعتصم الخوارزميون بالجامع فأخرجهم أهل البلد الى غياث الدين ثم سار الى قهستان فذكر له عن قرية فى نواحيها أن أهلها اسماعيلية فدخلها وقتل المقاتلة وسبى الذرية وخرب القرية ثم سار الى مدينة أخرى ذكر له عنها مثل ذلك وأرسل صاحب قهستان الى غياث الدين يستغيثون من شهاب الدين ويذكرونه العهد فأرسل غياث الدين الى أخيه شهاب الدين بالرجوع عنهم طوعا أو كرها ووصل الرسول بذلك فامتنع فقطع طنب خيمته ورحل العسكر فرحل شهاب الدين كرها ورجع الى غزنة

(فتح نهرواكد من الهند)

لما رجع شهاب الدين من خراسان غاضبا من فعل أخيه لم يعرج على غزنة ودخل بلاد الهند غازيا سنة ثمان وتسعين وبعث فى مقدمته مملوكه قطب الدين أيبك ولقيه عساكر الهند دون نهرواكد فهزمهم أيبك واستباحهم وتقدم الى نهرواكد فملكها عنوة وفارقها ملكها وجمع ورأى شهاب الدين انه لا يقوم بحمايتها الا مقامه فيها فصالح ملكها على مال يؤديه اليه عنها ورجع الى غزنة

(اعادة علاء الدين محمد صاحب خوارزم ما أخذه الغورية من خراسان)

لما فصل الغورية عن خراسان وملكوا ما ملكوه منها وسار شهاب الدين الى الهند غازيا بعث علاء الدين محمد صاحب خوارزم الى غياث الدين يعاتبه على ما فعل فى خراسان ويطلب اعادة بلده ويهدده باستدعاء عساكر الخطا فصانعه فى الخطاب حتى قدم شهاب الدين فطمع بالمصانعة وبعث الى نائبهم بخراسان يأمره بالرحيل عن نيسابور ويتهدده فكتب الى غياث الدين بذلك وبميل أهل نيسابور الى عدوهم فوعده النصر وسار اليه علاء الدين صاحب خوارزم آخر سنة تسع وتسعين فلما انتهى الى نسا وأبيورد هرب هندوخان ابن أخيه ولحق بغياث الدين فى فيروزكوه وملك علاء الدين مدينة مرو وسار الى نيسابور وحاصرها شهرين فلما أبطأ عن نائبها المدد من غياث الدين استأمن لصاحب خوارزم وخرج اليه هو وأصحابه فأحسن اليهم وطلب علاء الدين أن يسعى فى الصلح بينه وبين غياث الدين وأخيه فوعده بذلك وسار الى هراة فأقام بها ولم يمض الى غياث الدين سخطة لتأخر المدد عنه واختص صاحب خوارزم الحسن بن حرميل من أعيان الغورية واستحلفه أن يكون معه عند غياث الدين ثم سار الى سرخس وبها الامير زنكى فحاصره أربعين يوما وتعددت بينهما حروب ثم بعث اليه زنكى بأن يتأخر عن البلد قليلا حتى يخرج هو وأصحابه فتأخر بأصحابه وخرج زنكى فشحن البلد بالاقوات والحطب وأخرج من ضاق به الحصار وتحصن فندم صاحب خوارزم على

تأخره وجهز عسكرا لحصاره ورجع فلما بعد سار محمد بن خربك من الطالقان وأرسل الى زنكى بأن يكبس العسكر الذى عليه ونذر بذلك أهل العسكر فأفرجوا عن سرخس وخرج زنكى ولقى محمد بن خربك فى مرو وجبوا خراج تلك الناحية وبعث اليهم صاحب خوارزم عسكرا من الثلاثة آلاف فارس فلقيهم محمد بن خربك فى تسعمائة فهزمهم وغنم معسكرهم وعاد صاحب خوارزم الى بلده وأرسل الى غياث الدين فى الصلح فأجابه مع أمير من أكابر الغورية اسمه الحسن بن محمد المرغنى فقبض عليه صاحب خوارزم وحبسه ومرغن من قرى الغور

(حصار هراة)

لما بعث صاحب خوارزم الى غياث الدين فى الصلح وجاء عنده الحسن المرغنى تبين عنه المغالطة فحبسه وسار الى هراة وحاصرها وكان بها اخوان من خدمة السلطان شاه تكش فكتبا الى صاحب خوارزم ووعداه بالثورة له فى البلد وكانا يليان فتح الابواب وأمور الحصار من داخل فأطلع الامير الحسن المرغنى المحبوس عند صاحب خوارزم على أمرهما فبعث الى أخيه بذلك عمر صاحب هراة فاعتقلهما وبعث غياث الدين العساكر مددا لهراة مع ابن أخته ألب غازى فنزل على خمسة فراسخ منها ومنع الميرة عن عسكر صاحب خوارزم فبعث صاحب خوارزم عسكرا الى الطالقان للغارة عليها وقاتلهم الحسن بن خربك فظفر بهم ولم يفلت منهم أحد ثم سار غياث الدين فى عساكره ونزل قريبا من هراة فاعتزم صاحب خوارزم على الرحيل بعد حصار أربعين لهزيمة أصحابه بالطالقان ومسير العساكر مع ألب غازى ثم مسير غياث الدين ثم توقعه عود شهاب الدين من الهند وكان قد وصل الى غزنة منتصف ثمان وتسعين فراسل أمير هراة وصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد وبلغ الخبر شهاب الدين وجاء الى طوس وشتى بها عازما على حصار خوارزم فجاءه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فانثنى عزمه وسار الى هراة

(وفاة غياث الدين وانفراد شهاب الدين بالملك)

ثم توفى غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام صاحب غزنة وبعض خراسان وفيروز كوه ولهاور وزودهلى من الهند وكان أخوه شهاب الدين بطوس كما ذكرنا فسار الى هراة وأظهر وفاة أخيه وجلس للعزاء وخلف غياث الدين ابنا اسمه محمود فلقب غياث الدين ولما سار شهاب الدين عن طوس استخلف بمرو الامير محمد بن خربك وبعث اليه صاحب خوارزم العساكر فبيتهم ولم ينج منهم الا القليل وأنفذ بالاسارى والرؤس الى هراة وأعاد اليه صاحب خوارزم الجيوش مع منصور التركى فلقيهم على عشرة فراسخ

من مرو فهزموه وحاصروه خمسة عشر يوما حتى استأمن اليهم وخرج فقتلوه وترددت الرسل بين شهاب الدين وصاحب خوارزم فى الصلح فلم يتفق بينهما أمر ولما اعتزم شهاب الدين على العود الى غزنة ولى على هراة ابن أخته ألب غازى وقلد علاء الدين محمد الغورى مدينة فيروز كوه وبلد الغور وجعل اليه حرب خراسان وأمور المملكة وجاءه محمود ابن أخيه غياث الدين فولاه على بست واسفراين وتلك الناحية وبعده عن الملك جملة وكانت لغياث الدين زوجة مغنية شغف بها وتزوجها فقبض عليها شهاب الدين وضربها ضربا مبرحا وضرب ولدها غياث الدين وزوج أختها واستصفاهم وغربهم الى بلاد الهند وكانت بنت مدرسة ودفنت فيها أباها فخربها ونبش قبورهم ورمى بعظامهم وكان غياث الدين ملكا عظيما ظفرا على قلة حروبه فانه كان قليل المباشرة للحروب وكان ذا هيبة جوادا حسن العقيدة كثير الصدقة بنى بخراسان وغيرها المساجد والمدارس للشافعية وبنى الخوانك فى الطرق وبنى على ذلك الاوقاف الكثيرة وأسقط المكوس وكان لا يتعرض الى مال أحد ومن مات ووارثه غائب دفعه الى امناء التجار من أهل بلده ليوصلوه الى ورثته فان لم يجد تاجرا ختم عليه القاضى الى أن يصل مستحقه وان كان لا وارث له تصدق عنه بماله وكان يحسن الى أهل البلد اذا ملكها ويفرض الادرارات للفقهاء كل سنة من خزائنه ويفرق الاموال على الفقراء ويصل العلوية والشعراء وكان أديبا بليغا بارع الخط ينسخ المصاحف ويفرقها فى المدارس التى بناها وكان شافعى المذهب من غير تعصب لهم ويقول التعصب فى المذاهب هلاك

(فتنة الغورية مع محمد بن تكش صاحب خوارزم وحصار هراة ثم حصارهم خوارزم وحروب شهاب الدين مع الخطا)

لما هلك غياث الدين وملك أخوه شهاب الدين بعده طمع محمد بن تكش صاحب خوارزم فى ارتجاع هراة وكان قد راسل شهاب الدين فى الصلح فلم يتم وسار شهاب الدين عن غزنة الى لهاور وغزا بها فسار حينئذ محمد بن تكش الى هراة منتصف سنة ستمائة وحاصرها وكان بها ألب غازى ابن أخت شهاب الدين وطال حصارها الى سلخ شعبان وقتل بين الفريقين خلق منهم رئيس خراسان المقيم يومئذ بمشهد طوس وكان الحسين بن حرميل من أعيان الغورية بجوربان وهو اقطاعه فمكر بصاحب خوارزم وأظهر له الموالاة وأشار بأن يبعث اليه فوارس يعطيهم بعض الفيلة وقعد لهم هو والحسين بن محمد المرغنى بالمراصد فاستلحموهم ثم مات ألب غازى وضجر صاحب خوارزم من الحصار فارتحل الى سرخس وحاصرها وبلغت هذه الاخبار شهاب الدين ببلاد الهند فكر راجعا وقصد مدينة خوارزم فأغذ محمد بن تكش السير من سرخس ونزل اثقاله

وسبقه اليه وقاتله الخوارزمية قتالا شديدا وفتكوا فيه وهلك من الغورية جماعة منهم الحسين بن محمد المرغنى وأسر جماعة من الخوارزمية فأمر شهاب الدين بقتلهم ثم بعث خوارزم شاه الى الخطا يستنجدهم أن يخالفوا شهاب الدين الى بلاد الغورية فساروا اليها ولما سمع شهاب الدين كرّ راجعا الى البلاد فلقى مقدمة عسكرهم بصحراء ايدخوى فى صفر سنة احدى وستمائة فأوقع بهم وأثخن فيهم وجاءت ساقتهم على أثر ذلك فلم يكن له بهم قبل فانهزم ونهبت أثقاله وقتل الكثير من أصحابه ونجا فى الفل الى ايدخوى وحاصروه حتى أعطاهم بعض الفيلة وخلص وكثر الارجاف فى بلاد الغور بمهلكه ووصل الى الطالقان فى سبعة نفر وقد لحق بها نائبها الحسين بن حرميل ناجيا من الوقعة فاستكثر له من الزاد والالونة وكفاه مهمه وكان مستوحشا مع من استوحش من الامراء بسبب انهزامهم عن شهاب الدين فحمله شهاب الدين الى غزنة تأنيسا له واستصحبه ولما وقع الارجاف بموت شهاب الدين جمع مولاه تاج الدين العسكر وجاء الى قلعة غزنة طامعا فى ملكها فمنعه مستحفظها فرجع الى اقطاعه وأعلن بالفساد وأغرى بالخلج من الترك فكثر عيثهم وكان له مولى آخر اسمه أيبك فلحق بالهند عند نجاته من المعركة وأرجف بموت السلطان واستولى على الملتان وأساء فيها السيرة فلما وصل خبر شهاب الدين الناس من سائر النواحى جمع شهاب الدين لغزو الخطا والثار منهم

(حروب شهاب الدين مع بنى كوكر والتفراهية)

كان بنو كوكر هؤلاء موطنين فى الجبال بين لهاوور والملتان معتصمين بها لمنعتها وكانوا فى طاعة شهاب الدين ويحملون اليه الخراج فلما وقع الارجاف بموته انتقضوا وداخلوا صاحب جبل الجودى وغيره من أهل الجبال فى ذلك وجاهروا بالعيث والفساد وقطع السابلة ما بين غزنة ولهاوور وغيرها وبعث شهاب الدين الى محمد بن أبى على بلهاوور والملتان يأمره بحمل المال بعد أن قتل مملوكه أيبك قال ومهد البلاد فاعتذر بنو كوكر فبعث شهاب الدين مملوكه أيبك الى بنى كوكر يتهددهم على الطاعة فقال كبيرهم لو كان شهاب الدين حيا لكان هو المرسل الينا واستخفوا أمر أيبك فعاد الرسول بذلك فأمر شهاب الدين بتجهيز العساكر فى قرى سابور ثم عاد الى غزنة فى شعبان سنة احدى وستمائة ونادى بالمسير الى الخطا ورجع بنو كوكر الى حالهم من اخافة السابلة ودخل معهم كثير من الهنود فى ذلك وخشى على انتقاض البلاد فانثنى عزمه عن الخطا وسار الى غزنة وزحف الى جبال بنى كوكر فى ربيع الاول سنة ثنتين ولما انتهى الى قرى سابور أغذ السير وكبس بنى كوكر فى محالهم وقد نزلوا من الجبال الى البسيط يرومون اللقاء فقاتلوه يوما الى الليل واذا بقطب الدين أيبك فى عساكره منادين بشعار الاسلام

فحملوا عليهم وانهزموا وقتلوا بكل مكان واستبيحوا بأجمة فأضرمت عليهم نارا وغنم المسلمون أهاليهم وأموالهم حتى بيع المماليك خمسة بدينار وقتل كبير بنى كوكر الذى كان مملكا عليهم وقصد دانيال صاحب الجند الجودى وسار اليها فأقام بها منتصف رجب وهو يستنفر الناس ثم عاد نحو غزنة وأرسل بهاء الدين سام صاحب باميان بالعبور الى سمرقند وان يتخذ الجسر لعبور العساكر وكان أيضا ممن دعاه هذا الارجاف الى الانتقاض التراهية وهم قوم من أهل الهند بنواحى قرى سابور دينهم المجوسية ويقتلون بناتهم بعد النداء عليهن للتزويج فاذا لم يتزوجها أحد قتلوها وتزوج المرأة عندهم بعدة أزواج وكانوا يفسدون فى نواحى قرى سابور ويكثرون الغارة عليها وأسلم طائفة منهم آخر أيام شهاب الدين الغورى ثم انتقضوا عند هذا الارجاف وخرجوا الى حدود سوران ومكران وشنوا الغارة على المسلمين فسار اليهم الخلجى نائب تاج الدين الذى بتلك الجهة فأوقع بهم وأثخن فيهم وبعث برؤس الاعيان منهم فعلقت ببلاد الاسلام وصلح أمر البلاد

(مقتل شهاب الدين الغورى وافتراق المملكة بعده)

لما قضى شهاب الدين شأنه من بلاد الغور وأصلح ما كان بها من الفساد ارتحل من لهاوور عائدا الى غزنة عازما على قصد الخطا بعد أن استنفر أهل الهند وأهل خراسان فلما نزل بدميل قريبا من لهاوور طرق خيمته جماعة من الدعار فقتلوا بعض الحرس وثار بهم الناس وذهل باقى الحرس بالهيعة فدخل منهم البعض على شهاب الدين وضربوه فى مصلاه وقتلوه ساجدا وقتلوا عن آخرهم أول شعبان سنة ثنتين وستمائة فيقال ان هذه الجماعة من الكوكرية الذين أحفظهم ما فعل بهم ويقال من الاسماعيلية لانهم كانوا اغلوا منه وكانت عساكره تحاصر قلاعهم ولما قتل اجتمع الامراء عند وزيره مؤيد الدين خواجا سجستان واتفقوا على حفظ المال الى أن يقوم بالامر من يتولاه من أهله وتقدم الوزير الى أمير العسكر بضبط العسكر وحملت جنازة شهاب الدين فى المحفة وحملوا خزائنه وكانت ألفين ومائتى حمل وتطاول الموالى مثل صونج صهر الذر وغيره الى نهب المال فنعهم الامراء الكبار وصرفوا الجند الذين اقطاعهم عند قطب الدين أيبك ببلاد الهند أن يعودوا اليه وساروا الى غزنة متوقعين البيعة على الملك بين غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين وبين بهاء الدين سام صاحب باميان ابن أخت شهاب الدين فيملك الخزانة والاتراك يريدون طريق سوران ليقربوا من فارس وكان هوى الوزير مؤيد الملك مع الاتراك فلم يزل بالغورية حتى اذا وصلوا طريق كرمان ساروا عليها ولقوا بها مشقة من غارات التراهية واقعان

وغيرهم ولما وصلوا الى كرمان استقبلهم تاج الدين الذر ونزل عن فرسه وقبل الارض بين يدى المحفة ثم كشف عن وجهه فزق ثيابه وأخذ بالبكاء حتى رحمه الناس وكان شهاب الدين شجاعا مقداما عادلا كثير الجهاد وكان القاضى بغزنة يحضر داره أربعة أيام فى كل أسبوع فيحكم بين الناس وأمراء الدولة ينفذون احكامه وان رافع أحد خصمه الى السلطان سمع كلامه ورده الى القاضى وكان شافعى المذهب

(قيام الذر بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين)

كان تاج الدين الذر من موالى شهاب الدين وأخصهم به فلما قتل طمع فى ملك غزنة وأظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين وانه كتب اليه بالنيابة عنه بغزنة لشغله بأمر خراسان وتسلم الخزائن من الوزير وسار الى غزنة فدفن شهاب الدين بتربته فى المدرسة التى أنشأها وذلك فى شعبان من سنة ثنتين وستمائة وأقام بغزنة

(مسير بهاء الدين سام الى غزنة وموته وملك بهاء الدين ابنه بعده غزنة)

كان بهاء الدين قد أقطع باميان ابن عمه شمس الدين محمد بن مسعود عند ما ملكها وأنكحه أخته فولدت ابنا وهو سام وكان له ابن آخر من امرأة تركية اسمه عباس فلما مات ملك ابنه الاكبر عباس فغضب غياث الدين وشهاب الدين لابن أختهما وعزلوا عباسا وولوه مكانه على باميان فعظم شأنه وجمع الاموال وترشح للملك بعد أخواله لميل أمراء الغز اليه بعد أخواله فلما قتل شهاب الدين كان فى قلعة غزنة نائب اسمه أميردان فبعث ابنه الى بهاء الدين محمود ابن السلطان غياث الدين وابن حرميل عامل هراة بحفظ أعمالها واقامة الخطبة له بها والغورية والاتراك على ما ذكرناه من الاختلاف فسار فى عساكره الى غزنة ومعه ابنا علاء الدين وأمرهما جميعا بالمسير الى غزنة وبلاد الهند فلما مات ثار ابناه فى غزنة وخرج أمراء الغورية لغياث الدين وتلقوهما والاتراك معهم مغلبين فملكوا البلد ونزلوا دار السلطنة مستهل رمضان من سنة ثنتين وستمائة واعتزم الاتراك على منعهم وعادلهم الامير مؤيد الملك لاشتغال غياث الدين منهم بابن حرميل عامل هراة فلم يرجعوا ونبذوا الى علاء الدين وأخيه العهد وآذنوهما بالحرب ان لم يرجعا فبعثا الى تاج الدين الذر وهو باقطاعه يستدعيانه ويرغبانه بالاموال والمراتب السلطانية والترغيب فى الدولة

(استيلاء الذر على غزنة)

كان الذر بكرمان لما بلغه مقتل شهاب الدين تسلم الاموال والخزائن من الوزير

وأظهر دعوة غياث الدين ابن مولاه السلطان غياث الدين وسار بهاء الدين سام من باميان كما ذكرنا ومات فى طريقه وملك ابنه علاء الدين غزنة كما ذكرنا واستعطف الاتراك وبعث الى الذر يرغبه ويسترضيه فأبى من طاعته وأساء الرد عليه وسار عن كرمان فى عساكر كثيفة من الترك والخلج والغز وغيرهم وبعث الى علاء الدين وأخيه بالنذير فأرسل علاء الدين وزيره ووزير ابنه صلة الى باميان وبلخ وترمذ ليحتشد العساكر وبعث الذر الى الاتراك الذين بغزنة بأن مولاهم غياث الدين واجتمعت جماعة الغورية والاتراك فالتقوا فى رمضان ونزع الاتراك الى الذر فانهزم محمد بن حدوروز وأسر ودخل عسكر الذر المدينة فنهبوا بيوت الغورية والباميانية واعتصم علاء الدين بالقلعة وخرج جلال الدين فى عشرين فارسا الى باميان وحاصر الذر القلعة حتى استأمن علاء الدين فى المسير من غزنة الى باميان ولما نزل من القلعة تعرض له بعض الاتراك فأرجلوه عن فرسه وسلبوه فبعث اليه الذر بالمال والمركب والثياب فوصل الى باميان فشرع فى الاحتشاد وأقام الذر بغزنة يظهر طاعة غياث الدين ويترحم على شهاب الدين ولم يخطب له ولا لاحد وقبض على داود والى القلعة بغزنة وأحضر القضاة والفقهاء وكان رسول الخليفة مجد الدين أبو على بن الربيع الشافعى مدرس النظامية ببغداد وفد على شهاب الدين رسولا من قبل الخليفة وأحضره الذر ذلك اليوم وشاورهم بالجلوس على التخت والمخاطبة بالالقاب السلطانية وأمضى ذلك واستوحش الترك حتى بكى الكثير منهم وكان هناك جماعة من ولد ملوك الغور وسمرقند فأنفوا من خدمته وانصرفوا الى علاء الدين وأخيه فى باميان وأرسل غياث الدين محمود أن يصهر اليه فى بنته بابنه فأبى من ذلك ثم جاء فى عسكر من الغوريين من باميان وأرسل غياث الدين وفرق فى أهلها الاموال واستوزر مؤيد الملك فوزر له على كره

(أخبار غياث الدين بعد مقتل عمه)

لما قتل السلطان شهاب الدين كان غياث الدين محمود ابن أخيه السلطان غياث الدين فى أقطاعه ببست وكان شهاب الدين قد ولى على بلاد الغور علاء الدين محمد بن أبى على من أكابر بيوت الغورية وكان اماميا غاليا فسار الى بيروزكوه يسابق اليها غياث الدين وكان الامراء الغورية أميل الى غياث الدين وكذا أهل بيروزكوه فلما دخل خوارزم دعا محمد المرغنى ومحمد بن عثمان من أكابر الغورية واستحلفهم على قتال محمد بن تكش صاحب خوارزم وأقام غياث الدين بمدينة بست ينتظر ما آل الامر لصاحب باميان لانهما كان بينهما العهد من أيام شهاب الدين أن تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند لبهاء الدين صاحب باميان بعد موت شهاب الدين فلما بلغه موت شهاب

الدين دعا لنفسه وجلس على الكرسي في رمضان سنة ثلاث وستمائة واستحلف الامراء الذين في اثره فأدركوه وجاؤا به وملك بيروزكوه وقبض على جماعة من أصحاب علاء الدين ولما دخل بيروزكوه جاء الى الجامع فصلى فيه ثم ركب الى دار أبيه فسكنها وأعاد الرسوم وقدم عليه عبد الجبار محمد بن العشيرالى وزير أبيه فاستوزره واقتفى بابيه في العدل والاحسان ثم كاتب ابن حرميل بهراة ولاطفه في الطاعة وكان ابن حرميل لما بلغه مقتل السلطان بهراة خشى عادية خوارزم شاه فجمع أعيان البلد وغيرهم واستحلفهم على الانجاز والمساعدة وقال القاضي وابن زياد يحلف كل الناس الا ابن غياث الدين وينتظر عسكر خوارزم شاه وشعر غياث الدين بذلك من بعض عيونه فاعتزم على المسير الى هراة واستشار ابن حرميل القاضي وابن زياد فأشارا عليه بطاعة غياث الدين على مكر ابن حرميل وميله الى خوارزم شاه وحثه على قصد هراة ليكون ذلك حجة عليه ففعل وبعث به مع ابن زياد ثم كاتب غياث الدين صاحب الطالقان وصاحب مرو يستدعيهما غياث الدين ووفر له الاقطاع وأقطع الطالقان لسونج مولى أبيه المعروف بأمير شكار

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان)

كان الحسين بن حرميل نائب الغورية بهراة منتقضا عليهم كما ذكرنا ومداخلا لخوارزم شاه في الباطن واستدعى العساكر من عنده وبعث ابن زياد يستوثق له من غياث الدين وأقام يقدم رجلا ويؤخر أخرى ووصل ابن زياد بالولاية والخلع فلم يثنه ذلك عما هو فيه من المكاذبة لهم ثم وصل عسكر خوارزم شاه فتلقاهم وأكرمهم وبلغه أن خوارزم شاه في اثرهم على أربع فراسخ من بلخ فندم في أمره ورد اليه عسكره وبلغ غياث الدين عسكر خوارزم شاه ووصولهم الى هراة فاستدعى ابن حرميل فقبض على املاكه ونكب أصحابه ورد أقطاعه فاعتزم أهل هراة على القبض عليه وكتب القاضي ابن زياد بذلك الى غياث الدين ونمى الخبر الى ابن حرميل فخشي على نفسه منهم وأرهبهم انه يكاتب غياث الدين وطلبهم في الكتاب مع رسوله وأوصى الرسول أن يعدل الى طريق خوارزم شاه ولحق بهم فردهم وأصبحوا على البلد لرابعة يوم من سفر الرسول فأدخلهم ابن حرميل البلد وأمكنهم من أبوابها وقبض على ابن زياد وعمله وأخرج القاضي فلحق بغياث الدين في بيروزكوه ونمى الخبر بذلك الى غياث الدين فاعتزم على المسير بنفسه فبلغه مسير علاء الدين صاحب باميان الى غزنة فاقتصر عن ذلك وأقام ينتظر شأنه مع الذر وأما بلخ فان خوارزم شاه لما بلغه مقتل شهاب الدين أطلق أسرى الغوريين الذين كانوا عنده وخلع عليهم واستألفهم وبعث أخاه على شاه في العساكر

الى بلخ فقاتله عمر بن الحسين الغوري نائبها ونزل منها على أربعة فراسخ وجاء خوارزم شاه مددا بنفسه آخر سنة ثنتين وستمائة فحاصرها فاستمد عمر بن الحسين علاء الدين وجلال الدين من باميان وشغلوا عنه بغزنة فأقام خوارزم شاه محاصرا له أربعين يوما وكان عنده محمد بن علي بن بشير وأطلقه في أسرى الغورية وأقطعه فبعثه الى عمر بن الحسين صاحب بلخ في الطاعة فأبى من ذلك واعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة ثم بلغه ما وقع بين الذر وبين علاء الدين وجلال الدين وأن الذر أسرهما وأن عمر بن الحسين صاحب بلخ أبى ذلك فأعاد عليه ابن بشير فلم يزل يفتل له في الذروة والغارب حتى أطاع صاحب خوارزم وخطب له وخرج اليه فخلع عليه وأعاده الى بلده في سلخ ربيع سنة ثلاث ثم سار الى جورقان ليحاصرها وبها علي بن أبي علي فوقعت المراوضة بينهما ثم انصرف عن جورقان وتركها لابن حرميل واستدعى عمر بن الحسين الغوري وصاحب بلخ فقبض عليه وبعثه الى خوارزم ومضى الى بلخ فملكها وولى عليها جعفرا التركي ورجع الى خوارزم

(استيلاء علاء الدين ثانيا على غزنة ثم انتزاع الذر اياها من يده)

قد تقدم لنا استيلاء الذر على غزنة واخراجه علاء الدين وجلال الدين منها الى باميان فأقاما بها شهرين ولحق كثير من الجند بعلاء الدين صاحبهم وأقام الذر بغزنة متوقفا عن الخطبة لغياث الدين يروم الاستبداد وهو يعلل الاتراك برجوع رسوله من عند غياث الدين مخافة أن ينفضوا عنه فلما ظفر بعلاء الدين وملك القلعة أظهر الاستبداد وجلس على الكرسي وجمع علاء الدين وجلال الدين العساكر وساروا من باميان الى غزنة وسرح الذر عساكره للقائهما فهزماها وأثخناها وهرب الذر الى بلد كرمان واتبعه بعض العسكر فقاتلهم ودفعهم وسار علاء الدين وأخوه الى غزنة وملكوها وأخذوا خزانة شهاب الدين التي كان الذر أخذها من يد الوزير مؤيد الدين عند مقدمه بجنازة شهاب الدين الى كرمان كما مر ثم اعتزم علاء الدين وأخوه على العود الى غزنة وأهلها يتوقعون النهب من عسكرهم والنفي وكان بينهم رسول الخليفة مجد الدين بن الربيع مدرس النظامية جاء الى شهاب الدين فقتل وهو عنده وأقام بغزنة فقصده أهل غزنة أن يشفع فيهم فشفع وسكن الناس وعاد علاء الدين وأخوه الى غزنة ثم وقع بينهما تشاجر على اقتسام الخزانة وعلى وزارة مؤيد الملك فندم الناس على طاعتهما وسار جلال الدين ومعه عباس الى باميان وبقي علاء الدولة بغزنة وأساء وزيره السيرة في الجند والرعية ونهب الاموال حتى باعوا أمهات أولادهم ويشكون فلا يشكيهم أحد فسار الذر في جموع الاتراك والغز والغورية فكبسهم ايدكز الشرفي مولى شهاب الدين

فى ألفين وملك كرمان وجاء الدز اثر ذلك وأنكر على ايدكز وملك كرمان وأحسن الى أهلها وبلغ الخبر الى علاء الدين بغزنة فبعث وزيره الى أخيه جلال الدين فى باميان وكانت عساكر الغورية قد فارقوه ولحقوا بغياث الدين ووصل الدز آخر سنة ثنتين وستمائة الى غزنة فملكها وامتنع علاء الدين بالقلعة فسكن الدز الناس وأمنهم وحاصروا القلعة وجاء الخبر الى الدز بأن جلال الدين قادم عليك بعساكره ولحق سليمان بن بشير بغياث الدين بفيروزكوه فأكرمه وجعله أميرداره وذلك فى صفر سنة ثلاث وسار الدز فلقى جلال الدين وهزمه وسيق أسيرا اليه ورجع الى غزنة وتهدد علاء الدين بقتل الاسرى ان لم يسلم القلعة وقتل منهم أربعمائة أسير فبعث علاء الدين يستامنه فامنه ولما خرج قبض على وزيره عماد الملك وقتله وبعث الى غياث الدين بالفتح

(انتقاض عباس فى باميان ثم رجوعه الى الطاعة)

لما أسر علاء الدين وجلال الدين كما قلناه فى غزنة وصل الخبر الى عمهما عباس فى باميان ومعه وزير أبيهما وسار الوزير الى خوارزم شاه يستنجده على الدز ليخلص صاحبيه فاغتنم عباس غيبته وملك القلعة وكان مطاعا واخرج أصحاب علاء الدين وجلال الدين فرجع الوزير من طريقه فحاصره بالقلعة وكان مطاعا فى تلك الممالك من لدن بهاء الدين ومن بعده فلما خلص جلال الدين من أسر الدز وصل الى مدينة باميان واجتمع مع الوزير وبعثوا الى عباس ولاطفوه حتى نزل عما كان استولى عليه من القلاع وقال انما أردت حفظها من خوارزم شاه

(استيلاء خوارزم شاه على ترمذ ثم الطالقان من يد الغورية)

كان خوارزم شاه لما ملك بلخ من يد عمر بن الحسين الغورى سار منها الى ترمذ وبها ابنه وقدم اليه محمد بن بشير بما كان من نزول أبيه عن بلخ وانه انتظم فى أهل دولته وبعثه الى خوارزم مكرما ورغبه بالاقطاع والمواعيد وكان قد ضاق ذرعه من الخطا ووهن من أسر الدز أصحابه بغزنة فأطاع واستأمن وملك خوارزم شاه ترمذ ورأى أن يسلمها للخطا ليتمكن بذلك من خراسان ثم يعود عليهم فينتزعها منهم ولما فرغ من ذلك سار الى الطالقان وبها سونج نائبا عن غياث الدين محمود وأرسل من يستميله فلج وسار لحربه حتى اذا التقيا نزل عن فرسه وسأل العفو فقدته بذلك وأخذ ما كان بالطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالوين وسوار فخرج اليه حسام الدين على بن أبى على صاحب كالوين وقاتله وطالبه فى تسليم البلاد فأبى وسار خوارزم شاه الى هراة ونزل بظاهرها وابن حرميل فى طاعته فكف عساكره عن أهل هراة ولقيه هنالك رسول غياث الدين بالهدايا ثم سار ابن حرميل الى اسفزار فى صفر وقد كان صاحبها سار الى غياث الدين

فحاصرها حتى استأمن اليه وملك البلد ثم أرسل الى صاحب سجستان بطاعة خوارزم والخطبة له فأجاب الى ذلك بعد أن طلبه فى ذلك غياث الدين فامتنع وعند مقام خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن حرميل أخرجه منها فلحق بشهاب الدين ثم رجع من عنده الى خوارزم شاه فسعى به ابن حرميل عنده حتى سجنه بقلعة زوزن وولى على القضاء بهراة الصفى أبابكر محمد بن السرخسى

(خبر غياث الدين مع الدز وايبك مولى أبيه)

لما ملك الدز غزنة وأسر علاء الدين وأخاه جلال الدين كتب اليه غياث الدين يأمره بالخطبة وطاول فى ذلك فبعث اليه يستحثه بأمر الخطيب بالترحم على شهاب الدين والخطبة لنفسه فاستراب الاتراك به وبعث هو يشترط على غياث الدين العتق فأجابه الى ذلك بعد توقف وكان عزمه على أن يصالح خوارزم شاه ويستمده على الدز فلما طلب العتق أعتقه وأعتق قطب الدين أيبك مملوك عمه شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند وأرسل الى كل منهما هدية ورد الخبر [بياض بالأصل] واستمر الدز على مراوغته وأيبك على طاعته فاستمد غياث الدين خوارزم شاه على الدز فأمده على أن يرد ابن حرميل صاحب هراة الى طاعته وأن يقسم الغنيمة أثلاثا بينهما وبين العسكر وبلغ الخبر الى الدز فسار الى بكاباد فملكها ثم الى بست وأعمالها كذلك وقطع خطبة غياث الدين منها وأرسل الى صاحب سجستان بقطع خطبة خوارزم شاه والى ابن حرميل كذلك وتهددهما وأطلق جلال الدين صاحب باميان وزوجه بنته وبعث معه خمسة آلاف فارس مع ايدكين مملوك شهاب الدين ليعيد جلال الدين الى ملكه بباميان وينزلوا ابن عمه فلما سار معه ايدكين أغراه بالعود الى غزنة وأعلمه ان الاتراك مجمعون على خلاف الدز فلم يجبه جلال الدين الى ذلك فرجع عنه ايدكين الى اقطاعه بكابل ولقيه رسول من قطب الدين أيبك الى الدز يتهدده على عصيانه على غياث الدين ويأمره بالخطبة له ووصل معه الهدايا والالطاف الى غياث الدين وأشار عليه أيبك باجابة خوارزم الى جميع ما طلب حتى يفرغ من أمر غزنة وكتب الى أيبك يستأذنه فى المسير الى غزنة ومحاربة الدز فأذن له بمحاربته ووصل ايدكين فى رجب سنة ثلاث وخطب لغياث الدين بغزنة وامتنعت عليه القلعة فنهب البلد ووصل الخبر الى الدز بشأن ايدكين فى غزنة ومراسلة أيبك له ففت ذلك فى عضده وخطب لغياث الدين فى بكاباد وأسقط اسمه ورحل الى غزنة فرحل ايدكين عنها الى بلد الغور وأقام فى تمواز وكتب الى غياث الدين بالخبر وأنفذ اليه أموالا فبعث اليه غياث الدين بالخلع وأعتقه وخاطبه بملك الامراء وسار غياث الدين الى بست وأعمالها فاستردها وأحسن الى أهلها وأقام الدز بغزنة

(مقتل ابن خرميل واستيلاء خوارزم شاه على هراة)

كان ابن خرميل كما قدمناه استدعى عسكر خوارزم شاه الى هراة وأنزلهم معه بهراة فساء أمرهم فى الناس وكثر عيثهم فحبسهم وبعث الى خوارزم شاه بصنيعهم ويعتذره وكان مشتغلا بقتال الخطا فكتب اليه يحسن فعله ويستدعى الجند الذين حبسهم وبعث الى عز الدين خلدك أن يحتال فى القبض على ابن خرميل فسار فى ألفى فارس وكان خلدك أيام السلطان سنجر واليا على هراة فلما قدم خرج ابن خرميل لتلقيه فنزل كل واحد منهما الى صاحبه وأمر خلدك أصحابه بالقبض على ابن خرميل فقبضوا عليه وانفض عنه أصحابه الى المدينة فأمر الوزير خواجه الصاحب بغلق الابواب والاستعداد للحصار ونادى بشعار غياث الدين محمود فحاصره خلدك وبذل له الامان وتهدده بقتل ابن خرميل وخاطبه بذلك ابن خرميل ففعل وكتب بالخبر الى خوارزم شاه فبعث ولاته بخراسان يأمرهم بحصار هراة فسار فى عشرة آلاف وامتنعت هراة عليهم وكان ابن خرميل قد حصنها بأربعة أسوار محكمة وخندق وشحنها بالميرة وصار يعدهم الى حضور خوارزم شاه وأسروه أياما حتى فادى نفسه ورجع الى خوارزم كما يذكر فى أخبار دولته وأرجف بموته فى خراسان فطمع أخوه على شاه فى طبرستان وكزلك خان فى نيسابور الى الاستبداد بالملك فلما وصل خوارزم شاه هرب أخوه على شاه ولحق بشهاب الدين فى بيروز كوه فتلقاه وأكرمه وسار خوارزم شاه الى نيسابور وأصلح أمرها واستعمل عليها وسار الى هراة وعسكره على حصارها وقيل للوزير قد وصل خوارزم شاه لما وعدته وتحدث فى ذلك جماعة من أهل البلد فقبض عليهم ووقعت بذلك هيعة وشعر بها خوارزم شاه فزحف الى السور وخرب برجين منه ودخل البلد فملكه وقتل الوزير وولى على هراة من قبله وذلك سنة خمس وستمائة ورجع الى قتال الخطا

(مقتل غياث الدين محمود)

لما ملك خوارزم شاه مدينة هراة وولى عليها خاله أمير ملك وأمره أن يسير الى بيروز كوه ويقبض على صاحبها غياث الدين محمود بن غياث الدين الغورى وعلى أخيه على شاه بن خوارزم شاه فسار أمير ملك واستأمن له محمود فأمنه وخرج اليه هو وعلى شاه فقبض عليهما أمير ملك وقتلهما ودخل فيروز كوه سنة خمس وستمائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه

(استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها)

ولما استولى خوارزم شاه على عامة خراسان وملك باميان وغيرها أرسل الى تاج الدين

الذر صاحب غزنة فى الخطبة والسكة وأن يقرر الصلح على غزنة بذلك فشاور أهل دولته وفيهم قطلوتكين من موالى شهاب الدين وهو النائب عن الذر بغزنة فأشار عليه بطاعته وأعاد الرسول بالاجابة وخطب له وسار عن غزنة متصيدا وبعث قطلوتكين الى خوارزم شاه سرا أن يبعث اليه من يسلمه غزنة فجاء بنفسه وملك غزنة وهرب الذر الى لهاور ثم أحضر خوارزم شاه قطلوتكين وقتله بعد أن استصفاه وحصل منه على أموال جمة وولى على غزنة ابنه جلال الدين وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة ورجع الى بلده

(استيلاء الذر على لهاور ومقتله)

لما هرب الذر من غزنة أمام خوارزم شاه لحق بلهاور وكان صاحبها ناصر الدين قباجة من موالى شهاب الدين وله معها ملتان وآجر والديبل الى ساحل البحر وله من العسكر خمسة عشر ألف فارس وجاء الذر فى ألف وخمسمائة فقاتله على التعبية ومعه الفيلة فانهزم الذر أولا وأخذت فيوله ثم كانت له الكرة وحمل فيل له على علم قباجة باغراء الفيال وصدق هو الحملة فانهزم قباجة وعسكره وملك الذر مدينة لهاور ثم سار الى الهند ليملك مدينة دهلى وغيرها من بلاد المسلمين وكان قطب الدين ايبك صاحبها قد مات ووليها بعده مولاه شمس الدين فسار اليه والتقيا عند مدينة سمانا واقتتلا فانهزم الذر وعسكره وأسر فقتل وكان محمود السيرة فى ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعية لاسيما التجار والغرباء وكان بملكه انقراض دولة الغورية والبقاء لله وحده

{الخبر عن دولة الديلم وما كان لهم من الملك والسلطان فى ملة الاسلام ودولة بنى بويه منهم المتغلبين على الخلفاء العباسيين ببغداد وأولية ذلك ومصايره}

قد تقدم لنا نسب الديلم فى انساب الامم وانهم من نسل ماذاى بن يافث وماذاى معدود فى التوراة من ولد يافث وذكر ابن سعيد ولا أدرى عمن نقله انهم من ولد سام بن باسل ابن اشور بن سام واشور مذكور فى التوراة من ولد سام وقال ان الموصل من جرموق ابن اشور والفرس والكرد والخزر من ايران بن اشور والنبط والسوريان من نبط ابن اشور هكذا ذكر ابن سعيد والله أعلم والجيل عند كافة النسابين اخوانهم على كل قول من هذه الاقوال وهم أهل جيلان جميعا عصابة واحدة من سائر أحوالهم ومواطن هؤلاء الديلم والجيل بجبال طبرستان وجرجان الى جبال الرى وكيلان وحفافى البحيرة المعروفة ببحيرة طبرستان من لدن أيام الفرس وما قبلها ولم يكن لهم ملك فيما قبل الاسلام ولما جاء الله بالاسلام وانقرضت دولة الاكاسرة واستفحلت دولة العرب

وافتتحوا الاقاليم بالمشرق والمغرب والجنوب والشمال كما مر فى الفتوحات وكان من لم يدخل من الأمم فى دينهم دان لهم بالجزية وكان هؤلاء الديلم والجيل على دين المجوسية ولم تفتح أرضهم أيام الفتوحات وانما كانوا يؤدون الجزية وكان سعيد بن العاصى قد صالحهم على مائة ألف فى السنة وكانوا يعطونها ورا بما يمنعونها ولم يأت جرجان بعد سعيد أحد وكانوا يمنعون الطريق من العراق الى خراسان على قومس ولما ولى يزيد ابن المهلب خراسان سنة ست وثمانين للهجرة ولم يفتح طبرستان ولا جرجان وكان يزيد ابن المهلب يعيره بذلك اذا قصت عليه اخباره فى فتوحات بلاد الترك ويقول ليست هذه الفتوح بشىء والشأن فى جرجان التى قطعت الطريق وأفسدت قومس ونيسابور فلما أولاه سليمان بن عبد الملك خراسان سنة تسع وتسعين أجمع غزوها ولم تكن جرجان يومئذ مدينة انما هى جبال ومحاصر يقوم الرجل على باب منها فيمنعه وكانت طبرستان مدينة وصاحبها الاصبهبد ثم سار الى جرجان مولاه فراسة وسار الهادى اليهما وحاصرهما حتى استقاما على الطاعة ثم بعث المهدى سنة ثمان وتسعين يحيى الحرشى فى أربعين ألفا من العساكر فنزل طبرستان وأذعن الديلم ثم لحق بهم أيام الرشيد يحيى بن عبد الله بن حسن المثنى فأجاروه وسرح الرشيد الفضل بن يحيى البرمكى لحربهم فسار اليهم سنة خمس وتسعين ومائة فأجابوه الى التمكين منه على مال شرطوه وعلى أن يجىء بخط الرشيد وشهادة اهل الدولة من كبار الشيعة وغيرهم فبذل لهم المال وكتب الكتاب وجاء الفضل بيحيى فحبسه عند أخيه جعفر حسبما هو مذكور فى أخباره وفى سنة تسع وثمانين كتب الرشيد وهو بالرى كتاب الامان لسروين بن أبى قارن وونداهرمز بارخشان صاحب الديلم وبعث بالكتاب مع حسن الخادم الى طبرستان فقدم بخستان وونداهرمز وأكرمهما الرشيد وأحسن اليهما وضمن ونداهرمز الطاعة والخراج عن سروين بن أبى قارن ثم مات سروين وقام مكانه ابنه شهريار ثم زحف سنة احدى وثمانين عبد الله بن أبى خرداذبه وهو عامل طبرستان الى البلاد والسيز من بلاد الديلم فافتتحها وافتتح سائر بلاد طبرستان وأنزل شهريار بن سروين عنها وأشخص مازيار بن قارن وونداهرمز الى المأمون وأسر أبا ليلى ثم مات شهريار بن سروين سنة عشر وقام مكانه ابنه سابور فحاربه مازيار بن قارن بن ونداهرمز وأسره ثم قتله ثم انتقض مازيار على المعتصم وحمل الديلم وأهل تلك الاعمال على بيعته كرها واخذ رهنهم وجبى خراجهم وخرب أسوار آمل وسارية ونقل أهلها الى الجبال وبنى على حدود جرجان سورا من طميس الى البحر مسافة ثلاثة أميال وحصنه بخندق وكانت الاكاسرة بنته سدا على طبرستان من الترك وقد نقل أهل جرجان الى نيسابور وأملى له فى انتقاضه الافشين مولى

المعتصم وكثير دولته طمعه فى ولاية خراسان بما كان يضطغن ابن طاهر صاحب خراسان فدس اليه بذلك كتابا ورسالة حتى استعض وجهز عبد الله بن طاهر العساكر لحربه مع عمه الحسن ومولاه حيان بن جبلة وسرح المعتصم العساكر يردف بعضها بعضا حتى احاطوا بجباله من كل ناحية وكان قارن بن شهريار أخو مازيار على سارية فدس الى قواد ابن طاهر بالرجوع من كل ناحية وكان قارن قد أتى الى الطاعة والنزول لهم عن سارية على أن يملكوه جبال آبائه وأسجل له ابن طاهر بذلك فقبض على عمه قارن فى جماعة من قواد مازيار وبعث بهم فدخل قواد ابن طاهر جبال قارن وملكوا سارية ثم استأمن اليهم قوهيار أخو مازيار ووعدهم بالقبض على أخيه على أن يولوه مكانه فأسجل له ابن طاهر بذلك فقبض على أخيه مازيار وبعث به الى المعتصم ببغداد فضربه واطلع منه على دسيسة الافشين مولاه فنكبه وقتله ووثب مماليك مازيار بقوهيار فثاروا منه بأخيه وفروا الى الديلم فاعترضتهم العساكر وأخذوا جميعا ويقال ان الذى كان غدر بمازيار هو ابن عمه كان يضطغن عليه عزله عن بعض جبال طبرستان وكان مولاه ورأيه عن رأيه ثم تلاشت الدعوة العباسية بعد المتوكل وتقلص ظلها واستبد أهل الاطراف بأعمالهم وظهرت دعاة العلوية فى النواحى الى أن ظهر بطبرستان أيام المستعين الحسن بن زيد الداعى العلوى من الزيدية وقد مر ذكره وكان على خراسان محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر وقد ولى على طبرستان عمه سليمان بن عبد الله بن طاهر فكان محمد بن أوس ينوب عنه مستبدا عليه فأساء السيرة وانتقض لذلك بعض عمال أهل الاعمال ودعوا جيرانهم الديلم الى الانتقاض وكان محمد بن أوس قد دخل بلادهم أيام السلم وأثخن فيها بالقتل والسبى فلما استنجدهم أولئك الثوار لحرب سليمان ونائبه محمد بن أوس نزعوا الاجابتهم وا دعوا الحسن بن زيد من مكانه وبايعوه جميعا وزحفوا به الى آمل فملكوها ثم ساروا الى ...ية فهزموا عليها سليمان وملكوها ثم استولى الحسن الداعى على طبرستان وكانت له ولأخيه بعده الدولة المعروفة كما هو معروف فى أخبارهم أقامت قريبا من أربعين سنة ثم انقرضت بقتل محمد بن زيد ودخل الديلم الحسن الاطروش من ولد عمر بن زين العابدين وكان زيدى المذهب فنزل فيما وراء السعيدوى الى آمل ولبث فى الديلم ثلاث عشرة سنة وملكهم يومئذ حسان بن وهشوذان وكان يدعوهم الى الاسلام ويأخذ منهم العشر ويدافع عنهم ملكهم ما استطاع فأسلم على يديه منهم خلق كثير وبنى لهم المساجد وزحف بهم الى قزوين فملكها وسالوس من ثغور المسلمين فأطاعوه وملك آمل ودعاهم الى غزو طبرستان وهى فى طاعة ابن سامان فأجابوه وساروا اليها سنة احدى وثلثمائة وبرز اليها عاملها ابن

قوله من ولد عمر الخ عبارة المسعودى الاطروش الحسن ابن على بن محمد ابن على بن أبى طالب اه

صعلوك فهزمه الاطروش واستلهم سائر أصحابه ولحق ابن صعلوك بالرى ثم الى بغداد واستولى الاطروش على طبرستان وأعمالها وقد ذكرنا دولته وأخبارها فى دول العلوية وكان استظهاره على أمره بالديلم وقواده فى حروبه وولاته على أعماله منهم ثم قتله جيوش السعيد بن سامان سنة أربع وثلثمائة ودال الامر بين عقبه قواد الديلم كما هو مذكور فى أخبارهم

(الخبر عن قواد الديلم وتغلبهم على اعمال الخلفاء بفارس والعراقين)

كان للديلم جماعة من القواد بهم استظهر الاطروش وبنوه على أمرهم منهم سرخاب بن وهشوذان أخو حسان وهو معدود فى ملوكهم وكان صاحب جيش أبى الحسين بن الاطروش ثم أخوه على ولاه المقتدر على أصفهان ثم ليلى بن النعمان من ملوكهم أيضا وكان قائدا للاطروش وولاه بعده صهره الحسن المعروف بالداعى الصغير على جرجان ثم ما كان بن كالى وهو ابن عم سرخاب وحسان ابنى وهشوذان وولاه أبو الحسين بن الاطروش مدينة استراباذ وأعمالها ثم كان دون هؤلاء جماعة أخرى من القواد فمنهم من أصحاب ما كان بن كالى اسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار بن بادر وأخوه وشمكير ولشكرى ومن أصحاب مرداويج بنو بويه الملوك الاعاظم ببغداد والعراقين وفارس ولما تلاشت دولة العلوية واستفحل هؤلاء القواد بالاستبداد على أعقابهم فى طبرستان وجرجان وكانت خراسان عند تقلص الدولة العباسية على الاطراف قد غلب عليها الصفار وملكها من يد بنى طاهر ثم نازعه فيها بنو سامان والداعى العلوى فأصبحت مشاعا بينهم ثم انفرد بها ابن سامان وكل منهم يعطى طاعة معروفة للخلفاء ومركز ابن سامان وراء النهر وخراسان فى أطراف مملكتهم وزاد تقلص الخلافة عما وراءها فتطاول ملوك الديلم هؤلاء قواد الدولة العلوية بطبرستان الى ممالك البلاد وتجافوا عن أعمال ابن سامان لقوة سورته واستفحال ملكه وساروا فى الارض يرومون الملك وانتشروا فى النواحى وتغلب كل منهم على ما دفع اليه من البلاد وربما تنازعوا بعضا فكانت لهم دون طبرستان وجرجان بلاد الرى وظفر بنو بويه منهم بملك فارس والعراقين وحجر الخلفاء ببغداد فذهبوا بفضل القديم والحديث وكانت لهم الدولة العظيمة التى باهى الاسلام بها سائر الامم حسبما نذكر ذلك كله فى أخبار دولتهم

(أخبار ليلى بن النعمان ومقتله)

كان ليلى بن النعمان من قواد الديلم وكان أولاد الاطروش ينعتونه فى كتابهم اليه المؤيد لدين الله المنتصر لآل ولد رسول الله وكان كريما شجاعا قد ولاه الحسن بن القاسم الداعى

الصغير

الصغير على جرجان بعد الاطروش سنة ثمان وثلثمائة فسار من جرجان الى الدامغان وهى فى طاعة ابن سامان وعليها مولاه قراتكين فبرزوا اليه وقاتلوه فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى جرجان فابتنى أهل الدامغان حصنا يمتنعون به وسار قراتكين الى ليلى فبرز اليه من جرجان وقاتله على عشرة فراسخ فانهزم قراتكين وأثخن فى عسكره وسار اليه فارس مولى قراتكين فأكرمه وزوجه أخته وكثرت أجناده وضاقت أمواله فأغراه أبو حفص القاسم بن حفص بنيسابور وأمره الحسن الداعى بالمسير اليها فسار وملكها آخر ثمان وثلثمائة وخطب بها للداعى وأنفذ السعيد نصر بن سامان عساكره من بخارا مع قواده حمويه بن على ومحمد بن عبد الله البلعمى وأبو حفص بنيسابور وأبو الحسن صعلوك وسيجور الدوانى فقاتلوا ليلى بن النعمان عن طوس وهزموه فلحق بآمل واختفى فيها وجاءه بقراخان وأخرجه من الاختفاء وأنفذ بالخبر الى حمويه فأمره بقتله وتأمين أصحابه فقتل وحمل رأسه الى بغداد وذلك فى ربيع سنة تسع وثلثمائة وبقى فارس غلام قراتكين بجرجان وعاد قراتكين الى جرجان فاستأمن اليه مولاه فارس فقتله قراتكين وانصرف عن جرجان

(أخبار سرخاب بن وهشوذان ومهلكه وقيام ما كان بن كالى بمكانه)

كان سرخاب بن وهشوذان الديلى من قواد الاطروش وبنيه وبايع لابى الحسن بن الاطروش الناصر بعد مهلك أبيه بطبرستان واستراباذ وكان صاحب جيشه ولما انصرف قراتكين عن جرجان بعد مهلك ليلى بن النعمان سار اليها أبو الحسن بن الاطروش وسرخاب فملكوها وأنفذ السعيد نصر بن سامان سنة عشر سيجور الدوانى فى أربعة آلاف فارس لقتاله ونزل على فرسخين من جرجان وحاصرها أشهرا ثم برزوا اليه وأكمن لهم سيجور كمينا فتباطأ الكمين وانهزم سيجور واتبعه سرخاب ثم خرج الكمين بعد حين وانهزم أبو الحسن الى استراباذ وترك جرجان واتبعه سرخاب فى الفل بمخلفه ومخلف أصحابه ورجع سيجور الى جرجان فملكها ثم مات سرخاب ولحق ابن الاطروش بسارية فأقام بها واستخلف ما كان بن كالى وهو ابن عم سرخاب فسار محمد ابن عبيد الله البلعمى وسيجور لحصاره وأقاموا عليه طويلا ثم بذلوا له مالا على أن يخرج لهم عنها فتقوم لهم بذلك حجة عند ابن سامان ثم يعود ففعل ذلك وخرج الى سارية ثم نزل الى الشمانية عن استراباذ وولوا عليها بقراخان فعاد اليها ما كان وملكها ولحق بقراخان بأصحابه فى نيسابور

(بداية اسفار بن شيرويه وتغلبه على جرجان ثم طبرستان)

كان اسفار هذا من الديلم من أصحاب ما كان بن كالى وكان سيئ الخلق صعب العشرة

وأخرجه ما كان من عسكره فاتصل ببكر بن محمد بن اليسع فى نيسابور وهو عامل عليها من قبل ابن سامان فأكرمه واختصه فى العساكر سنة خمس عشرة لفتح جرجان وكان ما كان بن كالى يومئذ بطبرستان وولى على جرجان أبا الحسن بن كالى واستراب بأبى على بن الاطروش فحبسه بجرجان فجعله عنده فى البيت وقام ليلة اليه ليقتله فأظفر الله العلوى به وقتله وتسرب من الدار وأرسل من الغد الى جماعة من القواد فجاؤا اليه وبايعوه وألبسوه القلنسوة وولى على جيشه على بن خرشيد وكاتبوا اسفار بن شيرويه بذلك وهو فى طريقه اليهم واستدعوه فاستأذن بكر بن محمد وسار اليهم وسار على ابن خرشيد فى القيام بامر جرجان بدعوة العلوى الذى معهم وضبط ناحيتها وسار اليهم ما كان بن كالى فى العساكر من طبرستان وقاتلوه فهزموه واتبعوه الى طبرستان فملكوها من يده وقاموا بها ثم هلك ابو على الاطروش وعلى بن خرشيد صاحب الجيش وانفرد اسفار بطبرستان وسار بكر بن محمد بن اليسع الى جرجان فملكها وأقام فيها دعوة نصر بن سامان ثم رجع ما كان الى طبرستان وبها اسفار فحاربه وغلبه وملك طبرستان من يده ولحق اسفار بجرجان فأقام بها عند بكر بن اليسع الى أن توفى بكر فولاه السعيد على جرجان سنة خمس عشرة ثم ملك نصر بن سامان الرى بولاية المقتدر وولى عليها محمد بن على بن صعلوك فطرقه المرض فى شعبان سنة ست عشرة وكاتب الحسن الداعى اسفار ملك جرجان بولاية نصر بن سامان فاستدعى مرداويج بن زيار من ملوك الجيل وجعله أمير جيشه وسار الى طبرستان فملكها

(استيلاء اسفار على الرى واستفحال أمره)

لما استولى اسفار على طبرستان ومرداويج معه وكان يومئذ على الرى وملكها من يد صعلوك كماذكرناه واستولى على قزوين وزنجان وابهر وقم والكرخ ومعه الحسن بن القاسم الداعى الصغير وهو قائم بدعوته فلما خالفه اسفار الى طبرستان وملكها واستضافها الى جرجان سار اليه ما كان والداعى والتقوا بسارية واقتتلوا وانهزم ما كان وقتل الداعى وكانت هزيمته بتخاذل الديلم عنه فان الحسن كان يشتد عليهم فى النهى عن المنكر فنكروه واستقدموا خال مرداويج من الجيل واسمه هزرسندان وكان مع أحمد الطويل بالدامغان فكروا بالداعى واستقدامه للاستظهار به وهم يضمرون تقديمه عوض ما كان ونصب أبى الحسن بن الاطروش عوض الحسن الداعى ودس اليه بذلك أحمد الطويل صاحب الدامغان بعد موت صعلوك فحذرهم حتى اذا قدم هزرسندان أدخله مع قواد الديلم الى قصره بجرجان ثم قبض عليهم وقتلهم جميعا وأمر أصحابه بنهب أموالهم فامتعض لذلك سائر الديلم وأقاموا على مضض حتى اذا كان

يوم

يوم لقائه اسفار خذلوه فقتل وفر ما كان واستولى اسفار على ما كان لهم من الرى وقزوين وزنجان وابهر وقم والكرخ واستضافها الى طبرستان وجرجان وأقام فيها دعوة السعيد بن سامان ونزل سارية واستعمل على الرى هرون بن بهرام صاحب جناح وكان يخطب فيها لابى جعفر العلوى فاستدعاه اليه وزوجه من آمل وجاء أبو جعفر لوليمته مع جماعة من العلويين فكبسهم اسفار وبعثهم الى بخارا فحبسهم بها الى أن خلصوا مع يحيى أخى السعيد وكانوا فى قصة حسبما ذكرناه ولما فرغ اسفار من الرى تطاول الى قلعة الموت ليحصن بها عياله وذخيرته وكانت لسياه جشم بن مالك الديلمى ومعناه الاسود العين فاستقدمه أسفار وولاه قزوين وسأله فى ذلك فأجابه فنقل عياله اليها وسرب الرجال اليهم لخدمتهم حتى كملوا مائة ثم استدعاه فقبض عليه وثار أولئك بالقلعة فملكوها وكان فى طريقه الى الرى استأمن اليه صاحب جبلى نهاوند وقم ابن أمير كان فملكها ومر بسمنان فامتنع منه صاحبها محمد بن جعفر وبعث اليه من الرى بعض أصحابه فاستأمن اليه وخدعه حتى قتله وتدلى من ظهر القلعة ثم استفحل أمر اسفار وانتقض على السعيد بن سامان وأراد أن يتتوج ويجلس على سرير الذهب واعتزم على حرب ابن سامان والخليفة فبعث المقتدر العساكر الى قزوين مع هرون بن غريب الحال فقاتله اسفار وهزمه ثم سار ابن سامان الى نيسابور لحربه فأشار على اسفار وزيره مطرف بن محمد الجرجانى بمسالمته وطاعته وبذل الاموال له فقبل اشارته وبعث بذلك الى ابن سامان وتلطف أصحابه فى رجوعه الى ذلك فرجع وشرط عليه الخطبة والطاعة فقبل وانتظم الحال بينهما ورجع الى السطوة بأهل الرى ولما كانوا اعانوا عليه عسكر القتال ففرض عليهم الاموال وعسف بهم وخص أهل قزوين بالنهب لما تولوا من ذلك وسلط عليهم الديلم فضاقت بهم الارض

(مقتل اسفار وملك مرداويج)

كان مرداويج بن زيار من قواد اسفار وكان قد سئم عسفه وطغيانه كما سئمه الناس وبعثه اسفار الى صاحب سميران الطرم الذى ملك اذربيجان بعد ذلك يدعوه الى طاعته ففاوضه فى أمر اسفار وسوء سيرته فى الناس واتفقا على الوثوب عليه به فأجابوه وفيهم مطرف بن محمد وزيره فسار هو وسلار اليه وبلغه الخبر فثار به الجند فهرب الى الرى وكتب الى ما كان بن كالى بطبرستان يستألفه على اسفار فسار اليه ما كان فهرب اسفار من بيهق الى بست ثم دخل مفازة الرى قاصدا قلعة الموت بها أهله وذخيرته وتخلف عنه بعض أصحابه فى المفازة وجاء الى مرداويج يخبره فسار اليه وتقدم بين يديه بعض القواد فلقى اسفار وسأله عن قواده فأخبره أن مرداويج قتلهم فسر بذلك ثم

حمله القائد الى مرداويج فأراد أن يحبسه بالري فحذره بعض أصحابه غائلته فأمر بقتله ورجع الى الري ولما قتل اسفار تنقل مرداويج في البلاد يملكها فملك قزوين ثم الري ثم همذان ثم كنكور ثم الدينور ثم دجرد ثم قم ثم قاشان ثم اصفهان ثم جرباد واستفحل ملكه وعتا وتكبر وجلس على سرير الذهب وأجلس أكابر قواده على سرير الفضة وتقدم لعسكره بالوقوف على البعد منه ونودي بالخطاب بينهم وبين حاجبه

(استيلاء مرداويج على طبرستان وجرجان)

قدذكرنا أن الالفة الواقعة بين مرداويج وما كان وتظاهرهما على أسفار حتى قتل وثبت مرداويج في الملك واستفحل أمره فتطاول الى ملك طبرستان وجرجان وسار اليهما سنة ست عشرة فانهزم ما كان أمامه واستولى مرداويج على طبرستان وولى عليها اسفهسلان وأمر على عسكره أبا القاسم وكان حازما شجاعا ثم سار الى جرجان فهرب عامل ما كان عنها وملكها مرداويج وولى عليها صهره أبا القاسم المذكور خليفة عنه ورجع الى أصفهان ولحق أبو القاسم وهزمها فرجع السائر الى الديلم ولحق ما كان بنيسابور واستمد أبا علي بن المظفر صاحب جيوش ابن سامان فسار معه في عساكره الى جرجان فهزمهما أبو القاسم ورجعا الى نيسابور ثم سار ما كان الى الدامغان فدفعه عنها أبو القاسم فعاد الى خراسان

(استيلاء مرداويج على همذان والجبل وحروبه مع عساكر المقتدر)

لما ملك مرداويج بلاد الري أقبلت الديلم اليه فأفاض فيهم العطاء وعظمت عساكره فلم تكفه جباية أعماله وامتدت عينه الى الاعمال التي تجاوره فبعث الى همذان سنة تسع عشرة جيشا كثيفا مع ابن أخته وبها محمد بن خلف وعسكر المقتدر فاقتتلوا وأعان على همذان عسكر الخليفة فظفروا بعسكر مرداويج وقتلوا ابن أخته فسار اليهم مرداويج من الري وهرب عسكر الخليفة من همذان ودخلها عنوة فأثخن فيهم واستلحمهم وسباهم ثم أمنهم وزحفت اليه عساكر المقتدر مع هرون بن غريب الحال فهزمهم بنواحي همذان وملك بلاد الجبل وما وراء همذان وبعث قائدا من أصحابه الى الدينور ففتحها عنوة وبلغت عساكره نحو حلوان وامتلأت أيديهم من الذهب والسبي ورجعوا

(خبر لشكري في أصفهان)

كان لشكري من الديلم ومن أصحاب اسفار واستأمن بعد قتله الى المقتدر وصار في جند هرون بن غريب الحال ولما انهزم هرون أمام مرداويج سنة تسع عشرة أقام في قرقلنين

ينتظر

ينتظر مدد المقتدر وبعث لشكري هذا الى نهاوند يجبيه بمال منها فتغلب عليها وجمع بها جندا ثم مضى الى أصفهان في منتصف السنة وبها أحمد بن كيغلغ فحاربه وهزمه وملك أصفهان ودخل اليها عسكره وأقام هو بظاهرها فرأى لشكري فقصده يظنه من بعض جنده أي أحمد فلما تراءى دافع أحمد بن كيغلغ عن نفسه فقتل وهرب أصحابه ورجع ابن كيغلغ الى أصفهان

(استيلاء مرداويج على أصفهان)

ثم بعث مرداويج عسكرا آخر الى أصفهان سنة تسع عشرة فملكوها وجددوا له مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فنزلها وعسكره يومئذ أربعون أو خمسون ألفا ثم بعث عسكرا الى الاهواز وخورستان فملكوها وجبوا أعمالها وبعث الى المقتدر وضمن هذه البلاد بمائتي ألف دينار في كل سنة فقررت عليه وأقطعه المقتدر همذان وماه الكوفة

(قدوم وشمكير على أخيه مرداويج)

وفي سنة ست عشرة بعث مرداويج رسوله من الجند ليأتيه بأخيه وشمكير فبعث اليه وأبلغه رسالة أخيه وأعلمه بمقامه في الملك فاستبعد ذلك ثم استغرب به ونكر على اخيه مشايعته للمسودة لان الديلم والجيل كانوا شيعة للعلوية بطبرستان فلم يزل الرسول به حتى سار به الى أخيه فخرج به الى قزوين وألبسه السواد بعد مراوضة وقدم على أخيه بدويا حافيا مستوحشا فلم يكن الا أن رهف الملك أعطافه فأصبح أرق الناس حاشية وأكثر الناس معرفة بالسياسة

(خبر مرداويج مع ابن سامان على جرجان)

كان أبو بكر المظفر صاحب جيوش ابن سامان بخراسان قد غلب على جرجان وانتزعها من ملكه مرداويج فلما فرغ مرداويج من أمر خورستان والاهواز رجع الى الري وسار منها الى جرجان فخرج ابن المظفر عن جرجان الى نيسابور وبها يومئذ السعيد نصر بن سامان فسار لمدافعة مرداويج عن جرجان وكاتب محمد بن عبد الله البلعمي من قواد ابن سامان مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله وشعر بذلك فقتل وزيره وبعث اليه البلعمي يعذله في قصد جرجان ويطوق ذلك بالوزير مطرف ويذكره حقوق السعيد بن سامان قبله وقصور قدرته عنه ويشير عليه بالنزول له عن جرجان وتقرير المال عليه بالري فقبل مرداويج اشارته وعاد عن جرجان وانتظم الحال بينهما

قوله مرداويج هو بالحاء المهملة في النسخ التي بأيدينا وفي تاريخ ابن الوردي مرداويج بفتح الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم ألف وواو ممالة وياء مثناة تحت وجيم فارسية معناها معاق الرجال اه وفي المسعودي انه يقال بالزاي أيضا بدل الراء لكنه في نسخة بالحاء المهملة اه مصححه

(بداية أمر بنى بويه)

وكانوا اخوة ثلاثة أكبرهم عماد الدولة أبو الحسن على وركن الدولة الحسن ومعز الدولة أبو الحسن أحمد لقبهم بهذه الالقاب الخلفاء عندما ملكوا الاعمال وقلدوهم اياها على ما نذكر بعد وهم الذين تولوا حجر الخلفاء بعد ذلك ببغداد كما يأتى وأبوهم أبو شجاع بويه بن فناخسر وللناس فى نسبهم خلاف فأبو نصر بن ماكولا ينسبهم الى كوهى ابن شيرزيك الاصغر ابن شيركوه بن شيرزيك الاكبر ابن سران شاه بن سيرفند بن سيسانشاه بن سير بن فيروز بن شروزيل بن سنساد بن هراهم جور وبقية النسب مذكور فى ملوك الفرس وابن مسكويه قال يزعمون أنهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس والحق أن هذا النسب مصنوع تقرب اليهم به من لا يعرف طبائع الانساب فى الوجود ولو كان نسبهم ذا خلل فى الديلم لم تكن لهم تلك الرياسة عليهم وان كانت الانساب قد تتغير وتخفى وتنتقل من شعب الى شعب ومن قوم الى قوم فانما هو بطول الاعصار وتناقل الاجيال واندراس الازمان والاحقاب وأما هؤلاء فلم يكن بينهم وبين يزدجرد وانقطاع الملك من الفرس الا ثلثمائة سنة فيها سبعة أجيال أو ثمانية أجيال ميزت فيها أنسابهم وأحصيت أعقابهم فكيف يدرك مثل هذه الانساب الخفاء فى مثل هذه الاعصار وان قلنا كان نسبهم الى الفرس ظاهرا منع ذلك من رياستهم على الديلم فلا شك فى هذه التقادير فى ضعة هذا النسب والله أعلم وأما بدايتهم فانهم كانوا من أوسط الديلم نسبا وحالا وفى أخبارهم أن أباهم أبا شجاع كان فقيرا وأنه رأى فى منامه أنه يبول فخرج من ذكره نار عظيمة فاستضاءت الدنيا بها فاستطالت وارتفعت الى السماء ثم افترقت ثلاث شعب ومن كل شعب عدة شعب فاستضاءت الدنيا بها والناس خاضعون لتلك النيران وأن عابرا عبر له الرؤيا بأنه يكون له ثلاثة أولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم فى الآفاق كما علت النار ويولد لهم ملوك بقدر الشعب وأن أبا شجاع استبعد ذلك واستنكره لما كانوا عليه من توسط الحال فى المعيشة فرجع المعبر الى السؤال عن وقت مواليدهم فأخبروه بها وكان منجما فعدل طوالعهم وقضى لهم جميعا بالملك فوعدوه وانصرف ولما خرج قواد الديلم لملك البلاد وانتشروا فى الاعمال مثل ليلى وماكان واسفار ومرداويج خرج مع كل واحد منهم جموع من الديلم رؤس وأتباع وخرج بنو أبى شجاع هؤلاء فى جملة قواد ماكان فلما اضطرب أمره وغلبه مرداويج عن طبرستان وجرجان مرة بعد مرة لحق آخرا بنيسابور مهزوما فاعتزم بنو بويه على فراقه واستأذنوه فى ذلك وقالوا انما نفارقك تخفيفا عليك فاذا اصلح أمرك عدنا اليك وساروا الى مرداويج وتبعتهم جماعة من قواد ماكان فقبلهم

مرداويج وقلد كل واحد منهم ناحية من نواحى الجبل وقلد على بن بويه كرمس وكتب لهم العهود بذلك وساروا الى الرى وبها وشمكير أخوه وشمكير ومعه وزيره الحسين بن محمد العميد والد أبى الفضل ثم بدا لمرداويج فى ولاية هؤلاء القواد المستأمنة فكتب الى أخيه وشمكير ووزيره العميد بردهم عن تلك الاعمال وكان على بن بويه قد أسلف عند العميد يدا فى بغلة فارهة عرضها للبيع واستامها العميد فوهبها له فرعى له العميد هذه الوسيلة فلما قرأ كتاب مرداويج دس الى ابن بويه بأن يغذ المسير الى عمله فسار من حينه وغدا وشمكير على بقية القواد فاستعاد العهود من أيديهم وأمر ابن بويه فاشار عليه أصحابه بترك ذلك لما فيه من الفتنة فتركه

(ولاية عماد الدولة بن بويه على كرج وأصفهان)

ولما وصل عماد الدولة الى كرج ضبط أمورها وأحسن السياسة فى أهلها وأعمالها وقتل جماعة من الخرمية كانوا فيها وفتح قلاعهم وأصاب فيها ذخائر كثيرة فانفقها فى جنده فشاع ذكره وحمدت سيرته وكتب أهل الناحية الى مرداويج بالنبا فغص وجاء من طبرستان الى الرى وأطلق مالا لجماعة من قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة وأحسن اليهم فأقاموا عنده واستراب مرداويج فكتب الى عماد الدولة فى استدعائهم فدافعه وحذرهم منه فحذروا ثم استأمن اليه سيراذ من أعيان قواد مرداويج فكثف به جمعه وسار الى أصفهان وبها المظفر بن ياقوت من قبل القاهر فى عشرة آلاف مقاتل وعلى خراجها أبو على بن رستم فاستأذنهما فى الانحياز اليهما والدخول فى طاعة الخليفة فاعرضا عنه ومات خلال ذلك ابن رستم وبرز ابن ياقوت من أصفهان لمدافعته واستأمن اليه من كان مع ابن ياقوت من الجيل والديلم ثم لقيه عماد الدولة فى تسعمائة فهزمه وملك أصفهان

(استيلاء ابن بويه على أرجان واخواتها ثم على شيراز وبلاد فارس)

ولما بلغ خبر أصفهان الى مرداويج اضطرب وكتب الى عماد الدولة بن بويه يعاتبه ويستميله ويطلب منه اظهار طاعته ويمده بالعساكر فى البلاد والاعمال ويخطب له فيها وجهز له أخاه وشمكير فى جيش كثيف ليكبسه وهو مطمئن الى تلك الرسالة وشعر ابن بويه بالمكيدة فرحل عن أصفهان بعد أن جباها شهرين وسار الى أرجان وبها أبو بكر ابن ياقوت من أصفهان واليا عليها ففصل عنها ولما ملك ابن بويه ارجان كاتبه أهل شيراز يستدعونه اليهم وعليهم يومئذ ياقوت عامل الخليفة وثقلت وطأته عليهم وكثر ظلمه فاستدعوا ابن بويه وخام عن المسير اليهم فأعادوا اليه الكتاب بالحث على ذلك وأن

مرداويج طلب الصلح من ياقوت فعاجل الامر قبل أن يجتمعا فسار الى النوبندجان فى ربيع سنة احدى وعشرين وسبقته اليها مقدمة ياقوت فى ألفين من شجعان قومه فلما وافاهم ابن بويه انهزموا الى كرمان وجاءهم ياقوت هنالك فى جميع أصحابه وأقام عماد الدولة بالنوبندجان وبعث أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس فلقى هنالك عسكر الياقوت فهزمهم وجبى تلك الاعمال ورجع الى أخيه بالاموال ثم وقعت المراسلة بين مرداويج وياقوت فى الصلح وسار وشمكير اليه عن أخيه فخشيهما عماد الدولة وسار من نوبندجان الى اصطخر ثم الى البيضاء وياقوت فى اتباعه وسبقه ياقوت الى قنطرة على طريق كرمان فصده عن عبوره واضطره للحرب فتحاربوا واستأمن جماعة من أصحاب ابن بويه الى ياقوت فقتلهم فخشيه الباقون واستماتوا وقدم ياقوت أمام عسكره رجالة بقوارير النفط فلما أشعلوها وقذفت اعادتها الريح عليهم فعلقت بهم فاضطربوا وخالطهم أصحاب ابن بويه فى موقفهم وكانت الدبرة على ياقوت ثم صعد الى ربوة ونادى فى أصحابه بالرجوع فاجتمع اليه نحو اربعة آلاف فارس وأراد الحملة عليهم لاشتغالهم بالنهب ففطنوا له وتركوا النهب وقصدوه فانهزم واتبعوهم فأثخنوا فيهم وكان معز الدولة أحمد بن بويه من أشد الناس بلاء فى هذه الحرب ابن تسع عشرة سنة لم يطر شاربه ثم رجعوا الى السواد فنهبوه وأسروا جماعة منهم فاطلقهم ابن بويه وخيرهم فاختاروا المقام عنده فأحسن اليهم ثم سار الى شيراز فأمنها ونادى بالمنع من الظلم واستولى على سائر البلاد وعرفوه بذخائر فى دار الامارة وغيرها من ودائع ياقوت وذخائر بنى الصفار فنادى فى الجند بالعطاء وأزاح عللهم وامتلأت خزائنه وكتب الى الراضى وقد أفضت اليه الخلافة والى وزيره أبى على بن مقلة تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم فأجيب الى ذلك وبعثوا اليه بالخلع واللواء وكان محمد بن ياقوت قد فارق أصفهان عند خلع القاهر وولاية الراضى وبقيت عشرين يوما دون أمير فجاء اليها وشمكير وملكها فلما وصل الخبر الى مرداويج باستيلاء ابن بويه على فارس سار الى أصفهان للتدبير عليه وبعث أخاه وشمكير الى الرى

(استيلاء ما كان بن كالى على الرى)

قد ذكرنا فى دولة بنى سامان أن أبا على محمد بن الياس كان سنة ثنتين وعشرين بكرمان منتقضا على السعيد فبعث اليه فى هذه السنة جيشا كثيفا فاستولى على كرمان وأقام فيها الدعوة لابن سامان وكان أصل محمد بن الياس من أصحاب السعيد فسخطه وحبسه ثم أطلقه بشفاعة البلعمى وبعث مع صاحب خراسان محمد بن المظفر الى جرجان حتى اذا خرج أخوه السعيد من محبسهم وبايعوا ليحيى منهم كان محمد بن الياس معهم حتى

تلاشى أمرهم ففارقه ابن الياس من نيسابور الى كرمان فاستولى عليها الى هذه الغاية فأزاله عنها ما كان ولحق بالدينور وأقام ما كان واليا بكرمان بدعوة بنى سامان

(مقتل مرداويج وملك أخيه وشمكير من بعده)

لما استفحل أمر مرداويج كما قلنا عتا وتجبر وتتوج بتاج مرصع على هيئة تاج كسرى وجلس على كرسى الذهب وأجلس أكابر قواده على كراسى الفضة واعتزم على قصد العراق وبنى المدائن وقصور كسرى وأن يدعى بشاه وكان له جند من الاتراك كان كثير الاساءة اليهم ويسميهم الشياطين والمردة فثقلت وطأته على الناس وخرج ليلة الميلاد من سنة ثلاث وعشرين الى جبال أصفهان وكانوا يسمونها ليلة الوقود لما يضرم فيها من النيران فأمر بجمع الحطب على الجبل من أوله الى آخره أمثال الجبال والتلال وجمع ألفى طائر من الغربان والحدآت وجعل النفط فى أرجلها ليضرم الجبل نارا حتى يضىء الليل واستكثر من أمثال هذا اللعب ثم عمل سماطا للأكل بين يديه فيه مائة فرس وما تتابقرة وثلاثة آلاف كبش وعشرة آلاف من الدجاج وأنواع الطير وما لا يحصى من أنواع الحلوى وهيأ ذلك كله ليأكل الناس ثم يقوموا الى مجالس الشرب والندمان فتشعل النيران ثم ركب آخر النهار ليطوف على ذلك كله بنفسه فاحتقره وسخط من تولى ترتيبه ودخل خيمته مغضبا ونام فأرجف القواد بموته فدخل اليه وزيره العميد وأيقظه وعرفه بما الناس فيه فخرج وجلس على السماط وتناول لقمتين ثم ذهب وعاد الى مكانه فقام فى معسكره بظاهر اصفهان ثلاثا لا يظهر للناس ثم قام فى اليوم الرابع ليعود الى قصره باصفهان فاجتمعت العساكر ببابه وكثر صهيل الخيل ومراحها فاستيقظ لكثرة الضجيج فازداد غضبه وسأل عن أصحاب الدواب فقيل انها للاتراك نزلوا للخدمة وتركوها بين يدى الغلمان فأمر أن تحل عنها السروج وتجعل على ظهور الاتراك ويقودونهم الى اصطبلات الخيل ومن امتنع من ذلك ضرب فأمسكوا ذلك على أقبح الهيئات واضطغنوا ذلك عليه واتفقوا على الفتك به فى الحمام وكان كورتكين يحرسه فى خلوته وحمامه فسخطه ذلك اليوم وطرده فلم يتقدم الى الحرس لمراعاته وداخلوا الخادم الذى يتولى خدمته فى الحمام فى أن يفقده سلاحه وكان يحمل خنجرا فكسر حديدة الخنجر وترك النصاب لمرداويج فلم يجد له حدا فأغلق باب الحمام ودعمه من ورائه بسرير الخشب الذى كان صاعدا عليه فصعدوا الى السطح وكسروا الجامات ورموه بالسهام فانحجر فى زوايا الحمام وكسروا الباب عليه وقتلوه وكان الذى تولى كبر ذلك جماعة من الاتراك وهم توزون الذى صار بعد ذلك أمير الامراء ببغداد وياروق بن بقراخان ومحمود بن نيال الترجمان وبجكم الذى ولى امارة

الامراء قبل توزون ولما قتلوه خرجوا الى أصحابهم فركبوا ونهبوا قصر مرداويج وهربوا وكان الديلم والجيل بالمدينة فركبوا فى اثرهم فلم يدركوا منهم الامن وقفت دابته فقتلوهم وعادوا النهب الخزائن فوجدوا العميد قد أضرمها نارا ثم اجتمع الديلم والجيل وبايعوا أخاه وشمكير بن زيار وهم بالرىّ وحملوا معهم جنازة مرداويج فخرج وشمكير وأصحابه لتلقيها على أربع فراسخ حفاة ورجع العسكر الذى كان بالاهواز الى وشمكير واجتمعوا عليه وتركوا الاهواز لياقوت فملكها وقام وشمكير بملك أخيه مرداويج فى الديلم والجيل وأقام بالرىّ وجرجان فى ملكه وكتب السعيد بن سامان الى محمد ابن المظفر صاحب خراسان والى ما كان بن كالى صاحب كرمان بالمسير الى جرجان والرىّ فسار ابن المظفر الى قومس ثم الى بسطام وسار ما كان على المفازة الى الدامغان واعترضه الديلم من أصحاب وشمكير فى جيش كثيف فهزموهم ولحق بنيسابور آخر ثلاث وعشرين وجعلت ولايتها لما كان بن كالى فأقام بها وسار أبو على بن الياس الى كرمان بعد انصراف ما كان عنها فملكها وصفت له بعد حروب شديدة طويلة مع جيوش السعيد بن سامان وكان له الظفر آخرا وأما الاتراك الذين قتلوا مرداويج فافترقوا فى هزيمتهم فرقتين فسارت فرقة الى عماد الدولة بن بويه وهم الاقل وفرقة الى الجيل مع بحكم وهم الاكثر فجبوا خراج الدينور وغيره ثم ساروا الى النهروان وكاتبوا الراضى فى المسير الى بغداد فأذن لهم واستراب الحجرية بهم فردّهم الوزير ابن مقلة الى بلد الجيل وأطلق لهم ما لا فلم يرضوا به فكاتبهم ابن رائق وهو يومئذ صاحب واسط والبصرة فلحقوا به وقدم عليهم بحكم فكاتب الاتراك من أصحاب مرداويج فقدم عليه منهم عدة وافرة واختص بحكم وتولاه ونعته بالرائقى نسبة اليه وأمره أن يرسمها فى كتابه

(مسير معز الدولة بن بويه الى كرمان وهزيمته)

لما ملك عماد الدولة بن بويه وأخوه ركن الدولة بلاد فارس والجيل بعثا أخاهما الاصغر معز الدولة الى كرمان خالصة له فسار فى العسكر اليها سنة أربع وعشرين واستولى على السيرجان وكان ابراهيم بن سيجور الدوانى قائد ابن سامان يحاصر محمد بن الياس ابن اليسع فى قلعته هنالك فلما بلغه خبر معز الدولة سار من كرمان الى خراسان وخرج محمد بن الياس من القلعة التى كان محاصرا بها الى مدينة قم على طرف المفازة بين كرمان وسجستان فسار الى جيرفت وهى قصبة كرمان وجاء رسول على بن ابى الزنجى المعروف بعلى بن كلونة أمير القفص والبلوص كان هو وسلفه متغلبين على تلك الناحية ويعطون طاعتهم للامراء والخلفاء على البعد ويحملون اليهم المال فلما جاء رسوله بالمال

امتنع

امتنع معز الدولة من قبوله الا بعد دخول جيرفت فلما دخل جيرفت صالحه وأخذ رهنه على الخطبة له وكان على بن كلونة قد نزل بمكان صعب المسالك على عشرة فراسخ من جيرفت فأشار على معز الدولة بعض أصحابه أن يغدر به ويكبسه ففعل ذلك وأتى لعلى بن كلونة عيونه بالخبر فأرصد جماعة لمعز الدولة بمضيق فى طريقه فلما مرّ بهم ساريا ثاروا به من جوانبه وقتلوا من أصحابه وأسروا وأصابته جراح كثيرة وقطعت يده اليسرى من نصف الذراع وأصابع يده اليمنى وسقط بين القتلى وبلغ الخبر الى جيرفت فهرب أصحابه منها وجاء على بن كلونة فحمله من بين القتلى الى جيرفت وأحضر الاطباء لعلاجه وكتب الى أخيه عماد الدولة يعتذر ويبذل الطاعة فأجابه وأصلحه وسار محمد ابن الياس من سجستان الى بلد خنابة فتوجه اليه معز الدولة وهزمه وعاد ظافرا ومرّ بابن كلونة فقاتله وهزمه وأثخن فى أصحابه وكتب الى أخيه عماد الدولة بخبره مع ابن الياس وابن كلونة فبعث اليه قائدا من قواده واستقدمه اليه بفارس فأقام عنده باصطخر الى أن قدم عليهم أبو عبد الله البريدى منهزما من ابن رائق وبحكم المتغلبين على الخلافة ببغداد فبعث عماد الدولة أخاه معز الدولة وجعل له ملك العراق عوضا عن ملك كرمان كما يذكر بعد

(استيلاء ما كان على جرجان وانتقاضه على ابن سامان)

قد ذكرنا انهزام ما كان على جرجان أيام بانجين الديلى ورجوعه الى نيسابور فأقام بها ثم بلغ الخبر بهلاك بانجين بجرجان فاستأذن ما كان محمد بن المظفر فى الخروج لاتباع بعض أصحابه هرب عنه وطالبه به عارض الجيش فأذن له وسار الى اسفراين وبعث معه جماعة من عسكره الى جرجان فاستولى عليها ثم أظهر لوقته الانتقاض على ابن المظفر وسار اليه بنيسابور فتخاذل أصحابه وهرب عنها الى سرخس وعاد عنها ما كان خوفا من اجتماع العساكر عليه وذلك فى رمضان سنة أربع وعشرين

{الخبر عن دولة بنى بويه من الديلم المتغلبين على العراقين وفارس والمستبدين على الخلفاء ببغداد من خلافة المستكفى الى أن صاروا فى كفالتهم وتحت حجرهم الى انقراض دولتهم وأولية ذلك ومصايره}

قد تقدم لنا التعريف ببنى بويه وذكر نسبهم وهم من قواد الديلم الذين تطاولوا للاستيلاء على أعمال الخلفاء العباسيين لما لم يروا عنها مدافعا ولا لها حامية فتنقلوا فى نواحيها وملك كل واحد منهم أعمالا منها واستولى بنو بويه على أصفهان والرىّ ثم انعطفوا على بلاد فارس فملكوا أرجان وما اليها ثم استولوا على شيراز وأعمالها وأحاطوا بأعمال

الخلافة نواحى بغداد من شرقها وشمالها وكانت الخلافة قد طرقها الاعلال وغلب عليها الموالى والصنائع وقد كان أبو بكر محمد بن رائق عاملا بواسط واضطرب حال الراضى ببغداد فاستقدمه وقلده امارة الجيوش ونعته أمير الامراء وكان بنو البريدى فى خورستان والاهواز فغصوا به ووقعت الوحشة بينه وبينهم فبعث ابن رائق بدرا الخرشنى وبحكم الذى نزع اليه أتراك مرداويج فساروا فى العسكر لقتال ابن البريدى واستولوا على الاهواز سنة خمس وعشرين ولحق ابن البريدى بعماد الدولة بن بويه لما ملك العراق وسهل عليه أمره وذلك عند رجوع أخيه معز الدولة من كرمان وامتناعها عليه كما ذكرناه فبعث معه العساكر

(استيلاء معز الدولة بن بويه على الاهواز)

لما لحق أبو عبد الله البريدى بعماد الدولة ناجيا من الاهواز مستنجدا له بعث أخاه معز الدولة فى العساكر بعد أن أخذ منه ابنيه أبا الحسن محمدا وأبا جعفر الفياض رهنا وسار معز الدولة سنة ست وعشرين فانتهى الى أرجان وبحكم جاء للقائهم وانهزم أمامهم الى الاهواز فأقام بها وأنزل بها بعض عسكره فى عسكر مكرم فقاتلوا معز الدولة ثلاثة عشر يوما ثم انهزموا الى تستر فرحل معز الدولة الى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدى خليفته الى الاهواز ثم بعث الى معز الدولة بأن ينتقل الى السوس ويبعد عنه فيؤمن له الاهواز فعذله وزيره أبو جعفر الصيمرى وغيره من أصحابه وأروه أن البريدى يخادعه فامتنع معز الدولة من ذلك وبلغ اختلافهم الى بحكم فبعث عسكرا من قبله فاستولى على الناس وجند نيسابور وبقية الاهواز بيد ابن البريدى وعسكر مكرم بيد معز الدولة وضاق حال جنده وتحدثوا فى الرجوع الى فارس فواعدهم لشهر وكتب الى أخيه عماد الدولة بالخبر فبعث اليه مددا من العسكر فعادوا واستولوا على الاهواز وسار بحكم من واسط فاستولى على بغداد وقلده الراضى امارة الامراء وهرب ابن رائق فاختفى ببغداد

{انتزاع وشمكير أصفهان من يد ركن الدولة}
{ومسيره الى واسط ثم استرجاعه أصفهان}

قد ذكرنا أن وشمكير المستولى بعد أخيه مرداويج على الرى كان عماد الدولة استولى على أصفهان ودفعها الى أخيه ركن الدولة فبعث اليها وشمكير سنة سبع وعشرين جيشا كثيفا من الرى فملكوها من يده وخطبوا فيها لوشمكير ثم سار وشمكير الى قلعة الموت فملكها ورجع فلحق ركن الدولة باصطخر وجاءه هنالك رسول أخيه معز الدولة

من الاهواز بأن ابن البريدى أنفذ جيشا الى السوس وقتل قائدها من الديلم وأن الوزير أبا جعفر الصيمرى كان على خراجها محتصرا بقلعة السوس فسار ركن الدولة الى السوس وهرب عساكر ابن البريدى بين يديه ثم سار الى واسط ليستولى عليها لانه قد خرج عن أصفهان وليس له ملك يستقل به فنزل بالجانب الشرقى وسار الراضى وبحكم من بغداد لحربه فاضطرب أصحابه واستأمن جماعة منهم لابن البريدى فخام ركن الدولة عن اللقاء ورجع الى الاهواز فسار الى أصفهان وهزم عسكر وشمكير بها وملكها وكان هو وأخوه عماد الدولة بعثا لابن محتاج صاحب خراسان يحرضانه على ما كان وشمكير واتصلت بينهم مودة

(مسير معز الدولة الى واسط والبصرة)

كان ابن البريدى بالبصرة وواسط قد صالح بحكم أمير الامراء ببغداد وحرضه على المسير الى الجبل ليرجعها من يد ركن الدولة بن بويه ويسير هو الى الاهواز فيرتجعها من يد معز الدولة واستمد بحكم فأمده بخمسمائة رجل وسار الى حلوان فى انتظاره وأقام ابن البريدى يتربص به وينتظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها وعلم بحكم بذلك فرجع الى بغداد ثم سار الى واسط فانتزعها من يد ابن البريدى وذلك لسنة ثمان وعشرين وولى الخلافة المتقى وكان ظل الدولة العباسية قد تقلص حتى قارب التلاشى والاضمحلال وتحكم على الدولة بعد مولاه ابن رائق وابن البريدى الذى كان يزاحمه فى التغلب على الدولة فبعث عساكره من البصرة الى واسط فسرح اليه بحكم العساكر مع مولاه تورون فهزمهم وجاء بحكم على أثره ولقيه خبر هزيمتهم فاستقام أمره وطفق يتصدق فى تلك النواحى الى أن عرض له بعض الاكراد ممن له عنده ثأر وهو منفرد عن عسكره فقتله وافترق أصحابه فلحق جماعة من الاتراك بالشام ومقدمهم تورون وولى الباقون عليهم يكسك مولى بحكم وكان الديلم عند مقتله قد ولوا عليهم باسوار بن ملك ابن مسافر بن سلار وسلار جده صاحب شميران الطرم الذى داخل مرداويج فى قتل اسفار وملك ابنه محمد بن مسافر بن سلار اذربيجان فكانت له ولولده بها دولة ووقعت الفتنة بين الديلم والاتراك فقتله الاتراك وولى الديلم مكانه كورتكين ولحقوا بابن البريدى فزحف بهم الى بغداد ثم تنكروا واتفقوا مع الاتراك على طرده فلحقوا بواسط واستفحل الديلم وغلبوا الاتراك وقتل كورتكين واستبد بامرة الامراء ببغداد ثم جاء تورون من الشام بابن رائق وهزم كورتكين الديلم وقتل أكثرهم وانفرد ابن رائق بامرة الامراء ببغداد سنة ثنتين وثلثمائة وكان ابن البريدى فى هذه الفترة بعد بحكم قد استولى على واسط فبعث اليه ابن رائق واستوزره ففعل

بياض بالأصل

على أن يقيم بمكانه ويستخلف ابن شيرزاد ببغداد ثم سار اليهم الى واسط فهرب ابن رائق والمتقى الى الموصل وتخلف عنهم توزون وعاث أصحاب ابن البريدى فى بغداد فشكاله الناس ولما وصل المتقى ولى ابن حمدان امرة الامراء بمكانه وقصدوا بغداد فهرب وخالفه توزون الى المتقى وابن حمدان وملكوا بغداد وسار سيف الدولة أمام ابن البريدى وخرج ناصر الدولة فى اتباعه فنزل المدائن وانكشف سيف الدولة أمام ابن البريدى حتى انتهوا الى أخيه ناصر الدولة بالمدائن فأمده ورجع فهزم ابن البريدى وغلبه على واسط فملكها ولحق ابن البريدى بالبصرة وأقام سيف الدولة بواسط ينتظر المدد ليسير الى البصرة وجاءه أبو عبد الله الكوفى بالاموال فشغب عليه الاتراك فى طلب المال وثاروا به ومقدمهم توزون فهرب الى بغداد وهم فى اتباعه وكان أخوه قد انصرف الى بغداد ثم الى الموصل فلحق به ودخل توزون بغداد وولى الامر بها ثم استوحش من المتقى وتربص مسيره الى واسط لقتال ابن البريدى وسار الى الموصل سنة احدى وثلاثين ومعز الدولة بن بويه فى أثناء هذا كله مقيم بالاهواز مطل على بغداد وأعمال الخليفة يروم التغلب عليها وأخوه عماد الدولة بفارس وركن الدولة باصفهان والرى فلما سار المتقى من الرقة الى توزون خلعه وسمله ونصب المكتفى وقد قدمنا هذه الاخبار كلها مستوعبة فى أخبار الدولة العباسية وانما أعدناها توطئة لاستيلاء بنى بويه على بغداد واستبدادهم على الخلافة ثم عاد معز الدولة الى واسط سنة ثلاث وثلاثين فسار توزون والمستكفى لدفاعه ففارقها وعاد الى الاهواز

(استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج أحكام الخلافة فى سلطانه)

ثم ان توزون فى فاتح سنة أربع وثلاثين عقد الاتراك الرياسة عليهم لابن شيرزاد وولاه المستكفى امرة الامراء فى الارزاق فضاقت الجبايات على العمال والكتاب والتجار وامتدت الايدى الى أموال الرعايا وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل وأخذ الناس فى الجلاء عن بغداد ثم استعمل ابن شيرزاد على واسط ينال كوشه وعلى تكريت الفتح اليشكرى فانتقضا وسار الفتح لابن حمدان فولاه على تكريت من قبله وبدعوته وبعث ينال كوشه الى معز الدولة وقام بدعوته واستدعاه لملك بغداد فزحف اليها فى عساكر الديلم ولقيه ابن شيرزاد والاكراد فهزمهم ولحقوا بالموصل وأختفى المستكفى وقدم معز الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبى الى بغداد فدخلها وظهر الخليفة من الاختفاء وحضر عنده المهلبى فبايع له عن معز الدولة أحمد بن بويه وعن أخويه عماد الدولة وركن الدولة الحسن وولاهم المستكفى على أعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب ورسمها على سكته ثم جاء معز الدولة الى بغداد فملكها وصرف الخليفة

فى

فى حكمه واختص باسم السلطان وبعث اليه أبو القاسم البريدى صاحب البصرة فضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها

(خلع المستكفى وبيعة المطيع وما حدث فى الجباية والاقطاع)

وبعد أشهر قلائل من استيلاء معز الدولة على بغداد نمى اليه أن المستكفى يريد الادالة منه فتنكر له وأجلسه فى يوم مشهود للقاء وافد من أصحاب خراسان وحضر معز الدولة فى قومه وعشيرته وأمر رجلين من نقباء الديلم بالفتك بالخليفة فتقدما وتناولا يده فقبلا يد المستكفى ثم جذباه عن سريره وقاداه ماشيا واعتقلاه بداره وذلك فى منتصف أربع وثلاثين فاضطرب الناس وعظم النهب ونهبت دار الخلافة وبايع معز الدولة للفضل بن المقتدر ولقبه المطيع لله وأحضر المستكفى فأشهد على نفسه بالخلع وسلم على المطيع بالخلافة وسلب الخليفة من معانى الامر والنهى وصيرت الوزارة الى معز الدولة يولى فيها من يرى وصار وزير الخليفة مقصورا النظر على اقطاعه ومقتات داره وتسلم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وأراضيه ولاية واقطاعا حتى كان الخليفة يتناول الاقطاع من يد معز الدولة وانما ينفرد بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد واجلال التحية والخطاب ومع ذلك بأوضاع القائم على الدولة وترتيبه وكان القائم منهم على الدولة تنزد فى دولة بنى بويه والسلجوقية لقب السلطان ولا يشاركه فيه غيره ومعانى الملك من القدرة والابهة والعز وتصريف الامر والنهى حاصل للسلطان دون الخليفة وكانت الخلافة حاصلة للعباسى المنصوب لفظا مسلوبة عنه معنى ثم طلب الجند أرزاقهم بأكثر من العادة لتجدد الدولة فاضطر الى ضرب المكوس ومد الايدى الى أموال الناس وأقطعت جميع القرى والضياع للجند فارتفعت أيدى العمال وبطلت الدواوين لان ما كان منها بأيدى الرؤساء لا يقدرون على النظر فيها وما كان بأيدى الاتباع خرب بالظلم والمصادرات والحيف فى الجباية واهمال النظر فى اصلاح القناطر وتعديل المشارب وما خرب منها عوض صاحبه عنه بآخر فيخربه كما يخرب الآخر ثم ان معز الدولة أفرد جمعها من المكوس والظلامات وعجز السلطان عن ذخيرة يعدها للنوائب ثم استكثر من الموالى ليعتز بهم على قومه وفرض لهم الارزاق والاقطاع فحدثت غيرة قومه من ذلك وآل الامر الى المنافرة كما هو الشأن فى الدول

(مسير ابن حمدان الى بغداد وانهزامه أمام معز الدولة)

ولما بلغ استيلاء معز الدولة على بغداد وخلعه المستكفى الى ناصر الدولة بن حمدان

استعض لذلك وسار من الموصل الى بغداد فى شعبان سنة أربع وثلاثين فقدم معز الدولة عساكره فأوقع بها ابن حمدان بعكبرا ثم سار معز الدولة ومعه المطيع الى مدافعته ولحق به ابن شيرزاد فاستحثه الى بغداد سنة أربع وثلاثين وخالفه معز الدولة الى تكريت ونهبها وتسابقوا جميعا الى بغداد فنزل معز الدولة والمطيع بالجانب الشرقى وابن حمدان بالجانب الغربى فقطع الميرة عن معسكر معز الدولة فغلت الاسعار وعزت الاقوات ونهب عسكره مرارا فضاق به الامر واعتزم على العود الى الاهواز فأمر وزيره أبا جعفر الصيمرى بالعبور فى العساكر لقتال ابن حمدان فظفر به الصيمرى وغنم الديلم أموالهم وظهرهم ثم أمن معز الدولة الناس وأعاد المطيع الى داره فى محرم سنة خمس وثلاثين ورجع ابن حمدان الى عكبرا وأرسل فى الصلح سرا فنكر عليه الاتراك التورونية وهموا بقتله وفر الى الموصل ومعه ابن شيرزاد ثم صالحه معز الدولة كما طلب ولما فر عن الاتراك التورونية أعلهم تكين الشيرازى فقبضوا على من تخلف من أصحابه وساروا فى اتباعه وقبض هو فى طريقه على ابن شيرزاد وتجاوز الموصل الى نصيبين فلكها تكين وسار فى اتباعه الى السند فلحقه هنالك عسكر من معز الدولة كما طلب وأمده به مع وزيره أبى جعفر الصيمرى وقاتل الاتراك فهزمهم وسار الى الموصل هو والصيمرى فدفع ابن شيرزاد الى الصيمرى وحمله الى معز الدولة وذلك سنة خمس وثلاثين

(استيلاء معز الدولة على البصرة والموصل وصلحه مع ابن حمدان)

وفى سنة خمس وثلاثين انتقض أبو القاسم بن البريدى بالبصرة فجهز معز الدولة الجيش الى واسط ولقيهم جيش ابن البريدى فى الماء وعلى الظهر فانهزموا الى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة ثم سار معز الدولة سنة ست وثلاثين الى البصرة ومعه المطيع كارها من قتال أبى القاسم البريدى وسلكوا اليها البرية وبعث القرامطة يعذلون فى ذلك معز الدولة فكتب يتهددهم ولما قارب البصرة استأمنت اليه عساكر أبى القاسم وهرب هو الى القرامطة فأجاروه وملك معز الدولة البصرة ثم سار هو منها الى الاهواز ليلقى اخاه عماد الدولة وترك المطيع وأبا جعفر الصيمرى بالبصرة وانتقض على معز الدولة كوكير من أكابر الديلم فقاتله الصيمرى وهزمه وأسره وحبسه معز الدولة بقلعة رامهرمز ثم لقى أخاه معز الدولة بارجان فى شعبان من السنة وسلك فى تعظيمه واجلاله من وراء الغاية وكان عماد الدولة يأمره بالجلوس فى مجلسه فلا يفعل ثم عاد معز الدولة والمطيع الى بغداد ونودى بالمسير الى الموصل فترددت الرسل من ابن حمدان فى الصلح وحمل المال ثم سار اليه سنة سبع وثلاثين فى شهر رمضان واستولى على الموصل وأراد الاثخان فى بلاد ابن حمدان فجاءه الخبر عن أخيه ركن الدولة بان عساكر خراسان

قصدت جرجان واضطر الى الصلح واستقر الصلح بينهما على ان يعطى ابن حمدان عن الموصل والجزيرة والشأم ثمانية آلاف ألف درهم كل سنة ويخطب لعماد الدولة ومعز الدولة فى بلاده وعاد الى بغداد

(استيلاء ركن الدولة على الرى ثم طبرستان وجرجان ومسير عساكر ابن سامان اليها)

قد تقدم لنا استيلاء ركن الدولة على اصفهان من يد وشمكير حين بعث عساكره مددا لما كان بن كالى وكان ركن الدولة وأخوه عماد الدولة بعثا الى أبى على بن محتاج قائد بنى سامان يحرضانه على ما كان ووشمكير ويعدانه المظاهرة عليهما فسار أبو على الى وشمكير بالرى ولقيه ركن الدولة بنفسه واستمد وشمكير ما كان فجاءه فى عساكره والتقوا فانهزم وشمكير ولحق بطبرستان ثم سار بعساكره الى بلد الجبل فافتتحها واستولى على زنجان وأبهر وقزوين وقم وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حدود حلوان ورتب فيها العمال وجبى أموالها ثم وقع خلاف بين وشمكير والحسن بن الفيرزان ابن عم ما كان واستنجد الحسن بأبى على بن محتاج فأنجده حتى وقع بينهما صلح وعاد أبو على الى خراسان وصحبه الحسن بن الفيرزان ولقيه فى طريقه رسل السعيد بن سامان وأمر أبا على بن محتاج سنة ثلاث وثلاثين بغدر الحسن بأبى على ونهب سواده وعاد الى جرجان فملكها وملك معها الدامغان وسمنان وسار وشمكير من طبرستان الى الرى فاستولى عليها أجمع وكان فى قل من العسكر لفناء رجاله فى حروبه مع أبى على بن محتاج والحسن بن الفيرزان فتطاول حينئذ ركن الدولة الى الاستيلاء على الرى وسار الى الرى وقاتل وشمكير فهزمه فلحق بطبرستان واستولى ركن الدولة على الرى وأجمع مخالصة الحسن بن الفيرزان وزوجه ابنته وتمسك بمواصلته ومودته واستفحل بذلك ملك بنى بويه وامتنع وصارت لهم أعمال الرى والجبل وفارس والاهواز والعراق ويحمل اليهم ضمان الموصل وديار بكر ثم سار ركن الدولة بن بويه الى بلاد وشمكير سنة ست وثلاثين ومعه الحسن بن الفيرزان مددا ولقيهما وشمكير فانهزم امامهما ولحق بخراسان مستنجدا بابن سامان وملك ركن الدولة طبرستان وسار منها الى جرجان فاطاعه الحسن بن الفيرزان وولاه ركن الدولة عليها واستأمن اليه قواد وشمكير ورجع الى اصفهان

(بداية بنى شاهين ملوك البطيحة أيام بنى بويه)

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة وكان يتصرف فى الجباية وحصل منها بيده مال فصرفه وهرب الى البطيحة ممتنعا من الدولة وأقام هنالك بين القصب والآجام يقتات بسمك الماء وطيره ويأخذ الرفاق التى تمر به واجتمع اليه لصوص الصيادين فقوى

وامتنع على السلطان وتمسك بطاعة أبي القاسم بن البريدي بالبصرة فقلده حماية الجامدة وحماية البطائح ونواحيها فعز جانبه وكثر جمعه وسلاحه واتخذ معاقل على التلال بالبطيحة وغلب على تلك النواحي وأهم معز الدولة أمره وبعث وزيره أبا جعفر الصيمري في العساكر سنة ثمان وثلاثين وحصره وأيقن بالهلاك وما نفس عن مخنقه الا وصول الخبر بوفاة عماد الدولة بن بويه ومبادرة الوزير الصيمري الى شيراز فعاد عمران الى حاله وقوي أمره كما يأتي في أخبار دولته

(وفاة عماد الدولة ابن بويه وولاية عضد الدولة ابن أخيه على بلاد فارس مكانه)

ثم توفي عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بمدينة شيراز كرسي مملكة فارس في منتصف سنة ثلاث وثلاثين بعد أن كان طلب من أخيه ركن الدولة أن ينفذ اليه ابنه عضد الدولة فتأخر ليوليه عهده اذ لم يكن له ولد ذكر فأنفذه اليه ركن الدولة في جماعة من أصحابه لسنة بقيت من حياته وركب عماد الدولة للقائه ودخل به الى داره في يوم مشهود وأجلسه على السرير وأمر الناس أن يحيوه بتحية الملك وكان في قواد عماد الدولة جماعة أكابر لا يستنكفون لعماد الدولة فضلا عن عضد الدولة مكانه بفارس واختلف عليه أصحابه فجاء اليه ركن الدولة أبوه من الري بعد أن استخلف عليها علي بن كامة وكتب معز الدولة الى وزيره الصيمري بأن يترك محاربة ابن شاهين ويسير الى شيراز مددا لعضد الدولة وأقام ركن الدولة في شيراز تسعة أشهر وبعث الى أخيه معز الدولة بهدية من الاموال والسلاح وكان عماد الدولة هو أمير الامراء وانما كان معز الدولة نائبا عنه في كفالة الاموال وولاية أعمال العراق فلما مات عماد الدولة انقلبت امرة الامراء الى ركن الدولة وبقي معز الدولة نائبا عنه كما كان عن عماد الدولة لانه كان أصغر منهما

(وفاة الصيمري ووزارة المهلبي)

كان أبو جعفر أحمد الصيمري وزير معز الدولة قد عاد من فارس الى اعمال الجامدة وأقام يحاصر عمران بن شاهين الى أن هلك منتصف تسع وثلاثين وكان يستخلف بحضرة معز الدولة في وزارته ابا محمد الحسن بن محمد المهلبي فباشره معز الدولة وعرف كفايته واضطلاعه فاستوزره. كان الصيمري حسن اثره في جمع الاموال وكشف الظلامات وتقريب أهل العلم والادب والاحسان اليهم

(مسير عساكر ابن سامان الى الري ورجوعها)

لما سار ركن الدولة الى بلاد فارس بعث الامير نوح بن سامان الى منصور بن قراتكين صاحب جيوشه بخراسان أن يسير الى الري فسار اليها سنة تسع وثلاثين وكان بها علي بن

كامة خليفة ركن الدولة ففارقها الى اصفهان وملك منصور الري وبث العساكر في البلاد فملكوا الجبل الى قرميسين واستولوا على همذان وبعث ركن الدولة من فارس الى أخيه معز الدولة بانفاذ العساكر الى مدافعتهم فبعث سبكتكين الحاجب في جيش كثيف من الديلم وغيرهم فكبسهم وأسر مقدمهم فأعادوا الى همذان ثم سار اليهم ففارقوها وملكها ونزد عليه ركن الدولة بهمذان فعدل منصور بن قراتكين الى اصفهان فملكها وسار اليها ركن الدولة وسبكتكين في مقدمته وشغب عليه بعض الاتراك فأوقع بهم وترددوا في تلك الناحية وكتب معز الدولة الى ابن أبي الشوك الكردي يتبعهم فقتل منهم وأسر ونجا بعض الى الموصل ونزل ركن الدولة قريبا من اصفهان وجرت بينه وبين منصور حروب وضاقت الميرة على الفريقين الا أن الديلم كانوا أصبر على الجوع وشظف العيش من أهل خراسان لقرب عهدهم بالبداوة ومع ذلك فهم ركن الدولة بالفرار لولا وزيره ابن العميد كان يثبته ويريه أنه لا يغني عنه وان الاستماتة أولى به فصبر وشغب على منصور بن قراتكين جنده وانفضوا جميعا الى الري وتركوا مخلفهم باصفهان فاحتوى عليه ركن الدولة وذلك فاتح سنة أربعين ومات منصور بن قراتكين بالري في ربيع الاول من السنة ورجعت العساكر الى نيسابور

(استيلاء ركن الدولة ثانيا على طبرستان وجرجان)

قد كنا قدمنا استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان سنة ست وثلاثين وأنه استخلف على جرجان الحسن بن الفيرزان وسار وشمكير الى خراسان مستنجدا بابن سامان فسار معه صاحب جيوش خراسان منصور بن قراتكين وحاصر جرجان فصالحه الحسن بن الفيرزان بغير رضا من وشمكير لانحرافه عنه وعن الامير نوح ورجع الى نيسابور وأقام وشمكير بجرجان والحسن بزوزن ثم سار ركن الدولة سنة أربعين من الري الى طبرستان وجرجان ففارقها وشمكير الى نيسابور واستولى ركن الدولة عليها واستخلف بجرجان الحسن بن الفيرزان وعلي بن كامة وعاد الى الري فقصدهما وشمكير وانهزما منه واسترد البلاد من ركن الدولة وكتب الامير نوح يستنجده على ركن الدولة فأمر أبا علي بن محتاج بالمسير معه في جيوش خراسان فسار في ربيع سنة ثنتين وأربعين وامتنع ركن الدولة ببعض معاقله وحاربه أبو علي بن محتاج في جيوش خراسان حتى ضجرت عساكره وأظلهم فصل الشتاء فراسل ركن الدولة في الصلح على أن يعطيهم ركن الدولة مائتي ألف دينار في كل سنة وعاد الى خراسان وكتب وشمكير الى الامير نوح بأن ابن محتاج لم ينصح في أمر ركن الدولة وأنه ممالئ فسخطه من أجل ذلك وعزله عن خراسان ولما عاد ابن محتاج عن ركن الدولة سار هو الى وشمكير فانهزم وشمكير الى اسفراين واستولى ركن

الدولة على طبرستان

(اقامة الدعوة لبنى بويه بخراسان)

ولما عزل الامير نوح أبا على بن محتاج عن خراسان استعمل مكانه أبا سعيد بكر بن مالك الفرغانى فانتقض حينئذ وخطب لنفسه بنيسابور وتحيز عنه ابن القبرزان مع وشمكير الى الامير نوح نخام ابن محتاج عن عداوتهم واستأذن ركن الدولة فى المسير اليه ثم سار سنة ثلاث وأربعين فتلقاه بأنواع الكرامات وسأل منه ابن محتاج أن يقتضى له عهد الخليفة بولاية خراسان فبعث ركن الدولة فى ذلك الى أخيه معز الدولة ببغداد وجاءه العهد والمدد فسار الى خراسان نخطب بها للخليفة وركن الدولة ثم مات نوح خلال ذلك وولى ابنه عبد الملك فبعث بكر بن مالك من بخارا الى خراسان لاخراج ابن محتاج منها فسار اليه وهرب ابن محتاج الى الرى فآواه ركن الدولة وأقام عنده واستولى بكر ابن مالك على خراسان ثم سار ركن الدولة الى جرجان ومعه ابن محتاج فتركها وملكها ولحق وشمكير بخراسان

(مسير عساكر ابن سامان الى الرى وأصفهان)

ولما فرغ بكر بن مالك من أمر خراسان وأخرج منها ابن محتاج سار منها سنة أربع وأربعين فى اتباعه الى الرى وأصفهان وكان ركن الدولة غائبا بجرجان فملكها ورجع الى الرى فى المحرم من السنة وكتب الى أخيه معز الدولة يستمده فامده بالعساكر مع ابن سبكتكين وجاء مقدمة العساكر من خراسان الى أصفهان من طريق المفازة وبها الامير منصور بن بويه بن ركن الدولة ومقدم العساكر محمد بن ماكان فملك أصفهان وخرج فى طلب ابن بويه واتفق وصول الوزير أبى الفضل بن العميد فلقيه محمد بن ماكان فهزمه وعاد أولاد ركن الدولة وحرمه الى أصفهان وراسل ركن الدولة بكر بن مالك صاحب العساكر بخراسان فى الصلح على مال يحمله اليه وتكون الرى وبلد الجبل فى ضمانه فأجابه بكر بن مالك الى ذلك وصالحه عليه وكتب ركن الدولة الى أخيه معز الدولة بأن يبعث الى بكر بن مالك خلعا ولواء بولاية خراسان فبعث بها فى ذى القعدة من السنة

(خروج روزبهان على معز الدولة وميل الديلم اليه)

كان روزبهان ونداد خرسية من كبار قواد الديلم وكان معز الدولة قد رفعه ونوه بذكره فخرج سنة خمس وأربعين بالاهواز ومعه أخوه اسفار وخرج أخوه بلكا بشيراز ولما خرج روزبهان زحف اليه الوزير المهلبى لقتاله فنزع الكثير من اصحابه الى روزبهان فانحاز عنه وبعث بالخبر الى معز الدولة فسار اليهم واختلف عليه الديلم ومالوا

مع روزبهان وفصل معز الدولة من بغداد خامس شعبان من السنة قاصدا لحربه وبلغ الخبر الى ناصر الدولة بن حمدان فبعث ابنه أبا الرجال فى العساكر للاستيلاء على بغداد فخرج الخليفة عنها منحدرا وأعاد معز الدولة سبكتكين الحاجب وغيره لمدافعة ابن حمدان عن بغداد وسار الى أن قارب الاهواز والديلم فى شغب عليه وعلى عزم اللحاق بروزبهان الا نفرا يسيرا من الديلم كانوا خالصة فكان يعتمد عليهم وعلى الاتراك وكان يفيض العطاء فى الديلم فيمسكون عما يهمون به ثم ناجز روزبهان الحرب سلخ رمضان فانهزم وأخذ أسيرا وعاد الى بغداد الى أبى الرجال بن حمدان وكان بعكبرا فلم يجده لانه بلغه خبر روزبهان فأسرع العود الى الموصل ودخل معز الدولة بغداد وغرق روزبهان وكان أخوه بلكا الخارج بشيراز ازعج عنها عضد الدولة وسار اليه أبو الفضل بن العميد وقاتله فظفر به وعاد عضد الدولة الى ملكه وانمحى أثر روزبهان واخوته وقبض معز الدولة على جماعة منهم ممن ارتاب بهم واصطنع الاتراك وقدمهم وأقطع لهم فاعتزوا وامتدت أيديهم

(استيلاء معز الدولة على الموصل ثم عودها)

كان ناصر الدولة بن حمدان قد صالح معز الدولة على ألفى ألف درهم كل سنة ثم لم يحمل فسار اليه معز الدولة منتصف سبع وأربعين ففارق الموصل الى نصيبين وحمل معه سائر أهل دولته من الوكلاء والكتاب ومن يعرف وجوه المال وأنزلهم فى قلاعه كقلعة كواشى والزعفران وغيرهما وقطع الميرة عن عسكر معز الدولة فضاقت عليهم الاقوات فسار معز الدولة الى نصيبين للميرة وبلغه أن أبا الرجاء وهبة الله فى عسكر سنجار فبعث اليهم بعض عساكره وكبسوهم فهربوا واستولى العسكر على مخلفهم ونزلوا فى خيامهم وكر عليهم أولاد ناصر الدولة وهم غارون فأثخنوا فيهم وأقاموا بسنجار وسار معز الدولة الى نصيبين فلحق ناصر الدولة بميافارقين واستأمن الكثير من أصحابه الى معز الدولة فلحق بأخيه سيف الدولة بحلب فبالغ فى تكرمته وخدمته وتوسط فى الصلح بينه وبين معز الدولة بثلاثة آلاف ألف فأجابه معز الدولة وتم ذلك بينهما ورجع معز الدولة العراق فى محرم سنة ثمان وأربعين

(العهد لبختيار)

وفى سنة خمس طرق معز الدولة مرض استكان له وخشى على نفسه فأراد العهد لابنه بختيار وعهد اليه بالامر وسلم له الاموال وكان بين الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى منافرة فأصلح بينهما ووصاهما بابنه بختيار وعهد اليه بالامور واعتزم على العود الى

الاهواز مستوحشا هواء بغداد فلما بلغ كلواذا اجتمع به أصحابه وسفهوا رأيه في الانتقال من بغداد على ملكه وأشاروا عليه بالعود اليها وأن يستطيب الهواء في بعض جوانبها المرتفعة ويبني بها دور السكنى ففعل وأنفق فيها ألف ألف دينار وصادر فيها جماعة من أصحابه

(استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان)

وفي سنة احدى وخمسين سار ركن الدولة الى طبرستان وبها وشمكير فحاصره بمدينة سارية وملكها ولحق وشمكير بجرجان وترك طبرستان فملكها ركن الدولة وأصلح أمرها ثم سار الى جرجان فخرج عنها وشمكير واستولى عليها ركن الدولة واستأمن اليه من عسكر وشمكير ثلاثة آلاف رجل فازداد بهم قوة ودخل وشمكير بلاد الجبل مسلوبا واهنا

(ظهور البدعة ببغداد)

وفي هذه السنة كتب الشيعة على المساجد بأمر معز الدولة لعن معاوية بن أبي سفيان صريحا ولعن من غصب فاطمة فدك ومن منع أن يدفن الحسن عند جده ومن نفى أباذر الغفاري ومن أخرج العباس من الشورى ونسب ذلك كله لمعز الدولة لعجز الخليفة ثم أصبح ممحوا وأراد معز الدولة اعادته فأشار عليه الوزير المهلبي بأن يكتب مكانه لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يذكر أحدا باللعن الا معاوية رضي الله عنه

(وفاة الوزير المهلبي)

وفي سنة ثنتين وخمسين سار المهلبي وزير معز الدولة الى عمان ليفتحها فلما ركب البحر طرقه المرض فعاد الى بغداد ومات في طريقه في شعبان من السنة ودفن ببغداد وقبض معز الدولة أمواله وذخائره وقبض على حواشيه وحبسهم ونظر في الامور بعده أبو الفضل ابن العباس بن الحسن الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس ولم يتسموا باسم الوزارة

(استيلاء معز الدولة ثانيا على الموصل)

كان ناصر الدولة بن حمدان قد ضمن الموصل كما تقدم وأجابه معز الدولة الى ضمانه فبذل له ناصر الدولة زيادة على أن يدخل معه في الضمان أبو تغلب فضل الله الغضنفر ويحلف لهما معز الدولة فأبى من ذلك وسار الى الموصل منتصف ثلاث وخمسين ففارقها ابن حمدان الى نصيبين وملكها معز الدولة ثم خرج الى طلب ابن حمدان منتصف شعبان

واستخلف

واستخلف على الموصل بكتوزون وسبكتكين العجمي وسار ابن حمدان عن نصيبين وملكها معز الدولة وخالفه ابن حمدان الى الموصل وحارب عسكر معز الدولة فيها فهزموه وجاء الخبر الى معز الدولة فظفر أصحابه بابن حمدان وسار ونزل جزيرة ابن عمر فسار في اتباعه فوصل سادس رمضان فوجده قد جمع أولاده وعساكره الى الموصل فأوقع بأصحاب معز الدولة وأسر الاميرين اللذين خلفهما واستولى على ما خلفوه من مال وسلاح وحمل الجميع مع الاسرى الى قلعة كواشى فأعيا معز الدولة أمره وهو من مكان الى مكان في اتباعه فأجابه الى الصلح وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرحبة بمال قرره فاستقر الصلح على ذلك وأطلق ابن حمدان الاسرى ورجع معز الدولة الى بغداد

(استيلاء معز الدولة على عمان)

قد تقدم لنا أن عمان كانت ليوسف بن وجيه وأنه حارب بني البريدي بالبصرة حتى قارب أخذها حتى عملوا الحيلة في اضرام النار في سفنه فولى هاربا في محرم سنة ثنتين وثلاثين وأنه ثار عليه مولاه في هذه السنة فغلبه على البلد وملكها من يده ولما استوحش معز الدولة من القرامطة كتب اليهم ابن وجيه صاحب عمان يطمعهم في البصرة واستمدهم في البر وسار هو في البحر سنة احدى وأربعين وسابقه الوزير المهلبي من الاهواز اليها وأمده معز الدولة بالعساكر والمال فاقتتلوا أياما ثم ظفر المهلبي بمراكبه وما فيها من سلاح وعدة ولم يزل القرامطة يناوورنها حتى غلبوا عليها سنة أربع وخمسين واستولوا عليها وهرب رافع عنها وكان له كاتب يعرف بعلي بن أحمد ينظر في أمور البلد والقرامطة بمكانهم من هجر فاتفق قاضي البلد وكان ذا عشير وعصابة على أن ينصبوا للنظر في أمورهم أحد قوادهم فقدموا لذلك ابن طغان فقتل بجميع القواد الذين معه وثأر منه بعض قرابتهم فقتلوه فاجتمع الناس على تقديم عبد الوهاب بن أحمد بن مروان من قرابة القاضي مكانه فولوه واستكتب علي بن أحمد كاتب القرامطة قبله من الجند فامتعضوا لذلك فدعاهم الى بيعته فأجابوه وسواهم في العطاء مع البيض فسخط البيض ذلك ودارت بينهم حرب سكنوا آخرها واتفقوا وأخرجوا عبد الوهاب من البلد واستقر علي بن أحمد الكاتب أميرا فيها ثم سار معز الدولة الى واسط سنة خمس وخمسين وقدم اليه نافع مولى ابن أخيه الذي كان ملكها بعد مولاه فأحسن اليه وأقام عنده حتى فرغ من أمر عمران بن شاهين وانحدر الى الابلة في رمضان من السنة وجهز المراكب الى عمان مائة قطعة وبعث فيها الجيوش بنظر أبي الفتوح محمد بن العباس وتقدم الى عضد الدولة بفارس أن يمدهم بالعساكر من

عنده فوافاهم المدد بسيراف وساروا الى عمان فلكوها يوم الجمعة يوم عرفة من السنة وفتكوا فيها بالقتل وأحرقوا لهم تسعين مركبا وخطب لمعز الدولة وصارت من أعماله

(وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار)

كان معز الدولة قد سار سنة خمس وخمسين الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين فطرقه المرض سنة ست وخمسين فسار الى بغداد وخلف أصحابه بواسط على أن يعود اليهم فاشتد مرضه ببغداد وجدد العهد لابنه بختيار ثم مات منتصف ربيع الآخر من السنة فقام ابنه عز الدولة بختيار مكانه وكتب الى العساكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا وكان فيما أوصى به معز الدولة ابنه بختيار طاعة عمه ركن الدولة والوقوف عند اشارته وابن عمه عضد الدولة لعلو سنه عليه وتقدمه فى معرفة السياسة وأن يحفظ كاتبيه أبا الفضل العباس ابن الحسن وأبا الفرج بن العباس والحاجب سبكتكين فخالف جميع وصاياه وعكف على اللهو وعشرة النساء والمغنين والصفاعين فأوحش الكاتبين والحاجب فانقطع الحاجب عن حضور داره ثم طرد كبار الديلم عن مملكته طمعا فى اقطاعاتهم فشغب عليه الصغار واقتدى بهم الاتراك فى ذلك وطلبوا الزيادات وركب الديلم الى الصحراء وطلبوا اعادة من أسقط من كبارهم ولم يجد بدا من اجابتهم لانحراف سبكتكين عنه فاضطربت أموره وكان الكاتب أبو الفرج العباس فى عمان منذ ملكها فلما بلغه موت معز الدولة خشى أن ينفرد عنه صاحبه أبو الفضل العباس بن الحسين بالدولة فسلم عمان لعضد الدولة وبادر الى بغداد فوجد أبا الفضل قد انفرد بالوزارة ولم يحصل على شئ

(مسير عساكر ابن سامان الى الرى ومهلك وشمكير)

كان أبو على بن الياس قد سار من كرمان الى بخارا مستنجدا بالامير منصور بن نوح بن سامان فتلقاه بالتكرمة فأغراه ابن الياس بممالك بنى بويه وأشار له قواده فى أمرهم فصدق ذلك عندما كان يذكر وشمكير عنهم وتقدم الى وشمكير والحسن بن الفيرزان بالمسير مع عساكره الى الرى ثم جهز العساكر مع صاحب خراسان أبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور الدوانى وأمره بطاعة وشمكير وقبول اشارته فسار لذلك سنة ست وخمسين وأنزل ركن الدولة أهله باصفهان وكتب الى ابنه عضد الدولة بفارس والى ابن أخيه عز الدين بختيار ببغداد يستنجدهما فأنفذ عضد الدولة العساكر على طريق خراسان ليخالفهم اليها فأجموا وتوقفوا وساروا الى الدامغان وقصدهم ركن الدولة فى عساكره من الرى وبينما هم كذلك هلك وشمكير استعرض

خيلا واختار منها واحدا وركب للصيد واعترضه خنزير فرماه بحربة وحمل الخنزير عليه فضرب الفرس فسقط الى الارض وسقط وشمكير ميتا وانتقض جميع ما كانوا فيه ورجعوا الى خراسان

(استيلاء عضد الدولة على كرمان)

كان أبو على بن الياس قد ملك كرمان بدعوة بنى سامان واستبد بها كما مر فى أخبارهم ثم أصابه فالج وأزمن به وعهد الى ابنه اليسع ثم لالياس من بعده وأمرهما باجلاء أخيهما سليمان الى أرضهم ببلاد الروم يقيم لهم ما هنالك من الاموال لعداوة كانت بين سليمان واليسع فلم يرض سليمان ذلك وخرج فوثب على السيرجان فملكها فسار اليه أخوه اليسع فحبسه وهرب من محبسه واجتمع اليه العسكر وأطاعوه ومالوا اليه مع أبيه ثم ان أبا على اتهم أن يلحق بخراسان فلحق ثم سار الى الامير أبى الحرث ببخارا وأغراه بالرى كما مر وتوفى سنة ست وخمسين وصفت كرمان لليسع وكان عضد الدولة مزاحما لليسع فى بعض حدود عمله مدلا بجهل الشباب فاستحكمت القطيعة بينهما وهرب بعض أصحاب عضد الدولة اليه فزحف اليه واستأمن اليه أصحابه وبقى فى قلة من أصحابه فاحتمل أهله وأمواله ولحق ببخارا وسار عضد الدولة الى كرمان فملكها وأقطعها ولده أبا الفوارس الذى ملك العراق بعد ولقب شرف الدولة واستخلف عليها كورتكين بن خشتان وعاد الى فارس وبعث اليه صاحب سجستان الطاعة وخطب له ولما وصل اليسع الى بخارا أنذر بنى سامان على تقاعدهم عن نصره فنفوه الى خوارزم وكان قد خلف أثقاله بنواحى خراسان فاستولى عليها أبو على بن سيمجور وأصاب اليسع رمد اشتد به بخوارزم فضجر منه وقطع عرقه بيده وكان ذلك سبب هلاكه ولم يعد لبنى الياس بكرمان بعده ملك

(مسير ابن العميد الى حسنويه ووفاته)

كان حسنويه بن الحسن الكردى من رجالات الكرد واستولى على نواحى الدينور واستفحل أمره وكان يأخذ الخفارة من القفول التى تمر به ويخيف السابلة الا أنه كان فئة للديلم على عساكر خراسان متى قصدتهم وكان ركن الدولة يرعى له ذلك ويغضى عن اساءته ثم وقعت بينه وبين سلار بن مسافر بن سلار فتنة وحرب فهزمه حسنويه وحصره وأصحابه من الديلم فى مكان ثم جمع الشوك وطرحه بقربهم وأضرمه نارا حتى نزلوا على حكمه فأخذهم وقتل كثيرا منهم فلحقت ركن الدولة النفرة لعصبية الديلم وأمر وزيره أبا الفضل بن العميد بالمسير اليه فسار فى محرم سنة تسع وخمسين وقعد ابنه

أبو الفتح وكان شابا مليحا قد أبطره العز والدالة على أبيه وكان يتعرض كثيرا لما يغضبه وكانت بأبى الفضل علة النقرس فتزايدت عليه وأخشت عليه ولما وصل الى همذان توفى بها لاربع وعشرين سنة من وزارته وأقام ابنه أبا الفتح مقامه وصالح حسنويه على مال أخذه منه وعاد الى الرى الى مكانه من خدمة ركن الدولة وكان أبو الفضل بن العميد كاتبا بليغا وعالما فى عدة فنون مجيدا فيها ومطلعا على علوم الاوائل وقائما بسياسة الملك مع حسن الخلق ولين العشرة والشجاعة المعروفة بتدبير الحروب ومنه تعلم عضد الدولة السياسة وبه تأدب

(انتقاض كرمان على عضد الدولة)

ولما ملك عضد الدولة كرمان كما قلناه اجتمع القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد وأولاده واتفقوا على الانتقاض والخلاف واستمد عضد الدولة كورتكين بن حسان بعابد بن على فسار افى العساكر الى جيرفت وحاربوا أولئك الخوارج فهزموهم وأثخنوا فيهم وقتلوا من شجعانهم وفيهم ابن لابى سعيد ثم سار عابد بن على فى طلبهم وأوقع بهم عدة وقائع وأثخن فيهم وانتهى الى هرمز فملكها واستولى على بلاد التيز ومكران وأسر منهم ألف أسير حتى استقاموا على الطاعة واقامة حدود الاسلام ثم سار عائدا الى طائفة أخرى يعرفون بالحرومية والجاسكية يخيفون السبيل برا وبحرا وكانت قد تقدمت لهم اعانة سليمان بن أبى على بن الياس فلما أوقع بهم أثخن فيهم حتى استقاموا على الطاعة وصلحت تلك البلاد مدة ثم عاد البلوص الى ما كانوا عليه من اخافة السبيل بها فسار عضد الدولة الى كرمان فى القعدة سنة ثنتين وانتهى الى السيرجان وسرح عابد بن على فى العساكر لاتباعهم فأوغلوا فى الهرب ودخلوا الى مضايق يحسبونها تمنعهم فلما زاحمتهم العساكر بها آخر ربيع الاول من سنة احدى وستين صابروا يوما ثم انهزموا آخره فقتلت مقاتلتهم وسبيت ذراريهم ونساؤهم ولم ينج منهم الا القليل ثم استأمنوا فأمنوا ونقلوا من تلك الجبال وأنزل عضد الدولة فى تلك البلاد أكرة وفلاحين ثم شملوا الارض بالعمل وتتبع العابد أثر تلك الطوائف حتى بدد شملهم ومحا ما كان من الفساد منهم

(عزل أبى الفضل ووزارة ابن بقية)

كان أبو الفضل العباس بن الحسين وزير المعز الدولة ولابنه بختيار من بعده وكان سئ التصرف وأحرق فى بعض أيامه الكرخ ببغداد فاحترق فيه عشرون ألف انسان وثلثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجدا ومن الاموال ما لا يحصى وكان الكرخ معروفا

بسكنى الشيعة وكان هو يزعم أنه يتعصب لاهل السنة وكان كثير الظلم للرعية غصابا للاموال مفرطا فى أمر دينه وكان محمد بن بقية وضيعا فى نفسه من الفلاحين فى أوانا من ضياع بغداد واتصل ببختيار وكان يتولى الطعام بين يديه ويتولى الطبخ ومنديل الخوان على كتفه فلما ضاقت الاحوال على الوزير أبى الفضل وكثرت مطالبته بالارزاق والنفقات عزله بختيار وصادره وسائر أصحابه على أموال عظيمة أخذت منهم واستوزر محمد بن بقية فاستقامت أموره ونمت أحواله بتلك الاموال فلما نفدت عاد الى الظلم ففسدت الاحوال وخربت تلك النواحى وظهر العيارون وتزايد شرهم وفسادهم وعظم الاختلاف بين بختيار والاتراك ومقدمهم يومئذ سبكتكين وتزايدت نفرته ثم سعى ابن بقية فى اصلاحه وجاء به الى بختيار ومعه الاتراك فصالحه بختيار ثم قام غلام ديلمى فرمى وتينه بحربة فى يده فأثبته فصاح سبكتكين بغلمانه فأخذوه ويظن أنه وضع على قتله وقرره فلم يعترف فبعث الى بختيار فأمر به فقتل فعظم ارتيابه وانه انما قتل حذرا من افشاء سره فعظمت الفتنة وقصد الديلم قتل سبكتكين ثم أرضاهم بختيار بالمال فسكنوا

(استيلاء بختيار على الموصل ثم رجوعه عنها)

فلما قبض أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان على أبيه وحبسه واستقل بملك الموصل وعصى عليه اخوته من سائر النواحى غلبهم ولحق أخوه أحمد وابراهيم ببختيار فاستصرخاه فوعدهما بالمسير معهما وأن يضمن حمدان البلاد ثم أبطأ عليهما فرجع ابراهيم الى أخيه أبى تغلب وقارن ذلك وزارة ابن بقية وقصر أبو تغلب فى خطابه فاغرى به بختيار فسار اليه ونزل الموصل وفارقها أبو تغلب الى سنجار وأخلاها من الميرة والكتاب والدواوين ثم سار من سنجار الى بغداد فحاربها ولم يحدث فى سوادها حدثا وبعث بختيار اثره العساكر مع ابن بقية والحاجب سبكتكين فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين بحربى وثار العيارون واضطربت الفتنة بين أهل السنة والشيعة وضربوا الامثال لنشتد على الوزير بحرب الجمل وهذا كله فى الجانب الغربى ونزل أبو تغلب حذاء سبكتكين بحربى واتفقا فى سر على خلع الخليفة ونصب غيره والقبض على الوزير وعلى بختيار وتكون الدولة لسبكتكين ويعود أبو تغلب الى الموصل ليتمكن من بختيار ثم قصر سبكتكين عن ذلك وخشى سوء المغبة واجتمع به الوزير ابن بقية وصالحوا أبا تغلب على ضمان أعماله كما كانت وزيادة ثلاثة آلاف كر من الغلة لبختيار وأن يرد على أخيه حمدان أملاكه وأقطاعه الا ماردين وأرسلوا الى بختيار بذلك ودخل أبو تغلب الى الموصل فلما نزل الموصل وبختيار بالجانب الآخر

فغضب أهل الموصل لابى ثعلب لما نالهم من عسف بختيار فتراسلوا فى الصلح ثانيا وسأل أبو ثعلب لقبا سلطانيا وتسليم زوجته ابنة بختيار فأبى ذلك ورحل عنه الى بغداد وبلغه فى طريقه أن أبا ثعلب قتل مخلفين من أصحاب بختيار فأقام بالكحيل وبعث بالوزير وابن بقية وسبكتكين فجاؤه فى العساكر ورجع الى الموصل وفارقها أبو ثعلب وبعث الى الوزير كاتبه ابن عرس وصاحبه ابن حوقل معتذرا وحلفا عنه عن العلم بما وقع فاستحكم بينهم صلح آخر وانصرف كل منهم الى بلده وبعث بختيار اليه زوجته واستقر أمرهما على ذلك

(الفتنة بين الديلم والاتراك وانتقاض سبكتكين)

كان جند بختيار وأبيه معز الدولة طائفتين من الديلم عشيرتهم والاتراك المستجدين عندهم وعظمت الدولة وكثرت عطاياها وأرزاق الجند حتى ضاقت عنها الجباية وكثر شغب الجند وساروا الى الموصل لسد ذلك فلم يقع لهم ما يسده فتوجهوا الى الاهواز صحبة بختيار ليظفروا من ذلك بشئ واستخلف سبكتكين على بغداد فلما وصلوا الى الاهواز صحبة بختيار حمل اليه حملين من الاموال والهدايا ما ملأ عينه وهو مع ذلك يتجنى عليه ثم تلاحى خلال ذلك عاملان ديلمى وتركى وتضاربا ونادى كل منهما بقومه فركبوا فى السلاح بعضهم على بعض وسالت بينهما الدماء وصاروا الى النزاع واجتهدوا فى تسكين الناس فلم يقدروا وأشار عليه الديلم بالقبض على الاتراك فاحضر رؤساءهم واعتقلهم وانطلقت أيدى الديلم على الاتراك فافترقوا ونودى فى البصرة باباحة دمائهم واستولى بختيار على اقطاع سبكتكين ودس بان يرجفوا بموته فاذا جاء سبكتكين للعزاء قبضوا عليه وقيل كان وطأهم على ذلك قبل سفره وجعل موعده قبضه على الاتراك فلما أرجفوا بموته ارتاب سبكتكين بالخبر وعلم أنها مكيدة ودعاه الاتراك للامر عليهم فأبى ودعا ابن معز الدولة أبا اسحق اليها فمنعته أمه فركب سبكتكين فى الاتراك وحاصروا بختيار يومين ثم أحرقها وبعث لابى اسحق وأبى طاهر ابنى معز الدولة وسار بهما الى واسط فاستولى على ما كان لبختيار وأنزل الاتراك فى دور الديلم وثار العامة بنصر سبكتكين وأوقعوا بالشيعة وقتلوهم وأحرقوا الكرخ

(مسير بختيار لقتال سبكتكين وخروج سبكتكين الى واسط ومقتله)

ولما انتقض سبكتكين انتقض الاتراك فى كل جهة حتى اضطرب على بختيار غلمانه الذين بداره وعاتبه مشايخ الاتراك على فعلته وعذله الديلم أصحابه وقالوا لا بد لنا من الاتراك يدفعون عنا فأطلق المعتقلين عنهم ورجع وجعل أزدويه صاحب الجيش مكان

سبكتكين وكتب الى عمه ركن الدولة وابنه عضد الدولة يستنجدهما والى أبى ثعلب بن حمدان يستمده بنفسه ويسقط عنه مال الضمان والى عمران بن شاهين بأن يمده بعسكر فبعث عمه ركن الدولة العساكر مع وزيره أبى الفتح بن العميد وأمر ابنه عضد الدولة بالمسير معهم فتربص به ابن العميد وأنفذ أبو ثعلب ابن حمدان أخاه أبا عبد الله الحسين ابن حمدان الى تكريت وأقام ينتظر خروج سبكتكين والاتراك عن بغداد فيملكها وانحدر سبكتكين ومعه الاتراك الى واسط وحمل معه الخليفة الطائع الذى نصبه وأباه المطيع مكانه افتكين وساروا الى بختيار ونازلوه بواسط خمسين يوما والحرب بينهم متصلة والظفر للاتراك فى كلها وهو يتابع الرسل الى عضد الدولة ويستحثه

(استيلاء عضد الدولة على العراق واعتقال بختيار ثم عوده الى ملكه)

ولما بلغ عضد الدولة ما فعله الاتراك مع بختيار اعتزم على المسير اليه بعد ان كان يتربص به فسار فى عساكر فارس وسار معه أبو القاسم بن العميد وزير أبيه من الاهواز فى عساكر الرى وقصد واسط ورجع افتكين والاتراك الى بغداد وكان أبو ثعلب عليها فأجفل وكتب بختيار الى طبة الاسدى صاحب عين التمر والى بنى شيبان بمنع الميرة عن بغداد وافساد سابلتها فعدمت الاقوات وسار عضد الدولة الى بغداد ونزل فى الجانب الشرقى وبختيار فى الجانب الغربى وخرج افتكين والاتراك لعضد الدولة فلقيهم بين ديالى والمدائن منتصف جمادى سنة أربع وستين فهزمهم وغرق كثير منهم وساروا الى تكريت ودخل عضد الدولة بغداد ونزل دار الملك واسترد الخليفة الطائع من افتكين والاتراك وكانوا أكرهوه على الخروج معهم وخرج للقائه فى دجلة وأنزله بدار الخلافة وحدثته نفسه بملك العراق واستضعف بختيار ووضع عليه الجند يطالبونه بأرزاقهم ولم يكن عنده فى خزائنه شئ وأشار عليه بالزهد فى امارتهم ثم يتنصح له بذلك سرا والرسل تتردد الى بختيار والجند فلا يقبل عضد الدولة تقربهم ثم تقبض عليه آخرا ووكل به وجمع الجند ووعدهم بالاحسان والنظر فى أمورهم فسكنوا وبعث عضد الدولة عسكره الى ابن بقية ومعه عسكر ابن شاهين فهزموا عسكر عضد الدولة وكاتبوا ركن الدولة فكتب اليهم بالثبات على شأنهم فلما علم أهل النواحى بأفعال عضد الدولة اضطربوا عليه وانقطعت عنه مواد فارس وطمع فيه الناس حتى عامة بغداد فحمل الوزير أبا الفتح بن العميد الى أبيه ركن الدولة الرسالة بما وقع وبضعف بختيار وأنه ان عاد الى الامر خرجت المملكة والخلافة عنه وأنه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم فى كل سنة ويبعث اليه بختيار بالرى والا قتلت بختيار وأخويه وجميع شيعتهم وأترك البلاد فخشى ابن العميد من هذه الرسالة وأشار بأن يبعث بها غيره ويمضى

هو الى ركن الدولة فيحاول على مقاصد عضد الدولة فمضى الرسول الى ركن الدولة فحجبه أولا ثم أحضره وذكر له الرسالة فهم بقتله ثم ردّه وحمله من الاساءة فى الخطاب فوق ما أراد وجاء ابن العميد فحجبه ركن الدولة وأنفذ اليه بالوعيد وشفع اليه أصحابه واعتذر بانه انما جعل رسالة عضد الدولة طريقا الى الخلاص منه فأحضره وضمن له ابن العميد اطلاق بختيار ثم سار الى عضد الدولة وعرفه بغضب أبيه فأطلق بختيار من محبسه وردّه الى ملكه على أن يكون نائبا عنه ويخطب له ويجعل أخاه أبا اسحق أمير الجيش لضعفه عن الملك وخلف أبا الفتح بن العميد لقضاء شؤنه فتشاغل هو مع بختيار فيما كان فيه من اللذات عن ركن الدولة وجاء ابن بقية فأكد الوحشة بين بختيار وعضد الدولة وجبى الاموال واختزنها وأساء التصرف واحترز من بختيار

(أخبار عضد الدولة فى ملك عمان)

لما توفى معز الدولة كان أبو الفرج بعمان فسار عنها لبغداد وبعث الى عضد الدولة بأن يتسلمها فوليها عمر بن نبهان الطائى بدعوة عضد الدولة ثم قتلته الزنج وملكوا البلد وبعث عضد الدولة اليها جيشا من كرمان مع قائده ابى حرب طغان وساروا فى البحر وأرسوا على صحار وهى قصبة عمان ونزلوا الى البر فقاتلوا الزنج وظفروا بهم واستولى طغان على صحار سنة ثنتين وستين ثم اجتمع الزنج الى مدين رستان على مرحلتين من صحار فأوقع بهم طغان واستلحمهم وسكنت البلاد ثم خرج بجبال عمان طوائف الشراة مع ورد بن زياد منهم وبايعوا لحفص بن راشد واشتدت شوكتهم وبعث عضد الدولة المظفر بن عبد الله فى البحر فنزل فى اعمال عمان وأوقع بأهل خرخان ثم سار الى دما على أربع مراحل وقاتل الشراة فهزمهم وهرب أميرهم ورد بن حفص الى يزوا وهى حصن تلك الجبال ولحق حفص باليمن فصار فيه معلما واستقامت البلاد ودانت لطاعة عضد الدولة

(اضطراب كرمان على عضد الدولة)

كان ظاهر بن الصمد من الحروسية وهى البلاد الحارة قد ضمن من عضد الدولة ضمانات واجتمعت عليه أموال ولما سار عضد الدولة الى العراق وبعث وزيره المطهر بن عبد الله الى عمان خلت كرمان من العساكر فطمع فيها ظاهر وجمع الرجال الحروسية وكان بعض موالى بنى سامان من الاتراك واسمه مؤتمر استوحش من ابن سيجور صاحب خراسان فكاتبه ظاهر وأطمعه فى اعمال كرمان فسار اليه وجعله ظاهر أميرا ثم شغب عليه بعض أصحاب ظاهر فارتاب به مؤتمر وقاتله فظفر به وبأصحابه وبلغ الخبر الى الحسين بن على

ابن الياس بخراسان فطمع فى البلاد وسار اليها واجتمعت عليه جموع وكتب عضد الدولة الى المطهر بن عبد الله وقد فرغ من أمر عمان بالمسير الى كرمان فسار اليه سنة أربع وستين ودوخ البلاد فى طريقه وكبس مؤتمرا بنواحى مدينة قم فلحق بالمدينة وحصره فيها حتى استأمن وخرج اليه ومعه ظاهر فقتله المطهر وحبس مؤتمرا ببعض القلاع وكان آخر العهد به ثم سار الى ابن الياس وقاتله على باب جيرفت وأخذه أسيرا وضاع بعد ذلك خبره ورجع المطهر ظافرا وصلحت كرمان لعضد الدولة

(وفاة ركن الدولة وملك ابنه عضد الدولة)

كان ركن الدولة ساخطا على ابنه عضد الدولة كما قدمناه وكان ركن الدولة بالرى فطرقه المرض سنة خمس وستين وثلثمائة فسار الى اصفهان وتلطف الوزير أبو الفتح بن العميد اليه فى الرضا عن ابنه عضد الدولة وأن يحضره ويعهد اليه فأحضره من فارس وجمع سائر ولده وكان ركن الدولة قد خف من مرضه فعمل الوزير ابن العميد بداره صنيعا وأحضرهم جميعا فلما قضوا شأن الطعام خاطب ركن الدولة بولاية اصفهان وأعمالها نيابة عن أخيه عضد الدولة وخلع عضد الدولة فى ذلك اليوم على سائر الناس الاقبية والاكسية بزى الديلم وحياه اخوته والقواد بتحية الملك المعتادة لهم وأوصاهم أبوهم بالاتفاق وخلع عليهم من الخاص وسار عن اصفهان فى رجب من السنة ثم اشتد به المرض فى الرى فتوفى فى محرم سنة ست وستين لاربع وأربعين سنة من ولايته وكان حليما كريما واسع المعروف حسن السياسة لجنده ورعيته عادلا فيهم متحريا من الظلم عفيفا عن الدماء بعيد الهمة عظيم الجد والسعادة محسنا لاهل البيوتات معظما للمساجد متفقدا لها فى المواسم متفقدا أهل البيت بالبر والصلات عظيم الهيبة لين الجانب مقربا للعلماء محسنا اليهم معتقدا للصلحاء برا بهم رحمه الله تعالى

(مسير عضد الدولة الى العراق وهزيمة بختيار)

ولما توفى ركن الدولة ملك عضد الدولة بعده وكان بختيار وابن بقية يكاتبان أصحاب القاصية مثل فخر الدولة أخيه وحسنويه الكردى وغيرهم للتظافر على عضد الدولة فحركه ذلك لطلب العراق فسار لذلك وانحدر بختيار الى واسط لمدافعته وأشار عليه ابن بقية بالتقدم الى الاهواز واقتتلوا فى ذى القعدة من سنة ست وستين ونزع بعض عساكر بختيار الى عضد الدولة فانهزم بختيار ولحق بواسط ونهب سواده ومخلفه وبعث اليه ابن شاهين بأموال وسلاح وهاداه وأتحفه فسار اليه الى البطيحة وأصعد منها الى واسط واختلف أهل البصرة فمالت مضر الى عضد الدولة وربيعة مع بختيار وبت

مضر عند انهزامه وكاتبوا عضد الدولة فبعث اليهم عسكرا واستولوا على البصرة وأقام بختيار بواسط وقبض الوزير ابن بقية لاستبداده واحتجانه الاموال وليرضى عضد الدولة بذلك وترددت الرسل بينهم فى الصلح وتردد بختيار فى امضائه ثم وصله ابنا حسنويه الكردى فى ألف فارس مددا فاعتزم على محاربة عضد الدولة ثم بدا له وسار الى بغداد فأقام بها ورجع ابنا حسنويه الى أبيهما وسار عضد الدولة الى البصرة فأصلح بين ربيعة ومضر بعد اختلافهما مائة وعشرين سنة

(نكبة أبى الفتح ابن العميد)

كان عضد الدولة يحقد على أبى الفتح بن العميد مقامه عند بختيار ببغداد ومخالطته له وما عقده معه من وزارته بعد ركن الدولة وكان ابن العميد يكاتب بختيار بأحواله وأحوال أبيه وكان لعضد الدولة عين على بختيار يكاتبه بذلك ويغريه فلما ملك عضد الدولة بعد أبيه كتب الى أخيه فخر الدولة بالرى بالقبض على ابن العميد وعلى أهله وأصحابه واستصفيت أموالهم ومحيت آثارهم وكان أبو الفضل بن العميد ينذرهم بذلك لما يرى من مخايل أبى الفتح وانكاره عليه

(استيلاء عضد الدولة على العراق ومقتل بختيار وابن بقية)

ولما دخلت سنة سبع وستين سار عضد الدولة الى بغداد وأرسل الى بختيار يدعوه الى طاعته وأن يسير عن العراق الى أى جهة أراد فيمده بما يحتاج اليه من مال وسلاح فضعفت نفسه فقلع عينه وبعثها اليه وخرج بختيار عن بغداد متوجها الى الشام ودخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها ولم يكن خطب لاحد قبله وضرب على بابه ثلاث نوبات ولم يكن لمن تقدمه وأمر أن يلقى ابن بقية بين أرجل الفيلة فضربته حتى مات وصلب على رأس الجسر فى شوال سنة سبع وستين ولما انتهى بختيار الى عكبرا وكان معه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان فزين له قصد الموصل واستماله اليه عن الشام وقد كان عقد معه عضد الدولة أن لا يقصد الموصل لموالاة بينه وبين أبى تغلب فسار هو الى الموصل ونقض عهده وانتهى الى تكريت فبعث اليه أبو تغلب يعده المسير معه لقتال عضد الدولة واعادة ملكه على أن يسلم اليه أخاه حمدان فقبض بختيار عليه وسلمه الى سفرائه وحبسه أبو تغلب وسار بختيار الى الحديثة ولقيه أبو تغلب فى عشرين ألف مقاتل ورجع معه الى العراق ولقيهما عضد الدولة بنواحى تكريت فهزمهما وجىء ببختيار أسيرا فأشار أبو الوفاء طاهر بن اسمعيل كبير أصحاب عضد الدولة بقتله فقتل لثنتى عشرة سنة من ملكه واستلحم كثير من أصحابه وانهزم أبو تغلب بن حمدان

الى الموصل

(استيلاء عضد الدولة على أعمال بنى حمدان)

ولما انهزم أبو تغلب سار عضد الدولة فى أثره فملك الموصل منتصف ذى القعدة سنة ست وستين وكان حمل معه الميرة والعلوفات خوفا أن يقع به مثل ما وقع بسلفه فأقام بالموصل مطمئنا وبث السرايا فى طلب أبى تغلب ولحق بنصيبين ثم بميافارقين فبعث عضد الدولة فى اثره سرية عليها أبو طاهر بن محمد الى سنجار وأخرى عليها الحاجب أبو حرب طغان الى جزيرة ابن عمر فترك أبو تغلب أهله بميافارقين وسار الى تدلس ووصل أبو الوفاء فى العساكر الى ميافارقين فامتنعت عليه فسار فى اتباع أبى تغلب الى أرزن الروم ثم الى الحسنية من أعمال الجزيرة وصعد أبو تغلب الى قلعة كواشى فأخذ أمواله منها وعاد أبو الوفاء وحاصر ميافارقين وسار عضد الدولة وقد افتتح سائر ديار بكر وسار أبو تغلب الى الرحبة ورجع أصحابه الى أبى الوفاء فأمنهم وعاد الى الموصل فتسلم ديار مضر من يده وكان سعد الدولة على الرحبة وتقرى أعمال أبى تغلب وحصونه مثل هوا والملاسى وفرق والسفيانى وكواشى بما فيهما من خزائنه وأمواله واستخلف أبو الوفاء على الموصل وجميع أعمال بنى تغلب وعاد الى بغداد وسار أبو تغلب الى الشام فكان فيه مهلكه كما مر فى أخباره

(ايقاع العساكر ببنى شيبان)

كان بنو شيبان قد طال افسادهم للسابلة وعجز الملوك عن طلبهم وكانوا يمتنعون بجبال شهرزور لما بينهم وبين أكرادها من المواصلة فبعث عضد الدولة العساكر سنة تسع وستين فنازلوا شهرزور واستولوا عليها وعلى ملكها رئيس بنى شيبان فذهبوا فى البسيط وسار العسكر فى طلبهم فأوقعوا بهم واستباحوا أموالهم ونساءهم وجىء منهم الى بغداد بثلثمائة أسير ثم عاودوا الطاعة وانحسمت علتهم

(وصول ورد بن منير البطريق الخارج على ملك الروم الى ديار بكر والقبض عليه)

كان ارمانوس ملك الروم لما توفى خلف ولدين صغيرين ملكا بعده وكان نقفور وهو يومئذ الدمستق غائبا ببلاد الشام وكان نكاء فيها فلما عاد حمله الجند وأهل الدولة على النيابة عن الولدين فامتنع ثم أجاب وأقام بدولة الولدين وتزوج أمهما ولبس التاج ثم استوحشت منه فراسلت ابن الشمشيق فى قتله وبيته فى عشرة من أصحابه فقتلوا نقفور واستولى ابن الشمشيق على الامر واستولى على الاولاد وعلى ابنه ورديس واعتقلهم فى بعض القلاع وسار فى أعمال الشام فعاث فيها وحاصر طرابلس فامتنعت

عليه وكان لوالد الملك أخ خصي وهو الوزير يومئذ فوضع عليه من سقاه السم وأحس به فأسرع العود الى القسطنطينية ومات فى طريقه وكان ورد بن منير من عظماء البطارقة فطمع فى الملك وكاتب أبا تغلب بن حمدان عند خروجه بين يدى عضد الدولة وظاهره واستجاش بالمسلمين بالثغور وساروا اليه وقصد القسطنطينية وبرزت اليه عساكر الملكين فهزمهم مرة بعد أخرى فأطلق الملكان ورديس بن لاوون وبعثاه فى العساكر لقتال ورد فهزمه بعد حروب صعبة ولحق ورد ببلاد الاسلام ونزل ميافارقين وبعث أخاه الى عضد الدولة يبذل الطاعة ويطلب النصرة وبعث اليه ملك الروم واستماله فجنح اليهما وكتب الى عامله بميافارقين بالقبض على ورد وأصحابه فتنسموا منه وتسللوا عنه فبعث أبو علي التميمي عنه الى داره للحديث معه ثم قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه واعتقلهم بميافارقين ثم بعث بهم الى بغداد فحبسوا بها

(دخول بنى حسنويه فى الطاعة وبداية أمرهم)

كان حسنويه بن حسن الكردى من جنس البرزفكان من الاكراد من طائفة منهم يسمون الدولتية وكان أميرا على البرزمكان خاله وندادو وكان ابنا أحمد بن على من طائفة أخرى من البرز فكانوا يسمون العيشانية وغلبا على أطراف الدينور وهمذان ونهاوند والدامغان وبعض أطراف اذربيجان الى حد شهرزور وبقيت فى أيديهم خمسين سنة وكانت تجتمع عليها من الاكراد جموع عظيمة ثم توفى عام ست وخمسين وثلثمائة وكانت له قلعة بسنان وغانم أباد وغيرها فملكها بعده ابنه أبو سالم غنم الى أن غلبه الوزير أبو الفتح بن العميد وتوفى وندادسنة تسع وأربعين وقام ابنه عبد الوهاب أبو الغنائم مقامه وأراد الساذنجان وأسلمه الى حسنويه فاستولى على أملاكه وقلاعه وكان حسنويه عظيم السياسة حسن السيرة وبنى أصحابه حصن التلصص وهى قلعة سرماج بالصخور المهندسة وبنى بالدينور جامعا كذلك وكان كثير الصدقة بالحرمين ثم توفى سنة تسع وستين وافترق أولاده من بعده فبعضهم صار الى طاعة فخر الدولة صاحب همذان وأعمال الجبل والآخرون صاروا الى عضد الدولة وكان بختيار منهم بقلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فكاتب عضد الدولة بالطاعة ثم انتقض فبعث عضد الدولة عسكرا فحاصروه وملكوا القلعة من يده والقلاع الاخرى من اخوته واستولى عضد الدولة على أعمالهم واصطنع من بينهم أبا النجم بن حسنويه وأمده بالعسكر فضبط تلك النواحى وكف عادية الاكراد بها واستقام أمرها

{استيلاء عضد الدولة على همذان والرى من يد}
{أخيه فخر الدولة وولاية أخيهما مؤيد الدولة عليها}

قد تقدم ان ركن الدولة عهد الى ابنه فخر الدولة وكان يكاتب بختيار وعلم بذلك عضد الدولة فأغضى فلما فرغ من شأن بختيار وابن حمدان وحسنويه وعظم استيلاؤه أراد اصلاح الامر بينه وبين أخيه وقابوس بن وشمكير فكاتب مؤيد الدولة وفخر الدولة يعاتبه ويستميله وكان الرسول خواشادة من أكبر أصحاب عضد الدولة فاستمال أصحاب فخر الدولة وضمن لهم الاقطاعات وأخذ عليهم العهود واعتزم عضد الدولة على المسير الى الرى وهمذان وسرب العساكر اليهما مسالمة فأبو الوفاء طاهر فى عسكر وخواشادة فى عسكر وأبو الفتح المظفر بن أحمد فى عسكر ثم سار عضد الدولة فى أثرهم من بغداد ولما أطلت عساكره استأمن قواد فخر الدولة وبنو حسنويه ووزيره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه ولحق فخر الدولة ببلاد الديلم ثم بجرجان ونزل على شمس المعالى قابوس ابن وشمكير مستجيرا فأمنه وآواه وحمل اليه فوق ما أمله وشاركه فيما بيده من الملك وغيره وملك عضد الدولة همذان والرى وما بينهما من الاعمال وأضافها الى اخيه مؤيد الدولة ابن بويه صاحب اصفهان وأعمالها ثم عطف على ولاية حسنويه الكردى وفتح نهاوند والدينور وسرماج وأخذ ما كان فيها لبنى حسنويه وفتح عدة من قلاعهم وخلع على بدر بن حسنويه وأحسن اليه وولاه رعاية الاكراد وقبض على اخوته عبد الرزاق وأبى العلاء وأبى عدنان ولما لحق فخر الدولة بجرجان وأجاره قابوس بعث اليه أخوه عضد الدولة فى طلبه فأجاره وامتنع من اسلامه فجهز اليه عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة صاحب اصفهان بالعساكر والاموال والسلاح فسار الى جرجان وبرز قابوس للقائه والتقوا بنواحى استراباذ فى منتصف احدى وسبعين فانهزم قابوس ومر ببعض قلاعه فاحتمل منها ذخيرته ولحق بنيسابور وجاء فخر الدولة منهزما على أثره وكان ذلك لاول ولاية حسام الدولة تاش خراسان من قبل أبى القاسم بن منصور من بنى سامان فكتب بخبرهما الى الامير نوح ووزيره العتبى أبى العباس تاش فجاءه الجواب بنصرهما فجمع عساكر خراسان وسار معهما الى جرجان فحاصروا بها مؤيد الدولة شهرين حتى ضاقت أحوال مؤيد الدولة واعتزم هو وأصحابه على الخروج والاستماتة بعد أن كاتب فائقا الخاصة الساماني ورغبه فوعده بالانهزام عند اللقاء وخرج مؤيد الدولة وانهزم فائق وتبعه العسكر وثبت تاش وفخر الدولة وقابوس الى آخر النهار ثم انهزموا ولحقوا بنيسابور وبعثوا بالخبر الى الامير نوح فبعث اليهم بالعساكر ليعودوا الى جرجان ثم قتل الوزير العتبى كما تقدم فى أخبار دولتهم وانتقض ذلك الرأى

(استيلاء عضد الدولة على بلاد الهكارية وقلعة سندة)

كان عضد الدولة قد بعث عساكره الى بلاد الاكراد الهكارية من أعمال الموصل فحاصر

قلاعهم وضيق عليهم وكانوا يؤملون نزول الثلج فترحل عنهم العساكر وتأخر نزوله فاستأمنوا ونزلوا من قلاعهم الى الموصل واستولت عليها العساكر وغدر بهم مقدم الجيش فقتلهم جميعا وكانت قلعة بنواحى الجبل لابى عبد الله المرى مع قلاع أخرى وله فيها مساكن نفيسة وكان من بيت قديم فقبض عليه عضد الدولة وعلى أولاده واعتقلهم وملك القلاع ثم أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد واستخدم أبا طاهر من ولده واستكتبه وكان حسن الخط واللفظ

(وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة)

ثم توفى عضد الدولة ثامن شوال سنة ثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ولايته العراق وجلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان للعزاء فجاءه الطائع معزيا وكان عضد الدولة بعيد الهمة شديد الهيبة حسن السياسة ثاقب الرأى محبا للفضائل وأهلها وكان كثير الصدقة والمعروف ويدفع المال لذلك الى القضاة ليصرفوه فى وجوهه وكان محبا للعلم وأهله مقربا لهم محسنا اليهم ويجلس معهم ويناظرهم فى المسائل فقصده العلماء من كل بلد وصنفت الكتب باسمه كالايضاح فى النحو والحجة فى القراآت والملكى فى الطب والتاجى فى التواريخ وعمل البيمارستانات وبنى القناطر وفى أيامه حدثت المكوس على المبيعات ومنع من الاحتراف ببعضها وجعلت متجرا للدولة ولما توفى عضد الدولة اجتمع القواد والامراء على ابنه أبى كاليجار المرزبان وولوه الملك مكانه ولقبوه صمصام الدولة فخلع على أخيه أبى الحسن أحمد وأبى طاهر فيروزشاه وأقطعهما فارس وبعثهما اليها

{استيلاء شرف الدولة بن عضد الدولة على
فارس واقتطاعها من أخيه صمصام الدولة}

كان شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك قد ولاه أبوه عضد الدولة قبل موته كرمان وبعث اليه فلما بلغه وفاة أبيه سار الى فارس فملكها وقتل نصر بن هرون النصرانى وزير أبيه لانه كان يسىء عشرته وأطلق الشريف أبا الحسن محمد بن عمر العلوى كان أبوه حبسه بما قال عنه وزيره المظهر بن عبد الله عند قتله نفسه على البطيحة وأطلق النقيب أبا أحمد والد الشريف الرضى والقاضى أبا محمد بن معروف وأبا نصر خواشادة وكان أبوه حبسهم وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة وخطب لنفسه وتلقب بأخى الدولة ووصل أخوه أبو الحسن أحمد وأبو طاهر فيروزشاه اللذان أقطعهما صمصام الدولة بشيراز فبلغهما خبر شرف الدولة بشيراز فعادا الى الاهواز وجمع شرف الدولة وفرق

الاموال وملك البصرة وولى عليها أخاه أبا الحسين ثم بعث صمصام الدولة العساكر مع ابن تتش حاجب أبيه وأنفذ مشرف الدولة مع أبى الاغر دبيس بن عفيف الاسدى والتقيا بظاهر قرقوب وانهزم عسكر صمصام الدولة وأسر ابن تتش الحاجب واستولى حينئذ الحسين بن عضد الدولة على الاهواز ورامهرمز وطمع فى الملك

(وفاة مؤيد الدولة صاحب أصفهان والرى وجرجان وعود فخر الدولة الى ملكه)

ثم توفى مؤيد الدولة يوسف بن بويه بن ركن الدولة صاحب أصفهان والرى بجرجان سنة ثلاث وسبعين واجتمع أهله للشورى فيمن يولونه فأشار الصاحب اسمعيل بن عباد باعادة فخر الدولة الى مملكته لكبر سنه وتقدم امارته بجرجان وطبرستان فاستدعوه من نيسابور وبعث ابن عباد من استخلفه لنفسه وتقدم الى جرجان فتلقاه العسكر بالطاعة وجلس على كرسيه وتفادى ابن عباس عن الوزارة فمنعه واستوزره والتزم الرجوع الى اشارته فى القليل والكثير وأرسل صمصام الدولة وعاهده على الاتحاد والمظاهرة ثم عزل الامير نوح أبا العباس تاش عن خراسان وولى عليها ابن سيجور فانتقض تاش ولقيه ابن سيجور فهزمه فلحق بجرجان فكافأه فخر الدولة وترك له جرجان ودهستان واستراباذ وسار عنها الى الرى وأمده بالاموال والآلات وطلب خراسان فلم يظفر بها فأقام بجرجان ثلاث سنين ثم مات سنة سبع وتسعين كما ذكرنا فى أخبار بنى سامان

(انتقاض محمد بن غانم على فخر الدولة)

قد تقدم لنا ذكر غانم البرزنكانى خال حسنويه وانهم كانوا رؤساء الاكراد وأنه مات سنة خمسين وثلثمائة وكان ابنه دلسيم مكانه فى قلاعه قستتان وغانم أبا وملكهما منه أبو الفتح بن العميد ولما كان سنة ثلاث وسبعين انتقض محمد بن غانم بناحية كردون من أعمال قم على فخر الدولة ونهب غلات السلطان وامتنع بحصن الفهجهان واجتمع اليه البرزنكان وسارت العساكر لقتاله فى شوال فهزمها مرة بعد أخرى الى أن بعث فخر الدولة الى أبى النجم بدر بن حسنويه بالنكير فى ذلك فصالحه أول أربع وسبعين ثم سارت اليه العساكر سنة خمس وسبعين فقاتلها وأصيب بطعنة ثم أخذ أسيرا ومات بطعنته

(تغلب باد الكردى على الموصل من يد الديلم ثم رجوعها اليهم)

قد تقدم لنا استيلاء عضد الدولة على الموصل وأعمالها وتقدم لنا ذكر باد الكردى خال بنى مروان وكيف خاف عضد الدولة لما ملك الموصل وطلبه فصار يخيف ديار بكر ويغير عليها حتى استفحل أمره وملك ميافارقين كما ذكرنا ذلك كله فى أخبار بنى مروان وانه

صمصام الدولة جهز اليه العساكر مع أبى سعيد بهرام بن اردشير فهزمه باد وأسر أصحابه فأعاد صمصام الدولة اليه العساكر مع أبى سعيد الحاجب وفتك باد فى الديلم بالقتل والاسر ثم اتبع سعيد خانور الحسينية من بلد كواشى فانهزم سعيد الحاجب الى الموصل وثارت العامة بالديلم وملك باد سنة ثلاث وسبعين الموصل وحدث نفسه بملك بغداد وأخرج الديلم عنها واهتم صمصام الدولة بأمره وبعث زياد بن شهرا كونه من أكبر قواد الديلم لقتاله واستكثر له من الرجال والعدد والمال وسار الى باد فلقيه فى صفر سنة أربع وسبعين وانهزم باد وأسر أكثر أصحابه ودخل زياد بن شهرا كونه الموصل وبعث سعيد الحاجب فى طلب باد فقصد جزيرة ابن عمر وعسكرا آخر الى نصيبين وجمع باد الجموع بديار بكر وكتب صمصام الدولة الى سعد الدولة بن سيف الدولة بتسليم ديار بكر له فبعث اليها عساكره من حلب وحاصروا ميافارقين وخاموا عن لقاء باد فرجعوا عن حلب ووضع سعيد الحاجب رجلا لقتل باد فدخل عليه وضربه فى خيمته فأصابه وأشرف على الموت منها فطلب الصلح على أن يكون له ديار بكر والنصف من طور عبدين فأجابه الديلم الى ذلك وانحدروا الى بغداد وأقام سعيد الحاجب بالموصل الى أن توفى سنة سبع وسبعين أيام مشرف الدولة فتجرد الكردى وطمع فى الموصل وولى شرف الدولة عليها أبا نصر خواشاده وجهزه بالعساكر ولما زحف اليه باد الكردى كتب الى مشرف الدولة يستمد العساكر والاموال فأبطأ عليه المدد فاستدعى العرب من بنى عقيل وبنى نمير وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها وانحدر باد واستولى على طور عبدين ولم يقدر على النزول على الصحراء وبعث أخاه فى عسكر لقتال العرب فهزموه وقتلوه ثم أتاهم الخبر بموت مشرف الدولة فعاد خواشاده الى الموصل وأقامت العرب بالصحراء يمنعون باد من النزول وينتظرون خروج خواشاده لمدافعة باد وحربه وبينما هم فى ذلك جاء ابراهيم وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان فملكا الموصل كما ذكرنا فى أخبار دولتهم

(استيلاء صمصام الدولة على عمان ورجوعها لمشرف الدولة)

كان مشرف الدولة استولى على فارس وخطب له بعمان وولى عليها أستاذ هرمز فانتقض عليه وصار مع صمصام الدولة وخطب له بعمان فبعث مشرف الدولة اليه عسكرا فهزموا أستاذ هرمز وأسروه وحبس ببعض القلاع وطولب بالاموال وعادت عمان الى مشرف الدولة

(خروج نصر بن عضد الدولة على أخيه صمصام الدولة وانهزامه وأسره)

كان اسفار بن كردويه من أكابر قواد الديلم واستوحش من صمصام الدولة فمال عن

طاعته الى اخيه مشرف الدولة وهو بفارس وداخل رجال الديلم فى صمصام الدولة وأن ينصبوا بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة نائبا عن أخيه مشرف الدولة حتى يقدم من فارس وتمكن اسفار من الخوض فى ذلك فمرض صمصام الدولة وتأخر عن حضور الدار وراسله صمصام الدولة   أنه لا ذنب له لانه كان صبيا فاعتقله مكرما وسعى اليه بابن سعدان وزيره أو هواه كان معهم فعزله وقتله ومضى اسفار الى أبى الحسن بن عضد الدولة بالاهواز ومضى بقية العسكر الى مشرف الدولة بفارس

بياض بالاصل

(استيلاء القرامطة على الكوفة بدعوة مشرف الدولة ثم انتزاعها منهم)

كان للقرامطة محل من البأس والهيبة عند أهل الدول وكانوا يدافعونهم فى أكثر الاوقات بالمال وأقطعهم معز الدولة وابنه بختيار ببغداد وأعمالها وكان يأتيهم ببغداد أبو بكر بن شاهويه يحتكم بحكم الوزراء فقبض عليه صمصام الدولة وكان على القرامطة فى هجر ونيسابور رجلان كان فى امارتهما وهما اسحق وجعفر فلما بلغهما الخبر سارا الى الكوفة فملكاها وخطبا لمشرف الدولة وكاتبهما صمصام الدولة بالعتب فذكرا أمرهما ببغداد وانتشر القرامطة فى البلاد وجبوا الاموال ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر من أكابرهم الى الجامعين فسرح صمصام الدولة العسكر ومعهم العرب فعبروا الفرات وقاتلوه فهزموه وأسروه وقتلوا جماعة من قواد القرامطة ثم عاودوا عسكرا آخر ولقيتهم عساكر صمصام الدولة بالجامعين فانهزم القرامطة وقتل مقدمهم وغيره وأسروا منهم العساكر وساروا فى اتباعهم الى القادسية فلم يدركوهم

(استيلاء مشرف الدولة على الاهواز ثم على بغداد واعتقال صمصام الدولة)

ثم سار مشرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس لطلب الاهواز وقد كان أخوه أبو الحسين تغلب عليها عند انهزام عساكر صمصام الدولة سنة ثنتين وسبعين وكان صمصام الدولة عندما ملك بعث أبا الحسين وأبا طاهر أخويه على فارس كما قدمناه فوجدا أخاهما مشرف الدولة قد سبقهما الى ملكها وعندما ملك فارس والبصرة ولاهما على البصرة فلما انهزمت عساكر صمصام الدولة أمام عسكر مشرف الدولة بعث أبا الحسين على الاهواز فملكها وأقام بها واستخلف على البصرة أخاه أبا طاهر فلما سار مشرف الدولة هذه السنة الى الاهواز تقدم اليه الكتاب بأن يسير الى العراق وأنه يقره على عمله فشق ذلك على أبى الحسين وتجهز للمدافعة فعاجله مشرف الدولة عن ذلك وأغذ السير الى ارجان فملكها ثم رامهرمز وانتقض أجناده ونادوا بشعار مشرف الدولة فهرب الى عمه فخر الدولة بالرى وأنزله باصفهان ووعده بالنصر وأبطأ عليه فثار فى اصفهان بدعوة

أخيه مشرف الدولة فقبض عليه جندها وبعثوا به الى الرى فحبسه فخر الدولة الى أن مرض واشتد مرضه فأرسل من قتله فى محبسه ولما هرب أبو الحسين من الاهواز سار اليها مشرف الدولة وأرسل الى البصرة قائدا فملكها وقبض على أخيه أبى طاهر وبعث اليه صمصام الدولة فى الصلح وأن يخطب له ببغداد وسارت اليه الخلع والالقاب من الطائع وجاء من قبل صمصام الدولة من يستحلفه وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر الكوفى فكان يستحثه الى بغداد وفى خلال ذلك جاءته كتب القواد من بغداد بالطاعة وبعث أهل واسط بطاعتهم فامتنع من اتمام الصلح وسار الى واسط فملكها وأرسل صمصام الدولة أخاه أبا نصر يستعطفه بالسلافة فلم يعطف عليه وشغب الجند على صمصام الدولة فاستشار صمصام الدولة أصحابه فى طاعة أخيه فنهوه وقال بعضهم نصعد الى عكبرا وتتبين الامر وان دهمنا ما لا نقوى عليه سرنا الى الموصل وتنتصر بالديلم وقال آخرون نقصد فخر الدولة باصفهان ثم نخالفه الى فارس فنحتوى على خزائن مشرف الدولة وذخائره فصالح كرها فأعرض عنهم وركب صمصام الدولة الى أخيه مشرف الدولة فى خواصه فتلقاه بالمبرة ثم قبض عليه وسار الى بغداد فدخلها فى رمضان سنة ست وسبعين وأخوه صمصام الدولة فى اعتقاله بعد أربع سنين من امارته بالعراق

(أخبار مشرف الدولة فى بغداد مع جنده ووزرائه)

لما دخل مشرف الدولة بغداد كان الديلم معه فى قوة وعدد تنتهى عدتهم الى خمسة عشر ألفا والاتراك لا يزيدون على ثلاثة آلاف فاستطال الديلم بذلك وجرت بين أتباعهم لاول دخولهم بغداد مصاولة آلت الى الحرب بين الفريقين فاستظهر الديلم على الترك وتنادوا باعادة صمصام الدولة الى ملكه فارتاب بهم مشرف الدولة ووكل بصمصام الدولة من يقتله ان هموا بذلك ثم اتيحت الكرة للاتراك على الديلم وفتكوا فيهم وافترقوا واعتصم بعضهم بمشرف الدولة ثم دخل من الغد الى بغداد فتقبله الطائع وهنأه بالسلامة ثم أصلح بين الطائفتين واستحلفهم جميعا وحمل صمصام الدولة الى قلعة ورد بفارس فاعتقل بها وكان نحرير الخادم يشير بقتله فلا يجيبه أحد واعتقل سنة تسع وسبعين وأشرف على الهلاك ثم اشار نحرير فى قتله أو سمله فبعث لذلك من يثق به فلم يقدم على سمله حتى استشار أبا القاسم بن الحسن الناظر هنالك فأشار به فسمله وكان صمصام الدولة يقول انما أعمانى العلاء لانه فى معنى حكم سلطان ميت ولما فرغ مشرف الدولة من فتنة الجند صرف نظره الى تهذيب ملكه فرد على الشريف محمد بن عمر الكوفى جميع أملاكه وكانت تغل فى كل سنة ألفى ألف وخمسمائة ألف درهم ورد على النقيب أبى أحمد والد الرضى جميع أملاكه وأقر الناس على مراتبهم وكان قبض على وزيره

أبى محمد بن فسانجس وأفرج عن أبى منصور الصاحب واستوزره فأقره على وزارته ببغداد وكان قراتكين قد أفرط فى الدولة والضرب على أيدى الحكام فرأى أن يخرجه الى بعض الوجوه وكان حنقا على بدر بن حسنويه لميله مع عمه فخر الدولة فبعثه اليه فى العساكر سنة سبع وسبعين فهزمه بدر بوادى قرمسين بعد أن هزمه قراتكين أولا ونزل العسكر فكر عليهم بدر فهزمهم وأثخن فيهم ونجا قراتكين فى الفل الى جسر النهروان حتى اجتمع اليه المنهزمون ودخل بغداد واستولى بدر على أعمال الجبل ولما رجع قراتكين أغرى الجند بالشغب على الوزير أبى منصور بن صالحان فأصلح مشرف الدولة بينه وبين قراتكين وحقدها له فقبض عليه بعد أيام وعلى جماعة من أصحابه واستصفى أموالهم وشغب الجند من أجله فقتله وقدم عليهم مكانه طغان الحاجب ثم قبض سنة ثمان وسبعين على شكر الخادم خالصة أبيه عضد الدولة وخالصته وكان يحقد عليه من أيام أبيه من سعاياته فيه منها اخراجه من بغداد الى كرمان تقربا الى أخيه صمصام الدولة باخراجه فلما ملك مشرف الدولة بغداد اختفى شكر فلم يعثر عليه وكان معه فى اختفائه جارية حسناء فعلقت بغيره وفطن لها فضربها فخرجت مغاضبة له وجاءت الى مشرف الدولة فدلت عليه فأحضره وهم بقتله وشفع فيه نحرير الخادم حتى وهبه له ثم استأذن فى الحج وسار من مكة الى مصر فاختصه خلفاء الشيعة وأنزلوه عندهم بالمنزلة الرفيعة

(وفاة مشرف الدولة وولاية أخيه بهاء الدولة)

ثم توفى مشرف الدولة أبو الفوارس سرديك بن عضد الدولة ملك العراق فى منتصف تسع وسبعين لثمانية أشهر وسنتين من ملكه ودفن بمشهد على ولما اشتدت علته بعث ابنه أبا على الى بلاد فارس بالخزائن والعدد مع أمه وجواريه فى جماعة عظيمة من الاتراك وسأله أصحابه أن يعهد فقال أنا فى شغل عن ذلك فسألوه نيابة أخيه بهاء الدولة ليسكن الناس الى أن يستفيق من مرضه فولاه نيابته ولما جلس بهاء الدولة فى دست الملك ركب اليه الطائع فعزاه وخلع عليه خلع السلطنة وأقر بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته

(وثوب صمصام الدولة بفارس وأخباره مع أبى على ابن أخيه مشرف الدولة)

قد تقدم لنا أن صمصام الدولة اعتقله أخوه مشرف الدولة بقلعة ورد قرب شيراز من أعمال فارس عندما ملك بغداد سنة ست وسبعين فلما مات مشرف الدولة وكان قد بعث ابنه أبا على الى فارس ولحقه موت أبيه بالبصرة فبعث ما معه فى البحر الى ارجان وسار

اليها فى البر مختفيا والتف عليه الجند الذين بها وكاتبه العلاء بن الحسن من شيراز بخبر صمصام الدولة فسار الى شيراز واختلف عليه الجند وهم الديلم باسلامه الى صمصام الدولة فتحرك الاتراك وقاتل الديلم أياما ثم سار الى نسا والاتراك معه فأخذوا ما بها من المال وقتلوا الديلم ونهبوا أموالهم وسلاحهم وسار أبو على الى ارجان وبعث الاتراك الى شيراز فقاتلوا صمصام الدولة والديلم ونهبوا البلد وعادوا اليه بارجان وجاءه رسول عمه بهاء الدولة من بغداد بالمواعيد الجميلة ودس مع رسوله الى الاتراك واستمالهم فحسنوا الابى على المسير الى عمه بهاء الدولة فسار اليه ولقيه بواسط منتصف ثمانين وثلثمائة وقد أعدله الكرامة والنزول ثم قبض عليه لايام وقتله وتجهز للمسير الى فارس

(مسير فخر الدولة صاحب الرى واصفهان وهمذان الى العراق وعوده)

كان الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد وزير فخر الدولة بن ركن الدولة يحب العراق ويريد بغداد لما كان بها من الحضارة واستثمار الفضائل فلما توفى مشرف الدولة سلطان بغداد رأى أن الفرصة قد تمكنت فدس الى فخر الدولة من يعرفه بملك بغداد حتى استشاره فى ذلك فتلطف فى الجواب بأن أحاله على سعادته فقبل اشارته وسار الى همذان ووفد عليه بدر بن حسنويه ودبيس بن عفيف الاسدى وشاوروا فى المسير فسار الصاحب بن عباد وبدر فى المقدمة على الجادة وفخر الدولة على خورستان ثم ارتاب فخر الدولة بالصاحب بن عباد خشية من ميله مع أولاد عضد الدولة فاستعاده وساروا جميعا الى الاهواز فملكها فخر الدولة وأساء السيرة فى جندها وجنده وحبس عنهم العطاء فتخاذلوا وكان الصاحب منذ اتهمه ورده عن طريقه معرضا عن الامور ساكتا فلم تستقم الامور باعراضه ثم بعث بهاء الدولة عساكره الى الاهواز فقاتلوهم وزادت دجلة الى الاهواز وانفتقت أنهارها فتوهم الجند وحسبوها مكيدة فانهزموا وأشار عليه الصاحب باطلاق الاموال فلم يفعل فانفضت عنه عساكر الاهواز وعاد الى الرى وقبض فى طريقه على جماعة من قواد الديلم والرى وعادت الاهواز الى دعوة بهاء الدولة

(مسير بهاء الدولة الى أخيه صمصام الدولة بفارس)

ثم سار بهاء الدولة سنة ثمانين الى خورستان عازما على قصد فارس وخلف ببغداد أبا نصر خواشاده من كبار قواد الديلم ومر بالبصرة فدخلها وسار منها الى خورستان وأتاه نعى أخيه أبى طاهر فجلس لعزائه ودخل ارجان وأخذ جميع ما فيها من الاموال وكانت ألف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم وهرعت اليه الجنود ففرقت فيهم تلك الاموال كلها ثم بعث مقدمته أبا العلاء بن الفضل الى النوبندجان فهزموا بها عسكر صمصام

الدولة

الدولة فأعاد صمصام الدولة العساكر مع فولاد بن ما نذان فهزموا أبا العلاء بمراسلة وخديعة من فولاد كبسه فى أثرها فعاد الى ارجان مهزوما ولحق صمصام الدولة من شيراز بفولاد ثم ترددت الرسل فى الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وارجان ولبهاء الدولة خورستان والعراق ويكون لكل منهما اقطاع فى بلد صاحبه فتم ذلك بينهما وتحالفا عليه وعاد بهاء الدولة الى الاهواز وبلغه ما وقع ببغداد من العيارين وبين الشيعة وأهل السنة وكيف نهبت الاموال وخربت المساكن فأعاد السير الى بغداد وصلحت الاحوال

(القبض على الطائع ونصب القادر للخلافة)

قد ذكرنا أن بهاء الدولة قد شغب الجند عليه لقلة الاموال وقبض وزيره فلم يغن عنه وكان أبو الحسن بن المعلم غالبا على هواه فأطمعه فى مال الطائع وزين له القبض عليه فأرسل اليه بهاء الدولة فى الحضور عنده فجلس على العادة ودخل بهاء الدولة فى جمع كبير وجلس على كرسيه وأهوى بعض الديلم الى يد الطائع ليقبلها ثم جذبه عن سريره وهو يستغيث ويقول انا لله وانا اليه راجعون واستصفيت خزائن دار الخلافة فمشى بها الحال أياما ونهب الناس بعضهم بعضا ثم أشهد على الطائع بالخلع ونصبوا للخلافة عمه القادر أبا العباس أحمد المقتدر استدعوه من البطيحة وكان فر اليها أمام الطائع كما تقدم فى أخبار الخلفاء وهذا كله سنة احدى وثمانين وثلثمائة

(رجوع الموصل الى بهاء الدولة)

كان أبو الرواد محمد بن المسيب أمير بنى عقيل قتل أبا طاهر بن حمدان آخر ملوك بنى حمدان بالموصل وغلب عليها وأقام بها طاعة معروفة لبهاء الدولة وذلك سنة ثمانين كما مر فى أخبار بنى حمدان وبنى المسيب ثم بعث بهاء الدولة أبا جعفر الحجاج بن هرمز من قواد الديلم فى عسكر كبير الى الموصل فملكها آخر احدى وثمانين فاجتمعت عقيل مع أبى الرواد على حربه وجرت بينهم عدة وقائع وحسن فيها بلاء أبى جعفر بالقبض عليه فخشى اختلاف أمره هنالك وراجع فى أمره وكان باغراء ابن المعلم وسعايته ولما شعر الوزير بذلك صالح أبا الرواد وأخذ رهنه وأعاده الى بغداد فوجد بهاء الدولة قد نكب ابن المعلم

(أخبار ابن المعلم)

هو أبو الحسن بن المعلم قد غلب على هوى بهاء الدولة وتحكم فى دولته وصدر كثير من عظائم الامور باشارته فمنها نكبة أبى الحسن محمد بن عمر العلوى وكان قد عظم شأنه مع مشرف

الدولة وكثرت أملاكه فلما ولى بهاء الدولة سعى به عنده وأطمعه فى ماله فقبض عليه واستصفى سائر أملاكه ثم حمله على نكبة وزيره أبى منصور بن صالحان سنة ثمان واستوزر أبا نصر سابور من اردشير قبل مسيره الى خورستان ثم حمله على خلع الطائع واستصفى أمواله وحمل ذخائر الخلافة الى داره ثم حمله على نكبة وزيره أبى نصر سابور واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف وبعد مرجعه من خورستان قبض على أبى خواشاده وأبى عبد الله بن طاهر سنة احدى وثمانين لانهما لم يوصلا لابن المعلم هدايا هما فحمل بهاء الدولة على نكبتهما ولما استطال على الناس وكثر الضجر منه شغب الجند على بهاء الدولة وطالبوه باسلامه اليهم وراجعهم فلم يقبلوا فقبض عليه وعلى سائر أصحابه ليسترضيهم بذلك فلم يرضوا الا به فاسلمه اليهم وقتلوه ثم اتهم الوزير أبا القاسم بمداخلة الجند فى الشغب على الوزير فقبض عليه واستوزر مكانه أبا نصر سابور وابا نصر بن الوزير الاولين وأقاما شريكين فى الوزارة

(خروج أولاد بختيار وقتلهم)

كان عضد الدولة قد حبس أولاد بختيار فأقاموا معتقلين مدة أيامه وأيام صمصام الدولة من بعده ثم أطلقهم مشرف الدولة وأحسن اليهم وأنزلهم بشيراز وأقطعهم فلما مات مشرف الدولة حبسوا فى قلعة ببلاد فارس فاستمالوا الموكل الذى عليهم والجند الذى معه من الديلم فأفرجوا عنهم وذلك سنة ثلاث وثمانين واجتمع اليهم أهل تلك النواحى وأكثرهم رجالة وبلغ الخبر الى صمصام الدولة فبعث أبا على بن أستاذ هرمز فى عسكر فافترقت تلك الجموع وتحصن بنو بختيار ومن معهم من الديلم وحاصرهم أبو على وأرسل أحد الديلم معهم فأصعدهم سرا وملكوا القلعة وقتلوا أولاد بختيار

(استيلاء صمصام الدولة على الاهواز ورجوعها منه)

ثم انتقض الصلح سنة ثلاث وثمانين بين بهاء الدولة صاحب بغداد وأخيه صمصام الدولة صاحب خورستان وذلك أن بهاء الدولة بعث أبا العلاء عبد الله بن الفضل الى الاهواز وأسر اليه أن يبعث العساكر متفرقة فاذا اجتمعوا عنده صدم بهم بلاد فارس فسار أبو العلاء وتشاغل بهاء الدولة عن ذلك وظهر الخبر فجهز صمصام الدولة عسكره الى خورستان واستمد أبو العلاء بهاء الدولة فتوافت عساكره والتقى العسكران وانهزم أبو العلاء وأخذ أسيرا فأطلقته أم صمصام الدولة وقلق بهاء الدولة لذلك وافتقد الاموال فأرسل وزيره أبا نصر سابور الى واسط وأعطاه جواهر واعلاقا يسترهنها عند مهذب الدولة صاحب البطيحة فاسترهنها ولما هرب الوزير أبو نصر استغنى ابن الصالحان من

الانفراد

الانفراد بالوزارة فأعفى واستوزر بهاء الدولة أبا القاسم على بن أحمد ثم عجز وهرب وعاد أبو نصر سابور الى الوزارة بعد أن أصلح الديلم ثم بعث بهاء الدولة طغان التركى الى الاهواز فى سبعمائة من المقاتلة فملكوا السوس ورحل أصحاب صمصام الدولة عن الاهواز وانتشرت عساكر طغان فى أعمال خورستان وكان أكثرهم من الترك فغص الديلم بهم الذين فى عسكر طغان فضل الدليل وأصبح على بعد منهم ورآهم الاتراك فركبوا اليهم وأمكن الوفا واستأمن كثير منهم وأمنهم طغان حتى نزلوا بأمر الاتراك فقتلوهم كلهم وانتهى الخبر الى بهاء الدولة بواسط وسار الى الاهواز وسار صمصام الدولة الى شيراز وذلك سنة أربع وثمانين وأمر صمصام الدولة بقتل الاتراك فى جميع بلاد فارس سنة خمس وثمانين فقتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا فى البلاد ولحقوا بكرمان ثم ببلاد السند حتى توسطهم الاتراك فأطبقوا عليهم واستلموهم

(استيلاء صمصام الدولة على الاهواز ثم على البصرة)

ثم بعث صمصام الدولة عساكر الديلم سنة خمس وثمانين الى الاهواز وكان نائب بهاء الدولة قد توفى وعزم الاتراك على العود الى بغداد فبعث بهاء الدولة مكانه أبا كاليجار المرزبان بن سفهعون وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم الى رام هرمز مددا لنائبها الفتكين وقد انهزم اليها أمام عسكر صمصام الدولة فترك أبا محمد بن مكرم بها ومضى الى الاهواز وسار الى خورستان فكاتبه العلاء بن الحسن يخادعه ثم سار الى رامهرمز وحارب ابن مكرم والفتكين وبعث بهاء الدولة ثمانين من الاتراك يأتون من خلف الديلم فشعروا بهم وقتلوهم أجمعين وخام بهاء الدولة عن اللقاء فرجع الى الاهواز ثم سار الى البصرة ونزل بها وانتهى خبره الى ابن مكرم فعاد الى عسكر مكرم واتبعه العلاء والديلم فأجلوه عنها الى قرب تستر وتكررت الوقائع بين الفريقين فكان بيد الاتراك من تستر الى رامهرمز وبيد الديلم من رامهرمز ورجع الاتراك واتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فرجع عنهم وأقام بعسكر مكرم ورجع بهاء الدولة الى بغداد وكان مع العلاء قائد من قواد الديلم اسمه شكراستان فاستأمن اليه من الديلم الذين مع بهاء الدولة نحو من أربعمائة رجل فاستكثر بهم وسار الى البصرة وحاصرها ومال اليهم أبو الحسن بن جعفر العلوى من أهل البصرة وكانوا يحملون الميرة وعلم بهاء الدولة فاعتزم ان يقبض عليهم فهربوا الى ذلك القائد وقوى بهم وجمعوا له السفن فركبها الى البصرة وقاتل أصحاب بهاء الدولة وهزمهم وملك البصرة واستباحها وكتب بهاء الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة بأن يرتجعها من يد الديلم ويتولاها فأمده عبد الله بن مرزوق وأجلى الديلم عنها ثم رجع للقاء شكراستان وهجم عليها فى السفن

فلكها وكاتب بهاء الدولة بالطاعة والضمان فأجابه وأخذ ابنه رهينة وكان يظهر طاعة بهاء الدولة وصمصام الدولة

(وفاة الصاحب بن عباد)

وفى سنة خمس وثمانين وثلثمائة توفى أبو القاسم اسمعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالرى وكان أوحد زمانه علما وفضلا ورياسة ورأيا وكرما وعرفا بأنواع العلوم عارفا بالكتابة ورسائله مشهورة مدونة وجمع من الكتب مالم يجمعه أحد حتى يقال كانت تنقل فى أربعمائة جمل ووزر بعده لفخر الدولة أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى الملقب بالكافى ولما توفى استصفى فخر الدولة أمواله بعد أن أوصاه عند الموت فلم ينفذ وصيته وكان الصاحب قد أحسن الى القاضى عبد الجبار المعتزلى وقدمه وولاه قضاء الرى وأعمالها فلما مات قال عبد الجبار لا أرى الترحم عليه لانه مات على غير توبة ظهرت منه فنسب اليه قلة الوفاء بهذه المقالة ثم صادر فخر الدولة عبد الجبار فباع فى المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب من الصوف الرفيع ثم تتبع فخر الدولة آثار ابن عباد وأبطل ما كان عنده من المسامحات وقبض على أصحابه والبقاء لله وحده

(وفاة فخر الدولة صاحب الرى وملك ابنه مجد الدولة)

ثم توفى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه صاحب الرى واصفهان وهمذان فى شعبان سنة خمس وثلاثين بقلعة طبرك ونصب للملك من بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم وعمره أربع سنين نصبه الامراء وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميس الى حدود العراق وكان زمام الدولة بيد أم رستم مجد الدولة واليها تدبير ملكه وبين يديها فى مباشرة الاعمال أبو طاهر صاحب فخر الدولة وأبو العباس الضبى الكافى

(وفاة العلاء بن الحسن صاحب خورستان)

ثم توفى العلاء بن الحسن عامل خورستان لصمصام الدولة بعسكر مكرم فبعث صمصام الدولة أبا على بن استاذ هرمز بالمال ففرقه فى الديلم ودفع أصحاب بهاء الدولة عن جند نيسابور بعد وقائع كان الظفر فيها له ثم دفعهم عن خورستان الى واسط واستمال بعضهم فنزعوا اليه ورتب العمال فى البلاد وجبى الاموال سنة سبع وثمانين ثم سار أبو محمد ابن مكرم من واسط مع الاتراك فدافعهم وكانت بينه وبينهم وقائع ثم سار بهاء الدولة فى أثرهم من واسط وكان لحق بهم فى واسط أبو على بن اسمعيل الذى كان نائبا ببغداد عند مسيره الى الاهواز سنة ست وثمانين وجاء المقلد بن المسيب من الموصل للعيث فى جهات بغداد فبرز أبو على لقتاله فنكر ذلك بهاء الدولة مغالطة وبعث

من يصالحه ويقبض على أبى على فهرب أبو على الى البطيحة ثم لحق ببهاء الدولة وهو بواسط فوزر له وزيرا أمره واشار عليه بالمسير لانجاد أبى محمد بن مكرم فى قتال أبى على بن استاذ هرمز بخورستان فسار بهاء الدولة ونزل القنطرة البيضاء وجرت بينه وبين أبى على بن استاذ هرمز وقائع وانقطعت الميرة عن عسكر بهاء الدولة فاستمد بدر بن حسنويه فأمده ببعض الشئ وكثرت سعاية الاعداء فى أبى على بن اسمعيل فكاد ينكبهم وبينما هم على ذلك بلغهم مقتل صمصام الدولة فصلحت الاحوال واجتمعت الكلمة

(مقتل صمصام الدولة)

كان أبو القاسم وأبو نصر ابنا بختيار محبوسين كما تقدم فخدعا المتوكلين بهما فى القلعة وخرجا فاجتمع اليهما الفيف من الاكراد وكان صمصام الدولة قد عرض جنده وأسقط منهم نحوا من ألف لم يثبت عنده نسبهم فى الديلم فبادروا الى ابنى بختيار والتقوا عليهما فى أرجان وكان أبو جعفر استاذ هرمز مقيما فثار به الجند ونهبوا داره فاختفى ثم انتقضوا على صمصام الدولة ونهبوه وهرب الى الرودمان على مرحلتين من شيراز فقبض عليه صاحبها وجاء أبو نصر بن بختيار فأخذه منه وقتله فى ذى الحجة سنة ثمان لتسع سنين من امارته بفارس وأسلمت امه الى بعض قواد الديلم فقتلها ودفنها بداره حتى ملك بهاء الدولة فارس فنقلها الى تربة بنى بويه

(استيلاء بهاء الدولة على فارس وخورستان)

ولما قتل صمصام الدولة وملك ابنا بختيار فارس بعثا الى أبى على بن استاذ هرمز يستميلانه ويأمرانه بأخذ العهد لهما على الذين معه من الديلم ومحاربة بهاء الدولة وكتب اليه بهاء الدولة يستميله ويؤمنه ويؤمن الديلم الذين معه ويرغبهم واضطرب رأى أبى على لخوفه من ابنى بختيار لما أسلف من قتل اخوتهما وحبسهما فمال عنهما ومال الديلم عن بهاء الدولة خوفا من الاتراك الذين معه فما زال أبو على بهم حتى بعثوا جماعة من أعيانهم الى بهاء الدولة واستوثقوا بيمينه ونزلوا الى خدمته وساروا الى الاهواز ثم الى رامهرمز وارجان واستولى بهاء الدولة على سائر بلاد خورستان وبعث وزيره أبا على بن اسمعيل الى فارس فنزل بظاهر شيراز وبها ابنا بختيار فخار بهما ومال بعض أصحابهما اليه ثم انفضوا عنهما الى أبى على وأطاعوه واستولى على شيراز ولحق أبو نصر ابن بختيار ببلاد الديلم وأخوه أبو القاسم ببدر بن حسنويه ثم بالبطيحة وكتب الوزير أبو على الى بهاء الدولة بالفتح فسار الى شيراز وامر بنهب قرية الرودمان فملكها وأقام بهاء الدولة بالاهواز واستخلف ببغداد أبا على بن جعفر المعروف باستاذ هرمز ولقبه

عميد العراق وبقى ملوك الديلم بعد ذلك يقيمون بفارس الاهواز ويستخلفون على العراق مدة طويلة

(مقتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها)

لما استقر أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم كاتب جند الديلم بفارس وكرمان واستمالهم فاستدعوه الى فارس فاجتمع اليه كثير من الربض والديلم والاكراد ثم سار الى كرمان وبها أبو جعفر بن السيرجان ومضى ابن بختيار الى جيرفت فملكها وملك أكثر كرمان فبعث بهاء الدولة وزيره الموفق أبا على بن اسمعيل فى العساكر ولما وصل جيرفت استأمن اليه أهلها وملكها وهرب ابن بختيار فاختار الوزير من أصحابه ثلثمائة رجل وسار فى أتباعه وترك باقى العسكر بجيرفت ولما أدركه أوقع به وغدر بابن بختيار بعض أصحابه فقتله وجاء برأسه الى الموفق واستلحم الباقين وذلك سنة تسعين واستولى الموفق على كرمان وولى عليها أبا موسى سياه جشم وعاد الى بهاء الدولة فقبض عليه واستصفاه وكتب الى وزيره سابور بالقبض على انسابه وأصحابه فدس اليهم سابور بذلك وهربوا ثم قتل بهاء الدولة الموفق سنة اربع وسبعين وثلثمائة ثم استعمل بهاء الدولة على خورستان وأعمالها أبا على الحسن بن استاذ هرمز ولقبه عميد الجيوش وعزل عنها أبا جعفر الحجاج بن هرمز لسوء سيرته وفساد أحوالها بولايته وكثرة مصادراته فصلحت حالها بولاية أبى على وحصل الى بهاء الدولة منها الاموال مع كثرة العدل

(مسير طاهر بن خلف الى كرمان واستيلاؤه عليها ثم ارتجاعها)

قد تقدم لنا أن طاهر بن خلف خرج عن طاعة أبيه خلف بن أحمد السجستانى وحاربه فظفر به أبوه فسار الى كرمان يروم التوثب عليها وتكاسل عاملها عن أمره فكثر جمعه واجتمع اليه بجبالها كثير من المخالفين فنزل بهم الى جيرفت فملكها وملك غيرها سنة احدى وتسعين وكان بكرمان أبو موسى سياه جشم فسار اليه بمن معه من الديلم فهزمه طاهر وأخذ ما بقى بيده فبعث بهاء الدولة أبا جعفر استاذ هرمز فى العساكر الى كرمان فهزم طاهرا الى سجستان وملك كرمان وعادت الديلم

(حروب عساكر بهاء الدولة مع بنى عقيل)

كان قرواش بن المقلد قد بعث جمعا من بنى عقيل سنة ثلاث وتسعين فحاصروا المدائن وبعث أبو جعفر الحجاج بن هرمز وهو ببغداد نائب لبهاء الدولة عساكره فدفعوهم عنها فاجتمع بنو عقيل وأبو الحسن بن مزيد من بنى أسد وبرز اليهم الحجاج واستدعى خفاجة

من الشام وقاتلهم فانهزم واستبيح عسكره وانهزم ثانيا وبرز اليهم فالتقوا بنواحى الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم ونهب من حلل بنى مزيد ما لا يعبر عنه من العين والمصاغ والثياب

(الفتنة بين أبى على وأبى جعفر)

لما غاب أبو جعفر الحجاج عن بغداد قام بها العيارون واشتد فسادهم وكثر القتل والنهب فبعث بهاء الدولة أبا على بن جعفر المعروف باستاذ هرمز لحفظ العراق فانهزم أبو جعفر بنواحى الكوفة مغضبا ثم جمعوا الجموع من الديلم والاتراك والعرب فانهزم أبو جعفر وأمن أبو على جانبه فسار الى خورستان وبلغ السوس فأتاه الخبر بأن أبا جعفر عاد الى الكوفة فكر راجعا وعاد الحرب بينهم وبينماهم على ذلك أرسل بهاء الدولة الى أبى على يستدعيه سنة ثلاث وتسعين لحرب ابن واصل بالبصرة فسار اليه وكانت الحرب بينه وبين ابن واصل كما يأتى فى أخبار ملوك البطيحة ورجع الى بغداد ونزل أبو جعفر على فلج حامى طريق خراسان وأقام هنالك وكان فلج مباينا لعميد الجيوش أبى على وتوفى سلخ سنة سبع وتسعين فولى أبو على مكانه أبا الفضل بن عنان وكان بهاء الدولة فى محاربة ابن واصل بالبصرة فأتاهم الخبر بظهور بهاء الدولة عليه فاوهن ذلك منهم وافترقوا ولحق ابن مزيد ببلده وسار أبو جعفر وابن عيسى الى حلوان وأرسل أبو جعفر فى اصلاح حاله عند بهاء الدولة فأجابه الى ذلك وحضر عنده بتستر فاعرض عنه خوفا ان يستوحش أبو على وحقد بهاء الدولة لبدر بن حسنويه فسار اليه وبعث اليه بدرا فى المصالحة فقبله وانصرف وتوفى أبو جعفر الحجاج بن هرمز بالاهواز سنة احدى وأربعمائة

{الفتنة بين مجد الدولة صاحب الرى وبين امه واستيلاء
ابن خالها علاء الدين بن كاكويه على اصفهان}

قد تقدم لنا ولاية مجد الدولة أبى طالب رستم بن فخر الدولة على همذان وقرميس الى حدود العراق وتدبير الدولتين لامه وهى متحكمة عليهما فلما وزر لمجد الدولة الخطير أبو على بن على بن القاسم استمال الامراء عنها وخوف مجد الدولة منها فاسترابت وخرجت من الرى الى القلعة فوضع عليها من يحفظها فأعملت الحيلة حتى لحقت ببدر ابن حسنويه مستنجدة به وجاءها ابنها شمس الدولة فى عساكر همذان وسار معهما بدر وذلك سنة سبع وتسعين فحاصروا اصفهان وملكوها عنوة وعاد اليها الامر فاعتقلت مجد الدولة ونصبت شمس الدولة للملك ورجع بدر الى بلده ثم بعد سنة استرابت بشمس

الدولة فأعادت مجد الدولة الى ملكه وسار شمس الدولة الى همذان وانتقض بدر بن حسنويه لذلك وكان فى شغل بفتنة ولده هلال واستمدّ شمس الدولة فأمدّه بعسكر وحاصر قم فاستصعبت عليه وكان علاء الدين أبو حفص بن كاكويه ابن خال هذه المرأة وكاكويه هو الخال بالفارسية فلذلك قيل له ابن كاكويه وكانت قد استعملته على اصفهان فلما فارق أمرها فسد حاله فسار هو الى بهاء الدولة بالعراق وأقام عنده فلما عادت الى حالها هرب أبو حفص اليها من العراق فأعادته الى اصفهان ورسخ فيها ملكه وملك بنيه كما يأتى فى أخبارهم

(وفاة عميد العراق وولاية فخر الملك)

كان أبو جعفر استاذ هرمز من حجاب عضد الدولة وخواصه وصير ابنه أبا على فى خدمة ابنه صمصام الدولة فلما قتل صمصام الدولة رجع الى بهاء الدولة وبلغه ما وقع ببغداد فى مغيبه من الهرج وظهور العيارين فبعث بهاء الدولة مكانه على العراق فخر الملك أبا غالب وأصعد الى بغداد فلقيه الكتاب والقواد والاعيان فى ذى الحجة من السنة وبعث العساكر من بغداد لقتال أبى الشوك حتى استقام وكانت الفتنة قد وقعت بين بدر بن حسنويه وابنه هلال واستنجد بدر بهاء الدولة فأنجده من يده وأخذ ما فيها من الاموال وفتح دير العاقول وجاء سلطان وعلوان ورجب بنو ثمال الخفاجى فى أعيان قومهم وضمنوا حماية سقى الفرات من بنى عقيل وسار وامعه الى بغداد فبعثهم مع ذى السعادتين الحسن بن منصور للانبار فعاثوا فى نواحيها وحبس ذو السعادتين نفرا منهم ثم أطلقهم فهموا بقبضه وشعر بهم فحاول عليهم حتى قبض على سلطان منهم وحبسهم ببغداد ثم شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد فأطلقهم فاعترضوا الحاج سنة ثنتين وأربعمائة ونهبوهم فبعث فخر الملك الى أبى الحسن بن مزيد بالانتقام منهم فلحقهم بالبصرة فأوقع بهم وأثخن فيهم واسترد من أموال الحاج ما وجد وبعث به وبالاسرى الى فخر الملك ثم اعترضوا الحاج مرة أخرى ونهبوا سواد الكوفة فأوقع بهم أبو الحسن بن مزيد مثل ذلك وبعث بأسراهم الى بغداد

(وفاة بهاء الدولة وولاية ابنه سلطان الدولة)

ثم توفى بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه ملك العراق منتصف ثلاث وأربعمائة بأرجان وحمل الى تربة أبيه بمشهد على فدفن بها لاربع وعشرين سنة من ملكه وملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع وسار من أرجان الى شيراز وولى أخاه جلال الدولة أبا طاهر على البصرة وأخاه أبا الفوارس على كرمان

(استيلاء

(استيلاء شمس الدولة على الرى من يد أخيه مجد الدولة ورجوعه عنها)

قد تقدم لنا أن شمس الدولة بن فخر الدولة كان ملك همذان وأخوه مجد الدولة ملك الرى بنظر أمه وكان بدر بن حسنويه أمير الاكراد وبينه وبين ولده هلال فتنة وحروب نذكرها فى أخبارهم واستولى شمس الدولة على كثير من بلادهم وأخذ ما فيها من الاموال كما نذكر فى أخبارهم ثم سار الى الرى يروم ملكها ففارقها أخوه مجد الدولة ومعه أمه الى دنباوند واستولى شمس الدولة على الرى وسار فى طلب أخيه وأمه فشغب الجند عليه وطالبوه بأرزاقهم فعاد الى همذان وعاد أخوه مجد الدولة وأمه الى الرى

(مقتل فخر الملك ووزارة ابن سهلان)

ثم قبض سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبى غالب وقتله فى سلخ ربيع الاول سنة ست وأربعمائة لخمس سنين ونصف من ولايته واستصفى أمواله وكانت الف ألف دينار سوى العروض وما نهب وولى مكانه بالعراق أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد الجيوش واستوزر مكانه الرخجى بعد أن كان ابن سهلان هرب الى قرواش فأقام عنده بهيت وولى سلطان الدولة مكانه فى الوزارة أبا القاسم جعفر بن فسانجس ثم رجع ابن سهلان الى سلطان الدولة فلما قتل فخر الملك ولاه مكانه فسار الى العراق فى محرم سنة تسع وأربعمائة ومر فى طريقه ببنى أسد فرأى أن يثأر منهم من مضر ابن دبيس بما كان قبض عليه قديما بأمر فخر الملك فأسرى اليه والى أخيه مهارش وفى جملته أخوهم طراد واتبعهما حتى أدركهما وقاتله رجال الحى فقتل جماعة من الديلم والاتراك ثم انهزموا ونهب ابن سهلان أموالهم وسبى حريمهم وبذل الامان لمضر ومهارش وأشرك بينهما وبين طراد فى الجزيرة ونكر عليه سلطان الدولة ذلك ورحل الى واسط والفتن بها فقتل جماعة منهم وأصلحها وبلغه ما ببغداد من الفتنة فسار اليها ودخلها فى ربيع من السنة وهرب منه العيارون ونفى جماعة من العباسيين وأبا عبد الله ابن النعمان فقيه الشيعة وأنزل الديلم بأطراف البلد فكثر فسادهم وفساد الاتراك وساروا الى سلطان الدولة بواسط شاكين من ابن سهلان فوعدهم وأمسكهم وبعث عن ابن سهلان فارتاب وهرب الى بنى خفاجة ثم الى الموصل ثم استقر بالبطيحة وبعث سلطان الدولة العساكر فى طلبه فأجاره واليها الشرابى وهزم العساكر وكان ابن سهلان سار الى جلال الدولة بالبصرة ثم أصلح الرخجى حاله مع سلطان الدولة ورجع اليه وضعف أمر الديلم فى هذه السنة ببغداد وواسط وثارت لهم العامة فلم يطيقوا مدافعتهم ثم قبض سلطان الدولة على وزيره فسانجس وأخويه واستوزر أبا غالب ذا السعادتين الحسن ابن منصور وقبض جلال الدولة صاحب البصرة على وزيره أبى سعد عبد الواحد على

(انتقاض أبى الفوارس على أخيه سلطان الدولة)

كان سلطان الدولة قد ولى أخاه أبا الفوارس على كرمان فاجتمع اليه بعض الديلم وداخلوه فى الانتقاض فانتقض وسار الى شيراز فملكها سنة سبع وأربعمائة وسار سلطان الدولة فهزمه الى كرمان وسار فى اتباعه فلحق بمحمود بن سبكتكين ببست ووعده بالنصرة وبعث معه أبا سعيد الطائى فى العساكر الى كرمان وقد انصرف عنها سلطان الدولة الى بغداد فملكها أبو الفوارس وسار الى بلاد فارس فملكها ودخل الى شيراز فسار سلطان الدولة اليه فهزمه فعاد الى كرمان سنة ثمان وأربعمائة وبعث سلطان الدولة فى أثره فملكوا عليه كرمان ولحق بشمس الدولة صاحب همذان لانه كان اساء معاملة أبى سعيد الطائى فلم يرجع الى محمود بن سبكتكين ثم فارق شمس الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة فبالغ فى تكرمته وأنزله بداره وأنفذ اليه أخوه جلال الدولة مالا وعرض عليه المسير اليه فأبى ثم ترددت الرسل بينه وبين أخيه سلطان الدولة فعاد الى كرمان وبعث اليه التقليد والخلع

(وثوب مشرف الدولة على أخيه سلطان الدولة ببغداد واستبداده آخرا بالملك)

ثم شغب الجند على سلطان الدولة ببغداد سنة احدى عشرة ونادوا بولاية مشرف الدولة أخيه فهم بالقبض عليه فلم يتمكن من ذلك ثم اراد الانحدار الى واسط لبعض شؤن الدولة فطلب الجند ان يستخلف فيهم أخاه مشرف الدولة فاستخلفه ورجع من واسط الى بغداد ثم اعتزم على قصد الاهواز فاستخلف أخاه مشرف الدولة ثانيا على العراق بعد ان كانا تحالفا ان لا يستخلف أحد منهما ابن سهلان فلما بلغ سلطان الدولة تستر استوزر ابن سهلان فاستوحش من مشرف الدولة ثم بعث سلطان الدولة الى الاهواز فنهبوها فدافعهم الاتراك الذين بها وأعلنوا بدعوة مشرف الدولة فانصرف سلطان الدولة عنهم ثم طلب الديلم من مشرف الدولة المسير الى بيوتهم بخوزستان فأذن لهم وبعث معهم وزيره أبا غالب ولحق الاتراك الذين كانوا معه بطراد بن دبيس الاسدى بجزيرة بنى دبيس وذلك لسنة ونصف من ولايته الوزارة وصودر ابنه أبو العباس على ثلاثين ألف دينار وسر سلطان الدولة بقتل أبى غالب وبعث أبا كاليجار الى الاهواز فملكها ثم تراسل سلطان الدولة ومشرف الدولة فى الصلح وسعى فيه بينهما أبو محمد بن مكرم صاحب سلطان الدولة ومؤيد الملك الرجحى وزير مشرف الدولة على أن يكون العراق لمشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة وتم ذلك بينهما سنة ثلاث عشرة

(استيلاء ابن كاكويه على همذان)

كان شمس الدولة بن بويه صاحب همذان قد توفى وولى مكانه ابنه سماء الدولة وكان فرهاد بن مرداويج بقطع يزدجرد فسار اليها سماء الدولة وحاصره فاستنجد بعلاء الدولة بن كاكويه فأنجده بالعساكر ودفع سماء الدولة عن فرهاد ثم سار علاء الدولة وفرهاد الى همذان وحاصراها وخرجت عساكر همذان مع عساكر تاج الملك القوهى قائد سماء الدولة فدفعهم ولحق علاء الدولة بجرباذقان فهلك الكثير من عسكره بالبرد وسار تاج الملك القوهى الى جرباذقان فحاصر بها علاء الدولة حتى استمال بها قوما من الاتراك الذين مع تاج الملك وخلص من الحصار وعاود المسير الى همذان فهزم عساكرها وهرب القائد تاج الملك واستولى علاء الدولة على سماء الدولة فأبقى عليه رسم الملك وحمل اليه المال وسار فحاصر تاج الملك فى حصنه حتى استأمن اليه فأمنه وسار به وبسماء الدولة الى همذان فملكها وملك سائر أعمالها وقبض على جماعة من أمراء الديلم فحبسهم وقتل آخرين وضبط الملك وقصد أبا الشوك الكردى فشفع فيه مشرف الدولة فشفعه وعاد عنه وذلك سنة أربع عشرة

(وزارة أبى القاسم المغربى لمشرف الدولة ثم عزله)

كان عنبر الخادم مستوليا على دولة مشرف الدولة بما كان حظى أبيه وجده وكان يلقب بالاثير وكان حاكما فى دولة بنى بويه مسموع الكلمة عند الجند وعقد الوزير مؤيد الملك الرجحى على بعض اليهود من حواشيه مائة ألف دينار فسعى الاثير الخادم وعزله فى رمضان سنة أربع عشرة واستوزر لناصر الدولة بن حمدان ونزع عنه الى خلفاء العبيديين ولاه الحاكم بمصر وولد له بها ابنه أبو القاسم الحسين ثم قتله الحاكم فهرب ابنه أبو القاسم الى مفرج بن الجراح أمير طيئ بالشام وداخله فى الانتقاض على العبيديين بأبى الفتوح أمير مكة فاستقدمه وبايع له بالرملة ثم صونع من مصر بالمال فانحل ذلك الامر ورجع أبو الفتوح الى مكة وقصد أبو القاسم العراق واتصل بالعميد فخر الملك أبى غالب فأمره القادر بابعاده فقصد الموصل واستوزره صاحبها ثم نكبه وعاد الى العراق وتقلب به الحال الى أن وزر بعد مؤيد الملك الرجحى فساء تصرفه فى الجند وشغب الاتراك عليه وعلى الاثير عنبر بسببه فخرجا الى السندية وخرج معهما مشرف الدولة فأنزلهم قرواش ثم ساروا الى أوانا وندم الاتراك فبعثوا المرتضى وأبا الحسن الزينبى يسألون الاقالة وكتب اليهم أبو القاسم المغربى بأن أرزاقكم عند الوزير مكرابه وشعر بذلك فهرب الى قرواش لعشرة أشهر من وزارته وجاء الاتراك الى مشرف الدولة والاثير عنبر فردهما الى بغداد

(وفاة سلطان الدولة بفارس وملك ابنه أبي كاليجار وقتل ابن مكرم)

ثم توفي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة صاحب فارس بشيراز وكان محمد بن مكرم صاحب دولته وكان هواه مع ابنه أبي كاليجار وهو يومئذ أمير على الاهواز فاستقدمه للملك بعد أبيه وكان هوى الاتراك مع عمه أبي الفوارس صاحب كرمان فاستقدموه وخشي محمد بن مكرم جانبه وفر عنه أبو المكارم الى البصرة وسار العادل أبو منصور بن ماقنة الى كرمان لاستقدام أبي الفوارس وكان صديقا لابن مكرم فحسن أمره عند أبي الفوارس وأحال الاجناد بحق البيعة على ابن مكرم فضجر وماطلهم فقبض عليه أبو الفوارس وقتله ولحق ابنه القاسم بأبي كاليجار بالاهواز فجهز الى فارس وقام بتربيته ابن مزاحم صندل الخادم وسار في العساكر الى فارس ولقيهم أبو منصور الحسن بن علي النسوي وزير أبي الفوارس فهزموه وغنموا معسكره وهرب أبو الفوارس الى كرمان وملك أبو كاليجار شيراز واستولى على بلاد فارس وتنكر للديلم الذين بها فبعثوا الى من كان منهم بمدينة نسا فتمسكوا بطاعة أبي الفوارس ثم شغب عسكر أبي كاليجار عليه وطالبوه بالمال فظاهرهم الديلم فسار الى النوبندجان ثم الى شعب بوان وكاتب الديلم بشيراز أبا الفوارس يستحثونه ثم أصلحوا بينهما على أن تكون لابي الفوارس كرمان ويعود أبو كاليجار لفارس لما فارقه بها من نعمته وكان الديلم يطيعونه فساروا في العساكر وهزموا أبا الفوارس فلحق بدارابجرد واستولى أبو كاليجار على فارس ثم زحف اليه أبو الفوارس في عشرة آلاف من الاكراد فاقتتلوا بين البيضاء واصطخر فانهزم أبو الفوارس ولحق بكرمان واستولى أبو كاليجار على فارس واستقر ملكه بها سنة سبع عشرة وأربعمائة

(وفاة مشرف الدولة وملك أخيه جلال الدولة)

ثم توفي مشرف الدولة أبو علي بن بهاء الدولة بن بويه سلطان بغداد في ربيع الاول سنة ست عشرة وأربعمائة لخمس سنين من ملكه ولما توفي خطب ببغداد لاخيه جلال الدولة وهو بالبصرة واستقدم فلم يتقدم وانتهى الى واسط فأقام بها فخطب لابي كاليجار ابن أخيه سلطان الدولة وهو يومئذ بخوزستان مشغول بحرب عمه أبي الفوارس كما قدمناه فحينئذ أسرع جلال الدولة من واسط الى بغداد فسار الجند ولقوه بالنهروان وردوه كرها بعد أن نهبوا بعض خزائنه وقبض على وزيره أبي سعد بن ماكولا واستوزر ابن عمه أبا علي واستحث الجند أبا كاليجار فعللهم بالوعد وشغل بالحرب وكثر الهرج ببغداد من العيارين وانطلقت أيديهم وأحرقوا الكرخ ونهاهم الامير عنبر عن ذلك فلم ينتهوا وأخافهم على نفسه فلحق بقرواش في الموصل وعظمت الفتن ببغداد

(استيلاء جلال الدولة على ملك بغداد)

ولما عظم الهرج ببغداد ورأى الاتراك أن البلاد تخرب وأن العرب والاكراد والعامة قد طمعوا فيهم ساروا جميعا الى دار الخلافة مستعتبين ومعتذرين عما صدر منهم من الانفراد باستقدام جلال الدولة ثم رده واستقدام أبي كاليجار مع أن ذلك ليس لنا وانما هو للخليفة ويرغبون في استدعاء جلال الدولة لتجتمع الكلمة ويسكن الهرج ويسألون أن يستخلف فأجابهم الخليفة القادر وبعث الى جلال الدولة فسار من البصرة فبعث الخليفة القاضي أبا جعفر السمناني لتلقيه ويستحلفه لنفسه فسار ودخل بغداد سنة ثمان عشرة وركب الخليفة لتلقيه ثم سار الى مشهد الكاظم ورجع ودخل دار الملك وأمر بضرب النوب الخمس فراسله القادر في قطعها فقطعها غضبا ثم أذن له في اعادتها وبعث جلال الدولة مؤيد الملك أبا علي الرخجي الى الاثير عنبر الخادم عند قرواش بالتأنيس والمحبة والعذر عن فعل الجند

(أخبار ابن كاكويه صاحب اصفهان مع الاكراد ومع الاصبهبد)

كان علاء الدولة بن كاكويه قد استعمل أبا جعفر عليا ابن عمه على نيسابور خوست ونواحيها وضم اليه الاكراد الجودرقان ومقدمهم أبو الفرج البابوني فجرت بين أبي جعفر وأبي الفرج البابوني مشاجرة وترافعا اليه فأصلح بينهما علاء الدولة وأعادهما ثم قتل أبو جعفر أبا الفرج فانتقض الجودرقان وعظم فسادهم فبعث علاء الدولة عسكرا وأقاموا أربعة أيام ثم فقدوا الميرة وجاء علاء الدولة وأعطاهم المال فافترقوا واتبعهم وجاء اليه بعض الجودرقان وانتهى في اتباعهم الى وفد وقاتلوه عندها فهزمهم وقتل ابن ولكين في المعركة ونجا هو في الفل الى جرجان وأسر الاصبهبد وابنان له ووزيره وهلك في الاسر منتصف سنة تسع عشرة وتحصن علي بن عمران بقلعة كنكور فحاصره بهاء الدولة وصار ولكين الى صهره منوجهر بن قابوس وأطمعه في الدخسن وكان ابنه صهر علاء الدولة على ابنته وأقطعه مدينة قم فعصى عليه وبعث الى أبيه ولكين فسار بعساكره وعساكر منوجهر ونازلوا مجد الدولة بن بويه بالري وجرت بينهم وقائع فصالح علاء الدولة علي بن عمران ليسير اليهم فارتحلوا عن الري وجاء علاء الدولة اليها وأرسل الى منوجهر يوبخه ويتهدده فسار منوجهر وتحصن بكنكور وقتل الذين قتلوا أبا جعفر ابن عمه وقبل الشرط وخرج الى علاء الدولة فأقطعه الدينور عوضا عن كنكور وأرسل منوجهر الى علاء الدولة في الصلح فصالحه

(دخول خفاجة في طاعة أبي كاليجار)

كان هؤلاء خفاجة وهم من بني عمرو بن عقيل موطنين بضواحي العراق ما بين بغداد

والكوفة وواسط والبصرة وأميرهم بهذه العصور منيع بن حسان وكانت بينه وبين صاحب الموصل منافسات جرتها المناهضة والجوار فترددت الرسل بين السلم والحرب وسار منيع بن حسان سنة سبع عشرة الى الجامعين من أعمال دبيس فنهبها وسار دبيس فى طلبه ففارق الكوفة وقصد الانبار من أعمال قرواش فحاصرها أياما ثم افتتحها وأحرقها وجاء قرواش لمدافعته ومعه غريب بن معن فلم يجده ومضوا الى القصر فخالفهم منيع الى الانبار فعاث فيها ثانية فسار قرواش الى الجامعين واستنجد دبيس بن صدقة فسار معه فى بنى أسد ثم خاموا عن لقاء منيع فافترقوا ورجع قرواش الى الانبار فأصلحها ورمّ أسوارها وكان دبيس وقرواش فى طاعة جلال الدولة فسار منيع ابن حسان الى أبى كاليجار بالاهواز فأطاعه وخلع عليه ورجع الى بلده يخطب له بها

(شغب الاتراك على جلال الدولة)

ولما استقل جلال الدولة بملك بغداد وكثر جنده من الاتراك واتسعت أرزاقهم من الديوان وكان الوزير أبو على بن ماكولا فطالبوه بأرزاقهم فعجز عنها وأخرج جلال الدولة صياغات وباعها وفرقها فى الجند ثم ثاروا عليه وطالبوه بأرزاقهم وحصروه فى داره حتى فقد القوت والماء وسأل الانزال الى البصرة وخرج بأهله ليركب السفن الى البصرة وقد ضرب سرادقا على طريقهم ما بين داره والسفن فقصد الاتراك السرادق فامتعض جلال الدولة لحريمه ثم نادى فى الناس وخرج الجند ونادوا بشعاره ثم شغبوا عليه بعد أيام قلائل فى طلب أرزاقهم واضطر جلال الدولة الى بيع ملبوسه وفرشه وخيامه وفرق أثمانها فيهم وعزل جلال الدولة وزيره أبا على واستوزر أبا طاهر ثم عزله بعد أربعين يوما وولى سعيد بن عبد الرحيم وذلك سنة تسع عشرة

(استيلاء أبى كاليجار على البصرة ثم على كرمان)

ولما أصعد جلال الدولة الى بغداد استخلف على البصرة ابنه الملك العزيز أبا منصور وكان بين الاتراك وبين الديلم من الفتنة ما ذكرناه فتجددت بينهم الفتنة فغلب الاتراك وأخرجوا الديلم الى الابلة مع بختيار بن على فسار اليهم الملك العزيز ليرجعهم فحاربوه ونادوا بشعار أبى كاليجار بن سلطان الدولة وهو بالاهواز فعاد منهزما ونهب الديلم الابلة ونهب الاتراك البصرة وبلغ الخبر الى أبى كاليجار فبعث من الاهواز عسكرا الى بختيار والبصرة والديلم فقاتلوا الملك العزيز وأخرجوه فلحق بواسط وملكوا البصرة ونهبوا أسواقها سنة تسع عشرة وهمّ جلال الدولة بالمسير اليهم وطلب المال للجند وشغل بمصادرة أرباب الاموال وبلغ خبر استيلاء أبى كاليجار على البصرة الى كرمان وكان بها عمه قوام الدولة أبو الفوارس وقد تجهز لقصد بلاد فارس فأدركه أجله فمات فنادى

اصحابه

أصحابه بشعار أبى كاليجار واستدعوه فسار وملك بلاد كرمان وكان أبو الفوارس سيئ السيرة فى رعيته وأصحابه

(قيام بنى دبيس بدعوة أبى كاليجار)

كانت جزيرة بنى دبيس بنواحى خورستان لطراد بن دبيس وغلب عليه فيها منصور وخطب فيها لابى كاليجار ومات طراد فسار ابنه على واستنجد جلال الدولة عليه فأمده بعسكر من الاتراك وسار عجلا واتفق أن أبا صالح كوكين هرب من جلال الدولة الى أبى كاليجار أراد أن يفتتح طاعته باعتراض أصحاب جلال الدولة فسار الى منصور بالجزيرة وخرجوا لقتال على بن طراد ولقوه بمرود فهزموه وقتلوه واستقر منصور بالجزيرة على طاعة أبى كاليجار

(استيلاء أبى كاليجار على واسط ثم انهزامه وعودها لجلال الدولة)

ثم ان نور الدولة دبيس   على صاحب حلب والنيل خطب لابى كاليجار فى أعماله لما بلغه أن ابن عمه المقلد بن الحسن ومنيع بن حسان أمير خفاجة سارا مع عساكر بغداد اليه فخطب هو لابى كاليجار واستدعاه فسار من الاهواز الى واسط وقد كان لحق بها الملك العزيز بن جلال الدولة ومعه جماعة من الاتراك فلما وصل أبو كاليجار فارقها الملك العزيز الى النعمانية واستولى أبو كاليجار على واسط ووفد عليه دبيس وبعث الى قرواش صاحب الموصل والاثير عنبر عنده وأمرهما أن ينحدرا الى العراق فانحدرا ومات الاثير عنبر بالكحيل ورجع قرواش وجمع جلال الدولة العساكر واستنجد أبا الشوك وغيره وسار الى واسط وضاقت عليه الامور لقلة المال وأشار عليه أصحابه بمخالفة أبى كاليجار الى الاهواز لأخذ أمواله وأشار أصحاب أبى كاليجار بمخالفة جلال الدولة الى العراق وبيناهم فى ذلك جاءهم الخبر من أبى الشوك بمسير عساكر محمود بن سبكتكين الى العراق ويشير باجتماع الكلمة وبعث أبو كاليجار بكتابه الى جلال الدولة فلم يعرج عليه وسار الى الاهواز ونهبها وأخذ من دار الامارة خاصة مائتى ألف دينار سوى أموال الناس وأخذت والدة أبى كاليجار وبناته وعياله وحملن الى بغداد وسار جلال الدولة لاعتراضه وتخلف عنه دبيس بن مزيد خشية على أحيائه من خفاجة والتقى أبو كاليجار وجلال الدولة فى ربيع سنة احدى وعشرين فاقتتلوا ثلاثا ثم انهزم أبو كاليجار وقتل من أصحابه نحو من ألفين ورجع الى الاهواز وأتاه العادل بن ماقنه بمال أنفقه فى جنده ورجع جلال الدولة الى واسط واستولى عليها وأنزل ابنه العزيز بها ورجع

بياض بالاصل

(استيلاء محمود بن سبكتكين صاحب خراسان على بلاد الرى والجبل وأصفهان)

كان مجد الدولة بن فخر الدولة متشاغلا بالنساء والعلم وتدبير ممالكه لأمه وتوفيت سنة تسع عشرة فاختلفت أحواله وطمع فيه جنده فكتب الى محمود بن سبكتكين يشكو اليه فبعث اليه عسكرا مع حاجبه وأمره بالقبض عليه فركب مجد الدولة لتلقيه فقبض عليه وعلى ابنه أبي دلف وطير بالخبر الى محمود فجاء الى الرى ودخلها فى ربيع الآخر سنة عشرين وأخذ منها مال مجد الدولة ألف ألف دينار ومن الجواهر قيمة خمسمائة ألف دينار ستة آلاف ثوب ومن الحرير والآلات مالا يحصى وبعث بمجد الدولة الى خراسان فاعتقل بها ثم ملك قزوين وقلاعها ومدينة ساوة وآوة ويافت وقبض على صاحبها ولكين وبعث به الى خراسان وقتل من الباطنية خلقا ونفى المعتزلة الى خراسان وأحرق كتب الفلسفة والاعتزال والنجامة وملك حدود أرمينية وخطب له علاء الدولة ابن كاكويه باصفهان واستخلف على الرى ابنه مسعودا فافتتح زنجان وأبهر ثم ملك اصفهان من يد علاء الدولة واستخلف عليها بعض أصحابه فثار به أهل اصفهان وقتلوه فسار اليها وفتك فيهم يقال قتل منهم خمسة آلاف قتيل وعاد الى الرى فأقام بها

* (اخبار الغز بالرى واصفهان وأعمالها وعودهما الى علاء الدولة) *

قد تقدم لنا فى غير موضع بداية هؤلاء الغز وأنهم كانوا بمفازة بخارا وكانوا فريقين أصحاب ارسلان بن سلجوق وأصحاب بنى أخيه ميكائيل بن سلجوق وأن يمين الدولة محمود ابن سبكتكين لما ملك بخارا وماوراء النهر قبض على ارسلان بن سلجوق وحبسه بالهند ونهب أحياءه ثم نهض الى خراسان ولحق بعضهم باصفهان وبعث محمود فى طلبهم الى علاء الدولة بن كاكويه فحاول على أخذهم وشعروا فافترقوا الى نواحى خراسان وكثر عيثهم فأوقع بهم تاش الفوارس قائد مسعود بن سبكتكين فساروا الى الرى قاصدين اذربيجان وكانوا يسمون العراقية وكان أمراء هذه الطائفة كوكتاش ويرقا وقزل ويغمر وناصفلى فلما انتهوا الى الدامغان خرج اليهم عسكرها فلم يطيقوا دفاعهم فتحصنوا بالجبل ودخل الغز البلد ونهبوه ثم فعلوا فى سمنان مثل ذلك ثم فى جوار الرى وفى اسحاقاباذ وماجاورها من القرى ثم ساروا الى مسكويه من أعمال الرى فنهبوها وكان تاش الفوارس قائد بنى سبكتكين بخراسان ومعه أبو سهل الحمدونى من قوادهم فاستنجدوا مسعود بن سبكتكين وصاحب جرجان وطبرستان فأنجداهم وقاتلا الغز فانهزما وقتل تاش الفوارس وسار الى الرى أبو سهل الحمدونى فهزموه وتحصن بقلعة طبرك ودخل الغز الرى ونهبوه ثم قاتلوه ثانيا فاسر منهم ابن أخت لعمر من قوادهم فبذلوا فيه ثلاثين ألف دينار واعادة ما أخذوا من عسكر تاش من المال والاسرى فأبى أبو سهل من اطلاقه وخرج الغز من الرى ووصل عسكر جرجان وقاتلوا الغز عند

ما قاربوا الرى وأسروا قائدهم وألفين معه وساروا الى اذربيجان وذلك سنة سبع وعشرين ولما سار الغز الى اذربيجان سار علاء الدولة الى الرى فدخلها بدعوة مسعود بن سبكتكين وأرسل الى أبى سهل الحمدونى أن يضمنه على البلد مالا فأبى فأرسل علاء الدولة يستنجد الغز فرجع اليه بعضهم وأقام عنده ثم استوحشوا منه وعادوا الى العيث بنواحى البلاد فكرر علاء الدولة مراسلة أبى سهل فى الضمان ليكون فى طاعة مسعود بن سبكتكين وكان أبو سهل بطبرستان فأجابه وسار الى نيسابور وملك علاء الدولة الرى ثم اجتمع أهل اذربيجان لمدافعة الغز الذين طرقوا بلادهم وانتقموا من الغز فافترقوا فسارت طائفة الى الرى ومقدمهم برقا وطائفة الى همذان ومقدمهم منصور وكوكتاش فحاصروا بها أبا كاليجار بن علاء الدولة وأنجده أهل البلاد على دفاعهم وطال حصارهم لهمذان حتى صالحهم أبو كاليجار وصاهر كوكتاش وأما الذين قصدوا الرى فحاصروا بها علاء الدولة بن كاكويه وانضم اليهم فناخسرو بن مجد الدولة وكامد صاحب ساوة فطال حصارهم وفارق البلد فى رجب ليلا الى اصفهان وأجفل أهل البلد وتمزقوا ودخلها الغز من الليل واستباحوها واتبع علاء الدولة جماعة منهم فلم يدركوه فعدلوا الى كرج ونهبوها ومضى ناصفلى منهم الى قزوين فقاتلهم حتى صالحوه على سبعة آلاف دينار وصاروا الى طاعته ولما ملكوا الرى رجعوا الى حصار همذان ففارقها أبو كاليجار وصحبه الوجوه والاعيان وتحصنوا بكنكور وملك الغز همذان ومقدمهم كوكتاش ومنصور ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة فى عدد من الديلم فاستباحوها وبلغت سراياهم الى استراباذ وقرى الدينور فقاتلهم صاحبها أبو الفتح ابن ابى الشوك فهزمهم وأسر منهم حتى صالحوه على اطلاقهم فأطلقهم ثم راسلوا أبا كاليجار بن علاء الدولة فى المتقدم عليهم يدبر ملكهم بهمذان فلما جاءهم وثبوا به فنهبوا ماله وانهزم وخرج علاء الدولة من اصفهان فوقع فى طريقه بطائفة من الغز فظفر بهم ورجع الى اصفهان منصورا ولما أجاز الفريق الثانى من الغز السلجوقية من وراء النهر وهم أصحاب طغرلبك وداود وجغريبك وبيقوا واخوهم ابراهيم ينال فى العسكر لاتباع هؤلاء الذين بالرى وهمذان ساروا الى اذربيجان وديار بكر والموصل وافترقوا عليها وفعلوا فيها الافاعيل كما تقدم فى أخبار قرواش صاحب الموصل وابن مروان صاحب ديار بكر وكما يأتى فى أخبار ابن وهشودان

{استيلاء مسعود بن سبكتكين على همذان واصفهان}
{والرى ثم عودها الى علاء الدولة بن كاكويه}

ولما فارق الغز همذان بعث اليها مسعود بن سبكتكين عسكرا فملكوها وساروا الى أصفهان فهرب عنها علاء الدولة واستولى ما كان له بها من الذخائر ولحق علاء الدولة الى أبى كاليجار بتستر يستنجده عقب انهزامه أمام جلال الدولة سنة احدى وعشرين كما قدمنا فوعده بالنصر اذا اصطلح مع عمه جلال الدولة ثم توفى محمود بن سبكتكين ورجع مسعود من خراسان وكان فناخسرو بن مجد الدولة معتصما بعمران فطمع فى الرى وجمع جمعا من الديلم والاكراد وقصدها فهزمه نائب مسعود بها وقتل جماعة من عسكره وعاد الى حصنه وعاد علاء الدولة من عند أبى كاليجار وقد كان خائفا من مسعود أن يسير اليهم ولا طاقة لهم به فجاء بعد موت محمود وملك أصفهان وهمذان والرى وتجاوز الى أعمال أنوشروان وسروا اليه بالرى واشتد القتال وغلبوه على الرى ونهبوها ونجا علاء الدولة جريحا الى قلعة فردخان على خمسة عشر فرسخا من همذان فاعتصم بها وخطب بالرى وأعمال أنوشروان لمسعود بن سبكتكين وولى عليها تاش الفوارس فأساء السيرة فولى علاء الدولة

(استيلاء جلال الدولة على البصرة ثم عودها لابى كاليجار)

قد كنا قدمنا أن جلال الدولة خالف أبا كاليجار الى الاهواز واتبعه أبو كاليجار من واسط فهزمه جلال الدولة ورجع الى واسط فارتجعها وبعث أبو منصور بختيار بن على نائبا لابى كاليجار فبعث أربعمائة سفينة للقائهم مع عبد الله الشرابى الركازى صاحب البطيحة فانهزموا وعزم بختيار على الهرب ثم ثبت وأعاد السفن لقتالهم والعسكر فى البر وجاء الوزير أبو على لحربهم فى سفينة فلما وصل نهر أبى الخصيب وبه عساكر بختيار رجع مهزوما وتبعه أصحاب بختيار ثم ركب بختيار بنفسه وأخذوا سفن أبى على كلها وأخذوه أسيرا وبعثه بختيار الى أبى كاليجار فقتله بعض غلمانه اطلع له على ريبة وخشيه فقتله وكان قد أحدث فى ولايته رسوما جائرة من المكوس ويعين فيها ولما بلغ خبره الى جلال الدولة استوزر مكانه ابن عمه أبا سعيد عبد الرحيم وبعث الاجناد لنصرة الذين كانوا معه فملكوا البصرة فى شعبان سنة احدى وعشرين ولحق بختيار بالابلة فى عساكره واستمد أبا كاليجار فبعث اليه العساكر مع وزيره ذى السعادات أبى الفرج بن فسانجس فقاتلوا عساكر جلال الدولة بالبصرة فانهزم بختيار أولا وأخذ كثير من سفنه ثم اختلف أصحاب جلال الدولة بالبصرة وتنازعوا وافترقوا واستأمن بعضهم الى ذى السعادات فركبوا الى البصرة وملكوها وعادت لابى كاليجار كما كانت

(وفاة القادر ونصب القائم للخلافة)

وفى ذى الحجة سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة توفى الخليفة القادر لاحدى وأربعين سنة من خلافته وكان مهيبا عند الديلم والاتراك ولما مات نصب جلال الدولة للخلافة ابنه القائم بأمر الله أبا جعفر عبد الله بعد أبيه ولقبه القائم وبعث القاضى أبا الحسن الماوردى الى ابى كاليجار فى الطاعة فبايع وخطب له فى بلاده وأرسل اليه بهدايا جليلة وأموال ووقعت الفتنة ببغداد فى تلك الايام بين السنة والشيعة ونهب دور اليهود واحرقت من بغداد أسواق وقتل بعض جباة المكس وثار العيارون ثم هم الجند بالوثوب على جلال الدولة وقطع خطبته نفرق فيهم الاموال فسكنوا ثم عاودوا فالزم جلال الدولة الاصاغر فشكا من قواده الاكابر وهما بارسطغان وبلدوك وانهم استأثرا بالاموال فاستوحشا لذلك وطالبهما الغلمان بعلوفتهم وجراياتهم فسارا الى المدائن وندم الاتراك على ذلك وبعث جلال الدولة مؤيد الملك الرخجى فاسترضاهما ورجعا وزاد شغب الجند عليه ونهبوا دوابه وفرشه وركب الى دار الخليفة متغضبا من ذلك وهو سكران فلاطفه ورده الى بيته ثم زاد شغبهم وطالبوه فى الدواب لركوبهم فضجر وأطلق ما كان فى اسطبله من الدواب وكانت خمس عشرة وتركها عائرة وصرف حواشيه وأتباعه لانقطاع خزائنه فعوتب فى تلك الفتنة وعزل وزيره عميد الملك ووزر بعده أبو الفتح محمد ابن الفضل أياما ولم يستقم أمره فعزله ووزر بعده أبو اسحق ابراهيم بن أبى الحسين السهيلى وزير مأمون صاحب خوارزم وهرب لخمسة وعشرين يوما

{وثوب الاتراك ببغداد بجلال الدولة بدعوة أبى كاليجار ثم رجوعهم الى جلال الدولة}

ثم تجددت الفتنة بين الاتراك وجلال الدولة سنة ثلاث وعشرين فى ربيع الاول فأغلق بابه ونهب الاتراك داره وسلبوا الكتاب وأصحاب الدواوين وهرب الوزير أبو اسحق السهيلى الى حى غريب بن محمد بن معن وخرج جلال الدولة الى عكبرا وخطبوا لابى كاليجار واستدعوه من الاهواز فمنعه العادل بن مافنه الى أن يحضره بين قوادهم فعادوا الى جلال الدولة وتطارحوا عليه فعاد لثلاث وأربعين يوما من مغيبه واستوزر أبا القاسم بن ماكولا ثم عزله لفتنة الاتراك به واطلاق بعض المصادرين من يده

(استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا ثم عودها لابى كاليجار)

ثم توفى أبو منصور بختيار بن على نائب أبى كاليجار بالبصرة منتصف أربع وعشرين فقام مكانه صهره أبو القاسم لاضطلاعه وكفايته واستبد بها ونكر أبو كاليجار استبداده وبعث بعزله فامتنع وخطب لجلال الدولة وبعث لابنه يستدعيه من واسط فجاء وملك البصرة وطرد عساكر أبى كاليجار ثم فسد ما بين أبى القاسم والعزيز واستجار منه بعض

الديلم بالعزيز وشكوا منه فأخرجه العزيز عن البصرة وأقام بالابلة ثم عاد الى محاربة العزيز حتى أخرجه عن البصرة ورجع أبو القاسم الى طاعة أبي كاليجار

(اخراج جلال الدولة من دار الملك ثم عوده)

وفي رمضان من سنة أربع وعشرين استقدم جلال الدولة الوزير أبا القاسم فاستوحش الجند واتهموه بالتعرض لاموالهم فهجموا عليه في دار الملك وأخرجوه الى مسجد في داره فاحتمل جلال الدولة الوزير أبا القاسم وانتقل الى الكرخ وأرسل اليه الجند بأن ينحدر عنهم الى واسط على رسمه ويقيم لامارتهم بعض ولده الاصاغر فأجاب وبعث اليهم واستمالهم فرجعوا عن ذلك واستردوه الى داره وحلفوا له على المناصحة واستوزر عميد الدولة أبا سعد سنة خمس وعشرين عوضا من ابن ماكولا فاستوحش ابن ماكولا وسار الى عكبرا فردّه الى وزارته وعزل أبا سعد فبقي أياما ثم فارقها الى أوانا فأعاد أبا سعد عبد الرحيم الى وزارته ثم خرج أبو سعد هاربا من الوزارة ولحق بأبي الشوك ووزر بعده أبو القاسم فكثرت مطالبات الجند له وهرب لشهرين فحمل الى دار الخلافة مكشوف الرأس وأعيد أبو سعد الى الوزارة وعظم فساد العيارين ببغداد وعجز عنهم النوّاب فولى جلال الدولة البساسيري من قواد الديلم حماية الجانب الغربي ببغداد فحسن فيه غناؤه واختل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى أغار الاكراد والجند على بستان الخليفة ونهبوا ثمرته وطلب أولئك الجند جلال الدولة فعجز عن الانتصاف منهم أو اسلامهم للخليفة فتقدم الخليفة الى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل رسومهم فوجم جلال الدولة وحمل أولئك الجند بعد غيبتهم أياما الى دار الخليفة فاعترضهم أصحابهم وأطلقوهم وعجز النوّاب عن اقامة الاحكام في العيارين ببغداد وانتشر العرب في ضواحي بغداد وعاثوا فيها حتى سلبوا النساء في المقابر عند جامع المنصور وشغب الجند سنة سبع وعشرين بجلال الدولة فخرج متنكرا في سميادوي الى دار المرتضى بالكرخ ولحق منها برافع بن الحسين بن معن بتكريت ونهب الاتراك داره وخربوها ثم أصلح القائم أمر الجند وأعاده

(فتنة بادسطفان ومقتله)

قد قدمنا ذكر بادسطفان هذا وانه من أكابر قواد الديلم ويلقب حاجب الحجاب وكان جلال الدولة ينسبه لفساد الاتراك والاتراك ينسبونه الى احجاز الاموال فاستوحش واستجار بالخليفة منتصف سبع وعشرين فأجاره وكان يراسل أبا كاليجار ويستدعيه فبعث أبو كاليجار عسكرا الى واسط وثار معهم العسكر الذين بها وأخرجوا العزيز بن جلال الدولة الى بغداد وكشف بادسطفان القناع في الدعاء لابي كاليجار وحمل الخطباء

على الخطبة لامتناع الخليفة منها وجرت بينه وبين جلال الدولة حرب وسار الى الانبار وفارقه قرواش الى الموصل وقبض بادسطفان على ابن فسانجس فعاد منصور بن الحسين الى بلده ثم جاء الخبر بأن أبا كاليجار سار الى فارس فانتقض عن بادسطفان الديلم الذين كانوا معه وترك ماله وخدمه وما معه بدار الخليفة القائم وانحدر الى واسط وعاد جلال الدولة الى بغداد وبعث البساسيري وبني خفاجة في طلب بادسطفان وسار هو ودبيس في اتباعهم فلحقوه بالخيزرانية فقاتلوه وهزموه وجاؤا به أسيرا الى جلال الدولة ببغداد وطلب من القائم أن يخطب له ملك الملوك فوقف عن ذلك الا أن يكون بفتوى الفقهاء فأفتاه القضاة أبو الطيب الطبري وأبو عبد الله الصيمري وأبو القاسم الكرخي بالجواز ومنع أبو الحسن الماوردي وجرت بينهم مناظرات حتى رجحت فتواهم وخطب له بملك الملوك وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة فخجل وانقطع عنه ثلاثة أشهر ثم استدعاه وشكر له ايثار الحق وأعاده الى مقامه

(مصالحة جلال الدولة وأبي كاليجار)

ثم ترددت الرسل بين جلال الدولة وأبي كاليجار ابن أخيه وتولى ذلك القاضي أبو الحسن الماوردي وأبو عبد الله المردوسي فانعقد بينهما الصلح والصهر لابي منصور بن أبي كاليجار على ابنة جلال الدولة وأرسل القائم الى أبي كاليجار بالخلع النفيسة

(عزل الظهير أبي القاسم عن البصرة واستقلال أبي كاليجار بها)

قد قدمنا حال الظهير أبي القاسم في ملك البصرة بعد صهره أبي منصور بختيار وانه عصى على أبي كاليجار بدعوة جلال الدولة ثم عاد الى طاعته واستبد بالبصرة وكان ابن أبي القاسم بن مكرم صاحب عمان يكاتب أبا الجيش وأبا كاليجار بزيادة ثلاثين ألف دينار في ضمان البصرة فأجيب الى ذلك وجهز له أبو كاليجار العساكر مع العادل أبي منصور ابن مافنه وجاء أبا الجيش بعساكره في البحر من عمان وحاصروا البصرة برا وبحرا وملكوها وقبض على الظهير واستصفيت أمواله وصودر على تسعين ألفا فحملها في عشرة أيام ثم على مائة ألف وعشرة آلاف فحملها كذلك ووصل الملك أبو كاليجار الى البصرة سنة احدى وثلاثين وأنزل بها ابنه عز الملوك والامير أبا الفرج فسانجس وعاد الى الاهواز ومعه الظهير أبو القاسم

(أخبار عمان وابن مكرم)

قد قدمنا خبر أبي محمد بن مكرم وانه كان مدبر دولة بهاء الدولة وقبله ابنه أبو الفوارس وان ابنه أبا القاسم كان أميرا بعمان منذ سنة خمس عشرة ثم توفي سنة احدى وثلاثين

وخلف بنين أربعة وهم أبو الجيش والمهذب وأبو محمد وآخر صغير لم يذكر اسمه وكان على ابن هطال صاحب جيش أبي القاسم فأقره أبو الجيش وبالغ في تعظيمه حتى كان يقوم له اذا دخل عليه في مجلسه فنكر ذلك المهذب على أخيه وحقدها له ابن هطال فعمل دعوة واستأذن أبا الجيش في احضار أخيه المهذب لها وأحضره وبالغ في خدمته حتى اذا طعموا وشربوا وانتشوا فاوضه ابن هطال في التوثب بأخيه أبي الجيش واستكتبه بما يوليه من المراتب ويعطيه من الاقطاع على مناصحته في ذلك ثم وقف أبا الجيش على خطه ولم يوافقه وبسبب ذلك كان نكيره عليك في شأني فقبض أبو الجيش على أخيه واعتقله ثم خنقه ثم توفي أبو الجيش بعد ذلك بيسير وهم ابن هطال بتولية أخيه محمد فأخفته أمه حذرا عليه ورفعت الامر الى ابن هطال فولى عمان وأساء السيرة وصادر التجار وبلغ ذلك الى أبي كاليجار فأمر العادل أبا منصور بن مافنه أن يكاتب المرتضى نائب أبي القاسم بن مكرم بجبال عمان ويأمره بقصد ابن هطال في عمان وبعث اليه العساكر من البصرة فسار الى عمان وحاصرها واستولى على أكثر أعمالها ثم دس الى خادم كان لابن مكرم وصار لابن هطال وأمره باغتياله فاغتاله وقتله ومات العادل أبو منصور بهرام بن مافنه وزير أبي كاليجار سنة ثلاث وثلاثين ووزر بعده مهذب الدولة وبعث لمدافعتهم عنها وكانوا يحاصرون جيرفت فأجفلوا عنها ولم يزل في اتباعهم حتى دخلوا المفازة ورجع مهذب الدولة الى كرمان فأصلح فسادهم

(وفاة جلال الدولة سلطان بغداد وولاية أبي كاليجار)

ثم توفي جلال الدولة ببغداد في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لسبع عشرة سنة من ملكه وقد كان بلغ في الضعف وشغب الجند عليه واستبداد الامراء والنواب فوق الغاية ولما توفي انخذل الوزير كمال الملك عبد الرحيم وأصحاب السلطان الاكابر الى حريم دار الخلافة خوفا من الاتراك والعامة واجتمع قواد العسكر فمنعوهم من النهب وكان ابنه الاكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط فكاتبه الجند بالطاعة وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة فأبطأ عنهم وبادر أبو كاليجار صاحب الاهواز فكاتبهم ورغبهم في المال وتعجيله فعدلوا عن الملك العزيز اليه وأصعد بعد ذلك من الاهواز فلما انتهى الى النعمانية غدر به أصحابه فرجع الى واسط وخطب الجند ببغداد لابي كاليجار وسار العزيز الى دبيس بن مزيد ثم الى قرواش بن المقلد بالموصل ثم فارقه الى أبي الشوك لصهر بينهما فغدر به وألزمه على طلاق بنته فسار الى ابراهيم ينال أخي طغرلبك ثم قدم بغداد مختفيا يروم الثورة بقتل بعض أصحابه ففر ولحق بنصير الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين وقدم أبو كاليجار بغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة وخطب له

بها واستقر سلطانه فيها بعد أن بعث بأموال فرقت على الجند ببغداد وبعشرة آلاف دينار وهدايا كثيرة للخليفة وخطب له فيها أبو الشوك ودبيس بن مزيد كل بأعماله ولقبه الخليفة بمحيي الدولة وجاء في قل من عساكره خوفا أن يستريب به الاتراك فدخل بغداد في شهر رمضان ومعه وزيره أبو السعادات أبو الفرج محمد بن جعفر بن فسانجس واستعفى القائم من الركوب للقائه وتقدم باخراج عميد من بغداد فمضى الى تكريت وخلع على أصحاب الجيوش وهم البساسيري والنساري والهمام أبو اللقاء وثبت قدمه في الملك

(أخبار ابن كاكويه مع عساكر مسعود وولايته على اصفهان ثم ارتجاعه منها)

قد تقدم انهزام علاء الدولة بن كاكويه من الري ومسيره جريحا ومعه فرهاد بن مرداويج جاء الى قلعة فردخان مددا وساروا منها الى يزدجرد واتبعهم على بن عمران قائد تاش قرواش وافترقوا من يزدجرد فمضى أبو جعفر الى نيسابور عند الاكراد الجردقان وصعد فرهاد الى قلعة سمكيس واستمال الاكراد الذين مع على بن عمران وحملهم على الفتك به فشعر وسار الى همذان واتبعه فرهاد والاكراد فحصروه في قرية بطريقه فامتنع عليهم بكثرة الامطار ورجعوا عنه وبعث على بن عمران الى الامير تاش يستمده وعلاء الدولة الى ابن أخيه بأصفهان يستمد المال والسلاح فاعترضه على بن عمران من همذان وكبسه بجردقان وغنم ما معه وأسره وخالفه علاء الدولة وأقره على أصفهان على ضمان معلوم وكذلك قابوس في جرجان وطبرستان وولى على الري أبا سهل الحمدوني وأمر تاش قرواش صاحب خراسان بطلب شهريوس بن ولكين صاحب ساوة وكان يفسد السابلة ويعترض الحاج وسار الى الري وحاصرها بعد موت محمود فبعث تاش العساكر في أثره وحاصروه ببعض قلاع قم وأخذوه أسيرا فأمر بصلبه على ساوة ثم اجتمع علاء الدولة بن كاكويه وفرهاد بن مرداويج على قتال أبي سهل الحمدوني وقد زحف في العساكر من خراسان فقاتلاه وقتل فرهاد وانهزم علاء الدولة الى جبل بين اصفهان وجرجان فاعتصم به ثم لحق بأيدج وهي للملك أبي كاليجار واستولى أبو سهل على اصفهان ونهب خزائن علاء الدولة وحملت كتبه الى غزنة الى أن أحرقها الحسين بن الحسين الغوري وذلك سنة خمس وعشرين ثم سار علاء الدولة سنة سبع وعشرين وحاصر أبا سهل في اصفهان وغدرته الاتراك فخرج الى يزدجرد ومنها الى الطرم فلم يقبله ابن السلار خوفا من ابن سبكتكين فسار عنه ثم غلبه طغرلبك على خراسان سنة تسع وعشرين وارتجعها مسعود سنة ثلاثين كما ذكرناه ونذكره

(وفاة علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه)

ثم توفى علاء الدولة شهريار بن كاكويه فى محرم سنة ثلاث وثلاثين وقد كان عاد الى
اصفهان عند شغل ابن سبكتكين بفتنة طغرلبك فملكها ولما توفى قام مكانه باصفهان
ابنه الاكبر ظهير الدين أبو منصور فرامرز دوسار ولده الآخر أبو كاليجار كرساسف الى
نهاوند فملكها وضبط البلد وأعمال الجبل وبعث أبو منصور فرامرز الى مستحفظ
قلعة نطنز التى كان فيها ذخائر أبيه وأمواله فامتنع بها وعصى وسار أبو منصور لحصاره
ومعه أخوه أبو حرب فلحق أبو حرب بالمستحفظ ورجع أبو منصور الى اصفهان وبعث
أبو حرب الى السلجوقية بالرى يستنجدهم فسار طائفة منهم الى جرجان فنهبوها وسلموها
لابى حرب فسير أبو منصور العساكر وارتجعها فجمع أبو حرب فهزموه وحاصروا أبا
حرب بالقلعة فأسرى من القلعة ولحق بالملك أبى كاليجار صاحب فارس واستنجده على
أخيه أبى منصور فأنجده بالعساكر وحاصروا أبا منصور وأوقعوا عدة وقائع
ثم اصطلحوا آخرا على مال يحمله أبو منصور الى أبى كاليجار وعاد أبو حرب الى قلعة نطنز
واشتد الحصار عليه ثم صالح أخاه أبا منصور على أن يعطيه بعض ما فى القلعة وتبقى له
فاتفقا على ذلك ثم سار ابراهيم ينال الى الرى وطلب الموادعة من أبى منصور فلم يجبه
فسار الى همذان ويزدجرد فملكهما وسعى الحسن الكافى اتفاقه مع أخيه أبى حرب
فاتفقا وخطب أبو حرب لاخيه أبى منصور فى بلاده وأقطعه أبو منصور همذان ثم ملك
طغرلبك البلاد من يد ابن سبكتكين واستولى على خوارزم وجرجان وطبرستان وكان
ابراهيم ينال عندما استولى طغرلبك على خراسان وهو أخوه لامه تقدم فى عساكر
السلجوقية الى الرى فاستولى عليها ثم ملك يزدجرد ثم قصد همذان سنة أربع وثلاثين
ففارقها صاحبها ابن علاء الدولة الى نيسابور وجاء ابراهيم الى همذان
بطلب طاعتهم فشرطوا عليه استيلاءه على عسكر كرساسف فسار اليها وتحصن فى سابور
خواست وملك عامة البلاد وعاث فى نواحيها وتحصن هو بالقلعة وعاد هو الى الرى وقد
صمم طغرلبك على قصدها فسار اليه وترك همذان ورجع كرساسف وملك طغرلبك
الرى من يد ابراهيم وبعث الى سجستان وأمر بعمارة ما خرب من الرى ووجد
بدار الامارة مراكب ذهب مرصعة بالجواهر وبرنيتين من النحاس مملوأتين جواهر
وذخائر مما سوى ذلك وأموالا كثيرة ثم ملك قلعة طبرك من يد مجد الدولة بن بويه وأقام
عنده مكرما وملك قزوين فصالحه صاحبها بثمانين ألف دينار وصار فى طاعته ثم بعث الى
كركاش وموقا من الغز العراقية الذين تقدموا الى الرى واستدعاهم من نواحى
جرجان فارتابوا وشردوا خوفا منه ثم بعث الى ملك الديلم يدعوه الى الطاعة ويطلب
منه المال فأجاب وحمل وبعث الى سلار الطرم بمثل ذلك فاجاب وحمل مائتى ألف دينار

بلغ مقابلة بالاصل

وقرر

وقرر عليه ضمانا معلوما ثم بعث السرايا الى اصفهان وخرج من الرى فى اتباعها فصانعه
فرامرز بالمال فرجع عنه وسار الى همذان فملكها وقد كان سار اليه كرساسف بن علاء
الدولة وهو بالرى فأطاعه وسار معه الى ابهر وزنجان فملكهما وأخذ منه همذان وتفرق
عنه أصحابه وطلب منه طغرلبك قلعة كنكور فأرسل الى مستحفظها بنزولهم عنها
فامتنعوا واتبعه طغرلبك الى الرى واستخلف على همذان ناصر الدين العلوى وكان
كرساسف قد قبض عليه فأخرجه طغرلبك وجعله رديفا للذى ولاه البلد من السلجوقية
ثم نزل كرساسف على كنكور سنة ست وثلاثين وجاء الى همذان فملكها وطرد عنها عمال
طغرلبك وخطب للملك أبى كاليجار فبعث طغرلبك أخاه ابراهيم ينال سنة سبع وثلاثين
الى همذان ولحق كرساسف بشهاب الدولة أبى الفوارس منصور بن الحسين صاحب
جزيرة بنى دبيس وارتاع الناس بالعراق لوصول ابراهيم ينال الى حلوان وبلغ الخبر الى
أبى كاليجار فأراد التجمع لابراهيم ينال فمنعه قلة الظهر وحدثت فتنة بين طغرلبك
وأخيه ابراهيم ينال وأخذ الرى وبلاد الجبل من يده ثم سار الى اصفهان فحاصرها
فى محرم سنة اثنين وأربعين وبعث السرايا فبلغت البيضاء وأقام يحاصرها حولا كاملا
حتى جهدهم الحصار وعدموا الاقوات وحرقوا السقف لوقودهم حتى سقف الجامع
ثم استأمنوا وخرجوا اليه وملك اصفهان سنة ثلاث وأربعين وأقطع صاحبها أبا
منصور وأجناده فى بلاد الجبل ونقل أمواله وسلاحه من الرى اليها وجعلها كرسيا
لملكه وانقرضت دولة فخر الدولة بن بويه من الرى واصفهان وهمذان وبقى منهم
بالعراق وفارس أبو كاليجار والبقاء لله وحده

بلغ مقابلة بالاصل

ولما رأى أبو كاليجار استيلاء طغرلبك على البلاد وأخذه الرى واصفهان وهمذان
والجبل من قومه وازالة ملكهم راسله فى الصهر والصلح بأن يزوجه ابنته
وزوج داود أخو طغرلبك ابنته من أبى منصور بن أبى كاليجار وانعقد ذلك بينهما
فى منتصف تسع وثلاثين وكتب طغرلبك الى أخيه ابراهيم ينال عن العراق
وأعماله ابن سكرستان من الديلم وقرر عليه مالا فطاول
فى حمله ورافع فشكر له أبو كاليجار وانتزع من يده قلعة يزدشير وهى تعلقه ثم استمال
أجناده فقتلهم بهرام واستوحش فسار اليه أبو كاليجار وانتهى الى قصر مجامع من
خراسان فطرقه المرض وضعف عن الركوب فرجعوا به الى مدينة خبايا وتوفى بها
فى جمادى الاولى سنة أربعين وأربعمائة لاربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه العراق
ولما توفى نهب الاتراك خزائنه وسلاحه ودوابه وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى

مخيم الوزير أبي منصور كانت منفردة عن العسكر فأقام عنده واختلف الاتراك
والديلم وأراد الاتراك نهب الامير والوزير فمنعهم الديلم واختلفوا الى شيراز فملكها
الامير أبو منصور وامتنع الوزير بقلعة خرقه وبلغ وفاة أبي كاليجار الى بغداد وبها ابنه
أبو نصر فاستحلف الجند وأمر القائم بالخطبة على عادة قومه وسأل أن يلقب بالرحيم
فمنع الخليفة من ذلك أدبا ولقبه به أصحابه واستقر بالعراق وخورستان والبصرة وكان
بالبصرة أخوه أبو علي فأقره عليها ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر في شوال من السنة
الى شيراز فملكها وخطبوا له بها وقبضوا على أخيه أبي منصور وأمه وجاؤا بهما اليه وكان
الملك العزيز بن جلال الدولة عند ابراهيم ينال لحق به بعد مهلك أبيه فلما مات أبو كاليجار
زحف الى البصرة طامعا في ملكها فدافعه الجند الذين بها وبلغه استقامة الملك ببغداد
للرحيم فأقطع وذهب الى ابن مروان فهلك عنده كما مر

قد تقدم لنا أن أبا منصور فلاستون بن أبي كاليجار سار الى فارس بعد موت
أبيه فملكها وانه بعث أخاه أبا سعيد بالعساكر فقبضوا عليه وعلى أمه ثم انطلق ولحق
بقلعة اصطخر ببلاد فارس فسار الملك الرحيم من الاهواز في اتباعه سنة احدى
وأربعين وأطاعه أهل شيراز وجندها ونزل قريبا منها ثم وقع الخلاف بين
جند شيراز وبين جند بغداد وعادوا الى العراق فعاد معهم الملك الرحيم
لارتيابه بجند شيراز وبعث الجند والديلم جميعا ببلاد فارس الى أخيه فلاستون ولما عاد
استخلف العساكر وسار الى ارجان عازما على قصد الاهواز وعاد الملك الرحيم لقتاله من
الاهواز في ذي القعدة من السنة واقتتلوا وانهزم الملك الرحيم وعاد الى واسط منهزما
وسار بعض الى الملك الرحيم يستجيشون به للرجوع الى فارس فأرسل الى بغداد واستنفر
الجند وسار الى الاهواز فبلغه طاعة أهل فارس وانهم منتظرون قدومه فأقام بالاهواز
ينتظر عساكر بغداد ثم سار الى عسكر مكرم فملكها سنة ثلاث وأربعين ثم اجتمع جمع
من العرب والاكراد مقدمهم طراد بن منصور ومذكور بن نزار فقصدوا اسرف
فنهبوها ونهبوا درق وبعث الملك الرحيم بعساكره في محرم سنة ثلاث وأربعين فهزموا
العرب والاكراد وقتل مطارد وأسر ابنه واسترد النهب وبلغ الخبر الى الملك الرحيم وهو
بعسكر مكرم فتقدم الى قنطرة اربق ومعه دبيس بن مزيد والبساسيري وغيرهما ثم سار
هزارشب بن تنكر ومنصور بن الحسين الاسدي بمن معهما من الديلم والاتراك من
ارجان الى تستر فسابقهم الملك الرحيم فكان الظفر له ثم زحف في عسكر الى رامهرمز
وبها أصحاب هزارشب فهزموهم وأثخنوا فيهم وتحيزوا الى رامهرمز في طاعة الملك
الرحيم ثم قبض هزارشب عليهم وأرسل الى الملك الرحيم بطاعته فبعث اخاه أبا سعيد

اليه فملك اصطخر وخدمه أبو نصر بعسكره وماله واطاعته جموع من عساكر فارس
من الديلم والترك والعرب والاكراد وحاصروا قلعة بهندر فخالفه هزارشب ومنصور بن
الحسين الاسدي الى الملك الرحيم فهزموه وفارق الاهواز الى واسط وعاد الى سعد
بشيراز فقاتلهم وهزمهم ثم عاودوا القتال فهزمهم وأثخن فيهم واستأمن اليه كثير منهم
وصعد فلاستون الى قلعة بهندر فامتنع بها وأعيدت الخطبة للملك الرحيم بالاهواز
ثم مضى فلاستون وهزارشب الى ايذج وبعثوا بطاعتهم الى السلطان طغرلبك
واستمدوه وبعث اليهم العساكر والملك الرحيم بعسكر مكرم وقد انصرف عنه
البساسيري الى العراق ودبيس بن مزيد والعرب والاكراد وبقي معه ديلم الاهواز وأنزل
بغداد فسار من عسكر مكرم الى الاهواز وحاصروه بها فبعث أخاه أبا سعد صاحب
فارس حين طلبه صاحب اصطخر ليفت في عضد فلاستون وهزارشب ويرجعوا عنه فلم
يجبهم ذلك وساروا الى الاهواز وقاتلوه فهزموه ولحق في الفل بواسط ونهبت الاهواز
وفقد في الوقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي بن عبد الرحيم وكانت السلجوقية قد ساروا
الى فارس فاستولى ألب أرسلان ابن أخي طغرلبك على مدينة نسا وعاثوا فيها وذلك سنة
ثلاث وأربعين ثم ساروا سنة أربع وأربعين الى شيراز ومعهم العادل بن ماقنه وزير
فلاستون فقبضوا عليه وملكوا منه ثلاث قلاع وسلموها الى أبي سعد أخي الملك الرحيم
واجتمعت عساكر شيراز فهزموا الغز الذين ساروا اليها وأسروا بعض مقدميهم ثم ساروا
الى نسا وقد كان تغلب عليها بعض السلجوقية فأخرجوهم عنها وملكوها

* (الفتنة بين البساسيري وبني عقيل واستيلاؤه على الانبار) *

لما سار الملك الرحيم الى شيراز سنة احدى وأربعين ثار بعض بني عقيل باردوقا فنهبوها
وعاثوا فيها وكانت من أقطاع البساسيري فلما عاد من فارس سار اليهم من بغداد فأوقع
بأبي كامل بن المقلد واقتتلوا قتالا شديدا ثم تحاجزوا ورفع الى البساسيري أن قرواش
أساء السيرة في أهل الانبار وجاء أهلها متظلمين منه فبعث معهم عسكرا فملكوها وجاء
على أثرهم فأصلح أحوالها وزحف قريش اليها سنة ست وأربعين فملكها وخطب فيها
لطغرلبك ونهب ما كان فيها للبساسيري ونهب حلل أصحابه بانحاص وجمع البساسيري
وقصد الانبار وجرى فاستعاده من يد قريش ورجع الى بغداد

* (استيلاء الخوارج على عمان) *

كان أبو المظفر بن أبي كاليجار أميرا على عمان وكان له خادم مستبد عليه فأساء السيرة
في الناس ومد يده الى الاموال فنفروا منه وعلم بذلك الخوارج في جبالها فجمعهم ابن
راشد منهم وسار الى المدينة فبرز اليه أبو المظفر وظفر بالخوارج ثم جمع ثانية وأعاد القتال

أبي المظفر والديلم وأعانه عليهم أهل البلد لسوء سيرتهم فهزمهم ابن رشد وملك البلد وقتل الخادم وكثيرا من الديلم والعمال وأخرب دار الامارة وأسقط المكوس واقتصر على ربع العشر من أموال التجار والواردين وأظهر العدل ولبس الصوف وبنى مسجدا لصلاته وخطب لنفسه وتلقب الراشد بالله وقد كان أبو القاسم بن مكرم بعث اليه من قبل ذلك من حاصره في جبله وأزال طمعه

(الفتنة بين العامة ببغداد)

وفي صفر من سنة ثلاث وأربعين تجددت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة وعظمت وتظاهر الشيعة بمذاهبهم وكتبوا بعض عقائدهم في الابواب وأنكر ذلك أهل السنة واقتتلوا وأرسل القائم نقيبي العباسية والعلوية لكشف الحال فشهدوا للشيعة ودام القتال وقتل رجل من الهاشمية من أهل السنة فقصدوا مشهد باب التبن ونهبوا ما فيه وأحرقوا ضريح موسى الكاظم وحافده محمد المتقي وضرائح بني بويه وبعض خلفاء بني العباس وهموا بنقل شلو الكاظم الى مقبرة أحمد بن حنبل فحال دون ذلك جهلهم بعين الجدث وجاء نقيب العباسية فمنع من ذلك وقتل أهل الكرخ من الشيعة أبا سعيد السرخسي مدرس الحنفية وأحرقوا محال الفقهاء ودورهم وتعدت الفتنة الى الجانب الشرقي وبلغ احراق المشهد الى دبيس فعظم عليه وقطع خطبة القائم لانه وأهل ناحيته كانوا شيعة وعوتب في ذلك فاعتذر بأن أهل الناحية تغري القائم بأهل السنة وأعاد الخطبة بحالها ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين واطرحوا مراقبة السلطان ودخل معهم طوائف من الاتراك وقتل بعض العلوية فصرخ النساء بثاره واجتمع السواد الاعظم وركب القواد لتسكين الفتنة فقاتلهم أهل الكرخ قتالا شديدا وحرقت أسواق الكرخ ثم منع الاتراك من الدخول بينهم وسكنوا قليلا

(استيلاء الملك الرحيم على البصرة)

قد كنا قدمنا أن الملك الرحيم لما تولى بغداد بعد أبيه أقر أخاه أبا علي على امارة البصرة ثم بدا منه العصيان فبعث اليه العساكر مع البساسيري القائم بدولته فزحف الى البصرة وبرزوا اليه في الماء فقاتلهم عدة أيام ثم هزمهم وملك عليهم الانهار وسارت العساكر في البر الى البصرة واستأمنت ربيعة ومضر فأمنهم وملك البصرة وجاءته رسل الديلم بخوزستان يعتذرون ومضى أبو علي فتحصن بشط عثمان وخندق عليه فمضى الملك الرحيم اليه وملكه ومضى أبو علي وابنه الى عبادان ولحق منها الى جرجان متوجها الى السلطان طغرلبك فلما وصل اليه بأصفهان لاقاه بالتكرمة وأنزله بعض قلاع

جرباذقان وأقطع له في أعمالها وأقام الملك الرحيم بالبصرة أياما واستبدل من أجناد أخيه أبي علي بها واستخلف عليها البساسيري وسار الى الاهواز وترددت الرسل بينه وبين منصور بن الحسين وهزارشب فدخلوا في طاعته وصارت تستر اليه وأنزل بارجان فولاد بن خسرو الديلمي فسار في أعمالها وحمل المتغلبين هنالك على طاعة الملك الرحيم حتى أذعنوا

*(استيلاء فلاستون على شيراز بدعوة طغرلبك)

قد قدمنا أنه كان بقلعة اصطخر أبو نصر بن خسرو مستوليا عليها وأنه أرسل بطاعته سنة ثلاث وأربعين الى الملك الرحيم عندما ملك رامهرمز واستدعى منه أخاه أبا سعيد ليملكه بلاد فارس فسار اليه في العساكر وملك البلاد ونزل شيراز وكان معه عميد الدولة أبو نصر الظهير قد استبد في دولته وساءت سيرته في جنده وأوحش أبا نصر مستدعيهم للملك فانتقض عليهم وداخل الجند في الانتقاض فشغبوا وقبضوا على عميد الدولة ونادوا بدعوة أبي منصور فلاستون واستدعوه وأخرجوا أبا سعيد عنهم الى الاهواز ودخل أبو منصور الى الاهواز فملكها وخطب لطغرلبك وللملك الرحيم ثم لنفسه بعدهما

(وقائع البساسيري مع الاعراب والاكراد لطغرلبك)

لما استولى طغرلبك على النواحي وأحاط بأعمال بغداد من جهاتها وأطاعه أكثر الاكراد الى حلوان وكثر فسادهم وعيثهم والتفت عليهم الاعراب وأهم الدولة شأنهم سار اليهم البساسيري واتبعهم الى البوازيج فظفر بهم وقتل وغنم وعبروا الزاب وجاء الديلم فتمكن من العبور اليهم وذلك سنة خمس وأربعين ثم دعاه دبيس صاحب الحلة الى قتال خفاجة وقد عاثوا في بلاده فاستنجد به وسار اليهم فأجلاهم عن الجامعين ودخلوا المفازة واتبعهم فأدركهم بخفان فأوقع بهم وغنم أموالهم وأنعامهم وحاصر حصن خفان وفتحه وخربه وأراد تخريب القائم الذي به وهو بناء في غاية الارتفاع كالعلم يهتدى به قيل انه وضع لهداية السفن لما كان البحر الى النجف فصانع عنه ربيعة بن مطاعم بالمال وتركه وعاد الى بغداد فصلب من كان معه من أسرى العرب ثم سار الى حربى فحصرها وقرر عليها سبعة آلاف دينار

(فتنة الاتراك واستيلاء عساكر طغرلبك على النواحي)

كان الاتراك من جند بغداد قد استفحل أمرهم على الدولة واشتطوا وتطاولوا الى الفتنة عندما هبت ريحها بظهور طغرلبك واستيلائه على النواحي فطالبوا الوزير في محرم سنة ست وأربعين بمبلغ كبير من أرزاقهم ورسومهم وأرهقوه واختفى في دار

الخلافة فاتبعوه وطلبوه من أهل الدار فجحدوه فشغبوا على الديوان وتعدّوا الى الشكوى من الخليفة وساء الخطاب بينهم وبين أهل الديوان وانصرفوا وشاع بين الناس أنهم محاصرون دار الخلافة فانزعجوا وركب البساسيرى وهو النائب يومئذ ببغداد الى دار الخلافة وطلب الوزير وكبس الدور من أجله فلم يوقف له على خبر وشغب الجند ونهبوا دار الروم وأحرقوا البيع وكبسوا دار ابن عبيد وزير البساسيرى ووقف أهل الدروب لمنع بيوتهم من الاتراك فنهبوا الواردين وعدمت الاقوات والبساسيرى فى خلال ذلك مقيم بدار الخلافة الى أن ظهر الوزير وقام بهم بما عليهم من أثمان دوابه وقماشه واتصل الهرج وعاد الاعراب والاكراد الى العيث والاغارة والنهب والقتل وجاءت أصحاب قريش صاحب الموصل فكبسوا حلل كامل ابن عمه بالبردوان ونهبوا منها دواب وجمالا من البخاتى كانت هنالك للبساسيرى فتضاعف الهرج وانحل نظام الملك ووصل عساكر الغز الى الدسكرة مع ابراهيم بن اسحق من أمراء طغرلبك ورستباد فاستباحوها ثم تقدموا الى قلعة البردوان وقد عصى صاحبها سعدى على طغرلبك فامتنعت عليهم فعاثوا فى نواحيها وخربت تلك الاعمال وانجلى أهلها وسارت طائفة أخرى الى الاهواز فخربوا نواحيها وقوى طمع السلجوقية فى البلاد وخافت الديلم ومن معهم من الاتراك وضعفت نفوسهم ثم بعث طغرلبك أبا على بن أبى كاليجار الذى كان صاحب البصرة فى عساكر السلجوقية الى خورستان فانتهى الى سابورخواست وكاتب الديلم بالوعد والوعيد فنزع اليه أكثرهم واستولى على الاهواز ونهبها عساكر السلجوقية وصادروا أهلها وهرب أهلها منهم

(الوحشة بين القائم والبساسيرى)

قد قدمنا ما وقع من قريش بن بدران فى نهب حلل البساسيرى أصحابه سنة ست وأربعين ثم وصل الى بغداد أبو الغنائم وأبو سعد ابنا المحلبان صاحب قريش ودخلا فى خفية فهمّ البساسيرى بأخذهما فأجارهما الوزير رئيس الرؤساء عليه فغضب وسار الى حربى والانبار فملكهما ورجع ولم يعرج على دار الخلافة وأسقط مشاهرات القائم والوزير وحواشى الدار من دار الضرب ونسب الى الوزير مكاتبة طغرلبك ثم سار فى ذى الحجة من سنة ست وأربعين الى الانبار وبها أبو الغنائم بن المحلبان ونصب عليها المجانيق ودخلها عنوة وأسر أبا الغنائم فى خمسمائة من أهلها ونهب البلاد وعاد الى بغداد وقد شهر أبا الغنائم وهمّ بصلبه فشفع فيه دبيس بن صدقة وكان قد جاء مددا له على حصار الانبار فشفعه وصلب جماعة من الاسرى

(وثوب الاتراك بالبساسيرى ونهب داره)

كان

كان هذا البساسيرى مملوكا لبعض تجار بسا من مدائن فارس فنسب اليها ثم صار لبهاء الدولة بن عضد الدولة ونشأ فى دولته وأخذت النجابة بضبعه وتصرف فى خدمة بنيه الى أن صار فى خدمة الملك الرحيم وكان يبعثه فى المهمات ومدافعة هذه الفتن فدافع الاكراد من جهة حلوان ودافع قريش بن بدران من الجانب الغربى وهما قائمان بدعوة طغرلبك ثم سار الى الملك الرحيم بواسط وقد تأكدت الوحشة بينه وبين الوزير رئيس الرؤساء كما تقدم وبعث اليه وزيره أبو سعد النصرانى بجرار خمر فدس عليها الوزير قوما ببغداد كانوا يقومون فى تغيير المنكر فكسروها وأراقوا خمرها فتأكدت الوحشة بذلك واستفتى البساسيرى الفقهاء الحنفية فى ذلك فأفتوه باحترام مال النصرانى ولا يجوز كسرها عليه ويغرم من أتلفها وتأكدت الوحشة بين الوزير وبين البساسيرى وكانت الوحشة بينه وبين الاتراك كما مر فدس الوزير بالشغب على البساسيرى فشغبوا واستأذنوا فى نهب دوره فأذن لهم من دار الخلافة فانطلقت أيدى النهب عليها وأشاع رئيس الرؤساء أنه كاتب المستنصر العلوى صاحب مصر واتسع الخرق وكاتب القائم الملك الرحيم بابعاد البساسيرى وأنه خلع الطاعة وكاتب المستنصر العلوى فأبعده الملك الرحيم

(استيلاء طغرلبك على بغداد والخليفة ونكبة الملك الرحيم وانقراض دولة بنى بويه)

كان طغرلبك قد سار غازيا الى بلاد الروم فأثخن فيها ثم رجع الى الرى فأصلح فسادها ثم وصل همذان فى المحرم سنة سبع وأربعين عاملا على الحج وأن يمر بالشام ويزيل دولة العلوية بمصر وتقدم الى أهل الدينور وقرميسين وغيرهما باعداد العلوفات والزاد فى طريقه وعظم الارجاف بذلك فى بغداد وكثر شغب الاتراك وقصدوا ديوان الخلافة يطلبون القائم فى الخروج معهم للمدافعة وعسكروا بظاهر البلد فوصل طغرلبك الى حلوان وانتشر أصحابه فى طريق خراسان وأجفل الناس الى غربى بغداد وأصعد الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد عنه البساسيرى بأمر القائم فلحق بدبيس بن صدقة صاحب الحلة لصهر بينهما وبعث طغرلبك الى القائم بطاعته والى الاتراك بالمواعيد الجميلة فرد الاتراك كتابه وسألوا من القائم رده عنهم فأعرض وجاء الملك الرحيم يعرض نفسه فيما يختاره فأمر بتقويض الاتراك خيامهم وأن يبعثوا بالطاعة لطغرلبك ففعلوا وأمر القائم الخطباء بالخطبة لطغرلبك فبعث الى طريقهم الوزير أبا نصر الكندرى وأمر الاجناد ثم دخل طغرلبك بغداد يوم الخميس ليومين من رمضان ونزل بباب الشماسية ووصل قريش صاحب الموصل وكان فى طاعته قبل ذلك ثم انتشرت عساكر طغرلبك فى البلد وأسواقها فوقعت الهيعة وظن الناس أن الملك الرحيم أذن بقتال

طغرلبك فأقبلوا من كل ناحية وقتلوا الغز في الطرقات الا أهل الكرخ فانهم أمنوهم وأجاروهم وشكر الخليفة لهم ذلك وتمادى العامة في ثورتهم وخرجوا الى معسكر طغرلبك ودخل الملك الرحيم بأعيان أصحابه الى دار الخلافة تفاديا من الظنة به وركبت عساكر طغرلبك فهزموا العامة وكسروهم ونهبوا بعض الدروب ودروب الخلفاء والرصافة ودرب الدروب وكانت هذه الدروب قد نقل الناس اليها أموالهم ثقة باحترامها وفشا النهب واتسع الخرق وأرسل طغرلبك من الغد الى القائم بالعتب على ما وقع ونسبه الى الملك الرحيم ويطلب حضوره وأعيان أصحابه فيكون براءة لهم فأمرهم الخليفة بالركوب اليه وبعث معهم رسوله ليبرئهم فساروا في ذمامه وأمر طغرلبك بالقبض عليهم ساعة وصولهم ثم حمل الملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها وذلك لست سنين من ولايته وانقرض أمر بني بويه ونهب في الهيعة حلة قريش صاحب الموصل ونجا سليمان الى خيمة بدر بن مهلهل فأجاره ثم خلع عليه طغرلبك ورده الى حلته ونقم القائم على طغرلبك ما وقع وبعث في اطلاق المحبوسين فانهم في ذمامه وهدده بالرحيل عن بغداد فأطلق بعضهم ومحا عساكر الرحيم من الدواوين وأذن لهم في السعي في معاشهم فلحق كثير منهم بالبساسيري فكثر جمعه واستصفى طغرلبك أموال الاتراك ببغداد من أجله وبعث الى دبيس بابعاده فلحق بالرحبة وكاتب المستنصر صاحب مصر بالطاعة وخطب دبيس لطغرلبك في بلاده وانتشر الغز في سواد بغداد فنهبوه وفشا الخراب فيه وانجلى أهله وولى طغرلبك البصرة والاهواز هزارسب فخطب لنفسه بالاهواز فقط وأقطع الامير أبا علي ابن الملك أبي كاليجار قرميسين وأعمالها وأمر أهل الكرخ أن يؤذنوا في مساجدهم في نداء الصبح الصلاة خير من النوم وأمر بعمارة دار الملك فعمرت على ما اقترحه وانتقل اليها في شوال سنة سبع وأربعين واستقرت قدمه في الملك والسلطان وكانت له الدولة التي ورثها بنوه وقومه السلجوقية لم يكن للاسلام في العجم أعظم منها والملك لله يؤتيه من يشاء

{ الخبر عن دولة وشمكير وبنيه من الجيل اخوة الديلم وما كان لهم من الملك والسلطان بجرجان وطبرستان وأولية ذلك ومصايره }

قد تقدم لنا ذكر مرداويج بن زيار وأنه كان من قواد الديلم للاطروش وأنه من الجيل اخوة الديلم وكانت حالهم واحدة وكان منهم قواد للعلوية استظهروا بهم على أمرهم حتى اذا انقرضت دولة الاطروش وبنيه على حين فشل الدولة العباسية ومحى أعمالها من السلطان ساروا في النواحي لطلب الملك متفرقين فيها فملكوا الري واصفهان وجرجان وطبرستان والعراقين وفارس وكرمان كل منهم في ناحية وتغلب بنو بويه على

الخليفة وحجروه الى آخر أيامهم وذكرنا أن مرداويج عندما استفحل ملكه بعث عن أخيه وشمكير من بلاد كيلان سنة عشرين وأربعمائة فاستظهر به على أمره وولاه على الاعمال الجليلة وكان قد استولى على اصفهان والري وأصبح من أعظم الملوك وكان له موال من الاتراك تنكروا له لشدته عليهم فاغتالوه وقتلوه في محرم سنة ثلاث وعشرين فاجتمعت العساكر بعده على أخيه وشمكير بالري وبعث الى ماكان بن كالي وهو بكرمان بعدما ملكها من أبي علي بن الياس بالمسير اليه بالري مع ابن محتاج وسار ماكان على المفازة الى الدمغان وبعث وشمكير قائده تاتجيز الديلمي مع جيش كثيف لاعتراضه ومع ماكان عسكر ابن مظفر مددا له فتقاتلوا وهزمهم تاتجيز فعاد والى نيسابور وجعلت ولايتها لماكان وقد مر ذكر ذلك كله ثم سار تاتجيز الى جرجان وأقام بها ثم هلك آخر السنة من سقطة عن فرسه فاستولى عليها ماكان وحاصره ابن محتاج سنة ثمان وعشرين فملكها وسار ماكان الى طبرستان فأقام بها وكان ركن الدولة بن بويه غلب على أصفهان فبعث وشمكير عساكره الى ماكان مددا له في حروبه مع ابن محتاج فاغتنم ركن الدولة خلو وشمكير من العساكر فسار الى أصفهان فملكها واتصل ما بينه وبين صاحب خراسان وانفرد وشمكير بملك الري

(استيلاء عساكر خراسان على الري والجبل وملك وشمكير طبرستان)

لما ملك ركن الدولة اصفهان وصل يده بأبي علي بن محتاج صاحب خراسان هو وأخوه عماد الدولة صاحب فارس وحرضاه على أخذ الري من وشمكير رجاء أن يكون طرفا لعمله فيتمكن به من ملكها فسار أبو علي لذلك واستمد وشمكير ماكان للمدافعة فجاء بنفسه وبعث ركن الدولة مددا لابن محتاج فلقوه باسحاقاباد وتقاتلوا فانهزم وشمكير ولحق بطبرستان فملكها وقتل ماكان بالمعركة واستولى أبو علي على الري ثم بعث أبو علي العساكر الى بلد الجبل فاستولى على زنكان وابهر وقزوين وكرج وهمذان ونهاوند والدينور الى حلوان

(استيلاء الحسن بن القيرزان على جرجان)

كان الحسن بن القيرزان ابن عم ماكان وكان مناهضه في الصرامة فلما قتل ماكان وملك وشمكير طبرستان بعث اليه بالدخول في طاعته فأبى ونسبه الى المواطأة على قتل ماكان فقصده وشمكير ففارق سارية وسار الى ابن محتاج صاحب خراسان واستنجده فسار معه ابن محتاج وحاصر وشمكير بسارية حولا كاملا حتى رجع الى طاعة ابن سامان وأعطى ابنه سلار رهينة بذلك ورجع هو والحسن الى خراسان وهو مكابده للصلح ولقيهما موت سعيد بن سامان فثار الحسن بأبي علي بن محتاج ونهب سواده وأخذ ابن

وشمكير الذى كان عنده ورجع فملكها من يد ابراهيم بن سيجور الدوانى ولحق ابن سيجور بنيسابور فعصى على بن محتاج كما مر فى أخبارهم

(رجوع الرى لوشمكير واستيلاء ابن بويه عليها)

لما انصرف أبو على الى خراسان وفعل به الحسن ما ذكرناه سار وشمكير الى الرى فملكها وراسله ابن القيرزان يستميله ورد عليه ابنه سلار وصانعه ولم يبالغ محافظة على عهد ابن محتاج ثم طمع ركن الدولة بن بويه فى ملك الرى لخلو يده وقلة عسكره فسار اليه وهزمه واستأمن كثير من عسكره اليه وملك الرى ورجع وشمكير الى طبرستان فاعترضه الحسن وهزمه فلحق بخراسان وراسل ابن القيرزان ركن الدولة بن بويه وواصله

(استيلاء وشمكير على جرجان)

لما ملك ابن بويه الرى من يد وشمكير ولحق طبرستان واعترضه ابن القيرزان وهزمه ولحق بخراسان سار الى نوح بن سامان مستنجدا به وبعث معه عسكرا وأرسل الى ابن محتاج صاحب خراسان بمظاهرته فبعثه فيمن معه الى جرجان وبها الحسن بن القيرزان فهزمه وشمكير وملك جرجان

(استيلاء ركن الدولة على طبرستان وجرجان)

لما ملك وشمكير جرجان من يد الحسن بن القيرزان سار الى ركن الدولة بن بويه وأقام عنده بالرى ثم سار سنة ست وثلاثين الى بلاد وشمكير ولقيهم فهزموه وملك ركن الدولة طبرستان وسار منها الى جرجان واستأمن اليه قواد وشمكير وولى الحسن بن القيرزان على جرجان ورجع الى الرى وسار وشمكير الى خراسان مستنجدا بابن سامان فأمر منصور بن قراتكين صاحب خراسان أن يستوفد العساكر لانجاده فسار معه وكان مصطنعا عليه وكتب وشمكير الى ابن سامان يشكو من ابن قراتكين ثم كتب الامير نوح الى أبى على بن محتاج أن يسير معه الى الرى فسار معه وقاتلوا ركن الدولة فلم يظفروا به حتى صالحهم كما تقدم ورجع الى وشمكير فانهزم أمامه الى اسفراين وملك ابن بويه طبرستان وحاصر سارية وملكها ولحق وشمكير بجرجان وسار الى جرجان فى طلب وشمكير الى بلد الجبل واستولى ابن بويه عليها

(وفاة وشمكير وولاية ابنه مهستون)

لما غلب بنو بويه على كرمان من يد أبى على بن الياس لحق وشمكير بالامير منصور بن نوح ببخارا مستنصرا به وأطمعه فى ممالك بنى بويه وأسر اليه أن قواده بخراسان لا يناصحونه فى شأنه فكتب الى أبى الحسن محمد بن ابراهيم بن سيجور صاحب

خراسان بالمسير الى الرى بطاعة وشمكير والتصرف عن رأيه واستعد ركن الدولة للقائهم واستنجد ابنه عضد الدولة وخالفهم الى خراسان وبلغهم الخبر فتوقفوا بالدامغان يستطلعون الاخبار وركب وشمكير للصيد فاعترضه خنزير فرماه بحربة من يده فحمل عليه الخنزير فشب الفرس وسقط وشمكير الى الارض ومات من سقطته فى محرم سنة سبع وخمسين وانتقض جميع ما كانوا فيه ولما مات وشمكير قام ابنه بهستون مقامه وراسل ركن الدولة وصالحه فأمده بالعساكر والاموال

(وفاة بهستون وولاية أخيه قابوس)

ثم توفى بهستون بن وشمكير بجرجان سنة ست وستين لسبع سنين من ولايته وكان أخوه قابوس عند خاله رستم بجبل شهريار وترك بهستون ابنا صغيرا بطبرستان فى كفالة جده لامه فطمع له جده فى الملك وبادر به الى جرجان وقبض على من كان عنده ميل الى قابوس من القواد وفى خلال ذلك وصل قابوس فخرج الجيش اليه واجتمعوا عليه وملكوه وهرب أصحاب ابن منصور فكفله عمه قابوس وجعله اسوة بنيه وقام بملك جرجان وطبرستان

(استيلاء عضد الدولة على جرجان وطبرستان)

لما توفى ركن الدولة سنة ست وستين وثلثمائة وعهد لابنه عضد الدولة وولى ابنه فخر الدولة على همذان وأعمال الجبل وابنه مؤيد الدولة على اصفهان وكان بختيار بن معز الدولة ببغداد فاستولى عليه ثم سار الى أخيه فخر الدولة بهمذان فهرب الى قابوس ونزل عضد الدولة الرى وبعث الى قابوس فى طلب أخيه فخر الدولة فأبى فأمر أخاه مؤيد الدولة بخراسان أن يسير اليه وأمده بالاموال والعساكر وسار الى جرجان سنة احدى وسبعين ولقيه فخر الدولة بخراسان عندما وليها حسام الدولة أبو العباس تاش من قبل الامير أبى القاسم بن نوح وكتب الى ابى العباس تاش يأمره بانجاد قابوس بن وشمكير وفخر الدولة على مؤيد الدولة واعادة قابوس الى بلده فزحف فى العساكر الى جرجان وحاصرها شهرين حتى ضاقت أحوالهم وكاتب مؤيد الدولة فائقا الخاصة من قواد خراسان واستماله فوعده أن ينهزم بمن معه يوم اللقاء وخرج مؤيد الدولة فقاتلهم وانهزم فائق بمن معه كما وعده ووقف حسام الدولة وفخر الدولة قليلا ثم اتبعوه منهزمين الى خراسان ثم استدعى تاش لتدبير الدولة ببخارا بعد قتل الوزير العتبى فسار اليه سنة ثنتين وسبعين مؤيد الدولة وكان من خبر وفاته ما قدمناه ووقعت الفتنة بين تاش وابن سيجور وانهزم تاش الى جرجان وقابله فخر الدولة من الكرامة والنصرة بما لم يعهد مثله حسبما مر فى اخبارهم ولما ملك فخر الدولة جرجان وطبرستان والرى اعتزم على رد

جرجان وطبرستان الى قابوس رغبا لما كان بينهما بدار الغربة وانه الذى جرّ على قابوس الخروج عن ملكه فشاور عن ذلك وزيره الصاحب بن عباد فلم يوافقه وبقى مقيما بخراسان وأنجده بنو سامان بالعساكر المرة بعد المرة فلم يقدر له بالظفر حتى كان استيلاء سبكتكين

(عود قابوس الى جرجان وطبرستان)

ولما ولى سبكتكين خراسان وعد قابوس برده الى ملكه جرجان وطبرستان ثم مدى الى بلخ فمات سنة سبع وثمانين فأقام قابوس الى سنة ثمان وثمانين فبعث الاصبهبد الى جبل شهريار وعليه رستم بن المرزبان خال مجد الدولة وجمع له فقاتله وانهزم رستم واستولى اصبهبد على الجبل وخطب فيه لشمس المعالى قابوس وكان نائب ابن سعيد بناحية الاستنداويه وكان يميل الى شمس المعالى فسار الى آمد وطرد عنها عسكر مجد الدولة واستولى عليها وخطب فيها لقابوس وكتب اليه بذلك ثم كتب أهل جرجان الى قابوس يستدعونه فسار اليهم من نيسابور وسار اصبهبد ويأتى بن سعيد اليها من مكانهما فخرج اليهما عساكر جرجان فقاتلوهما فانهزم العسكر ورجعوا الى جرجان فلقوا مقدمة قابوس عندها فانهزموا ثانية الى الرى ودخل شمس المعالى قابوس جرجان فى شعبان سنة ثمان وثمانين وجاءت العساكر من الرى لحصاره فأقاموا ودخل فصل الشتاء وتوالت عليهم الامطار وعدمت الاقوات فارتحلوا وتبعهم قابوس وقاتلهم فهزمهم وأسر جماعة من أعيانهم وملك ما بين جرجان واستراباذ ثم ان الاصبهبد حدثته نفسه بالملك واغتر بما اجتمع له من الاموال والذخائر فسارت اليه العساكر من الرى مع المرزبان خال مجد الدولة فهزموه وأسروه وأظهروا دعوة شمس المعالى بالجبل لان المرزبان كان مستوحشا من مجد الدولة فانضافت مملكة الجبل جميعا الى مملكة جرجان وطبرستان وولى عليها قابوس ابنه منوجهر ففتح الرى ايات وثالوش وقارن ذلك استيلاء محمود بن سبكتكين على خراسان فراسله قابوس وهاداه وصالحه على سائر أعماله

(مقتل قابوس وولاية ابنه منوجهر)

كان شمس المعالى قابوس قد استفحل ملكه وكان شديد السطوة مرهف الحد فعظمت هيبته على أصحابه وتزايدت حتى انقلبت الى العتو فأجمعوا على خلعه وكان ببعض القلاع فساروا اليه ليمسكوه بها فامتنع عليهم فانتهبوا موجوده ورجعوا الى جرجان وجاهروا بالخلعان واستدعوا ابنه من طبرستان فأسرع اليهم مخافة أن يولوا غيره واتفقوا على طاعته بأن يخلع أباه فأجاب الى ذلك كرها وسار قابوس من محصنه الى بسطام يقيم بها حتى تضمحل الفتنة فساروا اليه وأكرهوا منوجهر على المسير معهم

وينفرد هو للعبادة بقلعة اجنيا وأذن له أبوه بالقيام بالملك حذرا من خروجه عنهم وبقى المتولون لكبر تلك الفتنة من الجند مرتابين من قابوس وكتبوا من جرجان الى منوجهر يستأذنونه فى قتله ولم ينتظروا رد الجواب وساروا اليه فدخلوا عليه البيت وجردوه من ثيابه فما زال يستغيث حتى مات من شدة البرد وذلك سنة ثلاث وأربعمائة لخمس عشرة سنة من استيلائه وقام بالملك ابنه منوجهر وخطب له على منابره ولم يزل فى التدبير على الرهط الذين قتلوا أباه حتى أباد كثيرا منهم وشرد الباقين

(وفاة منوجهر وولاية ابنه أنوشروان)

ولما سار محمود بن سبكتكين سنة عشرين وأربعمائة عندما قبض حاجبه على مجد الدولة وملك الرى بدعوة محمود وسار اليه محمود فهرب منوجهر بن قابوس من جرجان وبعث اليه بأربعمائة ألف دينار ليصلحه وتحصن منه بجبال وعرة ثم أبعد المذهب ودخل فى الغياض الملتفة وأجابه محمود فبعث اليه منوجهر بالمال ونكب عنه فى رجوعه الى نيسابور ثم توفى منوجهر اثر ذلك سنة ست وعشرين وولى بعده ابنه أنوشروان فأقره محمود على ولايته وقرر عليه خمسمائة ألف أميرى وخطب لمحمود فى بلاد الجبل الى حدود أرمينية ثم استولى مسعود بن محمود أعوام الثلاثين على جرجان وطبرستان ومحا دولة بنى قابوس كأن لم تكن والبقاء لله وحده

(الخبر عن دولة مسافر من الديلم باذربيجان ومصايره)

كانت أذربيجان عند ظهور الديلم وانتشارهم فى البلاد واستيلائهم على الاعمال أعوام الثلاثين والثلثمائة بيد رستم بن ابراهيم الكردى من أصحاب يوسف بن أبى الساج وكان من خبره أن أباه ابراهيم من الخوارج من أصحاب هرون الشادى الخارج بالموصل هرب بعد مقتله الى أذربيجان وأصهر فى الاكراد الى بعض رؤسائهم فولد له ابنه رستم ونشأ فى اذربيجان ولما كبر استضافه ابن أبى الساج وتنقل فى الاطوار الى أن استولى على أذربيجان بعد يوسف بن أبى الساج وكان معظم جيوشه الاكراد ولما استولى الديلم على البلاد وملك وشمكير الرى ولى أعمال الجبل لشكرى وجمع الاموال والرجال وسار لشكرى الى أذربيجان ليملكها سنة ست وعشرين وحاربه دسيم فى بعض جهات اذربيجان واستولى لشكرى على سائر بلاد اذربيجان لا اردبيل فان أهلها امتنعوا ثقة بحصن بلادهم وراسلهم فلم يجيبوه فحاصرها وشدد حصارها وثلم سورها وملكها أياما يدخل نهارا ويخرج الى عساكره ليلا ثم سدوا ثلم السور وامتنعوا وعادوا الى الحصار واستدعوا ديسم فجاء لقتال لشكرى من ورائه وناشبه أهل اردبيل القتال من أمامه فانهزم وقتل عامة أصحابه وتحيزوا الى موقان

واستنجدا صعلوك بن دوالة فجمعوا وساروا الى دسيم فانهزم أمامهم وعبر نهر ارس وقصد وشمكير فى الرى واستنجده وضمن له مالا كل سنة فبعث معه عسكرا واستمال عسكر لشكرى فخاذلوه وكاتبوا وشمكير بالطاعة وعلم بذلك لشكرى فتأخر الى الزوزن عازما على الموصل أن يملكها ومرّ بأرمينية فنهب وسبى ولما انتهى الى الزوزن لقيه بعض الرؤساء من الارمن وصانعه بالمال على بلده حتى كف عنها وأكمن له فى مضيق بطريقه ودس لبعض الارمن أن ينهبوا شيأ من ثقله ويسلكوا المضيق وركب لشكرى فى اثرهم فقتله الكمين ومن معه وقدم أهل العسكر عليهم ابنه لشكرستان ورجعوا الى بلد الطرم الارمنى ليثأروا من الارمن بصاحبهم وكان أكثر بلده مضايق فقاتلهم الارمن عليها وفتكوا فيهم ولحق العسكر ولشكرستان فى الفل بالموصل فأقام بها عند ناصر الدولة بن حمدان وكانت له معادن اذربيجان وولى عليها ابن عمه أبا عبد الله الحسين ابن سعيد بن حمدان وبعث معه لشكرستان وأصحابه فقاتلهم دسيم على المعادن وغلبهم عليها ورجعوا واستولى دسيم على اذربيجان

(استيلاء المرزبان بن محمد بن مسافر على اذربيجان)

كان محمد بن مسافر من كبار الديلم وكان صاحب الطرم وكان له أولاد كثيرون منهم سلار ومنهم صعلوك ومنهم وهشودان والمرزبان أمه بنت حسان ووهشودان ملك الديلم وقد مرّ خبره وكان دسيم ابن ابراهيم الكردى بعد مدافعة لشكرى وابنه عن اذربيجان أقام عنده بعض الديلم من عسكر وشمكير الذين أنجدوه على شأنه ثم ان قومه من الاكراد استبدوا عليه بأطراف أعماله وملكوا بعض القلاع فاستظهر عليهم بأوائك الديلم وغلبهم واستدعى صعلوك بن محمد من قلعة أبيه الطرم فجاء اليه جماعة من الديلم وسار بهم الى التى تغلب عليها الاكراد فانتزعها منهم وقبض على جماعة منهم ثم استوحش منه وزيره ابو القاسم على بن جعفر من اهل اذربيجان فهرب الى الطرم ونزل على محمد بن مسافر عندما استوحش منه ابناه وهشودان والمرزبان وغلبا على بعض قلاعه ثم قبضا عليه وانتزعا منه أمواله وذخائره فتقرب الوزير على بن جعفر الى المرزبان وكان يشاركه فى دين الباطنية وأطمعه فى اذربيجان فاستوزره المرزبان وكانت الديلم الذين عند دسيم وغيره من جنده واستمالهم فأجابوه وسار المرزبان الى اذربيجان وبرز دسيم للقائه فنزع الديلم الى المرزبان واستأمن اليه كثير من الاكراد وهرب دسيم الى أرمينية ونزل على صاحبها حاجيق بن الديرانى وملك المرزبان اذربيجان سنة ثلاثين وثلثمائة وأساء وزيره على بن جعفر السيرة مع أصحابه فتظافروا عليه وشرعوا فى السعاية فيه فأطمع المرزبان فى أموال تبريز يغنمها له وسار اليها فى عسكر من الديلم وأسرّ لاهلها أنه جاء

لمصادرتهم فوثبوا بمن معه من الديلم وقتلوهم واستدعوا دسيم بن ابراهيم فجاء الى تبريز وملكوه ولحق به الاكراد الذين استأمنوا الى المرزبان فسار المرزبان فى عساكره وحاصرهم دسيم بتبريز وكاتب على بن جعفر وحلف له على الوفاء بما يرومه منه فطلب منه السلامة وترك العمل فاجابه واشتد الحصار على دسيم فهرب من تبريز الى أردبيل وخرج الوزير اليه فوفى له المرزبان ثم طلب دسيم أن ينزله بأهله بقلعة من قلاع الطرم ففعل وأقام المرزبان فيها

(استيلاء الروس على مدينة بردعة وظفر المرزبان بهم)

هؤلاء الروس من طوائف الترك ويجاورون الروم فى مواطنهم وأخذوا بدين النصرانية معهم منذ أزمان متطاولة وبلادهم تجاور بلاد أذربيجان فركبت طائفة منهم البحر سنة ثنتين وثلاثين ثم صعدوا من البحر فى نهر الكُر وانتهوا الى مدينة بردعة من بلاد اذربيجان وبها نائب المرزبان فخرج اليهم فى نحو خمسة آلاف مقاتلة من الديلم وغيرهم فهزمهم الروس وقتلوا الديلم وتبعوهم الى البلد فملكوه ونادوا بالامان وأحسنوا السيرة وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية فلم يقدروا عليهم وظاهرهم العوام والرعاع فلما انصرفت العساكر غدرت الروسية بهم فقتلوهم ونهبوا أموالهم واستعبدوهم وأحزن المسلمين ذلك واستنفر المرزبان الناس وسار اليهم وأكمن لهم كمينا وزحف اليهم وخرجوا اليه واستطردلهم حتى جاوزوا موضع الكمين فاستمر أصحابه على الهزيمة ورجع هو مع أخيه وصاحب له مستميتين وخرج الكمين من ورائهم واستلحم الروسية وأميرهم ونجا فلهم الى البلد فاعتصموا بحصنه وكانوا قد نقلوا اليه السبى والاموال وحاصرهم المرزبان وصابروه ثم ان ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل بعث الى ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان فى هذه السنة الى اذربيجان ليملكها فبلغ الخبر الى المرزبان بأنه انتهى الى سلماس فجهز عسكرا الى الروس وسار لقتال ابن حمدان فقاتله أياما ثم استدعاه ابن عمه ناصر الدولة من الموصل وأخبره بموت توزون وأنه سائر الى بغداد وأمره بالرجوع فرجع وأما الروس فحاصرهم العسكر أياما واشتد فيهم الوباء فانقضوا من الحصن ليلا وحملوا ما قدروا عليه من الاموال ولحقوا بالكر فركبوا سفنهم ومضوا الى بلادهم وطهر الله البلاد منهم

(مسير المرزبان الى الرى وهزيمته وحبسه)

ولما سارت عساكر خراسان الى الرى وظن المرزبان أن ذلك يشغل ركن الدولة بن بويه عنه وكان قد بعث رسوله الى معز الدولة ببغداد فصرفه مذموما مدحورا فاعتزم على غزو الرى وطمع فى ملكه واستأمن اليه بعض قواد الرى وأغراه بذلك وراسله ناصر

الدولة بن حمدان يستحثه لذلك و يشير عليه بغداد قبل الري وكتب ركن الدولة الى أخويه عماد الدولة ومعز الدولة يستنجدهما فبعثوا اليه بالعساكر وسار بها من بغداد سبكتكين الحاجب ولما انتهى الى الدينور انتقض عليه الديلم و وثبوا به فركب في الاتراك فتخاذل الديلم وأعطوه الطاعة وكان المرزبان قبل وصول العساكر زحف الى الري وهزمه ركن الدولة وحبسه ورجع الفل الى اذربيجان ومعهم محمد بن عبد الرزاق واجتمع أصحاب المرزبان على أبيه محمد بن مسافر واساء السيرة فهموا بقتله وكان ابنه وهشوذان قد هرب منه واعتصم بحصن له فلحق به أبوه محمد فقبض عليه وهشوذان وضيق عليه حتى مات ثم استدعى دسيم الكردي من مكانه بقلعة الطرم حيث أنزله المرزبان عند ظفره به وبعثه الى محمد بن عبد الرزاق وأقام بنواحي اذربيجان ثم رجع الى الري سنة ثمان وثلاثين واستعتب الى سلطانه نوح بن سامان فأعتبه وعاد الى طوس واستولى دسيم على اذربيجان لوالى القلعة حتى تمكنوا من قتله فقتله المرزبان ولحق بأخيه وهشوذان سنة ثنتين وأربعين وكان على بن مشلى من قواد ركن الدولة قد لحق بوهشودان وأغراه بدسيم فبعثه وهشودان في العساكر وكاتب الديلم واستمالهم وسار اليه دسيم وخلف وزيره أبا عبد الله النعيمي باردبيل فجمع مالا كان صادره عليه وهرب بما معه من المال الى علي بن مشلى وبلغ الخبر الى دسيم عند اذربيجان فعاد الى اردبيل وشغب عليه الديلم ففرق فيهم ما كان معه من المال وسار للقاء علي بن مشلى فالتقيا وهرب الديلم الذين معه الى علي بن منسلى وانهزم هو الى ارمينية ثم جاءه الخبر بان المرزبان تخلص من محبسه بقلعة سيرم وملك اردبيل واستولى على اذربيجان وأنفذ العساكر في طلبه فهزم دسيم الى بغداد فاكرمه معز الدولة وأقام عنده ثم استدعاه شيعته باذربيجان سنة ثلاث واربعين فسار اليهم وطلب من معز الدولة المدد لان أخاه ركن الدولة كان قد صالح المرزبان فسار دسيم الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل واستنجده فلم ينجده فسار الى سيف الدولة فأقام عنده بالشام فلما كان سنة أربع وأربعين خرج على المرزبان خارج باب الابواب فسار اليه وخالفه دسيم الى اذربيجان فاستدعاه مقدم من الاكراد وملك سلماس فبعث اليه المرزبان قائدا من قواده فهزمه دسيم ولما فرغ المرزبان من أمر الخارج وعاد الى اذربيجان هرب دسيم الى ارمينية واستجاش بابن الديراني وكتب اليه المرزبان بحمل دسيم اليه فسلمه وحبسه حتى اذا توفي المرزبان قتله بعض أصحابه حذرا من فتنته

(وفاة المرزبان وولاية ابنه خستان)

ثم توفي المرزبان صاحب اذربيجان سنة خمس وأربعين وعهد بالملك الى أخيه وهشودان

وبعده

وبعده لابنه خستان وكان قد أوصى نوابه بالقلاع أن يسلموها الا لابنه خستان ثم لاخويه ابراهيم وناصر ثم الى أخيه وهشودان عندما عهد بالعهد الثاني الى أخيه عرفه بامارات بينه وبين نوابه يرجعون اليها في ذلك وبعث الى النواب عبد الله النعيمي وهرب وهشودان من اردبيل فلحق بالطرم وجاء قواد المرزبان الى خستان بن شرمول فانه كان مقيما على ارمينية فانتقض بها

(مقتل خستان واخوته واستيلاء عمهم وهشودان على اذربيجان)

ولما ولي خستان بن المرزبان انغمس في لذاته وعكف على اللهو وقبض على وزيره أبي عبد الله النعيمي وكان خستان بن شرموه منتقضا بارمينية وقد ملكها وكان وزيره أبو الحسن عبد الله بن محمد بن حمدويه صهر الوزير النعيمي فاستوحش لنكبته وحمل صاحبه ابن سرمدن على مكاتبة ابراهيم بن المرزبان فأطمعه في الملك وسار به الى مراغة فملكها فراسله أخوه خستان وسار الى موقان وكان بأذربيجان رجل من ولد المكتفي متنكرا يدعو للرضا من آل محمد ويأمر بالعدل ويلقب بالمجير وكثرت جموعه فبعث اليه النعيمي من موقان وأطمعه في الخلافة وان يملكه اذربيجان على أن يقصد بغداد ويترك لهم اذربيجان فسار اليه خستان وابراهيم ابنا المرزبان فهزماه وقتلاه فلما رأى وهشودان الخلاف بين بني أخيه المرزبان استمال ابراهيم وسار ناصر الى موقان وطمع الجند في المال فساروا الى ناصر وملكوا بهم اردبيل وطالبه الجند بالمال فعجز وقعد عمه وهشودان عن نصره وتبين له أنه كان يخادعه فاجتمع مع أخيه خستان واضطربت عليهما الامور وانتقضت أصحاب الاطراف فاضطرهما الحال الى طاعة عمهما وهشودان وراسلاه في ذلك واستحلفاه وقدما عليه مع أمهما فغدر وقبض عليهم وعقد الامارة على اذربيجان لابنه اسمعيل وسلم له أكثر قلاعه ولحق ابراهيم بن المرزبان بمراغة وجمع لاستنقاذ أخويه ومنازعة اسمعيل فقتل وهشودان أخويه وأمهما وأمر خستان بن سرمدن بقتال ابراهيم بمراغة وبعث اليه بالمدد وانضم ابراهيم الى نواحي ارمينية سنة تسع وأربعين فاستولى ابن سرمدن على مراغة واستضافها الى ارمينية وجمع ابراهيم وكانت ملوك ارمينية من الارمن والاكراد وأصلح خستان بن سرمدن ثم جاء الخبر بوفاة اسمعيل ابن عمه فسار الى اردبيل فملكها وانصرف ابن منسلى الى وهشودان وزحف اليهما ابراهيم وهزمهما فلحقا ببلاد الديلم واستولى ابراهيم على أعمال وهشودان ثم جمع وهشودان وعاد الى قلعته بالطرم وبعث أبو القاسم بن منسلى العساكر لقتال ابراهيم فهزموه ونجا الى الري مستنجدا بركن الدولة لصهر بينهما

(استيلاء ابراهيم بن المرزبان ثانيا على اذربيجان)

قد تقدم هزيمة ابراهيم بن المرزبان أمام عساكر ابن منصلى وانه لحق بركن الدولة مستنجدا به فبعث معه الاستاذ أبا الفضل بن العميد فى العساكر فاستولى على اذربيجان وحمل أهلها على طاعة ابراهيم وقاد له خستان بن سرمدن وطوائف الاكراد فتمكن من البلاد وكتب ابن العميد الى ركن الدولة ان يعطيه ملكها واعلمه بعوض ابراهيم عنها لكثرة جبايتها وقلة معرفة ابراهيم بالجباية وأن يشهد فيها بالخروج عن ملكه فأبى من ذلك وقال لا أفعل ذلك بمن استجار بى فسلم له ابن العميد البلاد ورجع *(تنبيه)* أخبار بنى مسافر المعروفين ببنى السلار ملوك اذربيجان نقلتها من كتاب ابن الاثير والى ههنا انتهى فى أخبارهم وأحال على ما بعد فقال بعد ذلك وكان الامير كما ذكر ابن العميد قد أخذ ابراهيم وحبسه على ما ذكره ولم نقف على ذكر شئ من أخبار ابراهيم بعد ذلك ولا من خبر قومه وذكر أن محمود بن سبكتكين بعد خبر استيلائه على الرى سنة عشرين وأربعمائة أنه بعث الى المرزبان بن الحسين بن حرابيل من أولاد ملوك الديلم والتجى الى محمود فبعثه الى بلاد السلار وهو ابراهيم بن المرزبان بن اسمعيل بن وهشودان بن محمد بن مسافر الديلمى وكان له من البلاد شهرخان وزنجان وشهرزور وغيرها فقصدها واستمال الديلم وعاد محمود الى خراسان فسار السلار ابراهيم الى قزوين فلكها وقتل من عساكر محمود الذين بها وتحصن بقلعة الرى وكان بينهما وقائع ظهر فيها السلار ثم استمال مسعود بن محمود طوائف من عسكره وجاؤا اليه ودلوه على عورة الحصن الذى فيه السلار وسلكوا بعسكره من طرق غامضة وبعث اليه العسكر فى رمضان سنة ست وعشرين فانهزم وقبض عليه مسعود وحمله الى سرجهار وبها ولده وطالب أن يسلم اليه القلعة فأبى وعاود عنه وتسلم بقية قلاعه وأخذ أمواله وقرر على ابنه بسرجهار مالا وعلى الاكراد الذين فى جواره وعاد الى الرى وهذا السلار الذى ذكر غير السلار الاول ولم يتصل الخبر بالخبر المتقدم ثم ذكر أخبار الغز الذين تقدموا بين يدى السلجوقية وانتشروا فى بلاد الرى وملكوها وكثيرا من بلادها ووصلت طائفة منهم الى اذربيجان الذين كان مقدمهم بوقا وكوكتاش ومنصور ودانا

(دخول الغز اذربيجان)

يقال دخل هؤلاء الغز الى اذربيجان وسمى صاحبها يومئذ وهشودان بن غلان فأكرمهم وصاهرهم يدافع شرهم بذلك ويستميلهم لنصرته فلم يحصل من ذلك بطائل وعاثوا فى البلاد أشد العيث ودخلوا مراغة سنة تسع وعشرين وأربعمائة فقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها وفعلوا كذلك بالاكراد الهمذانية فاتفق أهل البلاد على

مدافعتهم

مدافعتهم وأصلح أبو الهيجاء ابن ربيب الدولة ووهشوذان صاحبا اذربيجان واتفقت كلمتهما واجتمع معهما أهل همذان فانصرفت تلك الطائفة عن اذربيجان وافترقوا على الرى كما تقدم فى أخبارهم وبقى الغز الذين تقدموا قبلهم فقاسى منهم أهل اذربيجان شدة وفتك فيهم وهشوذان بتبريز سنة ثنتين وثلاثين فتكة أوهنت منهم ودعا منهم جمعا كثيرا الى صنيع وقبض على ثلاثين من مقدميهم فقتلهم وفر الباقون من ارمينية الى بلاد الهكارية من أعمال الموصل وكانت بينهم وبين الاكراد وقائع ذكرناها فى أخبار الغز بالموصل ولم يعد ابن الاثير لبنى المرزبان ملوك اذربيجان ذكرا الى أن ذكر استيلاء طغرلبك على البلاد والمفهوم من فحوى الاخبار أن الاكراد استولوا عليها بعد بنى المرزبان والله أعلم

(استيلاء طغرلبك على اذربيجان)

قال ابن الاثير وفى سنة ست وأربعين سار طغرلبك الى اذربيجان وقصد تبريز وصاحبها الامير منصور بن وهشوذان بن محمد الروادى فأطاعه وخطب له وحمل اليه ورهن عنده ولده فسار طغرلبك عنه الى الامير أبى الاسوار وخيره فأطاع وخطب وكذلك سائر النواحى فأبقى عليهم بلادهم وأخذ رهنهم وسار الى ارمينية كذلك وقصد ملاذكرد وهى للنصرانية فعاث فى بلادها وخرب أعمالها وغزا من هنالك بلاد الروم وانتهى الى أرزن الروم فأثخن فى بلادهم ودوخها وعاد ابن السلار وذكر ابن الاثير خلال هذا غزوة فضلون الكردى الى الخزر من التركمان على ما مر أول الكتاب فقال كان بيد فضلون الكردى قطعة كبيرة من اذربيجان فغزا الى الخزر سنة احدى وعشرين ودوخ البلاد وقفل فجاؤا فى أثره وكبسوه وقتلوا أيضا بخطط الانجار الى مدينة تفليس فقال وفى سنة تسع وعشرين زحف ملك الانجار الى اذربيجان ليعترف المسلمين على حين وصول الغز الى اذربيجان وما فعلوه فيها وسمع الانجار بأخبارهم فأجفلوا عن مخالفهم ووصل وهشوذان صاحب اذربيجان وصرف نظره الى ملاطفة الغز ومصاهرتهم ليستعين بهم كما مر هذا آخر ما وجدناه من أخبار ملوك اذربيجان والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

بياض بالاصل

{الخبر عن بنى شاهين ملوك البطيحة ومن ملكها من بعدهم من قرابتهم وغيرهم وابتداء ذلك ومصايره}

كان عمران بن شاهين من الجامدة وكان يتصرف فى الجباية وحصل بيده منها مال فتخوف وألح عليه الطلب فهرب الى البطيحة ممتنعا من الدولة وكان له نجدة وبأس وصبر

على الشطف فأقام هنالك بين القصب والآجام يقتات بسمك الماء والطير ويتعرض للرفاق التي تمر بالطريق فيأخذها واجتمع اليه لصوص الصيادين فقوى وامتنع على السلطان وتمسك بخدمة أبي القاسم بن البريدي صاحب البصرة فأتنه ووصل حبل الطاعة بيده وقلده حماية تلك النواحي الى الجامدة دفعا لضرره عن السابلة فعز جانبه وكثر جمعه وسلاحه واتخذ معاقل على التلال بالبطائح وغلب على تلك النواحي ولما استولى معز الدولة على بغداد وقام بكفالة الخلافة والنظر في أمورها أهمه شأن عمران هذا وامتناعه في معاقله في نواحي بغداد فجهز اليه وزيره أبا جعفر الصيمري في العساكر وسار اليه سنة ثمان وثلاثين وتعددت بينهما الحروب والوقائع ثم هزمه الصيمري ثم أتاه الخبر بمسيره الى شيراز كما تقدم في أخبار دولتهم

(مسير العساكر الى عمران بن شاهين وانهزامها)

ولما انصرف الصيمري عن عمران عاد الى حاله فبعث معز الدولة لقتاله روزبهان من أعيان الديلم في العساكر فتحصن منه في مضايق البطائح فطاوله فضجر روزبهان واستعجل قتاله فهزمه عمران وغنم ما معهم فاستفحل وقوى وأفسد السابلة وكان أصحابه يطلبون الخفارة من جند السلطان اذا مروا بهم الى ضياعهم ومعايشهم بالبصرة فبعث معز الدولة بالعساكر مع المهلبي وزحف الى البطائح سنة أربعين ودخل عمران في مضايقه وأشاروا عليه بالهجوم فلم يفعل فكتب اليه معز الدولة بذلك باشارة روزبهان فدخل المهلبي المضايق بجميع عسكره وقد أكمن لهم عمران فخرج عليهم الكمين وتقسموا بين القتل والغرق والاسر ونجا المهلبي سابحا في الماء وكان روزبهان متأخرا في الزحف فسلم وأسر عمران كثيرا من قوادهم الاكابر ففاداه معز الدولة بمن في أسره من أهله وأصحابه وقلده ولاية البطائح فاستفحل أمره ثم انتقض سنة أربع وأربعين لخبر بلغه عن مرض طرق معز الدولة وأرجف أهل بغداد بموته ومر به مال من الاموال يحمل الى معز الدولة ومعه جماعة من التجار فكبسهم وأخذ جميع ما معهم ثم رد ذلك بعد ابلال معز الدولة من مرضه وفسد ما بينهما من الصلح ثم سار معز الدولة الى واسط سنة خمس وخمسين فبعث العساكر من هنالك لقتال عمران مع أبي الفضل العباس بن الحسن وقدم عليه نافع مولى ابن وجيه صاحب عمان يستنجده عليها فانحدر الى الابلة وبعث معه المراكب الى عمان وسارت عساكره الى البطائح فنزلوا الجامدة وسدوا الانهار التي تصب اليها ثم رجع معز الدولة من الابلة وطرقه المرض فجهز العساكر لقتال عمران وعاد الى بغداد فهلك وولي بعده ابنه عز الدولة بختيار فأعاد العساكر المجمرة على عمران وعقد معه الصلح فاستمر حاله ثم زحف بختيار اليه سنة تسع

وخمسين

وخمسين وأقام بواسط يتصيد شهرا ثم بعث وزيره الى الجامدة وطرق البطيحة فسد مجاري المياه وقلبها الى أنهارها وهي الجسور الى العراق ثم جاء المد من دجلة وخرب جميع ذلك ثم انتقل عمران الى معقل آخر ونقل ماله اليه حتى اذا حسر المياه وانتهجت الطرق فقدوا عمران من مكانه وطال عليهم الامر وشغب الجند على الوزير فأمر بختيار بمصالحته على ألف ألف درهم ولما رحل العسكر عنه ثار أصحابه في اطراف الناس فنهبوا كثيرا من العساكر ووصلوا الى بغداد سنة احدى وستين

(وفاة عمران بن شاهين وقيام ابنه الحسن مقامه ومحاربته عساكر عضد الدولة)

ثم توفي عمران بن شاهين فجأة في محرم سنة تسع وستين لاربعين سنة من ثورته بعد أن طلبه الملوك والخلفاء ورددوا عليه العساكر فلم يقدروا عليه ولما هلك قام بعده ابنه الحسن فطمع عضد الدولة فيه وجهز العساكر مع وزيره وسدوا عليه المياه وأنفق فيها أموال الاوجاء المدفأزالها وبقوا كلما سدوا فوهة فتق الحسن أخرى وفتح المياه أمثالا لها ثم وافقهم في الماء فاستظهر عسكر الحسن وكان معه المظفر أبو الحسن ومحمد بن عمر العلوي الكوفي فاتهمه بمراسلة الحسن وافشاء سره اليه وخاف أن تنقص منزلته عند عضد الدولة فقطع نفسه فمات وأدرك بآخر رمق فقال محمد بن عمر حملني على هذا وحمل الى بلده بكازرون فدفن هنالك وأرسل عضد الدولة الى العسكر من رجعه اليه وصالح الحسن بن عمران على مال يحمله وأخذ رهنه بذلك

(مقتل الحسن بن عمران وولاية أخيه أبي الفرج)

كان الحسن بن عمران آسفا على أخيه أبي الفرج وحنقا عليه ولم يزل يتحيل عليه الى أن دعاه الى عيادة أخت لهما مرضت وأكمن في بيتها جماعة اعدها لقتله فدخل الحسن منفردا عن أصحابه فاغلقوا الباب دونهم وقتلوه وصعد أبو الفرج الى السطح فأعلمهم بقتله ووعدهم فسكتوا ثم بذل لهم المال فأقروه وكتب الى بغداد بالطاعة فكتب له بالولاية وذلك لثلاث سنين من ولاية الحسن

(مقتل أبي الفرج وولاية أبي المعالي بن الحسن)

ثم ان أبا الفرج لما قتل أخاه الحسن قدم الجماعة الذين قتلوه على أكابر القواد وكان الحاجب المظفر بن علي كبير قواد عمران والحسن فاجتمع اليه القواد وشكوا اليه فكنهم فلم يرضوا وحملوه على قتل أبي الفرج فقتله ونصب أبا المعالي ابن أخيه الحسن مكانه لاشهر من ولايته ثم تولى تدبيره بنفسه لصغره وقتل من كان يخافه من القواد

واستولى على أموره كلها

(استيلاء المظفر وخلع أبي المعالى)

ثم ان المظفر بن على الحاجب القائم بأمر أبى المعالى طمع فى الاستقلال بأمر البطيحة فصنع كتابا على لسان صمصام الدولة سلطان بغداد بولايته وجاء به ركابى عليه أثر السفر وهو بدست امارته فقرأه بحضرتهم وتلقاه بالطاعة وعزل أبا المعالى وأخرجه مع أمه الى واسط وكان يصلهما بالنفقة وأحسن السيرة بالناس وانقرض بيت عمران بن شاهين ثم عهد الى ابن أخته على بن نصر ويكنى أبا الحسن وتلقب بالامير المختار وبعده الى ابن أخته الاخرى ويكنى أبا الحسن ويسمى على بن جعفر

(وفاة المظفر وولاية مهذب الدولة)

ثم توفى الحاجب المظفر صاحب البطيحة سنة ست وسبعين لثلاث سنين من ولايته وولى بعده ابن أخيه أبو الحسن على بن نصر بعهده اليه كما مر وكتب الى شرف الدولة سلطان بغداد بالطاعة فقلده ولقبه مهذب الدولة فأحسن السيرة وبذل المعروف وأجار الخائف فقصده الناس وأصبحت البطيحة معقلا واتخذها الاكابر وطناوبنوا فيها الدور والقصور وكاتب ملوك الاطراف وصاهره بهاء الدولة بابنته وعظم شأنه واستجار به القادر عند ما خاف من الطائع وهرب اليه فأجاره ولم يزل عنده بالبطيحة ثلاث سنين الى أن استدعى منها للخلافة سنة احدى وثمانين

(بعث ابن واصل على البطيحة وعزل مهذب الدولة)

كان من خبر أبي العباس بن واصل هذا أنه كان ينوب عن رزبوك الحاجب وارتفع معه ثم استوحش منه ففارقه وسار الى شيراز واتصل بخدمة فولاد وتقدم عنده ثم قبض على فولاد فعاد الى الاهواز ثم أصعد الى بغداد ثم خرج منها وخدم أبا محمد بن مكرم ثم انتقل الى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة وتقدم عنده ولما استولى السكرستان على البصرة بعثه مهذب الدولة فى العساكر لحربه فقتله وغلبه ومضى الى شيراز فأخذ سفن محمد بن مكرم وأمواله ورجع الى أسافل دجلة فتغلب عليها وخلع طاعة مهذب الدولة فأرسل اليه مائة سميرية مشحونة بالمقاتلة فغرق بعضها وأخذ ابن واصل الباقى وعاد الى الابلة فبعث اليه أبا سعيد بن ماكولا فهزمه ثانية واستولى على ما معه وأصعد الى البطيحة وخرج مهذب الدولة الى شجاع بن مروان وابنه صدقة فغدر وابه وأخذوا أمواله ولحق بواسط واستولى ابن واصل على البطيحة وعلى أموال مهذب الدولة وجمع ما كان

لزوجه

لزوجه ابنة بهاء الدولة وبعث به الى أبيها وكانت قد لحقت ببغداد ثم اضطرب عليه أهل البطائح وبعث سبعمائة فارس الى المجاورة فقاتلهم أهلها وظفروا بهم وخشى ابن واصل على نفسه فعاد الى البصرة وترك البطائح فوضى ونزل البصرة فى قوة واستفحال وخشى أهل النواحى عاديته فسار بهاء الدولة من فارس الى الاهواز ليتلافى أمره واستدعى عميد الجيوش من بغداد وسيره فى العساكر اليه فجاء الى واسط واستكثر من السفن وسار الى البطائح وسار اليه ابن واصل من البصرة فهزمه وغنم ثقله وخيامه ورجع ابن واصل مفلولا

(عود مهذب الدولة الى البطيحة)

ولما انهزم عميد الجيوش أقام بواسط فجمع عساكره لمعاودة ابن واصل ثم بلغه أن نائب ابن واصل بالبطائح قد خرج منها مجفلا فبعث الى بغداد وبعث بالعساكر وهم بالانتقاض فاستدعى عميد الجيوش مهذب الدولة من بغداد وبعثه بالعساكر فى السفن الى البطيحة سنة خمس وتسعين فاستولى عليها واجتمع عليه أهل الولايات وأطاعوه وقرر عليها بهاء الدولة خمسين ألف دينار فى كل سنة وشغل عن ابن واصل بتجهيز العساكر الى خورستان وطمع فى الملك واجتمع عنده كثير من الديلم وأصناف الاجناد وسار الى الاهواز وسير بهاء الدولة عسكرا لقائه فهزمهم ودخل دار الملك وأخذ ما كان فيها وبعث الى بهاء الدولة فى الصلح فصالحه وزاد فى أقطاعه ثم بعث بهاء الدولة العساكر للقائه وسار الى الاهواز وزحف اليها ابن واصل ومعه بدر بن حسنويه فبعث بهاء الدولة الوزير بالبطيحة فهزمه الوزير ثانية فمضى مع حسان بن محال الخفاجى الكوفى وملك الى الكوفة وملك البصرة وسار ابن واصل الى دجلة قاصدا بدر بن حسنويه فبلغ جامعين فأنزله أصحاب بدر وكان أصحاب أبى الفتح بن عنان قريبا منهم فكبسه وجاء به الى بغداد فبعثه عميد الجيوش الى بهاء الدولة فقتله سنة ست وتسعين كما مر فى أخبار الدولة

(وفاة مهذب الدولة وولاية ابن اخته عبد الله بن نسى)

ثم توفى مهذب الدولة عبد الله بن على بن نصر فى جمادى سنة ثمان وأربعمائة وكان ابن أخته أبو عبد الله محمد بن نسى قائما بأموره ومرشحا للولاية مكانه وقد اجتمع عليه الجند واستحلفهم لنفسه وبلغه قبل وفاة خاله أن ابنه أبا الحسن أحمد داخل بعض الجند فى البيعة له بعد أبيه فاستدعاه وحمله اليه الجند فقبض عليه ودخلت اليه أمه فخبرته الخبر فلم يزد على الاسف له وتوفى مهذب الدولة من الغد وولى أبو محمد بن نسى

مكانه وقتل أبو الحسين ابن خاله لثلاث من وفاة أبيه

(وفاة ابن نسى وولاية السرانى)

ثم توفى أبو عبد الله محمد بن نسى لثلاثة أشهر من ولايته واتفق الجند على ولاية أبى محمد الحسين بن بكر السرانى من خواص مهذب الدولة فولوه عليهم وبذل لسلطان الدولة ملك بغداد مالا فأقره على ولايته

(نكبة السرانى وولاية صدقة المازيارى)

وأقام أبو محمد السرانى على البطيحة الى سنة عشر وأربعمائة وبعث سلطان الدولة صدقة بن فارس المازيارى فنكبه وملك البطيحة وبقى عنده أسيرا الى أن توفى صدقة وخلص على ما نذكر

(وفاة صدقة وولاية سابور بن المرزبان)

ثم توفى صدقة بن فارس المازيارى فى محرم لثنتى عشرة سنة من ولايته وكان سابور بن المرزبان بن مردان قائد جيشه وكان أبو الهيجاء محمد بن عمران بن شاهين قد تنقل بعد موت أبيه فى البلاد بمصر وعند بدر بن حسنويه حتى استقر عند الوزير أبى غالب ونفق عنده بما كان لديه من الادب

(عزل سابور وولاية أبى نصر)

ثم ان أبا نصر بن مردان زاد فى المقاطعة ولم يبلغها سابور وتخلى عن الولاية وفارق البطيحة الى جزيرة بنى دبيس واستقر أبو نصر فى ولايتها ثم عادت الى أبى عبد الله الحسين بن بكر السرانى

(عصيان أهل البطيحة على أبى كاليجار)

وبعث أبو كاليجار سنة ثمان عشرة وزيره أبا محمد بن بابهشاد الى البطيحة ومقدمها يومئذ أبو عبد الله الحسين بن بكر السرانى فعسف بالناس فى أموالهم وقسط عليهم مقادير تؤخذ منهم فانجلوا الى البلاد وعزم الباقون على قتل السرانى ونما الخبر الى السرانى فجاء اليهم واعتذر اليهم وأوعدهم بالمساعدة وأشار عليه الوزير باصلاح السفن حتى زحزحها بحيث لا يتمكن منها ثم وثبوا به فأخرجوه وكان عندهم جماعة من عسكر جلال الدولة محبوسين فأخرجوهم واستعانوا بهم وعادوا الى الامتناع الذى كانوا عليه ايام مهذب الدولة فتم لهم ذلك ثم جاء ابن العبرانى فغلب على البطيحة وأخرج منها السرانى فلحق بمزيد بن مزيد وأقام بها ابن العبرانى سنة ثلاث وثلاثين

فزحف

فزحف اليه أبو نصر بن الهيثم فغلبه عليها ونهبها واستقر فى ملكها على مال يؤديه لجلال الدولة

(استيلاء أبى كاليجار على البطيحة)

ولما كانت سنة تسع وثلاثين بعث أبو كاليجار أبا الغنائم أبا السعادات الوزير فى عسكر لحصار البطيحة فحاصرها وبها أبو منصور بن الهيثم حتى جنح الى الصلح واستأمن نفر من أصحابه الى أبى الغنائم وأخبروه بضعفه وعزمه على الهرب فحفظ عليه الطرق ولما كان شهر صفر من السنة واقعهم أبو الغنائم فظفر بهم وقتل من أهل البطيحة خلقا كثيرا وغرقت منهم سفن متعددة وتفرقوا فى الآجام وركب ابن الهيثم السفن ناجيا بنفسه وأحرقت داره ونهب ما فيها

(ولاية مهذب الدولة بن أبى الخير على البطيحة)

ثم كان بعد ذلك لبنى أبى الخير ولاية على البطيحة فيما قبل المائة الخامسة وما بعدها ولا أدرى ممن هؤلاء بنو أبى الخير الا أن ابن الاثير قال كان اسمعيل ولقبه المصطنع ومحمد ولقبه المختص هما ابنا أبى الخير ولهما رياسة قومهما وهلك المختص وقام مكانه ابنه مهذب الدولة ونازع ابن الهيثم صاحب البطيحة الى أن غلبه مهذب الدولة أيام كوهرايين الشحنة ببغداد وكان بنو عمه وعشيرته تحت حكمه وأقطع السلطان محمد سنة خمس وتسعين وخمسمائة مدينة واسط لصدقة بن مزيد صاحب البطيحة والحلة فضمنها منه مهذب الدولة أحمد بن أبى الخير صاحب البطيحة وفرق أولاده فى الاعمال وطالبه صدقة بالاموال وحبسه وضمن حماد ابن عمه واسط وكان مهذب الدولة يصانع حماد ابن عمه اسمعيل ويداريه وحماد يطمح الى رياسته فلما هلك كوهرايين نازع حماد مهذب الدولة ابن عمه واجتهد مهذب الدولة فى اصلاحه فلم يقدر فجمع النفيس بن مهذب الدولة فهرب حماد الى صدقة مستجيشا به فعاد بالجيش وحاربه مهذب الدولة وزاده صدقة المدد فانهزم مهذب الدولة وهلك أكثر عسكره وقوى طمع حماد واستمد صدقة فامده بالعساكر مع مقدم جيشه حميد بن سعيد وبعث مهذب الدولة لصاحب الجيش بالاقامات والصلات فمال اليه وأصلح ما بينه وبين صدقة وبعث مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وكان ذلك أعوام الثلاثين

(ولاية نصر بن النفيس والمظفر بن حماد من بعده على البطيحة)

ثم كان انتقاض دبيس بن صدقة أيام المسترشد والسلطان محمود وكان البرسقى شحنة

بغداد فانتزع السلطان البطيحة من يد دبيس وأقطعها الى سحان الخادم مولاه فولى عليها نصر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن محمد بن أبى الخير وأمر السلطان محمود البرسقى بالمسير لقتال دبيس فاحتشد وسار لذلك ومعه نصر بن النفيس صاحب البطيحة وابن عمه المظفر بن حماد بن اسمعيل بن أبى الخير وبينهما من العداوة المتوارثة ما كان بين سلفهما والتقى البرسقى ودبيس وهزمه دبيس وجاءت العساكر منهزمة وبقى نصر بن النفيس وابن عمه حماد عند ساباط نهر فقتله ولحق بالبطيحة فملكها وبعث الى دبيس بطاعته وبعث دبيس الى الخليفة يصانعه بالطاعة على البعد وبلغ الخبر الى السلطان محمود فقبض على منصور بن صدقة أخى دبيس وولده فكحلهما فاستشاط دبيس وساء أثره فى البلاد وبعث الى أحيائه بواسط فمنعهم الاتراك الذين بها فبعث مهلهل بن أبى العسكر مقدم عساكره فى جيش وكتب الى المظفر بن حماد صاحب البطيحة بمعاضدته على قتال واسط فتجهز وأصعد وعاجل مهلهل الحرب قبل وصوله فهزمه أهل واسط وغنموا ما معه وكان فى جملتها بخط دبيس وصار معهم وساءت آثار دبيس فى البلاد ولم يزل حال البطيحة على ذلك ثم صار أمرها لبنى معروف وأجلاهم الخلفاء عنها

(اجلاء بنى معروف من البطيحة)

كان بنو معروف هؤلاء أمراء بالبطيحة فى آخر المائة السادسة ولا أدرى ممن هم فلما استجمع للخلفاء أمرهم وخرجوا عن استبداد ملوك السلجوقية واقتطعوا الاعمال من أيديهم شيأ فشيأ فصار لهم الحلة والكوفة وواسط والبصرة وتكريت وهيت والانبار والحديثة وجاءت دولة الناصر وبنو معروف على البطيحة وكبيرهم معلى قال ابن الاثير وهم قوم من ربيعة كانت غربى الفرات تحت سورا وما يتصل بها من البطائح وكثرت اذاياتهم وافسادهم فى النواحى وبلغت الشكوى بهم الى الديوان فأمر الخليفة الناصر معد الشريف متولى بلاد واسط أن يسير الى قتالهم فاستعد لذلك وجمع من سائر تلك الاعمال فسار اليهم سنة ست عشرة بالعير من بلاد البطيحة وفشا القتل بينهم ثم انهزم بنو معروف وتفرقوا بين القتل والاسر والغرق واستبيحت أموالهم وانتظمت البطيحة فى أعمال الناصر ولم يبق بها ملك ولا دولة

{الخبر عن دولة بنى حسنويه من الاكراد القائمين بالدعوة العباسية}
{بالدينور والصامغان ومبدا أمورهم وتصاريف أحوالهم}

كان حسنويه بن الحسين الكردى من طائفة الاكراد يعرفون بالبرزنكاس وعشيرة منهم يسمون الدويلتية وكان مالكا قلعة سرباج وأميرا على البرزفكان وورث الملك عن خاليه ونداد وغانم ابنى أحمد بن على وكان صنفهما من الاكراد يسمون العبابية

وغلبا على أطراف الدينور وهمذان ونهاوند والصامغان وبعض نواحى اذربيجان الى حدود شهرزور فملكاها نحوا من خمسين سنة ولكل واحد منهما ألوف من العساكر وتوفى ونداد بن أحمد سنة تسع وأربعين وقام مقامه ابنه أبو الغنائم عبد الوهاب الى أن أسره الشاذنجان من طوائف الاكراد وسلموه الى حسنويه فأخذ قلاعه وأملاكه وتوفى غانم سنة خمسين وثلثمائة فقام ابنه أبو سالم دسيم مكانه بقلعة قسنان الى أن أزاله أبو الفتح بن العميد واستصفى قلاعه المسماة بستان وغانم أفاق وغيرهما وكان حسنويه حسن السيرة ضابطا لامره وبنى قلعة سرماج بالصخور المهندسة وبنى بالدينور جامعا كذلك وكان كثير الصدقة للحرمين ولما ملك بنو بويه البلاد واختص ركن الدولة بالرى وما يليه كان شيعة ومددا على عدوه فكان يرعى ذلك ويغضى عن أموره الى أن وقعت بين ابن مسافر من قواد الديلم وكبارهم وقعة هزمه فيها حسنويه وتحصن بمكان فحاصره فيه وأضرمه عليه نارا فكاد يهلك ثم استأمن له فغدر به وامتعض لذلك ركن الدولة وأدركته نغرة العصبية وبعث وزيره أبا الفضل بن العميد فى العساكر سنة تسع وخمسين فنزل همذان وضيق على حسنويه ثم مات أبو الفضل فصالحه ابنه أبو الفتح على مال ورجع عنه

(وفاة حسنويه وولاية ابنه بدر)

ثم توفى حسنويه سنة تسع وستين وافترق ولده على عضد الدولة لقتال أخيه مجد وفخر الدولة وكانوا جماعة أبو العلاء وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك وكان بختيار بقلعة سرماج ومعه الاموال والذخائر فكاتب عضد الدولة ورغب فى طاعته ثم رغب عنه فسير اليه عضد الدولة جيشا وملك قلعته وغيرها من قلاعهم ولما سار عضد الدولة لقتال أخيه فخر الدولة وملك همذان والرى وأضافهما الى أخيه مؤيد الدولة ولحق فخر الدولة بقابوس بن وشمكير عرج عضد الدولة الى ولاية حسنويه الكردى فافتتح نهاوند والدينور وسرماج وأخذ ما فيها من ذخائره وكانت جليلة المقدار وملك معها عدة قلاع حسنويه ووفد عليه أولاد حسنويه فقبض على عبد الرزاق وأبى العلاء وأبى عدنان واصطنع من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه وخلع عليه وولاه على الاكراد وقواه بالرجال فضبط ملك النواحى وكف عادية الاكراد بها واستقام أمره فحسده أخواه وأظهر عاصم وعبد الملك منهم العصيان وجمعا الاكراد المخالفين وبعث عضد الدولة العساكر فأوقعوا بعاصم وهزموه وجاؤا به اسيرا الى همذان ولم يوقف له بعد ذلك على خبر وذلك سنة سبعين وقتل جميع أولاد حسنويه

وأقر بدرا على عمله

* (حروب بدر بن حسنويه وعساكر مشرف الدولة) *

ولما توفي عضد الدولة وملك ابنه صمصام الدولة ثار عليه أخوه مشرف الدولة بفارس ثم ملك بغداد وكان فخر الدولة بن ركن الدولة قد عاد من خراسان الى مملكة اصفهان والري بعد وفاة أخيه مؤيد الدولة ووقع بينه وبين مشرف الدولة فكان مشرف الدولة يحقد عليه فلما استقر ببغداد وانتزعها من يد صمصام الدولة وكان قائده قراتكين الجهشاري مدلا عليه متحكما في دولته وكان ذلك يثقل على مشرف الدولة جهزه في العساكر لقتال بدر بن حسنويه يروم احدى الراحتين فسار الى بدر سنة سبع وسبعين ولقيه على وادي قرميسين وانهزم بدر حتى توارى ولم يتلقوه ونزلوا في خيامه ثم كر بدر وأعجلهم عن الركوب وقتل فيهم واحتوى على ما معهم ونجا قراتكين في فل الى جسر النهروان فلحق به المنهزمون ودخل بغداد واستولى بدر على أعمال الجبل وقويت شوكته واستفحل أمره ولم يزل ظاهرا عزيزا وقلد من ديوان الخلافة سنة ثمان وثمانين أيام السلطان بهاء الدولة ولقب ناصر الدولة وكان كثير الصدقات بالحرمين وكثير الطعام للعرب بالحجاز لخفارة الحاج وكف أصحابه من الاكراد عن افساد السابلة فعظم محله وسار ذكره

* (مسير ابن حسنويه لحصار بغداد مع أبي جعفر بن هرمز) *

كان أبو جعفر الحجاج بن هرمز نائبا بالعراق عن بهاء الدولة ثم عزله فدال منه بابي علي ابن أبي جعفر أستاذ هرمز وتلقب عميد الجيوش فأقام أبو جعفر بنواحي الكوفة وقاتل عميد الجيوش فهزمه العميد ثم جرت بينهما حروب سنة ثلاث وستين وأقاما على الفتنة والاستنجاد بالعرب من بني عقيل وخفاجة وبني أسد وبهاء الدولة مشتغل بحرب ابن واصل في البصرة واتصل ذلك الى سنة سبع وتسعين وكان ابن واصل قد قصد صاحب طريق خراسان وهو قلج ونزل عليه واجتمعا على فتنة عميد الجيوش وتوفي قلج هذه السنة فولى عميد الجيوش مكانه أبا الفتح محمد بن عنان عدو بدر بن حسنويه ونحل الاكراد المسامي لبدر في الشؤن وهو من الشاذنجان من طوائف الاكراد وكانت حلوان له فغضب لذلك بدر ومال الى أبي جعفر وجمع له الجموع من الاكراد مثل الامير هندي بن سعدي وأبي عيسى سادي بن محمد وورام بن محمد وغيرهم واجتمع له معهم على ابن مزيد الاسدي وزحفوا جميعا الى بغداد ونزلوا على فرسخ منها ولحق أبو الفتح بن عنان بعميد الجيوش وأقام معه ببغداد حاميا ومدافعا الى أن وصل الخبر بهزيمة ابن

واصل

واصل وظهور بهاء الدولة عليه فأجفلوا عن بغداد وسار أبو جعفر الى حلوان ومعه أبو عيسى وراسل بهاء الدولة ثم سار ابن حسنويه الى ولاية رافع بن معن من بني عقيل يجتمع مع بني المسيب في المقلد وعاث فيها لانه كان آوى أبا الفتح بن عنان حين أخرجه بدر من حلوان وقرميسين واستولى عليها فأرسل بدر جيشا الى أعمال رافع بالجناب ونهبوها وأحرقوها وسار أبو الفتح بن عنان الى عميد الجيوش ببغداد فوعده النصر حتى اذا فرغ بهاء الدولة من شان ابن واصل وقتله أمر عميد الجيوش بالمسير الى بدر بن حسنويه لاعانته على بغداد وامداده ابن واصل فسار لذلك ونزل جند نيسابور وبعث اليه بدر في الصلح على أن يعطيه ما أنفق على العساكر فحمل اليه ورجع عنه

* (انتقاض هلال بن بدر بن حسنويه على أبيه وحروبهما) *

كانت أم هلال هذا من الشاذنجان رهط أبي الفتح بن عنان وأبي الشوك بن مهلهل واعتزلها أبوه لاول ولادته فنشأ مبعدا عن أبيه واصطفى بدر ابنه الآخر أبا عيسى وأقطع هلالا الصامغان فأساء مجاورة ابن المضاضي صاحب شهرزور وكان صديقا لبدر فنهاه عن ذلك فلم ينته وبعث ابن المضاضي يتهدده فبعث اليه أبوه بالوعيد فجمع وقصد ابن المضاضي وحاصره في قلعة شهرزور حتى فتحها وقتل ابن المضاضي واستباح بيته فاتسع الخرق بينه وبين أبيه واستمال أصحاب أبيه بدر وكان بدر ناسكا فاجتمعوا الى هلال وزحف لحرب أبيه والتقيا على الدينور وانهزم بدر وحمل أسيرا الى ابنه هلال فرده الى قلعته للعبادة وأعطاه كفايته بعد أن ملك الحصن الذي تملكه بما فيه فلما استقر بدر بالقلعة حصنها وأرسل الى أبي الفتح بن عنان والى أبي عيسى سادي بن محمد باستراباذ وأغراهما بأعمال هلال فسار أبو الفتح الى قرميسين وملكها وأساء الديلم فأتبعه هلال اليها ووضع السيف في الديلم وأمكنه ابن رافع من أبي عيسى فعفا عنه وأخذه معه وأرسل بدر من قلعته يستنجد بهاء الدولة فبعث اليه الوزير فخر الملك في العساكر وانتهى الى سابور خواست واستشار هلال أبا عيسى بن سادي فأشار عليه بطاعة بهاء الدولة والا فالمطاولة وعدم العجلة باللقاء فاتهمه وسار الى العسكر ليلا فكبسه وركب فخر الملك في العساكر وثبت فبعث اليه هلال باني انما جئت للطاعة ولما عاين بدر رسوله طرده وأخبر الوزير أنها خديعة فسر بذلك وانتفت عنه الظنة ببدر وأمر العساكر بالزحف فلم يكن بأسرع من مجيء هلال أسيرا فطلب منه تسليم القلعة لبدر فأجاب على أن لا يمكن أبوه منه واستأمنت أمه ومن معها بالقلعة فأمنهم الوزير وملك القلعة وأخذ ما فيها من الاموال يقال أربعون ألف بدرة دنانير وأربعمائة ألف

بدرة دراهم سوى الجواهر والثياب والسلاح وسلم الوزير فخر الملك القلعة لبدر وعاد الى بغداد

(استيلاء ظاهر بن هلال على شهرزور)

كان بدر بن حسنويه قد نزل عن شهرزور لعميد الجيوش ببغداد وأنزل بها نوبه فلما كانت سنة أربع وأربعمائة وكان هلال بن بدر معتقلا سار ابنه ظاهر الى شهرزور وقاتل عساكر فخر الملك منتصف السنة وملكها من أيديهم وأرسل اليه الوزير يعاتبه ويأمره باطلاق من أسر من أصحابه ففعل وبقيت شهرزور بيده

(مقتل بدر بن حسنويه وابنه هلال)

ثم سار بدر بن حسنويه أمير الجبل الى الحسين بن مسعود الكردى ليملك عليه بلاده وحاصره بحصن كوسجة وأطال حصاره فغدر أصحاب بدر وأجمعوا قتله وتولى ذلك الجورقان من طوائف الاكراد فقتلوه وأجفلوا فدخلوا فى طاعة شمس الدولة بن فخر الدولة صاحب همذان وتولى الحسين بن مسعود تكفين بدر ومواراته فى مشهد على ولما بلغ ظاهر بن هلال مقتل جده وكان هاربا منه بنواحى شهرزور رجا الطلب ملكه فقاتله شمس الدولة فهزمه وأسره وحبسه بهمذان واستولى على بلاده وصار الكرية والشاذنجان من الاكراد فى طاعة أبى الشوك وكان أبوه هلال بن بدر محبوسا عند سلطان الدولة ببغداد فأطلقه وجهز معه العساكر ليستعيد بلاده من شمس الدولة فسار ولقيه شمس الدولة فهزمه وأسره وقتله ورجعت العساكر منهزمة الى بغداد وكان فى ملك بدر سابورخواست والدينور وبدرحرد ونهاوند واستراباذ وقطعة من أعمال الاهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات وكان عادلا كثير المعروف عظيم الهمة ولما هلك هو وابنه هلال بقى حافده ظاهر محبوسا عند شمس الدولة بهمذان

(مقتل ظاهر بن هلال واستيلاء أبى الشوك على بلادهم ورياستهم)

كان أبو الفتح محمد بن عنان أمير الشاذنجان من الاكراد وكانت بيده حلوان وأقام عليها أميرا وعلى قومه عشرين سنة وكان يزاحم بدر بن حسنويه وبنيه فى الولايات والاعمال بالجبل وهلك سنة احدى وأربعمائة وقام مكانه ابنه أبو الشوك وطلبته العساكر من بغداد فقاتلهم وهزموه فامتنع بحلوان الى أن أصلح حاله مع الوزير فخر الملك لما قدم العراق بعد عميد الجيوش من قبل بهاء الدولة ثم ان شمس الدولة بن فخر الدولة ابن بويه أطلق ظاهر بن هلال بن بدر من محبسه بعد أن استحلفه على الطاعة وولاه على

قومه

قومه وعلى بلاده بالجبل وأبو الشوك صاحب حلوان والسهل وبينهما المنافسة القديمة فجمع ظاهر وحارب أبا الشوك فهزمه وقتل سعدى بن محمد أخاه ثم جمع ثانية فانهزم أبو الشوك أيضا وامتنع بحلوان وملك ظاهر عامة البسيط وأقام بالنهروان ثم تصالحا وتزوج ظاهر أخت أبى الشوك فلما أمنه ظاهر وثب عليه أبو الشوك فقتله بثأر أخيه سعدى ودفنه أصحابه بمقابر بغداد وملك سائر الاعمال ونزل الدينور ولما استولى علاء الدولة بن كاكويه على همذان سنة أربع عشرة عندما هزم عساكر شمس الدولة بن بويه واستبد عليه سار الى الدينور فملكها من يد أبى الشوك ثم الى سابورخواست وسائر تلك الاعمال وسار فى طلب أبى الشوك فأرسل اليه مشرف الدولة سلطان بغداد وشفع فيه فعاد عنه علاء الدولة ولما زحف الغز الى بلاد الرى سنة عشرين وأربعمائة وملكوا همذان وعاثوا فى نواحيها الى استراباذ وقرى الدينور خرج اليهم أبو الفتح بن أبى الشوك وقاتلهم فهزمهم وأسر منهم جماعة ثم عقد الصلح معهم على اطلاق أسراهم ورجعوا عنه ثم استولى أبو الشوك سنة ثلاثين على قرميسين من أعمال الجبل وقبض على صاحبها من الاكراد الترهية وسار أخوه الى قلعة أرمينية فاعتصم بها من أبى الشوك وكانت لهم مدينة خولنجان فبعث اليها عسكرا فلم يظفروا وعادوا عنها ثم جهز آخر وبعثهم ليومهم يسابقون جندهم ومروا بارمينية فنهبوا ربضها وقاتلوا من ظفروا به وأتوا الى خولنجان فكبسوها على حين غفلة واستأمن اليهم أهلها وتحصن الحامية بقلعة وسط البلد فحاصروها وملكوها عليهم فى ذى القعدة من السنة

(الفتنة بين أبى الفتح بن أبى الشوك وعمه مهلهل)

كان أبو الفتح بن أبى الشوك نائبا عن أبيه بالدينور واستفحل بها وملك قلاعا عدة وحمى أعماله من الغز فأعجب بنفسه ورأى التفوق على أبيه وسار فى شعبان سنة احدى وثلاثين الى قلعة بلكور وهى من قلاع الاكراد وصاحبها غائب وبها زوجته فراسلت مهلهلا لتسلم له القلعة نكاية لابى الفتح وكانت حلة مهلهل فى نواحى الصامغان فانتظر حتى عاد أبو الفتح عن القلعة وجهز العساكر لحصارها وسار اليها أبو الفتح فورى له عن قصده ورجع فأتبعه أبو الفتح فقاتله عمه مهلهل ثم ظفر به وأسره وحبسه وجمع أبو الشوك وقصد شهرزور وحاصرها ثم قصد بلاد مهلهل وطال الامر ولج مهلهل فى شأنه وأغرى علاء الدولة بن كاكويه ببلاد أبى الفتح فملك عليه الدينور وقرميسين سنة اثنتين وثلاثين ثم سار أبو الشوك الى دقوقا وقدم اليها ابنه سعدى فحاصرها وجاء على أثره فنقبوا سورها وملكها عنوة ونهب بعض البلد وأخذت أسلحة الاكراد وثيابهم وأقام أبو

الشوك بها ثم بلغه أن أخاه سرخاب بن محمد قد أغار على مواضع من ولايته فخاف على البندنيجين ورجع وبعث الى جلال الدولة سلطان بغداد يستنجده فبعث اليه العساكر وأقاموا عنده وسار مهلهل الى علاء الدولة بن كاكويه يستصرخه على أخيه أبي الشوك على الاعتصام بقلعة السيروان ثم بعث الى علاء الدولة يعرض له بالرجوع الى جلال الدولة صاحب بغداد فصالحه على أن يكون الدينور لعلاء الدولة ورجع عنه ثم سار أبو الشوك الى شهرزور فحاصرها وعاث في سوادها وحصر قلعة بيرازشاه فدافعه أبو القاسم بن عياض عنها ووعده بخلاص ابنه أبي الفتح من أخيه مهلهل فسار من شهرزور الى نواحي سند من أعمال أبي الشوك ولما بعث اليه ابن عياض بالصلح مع أخيه أبي الشوك امتنع فسار أبو الشوك من حلوان الى الصامغان ونهب ولاية مهلهل كلها وأجفل مهلهل بين يديه ثم تردد الناس بينهما في الصلح وعاد عنه أبو الشوك

(استيلاء ينال أخي طغرلبك على ولاية أبي الشوك)

ثم سار ابراهيم ينال بأمر أخيه طغرلبك من كرمان الى همذان فملكها ولحق كرشاسف ابن علاء الدولة بالاكراد الجورقان وكان أبو الشوك حينئذ بالدينور ففارقها الى قرميسين وملكها ينال وسار في اتباعه الى قرميسين ففارقها الى حلوان وترك كل من في عسكره من الديلم والاكراد الشاذنجان وسار اليها ينال وملكها عليهم عنوة واستباحها وفتك في العسكر ولحق فلهم بأبي الشوك في حلوان فقدم أهله وذخيرته الى قلعة السيروان وأقام ثم سار ينال الى الصيمرة فملكها ونهبها وأوقع بالاكراد المجاورين لها في الجورقان فانهزموا وكان عندهم كرشاسف بن علاء الدولة فلحق ببلد شهاب الدولة وشرد أهلها في البلاد ووصل اليها ينال آخر شعبان فملكها وأحرقها وأحرق دار أبي الشوك وسارت طائفة من الغز في اثر جماعة منهم فأدركوهم بخانقين فغنموا ما معهم وانتشر الغز في تلك النواحي وتراسل أبو الشوك وأخوه مهلهل وكان ابنه أبو الفتح قد مات في سجن مهلهل فبعث مهلهل ابنه وحلف له أنه لم يقتله وان شئت فاقتل أبا الغنائم بثاره فتقبل ورضي واصطلحا على دفاع ينال عن أنفسهما وكان أبو الشوك قد أخذ سرخاب أخوه ما عدا قلعة دور بلونه وتقاطعا لذلك فسار سرخاب الى البندنيجين وبها سعدي بن أبي الشوك ففارقها سعدي الى ابله ونهبها سرخاب

(وفاة أبي الشوك وقيام أخيه مهلهل مقامه)

ثم توفي أبو الشوك فارس بن محمد سنة سبع وثلاثين بقلعة السيروان من حلوان وقام

مقامه

مقامه أخوه مهلهل واجتمع اليه الاكراد مائلين اليه عن ابن أخيه سعدي بن أبي الشوك فلحق سعدي بينال أخي طغرلبك يستدعيه لملك البلاد ولما استولى مهلهل بعد موت أخيه أبي الشوك وكان ينال عندما غدا من حلوان ولى على قرميسين بدر ابن طاهر بن هلال بن بدر بن حسنويه فسار اليها مهلهل سنة ثمان وثلاثين فهرب بدر عنها وملكها وبعث ابنه محمدا الى الدينور وبها عساكر ينال فهزمهم وملكها

(استيلاء سعدي بن أبي الشوك على أعمالهم بدعوة السلجوقية)

ولما ملك مهلهل بعد أخيه أبي الشوك تزوج بأم سعدي وأهله وأساء معاملة الاكراد الشاذنجان فراسل سعدي ينال وسار اليه بالشاذنجان فبعث معهم عسكرا من الغز سنة تسع وثلاثين فملك حلوان وخطب فيها لابراهيم ينال ورجع الى مايدشت فخالفه عمه مهلهل الى حلوان فملكها وقطع منها خطبة ينال فعاد سعدي الى عمه سرخاب فكبسه ونهب حلله وسير الى البندنيجين جمعا فقبضوا على نائب سرخاب ونهبوها وصعد سرخاب الى قلعة دور بلونة وعاد سعدي الى قرميسين وبعث مهلهل ابنه بدرا الى حلوان فملكها فجمع سعدي وأكثر من الغز وسار فملك حلوان وتقدم الى عمه مهلهل فلحق بتيرازشاه من قلاع شهرزور واستباح الغز سائر تلك النواحي وحاصر سعدي تيرازشاه ومعه أحمد ابن طاهر قائد ينال ونهب الغز حلوان وأراد مهلهل أن يسير الى ابن أخيه فتكاسلوا ثم قطع سعدي البندنيجين لأبي الفتح بن دارم على أن يحاصر معه عمه سرخاب بقلعة دور بلونة فساروا اليها وكانت ضيقة المسلك فدخلوا المضيق فلم يخلصوا وأسر سعدي وأبو الفتح وغيرهما من الاعيان ورجع الغز عن تلك النواحي بعد أن كانوا ملكوها

(نكبة سرخاب واستيلاء ينال على أعمالهم كلها)

ثم ان سرخاب لما قبض سعدي ابن أخيه أبي الشوك غاضبه ابنه أبو العسكر واعتزله وكان سرخاب قد أساء السيرة في الاكراد فاجتمعوا وقبضوا عليه وحملوه الى ينال فاقتلع عينه وطالبه باطلاق سعدي بن أبي الشوك فأطلقه أبو العسكر ابنه واستحلفه على السعي في خلاص أبيه سرخاب فانطلق سعدي واجتمع عليه كثير من الاكراد وسار الى ينال فاستوحش منه وسار الى الدسكرة وكاتب أبا كاليجار بالطاعة ثم سار ابراهيم ينال الى قلعة كلعان وامتنعت عليهم ثم حاصروا قلعة دور بلونة فتقدمت طائفة الى البندنيجين فنهبوها وسار ابراهيم فيها بالنهب والقتل والعقوبة في المصادرة حتى عوتوا وتقدمت طائفة الى الفتح فهرب وترك حلله فعرجوا عليها وأتبعوه فقاتلهم وظفر بهم وبعث مستنجدا فلم ينجدوه فعبر وأمر بنزول حلله الى جانب الغز وكان سعدي بن أبي الشوك

نازلا على فرسخين من باجس فكبسه الغز فهرب وترك حلله وغنمها الغز ونهبوا تلك الاعمال والدسكرة والهارونية وقصر سابور وتقسم أهلها بين القتل والغرق والهلاك بالبرد ووصل سعدى الى دبال وساق منها يابى الاغرد بيس بن مزيد فأقام عنده وحاصر نيال قلعة السيروان وضيق عليها وضربت سراياه فى البلاد وانتهت الى قرب تكريت ثم استأمن أهل قلعة السيروان الى نيال فملكها وأخذ منها ذخيرة سعدى وولى عليها من أصحابه ثم مات صاحب قلعة السيروان وبعث وزيره الى شهرزور فملكها وهرب مهلهل وأبعد فى الهرب وحاصر عسكر نيال قلعة هوازشاه ثم راسل مهلهل أهل شهرزور بالتوثب بالغز الذين عندهم فقتلوهم ورجع قائد نيال ففتك فيهم ثم سار الغز المقيمون بالبندنجين الى نهر سلبلى وقاتلوا أبادلف القاسم بن محمد الجاوانى فهزمهم وظفر بهم وغنم مامعهم وسار فى ذى الحجة جمع من الغز الى بلد على بن القاسم فعاثوا فيها فأخذ عليهم المضيق فأوقع بهم واسترد ماغنموه ولم يزل أحمد بن طاهر قائد نيال محاصرا قلعة تيرازشاه فى شهرزور الى أن دخلت سنة أربعين ووقع الموتان فى عسكره واستمد نيال فلم يمده فرحل عنها الى مايدشير وبلغ ذلك مهلهلا فبعث احد أولاده الى شهرزور فملكها وأجفل الغز من السيروان وسارت عساكر بغداد الى حلوان وحاصروا قلعتها ولم يظفروا فنهبوا مخاف الغز وخربوا الاعمال وسار مهلهل الى بغداد فأنزل أهله وأمواله بها وأنزل حلله على سنة فراسخ منها فسار عسكر من بغداد الى البندنجين وقاتلوا الغز الذين بها فهزمهم الغز وقتلوهم جميعا

(بقية أخبار مهلهل وابن أبى الشوك وانقراض أمرهم)

ثم سار مهلهل أخو أبى الشوك الى السلطان طغرلبك سنة ثلاث وأربعين فأحسن اليه وأقره على اقطاعه السيروان ودقوقا وشهرزور والصامغان وسعى فى أخيه سرخاب وكان محبوسا عنده فأطلقه وسوغه قلعة الماهكى وكانت له فسار اليها وأقطع سعدى ابن أبى الشوك الراندنيين ثم بعثه سنة ست وأربعين فى عسكر من الغز الى نواحى العراق فنزل بمايدشت وسار منها الى أبى دلف الجاوانى فهرب بين يديه وأدركه فنهب أمواله وفلت بنفسه وكان خالد ابن عمه مع الوزير وسطرا بنى على بن معن العقيلى فوفد أولادهم على سعدى يشكون مهلهلا فوعدهم النصر ورجعهم من عنده فاعترضهم أصحاب مهلهل فأسرهم بنو عقيل ففداهم مهلهل وأوقع بهم على تل عكبرا ونهبهم فساروا الى سعدى وهو بسامرا واتبع عمه مهلهلا وظفر به وأسره وأسر مالكا ابنه وردغنائم بنى عقيل ورجع الى حلوان واضطربت بغداد واجتمعت عساكر الملك الرحيم ومعهم أبو الاغر دبيس بن مزيد يسعى عند سعدى فى أبيه وكان ابن سعدى عند

السلطان

السلطان طغرلبك رهينة فرده على أبيه عوضا عن مهلهل وأمره باطلاق مهلهل فامتعض لذلك سعدى وعصى على طغرلبك وسار الى حلوان فامتنعت عليه وأقام يتردد بين رشقباد والبردان وأظهر مخالفة طغرلبك ورجع الى طاعة الملك الرحيم فبعث طغرلبك العساكر مع بدران بن مهلهل الى شهرزور ووجدا براهيم بن اسحق من قواده فأوقعوا به ومضى الى قلعة رشقباد وسار بدر بن مهلهل الى شهرزور ورجع ابراهيم بن اسحق الى حلوان فأقام بها ثم نهض سنة ست وأربعين الى الدسكرة فنهبها واستباحها وسار الى رشقباد وهى قلعة سعدى وفيها ذخيرته وفى القلعة البردان فامتنعت عليه فخرب أعمالها ووهن الديلم فى كل ناحية وبعث طغرلبك أباعلى بن أبى كاليجار صاحب البصرة فى عسكر من الغز الى الاهواز فملكها ونهبها الغز ولقى الناس منهم عيثا بالنهب والمصادرة وأحاطت دعوة طغرلبك ببغداد من كل ناحية وانقرض الاكراد من أعمالهم واندرجوا فى جملة السلطان طغرلبك وتلك الايام نداولها بين الناس والله يؤتى ملكه من يشاء والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لاراد لامره

م

(تم طبع الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله الخبر عن دولة السلجوقية)

o

(فهرسة الجزء الخامس من تاريخ الامام ابن خلدون)

صحيفة

١٦ مقتل

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

٢٧٢ صلح

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

صحيفة

وانتزوا

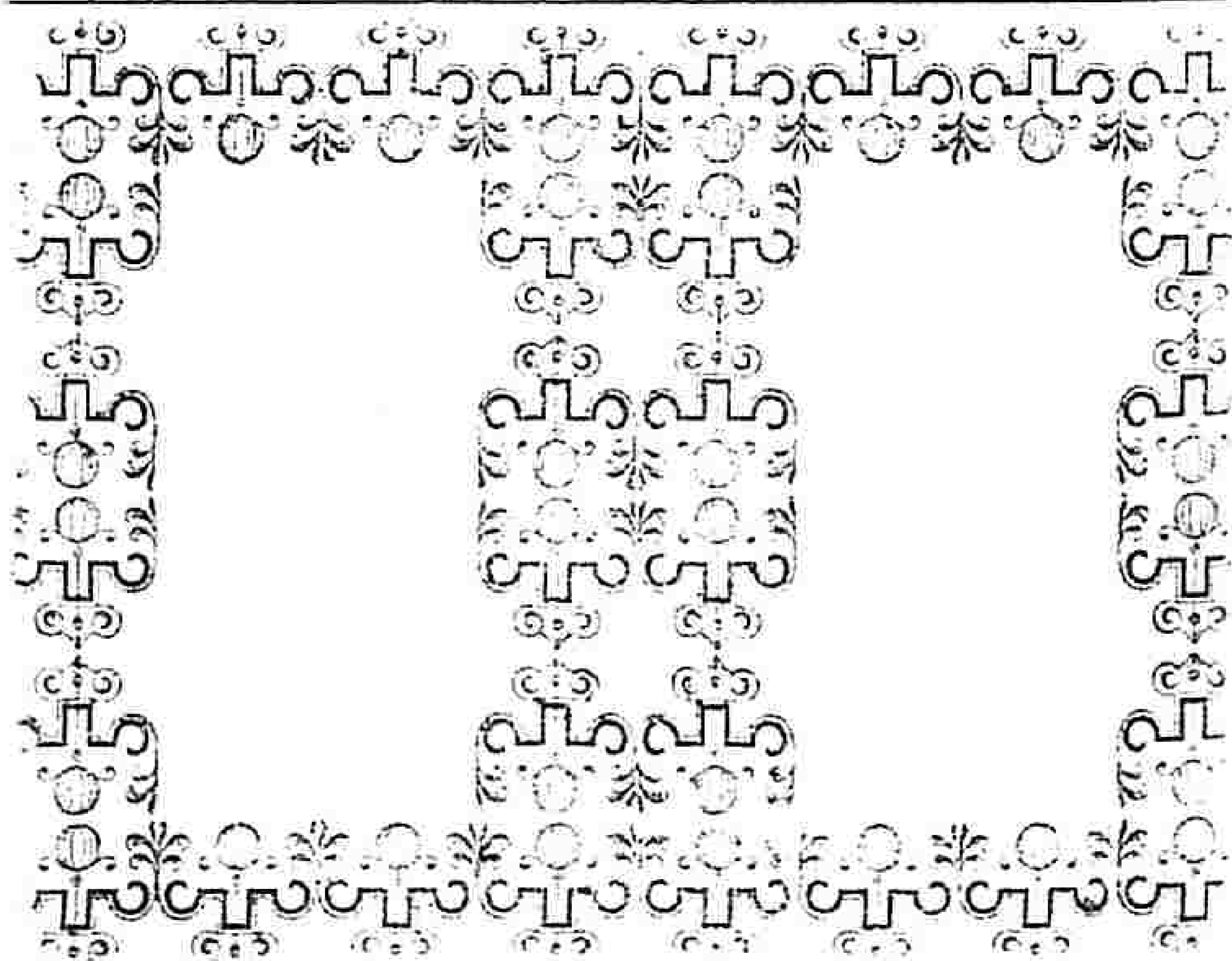
صحيفة



الجزء الخامس

من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر

وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي



بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ودوله بالمشرق كلها الى حدود مصر مستبدين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم الى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء وحجروهم وما تفرع عن دولتهم من الدول

قد تقدم لنا ذكر أنساب الامم والكلام في أنساب الترك وأنهم من ولد كومر بن يافث أحد السبعة المذكورين من بني يافث في التوراة وهم ماواق وماذاي وماغوغ وقطوبال وماشخ وطيراش وعد ابن اسحق منهم ستة ولم يذكر ماذاي وفي التوراة أيضا ان ولد كومر ثلاثة توغرما واشكان وريعات ووقع في الاسرائيليات أن الافرنج من ريعات والصقالبة من اشكان والخزر من توغرما والصحيح عند نسابة الاسرائيليين ان الخزر هم التركمان وشعوب الترك كلهم من ولد كومر ولم يذكر من أي ولده الثلاثة والظاهر أنهم من توغرما وزعم بعض النسابة أنهم من طيراش بن يافث ونسبهم ابن سعيد الى ترك بن غامور بن سويل والظاهر أنه غلط وأن غامور تصحيف كامر

قوله وهم ماواق الخ كذا في النسخ التي بأيدينا ووقع في أول الجزء الثاني ما يخالفه اه مصححه

واما

واما سويل فلم يذكر احد أنه من بني يافث وقد مر ذكر ذلك كله (والترك أجناس) كثيرة وشعوب فنهم الروس والاعلان ويقال ابلان والخفشاخ وهم القفجق والهياطلة والخلج والغز الذين منهم السلجوقية والخطا وكانوا بأرض طمغاج ويمك والقور وتركس وأذكس والططر ويقال الطغرغر وانكر وهم مجاورون للروم واعلم أن هؤلاء الترك أعظم أمم العالم وليس في أجناس البشر أكثر منهم ومن العرب في جنوب المعمور وهؤلاء في شماله قد ملكوا عامة الاقاليم الثلاثة من الخامس والسادس والسابع في نصف طوله مما يلي المشرق فأول مواطنهم من الشرق على البحر بلاد الصين وما فوقها جنوبا الى الهند وما تحتها شمالا الى سد يأجوج ومأجوج وقد قيل انهم من شعوب الترك وآخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالبة المجاورين للافرنج مما يلي رومة الى خليج القسطنطينية وأول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد القور المجاورة للنهر ثم خراسان واذربيجان وخليج القسطنطينية وآخرها من الشمال بلاد مرغانة والشاش وما وراءها من البلاد الشمالية المجهولة لبعدها وما بين هذه الحدود من بلاد غزنة ونهر جيحون وما بحفافيه من البلاد وخوارزم ومفاوز الصين وبلاد القفجق والروس حفافي خليج القسطنطينية من جهة الشمال الغربي قد اعتمر لهذه البسائط منهم أمم لا يحصيهم الا خالقهم رحالة متنقلون فيها منتجعين مساقط الغيث في نواحيه يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم فقروا عليها * ومر بديار بكر وخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وحمل مائة الف دينار لنفقته فلما سمع أنه قبضها من الرعايا ردها عليه ثم مر بناهرو وأمنها واطاف على السور وجعل يمسحه بيده ويتبرك بها على خدوده تبركا بثغر المسلمين ثم مر بالرها وحاصرها فامتنعت عليه ثم سار الى حلب فبعث اليه صاحبها محمود يعول القائد الذي عنده يخبر بطاعته وخطبته ويستعفيه من الخروج اليه متنكرا منه الاذى ويحتج على خير العمل فقال لا بد من خروجه واشتد الحصار فخرج محمود ليلا مع أمه بنت وثاب الهني متطارحا على السلطان فأكرم مقدمها وخلع عليه واعاده الى بلده

(غزاة السلطان ألب ارسلان الى خلاط واسر ملك الروم)

كان ملك الروم بالقسطنطينية لهذا العهد اسمه ارمانوس وكان كثيرا ما يخيف ثغور المسلمين وتوجه في سنة ثنتين وستين في عساكر كثيرة الى الشأم ونزل على مدينة منبج واستباحها وجمع له محمود بن صالح بن مرداس الكلابي وابن حسان الطائي قودهما ومن اليهم من العرب فهزمتهم الروم ثم رجع ارمانوس الى القسطنطينية واحتشد الروم والفرنج والروس والكرخ ومن يليهم من العرب والطوائف وخرج الى بلاد كردمن

قوله ومر بديار بكر الخ غير ملتئم مع ما قبله فلعل المصنف ترك هنا بياضا ولم يلتفت اليه الناسخ كما يظهر لمن تأمل هذا محصل ما كتبه الشيخ العطار اه مصححه

أعمال خلاط وكان السلطان ألبارسلان بمدينة حوف من اذربيجان منقلبا من حلب فبعث بأهله وأثقاله الى همدان مع وزيره نظام الملك وسار هو فى خمسة عشر ألف مقاتل وتوجه نحوهم متهيأ والتقت مقدمته الروس فهزموهم وجاؤا بملكهم أسيرا الى السلطان فجدعه وبعث اسلابهم الى نظام الملك ثم توجه الى سمرقند ففارقها التكير وأرسل فى الصلح ويعتذر عن توسق فصالحه ملك شاه وأقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين مكين الى خراسان ثم الى الرى

(فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله)

كان بكرمان قاروت بك اخو السلطان البارسلان أميرا عليها فلما بلغه وفاة أخيه سار الى الرى لطلب الملك فسبقه اليها السلطان ملك شاه ونظام الملك ومعهما مسلم بن قريش ومنصور بن دبيس وأمراء الاكراد والتقوا على نهرمان فانهزم قاروت بك وجىء به الى أمام سعد الدولة كوهراس فقتله خنقا وأمر كرمان بسير بنيه وبعث اليهم بالخلع وأقطع العرب والاكراد مجازاة لما ابلوا فى الحرب وقد كان السلطان البارسلان شافعا فيه على الخليفة فلقيهم خبر وفاة البارسلان فى طريقهم فرجعوا الى ملك شاه وسبق اليه مسلم بطاعته واما بهاء الدولة منصور بن دبيس فان أباه أرسله بالمال الى ملك شاه فلقيه سائر العرب فشهدها معه ثم توفى اياز أخو السلطان ملك شاه ببلخ سنة خمس وستين فكفله ابنه ملك شاه الى سنة سبع وستين وتوفى القائم منتصف شعبان منها لخمس وأربعين سنة من خلافته ولم يكن له يومئذ ولد وانما كان له حافد وهو المقتدى عبد الله ابن محمد وكان أبوه محمد بن القائم ولى عهده وكان يلقب ذخيرة الدين ويكنى ابا العباس توفى سنة   وعهد القائم لحافده فلما توفى اجتمع اهل الدولة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ ابو اسحق الشيرازى ونقيب النقباء طراد وقاضى القضاة الدامغانى فبايعوه بالخلافة لعهد جده اليه بذلك وأقر فخر الدولة بن جهير على الوزارة وبعث ابنه عميد الدولة الى السلطان ملك شاه لاخذ بيعته والله الموفق للصواب

استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارهم مصر ثم استيلاء تتش ابن السلطان ألبارسلان على دمشق

قد تقدم لنا ملك انسز الرملة وبيت المقدس وحصاره دمشق سنة احدى وستين ثم عاد عنها وجعل يتعاهد نواحيها بالعيث والافساد كل سنة ثم سار اليها فى رمضان سنة سبع وستين وحاصرها ثم عاد عنها وهرب منها أميرها من قبل المستنصر العلوى صاحب

بياض بالاصل

مصر المعلى بن حيدرة لانه كثر عسفه بالجند والرعية وظلمه فثار وا به فهرب الى بانياس ثم الى صور ثم الى مصر فحبس ومات بها محبوسا واجتمعت المصامدة بدمشق وولى عليهم انتصار بن يحيى المصمودى ويلقب نصير الدولة وغلت الاقوات عندهم واضطربوا فعاد اليها انسز فى شعبان سنة ثمان وستين فاستأمنوا اليه وعوض انتصار امنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها فى ذى القعدة وخطب بها للمقتدى ومنع من النداء بحى على خير العمل وتغلب على كثير من مدن الشأم ثم سار سنة تسع وستين الى مصر وحاصرها وضيق عليها واستنجد المنتصر بالبوادى من نواحيها فوعدوه بالنصر وخرج بدر الجمالى فى العساكر التى كانت بالقاهرة وجاء أهل البلاد لميعادهم فانهزم انسز وعساكره ونجا الى بيت المقدس فوجدهم قد   بمخلفه فتحصنوا منه بالمعاقل فافتتحها عليهم عنوة واستباحها حتى قتلهم فى المسجد وقد تقدم ضبط هذا الاسم وأنه عند أهل الشأم انسيس والصحيح انسز وهو اسم تركى ثم ان السلطان ملك شاه اقطع اخاه تتش بن ألبارسلان بلاد الشأم وما يفتحه من تلك النواحى سنة سبعين وأربعمائة فقصد حلب أولا وحاصرها ومعه جموع من التركمان وكان بدر الجمالى المستولى على مصر قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها انسز فبعث الى تتش وهو على حلب يستنجده فسار اليه وأخرت عساكر مصر عنه منهزمين ولما وصل الى دمشق قعد انسز على لقائه وانتظر قدومه فلقيه عند السور وعاتبه على ذلك فتساهل فى العذر فقتله لوقته وملك البلد واستولى على الشأم أجمع كما سيأتى وكان يلقب تاج الدولة ثم سار فى سنة ثنتين وسبعين الى حلب فحاصرها أياما وأفرج عنها وملك مراغة والبيرة وعاد الى دمشق وخالفه مسلم بن قريش الى حلب فملكها كما تقدم فى أخباره وضمنها السلطان ملك شاه فولاه اياها وسار مسلم بن قريش فحاصرها آخر سنة أربع وسبعين ثم أفرج عنها فخرج تتش وقصد طرسوس من الساحل فافتتحها ورجع ثم حاصرها مسلم ثانية سنة تسع وسبعين وبلغه أن تاج الدولة تتش سار الى بلاد الروم غازيا فخالفه الى دمشق وحاصرها معه العرب والاكراد وبعث اليه العلوى صاحب مصر بعده بالمدد وبلغ الخبر الى تتش فكر راجعا وسبقه الى دمشق فحاصرها أياما ثم خرج اليه تتش فى جموعه فهزمه واضطرب أمره ووصله الخبر بانتقاض أهل حران فرحل من مرج الصفر راجعا الى بلاده ثم سار أمير الجيوش من مصر فى العساكر الى دمشق سنة ثمان وسبعين وحاصرها فامتنعت عليه ورجع فلحقوا بأخيه تكش فى   فقوى به وأظهر العصيان واستولى على مرو الروذ ومرو الساهجان وغيرهما وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وبلغ الخبر الى السلطان

بياض بالاصل

بياض بالاصل

فسبقه الى نيسابور فرجع تتش وتحصن بترمذ وحاصره السلطان حتى سأل الصلح وأطلق من كان فى أسره من عسكر السلطان ونزل عن ترمذ وخرج اليه فأكرمه ثم عاود العصيان سنة سبع وسبعين وملك مرو الروذ ووصل قريبا من سرخس وحاصر قلعة هنالك لمسعود ابن الامير فاخر وتحيل أبو الفتوح الطوسى صاحب نظام وهو بنيسابور على ملطفة وضعوها على شبه خط نظام الملك يخاطب فيها صاحب القلعة بأنه واصل فى ركاب السلطان ملكشاه وأنه مصالح للقلعة وتعرض حاملها لاهل العسكر حتى أخذوا كتابه بعد الضرب والعرض على القتل وحدثهم بمثل ما فى الصحيفة وان السلطان وعساكره فى الرى فأجفلوا لوقتهم الى قلعة ربح وخرج أهل الحصن فأخذوا ما فى العسكر وجاء السلطان بعد ثلاثة أشهر فحاصره فى قلعته حتى افتتحها وحده ودفعه الى ابنه أحمد فتسلمه وحبسه فخرجا من بينه معه

(سفارة الشيخ أبى اسحق الشيرازى عن الخليفة)

كان الخليفة المقتدى وكان عميد العراق أبو الفتح بن أبى الليث يسىء معاملة الخليفة فبعث المقتدى الشيخ أبا اسحق الشيرازى الى السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك باصفهان شاكيا من العميد فسار الشيخ لذلك ومعه الامام أبو بكر الشاشى وغيره من الاعيان ورأى الناس عجبا فى البلاد التى يمر بها من اقبال الخلق عليه وازدحامهم على محفته يتمسحون بها ويلثمون أذيالها وينثرون موجودهم عليها من الدراهم والدنانير لاهلها والمصنوعات لاهل الصنائع والبضائع للتجار والشيخ فى ذلك يبكى وينتحب ولما حضر عند السلطان أظهر المحرمة وأجابه الى جميع ما طلبه ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلق بالخليفة وحضر الشيخ مجلس نظام الملك فجرت بينه وبين امام الحرمين مناظرة خبرها معروف

(اتصال بنى جهير بالسلطان ملكشاه ومسير فخر الدولة لفتح ديار بكر)

كان فخر الدولة أبو نصر بن جهير وزير المقتدى قد عزل سنة احدى وسبعين على يد نظام الملك ولحق به ابنه عميد الدولة واسترضاه فرضى نظام الملك وشفع الى الخليفة فاعتمد عميد الدولة دون أبيه كما تقدم فى أخبار الخلفاء ثم أرسل المقتدى سنة أربع وسبعين فخر الدولة الى ملكشاه يخطب له ابنته فسار الى اصبهان وعقد له نكاحها على خمسين ألف دينار معجلة وعاد الى بغداد ثم عزل المقتدى ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين وكانوا قد علقوا بخطة من نظام الملك فبعث عن نفسه وعن ملكشاه يطلب حضور بنى جهير عندهم فساروا بأهليهم فعظمت حظوظهم عند السلطان وعقد لفخر الدولة

على ديار بكر وبعث معه العساكر لفتحها من يد بنى مروان وأذن له فى اتخاذ الآلة وان يخطب لنفسه ويكتب اسمه على السكة فسار فى العساكر السلطانية

(استيلاء ابن جهير على الموصل)

ولما سار فخر الدولة ابن جهير لفتح ديار بكر استنجد ابن مروان مسلم بن قريش وشرط له أمرا وتحالفا على ذلك واجتمعا لحرب ابن جهير وبعث السلطان الامير ارتق بن أكسك فى العساكر مددا لابن جهير فجنح ابن جهير الى الصلح وبادر ارتق الى القتال فهزم العرب والاكراد وغنم معسكرهم ونجا مسلم بن قريش الى آمد وأحاطت به العساكر فلما اشتد مخنقه راسل الامير ارتق فى الخروج على مال بذله له فقبله وكانت له حراسة الطريق فخرج الى الرقة وسار ابن جهير الى ميافارقين وفارقه منصور بن مزيد وابنه صدقة فعاد منها الى خلاط ولما بلغ السلطان انحصار مسلم فى آمد بعث عميد الدولة فى جيش كثيف الى الموصل ومعه آقسنقر قسيم الدولة الذى أقطعه بعد ذلك حلب وساروا الى الموصل فلقيهم أرتق ورجع معهم ولما نزلوا على الموصل بعث عميد الدولة الى أهلها بالترغيب والترهيب فأذعنوا واستولى عليها وجاء السلطان فى عساكره الى بلاد مسلم بن قريش وقد خلص من الحصار وهو مقيم قبالة الرحبة فبعث اليه مؤيد الكتاب ولاطف السلطان واسترضاه ووفد اليه بالقوارح ورده السلطان الى اعماله وعاد لحرب أخيه تتش الذى ذكرناه آنفا

فتح سليمان بن قطلمش انطاكية والخبر عن مقتله ومقتل مسلم
ابن قريش واستيلاء تتش على حلب

كان سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق قد ملك قرسة واقصرا وأعمالها من بلاد الروم الى الشأم وكانت انطاكية بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان ملكها العهد الفردروس فأساء السيرة الى جنده ورعاياه وتنكر لابنه وحبسه فداخل الشحنة فى تمكين سليمان من البلد فاستدعوه سنة سبع وسبعين فركب اليها البحر وخرج الى البر فى أقرب السواحل اليها فى ثلثمائة ألف فارس ورجل كثير وسار فى جبال وأوعار فلما انتهى الى السور وأمكنه الشحنة من تسنم السور دخل البلد وقاتل أهلها فهزمهم وقتل كثيرا منهم ثم عفا عنهم وملك القلعة وغنم من أموالهم مالا يحصى وأحسن الى أهلها وأمرهم بعمارة ما خرب وأرسل الى السلطان ملكشاه بالفتح ثم بعث اليه مسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمل اليه الفردروس ملك انطاكية من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه بتقرير الطاعة للسلطان

وبان الجزية لا يعطيها مسلم فسار مسلم ونهب نواحى انطاكية فنهب سليمان نواحى حلب ثم جمع سليمان العرب والتركمان وسار لنواحى انطاكية ومعه جماهير التركمان وجمع سليمان كذلك والتقيا آخر صفر سنة ثمان وسبعين وانحاز جق الى سليمان فانهزمت العرب وقتل مسلم وسار سليمان بن قطلمش الى حلب وحاصرها فامتنعت عليه وارسل اليه ابن الحثيثى العباسى كبير حلب بالاموال وطالبه أن يمهل حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودس الى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعيه لملكها فجاء لذلك ومعه ارسوس اكسك وكان خائفا على نفسه من السلطان ملك شاه لفعلته فى امر فاستجار بتتش وأقطعه المورس وسار معه لهذه الحرب وبادر سليمان بن قطلمش الى اعتراضهم فهزمهم على تعبية وابلى أرتق فى هذه الحروب وانهزم سليمان وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وبعث الى ابن الحثيثى العباسى فيما استدعاه اليه فاستمهله الى مشورة السلطان ملك شاه واغلظ فى القول فغضب تتش وداخله بعض اهل البلد فتسورها وملكها واستجار ابن الحثيثى بالامير ارتق فأجاره وسمع له

(استيلاء ابن جهير على ديار بكر)

ثم بعث ابن جهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء ابا القاسم الى حصار آمد ومعه جناح الدولة اسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جهدهم الجوع وغدر بعض العامة فى ناحية من سورها ونادى بشعار السلطان واجتمع اليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصارى فبادر زعيم الرؤساء الى البلد وملكها وذلك فى المحرم وكان ابوه فخر الدولة محاصر الميافارقين ووصل اليه سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد بمدد العساكر فاشتد الحصار وسقطت من السور ثلمة فى سادس جمادى فنادوا بشعار السلطان ومنعوا ابن جهير من البلد واستولى على أموال بنى مروان وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء الى السلطان فسار مع كوهراس الى بغداد ثم فارقه الى السلطان باصبهان ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر فحاصرها وقام بعض أهلها بدعوة السلطان وفتحوا مما يليهم بابا قريبا دخل منه العسكر فملكوا البلد وانقرضت دولة بنى مروان من ديار بكر والبقاء لله ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جهير وسار الى الموصل فأقام بها الى أن توفى سنة ثلاث وثمانين

(استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية اقسنقر عليها)

لما ملك تاج الدولة تتش مدينة حلب وكان بها سالم بن ملك بن مران ابن عم مسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تتش سبعة عشر يوما حتى وصل الخبر بقدم أخيه

السلطان ملك شاه وقد كان ابن الحثيثى كتب اليه يستدعيه لما خاف من تتش فسار من اصبهان منتصف تسع وسبعين وفى مقدمته برشق وبدران وغيرهما من الامراء ومر بالموصل فى رجب ثم سار الى هراة وبها ابن الشاطى فملكها وأقطعها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأقطعه معها مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة وخابور وزوجه أخته زليخا خاتون ثم سار الى الرها وافتتحها من الروم وكانوا اشتروها من ابن عطية كما مر وسار الى قلعة جعفر فملكها وقتل من كان بها من بنى قشير وكان صاحبها جعفر أعمى وكان يخيف السابلة هو وولده فأزال ضررهم ثم ملك منبج وعبر الفرات الى حلب فأجفل تتش عن المدينة ودخل ومعه الامير ارتق ورجع الى دمشق فلما وصل السلطان الى حلب ملكها ثم الى القلعة فملكها من سالم بن ملك على أن يعطيه قلعة جعفر فلم تزل بيد عقبه الى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد ثم بعث اليه نصر بن على بن منقذ الكنانى بالطاعة فأقره على شيراز وتسلم منه اللاذقية وبعرطاف وجامية ورجع ثم رجع السلطان بعد أن ولى على حلب قسيم الدولة اقسنقر ورغب اليه أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثى فأخرجه عنهم الى ديار بكر وتوفى بها ثم رجع السلطان الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة من سنته ونزل بدار المملكة وأهدى للخليفة هدايا كثيرة واجتمع بالخليفة ليلا ثم دخل اليه فى مجلسه نهارا وأفيضت عليه الخلع وسلم أمراء السلجوقية على الخليفة ونظام الملك قائم يقربهم واحدا واحدا ويعرف بهم ثم صرح المقتدى للسلطان ملك شاه بالتفويض وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينه وخلع الخليفة على نظام الملك وجاء الى مدرسته التى فيها الحديث وأملى

بياض بالاصل

(خبر الزفاف)

قد قدمنا أن السلطان ملك شاه زوج ابنته من الخليفة المقتدى سنة أربع وسبعين بخطبة الوزير بن جهير فلما كان سنة ثمانين فى المحرم نقل جهازها للزفاف الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى أكثرها ذهب وفضة ومعه ثلاث عماريات ومعها أربع وسبعون بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وقلائدها الذهب وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة مملوأة بالحلى والجواهر ومهد عظيم من ذهب وسار بين يدى الجهاز سعد الدولة كوهراس والامير ارتق وغيرهما من الامراء والناس ينثرون عليهم الدنانير والثياب وبعث الخليفة وزيره أبا شجاع الى زوجة السلطان تركمان خاتون ومعه خادمه ظفر بمحفة لم ير مثلها ومعهم ثلثمائة من الشمع الموكب ومثلها مشاعل واوقدت الشموع فى دكاكين الحريم الخلافى وقال الوزير لخاتون سيدنا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل

الوديعة الى داره فقالت سمعا وطاعة ومشى بين يديها أعيان الدولة مع كل واحد الشمع والمشاعل يحملها الفرسان ثم جاءت المأمون من بعدهم فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر ما لا يحد ويحيط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك على مراكب رائعة وأولم الخليفه وليمة لم يسمع بمثلها ثم أطلع للناس من الغد سماط مائدة عليها أربعون ألفا من السكر وخلع على أعيان العسكر وعلى جميع الحواشى

(استيلاء السلطان ملك شاه على ماوراء النهر)

كان صاحب سمرقند لهذا العهد من الخانية أحمد خان بن خضر خان أخى شمس الملك الذى كان أميرا عليها وعمته خاتون زوجة ملك شاه وكان ردىء السيرة فبعثوا الى السلطان يسألونه الرجوع الى ايالته وجاء بذلك مفتى سمرقند أبو طاهر الشافعى قدم حاجا وأسر ذلك الى السلطان فسار من اصبهان سنة ثنتين وثمانين ومعه رسول الروم بالخراج المقدر عليهم فاستحجم وأحضر للفتح ولما انتهى الى خراسان جمع العساكر وعبر النهر بجيوش لا تحصى وأخذ ما فى طريقه من البلاد ثم انتهى الى بخارى فملكها وما جاورها ثم سار الى سمرقند فحاصرها وأخذ بمخنقها ثم رماها بالمنجنيق وثلم سورها ودخل من الثلمة وملك البلد واختفى أحمد خان ثم جىء به أسيرا فأطلقه وبعث به الى اصبهان وولى على سمرقند أبا طاهر عميد خوارزم وسار الى كاشغر فبلغ الى نوروكن وبعث الى كاشغر بالخطبة وضرب السكة فأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وخلع عليه وأعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان وكان بسمرقند عساكر يعرفون بالحكلية فأرادوا الوثوب بالعميد نائب السلطان فلاطفهم ولحق ببلده خوارزم

(عصيان سمرقند وفتحها ثانيا)* كان مقدم الحكلية بسمرقند اسمه عين الدولة وخاف السلطان لهذه الحادثة فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر وكانت مملكته تعرف بارياسى فاستحضره وملكه ثم شكر له يعقوب وحمل أعداءه من الرعية على طلب الثأر منه وقتله بفتاوى الفقهاء واستبد بسمرقند وسار السلطان ملك شاه اليها سنة ثنتين وثمانين فلما انتهى الى بخارى هرب يعقوب الى فرغانة ولحق بولايته وجاء بعسكره مستأمنين الى السلطان فلقوه بالطواويس من قرى بخارى ووصل السلطان الى سمرقند وولى عليها الامير انز وأرسل العساكر فى طلب يعقوب وأرسل الى ملك كاشغر بالجد فى طلبه وشغب على يعقوب عساكره ونهبوا خزائنه ودخل على أخيه كاشغر مستجيرا به وبعث السلطان فى طلبه منه فتردد بين المخافة والانفة ثم غلب عليه الخوف فقبض على أخيه يعقوب وبعثه مع ابنه وأصحابه الى السلطان وأمرهم أن يسملوه فى طريقه فان قنع السلطان بذلك والا أسلموه اليه فلما قربوا على السلطان وعزموا على سمله

بلغهم الخبر بأن طغرل بن ينال أسرى من ثمانين فرسخا بعساكر لا تحصى فكبس ملك كاشغر وأسره فأطلقوا يعقوب ثم خشى السلطان شأن طغرل بن ينال وكثرة عساكره فرجع على البلد ودس تاج الملك فى استصلاح يعقوب فشفع له ورد الى كاشغر ورد الطغرل ورجع هو الى خراسان ثم قدم الى بغداد سنة أربع وثمانين العزمة الثانية ووجد عليه أخوه تاج الدولة تتش صاحب الشأم وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوران صاحب الرها وعمال الاطراف وأقام صنيع الميلاد ببغداد وتأنق بما لم يعهد مثله وأمر وزيره نظام الملك وأمراءه ببناء الدور ببغداد لنزلهم ورجع الى اصبهان

(استيلاء تتش على حمص وغيرها من سواحل الشأم)

لما قدم السلطان سنة أربع وثمانين وفد عليه أمراء الشأم كما قدمنا فلما انصرفوا من عنده أمر أخاه تاج الدولة تتش أن يذهب دولة العلويين من ساحل الشأم ويفتح بلادهم وأمر اقسنقر وبوران أن يسيرا لانجاده فلما رجعوا الى دمشق سار الى حمص وبها صاحبها ابن ملاعب وقد عظم ضرره وضرر ولده على الناس فحاصرها وملكها ثم سار الى قلعة عرقة فملكها عنوة ثم الى قلعة أفامية فاستأمن اليه خادم كان بها فأرسل الى أمراء تتش فى اصلاح حاله فسدوا عليه المذاهب فأرسل الى وزير اقسنقر يسعى له عند صاحبه وعمل له على ثلاثين ألف دينار ومثلها عروضا فجنح الى مصالحته واختلف مع تتش على ذلك وأغلظ كل منهما لصاحبه فى القول فرحل اقسنقر مغاضبا واضطر الباقون الى الرحيل وانتقض أمرهم

(ملك اليمن)

كان قد حضر عند السلطان ببغداد كما قدمناه عثمان جق أمير التركمان صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان أن يسير فى جموع التركمان للحجاز واليمن فيظهر أمرهم هنالك وفوض الى سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد فولى عليهم أميرا اسمه ترشك وسار الى الحجاز فاستولى عليه وأساء السيرة فيه حتى جاء أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثا منهم ثم ساروا سنة خمس وثمانين الى اليمن وعاثوا فى نواحيه وملكوا عدن وأساؤا السيرة فى أهلها وأهلك ترشك سابع دخولها وأعاده أصحابه الى بغداد فدفنوه بها

(مقتل الوزير نظام الملك)

ثم أوقل السلطان ملك شاه الى بغداد سنة خمس وثمانين فانتهى الى اصبهان فى رمضان وخرج نظام الملك من بيته بعد الافطار عامدا الى خيمته فاعترضه بعض الباطنية

في صورة متظلم فلما استدناه لسماع شكواه طعنه بخنجر فأشواه وعثر الباطني في أطناب الخيام ودخل نظام الملك الخيمة فمات لثلاثين سنة من وزارته واهتاج عسكره فركب اليه السلطان وسكن الناس ويقال ان السلطان ملك شاه وضع الباطني على قتله لما وقع منه ومن بنيه من الدالة والتحكم في الدولة وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين من قتله سنة خمس وسبعين كان بعض حواشي السلطان سعى به فسطا به جمال الدين وقتله فأحقد السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان فقتله خنقا فدس لخادم من خدم جمال الدين بذلك وأنهم اذا تولوا قتله بأنفسهم كان أحفظ لنعمتهم فسقاه الخادم سما ومات وجاء السلطان الى نظام الملك وأغراه به ومازال بطانة السلطان يغضون منه ويحاولون السعاية فيه الى أن ولى حافده عثمان بن جمال الملك على مرو وبعث السلطان اليها كردن من أكابر المماليك والامراء شحنة ووقعت بينه وبين عثمان منازعة في بعض الايام فأهانه وحبسه ثم أطلقه وجاء الى السلطان شاكيا فاستشاط غضبا وبعث فخر الملك البارسلان الى نظام الملك وأغراه به ومازال يقول ان كنت تابعا فقف عند حدك وان كنت شريكي في سلطاني فافعل ما بدا لك وقرر عليه فعل حافده وسائر بنيه في ولاياتهم وأرسل معه تكبرذ من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ويجيبه الآخر فانبسط لسان نظام الملك بعدد الوسائل منه والمدافعة عن السلطان وجمع الكلمة وفتح الامصار في كلام طويل حملته عليه الدالة وقال في آخره ان شاء فله مؤيد مروآتي ومتى أطعت هذه زالت تلك فلما أخذ حذره ثم زاد في انبساطه وقال قولوا عني ما أردتم فان توبيخكم تأفى عضدي ومضى تكبرذ فصدق السلطان الخبر وجاء الآخرون وحاولوا الكتمان فلم يسعهم لما وشى تكبرذ بجلية القول فصدقوه كما صدقه ومات نظام الملك بعدها بقليل ومات السلطان بعده بنحو شهر وكان أصل نظام الملك من طوس من أبناء الدهاقين اسمه أبو علي الحسن بن علي بن اسحق ذهبت نعمة آبائه وماتوا فنشأ يتيما ثم تعلم وحذق في العلوم والصنائع وعلق بالخدم السلطانية في بلاد خراسان وغزنة وبلخ ثم لازم خدمة أبي علي بن شاذان وزير البارسلان ومات ابن شاذان فأوصى به السلطان البارسلان وعرفه كفايته فاستخدمه فقام بالامور أحسن قيام فاستوزره ثم هلك السلطان البارسلان وهو في وزارته ثم استوزره ملك شاه بعد أبيه وكان عالما جوادا صفوحا مكرما للعلماء وأهل الدين ملازما لهم في مجالسه شيد المدارس وأجرى فيها الجرايات الكثيرة وكان يملي الحديث وكان ملازما للصلوات محافظا على أوقاتها وأسقط في أيامه كثيرا من المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر بعد أن فعله الكندري من قبله وحمل عليه السلطان طغرلبك وأجراهم مجرى الرافضة

وفارق امام الحرمين وأبو القاسم القشيري البلاد من أجل ذلك فلما ولى البارسلان حمله نظام الملك على ازالة ذلك ورجع العلماء الى أوطانهم ومناقبه كثيرة وحسبك من عكوف العلماء على مجلسه وتنويههم الدواوين باسمه فعل ذلك امام الحرمين وأشباهه وأما مدارسه فقد بنى النظامية ببغداد وناهيك بها ورتب الشيخ أبا اسحق الشيرازي للتدريس بها وتوفي سنة ست وسبعين فرتب ابنه مؤيد الملك مكانه أبا سعيد المتولي فلم يرضه نظام الملك وولى فيها الامام أبا نصر الصباغ صاحب الشامل ومات أبو نصر في شعبان من تلك السنة فولى أبو سعيد من سنة ثمان وسبعين ومات فدرس بعده الشريف العلوي أبو القاسم الدبوسي وتوفي سنة ثنتين وثمانين وولى تدريسه بعدها أبو عبد الله الطبري والقاضي عبد الوهاب الشيرازي بالنوبة يوما بيوم ثم ولى تدريسها الامام أبو حامد الغزالي سنة أربع وثمانين واتصل حكمها على ذلك وفي أيامه عكف الناس على العلم واعتنوا به لما كان من حسن أثره في ذلك والله أعلم

(وفاة السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود)

ثم لما سار السلطان بعد مقتل نظام الملك الى بغداد ودخلها آخر رمضان وكان معه في الدولة أبو الفضل الهروستاني وزير زوجته الخاتون الجلالية من الملوك الخانية فيما وراء النهر وكان من أشد الناس سعاية في نظام الملك وعزم السلطان أن يستوزره لأول دخوله بغداد فعاقت المنية عن ذلك وطرقه المرض ثالث الفطر وهلك منتصف شوال سنة خمس وثمانين وكانت زوجته تركان خاتون الجلالية عنده في بغداد وابنها محمود غائبا في اصبهان فكتمت موته وسارت بشلوه الى اصبهان وتاج الملك في خدمتها وقدمت بين يديها قوام الدين كربوقا الذي ولى الموصل من بعد وأرسلته بخاتم السلطان الى مستحفظ القلعة فملكها وجاءت على أثره وقد أفاضت الاموال في الامراء والعساكر ودعتهم الى بيعة ولدها محمود وهو ابن أربع سنين فأجابوا الى ذلك وبايعوه وأرسلت الى المقتدر في الخطبة له فأجابها على أن يكون الامير أنز قائما بتدبير الملك ومجد الملك مشيرا وله النظر في الاعمال والجباية فنكرت ذلك أمه خاتون وكان السفير أبا حامد الغزالي فقال لها ان الشرع لا يجيز ولاية ابنك فقبلت الشرط وخطب له آخر شوال سنة خمس وثلاثين وأرسلت تركان خاتون الى اصبهان في القبض على بركيارق فحبس باصبهان وكان السلطان ملك شاه من أعظم ملوك السلجوقية ملك من الصين الى الشام ومن أقصى الشام الى اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ومناقبه عظيمة مشهورة

(منازعة بركيارق لاخيه محمود وانتظام سلطانه)

كان بركيارق أكبر أولاد السلطان ملك شاه وكانت أمه زبيدة بنت ياقوتى بن داود وياقوتى عم ملك شاه ولما حبس بركيارق وخافت عليه أمه زبيدة دست لمماليك نظام الملك فتعصبوا له وكانت خاتون غائبة ببغداد مع ابنها محمود لفقد سلطانه فوثب المماليك النظامية على سلاح لنظام الملك باصبهان وأخرجوا بركيارق من محبسه وخطبوا له وبلغ الخبر الى خاتون فسارت من بغداد وطلب العسكر تاج الملك فى عطائهم فهرب الى قلعة بوجين لينزل منها الاموال وامتنع فيها ونهب العسكر خزائنه وساروا الى اصبهان وقد سار بركيارق والنظامية الى الرى فأطاعه أرغش النظامى فى عساكره وفتحوا قلعة طغرل عنوة وبعثت خاتون العساكر لقتال بركيارق فنزع اليه سبكردو كمشتكين الجاندار وغيرهما من أمراء عساكره ولقيهم بركيارق فهزمهم وسار فى اثرهم الى أصفهان فحاصرهم بها وكان عز الملك بن نظام الملك باصبهان وكان واليا على خوارزم فحضر عند السلطان قبل مقتل أبيه وبقى هنالك بعد وفاة السلطان فخرج الى بركيارق ومعه جماعة من اخوانه فاستوزره بركيارق وفوض اليه الامور كما كان أبوه

(مقتل تاج الملك) وهو أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز كان وزيرا لخاتون وابنها ولما هرب الى قلعة بوجين خوفا من العسكر كما قدمنا وملكت خاتون اصبهان عاد اليها واعتذر بأن صاحب القلعة حبسه فقبلت عذره وبعثته مع العساكر لقتال بركيارق فلما انهزموا حمل أسيرا عنده وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره وكان النظامية ينافرونه ويتهمونه بقتل نظام الملك وبذل فيهم أموالا فلم يغنه ووثبوا به فقتلوه فى المحرم سنة ست وثمانين وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى على محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ أبى اسحق الشيرازى والمدرسة بازائها ورتب بها أبا بكر الشاشى مدرسا

(مهلك محمود) ثم هلك السلطان محمود وهو محاصر باصبهان لسنة من ولايته واستقل بركيارق بالملك

(منازعة تتش بن الب ارسلان وأخباره الى حين انهزامه)

كان تاج الدولة تتش أخو السلطان ملك شاه صاحب الشأم وسار الى لقاء أخيه ملك شاه ببغداد قبيل موته فلقيه خبر موته بهيت فاستولى عليها وعاد الى دمشق فجمع العساكر وبذل الاموال وأخذ فى طلب الملك فبدأ بحلب ورأى صاحبها قسيم الدولة اقسنقر اختلاف ولد ملك شاه وصغرهم فأطاع تاج الدولة تتش وتبعه فى طاعته وبعث الى باغى يسار صاحب انطاكية والى حران صاحب الرها وحران يشير عليهما بمثل ذلك فأجابا وخطبوا لتاج الدولة تتش فى بلادهم وساروا معه الى الرحبة فملكها ثم الى نصيبين

فملكها واستباحها وسلمها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وساروا الى الموصل وقدم عليه الكافى بن فخر الدولة بن جهير من جزيرة ابن عمر فاستوزره وكانت الموصل قد ملكها على بن شرف الدولة مسلم بن قريش وأمه صفية عمة ملك شاه وأطلقت تركمان خاتون عمه ابراهيم فجاء وملك الموصل من يده كما تقدم فى أخبار بنى المقلد فبعث اليه تتش فى الخطبة وأن يهيئ له الطريق الى بغداد فامتنع وزحف لحربه فانهزم العرب وسيق ابراهيم أسيرا الى تتش فى جماعة من أمراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت أموالهم واستولى تتش على الموصل وغيرها واستناب عليها على بن مسلم وهو ابن صفية عمة أبيه وبعث الى بغداد فى الخطبة ووافقه كوهراس الشحنة وحرر الجواب بانتظار الرسل من العسكر فسار تتش الى ديار بكر فملكها ثم سار الى اذربيجان وزحف بركيارق يعتذر من سعيه مع تتش فعزله بركيارق بسعاية كمشتكين الجاندار بقسيم الدولة وأقام عوضه شحنة ببغداد الامير مكردو وأعطاه أقطاعه وسار الى بغداد ثم رده من دقوقا لكلام بلغه عنه وقتله وولى على شحنة بغداد فتكين حب

(مقتل اسمعيل بن ياقوتى)

كان اسمعيل بن ياقوتى بن داود بن عم ملك شاه وخال بركيارق أميرا على أذربيجان فبعثت تركمان خاتون اليه فأطمعته فى الملك وأنها تتزوج به فجمع جموعا من التركمان وغيرهم وسار لحرب بركيارق فلقيه عند كرخ ونزع عنه مكرد الى بركيارق فانهزم اسمعيل الى اصبهان فخطبت له خاتون وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود وأرادت العقد معه فمنعها الامير أنز مدبر الدولة وصاحب العسكر وخوفهم وفارقهم ثم أرسل أخته زبيدة أم بركيارق فأصلحت حاله مع ابنها وقدم عليه فأكرمه واجتمع به رجال الدولة كمشتكين الجاندار واقسنقر وبوران وكشفوا سره فى طلب الملك ثم قتلوه وأعلموا بركيارق أهدر دمه

(مهلك توران شاه بن قاروت بك) كان توران شاه بن قاروت بك صاحب فارس وأرسلت خاتون الجلالية الامير انز لفتح فارس سنة سبع وثمانين فهزمه أولا ثم أساء السيرة مع الجند فلحقوا بتوران شاه وزحف الى انز فهزمه واسترد البلد من يده وأصاب توران شاه فى المعركة بسهم هلك منه بعد شهرين

(وفاة المقتدى وخلافة المستظهر وخطبته لبركيارق) ثم توفى المقتدى منتصف محرم سنة سبع وثمانين وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه تتش فخطب له وحملت اليه الخلع فلبسها وعرض التقليد على المقتدى [بياض بالأصل] فيه وتوفى فجأة وبويع لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد الى بركيارق وأخذت عليه البيعة

(استيلاء تتش على البلاد بعد مقتل أقسنقر ثم هزيمة بركيارق)

لما عاد تتش منهزما من أذربيجان جمع العساكر واحتشد الامم وسار من دمشق الى حلب سنة سبع وثمانين واجتمع قسيم الدولة أقسنقر وبوران وجاء كربوقا مددا من عند بركيارق وسار والحرب تتش ولقوه على ستة فراسخ من حلب فهزمهم وأخذ أقسنقر أسيرا فقتله ولحق كربوقا وبوران بحلب واتبعهما تتش فحاصرهما وملك حلب وأخذهما أسيرين وبعث الى   والرها فى الطاعة فامتنعوا فبعث اليهم برأس بوران وملك البلدين وبعث بكربوقا الى حمص فحبسه بها وسار الى الجزيرة فملكها ثم الى ديار بكر وخلاط فملكها ثم الى أذربيجان ثم سار الى همدان ووجد بها فخر الدولة ابن نظام الملك جاء من خراسان الى بركيارق فلقيه الامير قماج من عسكر محمود باصبهان فنهب ماله ونجا الى همذان فصادف بها تتش فأراد قتله وشفع فيه باغى يسار وأشار بوزارته لميل الناس الى بيته واستوزره وكان بركيارق قد سار الى قيس فخالفه تتش الى أذربيجان وهمذان فسار بركيارق من نصيبين وعبر دجلة من فوق الموصل الى اربل فلما تقارب العسكران أشرف الامير يعقوب بن أنق من عسكر تتش فكبس بركيارق وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسد وكمشتكين الجاندار والبارق من أكابر الامراء فلجؤا الى أصبهان وكانت خاتون أم محمود قد ماتت فمنعه محمود وأصحابه من الدخول ثم خرج اليه محمود وأدخله الى اصبهان واحتاطوا عليه وأرادوا أن يسلوه فمرض محمود فأبقوه

بياض بالاصل

(مقتل تتش واستقلال بركيارق بالسلطان)

ثم مات محمود منسلخ شوال سنة سبع وثمانين واستولى بركيارق على اصبهان وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره عوض أخيه عز الملك وكان قد توفى بنصيبين فكاتب مؤيد الملك الامراء واستمالهم فرجعوا الى بركيارق وكشف جمعه وبعث تاج الملك تتش بعد هزيمة بركيارق يوسف بن انق التركمانى شحنة الى بغداد فى جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وزحف اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة فقاتله فى يعقوب وانهزم صدقة الى الحلة ودخل يوسف بن انق بغداد وأقام بها وكان تتش لما هزم بركيارق سار الى همذان وقد تحصن بها بعض الامراء فاستأمن اليه واستولى على همذان وسار فى نواحى أصبهان والى مرو وراسل الامراء باصبهان يستميلهم فأجابوه بالمقاربة والوعد وبركيارق مريض فلما أفاق من مرضه خرج الى جرباذقان واجتمع اليه من

العسكر ثلاثون ألفا ولقيه تتش فهزمه بركيارق وقتله بعض أصحاب اقسنقر بثأر صاحبه وكان فخر الملك بن نظام الملك أسيرا عنده فانطلق عند هزيمته واستقامت أمور بركيارق وبلغ الخبر الى يوسف

(استيلاء كربوقا على الموصل)

قد كنا قدمنا أن تاج الدولة تتش أسر قوام الدولة أبا سعيد كربوقا وحبسه بعد ما قتل اقسنقر بوران فأقام محبوسا بحلب الى أن قتل تتش واستولى رضوان ابنه على حلب فأمره السلطان بركيارق باطلاقه لانه كان من جهة الامير انز فأطلقه رضوان وأطلق أخاه التوسطاش فاجتمعت عليهما العساكر وكان بالموصل على بن شرف الدولة مسلم منذ ولاه عليها تتش بعد وقعة المضيع وكان بنصيبين أخوه محمد بن مسلم ومعه مروان ابن وهب وأبو الهيجاء الكردى وهو يريد الزحف الى الموصل فكاتب كربوقا واستدعاه للنصرة ولقيه على مرحلتين من نصيبين فقبض عليه كربوقا وسار الى نصيبين وحاصرها أربعين يوما وملكها ثم سار الى الموصل فامتنعت عليه فتحول عنها الى   وقتل بها محمد بن شرف الدولة تغريقا وعاد الى حصار الموصل ونزل منها على فرسخ واستنجد على بن مسلم بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فجاء لانجاده واعترضه التوسطاش فهزمه ثم سار الى طاعة كربوقا وأعانه على حصار الموصل ولما اشتد بصاحبه على بن مسلم الحصار بعد تسعة أشهر هرب عنها ولحق بصدقة بن مزيد ودخل كربوقا الى الموصل وعاث التوسطاش فى أهل البلد ومصادرتهم واستطال على كربوقا فأمر بقتله ثالثة دخوله سنة تسع وثمانين وسار كربوقا الى الرحبة فملكها وعاد فأحسن السيرة فى أهل الموصل ورضوا عنه واستقامت اموره

بياض بالاصل

(استيلاء أرسلان أرغون أخى السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله)

كان ارسلان أرغون مقيما عند أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فلما مات وبويع ابنه محمود سار الى خراسان فى سبعة من مواليه واجتمعت عليه جماعة وقصد نيسابور فامتنعت عليه فعاد الى مرو وكان بها شحنة الامير قودن من موالى السلطان ملك شاه وكان أحد الساعين فى قتل نظام الملك فمال الى طاعة أرغون وملكه البلد وسار الى بلخ وكان بها فخر الدين بن نظام الملك ففر عنها ووصل الى همدان ووزر لتاج الدولة تتش كما مر وملك ارسلان أرغون بلخ وترمذ ونيسابور وسائر خراسان وأرسل الى السلطان بركيارق ووزيره مؤيد الملك فى تقرير خراسان عليه بالضمان كما كانت لجده داود ماعدا نيسابور فاعرض عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش ثم عزل بركيارق

مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك واستولى فخر الملك البارسلان على الامور فقطع ارسلان مراسلة بركيارق فبعث حينئذ عمه بورسوس فى العساكر لقتاله فانهزم ارسلان الى بلخ وأقام بورسوس بهراة وسار ارسلان الى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار اليه بورسوس من هراة سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تاخر الذى كان أبوه مقدم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعاظم الامراء فبعث اليه ارسلان واستماله فمال اليه ووثب لمسعود بن تاخر وابنه فقتلهما فى خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه وجىء به أسيرا الى أخيه ارسلان أرغون فحبسه بترمذ ثم قتله فى محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب أسوارها مثل سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله واستبد بخراسان وكان مرهف الحد كثير العقوبة لمواليه وأنكر على بعضهم يوما بعض فعلاته وهو فى خلوة وضربه فطعنه الغلام بخنجر معه فقتله وذلك فى المحرم من سنة تسعين

(ولاية سنجر على خراسان)

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيا صغيرا من ولده وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الاتابك قماج ووزيره على بن الحسن الطغرائى وانتهى اليه مقتل ارسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فملكها فى جمادى سنة تسعين وأربعمائة وملك سائر خراسان وسار الى بلخ وكان أصحاب ارسلان قد هربوا بابنه الذى نصبوه للملك الى جبل طخارستان وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمنهم السلطان وجاؤا بالصبى فى آلاف من العساكر فأكرمه السلطان وأقطعه ما كان لابيه أيام ملك شاه وانفض عنه العسكر الذين كانوا معه وافترقوا على أمراء السلطان وأفردوه فضمته أم السلطان اليها وأقامت من يتولى رتبته وسار السلطان الى ترمذ فملكها وخطب له بسمرقند ودانت له البلاد وأقام على بلخ سبعة أشهر ثم رجع وترك أخاه سنجر نائبا بخراسان

(ظهور المخالفين بخراسان)

لما كان السلطان بخراسان خالف عليه محمود بن سليمان من قرابته ويعرف بأمير أميران وسار الى بلخ واستمد صاحب غزنة من بنى سبكتكين فأمده بالعساكر والفيول على أن يخطب له فيما يفتحه من خراسان فقويت شوكته فسار اليه الملك سنجر وكبسه فانهزم وجىء به أسيرا فسمله ولما انصرف السلطان عن خراسان سار نائب خوارزم

واسمه

واسمه اكنجى فى اتباعه وسبق الى مرو فتشاغل بلذاته وكان بها الامير قودن قد تشاغل عن السلطان واعتذر بالمرض فداخل بارقطاش من الامراء فى قتل اكنجى صاحب خوارزم فكبسه فى طائفة من أصحابه وقتلوه وساروا الى خوارزم فملكوها وأظهرين ان السلطان ولاهما عليها وبلغ الخبر الى السلطان وكان قد بلغه فى طريقه خروج الامير انز بفارس عن طاعته فمضى الى العراق وأعاد داود الحبشى بن التونطاق فى العساكر لقتالهما فسار الى العراق من هراة وأقام فى انتظار العسكر فعاجلاه فهرب أمامهما وهرب جيحون وتقدم بارقطاش قبل قودن وقاتله فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا أثقاله ولحق ببخارا فقبض عليه صاحبها ثم أطلقه فلحق بالملك سنجر ببلخ فقتله سنجر وأفرغ هو طاعته فى نظمه وجمع العساكر على طاعته ثم مات قريبا وبقى بارقطاش أسيرا عند داود الى أن قتل

(بداية دولة بنى خوارزم شاه)

كان أنوشتكين مملوكا لبعض أمراء السلجوقية واشتراه من بعض أهل غرشستان فدعى أبا شتكين غرشه ونشأ على حال مرضية وكان مقدما وولد له ابنه محمد فأحسن تأديبه وتقدم هو بنفسه ولما سار الامير داود الحبشى الى خراسان كما مر سار محمد فى جملته فلما مهد خراسان وأزال الخوارج نظر فيمن يوليه خوارزم وكان نائبها اكنجى قد قتله كما مر فوقع اختياره على محمد بن أبى شتكين فولاه ولقبه خوارزم شاه فحسنت سيرته وارتفع محله وأقره السلطان سنجر وزاده عناية بقدر كفايته واضطلاعه وغاب فى بعض الايام عن خوارزم فقصدها بعض ملوك الاتراك وكان طغرلتكين محمد الذى كان أبوه اكنجى نائبا بخوارزم وبادر محمد بن أبى شتكين الى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجر وسار بالعساكر مددا له وتقدم محمد بن أبى شتكين فتأخر الاتراك الى منقشلاغ ورحل طغرلتكين الى جرجان وازداد محمد بذلك عناية عند سنجر ولما توفى ولى ابنه بعده أقسز وأحسن السيرة وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما توفى اختصه السلطان سنجر وكان يصاحبه فى أسفاره وحروبه واتصل الملك فى بنى محمد بن أبى شتكين خوارزم وكانت لهم الدولة وتمت دولة بنى ملك شاه وعليها كان ظهور الططر بعد المائة السادسة ومنهم أخذوا الملك كما سيأتى فى أخبارهم

(استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشأم)

كان الافرنج قد ظهر أمرهم فى هذه السنين وتغلبوا على صقلية واعتزموا على قصد الشأم وملك بيت المقدس وأرادوا المسير اليها فى البر فراسلوا ملك الروم بالقسطنطينية

أن يسهل لهم الطريق الى الشأم فأجابهم على أن يعطوه انطاكية فعبروا خليج القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة وسار ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب مرقيه وبلاد الروم لمدافعتهم فهزموه ثم مرّوا ببلاد ابن لبون الارمنى ووصلوا الى انطاكية فحاصروها تسعة أشهر وصاحبها يومئذ باغى سيان فأحسن الدفاع عنها ثم تبوّؤا البلد بمداخلة بعض الحامية أصعدهم السور بعد أن رغبوه بالاموال والاقطاع وجاؤا الى السور فدلهم على بعض المخادع ودخلوا منه ونفخوا البوق فخرج باغى سيان هاربا حتى اذا كان على أربعة فراسخ راجع نفسه وندم فسقط مغشيا عليه ومرّ به أرمنى فحمل رأسه الى انطاكية وذلك سنة احدى وتسعين وأربعمائة واجتمعت عساكر المسلمين وزحفوا الى انطاكية من كل ناحية ليرتجعوها من الافرنج وجاء قوام الدين كربوقا الى الشأم واجتمعت عليه العساكر بمرج دابق فكان معه دقاق بن تتش وطغرلتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق وغيرهم وساروا الى انطاكية فنازلوها واستوحش الامراء من كربوقا وأنفوا من ترفعه عليهم وضاق الحصار بالافرنج لعدم الاقوات لان المسلمين عاجلوهم عن الاستعداد فاستأمنوا كربوقا فمنعهم الامان وكان معهم من الملوك بردويل وصنجيل وكندفرى والقمط صاحب الرها وبيمند صاحب انطاكية وهو مقدم العساكر فخرجوا مستأمنين وضربوا مصافّ وتخاذل الناس لما كان فى قلوبهم من الاضغان لكربوقا فتمت الهزيمة عليهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق واستشهد منهم العرب وغنم العدوّ سوادهم بما فيه وساروا الى معرة النعمان فملكوها وأثخنوا فى استباحتها ثم ساروا الى غزة فحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم وصالحهم ابن منقذ على بلده شيزر وحاصروا حمص فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان هذا بداية الافرنج بسواحل الشأم ويقال ان من خلفاء العبيد بن نصر لما خشوا من السلجوقية عند استيلائهم على الشأم الى غزة وزحف الاقسيس من أمرائهم الى مصر وحاصرها فراسلوا الى الافرنج واستدعوهم لملك الشأم ليشغلوهم عن أنفسهم ويحولوا بينهم وبين مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض الاميرانز وقتله)

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى على بلاد فاس الاميرانز وكانت قد تغلبت الشوانكار واستظهروا بايران شاه بن قاروت بك صاحب كرمان فلما سار اليهم انز قاتلوه فهزموه ورجع الى اصبهان فاستأذن السلطان فأمره بالمقام هنالك وولاه امارة العراق وكانت العساكر فى جواره بطاعته وجاءه مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد على

الحلة فأغراه بالخلاف وخوّفه غائلة بركيارق وأشار عليه بمكاتبة محمد بن ملك شاه وهو فى كنجه وشاع عنه ذلك فازداد خوفه وجمع العساكر وسار من اصبهان الى الرىّ وجاهر السلطان بالخلاف وطلب منه أن يسلم اليه فخر الملك البارسلان وبينما هو فى ذلك اذ هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم من جنده فطعنوه فقتلوه واهتاج عسكره فنهبوا خزائنه وحمل شلوه الى اصبهان فدفن بها وأشهر خبر قتله الى السلطان فى أحواز الرىّ وهو سائر لقتاله فسرّ بذلك هو وفخر الملك البارسلان وذلك فى سنة ثنتين وتسعين وكان محمود المذاهب كبير المناقب ولما قتل هرب اصهنر صبار الى دمشق فأقام بها مدّة ثم قدم على السلطان محمد سنة احدى وخمسمائة فأكرمه وأقطعه رحبة مالك بن طوق

(استيلاء الافرنج على بيت المقدس)

كان بيت المقدس لتاج الدولة تتش وأقطعه الامير سقمان بن أرتق التركمانى وكان تتش ملكه من يد العلويين أهل مصر فلما وهن الاتراك بواقعة انطاكية طمع المصريون فى ارتجاعه وسار صاحب دولتهم الافضل بن بدر الجمالى وحاصر الامير سقمان وأخاه ايلغازى وابن أخيهما ياقوتى وابن عمهما سونج ونصب المجانيق فثلموا سوره ثم ملكوه بالامان لاربعين يوما من حصاره فى شعبان سنة تسع وثمانين وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازى ومن معهما وأطلقهم فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازى الى العراق وولى الافضل على بيت المقدس افتخار الدولة من أمرائهم ورجع الى مصر فلما رجع الافرنج من عكا جاؤا الى بيت المقدس فحاصروه أربعين يوما واقتحموه من جهة الشمال آخر شعبان من سنة ثنتين وتسعين وعاثوا فى أهله واعتصم فلهم بمحراب داود عليه السلام ثلاثا حتى استأمنوا وخرجوا ليلا الى عسقلان وقتل بالمسجد سبعون ألفا أو يزيدون من المجاورين فيهم العلماء والزهاد والعباد وأخذوا نيفا وأربعين قنديلا من الفضة زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستمائة درهم ومائة وخمسين قنديلا من الصغار وتنورا من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامى وغير ذلك مما لا يحصى ووصل الصريخ الى بغداد مستغيثين فأمر المقتدى أن يسير الى السلطان بركيارق أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو القاسم الزنجانى وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعد الحلوانى وأبو الحسين بن السماك فساروا الى بركيارق يستصرخونه للمسلمين فانتهوا الى حلوان وبلغهم مقتل مجد الملك البارسلان وفتنة بركيارق مع أخيه محمد فرجعوا وتمكن الافرنج من البلاد ونحن عازمون على افراد أخبارهم بالشأم وما كان لهم فيه من الدولة على حكم أخبار الدول فى كتابنا

(ظهور السلطان محمد بن ملك شاه والخطبة له ببغداد وحروبه مع أخيه بركيارق)

كان محمد وسنجر شقيقين وكان بركيارق استعمل سنجر على خراسان ثم لحق به محمد باصبهان وهو يحاصرها سنة ثمان وثمانين فأقطعه كنجة وأعمالها وأنزل معه الامير قطلغ تكين أتابك وكانت كنجة من أعمال اران وكانت لقطون فانتزعها ملك شاه وأقطعه استراباذ وولى على اران سرهناساوتكين الخادم ثم ضمن قطون بلاده وأعيد اليها فلما قوى رجع الى العصيان فسرح اليه ملك شاه الامير بوزان فغلبه على البلاد وأسره ومات ببغداد سنة أربع وثمانين وأقطع ملك شاه بلاد اران لاصحاب باغى سيان صاحب انطاكية ولما مات باغى سيان رجع ابنه الى ولاية أبيه ثم أقطع السلطان بركيارق كنجة وأعمالها لمحمد كما قلناه سنة ست وثمانين ولما اشتد واستفحل قتل اتابك قطلغ تكين واستولى على بلاد اران كلها ولحق مؤيد الملك عبد الله بن نظام الملك بعد مقتل صاحبه انز فاستخلصه وقربه وأشار عليه مؤيد الملك فطلب الامر لنفسه فخطب له بأعماله واستوزر مؤيد الملك وقارن ذلك مقتل مجد الملك الباسلانى المتغلب فى دولة بركيارق فاستوحش أصحابه لذلك ونزعوا الى محمد وساروا جميعا وكان بركيارق قد سبقهم اليها واجتمع اليه الامير نيال بن أبى شكين الحامى من أكابر الامراء وعز الملك بن نظام الملك ولما بلغه مسير أخيه محمد اليه رجع الى اصبهان فمنعوه من الدخول فسار الى خوزستان وملك محمد الرى فى ذى القعدة سنة ثنتين وتسعين ووجد بها زبيدة أم بركيارق قد تخلفت عن ابنها فحبسها مؤيد الملك وصادرها ثم قتلها خنقا بعد ان تنصح له أصحابه فى شأنها فلم يقبل وكان سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد قد استوحش من بركيارق فاتفق هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب بن بدر صاحب كنكسون وساروا الى السلطان محمد بقم فخلع عليهم ورد كوهراس الى بغداد فى شأن الخطبة فخطب له بالخليفة ولقبه حياة الدين والدنيا وسار كربوقا وجكرمس مع السلطان محمد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل الباسلانى)

كان أبو الفضل سعد الباسلانى ويلقب مجد الملك متحكما عند السلطان بركيارق ومتحكما فى دولته ولما فشا القتل فى أمرائه من الباطنية استوحشوا ونسبوا ذلك للباسلانى وكان من أعظم من قتل منهم الامير برسق فاتهم ابنه زنكى وأقبورنى الباسلانى فى قتله ونزعوا عن بركيارق الى السلطان محمد فاجتمع الامراء ومقدمهم أمير الحيرة الكابك وطغايرك من الروز وبعثوا الى بنى برسق يستدعونهم للطلب بثار أبيهم فجاؤا

واجتمعوا

واجتمعوا اقريبا من همدان ووافقهم العسكر جميعا على ذلك وبعثوا الى بركيارق يطلبون الباسلانى فامتنع وأشار عليه الباسلانى باجابتهم لئلا يفعلوا ذلك بغير رأى السلطان فيكون وهنا على الدولة فاستحلفهم السلطان فدفعه اليهم فقتله الغلمان قبل أن يتصل بهم وسكنت الفتنة وحمل رأسه الى مؤيد الملك واستوحش الامراء لذلك من بركيارق وأشاروا عليه بالعود الى الرى ويكفونه قتال أخيه محمد فعاد متشاغلا ونهبوا سرادقه وساروا الى أخيه محمد ولحق بركيارق باصبهان ثم لحق برستاق كما تقدم

(اعادة الخطبة ببغداد لبركيارق)

ولما سار بركيارق الى خوزستان ومعه نيال بن أبى شكين الحسامى مع عسكره سار من هنالك الى واسط ولقيه صدقة بن مزيد صاحب الحلة ثم سار الى بغداد وكان سعد الدولة كوهراس الشحنة على طاعة محمد فخرج عن بغداد ومعه أبو الغازى بن ارتق وغيره وخطب لبركيارق ببغداد منتصف صفر سنة ثلاث وتسعين بعد ان فارقها كوهراس وأصحابه وبعثوا الى السلطان محمد ومؤيد الملك يستحثونهما فأرسلا اليهم كربوقا صاحب الموصل وجكرمس صاحب جزيرة ابن عمر يستكثرون بهم فى المدافعة وطلب جكرمس من كوهراس السير لبلده خشية عليها فأذن له ثم يئس كوهراس وأصحابه من محمد فبعثوا الى بركيارق بطاعتهم فخرج اليهم واسترضاهم ورجع الى بغداد وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بما أخذ هو وأبوه من الموصل وديار بكر أيام ولايتهم عليها فصادرهم على مائة وستين ألف دينار واستوزر الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن على بن محمد الرهستانى وخلع الخليفة على بركيارق

(المصاف الاول بين بركيارق ومحمد ومقتل كوهراس وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد)

ثم سار بركيارق من بغداد لحرب أخيه محمد ومر بشهرزور فاجتمع اليه عسكر كثير من التركمان وكاتب رئيس همدان يستحثه فركب وسار للقاء أخيه على فراسخ من همدان فى أول رجب من سنة ثلاث وتسعين وفى ميمنته كوهراس وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وفى ميسرته كربوقا وفى ميمنته محمد بن اضر وابنه ايار وفى ميسرته مؤيد الملك والنظامية ومعه فى القلب أمير سرخو شحنة اصبهان فحمل كوهراس من الميمنة على مؤيد الملك والنظامية فهزمهم وانتهى الى خيامهم فنهبها وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزموا وحمل محمد على بركيارق فهزمه ووقف محمد مكانه وعاد كوهراس من طلب المنهزمين فكبا به فرسه فقتل وجىء بالاعز أبى المحاسن يوسف وزير بركيارق أسيرا فأكرمه مؤيد الملك ونصب له خيمة وبعثه الى بغداد فى الخطبة لمحمد

فخطب له منتصف رجب من السنة وكانت أولية سعد الدولة كوهراس انه كان خادما للملك ابى كاليجار بن بويه وجعله فى خدمة ابنه أبى نصر ولما حبسه طغرلبك مضى معه الى قلعة طغرل فلما مات انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان وترقى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وحضر يوم قتله فوقاه بنفسه ثم أرسله ملك شاه الى بغداد فى الخطبة وجاء بالخلع والتقليد وحصل له من نفوذ الامر واتباع الناس مالم يحصل لغيره الى أن قتل فى هذه المعركة وولى شحنة بغداد بعده ابلغازى بن ارتق

مسير بركيارق الى خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الامير داود حبشى أمير خراسان

لما انهزم بركيارق من أخيه محمد خاص فى النفر الى الرى واجتمع له جموع من شيعته فسار الى خراسان وانتهى الى اسفراين وكتب الامير داود حبشى الى النونطاق يستدعيه من الدامغان وكان أميرا على معظم خراسان وعلى طبرستان وجرجان فأشار عليه بالمقام بنيسابور فقصدها وقبض على عميدها أبى محمد وأبى القاسم بن امام الحرمين ومات أبو القاسم فى محبسه مسموما ثم زحف سنجر الى الامير داود فبعث الى بركيارق يستدعيه لنجدته فسار اليه والتقى الفريقان بظاهر بوشنج وفى ميمنة سنجر الامير برغش وفى ميسرته الامير كوكر ومعه فى القلب الامير رستم فحمل بركيارق على رستم فقتله وانقض الناس على سنجر وكاد ينهزم وأخذ بركيارق أم سنجر أسيرة وشغل أصحاب بركيارق بالنهب فحمل عليهم برغش وكوكر فانهزموا واستمرت الهزيمة على بركيارق وهرب الامير داود فجىء به الى برغش أسيرا فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى الدامغان ودخل البرية ثم استدعاه أهل اصبهان وجاءه جماعة من الامراء منهم جاول سقاد وسبقه محمد الى اصبهان فعدل عنها الى عسكر مكرم

المصاف الثانى بين بركيارق ومحمد وهزيمة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

لما انهزم بركيارق أمام سنجر سنة ثلاث وتسعين وسار الى اصبهان فوجد أخاه محمدا قد سبقه اليها فعدل عنها الى خوزستان ونزل الى عسكر مكرم وقدم عليه هنالك الاميران زنكى والبكى ابنا برسق سنة أربع وتسعين وساروا معه الى همدان وهرب اليه الامير أبرز فى خمسة آلاف من عسكر محمد لان صاحب امير اضر مات فى تلك الايام وظنوا أن مؤيد الملك دس عليه وزيره فسمه وكان ابرز فى جملة أمير اضر فقتل الوزير المتهم ولحق بركيارق ثم وصل اليه سرحاب بن كيخسرو صاحب ساوه فاجتمع له نحو من خمسين ألف فارس ولقيه محمد فى خمسة عشر ألفا واستأمن أكثرهم الى بركيارق يوم المصاف أول

جمادى الاخيرة سنة أربع وتسعين واستولت الهزيمة على محمد وجىء بمؤيد الملك أسيرا فوبخه ثم قتله بيده لانه كان سيئ السيرة مع الامراء كثير الحيل فى تدبير الملك ثم بعث الاغز أبو المحاسن وزير بركيارق أبا ابراهيم الاستراباذى لاستقصاء أموال مؤيد الملك وذخائره ببغداد فحمل منها مالا يسعه الوصف يقال انه وجد فى ذخائره ببلاد العجم قطعة بلخش زنتها أربعون مثقالا واستوزر محمد بعده خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين ثم سار السلطان بركيارق الى الرى ووفد عليه هنالك كربوقا صاحب الموصل ودبيس ابن صدقة وأبوه يومئذ صاحب الحلة وسار السلطان قافلا الى جرجان وبعث الى أخيه سنجر يستجديه فبعث اليه ما أقامه ثم طلبه فى المدد فسار اليه سنجر من خراسان ثم سارا جميعا الى الدامغان فخرباها وسار الى الرى واجتمعت عليه النظامية وغيرهم فكثرت جموعهم وكان بركيارق بعد الظفر قد فرق عساكره لضيق الميرة ورجع دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج باذربيجان داود بن اسمعيل بن ياقوتى فبعث لقتاله قوام الدولة كربوقا فى عشرة آلاف واستأذنه اياز فى المسير الى ولايته بهمدان ويعود بعد الفطر فبقى فى قلة من العساكر فلما بلغه قرب أخيه محمد وسنجر اضطرب حاله وسار الى همدان ليجتمع مع اياز فبلغه انه قد راسل أخاه محمدا وأطاعه فعاد الى خورستان ولما انتهى الى تستر استدعى ابن برسق وكان من جملة اياز فلم يحضر وتأخر فأمنه فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان لحق به اياز وكان راسل محمدا فلم يقبله وبعث عساكره الى همدان فلحق بهمدان اياز وأخذ محمد محلة اياز بهمدان وكانت كثيرا من كل صنف وصودر أصحابه ور

بهمدان بمائة ألف دينار وسار بركيارق واياز الى بغداد فدخلها منتصف ذى القعدة من سنة أربع وتسعين وطلب من الخليفة المال للنفقة فبعث اليه بعد المراجعة بخمسين ألف دينار وعاث أصحاب بركيارق فى أموال الناس وضجروا منه ووفد عليه أبو محمد عبد الله بن منصور المعروف بابن الصليحية قاضى جبلة من سواحل الشام منهزما من الافرنج بأموال جليلة المقدار فأخذها بركيارق منه وقد تقدم خبر ابن الصليحية فى دولة العباسيين ثم بعث وزير بركيارق الاغر بالمحاسن الى صدقة بن مزيد صاحب الحلة فى ألف ألف دينار يزعم أنها تخلفت عنده من ضمان البلاد وتهدده عليها فخرج عن طاعة بركيارق وخطب لمحمد أخيه وبعث اليه بركيارق فى الحضور والتجاوز عن ذلك وضمن له اياز جميع مطالبه فأبى الا ان يدفع الوزير واستمر على عصيانه وطرد عامل بركيارق عن الكوفة واستضافها اليه

(مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر اليها)

ولما استولى السلطان محمد وأخوه سنجر على همدان سار فى اتباع بركيارق الى حلوان

بياض بالاصل

فقدم عليه هنالك ابو الغازى ابن ارتق فى عساكره وخدمه وكثرة جوعه فسار الى
بغداد وبركيارق عليل بها فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربى ووصل محمد
الى بغداد آخر سنة أربع وتسعين وتراءى الجمعان بشاطئ دجلة وجرت بينهم المراماة
والنشاب وكان عسكر محمد ينادون عسكر بركيارق يا باطنية ثم سار بركيارق الى واسط
ونهب عسكره جميع ما مروا عليه ودخل محمد الى دار المملكة ببغداد وجاءه توقيع
المستظهر بالاستبشار بقدومه وخطب له ونزل الملك سنجر بدار كوهراس ووفد على
السلطان محمد ببغداد صدقة صاحب الحلة فى محرم سنة خمس وسبعين

(مقتل بركيارق الباطنية)

كان هؤلاء الباطنية قد ظهروا بالعراق وفارس وخراسان وهم القرامطة والدعوة
بعينها دعوتهم الا أنهم سموا فى هذه الاجيال بالباطنية والاسماعيلية والملاحدة
والفداوية وكل اسم منها باعتبار فالباطنية لانهم يبطنون دعوتهم والاسماعيلية
لانتساب دعوتهم فى أصلها لاسمعيل الامام بن جعفر الصادق والملاحدة لان بدعتهم
كلها الحاد والفداوية لانهم يفادون أنفسهم بالمال على قتل من يسلطون والقرامطة
نسبة الى قرمط منشئ دعوتهم وكان أصلهم من البحرين فى المائة الثالثة ومابعدها
ثم نشأ هؤلاء بالمشرق أيام ملكشاه فأول ما ظهروا باصبهان واشتد فى حصار بركيارق
وأخيه محمود وأمه خاتون فيها ثم ثارت عامة اصبهان بهم باشارة القضاة وأهل الفتيا
فقتلوهم فى كل جهة وحرقوهم بالنار ثم انتشروا واستولوا على القلاع ببلاد العجم كما
تقدم فى أخبارهم ثم أخذ بمذهبهم تيران شاه بن بدران شاه بن قاروت بك صاحب كرمان
حمله عليه كاتب من أهل خورستان يسمى أبا زرعة وكان بكرمان فقيه من الحنفية
يسمى أحمد بن الحسين البلخى مطاع فى الناس فخشى من نكيره فقتله فهرب عنه صاحب
جيشه وكان شحنة البلد ولحق بالسلطان محمد ومؤيد الملك باصبهان وثار الجند بعده
بتيران شاه الى مدينة كرمان فمنعه أهلها ونهبوه فقصد قلعة سهدم واستجار بصاحبها
محمد بهستون وبعث أرسلان شاه عساكر لحصارها فطرده بهستون وبعث مقدم
العساكر فى طلبه فجئ به أسيرا وبأبى زرعة الكاتب معه فقتلهما أرسلان شاه
واستولى على بلاد كرمان وكان بركيارق كثيرا ما يسلطهم على من يريد قتله من الامراء
مثل انر شحنة اصبهان وأرغش وغيرهم فأمنوا جانبه وانتشروا فى عسكره واغروا
الناس ببدعتهم وتجاوزوا الى التهديد عليها حتى خافهم اعيان العسكر وصار بركيارق
يصرفهم على أعدائه والناس يتهمونه بالميل اليهم فاجتمع أهل الدولة وعذلوا بركيارق
فى ذلك فقبل نصيحتهم وأمر بقتل الباطنية حيث كانوا فقتلوا وشردوا كل مشرد

وبعث الى بغداد بقتل ابى ابراهيم الاسترابادى الذى بعثه ابو الاغر لاستقصاء اموال
مؤيد الملك وكان يتهم بمذهبهم فقتل وقتل بالعسكر الامير محمد بن ولد علاء الدين بن
كاكويه وهو صاحب مدينة تيرد وكان يتهم بمذهبهم وسعى بالكيا الهراسى مدرس
النظامية انه باطنى فأمر السلطان محمد بالقبض عليه حتى شهد المستظهر ببراءته
وعلو درجته فى العلم فاطلقه وحسمت علة الباطنية بين الجمهور وبقى امرهم فى القلاع
التى ملكوها الى ان انقرضوا كما تقدم فى اخبارهم مستوفى

(المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما) ولما رحل بركيارق عن بغداد
الى واسط ودخل اليها السلطان محمد اقام بها الى منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين
ثم رحل الى همدان وصحبه السلطان سنجر لقصد خراسان موضع امارته وجاءت
الاخبار الى المستظهر باعتزام بركيارق على المسير الى بغداد ونقل له عنه قبائح من أقواله
وأفعاله فاستدعى السلطان محمدا من همدان وقال أنا أسير معك لقتاله فقال محمد
أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين ورجع ورتب ببغداد أبا المعالى شحنة وكان بركيارق لما سار
من بغداد الى واسط هرب أهلها منه الى الزبيدية ونزل هو بواسط عليلا فلما أفاق أراد
العبور الى الجانب الشرقى فلم يجد سفنا ولا نواتية وجاءه القاضى أبو على الفارسى الى
العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير فاستعطفهما لاهل واسط وطلب اقامة الشحنة
بينهم فبعثاه وطلبا من القاضى من يعبر فأحضر لهم رجالا عبروا بهم فلما صاروا فى الجانب
الشرقى نهب العسكر البلد فجاء القاضى واستعطفهم فمنعوا النهب واستأمن اليهم
عسكر واسط فأمنوهم وسار بركيارق الى بلاد بنى برسق فى الاهواز وساروا معه ثم بلغه
مسير أخيه محمد عن بغداد فسار فى اتباعه على نهاوند الى أن أدركه وتصافوا ولم يقتتلوا
لشدة البرد ثم عاودوا فى اليوم الثانى كذلك وكان الرجل يخرج لقريبه من الصف
الآخر فيتصافحان ويتساءلان ويفترقان ثم جاء الامير بكراج وعبر من عسكر محمد الى
الامير اياز والوزير الاغر فاجتمعوا وعقدوا الصلح بين الفريقين على ان السلطان بركيارق
والملك محمد ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد حرة وأعمالها وأذربيجان وديار
بكر والجزيرة والموصل ويمده بركيارق بالعساكر على من يمتنع عليه منها وتحالفا على
ذلك وافترقا وكان العقد فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسار بركيارق الى ساوة ومحمد
الى استراباذ وكل أمير على أقطاعه والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد باصبهان)

لما انصرف السلطان محمد الى استراباذ وكان اتهم الامراء الذين سعوا فى الصلح بالخديعة
فسار الى قزوين ودس الى رئيسها لان يصنع صنيعا ويدعوه اليه مع الامراء ففعل وجاء

السلطان الى الدعوة وقد تقدم الى أصحابه بحمل السلاح ومعه يشمك وافتكين من أمرائه فقبض عليهما وقتل يشمك وسمل افتكين وورد عليه الامير ينال بن أنوشتكين الحسامى نازعا عن أخيه بركيارق

ولما التقى الفريقان حمل سرخاب بن كيخسرو الديلمى صاحب ساوة على ينال الحسامى فهزمه واتبعه عامة العسكر واستولت الهزيمة على عسكر محمد ومضى بعضهم الى طبرستان وبعضهم الى قزوين وذلك فى جمادى من سنة خمس وتسعين لاربعة أشهر من المصاف قبله ولحق محمد فى الفل باصبهان ومعه ينال الحسامى واصبهان فى حكمه فحصنها وسد ما ثلم من سورها وأعمق الخندق وفرق الامراء فى الاسوار وعلى الابواب ونصب المجانيق وجاء بركيارق فى خمسة عشر ألف مقاتل فأقام محاصر البلد حتى اشتد الحصار وعدمت الاقوات واستقرض محمد المال للجند من أعيان البلد مرة بعد أخرى فلما جهده الحصار خرج من البلد ومعه الامير ينال وترك باقى الامراء وبعث بركيارق الامير اياز فى عسكر لطلبه فلم يدركه وقيل بل أدركه وذكره العهد فرجع عنه بعد ان أخذ رايته وجتره وثلاثة أحمال من المال ولما خرج محمد عن اصبهان طمع المفسدون والسوادية فى نهبها فاجتمع منهم ما يزيد على مائة ألف وزحفوا بالسلالم والدبابات وطموا الخندق وصعدوا فى السلالم باشارة أهل البلد وجدوا فى دفاعهم وعادوا خائبين ورحل بركيارق آخر ذى القعدة من سنة خمس وتسعين واستخلف على البلاد القديم الذى يقال له شهرستان مرشد الهراس فى ألف فارس مع ابنه ملك شاه وسار الى همدان وفى هذا الحصار قتل وزير بركيارق الاعز أبو المحاسن عبد الجليل الدهستانى عرض له يوما بعض الباطنية عندما ركب من خيمته لباب السلطان طعنه طعنات وتركه بآخر رمق وقتل غلام من غلمان بعض المكوس للوزير ثار فيه بمولاه وكان كريما واسع الصدر وولى الوزارة على حين فساد القوانين وقلة الجباية فكان يضطر لاخذ أموال الناس بالاخافة فنفرت الصفوة منه ولما مات استوزر بركيارق بعده الخطير أبا منصور الذى كان وزيرا لمحمد وقد وكله فى الحصار ببعض الابواب فبعث اليه محمد ينال بن أبى شكين يطالبه بالاموال لاقامة العسكر فخرج من الباب ليلا ولحق ببلده وامتنع بقلعتها فارسل السلطان بركيارق اليها عساكر وحاصروها حتى استأمن وجاء عند قتل وزيره الأعز فاستوزره بركيارق مكانه والله تعالى أعلم بغيبه

(مسير صاحب البصرة الى واسط)

كان صاحب البصرة لهذا العهد اسمعيل بن ارسلان حين كان السلطان ملك شاه شحنة بالرى وولاه عليها عندما اضطر أهلها وعجز الولاة عنهم فحسنت كفايته وأثخن فيهم

وأصلح أمورها ثم عزل عنها وأقطع السلطان بركيارق البصرة للامير قماج وكان ممن لا يفارقه فاختار اسمعيل لولاية البصرة ثم نزع قماج عن بركيارق وانتقل الى خراسان فحدثت اسمعيل نفسه بالاستبداد بالبصرة وانتقض وزحف اليه مهذب الدولة بن أبى الخير من البطيحة ومعقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدى من الجزيرة فى العساكر والسفن فقاتلوه فى مطارى وقتل معقل بسهم أصابه فعاد ابن أبى الخير الى البطيحة فأخذ اسمعيل السفن وذلك سنة احدى وتسعين وأسرهما واستفحل أمره بالبصرة وبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ قبالة مطارى وأسقط كثيرا من المكوس واتسعت امارته لشغل السلاطين بالفتنة وملك المشان وأضافها الى ما بيده ولما كان سنة خمس وتسعين طمع فى واسط وداخل بعض أهلها وركب اليها السفن الى نعماجار وخيم عليها بالجانب الشرقى أياما ودافعوه فارتحل راجعا حتى ظن خلاء البلد من الحامية فدس اليها من يضرم النار بها ليرجعوا فرجع عنهم فلما دخل أصحابه البلد قتلهم اهل البلد فيهم وعاد الى البصرة منهزما فوجد الامير أبا سعيد محمد بن نصر بن محمود صاحب الاعمال لعمان وجنابا وشيراز وجزيرة بنى نفيس محاصر البصرة وكان أبو سعيد قد استبد بهذه الاعمال منذ سنين وطمع اسمعيل فى الاستيلاء على أعماله وبعث اليها السفن فى البحر فرجعوا خائبين فبعث أبو سعيد خمسين من سفنه فى البحر فظفروا بأصحاب اسمعيل معهم الى الصلح ولم يقع منه وفاء به فسار أبو سعيد بنفسه فى مائة سفينة وأرسى بفوهة نهر الابلة ووافق دخول اسمعيل من واسط فتزاحفوا برا وبحرا فلما رأى اسمعيل عجزه عن المقاومة كتب الى ديوان الخليفة بضمان البلد ثم تصالحا ووقعت بينهما المهاداة وأقام اسمعيل مستبدا بالبصرة الى أن ملكها من يده صدقة بن مزيد فى المائة الخامسة كما مر فى اخباره وهلك برامهرمز

وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها واستيلاء سقمان بن ارتق على حصن كيفا

كان السلطان بركيارق أرسل كربوقا الى اذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتى الخارج بها سنة أربع وتسعين فاستولى على أكثر اذربيجان من يده ثم توفى منتصف ذى القعدة سنة خمس وتسعين وكان معه أصبهبذ صباوة بن خمارتكين وسنقرجه من بعده وأوصى الترك بطاعته فسار سنقرجه الى الموصل واستولى عليها وكان أهل الموصل لما بلغهم وفاة كربوقا قد استدعوا موسى التركمانى من موضع نيابته عن كربوقا بحصن كيفا للولاية عليهم فبادر اليهم وخرج سنقرجه للقائه فظن انه جاء اليه وجرت بينهما محاورات ورد سنقرجه الامر الى السلطان فآل الامر بينهما الى المطاعنة

وكان مع موسى منصور بن مروان بقية أمراء ديار بكر وضرب سنقرجه فأبان رأسه وملك موسى البلد ثم زحف جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر الى نصيبين فملكها وخالفه موسى الى الجزيرة فبادر اليه جكرمس وهزمه واتبعه الى الموصل فحاصره بها فبعث موسى الى سقمان بن ارتق بديار بكر يستنجده على أن يعطيه حصن كيفا فسار سقمان اليه وأفرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله موال له ورجع سقمان الى كيفا وجاء جكرمس الى الموصل فحاصرها وملكها صلحا واستلحم قتلة موسى ثم استولى بعد ذلك على الخابور وأطاعه العرب والاكراد وأما سقمان بن ارتق فسار بعد مقتل موسى الى حصن كيفا واستزيده قال ابن الاثير وصاحبها الآن في سنة خمس وعشرين وستمائة محمود بن محمد بن القرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق والله تعالى أعلم *(أخبار ينال بالعراق)* كان ينال بن أبي شتكين الحسامى مع السلطان محمد باصبهان لما حاصرها بركيارق بعد المصاف الرابع سنة خمس وتسعين فلما خرج محمد من الحصار الى   ومعه ينال استأذنه في قصد الرى ليقيم بها دعوته وسار هو وأخوه على وعسف بأهل الرى وصادرهم وبعث السلطان بركيارق الامير برسق بن برسق في ربيع من سنة ست وتسعين فقاتله وهزمه واستولى برسق على الرى وأعاده على ولاية بقزوين وسلك ينال على الجبال وهلك كثير من أصحابه وخلص الى بغداد فأكرمه المستظهر وأظهر طاعة السلطان محمد وتحالف هو وأبو الغازى وسقمان بن ارتق على مناصحة السلطان محمد وساروا الى صدقة بن مزيد بالحلة فاستحلفوه على ذلك ثم ان ينال بن أبي شتكين عسف بأهل بغداد وتسلط عليهم وصادر العمال فاجتمع الناس الى أبي الغازى بن ارتق وكان ينال صهره على أخته التي كانت زوجا لتتش وطلبوا منه أن يشفع لهم عنده وبعث المستظهر اليه قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى بالنهى عما يرتكبه فأجاب وحلف ثم نكث فأرسل المستظهر الى صدقة بن مزيد يستدعيه فوصل في شوال من السنة واتفق مع ينال على الرحيل من بغداد ورجع الى حلته وترك ولده دبيسا يزعج ينال للخروج فسار ينال الى   وعاث في السابلة وأقطع القرى لاصحابه وبعث الى صدقة فأرسل اليه العساكر وخرج فيها أبو الغازى بن ارتق وأصحاب المستظهر فسار ينال الى اذربيجان ورجعوا عنه

(ولاية كمشتكين النصيرى شحنة بغداد وفتنته مع أبي الغازى وحربه)

كان أبو الغازى بن ارتق شحنة بغداد ولاه عليها السلطان محمد عند مقتل كوهراس فلما ظهر الآن بركيارق على محمد وحاصره باصبهان ونزل بركيارق همدان وأرسل الى بغداد كمشتكين النصيرى في ربيع سنة ست وتسعين وسمع ابو الغازى بمقدمه فاستدعى

أخاه سقمان بن ارتق من حصن كيفا يستنجده وسار الى صدقة بن مزيد فحالفه على النصرة والمدافعة ورجع الى بغداد ووصل اليه أخوه سقمان بعد أن نهب في طريقه ووصل كمشتكين الى قرقيسيا ولقيه شيعة بركيارق وخرج ابو الغازى وسقمان عن بغداد ونهبا قرى دجيل واتبعتهما العساكر ثم رجعت عنهما وأرسل كمشتكين الى صدقة صاحب الحلة فامتنع من طاعة بركيارق وسار من الحلة الى صرصر وقطع خطبة بركيارق وعبر بغداد واقتصر على الدعاء للخليفة وبعث صدقة الى أبي الغازى وسقمان يعرفهما بوصوله وهما بالحربى وجاء الى دجيل ونهب القرى واشتد فسادهم وأضر ذلك بحال بغداد في غلاء الاسعار وجاء أبو الغازى وسقمان ومعهما دبيس بن صدقة فخيموا بالرملة وقاتلهم العامة ففتكوا فيهم وبعث المستظهر قاضى القضاة أبا الحسن الدامغانى وتاج الرؤساء ابن الرحلات الى صدقة بن مزيد بمراجعة الطاعة فشرط خروج كمشتكين عن بغداد فأخرجه المستظهر الى النهروان وعاد صدقة الى الحلة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد ثم سار كمشتكين النصيرى الى واسط وخطب فيها لبركيارق ونهب عسكره سوادها فسار صدقة وأبو الغازى اليه وأخرجاه من واسط وتحصن بدجلة فقصده صدقة فانفض عنه أصحابه ورجع الى صدقة بالامان فأكرمه وعاد الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وبعده لصدقة وأبي الغازى وولى كل واحد فيها ولده وعاد أبو الغازى الى بغداد وعاد صدقة الى الحلة وبعث ابنه منصورا مع أبي الغازى يطلب الرضا من المستظهر لانه كان سخطه من أجل هذه الحادثة

(المصاف الخامس بين بركيارق ومحمد)

كان السلطان محمد لما سار عن كنجة وبلاد اران استخلف بها الامير غرغلى وأقام بها في طائفة من عسكره مقيما خطبة السلطان محمد في جميع أعماله الى زنجان من آخر اذربيجان فلما انحصر محمد باصبهان سار غرغلى لانجاده ومعه منصور بن نظام الملك ومحمد بن أخيه مؤيد الملك فانتهوا الى الرى وملكوها آخر خمس وتسعين ولقوا السلطان محمدا بهمدان عندما خرج من أصبهان ومعه ينال بن أبي شتكين وأخوه على وأقاموا معه بهمدان ثم جاء الخبر بمسير بركيارق اليهم فتوجه السلطان محمد قاصدا شروان وانتهى الى اذربيجان فبعث اليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتى الذى كان بركيارق قتل أباه اسمعيل وكانت أخت مودود هذا تحت محمد وكان له طائفة من أعمال اذربيجان فاستدعى محمدا ليظاهره على بركيارق فسار اليه وانتهى الى سقمان وتوفى مودود في ربيع سنة ست وتسعين واجتمع عساكره على السلطان محمد وفيهم سقمان القطبى ومحمد بن باغى سيان الذى كان أبوه صاحب انطاكية ونزل ارسلان بن السبع الاحمر فسار اليهم

بركيارق وقاتلهم على خراسان وسار ايازمن عسكر بركيارق وجاء من خلف السلطان محمد فانهزم محمد وأصحابه ولحق بارقيش من أعمال خلاط ولقيه الامير على صاحب ارزن الرومى فمضى الى اصبهان وصاحبها منوجهر أخوفظون الروادى ثم سار الى هرمز وأمّا محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك فنجا من الوقعة الى ديار بكر ثم الى جزيرة ابن عمر ثم الى بغداد وكان أيام أبيه مقيما ببغداد فى جوار المدرسة النظامية فشكى الى أبيه وخاطب كوهراس بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة ولحق سنة ثنتين وتسعين بمجد الملك البارسلانى وأبوه بكنجة عند السلطان محمد فلما خطب السلطان محمد لنفسه واستوزر أباه مؤيد الملك لحق محمد هذا بأبيه ثم قتل أبوه وبقى فى جملة السلطان محمد

(استيلاء ملك بن بهرام على مدينة غانة)

كان ملك بن بهرام بن ارتق بن أخى ابى الغازى بن ارتق مالكا مدينة سروج فملكها الفرنج من يده فسار عنها الى غانة وغلب عليها بنى العيش بن عيسى بن خلاط كانت لهم فقصدوا صدقة بن مزيد مستنجدين به فأنجدهم وجاء معهم فرحل ملك بن بهرام والتركمان عنها ودخلها بنو العيش وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى الحلة فرجع ملك اليها فى ألفى رجل من التركمان وحاربها قليلا ثم عبر المخاضة وملكها واستباح أهلها ومضى الى هيت ورجع عنها

(الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد) ثم استقر الامر آخرا بالسلطان بركيارق فى الرى وكان له الجبال وطبرستان وخورستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ولمحمد اذربيجان وبلاد اران وارمينية واصبهان والعراق جميعا غير تكريت والبطائح بعضها وبعضها والبصرة لهما جميعا وخراسان لسنجر من جرجان الى ماوراء النهر يخطب فيها لاخيه محمد وله من بعده والعساكر كلهم يتحكمون عليهم بسبب الفتنة بينهما وقد تطاول الفساد وعم الضرر واختلفت قواعد الملك فأرسل بركيارق الى أخيه محمد فى الصلح مع فقيهين من أماثل الناس ورغباه فى ذلك وأعاده معهما رسلا آخرين وتقرر الامر بينهما أن يستقر محمد على ما بيده سلطانا ولا يعارضه بركيارق فى الطول ولا يذكر اسمه فى أعمال محمد وأن المكاتبة تكون بين الوزيرين والعساكر بالخيار فى خدمة من شاؤا منهما ويكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسترد الى باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشأم والعراق بلاد صدقة بن مزيد وبقية الممالك الاسلامية لبركيارق وتحالفا على ذلك وانتظم الامر وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان بالخروج عنها لاخيه بركيارق واستدعاهم اليه فأبوا وجنحوا الى خدمة بركيارق وساروا اليه بحريم السلطان محمد الذى كانوا معهم فأكرمهم بركيارق ودلهم

الى صاحبهم وحضر أبو الغازى بالديوان ببغداد وسار المستظهر فى الخطبة لبركيارق فخطب له سنة سبع وتسعين وكذلك بواسط وكان أبو الغازى قبل ذلك فى طاعة محمد فأرسل صدقة الى المستظهر يعذله فى شأنه ويخبره بالمسير لاخراجه من بغداد ثم سار صدقة ونزل عند الفجاج وخرج أبو الغازى الى عقربا وبعث لصدقة بأنه انما عدل عن طاعة محمد للصلح الواقع بينه وبين أخيه وأنهما تراضيا على أن بغداد لبركيارق وانا شحنة بها واقطاعى حلوان فلا يمكننى التحول عن طاعة بركيارق فقبل منه ورجع الى الحلة وبعث المستظهر فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين بالخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والوزير الخطير واستخلفهم جميعا وعاد الى بغداد والله سبحانه ولى التوفيق

(حرب سقمان وجكرمس الافرنج)

قد تقدم لنا استيلاء الافرنج على معظم بلاد الشأم وشغل الناس عنهم بالفتنة وكانت حران لقراجا من مماليك ملك شاه وكان غشوما فخرج منها لبعض مذاهبه وولى عليها الاصبهانى من أصحابه فعصى فيها وطرد أصحاب قراجا منها ما عدا غلاما تركيا اسمه جاولى جعله مقدم العسكر وأنس به فقرره وتركه وملك حران وسار الافرنج اليها وحاصروها وكان بين جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسقمان صاحب كيفا حروب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه فاتئدا بالنصر المسلمين واجتمعا على الخابور وتحالفا وسار سقمان فى سبعة آلاف من التركمان وجكرمس فى ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكراد والتقوا بالافرنج على نهر بلخ فاستطرد لهم المسلمون نحو فرسخين ثم كروا عليهم فغنموا فيهم وقتلوا سوادهم وأخذ القمص بردويل صاحب الرها أسره تركمانى من أصحاب سقمان فى نهر بلخ وكان سمند صاحب انطاكية من الافرنج وبيكرى صاحب الساحل منهم قد كمنا وراء الجبل ليأتيا المسلمين من ورائهم عند المعركة فلما عاينوا الهزيمة كمنوا بقية يومهم ثم هربوا فاتبعهم المسلمون واستلحموهم وأسروا منهم كثيرا وفلت سمند وبيكرى بدماء أنفسهم ولما حصل الظفر للمسلمين عصى أصحاب جكرمس باختصاص سقمان بالقمص وحملوه على أخذه لنفسه فأخذه جكرمس من خيام سقمان وشق ذلك عليه وأراد أصحابه فأبى حذرا من افتراق المسلمين ورحل وفتح فى طريقه عدة حصون وسار جكرمس الى حران ففتحها ثم سار الى الرها فحاصرها خمس عشرة ليلة وعاد الى الموصل وفادى القمص بخمسة وثلاثين ألف دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين

(وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه) ثم توفى السلطان بركيارق بن ملك شاه بنردجرد فى أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتى عشرة سنة ونصف من ملكه جاء اليها

بياض بالاصل

عليلا من اصبهان واشتد مرضه بنردجرد فولى عهده لابنه ملكشاه وعمره نحو من خمس سنين وخلع عليه وجعل الامير اياز كافله وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة وبعثهم الى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق ورجع اياز حتى دفنه باصبهان وجمع السرادقات والخيام والجتر والسمسمة لابنه ملكشاه وكان بركيارق قد لقى فى ملكه من الرخاء والشدة والسلم مالم يلقه أحد فلما استقر   واستقامت سعادته أدركته المنية ولما توفى خطب لابنه ملكشاه ببغداد وكان أبو الغازى قد سار من بغداد اليه وهو باصبهان يستحثه الى بغداد وجاء معه فلما مات سار مع ابنه ملكشاه والامير اياز الى بغداد وركب الوزير أبو القاسم على بن جهير فلقيهم به   مالى وحضر أبو الغازى والامير طغايرك بالديوان وطلبا الخطبة لملكشاه فخطب له ولقب بألقاب جده ملكشاه

بياض بالاصل

بياض بالاصل

(حصار السلطان محمد الموصل)

لما انعقد الصلح بين بركيارق ومحمد واختص كل منهما باعماله وكانت اذربيجان فى قسمة محمد رجع محمد الى أذربيجان ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الذى كان نائبا باصبهان بعد أن أبلى فى المدافعة عنها ثم سلمها بعد الصلح الى نواب بركيارق واستوزره فأقام محمد الى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق مراغة ورحل وبلغ الخبر الى جكرمس فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية الى البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما استقر عليه بينه وبين أخيه وأن الموصل والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبايمانه عليه ووعده أن يقرها فى عمالته فقال له جكرمس ان السلطان كتب الى بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتد فى حصاره واشتد أهل البلد فى المدافعة ونفس الله عنهم برخص الاسعار وكان عسكر جكرمس مجتمعين قريبا من الموصل وكانوا يغزون على أطراف العسكر ويمنعون عنهم الميرة ثم وصل الخبر عاشر جمادى الاولى بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمس أهل البلد فردوا النظر اليه واستشار الجند فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل اليه بذلك واستدعى وزيره سعد الملك فدخل عليه وأشار عليه بلقاء السلطان فخرج اليه على كره من أهل البلد فتلقاه السلطان بالكرامة وأعاده سريعا الى البلد ليطمئن الناس

(استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملكشاه بن أخيه ومقتل اياز)

قد كنا قدمنا صلح بركيارق وأخيه محمد من أنه يستقل بركيارق بالسلطنة وينفرد محمد بالاعمال التى ذكرنا وموت بركيارق اثر ذلك وتقديم ابنه ملكشاه ببغداد فوصل الخبر

بذلك الى محمد وهو يحاصر الموصل فأطاعه جكرمس وسار محمد الى بغداد ومعه جكرمس وسقمان القطبى مولى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتى بن داود وياقوتى عم ملكشاه ومحمد وغيرهما من الامراء وجمع صدقة صاحب الحلة العساكر وبعث ابنه بدران ودبيسا الى محمد يستحثانه وجاء السلطان محمد الى بغداد فاعتزم الامير اياز أتابك ملكشاه على دفاعه وخيم خارج بغداد وأشار عليه بذلك أصحابه وخالفهم وزيره أبو المحاسن الضبعى وأبلغ فى النصيحة له بطاعة السلطان فأقام مترددا ونزل محمد بالجانب الغربى وخطب له هنالك منفردا ولهما معا فى بعض الجوامع واقتصر على سلطان العالم فى بعضها ورجع اياز الى استحلاف الامراء ثانيا فوقف بعضهم وقال لا فائدة فى اعادة اليمين وارتاب اياز عندها وبعث وزيره الضبعى أبا المحاسن لعقد الصلح مع السلطان واستحلافه فقرأ على وزيره سعد الملك أبى المحاسن سعد بن محمد فدخل معه الى السلطان وأجابه الى ما طلب وجاء معه من الغد قاضى القضاة والمفتيان واستحلفاه لاياز وللامراء فحلف الا أن ينال الحسامى و   وقال أما ملكشاه فهو ابنى وأنا أبوه وجاء اياز من الغد وقارن وصول صدقة بن مزيد فانزلهما واحتفى بهما وذلك آخر جمادى الاولى من سنة ثمان وتسعين ثم احتفل اياز بعدها فى عمل صنيع للسلطان فى بيته وهى دار كوهراس وأهدى اليه تحفا من جملتها حبل البلخش الذى أخذه من تركة نظام الملك بن مؤيد الملك واتفق ان ايازتقدم لمواليه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان وكان عندهم مصفعان فألبسوه درعا تحت ثيابه وتناولوه بالنخس فهرب عنهم ودخل فى حاشية السلطان مذعورا فلمسوه فاذا الدرع تحت ثيابه فارتابوا ونهض السلطان الى داره ثم دعا الامراء بعد ذلك بأيام   فاستشارهم فى بعث يبعثهم الى ديار بكر   ان ارسلان بن سليمان بن قطلمش قصدها فاتفقوا على الاشارة بمسير اياز وطلب هو أن يكون معه صدقة بن مزيد فأسعفه السلطان بذلك واستدعاهما لانفاذ ذلك وقد أرصد فى بعض المخادع بطريقهم جماعة لقتل اياز فلما مر بهم تعاورته سيوفهم وقطع رأسه وهرب صدقة وأغمى على الوزير وهرب بعسكر اياز فنهبوا داره وأرسل السلطان من دفعهم عنها وسار السلطان من بغداد الى اصبهان وهذا اياز من موالى السلطان ملكشاه ثم سار فى جملة ملك آخر فساء وأما الضبعى وزير اياز فاختفى أشهرا ثم حمل الى الوزير سعد الملك فى رمضان فلما وصل كان ذلك سبب رياسته بهمدان

بياض بالاصل

بياض بالاصل

(استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين وموته)

كان هذا الحصن فى ديار بكر أقطعه السلطان بركيارق لمغن كان عنده وكان حوالها خلق كثير من الاكراد يغيرون عليها ويخيفون سابلتها واتفق ان كربوقا خرج من

الموصل لحصار آمد وكانت لبعض التركمان فاستنجد بسقمان فسار لانجاده ولقيه كربوقا ومعه زنكى بن اقسنقر وأصحابه وأبلوا ذلك اليوم بلاء شديدا فانهزم وأسر ابن أخيه ياقوتى بن ارتق فحبسه بقلعة ماردين عند الغز فبقى مدة محبوسا وكثر خروج الاكراد بنواحى ماردين فبعث ياقوتى الى المغنى يسأله أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل وصار يغير عليهم فى سائر النواحى الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة فلا يهيجهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام بعد مرجعه من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم للقتل ان لم يفتحها أهلوهم ففتحوها وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين والى جزيرة ابن عمر وهى لجكرمس فكبسه جكرمس وأصحابه وأصابه فى الحرب سهم فقتله وبكاه جكرمس وكانت تحت ياقوتى بنت عمه سقمان فمضت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء بهم الى نصيبين لطلب الثار

بياض بالاصل

فبعث اليه جكرمس ما أرضاه من المال فى ديته فرجع وأقام بماردين بعد ياقوتى أخوه على طاعة جكرمس وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه تملك ماردين لجكرمس فبادر اليها سقمان واستولى عليها وعوض عنها ابن أخيه جبل جور وأقامت ماردين فى حكمه مع حصن كيفا واستضاف اليها نصيبين ثم بعث اليها فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يستنجده على الافرنج وكان استبد بها على الخلفاء العبيديين أهل مصر وثار له الافرنج عندما ملكوا سواحل الشأم فبعث بالصريخ الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين فأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغتكين صاحب دمشق المستبد بها من موالى بنى تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفا على دمشق من الفرنج فأسرع السير معتزما على قصد طرابلس وبعدها دمشق فانتهى الى القريتين وندم طغتكين على استدعائه وجعل يدبر الرأى مع أصحابه فى صرفه ومات هو بالقريتين فكفاهم الله تعالى أمره وقد كان أصحابه عندما أيقن بالموت أشاروا عليه بالعود الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لى ثواب شهيد

(خروج منكبرس على السلطان محمد ونكبته)

كان منكبرس بن بورس بن البارسلان مقيما باصبهان وانقطعت عنه المواد من السلطان فخرج الى نهاوند ودعا لنفسه وكاتب الامراء بنى برسق بخورستان يدعوهم الى طاعته وكان أخوهم زنكين عند السلطان محمد فقبض عليه وكاتب اخوته فى التدبير على منكبرس فأرسلوا اليه بالطاعة حتى جاءهم فقبضوا عليه بخورستان وبعثوا به الى اصبهان فاعتقل مع ابن عمه تتش وأطلق زنكين بن برسق وأعيد الى مرتبته وكانت اقطاع بنى برسق الاسير وسابور وخورستان وغيرها ما بين الاهواز وهمذان فعوضهم عنها بالدينور وأخرجهم من تلك الناحية والله تعالى أعلم

*(مقتل

(مقتل فخر الملك بن نظام الملك) قد ذكرنا قبل ان فخر الملك بن نظام الملك كان وزيرا لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق وجده فى محبسه اطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزيرا له فمال اليه فخر الدولة بسعاية مجد الملك البارسلانى واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره فلما كان فى آخر المائة الخامسة جاء باطنى يتظلم الى باب داره فأدخله يسمع شكواه فطعنه بخنجر فقتله وأمر السلطان سنجر بضربه فأقر على جماعة من الناس وقتل

(ولاية جاولى سكاوو على الموصل وموت جكرمس)

كان جاولى سكاوو قد استولى على ما بين خورستان وفارس فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة فى أهلها فلما استقل السلطان محمد بالملك خافه جاولى وأرسل السلطان اليه الامير مودود بن أنوتكين فتحصن منه جاولى وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاولى الى السلطان بطلب غيره فأرسل اليه خاتمه مع أمير آخر فسار اليه باصبهان وجهزه فى العساكر لجهاد الافرنج بالشأم واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمس صاحب الموصل قد قطع الحمل فأقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة لجاولى فسار الى الموصل وجعل طريقه على بغداد على البوازيج فاستباحها أياما ثم سار الى اربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردى الهربانى الى جكرمس يستحثه فسار فى عسكر الموصل والتقوا قريبا من اربل فانهزم أصحاب جكرمس وكان يحمل فى المحفة فقاتل عنده غلمانه وأحمد بن قاروت بك فخرج فانهزم الى الموصل

بياض بالاصل

ومات وجىء بجكرمس فحبسه ووصل من الغد الى الموصل فولوا زنكين بن جكرمس وأقام بالجزيرة وقام بأمره غزغلى مولى أبيه وفرق الاموال والخيول وكتب الى قليج ارسلان صاحب بلاد الروم مينا وكان قد شيد الموصل وبنى أسوارها وحصنها بالخندق وبينما هو كذلك سار اليه قليج ارسلان من بلاد الروم باستدعاء غزغلى كما تقدم وانتهى الى نصيبين فرحل جاولى عن الموصل ثم جاء البرسقى شحنة بغداد ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يجيبوه فرجع من يومه وسار قليج ارسلان من نصيبين الى الموصل وتأخر عنها جاولى الى سنجار واجتمع ابن الغازى بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمس وجاء جريح رضوان بن تتش من الشأم على الافرنج فسار الى الرحبة وبعث أهل الموصل وعسكر جكرمس الى قليج ارسلان بنصيبين واستحلفوه فحلف وجاء الى الموصل فملكها فى منتصف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمس وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد الى العسكر وأخذ القلعة من غزغلى

بياض بالاصل

مولى جكرمس وأقر القاضى أبا محمد عبد الله بن القاسم الشهرزورى على القضاء وجعل

الرياسة لابى البركات محمد بن محمد بن خميس وكان فى جملة قلهم ارسلان ابراهيم بن ينال التركمانى صاحب آمد ومحمد بن جوا صاحب خرتبرت كان ابراهيم ابن ينال ولاه تتش على آمد فبقيت بيده وكان ابن جوا ملك خرتبرت من يد القلادروس ترجمان الروم كانت له الرها وانطاكية فملك سليمان قطلمش انطاكية وبقيت له الرها وخرتبرت وأسلم القلادروس على القيام بأعماله فملك محمد بن جوا خرتبرت وأسلم القلادروس فلما ولى فخر الدولة بن جهير ديار بكر ضعف القلادروس عن الرها على يد ملك شاه وأمره عليها ولما سار جاولى الى الرحبة قاصدا صريخ رضوان بن تتش نزل عليها آخر رمضان من السنة وحاصرها وبها محمد بن السباق من بنى شيبان ولاه عليها دقاق فاستبد بها وخطب لقليج ارسلان فحاصره جاولى وكتب الى رضوان يستدعيه ويعده بالمسير معه لدفاع فجاء رضوان وحاصر معه الرحبة ثم دس الى جاولى جماعة من حامية الاسوار فوثبوا بها وأدخلوا وملك البلد وأبقى على محمد الشيبانى وسار معه ثم ان قليج ارسلان لما فرغ من أمر الموصل ولى عليها ابنه ملك شاه فى عسكر ومعه أمير يدبره وسار الى قتال جاولى ورجع عنه ابراهيم بن ينال الى بلده آمد من الخابور وبعث الى بلده فى الحشد فعاجله جاولى بالحرب والتقوا فى آخر ذى القعدة من السنة وانهزم أصحاب قليج ارسلان على دفاعه وأعاد الخطبة للسلطان واستصفى أصحاب جكرمس ثم سار الى الجزيرة وبها حبيش بن جكرمس ومعه غرغلى من موالى أبيه فحاصره مدة ثم صالحه على ستة آلاف دينار ورجع الى الموصل وأرسل ملك شاه بن قليج ارسلان الى السلطان محمد والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل صدقة بن مزيد)

ولما استوحش صدقة بن مزيد صاحب الحلة من السلطان محمد سار اليه السلطان وملك أعماله ولقيه صدقة فهزمه السلطان وقتل فى المعركة كما ذكرنا ذلك فى أخبار صدقة فى دولة ملوك الحلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(قدوم ابن عمار صاحب طرابلس على السلطان محمد) كان فخر الدولة أبو على بن عمار صاحب طرابلس استبد بها على العبيديين فلما ملك الافرنج سواحل الشأم رددوا عليها الحصار فضاقت أحوالها فلما انتظم الامر للسلطان محمد واستقام ملكه قصده فخر الملك بن عمار صريخا للمسلمين بعد أن استخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب وفرق فى الجند عطاءهم لستة أشهر ورتب الجامكية فى مقاعدهم للقتال وسار الى دمشق فلقيه طغتكين أتابك وخيم بظاهرها أياما ورحل الى بغداد فأركب السلطان الامراء لتلقيه ولم يدخر عنه برا ولا كرامة وكذلك الخليفة وأتحف السلطان بهدايا وذخائر

نفيسة وطلب النجدة وضمن النفقة على العسكر فوعده بالنصر وأقام ثم لقى الامير حسين بن أتابك طغتكين ليسير بالعساكر الى الموصل مع الامير مودود لقتال صدقة جاولى ثم يسير حسين معه الى الشأم ثم رحل السلطان عن بغداد سنة احدى وخمسمائة لقتال صدقة واستدعى ابن عمار وهو بالنهروان فودعه وسار معه الامير حسين الى دمشق وكان ابن عمار لما سار عن طرابلس استخلف عليها ابن عمه ذا المناقب فانتقض واجتمع مع أهل طرابلس على اعادة الدولة العلوية وبعثوا الى الافضل بن أمير الجيوش المستبد على الدولة بمصر بطاعتهم ويسألون الميرة فبعث اليهم شرف الدولة بن أبى الطيب واليا ومعه الزاد من الاقوات والسلاح فدخل البلد وقبض على أهل ابن عمار وأصحابه واستصفى ذخائرهم وحمل الجميع الى مصر فى البحر

(استيلاء مودود بن أبى شتكين على الموصل من يد جاولى)

قد تقدم لنا استيلاء جاولى على الموصل من يد قليج بن ارسلان وابن جكرمس وهلاكهما على يده واستفحل ملكه بالموصل وجعل السلطان محمد بن اليه ولاية ما يفتحه من البلاد له فقطع الحمل عن السلطان واستنفره لحرب صدقة فلم ينفر معه وداخل صدقة بأنه معه فلما فرغ السلطان من أمر صدقة بعث مودود بن أبى شتكين فى العساكر وولاه الموصل وبعث معه الامراء ابن برسق وسقمان القطبى واقسنقر البرسقى ونصر بن مهلهل بن أبى الشوك الكردى وأبو الهيجاء صاحب أربل مددا فوصلوا الموصل وخيموا عليها فوجدوا جاولى قد استعد للحصار وحبس الاعيان وخرج عن البلد وترك بها زوجته هى وابنة برسق فى ألف وخمسمائة مقاتل فأحسن فى مصادرة الناس واشتد عليهم الحصار فلما كان المحرم سنة ثنتين خرج بعض الحامية من فرجة من السور وأدخلوا منها مودود والعساكر وأقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام ثم استأمنت وخرجت الى أخيها يوسف بن برسق بأموالها واستولى مودود على الموصل وأعمالها وأما جاولى فلما سار عن الموصل حمل معه القمص الذى كان أسره بنعمان وأخذه منه جكرمس وسار به الى نصيبين وسأل من صاحبها ابو الغازى بن ارتق المظاهرة على السلطان فلم يجبه الى ذلك ورحل عن نصيبين الى ماردين بعد ان ترك ابنه مقيما مع الحامية فتبعه جاولى ودخل عليه وحده بالقلعة متطارحا عليه فأجابه وسار معه الى نصيبين ثم الى سنجار وحاصراها فامتنعت عليهما ثم هرب ابو الغازى ليلا الى نصيبين وتركه فسار جاولى الى الرحبة وأطلق القمص بردويل لخمس سنين من الصبرة على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين يطلقهم وعلى النصرة مهما طلبه وأرسله الى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاء ابن خالته جوسكر صاحب تل ناشر من زعماء الفرنج وكان أسر

مع القمص فافتدى بعشرين ألف دينار وأقام جوسكر رهينة وسار القمص الى انطاكية ثم أطلق جاولى جوسكر وأخذ رهنا عنه صهره وصهر القمص وبعثه فى اتمام ماضمن ولما وصل الى انطاكية أعطاه شكرى صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا وغير ذلك وكانت الرها وسروج بيد القمص ولما أسر ملك جكرمس الرها من أصحابه طلبها منه الآن فلم يجبه فخرج القمص مغاضبا له ولحق بتل باشر وقدم عليه جوسكر عندما أطلقه جاولى ثم سار اليهما شكرى يعاجلهما قبل اجتماع أمرهما فحاصرهما أياما ورجع القمص وجوسكر على حصون شكرى صاحب انطاكية واستمد أبو سيل الارمنى صاحب رعبان وكيسوم والقلاع شمالى حلب فأنجدهم بألف فارس وسار اليهم شكرى وحضر البترك وشهد جماعة من القسيسين والبطارقة أن أسمندخال شكرى قال له عند ماركب البحر الى بلاده أعد الرها الى القمص اذا خلص من الاسر فحكم البترك باعادتها فأعادها تاسع صفر من السنة وعبر القمص الفرات ليرفع الى جاولى المال والاسرى كما شرط له وكان جاولى لما أطلق القمص سار الى الرحبة ولقيه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور وكانا مقيمين بعد قتل أبيهما عند سالم بن مالك فاستنجداه ووعداه أن يسير معهما الى الحلة واتفقوا على تقديم ابى الغازى تكين ثم قدم عليهم اصبهبذ صباوو وقد أقطعه السلطان الرحبة فأشار على جاولى بقصد الشأم لخلوها عن العساكر والجند عن العراق وطريق السلطان فقبل اشارته وأحصر على الرحبة ثم وفد عليه صريخ سالم ابن مالك صاحب جعبر يستغيث به من بنى نمير وكان جيوش النميرى قد نزل على بن سالم بالرقة وملكها وسار اليه رضوان من حلب فصالحه بنو نمير بالمال ورجع عليهم فاستنجد سالم الآن جاولى فجاء وحاصر بنى نمير بالرقة سبعين يوما فأعطوه مالا وخيلا ورحل عنهم واعتذر لسالم ثم وصل جاولى الى الامير حسين بن أتابك قطلغ تكين كان أبوه أتابك السلطان محمد بكنجة فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان وبعثه مع ابن عمار ليصلح أمر جاولى وتسير العساكر كلها الى الجهاد مع ابن عمار فأجاب جاولى لذلك وقال لحسين سر الى الموصل ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدى رهينة وتكون الجباية لوال من قبل السلطان فجاء حسين الى العساكر قبل أن يفتحوها فكلهم أجاب الا الامير مودود فانه امتنع من الرحيل الا باذن من السلطان وأقام محاصرا لها حتى افتتحها وعاد ابن قطلغ الى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاولى وسار جاولى الى بالس فملكها من أصحاب رضوان بن تتش وقتل جماعة من أهلها فيهم القاضى محمد بن عبد العزيز بن الياس وكان فقيها صالحا ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاولى واستمد شكرى صاحب انطاكية فأمده بنفسه وبعث جاولى الى القمص بالرها يستمده وترك له مال المفاداة فجاء

اليه بنفسه ولحقه بمنبج وجاء الخبر الى جاولى باستيلاء مودود وعساكر السلطان على الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره وانفض عنه كثير من أصحابه منهم زنكى بن اقسنقر وبكتاش وبقى معه اصبهبذ صباوو وبدران بن صدقة وابن جكرمس وانضم اليه كثير من المتطوعة ونزل تل باشر وأتى عسكر رضوان وشكرى وكادت تهزمهم لولا أن أصحابه ساروا عنه وسار فى اتباعهم فأبوا عليه فمضى منهزما وقصد اصبهبذ الشأم وبدران بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمس جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلق ونهب صاحب انطاكية سوادهم وهرب القمص وجوسكر الى تل باشر وكان المنهزمون من المسلمين يمرون بهم فيكرمونهم ويجيزونهم الى بلادهم ولحق جاولى بالرحبة فلقى بها سرايا مودود صاحب الموصل وخفى عنهم فارتاب فى أمره ولم ير الخير له من قصد السلطان محمد ثقة بما ألقى اليه حسين بن قطلغ تكين فى شأنه فأوغر فى السير ولحق بالسلطان قريبا من اصبهان ونزل حسين بن قطلغ فدخل به الى السلطان فأكرمه وطلب منه بكتاش بن عمه تتش واعتقله باصبهان

* (مقتل مودود بن توتكين صاحب الموصل فى حرب الافرنج وولاية البرسقى مكانه) *

كان السلطان محمد قد أمر مودودا صاحب الموصل سنة خمس وخمسمائة بالمسير لقتال الافرنج وأمده بسقمان القطبى صاحب ديار بكر وأرمينية وايا كى وزنكى ابنى برسق أمراء همدان وماجاورها والامير أحمد يك أمير مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل والامير أبو الغازى صاحب ماردين وبعث اليه اياز مكانه فساروا الى سنجار وفتحوا حصونا للافرنج وحاصروا مدينة الرها فامتنعت عليهم وأقام الافرنج على الفرات بعد أن طرقوا أعمال حلب فعاثوا فيها ثم حاصر العساكر الاسلامية قلعة تاشر فامتنعت ودخلوا الى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ومات سقمان القطبى فى دلاس فحمله أصحابه فى تابوت الى بلاده واعترضهم أبو الغازى بن ارتق ليأخذهم فهزموه ثم افترقت العساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد بن صاحب مراغة الى السلطان لطلب بلاد سقمان القطبى واجتمع قطلغتكين صاحب دمشق بمودود ونزل معه على نهر القاضى وسمع الافرنج بافتراق العساكر فساروا الى ماميا وجاء السلطان ابن منقذ صاحب شيزار الى مودود وقطلغتكين وحرضهما على الجهاد ونزلوا جميعا على شيزار ونزل الفرنج قبالتهم ثم رأوا قوة المسلمين فعادوا الى فامية ثم سار مودود سنة ست الى الرها وسروج فعاث فى نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تل باشر فى الافرنج ونال منه ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستنجاد قطلغتكين صاحب دمشق لمودود فاجتمع معه تميرك صاحب سنجار واياز بن أبى الغازى وعبروا الفرات الى قطلغتكين وقصدوا

القدس فسار اليهم صاحبها بقزوين ومعه جوسكر ومعه تل ناشر على جيشه ونزلوا الاردن واقتتلوا قريبا من طبرية فانهزم الافرنج وقتل كثير منهم وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الاردن وغنم المسلمون سوادهم ثم لقيهم عسكر طرابلس وانطاكية من الفرنج فاستعانوا بهم وعاودوا الحرب ونزلوا في جبل طبرية فحاصرهم فيه المسلمون ثم ساروا فعاثوا في بلاد الافرنج ما بين عكا الى القدس ثم نزلوا دمشق وفرق مودود عساكره ووعدهم العود من قابل للجهاد ودخل دمشق ليستريح عند قطلغتكين فصلى الجمعة في الجامع فطعنه باطني فأثواه وهلك لآخر يومه واتهم قطلغتكين به وقتل الباطني من يومه ولما بلغ الخبر السلطان بقتل مودود ولى على الموصل وأعمالها اقسنقر البرسقي سنة ثمان وخمسمائة وبعث معه ابنه الملك مسعود في جيش كثيف وأمره بجهاد الافرنج وكتب الى الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واجتمعت اليه عساكر النواحي فيهم عماد الدين زنكي بن اقسنقر وتمير صاحب سنجار وسار البرسقي الى جزيرة ابن عمر فأطاعه نائب مودود بها ثم سار الى ماردين فأطاعه أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه اياز فسار الى الرها فحاصرها شهرين ثم ضاقت الميرة على عسكره ثم رحل الى شميشاط بعد ان خرب نواحي الرها وسروج وشميشاط وكانت مرعش للافرنج هي وكسوم ورعبان وكان صاحبها كراسك واتفقت وفاته وملكت زوجته بعده فراسلت البرسقي بالطاعة وبعث اليها رسوله فأكرمته ورجعته الى البرسقي بالهدايا والطاعة وفرعنها كثير من الافرنج الى انطاكية ثم قبض البرسقي على اياز بن أبي الغازي لاتهامه اياه في الطاعة فسار اليه أبو الغازي في العساكر وهزمه واستنقذ ابنه اياز من أسره كما ترى في أخبار دولة أبي الغازي وبنيه وبعث السلطان يهدده فوصل يده بقطلغتكين صاحب دمشق والفرنج وتحالفوا على التظاهر ورجع أبو الغازي الى ديار بكر فسار اليه قزجان بن مراجا صاحب حمص وقد تفرق عنه أصحابه فظفر به وأسره وجاء قطغلتكين في عساكره وبعث الى قزجان في اطلاقه فامتنع وهم بقتله فعاد عنه قطلغتكين الى دمشق وكان قزجان قد بعث الى السلطان بخبره وانتظر من يصل في قتله فأبطأ عليه فأطلق أبا الغازي بعد ان توثق منه بالحلف وأعطاه ابنه اياز رهينة ولما خرج سار الى حلب وجمع التركمان وحاصر قزجان في طلب ابنه الى أن جاءت عساكر السلطان

* (مسير العساكر لقتال أبي الغازي وقطلغتكين والجهاد بعدهما) *

ولما كان ما ذكرناه من عصيان أبي الغازي وقطلغتكين على السلطان محمد وقوة الفرنج على المسلمين جهز السلطان جيشا كثيرا مقدمهم الامير برسق صاحب همدان ومعه

الامير حيوس بك والامير كشغرة وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بقتال أبي الغازي وقطلغتكين فاذا فرغوا منهما ساروا الى الفرنج فارتجعوا البلاد من أيديهم فساروا لذلك في رمضان من سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤا الى حلب وطلبوا من صاحبها لؤلؤ الخادم ومن مقدم العسكر المعروف بشمس الخواص تسليم حلب بكتاب السلطان في ذلك فتعلل عليهم وبعث الى أبي الغازي وقطلغتكين بالخبر واستنجدهما فسارا اليه في ألفين وامتنعت حلب على عساكر السلطان فسار برسق بالعساكر الى حماة وهي لقطلغتكين فملكها عنوة وسلمها الى قزجان صاحب حمص بعهد السلطان له بذلك في كل ما يفتحونه من البلاد فثقل ذلك على الامراء وتخاذلوا وتسلم قزجان حماة بن برسق وأعطاه ابن أبي الغازي ابنه رهينة عنده ثم سار أبو الغازي وقطلغتكين وشمس الخواص الى انطاكية مستنجدين بصاحبها بردويل وجاءهم بعد ذلك بغدوس صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من الافرنج واتفقوا على تأخير الحرب الى انصرام الشتاء واجتمعوا بقلعة أفامية وأقاموا شهرين وانصرم الشتاء والمسلمون مقيمون فوهنت عزائم الافرنج وعادوا الى بلادهم وعاد أبو الغازي الى ماردين وقطلغتكين الى دمشق وسار المسلمون الى كفرطاب من بلاد الافرنج فحاصروه وملكوه عنوة وأسروا صاحبه واستلحموا من فيه ثم ساروا الى قلعة افامية فامتنعت عليهم فعادوا الى المعرة وفارقهم حيوس بك الى مراغة فملكه وسارت العساكر من المعرة الى حلب وقدموا أثقالهم وخيامهم فصادفهم بردويل صاحب انطاكية في خمسمائة فارس وألفي راجل صريخا لاهل كفرطاب وصادف مخيم العسكر فقتل فيهم وفعل الافاعيل وهم متلاحقون وجاء الامير برسق وعاين مصارعهم وأشار عليه اخوته بالنجاء بنفسه فنجا بنفسه واتبعهم الافرنج ورجعوا عنهم على فرسخ وعاثوا في المسلمين في كل ناحية وقتل اياز بن أبي الغازي قتله الموكلون به وجاء أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين ما لم يحتسبوه ويئسوا من النصرة ورجعت العساكر منهزمة الى بلادها وتوفي برسق زنكي سنة عشر بعدها

* (ولاية حيوس بك ومسعود بن السلطان محمد على الموصل) *

ثم أقطع السلطان الموصل وما كان بيد اقسنقر البرسقي للامير حيوس بك وبعث معه ابنه مسعودا وأقام البرسقي بالرحبة وهي اقطاعه الى أن توفي السلطان محمد

* (ولاية جاولي سكاو على فارس وأخباره فيها ووفاته) *

كان جاولي سكاو لما رجع الى السلطان محمد ورضي عنه ولاه فارسا وأعمالها وبعث معه ابنه جغري بك طفلا كما فصل من الرضاع وعهد اليه باصلاحها فسار اليها ومر

بالامير بلداجي في بلاده كيل وسرماة وقلعة اصطخر وكان من مماليك السلطان ملك شاه فاستدعاه للقاء جعفري بك وتقدم اليه بأن يأمر بالقبض عليه فقبض عليه ونهبت أمواله وكان أهله وذخائره في قلعة اصطخر وقد استناب فيها وزيره الجهمي ولم يمكنه الامن بعض أهله فلما وصل جاولي الى فارس ملكها منه وجعل فيها ذخائره ثم أرسل الى خسرو وهو الحسين بن مبارز صاحب نسا وأمير الشوانكاره من الاكراد فاستدعاه للقاء جعفري بك من السلطان خشية مما وقع لبلداجي فأعرض عنه وأظهر الرجوع الى السلطان ومضى رسول خبره فبشره بانصرافه عن فارس فما أدى اليه الخبر الا وجاولي قد خالطهم رجع من طريقه وأوغر في السير اليهم ثم هرب خسرو الى عمدالج وفتك جاولي في أصحابه وماله ثم سار جاولي الى مدينة نسا فملكها ونهب جهرم وغيرها وسار الى خسرو فامتنع عليه بحصنه فرجع الى شيراز وأقام بها ثم سار الى كازرون فملكها وحاصر أبا سعيد بن محمد في قلعته مدة عامين وراسله في الصلح فقتل الرسل مرتين ثم اشتد عليه الحصار واستأمن فأمنه وملك الحصن ثم استوحش من جاولي فهرب وقبض على ولده وجيء به أسيرا فقتل ثم سار جاولي الى دارابكرد فهرب صاحبها ابراهيم الى كرمان وصاحبها ارسلان شاه بن كرمان شاه بن ارسلان بك بن قاروت بك فسار جاولي الى حصار درابكرد فامتنعت عليه فخرج الى البرية ثم جاءهم من طريق كرمان كأنه مدد لهم من صاحب كرمان فأدخلوه فملك البلد واستلحم أهله ثم سار الى كرمان وبعث الى خسرو ومقدم الشوذ كان يستدعيه للمسير معه فلم يجد بدا من موافقته وجاء وصاحبه الى كرمان وبعث الى ملك كرمان باعادة الشواذ كان الذين عنده فبعث بالشفاعة فيهم فاستخلص السلطان الرسول بالاحسان وحثه على صاحبه ووعده بأن يرد العساكر عن وجهه ويخذلهم عنه ما استطاع وانقلب عنه الى صاحبها فلقي عساكر كرمان مع وزيره بالسيرجان فتراءى لهم أن جاولي عازم على مواصلتهم وانه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأشار عليه بالرجوع فرجعوا وسار جاولي في أثر الرسول وحاصر حصنا بطرف كرمان فارتاب ملك كرمان بخبر الرسول ثم اطلع عليه من غير جامعة فقتله ونهب أمواله وبعث العساكر لقتاله واجتمع معهم صاحب الحصن المحاصر وسلك بهم غير الجادة وسمع جاولي بخبرهم فأرسل بعض الامراء ليأتيه بالخبر فلم يجد بالجادة أحدا فرجع وأخبره أن عسكر كرمان قد رجع فاطمأن ولم يكن الا قليل حتى بيتته عساكر كرمان في شوال سنة ثمان وخمسمائة فانهزم وفتكوا فيه قتلا وأسرا وأدركه خسرو بن أبي سعد الذي كان قتل أباه فلما رآهما خاف منهما فآنساه وأبلغاه الى مأمنه بمدينة نسا ولحقته عساكره وأطلق

ملك كرمان الاسرى وجهزهم اليه وبينما هو يجهز العساكر لكرمان لاخذ ثاره توفي جعفري بك ابن السلطان في ذي الحجة من سنة تسع لخمس سنين من عمره فقطعه ذلك عن معاداة كرمان ثم بعث ملك كرمان الى السلطان ببغداد في منع جاولي عنه فقال له لا بد أن تسلم الحصن الى حاصره جاولي في حد كرمان وانهزم عليه وهو حصن فرج ثم توفي جاولي في ربيع سنة عشر فامنوا اعادته والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من ملكه بعد ان أجلس ولده محمودا على الكرسي قبل وفاته بعشر ليال وفوض اليه أمور الملك فلما توفي نفذت وصيته لابنه محمود فأمره فيها بالعدل والاحسان وخطب له ببغداد وكان مناهز الحلم وكان السلطان محمد شجاعا عادلا حسن السيرة وله آثار جميلة في قتال الباطنية قد مر ذكرها في أخبارهم ولما ولي قام بتدبير دولته الوزير أبو منصور وأرسل الى المستظهر في طلب الخطبة ببغداد له في منتصف المحرم من سنة ثنتي عشرة وأقر طهرون شحنة على بغداد وقد كان السلطان محمد ولاه عليها سنة ثنتين وخمسمائة ثم عاد البرسقي وقاتله وانهزم الى عسكر السلطان محمود وعلى الحلة دبيس بن صدقة وقد كان عند السلطان محمد منذ قتل أبو صدقة وأحسن اليه وأقطعه وولى على الحلة سعيد ابن حميد العمري صاحب جيش صدقة فلما توفي رغب من ابنه السلطان محمودا العود الى الحلة فأعاده واجتمع عليه العرب والاكراد

(وفاة المستظهر وخلافة ابنه المسترشد)

ثم توفي المستظهر بن المقتدي سنة ثنتي عشرة وخمسمائة منتصف ربيع الآخر ونصب للخلافة ابنه المسترشد واسمه الفضل وقد تقدم ذلك في أخبار الخلفاء

(خروج مسعود بن السلطان محمد على أخيه محمود)

تقدم لنا أن السلطان ولى على الموصل ابنه مسعودا ومعه حيوس بك وان السلطان محمودا ودبيس بن صدقة سارا الى الحلة فلما توفي السلطان محمد وولي ابنه محمود سار مسعود من الموصل مع اتابك حيوس بك ووزيره فخر الملك علي بن عمار وقسيم الدولة وزنكي بن اقسنقر صاحب سنجار وأبي الهيجاء صاحب اربل وكرباوي بن خراسان صاحب الموارج وقصدوا الحلة فدافعهم دبيس فرجعوا الى بغداد وسار البرسقي الى قتالهم فبعث اليه حيوس بك بأنهم انما جاؤا الطالب الصريخ على دبيس صاحب

الحلة فاتفقوا وتعاهدوا ونزل مسعود بدار الملك ببغداد وجاء الخبر بوصول عماد الدين منكبرس الشحنة وقد كان البرسقى هزم ابنه حسينا كما مر فسار بالعساكر الى البرسقى فلما علم بدخول مسعود الى بغداد عبر دجلة من النعمانية الى دبيس بن صدقة فاستنجده وخرج مسعود وحيوس بك والبرسقى ومن معهم للقائهم وانتهوا الى المدائن فأتتهم الاخبار بكثرة جموع منكبرس ودبيس فرجعوا وأجازوا نهر صرصر ونهبوا السواد من كل ناحية وبعث المسترشد الى مسعود والبرسقى والحث على الموادعة والصلح وجاءهم الخبر بأن منكبرس ودبيس بعثا مع منصور أخى دبيس وحسين بن ارز وبنى منكبرس عسكرا الحماية بغداد فرجع البرسقى الى بغداد دليلا ومعه زنكى بن أقسنقر وترك ابنه عز الدين مسعودا على العسكر بصرصر فالتقى ومنع عسكر منكبرس من العبور وأقام يومين ثم وافاه كتاب ابنه بأن الصلح تم بين الفريقين بعده ففشل وعبر الى الجانب الغربى ومنصور وحسين فى أثره ونزلا عند جامس السلطان وخيم البرسقى عند القنطرة القبلية وخيم مسعود وحيوس بك عند المارستان ودبيس ومنكبرس تحت الرقة وعز الدين مسعود بن البرسقى عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب انعقاد الصلح ان حيوس بك أرسل الى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فأقطعهما اذربيجان ثم وصل الخبر بمسيرهما الى بغداد فاستشعر منهما العصيان وجهز العساكر الى الموصل فكتب اليه رسوله بذلك ووقع الكتاب بيد منكبرس الشحنة فبعث اليه وضمن له اصلاح الحال له وللسلطان مسعود وكان منكبرس متزوجا بأم السلطان مسعود واسمها سرجهان فكان يؤثر مصلحته فاستقر الصلح واتفقوا على اخراج البرسقى من بغداد الى الملك وأقام عنده واستقر منكبرس شحنة بغداد وساء أثره فى الرعية وتعرض لاموال الناس وحرمهم وبلغ الخبر الى السلطان محمود فاستدعاه اليه فبقى يدافع ثم سار خوفا من عامة بغداد والله سبحانه وتعالى أعلم

(خروج الملك طغرلك على أخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرلك بن السلطان محمد عند وفاة أبيه مقيما بقلعة سرجهان وكان أبوه أقطعه سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل اتابك الامير شيركير الذى حاصر قلاع الاسماعيلية كما مر فى أخبارهم وكان عمره يومئذ عشرا فأرسل السلطان محمد الامير كسعدى أتابك له وأعجله اليه وكان كسعدى حاقدا عليه فحمل طغرلك على العصيان ومنعه من المجىء الى أخيه وانتهى ذلك الى محمود فأرسل الى أخيه بتحف وخلع وثلاثين ألف دينار ومواعد جميلة فلم يصيخوا اليها وأجابه كسعدى انا فى الطاعة ومعترضون لمراسم الملك فسار اليهم السلطان معد اليكبسهم وجعل طريقه على قلعة شهران التى فيها ذخائر طغرلك

وأمواله ونما الخبر الى طغرلك وكسعدى فخرجا من العسكر فى خفية قاصدين شهران وأخلى الطريق عنها لما سبق من اللطف فوقعا على قلعة سرجهان وجاء السلطان الى العسكر فأخذ خزائن أخيه طغرلك وفيها ثلثمائة ألف دينار ثم أقام بزنجان أياما ولحق منها بالرى ولحق طغرلك وكسعدى بكنجة واجتمع اليه أصحابه وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه

(فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر)

ولما توفى السلطان محمد وبلغ الخبر الى أخيه سنجر بخراسان أظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله حتى جلس للعزاء على الرماد وأغلق بابه سبعا ثم سمع بولاية ابنه محمود فنكر ذلك وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وطلب السلطنة لنفسه مكان أخيه وكان قد سار الى غزنة سنة ثمان وخمسين وفتحها وتنكر لوزيره أبى جعفر محمد بن فخر الملك أبى المظفر ابن نظام الملك لما بلغه أنه أخذ عليه الرشوة من صاحب غزنة ليثنيه عن قصده اليه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر وامتحن أهل غزنة بعد فتحها وأخذ منها أموالا عظيمة وشكا اليه الامراء اهانته اياهم فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله واستصفى أمواله وكانت لا يعبر عنها كان فيها من العين وحده ألف ألف دينار مرتين واستوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق بن أخى نظام الملك وكان يعرف بابن الفقيه فلما مات أخوه السلطان محمد عزم على طلب الامر لنفسه وعاوده الندم على قتل وزيره أبى جعفر لما يعلم من اضطلاعه بمثلها ثم ان السلطان محمودا بعث اليه يصطنعه بالهدايا والتحف وضمن له ما يزيد عن مائتى ألف دينار كل سنة وبعث فى ذلك شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغرلك فقال لهما سنجر ان ابن أخى صغير وقد تحكم عليه وزيره وعلى ابن عمر الحاجب فلا بد من المسير وبعث فى مقدمته الامير انز وسار السلطان محمود وبعث فى مقدمته الحاجب على بن محمد وكان حاجب أبيه قبله فلما تقاربت المقدمتان بعث الحاجب على بن عمر الى الامير أنز وهو بجرجان بالعتاب ونوع من الوعيد فتأخر عن جرجان فلحقته بعض العساكر ونالوا منه ورجع الحاجب الى السلطان محمود بالرى فشكر له فعله وأقاموا بالرى ثم ساروا الى كرمان وجاءته الامداد من العراق مع منكبرس ومنصور بن صدقة أخى دبيس وأمراء فسار الى همدان وتوفى وزيره الربيب فاستوزر أبا طالب الشهيرى ثم سار السلطان فى عشرين ألفا وثمانية عشر فيلا ومعه ابن الامير أبى الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والامير انز والامير قماج وكرشاسف بن صرام بن كاكويه صاحب برد وهو صهره على أخته وكان خصيصا بالسلطان محمد فاستدعاه بعد موته سنجر وتأخر عنه وأقطع بلده لقراجا

الشامى فبادر اليه وتراجعوا بقرب ساوة فى جمادى ثالث عشر فسبقت عساكر السلطان محمود الى الماء من أجل المسافة التى بين ساوة وخراسان وكانت عساكر السلطان ثلاثين ألفا ومعه الحاجب على بن عمر ومنكبرس وأتابك غزغلى وبنو برسق واقسنقر البخارى وقراجا الساقى ومعه سبعمائة حمل من السلاح فعندما اصطفوا الى الحرب انهزم عساكر السلطان سنجر ميمنة وميسرة وثبت هو فى القلب والسلطان محمود قبالته وحمل السلطان سنجر فى الفيلة فانهزمت عساكر السلطان محمود واسر أتابك غزغلى وكان يكاتب السلطان سنجر بأنه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك ثم قتله ونزل سنجر فى خيام محمود واجتمع اليه أصحابه ونجا محمود من الواقعة وأرسل دبيس ابن صدقة للمسترشد فى الخطبة لسنجر فخطب له أواخر جمادى الاولى من السنة وقطعت خطبة محمود ثم ان السلطان سنجر رأى قلة أصحابه وكثرة أصحاب محمود فراسله فى الصلح وكانت تحضه على ذلك فامتنع ولحق البرسقى بسنجر وكان عند الملك مسعود باذربيجان من يوم خروجه من بغداد فسار سنجر من همدان الى الكرخ وأعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح ووعده بولاية عهده فأجاب وتحالفا على ذلك وسار محمود الى عمه سنجر فى شعبان بهدية حافلة ونزل على جدته فتقبل منه سنجر وقدم له خمسة افراس عربية وكتب لعماله بالخطبة لمحمود بعده فى جميع ولايته والى بغداد بمثل ذلك وأعاد عليه جميع ما أخذه من بلاده سوى الرى وصار محمود فى طاعة عمه سنجر ثم سار منكبرس عن السلطان محمود الى بغداد وبعث دبيس بن صدقة من منعه من دخولها فعاد ووجه الصلح بين الملكين قد أسفر فقصد السلطان سنجر مستجيرا به من الاستبداد عليه ومسيره لشحنة بغداد من غير اذنه ثم ان الحاجب على بن عمر ارتفعت منزلته فى دولته وكثرت سعاية الامراء فيه فأضمر السلطان نكبته فاستوحش وهرب الى قلعة له كان ينزل بها أهله وأمواله وسار منها الى خوزستان وكانت بنو برسق اسورى وابن أخويه ارغوى ابن ملتكى وهندو بن زنكى بعثوا عسكرا يصدونه عن بلادهم ولقوه قريبا من تستر فهزموه وجاؤا به أسيرا وكاتبوا السلطان محمودا بأمره فأمرهم بقتله وحمل رأسه اليه ثم أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الذين تهذدوا الى شحنة بغداد فعاد اليها وعزل نائب دبيس بن صدقة

(استبداد على بن سكمان بالبصرة)

كان السلطان محمد قد أقطع البصرة للامير اقسنقر البخارى واستخلف عليها سنقر الشامى فأحسن السيرة فلما توفى السلطان محمد وثب عليه غزغلى مقدم الاتراك الاسماعيلية وكان يحج بالناس منذ سنين وسنقر ألبا وملكا البصرة من يده وحبساه

ودلك

وذلك سنة احدى عشرة وهم سنقر الب بقتله فعارضه غزغلى فلم يرجع وقتله فقتله غزغلى به وسكن الناس وكان بالبلد أمير اسمه على بن سكمان حج بالناس وغاب عن هذه الواقعة فغص به غزغلى اتمام الحج على يده وخشى أن يثأر منهم بسنقر الب لتقدمه عليهم فأغرى عرب البرية فنهب الحاج (١) وانثنى على بن سكمان فى الدفاع عنهم الى أن قارب البصرة والعرب يقاتلونه فبعث اليه غزغلى بالمنع من البصرة فقصد القرى أسفل دجلة وصدق الحملة على العرب فهزمهم ثم سار اليه غزغلى وقاتله فأصابه سهم فمات وسار على بن سكمان الى البصرة وملكها وكاتبه اقسنقر البخارى صاحب عمان بالطاعة وأقر نوابه على أعماله وكان عند السلطان وطلبه أن يوليه البصرة فأبى وبقى ابن سكمان مستبدا بالبصرة الى أن بعث السلطان اقسنقر البخارى الى البصرة سنة أربع عشرة فملكها من على بن سكمان

(استيلاء الكرج على تفليس)

كان الكرج قديما يغيرون على اذربيجان وبلاد اران قال ابن الاثير والكرج هم الخزر وقد بينا الصحيح من ذلك عند ذكر الانساب وان الخزر هم التركمان (٢) الا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن ولما استفحل ملك السلجوقية امسكوا عن الاغارة على البلاد المجاورة لهم فلما توفى السلطان محمد رجعوا الى الغارة فكانت سراياهم وسرايا القفجاق تغير على البلاد ثم اجتمعوا وكانت بلد الملك طغرل وهى اران ونقجوان الى أوس مجاورة لهم فكانوا يغيرون عليها الى العراق الملك ببغداد ونزل على دبيس ابن صدقة فسار هو وأتابك كبعرى ودبيس بن صدقة وأبى الغازى ابن ارتق وسار فى ثلاثين ألفا الى الكرج والقفجاق فاضطرب المسلمون وانهزموا وقتل منهم خلق وتبعهم الكفار عشرة فراسخ وعادوا عنهم وحاصروا مدينة تفليس وأقاموا عليها سنة وملكوها عنوة سنة خمس عشرة (٣) ووصل صريخهم سنة ست عشرة الى السلطان محمود بهمدان فسار لصريخهم وأقام بمدينة تبريز وانفذ عساكره الى الكرج فكان من أمرها ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود)

قد تقدم لنا مسير مسعود الى العراق وموت أبيه السلطان محمد وما تقرر بينهما من الصلح ورجوعه الى الموصل بلده وان السلطان محمودا زاده اذربيجان ولحق به قسيم الدولة البرسقى عند ما طرده عن شحنة بغداد فأقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وكاتب دبيس جيوش بك أتابك مسعود يحرضه على نكبة البرسقى وانه يباطن السلطان محمودا ووعده على ذلك بالاموال وحرضهم على طلب الامر لمسعود ليقع الاختلاف فيحصل له

(١) توصل لغرض فاسد بلحوق ضرر لحجاج بيت الله فلم يتم له ذلك الغرض وحالت المنية دون الامنية من خط الشيخ العطار

(٢) الصحيح أن الكرج منه الارمن وأما الخزر فهم يعدون من الاتراك والآن قد اختلطوا بالروم لقرب الديار والتغلب عليهم من خطه أيضا

(٣) قد كانت تفليس داخلة فى الفتح الاسلامى واستمرت بيد المسلمين الى هذا الحد وبعد أخذها بقيت بيد الكرج واتخذوها مقر ملكهم وهى تحت أيديهم الى الآن من خطه

علوا الكلمة كما حصل لابيه فى فتنة بركيارق ومحمد وشعر البرسقى بسعاية دبيس فخشى على نفسه ولحق بالسلطان محمود فقبله واعلى محله ثم اتصل بالملك مسعود الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن على الاصبهانى الطغرائى (١) وكان ابنه أبو الوليد محمد بن أبى اسمعيل يكتب الطغرى للملك مسعود فلما وصل أبوه استوزره مسعود وعزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة فأغرى مسعودا بالخلاف على أخيه السلطان محمود فكتب اليهم السلطان بالترغيب والترهيب فاظهروا أمرهم وخاطبوا الملك مسعودا بالسلطان وضربوا له النوب الخمس وأغروا اليه السير وهو فى خف من العسكر فسار اليهم فى خمسة عشر ألفا وفى مقدمته البرسقى ولقيهم بعقبة استراباذ منتصف ربيع الاول سنة أربع عشرة فانهزم الملك مسعود وأصحابه وأسر جماعة من أعيانهم منهم الاستاذ أبو اسمعيل الطغرائى وزير الملك مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال ثبت عندى فساد عقيدته وكان قتله لسنة من وزارته وكان كاتبا شاعرا يميل الى صناعة الكيمياء وله فيها تصانيف معروفة ولما انهزم الملك مسعود لحق ببعض الجبال على اثنى عشر فرسخا من المعركة فاختفى فيه مع غلمان صغار وبعث يستأمن الى أخيه فأرسل اليه اقسنقر البرسقى يؤمنه ويجىء به اليه وخالفه اليه بعض الامراء فحرضه على اللحاق بالموصل واذربيجان ومكاتبة دبيس ومعاودة الحرب فسار معه لذلك وجاء البرسقى الى مكانه الاول فلم يجده فاتبعه الى أن أدركه على ثلاثين فرسخا وأعلمه حال أخيه من الرضا عنه وأعاده فرجع ولقيه العساكر بأمر السلطان محمود وأنزله عند أمه ثم أحضره وهش له وبكى وخلطه بنفسه وذلك لثمانية وعشرين يوما من الخطبة باذربيجان وأما حيوس بك الاتابك فافترق من السلطان من المعركة وسار الى الموصل وجمع الغلال من سوادها واجتمعت اليه العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار الى الزاب موريا بالصيد ثم أجد السير الى السلطان بهمدان فأمنه وأحسن اليه وبلغ الخبر بالهزيمة الى دبيس وهو بالعراق فنهب البلاد وأخربها وبعث اليه السلطان فلم يصغ الى كتابه

(١) وهو صاحب اللامية المشهورة بلامية العجم وهى من فرائد الشعر مملوءة حكما وأمثالا يقال ان الطغرائى كان من الواصلين فى علم الكيمياء من خط الشيخ العطار

(ولاية اقسنقر البرسقى على الموصل ثم على واسط وشحنة العراق)

ولما وصل حيوس بك الى السلطان محمود بعثه الى أخيه طغرل وأتابك كبغرى فسار الى كنجة وبقى أهل الموصل فوضى من غير وال وكان اقسنقر البرسقى قد أبلى فى خدمة السلطان محمود ورد اليه أخاه مسعودا يوم الهزيمة فعرف له حق نصحه وحسن أثره فأقطعه الموصل وأعمالها وما يضاف اليها كسنجار والجزيرة فسار اليها سنة خمس عشرة وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الافرنج واسترجاع البلاد منهم فوصل الى الموصل وقام بتدبيرها واصلاح أحوالها ثم أقطعه سنة ست عشرة بعدها

مدينة واسط وأعمالها مضافة الى الموصل وجعله شحنة بالعراق فاستخلف عماد الدين زنكى بن اقسنقر وبعثه اليها فسار اليها فى شعبان من السنة

(مقتل حيوس بك والوزير الشهيرمى)

ثم ان السلطان بعد وصول حيوس بك بعثه لحرب أخيه طغرل كما قلناه وأقطعه اذربيجان فتنكر له الامراء وأغروا به السلطان فقتله على باب هرمز فى رمضان سنة عشر وأصله تركى من موالى السلطان محمد وكان عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة وكان الاكراد بتلك الاعمال انتشروا وكثرت قلاعهم وعظم فسادهم فقصدهم وفتح كثيرا من قلاعهم كبلد البكارية وبلد الزوزن وبلد النكوسة وبلد التحشبية وهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وصلحت السابلة وأمن الناس وأما الوزير الكمال أبو طالب الشهيرمى فانه برز مع السلطان دبيس الى همدان وخرج فى موكبه وضاق الطريق فتقدم الموكب بين يديه فوثب عليه باطنى وطعنه بسكين فأنفذه واتبعه الغلمان فوثب عليه آخر فجذبه عن سرجه وطعنه طعنات وشرّدهم الناس عنه فوثب آخر فجذبه وذلك لاربع سنين من وزارته وكان سيئ السيرة ظلوما غشوما كثير المصادر ولما قتل رفع السلطان ما كان أحدث من المكوس

(رجوع طغرل الى طاعة أخيه السلطان محمود)

قد ذكرنا عصيان طغرل على أخيه السلطان محمود بالرى سنة ثلاث عشرة وأن السلطان محمود سار اليه وكبسه فلحق برجهان ثم لحق منها بكنجة وبلاد أران ومعه أتابك كبغرى فاشتدت شوكته وقصد التغلب على بلاد اذربيجان وهلك كبغرى فى شوال سنة خمس عشرة ولحق باقسنقر الارمنى صاحب مراغة ليقيم له الاتابكية وحرضه على قتال السلطان محمود فسار معه الى مراغة ومروا باردبيل فامتنعت عليهم فساروا الى هرمز وجاءهم الخبر هنالك بأن السلطان محمود بعث الامير حيوس بك الى أذربيجان وأقطعه البلاد وأنه وصل الى مراغة فى عسكر كثيف فساروا عن هرمز الى وانتقض عليهم وراسلوا الامير شيركين الذى كان أتابك طغرل أيام أبيه يستنجد به وكان كبغرى الاتابك قبض عليه بعد السلطان محمد ثم أطلقه السلطان سنجر وعاد الى أبهر وزنجان وكانت أقطاعه فأجاب داعيهم وسار أمامهم الى أبهر ولم يتم أمرهم فراسلوا السلطان فى الطاعة وعاد طغرل الى أخيه وانتظم أمرهم

(مقتل وزير السلطان محمود)

كان وزير السلطان محمود شمس الملك بن نظام الملك وكان حظيا عنده فكثرت سعاية

أصحابه فيه وكان ابن عمه الشهاب أبو المحاسن وزير السلطان سنجر فتوفي واستوزر سنجر بعده أبا طاهر القمر عدو البني نظام الملك فأغرى السلطان سنجر حتى أمر السلطان محمود بنكبته فقبض عليه ودفعه الى طغرل فحبسه بقلعة جلجلال ثم قتله بعد ذلك وكان أخوه نظام الدين أحمد قد استوزره المسترشد وعزل به جلال الدين أبا على ابن فلما بلغه نكبة شمس الملك ومقتله عزل أخاه نظام الدين وأعاد ابن الى وزارته والله سبحانه وتعالى أعلم

(ظفر السلطان بالكرج)

ثم وفد سنة سبع عشرة على السلطان محمود جماعة من أهل وشروان يستصرخونه على الكرج ويشكون ما يلقون منهم فسار لصريخهم ولما تقارب الفئتان هم السلطان بالرجوع وأشار به وزيره شمس وتطارح عليه أهل شروان فأقام وباتوا على وجل ثم وقع الاختلاف بين الكرج وقفجاق واقتتلوا ليلتهم ورحلوا منهزمين وعاد السلطان الى همدان والله تعالى اعلم

(عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية برتقش الزكوى)

كان الخليفة المسترشد قد وقعت بينه وبين دبيس بن صدقة حروب شديدة بنواحي المباركة من أطراف غانة وكان البرسقي معه وانهزم دبيس فيها هزيمة شنيعة كما مر في أخباره وقصد غزنة صريخا فلم يصرخوه فقصد المقتفق وسار بهم الى البصرة فدخلوها واستباحوها وقتلوا سلمان نائبها فأرسل الخليفة الى البرسقي بالنكير على اهمال أمر دبيس حتى فتك في البصرة فسار البرسقي اليه وهرب دبيس فلحق بالافرنج وجاء معهم لحصار حلب فامتنعت فلحق بطغرل بن السلطان محمد يستحثه لقصد العراق كما مر ذلك في أخبار دبيس وبقيت في نفس المسترشد عليه ولحق بها أمثالها فتنكر له وبعث الى السلطان محمود في عزله فعزله وأمره بالعود الى الموصل لجهاد الافرنج ووصل نائب برتقش الى بغداد وأقام بها الشحنة وبعث السلطان ابنا له صغيرا ليكون معه على الموصل وسار البرسقي به ووصل الموصل وقام بولايتها

(بداية أمر بني اقسنقر وولاية عماد الدين زنكي على البصرة)

كان عماد الدين زنكي في جملة البرسقي ولما أقطعه السلطان واسط بعث عليها زنكي فأقام فيها أياما ثم كان مسير البرسقي الى البصرة في أتباع دبيس فلما هرب دبيس عنها بعث البرسقي اليها عماد الدين زنكي فأقام بحمايتها ودفع العرب عنها ثم استدعاه البرسقي عندما سار الى الموصل فضجر من تلون الاحوال عليه واختار اللحاق باصبهان

فقدم عليه باصبهان فأكرمه السلطان وأقطعه البصرة وعاد اليها سنة ثمان عشرة والله تعالى اعلم

(استيلاء البرسقي على حلب)

لما سار دبيس الى الافرنج حرضهم على حلب وان يذوب فيها عنهم ووجدهم قد ملكوا مدينة صور وطمعوا في بلاد المسلمين وساروا مع دبيس الى حلب فحاصروها حتى جهد أهلها الحصار وبها يومئذ تاش بن ابن ارتق فاستنجد بالبرسقي صاحب الموصل وشرط عليهم ان يمكنوه من القلعة ويسلموها الى نوابه وسار الى انجادهم فأجفل عنهم الافرنج ودخل الى حلب فأصلح أمورها ثم سار الى كفرطاب فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة عزاز من أعمال حلب وصاحبها جوسكين فحاصرها وسارت اليه عساكر الافرنج فانهزم وعاد الى حلب فخلف فيها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل

(مسير طغرل ودبيس الى العراق)

ولما رحل الافرنج عن حلب فارقهم دبيس ولحق بالملك طغرل فتلقاه بالكرامة والمبرة وأغراه بالعراق وضمن له ملكه فساروا لذلك سنة تسع عشرة وانتهوا الى دقوقا فكتب مجاهد الدين بهرام بن تكريت الى المسترشد بخبرهم فتجهز للقائهم وأمر برتقش الزكوى ان يتجهز معه خامس صفر وانتهى الى الخالص وعدل طغرل ودبيس الى طريق خراسان ثم نزلوا رباط جلولاء ونزل الخليفة بالدسكرة وفي مقدمته الوزير جلال الدين بن صدقة وسار دبيس الى جسر النهروان لحفظ المقابر وقد كان رأيه مع طغرل أن يسير طغرل الى بغداد فيملكها وتقدم دبيس في انتظاره فقعد به المرض عن لحاقه وغشيتهم أمطار أثقلتهم عن الحركات وجاء دبيس الى النهروان طريحا من التعب والبرد والجوع واعترضوا ثلاثين حملا للخليفة جاءت من بغداد بالملبوس والمأكول فطعموا وأكلوا وناموا في دفء الشمس واذا بالمسترشد قد طلع عليهم في عساكره بلغه الخبر بأن دبيسا وطغرل خالفوه الى بغداد فاضطرب عسكره واجفلوا راجعين الى بغداد فلقوا في طريقهم دبيسا كما ذكرنا على ديال غرب النهروان ووقف الخليفة عليه فقبل دبيس الارض واستعطف حتى هم الخليفة بالعفو عنه ثم وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه ووقف دبيس مع برتقش الزكوى يحادثه ثم شغل الوزير بمد الجسر للعبور فتسلل دبيس ولحق بطغرل وعاد المسترشد الى بغداد ولحق طغرل ودبيس بهمدان فعاثوا في أعمالها وصادروا أهلها وخرج اليهم السلطان محمود فانهزموا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر بخراسان شاكين من المسترشد وبرتقش

الشحنة والله أعلم بغيبه وأحكم

(مقتل البرسقي وولاية ابنه عز الدين على الموصل)

ثم ان المسترشد تنكر للشحنة برتقش وتهدده فلحق بالسلطان محمود في رجب سنة عشرين فأغراه بالمسترشد وخوفه غائلته وانه تعود الحروب وركب العسكر ويوشك أن يمتنع عنك ويستصعب عليك فاعتزم السلطان على قصد العراق وبعث اليه الخليفة يلاطفه في الرد لغلاء البلاد وخرابها او يؤخره الى حين صلاحها فصدق عنده حديث الزكوي وسار مجدا فعبر المسترشد بأهله وولده وأولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة راحلا عن بغداد والناس باكون لفراقه وبلغ ذلك الى السلطان فشق عليه وأرسل يستعطفه في العود الى داره فشرط عليه الرجوع عن العراق في الوقت كما شرط أولا فغضب السلطان وسار نحو بغداد والخليفة بالجانب الغربي ثم أرسل خادمه عفيفا الى واسط يمنع عنها نواب السلطان فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة وهزمه وفتك في عسكره قتلا وأسرا وجمع المسترشد السفن اليه وسد أبواب قصره ووكل حاجب الباب ابن الصاحب بدار الخلافة ووصل السلطان الى بغداد في عشري ذي الحجة ونزل باب الشماسية وأرسل المسترشد في العود والصلح وهو يمتنع وجرت بين العسكرين مناوشة ودخل جماعة من عسكر السلطان الى دار الخلافة ونهبوا التاج أول المحرم سنة احدى وعشرين وخمسمائة فضج العامة لذلك ونادوا بالجهاد وخرج المسترشد من سرادقه ينتمي بأعلى صوته وضربت الطبول ونفخت البوقات ونصب الجسر وعبر الناس دفعة وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب في دور الخلافة والامراء وكان في دار الخلافة ألف رجل كامنون في السرداب فخرجوا عند ذلك ونالوا من عسكر السلطان وأسروا جماعة من أمرائه ونهب العامة دور وزير السلطان وأمرائه وحاشيته وقتل منهم خلق وعبر المسترشد الى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد ودفع السلطان وعسكره عن بغداد وحفر عليها الخنادق واعتزموا على كبس السلطان فأخافهم أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل ركب للقتال فلحق بالسلطان ووصل عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم في البر والبحر أذهل الناس برؤيته فأحجم المسترشد عن اللقاء وتردد الرسل بينهما فأجاب الى الصلح وعفا السلطان عن أهل بغداد وأقام بها الى عاشر ربيع الآخر وأهدى اليه المسترشد سلاحا وخيلا وأموالا ورحل الى همدان وولى زنكي بن اقسنقر شحنة بغداد ثقة بكفايته واستقامت أحواله مع الخليفة وأشار به أصحابه ورأوا أنه يرقع الخرق ويصلح الامر فولاه على ذلك مضافا الى ما بيده من البصرة وواسط وسار الى همدان وقبض في طريقه على وزيره أبي

القاسم علي بن الناصر الشاذي اتهمه بممالأة المسترشد لكثرة سعيه في الصلح فقبض عليه واستدعى شرف الدولة أنوشروان بن خالد من بغداد فلحقه باصبهان في شعبان واستوزره عشرة أشهر ثم عزله فرجع الى بغداد وبقي أبو القاسم محبوسا الى أن جاء السلطان سنجر الى الري فأطلقه وأعاده الى وزارة السلطان محمود آخر ثنتين وعشرين

(وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلاؤه على حلب)

ولما استولى عز الدين على الموصل وأعمالها استفحل أمره وطمحت همته الى الشام فاستأذن السلطان في المسير اليه وسار الى دمشق ومر بالرحبة فحاصرها وملكها ثم مات اثر ذلك وهو عليها وافترقت عساكره وشغلوا عن دفنه ثم دفن بعد ذلك ورجعت العساكر الى الموصل وقام بالامر مملوكه جاولي ونصب أخاه الاصغر وأرسل الى السلطان يطلب تقرير الولاية له وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي الشهرزوري وصلاح الدين محمد الباغيسياني أمير حاجب البرسقي واجتمعا بنصير الدين جعفر مولى عماد الدين زنكي وكان بينه وبين صلاح الدين صهر فخوفهما جعفر ابن جاولي وحملهما على طلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنه الولايات والاقطاع فأجابوه وجاء بهما الى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد فقالا له ان الجزيرة والشام قد تمكن منهما الافرنج من حدود ماردين الى عريش مصر وكان البرسقي يكفهم وقد قتل وولده صغير ولا بد للبلد ممن يضطلع بأمرها ويدفع عنها وقد خرجنا عن النصيحة اليكم فبلغ الوزير مقالتهما الى السلطان فأحضرهما واستشارهما فذكرا جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مقربا الى خزانة السلطان مالا جزيلا فولاه السلطان لما يعلم من كفايته وولى مكانه شحنة العراق مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت وسار عماد الدين زنكي فبدأ بالبوازيج وملكها ثم سار الى الموصل وتلقاه جاولي مطيعا وعاد الى الموصل في خدمته فدخلها في رمضان وأقطع جاولي الرحبة وبعثه اليها وولى نصير الدين جعفرا قلعة الموصل وسائر القلاع وجعل صلاح الدين محمد الباغيساني أمير حاجب وولى بهاء الدين الشهرزوري قضاء بلاده جميعا وزاده أملاكا وأقطاعا وشركه في رأيه ثم سار الى جزيرة ابن عمر وقد امتنع بها مماليك البرسقي فجد في قتالهم وكانت دجلة تحول بينه وبين البلد فعبر بعسكره الماء سبحا واستولى على المسافة التي بين دجلة والبلد وهزم من كان فيها من الحامية حتى أحجرهم بالبلد وضيق حصارهم فاستأمنوا وأمنهم ثم سار الى نصيبين وهي لحسام الدين تمرتاش ابن أبي الغازي صاحب ماردين فحاصرها واستنجد حسام الدين بن عمه ركن الدولة

داود بن سكمان ابن ارتق صاحب كيفا فأنجده بنفسه وأخذ فى جمع العساكر وبعث تمرتاش ماردين الى نصيبين يعرف العساكر بالخبر وأن العساكر واصلة اليهم عن خمسة أيام وكتبه فى رقعة وعلقها فى جناح طائر فاعترضه عسكر زنكى وصادوه وقرأ زنكى الرقعة وعوض الخمسة أيام بعشرين يوما وأطلق الطائر بها الى البلد فقرؤا الكتاب وسقط فى أيديهم واستطالوا العشرين واستأمنوا لعماد الدين زنكى فأمنهم وملك نصيبين وسار عنها الى سنجار فملكها صلحا وبعث العساكر الى الخابور فملكها ثم سار الى حران وخرج اليه أهل البلد بطاعتهم وكانت الرها وسروج والبيرة ونواحيها للافرنج وعليها جوسكين صاحب الرها فكاتب زنكى وهادنه ليتفرغ للجهاد بعد ثم عبر الفرات الى حلب فى المحرم سنة ثنتين وعشرين وقد كان عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقى لما سار عنها الى الموصل بعد قتل أبيه استخلف عليها قرمان من امرائه ثم عزله بآخر اسمه قطلغ ابه وكتب له الى قرمان فمنعه الا أن يرى العلامة التى بينه وبين عز الدين ابن البرسقى فعاد قطلغ الى مسعود ليجئ بالعلامة فوجده قد مات بالرحبة فعاد الى حلب وأطاعه رئيسها فضائل بن بديع والمقدمون بها واستنزلوا قرمان من القلعة على ألف دينار أعطوه اياها وملك قطلغ القلعة منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وظهر ظلمه وجوره وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق وكان ملكها قبل وخلع عنها فدعا الناس الى البيعة وثاروا بقطلغ فامتنع بالقلعة فحاصروه وجاء مهيار صاحب منبج وحسن صاحب مراغة لاصلاح أمرهم فلم يتفق وطمع الافرنج فى ملكها وتقدم جوسكين بعسكره اليها فدافعوه بالمال ثم وصل صاحب انطاكية فحاصرهم الى آخر السنة وهم محاصرون القلعة فلما ملك عماد الدين زنكى الموصل والجزيرة والشأم فأطاعوا وسار عبد الجبار وقطلغ الى عماد الدين بالموصل وأقام أحد الاميرين بحلب حتى بعث عماد الدين زنكى صاحبه صلاح الدين محمد الباغسيانى فى عسكر فملك القلعة ورتب الامور وولى عليها وجاء عماد الدين بعساكره فى أثره وملك فى طريقه منبج ومراغة ثم دخل حلب وأقطع أعمالها الاجناد والامراء وقبض على قطلغ ابه وسلمه لابن بديع فكحله فمات واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعفر وأقام عماد الدين مكانه فى رياسة حلب أبا الحسن على بن عبد الرزاق

(قدوم السلطان سنجر الى الرى ثم قدوم السلطان محمود الى بغداد)

الموصل طغرل ودبيس الى السلطان سنجر بخراسان حرضه دبيس على العراق والسلطان محمود وقد اتفقا على الامتناع منه فسار سنجر وأخبر السلطان محمود باستدعائه فوافاه لاقرب وقت وأمر العساكر بتلقيه وأجلسه معه على التخت وأقام السلطان محمود

عنده الى آخر ثنتين وعشرين ثم رجع سنجر الى خراسان بعد أن أوصى محمود بدبيس وأعاده الى بلده ورجع محمود الى همذان ثم سار الى العراق وخرج الوزير للقائه ودخل بغداد فى تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين ثم لحقه دبيس بمائة ألف دينار فى ولاية الموصل وسمع بذلك زنكى وجاء الى السلطان وحمل المائة ألف مع هدايا جليلة فخلع عليه وأعاده وسار منتصف السنة عن بغداد الى همذان بعد أن ولى الحلة مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد

(وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود) ثم توفى السلطان محمود بهمذان فى شوال سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه بعد أن كان قبض على جماعة من امرائه وأعيان دولته منهم عزيز الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفى وأنوشتكين المعروف بشيركين بن حاجب وابنه عمر خافهم الوزير أبو القاسم الشابادى فاغرى بهم السلطان فنكبهم وقتلهم ولما توفى اجتمع الوزير أبو القاسم والاتابك اقسنقر الاحمر يلى وبايعوا الابنه داود وخطبوا له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت وهرب الوزير الى الرى مستجيرا بالسلطان فأمن بها

(منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلاؤه على السلطان بهمذان)

لما هلك السلطان محمود سار أخوه مسعود من جرجان الى تبريز فملكها فسار داود من همذان فى ذى القعدة سنة خمس وعشرين وحاصره بتبريز فى محرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحوا وتأخر داود عن الامر لعمه مسعود فسار مسعود من تبريز الى همذان وكاتب عماد الدين زنكى صاحب الموصل يستنجده فوعده بالنصر وأرسل الى المسترشد فى طلب الخطبة ببغداد وكان داود قد أرسل فى ذلك قبله ورد المسترشد الامر فى الخطبة الى السلطان سنجر ودس اليه أن لا يأذن لواحد منهما وان تكون الخطبة له فقط وحسن موقع ذلك عنده وسار السلطان مسعود الى بغداد وسبقه اليها أخوه سلجوق شاه مع اتابك قراجا الساقى صاحب فارس وخوزستان ونزل فى دار السلطان واستحلفه الخليفة لنفسه ولما سار السلطان مسعود أوعز الى عماد الدين زنكى أن يسير الى بغداد فسار من الموصل اليها وانتهى السلطان مسعود الى عباسة الخالص وبرزت اليه عساكر المسترشد وسلجوق شاه وسار قراجا الساقى الى مدافعة زنكى فدافعه على المعشوق فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه ومر منهزما الى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو الاملاك الايوبية فهيأ له المعابر وعبر دجلة الى بلاده وسار السلطان مسعود من العباسة وقاتلت طلائعه طلائع أخيه سلجوق وبعث سلجوق يستحث قراجا

بعد انهزام زنكى فعاد سر يعا وتأخر السلطان مسعود بعد هزيمة زنكى وأرسل الى المسترشد بأن عمه سنجر وصل الى الرى عازما على بغداد و يشير بمدافعته عن العراق وتكون العراق لوكيل الخليفة ثم تراسل القوم واتفقوا على ذلك وتحالفوا عليه وان يكون مسعود السلطان ولى العهد ودخلوا الى بغداد فنزل مسعود بدار السلطان وسلجوق دار الشحنة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(هزيمة السلطان مسعود وملك طغرل أخيه)

لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجر من خراسان الى بلاد الجبال ومعه طغرل ابن أخيه محمد وانتهى الى الرى ثم سار الى همذان فسار مسعود لقتاله ومعه قراجا الساقى وسلجوق شاه وقد كان الخليفة عزم أن لا يتجهز معهم فأبطأ فبعثوا اليه قراجا فسار الى خانقين وأقام وقطعت خطبة سنجر من العراق وخالفهم الى بغداد دبيس وزنكى وقد سمى اقطاعه لسنجر الحلة وزنكى ولاه شحنة بغداد فرجع المسترشد الى بغداد لموافقتهما وسار السلطان وأخوه سلجوق شاه للقاء سنجر ثم سمعا بكثرة عساكره فتأخرا فسار فى طلبهم يوما وليلة ثم تراجعوا عند الدينور وكان مسعود يماطل باللقاء انتظارا للمسترشد فلم يجد بدا من اللقاء فالتقوا على النقيبة وحمل قراجا عليهم وتورط فى المعركة وأصيب بجراحات ثم التفوا عليه وأسروه وانهزم من أصحاب مسعود قزل وقد كان واطأهم على الهزيمة فانهزم السلطان مسعود عند ذلك منتصف سنة وعشرين وقتل كثير من أكابر الامراء ونزل سنجر فى خيامهم وأحضر قراجا فقتله وجىء اليه بالسلطان مسعود فأكرمه وأعاده الى كنجة وخطب للملك طغرل ابن أخيه فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد واستوزر له أبا القاسم السباذى وزير السلطان محمود وعاد الى نيسابور آخر رمضان سنة ست وعشرين وخمسمائة

(هزيمة السلطان داود واستيلاء طغرل بن محمد على الملك)

لما ولى طغرل همذان وولى عنه السلطان سنجر الى خراسان وبلغه أن صاحب ماوراء النهر المرخان قد انتقض عليه فسار لاصلاحه وشغل بذلك فقام الملك داود باذربيجان و بلاد كنجة وطلب الامر لنفسه وجمع العساكر وسار الى همذان ومعه برتقش الزكوى واتابك اقسنقر الاحمر يلى ومعه طغرل بن برسق ونزل وقد استقر ثم اضطرب عسكر داود وأحسوا من برتقش الزكوى بالفشل فنهب التركمان خيامه وهرب اقسنقر اتابك وانهزم فى رمضان سنة ست وعشرين ثم قدم بغداد فى ذى القعدة ومعه اتابك اقسنقر فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان

*(عود

(عود السلطان مسعود الى الملك وهزيمة طغرل) قد تقدم لنا هزيمة السلطان مسعود من عمه سنجر وعوده الى كنجة وولاية طغرل السلطان ثم محاربة داود ابن أخيه له وانهزام داود ثم رجوع داود الى بغداد فلما بلغ الخبر الى مسعود جاء الى بغداد ولقيه داود قريبا منها وترجل له عن فرسه ودخلا بغداد فى صفر سنة سبع وعشرين ونزل مسعود بدار السلطان وخطب له ولداود بعده وطلبا من السلطان عسكرا ليسير معهما الى اذربيجان فبعث معهما العساكر الى اذربيجان ولقيهم اقسنقر الاحمر يلى فى مراغة بالاقامة والاموال وملك مسعود بلاد اذربيجان وهرب بين يديه من كان بها من الامراء وامتنعوا بمدينة اذربيجان فحاصرهم بها وملكها عليهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون ثم سار الى همذان لمحاربة أخيه طغرل فهزمه وملك همذان فى شعبان من السنة ولحق طغرل بالرى وعاد الى اصبهان ثم قتل اقسنقر الاحمر يلى بهمذان غيلة و يقال ان السلطان مسعودا دس عليه من قتله ثم سار الى حصار طغرل باصبهان ففارقها طغرل الى فارس وملكها مسعود وسار فى أثر طغرل الى البيضاء فاستأمن اليه بعض أمراء طغرل فأمنه وخشى طغرل أن يستأمنوا اليه فقصد الرى وقتل فى طريقه وزيره أبا القاسم السباذى فى شوال من السنة ومثل به غلمان الامير شيركين الذى سعى فى قتله كما مر ثم سار الامير مسعود يتبعه الى أن تراجعا ودارت بينهما حرب شديدة وانهزم طغرل وأسر من أمرائه الحاجب تنكى وأتى بقرا وأطلقهما السلطان مسعود وعاد الى همذان والله تعالى أعلم

(عود الملك طغرل الى الجبل وهزيمة السلطان مسعود)

ولما عاد مسعود من حرب أخيه طغرل بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود باذربيجان فسار اليه وحاصره بقلعة ‌‌ ‌ فخرج طغرل العساكر وتغلب على بلاده

بياض بالأصل

وسار اليه واستعمل بعض قواده فسار مسعود لقتاله ولقيه عند قزوين وفارق مسعود الامراء الذين استمالهم طغرل ولحقوا به فانهزم مسعود فى رمضان سنة ثمان وعشرين وبعث الى المسترشد يستأذنه فى دخول بغداد فأذن له وكان أخوه سلجوق باصبهان مع نائبه فيها البقش السلاحى فلما سمع بانهزامه سبقه الى بغداد وأنزله المسترشد بدار السلطان وأحسن اليه بالاموال ووصل مسعود وأكثر أصحابه رجلا فوسع عليه الخليفة بالانفاق والمراكب والظهر واللباس والآلة ودخل دار السلطان منتصف شوال وأقام طغرل بهمذان

(وفاة طغرل واستيلاء مسعود على الملك) ولما وصل مسعود الى بغداد حمل اليه المسترشد ما يحتاج اليه وأمره بالمسير الى همذان لمدافعة طغرل ووعده بالمسير معه

بنفسه فتباطأ مسعود عن المسير واتصل جماعة من أمرائه بخدمة الخليفة ثم اطلع على مداخلة بعضهم لطغرل فقبض عليه ونهب ماله وارتاب الآخرون فهربوا عن السلطان مسعود وبعث المسترشد فى اعادتهم اليه فدافعه ووقعت لذلك بينهما وحشة فقعد المسترشد عن نصره بنفسه وبينما هم فى ذلك وصل الخبر بوفاة أخيه طغرل فى المحرم سنة تسع وعشرين فسار مسعود الى همذان واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد حمله من بغداد وأقبلت اليه العساكر فاستولى على همذان وبلاد الجبل اه

(فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد)

قد تقدم لنا ان الوحشة وقعت عندما كان ببغداد بسبب أمرائه الذين اتصلوا بخدمة المسترشد ثم هربوا عنه الى السلطان مسعود فلما سار السلطان مسعود الى همذان بعد أخيه طغرل وملكها استوحش منه جماعة من أعيان أمرائه منهم برتقش وقزل وقراسنقر الخمارتكين والى همذان وعبد الرحمن بن طغرلبك ودبيس بن صدقة وساروا الى خوزستان ووافقهم صاحبها برسق بن برسق واستأمنوا الى الخليفة فارتاب من دبيس وبعث الى الآخرين بالامان مع سديد الدولة بن الانبارى وارتاب دبيس منهم أن يقبضوا عليه فرجع الى السلطان مسعود وسار الآخرون الى بغداد فاستحثوا المسترشد للمسير الى قتال مسعود فأجابهم وبالغ فى تكرمتهم وبرز آخر رجب من سنة تسع وعشرين وهرب صاحب البصرة اليها وبعث اليه بالامان فأبى فتكاسل عن المسير فاستحثوه وسهلوا له الامر فسار فى شعبان ولحق به برسق بن برسق وبلغ عدة عسكره سبعة آلاف وتخلف بالعراق مع خادمه اقبال ثلاثة آلاف وكاتبه أصحاب الاطراف بالطاعة وأبطأ فى مسيره فاستعجلهم مسعود وزحفوا اليه فكان عسكره خمسة عشر ألفا وتسلل عن المسترشد جماعة من عسكره وأرسل اليه داود بن محمود من اذربيجان يشير بقصد الدينور والمقام بها حتى يصل فى عسكره فأبى واستمر فى مسيره وبعث زنكى من الموصل عسكرا فلم يصل حتى تواقعوا وسار السلطان محمود اليهم مجدا فوافاهم عاشر رمضان ومالت ميسرة المسترشد اليه وانهزمت ميمنته وهو ثابت لم يتحرك حتى أخذ أسيرا ومعه الوزير والقاضى وصاحب المخزن وابن الانبارى والخطباء والفقهاء والشهود فأنزل فى خيمة ونهب مخيمه وحمل الجماعة أصحابه الى قلعة ترجعان ورجع بقية الناس الى بغداد ورجع السلطان الى همذان وبعث الامير بك ابه الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عميد وقبضوا أملاك المسترشد وغلاتها وكانت بينهم وبين العامة فتنة قتل فيها خلق من العامة وسار السلطان فى شوال الى مراغة وقد ترددت الرسل بينهما فى الصلح على مال يؤديه المسترشد وأن لا يجمع العساكر ولا يخرج

من داره لحرب ما عاش وأجابه السلطان وأذن له فى الركوب وحمل الغاشية وفارق المسترشد بعض الموكلين به فهجم عليه جماعة من الباطنية فألحوه جراحا وقتلوه ومثلوا به جدعا وصلبا وتركوه سليبا فى نفر من أصحابه قتلوهم معه وتبع الباطنية فقتلوا وكان ذلك منتصف ذى القعدة سنة ست وعشرين لثمان عشرة سنة من خلافته وكان كاتبا بليغا شجاعا قرما ولما قتل بمراغة كتب السلطان مسعود الى بك ابه شحنة بغداد بأن يبايع لابنه فبويع ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهده اليه لثمانية أيام من مقتله وحضر بيعته جماعة من أولاد الخلفاء وأبو النجيب الواعظ وأما اقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة وكان مقيما ببغداد كما قدمناه عبر الى الجانب الغربى ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز

(فتنة الراشد مع السلطان مسعود)

لما بويع الراشد بعث اليه السلطان مسعود برتقش الزكوى يطالبه بما استقر عليه الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعمائة ألف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وانما مال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدم عليهم كراية وشرع فى عمارة السور واتفق برتقش مع بك ابه على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك فى العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامة وأخرجوهم عن البلد الى طريق خراسان وسار بك ابه الى واسط وبرتقش الى سرخس ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من اذربيجان الى بغداد فى صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكى من الموصل وصدقة بن دبيس من الحلة ومعه عنتر بن أبى العسكر يدبر أمره ويديره وكان أبوه دبيس قد قتل بعد مقتل المسترشد باذربيجان وملك هو الحلة ثم وصل جماعة من أمراء مسعود منهم برتقش بازدار صاحب فروق والبقش الكبير صاحب اصبهان وابن برسق وابن الاحمر يلى وخرج للقائهم كراية والطرنطاى وكان اقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبى عبد الله الحسن بن جهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة الى لقاء عماد الدين زنكى فأقام عنده مستجيرا حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضى القضاة الزينبى ولم يزل معه الى الموصل وشفع فى اقبال فأطلق وسار اليه ثم جد الراشد فى عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود واستخلفه الراشد واستخلفه عماد الدين زنكى وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولى داود شحنة بغداد برتقش بازدار ثم وصل الخبر بأن سلجوق شاه أخا الامير مسعود ملك واسط وقبض على الامير بك ابه فسار الامير زنكى لدفاعه فصالحه ورجع وعبر الى طريق خراسان

بالعراق داود واحتشد العساكر ثم سار السلطان مسعود لقتالهم وفارق زنكي داود ليسير الى مراغة ويخالف السلطان مسعود الى همذان وبرز الراشد من بغداد أول رمضان وسار الى طريق خراسان وعاد بعد ثلاث وعزم على الحصار ببغداد واستدعى داود الامراء ليكونوا معه عنده فجاؤا لذلك ووصلت رسل السلطان مسعود بطاعة الراشد والتعريض بالوعيد للامراء المجتمعين عنده فلم يقبل طاعة من أجلهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار بغداد ومسير الراشد الى الموصل وخلعه وخلافة المقتفي)

ثم ان السلطان مسعودا أجمع المسير الى بغداد وانتهى الى الملكية فسار زين الدين علي من أصحاب زنكي حتى شارف معسكره وقاتلهم ورجع ونزل السلطان على بغداد والعيارون فأفسدوا سائر المحال ببغداد وانطلقت أيديهم وأيدي العساكر في النهب ودام الحصار نيفا وخمسين يوما وتأخر السلطان مسعود الى النهروان عازما على العود الى اصبهان فوصله طرنطاي صاحب واسط في سفن كثيرة فركب الى غربي بغداد فاضطرب الامراء وافترقوا وعادوا الى اذربيجان وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة فسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وأوقفهم على يمين الراشد التي كتبها بخطه اني متى جمعت أو خرجت أو لقيت أحدا من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فأفتوا بخلعه واتفق أرباب الدولة ممن كان ببغداد ومن أسر مع المسترشد وبقي عند السلطان مسعود كلهم على ذمه وعدم أهليته على ما مر في أخباره بين أخبار الخلفاء وبويع محمد بن المستظهر ولقب المقتفي وقد قدمت هذه الاخبار بأوسع من ذلك ثم بعث السلطان العساكر مع قراسنقر لطلب داود فأدركته عند مراغة وقاتله فهزمه وملك اذربيجان ومضى داود الى خوزستان واجتمع عليه عساكر من التركمان وغيرهم فحاصر تستر وكان عمه سلجوق بواسط فسار اليه بعد ان أمره أخوه مسعود بالعساكر ولقي داود على تستر فهزمه داود ثم عزل السلطان وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد واستوزر كمال الدين أبا البركات بن سلامة من أهل خراسان ثم بلغه ان الراشد قد فارق الموصل فأذن للعساكر التي عنده ببغداد في العود الى بلادهم وصرف فيهم صدقة بن دبيس صاحب الحلة بعد ان أصهر اليه في ابنته وقدم عليه جماعة من الامراء الذين كانوا مع داود منهم البقش السلامي وبرسق بن برسق وصاحب تستر وسنقر الخمارتكين شحنة همذان فرضي عنهم وأمنهم وعاد الى همذان سنة احدى وثلاثين

(الفتنة بين السلطان مسعود وبين داود والراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد)

كان

كان الامير بوزابة صاحب خوزستان والامير عبد الرحمن طغرليك صاحب خلخال والملك داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان فاجتمعوا عند الامير منكبرس صاحب فارس و بلغهم مسير الراشد من الموصل الى مراغة فراسلوه في أن يجتمعوا عليه ويردوه الى خلافته فأجابهم وبلغ الخبر الى السلطان مسعود فسار اليهم في شعبان سنة ثنتين وثلاثين وأوقع بهم وأخذ منكبرس أسيرا فقتله وافترقت عساكره للنهب فانفرد بوزابة وطغرليك وصدقا الحملة عليه فانهزم وقبض على جماعة من الامراء مثل صدقة بن دبيس صاحب الحلة وكافله عنتر بن أبي العساكر وابن أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وحبسهم بوزابة حتى تحقق قتل منكبرس ولحق السلطان مسعود باذربيجان منهزما وسار داود الى همذان فملكها ووصل اليه الراشد هنالك وأشار بوزابة وكان كبير القوم بالمسير الى فارس فساروا معه واستولى عليها وملكها ولما علم سلجوق شاه وهو بواسط ان أخاه السلطان مسعودا مضى الى اذربيجان سار هو الى بغداد ليملكها ودافعه البقش الشحنة ونظر الخادم أمير الحاج وثار العيارون بالبلدان وأثخنوا في النهب فلما رجع الشحنة استأصل شأفتهم وأخذ المستورين بجناياتهم فجلا الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها ولما قتل صدقة بن دبيس أقر السلطان مسعود أخاه محمدا على الحلة ومعه مهلهل بن أبي العساكر أخو عنتر المقتول كما مر في أخباره ثم لما ملك بوزابة فارس رجع مع الراشد والملك داود ومعهما خوارزم شاه الى خوزستان وخربوا الجزيرة فسار اليهم مسعود ليمنعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وخوارزم شاه الى بلده وسار الراشد الى اصبهان فثار به نفر من الخراسانية كانوا في خدمته فقتلوه عند القائلة في خامس عشر رمضان من السنة ودفن بظاهر اصبهان ثم قبض السلطان آخر السنة على وزيره أبي البركات بن سلامة الدركزيني واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الخازن وكان نبيها حسن السيرة فرفع المظالم وأزال المكوس وأقام وظائف السلطان وجمع له الاموال وضرب على أيدي العمال وكشف خياناتهم فثقل عليهم وأوقعوا بينه وبين الامراء فبالغوا في السعاية فيه عند السلطان وتولى كبرها قراسنقر صاحب اذربيجان فانه بعث الى السلطان يتهدده بالخروج عن طاعته فأشار على السلطان خواصه بقتله خشية الفتنة فقتله على كره وبعث برأسه الى قراسنقر فرضي وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة لسبعة أشهر من وزارته واستوزر بعده أبا العز طاهر بن محمد اليزدجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضاقت الامور على السلطان وأقطع البلاد للامراء ثم قتل السلطان البقش السلاحي الشحنة بما ظهر منه من الظلم والعسف فقبض عليه وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر

بقتله فلما قرب للقتل ألقى نفسه فى دجلة فمات وبعث برأسه الى السلطان فقدم مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فحسن أثره ثم عزله السلطان سنة ست وثلاثين وولى فيها قزل أميرا آخر من موالى السلطان محمود وكانت له بزدجرد والبصرة فأضيف له اليهما والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(فتنة السلطان سنجر مع خوارزم شاه)

وهو أول بداية بنى خوارزم قد تقدم لنا ذكر أولية محمد خوارزم شاه وهو محمد بن أبى شتكين وان خوارزم شاه لقب له وان الامير داود حبشى لما ولاه بركيارق خراسان وقتله اكنجى ولى محمد بن أبى شتكين وولى بعده ابنه أتسز فظهرت كفاءته وقربه السلطان سنجر واستخلصه واستظهر به فى حروبه فزاده ذلك تقدما ورفعة واستفحل ملكه فى خوارزم ونمى للسلطان سنجر انه يريد الاستبداد فسار اليه سنة ثلاث وثلاثين وبرز أتسز ولقيه فى التعبية فلم يثبت وانهزم وقتل من عسكره خلق وقتل له ابن فحزن عليه حزنا شديدا وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمد ورتب له وزيرا وأتابك وحاجبا وعاد الى مرو منتصف السنة فخالفه أتسز الى خوارزم وهرب سليمان شاه ومن معه الى سنجر واستولى أتسز على خوارزم وكان من أمره مايذكر بعد ان شاء الله تعالى

(استيلاء قراسنقر صاحب اذربيجان على بلاد فارس) ثم جمع أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وبرز طالبا ثأر أبيه الذى قتله بوزابة فى المصاف كما مر وأرسل السلطان مسعود فى قتل وزيره الكمال فقتله كما مر فانصرف عنه الى بلاد فارس وتحصن عنه بوزابة فى القلعة البيضاء ووطئ قراسنقر البلاد وملكها ولم يمكنه مقام فسلمها السلجوق شاه ابن السلطان محمود وهو أخو السلطان مسعود وعاد الى اذربيجان فنزل بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وأسره وحبسه ببعض قلاعه واستولى على البلاد ثم هلك قراسنقر صاحب اذربيجان واران بمدينة اردبيل وكان من مماليك طغرل وولى مكانه جاولى الطغرلى والله سبحانه ولى التوفيق

(مسير جهان دانكى الى فارس) ثم أمر السلطان سنة خمس وثلاثين الامير اسمعيل جهان دانكى فسار اليها ومنعها مجاهد الدين بهروز من الوصول واستعد لذلك بخسف المعابر وتغريقها فقصد الحلة فمنعها أيضا فقصد واسط فقاتله طرنطاى وانهزم ودخل واسط ونهبها ونهب النعمانية وماليها واتبعهم طرنطاى الى البطيحة ثم فارقه عسكره الى طرنطاى فلحق بتستر وكتب اسمعيل الى السلطان فعفا عنه

(هزيعة السلطان سنجر امام الخطا واستيلاؤهم على ماوراء النهر)

وتلخيص

وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الاثير ان أتسز بن محمد ملك خوارزم واستقربها فبعث الى الخطا وهم أعظم الترك فيما وراء النهر وأغراهم بمملكة السلطان سنجر واستحثهم لها فساروا فى ثلثمائة ألف فارس وسار سنجر فى جميع عساكره وعبر اليهم النهر ولقيهم سنة ست وثلاثين واقتتلوا أشد قتال ثم انهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر ولحق سنجر بترمذ وسار منها الى بلخ وقصد أتسز مدينة مرو فدخلها مراغما للسلطان وفتك فيها وقبض على جماعة من الفقهاء والاعيان وبعث السلطان سنجر الى السلطان مسعود يأذن له فى التصرف فى الرى ليدعوه ان احتاج اليه فجاء عباس صاحب الرى بذلك الى بغداد وسار السلطان مسعود الى الرى امتثالا لامر عمه سنجر قال ابن الاثير وقيل ان بلاد تركستان وهى كاشغر وبلاد ساغون وجبى (١) وطراز وغيرها مما وراء النهر كانت بيد الخانية وهم مسلمون من نسل فراسيان ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكينية وأسلم جدهم الاول سبق قراخان لانه رأى فى منامه ان رجلا نزل من السماء وقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم فى الدنيا والآخرة وأسلم فى منامه ثم أسلم فى يقظته ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ولم يزل الملك فى عقبه الى ارسلان خان بن سليمان بن داود بن بقرخان بن ابراهيم طغاج خان بن ايلك نصر بن ارسلان بن على بن موسى بن سبق فخرج عليه قردخان وانتزع الملك منه ثم نصره سنجر وقتل قردخان وخرج بعد ذلك خوارزم ونصره السلطان سنجر منهم وأعاده الى ملكه وكان فى جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغربة الذين نهبوا خراسان على مانذكره بعد وهم صنفان صنف يقال لهم جق وأميرهم طوطى بن داديك وصنف يقال لهم برق وأميرهم برغوث ابن عبد الحميد وكان لارسلان نصر خان شريف يصحبه من أهل سمرقند وهو الاشرف ابن محمد بن أبى شجاع العلوى فحمل ابن ارسلان نصر خان وطلبوا انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سنجر فعبر اليه فى عساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة وانتهى الى سمرقند فهرب القارغلية أمامه وعاد الى سمرقند فقبض على ارسلان خان وحبسه ببلخ فمات بها وولى على سمرقند مكانه قلج طمغاج أبا المعالى الحسن بن على بن عبد المؤمن ويعرف بحسن تكين من أعيان بيت الخانية الا أن ارسلان خان اطرحه فولاه سنجر ولم تطل أيامه فولى بعده محمود بن ارسلان خان وأبوه هو الذى ملك سمرقند من يده وهو ابن أخت سنجر وكان فى سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة قد خرج كوهرخان من الصين الى حدود كاشغر فى جموع عظيمة وكوهر الاعظم بلسانهم وخان السلطان فمعناه أعظم ملك ولقيه صاحب كاشغر أحمد بن الحسن الخان فهزمه وقد كان خرج قبله من الصين

(١) جبى بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وفى الآخر ياء آخر الحروف مدينة كثيرة النخل وقصب السكر ومنها أبو على الجبائى المعتزلى قال فى المشترك جبى كورة وبلد من نواحى خوزستان قال: وجبى أيضا قرية من نواحى النهروان اه تقويم البلدان لابى الفداء

اتراك الخطا وكانوا فى خدمة الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد ابن سليمان ينزلهم على الدروب بينه وبين الصين مسالح ولهم على ذلك جرايات واقطاعات وسخط عليهم بعض السنين وعاقبهم بما عظم عليهم فطلبوا فسيحا من البلاد يأمنون فيه من ارسلان خان لكثرة ما كان يغزوهم ووصفت لهم بلاد ساغون فساروا اليها ولما خرج كونان من الصين ساروا اليه واجتمعوا عليه ثم ساروا جميعا الى بلاد ما وراء النهر ولقيهم الخان محمود بن ارسلان خان محمد فى حدود بلاده فى رمضان سنة احدى وثلاثين فهزموه وعاد الى سمرقند وعظم الخطب على أهلها وأهل بخارى واستمد محمود السلطان سنجر وذكر مالقى السلطان من العنت واجتمع عنده ملوك خراسان وملك سجستان من بنى خلف وملك غزنة من الغوريين وملك مازندران وعبر النهر للقاء الترك فى أكثر من مائة ألف وذلك لآخر خمس وثلاثين وخمسمائة وشكا اليه محمود خان من القارغلية فقصدهم واستجار وابكوخان ملك الصين فكتب الى سنجر بالشفاعة فيهم فلم يشفعه وكتب اليه يدعوه للاسلام ويتهدده بكثرة العساكر فأهان الرسول وزحف للقاء سنجر والتقى الجمعان بموضع يسمى قطران خامس صفر سنة ست وثلاثين وأبلى القارغلية من الترك وصاحب سجستان من المسلمين ثم انهزم المسلمون فقتل كثير منهم وأسر صاحب سجستان والامير قماج وزوجة السلطان سنجر فأطلقهم كوخان ومضى السلطان سنجر منهزما وملك الترك الكفار والخطا بلاد ما وراء النهر الى أن مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته ثم ماتت قريبا وملكت أمها من بعدها وهى زوجة كوخان وابنه محمد وصار ما وراء النهر بيد الخطا الى أن غلبهم عليه علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ثنتى عشرة وستمائة

(أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلحه مع سنجر)

ولما عاد السلطان منهزما سار خوارزم شاه الى سرخس فى ربيع سنة ست وثلاثين فأطاعته ثم الى مرو الشاهجان فشفع فيهم الامام أحمد الباخرزى ونزل بظاهرها وبينما هو قد استدعى أبا الفضل الكرمانى وأعيان أهلها للشورى ثار عامة البلد وقتلوا من كان عندهم من جنده وامتنعوا فقاتلها ودخلها عنوة وقتل كثيرا من علمائها ثم رجع فى شوال من السنة الى نيسابور وخرج اليه علماؤها وزهادها يسألون معافاتهم مما نزل بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أصحاب السلطان وقطع خطبة سنجر وبعث عسكرا الى أعمال صغد فقاتلوهم أياما ولم يطق سنجر مقاومته لمكان الخطا وجوارهم له ثم سار السلطان سنجر سنة ثمان وثلاثين لقتال خوارزم وحاصرها أياما وكاد يملكها واقتحمها بعض أمرائه يوما فدافعه أتسز بعد حروب شديدة ثم أرسل

أتسز الى سنجر بالطاعة والعود الى ما كان عليه فقبله وعاد سنة ثمان وثلاثين

(صلح زنكى مع السلطان مسعود)

ثم وصل السلطان مسعود سنة ثمان وثلاثين الى بغداد [بياض بالأصل] عادته فتجهز لقصد الموصل وكان يحمل لزنكى جميع ما وقع من الفتن فبعث اليه زنكى يستعطفه مع أبى عبد الله بن الانبارى وحمل معه عشرين ألف دينار وضمن مائة ألف على أن يرجع عنه فرجع وانعقد الصلح بينهما وكان مما رغب السلطان فى صلحه أن ابنه غازى بن زنكى هرب من عند السلطان خوفا من أبيه فرده الى السلطان ولم يجتمع به فوقع ذلك من السلطان أحسن موقع والله تعالى أعلم

(انتقاض صاحب فارس وصاحب الرى) كان بوزابة صاحب فارس وخوزستان كما قدمنا فاستوحش من السلطان مسعود فانتقض سنة أربعين وخمسمائة وبايع لمحمد ابن محمود وهو ابن أخى السلطان مسعود وسار الى ماشون واجتمع بالامير عباس صاحب الرى ووافقه على شأنه واتصل به سليمان شاه أخو السلطان مسعود وتغلبوا على كثير من بلاده فسار اليهم من بغداد فى رمضان من السنة ومعه الامير طغايرك حاجبه وكان له التحكم فى الدولة والميل الى القوم واستخلفه على بغداد الامير مهلهل ونصيرا أمير الحاج وجماعة من غلمان بهروز وسار فلما تقاربوا للحرب نزع السلطان شاه عنهم الى أخيه مسعود وسعى عبد الرحمن فى الصلح فانعقد بينهما على ما أحبه القوم وأضيف الى عبد الرحمن ولاية اذربيجان وأران الى خلخال عوضا من جاولى الطغرلى واستوزر أبا الفتح بن دراست وزير بوزابة وقد كان السلطان سنة تسع وثلاثين قبض على وزيره البزدجردى واستوزر مكانه المرزبان بن عبد الله بن نصر الاصبهانى وسلم اليه البزدجردى واستصفى أمواله فلما كان هذه السنة وفعل بوزابة فى صلح القوم ما فعل اعتضد بهم على مقامه عند السلطان وتحكم عليه وعزل وزيره واستوزر له أبا الفتح هذا

(مقتل طغايرك وعباس)

قد قدمنا ان طغايرك وعبد الرحمن تحكما على السلطان واستبدا عليه ثم آل أمره الى أن منعا بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن النكرى من مباشرة السلطان وكان تربيته وخاصابه ونحى عن خلوته وتجهز طغايرك لبعض الوجوه فحمله فى جملته فأسر السلطان الى ارسلان الفتك بطغايرك وداخل رجال العسكر فى ذلك فأجاب منهم زنكى جاندار ان يباشر قتله بيده ووافق بك ارسلان جماعة من الامراء واعترضوا له فى موكبه فضربه الجاندار فصرعه عن فرسه وأجهز عليه ابن خاص بك ووقف الامراء

الذين واطؤه على ذلك دون الجاندار فمنعوه وكان ذلك بظاهر همذان وبلغ الخبر الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الرى فى جيش كثيف فامتعض لذلك ونكره فداراه السلطان حتى سكن وداخل بعض الامراء فى قتله فأجابوه وتولى كبر ذلك البقش حروسوس اللحف وأحضر السلطان عباسا وأدخله فى داره وهذان الاميران عنده وقد أكمنوا له فى بعض المخادع رجالا وعدلوا به الى مكانهم فقتلوه ونهبت خيامه وأصاخت البلاد لذلك ثم سكنت وكان عباس من موالى السلطان محمود وكان عادلا حسن السيرة وله مقامات حسان فى جهاد الباطنية وقتل فى ذى القعدة سنة احدى وأربعين ثم حبس السلطان أخاه سليمان شاه فى قلعة تكريت وسار عن بغداد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(مقتل بوزابة صاحب فارس)

قد تقدم لنا ان طغابرك كان مستظهرا على السلطان بعباس صاحب الرى وبوزابة صاحب فارس وخورستان فلما قتل طغابرك وامتعض له عباس قتل اثره انتهى الخبر الى بوزابة فجمع العساكر وسار الى اصبهان سنة ثنتين وأربعين فحاصرها وبعث عسكرا آخر لحصار همذان وآخر الى قلعة الماهكى من بلاد اللحف وكان بلاد اللحف من قلاع البقش كوزحر فسار اليها ودفعهم عنها ثم سار بوزابة عن اصبهان لطلب السلطان مسعود فامتنع وتراجفا عرج مزاتكين واشتد القتال بينهما وكبا الفرس ببوزابة وسيق الى السلطان فقتل بين يديه وقيل أصابه سهم فسقط ميتا وانهزمت عساكره وكان هذا الحرب من أعظم الحروب بين السلجوقية

(انتقاض الامراء على السلطان) ولما قتل طغابرك وعباس وبوزابة اختص بالسلطان ابن خاص بك لميله اليه واطرح بقية الامراء فاستوحشوا وارتابوا بأنفسهم أن يقع بهم ما وقع بالآخرين ففارقوه وساروا نحو العراق أبوركن المسعودى صاحب كنجة واران والبقش كوزحر صاحب الجبل والحاجب خريطاى المحمودى شحنة واسط وابن طغابرك والركن وقرقوب ومعهم ابن أخى السلطان وهو محمد بن محمود وانتهوا الى حران فاضطرب الناس ببغداد وغلت الاسعار وبعث اليهم المقتفى بالرجوع فلم يرجعوا ووصلوا الى بغداد فى ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين ونزلوا بالجانب الشرقى وهرب أجناد مسعود شحنة بغداد الى تكريت ووصل اليهم على ابن دبيس صاحب الحلة ونزل بالجانب الغربى وجمع الخليفة العساكر ثم قاتل العامة عساكر الامراء فاستطردوا لهم ثم كروا عليهم فملؤا الارض بالقتلى ثم جاست خيولهم خلال الديار فنهبوا وسبوا ثم جاؤا مقابل التاج يعتذرون ورددوا الرسل الى

الخليفة سائر يومهم ثم ارتحلوا من الغد الى النهروان فعاثوا فيها وعاد مسعود من بلاد تكريت الى بغداد ثم افترق الامراء وفارقوا العراق ثم عاد البقش كوزحر والطرنطاى وابن دبيس سنة أربع وأربعين ومعهم ملك شاه بن محمود وهو ابن أخى السلطان وطلبوا من الخليفة الخطبة لملك شاه فأبى وجمع العساكر وشغل بما كان فيه من أمر عم السلطان سنجر وذلك أن السلطان سنجر بعث اليه يلومه فى تقديم ابن خاص بك ويأمره بابعاده وتهدده فغالطه ولم يفعل فسار الى الرى فبادر اليه مسعود وترضاه فرضى عنه ولما علم البقش كوزحر مراسلة المقتفى لمسعود نهب النهروان وقبض على على بن دبيس وسار السلطان بعد لقاء عمه الى بغداد فوصلها منتصف شوال سنة أربع وأربعين فهرب الطرنطاى الى النعمانية ورحل البقش الى النهروان بعد أن أطلق على بن دبيس فجاء الى السلطان واعتذر فرضى عنه

(وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه بن أخيه محمود ثم أخيه محمد من بعده)

ثم توفى السلطان مسعود بهمذان فى رجب منتصف سبع وأربعين لثنتين وعشرين سنة من طلبه الملك وبه كمل استفحال ملك السلجوقية وركب الخمول دولتهم بعده وكان عهد الى ملك شاه بن أخيه محمود فلما توفى بايع له الامير بن خاص بك وأطاعه العسكر وانتهى خبر موته الى بغداد فهرب الشحنة بلاك الى تكريت وأمر المقتفى بالحوطة على داره ودور اصحاب السلطان مسعود ثم بعث السلطان ملك شاه عسكرا الى الحلة مع سلاركرد من أمرائه فملكها وسار اليه بلاك الشحنة فخادعه حتى استمكن منه فقبض عليه وغرقه واستبد بلاك الشحنة بالحلة وجهز المقتفى العساكر مع الوزير عون الدين ابن هبيرة الى الحلة وبعث عساكرا الى الكوفة وواسط فملكهما ووصلت عساكر السلطان ملك شاه فملكوها وسار اليها الخليفة بنفسه فارتجعها منهم وسار منها الى الحلة ثم الى بغداد آخر ذى القعدة من السنة ثم ان ابن خاص بك طمع فى الانفراد بالامر فاستدعى محمد بن محمود من خوزستان فأطمعه فى الملك ليقبض عليه وعلى أخيه ملك شاه فقبض على ملك شاه أولا لستة أشهر من ولايته ووصل محمد فى صفر من سنة ثمان وأربعين فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة وحمل اليه الهدايا وقد سعى للسلطان محمد بما انطوى عليه ابن خاص بك فلما كره صبيحة وصوله فتك به وقتله وقتل معه زنكى الجاندار قاتل طغابرك وأخذ من أموال ابن خاص بك كثيرا وكان صبيا كما بينا اتصل بالسلطان مسعود وتنصح له فقدمه على سائر العساكر والامراء وكان أنوغرى التركى المعروف بشملة فى جملة ابن خاص بك ومن أصحابه ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلما قتل ابن خاص بك نجا شملة الى خوزستان وكان له بها بعد ذلك ملك والله أعلم

بغيبه وأحكم

(تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسره)

كان هؤلاء الغز فيما وراء النهر وهم شعب من شعوب الترك ومنهم كان السلجوقية أصحاب هذه الدولة وبقوا هنالك بعد عبورهم وكانوا مسلمين فلما استولى الخطا على ملك الصين وعلى ما وراء النهر حجر هؤلاء الغز الى خراسان وأقاموا بنواحى بلخ وكان لهم من الامراء محمود ودينار وبختيار وطوطى وارسلان ومعرو وكان صاحب بلخ الامير قماج فتقدم اليهم أن يبعدوا عن بلخ فصانعوه فتركهم وكانوا يعطون الزكاة ويؤمنون السابلة ثم عاد اليهم فى الانتقال فامتنعوا وجمعوا فخرج اليهم فى العساكر وبذلوا له مالا فلم يقبل وقاتلوه فهزموه وقتلوا العسكر والرعايا والفقهاء وسبوا العيال ونجا قماج الى مرو وبها السلطان سنجر فبعث اليهم يتهددهم ويأمرهم بمفارقة بلاده فلاطفوه وبذلوا له فلم يقبل وسار اليهم فى مائة ألف فهزموه وأثخنوا فى عسكره وقتل علاء الدين قماج وأسروا السلطان سنجر ومعه جماعة من الامراء فقتلوا الامراء واستبقوا السلطان سنجر وبايعوه ودخلوا معه الى مرو فطلب منه بختيار اقطاعها فقال هى كرسى خراسان فسخروا منه ثم دخل سنجر خانقاه فقسط على الناس واطرهم وعسفهم وعلق فى الاسواق ثلاث غرائر وطالبهم بملئها ذهبا فقتله العامة ودخل الغز نيسابور ودمروها تدميرا وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء فى كل بلد ولم يسلم من خراسان غير هراة وسجستان لحصانتهما وقال ابن الاثير عن بعض مؤرخى العجم ان هؤلاء الغز انتقلوا من نواحى التغرغر من أقاصى الترك الى ما وراء النهر أيام المقتفى وأسلموا واستظهر بهم المقنع الكندى على مخارقه وشعوذته حتى تم أمره فلما سارت اليه العساكر خذلوه وأسلموه وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخانية ثم طردهم الاتراك القارغلية عن اقطاعهم فاستدعاهم الامير زنكى بن خليفة الشيبانى المستولى على حدود طخارستان وأنزلهم بلاده واستظهر بهم على قماج صاحب بلخ وسار بهم لمحاربته فخذلوه لان قماج كان استمالهم فانهزم زنكى وأسر هو وابنه وقتلهما قماج وأقطع الغز فى بلاده فلما سار الحسين بن الحسين الغورى الى بلخ برز اليه قماج ومعه هؤلاء الغز فخذلوه ونزعوا عنه الى الغورى حتى ملك بلخ فسار السلطان سنجر الى بلخ وهزم الغورى واستردها وبقى الغز بنواحى طخارستان وفى نفس قماج حقد عليهم فأمرهم بالانتقال عن بلاده فتألفوا وتجمعوا فى طوائف من الترك وقدموا عليهم ارسلان بوقاء التركى ولقيهم قماج فهزموه وأسروه وابنه أبا بكر وقتلوهما واستولوا على نواحى بلخ وعاثوا فيها وجمع السلطان سنجر وفى مقدمته محمد بن أبى بكر بن قماج المقتول

والمؤيد

والمؤيد ابنه فى محرم سنة ثمان وأربعين وجاء السلطان سنجر على أثرهم وبعثوا اليه بالطاعة والاموال فلم يقبل منهم وقاتلهم فهزموه الى بلخ ثم عاود قتالهم فهزموه الى مرو واتبعوه فهرب هو وعسكره من مرو ورعبا منهم ودخلوا البلد وأثخنوا فيه قتلا ونهبا وقتلوا القضاة والائمة والعلماء ولما خرج سنجر من مرو وأسروه أجلسوه على التخت على عادته وآتوه طاعتهم ثم عاودوا الغارة على مرو فمنعهم أهلها وقاتلوهم ثم عجزوا واستسلموا فاستباحوها أعظم من الاولى ولما أسر سنجر فارقه جميع أمراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ووصلوا الى نيسابور واستدعوا سليمان شاه بن السلطان محمود وخطبوا له بالسلطان فى منتصف السنة واجتمعت عليه عساكر خراسان وساروا لطلب الغز فبارزوهم على مرو وانهزمت العساكر رعبا منهم وقصدوا نيسابور والغز فى اتباعهم ومروا بطوس فاستباحوها وقتلوا حتى العلماء والزهاد وخربوا حتى المساجد ثم ساروا الى نيسابور فى شوال سنة تسع وأربعين ففعلوا فيها أفحش من طوس حتى ملؤا البلاد من القتلى وتحصن طائفة بالجامع الاعظم من العلماء والصالحين فقتلوهم عن آخرهم وأحرقوا خزائن الكتب وفعلوا مثل ذلك فى جوين واسفراين فحاصروهما واقتحموهما مثل ما فعلوا فى البلاد الاخرى وكانت أفعال الغز فى هذه البلاد أعظم وأقبح من أفعال الغز فى غيرها ثم ان السلطان سليمان شاه توفى وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك فى شوال سنة ثمان وأربعين فاستوزر ابنه نظام الملك وانحل أمره وعجز عن القيام بالملك فعاد الى جرجان فى صفر سنة تسع وأربعين فاجتمع الامراء وخطبوا للخان محمود بن محمد بن بقراخان وهو ابن أخت سنجر واستدعوه فملكوه فى شوال من السنة وساروا معه لقتال الغز وهم محاصرون هراة فكانت حروبه معهم سجالا وأكثر الظفر للغز ثم رحلوا عن هراة الى مرو منتصف خمسين وأعادوا مصادرة أهلها وسار الخان محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد كما نذكر فراسل الغز فى الصلح فصالحوه فى رجب

(استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها)

هذا المؤيد من موالى سنجر واسمه   وكان من أكابر أوليائه ومطاعا فيهم ولما كانت هذه الفتنة وافترق أمر الناس بخراسان تقدم   فاستولى على نيسابور وطوس ونسا   وان ورد وشهرستان والدامغان وحصنها ودافع الغز عنها ودانت له الرعية لحسن سيرته فعظم شأنه وكثرت جموعه واستبد بهذه الناحية وطالبه الخان محمود عندما ملكوه بالحضور عنده وتسليم البلاد فامتنع وترددت الرسل بينهما على مال يحمله للخان محمود فضمنه المؤيد وكف عنه محمود واستقر الحال على ذلك

هكذا بياضات فى الاصل

والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء ايناخ على الرى) كان ايناخ من موالى السلطان سنجر وكانت الرى أيضا من أعمال سنجر فلما كانت فتنة الغز لحق بالرى واستولى عليها وصانع السلطان محمد شاه ابن محمود صاحب همذان واصبهان وغيرهما وبذل له الطاعة فأقره فلما مات السلطان محمد مد يده الى أعمال تجاورته وملكها فعظم أمره و بلغت عساكره عشرة آلاف فلما ملك سليمان شاه همذان على ما نذكره وقد كان أمر به عند ولاية سليمان على خراسان سار اليه وقام بخدمته وبقى مستبدا بتلك البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم

(الخبر عن سليمان شاه وحبسه بالموصل)

كان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر وجعله ولى عهده وخطب له على منابر خراسان فلما وقعت فتنة الغز وأسر سنجر قدمه أمراء خراسان على أنفسهم ثم عجز ومضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة أخيه ثم سعى به عنده فأخرجه من بلده وجاء الى اصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فمضى الى قاشان فبعث السلطان محمد شاه بن أخيه محمود عسكرا ليدفعه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملك شاه منها فقصد اللحف ونزل وأرسل المقتفى فى أثره فطلبه فى زوجته رهينة ببغداد فبعثها مع جواريها وأتباعها فأكرمهم المقتفى وأذن له فى القدوم وخرج الوزير بن هبيرة وقاضى القضاة والفتيان لتلقيه وخلع عليه المقتفى وأقام ببغداد حتى اذا دخلت سنة احدى وخمسين أحضر بدار الخلافة وحضر قاضى القضاة والاعيان واستحلف على الطاعة والتجافى للخليفة عن العراق وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمد بثلاثة آلاف من العسكر وجعل معه الامير دوران أمير حاجب صاحب الحلة وسار الى بلاد الجبل فى ربيع الاول من السنة وسار المقتفى الى حلوان وبعث الى ملك شاه بن السلطان محمود يدعوه الى موافقة عمه سليمان شاه وان يكون ولى عهده فقدم فى ألفى فارس وتحالفا وأمدهما المقتفى بالمال والاسلحة واجتمع معهم ايلدكز صاحب كنجة وارانية وساروا القتال السلطان محمد فلما بلغه خبرهم أرسل الى قطب الدين مودود بن زنكى ونائبه زين الدين على كوجك فى المساعدة والارتفاق فأجاباه وسار اللقاء عمه سليمان شاه ومن معه واقتتلوا فى جمادى الاولى فهزمهما السلطان محمد وافترقوا وتوجه سليمان شاه الى بغداد على شهرزور وكانت لصاحب الموصل وبها الامير بوران من جهة على كوجك نائب الموصل فاعترضه هنالك كوجك وبوران فاحتمله كوجك الى الموصل فحبسه بها وبعث الى السلطان محمد بالخبر وانه على الطاعة والمساعدة فقبل منه وشكر له

*(فرار

(فرار سنجر من أسر الغز)

قد تقدم لنا ما كان من أسر السلطان سنجر بيد الغز وافتراق خراسان واجتماع الامراء بنيسابور وما اليها على الخان محمود بن محمد وامتنعوا من الغز وامتنع أتسز ابن محمد أنوشتكين بخوارزم وانقسمت خراسان بينهم وكانت الحرب بين الغز وبينهما سجالا ثم هرب سنجر من أسر الغز وجماعة من الامراء كانوا معه فى رمضان سنة احدى وخمسين ولحق بترمذ ثم عبر جيحون الى دار ملكه بمرو فكانت مدة أسره من جمادى سنة ثمان وأربعين ثلاث سنين وأربعة أشهر ولم يتفق فراره من الاسر الا بعد موت على بك مقدم القارغلية لانه كان أشد شئ عليه فلما توفى انقطعت القارغلية اليه وغيرهم ووجد فسحة فى أمره والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار السلطان محمد بغداد) كان السلطان محمد بن محمود لاول ولايته الملك بعد عمه مسعود بعث الى المقتفى فى الخطبة له ببغداد والعراق على عادتهم فمنعه لما رجا من ذهاب دولتهم استفحالهم واستبدادهم فسار السلطان من همذان فى العساكر نحو العراق ووعده صاحب الموصل ونائبه بمدد العساكر فقدم آخر احدى وخمسين وبعث المقتفى فى الحشد فجاء خطاوفرس فى عسكر واسط وخالفهم مهلهل الى الحلة فملكها واهتم المقتفى وابن هبيرة بالحصار وقطع الجسر وجمع السفن تحت التاج ونودى فى الجانب الغربى بالعبور فعبروا فى محرم سنة ثنتين وخمسين وخرب المقتفى ما وراء الحرسة صلاحا فى استبداده وكذلك السلطان محمد من الجهة الاخرى ونصبت المجنيقات والرعادات وفرق المقتفى السلاح على الجند والعامة وجاء زين الدين كجك فى عسكر الموصل ولقى السلطان على أوانا واتصلت الحرب واشتد الحصار وفقدت الاقوات وانقطعت المواد عن أهل بغداد وفتر كجك وعسكره فى القتال أدبا مع المقتفى وقيل أوصاه بذلك نور الدين محمود بن زنكى أخو قطب الدين الاكبر ثم جاء الخبر بأن ملك شاه أخا السلطان محمد وايلدكز صاحب اران وربيبه ارسلان بن طغرل قصدوا همذان فسار عن بغداد مسرعا الى همذان آخر ربيع الاول وعاد زين الدين الى الموصل ولما وصل ملك شاه وايلدكز وربيبه ارسلان الى همذان أقاموا بها قليلا وسمعوا بمجئ السلطان فاجفلوا وساروا الى الرى فقاتلهم الشحنة اينانج فهزموه وحاصروه وأمده السلطان محمد بعسكر بن سقمس بن قماز فوجدهم قد أفرجوا عنه وقصدوا بغداد فقاتلهم فهزموه ونهبوا عسكره فسار السلطان محمد ليسابقهم الى بغداد فلما انتهى الى حلوان بلغه أن ايلدكز بالدينور ثم وافاه رسول اينانج بأنه ملك همذان وخطب له فيها وان شملة صاحب خراسان هرب عن ايلدكز وملك شاه الى بلاده

فعاد الى اران ورجع السلطان الى همذان قاصدا للتجهز الى بلاد ايلدكز باران

(وفاة سنجر)

ثم توفى السلطان سنجر صاحب خراسان فى ربيع سنة ثنتين وخمسين وقد كان ولى خراسان منذ أيام أخيه بركيارق وعهد له أخوه محمد فلما مات محمد خوطب بالسلطنة وكان الملوك كلهم بعدها فى طاعته نحوا أربعين سنة وخطب له قبلها بالملك عشرين سنة وأسره الغز ثلاث سنين ونصف ومات بعد خلاصه من الاسر وقطعت خطبته ببغداد والعراق ولما احتضر استخلف على خراسان ابن أخته محمد بن محمود بن بقراخان فأقام بجرجان وملك الغز مرو وخراسان وملك به المؤيد نيسابور وناحيته من خراسان وبقى الامر على هذا الخلاف سنة أربع وخمسين وبعث الغز الى محمود الخان ليحضر عندهم فيملكوه فخافهم على نفسه وبعث ابنه اليهم فاطاعوه مدة ثم لحق هو بهم كما نذكر بعد

(منازعة ايناق للمؤيد)

كان ايناق هذا من موالى السلطان سنجر فلما كانت الفتنة وافترق الشمل ومات السلطان سنجر وملك المؤيد نيسابور وحصل له التقدم بذلك على عساكر خراسان حسده جماعة من الامراء وانحرف عنه ايناق هذا فتارة يكون معه وتارة يكون فى مازندان فلما كان سنة ثنتين وخمسين سار من مازندان فى عشرة آلاف فارس من المنحرفين عن المؤيد وقصد نسا وابيورد وأقام بها (بياض بالأصل) المؤيد ايناق فسار اليه وكبسه وغنم معسكره ومضى ايناق منهزما الى مازندان وكان بين ملكها رستم وبين أخيه على منازعة فتقرب ايناق الى رستم بقتال أخيه على فوجد لذلك غلبة ودفعه عنه وسار يتردد فى نواحى خراسان بالعيث والفساد والح على اسفراين فخربها وراسله السلطان محمود الخان والمؤيد فى الطاعة والاستقامة فامتنع فساروا اليه فى العساكر فى صفر سنة ثلاث وخمسين فهرب الى طبرستان وبعث رستم شاه مازندان الى محمود والمؤيد بطاعته وبأموال جليلة وهدية فقبلوا منه وبعث ايناق ابنه رهنا على الطاعة فرجعوا عنه واستقر بجرجان ودستان وأعمالها

(منازعة سنقر العزيزى للمؤيد ومقتله)

كان سنقر العزيزى من أمراء السلطان سنجر وكان فى نفسه من المؤيد ما عند الباقين فلما شغل المؤيد بحرب ايناق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة فملكها واشترط عليه أن يستظهر بملك الغورية الحسين فأبى وطمع فى الاستبداد لما رأى من استبداد الامراء على السلطان محمود بن محمد فحاصره المؤيد بهراة واستمال

الاتراك

الاتراك الذين كانوا معه فأطاعوه وقتلوا سنقر العزيزى غيلة وملك السلطان محمد هراة ولحق الفل من عسكر سنقر بايناق وتسلطوا على طوس وقراها واستولى الخراب على البلاد والله تعالى أعلم

(فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد)

كان الغز بعد فتنتهم الاولى أوطنوا بلخ ونزعوا عن النهب والقتل بخراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان محمود بن محمد الخان وكان القائم بدولته المؤيد أبواية فلما كان سنة ثلاث وخمسين فى شعبان سار الغز الى مرو فزحف المؤيد اليهم وأوقع طائفة منهم وتبعهم الى مرو وعاد الى سرخس وخرج معه الخان محمود لحربهم فالتقوا خامس شوال وتواقعوا مرارا ثلاثا انهزم فيها الغز على مرو وأحسنوا السيرة وأكرموا العلماء والائمة ثم أغاروا على سرخس وطوس واستباحوهما وخربوهما وعادوا الى مرو وأما الخان محمود بن محمد فسار الى جرجان ينتظر مآل أمرهم وبعثوا اليه الغز سنة أربع وخمسين يستدعونه ليملكوه فاعتذر لهم خشية على نفسه فطلبوا منه جلال الدين عمر فتوثق منهم بالحلف وبعثه اليهم فعظموه وملكوه فى ربيع الآخر من سنة أربع ثم سار أبوه محمود الى خراسان وتخلف عنه المؤيد ابواية وانتهى الى حدود نسا وابيورد فولى عليهم الامير عمر بن حمزة النسوى فقام فى حمايتهما المقام المحمود بظاهر نسا ثم سار الغز من نيسابور الى طوس لامتناع أهلها من طاعتهم فملكوها واستباحوها وعادوا الى نيسابور فسار وامع جلال الدين عمر بن محمود الخان الى حصار سابور وبها النقيب عماد الدين محمد بن يحيى العلوى الحسينى فحاصروه وامتنعت عليهم فرجعوا الى نسا وابيورد للقاء الخان محمود بجرجان كما قدمناه فخرج منها سائرا الى خراسان واعترضه الغز ببعض القرى فى طريقه فهرب منه وأسر بعضهم ثم هرب منه ولحق بنيسابور فلما جاء الخان محمود اليها مع الغز فارقها منتصف شعبان ودخلها الغز وأحسنوا السيرة وساروا الى سرخس ومرو فعاد المؤيد فى عساكره الى نيسابور وامتنع أهلها عليه فحاصرها وافتتحها عنوة وخربها ورحل عنها الى سبق فى شوال سنة أربع وخمسين

(استيلاء ملكشاه بن محمود على خورستان) ولما رجع السلطان ملكشاه محمد بن محمود من حصار بغداد وامتنع الخليفة من الخطبة له أقام بهمذان عليلا وسار أخوه ملكشاه الى قم وقاشان فافحش فى نهبها ومصادرة أهلها وراسله أخوه السلطان محمد فى الكف عن ذلك فلم يفعل وسار الى اصبهان وبعث الى ابن الجحقرى وأعيان البلد فى طاعته فاعتذروا بطاعة أخيه فعاث فى قراها ونواحيها فسار السلطان اليه من

همذان وفى مقدمته كرجان الخادم فافترقت جموع ملكشاه ولحق ببغداد فلما انتهى الى قوس لقيه مويدان وسنقر الهمذانى فأشارا عليه بقصد خوزستان من بغداد فسار الى واسط ونزل بالجانب الشرقى وساء أثر عسكره فى النواحى ففتحوا عليهم البثوق وغرق كثير منهم ورجع ملكشاه الى خوزستان فمنعه شملة من العبور فطلب الجوار فى بلده الى أخيه السلطان فمنعه فنزل على الاكراد الذين هنالك فاجتمعوا عليه من الجبال والبسائط وحارب شملة ومع ملكشاه سنقر الهمذانى ومويدان وغيرهما من الامراء فانهزم شملة وقتل عامة أصحابه واستولى ملكشاه على البلاد وسار الى فارس والله هو المؤيد بنصره

(وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه)

ثم توفى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه آخر سنة أربع وخمسين وهو الذى حاصر بغداد يطلب الخطبة له من الخليفة ومنعه فتوفى آخر هذه السنة لسبع سنين ونصف من ولايته وكان له ولد صغير فسلمه الى سنقر الاحمديلى وقال هو وديعة عندك فأوصل به الى بلادك فان العساكر لا تطيعه فوصل به الى مراغة واتفق معظم الجند على البيعة لعمه سليمان شاه وبعث أكابر الامراء بهمذان الى أتابك زين الدين مودود أتابك ووزير مودود وزيره فأطلقه مودود وجهزه بما يحتاج اليه فى سلطانه وسار معه زين الدين على بكك فى عساكر الموصل فلما انتهى الى بلاد الجبل وأقبلت العساكر للقاء سليمان شاه ذكر معاملتهم مع السلطان ودالتهم عليه فخشى على نفسه وعاد الى الموصل ودخل سليمان شاه همذان وبايعوا له والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة المقتفى وخلافة المستنجد) ثم توفى المقتفى لامر الله فى ربيع الاول سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة من خلافته وقد كان استبد فى خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود كما ذكرناه فى أخبار الخلفاء ولما توفى بويع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه فى الاستبداد واستولى على بلاد الماهلى ونزل اللحف وولى عليهما من قبله كما كانت لابيه وقد تقدم ذكر ذلك فى أخبارهما انتهى

(اتفاق المؤيد مع محمود الخان) قد كنا قدمنا أن الغز لما تغلبوا استدعوا محمود الخان ليملكوه فبعث اليهم بابنه عمر فملكوه ثم سار محمود من جرجان الى نسا وجاء الغز فساروا به الى نيسابور فهرب عنها المؤيد ودخلها محمود والغز ثم ساروا عنها فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة وخربها فى شوال سنة أربع وخمسين ورحل عنها الى سرخس فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة ورحل عنها الى بيهق ثم رجع اليها سنة خمس

وخمسين وعمر خرابها وبالغ فى الاحسان اليها ثم سار لاصلاح أعمالها ومحو آثار المفسدين والثوار من نواحيها ففتح حصن اشقيل وقتل الثوار الزيدية وخربه وفتح حصن خسروجرد من أعمال بيهق وهو من بناء كيخسرو ملك الفرس أيام حربه مع افراسياب وملكه ورتب فيه الحامية وعاد الى نيسابور ثم قصد مدينة كندر من أعمال طرسا وفيها متغلب اسمه خرسده يفسد السابلة ويخرب الاعمال ويكثر الفتك وكان البلاء به عظيما فى خراسان فحاصره ثم ملك عليه الحصن عنوة وقتله وأراح البلاد منه ثم قصد فى رمضان من السنة مدينة بيهق وكانوا قد عصوا عليه فراجعوا الطاعة وقبلهم واستفحل أمره فأرسل اليه الخان محمود بن محمد وهو مع الغز بالولاية على نيسابور وطوس وما اليها فاتصلت يده به واستحكم الصلح بينه وبين الغز وذهبت الفتن

كان هؤلاء الاتراك البرزية من شعوب الترك بخراسان وأميرهم بقراخان بن داود فأغار عليهم جمع من عساكر خوارزم شاه وأوقعوا بهم وفتكوا فيهم ونجا بقراخان فى الفل منهم الى السلطان محمود بخراسان ومن معه من الغز مستصرخا بهم وهو يظن أن ايتاق هو الذى هيج عليهم فسار الغز معه على طريق نسا وابيورد وقصدوا ايتاق فلم يكن له بهم قوة فاستنصر   شاه مازندان فسار لنصره واحتشد فى أعماله من الاكراد والديلم والتركمان وقاتلوا الغز والبرزية   بنواحى دهستان فهزمهم خمسا وكان ايتاق فى ميمنة شاه مازندان وأثخن الغز فى قتل عسكرهم ولحق شاه مازندان بسارية وايتاق بشهر وزخوارزم ثم ساروا الى دهستان فنهبوها وخربوها سنة ست وخمسين وخربوا جرجان كذلك وافترق أهلها فى البلاد ثم سار ايتاق الى بقراتكين المتغلب على اعمال قزوين فانهزم من بين يديه ولحق بالمؤيد وصار فى جملته واكتسح ايتاق سائر أعماله ونهب أمواله فقوى بها

قد قدمنا ان ملكشاه بن محمود سار بعد أخيه السلطان محمد بن خورستان الى أصبهان ومعه شملة التركمانى ودكلا صاحب فارس فأطاعه ابن الخجندى رئيس اصبهان وسائر أهلها وجمع له الاموال وأرسل ملكشاه الى أهل الدولة باصبهان يدعوهم الى طاعته وكان هواهم مع عمه سليمان فلم يجيبوه الى ذلك وبعثوا عن سليمان من الموصل وملكوه وانفرد ملكشاه بأصبهان واستفحل أمره وبعث الى المستنجد فى الخطبة له ببغداد مكان عمه سليمان شاه وان تعاد الامور الى ما كانت ويتهددهم فوعد الوزير عميد الدين بن هبيرة جارية جاعلها على سمه فسمته فى الطعام وفطن الطبيب بأنه مسموم وأخبر بذلك شملة ودكلا فاحضروا الجارية وأقرت ومات ملكشاه وأخرج أهل

اصبهان صحابه وخطبوا السليمان شاه وعاد شملة الى خراسان فارتجع ما كان ملكشاه تغلب عليه منها

كان سليمان لما ملك أقبل على اللهو ومعاقرة الخمر حتى فى نهار رمضان وكان يعاشر الصفاعين والمساخر وعكف على ذلك مع ما كان فيه من الخرق والتهور فقعد الامراء عن غشيان بابه وشكوا الى شرف الدين كودبازه الخادم وكان مدبر مملكته وكان حسن التربية والدين فدخل عليه يوما يعذله على شأنه وهو مع ندمائه بظاهر همذان فأشار اليهم أن يعبثوا بكردبازه فخرج مغضبا واعتذر اليه عند ما صحا فأظهر له القبول وقعد عن غشيان مجلسه وكتب سليمان شاه الى اينانج صاحب الرى يدعوه الى الحضور فوعده بذلك اذا أفاق من مرضه وزاد كردبازه استيحاشا فاستحلف الامراء على خلع سليمان وبدأ بقتل جميع الصفاعين الذين كانوا ينادمونه وقال انما فعلته صونا للملك ثم عمل دعوة فى داره فحضر سليمان شاه والامراء وقبض على سليمان شاه ووزيره أبى القاسم محمود بن عبد العزيز الحاقدى وعلى خواصه وذلك فى شوال سنة خمس وخمسين وقتل وزيره وخواصه وحبس سليمان شاه قليلا ثم قتله ثم أرسل الى ايلدكز صاحب اران وأذربيجان يستقدم ربيبه أرسلان بن طغرل ليبايع له بالسلطنة وبلغ الخبر الى اينانج صاحب الرى فسار الى همذان ولقيه كردبازه وخطب له بالسلطنة بجميع تلك البلاد وكان ايلدكز قد تزوج بأم أرسلان وولدت له ابنيه البهلوان محمد وقزل ارسلان عثمان فكان ايلدكز أتابك وابنه البهلوان حاجبا وهو أخو أرسلان لأمه وايلدكز هذا من موالى السلطان مسعود ولما ملك أقطعه اران وبعض اذربيجان وحدثت الفتن والحروب فاعتصم هو باران ولم يحضر عند أحد من ملوكهم وجاء اليه ارسلان شاه من تلك الفتن فأقام عنده الى أن ملك ولما خطب له بهمذان بعث ايلدكز اتابك الى اينانج صاحب الرى ولاطفه وصاهره فى ابنته لابنه البهلوان وتحالفا على الاتفاق وبعث الى المستنجد بطلب الخطبة لارسلان فى العراق واعادة الامور الى عادتها أيام السلطان مسعود فطرد رسوله بعد الاهانة ثم أرسل ايلدكز الى اقسنقر الاحمريلى يدعوه الى طاعة السلطان ارسلان فامتنع وكان عنده ابن السلطان شاه بن محمود المدنى أسلمه اليه عند موته فتهدده بالبيعة له وكان الوزير ابن هبيرة يكاتبه من بغداد ويقمعه فى الخطبة لذلك الصبى قصدا للنصر من بينهم فجهز ايلدكز العساكر مع البهلوان الى اقسنقر واستمد اقسنقر شاهرمن بن سقمان القطبي صاحب خلاط وواصله فمده بالعساكر وسار نحو البهلوان وقاتله فظفر به ورجع البهلوان الى همذان مهزوما والله تعالى أعلم

بياض بالأصل

لما مات ملكشاه بن محمود باصبهان كما قلناه لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ومعهم ابنه محمود فانتزعه منهم صاحب فارس زنكى بن دكلا السلقدى وأنزله فى قلعة اصطخر فلما ملك ايلدكز السلطان ارسلان وطلب الخطبة ببغداد وأخذ الوزير ابن هبيرة فى استفساد الاطراف عليهم وبعث لابن اقسنقر فى الخطبة لابن السلطان محمد شاه الذى عنده وكاتب صاحب فارس أيضا يشير عليه بالبيعة للسلطان محمد بن السلطان ملكشاه الذى عنده ويعده بالخطبة له ان ظفر بايلدكز فبايع له ابن دكلا وخطب له بفارس وضرب النوب الخمس على بابه وجمع العساكر وبلغ الى ايلدكز فجمع وسار فى أربعين ألفا الى اصبهان يريد فارس فأرسل الى زنكى فى الخطبة لارسلان شاه فأبى فقال له ايلدكز ان المستنجد اقطعنى بلادك وأنا سائر اليها وتقدمت طائفة الى نواحى ارجان فلقيتها سرية لارسلان بوقا صاحب ارجان فأوقعوا بطائفته وقتلوا منهم وبعثوا بالخبر الى اينانج فنزل من الرى فى عشرة آلاف وأمده اقسنقر الاحمريلى بخمسة آلاف فقصد

بياض بالأصل

وهرب صاحب ابن البازدان وابن طغايرك وغيرهما من أولياء ايلدكز للقاء اينانج وورد عسكر المدافعة زنكى عن شهرم وغيرها من البلاد فهزمهم زنكى بن دكلا ورجعوا اليه فاستدعى عساكره من أذربيجان وجاءه بيس بن مزدارسلان واستمد اينانج وقتل أصحابه ونهب سواده ودخل الرى وتحصن فى قلعة طبرك ثم ترددت الرسل بينه وبين ايلدكز فى الصلح وأقطعه حرباد قان وغيرها وعاد ايلدكز الى همذان والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالأصل

وفى ربيع سنة ست وخمسين قبض المؤيد على أحياء نيسابور وحبسهم وفيهم نقيب العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسنى وآخذهم على ما فعله آباؤهم بأهل البلد من أهل البلد من النهب والاعتداء على الناس فى أموالهم وحرمهم فأخذ هؤلاء الاعيان ونهاهم كأنهم لم يضربوا على أيديهم وقتل جماعة من أهل الفساد فخرب البلد وامتدت الايدى الى المساجد والمدارس وخزائن الكتب وأحرق بعضها ونهب بعضها وانتقل المؤيد الى الشادباخ فأصلح سوره وسد ثلمه وسكنه وخرب نيسابور بالكلية وكان الذى اختط هذا الشادباخ عبد الله بن طاهر أيام ولايته على خراسان ينفرد بسكناه هو وحشمه عن البلد تجافيا عن مزاحمتهم ثم خربت وجددها الب ارسلان ثم خربت فجددها الآن المؤيد وخربت نيسابور بالكلية ثم زحف الغز والخان محمود معهم وهو ملك خراسان لذلك العهد فحاصروا المؤيد بالشادباخ شهرين ثم هرب الخان عنهم الى شهرستان كأنه يريد الحمام وأقام بها وبقى الغز الى آخر شوال ثم رجعوا فنهبوا البلاد

ونهبوا طوس ولما دخل الخان الى نيسابور أمهله المؤيد الى رمضان سنة سبع وخمسين ثم قبض عليه وسمله وأخذ ما كان معه من الذخائر وحبسه وحبس معه جلال محمد فماتا فى محبسهما وخطب المؤيد لنفسه بعد المستنجد ثم زحف المؤيد الى شهرستان وقرب نيسابور فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فى شعبان سنة تسع وخمسين ونهبها عسكره ثم رفع الايدى عنهم واستقامت فى ملكه والله أعلم

بياض بالاصل

ثم زحف المؤيد الى قلعة دسكره من طوس وكان بها أبو بكر جاندار ممتنعا فحاصره بها شهرا وأعانه أهل طوس لسوء سيرته فيهم ثم جهده الحصار فاستأمن ونزل فحبسه وسار الى كرمان فأطاعوه وبعث عسكرا الى اسفراين فتحصن بها رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصروه واستنزله وحمله مقيدا الى الشادباخ فحبس ثم قتل فى ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ثم ملك المؤيد قهندر نيسابور واستفحل ملكه وعاد الى ما كان عليه وعمر الشادباخ وخرب المدينة العتيقة ثم بعث عسكرا الى بوشنج وهراة وهى فى ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها وبعث الملك محمد عسكرا لمدافعته فافرجوا عنها وصفت ولاية هراة للغورية

بياض بالاصل

كان الكرج قد ملكوا مدينة انى من بلاد اران فى شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها قتلا وأسرا وجمع لهم شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط جموعا من الجند والمتطوعة وسار اليهم فقاتلوه وهزموه وأسر كثير من المسلمين ثم جمع الكرج فى شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوس من اذربيجان والجبل واصبهان فسار اليهم ايلدكز وسار معه شاه ارمن بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط واقسنقر صاحب مراغة فى خمسين ألفا ودخلوا بلاد الكرج فى صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع المسلمين وكمن بهم فى بعض الشعاب حتى زحف الكرج وقاتلوا المسلمين شهرا أو نحوه ثم خرج الكمين من ورائهم فانهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وعادوا ظافرين

بياض بالاصل

ثم سار المؤيد الى ايه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فملك بسطام ودامغان وولى بسطام مولاه تنكز فجرى بينه وبين شاه مازندران اختلاف أدى الى الحرب واقتتلوا فى ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث اليه السلطان ارسلان بن طغرل بالخلع والاولية لما كان بين المؤيد وايلدكز من المودة وأذن له فى ولاية ما يفتحه من

خراسان ويخطب له فيها فخطب له فى أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ويخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطب فى جرجان ودهستان لخوارزم شاه ارسلان بن اتسز وبعده للامير ايتاق والخطبة فى مرو وبلخ وسرخس وهى بيد الغز وهراة وهى بيد الامير ايتكين وهو مسالم للغز للسلطان سنجر يقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد سنجر وبعده لامير تلك المدينة والله تعالى ولى التوفيق

كان خان خاقان الصينى ولى على سمرقند وبخارى الخان جغرا بن حسين تكين وهو من بيت قديم فى الملك ثم بعث اليه سنة سبعة وخمسين باجلاء القارغلية من أعماله الى كاشغر وان يشتغلوا بالمعاش من الزراعة وغيرها فامتنعوا فألح عليهم فاجتمعوا وساروا الى بخارى فدس أهل بخارى الى جغرا خان وهو بسمرقند ووعدوا القارغلية بالمصانعة وطاوعوهم الى أن صبحهم جغرا فى عساكره فأوقع بهم وقطع دابرهم والله تعالى أعلم

وفى سنة تسع وخمسين استولى الامير صلاح الدين سنقر من موالى السلطان سنجر على بلاد الطالقات وأغار على عرشستان حتى ملكها وصارت فى حكمه بحصونها وقلاعها وصالح أمراء الغز وحمل لهم الاتاوة

كان صاحب هراة الامير ايتكين وبينه وبين الغز مهادنة لما قتل الغز ملك الغور محمد ابن الحسين كما مر فى أخباره طمع ايتكين فى بلاده فجمع جموعه وسار اليها فى رمضان سنة تسع وخمسين وتوغل فى بلاد الغور فقاتله أهلها وهزموه وقتل فى المعركة وقصد الغز هراة وقد اجتمع أهلها على أثير الدين منهم فاتهموه بالميل للغز وقتلوه واجتمعوا على أبى الفتوح بن على بن فضل الله الطغرائى ثم بعثوا الى المؤيد بطاعتهم فبعث اليهم مملوكه سيف الدين تنكز فقام بأمرهم وبعث جيشا الى سرخس ومرو وأغاروا على دواب الغز فأفرجوا عن هراة ورجعوا الطاعته والله تعالى أعلم

قد ذكرنا استيلاء المؤيد على قومس وبسطام وولاية مولاه تنكز عليها ثم ان شاه مازندران وهو رستم بن على بن هربار بن قاد وت جهز اليها عسكرا مع سابق الدين القزوينى من أمرائه فملك دامغان وسار اليه تنكز فيمن معه من العسكر فكبسهم القزوينى وهزمهم واستولى على البلاد وعاد تنكز الى المؤيد بنيسابور وجعل يغير على بسطام قومس ثم توفى شاه مازندران فى ربيع سنة ستين فكتم ابنه علاء الدين موته حتى استولى على حصونه وبلاده ثم أظهره وملك مكانه ونازعه اتياق صاحب جرجان ودهستان ولم يرع ما كان بينه وبين أبيه فلم يظفر بشئ والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم بعث المؤيد عساكره فى جمادى سنة ستين لحصار مدينة نسا فبعث خوارزم شاه ابك ارسلان بن اتسز فى عساكره اليها فأجفلت عنها عساكر المؤيد ورجعوا الى نيسابور وصارت نسا فى طاعة خوارزم شاه وخطب له فيها ثم سار عسكر خوارزم الى دهستان وغلبوه عليها وأقام فيها بطاعته والله أعلم

ثم بعث اقسنقر الاحمريلى صاحب مراغة سنة ثلاث وستين الى بغداد فى الخطبة للملك الذى عنده وهو ابن السلطان محمد شاه على أن يتجافى عن العراق ولا يطلب الخطبة منه الا اذا أسعف بها فاجيب بالوعد الجميل وبلغ الخبر الى ايلدكز صاحب فبعث ابنه البهلوان فى العساكر لحرب اقسنقر فحاربه وهزمه وتحصن بمراغة فنازله البهلوان وضيق عليه وتردد بينهما الرسل واصطلحوا وعاد البهلوان الى أبيه بهمذان

كان زنكى بن دكلا قد أساء السيرة فى جنده فأرسلوا الى شملة صاحب خورستان واستدعوه ليملكوه فسار ولقى زنكى وهزمه ونجا الى الاكراد الشوابكار وملك شملة بلاد فارس فأساء السيرة فى أهلها ونهب ابن أخيه حرسنكا البلاد فنفر أهل فارس عنه ولحق بزنكى بعض عساكره فزحف الى فارس وفارقها شملة الى بلاده خوزستان وذلك كله سنة أربع وستين وخمسمائة

كان انبانج قد استولى على الرى واستقر فيها بعد حروبه مع ايلدكز على جزية يؤديها اليه ثم منع الضريبة واعتذر بنفقات الجند فسار اليه ايلدكز سنة أربع وستين وحاربه انبانج فهزمه ايلدكز وحاصره بقلعة طبرك وراسل بعض مماليكه ورغبهم فغدروا به وقتلوه واستولى ايلدكز على طبرك وعلى الرى وولى عليها على بن عمر باغ ورجع الى همذان وشكر لموالى انبانج الذين قتلوه ولم يف لهم بالوعد فافترقوا عنه وسار الذى تولى قتله الى خوارزم شاه فصلبه لما كان بينه وبين انبانج من الوصلة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

ثم توفى سنة خمس وستين الملك طغرل بن قاروت بك صاحب كرمان وولى ابنه ارسلان شاه مكانه ونازعه أخوه الاصغر بهرام شاه فحاربه ارسلان وهزمه فلحق بالمؤيد فى نيسابور فأنجده بالعساكر وسار الى أخيه ارسلان فهزمه وملك كرمان ولحق ارسلان باصبهان مستنجدا بايلدكز فأنجده بالعساكر وارتجع كرمان ولحق بهرام بالمؤيد وأقام عنده ثم هلك ارسلان فسار بهرام الى كرمان وملكها ثم توفى المستنجد وولى ابنه المستضئ ولم نترجم لوفاة الخلفاء هنا الا انها مذكورة فى أخبارهم وانما ذكرناها قبل هؤلاء لانهم كانوا فى كفالة السلجوقية وبنى بويه قبلهم فوفاتهم من جملة أخبار الدولتين وهؤلاء من لدن المقتفى قد استبدوا بأمرهم وخلافتهم من بعد ضعف

السلجوقية بوفاة السلطان مسعود وافترقت دولتهم فى نواحى المشرق والمغرب واستبد منها الخلفاء ببغداد ونواحيها ونازعوا من قبلهم أنهم كانوا يخطبون لهم فى أعمالهم ونازعهم فيها مع ذلك حرصا على الملك الذى سلبوه وأصبحوا فى ملك منفرد عن أولئك المنفردين مضافا الى الخلافة التى هى شعارهم وتداول أمرهم الى أن انقرضوا بمهلك المستعصم على يد هلاكوا

لما انهزم خوارزم شاه أرسلان امام الخطا رجع الى خوارزم فمات سنة ثمان وستين وولى ابنه سلطان شاه فنازعه أخوه الاكبر علاء الدين تكش واستنجد بالخطا وسار الى خوارزم فملكها ولحق سلطان شاه بالمؤيد صريخا فسار معه بجيوشه ولقيهم تكش فانهزم المؤيد وجئ به أسيرا الى تكش فقتل بين يديه صبرا وعاد أصحابه الى نيسابور فولوا ابنه طغان شاه أبو بكر بن المؤيد وكان من أخبار طغان شاه وتكش ما نذكره فى أخبار دولتهم وفى كيفية قتله خبر آخر نذكره هنالك ثم سار خوارزم شاه سنة تسع وستين الى نيسابور وحاصرها مرتين ثم هزم فى الثانية طغان شاه بن المؤيد وأخذه أسيرا وحمله الى خوارزم وملك نيسابور وأعمالها وجميع ما كان لبنى المؤيد بخراسان وانقرض أمرهم والبقاء لله وحده والله تعالى أعلم

ثم توفى الاتابك شمس الدين ايلدكز أتابك ارسلان شاه ابن طغرل صاحب همذان واصبهان والرى واذربيجان وكان أصله مملوك الكمال الشهيرابن وزير السلطان محمود ولما قتل الكمال صار للسلطان وترقى فى كتب الولاية فلما ولى السلطان مسعود ولاه أرانية فاستولى عليها وبقيت طاعته للملوك على البعد واستولى على أكثر اذربيجان ثم ملك همذان واصبهان والرى وخطب لربيبه ارسلان بن طغرل وبقى أتابك وبلغ عسكره خمسين ألفا واتسع ملكه من تفليس الى مكران وكان متحكما على ارسلان وليس له من الدولة الاجراية تصل اليه ولما هلك ايلدكز قام بالامر بعده ابنه محمد البهلوان وهو أخو السلطان ارسلان لامه فسار أول ملكه لاصلاح اذربيجان وخالفه ابن سنكى وهو ابن أخى شملة صاحب خوزستان الى بلدنهاوند فحاصرها ثم تأخر ابن سنكى من تستر وصبحهم من ناحية اذربيجان يوهمهم انه مدد البهلوان ففتحوا له البلد ودخل فطلب القاضى والاعيان ونصبهم وتوجه نحو ماسندان قاصدا العراق ورجع الى خوزستان ثم سار شملة سنة سبعين وقصد بعض التركمان فاستنجدوا البهلوان بن ايلدكز فأنجدهم وقاتلوه فهزموه وأسر شملة جريحا وولده وابن أخيه وتوفى بعد يومين وهو من التركمان الافشرية وملك ابنه من بعده وسار البهلوان سنة سبعين الى مدينة تبريز وكان صاحبها اقسنقر الاحمريلى قد هلك وعهد

بالملك بعده لابنه ملك الدين فسار الى بلاده وحاصر مراغة وبعث أخاه فنزل وعاد عن مراغة الى همذان والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم توفي السلطان ارسلان بن طغرل مكفول البهلوان بن ايلدكز وأخوه لامه بهمذان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وخطب بعده لابنه طغرل

ثم توفي البهلوان محمد بن ايلدكز أول سنة ثنتين وخمسمائة وكانت البلاد والرعايا في غاية الطمأنينة فوقع عقب موته باصبهان بين الحنفية والشافعية وبالرى بين أهل السنة والشيعة فتن وحروب آلت الى الخراب وملك البلاد بعد البهلوان أخوه قزل ارسلان واسمه عثمان وكان البهلوان كافلا للسلطان طغرل وحاكما عليه ولما هلك قزل لم يرض طغرل بتحكمه عليه وفارق همذان ولحق به جماعة من الامراء والجند وجرت بينه وبين قزل حروب ثم غلبه طغرل الى الخليفة فأمره بعمارة دار السلطان فطرد رسوله وهدمت دار السلطنة وألحقت بالارض وبعث الخليفة

سنة أربع وثمانين عسكرا مع وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس لانجاد قزل على طغرل قبل همذان وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس

قد تقدم لنا ما كان بين السلطان طغرل وبين قزل بن ايلدكز من الحروب ثم ان قزل غلبه واعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وأطاعه ابن دكلا صاحب فارس وخوزستان وعاد الى اصبهان والفتن بها متصلة فأخذ جماعة من أعيان الشافعية وصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة سنة سبعة وثمانين ثم قتل غيلة على فراشه ولم يعرف قاتله وأخذ جماعة من غلمانه بالظنة وكان كريما حليما يحب العدل ويؤثره ولما هلك ولى من بعده قتلغ بن أخيه البهلوان واستولى على الممالك التي كانت بيده

ولما توفي قزل وولى قتلغ بن أخيه البهلوان كما قلناه اخرج السلطان طغرل من محبسه بالقلعة التي كان بها واجتمع اليه العساكر وسار الى همذان فلقيه قتلغ بن البهلوان فانهزم بين يديه ولحق بالرى وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تكش ليستنجده فسار اليه سنة ثمان وثمانين وندم قتلغ على استدعائه فتحصن ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الرى وملك قلعة طبرك وصالح السلطان طغرل وولى على الرى وعاد الى خوارزم سنة تسعين فأحدث أحدوثة السلطان شاه نذكره في أخبارهم وسار السلطان طغرل الى الرى فأغار عليها وفر منه قتلغ بن البهلوان وبعث الى خوارزم شاه يستنجده ووافق ذلك وصول منشور من الخليفة اليه باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرى وأطاعه قتلغ وسار معه الى همذان وخرج طغرل للقائهم قبل أن يجمع العساكر ولقيهم قريبا من الرى في ربيع الاول فحمل عليهم وتورط بينهم فصرع عن فرسه وقتل وملك خوارزم شاه

همذان وتلك البلاد جميعا وانقرضت مملكة بنى ملك شاه وولى خوارزم شاه على همذان وملك الاعمال قتلغ اينانج بن البهلوان وأقطع كثيرا منها مماليكه وقدم عليهم مساحق منهم ثم استولى وزير الخليفة ابن العطاف على همذان واصبهان والرى من يدهم واليه وانتزعها منهم خوارزم كما ذكرناه في أخبار الخلفاء وجاءت العساكر من قبل الخليفة الى همذان مع أبي الهيجاء الشمس من أمراء الايوبية وكان أميرا على القدس فعزلوه عنها وسار الى بغداد فبعثه الناصر سنة ثلاث وتسعين بالعساكر الى همذان ولقى عندها ازبك بن البهلوان طيعا فقبض عليه وأنكر الخليفة ذلك وبعث باطلاقه وخلع عليه وعاد الى بلاد أذربيجان

كان ازبك بن البهلوان قد استولى على اذربيجان بعد موته وكان مشغولا بلذاته فسار الكرج الى مدينة دوير وحاصروها وبعث أهلها اليه بالصريخ فلم يصرخهم حتى ملكها الكرج عنوة واستباحوها والله تعالى أعلم

كان كوجة من موالى البهلوان قد تغلب على الرى وهمذان وبلاد الجبل واصطنع صاحبه ايدغمش ووثق به فنازعه الامر وحاربه فقتله واستولى ايدغمش على البلاد وبقى ازبك بن البهلوان مغلبا ليس له من الحكم شئ

قد ذكرنا أن ازبك كان مشغولا بلذاته مهملا لملكه ثم حدثت بينه وبين صاحب اربل وهو مظفر الدين كوكبرى سنة اثنتين وستمائة فتنة حملت مظفر الدين على قصده فسار الى مراغة واستنجد صاحبها علاء الدين بن قراسنقر الاحمديلي فسار معه فحاصرا تبريز وبعث ازبك الصريخ الى ايدغمش بمكانه من بلاد الجبل فسار اليه وأرسل مظفر الدين بالفتن والتهديد فعاد الى بلده وعاد علاء الدين بن قراسنقر الى بلاد مراغة فسار ايدغمش وازبك وحاصروه بمراغة حتى سلم قلعة من قلاعه ورجعوا عنه والله تعالى أعلم

ثم توفي حسام الدين اردشير صاحب مازندان وولى ابنه الاكبر وأخرج أخاه الاوسط عن البلاد فلحق بجرجان وبها على شاه بن تكش نائبا عن أخيه خوارزم فاستنجده على شرط الطاعة له وأمره أخوه تكش بالمسير معه فساروا من جرجان وبلغهم في طريقهم مهلك صاحب مازندان المتولى بعد أبيه وان أخاه الاصغر استولى على الكراع والاموال فساروا اليه وملكوا البلاد ونهبوها مثل سارية وآمد وغيرها وخطب لخوارزم شاه فيها وعاد على شاه الى خراسان وأقام ابن صاحب مازندان وهو الاوسط الذى استصرخ به وقد امتنع أخوه الاصغر بقلعة كورى ومعه الاموال والذخائر وأخوه الاوسط فراسله واستعطف وقد ملك البلاد جميعا والله ولى التوفيق

ثم توفى سنة أربع وستمائة علاء الدين بن قراسنقر الاحمديلى صاحب مراغة وأقام بأمرها من بعده خادمه ونصب ابنه طفلا صغيرا وعصى عليه بعض الامراء وبعث العسكر لقتاله فانهزموا أولا ثم استقر ملك الطفل ثم توفى سنة خمس وستمائة وانقرض أهل بيته فسار ازبك بن البهلوان من تبريز الى مراغة واستولى على مملكة آل قراسنقر ماعدا القلعة التى اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر

لما تمكن ايدغمش فى بلاد الجبل بهمذان واصبهان والرى وما اليها عظم شأنه حتى طلب الامر لنفسه وسار لحصار ازبك ابن مولاه الذى نصبه للامر وكان باذربيجان فخرج عليه مولى من موالى البهلوان اسمه سنكلى وكثر جمعه واستولى على البلاد وقدم ايدغمش الى بغداد واحتفل الخليفة لقدومه وتلقاه وذلك سنة ثمان وأقام بها

بياض في الأصل

كان ايدغمش قد وفد سنة ثمان وستمائة الى بغداد وشرفه الخليفة بالخلع والالوية وولاه على ما كان بيده ورجع الى همذان ووعده الخليفة بسير العساكر فأقام ينتظرها عند سليمان بن مرحم أمير الايوانية من التركمان فدس الى سنكلى بخبره ثم قتل ايدغمش وحمل أصحابه الى سنكلى وافترق أصحابه واستولى سنكلى وبعث اليه الخليفة بالنكير فلم يلتفت اليه فبعث الى مولاه ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان يحرضه عليه والى جلال الدين الاسماعيلى صاحب قلعة الموت لمساعدته على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولازبك بعضها ولجلال الدين بعضها وبعث الخليفة العساكر مع مولاه سنقر ووجه السبع وأمره بطاعة مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كجك صاحب اربل وشهرزور وهو مقدم العساكر جمعا فسار لذلك وهرب سنكلى وتعلق بالجبل ونزلوا بسفحه قريبا من كوج فناوشهم الحرب فانهزم ازبك ثم عاد فعاد ثم أسرى من ليلته منهزما وأصبحوا فاقتسموا البلاد على الشريطة وولى أزبك فيما أخذ منها

بياض في الأصل

مولى أخيه فاستولى عليها ومضى سنكلى الى ساوة وبها شحنة له فقتله وبعث برأسه الى ازبك واستقر فى بلاد الجبل حتى قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة وجاء خوارزم شاه فملكها كما نذكر فى أخباره ودخل ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران فى طاعته وخطب له على منابر أعماله وانقرض أمر بنى ملك شاه ومواليهم من العراقين وخراسان وفارس وجميع ممالك المشرق وبقى ازبك ببلاد اذربيجان ثم استولى التتر على أعمال محمد بن تكش فيما وراء النهر وخراسان وعراق العجم سنة ثمانى عشرة وستمائة وموالى الهند وسار جنكزخان فاطاعه ازبك بن البهلوان سنة احدى وعشرين وأمره بقتل من عنده من الخوارزمية ففعل ورجع عنه الى خراسان ثم جاء جلال الدين ابن

محمد بن تكش من الهند سنة اثنتين وعشرين فاستولى على عراق العجم وفارس وسار الى أذربيجان فملكها وفر ازبك الى كنجة من بلاد اران ثم ملك كنجة وبلاد أران ومد ازبك الى بعض القلاع هنالك ثم هلك وملك جلال الدين على جميع البلاد وانقرض أمر بنى ازبك واستولى التتر على البلاد وقتلوا جلال الدين سنة ثمان وعشرين كما يأتى فى أخبارهم جميعا وانتهى الكلام فى دولة السلجوقية فلنرجع الى أخبار الدول المتشعبة عنها واحدة بعد واحدة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

أحمد
محمد — بن أوتاش
ابراهيم ينال — ابن عم طغرلبك وأخوه لامه
طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل — بن محمد — بن ملك شاه — بن ارسلان — بن جعفر بك — بن ميكال — بن سلجوق
سلجوق — محمود — سنجر — ارسلان ارغون — ارسلان — ياقوتي — سليمان — طغرلبك — يوسف بن موسى
محمد بن مسعود — محمد بن ملكشاه بن محمود — محمد بن ميساشاه — ملكشاه بن كافي — برتيش — تكش — اساف — قاروت بك — قطلمش بن سعيد — قطلمش بن اسرائيل — ارسلان
قتلغ آبناخ — عثمان قزل
خاموس — بن ازبك بن البهلوان — بن ايلدكز
ايدغمش — قبكالي بغا — قزل

كان أنوشتكين جدهم تركيا مملوكا لرجل من غرشتان ولذلك يقال له أنوشتكين غرشه ثم صار لرجل من أمراء السلجوقية وعظمائهم اسمه ملكابك وكان مقدما عنده لنجابته وشجاعته ونشأ ابنه محمد على مثل حاله من النجابة والشجاعة وتحلى بالادب والمعارف واختلط بأمراء السلجوقية وولي لهم الاعمال واشتهر فيهم بالكفاية وحسن التدبير ولما ولي بركيارق ابن السلطان ملك شاه وانتقض عليه عمه ارسلان أرغون واستولى على خراسان بعث اليه العساكر سنة تسعين وأربعمائة مع أخيه سنجر وسار في اثره ولقيهم في طريقهم خبر مقتل أرغون عمهم وان بعض مواليه خلفه تعدا عليه فقتله كما مر قبل فسار بركيارق في نواحي خراسان وما وراء النهر حتى دوخها وولى عليها أخاه سنجر وانتقض عليه أمير ميران من قرابته اسمه محمد بن سليمان فسار اليه سنجر وظفر به وسمله وعاد بركيارق الى العراق بعد ان ولى على خوارزم اكنجي شاه ومعنى شاه بلسانهم السلطان فأضيف الى خوارزم على عادتهم في تقديم المضاف اليه على المضاف ولما انصرف بركيارق الى العراق تأخر من أمرائه قودز وبارقطاش وانتقضا على السلطان ووثبا بالامير اكنجي صاحب خوارزم وهو بمرو ذاهبا الى السلطان شاه فقتلاه وبلغ الخبر الى السلطان وقد انتقض عليه بالعراق الامير انز ومؤيد الملك بن نظام الملك فمضى لحربهما وأعاد الامير داود حبشي بن ايتاق في عسكر الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وعاجلاه قبل اجتماع عساكره فعبر جيحون وسبق اليه بارقطاش فهزمه داود وأسره وبلغ الخبر الى قودز فثار به عسكره وفر الى بخارى فقبض عليه نائبها ثم أطلقه ولحق بالملك سنجر فقبله وأقام برقطاش أسيرا عند الامير داود وصفت خراسان من الفتنة والثوار واستقام أمرها للامير داود حبشي فاختار لولاية خوارزم محمد بن أنوشتكين فولاه وظهرت كفايته وكان محبا لاهل الدين والعلم مقربا لهم عادلا في رعيته فحسن ذكره وارتفع محله ثم استولى الملك سنجر على خراسان فاقر محمد بن أنوشتكين وزاده تقديما وجمع بعض ملوك الترك وقصد خوارزم وكان محمد غائبا عنها ولحق بالترك محمد بن اكنجي الذى كان أبوه أميرا على خوارزم واسمه طغرل تكين محمد فحرض الترك على خوارزم وبلغ الخبر الى محمد بن أنوشتكين فبعث الى سنجر بنيسابور يستمده وسبق الى خوارزم فافترق الترك وطغرل تكين محمد وسار كل منهما الى ناحية ودخل محمد بن أنوشتكين الى خوارزم فازداد بذلك عند سنجر ظهورا والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق لا رب سواه

ثم هلك محمد بن أنوشتكين خوارزم وولي بعده ابنه انسز وسار بسيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وحارب الاعداء فلما ولي افتتح أمره بالاستيلاء على مدينة مقشلاغ

وظهرت كفايته فى شأنها فاستدعاه السلطان سنجر فاختصه وكان يصاحبه فى أسفاره وحروبه وكلما مر يزيد تقدما عنده والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

ثم كثرت السعاية عند السلطان سنجر فى اتسز خوارزم شاه وانه يحدث نفسه بالامتناع فسار سنجر اليه لينتزع خوارزم من يده فتجهز اتسز للقائه واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل ابنه وخلق كثير من أصحابه واستولى سنجر على خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمدا ورتب له وزيرا وأتابك وحاجبا وعاد الى مرو منتصف ثلاث وثلاثين وكان أهل خوارزم يستغيثون لاتسز فعاد اليهم بعد سنجر فأدخلوه البلد ورجع سليمان شاه الى عمه سنجر واستبد اتسز بخوارزم والله أعلم

ثم سار سنجر سنة ست وثلاثين لقتال الخطا من الترك فيما وراء النهر لما رجعوا الملك تلك البلاد فيقال ان اتسز أغراهم بذلك ليشغل السلطان سنجر عن بلاده وأعماله ويقال ان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان ملك الخانية فى كاشغر وتركستان وهو ابن أخت سنجر زحفت اليه أمم الخطا من الترك ليتملكوا بلاده فسار اليهم وقاتلهم فهزموه وعاد الى سمرقند وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فعبر النهر اليه فى عساكر المسلمين وملوك خراسان والتقوا فى أول صفر سنة ست وثلاثين فانهزم سنجر والمسلمون وفشا القتل فيهم يقال كان القتلى مائة ألف رجل وأربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر وعاد منهزما وملك الخطا ما وراء النهر وخرجت عن ملك الاسلام وقد تقدم ذكر هذه الواقعة مستوفى فى أخبار السلطان سنجر ولما انهزم السلطان سنجر قصد اتسز خوارزم شاه خراسان فملك سرخس ولقى الامام أبا محمد الزيادى وكان يجمع بين العلم والزهد فأكرمه وقبل قوله ثم قصد مرو الشاهجان فخرج اليه الامام أحمد الباخورى وشفع فى أهل مرو وأن لا يدخل لهم أحد من العسكر فشفعه وأقام بظاهر البلد فثار عامة مرو وأخرجوا أصحابه وقتلوا بعضهم وامتنعوا فقاتلهم اتسز وملكها عليهم غلابا أول ربيع من سنة ست وثلاثين وقتل الكثير من أهلها وكان فيهم جماعة من أكابر العلماء وأخرج كثيرا من علمائها الى خوارزم منهم أبو بكر الكرمانى ثم سار فى شوال الى نيسابور وخرج اليه جماعة من العلماء والفقهاء متطارحين أن يعفيهم مما وقع بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أموال أصحاب السلطان وقطع الخطبة لسنجر وخطب لنفسه ولما صرح باسمه على المنبر هم أهل نيسابور بالثورة ثم ردهم خوف العواقب فاقصروا وبعث جيشا الى أعمال بيهق فحاصرها خمسا ثم ساروا فى البلاد ينهبون ويكتسحون والسلطان سنجر خلال ذلك متغافل عنه فيما يفعله فى خراسان لما وراءه من مدد الخطا وقوتهم ثم أوقع الغز سنة ثمان وأربعين بالسلطان سنجر واستولوا على خراسان وكان هؤلاء الغز

مقيمين بما وراء النهر منذ فارقهم ملوك السلجوقية وكانوا يدينون بالاسلام فلما استولى الخطا على ما وراء النهر أخرجوهم منها فأقاموا بنواحى بلخ وأكثروا فيها العيث والفساد وجمع لهم سنجر وقاتلهم فظفروا به وهزموه وأسروه وانتثر سلك دولته فلم يعد انتظامه وافترقت أعماله على جماعة من مواليه واستقل حينئذ اتسز بملك خوارزم وأعمالها وأورثها بنيه ثم استولوا على خراسان والعراق عندما ركدت ريح السلجوقية وكانت لهم بعد ذلك دولة عظيمة نذكر أخبارها مفصلة عند دول أهلها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

ثم توفى اتسز بن محمد بن أنوشتكين فى منتصف احدى وخمسين وخمسمائة لستين سنة من ولايته وكان عادلا فى رعيته حسن السيرة فيهم ولما توفى ملك بعده ارسلان بن اتسز فقتل جماعة من عماله وسمل أخاه ثم بعث بطاعته للسلطان سنجر عندما هرب من أسر الغز فكتب له بولاية خوارزم وقصد الخطا خوارزم وجمع ارسلان للقائهم وسار غير بعيد ثم طرقه المرض فرجع وأرسل الجيوش لنظر أمير من أمرائه فقاتله الخطا وهزموه وأسروه ورجع الى ما وراء النهر والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم توفى خوارزم شاه ارسلان بن اتسز من مرضه الذى قعد به عن لقاء الخطا وملك بعده ابنه الاصغر سلطان شاه محمود فى تدبير أمه وكان ابنه الاكبر علاء الدين تكش مقيما فى اقطاعه بالجند فاستنكف من ولاية أخيه الاصغر وسار الى ملك الخطا مستنجدا ورغبه فى أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيش كثيف وجاء الى خوارزم ولحق سلطان شاه وأمه بالمؤيد آيه صاحب نيسابور والمتغلب عليها بعد سنجر وأهدى له ورغبه فى الاموال والذخائر فجمع وسار معه حتى اذا كان على عشرين فرسخا من خوارزم سار اليه تكش وهزمه وجىء بالمؤيد أسيرا الى تكش فأمر بقتله وقتل بين يديه صبرا ولحق أخوه سلطان شاه بدهستان وتبعه تكش فملكها عنوة وهرب سلطان شاه وأخذت أمه فقتلها تكش وعاد الى خوارزم ولحق سلطان شاه بنيسابور وقد ملكوا طغان شاه أبا بكر بن ملكهم المؤيد ثم سار سلطان شاه من عنده الى غياث الدين ملك الغورية فأقام عنده وعظم تحكم الخطا على علاء الدين تكش صاحب خوارزم واشتطوا عليه وبعثوا يطلبونه فى المال فأنزلهم متفرقين على أهل خوارزم ودس اليهم فبيتوهم ولم ينج منهم أحد ونبذ الى ملك الخطا عهده وسمع ذلك أخوه سلطان شاه فسار من غزنة الى ملك الخطا يستنجده على أخيه تكش وادعى أن أهل خوارزم يميلون اليه فبعث معه جيشا كثيفا من الخطا وحاصروا خوارزم فامتنعت وأمر تكش باجراء ماء النهر عليهم فكادوا يغرقون وأفرجوا عن

البلاد ولاموا سلطان شاه فيما غزهم فقال لقائدهم ابعث معى الجيش لمرو لانتزعها من
دينار الغزى الذى استولى عليها من حين فتنتهم مع سنجر فبعث معه الجيش وسار الى
سرخس واقتحمها على الغز الذين بها وأثخن فى قتلهم واستباحهم ولجأ دينار الى
القلعة فتحصن بها ثم سار سلطان شاه الى مرو وملكها وأقام بها ورجع الخطا الى
ما وراء النهر وأقام سلطان شاه بخراسان يقاتل الغز فيصيب منهم كثيرا وعجز دينار ملك
الغز عن سرخس فسلمها لطغان شاه بن المؤيد صاحب نيسابور فولى عليها مراموش
من أمرائه ولحق دينار بنيسابور فحاصر دينار سلطان شاه وعاد الى نيسابور ولحق به
مراموش وترك قلعة سرخس ثم ملك طوس والزم وضاقت الامور على طغان شاه
بنيسابور الى أن مات فى محرم سنة ثنتين وثمانين وملك ابنه سنجر شاه واستبد عليه
منكلى تكين مملوك جده المؤيد وأنف أهل الدولة من استبداده وتحكمه فلحق أكثرهم
بسلطان شاه فى سرخس وسار الملك دينار من نيسابور فى جموع الغز الى كرمان فملكها ثم
أساء منكلى تكين السيرة بنيسابور فى الرعية بالظلم وفى أهل الدولة بالقتل فسار اليه
خوارزم شاه علاء الدين تكش فى ربيع سنة ثنتين وثمانين فحاصره بنيسابور شهرين
فامتنعت عليه فعاد الى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين فحاصرها وملكها على
الامان وقتل منكلى تكين وحمل سنجر شاه الى خوارزم فأنزله بها وأكرمه ثم بلغه أنه
يكاتب أهل نيسابور فسمله وبقى عنده الى أن مات سنة خمس وتسعين قال ابن الاثير
ذكر هذا أبو الحسن بن أبى القاسم البيهقى فى كتاب مشارب التجارب وذكر غيره أن
تكش بن ارسلان لما أخرج أخاه سلطان شاه من خوارزم وقصد سلطان شاه الى مرو
فملكها من يد الغز ثم ارتجعوها منه ونالوا من عساكره فعبر الى الخطا واستنجدهم
وضمن لهم المال وجاء بجيوشهم فملك مرو وسرخس ونسا وابيورد من يد الغز وصرف
الخطا فعادوا الى بلادهم ثم كاتب غياث الدين الغورى وله هراة وبوشنج وباذغيس
وأعمالها من خراسان يطلب الخطبة له ويتوعده فأجابه غياث الدين بطلب الخطبة
منه بمرو وسرخس وما ملكه من بلاد خراسان ثم ساءت سيرة سلطان شاه فى خراسان
وصادر رعاياها فجهز غياث الدين العساكر مع صاحب سجستان وأمر ابن أخته بهاء
الدين صاحب باميان بالمسير معه فساروا الى هراة وخاف سلطان شاه من لقائهم فرجع
من هراة الى مرو حتى انصرم فصل الشتاء ثم أعاد مراسلة غياث الدين فامتعض
وكتب الى أخيه شهاب الدين بالخبر وكان بالهند فرجع مسرعا اليه وساروا الى خراسان
واجتمعوا بعسكرهم الاول على الطالقان وجمع سلطان شاه جموعه من الغز وأهل
الفساد ونزل بجموع الطالقان وتواقفوا كذلك شهرين وترددت الرسل بين

سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح غياث الدين الى النزول له عن بوشنج وباذغيس
وشهاب الدين ابن أخته وصاحب سجستان يجنحان الى الحرب وغياث الدين يكفهم
حتى حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين لاتمام العقد والملوك جميعا حاضرون
فقام الدين العلوى الهودى وكان غياث الدين يختصه وهو يدل عليه
فوقف فى وسط المجمع ونادى بفساد الصلح وصرخ ومزق ثيابه وحثى التراب على
رأسه وأفحش لرسول سلطان شاه وأقبل على غياث الدين وقال كيف تعمد الى ما ملكناه
بأسيافنا من الغز والاتراك والسنجرية فتعطيه هذا الطريد اذ لا يقنع منا أخوه وهو
الملك بخوارزم ولا بغزنة والهند فأطرق غياث الدين ساكتا فنادى فى عسكره بالحرب
والتقدم الى مرو الروذ وتواقع الفريقان فانهزم سلطان شاه وأخذ أكثر أصحابه
أسرى ودخل الى مرو فى عشرين فارسا ولحق الفل من عسكره وبلغ الخبر الى أخيه
تكش فسار من خوارزم لاعتراضه وقدم العساكر الى جيحون يمنعون
الى الخطا وسمع أخوه سلطان شاه بذلك فرجع عن جيحون وقصد غياث الدين ولما قدم
عليه أمر بتلقيه وأنزله معه فى بيته وأنزل أصحابه عند نظرائهم من أهل دولته وأقام
الى انصرام الشتاء وكتب أخوه علاء الدين خوارزم الى غياث الدين فى رده اليه
وبعث يتهدد فعلا نه فى بلاده وكتب مع ذلك الى نائب غياث الدين بهراة يتهدده فامتعض
غياث الدين لذلك وكتب الى خوارزم شاه بأنه مجيره وشفع فى التجافى عن بلاده
وانصافه من وراثة أبيه ويطلب مع ذلك الخطبة له بخوارزم والصهر مع أخيه شهاب
الدين فامتعض خوارزم شاه وكتب اليه يتهدده ببعض بلاده فجهز غياث الدين اليه
العساكر مع ابن أخته أبو غازى الى بهاء الدين سامى صاحب سجستان وبعثه مع
سلطان شاه الى خوارزم وكتب الى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده وكانت ابنته
تحت غياث الدين فجمع المؤيد عساكره وخيم بظاهر نيسابور وكان خوارزم شاه عزم
على لقاء أخيه والغورية وسار عن خوارزم فلما سمع خبر المؤيد عاد الى خوارزم واحتمل
أمواله وذخائره وعبر جيحون الى الخطا وترك خوارزم وسار أعيانها الى أخيه سلطان
شاه والبوغازى ابن اخت غياث الدين فأتوا طاعتهم وطلبوا الوالى عليهم وتوفى سلطان
شاه منسلخ رمضان سنة تسع وعاد البوغازى الى خاله غياث الدين ومعه أصحاب سلطان
شاه فاستخدمهم غياث الدين وأقطعهم وبلغ وفاة سلطان شاه الى أخيه خوارزم تكش
فعاد الى خوارزم وعاد الشحنة الى بلاد سرخس ومرو فجهز اليهم نائب الغورية بمرو
عمر المرغنى عسكرا يمنعهم منها حتى يستأذن غياث الدين وأرسل خوارزم شاه الى
غياث الدين فى الصلح والصهر فى وفد من فقهاء خراسان والعلوية يعظمونه ويستجيرون

بياض بالأصل

بياض بالأصل

به من خوارزم شاه أن يجيز اليهم الخطا ويستحثهم ولا يحسم ذلك الا صلحه أو سكناه بمرو فأجابهم الى الصلح وعقدوه ورد على خوارزم تكش بلاد أخيه وطمع الغز فيها فعاثوا في نواحيها وجاء خوارزم شاه اليها ودخل مرو وسرخس فسار الى ابيورد وتطرق الى طوس وهي للمؤيد ابنه فجمع وسار اليها وعاد خوارزم شاه الى بلده وأفسد الماء في طريقه واتبعه المؤيد فلم يجد ماء ثم كر عليه خوارزم شاه وقد جهد عسكره العطش فأوقع بهم وجيء اليه بالمؤيد أسيرا فقتله وعاد الى خوارزم وقام بنيسابور بعد المؤيد ابنه طغان شاه ورجع اليه خوارزم شاه من قابل فحاصره بنيسابور وبرز اليه فأسره وملك نيسابور واحتمل طغان شاه وعياله وقرابته فأنزلهم بخوارزم قال ابن الاثير هذه الرواية مخالفة للاولى وانما أوردتها ليتأمل الناظر ويستكشف أيهما أوضح فيعتمدها والله تعالى أعلم

قد تقدم لنا في أخبار الدولة السلجوقية ولاية ارسلان شاه بن طغرل في كفالة ايلدكز وابنه محمد البهلوان من بعده ثم أخيه ازبك ارسلان بن ايلدكز وأنه اعتقل السلطان طغرل ثم توفي فولي مكانه قطلغ ابن أخيه البهلوان فخرج السلطان من محبسه وجمع لقتاله سنة ثمان وثمانين فهزمه ولحق قطلغ بالري وبعث الى خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار اليه وندم قطلغ على استدعائه فتحصن منه ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري وقلعة طبرك ورتب فيها الحامية وعاد الى خوارزم لما بلغه أن أخاه سلطان شاه خالفه اليها ولما كان ببعض الطريق لقيه الخبر بأن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه وعاد خائبا فتمادى الى خوارزم وأقام الى انسلاخ فصل الشتاء ثم سار الى أخيه سلطان شاه بمرو سنة تسع وثمانين وترددت الرسل بينهما في الصلح ثم استأمن اليه نائب أخيه بقلعة سرخس فسار اليها وملكها ومات أخوه سلطان شاه سنة تسع فسار خوارزم شاه الى مرو وملكها وملك ابيورد ونسا وطوس وسائر مملكة أخيه واستولى على خزائنه وبعث على ابنه علاء الدين محمد فولاه مرو وولى ابنه الكبير ملك شاه نيسابور وذلك آخر تسع وثمانين ثم بلغه أن السلطان طغرل أغار على أصحابه بالري قطلغ اينانج فبعث اليه بابنه يستنجده ووصل اليه رسول الخليفة يشكو من طغرل وأقطعه أعماله فسار من نيسابور الى الري وتلقاه قطلغ اينانج بطاعته وسار معه ولقيهم السلطان طغرل قبل استكمال تعبيته وحمل عليهم بنفسه وأحيط به فقتل في ربيع سنة تسعين وبعث خوارزم شاه برأسه الى بغداد وملك همذان وبلاد الجبل أجمع وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد بعثه الخليفة الناصر مددا لخوارزم شاه في أمره فرحل اليه واستوحش بن القصاب فامتنع ببعض الجبال هنالك وعاد خوارزم شاه الى همذان وسلمها وأعمالها

الى قطلغ اينانج وأقطع كثيرا منها مماليكه وقدم عليهم مناجي وأنزل معه ابنه وعاد الى خوارزم ثم اختلف مناجي وقطلغ اينانج واقتتلوا سنة أحدى وتسعين فانهزم قطلغ وكان الوزير بن القصاب قد سار الى خوزستان فملكها وكثيرا من بلاد فارس وقبض على بني شملة أمرائها وبعث بهم الى بغداد وأقام هو يمهد البلاد فلحق به قطلغ اينانج هنالك مهزوما سليبا واستنجده على الري فأزاح علله وسار معه الى همذان فخرج مناجي وابن خوارزم شاه الى الري وملك ابن القصاب همذان في سنة احدى وتسعين وسار الى الري فأجفل الخوارزميون أمامهم وبعث الوزير العساكر في اثرهم حتى لحقوهم بالدامغان وبسطام وجرجان ورجعوا عنهم واستولى الوزير على الري ثم انتقض قطلغ اينانج على الوزير وامتنع بالري فحاصره الوزير وغلبه عليها ولحق اينانج بمدينة ساوة ورحل الوزير في اتباعه حتى لحقه على دربند كرخ فهزمه ونجا اينانج بنفسه وسار الوزير الى همذان فأقام بظاهرها ثلاثة أشهر وبعث اليه خوارزم شاه بالنكير على ما فعل وبطلب اعادة البلاد فلم يجب الى ذلك وسار خوارزم اليه وتوفي قبل وصوله فقاتل العساكر بعده في شعبان سنة ثنتين وتسعين فهزمهم وأثخن فيهم وأخرج الوزير من قبره فقطع رأسه وبعث به الى خوارزم لانه كان قتل في المعركة واستولى على همذان وبعث عسكره الى اصبهان فملكها وأنزل بها ابنه وعاد الى خوارزم وجاءت عساكر الناصر اثر ذلك مع سيف الدين طغرل فقطع بلاد اللحف من العراق فاستدعاه أهل اصبهان فملكوا البلد ولحق عسكر خوارزم شاه بصاحبهم ثم اجتمع مماليك البهلوان وهم أصحاب قطلغ وقدموا على أنفسهم كركجة من أعيانهم وساروا الى الري فملكوها ثم الى اصبهان كذلك وأرسل كركجة الى الديوان ببغداد يطلب أن يكون الري له مع جوار الري وساوة وقم وقاشان وما ينضاف اليها وتكون اصبهان وهمذان وزنجان ومرو من الديوان فكتب له بذلك والله أعلم

قد تقدم لنا أن خوارزم شاه تكش ولي ابنه ملك شاه على نيسابور سنة تسع وثمانين وأضاف اليه خراسان وجعله ولي عهده في الملك فأقام بها الى سنة ثلاث وتسعين ثم هلك في ربيع منها وخلف ابنا اسمه هندوخان وولي خوارزم شاه على نيسابور ابنه الآخر قطب الدين الذي كان ولاه بمرو

كان خوارزم شاه تكش لما ملك الري وهمذان واصبهان وهزم ابن القصاب وعساكر الخليفة بعث الى الناصر يطلب الخطبة ببغداد فامتعض الناصر لذلك وأرسل الى غياث الدين ملك غزنة والغور فقصد بلاد خوارزم شاه فكتب اليه غياث الدين يتهدده بذلك فبعث خوارزم شاه الى الخطا يستنجدهم على غياث الدين ويحذرهم

أن علك البلاد كما ملك بلخ فسار الخطا فى عساكرهم ووصلوا بلاد الغور وراسلوا
بهاء الدين سام ملك باميان وهو ببلخ يأمرونه بالخروج عنها وعاثوا فى البلاد وخوارزم
شاه قد قصد هراة وانتهى الى طوس واجتمع أمراء الغورية بخراسان مثل محمد بن بك
مقطع الطالقان والحسين بن مرميل وحروس وجمعوا عساكرهم وكبسوا الخطا
وهزموهم وألحقوهم بجيحون فتقسموا بين القتل والغرق وبعث ملك الخطا الى
خوارزم شاه يتجنى عليه فى ذلك ويطلب الدية على القتلى من قومه ويجعله السبب
فى قتلهم فراجع غياث الدين واستعطفه ووافقه على طاعة الخليفة واعادة ما أخذه
الخطا من بلاد الاسلام وأجاب ملك الخطا بأن قومه انما جاؤا لانتزاع بلخ من يد
الغورية ولم يأتوا النصرتى وأنا قد دخلت فى طاعة غياث الدين فجهز ملك الخطا عساكره
اليه وحاصروه فامتنع فرجعوا عنه بعد أن فنى أكثرهم بالقتل وسار فى اثرهم
وحاصر بخارى وأخذ بخنقها حتى ملكها سنة أربع وتسعين فأقام بها مدة وعاد الى
خوارزم والله تعالى ولى التوفيق

ثم سار خوارزم شاه تكش لارتجاع الرى وبلاد الجبل من يد مناجق والبهلوانية الذين
انتقضوا عليه فهرب مناجق عن البلاد وتركها وملكها خوارزم شاه واستدعاه
فامتنع من الحضور واتبعه فاستأمن أكثر أصحابه ورجعوا عنه ولحق هو بقلعة من
أعمال مازندان فامتنع بها فبعث خوارزم شاه الى الخليفة الناصر فبعث بالخلع له
ولولده قطب الدين وكتب له تقليدا بالاعمال التى بيده ثم سار خوارزم شاه لقتال الملحدة
فافتتح قلعة لهم قريبة من قزوين وانتقل الى حصار قلعة الموت من قلاعهم فقتل عليها
رئيس الشافعية بالرى صدر الدين محمد بن الوزان وكان مقدما عنده ولازمه
ثم عاد الى خوارزم فوثب الملحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن على فقتلوه فجهز ابنه
قطب الدين لقتالهم فسار الى قلعة مرنيس من قلاعهم فحاصرها حتى سألوه فى الصلح
على مائة ألف دينار يعطونها فامتنع أولا ثم بلغه مرض أبيه فأجابهم وأخذ منهم المال
المذكور وعاد والله أعلم

ثم توفى خوارزم شاه تكش بن البارسلان بن اتسز بن محمد أنوشتكين صاحب
خوارزم بعد ان استولى على الكثير من خراسان وعلى الرى وهمذان وغيرهما من
بلاد الجبل وكان قد سار من خوارزم الى نيسابور فمات فى طريقه اليها فى رمضان سنة
ست وتسعين وخمسمائة وكان عندما اشتد مرضه بعث لابنه قطب الدين محمد يخبره بحاله
ويستدعيه فوصل بعد موته فبايع له أصحابه بالملك ولقبوه علاء الدين لقب أبيه وحمل
شلو أبيه الى خوارزم فدفنه بالمدرسة التى بناها هنالك وكان تكش عادلا عارفا بالاصول

والفقه على مذهب أبى حنيفة ولما توفى ابنه علاء الدين محمد كان ولده الآخر على شاه
باصبهان فاستدعاه أخوه محمد فسار اليه ونهب أهل اصبهان مخلعه وولاه أخوه على
خراسان فقصد نيسابور وبها هندوخان ابن أخيهما ملك شاه منذ ولاه جده تكش عليها
بعد أبيه ملك شاه وكان هندوخان يخاف عمه محمدا لعداوة بينه وبين أبيه ملك شاه ولما
مات جده تكش نهب الكثير من خزائنه ولحق بمرو وبلغ وفاة تكش الى غياث الدين
ملك غزنة فجلس للعزاء على ما بينهما من العداوة اعظاما لقدره ثم جمع هندوخان جموعا
وسار الى خراسان فبعث علاء الدين محمد بن تكش العساكر لدفاعه مع جنقر التركى
فخام هندوخان عن لقائه ولحق بغياث الدين مستنجدا فأكرمه ووعده النصر
ودخل جنقر مدينة مرو وبعث بام هندوخان وولده الى خوارزم مكرمين فأرسل غياث
الدين صاحب غزنة الى محمد بن ضربك نائبه بالطالقان أن ينبذ الى جنقر العهد ففعل
وسار من الطالقان الى مرو الروذ فملكها وبعث الى جنقر يأمره بالخطبة فى مرو
لغياث الدين أو يفارقها فبعث اليه جنقر يتهدده ظاهرا ويسأله سرا أن يستأمن له
غياث الدين فقوى طمعه فى البلاد بذلك وأمر أخاه شهاب الدين بالمسير الى خراسان
والله أعلم

{ استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد تكش }
{ بخراسان وارتجاعه اياها منهم ثم حصاره هراة من أعمالهم }

ولما استأمن جنقر نائب مرو الى غياث الدين طمع فى أعمال خوارزم شاه بخراسان
كما قلناه واستدعاه أخوه شهاب الدين للمسير اليها فسار الى غزنة واستشار غياث الدين
نائبه بهراة عمر بن محمد المرغنى فى المسير الى خراسان فنهاه عن ذلك ووصل أخوه شهاب
الدين فى عساكر غزنة والغور وسجستان وساروا منتصف سبع وتسعين ووصل كتاب
جنقر نائب مرو الى شهاب الدين وهو بقرب الطالقان يحثه للوصول وأذن له غياث
الدين فسار الى مرو وقاتل العساكر الذين بها من الخوارزمية فغلبهم وأحجرهم
بالبلد وسار بالفيلة الى السور فاستأمن أهل البلد وأطاعوا وخرج جنقر الى شهاب
الدين ثم جاء غياث الدين بعد الفتح الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان بن ملك شاه
كما وعده ثم سار الى سرخس فملكها صلحا وولى عليها زنكى بن مسعود من بنى عمه
وأقطعه معها نسا وابيورد ثم سار الى طوس وحاصرها ثلاثا واستأمن اليه أهلها
فملكها وبعث الى على شاه علاء الدين محمد بن تكش بنيسابور فى الطاعة فامتنع فسار
اليه وقاتل نيسابور من جانب وأخوه شهاب الدين من الجانب الآخر
اليه سقوطه ودخلوا نيسابور وملكوها ونادوا بالامان وجىء بعلى شاه من خوارزم

قوله فخام الخ قال
المجد وخام عنه
يخيم خيما وخيمانا
وخيوما وخيومة
وخيمومة وخياما
نكص وجبن اه

الى غياث الدين فأمنه وأكرمه و بعثه بالامراء الخوارزمية الى هراة وولى
على خراسان ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن على الغورى ولقبه
علاء الدين وأنزله نيسابور فى جمع من وجوه الغورية وأحسن الى أهل نيسابور وسلم
على شاه الى أخيه شهاب الدين ورحل الى هراة ثم سار شهاب الدين الى قهستان
وقيل له عن قرية من قراها انهم اسماعيلية فأمر بقتلهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم
وخرب القرية ثم سار الى حصن من أعمال قهستان وهم اسماعيلية فملكه بالامان بعد
الحصار وولى عليه بعض الغورية فأقام بها الصواب وشعار الاسلام وبعث صاحب
قهستان الى غياث الدين يشكو من أخيه شهاب الدين ويقول ان هذا نقض العهد
الذى بينى وبينكم فما راعه الا نزول أخيه شهاب الدين على حصن آخر للاسماعيلية
من أعمال دهستان فحاصره فبعث بعض ثقاته الى شهاب الدين يأمره بالرحيل
فامتنع فقطع أطناب سرادقه ورحل مراغما وقصد الهند مغاضبا لاخيه ولما اتصل
بعلاء الدين محمد بن تكش مسيرهما عن خراسان كتب الى غياث الدين يعاتبه عن
أخذه بلاده ويطلب اعادتها ويتوعده باستنجاد الخطا عليه فماطله بالجواب الى خروج
أخيه شهاب الدين من الهند لعجزه عن الحركة لاستيلاء مرض النقرس عليه فكتب
خوارزم شاه الى علاء الدين الغورى نائب غياث الدين بنيسابور يأمره بالخروج
عنها فكتب بذلك الى غياث الدين فأجابه يعده بالنصر وسار اليه خوارزم شاه محمد بن
تكش آخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلما قرب أبيورد هرب هندوخان من موالى
غياث الدين وملك محمد بن تكش مدينة مرو ونسا وأبيورد وسار الى نيسابور وبها
علاء الدين الغورى فحاصرها وأطال حصارها حتى استأمنوا اليه واستحلفوه
وخرجوا اليه فأحسن اليهم وسأل من علاء الدين الغورى السعى فى الاصلاح بينه
وبين غياث الدين فضمن ذلك وسار الى هراة وبها أقطاعه وغضب على غياث الدين
لقعوده عن انجاده فلم يسر اليه وبالغ محمد بن تكش فى الاحسان الى الحسن بن حرميل
من أمراء الغورية ثم سار الى سرخس وبها الامير زنكى من قرابة غياث الدين
فحاصرها أربعين يوما وضيق مخنقها بالحرب وقطع الميرة ثم سأله زنكى الافراج ليخرج
عن الامان فأفرج عنه قليلا ثم ملأ البلد من الميرة بما احتاج اليه وأخرج العاجزين
عن الحصار وعاد الى شأنه فندم محمد بن تكش ورحل عنها وجهز عسكرا لحصارها
وجاء نائب الطالقان مددا لمحمد بن خربك داحس بعد ان أرسل اليه بأنه
عساكر الخوارزمية المجمرة عليه وأشاع ذلك فأفرجوا عنه وجاء اليه زنكى من
الطالقان فخرج معه ابن خربك الى مرو الروذ وجبى خراجها وما يجاورها وبعث

بياض بالاصل

اليه محمد بن تكش عسكرا نحوا من ثلاثة آلاف مع خاله فلقيهم محمد بن خربك فى تسعمائة
فارس فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا وغنم سوادهم وعاد خوارزم شاه محمد بن تكش
الى خوارزم وأرسل الى غياث الدين فى الصلح فأجابه مع الحسن بن محمد المرغنى من
كبراء الغورية وغالطه فى القول ولما وصل الحسن المرغنى الى خوارزم شاه واطلع على
أمره قبض على الحسن وسار الى هراة فحاصرها وكتب الحسن الى أخيه عمر بن محمد
المرغنى أمير هراة بالخبر فاستعد للحصار وقد كان لحق بغياث الدين أخوان من حاشية
سلطان شاه عم محمد بن تكش المتوفى فى سرخس فأكرمهما غياث الدين وأنزلهما
بهراة فكاتبا محمد بن تكش وداخلاه فى تمليكه هراة فسار لذلك وحاصر البلد وأميرها
عمر المرغنى متزال الاخوين وعندهما مفاتيح البلد واطلع أخوه الحسن فى محبسه
على شأن الاخوين فى مداخلة محمد بن تكش فبعث الى أخيه عمر بذلك فلم يسعفه
فبعث اليه بخط أحدهما فقبض عليهما وعلى أصحابهما واعتقلهم وبعث محمد بن تكش
عسكرا الى الطالقان للغارة عليها فظفر بهم ابن خربك ولم يفلت منهم أحد ثم بعث
غياث الدين ابن أخته البوغانى فى عسكر من الغورية فنزلوا قريبا من عسكر خوارزم
شاه محمد بن تكش وقطع عنهم الميرة ثم جاء غياث الدين فى عسكر قليل لان أكثرها
مع أخيه شهاب الدين بالهند وغزنة فنزل قريبا من هراة ولم يتقدم على خوارزم
فلما بلغ الحصار أربعين يوما وانهزم أصحاب خوارزم شاه بالطالقان ونزل غياث الدين
وابن أخته البوغانى قريبا منه وبلغه وصول أخيه شهاب الدين من الهند الى غزنة
أجمع الرحيل عن هراة وصالح عمر المرغنى على مال حمله اليه وارتحل الى مرو منتصف
ثمان وتسعين وسار شهاب الدين من غزنة الى بلخ ثم الى باميان معتزما على محاربة
خوارزم شاه والتقت طلائعهما فقتل بين الفريقين خلق ثم ارتحل خوارزم شاه عن
مرو وجفلا الى خوارزم وقتل الامير سنجر صاحب نيسابور لاتهامه بالمخادعة وسار
شهاب الدين الى طوس وأقام بها الى انسلاخ الشتاء معتزما على السير لحصار خوارزم
فأتاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فرجع الى هراة واستخلف بمرو محمد بن خربك فسار
اليه جماعة من أمراء خوارزم شاه سنة تسع وتسعين ابن خربك ولم ينج
منهم الا القليل فبعث خوارزم شاه الجيوش مع منصور التركى لقتال ابن خربك ولقيهم
على عشرة فراسخ من مرو وقاتلهم فهزموه ودخل مرو منهزما فحاصروه خمسة عشر
يوما ثم استأمن اليهم وخرج فقتلوه وأسف ذلك شهاب الدين وترددت الرسل بينه وبين
خوارزم شاه فى الصلح فلم يتم وأراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن أخته البوغانى
وملك علاء الدين بن أبى على الغورى مدينة مرو وزكورة و بلد الغور واعمال

بياض بالاصل

خراسان وفوض اليه في مملكته وعاد الى غزنة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم عاد خوارزم شاه الى هراة منتصف سنة ستمائة وبها البوغاني ابن أخت شهاب الدين الغوري وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاور غازيا فحصر خوارزم شاه هراة الى منسلخ شعبان وهلك في الحصار بين الفريقين خلق وكان الحسن بن حرميل مقيما بخوزستان وهي اقطاعه فأرسل الى خوارزم شاه يخادعه ويطلب منه عسكرا يستلمون الفيلة وخزانة شهاب الدين فبعث اليه ألف فارس فاعترضهم هو والحسن بن محمد المرغني فلم ينج منهم الا القليل فندم خوارزم شاه على انفاذ العسكر وبعث الى البوغاني أن يظهر بعض طاعته ويفرج عنه الحصار فامتنع ثم أدركه المرض فخشي أن يشغله المرض عن حماية البلد فيملكها عليه خوارزم شاه فرجع الى اجابته واستحلفه وأهدى وخرج له ليلقاه ويعطيه بعض الخدمة فمات في طريقه وارتحل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار الى سرخس فأقام بها

(حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطا)

ولما بلغ شهاب الدين بغزنة ما فعل خوارزم شاه بهراة وموت نائبه بها البوغاني ابن أخته وكان غازيا الى الهند فانثنى عزمه وسار الى خوارزم وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس وأقام بظاهر مرو فلما بلغه خبر مسيره أجفل راجعا الى خوارزم فسبق شهاب الدين اليها وأجرى الماء في السبخة حواليها وجاء شهاب الدين فأقام أربعين يوما يطرق المسالك حتى أمكنه الوصول ثم التقوا واقتتلوا وقتل بين الفريقين خلق كان منهم الحسن المرغني من الغورية وأسر جماعة من الخوارزمية فقتلهم شهاب الدين صبرا وبعث خوارزم شاه الى الخطا فيما وراء النهر يستنجدهم على شهاب الدين فجمعوا وساروا الى بلاد الغور وبلغ ذلك شهاب الدين فسار اليهم فلقيهم بالمفازة فهزموه وحصروه في اندخوي حتى صالحهم وخلص الى الطالقان وقد كثر الارجاف بموته فتلقاه الحسن بن حرميل صاحب الطالقان وأزاح علله ثم سار الى غزنة واحتمل ابن حرميل معه خشية من شدة جزعه أن يلحق بخوارزم شاه ويطيعه فولاه حجابته وسار معه ووجد الخلاف قد وقع بين أمرائه لما بلغهم من الارجاف بموته حسبما مر في أخبار الغورية فأصلح من غزنة ومن الهند وتأهب للرجوع لخوارزم شاه وقد وقع في خبر هزيمته أمام الخطا بالمفازة وجه آخر ذكرناه هنالك وهو أنه فرق عساكره في المفازة لقلة الماء فأوقع بهم الخطا منفردين وجاء في الساقة فقاتلهم أربعة أيام مصابرا وبعث اليه صاحب سمرقند من عسكر الخطا وكان مسلما وأشار عليه بالتهويل عليهم فبعث عسكرا من الليل وجاؤا من الغد متتابعين وخوفهم صاحب سمرقند بوصول المدد

لشهاب الدين فرجعوا الى الصلح وخلص هو من تلك الواقعة وذلك سنة احدى وستمائة ومات شهاب الدين اثر ذلك

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان)

كان نائب الغورية بهراة من خراسان الحسن بن حرميل ولما قتل شهاب الدين الغوري في رمضان سنة ثنتين وستمائة قام بأمرهم غياث الدين محمود ابن أخيه غياث الدين واستولى على الغور من يد علاء الدين محمد بن أبي علي مرورذكاه ولما بلغ وفاة شهاب الدين الى الحسن بن حرميل نائب هراة جمع أعيان البلد وقاضيهم واستحلفهم على الامتناع من خوارزم شاه ظاهرا ودس الى خوارزم شاه بالطاعة ويطلب عسكرا يمتنع به من الغورية وبعث ابنه رهينة في ذلك فأنفذ اليه عسكرا من نيسابور وأمرهم بطاعة ابن حرميل وغياث الدين خلال ذلك يكاتب ابن حرميل ويطلبه في الطاعة فيراوغه بالمواعدة وبلغه خبره مع خوارزم شاه فاعتزم على النهوض اليه واستشار ابن حرميل بهراة أعيان البلد يختبر ما عندهم فقال له علي بن عبد الخالق مدرس مية وناظر الاوقاف الرأي صدق الطاعة لغياث الدين فقال انما أخشاه فسر اليه وتوثق لي منه ففعل وسار الى غياث الدين فأطلعه على الجلي من أمر ابن حرميل ووعده الثورة به وكتب غياث الدين الى نائبه بمرو يستدعيه فتوقف وحمله أهل مرو على المسير فسار فخلع عليه غياث الدين وأقطعه واستدعى غياث الدين أيضا نائبه بالطالقان أميران قطر فتوقف فأقطع الطالقان سونج مملوك ابنه المعروف بأمير شكار وبعث الى ابن حرميل مع ابن زياد بالخلع ووصل معه رسوله يستنجز خطبته له فطله أياما حتى وصل عسكر خوارزم شاه من نيسابور ووصل في اثرهم خوارزم شاه وانتهى الى بلخ على أربعة فراسخ فندم ابن حرميل عندما عاين مصدوقة الطاعة وعرف عسكر خوارزم شاه بأن صاحبهم قد صالح غياث الدين وترك له البلاد فانصرفوا الى صاحبهم وبعث اليه معهم بالهدايا ولما سمع غياث الدين بوصول عسكر خوارزم شاه الى هراة أخذ اقطاع ابن حرميل وقبض على أصحابه واستصفى أمواله وما كان له من الذخيرة في حروبان وتبين ابن حرميل في أهل هراة الميل الى غياث الدين والانحراف عنه وخشي من ثورتهم به فأظهر طاعة غياث الدين وجمع أهل البلد على مكاتبته بذلك فكتبوا جميعا وأخرج الرسول بالكتاب ودس اليه بأن يلحق عسكر خوارزم شاه فيردهم اليه فوصل الرسول بهم لرابع يومه ولقيهم ابن حرميل وأدخلهم البلد وسمل ابن زياد الفقيه وأخرج صاعدا القاضي وشيع الغورية فلحقوا بغياث الدين وسلم البلد لعسكر خوارزم شاه وبعث غياث الدين عسكره مع علي بن أبي علي وسار معه أميران صاحب الطالقان وكان منحرفا

عن غياث الدين بسبب عزله فدس الى ابن حرميل بأن يكبسه وواعده الهزيمة وحلف له على ذلك فكبسه ابن حرميل فانهزم عسكر غياث الدين وأسر كثير من أمرائه وشن ابن حرميل الغارة على بلاد باذغيس وغيرها من البلاد واعتزم غياث الدين على المسير بنفسه الى هراة ثم شغل عن ذلك بأمر غزنة ومسير صاحب باميان الى الدوس فأقصر واستظهر خوارزم شاه الى بلخ وقد كان عند مقتل شهاب الدين أطلق الغورية الذين كان أسرهم فى المصاف على خوارزم وخيرهم فى المقام عنده أو اللحاق بقومهم واستصفى من أكابرهم محمد بن بشير وأقطعه فلما قصد الآن بلخ قدم اليها أخوه على شاه فى العساكر وبرز اليه عمر بن الحسن أميرها فدافعه عنها ونزل على أربعة فراسخ وأرسل الى أخيه خوارزم شاه بذلك فسار اليه فى ذى القعدة من السنة ونزل على بلخ وحاصرها وهم ينتظرون المدد من صاحبهم باميان بن بهاء الدين وقد شغلوا بغزنة فحاصرها خوارزم شاه أربعين يوما ولم يظفر فبعث محمد بن بشير الغورى الى عماد الدين عمر بن الحسن نائبها يستنزله فامتنع فاعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة ثم بلغه أن أولاد بهاء الدين أمراء باميان سار والى غزنة وأسرهم تاج الدين الزر فعاد محمد بن بشير الى عمر بن الحسين فأجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وخرج اليه فأعاده الى بلده وذلك فى ربيع سنة ثلاث وستمائة ثم سار خوارزم شاه الى جوزجان وبها على بن على فنزل له عنها وسلمها خوارزم شاه الى ابن حرميل لانها كانت من أقطاعه وبعث الى غياث الدين عمر بن الحسين من بلخ يستدعيه ثم قبض عليه وبعث به الى خوارزم شاه وسار الى بلخ فاستولى عليها واستخلف عليها جغرى التركى وعاد الى بلاده

(استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا)

ولما أخذ خوارزم شاه بلخ سار عنها الى ترمذ وبها عماد الدين عمر بن الحسين الذى كان صاحب بلخ وقدم اليه محمد بن على بن بشير بالعذر عن شأن أبيه وانه انما بعثه لخوارزم مكرما وهو أعظم خواصه ويعده بالاطلاع فاتهم على صاحبها أمره واجتمع عليه خوارزم شاه والخطا من جميع جوانبه وأسر أصحابه ملوك باميان بغزنه فاستأمن الى خوارزم شاه وملك منه البلد ثم سلمها الى الخطا وهم على كفرهم ليسالموه حتى يملك وينتزعها منهم فكان كما قدره والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء خوارزم شاه على الطالقان)

ولما ملك خوارزم شاه ترمذ سار الى الطالقان وبها سونج واستناب على الطالقان أمير شكار نائب غياث الدين محمود وبعث اليه يستميله فامتنع وبرز للحرب حتى تراءى

الجعان فنزل عن فرسه ونبذ سلاحه وجاء متطارحا فى العفو عنه فأعرض عنه وملك الطالقان واستولى على ما فيها وبعث اليه سونج واستناب على الطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالومين ومهوارو وبها حسام الدين على بن على فقاتله ودفعه على ناحيته وسار الى هراة وخيم بظاهرها وجاء رسول غياث الدين بالهدايا والتحف ثم جاء ابن حرميل فى جمع من عساكر خوارزم شاه الى اسفراين فملكها على الامان فى صفر من السنة وبعث الى صاحب سجستان وهو حرب بن محمد بن ابراهيم من عقب خلف الذى كان ملكها منذ عهد ابن سبكتكين فى الطاعة لخوارزم والخطبة له فامتنع وقصد خوارزم شاه وهو على هراة القاضى صاعد بن الفضل الذى أخرجه ابن حرميل ولحق بغياث الدين فلما جاء الى خوارزم شاه رماه ابن حرميل بالميل الى الغورية فحبسه بقلعة زوزن وولى القضاء بهراة الصفى أبا بكر بن محمد السرخسى وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضاء

(استيلاء خوارزم شاه على مازندان وأعمالها)

ثم توفى صاحب مازندان حسام الدين ازدشير وولى مكانه ابنه الاكبر وطرد أخاه الاوسط فقصد جرجان وبها الملك على شاه ينوب عن أخيه خوارزم شاه محمد بن تكش واستنجده فاستأذن أخاه وسار معه من جرجان سنة ثلاث وستمائة ومات الاخ الذى ولى على مازندان وولى مكانه أخوهما الاصغر ووصل على شاه ومعه أخو صاحب مازندان فعاثوا فى البلاد وامتنع الملك بالقلاع مثل سارية وآمد فملكوها من يده وخطب فيها لخوارزم شاه وعاد على شاه الى جرجان وترك ابن صاحب مازندان الذى استجار به ملكا فى تلك البلاد وأخوه بقلعة كوره

(استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتاله مع الخطا وأسره وخلاصه)

قد تقدم لنا كيف تغلب الخطا على ما وراء النهر منذ هزموا سنجر بن ملك شاه وكانوا أمة بادية يسكنون الخيام التى يسمونها الخركاوات وهم على دين المجوسية كما كانوا وكانوا موطنين بنواحى أوزكنده وبلاد ساغون وكاشغر وكان سلطان سمرقند وبخارى من ملوك الخانية الاقدمين عريقا فى الاسلام والبيت والملك ويلقب خان خاقان بمعنى سلطان السلاطين وكان الخطا وضعوا الجزية على بلاد المسلمين فيما وراء النهر وكثر عيثهم وثقلت وطأتهم فأنف صاحب بخارى من تحكمهم وبعث الى خوارزم شاه يستصرخه لحادثهم على أن يحمل اليه ما يحملونه للخطا وتكون له الخطبة والسكة وبعث فى ذلك وجوه بخارى وسمرقند فحلفوا له ووضعوا رهائنهم عنده فتجهز لذلك وولى أخاه

على شاه على طبرستان مع جرجان وولى على نيسابور الامير كزلك خان من أخواله وأعيان دولته وندب معه عسكرا وولى على قلعة زوزن أمين الدين أبا بكر وكان أصله حمالا فارتفع وترقى فى الرتب الى ملك كرمان وولى على مدينة الجام الامير جلدك وأقر على هراة الحسن بن حرميل وأنزل معه ألفا من المقاتلة واستناب فى مرو وسرخس وغيرهما وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير وجمع عساكر وسار الى خوارزم فتجهز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان بخارى وسمرقند وزحف اليه الخطا فتواقعوا معه مرات وبقيت الحرب بينهم سجالا ثم انهزم المسلمون وأسر خوارزم شاه ورجعت العساكر الى خوارزم مفلولة وقد أرجف بموت السلطان وكان كزلك خان نائب نيسابور محاصر الهراة ومعه صاحب زوزن فرجعوا الى بلادهما وأصلح كزلك خان سور نيسابور واستكثر من الجند والاقوات وحدثته نفسه بالاستبداد وبلغ خبر الارجاف الى أخيه على شاه بطبرستان فدعا لنفسه وقطع خطبة أخيه وكان مع خوارزم شاه حين أسر أمير من أمرائه يعرف بابن مسعود فتحيل للسلطان بأن أظهر نفسه فى صورته واتفقا على دعائه باسم السلطان وأوهما صاحبهما الذى أسرهما ان ابن مسعود هو السلطان وان خوارزم شاه خديمه فأوجب ذلك الخطائى حقه وعظمه لاعتقاده انه السلطان وطلب منه بعد أيام أن يبعث ذلك الخديم لاهله وهو خوارزم شاه فى الحقيقة ليعرف أهله بخبره ويأتيه بالمال فيدفعه اليه فأذن له الخطائى فى ذلك وأطلقه بكتابه ولحق بخوارزم ودخل اليها فى يوم مشهود وعلم بما فعله أخوه على شاه بطبرستان وكزلك خان بنيسابور وبلغهما خبر خلاصه فهرب كزلك خان الى العراق ولحق على شاه بغياث الدين محمود فأكرمه وأنزله وسار خوارزم شاه الى نيسابور فأصلح أمورها وولى عليها وسار الى هراة فنزل عليها وعسكره محاصر دونها وذلك سنة أربع وستمائة والله أعلم

(مقتل ابن حرميل ثم استيلاء خوارزم شاه على هراة)

كان ابن حرميل قد تنكر لعسكر خوارزم شاه الذين كانوا عنده بهراة لسوء سيرتهم فلما عبر خوارزم شاه جيحون واشتغل بقتال الخطا قبض ابن حرميل على العسكر وحبسهم وبعث الى خوارزم شاه يعتذر ويشكو من فعلهم فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ ذلك العسكر اليه لينتفع بهم فى قتال الخطا وكتب الى جلدك بن طغرل صاحب الجام أن يسير اليه بهراة ثقة بفعله وحسن سريرته وأعلم ابن حرميل بذلك ودس الى جلدك بالتحيل على ابن حرميل بكل وجه والقبض عليه فسار فى ألفى مقاتل وكان يهوى ولاية هراة لان أباه طغرل كان واليها للسنجر فلما قارب هراة أمر ابن حرميل

الناس بالخروج لتلقيه وخرج هو فى اثرهم بعد ان أشار عليه وزيره خواجا الصاحب فلم يقبل فلما التقى جلدك وابن حرميل ترجلا عن فرسيهما للسلام وأحاط أصحاب جلدك بابن حرميل وقبضوا عليه وانهزم أصحابه الى المدينة فأغلق الوزير خواجا الابواب واستعد للحصار وأظهر دعوة غياث الدين محمود وجاء جلدك فناداه من السور وتهدده بقتل ابن حرميل وجاء بابن حرميل حتى أمره بتسليم البلد لجلدك فأبى وأساء الرد عليه وعلى جلدك فقتل ابن حرميل وكتب الى خوارزم شاه بالخبر فبعث خوارزم شاه الى كزلك خان نائب نيسابور والى أمين الدين أبى بكر نائب زوزن بالمسير الى جلدك وحصار هراة معه فساروا لذلك فى عشرة آلاف فارس وحاصروها فامتنعت وكان خلال ذلك ما قدمناه من انهزام خوارزم شاه أمام الخطا وأسرهم اياه ثم تخلص ولحق بخوارزم ثم جاء الى نيسابور ولحق بالعساكر الذين يحاصرون هراة فأحسن الى أمرائهم لصبرهم وبعث الى الوزير خواجا فى تسليم البلد لانه كان يعد عسكره بذلك حين وصوله فامتنع وأساء الرد فشد خوارزم فى حصاره وضجر أهل المدينة وجهدهم الحصار وتحدثوا فى الثورة فبعث جماعة من الجند للقبض عليه فثاروا بالبلد وشعر بجماعة العسكر من خارج بذلك فرجعوا الى السور واقتحموه وملك البلد عنوة وجىء بالوزير أسيرا الى خوارزم شاه فأمر بقتله فقتل وكان ذلك سنة خمس وستمائة وولى على هراة خاله أمير ملك وعاد وقد استقر له أمر خراسان

(١) *(استيلاء خوارزم شاه على بيروز كوه وسائر بلاد خراسان)*

لما ملك خوارزم شاه هراة وولى عليها خاله أمير ملك وعاد الى خوارزم بعث الى أمير ملك يأمره بيروز كوه وكان بها غياث الدين محمود بن غياث الدين وقد لحق به أخوه على شاه وأقام عنده فسار أمير ملك وبعث اليه محمود بطاعته ونزل اليه فقبض عليه أمير ملك وعلى على شاه أخى خوارزم شاه وقتلهما جميعا سنة خمس وستمائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه محمد بن تكش وانقرض أمر الغورية وكانت دولتهم من أعظم الدول وأحسنها والله تعالى ولى التوفيق

(هزيمة الخطا)

ولما استقر أمر خراسان لخوارزم شاه واستنفر وعبر نهر جيحون وسار اليه الخطا وقد احتفلوا للقائه وملكهم يومئذ طاينكوه ابن مائة سنة ونحوها وكان مظفرا مجربا بصيرا بالحرب واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وبخارى وتراجعوا سنة ست وستمائة ووقعت بينهم حروب لم يعهد مثلها ثم انهزم الخطا وأخذ فيهم القتل كل مأخذ

(١) بيروز كوه من المشترك بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاء معجمة وضم الكاف ثم واو وهاء معناه الجبل الازرق وهى قلعة حصينة دار مملكة جبال الغور اه من أبى الفداء

بياض بالاصل

وأسر ملكهم طاينكو فأكرمه خوارزم شاه وأجلسه معه على سريره وبعث به الى خوارزم وسار هو الى ماوراء النهر وملكها مدينة مدينة الى أوركند وأنزل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه صاحب سمرقند فأصهر اليه خوارزم شاه بأخته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان أيام الخطا والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(انتقاض صاحب سمرقند)

ولما عاد صاحب سمرقند الى بلده أقام شحنة خوارزم شاه وعسكره معه نحوا من سنة ثم استقبح سيرتهم وتنكر لهم وأمر أهل البلاد فثاروا بهم وقتلوهم في كل مذهب وهمّ بقتل زوجته أخت خوارزم شاه فغلقت الابواب دونه واسترحمته فتركها وبعث الى ملك الخطا بالطاعة وبلغ الخبر الى خوارزم شاه فامتعض وهمّ بقتل من في بلده من أهل سمرقند ثم انثنى عن ذلك وأمر عساكره بالتوجه الى ماوراء النهر فخرجوا أرسالا وهو في أثرهم وعبر بهم النهر ونزل على سمرقند وحاصرها ونصب عليها الآلات وملكها عنوة واستباحها ثلاثا قتل فيها نحوا من مائتي ألف واعتصم صاحبها بالقلعة ثم حاصرها وملكها عنوة وقتل صاحبها صبرا في جماعة من أقرانه ومحا آثار الخانية وأنزل في سائر البلاد وراء النهر نوابه وعاد الى خوارزم والله تعالى ولي النصر بمنه وفضله

(استلحام الخطا)

قد تقدم لنا وصول طائفة من أمم الترك الى بلاد تركستان وكاشغر وانتشارهم فيما وراء النهر واستخدموا للملوك الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد بن سليمان ينزلهم مسالح على الريف فيما بينه وبين الصين ولهم على ذلك الاقطاعات والجرايات وكان يعاقبهم على ما يقع منهم من الفساد والعيث في البلاد ويوقع بهم فنفروا من بلاده وابتغوا عنه فسيحا من الارض ونزلوا بلاد ساغون ثم خرج كوخان ملك الترك الاعظم من الصين سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة فسارت اليه أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقراخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فهزموه وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم في صفر سنة ست وثلاثين ولقيه أمم الترك والخطا فهزموه وأثخنوا في المسلمين وأسرت زوجة السلطان سنجر ثم أطلقها كوخان بعد ذلك وملك الترك بلاد ماوراء النهر ثم مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين وولیت بعده ابنته وماتت قريبا وملكت من بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ماوراء

النهر

النهر الى أن غلبهم عليه خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش كما قدمنا وكانت قد خرجت قبل ذلك خارجة عظيمة من الترك يعرفون بالتتر ونزلوا في حدود الصين وراء تركستان وكان ملكهم كشلي خان ووقع بينه وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الامم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف كشلي في أمم التتر الى الخطا لينتهز الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يتلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمرهم وتضيق عنه قدرته وقدرتهم وبعث اليه كشلي يغريه بهم وأن يتركهم واياهم ويحلف له على مسالمة بلاده فسار خوارزم شاه يوهم كل واحد من الفريقين انه له وأقام متنبذا عنهما حتى تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل وجه ولم ينج منهم الا القليل تحصنوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه كانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلي خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وانها انما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم وسار لحربهم ثم علم انه لا طاقة له بهم فكثر اوغهم على اللقاء وكشلي خان يعذله في ذلك وهو يغالطه واستولى كشلي خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسبيجاب وكاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله أنزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد الاسلام وخرب جميعها خوفا أن يملكها التتر ثم اختلف التتر بعد ذلك وخرج على كشلي طائفة أخرى منهم يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلي خان بحربهم عن خوارزم شاه فعبر النهر الى خراسان ونزل خوارزم شاه الى أن كان من أمره ما نذكره والله تعالى أعلم

(استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسند)

قد تقدم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش تاج الدين أبو بكر وانه كان كريا للدواب ثم ترقت به الاحوال الى أن صار سروان لتكش والسروان مقدم الجهاد ثم تقدم عنده لجلده وامانته وصار أميرا وولاه قلعة زوزن ثم تقدم عند علاء الدين محمد بن تكش واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكرا وسار الى كرمان سنة ثنتي عشرة وصاحبها بومئذ محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكها ثم سار الى كرمان وملكها كلها الى السند من نواحي كابل وسار الى هرمز من مدن فارس بساحل البحر واسم صاحبها مكيك فأطاعه وخطب لخوارزم شاه وضمن مالا يحمله وخطب له بقلعات وبعض عمان من وراء النهر لانهم كانوا يتقربون الى

بياض بالأصل

صاحب هرمز بالطاعة وتسيير سفنهم بالتجار الى هرمز لانه المرسى العظيم الذى تسافر اليه التجار من الهند والصين وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش مغاورات وفتن وكل واحد منهما ينهى مراكب بلاده أن ترسى ببلاد الآخر وكان خوارزم شاه يطيف بنواحى سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كشلى خان بلاده

(استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها)

ولما استولى خوارزم شاه محمد بن تكش على بلاد خراسان وملك باميان وغيرها وبعث تاج الدين المرز صاحب غزنة وقد تغلب عليها بعد ملوك الغورية وقد تقدم فى أخبار دولتهم فبعث اليه فى الخطبة له وأشار عليه كبير دولته قطلغ تكين مولى شهاب الدين الغورى وسائر أصحابه بالاجابة الى ذلك فخطب له ونقش السكة باسمه وسار قمصيرا وترك قطلغ تكين بغزنة نائبا عنه فبعث قطلغ تكين لخوارزم شاه يستدعيه فأغذ له السير وملك غزنة وقلعتها وقتل الغورية الذين وجدوا بها خصوصا الاتراك وبلغ الخبر المرز فهرب الى أساون ثم أحضر خوارزم شاه قطلغ ووبخه على قلة وفائه لصاحبه وصادره على ثلاثين حملا من أصناف الاموال والامتعة وأربعمائة مملوك ثم قتله وعاد الى خوارزم وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة وقيل سنة ثنتى عشرة بعد ان استخلف عليها ابنه جلال الدين منكبرس والله أعلم بغيبه وأحكم

(استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل)

كان خوارزم شاه محمد بن تكش قد ملك الرى وهمذان وبلاد الجبل كلها أعوام تسعين وخمسمائة من يد قطلغ اينانج بقية أمراء السلجوقية ونازعه فيها ابن القصاب وزير الخليفة الناصر فغلبه خوارزم شاه وقتله كما مر فى أخباره ثم شغل عنها تكش الى أن توفى وذلك سنة سبع وتسعين وصار ملكه لابنه علاء الدين محمد بن تكش وتغلب موالى البهلوان على بلاد الجبل واحدا بعد واحد ونصبوا أزبك بن مولاهم البهلوان ثم انتقضوا عليه وخطبوا لخوارزم شاه وكان آخر من ولى منهم أغماش وأقام بها مدة يخطب لعلاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه ثم وثب عليه بعض الباطنية وطمع أزبك بن محمد البهلوان بقية الدولة السلجوقية باذربيجان واران فى الاستيلاء على أعمال اصبهان والرى وهمذان وسائر بلاد الجبل وطمع سعد بن زنكى صاحب فارس ويقال سعد بن دكلا فى الاستيلاء عليها أيضا كذلك وسار فى العساكر فملك أزبك اصبهان بممالأة أهلها وملك سعد الرى وقزوين وسمنان وطار الخبر الى خوارزم شاه باصبهان بسمرقند فسار فى العساكر سنة أربع عشرة وستمائة فى مائة ألف بعد ان جهز

العساكر

العساكر فيما وراء النهر وبثغور الترك وانتهى الى قومس ففارق العساكر وسار متجردا فى اثنى عشر ألفا فلما ظفرت مقدمته بأهل الرى وسعد مخيم بظاهرها ركب للقتال بظن انه السلطان ثم تبين الآلة والمركب واستيقن انه السلطان فولت عساكره منهزمة وحصل فى أسر السلطان وبلغ الخبر الى أزبك باصبهان فسار الى همذان ثم عدل عن الطريق فى خواصه وركب الاوعار الى اذربيجان وبعث وزيره أبا القاسم بن على بالاعتذار فبعث اليه فى الطاعة فأجابه وحمله الضريبة فاعتذر بقتال الكرج وأما سعد صاحب فارس فبلغ الخبر بأسره الى ابنه نصرة الدين أبى بكر فهاج بخلعان أبيه وأطلق السلطان سعدا على أن يعطيه قلعة اصطخر ويحمل اليه ثلث الخراج وزوجه بعض قرابته وبعث معه من رجال الدولة من يقبض اصطخر فلما وصل الى شيراز وجد ابنه منتقضا فداخله بعض أمراء ابنه وفتح له باب شيراز ودخل على ابنه واستولى على ملكه وخطب لخوارزم شاه واستولى خوارزم شاه على ساوة وقزوين وجرجان وابهر وهمذان واصبهان وقم وقاشان وسائر بلاد الجبل واستولى عليها كلها من أصحابها واختص الامير طابسين بهمذان وولى ابنه ركن الدولة باورشاه عليهم جميعا وجعل معه جمال الدين محمد بن سابق الشاوى وزيرا

(طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها)

ثم بعد ذلك بعث خوارزم شاه محمد بن تكش الى بغداد يطلب الخطبة بها من الخليفة كما كانت لبنى سلجوق وذلك سنة أربع عشرة وذلك لما رأى من استفحال أمره واتساع ملكه فامتنع الخليفة من ذلك وبعث فى الاعتذار عنه الشيخ شهاب الدين السهروردى فأكبر السلطان مقدمه وقام لتلقيه وأول ما بدأ به الكلام على حديث بياض بالأصل

وجلس على ركبتيه لاستماعه ثم تكلم وأطال وأجاد وعرض بالموعظة فى معاملة النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى العباس وغيرهم والتعرض لاذايتهم فقال السلطان حاش لله من ذلك وأنا ما آذيت أحدا منهم وأمير المؤمنين كان أولى منى بموعظة الشيخ فقد بلغنى أن فى محبسه جماعة من بنى العباس مخلدين يتناسلون فقال الشيخ الخليفة اذا حبس أحدا للاصلاح لا يعترض عليه فيه فابو يع الا للنظر فى المصالح ثم ودعه السلطان ورجع الى بغداد وكان ذلك قبل أن يسير الى العراق فلما استولى على بلاد الجبل وفرغ من أمرها سار الى بغداد وانتهى الى عقبة سراباد وأصابه هنالك ثلج عظيم أهلك الحيوانات وعفن أيدى الرجال وأرجلهم حتى قطعوها ووصله هنالك شهاب الدين السهروردى ووعظه فندم ورجع عن قصده فدخل الى خوارزم سنة خمس عشرة والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(قسمة السلطان خوارزمشاه الملك بين ولده)

ولما استكمل السلطان خوارزمشاه محمد بن تكش ملكه بالاستيلاء على الرى وبلاد الجبل قسم أعمال ملكه بين ولده فجعل خوارزم وخراسان ومازندران لولى عهده قطب الدين أولاغ شاه وانما كان ولى عهده دون ابنه الاكبر جلال الدين منكبرس لان أم قطب الدين وأم السلطان وهى تركمان خاتون من قبيلة واحدة وهم فياروت من شعوب يمك احدى بطون الخطا فكانت تركمان خاتون متحكمة فى ابنها السلطان محمد ابن تكش وجعل غزنة وباميان والغور وبست وتكساباد وما من الهند لابنه جلال الدين منكبرس وكرمان وكيس ومكرمان لابنه غياث الدين پترشاه وبلاد الجبل لابنه ركن الدين غورشاه كما قدمناه وأذن لهم فى ضرب النوب الخمس له وهى دبادب صغار تقرع عقب الصلوات الخمس واختص هو بنوبة سماها نوبة ذى القرنين سبع وعشرين دبدبة كانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر هكذا ذكر الوزير محمد ابن أحمد النسوى المنشى كاتب جلال الدين منكبرس فى أخباره وأخبار أبيه علاء الدين محمد بن تكش وعلى كتابه اعتمدت دون غيره لانه أعرف بأخبارهما وكانت كرمان ومكران وكيش لمؤيد الملك قوام الدين وهلك منصرف السلطان من العراق فأقطعها لابنه غياث الدين كما قلناه وكان الملك هذا سوقة فأصبح ملكا وأصل خبره ان أمه كانت داية فى دار نصرة الدين محمد بن أبر صاحب زوزن ونشأ فى بيته واستخدمه وسفر عنه للسلطان فسعى به أنه من الباطنية ثم رجع تخوفه من السلطان بذلك فانقطع نصرة الدين الى الاسماعيلية وتحصن ببعض قلاع زوزن وكتب قوام الدين بذلك الى السلطان فجعل اليه وزارة زوزن وولاية جبايتها ولم يزل يخادع صاحبه نصرة الدين الى أن راجع فتمكن من السلطان وسمله ثم طمع قوام الدين فى ملك كرمان وكان بها أمير من بقية الملك دينار وأمده السلطان بعسكر من خراسان فملك كرمان وحسن موقع ذلك من السلطان فلقبه مؤيد الملك وجعلها فى أقطاعه ولما رجع السلطان من العراق وقد نفقت جماله بعث اليه بأربعة آلاف بختى وتوفى أثر ذلك فرد السلطان أعماله الى ابنه غياث الدين كما قلناه وحمل من تركته الى السلطان سبعون حملا من الذهب خلا الاصناف

(أخبار تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش)

كانت تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش من قبيلة بياروت من شعوب الترك يمك من الخطا وهى بنت خان جنكش من ملوكهم تزوجها السلطان خوارزمشاه تكش

فولدت له السلطان محمدا فلما ملك لحق بها طوائف يمك ومن جاورهم من الترك واستظهرت بهم وتحكمت فى الدولة فلم يملك السلطان معها أمره وكانت تولى فى النواحى من جهتها كما يولى السلطان وتحكم بين الناس وتنصف من الظلامات وتقدم على الفتك والقتل وتقيم معاهد الخير والصدقة فى البلاد وكان لها سبعة من الموقعين يكتبون عنها واذا عارض توقيعها لتوقيع السلطان عمل بالمتأخر منهما وكان لقبها خداوندجهان أى صاحبة العالم وتوقيعها فى الكتاب عصمة الدنيا والدين اولاغ تركمان ملك نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده تكتبها بقلم غليظ وتجود كتابتها أن تزور عليها واستوزرت للسلطان وزيره نظام الملك وكان مستخدما لها فلما عزل السلطان وزيره أشارت عليه بوزارة نظام الملك هذا فوزر له على كره من السلطان وتحكم فى الدولة بتحكمها ثم تنكر له السلطان لامور بلغته عنه وعزله فاستمر على وزارتها وكان شأنه فى الدولة أكبر وشكاه اليه بعض الولاة بنواحى خوارزم أنه صادره فأمر بعض خواصه بقتله فنعته تركمان من ذلك وبقى على حاله وعجز السلطان عن انفاذ أمره فيه والله يؤيد بنصره من يشاء

(خروج التتر وغلبهم على ما وراء النهر وفرار السلطان أمامهم من خراسان)

ولما عاد السلطان من العراق سنة خمس عشرة كما قدمناه واستقر بنيسابور وفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الطائية التى تنسج من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك ويسأل الموادعة والاذن للتجار من الجانبين فى التردد فى متاجرهم وكان فى خطابه اطراء السلطان بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محمودا الخوارزمى من الرسل واصطنعه ليكون عينا له على جنكزخان واستخبره على ما قاله فى كتابه من ملكه الصين واستيلائه على مدينة طوغاج فصدق ذلك ونكر عليه الخطاب بالولد وسأله عن مقدار العساكر فغشه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من الموادعة والاذن للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم الى اترار وبها ينال خان ابن خال السلطان فى عشرين ألفا من العساكر فشره الى أموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية وأخذ أموالهم وفشا الخبر الى جنكزخان فبعث بالنكير الى السلطان فى نقض العهد وان كان فعل ينال افتياتا فابعث اليه يتهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار فى العساكر واعتزم السلطان أن يحصن سمرقند بالاسوار فجبى لذلك خراج سنتين وجبى ثالثة استخدم بها الفرسان وسار الى احياء جنكزخان فكبسهم وهو غائب عنها فى محاربة كشلى خان

فغنم ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين ولجأ خوارزم شاه الى جيحون فأقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان فأجفل وتركها وفرق عساكره فى مدن ما وراء النهر انزار وبخارى وسمرقند وترمذ وخجند وأنزل آبناخ من كبراء أمرائه وحجاب دولته فى بخارى وجاء جنكزخان الى انزار فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها ينال خان الذى قتل التجار وأذاب الفضة فى أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى ملكوها ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخربها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وستمائة ثم كتب كتبا على لسان الامراء قرابة أم السلطان يستدعون جنكزخان ويعدها بزيادة خراسان الى خوارزم وبعث من يستخلفه على ذلك وبعث الكتب مع من يتعرض بها السلطان فلما قرأها ارتاب بأمه وبقرابتها

(اجفال السلطان خوارزم شاه الى خراسان ثم الى طبرستان ومهلكه)

ولما بلغ السلطان استيلاء جنكزخان على انزار وبخارى وسمرقند وجاءه نائب بخارى ناجيا فى الفل أجفل حينئذ وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وعلاء الدين صاحب قندر وتخاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر فى أثره نحوا من عشرين ألفا يسميهم التتر المغربة لسيرهم نحو غرب خراسان فتوغلوا فى البلاد وانتهوا الى بلاد بجوروا كتسحوا كل ما مروا عليه ووصل السلطان الى نيسابور فلم يثبت بها ودخل الى ناحية العراق بعد أن أودع أمواله قال المنشى فى كتابه حدثنى الامير تاج الدين البسطامى قال لما انتهى خوارزم شاه فى مسيره الى العراق استحضرنى وبين يديه عشرة صناديق مملوأة لآلى لا تعرف قيمتها وقال فى اثنين منها فيهما من الجواهر ما يساوى خراج الارض باسرها وأمرنى بحملها الى قلعة اردهز من أحصن قلاع الارض وأخذت خط يد الموالى بوصولها ثم أخذها التتر بعد ذلك حين ملكوا العراق انتهى ولما ارتحل خوارزم شاه من نيسابور قصد مازندان والتتر فى أثره ثم انتهى الى أعمال همذان فكبسوه هنالك ونجا الى بلاد الجبل وقتل وزيره عماد الملك محمد بن وأقام هو بساحل البحر بقرية عند الفريضة يصلى ويقرأ ويعاهد الله على حسن السيرة ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر وخاضوا فى أثره فغلبهم الماء ورجعوا ووصلوا الى جزيرة فى بحر طبرستان فأقام بها وطرقه المرض فكان جماعة من أهل مازندان يمرضونه ويحمل اليه كثيرا من حاجته فيوقع لحاملها بالولايات والاقطاع وأمضى ابنه جلال الدين بعد ذلك جميعها ثم هلك سنة سبع عشرة وستمائة ودفن بتلك الجزيرة لاحدى وعشرين سنة من ملكه بعد أن عهد لابنه جلال الدين منكبرس وخلع ابنه الاصغر

قطب الدين أولاغ شاه ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركمان خاتون بخوارزم خرجت هاربة بعد أن قتلت نحوا من عشرين من الملوك والاكابر المحبوسين هنالك ولحقت بقلعة ايلان من قلاع مازندان فلما رجع التتر المغربة عن السلطان خوارزم شاه بعد ان خاض بحر طبرستان الى الجزيرة التى مات بها فقصدوا مازندان وملكوا قلاعها على ما فيها من الامتناع ولقد كان فتحها تأخر الى سنة تسعين أيام سليمان بن عبد الملك فملكوها واحدة واحدة وحاصروا تركمان خاتون فى قلعة ايلان الى أن ملكوا القلعة صلحا وأسروها وقال ابن الاثير انهم لقوها فى طريقها الى مازندان فأحاطوا بها وأسروها ومن كان معها من بنات السلطان وتزوجهن التتر وتزوج دوشخان بن جنكزخان باحداهن وبقيت تركمان خاتون أسيرة عندهن فى خمول وذل وكانت تحضر سماط جنكزخان كاحداهن وتحمل قوتها منه وكان نظام الملك وزير السلطان مع أمه تركمان خاتون فحصل فى قبضة جنكزخان وكان عندهم معظما لما بلغهم من تنكر السلطان له وكانوا يشاورونه فى أمر الجباية فلما استولى دوشخان على خوارزم وجاء بحرم السلطان الذين كانوا بها وفيهن مغنيات فوهب احداهن لبعض خدمه فمنعت نفسها منه ولجأت للوزير نظام الملك فشكاه ذلك الخادم لجنكزخان ورماه بالجارية فأحضره جنكزخان وعدد عليه خيانة استاذه وقتله

{مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق}
{الى آذربيجان وما وراءها من البلاد هنالك}

ولما وصل التتر الى الرى فى طلب خوارزم شاه محمد بن تكش سنة سبع عشرة وستمائة ولم يجدوه عادوا الى همذان واكتسحوا ما مروا عليه وأخرج اليهم أهل همذان ما حضرهم من الاموال والثياب والدواب فأمنوهم ثم ساروا الى زنجان ففعلوا كذلك ثم الى قزوين فامتنعوا منهم فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها ويقال ان القتلى بقزوين زادوا على أربعين ألفا ثم هجم عليهم الشتاء فساروا الى اذربيجان على شأنهم من القتل والاكتساح وصاحبها يومئذ أزبك بن البهلوان مقيم بتبريز عاكف على لذاته فراسلهم وصانعهم وانصرفوا الى موقان ليشتوا بالسواحل ومروا الى بلاد الكرج فجمعوا لقتالهم فهزمهم التتر وأثخنوا فيهم فبعثوا الى ازبك صاحب اذربيجان والى الاشرف بن العادل بن أيوب صاحب خلاط والجزيرة يطلبون اتصال أيديهم على مدافعة التتر وانضاف الى التتر اقرش من موالى ازبك واليه جموع من التركمان والاكراد وسار مع التتر الى الكرج واكتسحوا بلادهم وانتهوا الى بلقين وسار اليهم الكرج فلقيهم اقرش أولا ثم لقيهم التتر فانهزم الكرج وقتل منهم ما لا يحصى

وذلك فى ذى القعدة من سنة سبع عشرة ثم عاد التتر الى مراغة ومرّوا بتبريز فصانعهم
صاحبها كعادته وانتهوا الى مراغة فقاتلوها أياما وبها امرأة تملكها ثم ملكوها
فى صفر سنة ثمانى عشرة واستباحوها ثم رحلوا عنها الى مدينة اربل وبها مظفر الدين بن
الدوب على بلاده فجاءت كتب الخليفة الناصر اليهم جميعا بالمسير الى دقوقا ليقيموا بها فاستمد بدر الدين صاحب الموصل فأمده بالعساكر ثم همّ بالخروج لحفظ
مع عساكره ويدافع عن العراق وبعث معهم بشتمر كبير امرائه وجعل المقدم على
الجميع مظفر الدين صاحب اربل فخاموا عن لقاء التتر وخام التتر عن لقائهم وساروا الى
همذان وكان لهم بها شحنة منذ ملكوها أولا فطالبوه بفرض المال على أهلها وكان
رئيس همذان شريفا علويا قديم الرياسة بها فحضهم على ذلك فضجروا وأساؤا الرد عليه
وأخرجوا الشحنة وقاتلوا التتر وغضب العلوى فتسلل عنهم الى قلعة بقربها فامتنع
وزحف التتر الى البلد فملكوه عنوة واستباحوه واستلحموا أهله ثم عادوا الى اذربيجان
فملكوا اردبيل واستباحوها وخربوها وساروا الى تبريز وقد فارقها ازبك بن البهلوان
صاحب اذربيجان واران وقصد نقجوان وبعث بأهله وحرمه الى حوى فرارا من التتر
لعجزه وانهماكه فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغرائى وجمع أهل البلد واستعد للحصار
فأرسل اليه التتر فى المصانعة فصانعهم وساروا الى مدينة سوا فاستباحوها وخربوها
وساروا الى بيلقان فحاصروها وبعثوا الى أهل البلد رجلا من أكابرهم يقرر معهم
فى المصانعة والصلح فقتلوه فأسرى التتر فى حصارهم وملكوا البلد عنوة فى رمضان سنة
ثمان عشرة واستلحموا أهلها وأفحشوا فى القتل والمثلة حتى بقروا البطون على الاجنة
واستباحوا جميع الناحية قتلا ونهبا وتخريبا ثم ساروا الى قاعدة اران وهى كنجة
ورأوا امتناعها فطلبوا المصانعة من أهلها فصانعوهم ولما فرغوا من أعمال اذربيجان
واران ساروا الى بلاد الكرج وكانوا قد جمعوا اليهم واستعدوا ووقعوا
فى حدود بلادهم فقاتلهم التتر فهزموهم الى تفليس قاعدة ملكهم فجمعوا احتفالك
ثم خاموا عن لقائهم لما رأوا من اقتحامهم المضائق والجبال فعادوا الى تفليس واستولى
التتر على نواحيها فخربوها كيف شاؤا ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة الاوعار
والدوسرات فعادوا عنها ثم قصدوا دربند شروان وحاصروا مدينة شماخى وفتكوا
فى أهلها ووصلوا الى السور فعلوه باشلاء القتلى حتى ساموه واقتحموا البلد فأهلكوا
كل من فيه ثم قصدوا الدربند فلم يطيقوا عبوره فأرسلوا الى شروان فى الصلح فبعث اليهم
رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم واتخذوا الباقين أذلاء فسلكوا بهم دربند شروان
وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها أمم القفجاق واللان واللكز وطوائف من الترك

مسلمون وكفار فأوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامة البسائط وقاتلهم قفجاق
واللان ودافعوهم ولم يطق التتر مغالبتهم ورجعوا وبعثوا الى القفجاق وهم واثقون
بسالمتهم فأوقعوا بهم وحجر من كان بعيدا منهم الى بلاد الروس واعتصم آخرون بالجبال
والغياض واستولى التتر على بلادهم وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراى على بحر نيطش
المتصل بخليج القسطنطينية وهى مادتهم وفيها تجارتهم فملكها التتر وافترق أهلها
فى الجبال وركب بعضهم الى بلاد الروم فى ايالة بنى قليج ارسلان ثم سار التتر سنة عشر
وستمائة من بلاد قفجاق الى بلاد الروس المجاورة لها وهى بلاد فسيحة وأهلها يدينون
بالنصرانية فساروا الى مدافعتهم فى تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق سافروا
اليهم فاستطردلهم التتر مراحل ثم كرّوا عليهم وهم غارون فطاردهم القفجاق والروم
أياما ثم انهزموا وأثخن التتر فيهم قتلا وسبيا ونهبا وركبوا السفن هاربين الى بلاد
المسلمين وتركوا بلادهم فاكتسحها التتر ثم عادوا اليها وقصدوا بلغار أواخر السنة
واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم
الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكزخان بأرض
الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه)

قد كنا قدمنا مهلك خوارزم شاه ومسير هؤلاء التتر المغربة فى طلبه ثم انتهائهم بعد مهلكه
الى النواحى التى ذكرناها وكان جنكزخان بعد اجفال خوارزم شاه من جيحون وهو
بسمرقند قد بعث عسكرا الى ترمذ فساروا منها الى كلات من أحصن القلاع الى
جانب جيحون فاستولوا عليها وأوسعوها نهبا وسير عسكرا آخر الى فرغانة وكذلك
عسكرا آخر الى خوارزم وعسكرا آخر الى خوزستان فعبر عسكر خراسان الى بلخ
وملكوها على الامان سنة سبع وستمائة ولم يعرضوا لها بعيث وأنزلوا شحنتهم بها
ثم ساروا الى زوزن وميمنة واندخوى وفارياب فملكوها وولوا عليها ولم يعرضوا لاهلها
بأذى وانما استنفروهم لقتال البلد معهم ثم ساروا الى الطالقان وهى ولاية تسعة
فقصدوا قلعة صوركوه من أمنع بلادها فحاصروها ستة أشهر وامتنعت عليهم فسار
اليهم جنكزخان بنفسه وحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى اذا رأى امتناعها أمر بنقل
الخشب والتراب حتى اجتمع منه تل مشرف على البلد واستيقن أهل البلد الهلكة
واجتمعوا وفتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا فى الجبال والشعاب وقتل
الرجالة ودخل التتر البلد فاستباحوها ثم بعث جنكزخان صهره قفجاق قوين الى
خراسان ومروا ساوقاتلوها فامتنعت عليهم وقتل قفجاق قوين فاقاموا على حصارها

وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أزيد من سبعين ألفا وجمع
فكان كالتلال العظيمة وكان رؤساؤها بنى حمزة بخوارزم منذ ملكها
خوارزم شاه تكش فعاد اليها اختيار الدين جنكى بن عمر بن حمزة وبو عمه وضبطوها
ثم بعث جنكزخان ابنه فى العساكر الى مدينة مرو واستنفر أهل البلاد التى ملكوها
قبل مثل بلخ واخواتها وكان الناجون من هذه الوقائع كلها قد لحقوا بمرو واجتمع بها
ما يزيد على مائتى ألف وعسكروا بظاهرها لا يشكون فى الغلب فلما قاتلهم التتر
صابروهم ثم وجدوا فى مصابرتهم ما لم يحتسبوه فولوا منهزمين وأثخن التتر فيهم
ثم حاصروا البلد خمسة أيام وبعثوا الى أميرها يستميلونه للنزول عنها فاستأمن اليهم
وخرج فأكرموه أولا ثم أمروا باحضار جنده للعرض حتى استكملوا وقبضوا عليهم
ثم استكتبوه رؤساء البلد وتجاره وصناعه على طبقاتهم وخرج أهل البلد جميعا وجلس
لهم جنكزخان على كرسى من ذهب فقتل الجند فى صعيد واحد وقسم العامة رجالا
وأطفالا ونساء بين الجند فاقتسموهم وأخذوا أموالهم وامتحنوهم فى طلب المال
ونبشوا القبور فى طلبه ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سنجر ثم استلحم فى اليوم الرابع
أهل البلد جميعا يقال كانوا سبعمائة ثم ساروا الى نيسابور وحاصروها خمسا
ثم اقتحموها عنوة وفعلوا فيها فعلهم فى مرو وأشد ثم بعثوا عسكرا الى طوس وفعلوا
فيها مثل ذلك وخربوها وخربوا مشهد على بن موسى الرضا ثم ساروا الى هراة وهى من
أمنع البلاد فحاصروها عشرا وملكوها وأمنوا من بقى من أهلها وأنزلوا عندهم شحنة
وساروا القتال جلال الدين بن خوارزم شاه كما نذكر بعد فوثب أهل هراة على الشحنة
وقتلوه فلما رجع التتر منهزمين اقتحموا البلد واستباحوه وخربوه وأحرقوه ونهبوا
نواحيه أجمع وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل السرايا فى نواحى خراسان
حتى أتوا عليها تخريبا وكان ذلك كله سنة سبع عشرة وبقيت خراسان خرابا وتراجع
أهلها بعض الشئ فكانوا فوضى واستبد آخرون فى بعض مدنها كما نذكر ذلك
فى أماكنه والله أعلم

{ أخبار السلطان جلال الدين منكبرس مع التتر }
{ بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره بغزنة }

ولما توفى السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش بجزيرة بحر طبرستان ركب ولده البحر
الى خوارزم يقدمهم كبيرهم جلال الدين منكبرس وقد كان وثب بها بعد منصرف
تركمان خاتون أم خوارزم شاه رجل من العيارين فضبطها وأساء السيرة وانطلقت
اليها أيدى العيارين ووصل بعض نواب الديوان فأشاعوا موت السلطان ففر

العيارون ثم جاء جلال الدين واخوته واجتمع الناس اليهم فكانوا معهم سبعة آلاف
من العساكر أكثرهم اليارونية قرابة أم خوارزم شاه فمالوا الى أولاغ شاه وكان ابن
أختهم كامر وشاوروا فى الوثوب بجلال الدين وخلعه ونمى الخبر اليه فسار الى خراسان
فى ثلثمائة فارس وسلك المفازة الى بلد نسا فلقى هنالك رصدا من التتر فهزمهم وألجأهم
الى نسا وكان بها الامير اختيار زنكى بن محمد بن عمر بن حمزة قد رجع اليها من
خوارزم كما قدمناه وضبطها فاستلحم فل التتر وبلغ وبعث الى جلال الدين بالمدد فسار
الى نيسابور ثم وصلت عساكر التتر الى خوارزم بعد ثلاث من مسير جلال الدين
فأجفل أولاغ واخوته وساروا فى اتباعه ومروا بنسا فسار معهم اختيار الدين
صاحبها واتبعتهم عساكر التتر فأدركوهم بنواحى خراسان وكبسوهم فقتل أولاغ شاه
وأخوه انشاه واستولى التتر على ما كان معهم من الاموال والذخائر وافترقت فى أيدى
الجند والفلاحين فبيعت بأبخس الاثمان ورجع اختيار الدين زنكى الى نسا
فاستبد بها ولم يسم الى مراسم الملك وكتب له جلال الدين بولايتها فراجع أحوال
الملك ثم بلغ الخبر الى جلال الدين بزحف التتر الى نيسابور وأن جنكزخان بالطالقان
نيسابور الى بست واتبعه نائب هراة أمير ملك ابن خال السلطان خوارزم
شاه فى عشرة آلاف فارس هاربا أمام التتر وقصد سجستان فامتنعت عليه فرجع
واستدعاه جلال الدين فسار اليه واجتمعوا فكبسوا التتر وهم محاصرون قلعة قندهار
فاستلحموهم ولم يفلت منهم أحد فرجع جلال الدين الى غزنة وكانت قد استولى عليها
اختيار الدين قربوشت صاحب الغور عندما سار واليها عن جلال الدين صريخا عن
أمس ملك سجستان فخالفه قربوشت اليها وملكها فثار به صلاح الدين النسائى والى
قلعتها وقتله وملك غزنة رضا الملك شرف الدين بن أمور ففتك به رضا الملك
واستبد بغزنة فلما ظفر جلال الدين بالتتر على قندهار رجع الى غزنة فقتله وأوطنها
وذلك سنة ثمان عشرة

(استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخريبها)

قد كنا قدمنا ان جنكزخان بعد ما أجفل خوارزم شاه من جيحون بعث عساكره الى
النواحى وبعث الى مدينة خوارزم عسكرا عظيما لعظمها لانها كرسى الملك وموضع
العساكر فسارت عساكر التتر اليها مع ابنه جنطاى واركطاى فحاصروها خمسة أشهر
ونصبوا عليها الآلات فامتنعت فاستمدوا عليها جنكزخان فأمدهم بالعساكر متلاحقة
فزحفوا اليها وملكوا جانبا منها وما زالوا يملكونها ناحية ناحية الى أن استوعبوها
ثم فتحوا السد الذى يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرقها وانقسم أهلها بين

السيف والغرق هكذا قال ابن الاثير وقال النسائى الكاتب ان دوشى خان بن جنكزخان عرض عليهم الامان فخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك فى محرم سنة سبع عشرة ولما فرغ التترمن خراسان وخوارزم رجعوا الى ملكهم جنكزخان بالطالقان

(خبر آنبانج نائب بخارى وتغلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر الى الرى)

كان آنبانج أمير الامراء والحجاب أيام خوارزم شاه وولاه نائبا بخارى فلما ملكها التتر عليه كما قلناه أجفل الى المفازة وخرج منها الى نواحى نسا وراسله اختيار الدين صاحبها يعرضها عليه للدخول عنده فأبى فوصله وأمده وكان رئيس بشخوان من قرى نسا أبو الفتح فداخل التتر فكتب الى شحنة خوارزم بمكان آنبانج فجرد اليهم عسكرا فهزمه آنبانج وأثخن فيهم وساروا الى بشخوان فحاصروها وملكوها عنوة وهلك أبو الفتح أيام الحصار ثم ارتحل آنبانج الى ابيورد وقد تغلب تاج الدين عمر بن مسعود على ابيورد وما بينها وبين مرو فجبى خراجها واجتمع عليه جماعة من أكابر الامراء وعاد الى نسا وقد توفى نائبها اختيار الدين زنكى وملك بعده ابن عمه عمدة الدين حمزة بن محمد بن حمزة فطلب منه آنبانج خراج سنة ثمان عشرة وسار الى شروان وقد تغلب عليها ايكجى بهلوان فهزمه وانتزعها من يده ولحق بهلوان بجلال الدين فى الهند واستولى آنبانج خان على عامة خراسان وكان تكين بن بهلوان متغلبا بمرو فعبر جيحون وكبس شحنة التتر ببخارى فهزموه سنة سبع ورجع الى شروان وهم باتباعه ولحقوا آنبانج خان على جرجان فهزموه ونجا الى غياث الدين يترشاه بن خوارزم شاه بالرى فأقام عنده الى أن هلك كما نذكر ان شاء الله تعالى

(خبر ركن الدين غورشاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه)

قد كان تقدم لنا أن السلطان لما قسم ممالكه بين أولاده جعل العراق فى قسمة غورشاه منهم ولما أجفل السلطان الى ناحية الرى لقيه ابنه غورشاه ثم سار من الرى الى كرمان فملكها تسعة أشهر ثم بلغه أن جلال الدين محمد بن آيه القزوينى وكان بهمذان أراد أن يملك العراق واجتمع اليه بعض الامراء وأن مسعود بن صاعد قاضى اصبهان مائل اليه فعاجله ركن الدولة واستولى على اصبهان وهرب القاضى الى الاتابك سعد بن زنكى صاحب فارس فأجاره وبعث ركن الدين العساكر لقتال همذان فتخاذلوا ورجعوا دون قتال ثم مضى الى الرى ووجد بها قوما من الاسماعيلية يحاولون اظهار دعوتهم ثم زحف التتر الى ركن الدولة فحاصروه بقلعة روندوا فقحموها فقاتلوه واستأمن اليهم ابن آيه صاحب همذان فأمنوه ودخلوا همذان فولوا عليها علاء الدين الشريف

الحسينى عوضا من ابن آيه

(خبر غياث الدين يترشاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه)

قد كنا قدمنا أن السلطان خوارزم شاه ولى ابنه غياث الدين يترشاه كرمان وكيش ولم ينفذ اليها أيام أبيه ولما كانت الكبسة على قزوين خلص الى قلعة ماروت من نواحى اصبهان وأقام عند صاحبها ثم رجع الى اصبهان ومر به التتر ذاهبين الى اذربيجان فحاصروه وامتنع عليهم وأقام بها الى آخر سنة عشرين وستمائة فلما جاء أخوه ركن الدين غورشاه من كرمان الى اصبهان لقيه هنالك وحرضه غياث الدين على كرمان فنهض اليها وملكها فلما قتل ركن الدين كما قلناه سار غياث الدين الى العراق وكان ركن الدين لما ولاه أبوه العراق جعل معه الامير بقاطابستى اتابكين فاستبد عليه فشكاه الى أبيه وأذن له فى حبسه فحبسه ركن الدين بقلعة سرجهان فلما قتل ركن الدين كما قلناه أطلقه نائب القلعة أسد الدين حولى فاجتمع عليه الناس وكثير من الامراء واستماله غياث الدين وأصهر اليه بأخته وماطله فى الزفاف يستبرئ ذهاب الوحشة بينهما وكانت اصبهان بعد مقتل ركن الدين غلب عليها ازبك خان واجتمعت عليه العساكر وزحف اليه الامير بقاطابستى فاستنجد ازبك غياث الدين فأنجده بعسكر مع الامير دولة ملك وعاجله بقاطابستى فهزمه بظاهر اصبهان وقتله وملكها ورجع دولة ملك الى غياث الدين فزحف غياث الدين الى اصبهان وأطاعه القاضى والرئيس صدر الدين وبادر بقاطابستى الى طاعته ورضى عنه غياث الدين وزف اليه أخته واستولى غياث الدين على العراق ومازندان وخراسان وأقطع مازندان وأعمالها دولة ملك وبقاطابستى همذان وأعمالها ثم زحف غياث الدين الى اذربيجان وشن الغارة على مراغة وترددت رسل صاحب اذربيجان ازبك بن البهلوان فى المهادنة فهادنه وتزوج بأخته صاحب بقعوان وقويت شوكته وعظم فكان بقاطابستى فى دولته وتحكم فيها ثم حدثته نفسه بالاستبداد وانتقض وقصد اذربيجان وبهاملو كان منتقضان على ازبك بن البهلوان فاجتمعا معه وزحف اليهم غياث الدين فهزمهم ورجعوا مغلوبين الى اذربيجان ويقال ان   الخليفة دس بذلك الى بقاطابستى وأغراه بالخلاف على غياث الدين ثم لحق بغياث الدين آنبانج خان نائب بخارى مفلتا من واقعته مع التتر بجرجان فأكرمه وقدمه ونافسه خال السلطان دولة ملك وأخوه وسعوا اليه فزجرهما عنه فذهبا مغاضبين ووقع دولة ملك فى عساكر التتر بمرو وزنجان فقتل وهرب ابنه بركة خان الى ازبك باذربيجان ثم أوقع عساكر التتر بقاطابستى وهزموه ونجا الى الكرم وخلص الفل الى غياث الدين وعاد التتر الى ما وراء جيحون ثم تذكر   صاحب فارس

بياض بالاصل

بياض بالاصل

سعد الدين بن زنكى وكاتبه أهل اصبهان حين كانوا منهزمين عنه فسار اليه وحاصره فى قلعة اصطخر وملكها ثم سار الى شيراز وملكها عليه عنوة ثم سار الى قلعة حرة فحاصرها حتى استأمنوا وتوفى عليها آباجخان ودفن هنالك بشعب سلمان وبعث عسكرا الى كازرون فملكها عنوة واستباحها ثم سار الى ناحية بغداد وجمع الناس الجموع من اربل وبلاد الجزيرة ثم راسل غياث الدين فى الصلح فصالحه ورجع الى العراق

(أخبار السلطان جلال الدين منكبرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده الى الهند)

قد كان تقدم لنا أن أباه خوارزم شاه لما قسم البلاد بين ولديه جعل فى قسمه غزنة وباميان والغور وبست وهكاباد وما يليها من الهند واستناب عليها ملك وأنزله غزنة فلما انهزم السلطان خوارزم شاه أمام التتر زحف اليه حربوشة والى الغور فملكها من يده وكان من أمره ما قدمناه الى أن استقر بها رضا الملك شرف الدين ولما أجفل جلال الدين من نيسابور الى غزنة واستولى التتر على بلاد خراسان وهرب أمراؤها فلحقوا بجلال الدين فقتل نائب هراة أمين الملك خال السلطان وقد قدمنا محاصرته بسجستان ثم مراجعته طاعة السلطان جلال الدين ولحق به أيضا سيف الدين بقراق الخلجى وأعظم ملك من بلخ ومظفر ملك والحسن فزحف كل منهم فى ثلاثين ألفا ومع جلال الدين من عسكره مثلها فاجتمعوا وكبسوا التتر المملوكة محاصرين قلعة قندهار كما قلناه واستلحموهم ولحق فلهم بجنكزخان فبعث ابنه طولى خان فى العساكر فساروا الى جلال الدين فلقيهم بشروان وهزمهم وقتل طولى خان بن جنكز فى المعركة وذهب التتر منهزمين واختلف عسكر السلطان جلال الدين على الغنائم وتنازع سيف الدين بقراق مع أمين الملك نائب هراة وتحيز الى العراق وأعظم ملك ومظفر ملك وقاتلوا أمين الملك فقتل أخ لبقراق وانصرف مغاضبا الى الهند وتبعه أصحابه ولاطفهم جلال الدين ووعظهم فلم يرجعوا وبلغ خبر الهزيمة الى جنكزخان فسار فى أمم التتر وسار جلال الدين فلقى مقدمة عساكره فلم يفلت من التتر الا القليل ورجع فنزل على نهر السند وبعث بالصريخ الى الامراء المنحرفين عنه وعاجله جنكزخان قبل رجوعه فهزمه بعد القتال والمصابرة ثلاثا وقتل أمين الملك قريب أبيه واعترض المنهزمين نهر السند فغرق أكثرهم وأسر ابن جلال الدين فقتل وهو ابن سبع سنين ولما وقف جلال الدين على النهر والتتر فى اتباعه فقتل أهله وحرمه جميعا واقتحم النهر بفرسه فخاص الى عدوته وتخلص من عسكره ثلثمائة فارس وأربعة آلاف راجل وبعض أمرائه ولقوه بعد ثلاث وتخلص بعض خواصه بمركب مشحون بالاقوات والملابس فسد من حاجتهم وتحصن

أعظم ملك ببعض القلاع وحاصره جنكزخان وملكها عنوة وقتله ومن معه ثم عاد التتر الى غزنة فملكوها واستباحوها وأحرقوها وخربوها واكتسحوا سائر نواحيها وكان ذلك كله سنة تسع عشرة ولما سمع صاحب جبل جردى من بلاد الهند بجلال الدين جمع للقائه وخام جلال الدين وأصحابه عن اللقاء لما نهكتهم الحرب فرجعوا ادراجهم وأدركهم صاحب جلال الدين صورى فقاتلهم وهزموه وملكوا أمرهم وبعث اليهم نائب ملك الهند فلاطفهم وهاداهم والله تعالى ولى التوفيق

(أخبار جلال الدين بالهند)

كان جماعة من أصحاب جلال الدين وأهل عسكره لما عبروا اليهم حصلوا عند قباجة ملك الهند منهم بنت أمين الملك خلصت الى مدينة ارجاء من عمله ومنهم شمس الملك وزير جلال الدين حماة أبيه ومنهم قزل خان بن أمين الملك خلص الى مدينة كلور فقتله عاملها وقتل قباجة شمس الملك الوزير لخبر جلال الدين بأموره وبعث أمين الملك ولحق بجلال الدين جماعة من أمراء أخيه غياث الدين فقوى بهم وحاصر مدينة كلور وافتتحها وافتتح مدينة ترنوخ كذلك فجمع قباجة للقائه وسار اليه جلال الدين فخام عن اللقاء وهرب وترك معسكره فغنمه جلال الدين بما فيه وسار الى لهاوون وفيها ابن قباجة ممتنعا عليه فصالحه على مال يحمله ورحل الى تستشان وبها فخر الدين السلاوى نائب قباجة فتلقاه بالطاعة ثم سار الى اوجا وحاصرها فصالحوه على المال ثم سار الى جانس وهى لشمس الدين اليتمشى من ملوك الهند ومن موالى شهاب الدين الغورى فأطاعه أهلها وأقام بها وزحف اليه ايتش فى ثلاثين ألف فارس ومائة ألف راجل وثلثمائة فيل وزحف جلال الدين فى عساكره وفى مقدمته جرجان بهلوان ازبك واختلفت المقدمتان فلم يمكن اللقاء وبعث ايتش فى الصلح فجنح اليه جلال الدين ثم اجتمع قباجة وايتش وسائر ملوك الهند فخام عن لقائهم ورجع لطلب العراق واستخلف جهان بهلوان الملك على ما ملك من الهند وعبر النهر الى غزنة فولى عليها وعلى الغور الاميروفاملك واسمه الحسن فزلف وسار الى العراق وذلك سنة احدى وعشرين بعد مقدمه لها بسنتين

(أحوال العراق وخراسان فى ايالة غياث الدين)

كان غياث الدين بعد مسير جلال الدين الى الهند اجتمع اليه شراد العساكر بكرمان وسار بهم الى العراق فملك خراسان ومازندان كما تقدم وأقام منهمكا فى لذاته واستبد الامراء بالنواحى فاستولى قائم الدين على نيسابور وتغلب يقزبن ايلجى بهلوان على شروان وغلك ينال خطابها تر ونظام الملك اسفراين ونصرة الدين بن محمد مستبد

بنسا كما مر واستولى تاج الدين عمر بن مسعود التركمانى على أبيورد وغياث الدين مع ذلك منهمك فى لذاته وسارت اليه عساكر التتر فخرج لهم عن العراق الى بلاد الجبل واكتسحوا اسارحهانه واشتط عليه الجند وزادهم فى الاقطاع والاحسان فلم يشبعهم وأظهروا الفساد وعاثوا فى الرعايا وتحكمت أم السلطان غياث الدين فى الدولة لاغفاله أمرها واقتفت طريقة تركان خاتون أم السلطان خوارزم شاه وتلقبت بلقبها خداوندجهان الى أن جاء السلطان جلال الدين فغلب عليه كما قلناه

وصول جلال الدين من الهند الى كرمان
وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين

ولما فارق جلال الدين الهند كما قلناه سنة احدى وعشرين وسار الى المفازة وخاض منها الى كرمان بعد أن لقى بها من المتاعب والمشاق ما لا يعبر عنه وخرج معه أربعة آلاف راكب على الحمير والبقر ووجد بكرمان براق الحاجب نائب أخيه غياث الدين وكان من خبر براق هذا أنه كان حاجبا لكوخان ملك الخطا وسفر عنه الى خوارزم شاه فأقام عنده ثم ظفر خوارزم شاه بالخطا وولاه حجابته ثم صار الى خدمة ابنه غياث الدين ترشه بمكران فأكرمه ولما سار جلال الدين الى الهند ورجع عنه التتر سار غياث الدين لطلب العراق فاستناب براق فى كرمان فلما جاء جلال الدين من الهند اتهمه وهم بالقبض عليه فنهاه عن ذلك وزيره شرف الملك فخر الدين على بن أبى القاسم الجندى خواجا جهان أن يستوحش الناس لذلك ثم سار جلال الدين الى شيراز وأطاعه صاحبها بردالاتابك وأهدى له وكان أتابك فارس سعد بن زنكى قد استوحش من غياث الدين فاصطلحه جلال الدين وأصهر اليه فى ابنته ثم سار الى اصبهان فأطاعه القاضى ركن الدين مسعود ابن صاعد وبلغ خبره الى أخيه غياث الدين وهو بالرى فجمع لحربه وبعث جلال الدين يستعطفه وأهدى له سلب طولى خان بن جنكزخان الذى قتل فى حرب بروان كما مر وفرسه وسيفه ودس الى الامراء الذين معه بالاستمالة فمالوا اليه ووعدوه بالمظاهرة ونمى الخبر الى غياث الدين فقبض على بعضهم ولحق الآخرون بجلال الدين فجاؤا به الى المخيم فمال اليه أصحاب غياث الدين وعساكره واستولى على مخيمه وذخائره وأمه ولحق غياث الدين بقلعة سلوقان وعاتب جلال الدين أمه فى فراره فاستدعته وأصلحت بينهما ووقف غياث الدين موقف الخدمة لاخيه السلطان جلال الدين وجاء المتغلبون بخراسان والعراق وأذعنوا الى الطاعة وكانوا من قبل مستبدين على غياث الدين فاختبر السلطان طاعتهم وعمل فيها على شاكلتها والله أعلم

(استيلاء ابن آبانج على نسا)

كان نصرة الدين بن محمد قد استولى على نسا بعد ابن عمه اختيار الدين كما مر واستناب فى أموره محمد بن أحمد النسائى المنشى صاحب التاريخ المعتمد عليه فى نقل أخبار خوارزم شاه وبنيه فأقام فيها تسع عشرة سنة مستندا على غياث الدين ثم انتقض عليه وقطع الخطبة له فسرح اليه غياث الدين العساكر مع طوطى بن آبانج وأنجده بارسلان وكاتب المتغلبين بمساعدته فراجع نصرة الدين محمد بن حمزة نفسه وبعث نائبه محمد بن أحمد المنشى الى غياث الدين بمال صالحه عليه فبلغه الخبر فى طريقه بوصول جلال الدين واستيلائه على غياث الدين فأقام باصبهان ينتظر صلاح السابلة وزوال الثلج ثم سار الى همذان فوجد السلطان غائبا فى غزو الاتابك بقطابسقى وكان من خبره أنه صهر الى غياث الدين على أخته كما قدمنا فهرب بعد خلعه الى اذربيجان واتفق هو والاتابك سعد وسار اليهما جلال الدين فخالفه

بياض بالاصل

الى همذان وسار الى جلال الدين وكبسه هنالك فأخذه ثم أمنه وعاد الى مخيمه ولقيه وافد نصرة الدين على بلاد نسا وما يتاخمها وبعث الى ابن آبانج بالافراج عن نسا ثم بلغ الخبر بعد يومين بهلاك نصرة الدين واستيلاء ابن آبانج على نسا

(مسير السلطان جلال الدين الى خوزستان ونواحى بغداد)

ولما استولى السلطان جلال الدين على أخيه غياث الدين واستقامت أموره سار الى خوزستان شاتيا وحاصر قاعدتها وبها مظفر الدين وجه السبع مولى الخليفة الناصر وانتهت سراياه فى الجهات الى بادرايا الى البصرة فأوقع بهم تلكين نائب البصرة وجاءت عساكر الناصر مع مولاه جلال الدين قشتمر وخاموا عن اللقاء وأوفد ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود السوى العارض على الخليفة ببغداد دعاتبا وكان فى مقدمته جهان بهلوان فالتقى فى طريقه بجماعة من العرب وعساكر الخليفة فرجع وأوقع بهم ورجعوا الى بغداد وجىء بأسرى منهم الى السلطان فأطلقهم واستعد أهل بغداد للحصار وسار السلطان الى يعقوبا على سبع فراسخ من بغداد ثم الى دقوقا فملكها عنوة وخربها وقاتلت بعوثه عسكر تكريت وترددت الرسل بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل حتى اصطلحوا واضطربت البلاد بسبب ذلك وأفسد العرب السابلة وأقام ضياء الملك ببغداد الى أن ملك السلطان مراغة والله تعالى أعلم

(أولية الوزير شرف الدين)

هذا الوزير هو فخر الدين على بن القاسم خواجة جهان ويلقب شرف الملك أصله من

بياض بالاصل

وكان أول أمره ينوب عن صاحب الديوان بها وكان نجيب الدين

الشهرستانى وزير السلطان وابنه بهاء الملك وزير الجند وفخر الدين هذا يخدمه بها ثم تمكن من منصب الاسعاء وطمح الى مغالبة نجيب الدين على الوزارة وسعى عند السلطان بأنه تناول من جباياتها مائتى ألف دينار فسامحه بها السلطان ولم يعرض له ثم سعى بفخر الدين ثانية فولى وزارة الجند وأقام بها أربع سنين حتى عبر السلطان الى بخارى فكثرت به الشكايات فأمر بالقبض عليه فاختفى ولحق بالطالقان الى أن اتصل بجلال الدين حين كان بغزنة بعد مهلك ابنه فرتبه فى الحجابة الى أن أجاز بحر السند وكان وزيره شهاب الدين الهروى فقتله قباجة ملك الهند كما مر واستوزر جلال الدين مكانه فخر الدين هذا ولقبه شرف الملك ورفع رتبته على الوزراء وموقفه وسائر آدابه وأحواله

(عود التتر الى الرى وهمذان وبلاد الجبل)

وبعد رجوع التتر المغربة من اذربيجان وبلاد قفجاق وسروان كما قدمناه وخراسان يومئذ فوضى ليس بها ولاة الا متغلبون من بعض أهلها بعد الخراب الاول والنهب فعمروها فبعث جنكزخان عسكرا آخر من التتر اليها فنهبوها ثانيا وخربوها وفعلوا فى ساوة وقاشان وقم مثل ذلك ولم يكن التتر أولا أصابوا منها ثم ساروا الى همذان فاجفل أهلها وأوسعوها نهبا وتخريبا وساروا فى اتباع أهلها الى أذربيجان وكبسوهم فى حدودها فاجفلوا وبعضهم قصد تبريز فسار التتر فى اتباعهم وراسلوا صاحبها ازبك ابن البهلوان فى اسلام من عنده فبعث بهم بعد ان قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم وصانعهم بما أرضاهم فرجعوا عن بلاده والله تعالى أعلم

(وقائع اذربيجان قبل مسير جلال الدين اليها)

لما رجع التتر من بلاد قفجاق والروس وكانت طائفة من قفجاق لما افترقوا وفروا أمام التتر ساروا الى دربند شروان واسم ملكه يومئذ رشيد وسألوه المقام فى بلاده وأعطوه الرهن على الطاعة فلم يجبهم ريبة بهم فسألوه الميرة فأذن لهم فيها فكانوا يأتون اليها زرافات وتنصح له بعضهم بأنهم يرومون الغدر به وطلب منه الانجاد بعسكره وسار فى أثرهم فأوقع بهم وهم باخعون بالطاعة فرجع ذلك القفجاقى بالعسكر ثم بلغه انهم رحلوا من مواضعهم فاتبعهم ثانيا بالعساكر حتى أوقع بهم ورجع الى رشيد ومعه جماعة منهم مستأمنين وقد اختفى فيهم كبير من مقدميهم وتلاحق به جماعة منهم فاعتزموا على الوثوب فهرب خائفا ولحق ببلاد شروان واستولت طائفة القفجاق على القلعة وعلى مخاف رشيد فيها من المال والسلاح واستدعوا أصحابهم فلحقوا بهم

واعتزموا

واعتزموا وقصدوا قلعة الكرج فحاصروها وخالفهم رشيد الى القلعة فملكها وقتل من وجد بها منهم فعادوا من حصار تلك المدينة الى دربند وامتنعت عليهم القلعة فرجعوا الى تلك المدينة فاكتسحوا نواحيها وساروا الى كنجة من بلاد اران وفيها مولى لازبك صاحب اذربيجان فراسلوه بطاعة ازبك فلم يجبهم اليها وعدد عليهم فى الغدر ونهب البلاد واعتذروا بأنهم انما غدروا شروان لانه منعهم الجواز الى صاحب اذربيجان وعرضوا عليه الرهن فجاءهم بنفسه ولقوه فى عدد قليل فعدا عن محال التهمة فبعث بطاعتهم الى سلطانه وبعث بذلك الى أزبك وجاء بهم الى كنجة فأفاض فيهم الخلع والاموال وأصهر اليهم وأنزلهم بجبل كيكلون وجمع لهم الكرج فأتواهم الى كنجة ثم سار اليهم أمير من أمراء قفجاق ونال منهم فرجعوا الى جبل كيكلون وسار القفجاق الذين كبسوهم الى بلاد الكرج فاكتسحوها وعادوا فاتبعهم الكرج واستنقذوا الغنائم منهم وقتلوا ونهبوا فرحل القفجاق الى بردعة وبعثوا الى أمير كنجة فى المدد على الكرج فلم يجبهم فطلبوا رهنهم فلم يعطهم فمدوا أيديهم فى المسلمين واسترهنوا أضعاف رهنهم وثار بهم المسلمون من كل جانب فلحقوا بشروان وتخطفهم المسلمون والكرج وغيرهم فأفنوهم وبيع سبيهم وأسراهم بأبخس ثمن وذلك كله سنة تسع عشرة وكانت مدينة قبلة قان من بلاد اران فأخربها التتر كما قدمناه وساروا عنها الى بلاد قفجاق فعاد اليها أهلها وعمروها وسار الكرج فى رمضان من هذه السنة اليها فملكوها وقتلوا أهلها وخربوها واستفحل الكرج ثم كانت بينهم وبين صاحب خلاط غازى بن العادل بن أيوب واقعة هزمهم فيها وأثخن فيهم كما يأتى فى دولة بنى أيوب ثم انتقض على شروان شاه ابنه وملك البلاد من يده فسار الى الكرج واستصرخ بهم وساروا معه فبرز ابنه اليهم فهزمهم وأثخن فيهم فتشاءم الكرج بشروان شاه فطردوه عن بلادهم واستقر ابنه فى الملك واغتبط الناس بولايته وذلك سنة ثنتين وعشرين ثم سار الكرج من تفليس الى اذربيجان وأتوها من الاوعار والمضائق يظنون صعوبتها على المسلمين فسار المسلمون وولجوا المضائق اليهم فركب بعضهم بعضا منهزمين ونال المسلمون منهم أعظم النيل وبينما هم يتجهزون لاخذ الثار من المسلمين وصلهم الخبر بوصول جلال الدين الى مراغة فرجعوا الى مراسلة ازبك صاحب اذربيجان فى الاتفاق على مدافعته وعاجلهم جلال الدين عن ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(استيلاء جلال الدين على اذربيجان وغزو الكرج)

قد تقدم لنا مسير جلال الدين فى نواحى بغداد وما ملك منها وما وقع بينه وبين صاحب

اربل من الموافقة والصلح ولما فرغ من ذلك سار الى اذربيجان سنة ثنتين وعشرين وقصد مراغة أولا فملكها وأقام بها وأخذ فى عمارتها وكان بغان طايش خال أخيه غياث الدين مقيما باذربيجان كامر فجمع عساكره ونهب البلد وسار الى ساحل اران فشتى هنالك ولما عاث جلال الدين فى نواحى بغداد كما قدمناه بعث الخليفة الناصر الى بغان طايس وأغراه بجلال الدين وأمره بقصد همذان وأقطعه اياها وما يفتحه من البلاد فعاجله جلال الدين وصبحه بنواحى همذان على غرة وعاين الجند فسقط فى يده وأرسل زوجته أخت السلطان جلال الدين فاستأمنت له فآمنه وجرد العساكر عنه وعاد الى مراغة وكان ازبك بن البهلوان قد فارق تبريز كرسى ملكه الى كنجة فأرسل جلال الدين الى أهل تبريز يأمرهم بميرة عسكره فأجابوا الى ذلك وترددت عساكره اليها فتجمع الناس وشكا أهل تبريز الى جلال الدين ذلك فأرسل اليهم شحنة يقيم عندهم للنصفة بين الناس وكانت زوجة ازبك بنت السلطان طغرلبك بن ارسلان وقد تقدم ذكرها فى أخبار سلفها مقيمة بتبريز حاكمة فى دولة زوجها ازبك ثم ضجر أهل تبريز من الشحنة فسار جلال الدين اليها وحاصرها خمسا واشتد القتال وعابهم بما كان من اسلام أصحابه الى التتر فاعتذروا بأن الامر فى ذلك لغيرهم والذنب لهم ثم استأمنوا فآمنهم وأمر بنت السلطان طغرل وأبقى لها مدينة طغرل الى خوى كما كانت وجمع ما كان لها من المال والاقطاع وملك تبريز منتصف رجب سنة ثنتين وعشرين وبعث بنت السلطان طغرل الى خوى مع خادميه فليح وهلال وولى على تبريز بيها نظام الدين ابن أخى شمس الدين الطغرائى وكان هو الذى داخله فى فتحها وأفاض العدل فى أهلها وأوصلهم اليها وبالغ فى الاحسان اليهم ثم بلغه اثار الكرج فى اذربيجان واران وأرمينية ودرنبرشروان وما فعلوه بالمسلمين فاعتزم على غزوهم وبلغه اجتماعهم بروين فسار اليهم وعلى مقدمته جهان بهلوان الكجى فلما تراءى الجمعان وكان الكرج على جبل لم يستهلوه فتسنمت اليهم العساكر الاوعار فانهزموا وقتل منهم أربعة آلاف أو يزيدون وأسر بعض ملوكهم واعتصم ملك آخر منهم ببعض قلاعهم فجهز جلال الدين عليها عسكرا لحصارها وبعث عساكره فى البلاد فعاثوا فيها واستباحوها

(فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحه زوجة ازبك)

لما فرغ السلطان من أمر الكرج واستولى على بلادهم وكان قد ترك وزيره شرف الدين بتبريز للنظر فى المصالح وولى عليها نظام الملك الطغرائى فقصد الوزير به وكتب الى السلطان بأنه وعمه شمس الدين داخلوا أهل البلد فى الانتقاض واعادة ازبك لشغل السلطان بالكرج فلما بلغ ذلك الى السلطان أسره حتى فرغ من أمر الكرج وترك

أخاه غياث الدين نائبا على ما ملك منها وأمره بتدويخ بلادهم وتخريبها وعاد الى تبريز فقبض على نظام الملك الطغرائى وأصحابه فقتلهم وصادر شمس الدين على مائة ألف وحبسه بمراغة ففر منها الى ازبك ثم لحق ببغداد وحج سنة خمس وعشرين وبلغ السلطان تحيله فى المطاف ودعاؤه على نفسه ان كان فعل شيأ من ذلك فأعاده الى تبريز ورد عليه أملاكه ثم بعثت اليه زوجة ازبك فى الخطبة وان ازبك حنث فيها بالطلاق فحكم قاضى تبريز عز الدين القزوينى بحلها للنكاح فتزوجها السلطان جلال الدين وسار اليها فدخل فى خوى ومات ازبك لما لحقه من الغم بذلك ثم عاد السلطان الى تبريز فأقام بها مدة ثم بعث العساكر مع ارخان الى كنجة من أعمال نقجوان وكان بها ازبك ففارقها وترك بها جلال الدين القمى نائبا فملكها عليه ارخان واستولى على أعمالها مثل شمكور وبردعة وشمنة وانطلقت أيدى عساكره فى النهب فشكا ازبك الى جلال الدين فكتب الى ارخان بالمنع من ذلك وكان مع ارخان نائب الوزير الى السلطان فعزل ارخان وذهب مغاضبا الى أن قتلته الاسماعيلية وفى آخر رمضان من سنة ثنتين وعشرين توفى الخليفة الناصر لسبع وأربعين سنة من خلافته واستخلف بعده ابنه الظاهر أبو نصر محمد بعهده اليه بذلك كما مر فى أخبار الخلفاء

(استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته اياهم)

كان هؤلاء الكرج اخوة الارمن وقد تقدم نسبة الارمن الى ابراهيم عليه السلام وكان لهم استطالة بعد الدولة السلجوقية وكانوا من أهل دين النصرانية فكان صاحب أرمن الروم يخشاهم ويدين لهم ببعض الشئ حتى ان ملك الكرج كان يخلع عليه فيلبس خلعته وكان شروان صاحب الدربند يخشاهم وكذلك ملكوا مدينة أرجيش من بلاد ارمينية ومدينة قارس وغيرها وحاصروا مدينة خلاط قاعدتها فأسروا مقدمهم ايواى وفادوه بالرحيل عنهم بعد ان اشترطوا عليه متابعته لهم فى قلعة خلاط فبنوها وكذلك هزموا ركن الدولة قليج ارسلان صاحب بلاد الروم لما زحف لاخيه طغرل شاه بارزن الروم استنجدهم طغرل فأنجدوه وهزموا ركن الدين أعظم ما كان ملكا واستفحالا وكانوا يجوسون خلال اذربيجان ويعيثون فى نواحيها وكان ثغر تفليس من أعظم الثغور طرزا على من يجاوره منذ عهد الفرس وملكه الكرج سنة خمس عشرة وخمسمائة أيام محمود بن محمود بن ملك شاه ودولة السلجوقية يومئذ أحفل ما كانت وأوسع ايالة وأعمالا فلم يطق ارتجاعه من أيديهم واستولى ايلدكز بعد ذلك وابنه البهلوان على بلاد الجبل والرى واذربيجان واران وارمينية وخلاط وجاورهم بكرسيه ومع ذلك لم يطلق ارتجاعه منهم فلما جاء السلطان جلال الدين الى اذربيجان

وملكها زحف الى الكرج وهزمهم سنة ثنتين وعشرين وعاد الى تبريز فى مهمه كما قدمناه فلما فرغ من مهمه ذلك وكان قد ترك العساكر ببلاد الكرج مع أخيه غياث الدين ووزيره شرف الدين فأغذ السير اليه غازيا من تبريز وقد جمع الكرج واحتشدوا وأمدهم القفجاق والكزوسار واللقاء فلما التقى الفريقان انهزم الكرج وأخذتهم سيوف المسلمين من كل جانب ولم يبقوا على أحد حتى استلحموهم وافنوهم ثم قصد جلال الدين تفليس فى ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ونزل قريبا منها وركب يوما لاستكشاف أحوالها وترتيب مقاعد القتال عليها وأكمن الكمائن حولها واطلع عليهم فى خف من العسكر فطمعوا فيه وخرجوا فاستطرد لهم حتى تورطوا والتفت عليهم الكمائن فهربوا الى البلد والقوم فى اتباعهم ونادى المسلمون من داخلها بشعار الاسلام وهتفوا باسم جلال الدين فالقى الكرج بأيديهم وملك المسلمون البلد وقتلوا كل من فيها الا من اعتصم بالاسلام واستباحوا البلد وامتلأت أيديهم بالغنائم والاسرى والسبايا وكان ذلك من أعظم الفتوحات هذه سياقة ابن الاثير فى فتح تفليس وقال النسائى الكاتب ان السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر ارس مرض واشتد الثلج ومر بتفليس فبرز أهلها للقتال فهزمهم العساكر وأعجلوهم عن دخولها فملكوها واستباحوها وقتلوا من كان فيها من الكرج والارمن واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة فحملوها وتركوهم

(انتقاض صاحب كرمان ومسير السلطان اليه)

ولما اشتغل السلطان جلال الدين بشأن الكرج وتفليس طمع براق الحاجب فى الانتقاض بكرمان والاستيلاء على البلاد وقد كنا قدمنا خبره وان غياث الدين استخلفه على كرمان عند مسيره الى العراق وان جلال الدين لما رجع من الهند ارتاب به وهم بالقبض عليه ثم تركه وأقره على كرمان فلما انتقض الآن وبلغ خبره الى السلطان وهو معتزم على قصد خلاط فتركها وأغذ السير اليه واستصحب أخاه غياث الدين وعمه بكرمان وترك مخلفه بكيكلون وترك وزيره شرف الدين بتفليس وأمره باكتساح بلاد الكرج وقدم الى صاحب كرمان بالخلع والمقاربة والوعد فارتاب بذلك ولم يطمئن وقصد بعض قلاعه فاعتصم بها ورجع الرسول الى جلال الدين فلما علم أن المكيدة لم تتم عليه أقام باصبهان وبعث اليه وأقره على ولايته وعاد وكان الوزير شرف الدين بتفليس كما قلناه وضاق الحال به من الكرج وأرجف عند الامراء بكيكلون أن الكرج حاصروه بتفليس فسار ارخان منهم فى العساكر الى تفليس ثم وصل البشير من نفجران

برجوع السلطان من العراق فأعطاه الوزير أربعة آلاف دينار ثم افترقت العساكر فى بلاد الكرج وبها ايوانى مقدمهم مع بعض أعيانهم وبعث عسكرا آخر الى مدينة فرس واشتد عليها الحصار ثم جمر العساكر عليها وعاد الى تفليس

(مسير جلال الدين الى حصار خلاط)

كانت خلاط فى ولاية الاشرف بن العادل بن أيوب وكان نائبه بها حسام الدين على الموصلى وكان الوزير شرف الدين حين أقام بتفليس عند مسير جلال الدين الى كرمان ضاقت على عساكره الميرة فبعث عسكرا منهم الى أعمال أرزن الروم فاكتسحوا نواحيها ورجعوا فمروا بخلاط فخرج نائبها حسام الدين واعترضهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وكتب الوزير شرف الدين بذلك الى جلال الدين وهو بكرمان فلما عاد جلال الدين من كرمان وحاصر مدينة انى استقر حسام الدين نائب خلاط للامتناع منه فارتحل هو الى بلاد انخاز ليأتيه على غرة ورحل جلال الدين من انخاز فسار الى خلاط وحاصر مدينة ملازكرد فى ذى القعدة من السنة وانتقل منها الى مدينة خلاط وحاصرها وضيق مخنقها وقاتلها مرارا واشتد أهل البلد فى مدافعته لما يعلمون من سيرة الخوارزمية الاولائية وكانوا متغلبين على الكثير من بسائط ارمينية واذربيجان فبلغه أنهم أفسدوا البلاد وقطعوا السابلة وأخذوا الضريبة من أهل خوى وخربوا سائر النواحى وكتب اليه بذلك نوابه وبنت السلطان طغرل زوجته فلما رحل عن خلاط قصدهم على غرة قبل أن يصعدوا الى حصونهم بجبالهم الشاهقة فأحاطت بهم العساكر واستباحوهم واقتسموهم بين القتل والغنيمة وعاد الى تبريز

(دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها)

ولما عاد السلطان من خلاط وغزو التركمان فرق عساكره للمشتى وكان الامراء أساؤا السيرة الى تفليس وهرب العسكر الذين بها واستلحموا بقيتهم وخربوا البلاد وحرقوها لعجزهم عن حمايتها من جلال الدين وذلك فى ربيع سنة أربع وعشرين وستمائة وعند النسائى الكاتب ان استيلاء الفرنج على تفليس واحراقهم اياها كان والسلطان جلال الدين على خلاط وانه لما بلغه ذلك رجع وأغار على التركمان فى طريقه لما بلغه من افسادهم فنهب أموالهم وساق مواشيهم الى موقان وكان خمسها ثلاثين ألفا ثم سار الى خوى للافاة بنت طغرل ثم سار الى كنجة فبلغه الخبر بانصراف الكرج على تفليس بعد احراقها قال ولما وصل كنجة قدم عليه هناك خاموش بن الاتابك ازبك ابن البهلوان مؤديا منطقة بلخش قدر الكف مصنوعا عليه منقوشا اسم كيكاوس

وجماعة من ملوك الفرس فغير السلطان صناعتها ونقشها على اسمه وكان يلبس تلك المنطقة فى الاعياد وأخذها التتر يوم كبسوه وحملت الى الخان الاعظم ابن جنكزخان بقراقدوم وأقام خاموش فى خدمة السلطان الى أن صرعه الفقر ولحق بعلاء الملك ملك الاسماعيلية فتوفى عنده انتهى كلام النسائى

(أخبار السلطان جلال الدين مع الاسماعيلية)

كان السلطان جلال الدين بعد وصوله من الهند ولى ارخان على نيسابور واعمالها وكان وعده بذلك بالهند فاستخلف عليها وأقام مع السلطان وكان نائبه بها يتعرض لبلاد الاسماعيلية المتاخمة له بهستان وغيرها بالنهب والقتل فأوفدوا على السلطان وهو بخوى وقد أمنهم يشكون من نائب ارخان وأساء عليهم ارخان فى المجاورة ولما عاد السلطان الى كنجة وكان قد أقطعها وأعمالها الارخان فلما خيم بظاهرها وثب ثلاثة من الباطنية ويسمون الفداوية لانهم يقتلون من أمرهم أميرهم بقتله ويأخذون ديتهم منه وقد فرغوا عن أنفسهم فوثبوا به فقتلوه وقتلتهم العامة وكانت الاسماعيلية قد استولوا على الدامغان أيام الفتنة ووصل رسولهم بعد هذه الواقعة الى السلطان وهو بيلقان فطالبهم بالنزول على الدامغان فطلبوا ضمانها بثلاثين ألف دينار وقررت عليهم وكان الرسول الوافد فى خدمة الوزير وهم راجعون الى اذربيجان فاستخفه الطرب ليلة وأحضر له خمسة من الفداوية معه بالعسكر وبلغ خبرهم السلطان فأمر باحراقهم انتهى كلام النسائى وقال ابن الاثير ان السلطان بعد مقتل ارخان سار فى العساكر الى بلاد الاسماعيلية من الموت الى كردكوه فاكتسحها واخربها وانتقم منهم وكانوا بعد واقعته قد طمعوا فى بلاد الاسلام فكف عاديتهم وقطع اطماعهم وعاد فبلغه أن طائفة من التتر بلغوا الدامغان قريبا من الرى فسار اليهم وهزمهم وأثخن فيهم ثم جاء الخبر بأن جموع التتر متلاحقة لحربه فأقام فى انتظارهم فى الرى انتهى

(استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوى)

قد تقدم لنا أن بنت السلطان طغرل زوجة ازبك بن البهلوان لما ملك السلطان جلال الدين تبريز من يدها أقطعها مدينة خوى ثم تزوجها بعد ذلك كما قدمناه وتركها لما هو فيه من أشغال ملكه فوجدت لذلك ما فقدته من العز والتحكم قال النسائى الكاتب وأضاف لها السلطان مدينتى سلماس وارمينية وعين رجلا لقبض أقطاعها فتنكر لها وأغرى بها الوزير فكاتب السلطان بأنها تداخل الاتابك ازبك وتكاتبه ثم وصل الوزير الى خوى فنزل بدارها واستصفى وكانت مقيمة بقلعة طلع فحاصرها

وسألت المضى الى السلطان فأبى الانزولها على حكمه انتهى وكان أهل خوى مع ذلك قد ضجروا من ملكة جلال الدين وجوره وتسلط عساكره فاتفقت الملكة معهم وكاتبوا حسام الدين الحاجب النائب عن الاشرف بخلاط فسار اليهم فى مغيب السلطان جلال الدين بالعراق واستولى على مدينة خوى وأعمالها ومدينة وكاتبه أهل نقجوان وسلموها له وعاد الى خلاط واحتمل الملكة بنت طغرل زوجة جلال الدين الى خلاط الى ان كان مانذكره

(واقعة السلطان مع التتر على اصبهان)

ثم بلغ الخبر الى السلطان بأن التتر زحفوا من بلادهم فيما وراء النهر الى العراق فسار من تبريز للقائهم وجرد أربعة آلاف فارس الى الرى والدامغان طليعة فرجعوا وأخبروه بوصولهم الى اصبهان فنهض للقائهم واستخلف العساكر على الاستمانة وأمر القاضى باصبهان باستنفار العامة وبعث التتر عسكرا الى الرى فبعث السلطان عسكرا لاعتراضهم فأوقعوا بالتتر فنالوا منهم ثم التقى الفريقان فى رمضان سنة خمس وعشرين لرابعة وصولهم الى اصبهان وانتقض عنه أخوه غياث الدين وجهان بهلوان الكجى فى طائفة من العسكر وانهزمت ميسرة التتر والسلطان فى اتباعهم وكانوا قد أكمنوا له فخرجوا من ورائه وثبت واستشهد جماعة من الامراء وأسر آخرون وفيهم علاء الدولة صاحب يزد ثم صدق السلطان عليهم الحملة فأفرجوا له وسار على وجهه وانهزمت العساكر فبلغوا فارس وكرمان ورجعت ميمنة السلطان من قاشان فوجدوه قد انهزم فتفرقوا أشتاتا وفقد السلطان ثمانيا وكان بقا ماى بستى مقيما باصبهان فاعتزم أهل اصبهان على بيعته ثم وصل السلطان فاقصروا عن ذلك وتراجع بعض العسكر وسار السلطان فيهم الى الرى وكان التتر قد حاصروا اصبهان بعد الهزيمة فلما وصل السلطان خرج معه أهل اصبهان فقاتلوا التتر وهزموهم وسار السلطان فى اتباعهم الى الرى وبعث العساكر وراءهم الى خراسان وعند ابن الاثير أن صاحب بلاد فارس وهو ابن الاتابك سعد الذى ملك بعد أبيه حضر مع السلطان فى هذه الواقعة وأن التتر انهزموا أولا فاتبعهم صاحب فارس حتى اذا أبعدوا انفرد عن العسكر ورجع عنهم فوجد جلال الدين قد انهزم لانحراف أخيه غياث الدين وأمرائه عنه ومضى الى شهرم تلك الايام ثم عاد الى اصبهان كما ذكرناه

(الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين)

كان ابتداؤها ان الحسن بن حرميل نائب الغورية بهراة لما قتلته عساكر خوارزم شاه

محمد بن تتش وحاصروا وزيره الممتنع بها حتى اقتحموها عليه عنوة وقتلوه محمد بن الحسن بن خرميل الى بلاد الهند فلما سار السلطان جلال الدين وحظى لديه وأقامه شحنة بأصبهان فلما سار السلطان الى اصبهان للقاء التتر انحرف جماعة من غلمان غياث الدين عنه فصاروا الى نصرة الدين بن خرميل واسترجعهم منه غياث الدين فى بيته وطعنه فأشواه ومات للحال وأحفظ ذلك السلطان وأقام غياث الدين مستوحشا فلما كان يوم اللقاء انحرف عن أخيه ولحق بخوزستان وخاطب الخليفة فبعث اليه بثلاثين ألف دينار وسار من هنالك الى قلعة الموت عند صلاح الدين شيخ الاسماعيلية فلما رجع السلطان من وقعة التتر الى الرى سار الى قلعة الموت وحاصرها فاستأمن علاء الدين الى السلطان لغياث الدين فأمنه وبعث من يأتيه به فامتنع غياث الدين وفارق القلعة واعترضه عساكر السلطان بنواحى همذان وأوقعوا به وأسروا جماعة من أصحابه ونجا الى براق الحاجب بكرمان فتزوج بأمه كرها ونمى اليه أنها تحاول سمه فقتلها وقتل معها جهان بهلوان الكيجى وحبس غياث الدين ببعض القلاع ثم قتله بمحبسه ويقال بل هرب من محبسه ولحق باصبهان وقتل بأمر السلطان قال النسائى وقفت على كتاب براق الحاجب الى الوزير شرف الملك والسلطان بتبريز وهو يعدد سوابقه فعد منها قتله أعدى عدو السلطان والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض البهلوانية)

لما ارتحل السلطان والوزير شرف الملك معه وانتهى الى همذان بلغه أن الامراء البهلوانية اجتمعوا بظاهر تبريز يرومون الانتقاض واتبعه خاموش بن الاتابك ازبك من قلعة قوطور وكان مقيما بها فرجع السلطان اليهم وقدم بين يديه الوزير شرف الملك فلقيهم قريبا من تبريز وهزمهم وقبض على الذين تولوا كبر الفتنة منهم ودخل تبريز لقصبهم وقبض على القاضى المعزول فصادمه قوام الدين الحرادى ابن أخت الطغرائى وصادره وسار السلطان للقاء التتر وأقام الوزير نائبا بالبلاد

(ايقاع نائب خلاط بالوزير)

ولما كان ماذكرناه من مسير حسام الدين نائب خلاط الى اذربيجان واحتماله زوجة السلطان جلال الدين الى خلاط امتعض الوزير لذلك فسار الى موقان من بلاد اران وجمع التركمان وفرق العمال للجباية وطلب الحمل من شروان شاه وهو خمسون ألف دينار فتوقف وأغار على بلاده فلم يظفر بشئ ورجع الى اذربيجان وكانت بنت الاتابك بهلوان فى بقجان فارقها مولانا ايدغمش وجاء الى الوزير فأطمعه فيها وصار الوزير

مضمر الغدر بها وامتنعت عليه ونزل بالمرج فأكرمته وقربته ورحل الى خورس من أعمالها وكانت للاشرف صاحب خلاط من أيام ازبك فانتشرت أيدى العسكر فى تلك الضياع وقاتلها الوزير وجاء الحاجب صاحب خلاط فى عساكره فانهزم الوزير وترك أثقاله وذلك سنة أربع وعشرين وكان مع الحاجب فخر الدين سام صاحب حلب وحسام الدين خضر صاحب تبريز برمو وكان الوزير وتكاليفه فظهر الآن بمخالفه وخلص الوزير الى اران وسار الحاجب على فى اتباعه ثم عاد الى تبريز ومر بخوى فنهبها ثم وسار الى بقجان فملكها ثم الى تدمر كذلك وأقام الوزير بتبريز وكان بها الاتابك ازبك متنسكا فمنعه أهل تبريز من الدخول وحملوا اليه النفقة ثم جاء الخبر برجوع السلطان الى اصبهان بعد الهزيمة كما مر فسار الوزير الى اذربيجان ولقى ثلاثة من الامراء جاؤا مددا له من عند السلطان وأمره بحصار خوى فسار اليها وبها نائب الحاجب حسام الدين صاحب خلاط وهو بدر الدين بن صرهنك والحاجب حسام الدين على منوشهر فنهض اليه الوزير من خوى فتأخر الى تركرى والتقيا هنالك فانهزم الحاجب ودخل تركرى فاعتصم بها وحاصره الوزير وطلب الصلح فلم يسعفه ورجع الامراء الذين كانوا معه بعساكرهم الى اذربيجان وأفرج الوزير عن حصار تركرى ومر بخوى وقد فارقها ابن صرهنك الى قلعة قوطور واستأمن للسلطان من بعد ذلك ودخل الوزير مدينة خوى وصادر أهلها وسار الى ترمذ ونقجوان ففعل فيهما مثل ذلك وانقطعت ايالة الحاجب صاحب خلاط والله أعلم

(فتوحات الوزير باذربيجان واران)

ولما تخلف الوزير عن السلطان صرف همته الى تمهيد البلاد ومدافعة صاحب خلاط وارتجاع البلاد التى ملك من اذربيجان واران وفتح القلاع العاصية فكان بينه وبين الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ماذكرناه وهو خلال ذلك يستميل أصحاب القلاع ويفيض فيهم الاموال والخلع حتى أجاب أكثرهم ثم قبض على ناصر الدين محمد من أمراء البهلوانية وكان معتزلا عند نصرة الدين محمد بن سبكتكين فصادره على مال وتسلم من نائبه قلعة كانت بيده ثم مات نائب السلطان بكنجة اقسنقر الاتابكى فنهض اليها وقبض على نائبه شمس الدين كرشاسف وصادره وتسلم منه قلعة هردوجاربرد من أعمال اران ثم جهز العساكر لحصار قلعة زونين وبها زوجة السلطان خاموش فأطال حصارها وعرضت عليه نكاحها فأبى ولما رجع السلطان من العراق تزوجها وولى خادمه سعد الدين على القلعة فأساء اليها وانتزع أملاكها فأخرجوه وعادوا الى الانتقاض ولما خلص الوزير من واقعته مع الحاجب نائب خلاط قصد أران لجبى الاموال وجمع واحتشد

وقصد قلعة مردانقين وكانت لصهر الوزير ركبة الدين فصانعه بأربعة آلاف دينار حملها اليه ثم سار الى قلعة حاجين وبها جلال الدولة ابن أخت أيوانى أمير الكرج فصالحه على عشرين ألف دينار وسبعمائة أسير من المسلمين ثم كانت فتنة البهلوانية فسكنها وسرح الجند عنها وشرح الخبر عنها ان بعض مماليك اتابك ازبك كان قد أثخن فى قتل الخوارزمية باذربيجان عند زحفهم اليها أيام فرارهم من التتر فلما ملك السلطان جلال الدين اذربيجان ومحا ملك البهلوانية منها لحق الامير مقدى هذا بالاشرف بن العادل بن أيوب صاحب الشأم وأقام عنده فلما بلغه انهزام الوزير شرف الملك أمام الحاجب حسام الدين نائب الاشرف بخلاط فر من الشأم الى اذربيجان ليقيم مع الاتابكية ومر بالحاجب فى خوى فاتبعه وعبر النهر وخاطب من عدوته معتذرا فرجع عنه ودخل مقدى بلاد قبار وفيها قلاع استولى عليها المنتقضون والعصاة فراسلهم فى اقامة الدعوة الاتابكية والبيعة لابن خاموش بن ازبك يستدعونه من قلعة قوطود واتصل ذلك بالوزير فأقلقه ثم جاء خبر هزيمة السلطان بأصبهان فازداد قلقا وسار الامير مقدى الى نصرة الدين محمد بن سبكتكين يدعوه لذلك فلاطفه فى القول وكتب للوزير بالخبر فأجابه بأن يضمن لمقدى ما أحب فى مراجعة الطاعة ففعل وجاء به الى الوزير فأكرمه وخلع عليه وعلى من جاء معه وعاهده على العفو عن دماء الخوارزمية وجاء الخبر برجوع السلطان من اصبهان فارتحل الوزير للقائه ومعه الامير مقدى وابن سبكتكين واكرمهما السلطان

(أخبار الوزير بخراسان)

كان صفى الدين محمد الطغرائى وزيرا بخراسان وأصل خبره انه كان من قرية كلاجرد وأبوه رئيسها وكان هو حسن الخط ورتبة الاطوار ثم لحق بالسلطان فى الهند وخدم الوزير شرف الملك فلما عادوا الى العراق ولاه الطغرائى ولما ملك السلطان تفليس من يد الكرج ولى عليها اقسنقر مملوك الاتابك ازبك وأقام صفى الدين فى وزارتها فلما حاصرها الكرج هرب اقسنقر وأقام صفى الدين فحاصروه أياما ثم أفرجوا ووقع ذلك من السلطان أحسن المواقع وولاه وزارة خراسان فأقام بها سنة وضجر منه أهلها فلما جاء السلطان الى الرى وأقام بها كثرت به الشكايات ونكبه السلطان واستصفى أمواله وقبض على مواليه وحاشيته وقيدت خيله الى مرابط السلطان وكانت ثلثمائة وخلص من مواليه على الكرمانى الى قلعة كان حصنها فامتنع بها واستوزر السلطان مكانه تاج الدين البلخى المستوفى وسلم اليه الصفى ليستصفيه ويقاطع القلعة دون مولاه وشدد فى امتحانه وكان عدوه فلم يظفر منه بشىء وكان لما نكب طالبه خاتون السلطان

باحضار الجواهر وما ساقه لخدمة الوزير وغيره فأحضر أربعة آلاف دينار وسبعين نصاما ياقوت وبلخش واستأثر الخازن بها الظنه أنه مقتول ثم كاتب الصفى أرباب الدولة ووعدهم بالاموال فشفعوا فيه وخلصوه وكتب السلطان بخطه بسراحه فجاء واستخلص ماله من الخازن الا الفصوص فانه تعذر عليه ردها وولى السلطان على وزارة نسا محمد بن مودود النسوى العارض من بيت رياسة بها ورمت به الحادثة الى غزنة فلما جاء السلطان من الهند ولاه الانشاء والحبس وعظم أمره وغص به الوزير شرف الملك فلما ورد أحمد بن محمد المنشى الكاتب رسولا عن نصرة الدين محمد بن حمزة صاحب نسا كما مر ولاه السلطان الانشاء فارتمض لذلك ضياء الدين وطلب وزارة نسا فولاه السلطان اياها وأقطع له عشرة آلاف دينار فى السنة زيادة على أرزاق الوزارة وذهب اليها لاقامة وظيفته واستناب فى ديوان العرض مجد الملك النيسابورى ثم قطع الحمل نعزله السلطان وولى مكانه الكاتب أحمد بن محمد المنشى وتعرض للسعاية فيه فطرده السلطان وهلك فى طرده

(خبر بلبان صاحب خلخال)

كان من أتابكية ازبك ولما كانت فتنة التتر وخلاء خراسان واستيلاء السلطان جلال الدين على اذربيجان لحق بمدينة خلخال فاستولى عليها وعلى قلاعها وشغل عنه السلطان بأمر العراق وصاحب خلاط فلما انصرف المسلمون من واقعة التتر بالعراق حاصروه بقلعة فيروزاباذ حتى استأمن وملكها السلطان وولى عليها حسام الدين بكتاش مولى سعد اتابك فارس ثم خلف السلطان أثقاله بمرقان وتجرد لخلاط وعاقه البرد بارجيش فنهب بعض قلاع وكان عز الدين الخلخالى فى كفرطاب قريبا من أرجيش فلحق بخلاط وجهزه الحاجب الى اذربيجان يشغلهم باثارة الفتنة فيها فلم يتم قصده من ذلك فلحق بجبال زنجان وأقام يخيف السابلة وكتب له السلطان بالامان ونزل الى اصبهان فبعث نائبها شرف الدولة برأسه الى السلطان ثم رجع السلطان من كفرطاب الى خرت برت فنهبها وخربها ووصله خلال ذلك الخبر بوفاة الخليفة الظاهر منتصف ثلاث وعشرين وولاية ابنه المنتصر وجاءه كتابه بأخذ البيعة وأن يبعث اليه بالخلع والله تعالى ولى التوفيق لا رب غيره

(تنكر السلطان للوزير شرف الملك)

لما رجعت العساكر الى موقان وأقام السلطان بخوى شكا اليه أهلها بكثرة مصادرة الوزير لهم واطلع على اساءته للملكة بنت طغرل واستصفائه مالها مع براءتها مما نسب اليها ثم جاء الى تبريز فبلغه عنه أكثر من ذلك وهو بقرية كورتان من اعمالها

فافتقد رئيسها وكان يخدمه فقيل ان الوزير صادره على ألف دينار املوكين له فلما وصل الى تبريز حبس من أخذها حتى ردها على صاحبها وأسقط عن أهل تبريز خراج ثلاث سنين وكتب لهم بذلك وكثرت الشناعات على الوزير بما فعله في مغيب السلطان هذا مع ما كان منه في محاربة الاسماعيلية بأن السلطان كاتبه من بغداد بأن يفتش فلول الشأم من أجل رسول من عند التتر بعثوه الى الشأم وقصد بذلك معاتبة الخليفة ان عثر على الرسول فرّبه قلاع الاسماعيلية فقتلهم واستولى على أموالهم فلما عاد السلطان الى اذربيجان وصله رسول علاء الدين ملك الاسماعيلية يعاتبه على ذلك ويطلب المال فنكر السلطان على الوزير ما فعله ووكل به أميرين حتى رد ما أخذ من أموالهم وكانت ثلاثين ألف دينار وعشرة أفراس فانطوى السلطان للوزير من ذلك كله على سخط وأعرض عن خطابه وكان يكاتب فلا يجاب وعجزت تبريز عن علوفة السلطان فأمر بفتح اهراء الوزير والتصرف فيها ورجع السلطان الى موقان فلم يغير عليه شيأ ووقع له بتناول عشر الخاص فكان يأخذ من عشر العراق سبعين ألف دينار في كل سنة والله أعلم

(وصول القفجاق لخدمة السلطان)

كان للقفجاق على قديم العهد هوى مع قوم هذا السلطان وأهل بيته وكانوا يصهرون اليهم غالبا بناتهم ومن أجل ذلك استأصلهم جنكزخان واشتد في طلبهم فلما عاد السلطان من واقعة اصبهان وقد هاله أمر التتر رأى أن يستظهر عليهم بقبائل قفجاق وكان في جملته سبير جنكش منهم فبعثه اليهم يدعوهم لذلك ويرغبهم فيه فاجابوا وجاءت قبائلهم ارسالا وركب البحر كور كان من ملوكهم في ثلثمائة من قرابته ووصل الى الوزير بموقان فشتى بها ثم جاء السلطان فخلع عليه ورده بوعد جميل في فتح دربند وهو باب الابواب ثم أرسل السلطان لصاحب دربند وكان طفلا وأتابكه يلقب بالاسد يدبر أمره فقدم على السلطان فخلع عليه وأقطع له وملكه العمل على أن يفتح له الدربند وجهز عساكر وأمراء فلما فصلوا من عنده قبضوا على الاسد وشنوا الغارة على نواحي الباب وأعمل الاسد الحيلة وتخلص من أيديهم وتعذر عليهم ما أرادوه

(استيلاء السلطان على أعمال كستاسفى)

كان علم الوزير بشكر أن السلطان أراد أن ينتصح له ببعض مذاهب الخدمة فسار في العساكر وعبر نهر ارس فاستولى على أعمال كستاسفى من يد شروان شاه فلما عاد السلطان الى موقان أقطعها لجلال الدين سلطان شاه بن شروان شاه وكان أسيرا عند الكرج أسلمه أبوه اليهم على أن يزوجوه بنت الملك رسودان بنت تاماد فلما فتح

السلطان بلاد الكرج استخلصه من الاسر وربّاه وبقي عنده وأقطعه الآن كستاسفى وكان أيضا عند الكرج ابن صاحب ارزن الروم وكان تنصر فزوجوه رسودان بنت تاماد فأخرجه السلطان لما فتح بلاد الكرج ثم رجع الى ردته ولحق بالكرج فوجد رسودان قد تزوجت

(قدوم شروان شاه)

كان السلطان ملك شاه بن الب ارسلان لما ملك اران أطلق الغارة على بلاد شروان فوفد عليه ملكها افريدون بن فرتبريز وضمن حمل مائة ألف دينار في السنة فلما ملك السلطان جلال الدين اران سنة ثنتين وعشرين وستمائة طلب شروان شاه افريدون بالحمل فاعتل بتغلب الكرج وضعف البلاد فأسقط عنه نصف الحمل فلما عاد الآن قدم عليه شروان شاه وأهدى له خمسمائة فرس وللوزير خمسين فاستقلها وأشار على السلطان بحبسه فلم يقبل اشارته ورده بالخلع والتشريف وأسقط عنه من الحمل عشرين ألفا وبقي ثلاثون قال النسائي الكاتب وأعطاني في التوقيع ألف دينار والله تعالى أعلم

(مسير السلطان الى بلاد الكرج وحصاره قلاع بهرام)

لما كان السلطان مقيما بموقان منصرفه من اذربيجان بعث عساكره مع ايلك خان فأغار على بلاد الكرج واكتسحها ومر ببحيرة بتاج فكبسه الكرج وأوقعوا به وفقد اريطاني وامتعض السلطان لما وقع بعسكره وارتحل لوقته وقد جمع له الكرج فهزمت مقدمته مقدمتهم وجيء بالاسرى منهم فقتلهم وسار في اتباعهم ونازل كوري وطالبهم باطلاق أسرى البحيرة فأطلقوهم وأخبر أن اريطاني خاص تلك اللبلة الى اذربيجان ثم وجده السلطان في نقجوان ثم سار الى بهران الكرجي وقد كان أغار على نواحي كنجة فعاث في أعماله وحاصر قلعة سكان ففتحها عنوة وكذلك قلعة عليا ثم حاصر قلعة كالو وبعث الوزير لحصار كوزاني فحاصرها ثلاثة أشهر حتى طلبوا الصلح على مال حملوه فرحل عنهم الى خلاط والله أعلم

(مسير السلطان الى خلاط وحصارها)

ولما فرغ السلطان من شأن الكرج قدم أثقاله الى خلاط على طريق قاقروان وسار هو الى نقجوان وصبح الكرج واستاق مواشيهم ثم أقام اياما وقضى أشغال أهل خراسان والعراق ليفرغ لحصار خلاط قال النسائي الكاتب وحصل لي منهم تلك الايام ألف دينار ثم ارتحل الى خلاط ولحق بعساكره ولقيه رسول من عز الدين ايبك نائب الاشرف بخلاط وقد كان الاشرف بعثه وأمره بالقبض على نائبها حسام

الدين على ابن حماد فقبض عليه ثم قتله غيلة و بعث الى السلطان يستخدم اليه بذلك وان سلطانه الاشرف أمره بطاعة السلطان جلال الدين وبالغ فى الملاطفة فأبى السلطان الا امضاء ما عزم عليه وقال ان كان هذا حقا فابعث الى بالحاجب فلما سمع هذا الجواب قتله وسار السلطان الى خلاط ونزل عليها بعد عيد الفطر من سنة ست وعشرين وجاءه ركن جهان بن طغرل صاحب ارزن الروم فكان معه وحاصرها ونصب عليها المجانيق وأخذ بخنقها حتى فر أهلها عنها من الجوع وتفرقوا فى البلاد ثم داخله بعض أهلها فى أن يمكنهم من بقيتها على أن يؤمنوه و يقطعوه فى اذربيجان فأقطعه السلطان سلماس وعدة ضياع هنالك وأصعد الرجال ليلا الى الاسوار فقاتلوا الجند بالمدينة وهزموهم وملكوها وأسروا من كان بها وأسروا النصارى وأسد بن عبد الله وتحصن النائب عز الدين ايبك بالقلعة فامنه وحبسه بقلعة درقان فلما وقعت المراسلة فى الصلح قتل لئلا يشترط وقال ابن الاثير ان مولى من موالى حسام الدين كان هرب الى السلطان فلما ملك خلاط طلب أن يثأر منه بمولاه فدفعه اليه وقتله ونهب البلد ثلاثا وسرح السلطان صاحب ارزن وهرب القمهرى من محبسه فقتل أسد بن عبد الله المهرانى بجزيرته وأقطع السلطان خلاط للامراء وعاد والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة السلطان جلال الدين مع الاشرف وكيقباد وانهزامه أمامهما)

ولما استولى السلطان جلال الدين على خلاط تجهز الاشرف من دمشق وقد كان ملكها وسار لقتال السلطان جلال الدين فى عساكر الجزيرة والشأم وذلك فى سنة تسع وعشرين ولقيه علاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم على سيراس وكان كيقباد قد خشى من اتصال جهان شاه ابن عمه طغرل صاحب ارزن الروم بالسلطان جلال الدين لما بينهما من العداوة فسار الاشرف وكيقباد من سراس وفى مقدمة الاشرف عز الدين عمر بن على من أمراء حلب من الاكراد الهكارية وله صيت فى الشجاعة وجاء السلطان علاء الدين للقائهم فلما تراءى الجمعان حمل عز الدين صاحب المقدمة عليهم فهزمهم وعاد السلطان الى خلاط وكان الوزير على ملازكرد يحاصرها فلحق به وارتحلوا جميعا الى اذربيجان وأسر ركن الدين جهان شاه بن طغرل وجىء به الى ابن عمه علاء الدين كيقباد فجاء به الى ارزن فسلمها وسائر أعمالها ووصل الاشرف الى خلاط فوجدها خاوية ولما رجع السلطان الى اذربيجان ترك العساكر مع الوزير سكمان وأقام بخوى وخلص الترك فى الهزيمة الى موقان وتردد شمس الدين التكريتى رسول الاشرف بينه وبين السلطان جلال الدين فى الصلح بينهم ودخل فيه علاء الدين

صاحب الروم وانعقد بينهم جميعا وسلم لهم السلطان سرمن رأى مع خلاط والله تعالى أعلم

(الحوادث أيام حصار خلاط)

منها وفادة نصر الدين اصبهبد صاحب الجبل مع ارخا من امراء السلطان بصهره على أخيه فقبض السلطان عليه الى أن عاد من بلاد الروم منهزما فأقطعه وأعاده الى بلاده *ومنها رسالة أخت السلطان وكانت عند دوشى خان أخذها من العيال الذين جاؤا معه وتركان خاتون من خوارزم وأولدها وكانت تكاتب أخاها بالاخبار فبعثت اليه الآن فى الصلح مع خاقان والمصاهرة وأن يسلم له فيما وراء جيحون فلم يجبها *ومنها وفادة ركن الدين شاه ابن طغرل صاحب ارزن الروم وكان فى طاعة الاشرف ومظاهرا للحاجب نائب خلاط على عداوة السلطان منافرة لابن عمه علاء الدين كيقباد ابن كيخسرو صاحب الروم وكان قتل رسول السلطان منقلبا من الروم ومنع الميرة عن العسكر فلما طال حصار السلطان بخلاط استأمن وقدم عليه السلطان فاحتفل لقدومه واركب الوزير للقائه ثم خلع عليه ورده الى بلاده واستدعى منه آلات الحصار فبعث بها ثم حضر بعد ذلك واقعة الاشرف مع السلطان كما مر *ومنها وصول سعد الدين الحاجب برسالة الخليفة الى السلطان بالخطبة فى أعمالها وان لا يتعرض لمظفر الدين كوكبرون صاحب اربل ولا للمولد صاحب الموصل ولا لشهاب الدين سليمان شاه ملك ولا لعماد الدين بهلوان بن هرارست ملك الجبال ويعدهم فى أولياء الديوان فامتثل مراسله وبعث نائب العراق شرف الدين على بأن ملك العراق لا يتم الا بطاعة ملك الجبال عماد الدين بهلوان وملك سليمان شاه فبعث اليهما السلطان من لاطفهما حتى كانت طاعتهما اختيارا منهما وبعث السلطان الحاجب بدر الدين طوطو بن اينانج خان فأحسن فى تأدية رسالته وجاء بهدية حافلة من عند الخليفة خلعتان للسلطان احداهما جبة وعمامة وسيف هندى مرصع الحلية والاخرى قنع وكمة وفرجية وسيف محلى بالذهب وقلادة مرصعة ثمينة وفرسان رائعان بعدتين كاملتين ونعال لكل واحدة من أربعمائة دينار وترس ذهب مرصع بالجوهر وفيه احد وأربعون فصا من الياقوت وبندخستانى فى وسطه فيروزجة كبيرة وثلاثون فرسا عربية مجللة بالاطلس الرومى المبطن بالاطلس البغدادى بمقاود الحرير ونعال الذهب لكل واحدة منها ستون دينارا وعشرون مملوكا بالعدة والمركوب وعشرة فهود بجلال الاطلس وقلائد الذهب وعشرة صقور بالاكمام المكللة ومائة وخمسون بقجة فى كل واحدة عشرة ثياب وخمس أكر من العنبر مضلعة بالذهب

بياض بالاصل

وشجرة من العود الهندى طولها خمسة أذرع وأربع عشرة خلعة نسوانية للخانات من خوالص الذهب وكنائس لخيل تفليسية وللامراء ثلثمائة خلعة لكل أمير خلعة قباء وكمة وللوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيف هندى واكرتان من العنبر وخمسون ثوبا وبغلة ولاصحاب الديوان عشرون خلعة فى كل خلعة جبة وعمامة وعشرون ثوبا أكثرها اطلس رومى وبغدادى وعشرون بغلة شهباء ورفعت للسلطان خباء فدخلها ولبس الخلعتين وشفع الرسول فى أهل خلاط فاعتذر له السلطان * ومنها وصول هدية من صاحب الروم ثلاثون بغلا مجللة بثياب الاطلس الخطائى وفرو القندمى والسمور وثلاثون مملوكا بالخيل والعدة ومائة فرس وخمسون بغلا ولما مروا باذربيجان اعترضهم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب ارزن وكان فى طاعة الاشرف فأمسك الهدية عنده الى أن وفد على السلطان بطاعته فأحضرها * ومنها اسار وزير المورخاء الى الجبل المطل على قزوين لحصاد الحشيش على عادته وكان السلطان قد تغير على علاء الدين صاحبهم بسبب أخيه غياث الدين ولحاقه بهم فى الموت فسار مقطع ساوة الى ذلك الجبل وأكمن لهم وأسر الوزير وبعث به الى السلطان وهو يحاصر خلاط فحبسه بقلعة رزمان وهلك لاشهر قلائل ثم بعث السلطان كاتبه محمد بن أحمد النسائى الى علاء الدين صاحب قلعة الموت بطلب الخوارج وطلب الخطبة فامتنع منها أولا واحتج عليه بأن أباه جلال الدين الحسن خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد السلطان فأنكروا التزم أن يبعث الى الديوان مائة ألف فى كل سنة

(وصول جهان بهلوان ازبك من الهند)

كان السلطان لما فصل من الهند يقصد العراق واستخلف على البلاد التى ملكها هنالك جهان بهلوان ازبك فأقام هنالك الى أن قصده عسكر شمس الدين ايتماش صاحب لهاوور ففارق مكانه وسار الى بلاد قشمير فزاحموه وطردوه عن البلاد فقصد العراق وتخلف عنه أصحابه وعادوا الى ايتماش وفيهم الحسن برلق الملقب وفاملك وكاتب جهان عليها ملك العراق بوصوله فى سبعمائة فارس فأجاب الحسن رأى السلطان فيه وبعث اليه بعشرة آلاف دينار للنفقة ووصل توقيع السلطان بأن تحمل اليه عشرون ألفا وأن يشتى بالعراق يستريح بها من التعب فصادف عود السلطان من بلاد الروم وزحف السلطان الى اذربيجان فحال قدر الله بينه وبين مرامه وقتل هنالك سنة ثمان وعشرين

(وصول التتر الى اذربيجان)

كان التتر عندما ملكوا ما وراء النهر وزحفوا الى خراسان فضعضعوا ملك بنى

خوارزم شاه وانتهوا الى قاصية البلاد وخربوا ما مروا عليه واكتسحوا ونهبوا وقتلوا ثم استقر ملكهم بما وراء النهر وعمروا تلك البلاد واختطوا بقرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خالية واستبد بالمدن فيها أمراء شبه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين لما جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان واران وما وراء ذلك وبقيت خراسان مجالات لغارات التتر وحروبهم ثم سارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين لما جاء من الهند المواقعة على اصبهان كما مر ثم كان بين جلال الدين وبين الاشرف صاحب الشأم وعلاء الدين كيقباد صاحب الروم المواقعة سنة سبع وعشرين كما مر وأوهنت من جلال الدين وحلت عرى ملكه وكان علاء الدين مقدم الاسماعيلية فى قلعة الموت فعادى جلال الدين لما أثخن فى بلاده وقرر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم بالهزيمة الكائنة عليه وانها أوهنته ويحثهم على قصده فساروا الى أذربيجان أول سنة ثمان وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فبعث بوغر من أمرائه طليعة لاستكشاف خبرهم فلقى مقدمتهم فانهزم ولم ينج من أصحابه غيره وجاء بالخبر فرحل من تبريز الى موقان وخلف عياله بتبريز لنظر الوزير وأعجله الحال عن أن يبعثهم الى بعض الحصون ثم ورد كتاب من حدود زنجان بأن المقدمة التى لقيها بوغر باهرا قاموا بمرج الخان وانهم سبعمائة فارس فظن السلطان أنهم لا يجاوزونها فسرى عنه ورحل الى موقان فأقام بها وبعث فى احتشاد العساكر الاميرين بغان شحنة خراسان وأوسمان بهلوان شحنة مازندان وشغل بالصيد وبينما هو كذلك كبسه التتر بمكانه ونهبوا معسكره وخاص الى نهر اوس ثم ورى بقصد كنجة وعطف الى اذربيجان فتمسك برلماهان وكان عز الدين صاحب قلعة شاهن غاضبا منذ سنين لاغارة الوزير على بلده فلما نزل السلطان ماهان كان يخدمه بالميرة وباخبار التتر ثم أنذره آخر الشتاء بمسير التتر اليه من ارجان وأشار عليه بالعود الى اران لكثرة ما فيها من العساكر وأجناد التركمان متحصنين بها فلما فارقها وكان الوزير فوق بيوت السلطان وخزائنه فى قلاع حسام الدين منهم ارسلان كبير أمراء التركمان باران وكان قد عمر هنالك قلعة سنك سراخ من أحصن القلاع فأنزل عياله بها وكان مستوحشا من السلطان فجاهر بالعصيان وكانت وحشته من السلطان لامور منها تبذير أمواله فى العطاء والنفقة ومنها أنه ظن أن السلطان مجفل الى الهند فكاتب الاشرف صاحب الشأم وكيقباد صاحب الروم فوعدهم من نفسه الطاعة وهما عدوا السلطان ومنها أنه كاتب قليج ارسلان التركمانى فأمره بحفظ حرم السلطان وخزائنه

ولايسلمها اليه وبعث فى الكتاب له والكاس قبله ليغزو الروم فلما مر السلطان بقلعته بعث اليه يستدعيه فوصل رجل كفنه فى يده فلاطفه السلطان وكيده فطنها مخالصة فاطمأن والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء التتر على تبريز وكنجة)

ولما اجفل السلطان بعد الكبسة من موقان الى اران بلغ الخبر الى أهل تبريز فثاروا بالخوارزمية وأرادوا قتلهم ووافقهم بهاء الدين محمد بن بشير فاربك الوزير بعد الطغريانى وكان الطغريانى رئيس البلد كما مر فمنعهم من ذلك وعدوا على واحد من الخوارزمية وقتلوه فقتل به اثنين من العامة واجتهد فى تحصين تبريز وحراستها وشحنها بالرجال ولم تنقطع كتبه عن السلطان ثم هلك فسلمها العوام الى التتر ثم ثار أهل كنجة وسلموا بلدهم للتتر وكذا أهل بيلقان والله أعلم

(نكبة الوزير ومقتله)

لما وصل السلطان الى قلعة جاربرد بلغه استيحاش الوزير وخشى أن يفر الى بعض الجهات فركب الى القلعة موريا بالنظر فى أحوالها والوزير معه وأسر الى والى القلعة أن يمسك الوزير ويقيده هنالك ففعل ونزل السلطان فجمع مماليك الوزير وكبيرهم الناصر قشتمر وضمهم الى أوترخان ثم نمى الى والى القلعة أن السلطان مستبدل منه فاستوحش وبعث بخاتم الوزير الى قشتمر كبير المماليك يقول نحن وصاحبكم متوازرون فمن أحب خدمته فليأت القلعة فسقط فى يد السلطان وكان ابن الوالى فى جملته وحاشيته فأمره السلطان أن يكاتب أباه ويعاتبه ففعل وأجابه بالتنصل من ذلك فقال له السلطان فليبعث الى برأس الوزير فبعث به وكان الوزير مكرما للعلماء والادباء مواصلا لهم كثير الحشمة والبكاء متواضعا منبسطا فى العطاء حتى استغرق أموال الديوان لولا أن السلطان جذب من عنانه وكان فصيحا فى لغة الترك وكانت علامته على التواقيع السلطانية الحمد لله العظيم وعلى التواقيع الديوانية يعتمد ذلك وعلى تواقيعه الى بلاده أبو المكارم على ابن ابى القاسم خالصة أمير المؤمنين

(ارتجاع السلطان كنجة)

لما ثار أهل كنجة بالخوارزمية كان القائم بأمرهم رجل منهم اسمه بندار وبعث السلطان اليهم رسوله يدعوهم الى الطاعة فوصلوا قريبا منه وأقاموا وخرج اليهم الرئيس جمال الدين القمى بأولاده وامتنع الباقون ثم وصل السلطان وردد اليهم فلم تغن وبرزوا بعض الايام للقتال ورموا على خيمته فركب وحمل عليهم فانهزموا

وازدحموا فى الباب فمنعهم الزحام من اغلاقه فاقتحم السلطان المدينة وقبض على ثلاثين من أهل الفتنة فقتلهم وجىء ببندار وكان بالغا فى الفساد وكسر سرير الملك الذى نصبه بها محمد بن ملكشاه فمثل به وفصل أعضاءه بين يديه وأقام السلطان بكنجة نحوا من شهر ثم سار الى خلاط مستمدا للاشرف فارتحل الاشرف الى مصر وعلل بالمواعيد ووصل السلطان فى وجهته الى قلعة شمس وبها الأمير ابن ايوانى الكرجى فخرج وقبل الارض على البعد ثم بعث الى السلطان ما أمرى وبعث السلطان الى جيرانه من الملوك مثل صاحب حلب وآمد وماردين يستنجدهم بعد يأسه من الاشرف وجرد عسكرا الى خرتبرت وملطية واذربيجان فأغاروا فى تلك النواحى واستاقوا نعمها لما بين ملكها كيقباد وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميعهم من ذلك وقعدوا عن نصرته والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة التتر على السلطان بآمد ومهلكه)

كان السلطان بلغه وهو بخلاط أن التتر ساروا اليه فبعث السلطان الامير أوترخان فى أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبر أن التتر رجعوا من حدود ملازكرد وكان الامراء أشاروا على السلطان الانتقال

بياض بالأصل

بديار بكر ويجعرون الى اصبهان ثم جاءه رسول صاحب آمد وزين له قصد بلاد الروم وأطمعه فى الاستيلاء عليها ليتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر وأنه يمده بنفسه فى أربعة آلاف فارس وكان صاحب آمد يروم الانتقام من صاحب الروم بما ملك من قلاعه فجنح السلطان الى كلامه وعدل عن اصبهان الى آمد فنزل بها وبعث اليه التركمان بالنذير وانهم رأوا نيران التتر بالمنزل الذى كانوا به أمس فاتهم خبرهم وصبحه التتر على آمد وأحاطوا بخيمته قبل أن يركب فحمل عليهم اوترخان حتى كشفهم عن الحركات وركب السلطان وركض وأسلم زوجته بنت الاتابك سعد الى أمير ين يحملانها الى حيث تنتهى الجفلة ثم رد اوترخان والعساكر عنه ليتوارى بانفراده عن عين العدو وسار اوترخان فى أربعة آلاف فارس فخلص الى اصبهان واستولى عليها الى أن ملكها التتر عليه سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان مستخفيا الى باشورة آمد والناس يظنون أن عسكره غدروا به فوقفوا يردونهم فذهب الى حدود الدربندات وقد ملئت المضايق بالمفسدين فأشار عليه أوترخان بالرجوع فرجع وانتهى الى قرية من قرى ميافارقين فنزل فى بيدرها وفارقه أوترخان الى شهاب الدين غازى صاحب حلب لمكاتبات كانت بينهما فحبسه ثم طلبه الكامل فبعث به اليه محبوسا ثم سقط من سطح فمات وهجم التتر على السلطان بالبيدر فهرب وقتل الذين كانوا معه وأخبر التتر أنه

السلطان فاتبعوه وأدركه اثنان منهم فقتلهما ويئس منه الباقون فرجعوا عنه وصعد جبل الاكراد فوجدهم مترصدين فى الطرق للنهب فسلبوه وهموا بقتله وأسر الى بعضهم أنه السلطان فمضى به الى بيته ليخلصه الى بعض النواحى ودخل البيت فى غيبته بعض سفلتهم وبيده حربة وهو يطلب الثأر من الخوارزمية بأخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه البيت وكانت الوقعة منتصف شوال سنة ثمان وعشرين هذه سياقة الخبر من كتاب النسائى كاتب السلطان جلال الدين وأما ابن الاثير فذكر الواقعة وانه فقد فيها وبقوا أياما فى انتظار خبره ولم يذكر قتله وانتهى به التأليف ولم يزد على ذلك قال النسائى وكان السلطان جلال الدين أسمر قصيرا تركيا شجاعا حليما وقورا لا يضحك الا تبسما ولا يكثر الكلام مؤثرا للعدل الا أنه مغلوب من أجل الفتنة وكان يكتب للخليفة والوحشة قائمة بينهما كما كان أبوه يكتب خادمه المطواع فلان فلما بعث اليه بالخلع عن خلاط كامر كتب اليه عبده فلان والخطاب بعد ذلك سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رب العالمين قدوة المشارق والمغارب المنيف على الذروة العليا ابن لؤى بن غالب ويكتب لملوك الروم ومصر والشأم السلطان فلان بن فلان ليس معها أخوه ولا محبه وعلامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وعلامته لصاحب الموصل بأحسن خط وشق القلم شقين ليغلظ ولما وصل من الهند كاتبه الخليفة الجناب الرفيع الخاقانى فطلب الخطاب بالسلطان فأجيب بأنه لم تجر به عادة مع أكابر الملوك فألح فى ذلك حين حملت له الخلع فخوطب بالجناب العالى الشاهنشاهى ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعة فى سواد آمد وأرزن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخربوها وملكوا مدينة اسعرد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومروا بماردين فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكتسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور ثم ساروا الى تدليس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوا أباكرى وارجيس وجاءت طائفة أخرى من اذربيجان الى أعمال اربل ومروا فى طريقهم بالتركمان الامواسية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج مظفر الدين صاحب اربل بعد ان استمد صاحب الموصل فلم يدركهم وعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وافترق عسكر جلال الدين منكبرس وساروا الى كيقباد ملك الروم فأثبتهم فى ديوانه واستخدمهم ثم هلك سنة أربع وثلاثين وولى ابنه غياث الدين كيخسرو فارتاب بهم وقبض على كبيرهم وفر الباقون واكتسحوا ما مروا به وأقاموا مستبدين بأطراف البلاد ثم استمالهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وكان نائبا لابيه بالبلاد الشرقية حران وكيفا وآمد واستأذن أباه

فى استخدامهم فأذن له كما يأتى فى أخباره والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وفضله

جلال الدين منكبرس بن علاء الدين محمد بن تكش بن ارسلان بن أحسن بن محمد بن انوشتكين خوارزمشاه

- غياث الدين تيرشاه
- مغرقخان بن ملكشاه
- سلطان شاه محمود

{ الخبر عن دولة بنى تتش بن الب ارسلان ببلاد الشأم دمشق وحلب وأعمالهما وكيف تناوبوا فيها القيام بالدعوة العباسية والدعوة العلوية الى حين انقراض أمرهم }

قد تقدم لنا استيلاء السلجوقية على الشأم لاول دولتهم وكيف سار أتسز بن أتق الخوارزمى من أمراء السلطان ملكشاه الى فلسطين ففتح الرملة وبيت المقدس وأقام فيهما الدعوة العباسية ومحا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق وذلك سنة ثلاث وستين

وأربعمائة ثم أقام يردد الحصار على دمشق حتى ملكها سنة ثمان وستين وسار الى مصر سنة تسع وستين وحاصرها وعاد عنها وولى السلطان ملك شاه بعد أبيه الب ارسلان سنة خمس وستين فأقطع أخاه تتش بلاد الشام وما يفتحه من تلك النواحى سنة سبعين وأربعمائة فسار الى حلب وحاصرها وكان أمير الجيوش بدر الجمالى قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها أتسز فبعث بالصريخ الى تاج الدولة تتش فسار لنصرته وأجفلت عساكر مصر وخرج أتسز لتلقيه فتعلل عليه بيطئه عن تلقيه وقتله واستولى على دمشق وقد تقدم ذلك كله ثم استولى سليمان بن قطلمش على انطاكية وقتل مسلم بن قريش وسار الى حلب فملكها وسمع بذلك تتش فسار اليها واقتتلا سنة تسع وسبعين وقتل سليمان بن قطلمش فى الحرب وسار السلطان ملك شاه الى حلب فملكها وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر جد نور الدين العادل ثم جاء السلطان الى بغداد سنة أربع وثمانين وسار اليه أخوه تاج الدين تتش من دمشق وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها وحضروا معه صنيع المولد النبوى ببغداد فلما ودعوه العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان بأن يسيرا بعسكرهما مع تاج الدولة تتش لفتح البلاد بساحل الشأم وفتح مصر من يد المستنصر العلوى ومحوا الدولة العلوية منها فساروا لذلك وملك تتش حمص من يد ابن ملاعب وغزة عنوة وأماسية من يد خادم العلوى بالامان وحاصر طرابلس وبها جلال الدين بن عمار فداخل قسيم الدولة اقسنقر وصانعه بالمال فى أن يشفع له عند تتش فلم يشفعه فرحل مغاضبا وأجفلوا الى جبلة وانتقض أمرهم وهلك السلطان ملك شاه سنة خمس وثمانين ببغداد وقد كان سار الى بغداد وسار تتش أخوه من دمشق للقائه وبلغه فى طريقه خبر وفاته وتنازع ولده محمود وبركيارق الملك فاعتزم على طلب الامر لنفسه ورجع الى دمشق فجمع العساكر وقسم العطاء وسار الى حلب فأعطاه اقسنقر الطاعة لصغر أولاد ملك شاه والتنازع الذى بينهم وحمل صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها وحران على طاعته وساروا جميعا فى محرم سنة ست وثمانين فحاصروا الرحبة وملكوها وخطب فيها تتش لنفسه ثم ملك نصيبين عنوة واستباحها وأقطعها لمحمد بن مسلم بن قريش ثم سار الى الموصل وبها ابراهيم بن قريش بن بدران وبعث اليه فى الخطبة على منابره فامتنع وبرز للقائه فى ثلاثين ألفا وكان تتش فى عشرة آلاف والتقوا بالمضيع من نواحى الموصل فانهزم ابراهيم وقتل واستبيحت أحياء العرب وقتل أمراؤهم وأرسل الى بغداد فى طلب الخطبة فلم يسعف الا بالوعد ثم سار الى ديار بكر فملكها فى ربيع الآخر وسار منها الى اذربيجان وكان بركيارق بن ملك شاه قد استولى على الرى وهمذان وكثير من بلاد الجبل فسار فى العساكر لمدافعته فلما تقاربا نزع

اقسنقر وبوزان الى بركيارق وعاد تتش منهزما الى الشام وجمع العساكر واستوعب فى الحشد وسار الى اقسنقر فى حلب فبرز اليه ومعه بوزان صاحب الرها وكربوقا الذى ملك الموصل فيما بعد ولقيهم تتش على ستة فراسخ من حلب فانهزموا وجىء باقسنقر أسيرا فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب فحاصرها تتش وملكها وأخذهما أسيرين وبعث الى حران والرها فى الطاعة فامتنعوا فقتل بوزان وملكهما وحبس كربوقا بحمص ثم سار الى الجزيرة فملكها جميعا ثم الى ديار بكر وخلاط ثم اذربيجان ثم همذان وبعث الى بغداد فى الخطبة وكان بركيارق يومئذ بنصيبين فعبر دجلة الى اربل ثم منها الى بلد سرحاب بن بدر وسار الامير يعقوب بن ارتق من عسكر تتش فكبسه وهزمه ونجا الى اصبهان فكان من خبره ما تقدم وبعث تتش يوسف بن اتق التركمانى شحنة الى بغداد فمنع منها فعاث فى نواحيها ثم بلغه مهلك تتش فعاد الى حلب وهذه الاخبار كلها قد تقدمت فى أول دولة السلجوقية وانما ذكرناها هنا توطئة لدولة بنى تتش بدمشق وحلب والله أعلم

(مقتل تتش)

ولما انهزم بركيارق أمام عمه تتش لحق باصبهان وبها محمود وأهل دولته فأدخلوه وتشاوروا فى قتله ثم أبقوه الى ابلال محمود من مرضه فقدر هلاك محمود وبايعوا لبركيارق فبادر الى اصبهان وقدم أميرا آخر بين يديه لاعداد الزاد والعلوفة وسار هو الى اصبهان ورجع تتش الى الرى وأرسل الى الامراء باصبهان يدعوهم ويرغبهم فأجابوه باستبراء أمر بركيارق ثم ابل بركيارق من مرضه وسار فى العساكر الى الرى فانهزم تتش وانهزم عسكره وثبت هو فقتله بعض أصحاب اقسنقر بثار صاحبه واستقام الامر لبركيارق والله تعالى أعلم

(استيلاء رضوان بن تتش على حلب)

كان تتش لما انفصل من حلب استخلف عليها أبا القاسم الحسن بن على الخوارزمى وأمكنه من القلعة ثم أوصى أصحابه قبل المصاف بطاعة ابنه رضوان وكتب اليه بالمسير الى بغداد ونزول دار السلطنة فسار لذلك وسار معه أبو الغازى بن ارتق وكان أبوه تتش تركه عنده وسار معه و   معه محمد بن صالح بن مرداس وغيرهما وبلغه مقتل أبيه عند هيت فعاد الى حلب ومعه الاميران الصغيران أبو طالب وبهرام وأمه وزوجها جناح الدولة الحسن بن افتكين لحق بهم من المعركة فلما انتهوا الى حلب امتنع أبو القاسم بالقلعة ومعه جماعة من المغاربة وهم أكثر جندها فاستمالهم جناح

بياض فى الاصل

الدولة فثار وا بالقلعة من الليل ونادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم فبعث اليه رضوان بالامان وخطب له على منابر حلب وأعمالها وأقام تدبير دولته جناح الدولة وأحسن السيرة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن ايه التركماني صاحب انطاكية ثم أطاع وأشار على رضوان بقصد ديار بكر وسار معه لذلك وجاءهم أمراء الاطراف الذين كان تتش رأسهم فيها وقصدوا سروج فسبقهم اليها سلمان بن ارتق وملكها فساروا الى الرها وبها الفارقليط من الروم كان يضمن البلاد من بوزان فتحصن بالقلعة ودافعهم ثم غلبوه عليها وملكها رضوان وطلبها منه باغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان فأقطعها له ثم سار الى حران وأميرها قراجا فدس اليهم بعض أهلها بالطاعة واتهم قراجا بذلك ابن المعنى من أعيانها كان تتش يعتمد عليه في حفظ البلد فقتله وقتل بني أخيه ثم فسد ما بين جناح الدولة وباغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بحلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان الى بلده انطاكية وسار معه أبو القاسم الخوارزمي ودخل رضوان الى حلب دار ملكه وكان من أهل دولته يوسف ابن اتق الخوارزمي الذي بعثه تتش الى بغداد شحنة وكان من الفتيان بحلب وكان قنوعا وكان يعادي يوسف بن اتق فجاء الى جناح الدولة القائم بأمر رضوان ورمى يوسف بن اتق عنده بأنه يكاتب باغيسيان ويداخله في الثورة واستأذنه في قتله فأذن له وأمده بجماعة من الجند وكبس يوسف في داره فقتله ونهب فيها واستطال على الدولة وطمع في الاستبداد على رضوان ودس لجناح الدولة أن رضوان أمره بقتله فهرب الى حمص وكانت اقطاعا له واستبد على رضوان ثم تنكر له رضوان سنة تسع وثمانين وأمر بالقبض عليه فاختفى ونهبت دوره وأمواله ودوابه ثم قبض عليه فامتحن وقتل هو وأولاده

(استيلاء دقاق بن تتش على دمشق)

كان تتش قد بعث ابنه دقاقا الى أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فأقام هنالك الى أن توفي ملك شاه فسار معه ابنه محمود وأمه خاتون الجلالية الى اصبهان ثم ذهب عنهم سرا الى بركيارق ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها ولما قتل تتش أبوه سار به مولاه تكين الى حلب فأقام عند أخيه رضوان وكان بقلعة دمشق ساوتكين الخادم من موالي تتش ولاه عليها قبل موته فبعث الى دقاق يستدعيه للملك فسار اليه وبعث رضوان في طلبه فلم يدركه ووصل دمشق وكتب اليه باغيسيان صاحب انطاكية يشير عليه بالاستبداد بدمشق على أخيه رضوان ووصل معتمد الدولة

طغتكين

طغتكين مع جماعة من خواص تتش وكان قد حضر المعركة وأسر فخلص الآن من الاسار وجاء الى دمشق فلقيه دقاق ومال اليه وحكمه في أمره وداخله في مثل ساوتكين الخادم فقتلوه ووفد عليهم باغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم الخوارزمي فأكرمهما واستوزر الخوارزمي وحكمه في دولته

(الفتنة بين دقاق وأخيه رضوان)

ثم سار رضوان الى دمشق سنة تسعين وأربعمائة قاصدا انتزاعها من يد دقاق فامتنعت عليه فعاد الى مالس وقصد الورس فامتنعت عليه فعاد الى حلب وفارقه باغيسيان صاحب انطاكية الى أخيه دقاق وحض على المسير الى أخيه بحلب فسار لذلك واستنجد رضوان سكمان من سروج في أمم من التركمان ثم كان اللقاء بقنسرين فانهزمت عساكر دقاق ونهب سوادهم وعاد رضوان الى حلب ثم سعي بينهما في الصلح على أن يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانعقد ذلك بينهما ثم لحق جناح الدولة بحمص عندما عظمت فيه سعاية المحر كما ذكرناه وكان باغيسيان منافراله فلما فصل من حلب جاء باغيسيان الى رضوان وصالحه ثم بعث الى رضوان المستعلي خليفة العلويين بمصر يعده بالامداد على أخيه على أن يخطب له على منابره وزين له بعض أصحابه صحة مذهبهم فخطب له في جميع أعماله سوى انطاكية والمعرة وقلعة حلب ثم وفد عليه بعد شهرين من هذه الخطبة سكمان بن ارتق صاحب سروج وباغيسيان صاحب انطاكية فلم يقم بها غير ثلاث حتى وصل الفرنج فحاصروه وغلبوه على انطاكية وقتلوه كما مر في خبره

(استيلاء دقاق على الرحبة)

كانت الرحبة بيد كربوقا صاحب الموصل فلما قتل كما مر في خبره استولى عليها قايماز من موالي السلطان الب ارسلان فسار دقاق بن تتش ملك دمشق وأتابكه طغركين اليها سنة خمس وتسعين وحاصروها فامتنعت عليهم فعادوا عنها وتوفي قايماز صاحبها في صفر سنة ست وتسعين وقام بأمرها حسن من موالي الاتراك فطمع في الاستبداد وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين واستخدم جماعة من الجند وطرد آخرين وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج اليه وأقطعه بالشام اقطاعات كثيرة وملك الرحبة وأحسن الى أهلها وولى عليهم ورجع الى دمشق والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق لا رب غيره

(وفاة دقاق وولاية أخيه تلتاش ثم خلعه)

ثم توفي دقاق صاحب دمشق سنة سبع وتسعين واستقل أتابكه طغركين بالملك وخطب لنفسه سنة ثم قطع خطبته وخطب لتلتاش أخي دقاق صبيا مراهقا وخوفته أمه من طغركين بزواجه أم دقاق وأنه يميل الى ابن دقاق من أجل جدته فاستوحش وفارق دمشق الى بعلبك في صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه ايتكين الحلبي صاحب بصرى وكان ممن حسن له ذلك فعاثا في نواحي خوارزم ولحق به أهل الفساد وراسلا هدويل ملك الفرنج فأجابهما بالوعد ولم يوف لهما فسارا الى الرحبة واستولى عليها تلتاش وقيل ان تلتاش لما استوحش منه طغركين من دخول البلد مضى الى حصون له وأقام بها ونصب طغركين الطفل ابن دقاق وخطب له واستبد عليه وأحسن الى الناس واستقام أمره والله تعالى ولي التوفيق وهو نعم الرفيق

(الحرب بين طغركين والفرنج أشهرا)

كان قص من قامصة الفرنج على مرحلتين من دمشق فلج بالغارات على دمشق فجمع طغركين العساكر وسار اليه وجاء معرون ملك القدس يحكامن الفرنج بانجاد القمص فأظهر العينة   عليه وعاد الى عكا وقاتل طغركين القمص فهزمه وأحجزه بحصنه ثم حاصره حتى ملك الحصن عنوة وقتل أهله وأسر جماعته وعاد الى دمشق ظافرا غانما ثم سار الى حصن رمسة من حصون الشأم وقد ملكه الفرنج وبه ابن أخت صنجيل المقيم على طرابلس يحاصرها فحاصر طغركين حصن رمسة حتى ملكه وقتل أهله من الفرنج وخربه والله أعلم

بياض بالأصل

(مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصيبين)

ثم ان رضوان صاحب حلب اعتزم على غزو الفرنج واستدعى الامراء من النواحي لذلك فجاءه أبو الغازي بن ارتق الذي كان شحنة بغداد وأصبهان وصباوو وألبي بن ارسلان ماش صاحب سنجر وهو صهر جكرمس صاحب الموصل وأشار أبو الغازي بالمسير الى بلاد جكرمس للاستكثار بعسكرها وأموالها ووافقه البي وساروا الى نصيبين في رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة فحاصروها وفيها أميران من قبل جكرمس واشتد الحصار وجرح البي بن ارسلان بسهم أصابه فعاد الى سنجر وأجفل أهل السواد الى الموصل وعسكر جكرمس بظاهرها معتزما على الحرب ثم كاتب أعيان العسكر وحثهم على رضوان وأمر أصحابه بنصيبين باظهار طاعته وطلب الصلح معه وبعث الى رضوان بذلك والامداد بما يشاؤه على أن يقبض على أبي الغازي فمال الى ذلك واستدعى أبا الغازي فخبره أن المصلحة في صلح جكرمس ليستعينوا به في غزو

الفرنج

الفرنج وجمع شمل المسلمين فجاوبه أبو الغازي بالمنع من ذلك ثم قبض عليه وقيده فانتقض التركمان ولجؤا الى سور المدينة وقاتلوا رضوان وبعث رضوان بأبي الغازي الى نصيبين فخرجت منها العساكر لامداده فافترق منها التركمان ونهبوا ما قدروا عليه ورحل رضوان من وقته الى حلب وانتهى الخبر الى جكرمس بتل أعفر وهو قاصد حرب القوم فرحل عند ذلك الى سنجار وبعث اليه رضوان في الوفاء بما وعده من النجدة فلم يف له ونازل صهره البي بن ارسلان بسنجر وهو جريح من السهم الذي أصابه على نصيبين فخرج اليه البي محمولا واعتذر اليه فأعتبه وأعاده الى بلده فمات وامتنع أصحابه بسنجار رمضان وشوالا ثم خرج اليه   عم البي وصالح جكرمس وعاد الى الموصل والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه

بياض بالأصل

(استيلاء الفرنج على افامية)

كان خلف بن ملاعب الكلابي في حمص وملكها منه تاج الدولة تتش فسار الى مصر وأقام بها ثم بعث صاحب افامية من جهة رضوان بن تتش بطاعته الى صاحب مصر العلوي فبعث اليها ابن ملاعب وملكها وخلع طاعة العلوية وأقام يخيف السبيل كما كان في حمص فلما ملك الافرنج سرمين لحق به قاضيها وكان على مذهب الرافضة فكتب الى ابن الطاهر الصائغ من أكابر الغلاة ومن أصحاب رضوان وداخلهم في الفتك بابن ملاعب ونمى الخبر اليه من أولاده فحلف له القاضي بما اطمأن اليه وتحيل مع ابن الصائغ في جند من قبلهم يستأمنون الى ابن ملاعب ويعطونه خيلهم وسلاحهم ويقيمون للجهاد معه ففعلوا وأنزلهم بربض افامية ثم بيته القاضي ليلا بمن معه من أهل سرمين ورفع أولئك الجند من الربض بالحبال وقتلوا ابن ملاعب في بيته وقتلوا معه ابنه وفر الآخر الى أبي الحسن بن منقذ صاحب شيرز وجاء الصائغ من حلب الى القاضي فطرده واستبد بافامية وكان بعض أولاد ابن ملاعب عند طغركين وولاه حماية بعض الحصون فعظم ضرره فطلبه طغركين فهرب الى الافرنج وأغراهم بافامية ودلهم على عورتها وعدم الاقوات فيها فحاصروها أشهرا وملكوها عنوة وقتلوا القاضي والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وقد ذكرنا قبل أن الصائغ قتله ابن بديع وتتش صاحب حلب مهلك رضوان فالله أعلم أيهما الصحيح ثم ملك صاحب انطاكية من الافرنج حصن الامارة بعد حصار طويل فملكه عنوة واستلحم أهله وفعل في ذرتيه مثل ذلك ورحل أهل منبج وبالس وتركوهما خاويين وملكوا حيدا بالامان وطلب الفرنج من أهل الحصون الاسلامية الجزية فأعطوهم ذلك على ضريبة فرضوها عليهم فكان على رضوان في حلب وأعمالها ثلاثون ألف دينار وعلى صور سبعة آلاف وعلى ابن منقذ في شيرز

أربعة آلاف وعلى حماة ألف دينار وذلك سنة خمس وخمسمائة

(استيلاء طغركين على بصرى)

قد تقدم لنا سنة سبع وتسعين حال تلتاش بن تتش والخطبة له بعد أخيه دقاق وخروجه من دمشق واستنجاده الفرنج وان الذى تولى كبر ذلك كله اسكين الحلى صاحب بصرى فسار طغركين سنة المائة الخامسة الى بصرى وحاصرها حتى أذعنوا وضربوا له أجلا للفرنج فعاد الى دمشق حتى انقضى الاجل فأتوه طاعتهم وملك البلد وأحسن اليهم والله تعالى ولى التوفيق لا رب غيره

(غزو طغركين وهزيمته)

ثم سار طغركين سنة اثنتين وخمسمائة الى طبرية ووصل اليها ابن أخت بقدوين ملك القدس من الفرنج فاقتتلوا فانهزم المسلمون أولا فنزل طغركين ونادى بالمسلمين فكروا وانهزم الفرنج وأسر ابن أخت بقدوين وعرض طغركين عليه الاسلام فامتنع فقتله بيده وبعث بالاسرى الى بغداد ثم انعقد الصلح بين طغركين وبقدوين بعد أربع سنين وسار بعدها طغركين الى حصن عزة فى شعبان من السنة وكان بيد مولى القاضى فخر الملك بن على بن عمار صاحب طرابلس فعصى عليه وحاصره الافرنج وانقطعت عنه الميرة فأرسل الى طغركين صاحب دمشق أن يمكنه من الحصن فأرسل اليه اسرائيل من أصحابه فملك الحصن وقتل صاحبه مولى بن عمار غيلة ليستأثر بمخلفه فانتظر طغركين دخول الشتاء وسار الى الحصن لينظر فى أمره وكان اسردانى من الافرنج يحاصر طرابلس فلما سمع بوصول طغركين حصن الاكمة أغذ السير اليه فهزمه وغنم سواده ولحق طغركين بحمص ونازل أسردانى عزة فاستأمنوا اليه وملكها وقبض على اسرائيل فادى به أسيرا كان لهم بدمشق منذ سبع سنين ووصل طغركين الى دمشق ثم قصد ملك الافرنج رمسة من أعمال دمشق فملكها وشحنها بالاقوات والحامية فقصدها طغركين بعد أن نمى اليه الخبر بضعف الحامية الذين بها فكبسها عنوة وأسر الافرنج الذين بها والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض طغركين على السلطان محمد)

كان السلطان محمد بن ملك شاه قد أمر مودود بن بوشكين صاحب الموصل بالمسير لغزو الافرنج لان ملك القدس تابع الغارات على دمشق سنة ست وخمسمائة واستصرخ طغركين بمودود لجمع العساكر وسار سنة تسع ولقيه طغركين بسلمية وقصدوا القدس وانتهوا الى الاقحوانة على الاردن وجاء بقدوين فنزل قبالتهما على النهر ومعه جوسكين

صاحب جيشه واقتتلوا منتصف محرم سنة عشر على بحيرة طبرية فانهزم الافرنج وقتل منهم كثير وغرق كثير فى بحيرة طبرية ونهر الاردن ولقيتهم عساكر طرابلس وانطاكية فاشتدوا وأقاموا بجبل قرب طبرية وحاصرهم المسلمون فيه ثم يئسوا من الظفر به فساحوا فى بلادهم واكتسحوها وخربوها ونزلوا مرج الصفر وأذن مودود للعساكر فى العود والراحة ليتهيؤا للغزو سلخ الشتاء ودخل دمشق آخر ربيع من سنة

بياض بالاصل

ليقيم عند طغركين تلك المدة وصلى معه أول جمعة ووثب عليه باطنى بعد الصلاة فطعنه ومات آخر يومه واتهم طغركين بقتله وولى السلطان مكانه على الموصل اقسنقر البرسقى فقبض على اياز بن أبى الغازى وأبيه صاحب حصن كيفا فسار بنو أرتق الى البرسقى وهزموه وتخلص اياز من أسره فلحق أبو الغازى أبوه بطغركين صاحب دمشق وأقام عنده وكان مستوحشا من السلطان محمد لاتهامه بقتل مودود فبعث الى صاحب انطاكية من الفرنج وتحالفوا على المظاهرة وقصد أبو الغازى ديار بكر فظفر به قيرجان ابن قراجا صاحب حمص وأسره وجاء طغركين لاستنقاذه فحلف قيرجان ليقتلنه ان لم يرجع طغركين الى بلاده وانتظر وصول العساكر من بغداد تحمله فأبطأت فأجاب طغركين الى اطلاقه ثم بعث السلطان محمد العساكر لجهاد الافرنج والبداءة بقتال طغركين وأبى الغازى فساروا فى رمضان سنة ثمان وخمسمائة ومقدمهم برسق ابن برسق صاحب همذان وانتهوا الى حلب وبعثوا الى متوليها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها شمس الخواص يأمرونهما بالنزول عنها وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فدافعا بالوعد واستحثا طغركين وأبا الغازى فى الوصول فوصلا فى العساكر وامتنعت حلب على العساكر وأظهروا العصيان فسار برسق الى حماة وهى لطغركين فملكها عنوة ونهبها ثلاثا وسلمها الامير قيرجان صاحب حمص وكان جميع ما يفتحه من البلاد له بأمر السلطان فانتقض الامراء من ذلك وكسلوا عن الغزو وسار أبو الغازى وطغركين وشمس الخواص الى انطاكية يستنجدون صاحبها دجيل من الافرنج ثم تواعدوا الى انصرام الشتاء ورجع أبو الغازى الى ماردين وطغركين الى دمشق ثم كان فى اثر ذلك هزيمة المسلمين واستشهد برسق وأخوه زنكى وقد تقدم خبر هذه الهزيمة فى أخبار البرسقى ثم قدم السلطان محمد بغداد فوفد عليه اتابك طغركين صاحب دمشق فى ذى القعدة من سنة تسع مستعينا فأعانه وأعاده الى بلده والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب وولاية ابنه الب ارسلان)

ثم توفى رضوان بن تتش صاحب حلب سنة تسع وخمسمائة وقد كان قتل أخويه

أباطالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية فى أموره ويداخلهم ولماتوفى بايع مولاه لؤلؤ الخادم لابنه البارسلان صبيا مغتلما وكانت فى لسانه حبسة فكان يلقب الاخرس وكان لؤلؤ مستبدا عليه ولاول ملكه قتل أخويه وكل ملك شاه منهما شقيقه وكانت الباطنية كثيرا فى حلب فى أيام رضوان حتى خافهم ابن بديع وأعيانها فلماتوفى أذن لهم البارسلان فى الايقاع بهم فقبضوا على مقدمهم ابن طاهر الصابغ وجماعة من أصحابهم فقتلوهم وافترق الباقون

{ مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبى الغازى ثم }
{ مقتل البارسلان وولاية أخيه السلطان شاه }

كان لؤلؤ الخادم قد استولى على قلعة حلب وولى أتابكية البارسلان ابن مولاه رضوان ثم تنكر له فقتله لؤلؤ ونصب فى الملك أخاه سلطان شاه واستبد عليه فلما كان سنة احدى عشرة سار الى قلعة جعفر للاجتماع بصاحبها سالم بن مالك فغدر به مماليكه الاتراك وقتلوه عند خرتبرت وأخذوا خزائنه واعترضهم أهل حلب فاستعادوا منهم ما أخذوه وولى أتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص بارقياس وعزل لشهر وولى بعده أبو المعالى بن الملحى الدمشقى ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا أبا الغازى بن أرتق وحكموه على أنفسهم ولم يجد فيها ما لا فصادر جماعة الخدم وصانع بمالهم الافرنج حتى صار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين مرتاش وانقرض ملك رضوان بن تتش من حلب والله سبحانه وتعالى أعلم

(هزيمة طغركين أمام الافرنج)

كان ملك الافرنج بقدوين صاحب القدس قد توفى فى سنة ثنتى عشرة وقام بملكهم بعده القمص صاحب الرها الذى كان أسره جكرمس وأطلقه جاولى كما تقدم فى أخبارهم وبعث الى طغركين فى المهادنة وكان قد سار من دمشق لغزوهم فأبى من اجابته وسار الى طبرية فنهبها واجتمع بقواد المصريين فى عسقلان وقد أمرهم صاحبهم بالرجوع الى رأى طغركين ثم عاد الى دمشق وقصد الافرنج حصنا من أعماله فاستأمن اليهم أهله وملكوه ثم قصدوا أذرعات فبعث طغركين ابنه بورى لمدافعتهم فتنحوا عن أذرعات الى جبل هنالك وحاصرهم بورى وجاء اليه أبوه طغركين فراسلوه ليفرج عنهم فأبى طمعا فى أخذهم فاستماتوا وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم ونالوا منهم ورجع الفل الى دمشق وسار طغركين الى أبى الغازى بحلب يستنجده فوعده بالنجدة وسار الى

ماردين للحشد ورجع طغركين الى دمشق كذلك وتواعدوا للجبال وسبق الافرنج الى حلب وكان بينه وبين أبى الغازى ما نذكره فى موضعه من دولة بنى ارتق والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق لا رب غيره

(منازلة الافرنج دمشق)

ثم اجتمع الافرنج سنة عشرين وخمسمائة ملوكهم وقمامصتهم وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر وبعث أتابك طغركين بالصريخ الى تركمان بديار بكر وغيرها وخيم قبالة الافرنج واستخلف ابنه بورى على دمشق ثم ناجزهم الحرب آخر السنة فاشتد القتال وصرع طغركين عن فرسه فانهزم المسلمون وركب طغركين واتبعهم ومضت خيالة الافرنج فى اتباعهم وبقى رجالة التركمان فى المعركة فلما خلص اليهم رجالة الافرنج اجتمعوا واستماتوا وحملوا على رجالة الافرنج فقتلوهم ونهبوا معسكرهم وعادوا غانمين ظافرين الى دمشق ورجعت خيالة الافرنج من اتباعهم منهزمين فوجدوا معسكرهم منهوبا ورجالتهم قتلى وكان ذلك من الصنع الغريب

(وفاة طغركين وولاية ابنه بورى)

ثم توفى أتابك طغركين صاحب دمشق فى صفر سنة ثنتين وعشرين وكان من موالى تاج الدولة تتش وكان حسن السيرة مؤثرا للعدل محبا فى الجهاد ولقبه ظهير الدين ولما توفى ملك بعده ابنه تاج الدولة بورى أكبر أولاده بعهده اليه بذلك واقر وزير أبيه ابى على طاهر بن سعد المزدغانى على وزارته وكان المزدغانى يرى رأى الرافضية الاسماعيلية وكان بهرام ابن أخى ابراهيم الاستراباذى لما قتل عمه ابراهيم ببغداد على هذا المذهب لحق بالشأم وملك قلعة بانياس ثم سار الى دمشق وأقام بها خليفة يدعو الى مذهبه ثم فارقها وملك القرموس وغيره من حصون الجبال وقابل البصرية والدرزة بوادى التيم من أعمال بعلبك سنة ثنتين وعشرين وغلبهم الضحاك وقتل بهرام وكان المزدغانى قد أقام له خليفة بدمشق يسمى أبا الوفاء فكثر اتباعه وتحكم فى البلد وجاء الخبر الى بورى بأن وزيره المزدغانى والاسماعيلية قد راسلوا الافرنج بأن يملكوهم دمشق فجاء اليها وقتل المزدغانى ونادى بقتل الاسماعيلية وبلغ الخبر الى الافرنج فاجتمع صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وسائر ملوك الافرنج وساروا لحصار دمشق واستصرخ تاج الملك بالعرب والتركمان وجاء الافرنج فى ذى الحجة من السنة وبثوا سراياهم للنهب والاغارة ومضت منها سرية الى خوارزم فبعث تاج الدولة بورى سرية من المسلمين مع شمس الخواص من أمرائه لمدافعتهم فلقوهم وظفروا بهم واستلحموهم

وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا منهزمين وأحرقوا مخلفه واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون والله تعالى ولى التوفيق

(أسر تاج الملك لدبيس بن صدقة وتمكين عماد الدين زنكى منه)

كان بصرخد من أرض الشأم أميرا عليها فتوفى فى سنة خمس وعشرين وخلف سريته واستولت على القلعة وعلمت أنه لا يتم لها استيلاؤها الا بتزويج رجل من أهل العصابة فوصف لها دبيس فكتبت اليه تستدعيه وهو على البصرة منابذ السلطان عندما رجع من عند سنجر فاتخذ الادلاء وسار الى صرخد فضل به الدليل بنواحى دمشق ونزل على قوم من بنى كلاب شرقى الغوطة فحملوه الى تاج الملك فحبسه وبعث به الى عماد الدين زنكى يستدعيه ويتهدده على منعه وأطلق سونج بن تاج الملوك والامراء الذين كانوا مأسورين معه فبعث تاج الملك بدبيس اليه وأشفق على نفسه فلما وصل الى زنكى خالف ظنه وأحسن اليه وسد خلته وبسط أمله وبعث فيه المسترشد أيضا يطلبه وجاء فيه الانبارى وسمع فى طريقه باحسان زنكى اليه فرجع ثم أرسل المسترشد يشفع فيه فأطلق

(وفاة تاج الملوك بورى صاحب دمشق وولاية ابنه شمس الملوك اسمعيل)

كان تاج الملوك بورى قد ثار به جماعة من الباطنية سنة خمس وعشرين وطعنوه فأصابته جراحة واندملت ثم انتقضت عليه فى رجب من سنة ست وعشرين لاربع سنين ونصف من امارته وولى بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل بعهده اليه بذلك وكان عهد بمدينة بعلبك وأعمالها لابنه الآخر شمس الدولة وقام بتدبير أمره الحاجب يوسف ابن فيروز شحنة دمشق وأحسن الى الرعية وبسط العدل فيهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء شمس الملوك على الحصون)

ولما تولى شمس الملوك اسمعيل وسار أخوه محمد الى بعلبك خرج اليها وحاصر أخاه محمدا بها وملك البلد واعتصم محمد بالحصن وسأل الابقاء فأبقى عليه ورجع الى دمشق ثم سار الى باشاش وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح وأخذوا جماعة من تجار دمشق فى بيروت فسار اليها طاويا وجه مذهبه حتى وصلها فى صفر سنة سبع وعشرين وقاتلها ونقب أسوارها وملكها عنوة ومثل بالافرنج الذين بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطمع هو فى حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستأمنوا اليه وملكها واستولى على ما فيها ثم سار الى قلعة شيزر وبها صاحبها من بنى منقذ فحاصرها وصانعه

صاحبها

صاحبها بمال حمله اليه فأفرج عنه وسار الى دمشق فى ذى القعدة من السنة ثم سار فى محرم سنة ثمان وعشرين الى حصن شقيق فى الجبل المطل على بيروت وصيدا وبه الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم قد تغلب عليه وامتنع به وتحاماه المسلمون والافرنج يحتمى من كل طائفة بالاخرى فسار اليه وملكه من وقته وعظم ذلك على الافرنج فساروا الى حوران وعاثوا فى نواحيها فاحتشد هو واستنجد بالتركمان وسار حتى نزل قبالتهم وجهز العسكر هنالك وخرج فى البر وأناخ على طبرية وعكا فاكتسح نواحيها وامتلأت أيدى عسكره بالغنائم والسبى وانتهى الخبر الى الافرنج بمكانهم من بلاد حوران فأجفلوا الى بلادهم وعاد هو الى دمشق وراسله الافرنج فى تجديد الهدنة فهادنهم

(مقتل شمس الملوك وولاية أخيه شهاب الدين محمود)

كان شمس الملوك سيئ السيرة كثير الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحد لاهله وأصحابه حتى انه وثب عليه بعض مماليك جده سنة سبع وعشرين وعلاه بالسيف ليقتله فأخذ وضرب فأقر على جماعة داخلوه فقتلهم وقتل معهم أخاه سونج فتنكر الناس له وأشيع عنه بأنه كاتب عماد الدين زنكى ليملكه دمشق واستحثه فى الوصول لئلا يسلم البلد الى الافرنج فسار زنكى فصدق الناس الاشاعة وانتقض أصحاب أبيه لذلك وشكوا الى أمه فأشفقت ثم تقدمت الى غلمانه بقتله فقتلوه فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وقيل انه اتهم أمه بالحاجب يوسف بن فيروز فاعتزم على قتلها فهرب يوسف وقتلته أمه ولما قتل ولى أخوه شهاب الدين محمود من بعده ووصل أتابك زنكى بعد مقتله فحاصر دمشق من ميدان الحصار وجدوا فى مدافعته والامتناع عليه وقام فى ذلك معين الدين أنز مملوك جده طغراكين مقاما محمودا وجلا فى المدافعة والحصار ثم وصل رسول المسترشد أبو بكر بن بشر الجزرى الى أتابك زنكى يأمره بمسالمة صاحب دمشق الملك البارسلان شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة

(استيلاء شهاب الدين محمود على حمص)

كانت حمص لقيرجان بن قراجا ولولده من بعده والموالى بها من قبلهما وطالبهم عماد الدين زنكى فى تسليمها وضايقهم فى نواحيها فراسلوا شهاب الدين صاحب دمشق فى أن يملكها ويعوضهم عنها بتدمر فأجاب واستولى على حمص وسار اليها سنة ثلاثين وأقطعها المملوك جده معين الدين أنز وأنزل معه حامية من عسكره ورجع الى

دمشق واستأذنه الحاجب يوسف بن فيروز فى العود من تدمر الى دمشق وقد كان هرب اليها كما قدمناه وكان جماعة من الموالى منحرفين عنه بسبب ما تقدم فى مقتل سونج فنكروا ذلك فلاطفهم ابن فيروز واسترضاهم وحلف لهم انه لا يتولى شيأ من الامور ولما دخل رجع الى حاله فوثبوا عليه وقتلوه وخيموا بظاهر دمشق واشتطوا فى الطلب فلم يسعفوا بكلمة فلحقوا بشمس الدولة محمد بن تاج الملوك فى بعلبك وبثوا السرايا الى دمشق فعاثت فى نواحيها حتى أسعفهم شهاب الدين بكل ما طلبوه فرجعوا الى ظاهر دمشق وخرج لهم شهاب الدين وتحالفوا ودخلوا الى البلد وولى مرواش كبيرهم على العساكر وجعل اليه الحل والعقد فى دولته والله أعلم

(استيلاء عماد الدين زنكى على حمص وغيرها من أعمال دمشق)

ثم سار أتابك زنكى الى حمص فى شعبان سنة احدى وثلاثين وقدم اليه حاجبه صلاح الدين الباغيسانى وهو أكبر أمرائه مخاطبا واليها معين الدين أنز فى تسليمها فلم يفعل وحاصرها فامتنعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة ثم سار سنة ثنتين وثلاثين الى نواحى بعلبك فملك حصن المجولى على الامان وهو الصاحب دمشق ثم سار الى حمص وحاصرها وعاد ملك الروم الى حلب فاستدعى الفرنج وملك كثيرا من الحصون مثل عين زربة وتل حمدون وحصر انطاكية ثم رجع وأفرج أتابك زنكى خلال ذلك عن حمص ثم عاود منازلتها بعد مسير الروم وبعث الى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب اليه امه مردخاتون ابنة جاولى طمعا فى الاستيلاء على دمشق فزوجها له ولم يظفر بما أمله من دمشق وسلموا له حمص وقلعتها وحملت اليه خاتون فى رمضان من السنة والله أعلم

(مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد)

لما قتل شهاب الدين محمود فى شوال سنة ثلاث وثلاثين اغتاله ثلاثة من مواليه فى مضجعه بخلوته وهربوا فنجا واحد منهم وأصيب الآخران كتب معين الدين أنز الى أخيه شمس الدين محمد بن بورى صاحب بعلبك بالخبر فسارع ودخل دمشق وتبعه الجند والاعيان وفوض أمر دولته الى معين الدين أنز مملوك جده وأقطعه بعلبك واستقامت أموره

(استيلاء زنكى على بعلبك وحصاره دمشق)

ولما قتل شهاب الدين محمود وبلغ خبره الى أمه خاتون زوجة أتابك زنكى بحلب عظم جزعها عليه وأرسلت الى زنكى بالخبر وكان بالجزيرة وسألت منه الطلب بثار ابنها فسار

الى

الى دمشق واستعد والحصار فعدل الى بعلبك وكانت لمعين الدين أنز كما قلناه وكان أتابك زنكى دس اليه الاموال ليمكنه من دمشق فلم يفعل فسار الى بلده بعلبك وجد فى حربها ونصب عليها المجانيق حتى استأمنوا اليه وملكها فى ذى الحجة آخر سنة ثلاث وثلاثين واعتصم جماعة من الجند بقلعتها ثم استأمنوا فقتلهم وأرهب الناس بهم ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها فى تسليمها والنزول عنها على أن يعوضه عنها فلم يجب الى ذلك فزحف اليها ونزل داريا منتصف ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وبرزت اليه عساكر دمشق فظفر بهم وهزمهم ونزل المصلى وقاتلهم فهزمهم ثانيا ثم امسك عن قتالهم عشرة أيام وتابع الرسل اليه بأن يعوضه عن دمشق ببعلبك او حمص أو ما يختاره فنعه أصحابه فعاد زنكى الى القتال واشتد فى الحصار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(وفاة جمال الدين محمد بن بورى وولاية ابنه مجير الدين أنز)

ثم توفى جمال الدين محمد بن بورى صاحب دمشق رابع شعبان سنة أربع وثلاثين وزنكى محاصر به وهو معه فى مراوضة الصلح وجمع زنكى فيما عساه أن يقع بين الامراء من الخلاف فاشتد فى الزحف فما وهنوا لذلك وولوا من بعد جمال الدين محمد ابنه مجير الدين أنز وقام بتربيته وتدبير دولته معين الدين أنز مدبر دولته وأرسل الى الافرنج يستنجدهم على مدافعة زنكى على أن يحاصر قاشاش فاذا فتحها أعطاهم اياها فأجابوا الى ذلك حذرا من استطالة زنكى بملك دمشق فسار زنكى للقائهم قبل اتصالهم بعسكر دمشق ونزل حوران فى رمضان من السنة نخام الافرنج عن لقائه وأقاموا ببلادهم فعاد زنكى الى حصار دمشق فى شوال من السنة ثم أحرق قرى المرج والغوطة ورحل عائدا الى بلده ثم وصل الافرنج الى دمشق بعد رحيله فسار معهم معين الدين أنز الى قاشاش من ولاية زنكى ليفتحها ويعطيها للافرنج كما عاهدهم عليه وقد كان واليها أغار على مدينة صور ولقيه فى طريقه صاحب انطاكية وهو قاصد الى دمشق لانجاد صاحبها على زنكى فقتل الوالى ومن معه من العسكر ولجأ الباقون الى قاشاش وجاء معين الدين أنز اثر ذلك فى العساكر فملكها وسلمها للافرنج وبلغ الخبر الى أتابك زنكى فسار الى دمشق بعد ان فرق سراياه وبعوثه على حوران وأعمال دمشق وسار هو متجردا اليها فصبحها وخرج العسكر لقتاله فقاتلهم عامة يومه ثم تأخر الى مرج راهط وانتظر بعوثه حتى وصلوا اليه وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ورحل عائدا الى بلده

(مسير الافرنج لحصار دمشق)

كان الافرنج منذ ملكوا سواحل الشأم ومدنه تسير اليهم أمم الافرنج من كل ناحية من بلادهم مددا لهم على المسلمين لما يرونه من تفرد هؤلاء بالشأم بين عدوهم وسار فى سنة ثلاث وأربعين ملك الالمان من أمراء الافرنج من بلاده فى جموع عظيمة قاصدا بلاد الاسلام لا يشك فى الغلب والاستيلاء لكثرة عساكره وتوفر عدده وأمواله فلما وصل الشأم اجتمع عليه عساكر الافرنج الذين له ممتثلين أمره فأمرهم بالمسير معه الى دمشق فساروا لذلك سنة ثلاث وأربعين وحاصروها فقام معين الدين أنز فى مدافعتهم المقام المحمود ثم قاتلهم الافرنج سادس ربيع الاول من السنة فنالوا من المسلمين بعد الشدة والمصابرة واستشهد ذلك اليوم الفقيه حجة الدين يوسف الفندلاوى المغربى وكان عالما زاهدا وسأله معين الدين يومئذ فى الرجوع لضعفه وسنه فقال له قد بعت واشترى منى فلا أقيل ولا أستقيل يشير الى آية الجهاد وتقدم حتى استشهد عند اسمرت على نصف فرسخ من دمشق واستشهد معه خلق وقوى الافرنج ونزل ملك الالمان الميدان الاخضر وكان عماد الدين زنكى صاحب الموصل قد توفى سنة احدى وأربعين وولى ابنه سيف الدين غازى الموصل وابنه نور الدين محمود حلب فبعث معين الدين أنز الى سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده فجاء لانجاده ومعه أخوه نور الدين وانتهوا الى مدينة حمص وبعث الى الافرنج يتهددهم فاضطروا الى قتاله وانقسمت مؤنتهم بين الفريقين وأرسل معين الدين الى الالمان يتهددهم بتسليم البلد الى ملك المشرق يعنى صاحب الموصل وأرسل الى فرنج الشأم يحذرهم من استيلاء ملك الالمان على دمشق فانه لا يبقى لكم معه مقام فى الشأم ووعدهم بحصن قاشاش فاجتمعوا الى ملك الالمان وخوفوه من صاحب الموصل أن يملك دمشق فرحل عن البلد وأعطاهم معين الدين قلعة قاشاش وعاد ملك الالمان الى بلاده على البحر المحيط فى أقصى الشمال والمغرب ثم توفى معين الدين أنز مدبر دولة اتق والمتغلب عليه سنة أربع وأربعين لسنة من حصار ملك الالمان والله أعلم

(استيلاء نور الدين محمود العادل على دمشق وانقراض دولة بنى تتش من الشأم)

كان سيف الدين غازى بن زنكى صاحب الموصل قد توفى سنة أربع وأربعين وملك أخوه قطب الدين وانفرد أخوه الآخر نور الدين محمود بحلب وما يليها وتجرد لطلب دمشق ولجهاد الافرنج واتفق أن الافرنج سنة ثمان وأربعين ملكوا عسقلان من يد خلفاء العلوية لضعفهم كما مر فى أخبار دولتهم ولم يجد نور الدين سبيلا الى ارتجاعها منهم لاعتراض دمشق بينه وبينهم ثم طمعوا فى ملك دمشق بعد عسقلان وكان أهل دمشق يؤدون اليهم الضريبة فيدخلون لقبضها ويتحكمون فيهم ويطلقون من

أسرى الافرنج الذين بها كل من أراد الرجوع الى أهله فخشى نور الدين عليها من الافرنج ورأى انه ان قصدها استنصر صاحبها عليه بالافرنج فراسل صاحبها مجير الدين واستماله بالهدايا حتى وثق به فكان يغريه بأمرائه الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحدا واحدا ويقول له ان فلانا كاتبنى بتسليم دمشق فيقتله مجير الدين حتى كان آخرهم عطاء بن حافظ السلمى الخادم وكان شديدا فى مدافعة نور الدين فأرسل الى مجير الدين بمثلها فيه فقبض عليه وقتله فسار حينئذ نور الدين الى دمشق بعد ان كاتب الاحداث الذين بها واستمالهم فوعدوه وأرسل مجير الدين الى الافرنج من نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه وشرعوا فى الحشد وسبقهم نور الدين الى دمشق فثار الاحداث الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقى فدخل منه وملكها واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله فى النزول عنها وعوضه مدينة حمص فسار اليها ثم عوضه عن حمص بالس فلم يرضها وسار الى بغداد واختط بها دارا قرب النظامية وتوفى بها واستولى نور الدين على دمشق وأعمالها واستضافها الى ملكه بحلب وانقرض ملك بنى تتش من الشأم والبلاد الفارسية أجمع والبقاء لله وحده والله مالك الملك لا رب غيره سبحانه وتعالى

مجير الدين انق بن شمس الدين محمد بن تاج الملوك بورى بن طغركين أتابك دقاق بن تتش البارسلان
شمس الملوك اسمعيل
شهاب الدين محمود
المستبد عليه معين الدين انز أتابك
تلتاش
الارسلان بن رضوان
سلطان شاه

الخبر عن دولة قطلمش وبنيه ملوك قونية وبلاد الروم من السلجوقية ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان قطلمش هذا من عظماء أهل هذا البيت ونسبه فيهم مختلف فقيل قطلمش بن يبغو وابن الاثير تارة يقول قطلمش ابن عم طغرلبك وتارة يقول قطلمش بن اسرائيل من سلجوق ولعل بيان ذلك الاجمال ولما انتشر السلجوقية فى البلاد طالبين للملك دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية وأقصرا ونواحيها وبعثه السلطان طغرلبك بالعساكر مع قريش بن بدران صاحب الموصل فى طلب دبيس بن مزيد عندما أظهر الدولة العلوية فى الحلة وأعمالها فهزمهم دبيس والبساسيرى كما تقدم فى أخبارهم ثم

عصى على السلطان البارسلان بعد طغرلبك وقصد الرى ليملكها فقاتله البارسلان سنة ست وخمسين فانهزم عسكر قطلمش ووجد بين القتلى فتجمع له البارسلان وقعد للعزاء فيه كما تقدم فى أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من الولاية التى كانت بيد أبيه وافتتح انطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقد كانوا ملكوها منذ خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها الى ملكه وقد تقدم خبر ملكه اياها فى دولتهم وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بانطاكية فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتعض لذلك وأنف منه فجمع مسلم العرب والتركمان لحصار انطاكية ومعه جق أمير التركمان والتقيا سنة ثمان وسبعين وانحاز جق الى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنعت عليه وسألوه الامهال حتى يكاتب السلطان ملكشاه ودسوا الى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعونه فأغذ السير واعترضه سليمان بن قطلمش على غير تعبية فانهزم وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وملك بعده ابنه قليج ارسلان وأقام فى سلطانه ولما زحف الافرنج الى سواحل الشأم سنة تسعين وأربعمائة جعلوا طريقهم على القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه انطاكية اذا ملكوها فأجابوا الى ذلك وعبروا خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قليج ارسلان بن سليمان ابن قطلمش فلقيهم فى جموعه قريبا من قونية فهزموه وانتهوا الى بلاد بن ليون الارمنى فروا منها الى انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعد للحصار وأمر بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون يوما ثم عمل فيه النصارى الذين كانوا بالبلد من الغد فلما جاؤا للدخول منعهم وقال أنا لكم فى مخلفكم حتى ينصرف هؤلاء الافرنج وزحفوا اليه فحاصروه تسعة أشهر ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من بعض مسارب الوادى وأصبحوا فى البلد فاستباحوه وركب باغيسيان للصلح فهرب ولقيه حطاب من الارمن فجاء برأسه الى الافرنج وولى عليها بيمند من زعماء الافرنج وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزما على النفير الى انطاكية لمدافعتهم فكاتبهم الافرنج بالمسالمة وانهم لا يعرضون لغير انطاكية فأوهن ذلك من عزائمهم وأقصروا عن انجاد باغيسيان وكان التركمان قد انتشروا فى نواحى العراق وكان كمشتكين بن طيلق المعروف أبوه بالدانشمند ومعناه المعلم عندهم قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلى انطاكية وكان ملطية مما يجاورها متغلب آخر من التركمان وبينه وبين الدانشمند حروب فاستنجد صاحب ملطية عليه الافرنج وجاء بيمند من انطاكية سنة ثلاث وتسعين فى خمسة آلاف فلقيه ابن الدانشمند

وهزمه وأخذه أسيرا وجاء الافرنج لتخليصه فنازلوا قلعة انكورية وهى أنقرة فأخذوها عنوة ثم ساروا الى أخرى فيها اسمعيل بن الوانشمند وحاصروها فجمع ابن الوانشمند وقاتلهم وأكمن لهم وكانوا فى عدد كثير فلما قاتلهم استطردلهم حتى خرج عليهم الكمين وكر عليهم فلم يفلت منهم أحد وسار الى ملطية فملكها وأسر صاحبها وجاءه الافرنج من انطاكية فهزمهم

(استيلاء قليج ارسلان على الموصل)

كانت الموصل وديار بكر والجزيرة بيد جكرمس من قواد السلجوقية فمنع الحمل وهم بالانتقاض فأقطع السلطان الموصل وما معها لجاولى من سكاوو والكل من قوادهم وأمرهم بالمسير لقتال الافرنج فسار جاولى و بلغ الخبر لجكرمس فسار من الموصل الى اربل وتعاقد مع أبى الهيجاء بن موسك الكردى الهذبانى صاحب اربل وانتهى الى البوازيج فعبر اليه جكرمس دجلة وقاتله فانهزمت عساكر جكرمس وبقى جكرمس واقفا لفالج كان به فأسره جاولى ولحق الفل بالموصل فنصبوا مكانه ابنه زنكى صبيا صغيرا وأقام بأمره غرغلى مولى أبيه وكانت القلعة بيده وفرق الاموال والخيول واستعد لمدافعة جاولى وكاتب صدقة بن مزيد والبرسقى شحنة بغداد وقليج ارسلان صاحب بلاد الروم يستنجدهم ويعد كلا منهم بملك الموصل اذا دافعوا عنه جاولى فأعرض صدقة عنه ولم يحتفل بذلك ثم سار جاولى الى الموصل وحاصرها وعرض جكرمس للقتل أو يسلموا اليه البلد فامتنعوا وأصبح جكرمس فى بعض أيام حصارها [illegible] وسمع جاولى بأن ارسلان سار فى عساكره الى نصيبين فأفرج عن الموصل وسار الى سنجار وسبق البرسقى اليها بعد رحيل جاولى وأرسل الى أهلها فلم يجيبوه بشئ وعاد الى بغداد واستدعى رضوان صاحب دمشق جاولى سكاوو لمدافعة الافرنج عنه فساروا اليه وخرج من الموصل عسكر جكرمس الى قليج ارسلان بنصيبين فتحالفوا معه وجاؤا به الى الموصل فملكها آخر رجب من سنة خمسمائة وخرج اليه ابن جكرمس وأصحابه وملك القلعة من غرغلى وجلس على التخت وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى العسكر وسار فى الناس بالعدل وكان فى جملته ابراهيم ابن نيال التركمانى صاحب آمد ومحمد بن جق التركمانى صاحب حصن زياد وهو خرت برت وكان ابراهيم بن نيال قد ولى تتش على آمد حين ولى ديار بكر وكانت بيده وأما خرت برت فكانت بيد القلادروس ترجمان الروم والرها وانطاكية من أعماله فملك سليمان بن قطلمش انطاكية وملك فخر الدولة بن جهير

ديار بكر فضعف القلادروس وملك جق خرت برت من يده وأسلم القلادروس على يد السلطان ملك شاه وأمره على الرها فأقام بها حتى مات وملكها جق هى وما جاورها من الحصون وأورثها ابنه محمدا بعد موته والله تعالى ولى التوفيق

(الحرب بين قليج ارسلان وبين الافرنج)

كان سمند صاحب انطاكية من الافرنج قد وقعت بينه وبين ملك الروم بالقسطنطينية وحشة واستحكمت وسار سمند فنهب بلاد الروم وعزم على قصد انطاكية فاستنجد ملك الروم بقليج ارسلان فأمده بعساكره وسار مع ذلك الروم فهزموا الافرنج وأسروهم ورجع الفل الى بلادهم بالشأم فاعتزموا على قصد قليج ارسلان بالجزيرة فأتاهم خبر مقتله فأقصروا والله تعالى ولى التوفيق

(مقتل قليج ارسلان وولاية ابنه مسعود)

قد تقدم لنا استيلاء قليج ارسلان على الموصل وديار بكر وأعمالها وجلوسه على التخت وان جاولى سكاوو سار الى سنجار ثم سار منها الى الرحبة وكان قليج ارسلان خطب له بها صاحبها محمد بن السباق من بنى شيبان بعد مهلك دقاق وانتقاضه على أبيه فلما حاصرها جاولى بعث اليه رضوان بن تتش صاحب حلب فى النجدة على الافرنج لما ساروا الى بلاده فوعده لانقضاء الحصار وجاء رضوان فحضر عنده واشتد الحصار على أهل الرحبة وغدر بعضهم فأدخل أصحاب جاولى ليلا ونهبوها الى الظهر وخرج اليه صاحبها محمد الشيبانى فأطاعه ورجع عنه وبلغ الخبر الى قليج ارسلان فسار من الموصل لحرب جاولى واستخلف عليها ابنه ملك شاه صبيا صغيرا مع أمير يدبره فلما انتهى الى الخابور هرب عنه ابراهيم بن نيال صاحب آمد ولحق ببلده واعتزم قليج ارسلان على المطاولة واستدعى عسكره الذين أنجدهم ملك الروم على الافرنج فجاؤا اليه واغتنم جاولى قلة عسكره فلقيه آخر ذى القعدة من السنة واشتدت الحرب وحمل قليج ارسلان على جاولى بنفسه وصرع صاحب الراية وضرب جاولى بسيفه ثم حمل أصحاب جاولى عليه فهزموه وألقى نفسه فى الخابور فغرق وسار جاولى الى الموصل فملكها وأعاد خطبة السلطان محمد وبعث اليه ملك شاه بن قليج ارسلان وولى مكان قليج ارسلان فى قونية وأقصرا وسائر بلاد الروم ابنه مسعود واستقام له ملكها

(استيلاء مسعود بن قليج ارسلان على ملطية وأعمالها)

كانت ملطية وأعمالها وسيواس لابن الوانشمند من التركمان كما مر وكانت بينه وبينهم حروب وهلك كمشتكين بن الوانشمند وولى مكانه ابنه محمد واتصلت حروبه مع الافرنج

كما كان ابوه معهم ثم هلك سنة سبع وثلاثين فاستولى مسعود بن قليج ارسلان على الكثير منها وبقى الباقى بيد أخيه باغى ارسلان بن محمد

(وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج ارسلان)

ثم توفى مسعود بن قليج ارسلان سنة احدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه قليج ارسلان فكانت بينه وبين باغى ارسلان ابن الوانشمند وصاحب ملطية وما جاورها من ملك الروم حروب بسبب ان قليج ارسلان تزوج بنت الملك طلوق بن على بن أبى القاسم فزوجها اليه بجهاز عظيم وأغار عليه باغى ارسلان صاحب ملطية فأخذها بما معها وزوجها بابن أخيه ذى النون بن محمد بن الوانشمند بعد ان أشار عليها بالردة لينفسخ النكاح ثم عادت الى الاسلام وزوجها بابن أخيه فجمع قليج ارسلان عساكره وسار الى باغى ارسلان بن الوانشمند فهزمه باغى ارسلان واستنجد ملك الروم فأمده بعسكر وسار باغى ارسلان خلال ذلك وولى ابراهيم ابن أخيه محمد وملك قليج ارسلان بعض بلاده واستولى أخوه ذو النون بن محمد بن الوانشمند على قيسارية وانفرد شاه بن مسعود أخو قليج ارسلان بمدينة انكورية وهى انقرة واستقرت الحال على ذلك ثم وقعت الفتنة بين قليج ارسلان وبين نور الدين محمود بن زنكى وتراجعوا للحرب وكتب الصالح بن رزيك المتغلب على العلوى بمصر الى قليج ارسلان ينهاه عن ذلك ثم هلك ابراهيم بن محمد ابن الوانشمند وملك مكانه أخوه ذو النون وانتقض قليج ارسلان عليه وملك ملطية من يده والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين العادل الى بلاد قليج ارسلان)

ثم سار نور الدين محمود بن زنكى سنة ثمان وستين الى ولاية قليج ارسلان بن مسعود ببلاد الروم وهى ملطية وسيواس وأقصرا فجاءه قليج ارسلان متنصلا معتذرا فأكرمه وثنى عزمه عن قصد بلاده ثم أرسل اليه شفيعا فى ذى النون بن الوانشمند يرد عليه بلاده فلم يشفعه فسار اليه وملك مرعش ونهسنا وما بينهما فى ذى القعدة من السنة وبعث عسكرا الى سيواس فملكوها فمال قليج ارسلان الى الصلح وبعث الى نور الدين يستعطفه وقد بلغه عن الفرنج ما أزعجه فأجابه على أن يمده بالعساكر للغزو وعلى أن يبقى سيواس بيد نواب نور الدين وهى لذى النون بن الوانشمند ثم جاءه كتاب الخليفة باقطاع البلاد ومن جملتها بلاد قليج ارسلان وخلاط وديار بكر ولما مات نور الدين عادت سيواس لقليج ارسلان وطرد عنها نواب ذى النون

(مسير صلاح الدين لحرب قليج ارسلان)

كان

كان قليج ارسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم قد زوج بنته من نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر وأعطاه عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها وهجر مضجعها وامتعض أبوها قليج ارسلان لذلك واعتزم على غزو نور الدين فى ديار بكر وأخذ بلاده فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن أيوب واستشفع به فلم يشفعه وتعلل بطلب البلاد التى أعطاه عند المصاهرة فامتعض صلاح الدين لذلك وكان يحارب الافرنج بالشأم فصالحهم وسار فى عساكره الى بلاد الروم وكان الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود بالشأم فعدل عنه ومر على تل باشر الى رعبان ولقى بها نور الدين محمد صاحب كيفا وبعث اليه قليج ارسلان رسولا يقرر غدره بابنته فاغتاظ على الرسول وتوعده بأخذ بلادهم فلاطف له الرسول وخاص معه نجيا فقبح له ما ارتكبه من أجل هذه المرأة من ترك الغزو ومصالحة العدو وجمع العساكر وخساره وان بنت قليج ارسلان لو بعثت اليه بعد وفاة أبيها تسأل منه النصفة بينها وبين زوجها لكان أحق ما تقصده فامتنعت وعلم أن على نفسه الحق فأمر الرسول أن يصلح بينهم ويكون هو عونا له على ذلك فداخلهم ذلك الرسول فى الصلح على أن يطلق هذه المرأة بعد سنة ويعقد بينهم ذلك ورجع كل الى بلده ووفى نور الدين بما عقد على نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قسمة قليج ارسلان أعماله بين ولده وتغلبهم عليه)

ثم قسم قليج ارسلان سنة سبع وثمانين أعماله بين ولده فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين كيخسرو واقصرا وسيواس لقطب الدين ودوقاط لركن الدين سليمان وانقرة وهى أنكورية لمحيى الدين وملطية لعز الدين قيصرشاه و لمغيث الدين وقيسارية لنور الدين محمود وأعطى تكسار واماسا لابنى أخيه وتغلب عليه ابنه قطب الدين وحمله على انتزاع ملطية من يد قيصرشاه فانتزعها ولحق قيصرشاه بصلاح الدين بن أيوب مستشفعا به فأكرمه وزوجه ابنة أخيه العادل وشفع له عند أبيه وأخيه فشفعوه وردوا عليه ملطية ثم زاد تغلب ركن الدين وحجر عليه وقتل دائبة فى مدينته وهو اختيار الدين حسن فخرج سائر بنيه عن طاعته وأخذ قطب الدين أباه وسار به الى قيسارية ليملكها من أخيه فهرب قليج ارسلان ودخل قيسارية وعاد قطب الدين الى قونية واقصرا فملكهما وبقى قليج ارسلان يتنقل بين ولده من واحد الى آخر وهم معرضون عنه حتى استنجد بغياث الدين كيخسرو صاحب منهم فأنجده وسار معه الى قونية فملكها ثم سار الى اقصرا وحاصرها ثم مرض قليج ارسلان وعاد الى قونية فتوفى فيها وقيل انما اختلف ولده عليه لانه ندم على قسمة أعماله بينهم وأراد ايثار ابنه قطب الدين

بجميعها وانتقضوا عليه لذلك وخرجوا عن طاعته وبقى يتردد بينهم وقصد كيخسرو صاحب قونية فأطاعه وخرج معه بالعساكر لحصار محمود أخيه فى قيسارية وتوفى قليج ارسلان وهو محاصر لقيسارية ورجع غياث الدين الى قونية

* (وفاة قليج ارسلان وولاية ابنه غياث الدين) *

ثم توفى قليج ارسلان بمدينة قونية أو على قيسارية كما مر من الخلاف منتصف ثمان وثمانين لسبع وعشرين سنة من ملكه وكان مهيبا عادلا حسن السياسة كثير الجهاد ولما توفى واستقل ابنه غياث الدين كيخسرو بقونية وما اليها وكان قطب الدين أخوه صاحب اقصرا وسيواس وكان كلما سار من احداهما الى الاخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود يتلقاه بظاهرها حتى استنام اليه مدة فغدر به وقتله وامتنع أصحابه بقيسارية وكان كبيرهم حسن فقتله مع أخيه ثم أطاعوه وأمكنوه من البلد ومات قطب الدين اثر ذلك

* (استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفرار غياث الدين) *

ولما توفى قليج ارسلان وولى بعده فى قونية ابنه غياث الدين كيخسرو وبنوه يومئذ على حالتهم فى ولاياتهم التى قسمها بينهم أبوهم وملك قطب الدين منهم قيسارية بعد أن غدر بأخيه محمود صاحبها ومات قطب الدين اثر ذلك فسار ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى التغلب على أعمال سلفه ببلاد الروم فسار الى سيواس واقصرا وقيسارية أعمال قطب الدين فملكها ثم سار الى قونية فحاصر بها غياث الدين وملكها ولحق غياث الدين بالشأم كما يأتى خبره ثم سار الى نكسار واماسا فملكهما وسار الى ملطية سنة سبع وتسعين فملكها من يد معز الدين قيصرشاه ولحق معز الدين بالعادل أبى بكر بن أيوب ثم سار الى أرزن الروم وكانت لولد الملك محمد بن حليق من بيت ملك قديم وخرج اليه صاحبها البقر معه صلحا فقبض عليه وملك البلد فاجتمع لركن الدين سائر أعمال اخوته ماعدا انقرة لحصانتها فجمر عليها الكتائب وحاصرها ثلاثا ثم دس من قتل أخاه وملك البلد سنة احدى وستمائة وتوفى هو عقب ذلك والله تعالى أعلم

* (وفاة ركن الدين وولاية ابنه قليج ارسلان) *

ثم توفى ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان أوائل ذى القعدة من تمام سنة احدى وستمائة وولى بعده ابنه قليج ارسلان فلم تطل مدته وكان ركن الدين ملكا حازما شديدا على الاعداء الا أنه ينسب الى التزين بالفلسفة والله تعالى أعلم

* (استيلاء غياث الدين كيخسرو على بلاد الروم من أخيه ركن الدين) *

كان

كان غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان لما ملك أخوه ركن الدين قونية من يده لحق بحلب وفيها الظاهر غازى بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبولا فسار الى القسطنطينية وأكرمه ملك الروم وأصهر اليه بعض البطارقة فى ابنته وكانت له قرية حصينة فى أعمال قسطنطينية فلما استولى الافرنج على القسطنطينية سنة ستمائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق وبلغ اليه خبر أخيه تلك السنة وبعث اليه بعض الامراء من قونية يستدعيه للملك فسار اليه واجتمعوا على حصار قونية وخرجت اليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصن بها ثم قام أهل اقصرا بدعوته وطردوا واليهم وبلغ الخبر الى أهل قونية فثاروا بقليج ارسلان بن ركن الدين وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فملكوه وأمكنوه من ابن أخيه وكان أخوه قيصرشاه قد لحق بصهره العادل أبى بكر بن أيوب فاستنصر به على أخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده فأمر له بالرها واستفحل ملك غياث الدين وقصده على بن يوسف صاحب سميساط ونظام الدين بن أرسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم شأنه الى أن قتله اشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستمائة والله تعالى ولى التوفيق

* (مقتل غياث الدين كيخسرو وولاية ابنه كيكاوس) *

ولما قتل غياث الدين كيخسرو وولى بعده ابنه كيكاوس ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرلشاه بن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم طلب الامر لنفسه وسار الى قتال كيكاوس ابن أخيه وحاصره فى سيواس وقصد أخوه كيقباد بن كيخسرو بلد انكورية من أعماله فاستولى عليها وبعث كيكاوس صريخه الى الملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر وأفرج طغرل عن سيواس قبل وصولهم فسار كيكاوس الى انكورية وملكها من يد أخيه كيقباد وحبسه وقتل امراءه وسار الى عمه طغرل فى ارزن الروم فظفر به سنة عشر وقتله وملك بلاده

{مسير كيكاوس الى حلب واستيلاؤه على
بعض أعمالها ثم هزيمته وارتجاع البلد من يده}

كان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قد توفى وملك بعده ابنه طفلا صغيرا وكان بعض أهل حلب قد لحق بكيكاوس فرارا من الظاهر وأغراه بملك حلب وهون عليه أمرها وملك ما بعدها ولما مات الظاهر قوى عزمه وطمعه فى ذلك واستدعى الافضل بن صلاح الدين ابن سميساط للمسير معه على أن تكون الخطبة لكيكاوس والولاية للافضل فى جميع ما يفتحونه من حلب وأعمالها فاذا فتحوا بلاد الجزيرة مثل

حران والرها من يد الاشرف تكون ولايتها لكيكاوس وتعاقدوا على ذلك وساروا سنة خمس عشرة فملكوا قلعة رعبان وتسلمها الافضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل ناشر فاستأثر بها كيكاوس وارتاب الافضل ثم بعث ابن الظاهر صاحب حلب الى الاشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط يستنجده على أن يخطب له بحلب وينقش اسمه على السكة فسار لانجاده ومعه احياء طيء من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكاوس والافضل الى منبج ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فقتلوا وعاد عسكر كيكاوس منهزمين اليه فأجفل وسار الاشرف الى رعبان وتل ناشر وبهما أصحاب كيكاوس فغلبهم عليهما وأطلقهم الى صاحبهم فأحرقهم بالنار وسلم الاشرف الحصنين الى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب وبلغه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم

(وفاة كيكاوس وملك أخيه كيغباد)

كان كيكاوس بعد الواقعة بينه وبين الاشرف قد اعتزم على قصد بلاد الاشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب اربل على ذلك وكانا يخطبان له ثم سار الى ملطية يشغل الاشرف عن الموصل حتى ينال منها صاحب اربل ومرض في طريقه فعاد ومات سنة ست عشرة وخلف بنيه صغارا وكان أخوه كيغباد محبوسا منذ أخذه من انكورية فأخرجه الجند من محبسه وملكوه وقيل بل أخرجه هو من محبسه وعهد اليه ولما ملك خالف عليه عمه صاحب ارزن الروم فوصل يده بالاشرف وعقد معه صلحا

(الفتنة بين كيغباد وصاحب آمد من بني ارتق وفتح عدة من حصونه)

كانت الفتنة قد حدثت بين الاشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم من الهند سنة ثلاث وعشرين بعدهم وبه أمام التتر فملك اذربيجان واعتضد به المعظم صاحب دمشق على الاشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني ارتق فأرسل الاشرف الى كيغباد ملك الروم يستنجده على صاحب آمد والاشرف يومئذ محاصر لماردين فسار كيغباد وأقام على ملطية وجهز العساكر من هنالك الى آمد ففتح حصونا عدة وعاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف فكتب الى كيغباد أن يرد عليه ما أخذه فامتنع فبعث عساكره الى صاحب آمد مددا على كيغباد وكان محاصر القلعة الكختا فلقيهم وهزمهم وأثخن فيهم وعاد ففتح القلعة والله أعلم

(استيلاء كيغباد على مدينة ارزنكان)

كان صاحب ارزنكان هذه بهرام شاه من بني الاحدب بيت قديم في الملك وملكها ستين سنة ولم يزل في طاعة قليج ارسلان وولده وتوفي فملك بعده ابنه علاء الدين داود شاه وأرسل عنه كيغباد سنة خمس وعشرين ليعسكر معه فسار اليه وقبض عليه وملك مدينة ارزنكان وكان من حصونه كماخ فامتنع نائبه فيه وتهدد داود شاه فبعث الى نائبه فسلم له الحصن ثم قصد ارزن الروم وبها ابن عمه طغرلشاه بن قليج ارسلان فبعث ابن طغرلشاه بطاعته الى الاشرف واستنجد نائبه بخلاط حسام الدين علي فسار اليه فخام كيغباد عن لقائه وعاد من ارزنكان الى بلاده فوجد العدو من الافرنج قد ملك قلعة منها تسمى صنوبا مطلة على بحر الخزر فحاصرها برا وبحرا وارتجعها المسلمون والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

(فتنة كيغباد مع جلال الدين)

كان صاحب ارزن الروم وهو ابن عم كيغباد صار الى طاعة جلال الدين خوارزم شاه وحاصر معه خلاط وفيها ايبك مولى الاشرف فملكها جلال الدين وقتل ايبك كما يأتي في أخباره فخافهما كيغباد صاحب الروم فاستنجد الملك الكامل وهو بحران فأمده بأخيه الاشرف من دمشق فجمع عساكر الجزيرة والشأم وسار الى كيغباد فلقيه بسيواس واجتمعوا في خمسة وعشرين ألفا وساروا من سيواس الى خلاط فلقيهم جلال الدين في نواحي ارزنكان فهاله منظرهم ومضى منهزما الى خلاط ثم سار منها الى اذربيجان فنزلوا عند خوى وسار الاشرف الى خلاط فوجد جلال الدين قد خربها فعادوا الى بلادهم وترددت الرسل الى الصلح فاصطلحوا

(مسير بني أيوب الى كيغباد وهزيمتهم)

كان علاء الدين كيغباد قد استفحل ملكه ببلاد الروم ومد يده الى ما يجاوره من البلاد فملك خلاط بعد أن دافع عنها مع الاشرف بن العادل جلال الدين خوارزم شاه فنازعه الاشرف في ذلك واستصرخ بأخيه الكامل فسار في العساكر من مصر سنة احدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيغباد وهزمه وحصره في خرت برت وكانت لبني ارتق ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة اثنتين وثلاثين وكيغباد في اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكهما من يد نواب الكامل وولى عليهما من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين فارتجعهما

(وفاة كيغباد وملك ابنه كيخسرو)

ثم توفي علاء الدين كيغباد سنة أربع وثلاثين وستمائة وملك بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وقارن ذلك انقراض الدولة السلجوقية من ممالك الاسلام واختلال دولة بني خوارزم شاه وخروج التتر من مفازة الترك وراء النهر واستيلاء جنكزخان سلطانهم على الممالك وانتزاعها من يد بني خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم الى الهند ثم رجع واستولى على اذربيجان وعراق العجم وكان بنو أيوب يومئذ بممالك الشام وأرمينية كما نذكر ذلك كله في أماكنه ان شاء الله تعالى وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا فيها وتغلبوا عليها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف الى بلاد الروم سنة احدى وأربعين فبعث غياث الدين كيخسرو بالصريخ الى بني أيوب وغيرهم من الترك في جواره وجاء المدد من كل جانب فسار للقائهم ولقيتهم المقدمة على قشميرزنجان فانهزمت المقدمة ووصلوا اليه فانهزم ونجا بعياله وذخيرته الى مدينة على مسيرة شهر من المعترك ونهبوا سواده ومخلفه وانتشروا في نواحي بلاد الروم وعاثوا فيها وتحصن غياث الدين بهذه المدينة واستولى التتر على خلاط وآمد ثم استأمن لهم غياث الدين ودخل في طاعتهم واستقامت أموره معهم الى أن مات قريبا من رجوعه وملك التتر قيسارية والله أعلم

(وفاة غياث لدين وولاية ابنه كيغباد)

ثم توفي غياث الدين كيخسرو سنة أربع وخمسين وترك ثلاثا من الولد أكبرهم علاء الدين كيغباد وعز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وولي علاء الدين كيغباد بعهده اليه وكان يخطب لهم جميعا وأمرهم واحد وكان جنكزخان ملك التتر قد هلك وكان كرسي سلطانهم بقراقروم وولي مكانه ابنه طلوخان وجلس على كرسيه وهو الخان الاعظم عندهم وحكمه ماض في ملوك الشمال والعراق من أهل بيته وسائر عشيرته ثم هلك طلوخان وولي مكانه في كرسيه ابنه منكوخان فبعث أخاه هلاكو لفتح العراق وبلاد الاسماعيلية سنة خمسين وستمائة فسار لذلك وملك العراقين وبغداد ثم جرد الخان ألاعظم منكوخان الى بلاد الروم سنة أربع وخمسين أميرا من أمراء المغل اسمه بيكو في العساكر فسار الى ارزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى السلطان علاء الدين فحاصرها شهرين ونصب عليها المجانيق ثم ملكها عنوة وأسر ياقوت واستلحم الجند بأسرهم واستبقى الباعة والصناع ثم سار الى بلاد الروم فملك قيسارية وهو مسيرة شهر معها ورجع ثم عاد سنة خمس وخمسين وعاث في البلاد واستولى على أكثر من الاولى والله تعالى أعلم

وفاة

(وفاة كيغباد وملك أخيه كيكاوس)

ولما كثر عيث التتر الذين مع بيكو في مملكة علاء الدين كيغباد واعتزم على المسير الى الخان الاعظم منكوخان يؤكد الدخول في طاعته ويقتضي مراسمه الى بيكو ومن معه من المغل بالكف عن البلاد سار من قونية سنة خمس وخمسين ومعه سيف الدين طرنطاي من موالي أبيه واحتمل معه الاموال والهدايا وسار ووثب أخوه عز الدين كيكاوس على أخيه الآخر قليج ارسلان فاعتقله بقونية واستولى على الملك وكتب في اثر أخيه الى سيف الدين طرنطاي مع بعض الاكابر من أصحابه أن يمكنوه من الهدايا التي معهم يتوجه بها الى الخان ويردوا علاء الدين فلم يدركوه حتى دخل بلاد الخان ونزل على بعض أمرائه فسعى ذلك الرسول في علاء الدين وطرنطاي بأن معهم سما فكبسهم الامير فوجد شيأ من المحمودة فعرض عليهم أكلها فامتنعوا فتحقق السعاية فسألوه احضار الاطباء فأزالوا عنه الشك وبعثهم الى الخان ومات علاء الدين أثناء طريقه ولما اجتمعوا عند الخان اتفقوا على ولاية عز الدين كيكاوس وأنه أكبر وعقدوا له الصلح مع الخان فكتب له وخلع عليهم ثم كتب بيكو الى الخان بأن أهل بلاد الروم قاتلوه ومنعوه العبور فأحضر الرسل وعرفهم الخبر فقالوا اذا بلغناهم كتاب السلطان اذعنوا فكتب الخان بتشريك الاميرين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قليج ارسلان على أن تكون البلاد قسمة بينهما فمن سيواس الى القسطنطينية غربا لعز الدين ومن سيواس الى ارزن الروم شرقا المتصلة ببلاد التتر لركن الدين وعلى الطاعة وحمل الاتاوة لمنكوخان ملكهم صاحب الكرسي بقراقروم ورجعوا الى بلاد الروم وحملوا معهم شلو كيغباد الى أن دفنوه

(استيلاء التتر على قونية)

ثم سار بيكو في عساكر المغل الى بلاد الروم ثالثة فبعث عز الدين كيكاوس العساكر للقائه مع ارسلان ايدغمش من أمرائه فهزمه بيكو وجاء في اتباعه الى قونية فهرب عز الدين كيكاوس الى العلايا بساحل البحر فنزل بيكو على قونية وحاصرها حتى استأمنوا اليه على يد خطيبهم ولما حضر اليه أكرمه ورفع منزلته وأسلمت امرأته على يده وأمن أهل البلد ثم سار هلاكو الى بغداد سنة خمس وستين وبعث عن بيكو وعساكره من بلاد الروم بالحضور معه فاعتذر بالاكراد الذين في طريقه من الفراسلية والبارونية فبعث اليهم هلاكو العساكر فأجفلوا وانتهت العساكر الى اذربيجان وقد أجفل أهلها أمام الاكراد فاستولوا عليها ورجع بصحبة بيكو الى هلاكو فحضر

معه فتح بغداد وقد مرّ خبرها فى أخبار الخلفاء ويأتى فى أخبار هلاكو ونال أن بكو
لما بعث عنه هلاكو لم يحضر معه فتح بغداد واستمر على غدره فلما انقضى أمر بغداد
بعث اليه هلاكو من سقاه السم فمات لانه اتهمه بالاستبداد ثم سار هلاكو بعد فتح
بغداد الى الشأم سنة ثمان وخمسين وحاصر حلب وبعث عن عز الدين كيكاوس وركن
الدين قليج ارسلان وعن معين الدين سليمان البرنواه صاحب دولتهم وكان من خبره أن
أباه مهذب الدين على كان من الديلم وطلب العلم ونبغ فيه ثم تعرض للوزير سعد الدين
المستوفى أيام علاء الدين كيقباد يسأله اجراء رزقه وكان وصافا فاستحسنه وزوجه
ابنته فولدت سليمان ونشأ فى الدولة ومات سعد الدين المستوفى فرقى السلطان مهذب
الدين الى الوزارة وألقى اليه بالمقاليد وتوفى مهذب الدين وترقى ابنه سليمان مهذب
الدولة وكان يلقب معين الدين وترقى فى الرتب الى أن ولى الحجابة وكان يدعى البرنواه
ومعناه الحاجب بلغتهم وكان مختصا بركن الدين فلما حضر معهما عند هلاكو كما قلناه
حلا بعينه وقال لركن الدين لا يأتينى فى أموركم الا هذا فرقت حاله الى أن
ملك بلاد الروم أجمع

{ الفتنة بين عز الدين كيكاوس وأخيه قليج
ارسلان واستيلاء قليج ارسلان على الملك }

ثم وقعت الفتنة سنة تسع وخمسين بين عز الدين كيكاوس وأخيه ركن الدين قليج
ارسلان وسار ركن الدين ومعه البرنواه الى هلاكو يستمده على أخيه فأمده بالعساكر
وحارب أخاه فهزمه عز الدين أولا ثم أمده هلاكو فانهزم عز الدين ولحق بالقسطنطينية
واستولى ركن الدين على سائر الاعمال وهرب التركمان الى أطراف الجبال والثغور
والسواحل وبعثوا الى هلاكو يطلبون الولاية منه على احيائهم فولاهم وأذن لهم
فى اتخاذ الآلة فصاروا ملوكا من حينئذ وكان محمد بك أميرهم وأخوه على بك رديفه
فاستدعى على هلاكو محمد ابك فلم يأته فأمر قليج ارسلان وعساكر التتر الذين معه بقتاله
فساروا وقاتلوه فانهزم ثم استأمن الى السلطان ركن الدين فأمنه وجاء به الى قونية
فقتله واستقر على بك أميرا على التركمان وأورثها بنيه واستولى التتر على البلاد الى

(خبر عز الدين كيكاوس)

ولما انهزم عز الدين كيكاوس ولحق بالقسطنطينية أحسن اليه ميخائيل الشكرى
صاحب قسطنطينية وأجرى عليه الرزق وكان معه جماعة من الروم أخواله فحدثتهم
أنفسهم بالثورة وتملك القسطنطينية ونمى ذلك عنهم فقبض الشكرى عليه وعلى

من معه واعتقله ببعض القلاع ثم وقعت بين الشكرى وبين منكوتمر بن طغان ملك
الشمال من بنى دوشى خان بن جنكزخان فتنة وغزا منكوتمر القسطنطينية وعاث
فى نواحيها فهرب اليه كيكاوس من محبسه فمضى معه الى كرسيه بصراى فمات هنالك
سنة سبع وسبعين وخلف ابنه مسعودا وخطب منكوتمر ملك صراى أمه فمنعها
وهرب عنه ولحق بابقا بن هلاكو ملك العراق فأحسن اليه وأقطعه سيواس وارزن
الروم وارزنكان فاستقر بها

(مقتل ركن الدين قليج ارسلان وولاية ابنه كنجسرو)

كان معين الدين سليمان البرنواه قد استبد على ركن الدين قليج ارسلان ثم تنكر له ركن
الدين البرنواه على مكان أخيه عز الدين كيكاوس بالقسطنطينية
أن يحدث فيه أمرا فلما بلغه خبر كيكاوس واعتقاله بالقسطنطينية أحكم تدبيره فى
ركن الدولة فقتله غيلة ونصب للملك ابنه غياث الدين فى كفالته وتحت حجره واستقل
بملك بلاد الروم واستقامت أموره والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه)

كان هلاكو قد زحف الى الشأم سنة ثمان وخمسين مرارا وزحف ابنه ابقا كذلك
وقاتلهم الملك الظاهر صاحب مصر والشأم وكان كثيرا ما يخالفهم الى بلادهم فدخل
سنة خمس وسبعين الى بلاد الروم وأميرها يومئذ من التتر طغا وأمده ابقا بأميرين من
التتر وهما كداون وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر فزحفوا الى الشأم وسار اليهم
الظاهر من مصر فى مقدمته سنقر الاشقر فلقيت مقدمته مقدمتهم على كوكصو
فانهزم التتر وتبعهم الظاهر والتقى الجمعان على ابلستين فانهزموا ثانية وأثخن فيهم
الظاهر بالقتل والاسر الى قيسارية فملكها وكان البرنواه قد دس اليه واستحثه
للوصول الى بلاده فأقام الظاهر على قيسارية ينتظره وبلغ ملك التتر ابقا خبر الواقعة
فزحف فى جموع المغل الى قيسارية بعد منصرف الظاهر الى بلاده فلما وقف على مصارع
قومه وجد على البرنواه وصدقت عنه السعاية فيه وأنه الذى استحث الظاهر لانه لم ير
فى المعركة مصرع أحد من بلاد الروم ورجع الى معسكره ومعه سليمان البرنواه واستبد
بما لكه والله تعالى ولى التوفيق وهو نعم الرفيق لا رب سواه ولا معبود الا اياه سبحانه

(خلع كنجسرو ثم مقتله وولاية مسعود ابن عمه كيكاوس)

كان قنطغرطاى بن هلاكو مقيما ببلاد الروم مع غياث الدين كنجسرو ملك بلاد الروم
وصار أميرا المغل بها منذ عهد ابقا ولما ولى أحمد تكدار بن هلاكو بعد أخيه ابقا

بعث عن أخيه قنطغرطاى فامتنع من الوصول اليه خشية على نفسه ثم حمله غياث الدين على اجابة أخيه وسار معه فقتل تكرار أخاه قنطغرطاى واتهم المغل غياث الدين بأنه علم برأى تكرار فيه واعتمد فلما ولى ارغون بن ابغا بعد تكرار عزل غياث الدين عن بلاد الروم وحبسه بارزنكاى وولى مكانه على المغل ببلاد الروم أولاكو وذلك سنة ثنتين وثمانين وأقام مسعود ملكا ببلاد الروم سنة ثمان عشرة وسبعمائة وأصابه الفقر وانحل أمره وبقى الملك بها للتتر ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم لابقايا بسيواس من بنى ارتنا مملوك دمرداش بن جوبان واستولى التركمان على تلك البلاد أجمع وأصبح ملكها لهم والله غالب على أمره يؤتى الملك من يشاء وهو العزيز الحكيم

(ملوك قونية من بلاد الروم وملكها من أيديهم التتر)

غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان بن غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق

مسعود بن كيكاوس

كيكاوس

قليج ارسلان بن ركن الدين سليمان

قطب الدين ملك شاه

الخبر عن بنى سكمان موالى السلجوقية ملوك خلاط وبلاد أرمينية ومصير الملك الى مواليهم من بعدهم ومبادى أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان صاحب مرند من اذربيجان اسمعيل بن ياقوتى بن داود أخو الب ارسلان وداود أخو طغرلبك كامرّ ولقب اسمعيل قطب الدولة وكان له مولى تركى اسمه سكمان بالكاف والقاف وكان ينسب اليه فيقال سكمان القطبى وكان شهما عادلا فى أحكامه وكانت خلاط وارمينية لبنى مروان ملوك ديار بكر وكانوا فى آخر دولتهم قد اشتد عسفهم وظلمهم وساء حال أهل البلد معهم فاجتمع أهل خلاط وكاتبوا سكمان واستدعوه ليملكوه عليهم فسار اليهم سنة ثنتين وخمسمائة الى ميافارقين من ديار بكر فحاصرها حتى استأمنوا اليه وملكها ثم أمر السلطان محمد شاه بن ملك شاه الامير مودود بن زيد بن صدقة صاحب الموصل بغزو الافرنج وانتزاع البلاد من أيديهم وأمر أمراء الثغور بالمسير معه فسار معه برسق صاحب همذان وأحمد بك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل وابو الغازى صاحب ماردين وسقمان القطبى صاحب ديار بكر فساروا لذلك وفتحوا عدة حصون وحاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل ناشر كذلك واستدعاهم رضوان بن تتش صاحب حلب

فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم ومرض سكمان القطبى هنالك فرجع عنهم وتوفى فى طريقه ببالس وافترقت العساكر وملك خلاط وبلاد ارمينية بعد مهلكه ابنه ظهير الدين ابراهيم وسار فيهم بسيرة أبيه الى أن هلك سنة احدى وعشرين وملك بعده أخوه أحمد بن سكمان عشرة أشهر ثم توفى فنصب أصحابه للملك بارمينية وخلاط شاه أرمن سكمان ابن أخيه ابراهيم بن سكمان صبيا دارجا واستبدت عليه جدته أم ابراهيم ثم أزمعت قتله فقتلها أهل الدولة وعمد سنة ثمان وعشرين واستبد شاه أرمن وكانت بينه وبين الكرج وقائع وساروا سنة ست وخمسمائة الى مدينة انى من اعمال اران فاستباحوها وسار اليهم فى العساكر فهزموه ونالوا منه وكانت عنده أخت طليق بن على صاحب ارزن الروم ووقعت بينه وبين الكرج حرب فانهزم طليق وأسر وبعث شاه ارمن الى ملك الكرج وفادى طليقا ورده الى ملكه بارزن ثم استولى صلاح الدين بن أيوب على مصر والشأم واستفحل ملكه وكاتبه مظفر الدين كوكبرى وأغراه بملك الجزيرة ووعده بخمسين ألف دينار وسار صلاح الدين الى سنجار فحاصرها وهو مجمع المسير الى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكى فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط فبعث شاه ارمن مولاه مكتمر الى صلاح الدين شفيعا فى صاحب الموصل ووفد عليه وهو محاصر لسنجار ولم يشفعه صلاح الدين فرجع عنه مغاضبا وسار شاه ارمن

لقتاله

لقتاله واستدعى قطب الدين نجم الدين الى صاحب ماردين وهو ابن أخيه وابن خال عز الدين وحضر معه دولة شاه بن طغرلشاه بن قليج ارسلان صاحب

وسار سنة ثمان وسبعين وقد ملك صلاح الدين سنجار وافترقت العساكر فلما بلغه مسيرهم بعث عن تقى الدين ابن أخيه شاه من حماة فوافاه سريعا ورحل الى رأس عين وافترقت جموعهم وسار صلاح الدين الى ماردين فعاث فى نواحيها ورجع ثم سار الى الموصل آخر احدى وثلاثين وعبر الى الجزيرة وانتهى الى حران ولقيه مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين ولم يف له بالخمسين ألفا التى وعده بها وأخذ منه حران والرها ثم أطلقه بما انفذه من مكاتبته وأعاد عليه بلدته وسار من حران فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ولقيه سنجر شاه صاحب الجزيرة ابن أخى عز الدين مودود ففارق الطاعة وسار معه الى الموصل ولما انتهى الى مدينة بلد بعث اليه عز الدين ابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة راغبين فى الصلح فأكرمهم واستشار أصحابه من أعيان الدولة فأشار على بن أحمد المشطوب كبير الهكارية بالامتناع من ذلك فردهم صلاح الدين واعتذر وسار فنزل على فرسخين من الموصل واشتدوا فى مدافعته فامتنعوا عليه فندم على عدم الصلح ورجع على على المشطوب ومن وافقه بالملائمة وخاطبه القاضى الفاضل البيسانى من مصر وعزله فى ذلك وجاء زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبرى فتلقاهما بالتكرمة وأنزلهما مع الحشود الوافدة بالجانب الشرقى وبعث على بن أحمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فحاصرها واجتمع عليه الاكراد ولم يزل محاصرا لها حتى عاد صلاح الدين من الموصل وأقام صلاح الدين على حصارها مدة وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة يكاتبه فمنعه من الصعود اليها وكان يقتدى برأى مجاهد الدين وبعثه فى الصلح فسعى فيه الى أن تحمله ووصل صلاح الدين الى ميافارقين

(وفاة شاه ارمن سكمان وولاية مكتمر مولى أبيه)

ثم توفى شاه ارمن سقمان بن ابراهيم بن سكمان صاحب خلاط سنة ست وسبعين وكان مكتمر مولى أبيه بميافارقين فأسرع الوصول بمن معه من المماليك واستولى على كرسى بنى سكمان وولى على ميافارقين أسد الدين برتقش من موالى شاه ارمن وكان البهلوان ابن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان مر بقائد ملوك السلجوقية وقد زوج ابنته من شاه ارمن طمعا فى ملك خلاط فلما توفى شاه ارمن سار اليها فى عساكره فكاتب أهل خلاط صلاح الدين بن أيوب ودافعوا كلا منهما بالآخر وسار صلاح الدين فى مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريبا من خلاط

فتردد الرسل من صلاح الدين ومن شمس الدين البهلوان الى أهل خلاط وهم يدافعون الفريقين وكان قد بلغه وفاة صاحبها قطب الدين وان برتقش نصب ابنه طفلا صغيرا واستبد عليه فسار صلاح الدين اليها وحاصرها حتى تسلمها على الامان وأقام مكتمر أميرا بخلاط وطالت مدته وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب الى أن توفى صلاح الدين سنة تسع وثمانين فأظهر الشماتة به وتسمى عبد العزيز وتلقب سيف الدين وتوفى اثر ذلك والله تعالى أعلم

(وفاة مكتمر وولاية اقسنقر)

كان مكتمر لاول ولايته قد اختص اقسنقر من موالى شاه ارمن وتلقب هزار دينارى وزوجه بنته وجعله اتابكه فأقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وتربص به حتى اذا توفى صلاح الدين تجهز مكتمر من ميافارقين فأمكنته فيه الفرصة فقتله لعشر سنين من ولايته وذلك بعد وفاة صلاح الدين بشهرين واستبد بملك خلاط وارمينية واعتقل ابن مكتمر وأمه فى بعض القلاع والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة اقسنقر وولاية محمد بن مكتمر)

ثم هلك اقسنقر صاحب خلاط وارمينية سنة أربع وتسعين لخمس سنين من ملكه وقام بملك خلاط بعده قراسنقر قطلغ الارمنى ولم يرضه أهل خلاط فوثبوا به لسبعة أيام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من محبسه وملكوه ولقبوه الملك المنصور وقام بدولته شجاع الدين قطلغ القفجاقى دوادار شاه ارمن وأقام تحت استبداده الى سنة ثلاث وستمائة ثم دبر على الدوادار وقبض عليه وكان حسن السيرة فاستوحش لذلك الجند والعامة وعكف بعد نكبة الدوادار على لذاته فاجتمع أهل خلاط والجند وكبيرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا الى ارتق بن أبى الغازى بن البى صاحب ماردين يستدعونه للملك بما كان ابن أخت شاه ارمن وجاهر بلبان بالعصيان الى ملازكرد واجتمع الجند عليه

(نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها)

ولما ملك بلبان مدينة ملازكرد وأعمالها واجتمع عليه الجند وسار يريد خلاط ووصل ارتق بن أبى الغازى صاحب ماردين لموعدهم ونزل قريبا من خلاط فبعث اليه بلبان أن الجند والرعية اتهمونى فيك فارجع واذا ملكت البلد سلمته اليك فتحيى قليلا فبعث اليه يتوعده على مقالته وبطئه فعاد الى ماردين وكان الاشرف موسى بن العادل

ابن

ابن أيوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها لنفسه وخشى أن يزداد بملكها قوة عليهم فخالفه الى ماردين وأقام بتدايس وبنى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران ثم جمع بلبان العساكر وسار الى خلاط فحاصرها وبرز ابن مكتمر فيمن عنده فانهزم بلبان وعاد الى ولايته بملازكرد وارجيش وغيرها ثم جمع ورجع الى خلاط فحاصرها وضيق عليها وابن مكتمر عاكف على لذاته فلما جهدهم الحصار ثاروا به وقبضوه ومكنوا بلبان منه ودخل الى خلاط واستولى عليها وعلى سائر أعمالها وحبس ابن مكتمر فى قلعة هنتر واستبد بملكها وكان الاوحد نجم الدين أيوب ابن العادل بن أيوب قد ولى على ميافارقين من قبل أبيه الى خلاط سنة أربع وستمائة وقصد مدينة سوس وحاصرها وملك ما يجاورها وعجز بلبان عنه ثم ملك سوس وقصد خلاط فبرز له بلبان وهزمه فعاد الى ميافارقين وجمع واستمد أباه العادل فأمده بالعساكر ونهض الى خلاط فبرز له بلبان ثانية وهزمه الاوحد وحاصره فى خلاط فبعث بلبان الى طغرل يستنجده فانهزم الاوحد امامهما وسار بلبان مع طغرل الى مراش فحاصراها وغدر به طغرل هنالك وقتله وسار الى خلاط فمنعه أهلها فسار الى ملازكرد فمنعوه كذلك فعاد الى ارزن وأرسل أهل خلاط بطاعتهم الى الاوحد نجم الدين فجاء وملك خلاط واستولى على أعمالها وزحف الكرج فأغاروا على خلاط وعاثوا فى نواحيها والاوحد مقيم بخلاط لم يفارقها وانتقض عليه جماعة من العسكر بحصن رام وساروا الى مدينة ارجيش فملكوها واجتمع اليهم المفسدون وبعث نجم الدين الى أبيه العادل يستنجده فأمده بابنه الاشرف شرف الدين موسى فحاصر حصن رام حتى استأمن اليه من كان به من الجند ورجع الاشرف الى عمله بحران والرها واستقر نجم الدين بخلاط ثم سار الى ملازكرد ليطالع أمورها ويمهدها فثار أهل خلاط بعسكره فأخرجوهم وحصروا أصحاب نجم الدين بالقلعة ونادوا بشعار شاه ارمن وقومه فرجع الاوحد ولاقاه عسكر الجزيرة وحاصر خلاط ثم اختلف أهلها فدخلها عليهم عنوة واستباحها ونقل جماعة من أعيانها الى ميافارقين وقتل اشرافهم هنالك واستكان أهل خلاط بعدها وانمحى منها حكم الممالك بعد أن كانوا مستحكمين فيها يولون ملوكها ويخلعونهم وانقرضت دولة بنى سكمان من خلاط وصارت لبنى أيوب والبقاء لله وحده والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين واليه المرجع

(آخر دولة السلجوقية بخلاط وارمينية وملكها منهم بنو أيوب)

عز الدين بلبان مولى شاه أرمن بن ابراهيم بن سكمان القطبي مولى قطب الدين اسمعيل بن ياقوتي بن داود بن ميكال

اقسنقر مولى

محمد بن مكتمر مولى

قام بدولته سام مولى شاه أرمن

أخبار الافرنج فيما ملكوه من سواحل الشأم وثغوره وكيف تغلبوا عليه وبداية أمرهم في ذلك ومصايره

قد تقدم لنا اول الكتاب الكلام في أنساب هذه الامة عند ذكر أنساب الامم وانهم من ولد يافث بن نوح ثم من ولد ريفات بن كومر بن يافث اخوة الصقالبة والخزر والترك وقال هروشوش انهم من عصرما بن غومر وأما مواطنهم من بلاد المعمورة فهم في شمالي البحر الرومي من خليج رومة الى ما وراء النهر غربا وشمالا وكانوا أولا يدينون لليونان والروم بالطاعة عند استفحال أمرهم فلما انقرضت دولة أولئك استقل هؤلاء

الافرنج بملكهم وافترقوا دولا مثل دولة القوط بالاندلس والجلالقة بعدهم وملك اللمانين بالتفخيم من جزيرة انكلطره بالبحر المحيط الغربي الشمالي وما يحاذيه ويقابله من المعمور ومثل ملوك افرنسة وهو عندهم اسم افرنجة بعينه (بياض بالاصل) ينطقون بها سينا وهم ما وراء خليج رومة غربا الى الثنايا المفضية الى جزيرة الاندلس في الجبل المحيط بها من شرقيها وتسمى تلك الثنايا البردت وكانت دولة هؤلاء الافرنس منهم من أعظم دولهم واستفحل أمرهم بعد الروم وصدرا من دولة الاسلام العربية وسموا الى ملك بلاد المشرق من ناحيتها وتغلبوا على جزر البحر الرومي في آخر المائة الخامسة وكان ملكهم لذلك العهد بردويل فبعث رجالا من ملوكهم الى صقلية وملكها من يد المسلمين سنة ثمانين وأربعمائة ثم سموا الى ملك ما وراء النهر من افريقية وبلاد الشأم والاستيلاء على بيت المقدس وطال ترددهم في ذلك ثم استحثهم وحرضهم عليه فيما يقال خلفاء العبيديين بمصر لما استفحل ملك السلجوقية وانتزعوا الشأم من أيديهم وحاصروهم في مصر فيقال ان المستنصر منهم دس الى الافرنج بالخروج وتسهيل أمرهم عليه ليحولوا بين السلجوقية وبين مرامهم فتجهز الافرنج لذلك وجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية ومنعهم ملك الروم من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم أن يسلموا له انطاكية لكون المسلمين كانوا أخذوها من ممالكهم فقبلوا شرطه وسهل لهم العبور في خليجه فأجازوا سنة تسعين وأربعمائة في العدد والعدة وانتهوا الى بلاد قليج ارسلان وجمع للقائهم فهزموه وفر (بياض بالاصل)

بلاد ابن اليون الارمني ووصلوا انطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فحاصروه بها وخذلوا صاحب حلب ودمشق على صريخه بأن لا يقصدوا غير انطاكية فأسلموه حتى ضاق به الحصار وغدر به بعض الحامية فملك الافرنج البلاد وهرب باغيسيان فقتل وحمل اليهم رأسه وكان ملوكهم الحاضرون لذلك خمسة بردويل وصنجيل وكبريري والقمص واسمند وهو مقدم العساكر فردوا اليه أمر انطاكية وبلغ الخبر الى المسلمين فسافروا اليهم شرقا وغربا وسار قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل وجمع عساكر الشأم وسار الى دمشق فخرج اليهم دقاق بن تتش وطغتكين أتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان (بياض بالاصل) صاحب سنجر وسكمان ارتق وغيرهم من الامراء وزحفوا الى انطاكية فحاصروها ثلاثة عشر يوما ووهن الافرنج واشتد عليهم الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الامان فلم يسعفوا ثم اضطرب أمر عساكر المسلمين وأساء كربوقا السيرة فيهم وأزمعوا من استكثاره عليهم فخرج الافرنج اليهم واستماتوا فتخاذل المسلمون وانهزموا من

غير قتال حتى ظنها الافرنج مكيدة فتقاعدوا عن اتباعهم واستشهد من المسلمين ألوف والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على معرة النعمان ثم على بيت المقدس)

ولما حصلت للافرنج هذه النكاية فى المسلمين طمعوا فى البلاد وساروا الى معرة النعمان وحاصروها واشتد القتال فى أسوارها حتى داخل أهلها الجزع فتحصنوا بالدور وتركوا السور فلكه الافرنج ودخلوا عليهم فاستباحوها ثلاثا وأقاموا بها أربعين يوما ثم ساروا الى غزة وحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم فصالحهم ابن منقذ عليها وساروا الى حمص وحاصروها فصالحهم عليها جناح الدولة وساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان بيت المقدس قد ملكه السلجوقية وصار لتاج الدولة تتش وأقطعه لسكمان بن ارتق من التركمان فلما كانت واقعة الافرنج بانطاكية طمع أهل مصر فيهم وسار الافضل بن بدر الجمالى المستولى على العلويين بمصر الى بيت المقدس وبها سكمان وابو الغازى ابنا ارتق وابن عمهما سوع وابن أخيهما ياقوتى فحاصروه نيفا وأربعين يوما ونصبوا عليه نيفا وأربعين منجنيقا وملكوه بالامان سنة احدى وتسعين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سكمان وابى الغازى وأصحابهما وسرحهم الى دمشق وعبروا الفرات وأقام سكمان بالرها وسار ابو الغازى الى العراق واستناب الافضل عليها افتخار الدولة الذى كان بدمشق فقصده الافرنج بعد ان حاصروا عكا وامتنعت عليهم فحاصروه أربعين ليلة وافترقوا على جوانب البلد فملكوها من الجانب الشمالى آخر شعبان من السنة واستباحوها وأقاموا فيها أسبوعا واعتصم بعض المسلمين بمحراب داود وقاتلوا فيه ثلاثا حتى استأمنوا ولحقوا بعسقلان وأحصى القتلى من الائمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين بالمسجد فكانوا سبعين ألفا أو يزيدون وأخذ من المناور المعلقة عند الصخرة أربعون قنديلا من الفضة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة وستون درهما من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامى ومائة وخمسون قنديلا من الصغار وما لا يحصى من غير ذلك وجاء الصريخ الى بغداد صحبة القاضى أبى سعيد الهروى ووصف فى الديوان صورة الواقعة فكثر البكاء والاسف ووسم الخليفة بمسير جماعة من الاعيان والعلماء فيهم القاضى أبو محمد الدامغانى وأبو بكر الشاشى وأبو الوفا بن عقيل الى السلطان بركيارق يستصرخونه للاسلام فساروا الى حلوان وبلغهم اضطراب الدولة السلجوقية وقتل مجد الملك البارسلانى المتحكم فى الدولة واختلاف السلاطين فعادوا وتمكن الافرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس كندفرى من ملوكهم

(مسير العساكر من مصر لحرب الافرنج)

لما بلغ خبر الواقعة الى مصر جمع الافضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار الى عسقلان ثم أرسل الى الافرنج بالنكير والتهديد فأعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم ودخل الافضل عسقلان وافترق المنهزمون واستبدوا بنحر الجمير ووصل الافضل من عسقلان الى مصر ونازلها الافرنج حتى صانع أهلها الافرنج بعشرين ألف دينار وعادوا الى القدس

(ايقاع ابن الدانشمند بالافرنج)

كان كمشتكين بن الدانشمند من التركمان ويعرف بطايلوا ومعنى الدانشمند المعلم كان أبوه يعلم التركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك سيواس وغيرها وكان صاحب ملطية يعاديه فاستنجد عليه اسمند صاحب انطاكية فجاءه فى خمسة آلاف وسار اليه ابن الدانشمند وأسره ثم جاء الافرنج الى قلعة أنكورية فملكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم حاصروا اسمعيل بن الدانشمند فلقيهم كمشتكين وهزمهم واستلحمهم وكانوا ثلثمائة ألف ثم ساروا الى ملطية فملكوها وأسروا صاحبها وزحف اليه اسمند من انطاكية فى الافرنج فهزمهم ابن الدانشمند فأتاح الله للمسلمين على يده هذا الظهور فى مدد متقاربة حتى خلص اسمند من الاسر وجاء الى انطاكية والافرنج بها وبعث الى قيس والعواصم وما جاورها يطلب الامارة فامتعض المسلمون لذلك وقلدوه بعد العهد الذى التزمه

(حصار الافرنج قلعة جبلة)

كانت جبلة من أعمال طرابلس وكان الروم قد ملكوها وولوا على المسلمين بها ابن رئيسهم منصور بن صليحة يحكم بينهم فلما صارت للمسلمين رجع أمرها لجلال الملك أبى الحسن على بن عمار المستبد بطرابلس وبقى منصور بن صليحة على عادته فيها ثم توفى منصور فقام اليه أبو محمد عبد الله مقامه وأظهر الشماتة فارتاب به ابن عمار وأراد القبض عليه فعصى هو فى جبلة وأقام بها الخطبة العباسية واستنجد عليه ابن عمار دقاق بن تتش فجاءه ومعه أتابك طغركين فامتنع عليهم ورجعوا ثم جاء الافرنج فحاصروها فامتنعت عليهم أيضا وشاع أن بركيارق جاء الى الشأم فرحلوا ثم عادوا وأظهروا أن المصريين جاؤا لانجاده فرحلوا ثم عادوا فتقدم للنصارى الذين عنده أن يداخلوا الافرنج فى نقب البلد من بعض أسواره فجهزوا اليهم ثلثمائة من أعيانهم

فرفعهم بحبال واحدا بعد واحد وشوقا عدى السور حتى قتلهم أجمعين فرحلوا عنه ثم عادوا اليه فهزمهم وأسر ملكهم كبرانيطل وفدى نفسه منه بمال عظيم ثم [بياض بالاصل] ابن صليحة وجهده الحصار فأرسل الى طغركين صاحب دمشق وبعث ابن عمار فى طلبه الى الملك دقاق على أن يدفعه اليه بنفسه ومن ماله ويعطيه ثلاثين ألف دينار فلم يتبع وسار ابن صليحة الى بغداد فوعده الى وصول رسله من الانبار فبعث لوزير من استولى عليها فوجد فيها مالا يحصى من الملابس والعمائم والمتاع وانتزع ذلك كله ولما ملك تاج الملوك جبلة أساء فيها السيرة فراسلوا فخر الملك أبا على بن عمار صاحب طرابلس واستدعوه لملكها فبعث اليهم عسكرا وقاتلوا تاج الملك ومن معه فهزموه وأخذوه أسيرا وملكوا جبلة بدعوة ابن عمار وحملوا تاج الملك الى ابن عمار فأحسن اليه وبعث الى أبيه بدمشق واعتذر له بأنه خاف على جبلة من الافرنج

(استيلاء الافرنج على سروج وقيسارية وغيرهما)

ثم سار كبريرى ملك الافرنج من بيت المقدس سنة أربع وتسعين لحصارها فأصابه منهم سهم فقتله فسار أخوه بقدوين فى خمسمائة فارس الى القدس ونهض دقاق صاحب دمشق ومعه جناح الدولة صاحب حمص لاعتراضه فهزموا الافرنج وأثخنوا فيهم ثم كاتب أهل مدينة الافرنج وكان أكبرهم ودخل فى طاعتهم وكان سقمان بن ارتق صاحب سروج جمع جموعه من التركمان وسار الى الرها فلقيه الافرنج وهزموه فى ربيع سنة أربع وتسعين وساروا الى سروج فحاصروهم حتى ملكوها عنوة واستباحوها ثم ملكوا حصن كيفا قرب عكا عنوة وملكوا ارسوف بالامان ثم ساروا فى رجب الى قيسارية فملكوها عنوة واستباحوها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(حصار الافرنج طرابلس وغيرها)

كان صنجيل من ملوك الافرنج المذكورين قبل قد لازم حصار طرابلس وزحف اليه قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فظفر به وعاد صنجيل مهزوما فأرسل فخر الدولة بن عمار صاحب طرابلس الى أمير آخر نائب جناح الدولة بحمص الى دقاق بن تتش يدعوه الى معالجته فجاء تاج الدولة بنفسه وجاء العسكر مددا من عند دقاق واجتمعوا على طرابلس وفرق صنجيل الفل الذين معه على قتالهم فانهزموا كلهم وقتل هو فى أهل طرابلس وشد حصارها وأعانه أهل الجبل والنصارى من أهل سوادها ثم صالحوه على مال وخيل ورحل عنهم الى طرسوس من أعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة واستباحها الى حصن الطومار ومقدمه ابن العريض فامتنع عليهم وقاتلهم صنجيل

فهزموا عسكره وأسروا زعيما من زعماء الافرنج بذل صنجيل فيه عشرة آلاف دينار وألف أسير ولم يعاوده وذلك كله سنة خمس وتسعين وأربعمائة ثم سار صنجيل الى حصن الاكراد وحاصره [بياض بالاصل] جناح الدولة لغزوه فوثب عليه باطنى بالمسجد فقتله ويقال ان رضوان بن تتش وضعه عليه فسار صنجيل الى حمص وحاصرها وملك أعمالها ثم نزل القمص على عكا فى جمادى الاخيرة من السنة فنفر المسلمون من جميع السواحل لقتاله وهزموه وأحرقوا الدبابات والمنجنيقات التى نصبت للحرب ثم سار القمص صاحب الرها الى سروج وحاصرها فامتنعت عليه وزحف عساكر مصر الى عسقلان للمدافعة عن سواحلهم فزحف اليهم بردويل صاحب القدس فهزمه المسلمون ونجا الى الرملة وهم فى اتباعه فحاصروه وخلص الى يافا وفشا القتل والاسر فى الافرنج والله تعالى ولى التوفيق

(حصار الافرنج عسقلان وحروبهم مع عساكر مصر)

لما طمع الافرنج فى عسقلان واستفحل أمرهم بالشام جهز الافضل أمير الجيوش عساكره من مصر لحربهم سنة ست وتسعين مع سعد الدولة القواسى مولى أبيه وزحف بقدوين ملك الافرنج من القدس فلقيهم بين الرملة ويافا وهزمهم ومات سعد الدولة مترديا عن فرسه واستولى الافرنج على سواده وبعث الافضل بعده ابنه شرف المعالى فلقيهم فى العساكر على يازور قرب الرملة فهزمهم ونال منهم ونجا كثير من أعيانهم الى بعض الحصون هنالك فحاصرهم شرف المعالى خمس عشرة ليلة وملك الحصن فقتل وأسر ونجا بقدوين الى يافا ثم الى القدس فصادف وصول جمع كثير من الافرنج لزيارة القدس فندبهم للغزو فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالى فامتنعت ورجعوا وبعث شرف المعالى الى أبيه فبعث العساكر فى البر مع تاج العجم مولى أبيه والاسطول فى البحر لحصار يافا مع القاضى ابن قادوس فلما وصل الاسطول الى يافا بعث عن تاج العجم ليأتيه بالعساكر فامتنع فأرسل الافضل من قبض عليه وولى على العساكر وعلى عسقلان جمال الملك من مواليهم فانصرمت السنة وبيد الافرنج بيت المقدس غير عسقلان ولهم أيضا من الشام يافا وارسوف وقيسارية وصيدا وطبرية والاردن واللاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وصنجيل محاصر فخر الملك بن عمار بمدينة طرابلس وهو يرسل اسطوله للغارة على بلاد الافرنج فى كل ناحية ثم دخلت سنة سبع وتسعين فخرج الافرنج الذين بالرها فأغاروا على الرقة وقلعة جعبر واكتسحوا نواحيها وكانت لسالم ابن مالك بن بدران بن المقلد منذ ملكه السلطان ملك شاه اياها سنة تسع وسبعين كما مر والله أعلم

(استيلاء الافرنج على جبيل وعكا)

وفي سنة سبع وتسعين وصلت مراكب من بلاد الافرنج تحمل خلقا كثيرا من التجار والحجاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصروها حتى يئسوا منها فرحلوا الى جبيل وملكوها بالامان ثم غدروا بأهلها وأفحشوا في استباحتها ثم استنجدهم بقدوين ملك القدس على حصار عكا فحاصروها برا وبحرا وبها [بياض بالاصل] الدولة الجيوشي من قبل ملك الجيوش الافضل صاحب مصر فدافعهم حتى عجزوا وهرب عنها الى دمشق وملك الافرنج عكا عنوة وأفحشوا في استباحتها والله تعالى أعلم

(غزو أمراء السلجوقية بالجزيرة الفرنج)

كان المسلمون أيام تغلب الافرنج على الشأم في فتنة واختلاف تمكن فيها الافرنج واستطالوا وكانت حران وحمص لمولى من موالى ملكشاه اسمه قراجا والموصل لجكرمس وحصن كيفا لسقمان بن ارتق وعصى في حران على قراجا نائبه فيها فاغتاله جاولى مولى من موالى الترك وقتله فطمع الافرنج في حران وحاصروها وكان بين جكرمس وسقمان فتنة وحرب فوضعوا أوزارها للتلافي حران واجتمعا على الخابور وتحالفا ومع سقمان سبعة آلاف من قومه التركمان ومع جكرمس ثلاثة آلاف من قومه الترك ومن العرب والاكراد وسار اليهم الافرنج من حران فاقتتلوا واستطردلهم المسلمون بعيدا ثم كروا عليهم فأثخنوا فيهم واستباحوا أموالهم وكان اسمند صاحب انطاكية وسكرى صاحب الساحل قد أكمنوا للمسلمين وراء الجبل فلم يظهر لهم انهم أصحابهم وأقاموا هنالك الى الليل ثم هربوا وتعبهم المسلمون فاتبعوهم وأثخنوا فيهم وأسر في تلك الواقعة القمص بردويل صاحب الرها أسره بعض التركمان من أصحاب سقمان فشق ذلك على أصحاب جكرمس لكثرة ما استاثر التركمان من الغنائم وحسنوا له أخذ القمص من [بياض بالاصل] سقمان فأخذه وأراد التركمان محاربة جكرمس وأصحابه عليه فمنعهم سقمان حذرا من اختلاف المسلمين وسار مفارقا لهم وكان يمر بحصون الافرنج فيخرجون اليه ظنا بنصر أصحابهم فملكها عليهم وسار جكرمس الى حران فملكها وولى عليها من قبله ثم سار الى الرها وحاصرها أياما وعاد الى الموصل وفادى القمص بردويل بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيرا والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه

(حرب الافرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب)

ثم سار سكرى صاحب انطاكية من الافرنج سنة ثمان وتسعين الى حصن ارتاح من

حصون رضوان صاحب حلب فضاقت حالهم واستنجدوا برضوان فسار اليهم وخرج الافرنج للقائه ثم طلب الصلح من رضوان فمنعه اصبهبد صباوو من أمراء السلجوقية كان نزع اليه بعد قتل صاحبه اياز والتقيهم الافرنج فانهزموا أولا ثم استماتوا وكروا على المسلمين فهزموهم وأفحشوا في قتلهم وقتل الرجالة الذين دخلوا عسكرهم في الحملة الاولى ونجا رضوان وأصحابه الى حلب ولحق صباوو بطغركين أتابك دمشق ورجع الافرنج الى حصار الحصن فهرب أهله الى حلب وملكه الافرنج والله تعالى ولي التوفيق

(حرب الافرنج مع عساكر مصر)

كان الافضل صاحب مصر قد بعث سنة ثمان وتسعين ابنه شرف المعالي في العساكر الى الرملة فملكها من يد الافرنج ثم اختلف العسكر في ادعاء الظفر وكادوا يقتتلون وأغار عليهم الافرنج فعاد شرف المعالي الى مصر فبعث الافضل ابنه الآخر سناء الملك حسينا مكانه في العساكر وخرج معه جمال الدين صاحب عسقلان واستمد طغركين أتابك دمشق فجهز اليهم اصبهبد صباوو من أمراء السلجوقية وقصدهم بقدوين صاحب القدس وعكا فاقتتلوا وكثرت بينهم القتلى واستشهد جمال الملك نائب عسقلان وتحاجزوا وعاد كل الى بلده وكان مع الافرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش ذهب مغاضبا عن دمشق لما عدل عنه طغركين الاتابك بالملك الى ابن أخيه دقاق وأقام عند الافرنج والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بمنه

(حرب الافرنج مع طغركين)

كان قمص من قمامصة الافرنج بالقرب من دمشق وكان كثيرا ما يغير عليها ويحارب عساكرها فسار اليه طغركين في العساكر وجاء بقدوين ملك القدس لانجاده على المسلمين فرده ذلك القمص ثقة بكفائه فرجع الى عكا وسار طغركين الى الافرنج فقاتلهم وحجزهم في حصنهم ثم خرب الحصن وألقى حجارته في الوادي وأسر الحامية الذين به وقتل من سواهم من أهله وعاد الى دمشق ظافرا ثم سار بعد أسبوع الى [بياض بالاصل] وبه ابن أخت صنجيل فملكه وقتل حاميته

(استيلاء الافرنج على حصن افامية)

كان خلف بن ملاعب الكلابي متغلبا على حمص وملكها منه تتش كما مر وانتقلت الاحوال الى مصر ثم ان رضوان صاحب حلب انتقض عليه والیه بحصن افامية وكان من الرافضة فبعث بطاعته الى صاحب مصر واستدعى منهم واليا فبعثوا خلف بن

بياض بالاصل

ملاعب لايثاره الجهاد وأخذوا رهنه بعدى فى افامية واستبدبها واجتمع عنده

المفسدون ثم ملك الافرنج   من اعمال حلب وأهله رافضة ولحق قاضيها

بابن ملاعب فى افامية ثم أعمل التدبير عليه وبعث الى أبى طاهر الصائغ من اصحاب

رضوان وأعيان الرافضة ودعاتهم وداخله فى الفتك بابن ملاعب وتسليم الحصن الى

رضوان وشعر بذلك ابنا ابن ملاعب وحذرا أباهما من تدبير القاضى عليه وجاء القاضى

فحلف له على كذبه فصدقه وعاد القاضى الى مداخلة أبى طاهر ورضوان فى ذلك

التدبير وبعثوا جماعة من أهل سرمين بخيول وسلاح يقصدون الخدمة عند ابن

ملاعب فأنزلهم بربض افامية حتى تم التدبير وأصعدهم القاضى وأصحابه ليلا الى

القلعة فملكوها وقتلوا ابن ملاعب وهرب ابناه فلحق أحدهما بأبى الحسن بن منقذ

صاحب شيزر وقتل الآخر وجاء أبو طاهر الصائغ الى القاضى يعتقد ان الحصن له

فلم يمكنه القاضى وأقام عنده وكان بعض بنى خلف بن ملاعب عند طغركين بدمشق

مغاضبا لابيه فولاه حصنا من حصونه فأظهر الفساد والعبث فطلبه طغركين فهرب الى

الافرنج واستحثهم لملك افامية فحاصروه حتى جهد أهله الجوع وقتلوا القاضى المتغلب

فيه والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة

(خبر الافرنج فى حصار طرابلس)

كان صنجيل من ملوك الافرنج ملازما لحصار طرابلس وملك جبلة من يد ابن صليحة

وبنى على طرابلس حصنا وأقام عليها ثم هلك وحمل الى القدس ودفن وأمر ملك الروم

أهل اللاذقية أن يحملوا الميرة الى الافرنج المحاصرين طرابلس فحملوها فى السفن

وظفر أصحاب ابن عمار ببعضها فقتلوا وأسروا واستمر الحصار خمس سنين فعدمت

الاقوات واستنفد أهل الثروة مكسوبهم فى الانفاق وضاقت أحوالهم وجاءتهم سنة

خمسمائة ميرة فى البحر من جزيرة قبرص وانطاكية وجزائر البنادقة فحفظت أرماقهم

ثم بلغ ابن عمار انتظام الامر للسلطان محمد بن ملك شاه بعد أخيه بركيارق فارتحل اليه

صريخا واستخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب فى طرابلس وخيم ابن عمار لى

دمشق وأكرمه طغركين ثم سار الى بغداد فأكرمه السلطان محمد وأمر بتبليغه

والاحتفال لقدومه ووعده بالانجاد ولما رحل عن بغداد أحضره عنده بالنهروان وأمر

الامير حسين بن أتابك قطلغتكين بالمسير معه وان يستصحب العساكر التى بعثها مع

الامير مودود الى الموصل لقتال جاولى سكاوو وأمره باصلاح جاولى والمسير مع ابن

عمار حسبما مر فى أخبارهم ثم وقعت الحرب بين السلطان محمد وبين صدقة بن مزيد

واصطلحوا وودعه ابن عمار بعد ان خلع عليه وسار معه الامير حسين فلم يصل الى قصده

بياضان بالاصل

من عساكر الموصل   مودود واستقاض فعاد فخر الدين بن عمار الى

دمشق فى محرم سنة ثنتين وخمسمائة وسار منها الى   فملكها وبعث أهل طرابلس

الى الافضل أمير الجيوش بمصر يستمدونه ويسألون الوالى عليهم فبعث اليهم شرف

الدولة بن أبى الطيب بالمدد والاقوات والسلاح وعدة الحصار واستولى على ذخائر ابن

عمار وقبض على جماعة من أهله وحمل الجميع فى البحر الى مصر

(خبر القمص صاحب الرها مع جاولى ومع صاحب انطاكية)

كان جاولى قد ملك الموصل من يد أصحاب جكرمش ثم انتقض فبعث السلطان اليه

مودود فى العساكر فسار جاولى عن الموصل وحمل معه القمص بردويل صاحب الرها

الذى كان أسره سقمان وأخذه منه جكرمش وأصحابه وترك الموصل ثم أطلق جاولى هذا

القمص فى سنة ثلاث وخمسمائة بعد خمس سنين من أسره على مال قرره عليه وأسرى

من المسلمين عنده يطلقهم وعلى أن يمده بنفسه وعساكره وماله متى احتاج الى ذلك

ولما انبرم العقد بينهما بعث بو الى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاءه هنالك ابن خالته

جوسكين تل باشر فأقام رهينة مكانه ثم أطلقه جاولى ورهن مكانه أخا زوجته وزوجة

القمص فلما وصل جوسكين الى منبج أغار عليها ونهبها وسبى جماعة من أصحاب جاولى الى

الغدر فاعتذر بأن هذه البلاد ليست لكم ولما أطلق القمص سار الى انطاكية ليسترد

الرها من يد سكرى لانه أخذها بعد أسره فلم يردها وأعطاه ثلاثين ألف دينار ثم سار

القمص الى تل باشر وقدم عليه أخوه جوسكين الذى وضعه رهينة عند جاولى وسار

سكرى صاحب انطاكية لحربهما قبل أن يستفحل أمرهما ويجدهما جاولى فقاتلوه

ورجع الى انطاكية وأطلق القمص مائة وستين من أسرى المسلمين ثم سار القمص

وأخوه جوسكين وأغاروا على حصون انطاكية وأمدهم صاحب رعبان وكيسوم

وغيرهما من القلاع شمال حلب وهو من الارمن بألف فارس وألفى راجل وخرج اليهم

سكرى وتراجعوا للحرب ثم حملهم الترك على الصلح وحكم على سكرى برد الرها على

القمص صاحبها بعد ان شهد عنده جماعة من البطارقة والاساقفة بأن اسمند خال سكرى

لما انصرف الى بلاده أوصاه برد الرها على صاحبها اذا خلص من الاسر فردها سكرى على

القمص فى صفر سنة ثلاث ووفى القمص لجاولى بما كان بينهما ثم قصد جاولى الشام

ليملكه وتنقل فى نواحيه كما مر فى أخباره وكتب رضوان صاحب حلب الى سكرى

صاحب انطاكية يحذره من جاولى ويستنجده عليه فأجابه وبرز من انطاكية وبعث

اليه رضوان بالعساكر واستنجد جاولى القمص صاحب الرها فأنجده بنفسه ولحق به على

منبج وجاءه الخبر هنالك باستيلاء عسكر السلطان على بلده الموصل وعلى خزائنه بها

وفارقه كثير من أصحابه منهم زنكى بن اقسنقر فنزل جاولى تل ناشر وتزاحف مع سكرى عنالك واشتد القتال واستمر أصحاب انطاكية فتخاذل أصحاب جاولى وانهزموا وذهب الافرنج بسوادهم فجاء القمص وجوسكين الى تل ناشر والله تعالى أعلم

* (حروب الافرنج مع طغركين) *

كان طغركين قد سار الى طبرية سنة ثنتين وخمسمائة فسار اليه ابن أخت بقدوين ملك القدس واقتتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الافرنج وأسروا ابن أخت الملك فقتله طغركين بيده بعد ان فادى نفسه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة أسير فلم يقبل منه الا الاسلام أو القتل ثم اصطلح طغركين وبقدوين المدة أربع سنين وكان حصن غربة من أعمال طرابلس بيد مولى ابن عمار فعصى عليه وانقطعت عنه الميرة بعيث الافرنج فى نواحيه فارسل الى طغركين بطاعته فبعث اسرائيل من أصحابه ليتملك الحصن ونزل منه مولى ابن عمار فرماه اسرائيل فى الزحام بسهم فقتله حذرا أن يطلع الاتابك على مخلفه وقصد طغركين الحصن لمشارفة أحواله فمنعه نزول الثلج حتى اذا تقشع واتجلى سار فى أربعة آلاف فارس وفتح حصونا للافرنج منها حصن الاكمة وكان السردانى من الافرنج يحاصر طرابلس فسار للقائه فلما أشرف عليه انهزم طغركين وأصحابه الى حمص وملك السردانى حصن غربة بالامان ووصل طغركين الى دمشق فبعث اليه بقدوين من القدس بالبقاء على الصلح وذلك فى شعبان سنة اثنين

* (استيلاء الافرنج على طرابلس وبيروت وصيدا وجبيل وباقياس) *

ولما عادت طرابلس الى صاحب مصر من يد ابن عمار وولى عليها نائبه والافرنج يحاصرونها وزعيمهم السردانى ابن أخت صنجيل فلما كانت سنة ثلاث وخمسمائة فى شعبان ووصل القمص والدصنجيل وليس صنجيل الاول واتماد وقصر آخر بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وجرت بينه وبين السردانى فتنة واقتتلوا وجاء سكرى صاحب انطاكية مددا للسردانى ثم جاء بقدوين ملك القدس وأصلح بينهم وحاصروا طرابلس ونصبوا عليها الابراج فاشتد بهم الحصار وعدموا القوت لتأخر الاسطول المصرى بالميرة ثم زحفوا الى قتالها بالابراج وملكوها عنوة ثانى الاضحى واستباحوها وأثخنوا فيها وكان النائب بها قد استأمن الى الافرنج قبل ذلك بليال وملكها بالامان ونزل على مدينة جبيل وبها فخر الملك بن عمار فاستأمنوا الى سكرى وملكها ولحق ابن عمار بشيرز فنزل على صاحبها سلطان بن على بن منقذ الكنانى ولحق منها بدمشق فأكرمه طغركين وأقطعه الزبدانى من أعمال دمشق

فى محرم سنة أربع ووصل اسطول مصر بالميرة بعد أخذ طرابلس بثمانية أيام فارسى بساحل صور وفرقت الغلال فى جهاتها من صور وصيدا وبيروت ثم استولى الافرنج على صيدا فى ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة وذلك أنه وصل اسطول للافرنج من ستين مركبا مشحونة بالرجال والذخائر وبها ملوكهم بقصد الحج والغزو فاجتمع مع بقدوين صاحب القدس ونازلوا صيدا برا وبحرا وأسطول مصر يعجز عن انجادهم ثم زحفوا الى الصور فى ابراج الخشب المصفحة فضعفت نفوسهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فاستأمنوا فأمنهم الافرنج فى جمادى الاولى ولحقوا بدمشق بعد سبعة وأربعين يوما من الحصار وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وعاد بقدوين الى القدس

* (استيلاء أهل مصر على عسقلان) *

كانت عسقلان للخلفاء العلوية بمصر وقد ذكرنا حروب الافرنج مع عساكرهم عليها وآخر من استشهد منهم جمال الملك نائبها كما مر آنفا وولى عليها شمس الخلافة فراسل بقدوين ملك القدس وهاداه ليمتنع به من الخليفة بمصر وبعث الافضل بن أمير الجيوش العساكر اليه سنة أربع وخمسمائة مع قائد من قوادهم موريا بالغزو وأمره اليه بالقبض على شمس الخلافة والولاية مكانه بعسقلان وشعر شمس الخلافة بذلك فجاهر بالعصيان وخشى أن يملكها الافرنج فراسله وأقره على عمله وعزل شمس الخلافة جند عسقلان واستنجد جماعة من الارمن فاستوحش منه أهل البلد ووثبوا به فقتلوه وبعثوا الى الامير الافضل صاحب مصر المستولى عليها بطاعتهم فجاءهم الوالى من قبله واستقامت أمورهم

* (استيلاء الافرنج على حصن الاقارب وغيره) *

ثم جمع سكرى صاحب انطاكية واحتشد وسار الى حصن الاقارب على ثلاثة فراسخ من حلب فحاصره وملكه عنوة وأثخن فيهم بالقتل والسبى ثم سار الى حصن وزدناد ففعل فيه مثل ذلك وهرب أهله منه ومارس على بلديهما ثم سار عسكر من الافرنج الى مدينة صيدا فملكوها على الامان وأشفق المسلمون من استيلاء الافرنج على الشأم وراسلوهم فى الهدنة فامتنعوا الا على الضريبة فصالحهم رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وعدة من الخيول والثياب وصاحب صور على سبعة آلاف دينار وابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وعلى الكردى صاحب حماة على ألفى دينار ومدة الهدنة الى حصاد الشعير ثم اعترضت مراكب الافرنج مراكب

التجار من مصر فأخذوها وأسروهم وسار جماعة من أهل حلب الى بغداد للنفير فدخلوها مستغيثين ومعهم خلق من الفقهاء والغوغاء وقصدوا جامع السلطان يوم الجمعة فمنعوا الناس من الصلاة بضجيجهم وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بانفاذ العساكر للجهاد وبعث من دار الخلافة منبر الجامع ثم قصدوا في الجمعة الثانية جامع القصر في مثل جمعهم ومنعهم صاحب الباب فدفعوا ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة والمنبر وبطلت الجمعة وأرسل الخليفة الى السلطان في رفع هذا الحزن فأمر الامراء بالتجهز للجهاد وأرسل ابنه الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل ليلحق به الامراء ويسيروا جميعا الى قتال الافرنج

(مسير الامراء السلجوقية الى قتال الافرنج)

ولما سار مسعود ابن السلطان مع الامير مودود الى الموصل اجتمع معهم الامراء سقمان القطبي صاحب ديار بكر وابنا برسق ابلتكي وزنكي اصحاب همذان والامير أحمديك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل وايلغازي بن أبي الغازي بعثه أخوه صاحب ماردين وساروا جميعا الى سنجار وفتحوا عدة حصون للافرنج ونزلوا على مدينة الرها وحاصروا واجتمعوا مع الافرنج على الفرات وخام الطائفتان عن اللقاء وتأخر المسلمون الى حران يستطردون للافرنج لعلهم يعبرون الفرات فخالفهم الافرنج الى الرها وشحنوها أقواتا وعدة وأخرجوا الضعفاء منها ثم عبروا الفرات الى نواحي حلب لان الملك رضوان صاحبها لما عبروا الى الجزيرة ارتجع بعض الحصون التي كان الافرنج أخذوها بأعمال حلب فطرقوها الآن فاكتسحوا نواحيها وجاءت عساكر السلطان الى الرها وقاتلوها فامتنعت عليهم فعبروا الفرات وحاصروا قلعة تل باشر شهرا ونصفا فامتنعت فرحلوا الى حلب فقعد الملك رضوان عن لقائهم ومرض هنالك سقمان القطبي ورجعوا فتوفي في بالس وحمل شلوه الى بلده ونزلت العساكر السلطانية على معرة النعمان فخرج طغركين صاحب دمشق الى مودود ونزل عليه ثم ارتاب لما رأى من الامراء في حقه فدس للافرنج بالمهادنة ثم افترقت العساكر كما ذكرنا في أخبارهم وبقي مودود مع طغركين على نهر العاصي وطمع الافرنج بافتراقهم فساروا الى فامية وخرج سلطان بن منقذ صاحب شيزر الى مودود وطغركين فرحل بهم الى شيزر وهون عليهم أمر الافرنج وضاقت الميرة على الافرنج فرحلوا واتبعهم المسلمون يتخطفون من أعقابهم حتى أبعدوا والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج مدينة صور)

ولما افترقت العساكر السلطانية خرج بقدوين ملك القدس وجمع الافرنج ونزلوا على

مدينة صور في جمادى الاولى من سنة خمس وهي للامير الافضل صاحب مصر ونائبه بها عز الملك الاعز ونصبوا عليها الابراج والمجانيق وانتدب بعض الشجعان من أهل طرابلس كان عندهم في ألف رجل وصدقوا الحملة حتى وصلوا البرج المتصل بالسور فأحرقوه ورموا الآخرين بالنفط فأحرقوهم واشتد القتال بينهم وبعث أهل صور الى طغركين صاحب دمشق يستنجدونه على أن يمكنوه من البلد فجاء الى بانياس وبعث اليهم بمائتي فرس واشتد القتال وبعث نائب البلد الى طغركين بالاستحثاث للوصول ليمكنه من البلد وكان طغركين يغير على أعمال الافرنج في نواحيها وملك لهم حصنا من أعمال دمشق وقطع الميرة عنهم فساروا يحملونها في البحر ثم سار الى صيدا وأغار عليها ونال منها ثم أزهت الثمرة وخشي الافرنج من طغركين على بلادهم فأفرجوا عن صور الى عكا وجاء طغركين الى صور فأعطى بياض بالاصل الاموال واشتغلوا باصلاح سورهم وخندقهم والله أعلم

(أخبار مودود مع الافرنج ومقتله ووفاة صاحب انطاكية)

ثم سار الامير مودود صاحب الموصل سنة ست الى سروج وعاث في نواحيها فخرج جكرمش صاحب تل باشر وأغار على دوابهم فاستاقها من راعيها وقتل كثيرا من العسكر ورجع ثم توفي الامير الارمني صاحب الدروب بلاد ابن كاور فسار سكري صاحب انطاكية من الافرنج الى بلاده ليملكها فمرض وعاد الى انطاكية ومات منتصف سنة ست وملكها بعده ابن أخته سرجان واستقام أمره ثم جمع الامير مودود صاحب الموصل العساكر واحتشد وجاءه بياض بالاصل صاحب سنجار وايلغازي بن أبي الغازي صاحب ماردين وطغركين صاحب دمشق ودخلوا في محرم سنة سبع الى بلاد الافرنج وخرج بقدوين ملك القدس وجوسكين صاحب القدس يغير على دمشق فعبروا الفرات وقصدوا القدس ونزلوا على الاردن والافرنج عدوتهم واقتتلوا منتصف المحرم فانهزم الافرنج وهلك منهم كثير في بحيرة طبرية والاردن وغنم المسلمون سوادهم وساروا منهزمين فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فشردوا معهم وأقاموا على جبل طبرية وحاصرهم المسلمون نحوا من شهر فلم يظفروا بهم فتركوهم وانساحوا في بلاد الافرنج ما بين عكا والقدس واكتسحوها ثم انقطعت المواد عنهم للبعد عن بلادهم فعادوا الى مرج الصفر على نية العود للغزاة في فصل الربيع وأذنوا للعساكر في الانطلاق ودخل مودود الى دمشق يقيم بها الى أوان اجتماعهم فطعنه باطني في الجامع منصرفه من صلاة الجمعة آخر ربيع الاول من السنة ومات من يومه واتهم طغركين بقتله والله تعالى أعلم

(أخبار البرسقي مع الافرنج)

ولما قتل مودود بعث السلطان محمد مكانه اقسنقر البرسقي ومعه ابنه السلطان مسعود في العساكر لقتال الافرنج وبعث الى الامراء بطاعته فجاء عماد الدين زنكي بن اقسنقر وتغيرك صاحب سنجار وسار الى جزيرة ابن عمر وملكها من يد نائب مودود ثم سار الى ماردين فحاصرها الى أن أذعن أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه ايازا في العساكر فساروا الى الرها وحاصروها في ذي الحجة سنة ثمان مدة سبعين يوما فامتنعت وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا الى شمشاط وسروج وعاثوا في تلك النواحي وهلك في خلال ذلك كواسل صاحب مرعش وكيسوم ورعبان من الافرنج وملكت زوجته بعده وامتنعت من الافرنج وأرسلت الى البرسقي على الرها بطاعته فبعث اليها صاحب الخابور فردته بالاموال والهدايا وبطاعتها فعاد من كان عندها من الافرنج الى انطاكية والله أعلم

(الحرب بين العساكر السلطانية والفرنج)

كان السلطان محمد قد تنكر لطغركين صاحب دمشق لاتهامه اياه بقتل مودود فعصى وأظهر الخلاف وتابعه أبو الغازي صاحب ماردين لما كان بينه وبين البرسقي فاهم السلطان شأنهما وشأن الافرنج وقوتهم وجهز العساكر مع الامير برسق صاحب همذان وبعث معه الامير جيوش بك والامير كسقري وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بغزو الافرنج بعد الفراغ من شأن أبي الغازي وطغركين فساروا في رمضان سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤا الى حلب وبها لؤلؤ الخادم بعد رضوان ومقدم العساكر شمس الخواص وعرضوا عليهما كتب السلطان بتسليم البلد فدافعا بالجواب واستنجدا أبا الغازي وطغركين فوصلا اليهما في ألفي فارس وامتنعا بها على العسكر فسار الامير برسق الى حماة من أعمال طغركين فملكها عنوة ونهبها ثلاثا وسلمها للامير قرجان صاحب حمص بأمر السلطان بذلك في كل بلد يفتحونه فنفس عليه الامراء ذلك وفسدت ضمائرهم وكان أبو الغازي وطغركين وشمس الخواص قد ساروا الى انطاكية مستنجدين بصاحبها روجيل على مدافعتهم عن حماة فبلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بقدوين ملك القدس وطرابلس وغيره من شياطين الافرنج واجتمعوا على افامية واتفقوا على مطاولة المسلمين الى فصل الشتاء ليتفرقوا فلما أظل الشتاء والمسلمون مقيمون عاد أبو الغازي الى ماردين وطغركين الى دمشق والافرنج الى بلادهم وقصد المسلمون كفرطاب وكانت هي وافامية للافرنج فملكوها عنوة وفتكوا بالافرنج فيها وأسروا صاحبها ثم ساروا الى قلعة افامية فاستصعبت عليهم فعادوا الى

المعرة وهي للافرنج وفارقهم الامير جيوش بك الى وادي مراغة فملكه وسارت العساكر من المعرة الى حلب وأثقالهم ودوابهم وهم متلاصقون فوصلت مقدمتهم الى الشأم وخربوا الابنية وكان روجيل صاحب انطاكية قد سار في خمسمائة فارس وألفي راجل للمدافعة عن كفرطاب وأظل على خيام المسلمين قبل وصولهم فقتل من وجد بها من السوقة والغلمان وأقام الافرنج بين الخيام يقتلون كل من لحق بها حتى وصل الامير برسق وأخوه زنكي فصعدا ربوة هنالك وأحاط الفل من المسلمين به وعزم برسق على الاستماتة ثم غلبه أخوه زنكي على النجاة فنجا في من معه واتبعهم الافرنج فرسخا ورجعوا عنه وافترقت العساكر الاسلامية منهزمة الى بلادها وأشفق أهل حلب وغيرها من بلاد الشأم من الافرنج بعد هذه الواقعة وسار الافرنج الى رميلة من أعمال دمشق فملكوها وبالغوا في تحصينها واعتزم طغركين على تخريب بلاد الافرنج ثم بلغه الخبر عن خلو رميلة من الحامية فبادر اليها سنة تسع وملكها عنوة وقاتل وأسر وغنم وعاد الى دمشق ولم تزل رميلة بين المسلمين الى أن حاصرها الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وملكوها والله أعلم

(وفاة ملك الافرنج وأخبارهم بعده مع المسلمين)

ثم توفي بقدوين ملك الافرنج بالقدس آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان قد زحف الى ديار بكر طامعا في ملكها فانتهى الى تنيس وشج في النيل فانتقض عليه جرحه وعاد الى القدس فمات وعاد القمص صاحب الرها الذي كان أسره وأطلقه جاولي وكان حاضرا عنده لزيارة قمامة وكان أتابك

ناقص بالأصل

طغركين قد سار لقتال الافرنج ونزل اليرموك فبعث اليه القمص في المهادنة فاشترط طغركين ترك المناصفة من جبل عردة الى الغور فلم يقبل القمص فسار طغركين الى طبرية ونهب نواحيها وسار منها الى عسقلان ولقي سبعة آلاف من عساكر مصر قد جاؤا في أثر بقدوين عندما ارتحل عن ديار بكر فاعلموا أن صاحبهم تقدم اليهم بالوقوف عند أمر طغركين فشكر لهم ذلك وعاد الى دمشق وأتاه الخبر بأن الافرنج قصدوا أذرعات ونهبوها بعد ان ملكوا حصنا من أعماله فأرسل اليهم تاج الملك بوري في أثرهم فحاصرهم في جبل هنالك حتى يئسوا من أنفسهم وصدقوا الحملة عليهم فهزموهم وأثخنوا في القتل وعاد الفل الى دمشق وسار طغركين الى حلب يستنجد أبا الغازي فوعده بالمسير معه ثم جاء الخبر بأن الافرنج قصدوا أعمال دمشق فنهبوا حوران واكتسحوها فرجع طغركين الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين الى حشد العساكر وقصدوا الاجتماع على حرب الافرنج ثم سار الافرنج سنة ثلاث عشرة الى نواحي حلب

بلكواص اغة ونازلوا المدينة فصانعهم أهلها بعد أن سمتهم أملاكهم زحف أبو الغازى من ماردين فى عشرين ألفا من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك بن شيرز الكنانى والامير طغان ارسلان بن افتكين بن جناح صاحب ارزن وسار الافرنج الى صنبيل عرمس قرب الاثارب فنزلوا به فى موضع منقطع المسالك وعزموا على المطاولة فناجزهم أبو الغازى وسار اليهم ودخل عليهم فى مجتمعهم وقاتلوه أشد القتال فلم يقاوموه وفتك فيهم فتكة شنعاء وقتل فيهم سرحان صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم وذلك منتصف ربيع من السنة ثم اجتمع فل الافرنج وعاودوا الحرب فهزمهم أبو الغازى وملك عليهم حصن آلات رب وزردنا وجاء الى حلب فأصلح أحوالها وعاد الى ماردين ثم سار جوسكين صاحب تل ناشر فى مائتين من الافرنج ليكبس حلة من احياء طي يعرفون ببنى خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية قومهم من بنى ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه اليهم وسار هو من طريق آخر فضل عن الطريق ووصل أصحابه اليهم وأميرهم مرمن ربيعة فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم سبعين وأسر اثنى عشر ففاداهم بمال جزيل وأصناف عدتهم من الاسرى وبلغ الى جوسكين فى طريقه فعاد الى طرابلس وجمع جمعا وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون وعاد مفلولا والله أعلم

(ارتجاع الرها من الافرنج)

ثم سار بهرام أخو أبى الغازى الى مدينة الرها وحاصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها ولقيه النذير بأن جوسكين صاحب الرها وسروج قد سار لاعتراضه وقد تفرق عن مالك أصحابه فاستجاب لما وصل اليه الافرنج ودفعهم لارض سبخة فوصلت فيها خيولهم فلم يفلت منهم أحد وأسر جوسكين وخاط عليه جلد جمل وفادى نفسه بأموال جليلة فأبى مالك من فديته الا أن يسلم حصن الرها فلم يفعل وحبسه فى خرت برت ومعه كلام ابن خالته وكان من شياطينهم وجماعة من زعمائهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

(استيلاء الافرنج على خرت برت وارتجاعها منهم)

كان مالك بن بهرام صاحب خرت برت وكان فى جواره الافرنج فى قلعة كركر فحاصرهم بها وسار بغدوين اليه فى جموعه فلقيه فى صفر سنة سبعة عشر فهزم الافرنج وأسر ملكهم وجماعة من زعمائهم وحبسهم مالك فى قلعة خرت برت مع جوسكين صاحب الرها وأصحابه وسار مالك الى حران فى ربيع الاول وملكها ولما غاب عن خرت برت تحيل الافرنج وخرجوا من محبسهم بمداخلة بعض الجند وسار بغدوين الى بلده وملك

الآخرون القلعة فعاد مالك اليهم وحاصرها وارتجعها من أيديهم ورتب فيها الحامية والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء الافرنج على مدينة صور)

كانت مدينة صور للخلفاء العلوية بمصر وكان بها عز الملك من قبل الافضل بن أمير الجيوش المستبد على الامر بمصر وتجهز الافرنج لحصارها سنة ست فاستمدوا طغركين صاحب دمشق فأمدهم بعسكر ومال مع وال من قبله اسمه مسعود فجاء اليها ولم يغير دعوة العلوية بها فى خطبة ولا سكة وكتب الى الافضل بذلك وسأله تردد الاسطول اليه بالمدد فأجابه وشكره ثم قتل الافضل وجاء الاسطول اليها من مصر على عادته وقد أمر مقدمه أن يعمل الحيلة فى القبض على مسعود الوالى بصور من قبل طغركين لشكوى أهل مصر منه فقبض عليه مقدم الاسطول وحمله الى مصر وبعثوا به الى دمشق وأقام الوالى من قبل أهل مصر فى مدينة صور وكتب الى طغركين بالعذر عن القبض على مسعود واليه وكان ذلك سنة ستة عشر ولما بلغ الافرنج انصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وتجهزوا لحصارها وبعث الوالى الامير بذلك وبعجزه عن مقاومة حصارهم لها وسار طغركين الى بانياس ليكون قريبا من صريخها وبعث الى أهل مصر يستنجدهم فراسل الافرنج فى تسليم البلد وخروج من فيها فدخلها الافرنج آخر جمادى الاولى من السنة بعد ان حمل أهلها ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الافرنج)

ثم جمع البرسقى عساكره وسار سنة تسعة عشر الى كفرطاب وحاصرها فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة غزرشما الى حلب وبها جوسكين فحاصرها واجتمع الافرنج وساروا للمدافعة فلقيهم وقاتلهم شديدا فمحص الله المسلمين وانهزموا وفتك النصارى فيهم ولحق البرسقى بحلب فاستخلف بها ابنه مسعودا وعبر الفرات الى الموصل ليستمد العساكر ويعود لغزوهم فقضى الله بقتله وولى ابنه عز الدين بعده قليلا ثم مات سنة احدى وعشرين وولى السلطان محمود عماد الدين زنكى بن اقسنقر مكانه على الموصل والجزيرة وديار بكر كما مر فى أخبار دولة السلجوقية ثم استولى منها على الشام وأورث ملكها بنيه فكانت لهم دولة عظيمة بهذه الاعمال نذكرها ان شاء الله تعالى ونشأت عن دولتهم دولة بنى أيوب وتفرعت منها كما نذكره ونحن الآن نترك من أخبار الافرنج هنا جميع ما يتعلق بدولة بنى زنكى وبنى أيوب حتى نوردها فى أخبار تينك الدولتين لئلا

تنكر الاخبار ونذكر فى هذا الموضع من أخبار الافرنج ماليس له تعلق بالدولتين فاذا طالعه المتأمل علم كيف يرد كل خبر الى مكانه بجودة قريحته وحسن تأنيه

(الحرب بين طغركين والافرنج)

ثم اجتمعت الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاؤا اليه وكان هو قد سار الى جهة الافرنج آخر سنة عشرين وقاتلهم وسقط فى المعترك فظن أصحابه انه قتل فانهزموا وركب فرسه وسار معهم منهزما والافرنج فى اتباعهم وقد أثخنوا فى رجالة التركمان فلما اتبعوا المنهزمين خالف الرجالة الى معسكرهم فنهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الافرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم منهوبة فساروا منهزمين ثم كان سنة ثلاث وعشرين واقعة المزدغانى والاسماعيلية بدمشق بعد أن طمع الافرنج فى ملكها فأسف ملوك الافرنج على قتله وسار صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من القمامصة ومن وصل فى البحر للتجارة أو الزيارة وساروا الى دمشق فى ألفى فارس ومن الرجال مالا يحصى وجمع طغركين من العرب والتركمان ثمانية آلاف فارس وجاء الافرنج آخر السنة ونازلوا دمشق وبثوا سراياهم للاغارة بالنواحى وجمع الميرة وسمع تاج الملك بسرية فى حوران فبعث شمس الخواص من أمرائه ولقوا سرية الافرنج وظفروا بهم وغنموا مامعهم وجاؤا الى دمشق وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا عن دمشق بعد أن أحرقوا ما تعذر عليهم حمله وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثم ان اسمند صاحب انطاكية سار الى حصن القدموس وملكه والله تعالى يؤيد من يشاء

(هزيمة صاحب طرابلس)

ثم اجتمع سنة سبع وعشرين جمع كبير من تركمان الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وقتلوا وغنموا فخرج اليهم القمص صاحبها فاستطردوا له ثم كروا عليه فهزموه ونالوا منه ونجا الى قلعة بقوين فتحصن بها وحاصره التركمان فيها فخرج من القلعة ليلا فى عشرين من أعيان أصحابه ونجا الى طرابلس واستصرخ الافرنج من كل ناحية وسار بهم الى بقوين لمدافعة التركمان فقاتلهم حتى أشرف الافرنج على الهزيمة ثم تحيزوا الى ارمينية وتعذر على التركمان اتباعهم فرجعوا عنهم انتهى

(فتح صاحب دمشق بانياس)

كان بورى بن طغركين صاحب دمشق لما توفى سنة ست وعشرين وخمسمائة وولى

مكانه ابنه شمس الملوك اسمعيل فاستضعفه الافرنج وتعرضوا لنقض الهدنة ودخل بعض تجار المسلمين الى بيروت فأخذوا أموالهم وراسلهم شمس الملوك فى ردها عليهم فلم يفعلوا فتجهز وسار الى بانياس فى صفر سنة سبع وعشرين فنازلها وشدد حصارها ونقب المسلمون سورها وملكوها عنوة واستلحموا الافرنج بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا بعد يومين وكان الافرنج قد جمعوا المدافعة شمس الملوك فجاءهم خبر فتحها فأقصروا

(استيلاء شمس الملوك على الشقيف)

ثم سار شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق الى شقيف بيروت وهو فى الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادى التيم وهو ممتنع به وقد تحاماه المسلمون والافرنج وهو يحتمى من كل منهما بالآخر فسار اليه شمس الملوك وملكه فى المحرم سنة ثمان وعشرين وعظم ذلك على الافرنج وخافوا شمس الملوك فساروا الى بلد حوران وعاثوا فى جهاتها ونهض شمس الملوك ببعض عساكره وجمر الباقى قبالة الافرنج وقصد طبرية والناصرة وعكا فاكتسح نواحيها وجاء الخبر الى الافرنج فأجفلوا الى بلادهم وعظم عليهم خرابها وراسلوا شمس الملوك فى تجديد الهدنة فجددها لهم انتهى والله أعلم

(استيلاء الافرنج على جزيرة جربة من افريقية)

كانت جزيرة جربة من أعمال افريقية ما بين طرابلس وقابس وكان أهلها من قبائل البربر قد استبدوا بجزيرتهم عندما دخل العرب الهلاليون افريقية ومزقوا ملك صنهاجة بها وقارن ذلك استفحال ملك الافرنج برومة وما اليها من البلاد الشمالية وتطاولوا الى ملك بلاد المسلمين فسار ملكهم بردويل فيمن معه من زعمائهم وأقماصهم الى الشأم فملكوا مدنه وحصونه كما ذكرناه آنفا وكان من ملوكهم القمص رجار ابن تنعر بن خميرة وكان كرسيه مدينة ميلكو مقابل جزيرة صقلية ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بنى أبى الحسين الكلبى منها سما رجار هذا الى ملكها وأغراه المتغلبون بها على بعض نواحيها فأجاز اليها عساكره فى الاسطول فى سبيل التضريب بينهم ثم ملكها من أيديهم معقلا معقلا الى أن كان آخرها فتحا طرابنة ومازرة من يد عبد الله بن الحواس أحد الثوار بها فملكها من يده صلحا سنة أربع وستين وأربعمائة وانقطعت كلمة الاسلام بها ثم مات رجار سنة أربع وتسعين فولى ابنه رجار مكانه وطالت أيامه واستفحل ملكه وذلك عندما هبت ريح الافرنج بالشأم وجاسوا خلالها وصاروا

يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين وكان رجار بن رجار يتعاهد سواحل افريقية بالغزو فبعث سنة ثلاث وخمسين اسطول صقلية الى جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فاحاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون وأقرهم الافرنج فى جزيرتهم على جزية وملكوا عليهم أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(فتح صاحب دمشق بعض حصون الافرنج)

ثم بعث شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق عساكره مع الامير خزواش سنة احدى وثلاثين الى طرابلس الشأم ومعه جمع كثير من التركمان والمتطوعة وسار اليه القمص صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأثخنوا فى عساكره وأجحزه بطرابلس وعاثوا فى أعماله وفتحوا حصن وادى ابن الاحمر من حصونه عنوة واستباحوه واستلحموا من فيه من الافرنج ثم سار الافرنج سنة خمس وثلاثين الى عسقلان وأغاروا فى نواحيها وخرج اليهم عسكر مصر الذين بها فهزموا الافرنج وظفروا بهم وعادوا منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه

(استيلاء الافرنج على طرابلس الغرب)

كان أهل طرابلس الغرب لما انحل نظام الدولة الصنهاجية بافريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدوا بأنفسهم وكان بالمهدية آخر الملوك من بنى باديس وهو الحسن بن على ابن يحيى بن تميم بن المعز فاستبد لعهده فى طرابلس أبو يحيى بن مطروح ورفضوا دعوة الحسن وقومه وذلك عندما تكالب الافرنج على الجهات فطمع رجار فى ملكها وبعث اسطوله فى البحر فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة فنقبوا اسورها واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم وخرجوا الى الافرنج فهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ورجع الافرنج الى صقلية فتجهزوا الى المغرب وطرقوا جيجل من سواحل بجاية وهرب أهلها الى الجبل ودخلوها فنهبوها وخربوا القصر الذى بناه بها يحيى بن العزيز بن حماد ويسمى النزهة ورجعوا الى بلادهم ثم بعث رجار اسطوله الى طرابلس سنة احدى وأربعين فأرسى عليها ونزل المقاتلة وأحاطوا بها برا وبحرا وقاتلوها ثلاثا وكان أهل البلد قد اختلفوا قبل وصول الافرنج وأخرجوا بنى مطروح وولوا عليهم رجلا من أمراء لمتونة قام حاجا فى قومه فولوه أمرهم ثم فلما شغل أهل البلد بقتال الافرنج اجتمعت شيعة بنى مطروح وأدخلوهم للبلد ووقع بينهم القتال فلما شعر الافرنج بأمرهم بادروا الى الاسوار فنصبوا عليها السلالم وتسنموها وفتحوا البلد عنوة وأثخنوا

فى القتل والسبى والنهب ونجا كثير من أهلها الى البربر والعرب فى نواحيها ثم رفعوا السيف ونادوا بالامان فتراجع المسلمون الى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها وولوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ونادوا فى صقلية بالمسير الى طرابلس فسار اليها الناس وحسنت عمارتها

(استيلاء الافرنج على المهدية)

كانت قابس عندما اختل نظام الدولة الصنهاجية واستبد بها ابن كامل بن جامع من قبائل رياح احدى بطون هلال الذين بعثهم الجرجرائى وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس وقومه فأضرعوا الدولة وأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها واستبد آخرون من أهل البلاد بمواضعهم فكانت قابس هذه فى قسمة بنى دهمان هؤلاء وكان لهذا العهد رشيد أميرا بها كما ذكرنا ذلك فى أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البربر وتوفى رشيد سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ونصب مولاه يوسف ابنه الصغير محمد بن رشيد وأخرج ابنه الكبير معمرا واستبد على محمد وتعرض لحرمه سرا وكان فيهن امرأة رشيد وساروا الى التعرض بصاحب المهدية يشكون فعله وكاتبه الحسن فى ذلك فلم يجبه وتهدده بادخال الافرنج الى قابس فجهز اليه العساكر وبعث يوسف الى رجار صاحب طرابلس بطاعته وأن يوليه على قابس كما ولى ابن مطروح على طرابلس وشعر أهل البلد بعد اخائه للافرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وتحصن يوسف بالقصر فملكوه عنوة وأخذ يوسف أسيرا وملك معمر قابس مكان أخيه محمد وامتحن يوسف بأنواع العذاب الى أن هلك وأخذ بنو قرة أختهم ولحق عيسى أخو يوسف وولد يوسف برجار صاحب صقلية واستجاروا به وكان الغلاء قد اشتد بافريقية سنة سبع وثلاثين ولحق أكثر أهلها بصقلية وأكل بعضهم بعضا وكثر الموتان فاغتنم رجار الفرصة ونقض الصلح الذى كان بينه وبين الحسن بن على صاحب المهدية لسنين وجهز أسطوله مائتين وخمسين من الشوانى وشحنها بالمقاتلة والسلاح ومقدم الاسطول جرجى بن ميخاييل أصله من المتنصرة وقد ذكرنا خبره فى أخبار صنهاجة والموحدين فقصد قوصرة وصادف بها مركبا من المهدية فغنمه ووجد عندهم حمام البطاقة فبعث الخبر الى المهدية على أجنحتها بأن أسطول الافرنج أقلع الى القسطنطينية ثم أقلع فأصبح قريبا من المرسى فى ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وقد بعث الله الريح فعاقتهم عن دخول المرسى ففاته غرضه وكتب الى الحسن بأنه باق على الصلح وانما جاء طالبا بثار محمد بن رشيد ورده الى بلده قابس فجمع

الحسن الناس واستشارهم فأشاروا بالقتال فخام عنه واعتذر بقلة الاقوات وارتحل من البلد وقد حمل ماخف حمله وخرج الناس بأهاليهم وماخف من أموالهم واختفى كثير من المسلمين فى الكنائس ثم ساعد الريح أسطول الافرنج ووصلوا الى المرسى ونزلوا الى البلد من غير مدافع ودخل جرجى القصر فوجده على حاله مملوأ بالذخائر النفيسة التى يعز وجود مثلها وبعث بالامان الى كل من شرد من أهلها فرجعوا وأقرهم على الجزية وسار الحسن بأهله وولده الى المعلقة وبها محرز بن زياد من أمراء الهلاليين ولقيه فى طريقه حسن بن ثعلب من أمراء الهلاليين بمال انكسر له فى ديوانه فأخذ ابنه يحيى رهينة به ولما وصل محرز بن زياد أكرم لقاءه وبر مقدمه جزاء بما كان يؤثره على العرب ويرفع محله وأقام عنده شهرا ثم عزم على المسير الى مصر وبها يومئذ الحافظ فأرصد له جرجى الشوانى فى البحر فرجع عن ذلك واعتزم على قصد عبد المؤمن من ملوك الموحدين بالمغرب وفى طريقه يحيى بن عبد العزيز بجاية من بنى عمه حماد فأرسل اليه أبناءه يحيى وتميما وعليا يستأذنه فى الوصول فأذن له وبعث اليه من أوصله الى جزائر بنى مذغنة ووكل به وبولده حتى ملك عبد المؤمن بجاية سنة أربع وأربعين وخبرهم مشروح هنالك ثم جهز جرجى اسطولا آخر الى صفاقس وجاء العرب لانجادهم فلما تواقفوا للقتال استطرد لهم الافرنج غير بعيد فهزموهم ومضى العرب عنهم وملك الافرنج المدينة عنوة ثالث عشرى صفر وقتلوا فيها ثم أمنوهم وفادوا أسراءهم وأقروهم على الجزية وكذا أهل سوسة وكتب رجار صاحب صقلية الى أهل سواحل افريقية بالامان والمواعد ثم سار جرجى الى اقليبية من سواحل تونس واجتمع اليها العرب فقاتلوا الافرنج وهزموهم ورجعوا خائبين الى المهدية وحدثت الفتنة بين رجار صاحب صقلية وبين ملك الروم بالقسطنطينية فشغل رجار بها عن افريقية وكان متولى كبرها جرجى بن ميخاييل صاحب المهدية ثم مات سنة ست وأربعين فسكنت تلك الفتنة ولم يقم لرجار بعده أحد يقامه والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على بونة ووفاة رجار صاحب صقلية وملك ابنه غليالم)

ثم سار اسطول رجار من صقلية سنة ثمان وأربعين الى مدينة بونة وقائد الاسطول بها وقتات المهدوى فحاصرها واستعان عليها بالعرب فملكها واستباحها وأغضى عن جماعة من أهل العلم والدين فخرجوا بأموالهم وأهاليهم الى القرى وأقام بها عشرا ورجع الى المهدية ثم الى صقلية فنكر عليه رجار رفقه بالمسلمين فى بونة وحبسه ثم اتهم فى دينه فاجتمع الاساقفة والقسوس وأحرقوه ومات رجار آخر هذه السنة لعشرين سنة من ملكه وولى ابنه غليالم مكانه وكان حسن السيرة واستوزر مائق البرقمانى

فأساء التدبير واختلفت عليه حصون من صقلية وبلاد قلورية وتعدى الامر الى افريقية على ماسيأتى ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على عسقلان)

كانت عسقلان فى طاعة الظافر العلوى ومن جملة ممالكه وكان الافرنج يتعاهدونها بالحصار مرة بعد مرة وكان الوزراء يمدونها بالاموال والرجال والاسلحة وكان لهم التحكم فى الدولة على الخلفاء العلوية فلما قتل ابن السلار سنة ثمان وأربعين اضطرب الحال بمصر حتى ولى عباس الوزارة فسار الافرنج خلال ذلك من بلادهم بالشأم وحاصروا عسقلان وامتنعت عليهم ثم اختلف أهل البلد وآل أمرهم الى القتال فاغتنم الافرنج الفرصة وملكوا البلد وعاثوا فيها والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(ثورة المسلمين بسواحل افريقية على الافرنج المتغلبين فيها)

قد تقدم لنا وفاة رجار وملك ابنه غليالم وانه ساء تدبير وزيره فاختلف عليه الناس وبلغ ذلك المسلمين الذين تغلبوا عليهم بافريقية وكان رجار قد ولى على المسلمين بمدينة صفاقس لما تغلب عليها أبو الحسين الفريانى منهم وكان من أهل العلم والدين ثم عجز عن ذلك وطلب ولاية ابنه عمر فولاه رجار وحمل أبا الحسين الى صقلية رهينة وأوصى ابنه عمر وقال يابنى أنا كبير السن وقد قرب أجلى فمتى امكنتك الفرصة فى انقاذ المسلمين من ملكة العدو فافعل ولا تخش على واحسبنى قدمت فلما اختل أمر غليالم دعا عمر أهل صفاقس الى الثورة بالافرنج فثاروا بهم وقتلوهم سنة احدى وخمسين واتبعه أبو يحيى بن مطروح بطرابلس ومحمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن الى بونة فملكها وذهب حكم الافرنج عن افريقية ماعدا المهدية وسوسة وارسل عمر الفريانى الى زويلة قريبا من المهدية يغريهم بالوثوب على الافرنج الذين معهم فوثبوا وأعانهم أهل ضاحيتهم وقاتلوا الافرنج بالمهدية وقطعوا الميرة عنهم وبلغ الخبر الى غليالم فبعث الى عمر الفريانى بصفاقس وأعذر اليه فى أبيه فأظهر للرسول جنازة ودفنها وقال هذا قد دفنته فلما رجع الرسول بذلك صلب أبا الحسين ومات شهيدا رحمه الله تعالى وسار أهل صفاقس والعرب الى زويلة واجتمعوا مع أهلها على حصار المهدية وأمدهم غليالم بالاقوات والاسلحة وصانعوا العرب بالمال على أن يخذلوا أصحابهم ثم خرجوا للقتال فانهزم العرب وركب أهل صفاقس البحر الى بلدهم أيضا واتبعهم الافرنج فعاجلوهم عن زويلة وقتلوهم ثم اقتحموا البلد فقتلوا مخلفهم بها

واستباحوهم

(ارتجاع عبد المؤمن المهدية من يد الافرنج)

ولما وقع بأهل زويلة من الافرنج ما وقع لحقوا بعبد المؤمن ملك المغرب يستصرخونه فأجاب صريخهم ووعدهم وأقاموا في نزله وكرامته وتجهز للمسير وتقدم الى ولاته وعماله بتحصيل الغلات وحفر الآبار ثم سار في صفر سنة أربع وخمسين في مائة ألف مقاتل وفي مقدمته الحسن بن علي صاحب المهدية ونازل تونس منتصف السنة وبها صاحبها أحمد بن خراسان من بقية دولة صنهاجة وجاء أسطول عبد المؤمن فحاصرها من البحر ثم نزل اليه من سورها عشرة رجال من أعيانها في السلالم مستأمنين لاهل البلد ولانفسهم فأمنهم على مقاسمتهم في أموالهم وعلى أن يخرج اليه ابن خراسان فتم ذلك كله وسار عنها الى المهدية وأسطوله يحاذيه في البحر فوصلها منتصف رجب من السنة وبها أولاد الملوك والزعماء من الافرنج وقد أخلوا زويلة وهي على غلوة من المهدية فعمرها عبد المؤمن لوقتها وامتلأ فضاء المهدية بالعساكر وحاصرها اياما وضاق موضع القتال من البر لاستدارة البحر عليها الا انها صورة يد في البحر وذراعها في البر وأحاط الاسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن البحر في الشواني ومعه الحسن بن علي فرأى حصانتها في البحر وأخذ في المطاولة وجمع الاقوات حتى كانت في ساحة معسكره كالتلال وبعث اليه أهل صفاقس وطرابلس وجبال نفوسة بطاعتهم وبعث عسكرا الى قابس فملكها عنوة وبعث ابنه عبد الله ففتح كثيرا من البلاد ثم وفد عليه يحيى بن تميم بن المقر بن الرند صاحب قفصة في جماعة من أعيانها فبذل طاعته ووصله عبد المؤمن بألف دينار ولما كان آخر شعبان وصل أسطول صقلية في مائة وخمسين من الشواني غير الطرائد كان في جزيرة يابسة فاستباحها وبعث اليه صاحب صقلية بقصد المهدية فلما أشرفوا على المرمى قذفت اليهم أساطيل عبد المؤمن ووقف عسكره على جانب البر وعبد المؤمن ساجد يعفر وجهه بالتراب ويجأر بالدعاء فانهزم اسطول الافرنج وأقلعوا الى بلادهم وعاد اسطول المسلمين ظافرا وأيس أهل المهدية من الانجاد ثم صابروا الى آخر السنة حتى جهدهم الحصار ثم استأمنوا الى عبد المؤمن فعرض عليهم الاسلام فأبوا ولم يزالوا يخضعون له بالقول حتى أمنهم وأعطاهم السفن فركبوا فيها وكان فصل شتاء فمال عليهم البحر وغرقوا ولم يفلت منهم الا الاقل ودخل عبد المؤمن المهدية في محرم سنة خمس وخمسين لثنتي عشرة سنة من ملك الافرنج وأقام بها عشرين يوما فأصلح أمورها وشحنها بالحامية والاقوات واستعمل عليها بعض أصحابه وأنزل معه الحسن بن علي وأقطعه بأرضها له ولاولاده وأمر الوالي أن يقتدى

برأيه ورجع الى المغرب والله أعلم

(حصار الافرنج أسد الدين شيركوه في بلبيس)

كان أسد الدين شيركوه بن شادي عم صلاح الدين قد بعثه نور الدين العادل سنة تسع وخمسمائة منجدا لشاور وزير العاضد صاحب مصر على قريعه الضرغام كما سيأتي في أخبارهم ان شاء الله تعالى وسار نور الدين من دمشق في عساكره الى بلاد الافرنج ليشغلهم عن أسد الدين شيركوه وخرج ناصر الدين أخو الضرغام في عساكر مصر فهزمه أسد الدين على تنيس واتبعه الى القاهرة ونزلها منتصف السنة وأعاد شاور الى الوزارة ونقض ما بينه وبين أسد الدين وتأخر الى تنيس وخشي منه ودس الى الافرنج يغريهم به وبذل لهم المال فطمعوا بذلك في ملك الديار المصرية وسار ملك القدس في عساكر الافرنج واجتمعت معه عساكر المسلمين وساروا الى أسد الدين فحاصروه في بلبيس ثلاثة ولم يظفروا منه بشئ ثم جاءهم الخبر بأن نور الدين العادل هزم أصحابهم على خارد وفتحها ثم سار الى بانياس فسقط في أيديهم وطلبوا الصلح من أسد الدين ليعودوا الى بلادهم لذلك وخرج من بلبيس سائرا الى الشأم ثم عاد الى مصر سنة ثنتين وستين وعبر النيل من اطفيح ونزل الجزيرة واستمد شاور الافرنج فساروا اليه بجموعهم وكان أسد الدين قد سار الى الصعيد وانتهى الى

بياض بالاصل

فسار الافرنج والعساكر المصرية في اثره فأدركوه منتصف السنة واستشار أصحابه فاتفقوا على القتال وأدركته عساكر الافرنج ومصر وهو على تعبيته وقد أقام مقامه في القلب راشدا حذرا من حملة الافرنج وانحاز فيمن يثق به من شجعان أصحابه الى الميمنة فحمل الافرنج على القلب فهزموهم واتبعوهم وخالفهم أسد الدين الى من تركوا وراءهم من العساكر فهزمهم وأثخن فيهم ورجع الافرنج من اتباع القلب فانهزموا وانهزم أصحابهم ولحقوا بمصر ولحق أسد الدين بالاسكندرية فملكها صلحا وأنزل بها صلاح الدين ابن أخيه وحاصرته عساكر الافرنج ومصر وزحف اليهم عمه أسد الدين من الصعيد فبعثوا اليه في الصلح فأجابهم على خمسين ألف دينار يعطونها اياه ولا يقيم في البلد أحد من الافرنج ولا يملكون منها شيأ فقبلوا ذلك وعادوا الى الشأم وملك أهل مصر الاسكندرية واستقر بينهم وبين الافرنج أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وأن يكون أبوابها في غلقها وفتحها بأيديهم وان لهم من خراج مصر مائة ألف دينار في كل سنة ولم

بياض بالاصل

ذلك منه وعاد الافرنج الى بلادهم بالسواحل الشامية والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج القاهرة)

ثم كان مسير أسد الدين الى مصر وقتله شاور سنة أربع وستين باستدعاء العاضد لما رأى من تغلب الافرنج كما نذكر فى أخبار أسد الدين وأرسل الى الافرنج أصحابهم الذين بالقاهرة يستدعونهم لملكها ويهونونها عليهم وملك الافرنج يومئذ بالشأم مرى ولم يكن ظهر فيهم مثله شجاعة ورأيا فأشار بأن جبايتها لنا خير من ملكها وقد يضطرون فيملكون نور الدين منها وان ملكها قبلنا احتاج الى مصانعتنا فأبوا عليه وقالوا انما نزداد بها قوة فرجع الى رأيهم وساروا جميعا الى مصر وانتهوا الى تنيس فى صفر سنة أربع وستين فملكوها عنوة واستباحوها ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها وأمر شاور باحراق مصر وانتقال أهلها الى القاهرة فنهبت المدينة ونهب أموال أهلها وبقيتهم قبل نزول الافرنج عليهم بيوم فلم تخمد النار مدة شهرين وبعث العاضد بالصريخ الى نور الدين واشتد عليه الحصار وبعث شاور الى ملك الافرنج يشير بالصلح على ألف ألف دينار مصرية ويهدده بعساكر نور الدين فأجابوا الى ذلك ودفع اليهم مائة ألف دينار وتأخروا قريبا حتى يصل اليهم بقية المال وعجز عن تحصيله والافرنج يستحثونه فبعثوا خلال ذلك الى نور الدين يستنجدونه على الافرنج بأن يرسل اليهم أسد الدين شيركوه فى عسكر يقيمون عندهم على أن لنور الدين ثلث بلاد مصر ولاسد الدين اقطاعه وعطاء العساكر فاستدعى أسد الدين من حمص وكانت اقطاعه وأمره بالتجهز الى مصر وأعطاه مائتى ألف دينار سوى الدواب والاسلحة وحكمه فى العساكر والخزائن وما يحتاج اليه وسار فى ستة آلاف وأزاح علل جنده وأعانهم أسد الدين بعشرين دينارا لكل فارس وبعث معه جماعة من الامراء منهم خرديك مولاه وعز الدين قليج وشرف الدين بن بخش وعين الدولة الياروقى وقطب الدين نيال بن حسان وصلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب وسار الى مصر فلما قاربها ارتحل الافرنج راجعين الى بلادهم ودخل هو اليها منتصف السنة وخلع عليه العاضد وأجرى عليه وعلى عسكره الجرايات الوافرة ثم شرع شاور فى مماطلة أسد الدين بما وقع اتفاقهم معه عليه وحدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمدافعة الافرنج ولم يتم له ذلك وشعر به أسد الدين فاعترضه صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خرديك مولاه عند قبر الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وقتلاه وفوض العاضد أمور دولته الى أسد الدين وتقاصر الافرنج عنها ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين بعد ذلك على البلاد وارتجع البلاد الاسلامية من يد الافرنج كما نذكر فى أخبار دولته والله أعلم

(حصار الافرنج دمياط)

ولما ملك أسد الدين شيركوه مصر خشيه الافرنج على ما بأيديهم من مدن الشأم

وسواحله وكاتبوا أهل ملتهم ونسبهم بصقلية وافرنسة يستنجدونهم على مصر ليملكوها وبعثوا الاقسة والرهبان من بيت المقدس يستنفرونهم لحمايتها وواعدوهم بدمياط طمعا فى أن يملكوها ويتخذوها ركابا للاستيلاء على مصر فاجتمعوا عليها وحاصروها لاول أيام صلاح الدين وأمدهم صلاح الدين بالعساكر والاموال وجاء بنفسه وبعث الى نور الدين يستنجده ويخوفه على مصر فتابع اليه الامداد وسار بنفسه الى بلاد الافرنج بالشأم واكتسحها وخربها فعاد الافرنج الى دمياط بعد حصار خمسين يوما نفس الله عليهم ومن هذه القصة بقية أخبار الافرنج متعلقة بالدولتين دولة بنى زنكى بالشأم ودولة بنى أيوب بمصر فأخرت بقية أخبارهم الى أن نسردها فى الدولتين على مواقعها فى مواضعها حسبما تراه ولم يبق الا استيلاؤهم على القسطنطينية من يد الروم فأوردناه ههنا

(استيلاء الافرنج على القسطنطينية)

كان هؤلاء الافرنج بعد ما ملكوه من بلاد الشأم اختلفت أحوالهم فى الفتنة والمهادنة مع الروم بالقسطنطينية لاستيلائهم على الثغور من بلاد المسلمين التى تجاور الروم التى كانت بأيديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين فى بعض المرات ثم غلبوا عليهم آخرا وملكوا القسطنطينية من أيديهم فأقامت فى أيديهم مدة ثم ارتجعها الروم على يد شكرى من بطارقتهم وكيفية الخبر عن ذلك أن ملوك الروم أصهروا الى ملوك الافرنج وتزوجوا منهم بنتا لملك الروم فولدت ذكرا خاله الافرنسيس وثب عليه أخوه فانتزع الملك من يده وحبسه ولحق الولد بملك الافرنج خاله مستصرخا به فوصل اليه وقد تجهز الافرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وكان صلاح الدين قد ارتجعها منهم كما يأتى فى أخباره ان شاء الله تعالى وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذى ركبوا فيه وكان شيخا أعمى لا يركب ولا يمشى الا بقائد ومقدم الفرنسيس ويسمى المركيش والثالث يسمى كبدا قليد وهو أكثرهم عددا فجعل الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بمظاهرته على ملكه بالقسطنطينية ووصلوا اليها فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فخرج عم الصبى وقاتلهم واضرم شيعة الصبى النار فى نواحى البلاد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبى باب المدينة وأدخلوا الافرنج وخرج عمه هاربا ونصب الافرنج الصبى فى الملك وأطلقوا أباه من السجن واستبدوا بالحكم وصادروا الناس وأخذوا مال البيع وما على الصلبان من الذهب وما على تماثيل المسيح والحواريين وما على الانجيل فعظم ذلك على الروم ووثبوا بالصبى فقتلوه وأخرجوا الافرنج من البلد وذلك منتصف سنة ستمائة وأقام الافرنج

بظاهرها محاصرين لهم وبعث الروم صريخا الى صاحب قونية ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان فلم ينهض لذلك وكان بالمدينة متخلفون من الافرنج يناهزون ثلاثين ألفا فثاروا بالبلد عند شغل الروم بقتال أصحابهم وأضرموا النار ثانيا فاقتحم الافرنج وأفحشوا فى النهب والقتل ونجا كثير من الروم الى الكنائس وأعظمها كنيسة سوميا فلم تغن عنهم وخرج القسيسون والاساقفة فى أيديهم الانجيل والصلبان فقتلوهم ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على كبدا قليد فملكها على أن يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرهما ويكون لمركيش الافرنسيس شرقى الخليج ولم يحصل أحد منهم شيأ الا الملك القسطنطينية كبدا قليد وتغلب على شرقى الخليج بطريق من بطارقة الروم اسمه شكرى فلم يزل بيده الى أن مات ثم غلب بعد ذلك على القسطنطينية وملكها من يد الافرنج والله غالب على أمره

{الخبر عن دولة بنى ارتق وملكهم لماردين وديار
بكر ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم}

كان ارتق بن اكسك ويقال اكست والاول أصح كلمة أولها همزة ثم كاف الاولى ساكنة بينهما سين من مماليك السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ملك السلجوقية وله مقام محمود فى دولتهم وكان على حلوان وما اليها من أعمال العراق ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره الى حصار الموصل مع فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة أردفه بعسكر آخر مع أرتق فهزمه مسلم بن قريش فحاصره بآمد ثم داخله فى الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه ونجا الى الرقة ثم خشى ارتق من فعلته تلك فلحق بتتش حتى سار الى حلب طامعا فى ملكها فلقيه تتش وهزمه وكان لارتق فى تلك الواقعة المقام المحمود ثم سار تتش الى حلب وملكها واستجار مقدمها ابن الحسين بارتق فأجاره من السلطان تتش ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين بالقدس وملكه من بعد ارتق ابناه أبو الغازى وسقمان وكان لهما معه الرها وسروج ولما ملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمعت الامراء بالشأم والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان فى ذلك المقام المحمود ثم تخاذلوا وافترقوا وطمع أهل مصر فى ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل المستولى على دولتهم فحاصرها أربعين يوما وملكها بالامان وخرج سقمان وأبو الغازى ابنا ارتق وابن أخيهما ياقوتى وابن عمهما سونج وأحسن اليهم الافضل وولى على بيت المقدس ورجع الى مصر وجاء الافرنج فملكوها كما تقدم فى أخبار الدولة السلجوقية ولحق أبو الغازى بالعراق فولى شحنة بغداد وسار

سقمان الى الرها فأقام بها وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل فتن وحروب أسر فى بعضها ياقوتى ابن أخيه ثم توفى كربوقا سنة خمس وتسعين وولى الموصل بعده موسى التركمانى وكان نائبا بحصن كيفا فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل واستنجد موسى سقمان على أن يعطيه حصن كيفا فأنجده وسار اليه وأفرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه غدرا ورجع سقمان الى حصن كيفا فملكه ثم كانت الفتنة بين أبى الغازى وكمستكين القيصرى لما بعثه بركيارق شحنة على بغداد وكان هو شحنة من قبل السلطان محمد فمنع القيصرى من الدخول واستنجد أخاه سقمان فجاء اليه من حصن كيفا فى عساكره ونهب تكريت وخرج اليه أبو الغازى واجتمع معهم صدقة بن مزيد صاحب الحلة وعاثوا فى نواحى بغداد وفتكوا بنفر من أهل البلد وبعث اليهم الخليفة فى الصلح على أن يسير القيصرى الى واسط فسار اليها ودخل أبو الغازى بغداد ورجع سقمان الى بلده وقد مر ذلك فى أخبارهم ثم استولى مالك بن بهرام أخى سقمان على عانة الخرمية سنة سبع وتسعين وكان له مدينة سروج فملكها منه الافرنج وسار الى غانة فملكها من بنى يعيش بن عيسى بن خلاط واستصرخوا بصدقة بن مزيد وارتجعها لهم منه وعاد الى الحلة فعاد مالك فملكها واستقرت فى ملكه ثم اجتمع سقمان وجكرمس صاحب الموصل على جهاد الافرنج سنة سبع وتسعين وهم محاصرون حران فتركوا المنافسة بينهم وقصدوهم وسقمان فى سبعة آلاف من التركمان فهزموا الافرنج وأسروا القمص بردويل صاحب الرها أسره أصحاب سقمان فتغلب عليهم أصحاب جكرمس وأخذوه وافترقوا بسبب ذلك وعادوا الى ما كان بينهم من الفتن والله أعلم

(استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين)

كان هذا الحصن ماردين من ديار بكر وأقطعه السلطان بركيارق بجميع أعماله لمغن كان عنده وكان فى ولاية الموصل وكان ينحاز اليه خلق كثير من الاكراد يفسدون السابلة واتفق ان كربوقا صاحب الموصل سار لحصار آمد وهى لبعض التركمان فاستنجد صاحبها بسقمان فسار لانجاده وقاتل كربوقا قتالا شديدا ثم هزمه وأسر ابن أخيه ياقوتى بن ارتق وحبسه بقلعة ماردين عند المغنى فبقى محبوسا مدة طويلة وكثر ضرر الاكراد فبعث ياقوتى الى المغنى صاحب الحصن فى أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل وصار يغير عليهم فى سائر النواحى الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة معه فلا يهيجهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام مرجعه من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم على القتل ان لم

يقصوا له ففتحها أهلوهم وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين وأغار على جزيرة ابن عمر وهي لجكرمس فكبسه جكرمس وأصحابه في الحرب بينهم فقتله وبكاه جكرمس وكان تحت ياقوتي ابنة عمه سقمان فمضت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء سقمان بهم الى نصيبين فترك طلب الثار فبعث اليه جكرمس ما أرضاه من المال في ديته ورجع وقدم بماردين بعد ياقوتي أخوه على بطاعة جكرمس وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه يملك ماردين لجكرمس فسار اليها سقمان وعوض عليا ابن أخته جبل جور وأقامت ماردين في ملكه مع حصن كيفا واستضاف اليهما نصيبين والله أعلم

(وفاة سقمان بن ارتق وولاية أخيه أبي الغازي مكانه بماردين)

ثم بعث فخر الدين بن عمار صاحب طرابلس يستنجد سقمان بن ارتق على الافرنج وكان استبد بها على الخلفاء العلويين أهل مصر ونازله الافرنج عندما ملكوا سواحل الشأم فبعث بالصريخ الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين وأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغركين صاحب دمشق المستبد بها من موالي بني تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفا على دمشق من الافرنج فأسرع المسير اليه معتزما على قصد طرابلس وبعدها دمشق فانتهى الى القريتين وندم طغركين على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه ومات هو بالقدس فكفاهم الله أمره وقد كان أصحابه عندما أشفى على الموت أشاروا عليه بالرجوع الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لي ثواب شهيد فلما مات حمله ابنه ابراهيم الى حصن كيفا فدفنه بها وكان أبو الغازي بن ارتق شحنة بغداد كما قدمناه ولاه السلطان محمد أيام الفتنة بينه وبين أخيه بركيارق فلما اصطلح بركيارق وأخوه سنة تسع وتسعين على أن تكون بغداد له وممالك أخرى من الممالك الاسلامية ومن جملتها حلوان وهي أقطاع أبي الغازي فبادر وخطب لبركيارق ببغداد فنكر عليه ذلك صدقة بن مزيد وكان من شيعة السلطان محمد فجاء الى بغداد ليزعج أبا الغازي عنها ففارقها الى يعقوب وبعث الى صدقة يعتذر بأنه صار في ولاية بركيارق وبحكم الصلح في اقطاعه وولايته فلم يمكنه غير ذلك ومات بركيارق على اثر ذلك فخطب أبو الغازي لابنه ملك شاه فنكر ذلك السلطان محمد منه فلما استولى على الامر عزله عن شحنة بغداد فلحق بالشام وحمل رضوان بن تتش صاحب حلب على حصار نصيبين من بلاد جكرمس فحاصروها وبعث جكرمس الى رضوان وأغراه بأبي الغازي فنفسد ما بينهما ورحلوا مفترقين على نصيبين وسار أبو الغازي الى ماردين وقدمات أخوه سقمان كما قلناه فاستولى عليها والله تعالى أعلم

(اضطراب أبي الغازي في طاعته وأسره ثم خلاصه)

لما ولى السلطان محمد على الموصل والجزيرة وديار بكر سنة ثنتين وخمسمائة مودود بن التونتكين مكان جاولي سكاو والذي ملكها من يد جكرمس كما مر في أخبارهم فوصل مودود الى الموصل وسار جاولي الى نصيبين وهي يومئذ لابي الغازي وراسله في المظاهرة والانجاد فوصل اليه بماردين على حين غفلة مستنجدا به فلم يسعه الا اسعافه وسار معه الى سنجار والرحبة وحاصرهما واوشق عليهما فلما نزل الخابور هرب أبو الغازي راجعا الى نصيبين ثم الى بلده وبقي مضطربا ثم بعث السلطان محمد سنة خمس وخمسمائة الى الامير مودود بالمسير الى قتال الافرنج وأن يسير الامراء معه من كل جهة مثل سقمان القطبي صاحب ديار بكر وأحمديك صاحب مراغة وأبي الهيجاء صاحب اربل وأبي الغازي صاحب ماردين فحضروا كلهم الا أبا الغازي فانه بعث ولده اياز في عسكر فسارت العساكر الى الرها وحاصروها وامتنعت عليهم ثم ساروا سنة ست وخمسمائة الى سروج كذلك ثم ساروا سنة سبع الى بلاد الافرنج فهزموهم على طبرية ودوخوا بلادهم وعاد مودود الى دمشق وافترقت العساكر ودخل دمشق ليشتي بها عند طغركين صاحبها فقتل غيلة بها واتهم طغركين في أمره وبعث السلطان مكانه على العساكر والموصل اقسنقر البرسقي وأمره بقصد الافرنج وقتالهم وكتب الى الامراء بطاعته وبعث ابنه الملك مسعودا في عسكر كثيف ليكونوا معه فساروا قسنقر سنة ثمان وخمسمائة وفر أبو الغازي وحاصره بماردين حتى استقام وبعث معه ابنه اياز في عسكر فحاصروا الرها وعاثوا في نواحيها ثم سروج وشمشاط وأطاعه صاحب مرعش وكيسوم ورجع فقبض على اياز بن أبي الغازي ونهب سواد ماردين فسار أبو الغازي من وقته الى ركن الدولة داود ابن أخيه سقمان وهو بحصن كيفا مستنجدا به فأنجده وساروا الى البرسقي آخر ثمان وخمسمائة فهزموهم وخلصوا ابنه اياز من الاسر وأرسل السلطان الى أبي الغازي يتهدده فلحق بطغركين صاحب دمشق صريخا وكان طغركين مستوحشا الاتهامه بأمر مودود فاتفقا على الاستنجاد وبعثا بذلك الى صاحب انطاكية فجاء اليهما قرب حمص وتحالفا وعاد الى انطاكية وسار أبو الغازي الى ديار بكر في خف من أصحابه فاعترضه قيرجان صاحب حمص فظفر به وأسره وبعث الى السلطان بخبره وأبطأ عليه وصول جوابه فيه وجاء طغركين الى حمص فدخل على قيرجان وألح عليه   بقتل أبي الغازي ثم أطلقه قيرجان وأخذ عليه وسار أبو الغازي الى حلب وبعث السلطان العساكر مع يوسف بن برسق صاحب همذان وغيره من الامراء لقتال أبي الغازي وقتال الافرنج بعده فساروا الى حلب

بياض بالأصل

وبها لؤلؤ الخادم مولى رضوان بن تتش كفل ابنه البارسلان بعد موته ومعه مقدم العساكر شمس الخواص فطالبوهما بتسليم حلب بكتاب السلطان اليهما في ذلك وبادر أبو الغازى وطغركين فدخلا اليهما فامتنعت عليهما فساروا الى حماة من أعمال طغركين وبها ذخائره ففتحوها عنوة ونهبوها وسلموها الى الامير قيرجان صاحب حمص فأعطاهم اياز بن أبى الغازى وكان أبو الغازى وطغركين وشمس الخواص ساروا الى روجيل صاحب انطاكية يستنجدونه على حفظ حماة وجاءهم هنالك بقدوين صاحب القدس والقمص صاحب طرابلس وغيرهما واتفقوا على مطاولة العساكر ليتفرقوا عند هجوم الشتاء واجتمعوا عند قلعة افامية فلم تبرح العساكر مكانها فافترقوا وعاد طغركين الى دمشق وأبو الغازى الى ماردين والافرنج الى بلادهم ثم كان اثر ذلك فتح كفرطاب على المسلمين واعتزموا على معاودة حلب فاعترضهم روجيل صاحب انطاكية وقد جاء في خمسمائة فارس مدد الافرنج في كفرطاب فانهزم المسلمون وكان تمحيصهم ورجع برسق أمير العساكر وأخوه منهزمين الى بلادهم وكان اياز بن أبى الغازى أسيرا عندهم فقتله الموكلون به يوم المعركة سنة تسع وخمسمائة والله تعالى أعلم

(استيلاء أبى الغازى على حلب)

كان رضوان بن تتش صاحب حلب لما توفى سنة سبع وخمسمائة قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم ونصب ابنه البارسلان فى ملكه ثم استوحش منه ونصب مكانه أخاه سلطان شاه واستبد عليه ثم سار لؤلؤ الخادم الى قلعة جعفر سنة احدى عشرة بينه وبين مالك بن سالم بن مالك بن بدران فغدر به مماليك الاتراك وقتلوه عند خرت برت واستولوا على خزائنه واعترضهم أهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولى شمس الخواص أتابك مكان لؤلؤ ثم عزل اشهرا وولى أبو المعالى بن الدمشقى ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخشى أهل حلب على بلدهم من الافرنج فاستدعوا أبا الغازى بن ارتق من ماردين وسلموا اله البلد وانقرض ملك آل رضوان ابن تتش منها فلم يملكها بعد واحد منهم ولما ملكها لم يجد فيها مالا فصادر جماعة من الخدم وصانع الافرنج بمالهم ثم سار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش

بياض بالأصل

(واقعة أبى الغازى مع الافرنج)

ولما استولى أبو الغازى على حلب وسار عنها طمع فيها الافرنج وساروا اليها فملكوا مراغة وغيرها من أعمالها وحاصروها فلم يكن لاهلها بد من مدافعتهم بقتال أو بمال

فقاسموهم أملاكهم التى بضاحيتها فى سبيل المصانعة وبعثوا الى بغداد يستغيثون فلم يغاثوا وجمع أبو الغازى من العساكر والمتطوعة نحوا من عشرين ألفا وسار بهم الى الشأم سنة ثلاث عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكنانى وطغان ارسلان ابن اسكين بن جناح صاحب ارزن الروم ونزل الافرنج قريبا من حصون الامارى فى ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ونزلوا فى تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن قريش وتحصنوا بالجبال من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدهم أبو الغازى ودخل عليهم من تلك المسارب وهم غارون فركبوا وصدقوا الحملة فلقوا عساكر المسلمين متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت الا القليل وأسر من زعمائهم سبعون فاداهم أهل حلب بثلثمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب انطاكية وتجافلهم من المعركة فاجتمع جماعة من الافرنج وعاودوا اللقاء فهزمهم أبو الغازى وفتح حصن الاربات ورزدنا وعاد الى حلب فأصلح أمورها وعبر الفرات الى ماردين وولى على حلب ابنه سليمان ثم وصل دبيس بن صدقة الى أبى الغازى مستجيرا به فكتب اليه المسترشد مع سديد الدولة عبد أبى الغازى بابعاد دبيس ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع وسار أبو الغازى الى الافرنج عقب ذلك سنة أربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظفر بهم ثم سار هو وطغركين صاحب دمشق فحاصروا الافرنج بالمشيرة وخشوا من استماتتهم فأفرج لهم أبو الغازى حتى خرجوا من الحصن وكان لا يطيل المقام بدار الحرب لان أكثر الغزاة معه التركمان يأتون بجراب دقيق وقديد شاه فيستعجل العود ان فنيت ازوادهم والله أعلم

بياض بالأصل

(انتقاض سليمان بن أبى الغازى بحلب)

كان أبو الغازى قد ولى على حلب ابنه سليمان فحمله بطانته على الخلاف على أبيه وسار اليه أبوه تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه وقبض على بطانته الذين داخلوه فى ذلك وكان متولى كبرها أمير كان لقيطا لابيه ونشأ فى بيته فسمله وقطع لسانه وكان منهم آخر من أهل حماة قدمه أبو الغازى على أهل حلب فقطعه وسمله فمات وأراد قتل ابنه ثم ثنته الشفقة عليه وهرب الى دمشق وشفع فيه طغركين فلم يشفعه ثم استخلف على حلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين وذلك سنة خمس عشرة ثم ابنه حسام الدين تمرتاش مع القاضى بهاء الدولة أبى الحسن الشهرزورى شافعا فى دبيس وضامنا فى طاعته فلم يتم ذلك فلما انصرف تمرتاش الى أبيه أقطع السلطان أباه أبا الغازى مدينة ميافارقين وكانت لسقمان القطبى صاحب

خلاط فتسلمها أبو الغازى ولم تزل فى يده الى أن ملكها صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الرها)

قد تقدم لنا أن جوسكين من الافرنج كان صاحب الرها وسروج وأن مالك بن بهرام كان قد ملك مدينة عانة فسار سنة خمس عشرة الى الرها وحاصرها أياما فامتنعت عليه وسار جوسكين فى اتباعه بعد أن جمع الافرنج وقد تفرق عن مالك أصحابه ولم يبق معه الا اربعمائة فلحقوه فى أرض رخوة قد نضب عنها الماء فوحلت فيها خيولهم ولم يقدروا على التخلص فظفر بهم أصحاب مالك وأسروهم وجعل جوسكين فى اهاب جمل وخيط عليه وطلبوا منه تسليم الرها فلم يفعل وحبسه فى خرت برت بعد أن بذل فى فديته أموالا فلم يفادوه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(وفاة أبى الغازى وملك بنيه من بعده)

ثم توفى أبو الغازى بن ارتق صاحب ماردين فى رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة فولى بعده بماردين ابنه حسام الدين تمرتاش وملك سليمان ميافارقين وكان بحلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار فاستولى عليها ثم سار مالك بن بهرام بن ارتق الى مدينة حران فحاصرها وملكها وبلغه ان سليمان ابن عمه عبد الجبار صاحب حلب قد عجز عن مدافعة الافرنج وأعطاهم حصن الامارى فطمع فى ملك بلاده وسار اليها فى ربيع سنة ست عشرة وملكها من يده على الامان ثم سار سنة ثمان عشرة الى منبج وحاصرها وملك المدينة وحبس صاحبها حسان التغلبى وامتنع أهلها بالقلعة فحاصرها وسمع الافرنج بذلك فساروا اليه فترك على القلعة من يحاصرها ونهض اليهم فهزمهم وأثخن فيهم وعاد الى منبج فحاصرها فأصابه بعض الايام سهم غرب فقتله فاضطرب العسكر وافترقوا وخلص حسان من محبسه وكان تمرتاش بن أبى الغازى صاحب ماردين معه على منبج فلما قتل حمل شلوه الى حلب ودفنه بها واستولى عليها ثم استخلف عليها وعاد الى ماردين وجاء الافرنج الى مدينة صور فملكوها وطمعوا فى غيرها من بلاد المسلمين ولحق بهم دبيس بن صدقة ناجيا من واقعته مع المسترشد فأطمعهم فى ملك حلب وساروا معه فحاصروها وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقلت الاقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبهم ولم يكن فى الوقت أظهر من البرسقى صاحب الموصل ولا أكثر قوة وجمعا منه فاستدعوه ليدافع عنهم ويملكوه وشرط عليهم أن يمكنوه من القلعة قبل وصوله ونزل فيها نوابه وسار فلما أشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى

بلادهم وخرج أهل حلب فتلقوا البرسقى فدخل واستولى على حلب وأعمالها ولم تزل بيده الى ان هلك وملكها ابنه عز الدين ثم هلك فولى السلطان محمود عليها اتابك زنكى حسبما يأتى فى أخبار دولته ورجع تمرتاش الى ماردين واستمر ملكه بها وكان مستوليا على كثير من قلاع ديار بكر ثم استولى سنة ثنتين وثلاثين على قلعة الساج من ديار بكر وكانت بيد بعض بنى مروان من بقايا ملوك الاولين وكان هذا آخرهم بهذه القلعة وكان ملك ميافارقين قد سار لحسام الدين تمرتاش وملكها من يد أخيه سليمان ولم يزل تمرتاش ملكا بماردين الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة لاحدى وثلاثين سنة من ملكه والله تعالى ولى التوفيق

(وفاة تمرتاش وولاية ابنه البى بعده)

ثم توفى حسام الدين تمرتاش سنة سبع واربعين وخمسمائة كما قلناه فملك بعده ابنه بماردين البى بن تمرتاش وبقى ملكا عليها الى أن مات وولى بعده ابنه أبو الغازى بن البى الى أن مات ولم يذكر ابن الاثير تاريخ وفاتهما وقال مؤرخ حماة لم يقع الى تاريخ وفاتهما

(ولاية حسام الدين بولق ارسلان بن أبى الغازى بن البى)

ولما توفى أبو الغازى بن البى قام بأمر ملكه نظام الملك النقش ونصب للملك مكانه ابنه بولق ارسلان طفلا واستبد عليه وكان النقش غالبا على هواه حيث صار أمر الطفل فى يده ولم تزل حالهم على ذلك الى أن هلك حسام الدين فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة على عهد بولق هذا وكناه ابن الاثير حسام الدين ناصر الملك قصد العادل أبو بكر ابن أيوب ماردين وخشيت ملوك الجزيرة ولم يقدروا على منعه ثم توفى العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر وولى أخوه الافضل فاستنفر العادل أهل مصر ودمشق وأهل سنجار وبعثهم مع ابنه الكامل وحاصروا ماردين فبعث اليه النقش المستولى على بولق بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم على أن يدخل اليهم الاقوات ووضع العادل ابنه على بابها أن لا يدخلها زائد على القوت فصانعوا الولد بالمال وشحنوها بالاقوات وبينما هم فى ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادهم وقاتلهم فانهزم عساكر العادل وخرج أهل القلعة فأوقعوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعا منهزمين ونزل حسام الدين بولق الى نور الدين ولقيه وشكر وعاد ونزل نور الدين على دبيس ثم رحل عنها قاصدا حوران كما نذكره فى أخبار دولته ان شاء الله تعالى والله أعلم

(وفاة بولو وولاية أخيه ارتق)

ولما هلك بولو ارسلان نصب لؤلؤ الخادم بعده للملك أخاه الاصغر ناصر الدين ارتق

ارسلان بن قطب الدين أبى الغازى ولم يذكر ابن الاثير خبر وفاته أيضا وبقى مملكا فى كفالة النقش الى سنة احدى وستمائة والله أعلم

(مقتل النقش واستبداد ارتق المنصور واتصال الملك فى عقبه)

ثم استنكف ارتق من الحجر ومرض النقش سنة احدى وستمائة فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤا خادمه فى بعض زوايا بيته ورجع الى النقش فقتله فى فراشه واستقل بملك ماردين وتلقب المنصور وتوفى فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وملك بعده ابنه السعيد نجم الدين غازى بن ارتق وتوفى فى سنة ثمان أو ثلاث وخمسين وملك بعده أخوه المظفر قرا ارسلان بن ارتق فأقام سنة أو بعضها ثم هلك سنة ثلاث وتسعين وستمائة وملك بعده أخوه المنصور نجم الدين غازى بن قرا ارسلان الى أن توفى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة لاربع وخمسين سنة من ولايته وملك بعده ابنه المنصور أحمد الى أن توفى سنة تسع وستين لثلاث سنين من ولايته ثم ملك بعده ابنه الصالح محمود أربعة أشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين داود بن المنصور أحمد الى أن توفى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وملك بعده ابنه مجد الدين عيسى وهو السلطان بماردين لهذا العهد والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده (ولما) ملك هلاكو بن طلوخان بن جنكزخان مدينة بغداد وأعمالها أعطاه المظفر قرا ارسلان طاعته وخطب له فى أعماله ولم يزالوا يدينون بطاعة بنيه الى أن هلك أبو سعيد ابن خربندا آخر ملوك التتر ببغداد سنة سبع وثلاثين فقطعوا الخطبة لهم واستبد أحمد المنصور منهم وهو الثانى عشر من لدن ابى الغازى جدهم الاول (وأما) داود بن سقمان فانه ملك حصن كيفا من بعد سقمان ابيه وابراهيم أخيه ولم أقف على خبر وفاته (وملك بعده) ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود وملك أكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفى سنة ثنتين وستين وخمسمائة (وملك بعده) ابنه نور الدين محمد بعهده اليه بذلك وكانت بينه وبين صلاح الدين مواصلة ومظاهرة ظاهر صلاح الدين على الموصل على أن يظاهره على آمد فظاهره صلاح الدين وحاصرها من صاحبها ابن سان سنة تسع وستين وصارت من أعمال نور الدين كما نذكر فى دولة صلاح الدين ثم توفى نور الدين محمد سنة احدى وثمانين وخلف ولدين (فملك الاكبر) منهما قطب الدين سقمان وقام بتدبير دولته العوام ابن سماق الاسعد وزير أبيه وكان عماد الدين أخو نور الدين هو المرشح للامارة الا أنه سار فى العساكر مددا لصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة أخيه سار لملك البلد لصغر أولاد أخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرت برت فانتزعها منهم وملكها وأورثها بنيه فلما أفرج صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين سقمان

وأقره على ملك أبيه بكيفا وأبقى بيده آمد التى كان ملكها لابيه وشرط عليه مراجعته فى أحواله والوقوف عند أوامره وأقام أميرا من أصحاب ابنه قرا ارسلان اسمه صلاح الدين فقام بأمور دولته واستقر ملكه بكيفا وآمد وما اليهما الى أن توفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة تردى من جوسق له بحصن كيفا فمات وكان أخوه محمود مرشحا لمكانه الا أن قطب الدين سقمان كان شديد البغضاء له واشخصه الى حصن منصور من آخر عملهم واصطفى مملوكه اياسا وزوجه باخته وجعله ولى عهده (ولما توفى) ملك بعده مملوكه وشخص أهل الدولة فدسوا الى محمود فسار الى آمد وسبقه اياس اليها ليدافعه فلم يطق وملك محمود آمد واستولى على البلد كلها وحبس اياسا الى أن أطلقه بشفاعة صاحب بلاد الروم فلحق به وانتظم فى امرائه واستقل محمود بملك كيفا وآمد وأعمالهما ولقب ناصر الدين وكان ظالما قبيح السيرة وكان ينتحل العلوم الفلسفية وتوفى سنة تسعة عشر وستمائة وولى مكانه المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن عادل فتنة واستنجد عليه أخاه الكامل فسار فى العساكر من مصر ومعه داود صاحب الكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى أن نزل عنها وجاء الى الكامل فاعتقله فلم يزل عنده حبيسا الى أن مات الكامل فذهب الى التترفات عندهم (وأما) عماد الدين بن قرا ارسلان الذى ملك خرت برت من يد قطب الدين سقمان ابن أخيه نور الدين فلم تزل فى يده الى أن توفى سنة احدى وستمائة لعشرين سنة من ملكه اياها (وملكها بعده) ابنه نظام الدين أبو بكر وكانت بينه وبين ناصر الدين محمود ابن عمه نور الدين صاحب آمد وكيفا عداوة ودخل محمود فى طاعة العادل بن أيوب وحضر مع ابنه الاشرف فى حصار الموصل على أن يسير معه بعدها الى خرت برت فيملكها له وكان نظام الدين مستنجدا الدين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فمات وسار الاشرف مع محمود بعساكره وحاصروا خرت برت فى شعبان سنة احدى وستين وملكوا ربضها وبعثوا غياث الدين صاحب الروم الى نظام الدين المدد بالعساكر مع الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط فلما انتهوا الى ملطية أفرج الاشرف ومحمود عن خرت برت الى بعض حصون نظام الدين بالصحراء بجيرة سهنين وفتحت فى ذى الحجة سنة احدى وستين فلما وصل الافضل بعساكر غياث الدين ووصل الاشرف عن البحيرة راجعا جاء نظام الدين بالعساكر الى الحصن فامتنع عليه وبقى لصاحب آمد ثم ملك كيقباد صاحب الروم حصن خرت برت من أيديهم سنة احدى وثلاثين وانقرض منها ملك بنى سقمان والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

ارتق مولى السلطان ملك شاه السلجوقى
ملك ماردين وآمد
الظاهر عيسى بن المظفر داود بن الصالح صالح بن المنصور غازى بن المظفر قرا ارسلان بن المنصور ارتق ارسلان بن بولو ارسلان بن ابى الغازى بن البى بن تمرتاش بن ابى الغازى بن ارتق بن اكسك
الصالح محمود بن المنصور احمد
داود
السعيد غازى
سقمان
داود بن سقمان ملك حصن كيفا
قطب الدين سقمان
قرا ارسلان بن داود
محمد بن قرا ارسلان
مسعود بن محمود بن محمد
ابراهيم
نظام الدين ابو بكر بن عماد الدين ملك خرت برت بعد أبيه
سليمان
سليمان بن عبد الجبار
مالك بن بهرام

﴿الخبر عن دولة بنى زنكى بن اقسنقر من موالى السلجوقية بالجزيرة والشأم ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم﴾

قد تقدم لنا ذكر اقسنقر مولى السلطان ملك شاه وأنه كان يلقب قسيم الدولة وأن السلطان ملك شاه لما بعث الوزير فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة بفتح ديار بكر من يد ابن مروان واستنجد ابن مروان صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل وهزمته العساكر وانحصر بآمد فبعث السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ليخالف شرف الدولة الى السلطان فلقيه فى الرحبة وأهدى له فرضى عنه ورده الى بلده الموصل واستولى بنو جهير بعد ذلك على ديار بكر كما مر فى موضعه من دولة بنى مروان ثم كان بعد ذلك شان حلب واستبد بها أهلها بعد انقراض دولة بنى صالح بن مرداس الكلابى وطمع فيها شرف الدولة مسلم بن قريش وسليمان بن قطلمش صاحب بلاد الروم وتتش ابن السلطان البارسلان وقتل سليمان بن قطلمش مسلم ابن قريش ثم قتل تتش سليمان بن قطلمش وجاء الى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة فحاصرها وقد كانوا بعثوا الى السلطان ملك شاه واستدعوه لملكها فوصل اليهم سنة تسع وسبعين ورحل تتش عن القلعة ودخل البرية واستولى السلطان على حلب وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر وعاد الى العراق فعمرها اقسنقر وأحسن السيرة فيها وسار معه تتش حين عهد له أخوه السلطان ملك شاه بفتح بلاد العلوية بمصر والشأم ففتح الكثير منها وهو معه كما مر وزحف قبل ذلك سنة ثمانين الى بنى منقذ بشيزر فحاصره وضيق عليه ثم رجع عنه عن صلح وأقام بحلب ولم يزل واليا عليها الى أن هلك السلطان سنة خمس وثمانين واختلف ولده من بعده وكان أخوه تتش قد استولى على الشأم منذ سنة احدى وسبعين فلما هلك أخوه طمع فى ملك السلجوقية من بعده فجمع العساكر وسار لاقتضاء الطاعة من الامراء معه بالشأم وقصد حلب فأطاعه قسيم الدولة اقسنقر وحمل باغيسيان صاحب انطاكية وتبران صاحب الرها وحران على طاعته حتى ينظر ما آل الامر فى ولد سيدهم ملك شاه وساروا مع تتش الى الرحبة فملكها وخطب لنفسه فيها ثم الى نصيبين ففتحها عنوة ثم الى الموصل فهزم صاحبها ابراهيم بن قريش بن بدران وتولى كبر هزيمته اقسنقر وقتل قريش بن ابراهيم وملك الموصل من يده وولى تتش عليها ابن عمته على بن مسلم بن قريش وسار الى ديار بكر فملكها ثم الى اذربيجان وكان بركيارق ابن ملك شاه قد استولى على الرى وهمذان وكثير من البلاد فسار لمدافعته وجنح قسيم الدولة اقسنقر وبوزان صاحب الرها الى بركيارق ابن سيدهم فلحقوا به وتركوا تتش فانقلب عائدا الى الشأم ساخطا على اقسنقر وبوزان ما فعلوه فجمع العساكر

وسار الى حلب سنة سبع وثمانين لقتال قسيم الدولة وأمده بركيارق بالامير كربوقا فى العساكر فبرزوا الى لقائهم والتقوا على ست فراسخ من حلب ونزع بعض عساكر اقسنقر الى تتش فاختل مصافه وتمت الهزيمة عليه وجىء به أسيرا الى تتش فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب وتبعهما فحاصرهما وملكها وأخذهما أسيرين كما مر فى أخبار الدولة وكان قسيم الدولة حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة ولما مات نشأ ولده فى ظل الدولة السلجوقية وكان أكبرهم زنكى فنشأ مرموقا بعين التجلة ولما ولى كربوقا الموصل من قبل بركيارق أيام الفتنة بين بركيارق وأخيه محمد كان زنكى فى جملته لانه كان صاحب أبيه وسار كربوقا أيام ولايته لحصار آمد وصاحبها يومئذ بعض أمراء التركمان وأنجده سقمان بن ارتق وكان زنكى بن اقسنقر يومئذ صبيا وهو فى جملة رجال كربوقا ومعه جماعة من أصحاب أبيه فبلا فى تلك الحرب وانهزم سقمان وظهر كربوقا وفى هذه الحرب أسر ابن ياقوتى ابن ارتق وسجنه كربوقا بقلعة ماردين فكان ذلك سببا لملك بنى ارتق فيها كما مر فى أخبار دولتهم ثم تتابعت الولاة على الموصل فوليها جكرمس بعد كربوقا وبعده جاولى سكاوو وبعده مودود بن ايتكين وبعده اقسنقر البرسقى كما تقدم فى أخبار السلجوقية وولاه السلطان محمد بن ملك شاه سنة ثمان وخمسين وبعث معه ابنه مسعودا وكتب الى سائر الامراء هنالك بطاعته ومنهم يومئذ عماد الدين زنكى بن اقسنقر فاختص به ولما ملك السلطان محمود بعد أبيه محمد سنة احدى عشرة كان أخوه مسعود بالموصل كما تقدم أتابكه جيوش بك ونقل البرسقى من الموصل الى شحنة بغداد وانتقض دبيس ابن صدقة صاحب الحلة على المسترشد والسلطان محمود وجمع البرسقى العساكر وقصد الحلة فكاتب دبيس السلطان مسعودا وأتابكه جيوش بك بالموصل وأغراهما بالمسير الى بغداد فسارا لذلك مع السلطان مسعود وزيره فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس وزنكى بن قسيم الدولة اقسنقر وجماعة من أمراء الجزيرة ووصلوا الى بغداد وصالحهم البرسقى وسار معهم ودخل مسعود الى بغداد وجاء منكبرس الى بغداد ونزع اليه دبيس بن صدقة ووقعت الحرب بينهما على بغداد كما تقدم فى أخبار الدولة وأقام منكبرس ببغداد ثم كان له فى خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة وغلب السلطان أخاه مسعودا وأخذه عنده واستنزل أتابكه جيوش بك من الموصل وأعاد اليها البرسقى سنة خمسة عشر فعاد زنكى الى الاختصاص به كما مر ثم أضاف اليه السلطان محمود شحنة بغداد وولاية واسط مضافة الى ولاية الموصل سنة ستة عشر فولى عليها عماد الدين زنكى فحسن أثره فى ولايتهما ولما كانت الحرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة المسترشد برز المسترشد لقتاله من بغداد وحضر البرسقى من الموصل وعماد الدين زنكى فانهزم دبيس عماد الدين فى ذلك المقام ثم

ذهب دبيس الى البصرة وجمع المنتفق من بنى عقيل فدخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا أميرها وبعث المسترشد الى البرسقى فعذله فى اهماله أمر دبيس حتى فعل فى البصرة ما فعل فبادر الى قصره وهرب دبيس واستولى على البصرة وولى عليها عماد الدين زنكى بن اقسنقر فأحسن حمايتها والدفاع عنها وكبس العرب فى حللهم بضواحيها وأجفلوا ثم عزل البرسقى سنة ثمان عشرة عن شحنة بغداد وعاد الى الموصل فاستدعى عماد الدين زنكى من البصرة فضجر من ذلك وقال كل يوم للموصل جديد يستجدنا وسار الى السلطان ليكون فى جملته فلما قدم عليه باصبهان أقطعه البصرة وأعاده عليها من قبله ثم ملك البرسقى مدينة حلب سنة ثمان عشرة وقتل بها سنة تسع عشرة وكان ابنه عز الدين مسعود بحلب فبادر الى الموصل وأقام ملك أبيه بها ووقع الخلاف بين المسترشد والسلطان محمود وبعث الخليفة عفيفا الخادم الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان محمود فسار اليه عماد الدين زنكى من البصرة وقاتله فهزمه ونجا عفيف الى المسترشد وأقام عماد الدين فى واسط وأمره أن يحضر بالعساكر فى السفن وفى البر فجمع السفن من البصرة وشحنها بالمقاتلة شاكى السلاح وأصعد فى البر وقدم على السلطان وقد تسلحت العساكر فهاله منظرهم ووهن المسترشد لما رأى فأجابه الى الصلح

(ولاية زنكى شحنة بغداد والعراق)

ولما ظهر من عماد الدين زنكى من الكفاءة والغناء فى ولاية البصرة وواسط ما ظهر ثم كان له المقام المحمود مع السلطان محمود على بغداد كما مر ولاه شحنة بغداد والعراق لما رأى انه يستقيم اليه فى أمور الخليفة بعد أن شاور أصحابه فأشاروا به وذلك سنة احدى وعشرين وسار عن بغداد بعد ان ولاه على كرسى ملكه باصبهان والله تعالى أعلم

(ولاية عماد الدين زنكى على الموصل وأعمالها)

قد قدمنا ان عز الدين مسعود بن البرسقى لما قتل الباطنية أباه بالموصل وكان نائبه بحلب فبادر الى الموصل وضبط أمورها وخاطب السلطان محمودا فولاه مكان أبيه وكان شجاعا عاقرا فطمع فى ملك الشأم فسار وبدأ بالرحبة فحاصرها حتى استأمن اليه أهل القلعة وطرقه مرض فمات وتفرقت عساكره ونهب بعضهم بعضا حتى شغلوا عن دفنه وكان جاولى مولى أبيه مقدم العساكر عنده فنصب مكانه أخاه الاصغر وكاتب السلطان فى تقرير ولايته وأرسل فى ذلك الحاجب صلاح الدين محمد الباغيسانى والقاضى أبا الحسن على بن القاسم الشهرزورى فأوصى صلاح الدين

صهره جقرى فيما جاء فيه وكان شيعة لعماد الدين زنكى تخوّف الحاجب وحذره مغبة حاله معه وأشار عليه وعلى القاضى بطلب عماد الدين زنكى وضمن لهما عنده الولايات والاقطاع وركب القاضى مع الحاجب الى الوزير شرف الدين أنوشروان ابن خالد وذكر له حال الجزيرة والشأم واستيلاء الافرنج على أكثرها من ماردين الى العريش وأنها تحتاج الى من يكف طغيانهم وابن البرسقى المنصوب بالموصل صغير لا يقوى على مدافعتهم وحماية البلاد منهم ونحن قد خرجنا عن العهدة وأنهينا الامر اليكم فرفع الوزير قولهما الى السلطان فشكرهما واستدعاهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة وأدرجا فيهم عماد الدين زنكى وبذلا عنه مالا جزيلا لخزانة السلطان فأجابهما اليه لما يعلم من كيفياته وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وشافهه بالولاية وسار الى ولايته فبدأ بالفوارع وملكها ثم سار الى الموصل وخرج جاولى والعساكر للقائه ودخل الموصل فى رمضان سنة احدى وعشرين وبعث جاولى واليا على الرحبة وولى على القلعة نصير الدين جقرى وولى على حجابته صلاح الدين الباغيسانى وعلى القضاء ببلاده جميعا بهاء الدين الشهرزورى وزاد فى اقطاعه وكان لا يصدر الا عن رأيه ثم خرج الى جزيرة ابن عمر وبها موالى البرسقى فامتنعوا عليه وحاصرهم وكان بينه وبين البلد دجلة فعبرها وبين دجلة والبلد فسيح من الارض فعبر دجلة وقاتلهم فى ذلك الفسيح وهزمهم فتحصنوا بالاسوار ثم استأمنوا فدخل البلد وملكه وسار لنصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى صاحب ماردين فاستنجد عليه ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب كيفا فوعده بالنجدة وبعث حسام الدين بذلك الى أهل نصيبين يأمرهم بالمصابرة عشرين يوما الى حين وصوله فسقط فى أيديهم لعجزهم عن ذلك واستأمنوا العماد الدين فأمنهم وملكها وسار عنها لسنجار فامتنعوا عليه أولا ثم استأمنوا وملكها وبعث منها الى الخابور فملك جميعه ثم سار الى حران وكانت الرها وسروج والبيرة فى جوارها للافرنج وكانوا معهم فى ضيقة فبادر أهل حران الى طاعته وأرسل الى جوسكين وهادنه حتى يتفرغ له فاستقر بينهما الصلح والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك زنكى على مدينة حلب)

كان البرسقى قد ملك حلب وقلعتها سنة ثمانية عشر واستخلف عليها ابنه مسعودا ثم قتل الباطنية البرسقى بالموصل فبادر ابنه مسعود الى الموصل واستخلف على حلب الامير قزمان ثم عزله وبعث بولايتها الى الامير قطلغ آبه فمنعه قزمان وقال بينى وبينه علامة لم أرها فى التوقيع فرجع الى مسعود فوجده قد الرحبة فعاد الى حلب

مسرعا ومال اليه أهل البلد ورئيسها فضايل بن بديع وأدخلوه وملكوه واستنزلوا قزمان من القلعة وأعطوه ألف دينار وبلغوه مأمنه وملك قطلغ القلعة والبلد منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وفحش ظلمه واشتمل عليه الاشرار فاستوحش الناس منه وثاروا به فى عيد الفطر من السنة وقبضوا على أصحابه وولوا عليهم بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان ملكها من قبل وحاصروا قطلغ بالقلعة ووصل حسان صاحب منبج وحسن صاحب مراغة لاصلاح الامر فلم يتم وزحف جوسكين صاحب الرها من الافرنج الى حلب فصانعوه بالمال ورجع فزحف صاحب انطاكية وحاصر البلد وهم يحاصرون القلعة الى منتصف ذى القعدة من آخر السنة وانتهى عماد الدين زنكى الى صاحب حران كما ذكرناه فبعث الى أهل حلب أميرين من أصحابه بتوقيع السلطان له بالموصل والجزيرة والشأم فبادروا الى الطاعة وسار اليه بدر الدولة ابن عبد الجبار وقطلغ آبه وأقام أحد الاميرين بحلب ولما وصلا الى عماد الدين أصلح بينهما وأقاما عنده وبعث الحاجب صلاح الدين محمدا الباغيسانى فى عسكر اليها فملك القلعة ورتب الامور وولى ثم وصل عماد الدين بعده فى محرم سنة ثنتين وعشرين وملك فى طريقه منبج من يد حسان ومراغة من يد حسن وتلقاه أهل حلب فاستولى وأقطع أعمالها للامراء والاجناد ثم قبض على قطلغ آبه وأسلمه الى ابن بديع فسكحله ومات واستوحش ابن بديع فلحق بقلعة جعفر مستنجدا بصاحبها وأقام عماد الدين مكانه فى رياسة حلب على بن عبد الرزاق وعاد الى الموصل والله أعلم

(استيلاء الاتابك زنكى على مدينة حماة)

ثم سار عماد الدين زنكى لجهاد الافرنج وعبر الفرات الى الشأم واستنجد تاج الملوك بورى بن طغركين صاحب دمشق فأنجده بعد التوثق باستحلافه وبعث عسكره من دمشق الى ابنه سونج وأمره بالمسير الى زنكى فلما وصلوا اليه أكرمهم ثم غدر بهم بعد أيام وقبض على سونج والامراء الذين معه فاعتقلهم بحلب ونهب خيامهم وبادر الى حماة وهى خلو من الحامية فملكها وسار عنها الى حمص وصاحبها قيرجان بن قراجا معه فى عساكره وهو الذى أشار بحبس سونج وأصحابه فقبض عليه يظن أهل حمص يسلمون بلادهم اليه فامتنعوا وبعث اليهم قيرجان بذلك فلحق اليها فحاصرها مدة وامتنعت عليه فعاد الى الموصل ومعه سونج بن بورى والله أعلم

(فتح عماد الدين حصن الاثارب وهزيمة الافرنج) (١)

ولما عاد عماد الدين الى الموصل أراح عساكره أياما ثم تجهز سنة أربع وعشرين الى الغزو

(١) قال أبو الفدا ... ومن الاماكن ... المشهورة بالشأم ... الاثارب بالهمزة ... المفتوحة والثاء ... المثلثة وألف ور... مهملة وباء موحدة ... له

وعاد الى الشأم فقصد حلب واعتزم على قصد حصن الاثارب وهو على ثلاثة فراسخ من حلب وكان الافرنج الذين به قد ضيقوا على حلب فسار اليه وحاصره وجاء الافرنج من انطاكية لدفاعه واستفرغوا فتبعهم وترك الحصن وسار اليهم واستماتت المسلمون فانهزم الافرنج وأسر كثير من زعمائهم وقتل كثير حتى بقيت عظامهم ماثلة بذلك الموضع أكثر من ستين سنة ثم عاد الى حصن الاثارب فملكه عنوة وخربه وتقسم جميع من فيه بين القتل والاسر وسار الى قلعة حارم (١) قرب انطاكية وهى للافرنج فحاصرها حتى صالحوه على نصف خراجها فرجع عنها وملئ الافرنج رعبا منه ومن استبداد المسلمين به وذهب ما كان عندهم من الطمع

(١) حارم بالحاء وبراء مكسورة مهملتين بينهما ألف وميم آخرها من أعمال حلب وهى بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار وأعين ونهر صغير قال ابن سعيد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالرمان الذى يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه اهـ من أبى الفداء

(واقعة عماد الدين مع بنى ارتق)

ولما فرغ عماد الدين من غزو الافرنج وفتح الاثارب وقلعة حارم عاد الى الجزيرة وحاصر مدينة سرخس وهى لصاحب ماردين بينها وبين نصيبين فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وركن الدولة صاحب آمد وهما ابنا الغازى صاحب ماردين بن حسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى وصاحب كيفا ركن الدولة داود بن سقمان وتمرتاش بن ارتق وجمعوا من التركمان نحوا من عشرين ألفا وساروا لمدافعة زنكى فهزمهم وملك سرخس وسار ركن الدولة الى جزيرة ابن عمر لينهبها فاتبعه عماد الدين فرجع الى بلده فعاد عنه لضيق مسالكه وملك من قلاعه همرد ورجع الى الموصل الى آخره

(حصول دبيس بن صدقة فى أسر الاتابك زنكى)

قد تقدم لنا أن دبيس بن صدقة لما فارق البصرة سار الى سرخد من قلاع الشأم سنة خمس وعشرين باستدعاء الجارية التى خلفها الحسن هنالك ليتزوج بها وأنه مر فى الغوطة بحى من أحياء كلب فأسروه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق وبلغ الخبر الى الاتابك زنكى وكان عدوا له فبعث فيه الى تاج الملوك بورى وفادى من ابنه سونج والامراء الذين معه عنده فأطلقهم وبعث بورى اليه بدبيس وهو مستيقن الهلاك فلما وصله أكرمه وأحسن اليه وأزاح علله وبعث المسترشد فيه الى بورى ابن طغركين صاحب دمشق فوجده قد فات بتسلمه الى زنكى فذم الرسل زنكى فيما فعله فأرصد لهم فى طريقهم وسبقوا اليه وهم سديد الدولة بن الانبارى وأبو بكر ابن بشر الجزرى فحبسهما حتى شفع فيهما المسترشد وبقى دبيس عنده حتى انحدر معه الى العراق

(مسير الاتابك زنكى الى العراق ولمظاهرة السلطان مسعود وانهزامه)

ولما

ولما توفى السلطان محمود سنة خمس وعشرين واختلف ولده داود وأخوه مسعود وسار داود الى مسعود وحاصره بتبريز فى محرم سنة ست وعشرين ثم صالحه وخرج مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وبعث يطلب الخطبة من المسترشد فمنعه وكتب الاتابك عماد الدين زنكى يستنجده وسار الى بغداد فحاصرها وكان قد سبق اليها أخوه سلجوق شاه صاحب فارس وخوزستان مع أتابك قراجا الشامى فى عسكر كثير وأنزله المسترشد بدار السلطان فلما جاء مسعود ونزل عباسة وبرز عسكر المسترشد وعسكر سلجوق شاه وقراجا الشامى لمحاربة مسعود فأتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكى من ورائهم وأنه وصل الى المعشوب فرجع قراجا الشامى الى محاربته وسار سلجوق شاه بالعساكر الى محاربة أخيه مسعود وأغذ قراجا السير وصبح عماد الدين بعد يوم وليلة على المعشوب وقاتله وهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكى منهزما الى والنائب بها نجم الدين أيوب بن شادى والد السلطان صلاح فتأخر ثم اصطلح مع الخليفة على أن يكون العراق له والسلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق شاه وذلك منتصف سنة ست وعشرين

بياض بالأصل

(مسير الاتابك عماد الدين الى بغداد بانه وانهزامه)

قد قدمنا ما كان بعد وفاة السلطان محمود من الخلاف بين ابنه داود وأخويه مسعود وسلجوق شاه ثم استقر مسعود فى السلطنة وصالحه مع أخيه سلجوق على أن يكون ولى عهده ثم ان السلطان سنجر سار من خراسان يطلب السلطنة لطغرل ابن أخيه السلطان محمود وكان عنده مقيما فبلغ همذان وخرج السلطان مسعود وسلجوق شاه للقائه وسار وامتباطئين ينتظرون لحاق المسترشد بهم وخرج المسترشد الى فجاءته الاخبار بوصول الاتابك زنكى ودبيس بن صدقة الى بغداد فذكر دبيس ان السلطان سنجر أقطعه الحلة وبعث يسترضى فلم يشفعه وذكر الاتابك زنكى ان السلطان سنجر ولاه شحنة بغداد واستمر السلطان مسعود وأخوه سلجوق على المسير للقاء سنجر وكانت الهزيمة على مسعود كما مر فعاد المسترشد الى بغداد ونزل العباسة من الجانب الغربى ولقى الاتابك زنكى ودبيس على حصن البرامكة فهزمهما آخر رجب سنة ست وعشرين ولحق الاتابك بالموصل

بياض بالأصل

(واقعة الافرنج على أهل حلب)

وفى غيبة الاتابك زنكى سار ملك الافرنج من القدس الى حلب فخرج نائبها من الاتابك زنكى وهو الامير اسوار وجمع التركمان مع عساكره وقاتل الافرنج عند

قنسرين وصابرهم ومحص الله المسلمين وانهزموا الى حلب وسار ملك الافرنج فى أعمال حلب ظافرا ثم سار بعض الافرنج من الرها للغارة فى أعمال حلب فخرج اليهم الامير اسوار ومعه حسان التغلبى الذى كان صاحب منبج فأوقعوا بهم واستلحموهم وأسروا من بقى منهم وعادوا ظافرين

(حصار المسترشد الموصل)

ولما وقع ما قدمناه من وصول زنكى الى بغداد وانهزامه أمام المسترشد حقد عليه المسترشد ذلك وأقام يتربص ثم كثر الخلاف بين سلاطين السلجوقية واعتزلهم جماعة من أمرائهم فرارا من الفتنة ولحقوا بالخليفة وأقاموا فى ظله فأراد الخليفة المسترشد أن ينتصف بهم من الاتابك زنكى فقدم اليه بهاء الدين أبا الفتوح الاسفراينى الواعظ وحمله عتابا أغلظ فيه وزاده الواعظ غلظة حفظا على ناموس الخلافة فى معتقده فامتعض الاتابك لما شافهه به وأهانه وحبسه وأرسل المسترشد الى السلطان مسعود على قصد الموصل وحاصرها لما وقع من زنكى ثم سار فى شعبان سنة سبع وعشرين الى الموصل فى ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها الاتابك زنكى الى سنجار وترك نائبه بها نصر الدين جقرى وجاء المسترشد فحاصرها والاتابك زنكى قد قطع الميرة عن معسكره فتعذرت الاقوات وضاقت عليهم الاحوال وأرادت جماعة من أهل البلد الوثوب بها وسعى بهم فأخذوا وصلبوا ودام الحصار ثلاثة أشهر وامتنعت عليه فأفرج عنها وعاد الى بغداد وقيل ان مطر الخادم جاءه من بغداد وأخبره أن السلطان مسعودا عازم على قصد العراق فعاد مسرعا

(ارتجاع صاحب دمشق مدينة حماة)

قد كنا قدمنا أن الاتابك زنكى تغلب على حماة من يد تاج الملوك بورى بن طغركين صاحب دمشق سنة ثلاث وعشرين وأقامت فى ملكه أربع سنين وتوفى تاج الملوك بورى فى رجب سنة ست وعشرين وولى بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل وملك بانياس من الافرنج فى صفر سنة سبع وعشرين ثم بلغه أن المسترشد بالله حاصر الموصل فسار هو الى حماة وحاصرها وقاتلها يوم الفطر ويومين بعده فملكها عنوة واستأمنوا فأمنهم ثم حصر الوالى ومن معه بالقلعة فاستأمنوا أيضا واستولى على ما فيها من الذخائر والسلاح وسار منها الى قلعة شيزر فحاصرها ابن منقذ فحمل اليه مالا صانعه به وعاد الى دمشق فى ذى الحجة من السنة

{حصار الاتابك زنكى قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة النسور ثم حصار قلاع الحميدية}

وفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة اجتمع الاتابك زنكى صاحب الموصل وصاحب ماردين على حصار آمد واستنجد صاحبها بداود بن سقمان صاحب كيفا فجمع العساكر وسار اليهما ليدافعهما عنه وقاتلاه فهزماه وقتل كثير من عسكره وأطالا حصار آمد وقطعا شجرها وكرومها وامتنعت عليهما فرحلا عنها وسار زنكى الى قلعة النسور من ديار بكر فحاصرها وملكها منتصف رجب من السنة ووفد عليه ضياء الدين أبو سعيد ابن الكفر توثى فاستوزره الاتابك وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محببا فى الجند وتوفى فى سنة ست وثلاثين بعدها ثم استولى الاتابك على سائر قلاع الاكراد الحميدية مثل قلعة العقر وقلعة سوس وغيرهما وكان لما ملك الموصل أمر صاحب هذه القلاع الامير عيسى الحميرى على ولايتها فلما حاصر المسترشد الموصل قام فى خدمته أحسن القيام وجمع له الاكراد فلما عاد المسترشد الى بغداد من قتال الاتابك زنكى فحاصر قلاعهم وحاصرتها العساكر وقاتلوها قتالا شديدا حتى ملكوها فى هذه السنة ورفع الله شرهم عن أهل السواد المجاورين لهم فقد كانوا منهم فى ضيقة من كثرة عيثهم فى البلاد وتخريبهم والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك على قلاع الهكارية وقلعة كواشى)

حدث ابن الاثير عن الجنيبى أن الاتابك زنكى لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء من عبد الله على قلعة أشب والجزيرة وكواشى فاستأمن الاتابك واستحلفه وحمل له مالا ثم وفد عليه بالموصل بعد أن اخرج ابنه أحمد من أشب خشية أن يغلب عليها وأعطاه قلعة كواشى وولى على أشب رجلا من الكرد واسمه باد الارمنى وابنه أحمد هذا هو أبو على بن أحمد المشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين ولما مات أبو الهيجاء واسمه موسى وسار أحمد الى أشب ليملكها فامتنع عليه باد وأراد حفظها لعلى الصغير من بنى أبى الهيجاء فسار الاتابك زنكى فى عساكره ونزل على اشب وبرز أهلها لقتاله واستجرهم حتى أبعدوا ثم كر عليهم فأفناهم قتلا وأسرا وملك القلعة فى الحال وسيق اليه باد فى جماعة من مقدمى الاكراد وقتلهم وعاد الى الموصل ثم سار غازيا فى بعض مذاهبه فبعث نائبه نصر الدين جقرى عسكرا وخلى كنجاورسى قلعة العمادية وحاصروا قلعة الشعبان وفرح وكواشى والزعفرانى والغى وسرق وسفروه وهى حصون الهكارية فحصرها وملكها جميعا واستقام أمر الجبل والزوزان

وأمنت الرعية من الاكراد وأما باقى قلاع الهكارية وهى حل وصورا وهزور والملايسى ويامرما ومانرخا وباكرا ونسرفان قراجا صاحب العمادية فتحها بعد قتل زنكى بمدة طويلة كان أميرا على تلك الحصون الهكارية من قبل زين الدين على على ماقال ابن الاثير ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلهذا ذكرته هنا قال وحدثنى بخلاف هذا الحديث بعض فضلاء الاكراد أن أبابكر زنكى لما فتح قلعة اسب وحرسانى قلعة العمادية ولم يبق فى الهكارية الاصاحب جبل صورا وصاحب هزور لم يكن لهما شوكة يخشى منهما ثم عاد الى الموصل وخافه أهل القلاع الجبلية ثم توفى عبد الله بن عيسى ابن ابراهيم صاحب الربية والغى وفرح وملكها بعده ابنه على وكانت أمه خديجة ابنة الحسن أخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكى بالموصل فأرسلها ابنها على الى أخويها المذكورين وهما خالاه ليستأمنا له من الاتابك فاستحلفاه وقدم عليه فأقره على قلاعه واستقل بفتح قلاع الهكارية وكان الشعبان هذا الامير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فأخذه منه وخربه لكبره وقلة أعماله وكان نصر الدين جقرى يكره عليا صاحب الربية والغى وفرح فسعى عند الاتابك فى حبسه فأمره بحبسه ثم ندم وكتب اليه أن يطلقه فوجده قد مات فاتهم نصر الدين بقتله ثم بعث العساكر الى قلعة الربية فنازلوها بغتة وملكوها عنوة وأسروا ولد على واخوته ونجت أمه خديجة لمغيبها وجاء البشير الى الاتابك بفتح الربية فسره ذلك وبعث العساكر الى مابقى من قلاع على فابى الأن يدوه قلعة كواشى فمضت خديجة أم على الى صاحب كواشى من المهرانية واسمه بجرك راهروا وسألته النزول عن كواشى لاطلاق اسراهم ففعل ذلك وتسلم زنكى القلاع وأطلق الاسرى واستقامت له جبال الاكراد والله تعالى أعلم

(حصار الاتابك زنكى مدينة دمشق)

كان شمس الملوك اسمعيل بن بورى قد اختل أمره وضعفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشى عاقبة أمرهم فاستدعى الاتابك زنكى سرا ليملكه دمشق ويريح نفسه وشعر بذلك أهل دولته فشكوا الى أمه فوعدتهم ازاحته منه ثم اغتالته فقتلته وجاء الاتابك زنكى فقدم رسله من الفرات فألفوا شمس الملوك قد مات وولى مكانه أخوه محمود واشتمل أهل الدولة عليه ورجعوا الخبر الى الاتابك فلم يحفل به وسار حتى نزل بظاهر دمشق واشتد أهل الدولة على مدافعته ومقدمهم معين الدين أربوه أتابك طغركين ثم بعث المسترشد أبابكر بن بشر الجزرى الى الاتابك زنكى فامره بصلح صاحب دمشق فصالحه ورحل عنه منتصف السنة والله سبحانه وتعالى أعلم

*(فتنة

(فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره الى الموصل وخلعه)

كان كثير من أمراء السلجوقية قد اجتمعوا على الانتقاض على السلطان مسعود والخروج عليه ولحق داود ابن السلطان محمود من اذربيجان ببغداد فى صفر سنة اثنتين وثلاثين فأنزل بدار السلطنة وراسله أولئك الامراء وقدم عليه بعضهم مثل صاحب قزوين وصاحب اصبهان وصاحب الاهواز وصاحب الجبلة وصاحب الموصل الاتابك زنكى وخرجت اليهم العساكر من بغداد وولى داود شحنة بغداد وخرج موكب الخليفة مع الوزير جلال الدين الرضى وكان الخليفة قد تغير عليه وعلى قاضى القضاة الزينبى فسمع بهم الاتابك ثم وقعت العزيمة من الراشد والسلطان داود والاتابك زنكى وحلف كل منهم لصاحبه وبعث الراشد الى الاتابك بأتى ألف دينار ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض على الامير بك آبه ونهب ماله فانحدر الاتابك زنكى لمدافعته فاصطلحا وعاد زنكى الى بغداد ومر على جميع العساكر لقتال السلطان مسعود وخرج على طريق خراسان وبلغهم أن السلطان مسعودا سار الى بغداد فعاد اليها ثم عاد الملك داود وجاء السلطان مسعود فنزل على بغداد وحاصرهم نيفا وخمسين يوما وارتحل الى النهروان ثم قدم عليه طرنطاى صاحب واسط بالسفن فرجع الى بغداد وعبر الى الجانب الغربى ثم اختلف العسكر ببغداد ورجع الملك داود الى ولايته باذربيجان وافترق الامراء الذين معه ولحق الراشد بالاتابك زنكى فى نفر من أصحابه وهو بالجانب الغربى وساره معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود الى بغداد منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين واستقر بها وسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وعرض عليهم يمين الراشد بخطه بأنه متى جمع أو خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه فأفتوا بخلعه ثم وقعت الشهادات من أهل الدولة وغيرهم الى الراشد بموجبات العزل وكتبت وأفتى الفقهاء عقبها باستحقاق العزل وحكم به القاضى المعين حينئذ لغيبة قاضى القضاة بالموصل مع الراشد ونصب للخلافة ابن المستظهر وجاء رسول الاتابك زنكى الى بغداد وهو القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى وبايع بعد أن ثبت عنده الخلع وانصرف الى الاتابك باقطاع من خاص الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله وعاد كمال الدين الى الاتابك وحمل كتب الخلع فحكم بها قاضى القضاة بالموصل وانصرف الراشد عن الموصل الى اذربيجان كما مر فى أخبار الخلفاء والسلجوقية والله تعالى ولى التوفيق

هذا البياض كله بالاصل

(غزاة العساكر حلب الى الافرنج)

ثم اجتمعت عساكر حلب مع الامير اسوار نائب الاتابك زنكى بحلب

فى شعبان سنة ثلاثين وسار واغازين الى بلاد الافرنج وقصدوا اللاذقية على غرّة فنالوا منها وانساحوا فى بسائطها واكتسحوها وامتلأت أيديهم من الغنائم وخربوا بلاد اللاذقية وماجاورها وخرجوا على شيرز وملؤا الشأم بالاتراك والظهر ووهن الافرنج لذلك والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

﴿حصار الاتابك زنكى مدينة حمص واستيلاؤه على بعدوين وهزيمة الافرنج واستيلاؤه على حمص﴾

ثم سار الاتابك فى العساكر فى شعبان سنة احدى وثلاثين الى مدينة حمص وبها يومئذ معين الدين ابن القائم بدولة صاحب دمشق وحمص من أقطاعه فقدم اليه صاحبه صلاح الدين الباغيسانى فى تسليمها فاعتذر بأن ذلك ليس من الاصابة فحاصرها والرسل تردد بينهما وامتنعت عليه فرحل عنها الى بعدوين من حصون الافرنج فى شوّال من السنة فجمع الافرنج وأوعبوا وزحفوا اليه واشتدّ القتال بينهم ثم هزم الله العدوّ ونجا المسلمين منهم ودخل ملوكهم الى حصن بعدوين فامتنعوا به وشدّ الاتابك حصاره وذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانية من الروم والافرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوّفونهم استيلاء الاتابك على قلعة بعدوين وما يخشى بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس وجدّ الاتابك بعد ذلك فى حصارها والتضييق عليها حتى جهدهم الحصار ومنع عنهم الاخبار ثم استأمنوا على أن يحملوا اليه خمسين ألف دينار فأجابهم وملك القلعة ثم سمعوا بمسير الروم والافرنج لانجادهم وكان الاتابك خلال الحصار قد فتح المعرّة وكفرطاب [بياض بالاصل] فى الولايات التى بين حلب وحماة ووهن الافرنج ثم سار الاتابك زنكى فى محرّم سنة اثنين وثلاثين الى بعلبك وملك حصن المجدل من أعمال صاحب دمشق وبعث اليه نائب بانياس بالطاعة كذلك ثم كانت حادثة ملك الروم ومنازلته حلب كما نذكره فسار الى سلمية ولما انجلت حادثة الروم رجع الى حصار حمص وبعث الى محمود صاحب دمشق فى خطبة أمّه مردخان بنت جاولى التى قتلت ابنها فتزوّجها وملك حمص وقلعتها وحملت الخاتون اليه فى رمضان وظنّ أنه يملك دمشق بزواجها فلم يحصل على شئ من ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(مسير الروم الى الشأم وملكهم مراغة)

ولما استنجد الافرنج ببعدوين ملك أمم النصرانية كما مرّ جمع ملك الروم بالقسطنطينية وركب البحر سنة احدى وثلاثين ولحقته أساطيله وسار الى مدينة قيقية فحاصرها وصالحوه بالمال وسار عنها الى ادنة والمصيصة وهما لابن ليون الارمنى

صاحب قلاع الدروب فحاصرهما وملكهما وسار الى عين زربة فملكها عنوة وملك تل حمدون ونقل أهله الى جزيرة قبرص ثم ملك مدينة انطاكية فى ذى القعدة من السنة وبها رغيد من ملوك الافرنج فصالحه ورجع الى بغراس ودخل منها بلاد ابن ليون فصالحه بالاموال ودخل فى طاعته ثم خرج الى الشأم أوّل سنة ثنتين وثلاثين وحاصر مراغة على ستة فراسخ من حلب وبعثوا بالصريخ الى الاتابك زنكى فبعث بالعساكر الى حلب لحمايتها وقاتل ملك الروم مراغة فملكها بالامان منتصف السنة ثم غدر بهم واستباحهم ورحل الى حلب فنزل بزيق ومعه الافرنج ورجعوا من الغد الى حلب وحاصروها ثلاثا فامتنعت عليهم وقتل عليها بطريق كبير منهم ورحل عنها الى قلعة الاتاود فى شعبان من السنة فهرب عنها أهلها ووضع الروم بها الاسرى والسبى وأنزلوا بها حامية وبعث اليهم أسوار نائب حلب عسكرا فقتلوا الحامية وخلصوا الاسرى والسبى ورحل الاتابك من حصن [بياض بالاصل] بعد فتحه الى سلمية وقطع الفرات الى الرقة واتبع الروم فقطع عنهم الميرة وقصد الروم قلعة شيزر وبها سلطان ابن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى فحاصروها ونصبوا المجانيق عليها واستصرخ صاحبها بالاتابك زنكى فسار اليه ونزل نهر العاصى بين شيزر وحماة وبعث السرايا تختطف من حول معسكر الروم وبعث الى الروم يدعوهم الى المناجزة والنزول الى البسيط فخاموا عن ذلك فرجع الى التضريب بين الروم والافرنج يحذر أحد الفريقين من الآخر حتى استراب كل بصاحبه فرحل ملك الروم فى رمضان من السنة بعد حصار شيزر أربعين يوما واتبعه الاتابك فلحقهم واستلحمهم واستباحهم ثم أرسل القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى الى السلطان مسعود يستنجده على العدوّ ويحذره الروم واستيلاءهم على حلب وينحدرون من الفرات الى بغداد فوضع القاضى كمال الدين فى جامع القصر من ينادى بصريخ المسلمين والخطيب على المنبر وكذا فى جامع السلطان فعظم الصراخ والبكاء وتسايلت العوام من كل جانب وجاؤا الى دار السلطان فى تلك الحالة وقد وقع العويل والصراخ فعظم الهول على السلطان مسعود وجهز عسكرا عظيما وخاف القاضى كمال الدين غائلته ثم وصل الخبر برحيل ملك الروم فاخبر القاضى السلطان مسعود بذلك و [بياض بالاصل] من مسير العسكر والله تعالى أعلم

(استيلاء الاتابك زنكى على بعلبك)

ثم قتل محمود صاحب دمشق سنة ثلاث وثلاثين فى شوّال كما مرّ فى أخبار دولتهم وكانت أمّه زمردخان متزوّجة بالاتابك كما مرّ فبعثت اليه وهو بالجزيرة تعرفه بالخبر وتطلب

منه أن يسير الى دمشق ويثأر بولدها من أهل دولته فسار لذلك واستعد أهل دمشق للحصار ثم قصد الاتابك مدينة بعلبك ونزلها وكان ابن القائم بالدولة قد نصب كمال الدين محمد بن بورى بدمشق وتزوج أمه وبعث بجاريته الى بعلبك فلما سار الاتابك الى دمشق قدم رسله الى انز فى تسليم البلد على أن يبذل له ما يريد فأبى من ذلك وسار الاتابك الى بعلبك فنازلها آخر ذى الحجة من السنة ونصب عليها المجانيق وشد حصارها حتى استأمنوا فملكها واعتصم الحامية بالقلعة حتى يئسوا من أنز فاستأمنوا الى الاتابك فلما ملكها قبض عليهم وصلبهم وتزوج جارية انز ونقلها الى حلب الى أن بعثها ابنه نور الدين محمود الى صاحبها بعد موت الاتابك والله تعالى أعلم

(حصار الاتابك زنكى مدينة دمشق)

ثم سار الاتابك زنكى الى حصار دمشق فى ربيع الاول من سنة أربع وثلاثين بعد الفراغ من بعلبك فنزل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها فى أن يسلمها اليه ويعوضه عنها بما شاء فلم يجب الى ذلك فزحف اليه ونزل داريا والتقت الطلائع فكان الظفر لاصحاب الاتابك ثم تقدم الى المصلى فنزل بها وقاتله أهل دمشق بالغوطة فظفر بهم وأثخن فيهم ثم أمسك عن القتال عشرا اودفيها صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وما يختاره من البلاد فجنح الى ذلك ولم يوافقه أصحابه فعادت الحرب ثم توفى صاحب دمشق جمال الدين محمد فى شعبان من السنة ونصب معين الدين انز مكانه ابنه محيى الدين أموو قام بأمره وطمع زنكى فى ملك البلد فامتنعت عليه وبعث معز الدين انز الى الافرنج يستدعيهم الى النصر على الاتابك ويبذل لهم ويخوفهم غائلته ويشترط لهم اعانتهم على بانياس حتى يملكوها فأجاب الافرنج لذلك وأجفل زنكى الى حوران خامس رمضان من السنة معتزما على لقائهم فلم يصلوا فعاد الى حصار دمشق وأحرق قراها وارتحل الى بلاده ثم وصل الافرنج وارتحل معين الدين انز فى عساكر دمشق الى بانياس وهى للاتابك زنكى ليوفى للافرنج بشرطه لهم فيها وقد كان نائبها سار للاغارة على مدينة صور ولقيه فى طريقه صاحب انطاكية ذاهبا الى دمشق منجدا فهزم عسكر بانياس وقتلوا ولحق فلهم بالبلد وقد وهنوا وحاصرهم معين الدين انز والافرنج وملكها عنوة وسلمها للافرنج وأحفظه ذلك وفرق العسكر فى حوران وأعمال دمشق وسار هو فصابح دمشق ولم يعلموا بمكانه فبرزوا اليه وقاتلوه وقتل منهم جماعة ثم احجم عنهم لقلة من معه وارتحل الى مرج راهط فى انتظار عساكره فلما توافوا عنده عاد الى بلاده

(استيلاء الاتابك على شهرزور وأعمالها)

كان

كان شهرزور بيد قفجاق بن ارسلان شاه أمير التركمان وصالحهم وكانت الملوك تتجافى عن أعماله لامتناعها ومضايقها فعظم شأنه واشتمل عليه التركمان وسار اليه الاتابك زنكى سنة أربع وثلاثين فجمع ولقيه فظفر به الاتابك واستباح معسكره وسار فى اتباعه فحاصر قلاعه وحصونه وملك جميعها واستأمن اليه قفجاق فأمنه وسار فى خدمته وخدمة بنيه بعده الى آخر المائة ثم كان فى سنة خمس وثلاثين بين الاتابك زنكى وبين داود بن سقمان صاحب كيفا فتنة وحروب وانهزم داود وملك الاتابك من بلاده قلعة بهمرد وادركه (بياض بالاصل) فعاد الى الموصل ثم سار الاتابك الى مدينة الحرمية فملكها سنة ست وثلاثين ونقل آل مهارش الذين كانوا بها الى الموصل ورتب أصحابه مكانهم ثم خطب له صاحب آمد وصار فى طاعته بعد أن كان مع داود عليه ثم بعث الاتابك لسنة سبع وثلاثين عسكرا الى قلعة أشهب وهى أعظم من حصون الاكراد الهكارية وأمنعها وفيها أهلوهم وذخائرهم فحاصرها وملكها وأمره الاتابك بتخريبها وبنى قلعة العمادية عوضا عنها وكانت خربت قبل ذلك لاتساعها وعجزهم عن حمايتها فأعيدت الآن وكان نصير الدين نائب الموصل قد فتح أكثر القلاع الحربية والله تعالى أعلم

(صلح الاتابك مع السلطان مسعود واستيلاؤه على أكثر ديار بكر)

كان السلطان مسعود ملك السلجوقية قد حقد على الاتابك زنكى شان الخارجين على طاعته من أهل الاطراف وينسب ذلك اليه وكان يفعل ذلك مشغلة للسلطان عنه فلما فرغ السلطان مسعود من شواغله سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة سار الى بغداد عازما على قصد الاتابك وحصار الموصل فأرسل الاتابك يستعطفه ويستميله على أن يدفع اليه مائة ألف دينار ويعود عنه فشرع فى ذلك وحمل منها عشرين ألفا ثم حدثت الفتنة على السلطان فاحتاج الى مداراته وترك له الباقى وبالغ هو فى مخالصة السلطان بحيث ان ابنه غازى كان عند السلطان فهرب الى الموصل فبعث الى نائبها نصير الدين جقرى يمنعه من دخولها وبعث الى ابنه بالرجوع الى خدمة السلطان وكتب الى السلطان بان ابنى هرب للخوف من تغيير السلطان عليه وقد أعدته الى الخدمة ولم ألقه وأنا مملوكك والبلاد لك فوقع ذلك من السلطان أحسن المواقع ثم سار الاتابك الى ديار بكر ففتح طره واسعرد وحران وحصن الرزق وحصن تطليت وحصن باسنه وحصن ذى القرنين وغير هذه وملك أيضا من بلاد ماردين (بياض بالاصل) الافرنج جملين والمودن وتل موزر وغيرها من بلاد حصون سحستان وأنزل بها الحامية وقصد آمد فحصرها وسير عسكرا الى مدينة عانة من أعمال الفرات فملكها والله تعالى أعلم

(فتح الرها وغيرها من أعمال الافرنج)

كان الافرنج بالرها وسروج والبيرة قد أضروا بالمسلمين جوارهم مثل آمد ونصيبين ورأس عين والرقة وكان زعيمهم ومقدمهم بتلك البلاد جوسكين الزعيم ورأى الاتابك أنه يورى عن قصدهم بغيره لئلا يجمعوا اله فورى بغزو ديار بكر كما قاناه و جوسكين وعبر الفرات من الرها الى غزنة وجاء الخبر بذلك الى الاتابك فارتحل منتصف جمادى الاخيرة سنة تسع وثلاثين وحرض المسلمين وحثهم على عدوهم ووصل الى الرها وجوسكين غائب عنها فانحجز الافرنج بالبلد وحاصرهم شهرا وشد فى حصارهم وقتالهم ولج فى ذلك قبل اجتماع الافرنج ومسيرهم اليه ثم ضعف سورها فسقطت ثلمة منه وملك البلد عنوة ثم حاصر القلعة وملكها كذلك ثم رد على أهل البلد ما أخذ منهم وأنزل فيه حامية وسار الى سروج وجميع البلاد التى بيد الافرنج شرقيا فملكها جميعا الا البيرة لامتناعها فأقام يحاصرها حتى امتنعت ورحل عنها والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالاصل

{مقتل نصير الدين جقرى نائب الموصل وولاية زين الدين على بجك مكانه بالقلعة}

كان استقر عند الاتابك زنكى بالموصل الملك البارسلان ابن السلطان محمد ويلقب الخفاجى وكان شبيها به ويتوهم   السلطان ان البلاد له وأنه نائبه وينتظر وفاة السلطان مسعود فيخطب له ويملك البلد باسمه وكان يتردد له ويسعى فى خدمته فداخله بعض المفسدين فى غيبة الاتابك وزين له قتل نصير الدين النائب والاستيلاء على الموصل فلما دخل اليه أغرى به أجناد الاتابك ومواليه فوثبوا به وقتلوه فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين ثم ألقوا برأسه الى أصحابه يحسبون أنهم يفترقون فاعصوصبوا واقتحموا عليه الدار ودخل عليه القاضى تاج الدين يحيى ابن الشهرزورى فأوهمه بطاعته وأشار عليه بالعود الى القلعة ليستولى على المال والسلاح فركب وصعد معه وتقدم الى حافظ القلعة وأشار عليه بأن يمكنه من الدخول ثم يقبض عليه فدخل ودخل معه الذين قتلوا نصير الدين فحبسهم والى القلعة وعاد القاضى الى البلد وطار الخبر الى الاتابك زنكى بحصار البيرة فخشى اختلاف البلد وعاد الى الموصل وقدم زين الدين على ابن بجك وولاه القلعة مكان نصير الدين وأقام ينتظر الخبر وخاف الافرنج الذين بالبيرة من عودته اليهم فبعثوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها له فملكها المسلمون

بياض بالاصل

(حصار زنكى حصن جعبر وفنك)

ثم سار الاتابك زنكى سنة احدى وأربعين فى المحرم الى حصن جعبر ويسمى دوس وهو مطل على الفرات وكان لسالم بن مالك العقيلى أقطعه السلطان ملك شاه لابيه حين أخذ منه حلب وبعث جيشا الى قلعة فنك على فرسخين من جزيرة ابن عمر فحاصروها وصاحبها يومئذ حسام الدين الكردى فحاصر قلعة جعبر حتى توسط الحال بينهما حسان المنبجى ورغبه ورهبه وقال فى كلامه من يمنعك منه فقال الذى منعك أنت من مالك بن بهرام وقد حاصر حسان منبج فأصابه فى بعض الايام سهم فقتله وأفرج عن حسان وقدر قتل الاتابك كذلك والله تعالى أعلم

(مقتل الاتابك عماد الدين زنكى)

كان الاتابك عماد الدين زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل والشأم محاصر القلعة جعبر كما ذكرنا واجتمع جماعة من مواليه اغتالوه ليلا وقتلوه على فراشه ولحقوا بجعبر وأخبروا أهلها فنادوا من السور بقتله فدخل أصحابه اليه وألفوه يجود بنفسه وكان قتله لخمس من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين عن ستين سنة من عمره ودفن بالرقة وكان يوم قتل أبوه ابن سبع سنين ولما قتل دفن بالرقة وكان حسن السياسة كثير العدل مهيبا عند جنده عمر البلاد وأمنها وأنصف المظلوم من الظالم وكان شجاعا شديد الغيرة كثير الجهاد ولما قتل رحل العسكر عن قلعة فنك وصاحبها اغفار قال ابن الاثير سمعتهم يزعمون أن لهم فيها نحو ثلثمائة سنة وفيهم رفادة وعصبية ويجيرون كل من يلجأ اليهم والله أعلم

(استيلاء ابنه غازى على الموصل وابنه الآخر محمود على حلب)

ولما قتل الاتابك زنكى نزع ابنه نور الدين محمود خاتمه من يده وسار به الى حلب فاستولى عليها وخرج الملك البارسلان ابن السلطان محمود واجتمعت عليه العساكر وطمع فى الاستقلال بملك الموصل وحضر ابنه جمال الدين محمد بن على بن متولى الديوان وصلاح الدين محمد بن الباغيسانى الحاجب وقد اتفقا فيما بينهما على حفظ الدولة لاصحابهما وحسنا للبارسلان ما هو فيه من الاشتغال بلذاته وأدخلاه الرقة فانغمس بها وهما يأخذان العهود على الامراء لسيف الدين غازى ويبعثانهم الى الموصل وكان سيف الدين غازى فى مدينة شهرزور وهى أقطاعه وبعث اليه زين الدين على كوجك نائب القلعة بالموصل يستدعيه ليحضر عنده وسار البارسلان الى سنجار والحاجب وصاحبه معه ودسوا الى نائبها بأن يعتذر للملك البارسلان بتأخره حتى يملك الموصل فساروا الى الموصل ومروا بمدينة   وقد وقف العسكر فأشاروا على البارسلان

بياض بالاصل

بعبور دجلة الى الشرق وبعثوا الى سيف الدين غازى بخبره وقلة عسكره فأرسل اليه عسكرا فقبضوه وجاؤا به فحبسه بقلعة الموصل واستولى سيف الدين غازى على الموصل والجزيرة وأخوه نور الدين محمود على حلب ولحق به صلاح الدين الباغيسيانى فقام بدولته والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(عصيان الرها)

ولما قتل الاتابك زنكى ملك الرها جوسكين كان جوسكين مقيما فى ولايته بتل باشر وماجاورها فراسل أهل الرها وعامتهم من الارمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فأجابوه وواعدوه ليوم عينوه فسار فى عساكره وملك البلد وامتنعت القلعة وبلغ الخبر الى نور الدين محمود وهو بحلب فأغذ السير اليها وأجفل جوسكين الى بلده ونهب نور الدين المدينة وسبا أهلها وارتحلوا عنها وبعث سيف الدين غازى العساكر اليها فبلغهم فى طريقهم مافعله نور الدين فعادوا وذلك سنة احدى وأربعين ثم قصد صاحب دمشق بعد قتل الاتابك حصن بعلبك وبه نجم الدين أيوب بن شادى نائب الاتابك فابطأ عليه انجاد بنيه فصالح صاحب دمشق وسلم له بعلبك على اقطاع ومال أعطاه اياه وعشر قرى من بلاد دمشق وانتقل معه الى دمشق فسكنها وأقام بها ثم سار نور الدين محمود سنة ثنتين وأربعين من حلب الى الافرنج ففتح مدينة ارتاح عنوة وحاصر حصونا أخرى وكان الافرنج بعد قتل الاتابك يظنون أنهم يستردون ما أخذه منهم فبدا لهم مالم يكونوا يحتسبون ولما قتل الاتابك زنكى طمع صاحب ماردين وصاحب كيفا أن يستردوا ما أخذ من بلادهم فلما تمكن سيف الدين غازى سار الى أعمال ديار بكر فملك دارا وغيرها وتقدم الى ماردين وحاصرها وعاث فى نواحيها حتى ترحم صاحبها حسام الدين تمرتاش على الاتابك مع عداوته ثم أرسل الى سيف الدين غازى وصالحه وزوجه بنته فعاد الى الموصل وزفت اليه وهو مريض فهلك قبل زفافها وتزوجها أخوه قطب الدين من بعده والله أعلم

(مصاهرة سيف الدين غازى لصاحب دمشق وهزيمة نور الدين محمود للافرنج)

كان تقدم لنا فى دولة بنى طغركين موالى دقاق بن تتش أن ملك اللمان من الافرنج سار سنة ثلاث وأربعين وحاصر دمشق بجموع الافرنج وبها مجير الدين ارتق بن بورى بن محمد بن طغركين فى كفالة معين الدين أنز مولى

فبعث معين الدين الى سيف الدين غازى بن أتابك زنكى بالموصل يدعوه الى نصرة المسلمين فجمع عساكره وسار الى الشأم واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على

حمص فأخذوا بحجزة الافرنج عن الحصار وقوى المسلمون بدمشق عليهم وبعث معين الدين الى طائفتى الافرنج من سكان الشأم واللمان الواردين فلم يزل يضرب بينهم وجعل لافرنج الشأم حصن بانياس طعمة على أن يرحلوا ملك اللمانيين فتسلوا له فى الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده وراء قسطنطينية بالشمال وحسن أمر سيف الدين غازى وأخيه فى الدفاع عن المسلمين وكان مع ملك اللمان حين خرج الى الشأم ابن ادفونش ملك الجلالقة بالاندلس وكان جده هو الذى ملك طرابلس الشأم من المسلمين حين خروج الافرنج الى الشأم فلما جاء الآن مع ملك اللمان ملك حصن العريمة وأخذ فى منازلة طرابلس ليملكها من القمص فأرسل القمص الى نور الدين محمود ومعين الدين أنز وهما مجتمعان ببعلبك بعد رحيل ملك اللمانيين عن دمشق وأغراهما بابن ادفونش ملك الجلالقة واستخلاص حصن العريمة من يده فسار الذلك سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وبعث الى سيف الدين وهو بحمص فأمدهما بعسكر مع الامير عز الدين أبى بكر الديسى صاحب جزيرة ابن عمر وحاصروا حصن العريمة أياما ثم نقضوا سوره وملكوه على الافرنج وأسروا من كان به من الافرنج ومعهم ابن ادفونش وعاد الى سيف الدين عسكره ثم بلغ نور الدين ان الافرنج تجمعوا فى يقوم من أرض الشأم للاغارة على أعمال حلب فسار اليهم وقتلهم وهزمهم وأثخن فيهم قتلا وأسرا وبعث من غنائمهم وأسراهم الى أخيه سيف الدين غازى والى المقتفى الخليفة انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة سيف الدين غازى وملك أخيه قطب الدين مودود)

ثم توفى سيف الدين غازى بن الاتابك زنكى صاحب الموصل منتصف أربع وأربعين وخمسمائة لثلاث سنين وشهرين من ولايته وخلف ولدا صغيرا ربى عند عمه نور الدين محمود وهلك صغيرا فانقرض عقبه وكان كريما شجاعا متسع المائدة يطعم بكرة وعشية مائة رأس من الغنم فى كل نوبة وهو أول من حمل الصنجق على رأسه وأمر بتعليق السيوف بالمناطق وترك التوشح بها وحمل الدبوس فى حلقة السرج وبنى المدارس للفقهاء والربط للفقراء ولما أنشده حيص بيص الشاعر يمدحه

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا اليك المنابر

فوصله بألف مثقال سوى الخلع وغيرها ولما توفى سيف الدين غازى انتقض الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين على وجاؤا بقطب الدين مودود وبادروا الى تمليكه واستحلفوه وحلفوا له وركب الى دار السلطنة وزين الدين فى ركابه فبايعوا له

وأطاعه جميع من فى أعمال أخيه بالموصل والجزيرة وتزوج الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين التى هلك أخوه قبل زفافها فكان ولده كلهم منها والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء السلطان محمود على سنجار)

ولما ملك قطب الدين مودود الموصل وكان أخوه نور الدين محمود بالشأم وكان أكبر منه وله حلب وحماة كاتبه جماعة من الامراء بعد أخيه غازى وفيمن كاتبه نائب سنجار المقدم عبد الملك فبادر اليه فى سبعين فارسا من أمرائه وسبق أصحابه فى يوم مطير الى مساكن ودخل البلد ولم يعرفوا منه الا أنه أمير من جند التركمان ثم دخل على الشحنة بيته فقبل يده وأطاعه ولحق به أصحابه وسار واجميعا الى سنجار وأغذ السير فقطع عنه أصحابه ووصل الى سنجار فى فارسين ونزل بظاهر البلد وبعث الى المقدم فوصله وكان قد سار الى الموصل وترك ابنه شمس الدين محمدا بالقلعة فبعث فى اثر أبيه وعاد من طريقه وسلم سنجار الى نور الدين محمود فملكها واستدعى فخر الدين قرى ارسلان صاحب كيفا للمودة بينهما فوصل فى عساكره وبلغ الخبر الى قطب الدين صاحب الموصل ووزيره جمال الدين وأمير جيشه زين الدين فساروا الى سنجار للقاء نور الدين محمود وانتهوا الى تل اعفر ثم خاموا عن لقائه وأشار الوزير جمال الدين بمصالحته وسار اليه بنفسه فعقد معه الصلح وأعاد سنجار على أخيه قطب الدين وسلم له أخوه مدينة حمص والرحبة والشأم فانفرد بملك الشأم وانفرد أخوه قطب الدين بالجزيرة واتفقا وعاد نور الدين الى حلب وحمل ما كان لابيهم الاتابك زنكى من الذخيرة لسنجار وكانت لا يعبر عنها والله تعالى أعلم

(غزو نور الدين الى انطاكية وقتل صاحبها وفتح فاميا)

ثم غزا نور الدين سنة أربع وأربعين الى انطاكية فعاث فيها وخرب كثيرا من حصونها وبينما هو يحاصر بعض الحصون اجتمع الافرنج وزحفوا اليه فلقيهم وحاربهم وأبلى فى ذلك الموقف فهزم الافرنج وقتل البرلس صاحب انطاكية وكان من عتاة الافرنج وملك بعده ابنه سمند طفلا وتزوجت أمه برلس آخر يكفل ولدها ويدبر ملكها فغزاه نور الدين ولقوه فهزمهم وأسر ذلك البرلس الثانى وتمكن الطفل سمند من ملكه بانطاكية ثم سار نور الدين سنة خمس وأربعين الى حصن فاميا بين شيزر وحماة وهو من أحسن القلاع فحاصره وملكه وشحنه حامية وسلاحا وأقواتا ولم يفرغ من أمره الا والافرنج الذى بالشام جمعوا وزحفوا اليه وبلغهم الخبر فخاموا عن اللقاء وصالحوه فى المهادنة فعقد لهم انتهى

(هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين)

ثم جمع نور الدين بعد ذلك وسار غازيا الى بلاد زعيم الافرنج وهى تل باشر وعنتاب وعذار وغيرها من حصون شمالى حلب فجمع جوسكين لمدافعته عنها ولقيه فاقتتلوا ومحص الله المسلمين واستشهد كثير منهم وأسر آخرون وفيهم صاحب سلاح نور الدين فبعثه جوسكين الى الملك مسعود بن قليج ارسلان يعيره به لمكان صهره نور الدين على ابنته فعظم ذلك عليه وأعمل الحيلة فى جوسكين وبذل المال لاحياء التركمان البادين بضواحيه أن يحتالوا فى القبض عليه ففعلوا وظفر به بعضهم فشاركهم فى اطلاقه على مال وبعث من يأتى به وشعر بذلك والى حلب أبو بكر بن الرامة فبعث عسكرا اليه واغاروا من ذلك الحى فجاؤا بجوسكين أسيرا الى حلب وثار نور الدين الى القلاع فملكها وهى تل باشر وعنتاب وعذار وتل خالد وقورص ودلوك ومرعش ونهر الجوز وحصن البارة وكفرشود وكفرلات ودلوك ومرعش ونهر الجوز وشحنها بالاقوات وزحف اليه الافرنج ليدافعوه فلقيهم على حصن جلدك وانهزم الافرنج وأثخن المسلمون فيهم بالقتل والاسر ورجع نور الدين الى دلوك ففتحها وتأخر فتح تل باشر منها الى أن ملك نور الدين دمشق واستأمنوا اليه وبعث اليهم حسان المنبجى فتسلمها منهم وحصنها وذلك فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على دمشق)

كان الافرنج سنة ثمان وأربعين قد ملكوا عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر واعترضت دمشق بين نور الدين وبينها فلم يجد سبيلا الى المدافعة عنها واستطال الافرنج على دمشق بعد ملكهم عسقلان ووضعوا عليها الجزية واشترطوا عليهم تخيير الاسرى الذين بأيديهم فى الرجوع الى وطنهم وكان بها يومئذ مجير الدين انر بن محمد ابن بورى بن طغركين الاتابك واهن القوى مستضعف القوة فخشى نور الدين عليها من الافرنج وربما ضايق مجير الدين بعض الملوك من جيرانه فيفزع الى الافرنج فيغلبون عليه وأمعن النظر فى ذلك وبدأ أمره بمواصلة مجير الدين وملاطفته حتى استحكمت المودة بينهما حتى صار يداخله فى أهل دولته ويريهم عنده أنهم كاتبوه فيوقع الآخر بهم حتى هدم أركان دولته ولم يبق من أمرائه الا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغص به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجير الدين حتى نكبه وقتله وخلت دمشق من الحامية فسار حينئذ نور الدين مجاهرا بعداوة مجير الدولة ومتجنيا عليه واستنجد بالافرنج على أن يعطيهم الاموال ويسلم لهم بعلبك

فجمعوا واحتشدوا وفى خلال ذلك عمد نور الدين الى دمشق سنة سبع وأربعين وكاتب جماعة من احداثها وعدهم من أنفسهم فلما وصل ثار وا بمجير الدين ولجأ الى القلعة وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة وبذل له اقطاعا منها مدينة حمص فسار اليها مجير الدين وملك نور الدين القلعة ثم عوضه عن حمص ببالس فلم يرضها ولحق ببغداد وابتنى بها دارا وأقام بها الى أن توفى والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على تل باشر وحصاره قلعة حارم)

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث اليه الافرنج الذين فى تل باشر فى شمالى حلب واستأمنوا اليه ومكنوه من حصنهم فتسلمه حسان المنبجى من كبراء أمراء نور الدين سنة تسع وأربعين ثم سار سنة احدى وخمسين الى قلعة بهرام بالقرب من انطاكية وهى لسمند أمير انطاكية من الافرنج فحاصرها واجتمع الافرنج لمدافعته ثم خاموا عن لقائه وصالحوه على نصف أعمال حارم فقبل صلحهم ورحل عنها والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(استيلاء نور الدين على شيزر)

شيزر هذه حصن قريب من حماة على نصف مرحلة منها على جبل منيع عال لا يسلك اليه الا من طريق واحدة وكانت لبنى منقذ الكنانيين يتوارثون ذلك من أيام صالح ابن مرداس صاحب حلب من أعوام عشرين وأربعمائه الى أن انتهى ملكه الى المرهف نصر بن على بن نصير بن منقذ بعد أبيه أبى الحسن على فلما حضره الموت سنة تسعين وأربعمائة عهد لاخيه أبى سلمة بن مرشد وكان عالما بالقرآآت والادب وولى مرشد أخاه الاصغر سلطان بن على وكان بينهما من الاتفاق والملاءمة مالم يكن بين اثنين ونشأ لمرشد بنون كثيرون و[بياض بالاصل] فى السودد منهم عز الدولة أبو الحسن على ومؤيد الدولة أسامة وولده على وتعدد ولده ونافسوا بنى عمهم وفشت بينهم السعايات فتماسكوا لمكان مرشد والتئامه بأخيه فلما مات مرشد سنة احدى وثلاثين وخمسمائة تنكر اخوه سلطان لولده وأخرجهم من شيزر فتفرقوا وقصد بعضهم نور الدين فامتعض لهم وكان مشتغلا عنهم بالافرنج ثم توفى سلطان وقام بأمر شيزر أولاده وراسلوا الافرنج فحنق نور الدين عليهم لذلك ثم وقعت الزلازل بالشأم وخرب أكثر مدنه مثل حماة وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وحصن الاكراد وعرقة ولاذقية وطرابلس وانطاكية هذه سقطت جميعها وتهدمت سنة ثنتين وخمسين وماسقط بعضه وتهدمت أسواره فأكثر بلاد الشأم وخشى نور الدين عليها من الافرنج فوقف بعساكره

فى أطراف البلاد حتى رم ماتثلم من أسوارها وكان بنو منقذ أمراء شيزر قد اجتمعوا عند صاحبها منهم فى دعوة فأصابتهم الزلزلة مجتمعين فسقطت عليهم القلعة ولم ينج منهم أحد وكان بالقرب منها بعض أمراء نور الدين فبادر وصعد اليها وملكها منه نور الدين ورم ماتثلم من أسوارها وجدد بناءها فعادت كما كانت هكذا قال ابن الاثير وقال ابن خلكان وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة استولى بنو منقذ على شيزر من يد الروم والذى تولى فتحها منهم على بن منقذ بن نصر بن سعد وكتب الى بغداد بشرح الحال مانصه كتابى من حصن شيزر حماه الله وقد رزقنى الله من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم مالم يتأت لمخلوق فى هذا الزمان واذا عرف الامر على حقيقته علم أنى ذو برهذه الامة وسليمان الجن والمردة وأنا أفرق بين المرء وزوجه وأستنزل القمر من محله أنا أبو النجم وشعرى شعرى نظرت الى هذا الحصن فرأيت أمرا يذهل الالباب يسع ثلاثة آلاف رجل بالاهل والمال وتمسكه خمس نسوة فعمدت الى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالجواص ويسمى هذا التل بالحصن فعمرته حصنا وجمعت فيه أهلى وعشيرتى ونفرت نفرة على حصن الجواص فأخذته بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت اليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلى وعشيرتى وخلطت خنازيرهم بغنمى ونواقيسهم بصوت الاذان ورأى أهل شيزر ذلك فأنسوا بى ووصل الى منهم قريب من نصفهم فبالغت فى اكرامهم ووصل اليهم مسلم بن قريش العقيلى فقتل من أهل شيزر نحو عشرين رجلا فلما انصرف مسلم عنهم سلموا الى الحصن انتهى كتاب على بن منقذ وبين هذا الذى ذكره ابن خلكان والذى ذكره ابن الاثير نحو خمسين سنة وما ذكره ابن الاثير أولى لان الافرنج لم يملكوا من الشأم شيأ فى أوائل المائة الخامسة والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على بعلبك)

كانت بعلبك فى يد الضحاك البقاعى نسبة الى بقاعة والآن عليها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك ببعلبك وشغل نور الدين عنه بالافرنج فلما كانت سنة ثنتين وخمسين استنزله نور الدين عنها وملكها والله أعلم

(استيلاء أخى نور الدين على حران ثم ارتجاعها)

كان نور الدين سنة أربع وخمسين وخمسمائة بحلب ومعه أخوه الاصغر أمير أميران فمرض نور الدين بالقلعة واشتد مرضه فجمع أخوه وحاصر قلعة حلب وكان شيركوه ابن شادى أكبر أمرائه بحمص فلما بلغه الارجاف سار الى دمشق ليملكها وعليها

أخوه نجم الدين أيوب فنكر عليه وأمره بالمسير الى حلب حتى يتبين حياة نور الدين من موته فأغذ السير الى حلب وصعد القلعة وأظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافترقوا عن أخيه أمير أميران فسار الى حران فملكها فلما أفاق نور الدين سلمها الى زين الدين على كجك نائب أخيه قطب الدين بالموصل وسار الى الرقة فحاصرها والله تعالى ولى التوفيق

(خبر سليمان شاه وحبسه بالموصل ثم مسيره منها الى السلطنة بهمذان)

كان الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر بخراسان وقد عهد له بملكه وخطب باسمه على منابر خراسان فلما حصل سنجر فى أسر الغز سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كما مرّ فى أخبار دولتهم واجتمعت العساكر على سليمان شاه هذا وقدموه فلم يطق مقاومة الغز وفضى الى خوارزم شاه وزوجه ابنة أخيه ثم بلغه عنه ما ارتاب له فأخرجه من خوارزم وقصد اصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فقصد قاشان فبعث اليه محمد شاه ابن أخيه محمود عسكرا دافعوه عنها فسار الى خراسان فمنعه ملك شاه منها فقصد النحف ونزل وأرسل للخليفة المستنصر وبعث أهله وولده رهنا بالطاعة واستأذن فى دخول بغداد فأكرمهم الخليفة وأذن له وخرج ابن الوزير ابن هبيرة لتلقيه فى الموكب وفيه قاضى القضاة والنقباء ودخل بغداد وخلع عليه آخر سنة خمسين وبعد أيام أحضر بالقصر واستحلف بحضرة قاضى القضاة والاعيان وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمر بثلاثة آلاف فارس وسار نحو بلاد الجبل فى ربيع سنة احدى وخمسين ونزل الخليفة حلوان واستنفر له ابن أخيه ملك شاه صاحب همذان فقدم اليه فى ألفى فارس وجعله سليمان شاه ولىّ عهده وأمدهما الخليفة بالمال والسلاح ولحق بهما ايلدكز صاحب الرى فكثرت جموعهم وبعث السلطان محمد الى قطب الدين مودود صاحب الموصل وزين الدين كجك على نائبه فى المظاهرة والانجاد وسار الى لقاء سليمان شاه فانهزم وتمزق عسكره وفارقه ايلدكز فذهب الى بغداد على طريق شهرزور وبلغ خبر الهزيمة الى زين الدين على كجك فخرج فى جماعة من عسكر الموصل وقعد له بشهرزور ومعه الامير ايراق حتى مرّ بهم سليمان شاه فقبض عليه زين الدين وحمله الى الموصل فحبسه بها مكرما وطير الى السلطان محمود بالخبر فلما هلك السلطان محمود بن محمد سنة خمس وخمسين أرسل أكابر الامراء من همذان الى قطب الدين اتابك وزيره وزير اله وتعاهدوا على ذلك وجهزه قطب الدين جهاز الملك وسار معه زين الدين على كجك فى عسكر الموصل الى همذان فلما قاربوا بلاد الجبل تتابعت العساكر والامداد للقائهم ارسالا واجتمعوا على سليمان

شاه

شاه وجروا معه على مذاهب الدولة فخشيهم زين الدين على نفسه وفارقهم الى الموصل وسار سليمان شاه الى همذان فكان من أمرهم ما تقدم فى أخبار الدولة السلجوقية

(حصار قلعة حارم وانهزام نور الدين امام الافرنج ثم هزيمتهم وفتحها)

ثم جمع نور الدين محمود عساكر حلب وحاصر الافرنج بقلعة حارم وجمعوا المدافعته ثم خاموا عن لقائه ولم يناجزوه وطال عليه أمرها فعاد عنها ثم جمع عساكره وسار سنة ثمان وخمسين معتزما على غزو طرابلس وانتهى الى البقيعة تحت حصن الاكراد فكبسهم الافرنج هنالك وأثخنوا فيهم ونجا نور الدين فى الفل الى بحيرة حمص قريبا من حمص ولحق به المنهزمون وبعث الى دمشق وحلب فى الاموال والخيام والظهر وأزاح علل العسكر وعلم الافرنج بمكان نور الدين من حمص فنكبوا عن قصدها وسألوه الصلح فامتنع فأنزلوا حاميتهم بحصن الاكراد ورجعوا وفى هذه الغزاة عزل نور الدين رجلا يعرف بابن نصرى تنصح له بكثرة خرجه بصلاته وصدقاته على الفقراء والفقهاء والصوفية والقراء الى مصارف الجهاد فغضب وقال والله لا أرجو النصر الا بأولئك فانهم يقاتلون عنى بسهام الدعاء فى الليل وكيف أصرفها عنهم وهى من حقوقهم فى بيت المال ذلك شئ لا يحل لى ثم أخذ فى الاستعداد لأخذ بثاره من الافرنج وسار بعضهم الى ملك مصر فأراد أن يخالفهم الى بلادهم فبعث الى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل والى فخر الدين قرا ارسلان صاحب كيفا والى نجم الدين والى صاحب ماردين بالنجدة فسار من بينهم أخوه قطب الدين وفى مقدمته زين الدين على كجك صاحب جيشه ثم تبعه صاحب كيفا وبعث نجم الدين عسكره فلما توافت الامداد سار نور الدين نحو حارم سنة تسع وخمسين فحاصرها ونصب عليها المجانيق واجتمع من بقى بالساحل من ملوك الافرنج ومقدمهم البرنس بيمند صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وابن جوسكين واستنفر لهم أمم النصرانية وقصدوه فأفرج عن حارم الى ارتاح ثم خاموا عن لقائه وعادوا الى حصن حارم وسار فى اتباعهم وناوشهم الحرب فحملوا على عساكر حلب وصاحب كيفا فى ميمنة المسلمين فهزموها ومرّوا فى اتباعهم وحمل زين الدين فى عساكر الموصل على الصف فلقيه الرجل فأثخن فيهم واستلحمهم وعاد الافرنج من اتباع الميمنة فسقط فى أيديهم ودارت رحا الحرب على الافرنج فانهزموا ورجع المسلمون من القتل الى الاسر فأسروا منهم أمما فيهم بيمند صاحب انطاكية والقمص صاحب طرابلس وبعث السرايا فى تلك الاعمال بقصد انطاكية لخلوها من الحامية فأبى وقال أخشى أن يسلمها أصحابه لملك الروم فان بيمند ابن أخته ومجاورته أحق الىّ من مجاورة ملك الروم ثم عاج على قلعة حارم فحاصرها وافتتحها ورجع مظفرا والله

يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(فتح نور الدين قلعة بانياس)

ولما افتتح نور الدين قلعة حارم أذن لعسكر الموصل وحصن كيفا بالانطلاق الى بلادهم وعزم على منازلة بانياس وكانت بيد الافرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم ورى عنها بقصد طبرية فصرف الافرنج همتهم الى حمايتها وخالف هو الى بانياس لقلة حاميتها فحاصرها وضيق عليها فى ذى الحجة من سنة تسع وخمسين وكان معه أخوه نصير الدين أمير أميران فأصيب بسهم فى احدى عينيه وأخذ الافرنج فى الجمع لمدافعته فلم يستكملوا أمرهم حتى فتحها وشحن قلعتها بالمقاتلة والسلاح وخافه الافرنج فشاطروه فى أعمال طبرية وضرب عليهم الجزية فى الباقى ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس الى ملوكهم الذين ساروا الى مصر فسبقهم بالفتح وعاد الى دمشق ثم سار سنة احدى وستين متجردا الى حصن المنيطرة فناز لهم على غرة وملكه عنوة ولم يجتمع الافرنج الا وقد ملكه فافترقوا ويئسوا من ارتجاعه والله تعالى أعلم

{وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل صريخا وانجاده بالعسكر مع أسد الدين شيركوه}

كانت دولة العلويين بمصر قد أخذت فى التلاشى وصارت الى استبداد وزرائها على خلفائها وكان من آخر المسلمين بها شاور السعدى استعمله الصالح بن زريك على قوص وندم فلما هلك الصالح بن زريك وكان مستبدا على الدولة قام ابنه زريك مقامه فعزل شاور عن قوص فلم يرض بعزله وجمع وزحف الى القاهرة فملكها وقتل زريك واستبد على العاضد ولقبه أمير الجيوش وكانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ثم نازعه الضرغام وكان صاحب الباب ومقدم البرقية فثار عليه لسبعة أشهر من وزارته وأخرجه من القاهرة فلحق بالشأم وقصد نور الدين محمود بن زنكى مستنجدا به على أن يكون له ثلث الجباية بمصر ويقيم عسكر نور الدين بها مددا له فاختار من أمرائه لذلك أسد الدين شيركوه بن شادى الكردى وكان بحمص وجهزه بالعساكر فسار لذلك فى جمادى سنة تسع وخمسين واتبعه نور الدين الى أطراف بلاد الافرنج فشغلهم عن التعرض للعساكر وسار أسد الدين مع شاور وسار معه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب وانتهوا الى بلبيس فلقيهم ناصر الدين أخو الضرغام فى عساكر مصر فانهزم ورجع الى القاهرة واتبعه أسد الدين فقتله عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وقتل أخوه وعاد شاور الى وزارته وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ينتظر

الوفاء بالعهد من شاور بما عاهد عليه نور الدين فنكث شاور العهد وبعث اليه بالرجوع الى بلده فلج فى طلب ضريبته ورحل الى بلبيس والبلاد الشرقية فاستولى عليها واستمد شاور عليه بالافرنج فبادروا الى ذلك لما كان فى نفوسهم من تخوف غائلته وطمعه فى ملك مصر وسار نور الدين من دمشق ليأخذ بحجزتهم على المسير فلم يثنهم ذلك وتركوا بلادهم حامية فلما قاربوا مصر فارقها أسد الدين واجتمع الافرنج وعساكر مصر فحاصروه ثلاثة أشهر يغاديهم القتال ويراوحهم وجاءهم الخبر بهزيمة الافرنج على حارم وما هيأ الله لنور الدين فى ذلك فراسلوا أسد الدين شيركوه فى الصلح وطووا عنه الخبر فصالحهم وخرج ولحق بالشأم ووضع له الافرنج المراصد بالطريق فعدل عنها ثم أعاده نور الدين الى مصر سنة ثنتين وستين فسار بالعساكر فى ربيع ونزل اطفيح وعبر النيل وجاء الى القاهرة من جانبها الغربى ونزل الجيزة فى عدوة النيل وحاصرها خمسين يوما واستمد شاور بالافرنج وعبر الى أسد الدين فتأخر الى الصعيد ولقيهم منتصف السنة فهزمهم وسار الى ثغر الاسكندرية فملكها وولى عليها صلاح الدين ابن أخيه ورجع فدوخ بلاد الصعيد وسارت عساكر مصر والافرنج الى الاسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار اليه أسد الدين فتلقوه بطلب الصلح فتم ذلك بينهم وعاد الى الشأم وترك لهم الاسكندرية وكاتب شجاع بن شاور نور الدين بالطاعة عنه وعن طائفة من الامراء ثم استطال الافرنج على أهل مصر وفرضوا عليهم الجزية وأنزلوا بالقاهرة الشحنة وتسلموا أبوابها واستدعوا ملكهم بالشأم الى الاستيلاء عليها فبادر نور الدين وأعاد أسد الدين فى العساكر اليها فى ربيع سنة أربع وستين فملكها وقتل شاور وطرد الافرنج عنها وقدمه العاضد لوزارته والاستبداد عليه كما كان من قبله ثم هلك أسد الدين وقام صلاح الدين ابن أخيه مكانه وهو مع ذلك فى طاعة نور الدين محمود وهلك العاضد فكتب نور الدين الى صلاح الدين يأمره باقامة الدعوة العباسية بمصر والخطبة للمستضىء ويقال انه كتب له بذلك فى حياة العاضد وبين يدى وفاته وهلك لخمسين يوما أو نحوها فخطب للمستضىء العباسى وانقرضت الدولة العلوية بمصر وذلك سنة سبع وستين كما نأتى على شرحه وتفصيله فى دولة بنى أيوب ان شاء الله تعالى ووقعت خلال ذلك فتنة بين نور الدين محمود وبين صاحب الروم قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان سنة ستين وخمسمائة وكتب الصالح بن زريك الى قليج ارسلان ينهاه عن الفتنة والله تعالى ولى التوفيق

(فتح نور الدين صافيتا وعريمة ومنبج وجعبر)

ثم جمع نور الدين عساكره سنة ثنتين وستين واستدعى أخاه قطب الدين من الموصل فقدم

عليه بحمص ودخلوا جميعا بلاد الافرنج ومرّوا بحصن الاكراد واكتسحوا نواحيه ثم حاصروا عرقة وخربوا حلبة وفتحوا العريمة وصافيتا وبعثوا سراياهم فعاثت فى البلاد ورجعوا الى حمص فأقاموا بها الى رمضان وانتقلوا الى بانياس وقصدوا حصن هونين فهرب عنه الافرنج فهدم نور الدين سوره وأحرقه واعتزم على بيروت فرجع عنه أخوه قطب الدين الى الموصل وأعطاه نور الدين من عمله الرقة على الفرات ثم انتقض بمدينة منبج غازى بن حسان وبعث اليها العساكر فملكها عنوة وأقطعها أخاه قطب الدين ينال بن حسان وبقيت بيده الى آن أخذها منه صلاح الدين بن أيوب ثم قبض بنو كلاب على شهاب الدين ملك بن على بن مالك العقيلى صاحب قلعة جعبر وكانت تسمى دوس ثم سميت باسم جعبر بانيها وكان السلطان ملك شاه أعطاها لجده عندما ملك حلب كما مر فى أخباره ولم تزل بيده وبيد عقبه الى أن هلك هذا فخرج يتصيد سنة ثلاث وستين وقد أرصد له بنو كلاب فأسروه وحملوه الى نور الدين محمود صاحب دمشق فاعتقله مكرما وحاوله فى النزول عن جعبر بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى فأبى وبعث بالعساكر مع الامير فخر الدين محمود بن أبى على الزعفرانى وحاصرها مدة فامتنعت فبعث عسكرا آخر وقدّم على الجميع الامير فخر الدين أبا بكر ابن الداية رضيعه وأكبر أمرائه فحاصرها فامتنعت ورجع الى ملاطفة صاحبها فأجاب وعوّضه نور الدين عنها سروج وأعمالها وساحة حلب ومراغة وعشرين ألف دينار وملك قلعة جعبر سنة أربع وستين وانقرض أمر بنى مالك منها والبقاء لله وحده

* (رحلة زين الدين نائب الموصل الى اربل واستبداد قطب الدين بملكه) *

قد كان تقدم لنا أن نصير الدين جقرى كان نائب الاتابك زنكى بالموصل وقتل الب ارسلان ابن السلطان محمود آخر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة طمعا فى الملك لغيبة الاتابك فرجع من غيبته فى حصار البيرة وقدم مكانه زين الدين على بن كمستكين بقلعة الموصل فلم يزل بها بقية أيام الاتابك وأيام ابنه غازى وابنه الآخر قطب الدين سنة ثمان وخمسين على وزيرهم جمال الدين محمد بن على بن منصور الاصبهانى فاعتقله وهلك لسنة من الاعتقال وحمل الى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فدفن بها فى رباط هنالك أعده لذلك وكانت وفاته أيام سيف الدين غازى بن قطب الدين فولى مكانه جلال الدين أبا الحسن ابنه وكان زين الدين على بن كمستكين ويعرف بكجك قد استبد فى دولة قطب الدين واستقل بحكم الدولة وصارت بيده أكثر البلاد اقطاعا مثل اربل وشهرزور والقلاع التى فى تلك البلاد الهكارية منها العمادية وغيرها والحميدية وتكريت وسنجار وقد كان نقل أهله وولده وذخائره الى اربل وأقام بمحل

نيابته من قلعة الموصل فأصابه الكبر وطرقه العمى والصمم فعزم على مفارقة الموصل الى كرسيه باربل فسلم جميع البلاد التى بيده الى قطب الدين ماعدا اربل وسار اليها سنة أربع وستين وأقام قطب الدين مكانه فخر الدين عبد المسيح خصيا من موالى جده الاتابك زنكى وحكمه فى دولته فنزل بالقلعة وعمرها وكان الخراب قد لحقها باهمال زين الدين أمر البناء والله تعالى أعلم

* (حصار نور الدين قلعة الكرك) *

ثم بعث صلاح الدين سنة خمس وستين الى نور الدين محمود يطلب انفاذ أبيه نجم الدين أيوب اليه فبعثه فى عسكر واجتمع اليه خلق من التجار ومن أصحاب صلاح الدين وخشى عليهم نور الدين فى طريقهم من الافرنج فسارت العساكر الى الكرك وهو حصن اختطه من الافرنج البرنس ارقاط واختط له قلعة فحاصره نور الدين وجمع له الافرنج فرحل الى مقدمتهم قبل أن يتلاحقوا فأحجموا عن لقائه ونكصوا على أعقابهم وسار فى بلادهم فاكتسحها وخرب ما مرّ به من القلاع وانتهى الى بلاد المسلمين حتى نزل حوشب وبعث نجم الدين من هنالك الى مصر فوصلها منتصف خمس وستين وركب العاضد للقائه ولما كان نور الدين بعشيرا سار للقاء شهاب الدين محمد بن الياس بن أبى الغازى بن ارتق صاحب قلعة أكبره فلما انتهى الى نواحى بعلبك لقى سرية من الافرنج فقاتلهم وهزمهم واستلحمهم وجاء بالاسرى ورؤس القتلى الى نور الدين وعرف الرؤس مقدم الاستبان صاحب حصن الاكراد وكان شجى فى قلوب المسلمين وبلغه وهو بهذا المنزل خبر الزلازل التى عمت البلاد بالشأم والموصل والجزيرة والعراق وخربت أكثر البلاد بعمله فسار اليها وشغل فى اصلاحها من واحدة الى أخرى حتى أكملها بمبلغ جهده واشتغل الافرنج بعمارة بلادهم أيضا خوفا من غائلته والله تعالى أعلم

* (وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك ابنه سيف الدين غازى) *

ثم توفى قطب الدين مودود بن الاتابك زنكى صاحب الموصل فى ذى الحجة سنة خمس وستين لاحدى وعشرين سنة ونصف من ملكه وعهد لابنه الاكبر عماد الدين بالملك وكان القائم بدولته فخر الدين عبد المسيح وكان شديد الطواعية لنور الدين محمود ويعلم ميله عن عماد الدين زنكى بن مودود فعدل عنه الى أخيه سيف الدين غازى بن مودود بموافقة أمه خاتون بنت حسام الدين تمرتاش بن أبى الغازى ولحق عماد الدين بعمه نور الدين منتصرا به وقام فخر الدين عبد المسيح بتدبير الدولة بالموصل واستبد بها والله

تعالى أعلم

(استيلاء نور الدين على الموصل واقراره ابن أخيه سيف الدين عليها)

ولما ولى سيف الدين غازى بالموصل بعد أبيه قطب الدين واستبد عليه فخر الدين عبد المسيح كما تقدم وبلغ الخبر الى نور الدين باستبداده أنف من ذلك وسار فى خف من العسكر وعبر الفرات عند جعفر أول سنة ست وستين وقصد الرقة فملكها ثم الخابور فملك جميعه ثم نصيبين وكلها من أعمال الموصل وجاءه هنالك نور الدين محمد بن قرا ارسلان ابن داود بن سقمان صاحب كيفا مددا ثم سار الى سنجار فحاصرها وملكها وسلمها لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين ثم جاءته كتب الامراء بالموصل فاستحثوه فأغذ السير الى مدينة كلك ثم عبر الدجلة ونزل شرقى الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل وسقطت ذلك اليوم ثلمة كبيرة من سور الموصل وكان سيف الدين غازى قد بعث أخاه عز الدين مسعود الى الاتابك شمس الدين صاحب همذان وبلاد الجبل واذربيجان واصبهان والرى يستنجده على عمه نور الدين فأرسل ايلدكز الى نور الدين ينهاه عن الموصل فأساء جوابه وتوعده وأقام يحاصر الموصل ثم اجتمع أمراؤها على طاعة نور الدين ولما استحث فخر الدين عبد المسيح استأمن الى نور الدين على أن يبقى سيف الدين ابن أخيه على ملكها فأجابه على أن يخرج هو عنه ويكون معه بالشأم وتم ذلك بينهما وملك نور الدين منتصف جمادى الاولى من سنة ست وستين ودخل المدينة واستناب بالقلعة خصيا اسمه كمشتكين ولقبه سعد الدين فأقر سيف الدين ابن أخيه على ملكه وخلع عليه خلعة وردت عليه من الخليفة المستضىء وهو يحاصرها وأمر ببناء جامع بالموصل فبنى وشهر باسمه وأمر سيف الدين أن يشاور كمشتكين فى جميع أموره وأقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين وعاد الى الشأم والله تعالى أعلم

(الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين)

ثم سار صلاح الدين فى صفر سنة تسع وستين من مصر الى بلاد الافرنج غازيا ونازل حصن الشوبك من أعمال (بياض بالاصل) واستأمن اليه أهله على أن يمهلهم عشرة أيام فأجابهم وسمع نور الدين بذلك فسار من دمشق غازيا أيضا بلاد الافرنج من جانب آخر وتنصح لصلاح الدين أصحابه بأنك ان ظاهرته على الافرنج اضمحل أمرهم فاستطال عليك نور الدين ولا تقدر على الامتناع منه فترك الشريك وكر راجعا الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر أنهم معتزمون على الوثوب فلم يقبل نور الدين عذره فى ذلك واعتزم على عزله عن مصر فاستشار صلاح

الدين

الدين أباه وخاله شهاب الدين الحارمى وقرابتهم فأشار عليه تقى الدين عمر بن أخيه بالامتناع والعصيان فنكر عليه نجم الدين أبوه وقال له ليس منا من يقوم بعصيان نور الدين لو حضر أو بعث وأشار عليه بأن يكاتبه بالطاعة وأنه ان عزم على أخذ البلاد منك فسلمها ويصل بنفسه وافترق المجلس فخلا به أبوه وقال ما لك توجد بهذا الكلام السبيل للامراء فى استطالتهم عليك ولو فعلتم ما فعلتم كنت أول الممتنعين عليه ولكن ملاطفته أولى وكتب صلاح الدين الى نور الدين بما أشار به أبوه من الملاطفة فتركهم نور الدين وأعرض عن قصدهم ثم توفى واشتغل صلاح الدين بملك البلاد ثم جمع نور الدين العساكر وسار لغزو الافرنج بسبب ما أخذوه لاهل البلاد من مراكب التجار ونكثوا فيها العهد مغالطين بأنها تكسرت فلم يقبل مغالطتهم وسار اليهم وبث السرايا فى بلادهم نحو انطاكية وطرابلس وحاصر هو حصن عرقة وخرب ربضه وأرسل عسكرا الى حصن صافيتا وعريمة ففتحهما عنوة وخربهما ثم سار من عرقة الى طرابلس واكتسح كل ما مر عليه حتى رجع الافرنج الى الانصاف من أنفسهم وردوا ما أخذوا من المكرمين الاعزين وسألوا تجديد الهدنة فأجابهم بعد أن خربت بلادهم وقتلت رجالهم وغنمت أموالهم ثم اتخذ نور الدين فى هذه السنة الحمام (بياض بالاصل) بالشأم تطيرا الى أوعارها من (بياض بالاصل) لاتساع بلاده ووصول الاخبار بسرعة فبادر الى القيام بواجبه وأجرى الجرايات على المرتبين لحفظها لتصل الكتب فى أجنحتها ثم أغار الافرنج على حوران من أعمال دمشق وكان نور الدين بمنزل الكسوة فرحل اليهم ورحلوا أمامه الى السواد وتبعهم المسلمون ونالوا منهم ونزل نور الدين على عشيرا وبعث منها سرية الى أعمال طبرية فاكتسحها وسار الافرنج لمدافعتهم فرجعوا عنها واتبعهم الافرنج فعبروا النهر وطمعوا فى استنقاذ غنائمهم فقاتلهم المسلمون دونها أشد قتال الى أن استنقذت وتحاجزوا ورجع الافرنج خائبين والله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين بمنه وكرمه

(واقعة ابن ليون ملك الارمن بالروم)

كان مليح بن ليون صاحب دروب حلب أطاع نور الدين محمود بن زنكى وأمره على الجمالة وأقطعه بلاد الشأم وكان يسير فى خدمته ويشهد حروبه مع الافرنج أهل ملته وكان الارمنى أيضا يستظهر به على أعدائه وكانت أذنة والمصيصة وطرسوس مجاورة لابن ليون وهى بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فتغلب عليها ابن ليون وملكها وبعث صاحب القسطنطينية منتصف سنة ثمان وستين وخمسمائة جيشا كثيفا مع عظيم من بطارقته فلقيه ابن ليون بعد أن استنجد نور الدين فأنجده بالعساكر وقاتلهم

بياض فى الموضعين بالاصل

فهزمهم وبعث بغنائمهم وأسراهم الى نور الدين وقويت شوكة ابن ليون ويئس الروم من تلك البلاد والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين الى بلاد الروم)

كان ذو النون بن محمد بن الدانشمند صاحب ملطية وسيواس واخصرى وقيسارية ملكها بعد عمه ياغى ارسلان وأخيه ابراهيم بن محمد فلم يزل قليج ارسلان بن محمد بن قليج ارسلان يتخيف بلاده الى أن استولى عليها ولحق ذو النون بنور الدين صريخا وأرسل الى قليج ارسلان بالشفاعة فى رد بلاده فلم يشفعه فسار اليه وملك من بلاده بكسور وبهنسا ومرعش ومرزبان وما بينهما فى ذى القعدة سنة ثمان وستين ثم بعث عسكرا الى سيواس فملكوها ثم أرسل قليج ارسلان الى نور الدين يستعطفه وقد كان يجيز امداده الى قاصية بلاده فأجابه نور الدين الى الصلح على أن ينجده بعسكر الافرنج ويبقى سيواس بيد ذى النون وعسكر نور الدين الذى معه فيها ورجع نور الدين الى بلاده وبقيت سيواس بيد ذى النون حتى مات نور الدين وعاد قليج ارسلان ثم وصل رسول نور الدين من بغداد كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزورى ومعه منشور من الخليفة المستضىء لنور الدين بالموصل والجزيرة واربل وخلاط والشأم وبلاد الروم وديار مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى الكرك ورجوعه)

ولما كانت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين كما قدمناه واعتزم نور الدين على عزله عن مصر واستعطفه صلاح الدين كان فيما تقرر بينهما أنهما يجتمعان على الكرك وأيهما سبق انتظر صاحبه فسار صلاح الدين من مصر فى شوال سنة ثمان وستين وسبق الى الكرك وحاصره وخرج نور الدين بعد أن بلغه مسير صلاح الدين من مصر وأزاح علل العساكر وانتهى الى الرقيم على مرحلتين من الكرك نخافه صلاح الدين على نفسه وخشى أن يعزله عند لقائه وكان استخلف أباه نجم الدين أيوب على مصر فبلغه أنه طرقه مرض شديد فوجد فيه عذرا لنور الدين وكر راجعا الى مصر وبعث الفقيه عيسى بذلك العذر وان حفظه مصر أهم عليه فلما وصل مصر وجد أباه قد توفى من سقطة سقطها عن مركوبه هزه المرح فرماه وحمل الى بيته وقيذا ومات لايام قريبة آخر ذى الحجة من السنة ورجع نور الدين الى دمشق وكان قد بعث رسوله كمال الدين الشهرزورى القاضى ببلاده وصاحب الوقوف والديوان لطلب التقليد للبلاد التى بيده مثل مصر والشأم والجزيرة والموصل والتى دخلت فى طاعته كديار بكر وخلاط

وبلاد الروم وأن يعاد له ما كان لابيه زنكى من الاقطاع بالعراق وهى صريفين ودرب هرون وأن يسوغ قطعة أرض على شاطئ دجلة بظاهر الموصل يبنى فيها مدرسة للشافعية فأسعف بذلك كله

(وفاة نور الدين محمود وولاية ابنه اسمعيل الصالح)

ثم توفى نور الدين محمود بن الاتابك زنكى حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة لسبع عشرة سنة من ولايته وكان قد شرع فى التجهز لاخذ مصر من صلاح الدين ابن أيوب واستنفر سيف الدين ابن أخيه فى العساكر موريا بغزو الافرنج وكان قد اتسع ملكه وخطب له بالحرمين الشريفين وباليمن لما ملكها سيف الدولة بن أيوب وكان معتنيا بمصالح المسلمين مواظبا على الصلاة والجهاد وكان عارفا بمذهب أبى حنيفة ومتحريا للعدل ومتجافيا عن أخذ المكوس فى جميع أعماله وهو الذى حصن قلاع الشأم وبنى الاسوار على مدنها مثل دمشق وحمص وحماة وشيزر وبعلبك وحلب وبنى مدارس كثيرة للحنفية والشافعية وبنى الجامع النورى بالموصل والمارستانات والخانات فى الطريق والخوانق للصوفية فى البلاد واستكثر من الاوقاف عليها يقال بلغ ريع أوقافه فى كل شهر تسعة آلاف دينار صورى وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويتمثل لهم قائما ويؤنسهم فى المجالسة ولا يرد لهم قولا وكان متواضعا مهيبا وقورا ولما توفى اجتمع الامراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح اسمعيل وهو ابن احدى عشرة سنة وحلفوا له وأطاعه الناس بالشأم وصلاح الدين بمصر وخطب له هنالك وضرب السكة باسمه وقام بكفالته وتدبير دولته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم واشار عليه القاضى كمال الدين الشهرزورى بأن يرجعوا فى جميع أمورهم الى صلاح الدين لئلا ينبذ طاعتهم فأعرضوا عن ذلك والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة)

قد كنا قدمنا أن نور الدين استولى على بلاد الجزيرة وأقر سيف الدين ابن أخيه قطب الدين على الموصل واحتمل معه فخر الدين عبد المسيح الذى ولى سيف الدين واستبد عليه بأمره وولى على قلعة الموصل سعد الدين كمشتكين ولما استنفرهم نور الدين بين يدى موته سار اليه سيف الدين غازى وكمشتكين الخادم فى العساكر وبلغهم فى طريقهم خبر وفاته وكان كمشتكين فى المقدمة فهرب الى حلب واستولى سيف الدين على مخلفه وسواده وعاد الى نصيبين فملكها وبعث العساكر الى الخابور فاستولى عليها وعلى أقطاعها ثم سار

الى حران وبها قايماز الحرانى مولى نور الدين فحاصرها أياما ثم استنزله على أن يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلمها وعوضه عنها قلعة الزعفرانى من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد ذلك ثم سار الى الرقة وسروج فملكها واستوعب بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر لامتناعها وسوى راس عين كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خاله وكان شمس الدين على بن الداية بحلب وهو من أكبر أمراء نور الدين ومعه العساكر ولم يقدر على مدافعة سيف الدين فخر الدين عبد المسيح وكان نور الدين تركه قبل موته بسيواس مع ذى النون بن الدانشمند فلما مات نور الدين رجع الى صاحبه سيف الدين غازى وهو الذى كان ملكه فوجده بالجزيرة وقد ملكها فأشار عليه بالعبور الى الشأم وعارضه آخر من أكبر الامراء فى ذلك فرجع سيف الدين الى قوله وعاد الى الموصل وأرشد صلاح الدين الى الملك الصالح وأهل دولته يعاتبهم حيث لم يستدعوه لمدافعة سيف الدين عن الجزيرة ويتهدد ابن المقدم وأهل الدولة على انفرادهم بأمر الملك الصالح دونه وعلى قعودهم عن مدافعة سيف الدين غازى ثم أرسل شمس الدين بن الداية الى الملك الصالح يستدعيه من دمشق الى حلب ليدافع شمس الدين ابن عمه قطب الدين عن الجزيرة فمنعه أمراؤه عن ذلك مخافة أن يستولى عليه ابن الداية والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(حصار الافرنج بانياس)

ولما مات نور الدين محمود اجتمع الافرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق وجمع شمس الدين بن المقدم العساكر وسار عن دمشق وراسل الافرنج وتهددهم بسيف الدين صاحب الموصل وصلاح الدين صاحب مصر فصالحوه على مال يبعثه اليهم واشترى من الافرنج وأطلعهم وتقررت الهدنة وبلغ ذلك صلاح الدين فنكره واستعظمه وكتب الى الصالح وأهل دولته يقبح مرتكبهم ويعدهم بغزوة الافرنج وقصده انما هو طريقه الى الشأم ليملك البلاد وانما صالح ابن المقدم الافرنج خوفا منه ومن سيف الدين والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على دمشق)

ولما كان ما ذكرناه من استيلاء سيف الدين غازى على بلاد الجزيرة خاف شمس الدين ابن الداية منه على حلب وكان سعد الدين كمشتكين قد هرب من سيف الدين غازى اليه فأرسله الى دمشق ليستدعى الملك الصالح للمدافعة فلما قارب دمشق أنفذ ابن المقدم اليه عسكرا فنهبوه وعاد الى حلب ثم رأى ابن المقدم وأهل الدولة بدمشق ان مسير

الصالح الى حلب أصلح فبعثوا الى كمشتكين وبعثوا معه الملك الصالح فلما وصل الى حلب قبض كمشتكين على ابن الداية واخوته وعلى رئيس حلب ابن الخشاب وعلى مقدم الاحداث بها واستبد بأمر الصالح وخشى ابن المقدم وأمراؤه بدمشق غائلته فكاتبوا سيف الدين غازى صاحب الموصل أن يملكوه فأحجم عن المسير اليهم وظنها مكيدة وبعث بخبرهم الى كمشتكين وصالحه على مال أخذه من البلاد فكثر ارتياب القوم فى دمشق فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب فطار اليهم ونكب عن الافرنج فى طريقه وقصد بصرى وأطاعه صاحبها ثم سار صلاح الدين الى دمشق فخرج اليه أهل الدولة يقدمهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وهو الذى كان أبوه سلم سنجار لنور الدين سنة أربع وأربعين كما مر ودخل صلاح الدين دمشق آخر ربيع سنة سبعين ونزل دار أبيه المعروفة بدار العقيقى وكان فى القلعة ريحان خديم نور الدين فبعث اليه صلاح الدين القاضى كمال الدين الشهرزورى بأنه على طاعة الصالح والخطبة له فى بلاده وانه انما جاء ليرتجع البلاد التى أخذت له فسلم اليه ريحان القلعة واستولى على ما فيها من الاموال وهو فى ذلك كله يظهر طاعة الملك الصالح ويخطب له وينقش السكة باسمه انتهى والله أعلم

(استيلاء صلاح الدين على حمص وحماة ثم حصاره حلب ثم ملكه بعلبك)

ولما ملك صلاح الدين دمشق من ايالة الملك الصالح استخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغركين بن أيوب وكانت حمص وحماة وقلعة مرعش وسلمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة فى اقطاع فخر الدين مسعود الزعفرانى من أمراء نور الدين ما عدا القلاع منها ولما مات نور الدين أجفل الزعفرانى عنها لسوء سيرته ولما ملك صلاح الدين دمشق سار الى حمص فملك البلد وامتنعت القلعة بالوالى الذى بها فجهز عسكرا لحصارها وسار الى حماة فنازلها منتصف شعبان وبقلعتها الامير خرديك فبعث اليه صلاح الدين بأنه فى طاعة الملك الصالح وانما جاء لمدافعة الافرنج عنه وارتجاع بلاده بالجزيرة من ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل واستحلفه على ذلك عز الدين ثم بعثه صلاح الدين الى الملك الصالح بحلب فى الاتفاق واطلاق شمس الدين على حسن وعثمان تقى الدين من الاعتقال فسار عز الدين لذلك واستخلف بالقلعة أخاه ولما وصل الى حلب قبض عليه كمشتكين وحبسه فسلم أخوه قلعة حماة لصلاح الدين وملكها ثم سار صلاح الدين من وقته الى حلب وحاصرها وركب الملك الصالح وهو صبى مناهز فسار فى البلد واستعان بالناس وذكر حقوق أبيه فبكى الناس رحمة له واستماتوا دونه وخرجوا فدافعوا عسكر صلاح الدين ودس كمشتكين الى مقدم الاسماعيلية فى الفتك

بصلاح الدين فبعث لذلك فداوية منهم وشعر بذلك بعض أصحاب صلاح الدين وجماعة منهم معه وقتلوا عن آخرهم وأقام صلاح الدين محاصرا الحلب وبعث كمشتكين الى الافرنج يستنجدهم على منازلة بلاد صلاح الدين ليرحل عنهم وكان القمص ممند السنجيلى صاحب طرابلس أسره نور الدين فى حارم سنة تسع وخمسين وبقى معتقلا بحلب فأطلقه الآن كمشتكين بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير وكان متغلبا على ابن مرى ملك الافرنج لكونه محذوفا لا يصدر الا عن رأيه فسار بجموع الافرنج الى حصن   سابع رجب وصالحهم صلاح الدين من الغد فأجفلوا وحاصرهو القلعة وملكها آخر شعبان واستولى على أكثر الشأم ثم سار الى بعلبك وبها يمن الخادم من موالى نور الدين فحاصرها حتى استأمنوا اليه فملكها منتصف رمضان من السنة وأقطعها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم بما تولى له من اظهار طاعته بدمشق وتسليمها له والله تعالى أعلم

(بياض بالاصل)

{حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازى صاحب الموصل وغلبه اياه واستيلاؤه على بعدوين وغيرها من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب}

لما ملك صلاح الدين حمص وحماة وحاصر حلب كاتب الملك الصالح اسمعيل من حلب الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده فجمع عساكره واستنجد أخاه عماد الدين زنكى صاحب سنجار فلم يجبه لما كان بينه وبين صلاح الدين وأنه ولاه سنجار ويطمعه فى الملك فبعث سيف الدين غازى بالعساكر لمدافعته صلاح الدين عن الشأم فى رمضان سنة سبعين وخمسمائة مع أخيه عز الدين مسعود وأمير جيوش عز الدين القندار وجعل التدبير اليه وسار هو الى سنجار فحاصر بها أخاه عماد الدين وامتنع عليه وبينما هو يحاصره جاءه الخبر بأن صلاح الدين هزم أخاه عز الدين وعساكره فصالح عماد الدين على سنجار وعاد الى الموصل ثم جهز أخاه عز الدين فى العساكر ثانية ومعه القندار وساروا الى حلب فانضمت اليهم عساكره وسار واجمعا الى صلاح الدين فأرسل الى عماد الدين بالموصل فى الصلح بينه وبين الملك الصالح على أن يرد عليه حمص وحماة ويسوغه الصالح دمشق فأبى الا ارتجاع جميع بلاد الشأم واقتصاره على مصر فسار صلاح الدين الى عساكرهم ولقيها قريبا من حماة فانهزمت وثبت عز الدين قليلا ثم صدق عليه صلاح الدين الحملة فانهزم وغنم سوادهم ومخلفهم واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وحاصرها وقطع خطبة الملك الصالح وبعث بالخطبة للسلطان فى جميع بلاده ولما طال عليهم الحصار صالحوه على اقراره على جميع ما ملك من الشأم ورحل عن حلب عاشر شوال من السنة وعاد الى حماة ثم سار منها الى بعدوين وكانت لفخر

الدين مسعود بن الزعفرانى من أمراء نور الدين وكان قد اتصل بالسلطان صلاح الدين واستخدم له ثم فارقه حيث لم يحصل على غرضه عنده فلحق ببعدوين وبها نائب الزعفرانى فحاصرها حتى استأمنوا اليه وأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى وأقطع حمص ناصر الدين بن عمه شيركوه وعاد الى دمشق آخر سنة سبعين وكان سيف الدين غازى صاحب الموصل بعد هزيمة أخيه وعساكره عاد من حصار أخيه بسنجار كما قلناه الى الموصل فجمع العساكر وفرق الاموال واستنجد صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار فى ستة آلاف فارس وانتهى الى نصيبين فى ربيع سنة احدى وسبعين فأقام الى انسلاخ فصل الشتاء وسار الى حلب فبرز اليه سعد الدين كمشتكين الخادم مدبر الصالح فى عساكر حلب وبعث صلاح الدين عن عساكره من مصر وقد كان أذن لهم فى الانطلاق فجاؤا اليه وسار من دمشق الى سيف الدين وكمشتكين فلقيهم بتل الفحول وانهزموا راجعين الى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها فى جمع من العساكر وعبر الفرات الى الموصل يظن أن صلاح الدين فى اتباعه وشاور الصالح وزيره جلال الدين ومجاهد الدين قايماز فى مفارقة الموصل الى قلعة الحميدية فعارضاه فى ذلك ثم عزل القندار عن امارة الجيوش لانه كان جر الهزيمة برأيه ومفارقته وولى مكانه مجاهد الدين قايماز ولما انهزمت العساكر أمام صلاح الدين وغنم مخلفها سار الى مراغة وملكها وولى عليها ثم سار الى منبج وبها صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى وكان شديد العداوة لصلاح الدين فملك المدينة وحاصره بالقلعة وضيق مخنقه ثم نقب أسوارها وملكها عليه عنوة وأسره ثم أطلقه سليبا فلحق بالموصل وأقطعه سيف الدين الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار الى قلعة عزاز وهى فى غاية المنعة فحاصرها أربعين يوما حتى استأمنوا اليه فتسلمها فى الاضحى ثم رحل الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واشتد أهلها فى قتاله فعدل الى المطاولة ثم سعى بينهما فى الصلح وعلى أن يدخل فيه سيف الدين صاحب الموصل وصاحب كيفا وصاحب ماردين فاستقر الامر على ذلك وخرجت أخت الملك الصالح الى صلاح الدين فأكرمها وأفاض عليها العطاء وطلبت منه قلعة عزاز فأعطاها اياها ورحل الى بلاد الاسماعيلية والله سبحانه وتعالى أعلم

(عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين صاحب الموصل ورجوعه)

كان مجاهد الدين قايماز متولى مدينة اربل وكان بينه وبين شهاب الدين محمد بن بدران صاحب شهرزور عداوة فلما ولى سيف الدين مجاهد الدين قايماز نيابة الموصل خاف شهاب الدين غائلته من تعاهد الخدمة بالموصل وأظهر الامتناع وذلك سنة ثنتين

وسبعين فخاطبه جلال الدين الوزير فى ذلك مخاطبة بليغة وحذره ورغبه فعاود الطاعة وبادر الى الحضور بالموصل والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(نكبة كمشتكين الخادم ومقتله)

كان سعد الدين كمشتكين الخادم قائما بدولة الملك الصالح فى حلب وكان يناهضه فيها أبو صالح العجمى فقدم عند نور الدين وعند ابن الملك الصالح وتجاوز مراتب الوزير فعدا عليه بعض الباطنية فقتله وخلا الجو لكمشتكين وانفرد بالاستبداد على الصالح وكثرت السعاية فيه بحجر السلطان والاستبداد عليه وأنه قتل وزيره فقبض عليه وامتحنه وكان قد أقطعه قلعة حارم فامتنع بها أصحابه وأرادهم الصالح على تسليمها فامتنعوا وهلك كمشتكين فى المحنة وطمع فيها وساروا اليها وحاصروها وصانعهم الصالح بالمال فرجعوا عنها وبعث هو عساكره اليها وقد جهدهم الحصار فسلموها له وولى عليها والله تعالى أعلم

(وفاة الصالح اسمعيل واستيلاء ابن عمه عز الدين مسعود على حلب)

ثم توفى الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب فى منتصف سنة سبع وسبعين لثمان سنين من ولايته وعهد بملكه لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل واستحلف أهل دولته على ذلك بعضهم بعماد الدين صاحب سنجار أخى عز الدين الاكبر لمكان صهره على أخت الصالح وأن أباه نور الدين كان يميل اليه فأبى وقال عز الدين أنا أقدر على مدافعة صلاح الدين عن حلب فلما قضى نحبه أرسل الامراء بحلب الى عز الدين مسعود يستدعونه   هو ومجاهد الدين قايماز الى الفرات ولقى هنالك أمراء حلب وجاؤا معه فدخلها آخر شعبان من السنة وصلاح الدين يومئذ بمصر بعيدا عنهم وتقى الدين عمر بن أخيه فى منبج فلما أحس بهم فارقها الى حماة وثار به أهل حماة ونادوا بشعار عز الدين وأشار أهل حلب عليه بقصد دمشق وبلاد الشأم وأطمعوه فيها فأبى من أجل العهد الذى بينه وبين صلاح الدين ثم أقام بحلب شهورا وسار عنها الى الرقة والله تعالى أعلم

(بياض بالاصل)

(استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجار لاخيه عز الدين)

ولما انتهى عز الدين الى الرقة منقلبا من حلب وافقه هنالك رسل أخيه عماد الدين صاحب سنجار يطلب منه أن يملكه مدينة سنجار وينزل هو له عن حلب فلم يجبه الى ذلك فبعث عماد الدين اليه بأنه يسلم سنجار الى صلاح الدين فحمل الامراء حينئذ على

معاوضته على سنجار وتحميهم له ولم يكن لعز الدين مخالفتهم لتمكنه فى الدولة وكثرة بلاده وعساكره فأخذ سنجار من أخيه عماد الدين وأعطاه حلب وسار اليها عماد الدين وملكها وسهل أمره على صلاح الدين بعد ان كان متخوفا من عز الدين على دمشق والله سبحانه وتعالى أعلم

{مسير صلاح الدين الى بلاد الجزيرة وحصاره الموصل}
{واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجار}

كان عز الدين صاحب الموصل قد أقطع مظفر الدين كركرى زين الدين كجك مدينة حران وقلعتها ولما سار صلاح الدين لحصار البيرة جنح اليه مظفر الدين ووعده النصر واستحثه للقدوم على الجزيرة فسار الى الفرات موريا بقصد   وعبر اليه مظفر الدين فلقيه وجاء معه الى البيرة وهى قلعة منيعة على الفرات من عدوة الجزيرة وكان صاحبها من بنى ارتق أهل ماردين قد أطاع صلاح الدين فعبر من جسرها وعز الدين صاحب الموصل يومئذ قد سار ومعه مجاهد الدين الى نصيبين لمدافعة صلاح الدين عن حلب فلما بلغهما عبوره الفرات عادا الى الموصل وبعثا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك النواحى بالنجدة والوعد على ذلك وكان تقدم العهد بينه وبين نور الدين محمد بن قرى ارسلان صاحب كيفا على أن صلاح الدين يفتح آمد ويسلمها اليه فلما كاتبهم الآن كان صاحب كيفا أول مجيب وسار صلاح الدين الى الرها فحاصرها فى جمادى سنة ثمان وسبعين وبها يومئذ فخر الدين مسعود الزعفرانى فلما اشتد به الحصار استأمن الى صلاح الدين وحاصر معه القلعة حتى سلمها نائبها على مال أخذه وأقطعها صلاح الدين مظفر الدين كوكبرى صاحب حران وسار عنها الى الرقة وبها نائبها قطب الدين نيال بن حسان المنبجى فاجفل عنها الى الموصل وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور وهو قرقيسيا وماكسين وعرمان فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملكها لوقتها وحاصر القلعة اياما وملكها وأقطعها أبا الهيجاء السمين من أكبر أمرائه وسار عنها وملكها ومعه صاحب كيفا وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على أعمال دمشق ووصلوا داريا فلم يحفل بخبرهم واستمر على شأنه وأغراه مظفر الدين كوكبرى وناصر الدين محمد بن شيركوه بالموصل ورجحا قصدها على سنجار وجزيرة ابن عمر كما أشار عليهما فسار صلاح الدين وصاحبها عز الدين ونائبه مجاهد الدين وقد جمعوا العساكر وأفاضوا العطاء وشحنوا البلاد التى بأيديهم كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وسار صلاح الدين حتى قاربها وسار هو ومظفر الدين وابن شيركوه فى أعيان دولته الى السور فرآه مخايل الامتناع وقال لمظفر الدين ولناصر الدين

(بياض بالاصل)

ابن عمه قد أغررتمانى ثم صبح البلد وناشبه وركب أصحابه فى المقاعد للقتال ونصب منجنيقا فلم يغن ونصب اليه من البلد تسعة ثم خرج اليه جماعة من البلد وأخذوه وكانوا يخرجون ليلا من البلد بالمشاعل يوهمون الحركة فخشى صلاح الدين من البيات وتأخر عن القصد وكان صدر الدين شيخ الشيوخ قد وصل من قبل الخليفة الناصر مع بشير الخادم من خواصه فى الصلح بين الفريقين على اعادة صلاح الدين بلاد الجزيرة فأجاب على اعادة الآخرين حلب فامتنعوا ثم رجع عن شرط حلب الى ترك مظاهرة صاحبها فاعتذروا عن ذلك ووصلت رسل صاحب اذربيجان قزل ارسلان وأرسل صاحب خلاط شاهرين فلم ينتظم بينهما أمر ورحل صلاح الدين عن الموصل الى سنجار فحاصرها وبها أمير أميران   وأخوه عز الدين صاحب الموصل فى عسكر ولقبه شرف الدين وجاءها المدد من الموصل فحال بينهم وبينها وداخله بعض أمراء الاكراد من الدوادية من داخلها فكبسها صلاح الدين من ناحيته واستأمن شرف الدين لوقته فأمنه صلاح الدين ولحق بالموصل وملك صلاح الدين سنجار وصارت سياجا على جميع ما ملكه بالجزيرة وولى عليها سعد الدين ابن معين الدين انز الذى كان متغلبا بدمشق على آخر   طغركين وعاد فنزل بنصيبين وشكا اليه أهلها من أبى الهيجاء السمين فعزله وسار الى حران بلد مظفر الدين كوكبرى فوصلها فى القلعة من سنة سبع وثمانين فأراح بها وأذن لعساكره فى الانطلاق وكان عز الدين قد بعث الى شاهرين صاحب خلاط يستنجده وأرسل شاهرين الى صلاح الدين بالشفاعة فى ذلك رسلا عديدة آخرهم مولاه سكرجاه وهو على سنجار فلم يشفعه

أخاه من ذلك وفارقه مغاضبا وسار شاهرين الى قطب الدين صاحب ماردين وهو ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته فاستنجده وسار معه وجاءهم عز الدين من الموصل فى عساكره واعتزموا على قصد صلاح الدين وبلغه الخبر وهو مريح بحران فبعث عن تقى الدين ابن أخيه صاحب حمص وحماة وارتحل للقائهم ونزل رأس عين فخاموا عن لقائه ولحق كل ببلده وسار صلاح الدين الى ماردين فأقام عليها اياما ورجع والله تعالى أعلم

بياض في النسخ الثلاث بالأصل

(استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها)

ولما ارتحل صلاح الدين عن ماردين قصد آمد فحاصرها سنة تسع وسبعين وملكها وسلمها لنور الدين محمد بن قرا ارسلان كما كان العهد بينهما وقد أشرنا اليه ثم سار الى الشأم فحاصر تل خالد من أعمال حلب حتى استأمنوا اليه وملكها فى محرم سنة تسع وسبعين وسار منها الى عنتاب وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل خازن نور الدين محمود

وصاحبه ولاه عليها نور الدين فلم يزل بها فاستأمن الى صلاح الدين على أن يقره على الحصن ويكون فى خدمته فأقره وأطاعه ورحل صلاح الدين الى حلب وبها عماد الدين زنكى بن مودود ونزل عليها بالميدان الاخضر اياما ثم انتقل الى جبل جوشن أياما أخرى وأظهر أنه أبنى عليها وعجز عماد الدين عن عطاء الجند فراسل صلاح الدين أن يعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج فأجاب الى ذلك وأعطاه عنها تلك البلاد وملكها وكان فى شرط صلاح الدين عليه انه يبادر الى الخدمة متى دعاه اليها وسار عماد الدين الى بلاده تلك ودخل صلاح الدين حلب فى آخر سنة تسع وسبعين ومات عليها أخوه الاصغر تاج الملوك بورى بضربة فى ركبته تصدعت لها ومات بعد فتح حلب ثم ارتحل صلاح الدين الى قلعة حارم وبها مرجك من موالى نور الدين ولاه عليها عماد الدين فلما سلم حلب لصلاح الدين امتنع مرجك فى قلعة حارم فحاصره صلاح الدين وترددت الرسل بينهما وقد دس الى الافرنج ودعاهم وخشى الجند الذين معه أن يسلمها اليهم فحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملكها وولى عليها بعض خواصه وعلى تل خالد الامير داروم الياروقى صاحب تل باشر وأقطع قلعة عزاز الامير سليمان بن جندر فعمرها بعد ان كان عماد الدين خربها وأقطع صلاح الدين أعمال حلب لامرائه وعساكره والله تعالى أعلم

(نكبة مجاهد الدين قايمان)

كان مجاهد الدين قايمان قائما بدولة الموصل ومتحكما فيها كما قلناه وكان عز الدين محمود الملقب زلقندار صاحب الجيش وشرف الدين أحمد بن أبى الخير الذى كان صاحب العراق كان من أكابر الامراء عند السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل وكانا يغريانه بمجاهد الدين ويكثران السعاية عنده فيه حتى اعتزم على نكبته ولم يقدر على ذلك فى مجلسه لاستبداد مجاهد الدين وقوة شوكته فانقطع فى بيته لعارض مرض وكان مجاهد الدين خصيا لا يحتجب منه النساء فدخل عليه يعوده فقبض عليه وركب الى القلعة فاحتوى على أمواله وذخائره وولى بها زلقندار نائبا وجعل ابن صاحب العراق أمير حاجبا وحكمهما فى دولته وكان فى يد مجاهد الدين اربل وأعمالها فيها زين الدين يوسف بن زين الدين على كجك صبيا صغيرا تحت استبداده وبيده أيضا جزيرة ابن عمر لمعز الدين سنجرشاه بن سيف الدين غازى وهو صبى تحت استبداده وبيده أيضا شهرزور وأعمالها ودقوقا وقلعة عقر الحميدية ونوابه فى جميعها ولم يكن لعز الدين مسعود بعد استيلاء صلاح الدين على الجزيرة سوى الموصل وقلعتها لمجاهد الدين وهو الملك فى الحقيقة فلما قبض عز الدين عليه امتنع صاحب اربل واستبد

بنفسه وكان صاحب جزيرة ابن عمرو بعث بطاعته الى صلاح الدين وبعث الخليفة الناصر شيخ الشيوخ وبشير الخادم بالصلح بين عز الدين وصلاح الدين على أن تكون الجزيرة واربل من أعماله وامتنع عز الدين وقال هما من أعمالى وطمع صلاح الدين فى الموصل فتنكر عز الدين لزلقندار ولابن صاحب العراق لما حملاه عليه من الفساد لنكبة مجاهد الدين فبدأ أولا بعزل صاحب اذربيجان فقال له أنا أكفيكه وجهز له عسكرا نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل فاكتسحوا البلد وخربوها وسار اليهم زين الدين يوسف باربل فوجدهم مفترقين فى النهب فهزمهم وما كان معهم وعاد مظفرا ولحق العجم ببلادهم وعاد مجاهد الدين الى الموصل والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(حصار صلاح الدين الموصل وصلحه مع عز الدين صاحبها)

ثم سار صلاح الدين من دمشق فى ذى القعدة سنة احدى وثمانين فلما انتهى الى حران قبض على صاحبها مظفر الدين كوكبرى لانه كان لذلك وعده بخمسين ألف دينار حتى اذا وصل لم يف لهم بها فقبض عليه لانحراف أهل الجزيرة عنه فأطلقه ورد عليه عمله بحران والرها وسار عن حران وجاء معه عساكر كيفا وداری وعساكر جزيرة ابن عمر مع صاحبها معز الدين سنجر شاه ابن أخى عز الدين صاحب الموصل وقد كان استبد بأمره وفارق طاعة عمه بعد نكبة مجاهد الدين كما قلناه فساروا مع صلاح الدين الى الموصل ولما انتهوا الى مدينة بلد وفدت عليه أم عز الدين وابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة ظنا بانه لا يردهم وأشار عليه الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب بردهم ورحل الى الموصل فقاتلها وامتنعت عليه وندم على رد الوفد وجاءه كتاب القاضى الفاضل بالائمة ثم قدم عليه زين الدين يوسف صاحب اربل فأنزله مع أخيه مظفر الدين كوكبرى وغيره من الامراء ثم بعث الامير على بن أحمد المشطوب الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فاجتمع عليه الاكراد الهكارية وأقام يحاصرها وكاتب نائب القلعة زلقندار ونمى خبر مكاتبته الى عز الدين فمنعه واطرحه من المشورة وعدل الى مجاهد الدين قايمان وكان يقتدى برأيه فضبط الامور وأصلحها ثم بلغه فى آخر ربيع من سنة ثنتين وثمانين وقد ضجر من حصار الموصل ان شاهرين صاحب خلاط توفى تاسع ربيع واستولى عليها مولاه بكتمر فرحل عن الموصل وملك ميافارقين كما يأتى فى أخباره ودولته ولما فرغ منها عاد الى الموصل ومر بنصيبين ونزل الموصل فى رمضان سنة ثنتين وثمانين وترددت الرسل بينهما فى الصلح على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية القرابلى وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على

سكته ومرض صلاح الدين اثناء ذلك ووصل الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى الصلح وتمالقا عليه وبعث من يسلم البلاد وأقام ممرضا بحران وعنده أخوه العادل وناصر الدولة ابن عمه شيركوه وامنت بلاد الموصل ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين التركمان والاكراد بالجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشأم وشهرزور واذربيجان وقتل فيها ما لا يحصى من الامم واتصلت أعواما وسببها أن عروسا من التركمان أهديت الى زوجها ومروا بقلعة الزوزان والاكراد وطلبوا منهم الوليمة على عادة القتيان فأغلظوا فى الرد فقتل صاحب القلعة الزوج وثار التركمان بجماعة من الاكراد فقتلوهم ثم أصلح مجاهد الدين بينهم وأفاض فيهم العطاء فعادوا الى الوفاق وذهبت بينهم الفتنة والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين يوسف صاحب اربل وولاية أخيه مظفر الدين اقتهى)

كان زين الدين يوسف بن على بكتك قد صار فى طاعة صلاح الدين كما ذكرناه قبل واربل من أعماله ووقع الصلح على ذلك بينه وبين عز الدين صاحب الموصل سنة ست وثمانين

بياض بالأصل

للعسكر معه فمات عنده أخريات رمضان من السنة واستولى أخوه على بوجوده وقبض على جماعة من أمرائه مثل بلداجى صاحب قلعة حقبيركان وغيره وطلب من صلاح الدين أن يقطعه اربل مكان أخيه وينزل عن حران والرها فأقطعه اربل وأضاف اليها شهرزور وأعمالها ودقوقا وقرابلى وبنى قفجاق وراسل أهل اربل مجاهد الدين قايمان واستدعوه ليملكوه وهو بالموصل فلم يتطاول لذلك خوفا من صلاح الدين ولان عز الدين لما كان ولاه نيابته بعد ان أطلقه من الاعتقال لم يمكنه كما كان أول مرة وجعل معه رديفا فى الحكم كان من بعض غلمانه فكان أسفا لذلك فلما راسله أهل اربل قال والله لا أفعل لئلا يحكم معى فيها فلانى وسار مظفر الدين اليها وملكها

(حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر)

كان سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود قد ملك جزيرة ابن عمر بوصية أبيه وخرج عن طاعة عمه عز الدين عند نكبة مجاهد الدين كما قلناه وصار عينا على عمه يكاتب صلاح الدين بأخباره ويغريه به ويسعى فى القطيعة بينهما ثم حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ست وثمانين واستنفر لها أصحاب الاطراف المتشبثين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل وأخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين وسنجار شاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم واجتمعوا عنده على عكا وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجر شاه فخاف واستأذن فى الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بأن فى ذلك افتراق

هذه العساكر فالح عليه فى ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلما فوعده وانصرف وكان تقى الدين عمر بن شاه أخى صلاح الدين مقبلا من حماة فى عسكر فأرسل اليه صلاح الدين باعتراضه ورده طوعا أوكرها فلقيه بقلعة فنك ورده كرها وكتب صلاح الدين الى عز الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر يظنها مكيدة فتلقاها بالمراجعة وطلب اقطاع الجزيرة فأسعفه وسار اليها وحاصرها أربعة أشهر فامتنعت عليه ثم صالحه على نصف أعماله ورجع الموصل والله تعالى أعلم

(مسير عز الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة ورجوعه عنها)

كان صلاح الدين قد ملك من بلاد الجزيرة حران والرها وسميساط وميافارقين وكانت بيد ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاه ثم توفى تقى الدين فأقطعها أخاه العادل أبا بكر بن أيوب ثم توفى صلاح الدين سنة تسع وثمانين فطمع عز الدين صاحب الموصل فى ارتجاعها واستشار أصحابه فأشار عليه بعضهم بمعالجتها وأن تستنفر أصحاب الاطراف لها مثل صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله حربا ويعاجل البلد قبل أن يستعد أهله للمدافعة وأشار مجاهد الدين قايمان بمشاورة هؤلاء الملوك والعمل باشارتهم فقبل من مجاهد الدين وكاتبهم فأشاروا بانتظار أولاد صلاح الدين وأن البلد فى طاعته وأنه القائم بدولته وأنه بلغه أن صاحب ماردين تعرض لبعض بلاده فجهز جيشا كثيفا لقصد ماردين فوجموا الكتابة وتركوا الحركة ثم بلغهم أنه بظاهر حران فى خف من العسكر فتجهز للحركة عليه ولما وقع الاتفاق مع صاحب سنجار جاءت عساكر الشأم الى العادل من الافضل فامتنع وسار عز الدين فى عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع بأخيه عماد الدين وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريبا منهم بمرج الريحان وخافهم فأقاموا أياما كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع أخيه عماد الدين وسار الى الموصل والله تعالى أعلم

(وفاة عز الدين صاحب الموصل وولاية ابنه نور الدين)

ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها مدة شهرين واشتد مرضه فتوفى فى آخر شعبان سنة تسع وثمانين وولى ابنه نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن الاتابك زنكى وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايمان مدبر دولة أبيه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة عماد الدين صاحب سنجار وولاية ابنه قطب الدين)

ثم توفى عماد الدين زنكى بن مودود بن الاتابك زنكى صاحب سنجار والخابور ونصيبين والرقة وسروج وهى التى عوضه صلاح الدين عن حلب لما أخذها منه توفى فى محرم سنة أربع وتسعين وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برتقش مولى أبيه وكان دينا خيرا عادلا متواضعا محبا لاهل العلم والدين معظما لهم وكان متعصبا على الشافعية حتى انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وكان حسن السيرة والله تعالى أعلم

(استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصيبين)

كان عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين قد امتدت أيدى نوابه بنصيبين الى قرى من أعمال الموصل تجاورهم وبعث اليه فى ذلك مجاهد الدين قايمان صاحب دولة الموصل يشكو اليه نوابه سرا من سلطانه نور الدين فلج عماد الدين فى ادعاء انها من أعماله واساء الرد فأعاد نور الدين الرسالة اليه مع بعض مشايخ دولته وقد طرقه المرض فأجاب مثل الاول فنصح الرسول وكان من بقية الاتابك زنكى وعاد الى فأغلظ له فى القول واعتزم نور الدين على المسير الى نصيبين ووصل الخبر اثر ذلك بوفاة عماد الدين وولاية ابنه قطب الدين فقوى طمع نور الدين فى نصيبين وتجهز اليها فى جمادى سنة أربع وتسعين وسار قطب الدين بن سنجر فى عسكره فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة نصيبين مهزوما ثم أسرى منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين برتقش وكاتبوا العادل أبا بكر بن أيوب يستحثونه من دمشق وأقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل فى رمضان من السنة وعاد قطب الدين اليها وكان الموتان قد وقع فى عسكر نور الدين فمات كثير من أمراء الموصل ومات مجاهد الدين قايمان القائم بالدولة ولما عاد نور الدين الى الموصل وعاد قطب الدين الى نصيبين سار العادل الى ماردين فحاصرها اياما وضيق عليها ثم انصرف والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

(هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور الدين صاحب الموصل وبنى عمه ملوك الجزيرة)

لما رحل العادل عن ماردين كما قدمناه جمر العساكر عليها للحصار مع ابنه الكامل وعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا ان ملكها يغلبهم على أمرهم ولم يكن سار من سار معه منهم عند اشتغاله بحرب نور الدين الا تقية لكثرة عساكره فلما رجع الى دمشق وبقى الكامل على ماردين استهانوا بأمره وطمعوا فى مدافعته وأغراهم بذلك

الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين لفتنتهم مع عمهم العادل فتجهز نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وسار أول شعبان سنة خمس وتسعين وانتهى الى [بياض] فأقام بها ولحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجرشاه ابن غازى صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين وكان أهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنقهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولى على دولة صاحبها الى الكامل يراوده فى الصلح وتسليم القلعة له الى أجل سماه على أن يبيح لهم مايقوتهم من الميرة فأسعفهم بذلك وبينماهم فى ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكامل مهزوما الى معسكره بالربض فخرج أهل القلعة اليهم وقاتلوهم الى المساء ثم أجفل الكامل من ليلته منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهبت أهل القلعة مخلفه وخرج صاحب ماردين وهو بولو ارسلان ابن أبى الغازى فلقى نور الدين وشكره وعاد الى حصنه ورجع نور الدين وأصحابه الى [بياض] ثم سار منها الى رأس عين فقدم عليها هنالك رسول الظاهر بن صلاح الدين من حلب يطلب له منه السكة والخطبة فوجم لذلك وثنى عزمه عن مظاهرتهم ثم طرقه المرض فبعث اليهم بالعذر وعاد الى الموصل فى ذى الحجة آخر السنة والله تعالى أعلم

(مسير نور الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة)

ثم ان الملك العادل ملك مصر سنة ست وتسعين من يد الافضل ابن أخيه فخشيه الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وراسلوا نور الدين صاحب الموصل فى الاتفاق وأن يسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها والرقة وسنجار فسار نور الدين لملكها فى شعبان سنة سبع وتسعين وسار معه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وحسام الدين صاحب ماردين وانتهوا الى رأس عين وكان بحران الفائز بن العادل فى عسكر فأرسل الى نور الدين فى الصلح فبادر الى الاجابة لما وقع فى عسكره من الموتان واستحلفهم وحلف لهم وبعثوا الى العادل فحلف وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة والله تعالى أعلم

(هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام عسكر العادل)

لم يزل الملك العادل يراسل قطب الدين صاحب سنجار ويستميله الى أن خطب له فى أعماله سنة ستمائة فسار نور الدين صاحب الموصل الى نصيبين من أعمال قطب الدين فحاصرها وملك المدينة وأقام يحاصر القلعة فبينما هو قد قارب فتحها بلغه الخبر من نائبه بالموصل بأن مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل [بياض] من أعمال الموصل

بياض بالأصل

فرحل

فرحل عن نصيبين معتزما على قصد اربل فلم يجد كل الخبر صحيحا فسار الى تل اعفر من أعمال سنجار فحاصرها وملكها وكان الاشرف موسى بن العادل قد سار من حران الى رأس عين نجدة لصاحب سنجار وقد اتفق معه على ذلك مظفر الدين صاحب اربل وصاحب كيفا وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وتراسلوا وتواعدوا للاجتماع فلما ارتحل نور الدين عن نصيبين اجتمعوا عليها وجاءهم أخو الاشرف نجم الدين صاحب ميافارقين وساروا الى البقعا من تل اعفر الى كفر رقان وقصده المطاولة حتى [بياض] جاءه بعض عيونه فقللهم فى عينه وأطمعه فيهم وكان من مواليه فوثق بقوله ورحل الى نوشرى قريبا منهم وتراءى الجمعان فالتقوا وانهزم نور الدين ونجا فى فل قليل ونزلت العساكر كفر رقان ونهبوا مدينة فيد وما اليها وأقاموا هنالك وترددت الرسل فى الصلح على أن يعيد نور الدين تل اعفر لقطب الدين صاحب سنجار فأعادها واصطلحوا سنة احدى وستمائة ورجع كل الى بلده والله تعالى ولى التوفيق

بياض بالأصل

(مقتل سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر وولاية ابنه محمود بعده)

كان سنجرشاه بن غازى بن مودود ابن الاتابك زنكى صاحب جزيرة ابن عمر وأعمالها أوصى له بها أبوه عند وفاته كما مر وكان سيئ السيرة غشوما ظلوما مرهف الحد على رعيته وجنده وحرمه وولده كثير القهر لهم والانتقام منهم فاقد الشفقة على بنيه حتى غرب ابنيه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلاد الزوزان لتوهم توهمه فيهما وأخرج ابنه غازى الى دار بالمدينة ووكل به فساءت حاله وكانت الدار كثيرة الخشاش فضجر من حاله وتناول حية وبعثها الى أبيه فلم يعطف عليه فتحيل من الدار واستخفى فى المدينة وبعث الى نور الدين صاحب الموصل من أوهمه بوصوله اليه فبعث اليه بنفقة وردة خوفا من أبيه وترك أبوه طلبه لما شاع انه بالشأم فلم يزل غازى يعمل الحيلة حتى دخل دار أبيه واختفى عند بعض حظاياه وطرق عليه الخلاء فى بعض الليالى وهو سكران فطعنه أربع عشرة طعنة ثم ذبحه وأقام مع الحرم وعلم أستاذ الدولة من خارج بالخبر فأحضر أعيان الدولة وأغلق أبواب القصر وبايع الناس لمحمود بن سنجرشاه واستدعاه وأخاه مودودا من قلعة فرح ثم دخلوا الى غازى وقتلوه ووصل محمود فملكوه ولقبوه معز الدين لقب أبيه وعمد الى الجوارى التى واطأت على قتل أبيه فغرقهن فى الدجلة والله تعالى أعلم

(استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من أعمال صاحب سنجار وحصاره اياه)

كان بين قطب الدين محمود بن زنكى بن مودود وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه

ابن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة قد مر كثير من أخبارها ولما كانت سنة خمس وستمائة أصهر العادل بن أيوب صاحب مصر والشأم الى نور الدين فى ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمع الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فأغرى العادل بأن يظاهره على ولاية ابن عمه قطب الدين سنجر وتكون ولاية قطب الدين وهى سنجار ونصيبين والخابور للعادل وتكون ولاية غازى بن سنجر شاه لنور الدين صاحب الموصل فأجاب الى ذلك العادل وأطمع نور الدين فى أنه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذى هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك وسار العادل سنة ست وستمائة من دمشق لملك الخابور وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك البلاد كما يجب دونه ان وفى له وسار نور الدين الى الجزيرة فربما حال بنو العادل بينه وبين الموصل وان انتقض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب فى أمره وملك العادل الخابور ونصيبين واعتزم قطب الدين على أن يعتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فنعه من ذلك أحمد بن برتقش مولى أبيه وجهز نور الدين عسكرا مع ابنه القاهر مددا للعادل كما اتفقا عليه وفى خلال ذلك بعث قطب الدين سنجر ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجده فأرسل الى العادل شافعا فى أمره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه فغضب مظفر الدين وأرسل الى نور الدين فى المساعدة على دفاع العدو فأجاب نور الدين الى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل وأرسل هو ومظفر الدين الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى كيخسرو بن قليج ارسلان صاحب الروم يستنجدانهما فأجاباهما وتداعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار وبعث الخليفة الناصر أستاذ الدار أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير اقباش من خواص مواليه فى الافراج عن سنجار وتخاذل أصحابه عن مضايقة سنجار معه وسيما أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه فى ذلك فاجاب العادل فى الصلح على ان تكون نصيبين والخابور اللذان ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتحالفوا على ذلك ورجع العادل الى حران ومظفر الدين الى اربل والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر)

ثم توفى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكى منتصف سنة سبع وستمائة لثمان عشرة سنة من ولايته وكان شهما شجاعا مهيبا عند أصحابه حسن السياسة لرعيته وجدد ملك آبائه بعد أن أشفى على الذهاب ولما احتضر عهد بالملك لابنه عز الدين مسعود وهو ابن عشرين سنة وأوصاه أن يتولى تدبير ملكه مولاه بدر الدين لؤلؤ لما فيه من حسن السياسة وكان قائما بأمره منذ توفى مجاهد الدين قايماز

وأوصى لولده الاصغر عماد الدين بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها وانفته الى العقر فلما توفى نور الدين بايع الناس ابنه عز الدين مسعودا ولقبوه القاهر واستقر ملك الموصل وأعمالها له وقام بدر الدين لؤلؤ بتدبير دولته والبقاء لله وحده

*(وفاة القاهر وولاية ابنه نور الدين ارسلان شاه فى كفالة بدر الدين لؤلؤ)

لما توفى الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكى صاحب الموصل آخر ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة لثمان سنين من ولايته بعد أن عهد بالملك لابنه الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره عشرون سنة وجعل الوصى عليه والمدبر لدولته لؤلؤا كما كان فى دولة القاهر وابنه نور الدين فبايع له وقام بملكه وأرسل الى الخليفة فى التقليد والخلع على العادة فوصلت وبعث الى الملوك فى الأطراف فى تجديد العهد كما كان بينهم وبين سلفه وضبط أموره وكان عمه نور الدين زنكى ارسلان شاه بقلعة عقر الحميدية لايشك فى مصير السلطان له فدفعه عن ذلك واستقامت أموره وأحسن السيرة وسمع شكوى المتظلمين وأنصفهم ووصل فى تقليد الخليفة لنور الدين اسناد النظر فى أموره لبدر الدين لؤلؤ والله أعلم

(استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع الهكارية والزوزان)

كان عماد الدين زنكى قد ولاه أبوه قلعتى العقر والشوش قريبا من الموصل وأوصى له بهما وعهد بالملك لابنه الاكبر القاهر فلما توفى القاهر كما ذكرنا طمع زنكى الى الملك وكان يحدث به نفسه فلم يحصل له وكان بالعمادية نائب من موالى جده مسعود فدا خله فى الطاعة له وشعر بذلك بدر الدين لؤلؤ فعزل ذلك النائب وبعث اليها أميرا أنزله بها وجعل فيها نائبا من قبله واستبدل بالنواب فى غيرها وكان نور الدين بن القاهر لايزال عليلا لضعف مزاجه وتوالى الامراض عليه فبقى محتجبا طول المدة فأرسل زنكى الى نور الدين بالعمادية يشيع موته ويقول أنا أحق بملك سلفى فتوهموا صدقه وقبضوا على نائب لؤلؤ ومن معه وسلموا البلد لعماد الدين زنكى منتصف رمضان سنة خمس عشرة وجهز لؤلؤ العساكر وحاصروه بالعمادية فى فصل الشتاء وكاب البرد وتراكم الثلج ولم يتمكنوا من قتاله وظاهره مظفر الدين صاحب اربل على شأنه وذكر لؤلؤا بالعهد الذى بينهما أن لا يتعرض لاعمال الموصل والنص فيها على قلاع الهكارية والزوزان وانه مظاهر لهم على من يتعرض لها فلج فى مظاهرته واعتمد نقض العهد وأقام العسكر محاصر الزنكى بالعمادية وتقدموا بعض الليالى وركبوا الاوعار اليه فبرز اليهم أهل العمادية وهزموهم فى المضايق والشعاب فعادوا الى الموصل وراسل عماد الدين

قلاع الهكارية والزوزان فى الطاعة له فأجابوه وملكها وولى عليها والله أعلم

(مظاهرة الاشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصل)

ولما استولى عماد الدين زنكى على قلاع الهكارية والزوزان وظاهره مظفر الدين صاحب اربل خاف لؤلؤ غائلته فبعث بطاعته الى الاشرف موسى بن العادل وقد ملك أكثر بلاد الجزيرة وخلاط وأعمالها ويسأله المعاضدة فاجابه وكان يومئذ بحلب فى مدافعة كيكاوس صاحب بلاد الروم عن أعمالها فأرسل الى مظفر الدين بالنكير عليه فيما فعل من نقضه العهد الذى كان بينهم جميعا كما مر ويعزم عليه فى اعادة ما أخذ من بلاد الموصل ويتوعده ان أصر على مظاهرة زنكى بقصد بلاده فلم يجب مظفر الدين الى ذلك واستألف على أمره صاحب ماردين وناصر الدين محمود اصاحب كيفا وآمد فوافقوه وفارقوا طاعة الاشرف فى ذلك فبعث الاشرف عساكره الى نصيبين لانجاد لؤلؤ متى احتاج اليه والله تعالى أعلم

(واقعة عساكر لؤلؤ بعماد الدين)

ولما عاد عسكر الموصل عن حصار العمادية خرج زنكى الى قلعة العقر ليتمكن من أعمال الموصل الصحراوية اذ كان قد فرغ من أعمالها الجبلية وامده مظفر الدين صاحب اربل بالعساكر وعسكر جند الموصل على أربع فراسخ من البلد من ناحية العقر ثم اتفقوا على المسير الى زنكى وصبحوه آخر المحرم سنة ست عشرة وستمائة وهزموه فلحق باربل وعاد العسكر الى مكانهم ووصل رسل الخليفة الناصر والاشرف ابن العادل فى الصلح بينهما فاصطلحوا وتحالفوا والله تعالى أعلم

(وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية أخيه ناصر الدين)

لما توفى نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر كما قدمناه من سوء مزاجه واختلاف الاسقام عليه فتوفى قبل كمال الحول ونصب لؤلؤ مكانه أخاه ناصر الدين محمد بن القاهر فى سن الثلاث واستحلف له الجند وأركبه فى الموكب فرضى به الناس لما بلوا من عجز أخيه عن الركوب لمرضه والله تعالى ولى التوفيق

(هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب اربل)

ولما توفى نور الدين ونصب لؤلؤ أخاه ناصر الدين محمدا على صغر سنه تجدد الطمع لعماد الدين عمه ولمظفر الدين صاحب اربل فى الاستيلاء على الموصل وتجهزوا لذلك وعاثت سراياه فى نواحى الموصل وكذا لؤلؤ قد بعث ابنه الاكبر فى العساكر نجدة للملك الاشرف وهو يقصد بلاد الافرنج بالسواحل ليأخذ بحجزتهم عن امداد اخوانهم

بدمياط عن أبيه الكامل بمصر فبادر لؤلؤ الى عسكر الاشرف الذين بنصيبين واستدعاهم فجاؤا الى الموصل منتصف سنة عشر وستمائة وعليهم ايبك مولى الاشرف فاستقلهم لؤلؤ ورآهم مثل عسكره الذين بالشأم أو دونهم وألح ايبك على عبور دجلة الى اربل فتبعه أياما فلما أصر عبر لؤلؤ معه ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقى دجلة وجمع مظفر الدين زنكى وعبروا الزاب وتقدم اليهم ايبك فى عسكره وأصحاب لؤلؤ وسار منتصف الليل من رجب وأشار عليه لؤلؤ بانتظار الصباح فلم يفعل ولقيهم بالليل وحمل ايبك على زنكى فى الميسرة فهزمه وانهزمت ميسرة لؤلؤ فبقى فى نفر قليل فتقدم اليه مظفر الدين فهزمه وعبر دجلة الى الموصل وظهر مظفر الدين على تبريز ثلاثا ثم بلغه أن لؤلؤا يريد تبييته فأجفل راجعا وترددت الرسل بينهما فاصطلحا على كل ما بيده والله أعلم

بياض بالأصل

(وفاة صاحب سنجار وولاية ابنه ثم مقتله وولاية أخيه)

ثم توفى قطب الدين محمد بن زنكى بن مودود بن الاتابك زنكى صاحب سنجار فى ثامن صفر سنة ست عشرة وستمائة وكان حسن السيرة مسلما الى نوابه وملك بعده ابنه عماد الدين شاهين شاه واشتمل الناس عليه فملك شهورا ثم سار الى تل اعفر فاغتاله أخوه عمر ودخل اليه فى جماعة فقتلوه وملك بعده وبقى مدة الى أن تسلم منها الاشرف بن العادل مدينة سنجار فى جمادى سنة سبع عشرة وستمائة والله أعلم

(استيلاء عماد الدين على قلعة كواشى ولؤلؤ على تل اعفر والاشرف على سنجار)

كانت كواشى من أحسن قلاع الموصل وأمنعه وأعلاه ولما رأى الجند الذين بها بعد أهل العمادية واستبدادهم بأنفسهم طمعوا فى مثل ذلك وأخرجوا نواب لؤلؤ عنهم وتمسكوا باظهار الطاعة على البعد خوفا على رهائنهم بالموصل ثم استدعوا عماد الدين زنكى وسلموا له القلعة وأقام عندهم وبعث لؤلؤ الى مظفر الدين يذكره العهود التى لم يجف مدادها بعد فأعرض وأرسل الى الاشرف بحاب يستنجده فسار وعبر الفرات الى حران وكان مظفر الدين صاحب اربل يراسل الملوك بالاطراف ويغريهم بالاشرف ويخوفهم غائلته ولما كان بين كيكاوس بن كيخسرو صاحب الروم من الفتنة ما نذكره فى أخباره وسار كيكاوس الى حلب دعاه مظفر الدين الملوك بناحيته الى وفاق كيكاوس مثل صاحب كيفا وآمد وصاحب ماردين فأطاعوه وخطبوا له فى أعمالهم ومات كيكاوس وفى نفس الاشرف منه ومن مظفر الدين ما فى نفسه ولما سار الاشرف الى حران لمظاهرة لؤلؤ راسل مظفر الدين جماعة من أمرائه مثل أحمد بن على المشطوب

وعز الدين محمد بن بدر الحميدى وغيرهما واستمالهم ففارقوا الاشرف ونازلوا دنيس تحت ماردين ليجتمعوا مع ملوك الاطراف لمدافعة الاشرف واستمال الاشرف صاحب آمد وأعطاه مدينة حانى وجبل جودى ووعده بدارا اذا ملكها فأجاب وفارقهم اليه واضطر آخرون منهم الى طاعة الاشرف فانحل أمرهم وانفرد ابن المشطوب بمشاقة الاشرف فقصد اربل ومر بنصيبين فقاتله شحنتها فانهزم الى سنجار فأسره صاحبها وكان هوا مع الاشرف ولؤلؤ فصده ابن المشطوب عن رأيه فيهم حتى أجمع خلافه وأطلقه فجمع المفسدين وقصد البقعا من أعمال الموصل فاكتسح نواحيها وعاد ثم سار من سنجار ثانية الى الموصل وأرصد له لؤلؤ عسكرا فاعترضوه فهزمه واجتاز بتل اعفر من أعمال صاحب سنجار فأقاموا عليها وبعثوا الى لؤلؤ فسار وحاصرها وملكها فى ربيع سنة سبع عشرة وستمائة وأسر ابن المشطوب وجاء به الى الموصل ثم بعث به الى الاشرف فحبسه بحران سنين وهلك فى محبسه ولما أطاع صاحب آمد الاشرف رحل من حران الى ماردين ونزل دنيس وحاصر ماردين ومعه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين على أن يرد عليه رأس عين وكان الاشرف قد أقطعها له على أن يحمل اليه ثلاثين ألف دينار وأن يعطى لصاحب آمد الورزنى بلد

وانعقد الصلح بينهما وارتحل الاشرف من دنيس الى نصيبين يريد الموصل فلقيه رسل صاحب سنجار يطلب من يتسلمها منه على أن يعوضه الاشرف منها بالرقة بما أدركه من الخوف عند استيلاء لؤلؤ على تل اعفر ونفرة أهل دولته عنه لقتله أخاه كما ذكرناه فأجابه الاشرف وأعطاه الرقة وملك سنجار فى جمادى سنة سبع عشرة وستمائة ورحل عنها بأهله وعشيرته وانقرض أمر بنى زنكى منها بعد أربع وتسعين سنة والبقاء لله وحده

(صلح الاشرف مع مظفر الدين)

ولما ملك الاشرف سنجار سار الى الموصل ووافاه بها رسل الخليفة الناصر ومظفر الدين صاحب اربل فى الصلح ورد القلاع المأخوذة من ايالة الموصل على صاحبها لؤلؤ ما عدى العمادية فتبقى بيد زنكى وتردد الحديث فى ذلك شهرين ولم يتم فرحل الاشرف بقصد اربل حتى قارب نهر الزاب وكان العسكر قد ضجروا واسوء صاحب آمد مع مظفر الدين فأشار باجابته الى ما سأل ووافق على ذلك أصحاب الاشرف فانعقد الصلح وساق زنكى الى الاشرف رهينة على ذلك وسلمت قلعة العقر وشوش لنواب الاشرف وهما لزنكى رهنا أيضا وعاد الاشرف الى سنجار فى رمضان سنة سبع عشرة وبعثوا الى القلاع فلم يسلمها جندها وامتنعوا بها واستجار عماد الدين زنكى بشهاب بن العادل فاستعطف له أخاه الاشرف فأطلقه ورد عليه قلعتى العقر وشوش وصرف نوابه عنهما وسمع لؤلؤ

الاشرف

الاشرف يميل الى قلعة تل اعفر وانها لم تزل لسنجار قديما فبعث اليه بتسليمها والله تعالى أعلم

(رجوع قلاع الهكارية والزوزان الى طاعة صاحب الموصل)

لما رأى زنكى أنه ملك قلاع الهكارية والزوزان وبلوه فلم يروا عنده ما ظنوه من حسن السيرة كما يفعله لؤلؤ مع جنده ورعاياه اعتزموا على مراجعة طاعة لؤلؤ وطلبوه فى الاقطاع فأجابهم واستأذن الاشرف فلم يأذن له وجاء زنكى من عند الاشرف فحاصر العمادية ولم يبلغ منها غرضا فأعادوا مراسلة لؤلؤ فاستأذن الاشرف وأعطاه قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين وأذن له فى تملك القلاع وأرسل نوابه اليها ووفى لهم بما عاهدهم عليه وتبعهم بقية القلاع من أعمال الموصل فدخلوا كلهم فى طاعة لؤلؤ وانتظم له ملكها والله تعالى أعلم

(استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس)

كانت قلعة سوس وقلعة العقر متجاورتين على اثنى عشر فرسخا من الموصل وكانتا لعماد الدين زنكى بن نور الدين ارسلان شاه بوصية أبيه كما مر وملك معها قلاع الهكارية والزوزان ورجعت الى الموصل وسار هو سنة تسعة عشر الى ازبك بن البهلوان صاحب اذربيجان من بقية السلجوقية فسار معه وأقطع له الاقطاعات وأقام عنده فسار لؤلؤ من الموصل الى قلعة سوس فحاصرها وضيق عليها وامتنعت عليه فجمر العساكر لحصارها وعاد الى الموصل ثم اشتد الحصار بأهلها وانقطعت عنهم الاسباب فاستأمنوا الى لؤلؤ ونزلوا له عنها على شروط اشترطوها وقبلها وبعث نوابه عليها والله تعالى أعلم

(حصار مظفر الدين الموصل)

كان الاشرف بن العادل بن أيوب قد استولى على الموصل ودخل لؤلؤ فى طاعته واستولى على خلاط وسائر ارمينية وأقطعها أخاه شهاب الدين غازى ثم جعله ولى عهده فى سائر أعماله ثم نشأت الفتنة بينهما فاستظهر غازى بأخيه المعظم صاحب دمشق وبمظفر الدين كوكبرى وتداعوا لحصار الموصل فجمع أخوهما الكامل عساكره وسار الى خلاط فحاصرها بعد ان بعث الى المعظم صاحب دمشق وتهدده فأقصر عن مظاهرة أخيه واستنجد غازى مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل فسار الى الموصل وحاصرها ليأخذ بحجزة الاشرف عن خلاط ونهض المعظم صاحب دمشق لانجاد أخيه غازى وكان لؤلؤ صاحب الموصل قد استعد للحصار فأقام عليها مظفر الدين

عشرا ثم رحل منتصف احدى وعشرين لامتناعها عليه ولقيه الخبر بأن الاشرف قد ملك خلاط من يد أخيه فندم على ما كان منه

(انتقاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلاؤه عليها)

قد تقدم لنا انتقاض أهل قلعة العمادية من أعمال الموصل سنة خمس عشرة ورجوعه الى عماد الدين زنكى ثم عودهم الى طاعة لؤلؤ فأقاموا على ذلك مدة ثم عادوا الى ديدنهم من التمريض فى الطاعة وتجنوا على لؤلؤ بعزل نوابه فعزلهم مرة بعد أخرى ثم استبد بها أولاد خواجا ابراهيم وأخوه فيمن تبعهم وأخرجوا من خالفهم وأظهروا العصيان على لؤلؤ فسار اليهم سنة ثنتين وعشرين وحاصرهم وقطع الميرة عنهم وبعث عسكرا الى قلعة هزوران وقد كانوا تبعوا أهل العمادية فى العصيان فحاصرهم حتى استأمنوا وملكها ثم جهز العساكر الى العمادية مع نائبه أمين الدين وعاد الى الموصل واستمر الحصار الى ذى القعدة من السنة ثم راسلوا أمين الدين فى الصلح على مال وأقطاع وعوض عن القلعة وأجاب لؤلؤ الى ذلك وكان أمين الدين قد وليها قبل ذلك فكان له فيها بطانة مستمدون على عهده ومكاتبته وسخط كثير من أهل البلد فعل أولاد خواجا ابراهيم واستئثارهم بالصلح دونهم فوجد أولئك البطانة سبيلا الى التسلط عليهم ودسوا الامين الدين أن يبيت البلد ويصالحها فصالحهم فوثبوا بأولاد خواجا ونادوا بشعار لؤلؤ فصعد العسكر القلعة وملكها أمين الدين وبعث بالخبر الى لؤلؤ قبل أن ينعقد اليمين مع وفد أولاد خواجا والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق

(مسير مظفر الدين صاحب اربل الى أعمال الموصل وعوده عنها)

كان جلال الدين شكرى بن خوارزم شاه قد غلبه التتر أول خروجهم سنة سبع عشرة وستمائة على خوارزم وخراسان وغزنة وفر أمامهم الى الهند ثم رجع عنها لسنة ثنتين وعشرين واستولى على العراق ثم على اذربيجان وجاور الاشرف بن العادل فى ولايته بخلاط والجزيرة وحدثت بينهما الفتنة وراسله أعيان الاشرف فى الاغراء به مثل مظفر الدين صاحب اربل ومسعود صاحب آمد وأخيه المعظم صاحب دمشق واتفقوا على ذلك وسار جلال الدين الى خلاط وسار مظفر الدين الى الموصل وانتهى الى الزاب ينتظر الخبر عن جلال الدين وسار المعظم صاحب دمشق الى حمص وحماة وبعث لؤلؤ من الموصل يستنجد الاشرف فسار الى حران ثم الى دنيسر فاكتسح أعمال ماردين وكان جلال الدين قد بلغه انتقاض نائبه بكرمان فاغذ السير اليه وترك خلاط

بعد ان عاث فى أعمالها وفت ذلك فى أعضاد الآخرين وعظمت سطوة الاشرف بهم وبعث اليه أخوه المعظم وقد نازل حمص وحماة يتوعده بمحاصرتهما ومحاصرة مظفر الدين الموصل فرجع عن ماردين ورجع الآخران عن حمص وحماة والموصل ولحق كل ببلده والله تعالى أعلم

(مسير التتر فى بلاد الموصل واربل)

ولما أوقع التتر بجلال الدين خوارزم شاه على آمد سنة ثمان وعشرين وقتلوه ولم يبق لهم مدافع من الملوك ولا ممانع انساحوا فى البلاد طولا وعرضا ودخلوا ديار بكر واكتسحوا سواد آمد وارزن وميافارقين وحاصروا وملكوها بالامان ثم استباحوها وساروا الى ماردين فعاثوا فى نواحيها ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا أعمال نصيبين ثم مروا الى سنجار فنهبوها ودخلوا الخابور واستباحوه وسارت طائفة منهم الى الموصل فاستباحوا أعمالها ثم أعمال اربل وأثخنوا فيها وبرز مظفر الدين فى عساكره واستمد عساكر الموصل فبعث بها لؤلؤ اليه ثم عاد التتر عنهم الى اذربيجان فعاد كل الى بلاده والله أعلم

بياض بالاصل :

(وفاة مظفر الدين صاحب اربل وعودها الى الخليفة)

ثم توفى مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كجك صاحب اربل سنة تسع وعشرين لاربع وأربعين سنة من ولايته عليها أيام صلاح الدين بعد أخيه يوسف ولم يكن له ولد فأوصى باربل للخليفة المستنصر فبعث اليها نوابه واستولى عليها وصارت من أعماله والله تعالى أعلم

(بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل)

كان عسكر خوارزم شاه بعد مهلكه سنة ثمان وعشرين على آمد لحقوا بصاحب الروم كيقباد فاستنجدهم وهلك سنة أربع وثلاثين وستمائة وولى ابنه كيخسرو والمقبض على أميرهم ومر الباقون وانتبذوا بأطراف البلاد وكان الصالح نجم الدين أيوب فى حران وكيفا وآمد نائبا عن أبيه الملك العادل فرأى المصلحة فى استضافتهم اليه فاستمالهم واستخدمهم بعد ان اذن أبوه له فى ذلك فلما مات أبوه سنة خمس انتقضوا ولحقوا بالموصل واشتمل عليهم لؤلؤ وسار معهم فحاصر الصالح بسنجار ثم بعث الصالح الى الخوارزمية واستمالهم فرجعوا الى طاعته على أن يعطيهم حران والرها ينزلون بها فاعطاهما اياهم وملكوهما ثم ملكوا نصيبين من أعمال لؤلؤ وبنو أيوب يومئذ

متفرقون على كراسى الشأم و بينهم من الانفة والفرقة ما نتلو عليك قصصه فى دولتهم ثم استقر ملك سنجار للجواد يونس منهم وهو ابن مودود بن العادل أخذها من الصالح نجم الدين أيوب عوضا عن دمشق واستولى لؤلؤ على سنجار من يده سنة سبع وثلاثين ثم حدثت بين صاحب حلب و بين الخوارزمية فتنة ولجؤا يومئذ لصفيتهم خاتون بنت العادل فبعثت العساكر اليهم مع المعظم تورانشاه بن صلاح الدين فهزموا عساكره وأسروا ابن أخيه الافضل ودخلوا حلب واستباحوها ثم فتحوا منبج وعاثوا فيها وقطعوا الفرات من الرقة وهم يذهبون وتبعهم عسكر دمشق وحمص فهزموهم وأثخنوا فيهم ولحقوا ببلدهم حران فسارت اليهم عساكر حلب واستولوا على حران ولحق الخوارزمية بعانة و بادر لؤلؤ صاحب الموصل الى نصيبين فملكها من أيديهم ثم توفيت صفية بنت العادل سنة أربعين فى حلب وكانت ولايتها بعد وفاة أبيها العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين فولى بعدها ابنه الناصر يوسف ابن العزيز فى كفالة مولاه اجبال الخاتونى فلما كانت سنة ثمان وأربعين وستمائة وقع بين عسكره و بين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل حرب انهزم فيها لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا و لؤلؤ بحلب ثم زحف هلاكو ملك التتر الى بغداد سنة ومملكها وقتل الخليفة المستعصم واستلحم العلية من بغداد كما مر فى أخبار الخلفاء ويأتى فى أخبار التتر وتخطى منها الى اذربيجان فبادر لؤلؤ ووصل اليه باذربيجان وآتاه طاعته وعاد الى الموصل والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(وفاة صاحب الموصل وولاية ابنه الصالح)

ثم توفى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين وستمائة وكان يلقب الملك الرحيم وملك بعده على الموصل ابنه الصالح اسمعيل وعلى سنجار ابنه المظفر علاء الدين على وعلى جزيرة ابن عمر ابنه المجاهد اسحق وأبقاهم هلاكو عليها مدة ثم أخذها منهم ولحقوا بمصر فنزلوا على الملك الظاهر بيبرس كما نذكر فى أخباره وسار هلاكو الى الشأم فملكها وانقرضت دولة الاتابك زنكى وبنيه ومواليه من الشأم والجزيرة اجمع كان لم تكن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله تعالى وحده والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

قسيم الدولة اقسنقر مولى السلطان ملك شاه

عماد الدين زنكى بن اقسنقر

ناصر الدين محمود

نور الدين ارسلان شاه بن القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن اقسنقر مولى السلطان ملك شاه

لؤلؤ مولى

صاحب الموصل

الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ

المظفر على صاحب سنجار

المجاهد اسحق صاحب جزيرة ابن عمر

الغازى اسماعيل بن العادل نور الدين محمود

غازى بن سنجر شاه بن سيف الدين غازى

محمود

شاهنشاه بن قطب الدين بن عماد الدين زنكى

محمود

يوسف بن زين الدين كوجك على بن سبكتكين

المظفر كوكبرى صاحب اربل

الخبر عن دولة بنى أيوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشأم واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصايره

هذه الدولة من فروع دولة بنى زنكى كما تراه وجدهم هو أيوب بن شادى بن مروان بن على بن عشرة بن الحسن بن على بن أحمد بن على بن عبد العزيز بن هدبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميرى الدوسى هكذا نسبه بعض المؤرخين لدولتهم قال ابن الاثير انهم من الاكراد الروادية وقال ابن خلكان شادى أبوهم من أعيان درين وكان صاحبه بهايروز فأصابه خصى من بعض أمرائه وفرّ حياء من المثلة فلحق بدولة السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وتعلق بخدمة داية بنيه حتى اذا هلك الداية أقامه السلطان لبنيه مقامه فظهرت كفايته وعلا فى الدولة محله فبعث عن شادى بن مروان صاحبه لما بينهما من الالفة وأكيد الصحبة فقدم عليه ثم ولى السلطان بهروز شحنة بغداد فسار اليها واستصحب شادى معه ثم أقطعه السلطان قلعة تكريت فولى عليها شادى فهلك وهو وال عليها وولى بهروز مكانه ابنه نجم الدين أيوب وهو أكبر من أسد الدين شيركوه فلم يزل واليا عليها ولما زحف عماد الدين زنكى صاحب الموصل لمظاهرة مسعود على الخليفة المسترشد سنة عشرين وخمسمائة وانهزم الاتابك وانكفأ راجعا الى الموصل ومرّ بتكريت قام نجم الدين بعلوفته وازواده وعقد له الجسور على دجلة وسهل له عبورها ثم ان شيركوه أصاب دما فى تكريت ولم يفده منه أخوه أيوب فعزله بهروز وأخرجهما من تكريت فلحقا بعماد الدين بالموصل فأحسن اليهما وأقطعهما ثم ملك بعلبك سنة ثنتين وثلاثين جعله نائبا بها ولم يزل بها أيوب ولما مات عماد الدين زنكى سنة احدى وأربعين زحف صاحب دمشق فخر الدين طغركين الى بعلبك وحاصرها واستنزل أيوب منها على ما شرط لنفسه من الاقطاع وأقام معه بدمشق وبقى شيركوه مع نور الدين محمود بن زنكى وأقطعه حمص والرحبة لاستطلاعه وكفايته وجعله مقدم عساكره ولما صرف نظره الى الاستيلاء على دمشق واعتزم على مداخلة أهلها كان ذلك على يد شيركوه وبمكاتبته لاخيه أيوب وهو بدمشق فتم ذلك على أيديهما وبهما ولتهما وملكها سنة تسع وأربعين وخمسمائة وكانت دولة العلويين بمصر قد أخلقت جدتها وذهب استفحالها واستبدّ وزراؤها على خلفائها فلم يكن الخلفاء يملكون معهم وطمع الافرنج فى سواحلهم وأمصارهم لما نالهم من الهرم والوهن فمالوا عليهم وانتزعوا البلاد من أيديهم وكانوا يردون عليهم كرسى خلافتهم بالقاهرة ووضعوا عليهم الجزية وهم يتجرعون المصاب من ذلك ويتحملونه مع بقاء أمرهم كاد الاتابك زنكى وقومه السلجوقية من قبله أن يمحو دعوتهم ويذهبوا

بدولتهم

بدولتهم وأقاموا من ذلك على مضض وقلق وجاء الله بدعوة العاضد آخرهم وتغلب عليه بعد الصالح بن رزيك شاور السعدى وقتل رزيك بن صالح سنة ثمان وخمسين واستبدّ على العاضد ثم نازعه الضرغام لتسعة أشهر من ولايته وغلبه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشأم ولحق بنور الدين صريخا سنة تسع وخمسين وشرط له على نفسه ثلث الجباية بأعمال مصر على أن يبعث معه عسكرا يقيمون بها فأجابه الى ذلك وبعث أسد الدين شيركوه فى العساكر فقتل الضرغام ورد شاور الى رتبته وآل أمرهم الى محو الدولة العلوية وانتظام مصر وأعمالها فى ملكة ابن أيوب بدعوة نور الدين محمود بن زنكى ويخطب للخلفاء العباسيين لما هلك نور الدين محمود واستبدّ صلاح الدين بأمره فى مصر ثم غلب على بنى نور الدين محمود وملك الشأم من أيديهم وكثير ابن عمهم مودود واستفحل ملكه وعظمت دولة بنيه من بعده الى أن انقرضوا والبقاء لله وحده

(مسير أسد الدين شيركوه الى مصر واعادة شاور الى وزارته)

لما اعتزم نور الدين محمود صاحب الشأم على صريخ شاور وارسال العساكر معه واختار لذلك أسد الدين شيركوه بن شادى وكان من أكبر أمرائه فاستدعاه من حمص وكان أميرا عليها وهى أقطاعه وجمع له العساكر وأزاح عللهم وفصل بهم شيركوه من دمشق فى جمادى سنة تسع وخمسين وسار نور الدين بالعساكر الى بلاد الافرنج ليأخذ بحجزتهم عن اعتراضه أو صدّه لما كان بينهم وبين صاحب مصر من الالفة والتظاهر ولما وصل أسد الدين بلبيس لقيه هنالك ناصر الدين أخو الضرغام وقاتله فانهزم وعاد الى القاهرة مهزوما وخرج الضرغام منسلخ جمادى الاخيرة فقتل عند مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وقتل أخوه وأعاد شاور الى وزارته وتمكن فيها وصرف أسد الدين الى بلده وأعرض عما كان بينهما فطالبه أسد الدين بالوفاء فلم يجب اليه فتغلب أسد الدين على بلبيس والبلاد الشرقية وبعث شاور الى الافرنج يستنجدهم ويعدهم فبادروا الى اجابته وسار بهم ملكهم مرى لخوفهم أن يملك أسد الدين مصر واستعانوا بجمع من الافرنج جاؤا الزيارة القدس وسار نور الدين اليهم ليشغلهم فلم يثنهم ذلك وطمعوا العزمهم ورزأ أسد الدين الى بلبيس واجتمعت العساكر المصرية والافرنج عليه وحاصروه ثلاثة أشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم وامتنع عليهم وقصاراهم منع الاخبار عنه واستنفر نور الدين ملوك الجزيرة وديار بكر وقصر حارم وسار الافرنج لمدافعته فهزمهم وأثخن فيهم وأسر صاحب انطاكية وطرابلس وفتح حارم قريبا من حلب ثم سار الى بانياس قريبا من دمشق ففتحها كما مرّ فى أخبار نور الدين وبلغ الخبر بذلك الى الافرنج وهم محاصرون أسد الدين فى بلبيس ففت فى عزائمهم وطووا الخبر

عنه وراسلوه فى الصلح على أن يعود الى الشأم فصالحهم وعاد الى الشأم فى ذى الحجة من السنة والله تعالى أعلم

(مسير أسد الدين ثانيا الى مصر وملكه الاسكندرية ثم صلحه عليها وعوده)

ولما رجع أسد الدين الى الشأم لم يزل فى نفسه مما كان من غدر شاور وبقى يشحن لغزوهم الى سنة ثنتين وستين فجمع العساكر وبعث معه نور الدين جماعة من الامراء واكتف له العسكر خوفا على حامية الاسلام وسار أسد الدين الى مصر وانتهى الى اطفيح وعبر منها الى العدوة الغربية ونزل الجيزة وأقام نحوا من خمسين يوما وبعث شاور الى الافرنج يستمدهم على العادة وعلى مالهم من التخوف من استفحال ملك نور الدين وشيركوه فسارعوا الى مصر وعبروا مع عساكرها الى الجيزة وقد ارتحل عنها أسد الدين الى الصعيد وانتهى منها الى واتبعوه وأدركوه بها منتصف ثنتين وستين ولما رأى كثرة عددهم واستعدادهم مع تخاذل أصحابه فاستشارهم فاشار بعضهم بعبور النيل الى العدوة الشرقية والعود الى الشأم وأبى زعماؤهم الا الاستماتة سيما مع خشية العتب من نور الدين وتقدم صلاح الدين بذلك وأدركهم القوم على تعبية وجعل صلاح الدين فى القلب وأوصاه أن يندفع أمامهم ووقف هو فى الميمنة مع من وثق باستماتته وحمل القوم على صلاح الدين فسار بين أيديهم على تعبيته وخالفهم أسد الدين الى مخلفهم فوضع السيف فيهم وأثخن قتلا وأسرا ورجعوا عن صلاح الدين يظنون أنهم سار وامنهزمين فوجدوا أسد الدين قد استولى على مخلفهم واستباحه فانهزموا الى مصر وسار أسد الدين الى الاسكندرية فتلقاه أهلها بالطاعة واستخلف بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد الى الصعيد فاستولى عليه وفرق العمال على جباية أمواله ووصلت عساكر مصر والافرنج الى القاهرة وأزاحوا عللهم وساروا الى الاسكندرية فحاصروا بها صلاح الدين وجهده الحصار وسار أسد الدين من الصعيد لامداده وقد انتقض عليه طائفة من التركمان من عسكره وبينما هو فى ذلك جاءته رسل القوم فى الصلح على أن يرد عليهم الاسكندرية ويعطوه خمسين ألف دينار سوى ما جباه من أموال الصعيد فأجابهم الى ذلك على أن يرجع الافرنج الى بلادهم ولا يملكوا من البلاد قرية فانعقد ذلك بينهم منتصف شوال وعاد أسد الدين وأصحابه الى الشأم منتصف ذى القعدة ثم شرط الافرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بأيديهم ليتمكنوا من مدافعة نور الدين وضربوا عليه مائة ألف دينار فى كل سنة جزية فقبل ذلك وعاد الافرنج الى بلادهم بسواحل الشأم وتركوا بمصر جماعة من زعمائهم وبعث الكامل أبا شجاع شاور الى نور الدين

بياض بالاصل

بطاعته وأن يبث بمصر دعوته وقرر على نفسه مالا يحمل كل سنة الى نور الدين فأجابه الى ذلك وبقى شيعة له بمصر والله تعالى أعلم

(استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور)

ولما ضرب الافرنج الجزية على القاهرة ومصر وأنزلوا بها الشحنة وملكوا أبوابها تمكنوا من البلاد وأقاموا فيها جماعة من زعمائهم فتحكموا واطلعوا على عورات الدولة فطمعوا فيما وراء ذلك من الاستيلاء وراسلوا بذلك ملكهم بالشأم واسمه مرى ولم يكن ظهر بالشأم من الافرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغروه فلم يجبهم واستحثه أصحابه لملكها وما زالوا يفتلون له فى الذروة والغارب ويوهمونه القوة بتملكها على نور الدين ويريهم هو أن ذلك يؤل الى خروج أصحابها عنها لنور الدين فبقى بها الى أن غلبوا عليه فرجع الى رأيهم وتجهز وبلغ الخبر نور الدين فجمع عساكره واستنفر من فى ثغوره وسار الافرنج الى مصر مفتتح أربع وستين فملكوا بلبيس عنوة فى صفر واستباحوها وكاتبهم جماعة من أعداء شاور رفاتسوا مكاتبتهم وساروا الى مصر ونازلوا القاهرة وأمر شاور باحراق مدينة مصر لينتقل أهلها الى القاهرة فينضبط الحصار فانتقلوا وأخذهم الحريق وامتدت الايدى وانتهبت أموالهم واتصل الحريق فيها شهرين وبعث العاضد الى نور الدين يستغيث به فأجاب وأخذ فى تجهيز العساكر فاشتد الحصار على القاهرة وضاق الامر بشاور فبعث الى ملك الافرنج يذكره بقديمه وان هواه معه دون العاضد ونور الدين ويسأل فى الصلح على المال لنفور المسلمين مما سوى ذلك فأجابه ملك الافرنج على ألف ألف دينار لما رأى من امتناع القاهرة وبعث اليهم شاور بمائة الف منها وسألهم فى الافراج فارتحلوا وشرع فى جمع المال فعجز الناس عنه ورسل العاضد خلال ذلك ترددا الى نور الدين فى أن يكون أسد الدين وعساكره حامية عنده وعطاؤهم عليه وثلث الجباية خالصة لنور الدين فاستدعى نور الدين أسد الدين من حمص وأعطاه مائتى ألف دينار وجهزه بما يحتاجه من الثياب والدواب والاسلحة وحكمه فى العساكر والخزائن ونفل العسكر عشرين دينارا لكل فارس وبعث معه من أمرائه مولاه عز الدين خردك وعز الدين قليج وشرف الدين برغش وعز الدولة الباروقى وقطب الدين ينال بن حسان المنبجى وأمد صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين فتعالل عليه واعتزم عليه فأجاب وسار أسد الدين منتصف ربيع فلما قارب مصر رجع الافرنج الى بلادهم فسر بذلك نور الدين وأقام عليه البشائر فى الشأم ووصل أسد الدين القاهرة ودخلها منتصف جمادى الاخيرة ونزل بظاهرها ولقى العاضد وخلع عليه وأجرى عليه وعلى عساكره الجرايات والاتاوات وأقام أسد الدين ينتظر شرطهم وشاور

يماطله ويعلله بالمواعيد ثم فاوض أصحابه فى القبض على أسد الدين واستخدام جنده فنعه ابنه الكامل من ذلك فأقصر ثم أشرف أصحاب أسد الدين على اليأس من شاور وتفاوض أمراؤه فى ذلك فاتفق صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خردك على قتل شاور وأسد الدين ينهاهم وغدا شاور يوما على أسد الدين فى خيامه فألفاه قد ركب لزيارة تربة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فتلقاه صلاح الدين وخردك وركبوا معه لقصد أسد الدين فقبضوا عليه فى طريقهم وطيروا بالخبر الى أسد الدين وبعث العاضد لوقته يحرضهم على قتله فبعثوا اليه برأسه وامر العاضد بنهب دوره فنهبها العامة وجاء أسد الدين لقصر العاضد فخلع عليه الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وخرج له من القصر منشور من انشاء القاضى الفاضل البيسانى وعليه مكتوب بخط الخليفة مانصه هذا عهد لاعهد لوزير بمثله فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلا لحمله وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مراشد سبله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ثم ركب أسد الدين الى دار الوزارة التى كان فيها شاور وجلس مجلس الامر والنهى وولى على الاعمال وأقطع البلاد للعساكر وأمن أهل مصر بالرجوع الى بلادهم ودمنها وعمارتها وكاتب نور الدين بالواقع مفصلا وانتصب للامور ثم دخل للعاضد وخطب الاستاذ جوهر الخصى عنه وهو يومئذ أكبر الاساتيذ فقال يقول لك مولانا نؤثر مقامك عندنا من أول قدومك وأنت تعلم الواقع من ذلك وقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا فحلف له اسد الدين على النصيحة واظهار الدولة فقال الاستاذ عن العاضد الامر بيدك هذا وأكثر ثم جددت الخلع واستخلص أسد الدين الجليس عبد القوى وكان قاضى القضاة وداعى الدعاة واستحسنه واختصه وأما الكامل بن شاور فدخل القصر مع اخوته معتصمين به وكان آخر العهد به وأسف أسد الدين عليه لما كان منه فى رد أبيه وذهب كل بما كسب والله تعالى أعلم

(وفاة أسد الدين وولاية ابن أخيه صلاح الدين)

ثم توفى أسد الدين شيركوه آخر جمادى الاخيرة من سنة أربع وستين لشهرين من وزارته ولما احتضر أوصى حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له الحمد لله الذى بلغنا من هذه الديار ما أردنا وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة ولا تفرطوا فى الاسطول ولما توفى تشوف الامراء الذين معه الى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الياروقى وشرف الدين المشطوب الهكارى وقطب الدين ينال بن حسان المنبجى

وشهاب الدين الحارمى وهو خال صلاح الدين وجمع كل لمغالبة صاحبه وكان أهل القصر وخواص الدولة قد تشاوروا وأشار جوهر باخلاء رتبة الوزارة واصطفاء ثلاثة آلاف من عسكر الغز يقودهم قراقوش ويعطى لهم الشرقية اقطاعا ينزلون بها حشدا دون الافرنج (بياض بالأصل) من يستبد على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العادة وأشار آخرون باقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له ومال القاضى لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحا الى صغر سنه وأنه لا يتوهم فيه من الاستبداد ما يتوهم فى غيره من أصحابه وأنهم فى سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه ولقبه الملك الناصر واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكارى شيعة له واستمالهم اليه الا الياروقى فانه امتنع وعاد الى نور الدين بالشأم وثبتت قدم صلاح الدين فى مصر وكان نائبا عن نور الدين ونور الدين يكاتبه بالامير الاسفهسلار ويجمعه فى الخطاب مع كافة الامراء بالديار المصرية ومازال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس وضعف أمر العاضد ثم أرسل يطلب اخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم اليه من الشأم واستقامت أموره واطردت سعادته والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة السودان بمصر)

كان بقصر العاضد خصى حاكم على أهل القصر يدعى مؤتمن الخلافة فلما غص أهل الدولة بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم وكاتب الافرنج يستدعيهم ليبرز صلاح الدين لمدافعتهم فيثور وا بمخلفه ثم يتبعونه وقد ناشب الافرنج فيأتون عليه وبعثوا الكتاب مع ذى طمرين حمله فى (بياض بالأصل) نعاله فاعترضه بعض التركمان واستلبه ورأوا النعال جديدة فاستراب بها فجاؤا به الى صلاح الدين فقرأ الكتاب ودخل على كاتبه فأخبره بحقيقة الامر فطوى ذلك وانتظر مؤتمن الخلافة حتى خرج الى بعض قراه متنزها وبعث من جاء برأسه ومنع الخصيين بالقصر عن ولاية أموره وقدم عليهم بهاء الدين قراقوش خصيا أبيض من خدمه وجعل اليه جميع الامور بالقصر وامتعض السودان بمصر لمؤتمن الخلافة واجتمعوا لحرب صلاح الدين وبلغوا خمسة آلاف وناجزوا عسكره من القصر فى ذى القعدة من السنة وبعث الى محالهم بالمنصورة من أحرقها على أهليهم واولادهم فلما سمعوا بذلك انهزموا وأخذهم السيف فى السكك فاستأمنوا وعبروا الى الجيزة فسار اليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين فى طائفة من العسكر فاستلحمهم وأبادهم والله أعلم

(منازلة الافرنج دمياط وفتح ايلة)

ولما استولى صلاح الدين على دولة مصر وقد كان الافرنج أسفوا على مافاتهم من صده وصدعمه عن مصر وتوقعوا الهلاك من استطالة نور الدين عليهم بملك مصر فبعثوا الرهبان والاقسة الى بلاد القرانية يدعونهم الى المدافعة عن بيت المقدس وكاتبوا الافرنج بصقلية والاندلس يستنجدونهم فنفروا واستعدوا الامدادهم واجتمع الذين بسواحل الشأم فى فاتح خمس وستين وثلثمائة وركبوا فى ألف من الاساطيل وأرسلوا لدمياط ليملكوها ويقربوا من مصر وكان صلاح الدين قد ولاها شمس الخواص منكبرس فبعث اليه بالخبر فجهز اليها بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز فى البر متتابعين وواصل المراكب بالاسلحة والاتاوات وخاطب نور الدين يستمده لدمياط لانه لا يقدر على المسير اليها خشية من أهل الدولة بمصر فبعث نور الدين اليها العساكر ارسالا ثم سار بنفسه وخالف الافرنج الى بلادهم بسواحل الشأم فاستباحها وخربها وبلغهم الخبر بذلك على دمياط وقد امتنعت عليهم ووقع فيهم الموتان فأقلعوا عنها لخمسين يوما من حصارها ورجع أهل سواحل الشأم الى بلادهم فوجدوها خرابا وكان جملة مابعثه نور الدين فى المدد لصلاح الدين فى شأن دمياط هذه ألف ألف دينار سوى الثياب والاسلحة وغيرها ثم أرسل صلاح الدين الى نور الدين فى منتصف السنة يستدعى منه أباه نجم الدين أيوب فجهزه اليه مع عسكر واجتمع معهم من التجار جماعة وخشى عليهم نور الدين فى طريقهم من الافرنج الذين بالكرك فسار الى الكرك وحاصرهم بها وجمع الافرنج الآخرون فصمد للقائهم فخاموا عنه وسار فى وسط بلادهم وسار الى عشيرا ووصل نجم الدين أيوب الى مصر وركب العاضد لتلقيه ثم سار صلاح الدين سنة ست وستين لغزو بلاد الافرنج وأغار على أعمال عسقلان والرملة ونهب ربط غزة ولقى ملك الافرنج فهزمه وعاد الى مصر ثم أنشأ مراكب وحملها مفصلة على الجمال الى أيلة فألفها وألقاها فى البحر وحاصر أيلة برا وبحرا وفتحها عنوة فى شهر ربيع من السنة واستباحها وعاد الى مصر فعزل قضاة الشيعة وأقام قاضيا شافعيا فيها وولى فى جميع البلاد كذلك ثم بعث أخاه شمس الدولة توران شاه الى الصعيد فأغار على العرب وكانوا قد عاثوا وأفسدوا فكفهم عن ذلك والله تعالى أعلم

(اقامة الخطبة العباسية بمصر)

ثم كتب نور الدين باقامة الخطبة للمستضىء العباسى وترك الخطبة للعاضد بمصر فاعتذر عن ذلك بميل أهل مصر للعلويين وفى باطن الامر خشى من نور الدين فلم يقبل نور الدين عذره فى ذلك ولم تسعه مخالفته وأحجم عن القيام بذلك وورد على صلاح الدين شخص من علماء الاعاجم يعرف بالخبشانى ويلقب بالامير العالم فلما رآهم

محجمين عن ذلك صعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطيب ودعا للمستضىء فلما كانت الجمعة القابلة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد والخطبة للمستضىء فتراسلوا بذلك ثانى جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة وكان المستضىء قد ولى الخلافة بعد أبيه المستنجد فى ربيع من السنة قبلها ولما خطب له بمصر كان العاضد مريضا فلم يشعروه بذلك وتوفى يوم عاشوراء من السنة ولما خطب له على منابر مصر جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصره ووكل به بهاء الدين قراقوش وكان فيه من الذخائر ما يعز وجوده مثل حبل الياقوت الذى وزن كل حصاة منه سبعة عشر مثقالا ومصاف الزمرذ الذى طوله أربعة أصابع طولا فى عرض ومثل طبل القولنج الذى يضرب به ضاربه فيعافى بذلك من داء القولنج وكسروه لما وجدوا ذلك منه فلما ذكرت لهم منفعته ندموا عليه ووجدوا من الكتب النفيسة ما لا يعد ونقل أهل العاضد الى بعض حجر القصر ووكل بهم وأخرج الاماء والعبيد وقسمهم بين البيع والهبة والعتق وكان العاضد لما اشتد مرضه استدعاه فلم يجب داعيه وظنها خديعة فلما توفى ندم وكان يصفه بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه والانقياد ولما وصل الخبر الى بغداد بالخطبة للمستضىء ضربت البشائر وزينت بغداد أياما وبعث الخلع لنور الدين وصلاح الدين مع صندل الخادم من خواص المقتفى فوصل الى نور الدين وبعث بخلعة صلاح الدين وخلع الخطباء بمصر والاعلام السود والله تعالى أعلم

(الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين)

قد كان تقدم لنا ذكر هذه الوحشة فى أخبار نور الدين مستوفاة وأن صلاح الدين غزا بلاد الافرنج سنة سبع وستين وحاصر حصن الشوبك على مرحلة من الكرك حتى استأمنوا اليه فبلغ ذلك نور الدين فاعتزم على قصد بلاد الافرنج من ناحية أخرى فارتاب صلاح الدين فى أمره وفى لقاء نور الدين واظهار طاعته وما ينشأ عن ذلك من تحكمه فيه فأسرع العود الى مصر واعتذر لنور الدين بشئ بلغه عن شيعة العلويين ليعتزله نور الدين وأخذ فى الاستعداد لعزله وبلغ ذلك صلاح الدين وأصحابه فتفاوضوا فى مدافعته ونهاهم أبوه نجم الدين أيوب وأشار بمكاتبته والتلطف له مخافة أن يبلغه غير ذلك فيقوى عزمه على العمل به ففعل ذلك صلاح الدين فسالمه نور الدين وعادت المخالطة بينهما كما كانت واتفقا على اجتماعهما لحصار الكرك فسار صلاح الدين لذلك سنة ثمان وستين وخرج نور الدين من دمشق بعد ان تجهز فلما انتهى الى الرقيم على مرحلتين من الكرك وبلغ صلاح الدين خبره ارتاب ثانيا وجاءه الخبر بمرض نجم الدين أبيه بمصر فكر راجعا وأرسل الى نور الدين الفقيه عيسى الهكارى بما وقع من حديث

المرض بأبيه وانه رجع من أجله فأظهر نور الدين القبول وعاد الى دمشق والله تعالى أعلم

(وفاة نجم الدين أيوب)

كان نجم الدين أيوب بعد انصراف ابنه صلاح الدين الى مصر أقام بدمشق عند نور الدين ثم بعث عنه ابنه صلاح الدين عندما استوسق له ملك مصر فجهزه نور الدين سنة خمس وستين فى عسكره وسار لحصار الكرك ليشغل الافرنج عن اعتراضه كما مرّ ذكره ووصل الى مصر وخرج العاضد لتلقيه وأقام مكرما ثم سار صلاح الدين الى الكرك سنة ثمان وستين المرّة الثانية فى مواعدة نور الدين وأقام نجم الدين بمصر وركب يوما فى مركب وسار ظاهر البلد والفرس فى غلواء مراحه وملاعبة ظله فسقط عنه وحمل وقيذا الى بيته فهلك لايام منها آخر ذى الحجة من السنة وكان خيرا جوادا محسنا للعلماء والفقراء وقد تقدم ذكر أوليته والله ولىّ التوفيق

(استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب)

كان قراقوش من موالى تقىّ الدين عمر بن شاه بن نجم الدين أيوب وهو ابن أخى صلاح الدين فغضب مولاه فى بعض النزعات وذهب مغاضبا الى المغرب ولحق بجبل نفوسه من ضواحى طرابلس الغرب وأقام هنالك دعوة مواليه وكان فى بسائط تلك الجبال مسعود ابن زمام المعروف بالبلط فى احيائه من رياح من عرب هلال بن عامر كان منحرفا عن طاعة عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة المهدى فيهم فانتبذ مسعود بقومه عن المغرب وافريقية الى تلك القاصية فدعاه قراقوش الى اظهار دعوة مواليه بنى أيوب فأجابه ونزل معه باحيائه على طرابلس فحاصرها قراقوش وافتتحها ونزل بأهله وعياله فى قصرها ثم استولى على قابس من ورائها وعلى توزر ونفطة وبلاد نفزاوة من افريقية وجمع أموال الجباية وجعل ذخيرته بمدينة قابس وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم ثم طمع فى الاستيلاء على جميع افريقية ووصل يده بيحيى بن غانية اللمتونى الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة من بقية الامراء فى دولتهم فكانت لهما بتلك الناحية آثار مذكورة فى أخبار دولة الموحدين الى أن غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد وقتله كما هو مذكور فى أخبارهم والله أعلم

(استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن)

كان صلاح الدين وقومه على كثرة ارتيابهم من نور الدين وظنهم به الظنون يحاولون ملك القاصية عن مصر ليمتنعوا بها ان طرقهم منه حادث أو عزم على المسير اليهم فى مصر

فصرفوا عزمهم فى ذلك الى بلاد النوبة أو بلاد اليمن وتجهز شمس الدولة توران شاه ابن أيوب وهو اخو صلاح الدين الاكبر الى ملك النوبة وسار اليها فى العساكر سنة ثمان وستين وحاصر قلعة من ثغورهم ففتحها واختبرها فلم يجد فيها خراجا ولا فى البلاد باسرها جباية وأقواتهم الذرة وهم فى شظف من العيش ومعاناة للفتن فاقتصر على ما فتحه من ثغورهم وعاد فى غنيمته بالعبدى والجوارى فلما وصل الى مصر أقام بها قليلا وبعثه صلاح الدين الى اليمن وقد كان غلب عليه على بن مهدى الخارجى سنة أربع وخمسين وصار أمره الى ابنه عبد النبى وكرسى ملكه زبيد منها وفى عدن ياسر بن بلال بقية ملوك بنى الزريع وكان عمارة اليمنى شاعر العبيدى وصاحب بنى زريك من أمرائهم وكان أصله من اليمن وكان فى خدمة شمس الدولة ويغريه به فسار اليه شمس الدولة بعد ان تجهز وأزاح العلل واستعدّ للمال والعيال وسار من مصر منتصف سنة تسع وستين ومرّ بمكة وانتهى الى زبيد وبها ملك اليمن عبد النبى بن على بن مهدى فبرز اليه وقاتله فانهزم وانحجر بالبلد وزحفت عساكر شمس الدولة فتسنموا أسوارها وملكوها عنوة واستباحوها وأسروا عبد النبى وزوجته وولى شمس الدولة على زبيد مبارك بن كامل ابن منقذ من أمراء شيزر كان فى جملته ودفع اليه عبد النبى ليستخلص منه الاموال فاستخرج من قرابته دفائن كانت فيها أموال جليلة ودلتهم زوجته الحرة على ودائع استولوا منها على أموال جمة وأقيمت الخطبة العباسية فى زبيد وسار شمس الدولة توران شاه الى عدن وبها ياسر بن بلال كان أبوه بلال بن جرير مستبدا بها على مواليه بنى الزريع وورثها عنه ابنه ياسر فسار ياسر للقائه فهزمه شمس الدولة وسارت عساكره الى البلد فملكوها وجاؤا بياسر أسيرا الى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبى معه فى الاعتقال واستولى على نواحيها وعاد الى زبيد ثم سار الى حصون الجبال فملك تعز وهى من أحصن القلاع وحصن التعكر والجند وغيرهما من المعاقل والحصون وولى على عدن عز الدولة عثمان بن الزنجيلى واتخذ زبيد سببا للملك ثم استوخمها وسار فى الجبال ومعه الاطباء يتخيرون مكانا صحيح الهواء للسكنى فوقع اختيارهم على تعز فاختط هنالك مدينة واتخذها كرسيا للملك وبقيت لبنيه ومواليهم بنى رسول كما نذكره فى أخبارهم والله تعالى ولىّ التوفيق

(واقعة عمارة ومقتله)

كان جماعة من شيعة العلويين بمصر منهم عمارة بن أبى الحسن اليمنى الشاعر وعبد الصمد الكاتب والقاضى العويدس وابن كامل وداعى الدعاة وجماعة من الجند وحاشية القصر اتفقوا على استدعاء الافرنج من صقلية وسواحل الشأم وبذلوا لهم

الاموال على أن يقصدوا مصر فان خرج صلاح الدين للقائهم بالعساكر ثار هؤلاء بالقاهرة وأعادوا الدولة العبيدية والافلا بد له ان أقام من بعث عساكره لمدافعة الافرنج فينفردون به ويقبضون عليه وواطأهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين وتحينوا لذلك غيبة أخيه توران شاه باليمن ووثقوا بأنفسهم وصدقوا توهماتهم ورتبوا وظائف الدولة وخططها وتنازع فى الوزارة بنو رزيك وبنو شاور وكان على ابن نجى الواعظ ممن داخلهم فى ذلك فأطلع صلاح الدين على الباطن اليهم ونمى الخبر الى صلاح الدين من عيونه ببلاد الافرنج فوضع على الرسول عنده عيونا جاؤه بحلية خبره فقبض حينئذ عليهم وقيل ان على بن نجى أنمى خبرهم الى القاضى فأوصله الى صلاح الدين ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم ومر عمارة ببيت القاضى وطلب لقاءه فلم يسعفه وأنشد البيت المشهور

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص هو العجب

ثم صلبوا جميعا ونودى فى شيعة العلويين بالخروج من ديار مصر الى الصعيد واحتيط على سلالة العاضد بالقصر وجاء الافرنج بعد ذلك من صقلية الى الاسكندرية كما يأتى خبره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(وصول الافرنج من صقلية الى الاسكندرية)

لما وصلت رسل هؤلاء الشيعة الى الافرنج بصقلية تجهزوا وبعثوا مراكبهم مائتى اسطول للمقاتلة فيها خمسون ألف راجل وألفان وخمسمائة فارس وثلاثون مركبا للخيول وستة مراكب لآلة الحرب وأربعون للازواد وتقدم عليهم ابن عم الملك صاحب صقلية ووصلوا الى ساحل الاسكندرية سنة سبعين وركب أهل البلد الاسوار وقاتلهم الافرنج ونصبوا الآلات عليها وطار الخبر الى صلاح الدين بمصر ووصلت الامراء الى الاسكندرية من كل جانب من نواحيها وخرجوا فى اليوم الثالث فقاتلوا الافرنج فظفروا عليهم ثم جاءهم البشير آخر النهار بمجىء صلاح الدين فاهتاجوا للحرب وخرجوا عند اختلاط الظلام فكبسوا الافرنج فى خيامهم بالسواحل وتبادروا الى ركوب البحر فتقسموا بين القتل والغرق ولم ينج الا القليل واعتصم منهم نحو من ثلثمائة برأس رابية هنالك الى أن أصبحوا فقتل بعضهم وأسر الباقون وأقلعوا بأساطيلهم راجعين والله تعالى أعلم

(واقعة كنز الدولة بالصعيد)

كان أمير العرب بنواحى اسوان يلقب كنز الدولة وكان شيعة للعلوية بمصر وطالت

أيامه واشتهر ولما ملك صلاح الدين قسم الصعيد اقطاعا بين أمرائه وكان أخو أبى الهيجاء السمين من أمرائه واقطاعه فى نواحيهم فعصى كنز الدولة سنة سبعين واجتمع اليه العرب والسودان وهجم على أخى أبى الهيجاء السمين فى اقطاعه فقتله وكان أبو الهيجاء من أكابر الامراء فبعثه صلاح الدين لقتال الكنز وبعث معه جماعة من الامراء والتف له الجند فساروا الى اسوان ومروا بصدد فحاصروا بها جماعة وظفروا بهم فاستلحموهم ثم ساروا الى الكنز فقاتلوه وهزموه وقتل واستلحم جميع أصحابه وأمنت بلاد اسوان والصعيد والله تعالى ولى التوفيق

(استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين)

كان صلاح الدين كما قدمناه قائما فى مصر بطاعة العادل نور الدين محمود بن زنكى ولما توفى سنة تسع وستين ونصب ابنه الصالح اسمعيل فى كفالة شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وبعث اليه صلاح الدين بطاعته ونقم عليهم انهم لم يردوا الامر اليه وسار غازى صاحب الموصل بن قطب الدين مودود بن زنكى الى بلاد نور الدين التى بالجزيرة وهى نصيبين والخابور وحران والرها والرقة فملكها ونقم عليه صلاح الدين أنهم لم يخبروه حتى يدافعه عن بلادهم وكان الخادم سعد الدين كمشتكين الذى ولاه نور الدين قلعة الموصل وأمر سيف الدين غازى بطاعته بأمور قد لحق عند وفاة نور الدين بحلب وأقام بها عند شمس الدين على بن الداية المستبد بها بعد نور الدين فبعثه ابن الداية الى دمشق فى عسكر ليجىء بالملك الصالح الى حلب لمدافعة سيف الدين غازى فنكروه أولا وطردوه ثم رجعوا الى هذا الرأى وبعثوا عنه فسار مع الملك الصالح الى حلب وحين دخوله قبض على ابن الداية وعلى مقدمى حلب واستبد بكفالة الصالح فخاف الامراء بدمشق وبعثوا الى سيف الدين غازى ليملكوه فظنها مكيدة من ابن عمه وامتنع عليهم وصالح ابن عمه على ما أخذ من البلاد فبعث أمراء دمشق الى صلاح الدين وتولى كبر ذلك ابن المقدم فبادر الى الشام وملك بصرى ثم سار الى دمشق فدخلها فى منسلخ ربيع سنة سبعين وخمسمائة ونزل دار أبيه المعروفة بالعفيفى وبعث القاضى كمال الدين ابن الشهرزورى الى ريحان الخادم بالقلعة انه على طاعة الملك الصالح وفى خدمته وما جاء الا لنصرته فسلم اليه القلعة وملكها واستخلف على دمشق أخاه سيف الاسلام طغركين وسار الى حمص وبها وال من قبل الامير مسعود الزعفرانى وكانت من أعماله فقاتلها وملكها وجمر عسكرا لقتال قلعتها وسار الى حماة مظهرا لطاعة الملك الصالح وارتجاع ما أخذ من بلاده بالجزيرة وبعث بذلك الى صاحب

قلعتها خرديك واستخلفه وسار الى الملك الصالح ليجمع الكلمة ويطابق أولاد الداية واستخلف على قلعة حماة أخاه ولما وصل الى حلب حبسه كمشتكين الخادم ووصل الخبر الى أخيه بقلعة حماة فسلمها لصلاح الدين وسار الى حلب فحاصرها ثالث جمادى الاخيرة واستمات أهلها فى المدافعة عن الصالح وكان بحلب سمند صاحب طرابلس من الافرنج محبوسا منذ أسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين فأطلقه كمشتكين على مال وأسرى بيده وتوفى نور الدين أول السنة وخلف ابنا مجذوما فكفله سمند واستولى على ملكهم فلما حاصر صلاح الدين حلب بعث كمشتكين الى سمند يستنجده فسار الى حمص ونزلها فسار اليه صلاح الدين وترك حلب وسمع الافرنج بمسيره فرحلوا عن حمص ووصل هو اليها عاشر رجب فحاصر قلعتها وملكها آخر شعبان من السنة ثم سار الى بعلبك وبها يمن الخادم من أيام نور الدين فحاصره حتى استأمن اليه وملكها رابع رمضان من السنة وصار بيده من الشأم دمشق وحماة وبعلبك ولما استولى صلاح الدين على هذه البلاد من أعمال الملك الصالح كتب الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازى صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فأنجده بعساكره مع أخيه عز الدين مسعود وصاحب جيشه عز الدين زلقندار وسارت معهم عساكر حلب وساروا جميعا لمحاربة صلاح الدين وبعث صلاح الدين الى سيف الدين غازى أن يسلم لهم حمص وحماة ويبقى بدمشق نائبا عن الصالح فأبى الا ارتجاعها فسار صلاح الدين الى العساكر ولقيهم آخر رمضان بنواحى حماة فهزمهم وغنم ما معهم واتبعهم الى حلب وحاصرها وقطع خطبة الصالح ثم صالحوه على ما بيده من الشأم فأجابهم ورحل عن حلب لعشرين من شوال وعاد الى حماة وكان فخر الدين مسعود بن الزعفرانى من الامراء النورية وكانت ماردين من أعماله مع حمص وحماة وسلمية وتل خالد والرها فلما ملك أقطاعه هذه اتصل به فلم ير نفسه عنده كما ظن ففارقه فلما عاد صلاح الدين من حصار حلب الى حماة سار الى بعوص واستأمن اليه واليها فملكها وعاد الى حماة فأقطعها خاله شهاب الدين محمود وأقطع حمص ناصر الدولة بن شيركوه وأقطع بعلبك شمس الدين ابن المقدم ودمشق الى عماد والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

{واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب}
{الموصل وما ملك من الشأم بعد انهزامهما}

ثم سار سيف الدين غازى صاحب الموصل فى سنة احدى وسبعين بعد انهزام أخيه وعساكره واستقدم صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار فى ستة آلاف فارس وانتهى

الى

الى نصيبين فى ربيع من السنة فشتى بها حتى ضجرت العساكر من طول المقام وسار الى حلب فخرجت اليه عساكر الملك الصالح مع كمشتكين الخادم وسار صلاح الدين من دمشق للقائهم فلقيهم قبل السلطان فهزمهم واتبعهم الى حلب وعبر سيف الدين الفرات منهزما الى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب واستولى صلاح الدين على مخلفهم وسار الى مراغة فملكها وولى عليها ثم الى منبج وبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى وكان حنقا عليه لقبح آثاره فى عداوته فلحق بالموصل وولاه غازى مدينة الرقة ثم سار صلاح الدين الى قلعة عزاز فحاصرها أوائل ذى القعدة من السنة أربعين يوما وشدد حصارها فاستأمنوا اليه فملكها ثانى الاضحى من السنة ووثب عليه فى بعض أيام حصارها باطنى من الفداوية فضربه وكان مسلحا فأمسك يد الفداوى حتى قتل وقتل جماعة كانوا معه لذلك ورحل صلاح الدين بعد الاستيلاء على قلعة عزاز الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واعصوصب عليه أهل البلد واستماتوا فى المدافعة عنه ثم ترددت الرسل فى الصلح بينهما وبين صاحب الموصل وكيفا وصاحب ماردين فانعقد بينهم فى محرم سنة ثنتين وسبعين وعاد صلاح الدين الى دمشق بعد أن رد قلعة عزاز الى الملك الصالح بوسيلة أخته الصغيرة خرجت الى صلاح الدين زائرة فاستوهبته قلعة عزاز فوهبها لها والله تعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى بلاد الاسماعيلية)

ولما رحل صلاح الدين عن حلب وقد وقع من الاسماعيلية على حصن عزاز ما وقع قصد بلادهم فى محرم سنة ثنتين وسبعين ونهبها وخربها وحاصر قلعة مصياف ونصب عليها المجانيق وبعث سنان مقدم الاسماعيلية بالشأم الى شهاب الدين الحارمى خال صلاح الدين بحماة يسأله الشفاعة فيهم ويتوعده بالقتل فشفع فيهم وأرحل العساكر عنهم وقدم عليه أخوه توران شاه من اليمن بعد فتحه واظهار دعوتهم فيه وولى على مدنه وامصاره فاستخلفه صلاح الدين على دمشق وسار الى مصر لطول عهده بها أبو الحسن ابن سنان بن عثمان بن محمد ولما وصل اليها أمر بادارة سور على مصر القاهرة والقلعة التى بالجبل دوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع بالهاشمى واتصل العمل فيه الى أن مات صلاح الدين وكان متولى النظر فيه مولاه قراقوش والله تعالى ولى التوفيق بمنه

(غزوات بين المسلمين والافرنج)

كان شمس الدين محمد بن المقدم صاحب بعلبك وأغار جمع من الافرنج على البقاع من

أعمال حلب فسار اليهم وأكمن لهم فى الغياض حتى نال منهم وفتك فيهم وبعث الى صلاح الدين بمائتى أسير منهم وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن فبلغه أن جمعا من الافرنج أغاروا على أعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم بالمروج فلم يثبت وهزموه وأسر سيف الدين أبو بكر بن السلار من أعيان الجند بدمشق وتجاسر الافرنج على تلك الولاية ثم اعتزم صلاح الدين على غزو بلاد الافرنج فبعثوا فى الهدنة وأجابهم اليها وعقدها لهم والله تعالى ولى التوفيق

(هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الافرنج)

ثم سار صلاح الدين من مصر فى جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى ساحل الشأم لغزو بلاد الافرنج وانتهى الى عسقلان فاكتسح أعمالها ولم يروا للافرنج خبرا فانساحوا فى البلاد وانقلبوا الى الرملة فاراعهم الا الافرنج مقبلين فى جموعهم وابطالهم وقد افترق أصحاب صلاح الدين فى السرايا فثبت فى موقفه واشتد القتال وأبلى يومئذ محمد ابن أخيه فى المدافعة عنه وقتل من أصحابه جماعة وكان لتقى الدين بن شاهنشاه ابن اسمه أحمد متكامل الخلال لم يطر شاربه فابلى يومئذ واستشهد وتمت الهزيمة على المسلمين وكان بعض الافرنج تخلصوا الى صلاح الدين فقتل بين يديه وعاد منهزما واسر الفقيه عيسى الهكارى بعد ان أبلى يومئذ بلاء شديدا وسار صلاح الدين حتى غشيه الليل ثم دخل البرية فى فل قليل الى مصر ولحقهم الجهد والعطش ودخل الى القاهرة منتصف جمادى الاخيرة قال ابن الاثير ورأيت كتابا الى أخيه توران شاه بدمشق يذكر الواقعة

ذكرتك والخطى يخطر بيننا * وقد نهلت فينا المثقفة السمر

ومن فصوله لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة ما نجانا الله سبحانه منه الا لأمر يريده وما ثبتت الا وفى نفسها أمر انتهى وأما السرايا التى دخلت بلاد الافرنج فتقسمهم القتل والاسر وأما الفقيه عيسى الهكارى فلما ولى منهزما ومعه أخوه الظهير ضل عن الطريق ومعهما جماعة من أصحابهما فأسروا وفداه صلاح الدين بعد ذلك بستين ألف دينار والله تعالى أعلم

(حصار الافرنج مدينة حماة)

ثم وصل فى جمادى الاولى الى ساحل الشأم زعيم من طواغيت الافرنج وقارن وصوله هزيمة صلاح الدين وعاد الى دمشق يومئذ توران شاه بن أيوب فى قلة من العسكر وهو مع ذلك منهمك فى لذاته فسار ذلك الزعيم بعد ان جمع فرنج الشأم وبذل لهم العطاء فحاصر مدينة حماة وبها شهاب الدين محمود الحارمى خال صلاح الدين مريضا وشد

حصارها وقتالها حتى أشرف على أخذها وهجموا يوما على البلد وملكوا ناحية منه فدافعهم المسلمون وأخرجوهم ومنعوا حماة منهم فافرجوا عنها بعد أربعة أيام وساروا الى حارم فحاصروها ولما رحلوا عن حماة مات شهاب الدين الحارمى ولم يزل الافرنج على حارم يحاصرونها وأطمعهم فيها ما كان من نكبة الصالح صاحب حلب لكمشتكين الخادم كافل دولته ثم صانعهم بالمال فرحلوا عنها ثم عاد الافرنج الى مدينة حماه فى ربيع سنة أربع وسبعين فعاثوا فى نواحيها واكتسحوا أعمالها وخرج العسكر حامية البلد اليهم فهزموهم واستردوا ما أخذوا من السواد وبعثوا بالرؤس والاسرى الى صلاح الدين وهو بظاهر حمص منقلبا من الشأم فأمر بقتل الاسرى والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض ابن المقدم ببعلبك وفتحها)

كان صلاح الدين لما ملك بعلبك استخلف فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم جزاء بما فعله فى تسليم دمشق وكان شمس الدولة محمد أخو صلاح الدين ناشئا فى ظل أخيه وكفالته فكان يميل اليه وطلب منه أقطاع بعلبك فأمر ابن المقدم بتمكينه منها فأبى وذكره عهده فى أمر دمشق فسار ابن المقدم الى بعلبك وامتنع فيها ونازلته العساكر فامتنع وطاولوه حتى بعث الى صلاح الدين يطلب العوض فعوضه عنها وسار أخوه شمس الدين اليها فملكها والله تعالى ولى التوفيق

(وقائع مع الافرنج)

وفى سنة أربع وسبعين سار ملك الافرنج فى عسكر عظيم فاغار على أعمال دمشق واكتسحها وأثخن فيها قتلا وسبيا وأرسل صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه فى العساكر لمدافعته فسار يطلبهم ولقيهم على غير استعداد فقاتل أشد القتال ونصر الله المسلمين وقتل جماعة من زعماء الافرنج منهم هنفرى وكان يضرب به المثل ثم أغار البرنس صاحب انطاكية واللاذقية على مرج المسلمين بشيزر وكان صلاح الدين على بانياس لتخريب حصن الافرنج بمخاضة الاضرار فبعث تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وناصر الدين محمد الى حمص لحماية البلد من العدو كما نذكره ان شاء الله تعالى

(تخريب حصن الافرنج)

كان الافرنج قد اتخذوا حصنا منيعا بقرب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام ويسمى مكانه مخاضة الاضرار فسار صلاح الدين من دمشق الى بانياس سنة خمس وسبعين وأقام بها وبث فيها الغارات على بلادهم ثم سار الى الحصن فحاصره ليختبره وعاد عنه الى اجتماع العساكر وبث السرايا فى بلاد الافرنج للغارة وجاء ملك الافرنج للغارة

على سريته ومعه جماعة من عساكره فبعثوا الى صلاح الدين بالخبر فوافاهم وهم يقتتلون فهزم الافرنج وأثخن فيهم ونجا ملكهم فى فل وأسر صاحب الرملة ونابلس منهم وكان رديف ملكهم وأسر أخوه صاحب جبيل وطبرية ومقدم الفداوية ومقدم الاسابارية وغيرهم من طواغيتهم وفادى صاحب الرملة نفسه وهو ارتيرزان بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير من المسلمين وأبلى فى هذا اليوم عز الدين فرخشاه ابن أخى صلاح الدين بلاء حسنا ثم عاد صلاح الدين الى بانياس وبث السرايا فى بلاد الافرنج وسار لحصار الحصن فقاتله قتالا شديدا وتسنم المسلمون سوره حتى ملكوا برجا منه وكان مدد الافرنج بطبرية والمسلمون يرتقبون وصولهم فأصبحوا من الغد ونقبوا السور وأضرموا فيه النار فسقط وملك المسلمون الحصن عنوة آخر ربيع سنة خمس وسبعين وأسروا كل من فيه وأمر صلاح الدين بهدم الحصن فالحق بالارض وبلغ الخبر الى الافرنج وهم مجتمعون بطبرية لامداده فافترقوا وانهزم الافرنج والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفتنة بين صلاح الدين وقليج ارسلان صاحب الروم)

كان حصن رعبان من شمالى حلب قد ملكه نور الدين العادل بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وهو بيد شمس الدين ابن المقدم فلما انقطع حصن رعبان عن ايالة صلاح الدين وراء حلب طمع قليج ارسلان فى استرجاعه فبعث اليه عسكرا يحاصرونه وبعث صلاح الدين تقى الدين ابن أخيه فى عسكر لمدافعتهم فلقيهم وهزمهم وعاد الى عمه صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاضرار وكان نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وآمد وغيرهما من ديار بكر قد فسد ما بينه وبين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم بسبب اضراره بينته وزواجه عليها واعتزم قليج ارسلان على حربه وأخذ بلاده فاستنجد نور الدين بصلاح الدين وبعث الى قليج ارسلان يشفع فى شأنه فطلب استرجاع حصونه التى أعطاها لنور الدين عند المصاهرة ولج فى ذلك صلاح الدين على قليج وسار الى رعبان ومر بحلب فتركها ذات الشمال وسلك على تل باشر ولما انتهى الى رعبان جاءه نور الدين محمود وأقام عنده وارسل اليه قليج ارسلان يصف فعل نور الدين واضراره بينته فلما أدى الرسول رسالته امتعض صلاح الدين وتوعدهم بالمسير الى بلده فتركه الرسول حتى سكن وغدا عليه فطلب الخلوة وتلطف له فى فسخ ما هو فيه من ترك الغزو ونفقة الاموال فى هذا الغرض الحقير وان بنت قليج ارسلان يجب على مثلك من الملوك الامتعاض لها ولا تترك لضارة من دونها فعلم صلاح الدين الحق فيما قاله وقال للرسول ان نور الدين استند الى فعلك فاصلح الامر بينهما وأنا معين على ما تحبونه

جمعا ففعل الرسول ذلك وأصلح بينهما وعاد صلاح الدين الى الشأم ونور الدين محمود الى ديار بكر وطلق ضرة بنت قليج ارسلان للاجل الذى أجله للرسول والله تعالى أعلم

(مسير صلاح الدين الى بلاد ابن اليون)

كان قليج بن اليون من ملوك الارض صاحب الدروب المجاورة لحلب وكان نور الدين محمود قد استخدمه وأقطع له فى الشأم وكان يعسكر معه وكان جريأ على صاحب القسطنطينية وملك واذنة والمصيصة وطرسوس من يد الروم وكانت بينهما من أجل ذلك حروب ولما توفى نور الدين وانقضت دولته أقام ابن اليون فى بلاده وكان التركمان يحتاجون الى رعى مواشيهم بارضه على حصانتها وصعوبة مضايقها وكان يأذن لهم فيدخلونها وغدر بهم فى بعض السنين واستباحهم واستاق مواشيهم وبلغ الخبر الى صلاح الدين منصرفه من رعبان فقصد بلده ونزل النهر الاسود وبث الغارات فى بلادهم واكتسحها وكان لابن اليون حصن وفيه ذخيرته فخشى عليه فقصد تخريبه وسابقه اليه صلاح الدين فغنم ما فيه وبعث اليه ابن اليون برد ما أخذ من التركمان واطلاق أسراهم على الصلح والرجوع عنه فاجابه الى ذلك وعاد عنه فى منتصف سنة خمس وسبعين والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(غزوة صلاح الدين الى الكرك)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من مردة الافرنج وشياطينهم وهو الذى اختط مدينة الكرك وقلعتها ولم تكن هنالك واعتزم على غزو المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسمع عز الدين فرخشاه بذلك وهو بدمشق فجمع وسار الى الكرك سنة سبع وسبعين واكتسح نواحيه وأقام ليشغله عن ذلك الغرض حتى انقطع أمله وعاد الى الكرك فعاد فرخشاه الى دمشق والله تعالى أعلم بغيبه

(مسير سيف الاسلام طغركين بن أيوب الى اليمن واستيلاؤه عليها)

قد كان تقدم انما فتح شمس الدولة توران شاه لليمن واستيلاؤه عليه سنة ثمان وستين وأنه ولى على زبيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزر وعلى عدن عز الدولة عثمان الزنجيلي واختط مدينة تعز فى بلاد اليمن واتخذها كرسيا للملك ثم عاد الى أخيه سنة اثنتين وسبعين وأدركه منصرفا من حصار حلب فولاه على دمشق وسار الى مصر ثم ولاه أخوه صلاح الدين بعد ذلك مدينة الاسكندرية وأقطعه اياها مضافة الى أعمال اليمن وكانت الاموال تحمل اليه من زبيد وعدن وسائر ولايات اليمن ومع ذلك فكان عليه دين قريب من مائتى ألف دينار مصرية وتوفى سنة ست وسبعين فتقاضاها عنه

صلاح الدين ولما بلغه خبر وفاته سار الى مصر واستخلف على دمشق عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه وكان سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ الكنانى نائبه بزبيد قد تغلب فى ولايته وتحكم فى الاموال فنزع الى وطنه واستأذن شمس الدولة قبل موته فأذن له فى المجىء واستأذن أخاه عطاف بن زبيد وأقام مع شمس الدولة حتى اذا مات بقى فى خدمة صلاح الدين وكان محتشدا فسعى فيه عنده أنه احتجر أموال اليمن ولم يعرض له فتحيل اعداؤه عليه وكان ينزل بالعدوية قرب مصر فصنع فى بعض الايام صنيعا دعى اليه أعيان الدولة واختلف مواليه وخدامه الى مصر فى شراء حاجتهم فتحيلوا لصلاح الدين انه هارب الى اليمن فتمت حيلتهم فقبض عليه ثم ضاق عليه الحال وصابره على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما أعطى لاهل الدولة فأطلقه وأعاده الى منزلته فلما بلغ شمس الدين الى اليمن اختلف نوابه بها حطان بن منقذ وعثمان بن الزنجيلى وخشى صلاح الدين أن تخرج اليمن عن طاعته فجهز جماعة من امرائه الى اليمن مع صارم الدين قطلغ أبيه والى مصر من أمرائه فساروا الذلك سنة سبع وسبعين واستولى قطلغ أبيه على زبيد من حطان بن منقذ ثم مات قريبا فعاد حطان الى زبيد وأطاعه الناس وقوى على عثمان الزنجيلى فكتب عثمان الى صلاح الدين أن يبعث بعض قرابته فجهز صلاح الدين أخاه سيف الاسلام طغركين فسار الى اليمن وخرج حطان بن منقذ من زبيد وتحصن فى بعض القلاع ونزل سيف الاسلام زبيد وبعث الى حطان بالامان فنزل اليه وأولاه الاحسان ثم طلب اللحاق بالشأم فمنعه ثم الح عليه فأذن له حتى اذا خرج واحتمل رواحله وجاء ليودعه قبض عليه واستولى على مامعه ثم حبسه فى بعض القلاع فكان آخر العهد به ويقال كان فيما أخذه سبعون حملا من الذهب ولما سمع عثمان الزنجيلى خبر حطان خشى على نفسه وحمل أمواله فى البحر ولحق بالشام وبقيت مراكبه مراكب لسيف الاسلام فاستولى عليها ولم يخلص الا بما كان معه فى طريقه وصفا اليمن لسيف الاسلام والله تعالى أعلم

{ دخول قلعة البيرة فى ايالة صلاح الدين وغزوه الافرنج
وفتح بعض حصونهم مثل السقيف والغرر وبيروت }

كانت قلعة البيرة من قلاع العراق لشهاب الدين بن ارتق وهو ابن عم قطب الدين أبى الغازى بن ارتق صاحب ماردين وكان فى طاعة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشأم ثم مات وملك البيرة بعده ابنه ومات نور الدين فصار الى طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم وقع بين صاحب ماردين وصاحب الموصل من المخالصة والاتفاق ماوقع وطلب من عز الدين أن يأذن له فى أخذ البيرة فأذن له فسار قطب الدين فى عسكره

الى

الى قلعة شميشاط وأقام بها وبعث العسكر الى البيرة وحاصروها وبعث صاحبها يستنجد صلاح الدين ويكون له كما كان أبوه لنور الدين فشفع صلاح الدين الى قطب الدين صاحب ماردين ولم يشفعه وشغل عنه بأمر الافرنج ورحلت عساكر قطب الدين عنها فرجع صاحبها الى صلاح الدين وأعطاه طاعته وعاد فى ايالته ثم خرج صلاح الدين من مصر فى محرم سنة ثمان وسبعين قاصدا الشأم ومر بايلة وجمع الافرنج لاعتراضه فبعث أثقاله مع أخيه تاج الملوك الى دمشق ومال على بلادهم فاكتسح نواحى الكرك والشوبك وعاد الى دمشق منتصف صفر وكان الافرنج لما اجتمعوا على الكرك دخلوا بلادهم من نواحى الشأم فخالفهم عز الدين فرخشاه نائب دمشق اليها واكتسح نواحيها وخرب قراها وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفتح السقيف من حصونهم عنوة وكان له نكاية فى المسلمين فبعث الى صلاح الدين بفتحه فسر بذلك ثم أراح صلاح الدين بدمشق أياما وسار فى ربيع الاول من السنة وقصد طبرية وخيم بالاردن واجتمعت الافرنج على طبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فملكها عنوة واستباحها وأغار على الغور فأثخن فيها قتلا وسبيا وسار الافرنج من طبرية الى جبل كوكب وتقدم صلاح الدين اليهم بعساكره فتحصنوا بالجبل فأمر ابنى أخيه تقى الدين عمر وعز الدين فرخشاه ابنى شاهنشاه فقاتلوا الافرنج قتالا شديدا ثم تحاجزوا وعاد صلاح الدين الى دمشق ثم سار الى بيروت فاكتسح نواحيها وكان قد استدعى الاسطول من مصر لحصارها فوافاه بها وحاصرها أياما ثم بلغه ان البحر قد قذف بدمياط مركبا للافرنج فيه جماعة منهم جاؤا لزيارة القدس فالقتهم الريح بدمياط وأسر منهم ألف وستمائة أسير ثم ارتحل عن بيروت الى الجزيرة كما نذكره ان شاء الله تعالى

{ مسير صلاح الدين الى الجزيرة واستيلاؤه على حران
والرها والرقة والخابور ونصيبين وسنجار وحصار الموصل }

كان مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كجك الذى كان أبوه نائب القلعة بالموصل مستوليا فى دولة مودود وبنيه وانتقل آخرا الى اربل ومات بها وأقطعه عز الدين صاحب الموصل ابنه مظفر الدين وكان هواه مع صلاح الدين ويؤمله لملكه بلاد الجزيرة فراسله وهو محاصر لبيروت وأطمعه فى البلاد واستحثه للوصول فسار صلاح الدين عن بيروت موريا بحلب وقصد الفرات ولقيه مظفر الدين وساروا الى البيرة وقد دخل طاعة عز الدين وكان عز الدين صاحب الموصل ومجاهد الدين لما بلغهما مسير صلاح الدين الى الشأم ظنوا أنه يريد حلب فسار والمدافعته فلما عبر الفرات عادوا الى الموصل وبعثوا حاميه الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك الاطراف بديار بكر وغيرها

بالوعد والمقاربة ووعد نور الدين محمودا صاحب كيفا أنه يملكه آمد ووصل اليه فساروا الى مدينة الرها فحاصروها وبها يومئذ الامير فخر الدين بن مسعود الزعفرانى واشتد عليه القتال فاستأمن الى صلاح الدين وملكه المدينة وحاصر معه القلعة حتى سلمها النائب الذى بها على مال شرطه فأضافها صلاح الدين الى مظفر الدين مع حران وساروا الى الرقة وبها نائبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجى ففارقها الى الموصل وملكها صلاح الدين ثم سار الى قرقيسيا وماسكين وعربان وهى بلاد الخابور فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وحاصر القلعة أياما ثم ملكها وأقطعها للامير أبى الهيجاء السمين ثم رحل عنها ونور الدين صاحب كيفا معه معتزما على قصد الموصل وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على نواحى دمشق واكتسحوا قراها وأرادوا تخريب جامع داريا فتوعدهم نائب دمشق بتخريب بيعهم وكنائسهم فتركوه فلم يثن ذلك من عزمه وقصد الموصل وقد جمع صاحبها العساكر واستعد للحصار وخلى نائبه فى الاستعداد وبعث الى سنجار واربل وجزيرة ابن عمر فشحنها بالامداد من الرجال والسلاح والاموال وأنزل صاحب الدار عساكره بقربها وتقدم هو ومظفر الدين وابن شيركوه فهالهم استعداد صاحب البلد وأيقنوا بامتناعه وعذل صاحبيه هذين فانهما كانا أشارا بالبداءة بالموصل ثم أصبح صلاح الدين من الغد فى عسكره ونزل عليه أول رجب على باب كندة وأنزل صاحب الحصن باب الجسر وأخاه تاج الملوك بالباب العمادى وقاتلهم فلم يظفر وخرج بعض الرجال فنالوا منه ونصب منجنيقا فنصبوا عليه من البلد تسعة ثم خرجوا اليه من البلد فأخذوه بعد قتال كثير وخشى صلاح الدين من البيات فتأخر لانه رآهم فى بعض الليالى يخرجون من باب الجسر بالمشاعل ويرجعون وكان صدر الدين شيخ الشيوخ ومشير الخادم قد وصلا من عند الخليفة الناصر فى الصلح وترددت الرسل بينهم فطلب عز الدين من صلاح الدين رد ما أخذه من بلادهم فأجاب على أن يمكنوه من حلب فامتنع فرجع الى ترك مظاهرة صاحبها فامتنع أيضا ثم وصلت أيضا رسل صاحب اذربيجان ورسل شاهرين صاحب خلاط فى الصلح فلم يتم وسار أهل سنجار يعترضون من يقصده من عساكره وأصحابه فأفرج عن الموصل وسار اليها وبها شرف الدين أمير أميران هندو أخو عز الدين صاحب الموصل فى عسكر وبعث اليه مجاهد الدين النائب بعسكر آخر مددا وحاصرها صلاح الدين وضيق عليها واستمال بعض أمراء الاكراد الذين بها من الزوزاوية فواعده من ناحيته وطرقه صلاح الدين فملكه البرج الذى فى ناحيته فاستأمن أمير أميران وخرج بعسكره معه الى الموصل وملك صلاح الدين سنجار وولى عليها سعد الدين

ابن

ابن معين الذى كان أبوه كامل بن طغركين بدمشق وصارت سنجار من سائر البلاد التى ملكها من الجزيرة وسار صلاح الدين الى نصيبين فشكا اليه أهلها من أبى الهيجاء السمين فعزله عنهم واستصحبه معه وسار الى حران فى ذى القعدة من سنة ثمان وسبعين وفرق عساكره ليستريحوا وأقام فى خواصه وكبار أصحابه والله أعلم

(مسير شاهرين صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل)

كان عز الدين قد أرسل الى شاهرين يستنجده على صلاح الدين فبعث اليه عدة رسل شافعا فى أمره فلم يشفعه وغالطه فبعث اليه مولاه آخر اسيف الدين بكتمر وهو على سنجار يسأله فى الافراج عنها فلم يجبه الى ذلك وسوفه رجاء أن يفتحها فأبلغه بكتمر الوعيد عن مولاه وفارقه مغاضبا ولم يقبل صلته وأغراه بصلاح الدين فسار شاهرين من مخيمه بظاهر خلاط الى ماردين وصاحبها يومئذ ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته وهو قطب الدين بن نجم الدين وسار اليهم أتابك عز الدين صاحب الموصل وكان صلاح الدين فى حران منصرفه من سنجار وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم استدعى تقى الدين ابن أخيه شاهنشاه من حماة ورحل الى رأس عين فافترق القوم وعاد كل الى بلده وقصد صلاح الدين ماردين فأقام عليها عدة أيام ورجع والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(واقعة الافرنج فى بحر السويس)

كان البرنس ارناط صاحب الكرك قد أنشأ اسطولا مفصلا وحمل أجزاءه الى صاحب ايلة وركبه على ما تقتضيه صناعة النشابة وقذفه فى السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا فى البحر ففرقة أقاموا على حصن ايلة يحاصرونه وفرقة ساروا نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار وطرق الناس منهم بلية لم يعرفوها لانه لم يعهد ببحر السويس افرنجى محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وشحنه بالمقاتلة وسار به حسام الدين لؤلؤ الحاجب قائد الاساطيل بديار مصر فبدأ باسطول الافرنج الذى يحاصر ايلة ففرقهم كل ممزق وبعد الظفر بهم اقلع فى طلب الآخرين وانتهى الى عيذاب فلم يجدهم فرجع الى رابغ وأدركهم بساحل الحوراء وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاغارة على الحاج فلما أطل عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وترامو على الحوراء وأسنموا اليها واعتصموا بشعابها ونزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خيل الاعراب هنالك وقاتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم

الى سنى فقتلوا بها أيام النحر وعاد بالباقين الى مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء

(وفاة فرخشاه)

ثم توفى عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه أخو صلاح الدين النائب عنه بدمشق وكان خليفته فى أهله ووثوقه به أكثر من جميع أصحابه وخرج من دمشق غازيا الافرنج وطرقه المرض وعاد فتوفى فى جمادى سنة ثمان وسبعين وبلغ خبره صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الجزيرة والموصل فأعاد شمس الدين محمد بن المقدم الى دمشق وجعله نائبا فيها واستقل شأنه والله تعالى يورث الملك لمن يشاء من عباده

(استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا)

بياض بالاصل

قد تقدم لنا مسير صلاح الدين الى ماردين واقامته عليها أياما من نواحيها ثم ارتحل عنها الى آمد كما كان العهد بينه وبين نور الدين صاحب كيفا فنازلها منتصف ذى الحجة وبها بهاء الدين بن بيسان فحاصرها وكانت غاية فى المنعة وأساء ابن بيسان التدبير وقبض يده عن العطاء وكان أهلها قد ضجروا منه لسوء سيرته وتضييقه عليهم فى مكاسبهم وكتب اليهم صلاح الدين بالترغيب والترهيب فتخاذلوا عن ابن بيسان وتركوا القتال معه ونقب السور من خارج بيت ابن بيسان وأخرج نساءه مع القاضى الفاضل يستميل اليه صلاح الدين ويؤجله ثلاثة أيام للترحله فأجابه صلاح الدين وملك البلد فى عاشوراء سنة تسع وسبعين وبنى خيمة بظاهر البلد ينقل اليها ذخيرته فلم يلتفت الناس اليه وتعذر عليه أمره فبعث الى صلاح الدين يسأله الاعانة فأمر له بالدواب والرجال فنقل فى الايام الثلاثة كثيرا من موجوده ومنع بعد انقضاء الاجل عن نقل ما بقى ولما ملكها صلاح الدين سلمها لنور الدين صاحب كيفا وأخبر صلاح الدين بما فيها من الذخائر لينقلها لنفسه فأبى وقال ما كنت لاعطى الاصل وأبخل بالفرع ودخل نور الدين البلد ودعا صلاح الدين وأمراءه الى صنيع صنعه لهم وقدم لهم من التحف والهدايا ما يليق بهم وعاد صلاح الدين والله تعالى أعلم

(استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعنتاب)

ولما فرغ صلاح الدين من آمد سار الى أعمال حلب فحاصر تل خالد ونصب عليه المجانيق حتى تسلمه بالامان فى محرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى عنتاب فحاصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذى كان خازن نور الدين العادل وصاحبه وهو الذى ولاه عليها فطلب من صلاح الدين أن يقرها بيده ويكون فى طاعته فأجابه الى ذلك وحلف له وسار فى خدمته وغنم المسلمون خلال ذلك مغانم فمنها فى البحر سار اسطول

مصر فالتقى فى البحر بمركب فيها ثلثمائة وستمائة من الافرنج بالسلاح والاموال قاصدون الافرنج بالشأم فظفروا بهم وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين ومنها فى البر أغار بالداروم جماعة من الافرنج ولحقهم المسلمون بأيلة واتبعوهم الى العسيلة وعطش المسلمون فانزل الله تعالى عليهم المطر حتى رووا وقاتلوا الافرنج فظفروا بهم هنالك واستلحموهم واستاقوا ما معهم وعادوا سالمين الى مصر والله أعلم

(استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم)

كان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين العادل صاحب حلب لم يبق له من الشأم غيرها وهو يدافع صلاح الدين عنها فتوفى منتصف سنة سبع وسبعين وعهد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل وسار عز الدين صاحب الموصل مع نائبه مجاهد الدين قايماز اليها فملكها ثم طلبها منه أخوه عماد الدين صاحب سنجار على أن يأخذ عنها سنجار فأجابه الى ذلك وأخذ عز الدين سنجار وعاد الى الموصل وسار عماد الدين الى حلب فملكها وعظم ذلك على صلاح الدين وخشى أن يسير منها الى دمشق وكان بمصر فسار الى الشأم وسار منها الى الجزيرة وملك ما ملك منها وحاصر الموصل ثم حاصر آمد وملكها ثم سار الى أعمال حلب كما ذكرناه فملك تل خالد وعنتاب ثم سار الى حلب وحاصرها فى محرم سنة تسع وسبعين ونزل الميدان الاخضر أياما ثم انتقل الى جبل جوشق وأظهر البقاء عليها وهو يغاديها القتال ويراوحها وطلب عماد الدين جنده فى العطاء وضايقوه فى تسليم حلب لصلاح الدين وأرسل اليه فى ذلك الامير طومان البارو قى وكان يميل الى صلاح الدين فشارطه على سنجار ونصيبين والرقة والخابور وينزل له عن حلب وتحالفوا على ذلك وخرج عنها عماد الدين ثامن عشر صفر من السنة الى هذه البلاد ودخل صلاح الدين حلب بعد ان شرط على عماد الدين أن يعسكر معه متى عاد ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين صنع له دعوة احتفل فيها وانصرف وكان فيمن هلك فى حصار حلب تاج الملوك نور الدين أخو صلاح الدين الاصغر أصابته جراحة فمات منها بعد الصلح وقبل أن يدخل صلاح الدين البلد ولما ملك صلاح الدين حلب سار الى قلعة حارم وبها الامير طرخك من موالى نور الدين العادل وكان عليها ابنه الملك الصالح فحاصره صلاح الدين ووعده وترددت الرسل بينهم وهو يمتنع وقد أرسل الى الافرنج يدعوهم للانجاد وسمع بذلك الجند الذين معه فوثبوا به وحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملك الحصن وولى عليه بعض خواصه وقطع تل خالد البارو قى صاحب تل باشر وأما قلعة عزاز فان عماد الدين اسمعيل كان خربها فأقطعها صلاح الدين سليمان بن جسار وأقام بحلب الى أن قضى جميع أشغالها وأقطع أعمالها وسار الى

بياض بالاصل

دمشق والله تعالى أعلم

(غزوة بيسان)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر حلب وولى عليها ابنه الظاهر غازى ومعه الامير سيف الدين تاوكيج كافلا له لصغره وهو أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق فتجهز للغزو وجمع عساكر الشأم والجزيرة وديار بكر وقصد بلاد الافرنج فعبر الاردن منتصف سبع وسبعين وأجفل أهل تلك الاعمال أمامه فقصد بيسان وخربها وحرقها وأغار على نواحيها واجتمع الافرنج له فلما رأوه خاموا عن لقائه واستندوا الى جبل وخندقوا عليهم وأقام يحاصرهم خمسة أيام ويستدرجهم للنزول فلم يفعلوا فرجع المسلمون عنهم وأغاروا على تلك النواحى وامتلأت أيديهم بالغنائم وعادوا الى بلادهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(غزو الكرك وولاية العادل على حلب)

ولما عاد صلاح الدين من غزوة بيسان تجهز لغزو الكرك وسار فى العساكر واستدعى أخاه العادل أبا بكر بن أيوب من مصر وهو نائبها ليلحق به على الكرك وكان قد سأله فى ولاية حلب وقلعتها فأجابه الى ذلك وأمره أن يجىء بأهله وماله فوافاه على الكرك وحاصروه أياما وملكوا أرباضه ونصبوا عليها المجانيق ولم يكن بالغ فى الاستعداد لحصره لظنه أن الافرنج يدافعون عنه فأفرج عنه منتصف شعبان وبعث تقى الدين ابن أخيه شاه على نيابة مصر مكان أخيه العادل واستصحب العادل معه الى دمشق فوفاه مدينة حلب ومدينة منبج وما اليها وبعثه بذلك فى شهر رمضان من السنة واستدعى ولده الظاهر غازى من حلب الى دمشق ثم سار فى ربيع الآخر من سنة ثمانين لحصار الكرك بعد ان جمع العساكر واستدعى نور الدين صاحب كيفا وعساكر مصر واستعد لحصاره ونصب المجانيق على ربضه فملكه المسلمون وبقى الحصن وراء خندق بينه وبين الربض عمقه ستون ذراعا وراموا طمه فنضحوهم بالسهام وردوهم بالحجارة فأمر برفع السقف ليمشى المقاتلة تحتها الى الخندق وأرسل أهل الحصن الى ملكهم يستمدونه ويخبرونه بما نزل بهم فاجتمع الافرنج وأوعبوا وساروا اليهم فرحل صلاح الدين للقائهم حتى انتهى الى حزونة الارض فأقام ينتظر خروجهم الى البسيط فخاموا عن ذلك فتأخر عنهم فراسخ ومروا الى الكرك وعلم صلاح الدين أن الكرك قد امتنع بهؤلاء فتركه وسار الى نابلس فخربها وحرقها وسار الى سبسطية وبها مشهد زكرياء عليه السلام فاستنقذ من وجد بها من أسارى المسلمين ورحل الى جينين فنهبها وخربها

وسار الى دمشق بعد ان بث السرايا فى كل ناحية ونهب كل ما مر به وامتلأت الايدى من الغنائم وعاد الى دمشق مظفرا والله تعالى أعلم

(حصار صلاح الدين الموصل)

ثم سار صلاح الدين من دمشق الى الجزيرة فى ذى القعدة من سنة ثمان وعبر الفرات وكان مظفر الدين كوكبرى على حران يستحثه للمسير الى الموصل فى كل وقت وربما وعده بخمسين ألف دينار اذا وصل فلما وصل الى حران لم يف له فقبض عليه ثم خشى معرة أهل الجزيرة فأطلقه وأعاد عليهم حران والرها وسار فى ربيع الاول ولقيه نور الدين صاحب كيفا ومعز الدين سنجار شاه صاحب جزيرة ابن عمر وقد انحرف عن عمه عز الدين صاحب الموصل بعد نكبة مجاهد الدين نائبه وساروا كلهم مع صلاح الدين الى الموصل وانتهوا الى مدينة بلد فلقيه هنالك أم عز الدين وابنة عمه نور الدين وجماعة من أهل بيته يسألونه الصلح ظنا بأنه لا يردهن وسيما بنت نور الدين واستشار صلاح الدين أصحابه فأشار الفقيه عيسى وعلى بن أحمد المشطوب بردهن وساروا الى الموصل وقاتلوها واستمات أهلها وامتعضوا لرد النساء فامتنعت عليهم وعاد على أصحابه باللوم فى اشارتهم وجاء زين الدين يوسف صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبرى فانزلهما بالجانب الشرقى وبعث على بن أحمد المشطوب الهكارى الى قلعة الجزيرة ليحاصرها فاجتمع عليه الاكراد الهكارية الى أن عاد صلاح الدين عن الموصل وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة زلقندار يكاتب صلاح الدين فمنعه منها وانحرف عنه الى الاقتداء برأى مجاهد الدين وتصدر عنه ثم بلغه خبر وفاة شاهرين صاحب خلاط فطمع صلاح الدين فى ملكها وانه يستعين بها على أموره ثم جاءته كتب أهلها يستدعونه فسار عن الموصل اليها وكان أهل خلاط انما كاتبوه مكرا لان شمس الدين البهلوان ابن ايلدكز صاحب اذربيجان وهمذان قصده تملكهم بعد ان كان زوج ابنته من شاهرين على كبره وجعل ذلك ذريعة الى ملك خلاط فلما سار اليهم كاتبوا صلاح الدين ودافعوا كلا منهما بالآخر فسار صلاح الدين وفى مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين صاحب اربل وغيرهما وتقدموا الى خلاط وتقدم صاحب اذربيجان فنزل قريبا من خلاط وترددت رسل أهل خلاط بينه وبين البهلوان ثم خطبوا للبهلوان والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(استيلاء صلاح الدين على ميافارقين)

ولما خطب أهل خلاط للبهلوان وصلاح الدين على ميافارقين وكانت لقطب الدين

صاحب ماردين فتوفى وملك ابنه طفلا صغيرا بعده ورد أمرها الى شاهرين صاحب خلاط وأنزل بهاء بكره فطمع فيها صلاح الدين بعد وفاة شاهرين وحاصرها من أول جمادى سنة احدى وثمانين وعلى أجنادها الامير أسد الدين برنقش فأحسن الدفاع وكان بالبلد زوجة قطب الدين المتوفى ومعها بناتها منه وهى أخت نور الدين صاحب كيفا فراسلها صلاح الدين بأن برنقش قد مال الينا فى تسليم البلد ونحن ندعى حق أخيك نور الدين فأزوج بناتك من أبنائى وتكون البلد لنا ووضع على برنقش من أخبره بأن الخاتون مالت الى صلاح الدين وان أهل خلاط كاتبوه وكان خبر أهل خلاط صحيحا فسقط فى يده وبعث فى التسليم على شروط اشترطها من اقطاع ومال وسلم البلد فملكها صلاح الدين وعقد النكاح لبعض ولده على بعض بنات خاتون وأنزلها وبناتها بقلعة هقناج وعاد الى الموصل ومر بنصيبين وانتهى الى كفر أرمان واعتزم على أن يشتوا به ويقطع جميع ضياع الموصل ويجبى أعمالها ويكتسح غلاتها وجنح مجاهد الدين الى مصالحته وترددت الرسل فى ذلك على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية الغرابلى وماوراء الزاب من الاعمال ثم طرقه المرض فعاد الى حران وأدركه الرسل بالاجابة الى ما طلب فانعقد هنالك وتحالفوا وتسلم البلاد وطال مرضه بحران وكان عنده أخوه العادل وبيده حلب وبها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين واشتد به المرض فقسم البلاد بين أولاده وأوصى أخاه العادل على الجميع وعاد الى دمشق فى محرم سنة ثنتين وثمانين وكان عنده بحران ناصر الدين محمد بن عمه شيركوه ومن اقطاعه حمص والرحبة فعاد قبله الى حمص ومر بحلب وصانع جماعة من أمرائها على أن يقوموا بدعوته ان حدث بصلاح الدين أمر وبلغ الى حمص فبعث الى أهل دمشق بمثل ذلك وأفاق صلاح الدين من مرضه ومات ناصر الدين ليلة الاضحى ويقال دس عليه من سمه وورث أعماله ابنه شيركوه وهو ابن اثنتى عشرة سنة والله تعالى أعلم

(قسمة صلاح الدين الاعمال بين ولده وأخيه)

كان ابنه العزيز عثمان بحلب فى كفالة أخيه العادل وابنه الاكبر الافضل على بمصر فى كفالة تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه بعثه اليها عندما استدعى العادل منها كما مر فلما مرض بحران أسف على كونه لم يول أحدا من ولده استقلالا وسعى اليه بذلك بعض بطانته فبعث ابنه عثمان العزيز الى مصر فى كفالة أخيه العادل كما كان بحلب ثم اقطع العادل حران والرها وميافارقين من بلاد الجزيرة وترك عثمان ابنه بمصر ثم بعث عن ابنه الافضل وتقى الدين ابن أخيه فامتنع تقى الدين من الحضور واعتزم على المسير الى المغرب واللحاق بمولاه قراقوش فى ولايته التى حصلت له بطرابلس والجريد

من افريقيه فراسله صلاح الدين ولاطفه ولما وصل اقطعه حماة ومنبج والمعرة وكفرطاب وجبل جوز وسائر أعمالها وقيل ان تقى الدين لما أرجف بمرض صلاح الدين وموته تحرك فى طلب الامر لنفسه وبلغ ذلك صلاح الدين فأرسل الفقيه عيسى الهكارى وكان مطاعا فيهم وأمره باخراج تقى الدين من مصر والمقام بها فسار ودخلها على حين غفلة وأمر تقى الدين بالخروج فأقام خارج البلد وتجهز للمغرب فراسله صلاح الدين الى آخر الخبر والله تعالى أعلم

{اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين ومنابذة البرنس صاحب الكرك له وحصاره اياه والاغارة على عكا}

كان القمص صاحب طرابلس وهو ريمند بن ريمند بن صنجيل تزوج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها فأقام عندها ومات ملك الافرنج بالشأم وكان مجذوما كما مر وأوصى بالملك لابن أخيه صغيرا فكفله هذا القمص وقام بتدبير ملكه لعظمه فيهم وطمع أن تكون كفالته ذريعة الى الملك ثم مات الصغير فانتقل الملك الى أبيه ويئس القمص عندها مما كان يحدث به نفسه ثم ان الملكة تزوجت ابن عم من الافرنج القادمين من المغرب وتوجته وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والداوية والبارونة وأشهدتهم خروجها له عن الملك ثم طولب القمص بالجباية أيام كفالته الصبى فأنف وغضب وجاهر بالشقاق لهم وراسل صلاح الدين وسار الى ولايته وخلف له على مصره من أهل ملته وأطلق له صلاح الدين جماعة من زعماء النصارى كانوا أسارى عنده فازداد غبطة بمظاهرته وكان ذلك ذريعة لفتح بلادهم وارتجاع القدس منهم وبث صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية فى سائر بلاد الافرنج فاكتسحوها وعادوا غانمين وذلك كله سنة ثنتين وثمانين وكان البرنس ارناط صاحب الكرك من أعظم الافرنج مكرا وأشدهم ضررا وكان صلاح الدين قد سلط الغارة والحصار على بلده حتى سأل فى الصلح فصالحه فصلحت السابلة بين الاقليمين ثم مرت فى هذه السنة قافلة كثيرة التجار والجند فغدر بهم وأسروأخذ ما معهم وبعث اليه صلاح الدين فأصر على غدرته فنذر أنه يقتله ان ظفر به واستنفر الناس للجهاد من سائر الاعمال من الموصل والجزيرة واربل ومصر والشأم وخرج من دمشق فى محرم سنة ثلاث وثمانين وانتهى الى رأس الماء وبلغه ان البرنس ارناط صاحب الكرك يريد أن يتعرض للحاج من الشأم وكان معهم ابن أخيه محمد بن لاجين وغيره فترك من العساكر مع ابنه الافضل على وسار الى بصرى وسمع البرنس بمسيره فأحجم عن الخروج ووصل الحاج سالمين وسار صلاح الدين الى الكرك وبث السرايا فى أعمالها وأعمال

الشوبك فاكتسحوهما والبرنس محصور بالكرك وقد عجز الافرنج عن امداده لمكان العساكر مع الافضل بن صلاح الدين ثم بعث صلاح الدين الى ابنه الافضل فامره بارسال بعث الى عكا ليكتسحوا نواحيها فبعث مظفر الدين كوكبرى صاحب حران والرها وقايماز النجمى ودار وم الياروقى وساروا فى آخر صفر فصبحوا صفورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا اليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين وانهزم الافرنج وقتل مقدمهم وامتلأت أيدى المسلمين من الغنائم وانقلبوا ظافرين ومروا بطبرية وبها القمص فلم يهجهم لما تقدم بينه وبين صلاح الدين من الولاية وعظم هذا الفتح وسار البشير به فى البلاد والله تعالى أعلم

(هزيمة الافرنج وفتح طبرية ثم عكا)

ولما انهزم الفداوية والاستبارية بصفورية ومر المسلمون بالغنائم على القمص وعند بطبرية ووصلت البشائر بذلك الى صلاح الدين عاد الى معسكره الذى مع ابنه ومر بالكرك واعتزم على غزو بلاد الافرنج فاعترض عساكره وبلغه ان القمص وعند قد راجع أهل ملته ونقض عهده معه وان البطرك والقسيس والرهبان أنكروا عليه مظاهرته للمسلمين ومرور عساكرهم به باسرى النصارى وغنائمهم ولم يعترضهم مع ايقاعهم بالفداوية والاستبارية أعيان الملة وتهددوه بالحاق كلمة الكفر به فتنصل وراجع رأيه واعتذر اليهم فقبلوا عذره وخلص لكفره وطواغيته فجددوا الحلف والاجتماع وساروا من عكا الى صفورية وبلغ الخبر الى صلاح الدين وشاور أصحابه فنهم من أشار بترك اللقاء وشن الغارات عليهم حتى يضعفوا ومنهم من أشار باللقاء لنزول عكا واستيفاء ما فعلوه فى المسلمين بالجزيرة فاستصوبه صلاح الدين واستعجل لقاءهم ثم رحل من الاقحوانة أواخر رمضان فسار حتى خلف طبرية وتقدم الى معسكر الافرنج فلم يفارقوا خيامهم فلما كان الليل أقام طائفة من العسكر فسار الى طبرية فملكها من ليلته عنوة ونهبها وأحرقها وامتنع أهلها بالقلعة ومعهم الملكة وأولادها فبلغ الخبر الى الافرنج فضج القمص وعمد الى الصلح وأطال القول فى تعظيم الخطب وكثرة المسلمين فنكر عليه البرنس صاحب الكرك واتهمه ببقائه على ولاية صلاح الدين واعتزموا على اللقاء ووصلوا من مكانهم لقصد المعسكر وعاد صلاح الدين الى معسكره وبعدت المياه من حوالى الافرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدهم واشتدت الحرب وصلاح الدين يجول بين الصفوف يتفقد أحوال المسلمين ثم حمل القمص على ناحية تقى الدين عمر بن شاهنشاه واستمات فيها هو وأصحابه فأفرج له الصف وخلص من تلك الناحية الى منجاته واختل مصاف الافرنج وتابعوا الحملات

وكان بالارض هشيم أصابه شرر فاضطرم نارا فجهدهم لفحها ومات جلهم من العطش فوهنوا وأحاط بهم المسلمون من كل ناحية فارتفعوا الى تل بناحية حطين لينصبوا خيامهم به فلم يتمكنوا الا من خيمة الملك فقط والسيف يجول فيهم مجاله حتى فنى أكثرهم ولم يبق الا نحو المائة والخمسين من خلاصة زعمائهم مع ملكهم والمسلمون يكرون عليهم مرة بعد أخرى حتى ألقوا ما بأيديهم وأسروا الملك وأخاه البرنس ارناط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الفداوية وجماعة من الفداوية والاستبارية ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد أعوام التسعين والاربعمائة بمثل هذه الوقعة ثم جلس صلاح الدين فى خيمته وأحضر هؤلاء الاسرى فقرع الملك ووبخه بعد ان أجلسه الى جانبه وفاء بمنصب الملك وقام الى البرنس فتولى قتله بيده حرصا على الوفاء بنذره بعد ان عرفه بغدرته وبجسارته على ما كان يرومه فى الحرمين وحبس الباقين وأما القمص صاحب طرابلس فنجا كما ذكرناه الى بلده ثم مات لايام قلائل أسفا ولما فرغ صلاح الدين من هزيمتهم نهض الى طبرية فنازلها واستأمنت اليه الملكة بها فأمنها فى ولدها وأصحابها ومالها وخرجت اليه فوفى لها وبعث الملك وأعيان الاسرى الى دمشق فحبسوا بها وجمع أسرى الفداوية والاستبارية بعد ان بذل لمن يجده منهم من المقاتلة خمسين دينارا مصرية لكل واحد وقتلهم أجمعين قال ابن الاثير واقد اجتزت بمكان الوقعة بعد سنة فرأيت عظامهم ماثلة على البعد أجحفتها السيول ومزقتها السباع ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها الى عكا فنازلها واعتصم الافرنج الذين بها بالاسوار وشادوا بالاستئمان فأمنهم وخيرهم فاختاروا الرحيل فحملوا ما أقلته رحالهم ودخلها صلاح الدين غرة جمادى سنة ثلاث وثمانين وصلوا فى جامعها القديم الجمعة يوم دخولهم فكانت أول جمعة أقيمت بساحل الشأم بعد استيلاء الافرنج عليه وأقطع صلاح الدين بلد عكا لابنه الافضل وجميع ما كان فيه للفداوية من أقطاع وضياع ووهب للفقيه عيسى الهكارى كثيرا مما عجز الافرنج عن حمله وقسم الباقى على أصحابه ثم قسم الافضل ما بقى فى أصحابه بعد مسير صلاح الدين ثم أقام صلاح الدين أياما حتى أصلح أحوالها ورحل عنها والله تعالى أعلم

(فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا)

لما هزم صلاح الدين الافرنج كتب الى أخيه العادل بمصر بسيره ويأمره بالمسير الى جهات الافرنج من جهات مصر فنازل حصن مجدل وفتحه وغنم ما فيه ثم سار الى مدينة يافا ففتحها عنوة واستباحها وكان صلاح الدين أيام مقامه بعكا بعث بعوثه الى قيسارية وحيفا وسطورية وبعلبا وسقيف وغيرها فى نواحى عكا فملكوها واستباحوها

وامتلأت أيديهم من غنائمها وبعث حسام الدين عمر بن الاصعن فى عسكر الى نابلس فملك سبسطية مدينة الاسباط وبها قبر زكريا عليه السلام ثم سار الى مدينة نابلس فملكها واعتصم الافرنج الذين بها بالقلعة فأقرّهم على أموالهم وبعث تقى الدين عمر ابن شاهنشاه الى تبنين ليقطع الميرة عنها وعن صور فوصل اليها وحاصرها وضيق عليها حتى استأمنوا فأمنهم وملكها ومرّ الى صيدا ومرّ فى طريقه بصرخد فملكها بعد قتال وجاء الخبر بفرار صاحب صيدا فسار وملكها آخر جمادى الاولى من السنة ثم سار من يومه الى بيروت وقاتلها من احد جوانبها فتوهموا أن المسلمين دخلوا عليهم من الجانب الآخر فاهتاجوا لذلك فلم يستقرّوا ولا قدروا على تسكين الهيعة لكثرة ما معهم من أخلاط السواد فاستأمنوا اليه وملكها آخر يوم من جمادى لثمانية أيام من حصارها وكان صاحب جبيل أسيرا بدمشق فضمن لما تبها تسليم جبيل لصلاح الدين على أن يطلقه فاستدعاه وهو محاصر لبيروت وسلم الحصن وأطلقه وكان من أعيان الافرنج وأولى الرأى منهم والله تعالى أعلم

(وصول المركيش الى صور وامتناعه بها)

كان القمص صاحب طرابلس لما نجا من هزيمة   لحق بمدينة صور وأقام بها بياض بالاصل
يريد حمايتها ومنعها من المسلمين فلما ملك صلاح الدين تبنين وصيدا وبيروت ضعف عزمه عن ذلك ولحق ببلده طرابلس وبقيت صيدا وصور بدون حامية وجاء المركيش من تجار الافرنج من المغرب فى كثرة وقوة فأرسى بعكا ولم يشعر بفتحها وخرج اليه الرائد فأخبره بمكان الافضل بن صلاح الدين فيها وان صور وعسقلان باقية للافرنج فلم يطق الاقلاع اليها لركود الريح فشغلهم بطلب الامان ليدخل المرسى ثم طابت ريحه وجرت به الى صور وأمر الافضل بخروج الشوانى فى طلبه فلم يدركوه حتى دخل مرسى صور فوجد بها أخلاطا كثيرة من فلّ الحصون المفتحة فجاؤا اليه وضمن لهم حفظ المدينة وبذل أمواله فى الانفاق عليها على أن تكون هى وأعمالها له دون غيره واستحلفهم على ذلك ثم قام بتدبير أحوالها وشرع فى تحصينها فحفر الخنادق ورمّ الأسوار واستبدّ بها والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح عسقلان وما جاورها)

ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وتلك الحصون صرف همته الى عسقلان والقدس لعظم شأن القدس ولان عسقلان مقطع بين الشأم ومصر فسار عن بيروت الى عسقلان ولحق به أخوه العادل فى عساكر مصر ونازلها أوائل جمادى الاخيرة

واستدعى

واستدعى ملك الافرنج ومقدم الراية وكانا أسيرين بدمشق فأحضرهما وأمرهما بالاذن للافرنج بعسقلان فى تسليمها فلم يجيبوا الى ذلك وأساؤا الرد عليهما فاشتد فى قتالهم ونصب المجانيق عليهم وملكهم يردد الرسائل اليهم فى التسليم عساه ينطلق ويأخذ بالثار من المسلمين فلم يجيبوه ثم جهدهم الحصار وبعد عليهم الصريخ فاستأمنوا الى صلاح الدين على شروط اشترطوها كان أهمها عندهم أن يمنعهم من الهراسة بما قتلوا أميرهم فى الحصار فأجابهم الى جميع ما اشترطوه وملك المدينة منتصف السنة لاربعة عشر يوما من حصارها وخرجوا بأهليهم وأموالهم وأولادهم الى القدس ثم بعث السرايا فى تلك الاعمال ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والبطرون وكل ما كان للفداوية وكان أيام حصار عسقلان قد بعث عن اسطول مصر فجاء به حسام الدين لؤلؤ الحاجب وأقام يغير على مرسى عسقلان والقدس ويغنم جميع ما يقصده من النواحى والله سبحانه وتعالى يؤيد من يشاء بنصره

(فتح القدس)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها سار الى بيت المقدس وبها البطرك الاعظم وبليان بن نيزران صاحب الرملة وربيسة قريبة الملك ومن نجا من زعمائهم من حطين وأهل البلد المفتحة عليهم وقد اجتمعوا كلهم بالقدس واستماتوا للدين وبعد الصريخ وأكثروا الاستعداد ونصبوا المجانيق من داخله وتقدم اليه أمير من المسلمين فخرج اليه الافرنج فأوقعوا به وقتلوه فى جماعة ممن معه وفجع المسلمون بقتله وساروا فنزلوا على القدس منتصف رجب وهالهم كثرة حاميته وطاف بهم صلاح الدين خمسة أيام فتخيرمن أعلاه للقتال حتى اختار جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون فتحول اليه ونصب المجانيق عليها واشتد القتال وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق وكان ممن استشهد عز الدين عيسى بن مالك من أكابر أمراء بنى بدران وأبوه صاحب قلعة جعبر فأسف المسلمون لقتله وحملوا عليهم حتى أزالوهم عن مواقفهم وأجروهم بالبلد وملكوا عليهم الخندق ونقبوا السور فوهن الافرنج واستأمنوا لصلاح الدين فأبى الا العنوة كما ملكه الافرنج أوّل الامر سنة احدى وسبعين وأربعمائة فاستأمن له بالباب ابن نيزران صاحب الرملة وخرج اليه وشافهه بالاستئمان واستعطفه فأصرّ على الامتناع فتهدده بالاستماتة وقتل النساء والابناء وحرق الامتعة وتخريب المشاعر المعظمة واستلحام أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف أسير واستهلاك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من الظهر وغيره فحينئذ استشار صلاح الدين أصحابه فجنحوا الى تأمينهم فشارطهم على عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينارين

للولد صبي أو صبية وعلى أجل أربعين يوما فمن تأخر أداؤه عنها فهو أسير وبذل بليان
ابن نيزوان عن فقراء أهل ملته ثلاثين ألف دينار وملك صلاح الدين المدينة يوم الجمعة
لتسع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ورفعت الاعلام الاسلامية على أسواره
وكان يوما مشهودا ورتب على أبواب القدس الامناء لقبض هذا المال ولم يبن الامر
فيه على المشاحة فذهب أكثرهم دون شئ وعجز آخر الامر ستة عشر ألف نسمة
فأخذوا أسارى وكان فيه على التحقيق ستون ألف مقاتل غير النساء والولدان
فان الافرنج أزروا اليه من كل جانب لما افتتحت عليهم حصونهم وقلاعهم ومن
الدليل على مقاربة هذا العدد ان بليان صاحب الرملة أعطى ثلاثين ألف دينار على
ثمانية عشر ألفا وعجز منهم ستة عشر ألفا وأخرج جميع الامراء خلقا لا تحصى فى زى
المسلمين بعد أن يشارطوهم على بعض القطيعة واستوهب آخرون جموعا منهم يأخذون
قطيعتهم فوهبهم اياهم وأطلق بعض نساء الملوك من الروم كانوا مترهبات فأطلقهم
بعبيدهم وحشمهم وأموالهم وكذا ملكة القدس التى أسر صلاح الدين زوجها ملك
الافرنج بسببها وكان محبوسا بقلعة نابلس فأطلقها بجميع ما معها ولم يحصل من
القطيعة على خراج وخرج البطرك الاعظم بما معه من ماله وأموال البيع ولم
يتعرض له وجاءته امرأة البرنس صاحب الكرك الذى قتله يوم حطين تشفع فى ولدها
وكان أسيرا فبعثها الى الكرك لتأذن الافرنج فى النزول عنه للمسلمين وكان على رأسه
قبة خضراء لها صليب عظيم مذهب وتسلق جماعة من المسلمين اليه واقتلعوه وارتجت
الارض بالتكبير والعويل ولما خلا القدس من العدو أمر صلاح الدين برد مشاعره
الى أوضاعها القديمة وكانوا قد غيروها فأعيدت الى حالها الاول وأمر بتطهير المسجد
والصخرة من الاقذار فطهرا ثم صلى المسلمون الجمعة الاخرى فى قبة الصخرة وخطب محى
الدين بن زنكى قاضى دمشق بأمر صلاح الدين وأتى فى خطبته بعجائب من البلاغة
فى وصف الحال وعظة الاسلام اقشعرت لها الجلود وتناقلها الرواة وتحدثت بها
السمار أحوالا ثم أقام صلاح الدين بالمسجد للصلوات الخمس اماما وخطيبا وأمر بعمل
المنبر له فتحدثوا عنده بأن نور الدين محمودا اتخذ له منبرا منذ عشرين سنة وجمع الصناع
بحلب فأحسنوا صنعته فى عدد سنين فأمر بحمله ونصبه بالمسجد الاقصى ثم أمر بعمارة
المسجد واقتلاع الرخام الذى فوق الصخرة لان القسيسين كانوا يبيعون الحجر من الصخرة
ينحتونها نحتا ويبيعونها بالذهب وزنا بوزن فتنافس الافرنج فيها التماس البركة منها
ويدعونها فى الكنائس فخشى ملوكهم أن تفنى الصخرة فعالوا عليها بفرش الرخام فأمر
صلاح الدين بقلعه ثم استكثر فى المسجد من المصاحف ورتب فيه القراء ووفر لهم

الجرايات وتقدم ببناء الربط والمدارس فكانت من مكارمه رحمه الله تعالى وارتحل
الافرنج بعد ان باعوا جميع ما يملكونه من العقار بأرخص ثمن واشتراه أهل العسكر
ونصارى القدس الاقدمون بعد أن ضربت عليهم الجزية كما كانوا والله تعالى أعلم

(حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك)

لما فتح صلاح الدين القدس أقام بظاهره الى آخر شعبان من السنة حتى فرغ من جميع
أشغاله ثم رحل الى مدينة صور وقد اجتمع فيها من الافرنج عوالم وقد نزل بها المركيش
وضبطها ولما انتهى صلاح الدين الى عكا أقام بها أياما فبالغ المركيش فى الاستعداد
وتعميق الخنادق واصلاح الاسوار وكان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها فوصل
جانب اليمين بالشمال وسارت كالجزيرة وسار اليها فنزل عليها لتسع بقين من رمضان على
تل يشرف منه على مكان القتال وجعل القتال على أقيال عسكره نوبا بين ابنه الافضل
وابنه الظاهر وأخيه العادل وابن أخيه تقى الدين ونصب عليها المجانيق والعرادات
وكان الافرنج يركبون فى الشوانى والحراقات ويأتون المسلمين من ورائهم فيرمون
عليهم من البحر ويقاتلونهم ويمنعونهم من الدنو الى السور فبعث صلاح الدين عن
أسطول مصر من مرسى عكا فجاء ودافع الافرنج وتمكن المسلمون من قتال الاسوار
وحاصروها برا وبحرا ثم كبس اسطول الافرنج خمسة من أساطيل المسلمين ففتكوا بهم
ورد صلاح الدين الباقى الى بيروت لقلتها فاتبعها أساطيل الافرنج فلما أرهقوهم
فى الطلب ألقوا بأنفسهم الى الساحل وتركوها فحكمها صلاح الدين ونقضها وجد
فى حصار صور فلم يفد وامتنعت عليه لما كان فيها من كثرة الافرنج الذين أمنهم بعكا
وعسقلان والقدس فنزلوا اليها بأموالهم وأمدوا صاحبها واستدعوا الافرنج وراء
البحر فوعدوهم بالنصر وأقاموا فى انتظارهم ولما رأى صلاح الدين امتناعها شاور
أصحابه فى الرحيل فترددوا وتخاذلوا فى القتال فرحل آخر شوال الى عكا وأذن
للعساكر فى المشى الى أوطانهم الى فصل الربيع وعادت عساكر الشرق والشأم ومصر
وأقام بقلعة عكا فى خواصه ورد أحكام البلد الى خرديك من أمراء نور الدين وكان
صلاح الدين عند ما اشتغل بحصار عسقلان بعث عسكرا لحصار صور فشددوا حصارها
وقطعوا عنها الميرة وبعثوا الى صلاح الدين وهو يحاصر صور فاستأمنوا له ونزلوا عنها
فملكها وكان أيضا صلاح الدين لما سار الى عسقلان جهز عسكرا لحصار قلعة كوكب
يحرسون السابلة فى طريقها من الافرنج الذين فيها وهى مطلة على الاردن وهى
للاستبارية وجهز عسكرا لحصار صفد وهى للفداوية مطلة على طبرية ولجأ الى هذين
الحصنين من سلم من وقعة حطين وامتنعوا بهما فلما جهز العساكر اليهما صلحت الطريق

وارتفع منها الفساد فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الموكلون بالحصار على قلعة كوكب وكانت ليلة شاتية باردة فكبسهم الافرنج ونهبوا ما عندهم من طعام وسلاح وعادوا الى قلعتهم وبلغ ذلك صلاح الدين وهو يعتزم على الرحيل عن صور ففسخ من عزيمته ثم جهز عسكرا على صور مع الامير قايماز النجمي وارتحل الى عكا فلما انصرم فصل الشتاء سار من عكا فى محرم سنة أربع وثمانين الى قلعة كوكب فحاصرها وامتنعت عليه ولم يكن بقى فى البلاد الساحلية من عكا الى الجنوب غيرها وغير صفد والكرك فلما امتنعت عليه جهز العسكر لحصارها مع قايماز النجمى ورحل عنها فى ربيع الاول الى دمشق ووافته رسل ارسلان وفرح الناس بقدومه والله تعالى ولى التوفيق

بياض بالاصل

{غزو صلاح الدين الى سواحل الشأم وما فتحه من حصونها وصلحه آخرا مع صاحب انطاكية}

لما رجع صلاح الدين من فتح القدس وحاصر صور وصفد وكوكب عاد الى دمشق ثم تجهز للغزو الى سواحل الشأم وأعمال انطاكية وسار عن دمشق فى ربيع سنة أربع وثمانين فنزل على حمص واستدعى عساكر الجزيرة وملوك الاطراف فاجتمعوا اليه وسار الى حصن الاكراد فضرب عسكره هنالك ودخل متجردا الى القلاع بنواحى انطاكية فنقص طرفها وأغار على ولايتها الى طرابلس حتى شفى نفسه من ارتيادها وعاد الى معسكره فجرت الارض بالغنائم فأقام عند حصن الاكراد ووفد عليه هنالك منصور بن نبيل صاحب جبلة وكان من يوم استيلاء الافرنج على جبلة عند صاحب انطاكية حاكما على جميع المسلمين فيها ومتوليا أمور سمند فلما هبت ريح الاسلام بصلاح الدين وظهوره نزل اليه ليكشف الغماء ودله على عورة جبلة واللاذقية واستحثه لهما فسار أول جمادى ونزل بطرسوس وقد اعتصم الافرنج منها ببرجين حصينين واخلوا المدينة فخربوها واستباحوها وكان أحد الحصنين للفداوية وفيه مقدمهم الذى أسره صلاح الدين يوم المصاف وأطلقه عند فتح القدس واستأمن اليه أهل البرج الآخر ونزلوا له عنه فخربه صلاح الدين والقى حجارته فى البحر وامتنع عليه برج الفداوية فسار الى المرقب وهو للاستبارية ولا يرام لعلوه وارتفاعه وامتناعه والطريق فى الجبل الى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره فى مسلك ضيق انما يمر به الواحد فالواحد

(فتح جبلة)

وكان

وكان وصل اسطول من صاحب صقلية مددا للافرنج فى تلك السواحل فى ستين قطعة فأرسوا بطرابلس فلما سمعوا بصلاح الدين اقلعوا الى المغرب ووقفوا قبالتها ينضحون بسهامهم المارة بتلك الطريق فضرب صلاح الدين على ذلك الطريق سورا من جهة البحر من المتارس ووقف وراءه الرماة حتى سلك العسكر المضيق الى جبلة ووصلها آخر جمادى وسبق اليها القاضى وملكها صلاح الدين لحينه ورفع أعلام الاسلام على سورها ونقل حاميتها الى القلعة فاستنزلهم القاضى على الامان واستمر منهم جماعة فى رهن القاضى والمسلمين عند صاحب انطاكية حتى أطلقهم وجاء رؤساء أهل البلد الى طاعة صلاح الدين وهو بجبل ما بين جبلة وحماة وكان الطريق عليه بينهما صعبا ففتحه صلاح الدين من ذلك الوقت واستناب بجبلة سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها اللاذقية والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(فتح اللاذقية)

ولما فرغ صلاح الدين من أمر جبلة سار الى اللاذقية فوصلها آخر جمادى الاولى وامتنع حاميتها بحصنين لها فى أعلى الجبل وملك المسلمون المدينة وحصروا الافرنج فى القلعتين وحفروا تحت الاسوار وأيقن الافرنج بالهلكة ودخل اليهم قاضى جبلة ثالث نزولها فاستأمنوا معه وامنهم صلاح الدين ورفعوا أعلام الاسلام فى الحصنين وخرب المسلمون المدينة وكانت مبانيها فى غاية الوثاقة والضخامة واقطعها تقى الدين ابن أخيه فأعادها الى أحسن ما كانت من العمارة والتحصين وكان عظيم الهمة فى ذلك وكان اسطول صقلية فى مرسى اللاذقية وسخطوا ما فعله أهلها من الأمنة وهم من الخروج منها وجاء مقدمهم الى صلاح الدين فرغب منه اقامتهم على الجزية وعرض فى كلامه بالتهديد بامداد الافرنج من وراء البحر فاجابه صلاح الدين باستهانة أمر الافرنج وهدده فانصرف الى أصحابه ورحل صلاح الدين الى صهيون والله تعالى أعلم

(فتح صهيون)

ولما فرغ صلاح الدين من فتح اللاذقية سار الى قلعة صهيون وهى على جبل صعبة المرتقى بعيدة المهوى يحيط بجبلها واد عميق ضيق ويتصل بالجبل من جهة الشمال وعليها خمسة أسوار وخندق عميق فنزل صلاح الدين على الجبل لضيقها وقدم ولده الظاهر صاحب حلب فنزل مضيق الوادى ونصب المنجنيقات هنالك فرمى بها على الحصن ونضحهم بالسهام من سائر أصناف القسى وصابروا قليلا ثم زحف المسلمون ثانى جمادى

الاخرى وسلكوا بين الصخور حتى ملكوا أحد اسوارها وقاتلوهم منه فملكوا عليهم سورين آخرين وغنموا جميع ماكان فى البلد من الدواب والبقر والذخائر ولجأ الحامية الى القلعة وقاتلهم المسلمون عليها فنادوا بالامان فشرط عليهم مثل قطيعة القدس وملك المسلمون الحصن وولى عليه ناصر الدين بن كورس صاحب قلعة بوفلس فحصنه وافترق المسلمون فى تلك النواحى فوجدوا الافرنج قد فروا من حصونها فملكوها جمعا وهدّوا اليها طريقا على عقبة صعبة لعفاء طريقها السهلة بالافرنج والاسماعيلية والله تعالى أعلم

(فتح بكاس والشغر)

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الى قلعة بكاس وقد فارقها الافرنج وتحصنوا بقلعة شغر فملك بكاس وحاصر قلعة الشغر والطريق منها مسلوك الى اللاذقية وجبلة وصهيون فقاتلهم ونصب المنجنيقات عليها فقصرت حجارتها عن الوصول وكانوا ممتنعوا وبعثوا خلال ذلك الى صاحب انطاكية وكان الحصن من اياالته فاستمدّوه والا اعطوا الحصن بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب فلما قعد عن نصرهم فاستأمنوا الى صلاح الدين وسألوه انظار ثلاث للفتح فأنظرهم وأخذ رهنهم ثم سلموه بعد الثلاث فى منتصف جمادى من السنة والله تعالى أعلم

(فتح سرمينية)

كان صلاح الدين عند اشتغاله بفتح هذه الحصون بعث ابنه الظاهر غازيا صاحب حلب الى سرمينية وحاصرها واستنزل الافرنج الذين بها على قطيعة اعطوها وهدم الحصن وكان فتحه آخر جمادى الاخيرة فانطلق جماعة من الاسارى كانوا بهذا الحصن وكانت هذه الفتوحات كلها فى مقدار شهر وجميعها من أعمال انطاكية والله تعالى أعلم

(فتح برزية)

ولما فرغ صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية قبالة افامية وتقاسمها فى اعمالها وبينهما بحيرة من ماء العاصى والعيون التى تجرى وكانوا أشد شئ فى الاذى للمسلمين فنازلها فى الرابع والعشرين من جمادى الاخيرة وهى متعذرة المصعد من الشمال والجنوب وصعبته من الشرق وبجهة الغرب مسلك اليها فنزل هنالك صلاح الدين ونصب المجانيق فلم تصل حجارتها لبعد القلعة وعلوها فرجع الى المزاحفة وقسم عساكره على أمرائها وجعل القتال بينهم نوبا فقاتلهم أولا عماد

الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار واصعدهم الى قلعتهم حتى صعب المرتقى على المسلمين وبلغوا مواقع سهامهم وحجارتهم من الحصن وكانوا يدحرجون الحجارة على المقاتلة فلا يقوم لها شئ فلما تعب أهل هذه النوبة عادوا وصعد خاصة صلاح الدين فقاتلوا قتالا شديدا وصلاح الدين وتقى الدين ابن أخيه يحرضانهم حتى أعيوا وهموا بالرجوع فصاح فيهم صلاح الدين وفى أهل النوبة الثانية فتلاحقوا بهم وجاء أهل نوبة عماد الدين على اثرهم وحمى الوطيس وردّوا الافرنج على أعقابهم الى حصنهم فدخلوه ودخل المسلمون معهم وكان بقية المسلمين فى الخيام شرقى الحصن وقد أهمله الافرنج فعمد أهل الخيام من تلك الناحية واجتمعوا مع المسلمين فى أعقاب الافرنج عند الحصن فملكوه عنوة وجاء الافرنج الى قبة الحصن ومعهم جماعة من أسارى المسلمين فى القيود فلما سمعوا تكبير اخوانهم خارج القبة كبروا فدهش الافرنج وظنوا أن المسلمين خالطوهم فألقوا باليد وأسرهم المسلمون واستباحوهم وأحرقوا البلد وأسروا صاحبها وأهله وولده وافترقوا فى أسراهم فجمعهم صلاح الدين حتى اذا قارب انطاكية بعثهم اليها لان زوجة صاحب انطاكية كانت تراسل صلاح الدين بالاخبار وتهاديه فرعى لها ذلك والله تعالى ولى التوفيق

(فتح دربساك)

ولما فرغ صلاح الدين من حصن برزية دخل من الغد الى الجسر الجديد على نهر العاصى قرب انطاكية فأقام عليه فلحق به مخلف العسكر ثم سار الى قلعة دربساك ونزل عليها فى رجب من السنة وهى معاقل الفداوية التى يلجؤن الى الاعتصام بها ونصب عليها المجانيق حتى هدم من سورها ثم هجمها بالمزاحفة وكشف المقاتلة عن سورها ونقبوا منها برجا من أسفله فسقط ثم باكروا الزحف من الغد وصابرهم الافرنج ينتظرون المدد من صاحبهم سمند صاحب انطاكية فلما تبينوا عجزه استأمنوا صلاح الدين فأمنهم فى أنفسهم فقط وخرجوا الى انطاكية وملك الحصن فى عشرين من رجب من السنة والله تعالى أعلم

(فتح بغراس)

ثم سار عماد الدين عن دربساك الى قلعة بغراس على تعددها وقربها من انطاكية فيحتاج مع قتالها الى ردء من العسكر بينه وبين انطاكية فحاصرها ونصب عليها المجانيق فقصرت عنها لعلوها وشق عليهم حمل الماء الى أعلى الجبل وبينما هم فى ذلك اذ جاء رسولهم يستأمن لهم فأمنهم فى أنفسهم فقط كما أمن أهل دربساك وتسلم القلعة بما

فيها وخربها فجددها ابن اليون صاحب الارمن وحصنها وصارت فى ايالته والله أعلم

(صلح انطاكية)

ولما فتح حصن بغراس خاف سمند صاحب انطاكية وأرسل الى صلاح الدين فى الصلح على أن يطلق أسرى المسلمين الذين عنده وتحامل عليه أصحابه فى ذلك ليريح الناس ويستعدوا فأجابه صلاح الدين الى ذلك لثمانية أشهر من يوم عقد الهدنة وبعث اليه من استحلفه وأطلق الاسرى وكان سمند فى هذا الوقت عظيم الافرنج متسع المملكة طرابلس وأعمالها قد صارت اليه بعد القمص واستخلف فيها ابنه الاكبر وعاد صلاح الدين الى حلب فدخلها ثالث شعبان من السنة وانطلق ملوك الاطراف بالجزيرة وغيرها الى بلادهم ثم رحل الى دمشق وكان معه أبو فليتة قاسم بن مهنا أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد عسكر معه وشهد فتوحه وكان يتيمن بصحبته ويتبرك برؤيته ويجتهد فى تأنيسه وتكرمته ويرجع الى مشورته ودخل دمشق أول رمضان من السنة وأشير عليه بتفريق العساكر فأبى وقال هذه الحصون كوكب وصفد والكرك فى وسط بلاد الاسلام فلابد من البدار الى فتحها والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح الكرك)

كان صلاح الدين قد جهز العساكر على الكرك مع أخيه العادل حتى سار الى دربساك وبغراس وأبعد فى تلك الناحية فشد العادل حصارها حتى جهدوا وفنيت أقواتهم فراسلوه فى الامان فأجابهم وسلموا العاتبة فملكها وملك الحصون التى حواليها وأعظمها الشوبك وأمنت تلك الناحية واتصلت ايالة المسلمين من مصر الى القدس والله تعالى أعلم

(فتح صفد)

لما عاد صلاح الدين الى دمشق أقام بها نصف رمضان ثم تجهز لحصار صفد فنزل عليها ونصب المجانيق وكانت أقواتهم قد تسلط عليها الحصار الاول فخافوا من نفادها فاستأمنوا فأمنهم وملكها ولحقوا بمدينة صور والله تعالى أعلم

(فتح كوكب)

لما كان صلاح الدين على صفد خافه الافرنج على حصن كوكب فبعثوا اليه نجدة وكان قايماز النجمى يحاصره فشعر بتلك النجدة وركب اليهم وهم مختفون ببعض

الشعاب فكبسهم ولم يفلت منهم أحد وكان فيهم مقدمان من الاستبارية فحملهما الى صلاح الدين على صفد فاحضرهما للقتل على عادته فى الفداوية والاستبارية فاستعطفه واحد منهما فعفا عنهما وحبسهما ولما فتح صفد سار الى كوكب وحاصره وارسل اليهم بالامان فاصروا على الامتناع عليه فنصب عليهم المجانيق وتابع المزاحفة ثم عاقه المطر عن القتال وطال مقامه فلما انقضى المطر عاود المزاحفة وضايقهم بالسور ونقب منه برجا فسقط فارتاعوا واستأمنوا وملك الحصن منتصف ذى القعدة من السنة ولحق الافرنج بصور واجتمع الزعماء وتابعوا الرسل الى اخوانهم وراء البحر فى حوزة يستصرخونهم فتابعوا اليهم المدد واتصل المسلمون فى الساحل من ايلة الى بيروت لا يفصل بينهم الا مدينة صور ولما فرغ صلاح الدين من صفد وكوكب سار الى القدس فقضى فيه نسك الاضحى ثم سار الى عكا فاقام بها الى انسلاخ الشتاء والله تعالى أعلم

(فتح الشقيف)

ثم سار صلاح الدين فى ربيع سنة خمس وثمانين الى محاصرة الشقيف وكان لارناط صاحب صيدا وهو من أعظم الناس مكرا ودهاء فلما نزل صلاح الدين بمرج العيون جاء اليه وأظهر له المحبة والميل وطلب المهلة الى جمادى الاخيرة ليتخلص أهله وولده من المركيش بصور ويسلم له حصن الشقيف فأقام صلاح الدين هنالك لوعده وانقضت مدة الهدنة بينه وبين سمند صاحب انطاكية فبعث تقى الدين ابن أخيه مسلحة فى العساكر الى البلاد التى قرب انطاكية ثم بلغه اجتماع الافرنج بصور عند المركيش وأن الامداد وافتهم من أهل ملتهم وراء البحر وأن ملك الافرنج بالشام الذى أطلقه صلاح الدين بعد فتح القدس قد اتفق مع المركيش ووصل يده به واجتمعوا فى أمم لا تحصى وخشى أن يتقدم اليهم ويترك الشقيف وراءه فتنقطع عنه الميرة فأقام بمكانه فلما انقضى الاجل تقدم الى الشقيف واستدعى ارناط فجاء واعتذر بأن المركيش لم يمكنه من أهله وولده وطلب الامهال مرة أخرى فتبين صلاح الدين مكره فحبسه وأمره أن يبعث الى أهل الشقيف بالتسليم فلم يجب فبعث به الى دمشق فحبس بها وتقدم الى الشقيف فحاصره بعد أن أقام مسلحة قبالة الافرنج الذين بظاهر صور فجاءه الخبر بأنهم فارقوا صور لحصار صيدا فلقيتهم المسلحة وقاتلوهم فغلبوهم وأسروا سبعة من فرسانهم وقتلوا آخرين وقتل مولى لصلاح الدين من أشجع الناس وردوهم على أعقابهم الى معسكرهم بظاهر صور وجاء صلاح الدين بعد انقضاء الوقعة فأقام فى المسلحة رجاء أن يصادف أحدا من الافرنج فينتقم منهم وركب فى بعض الايام ليشارف معسكر الافرنج فظن عسكره أنه يريد القتال فجعوا وأوغلوا الى العدو وبعث صلاح الدين الامراء فى أثرهم يردونهم فلم يرجعوا ورآهم

الافرنج فظنوا أن وراءهم كمينا فارسلوا من يكشف خبرهم فوجدوهم منقطعين فحملوا عليهم وأتوا وهم جميعا وذلك تاسع جمادى الاولى من السنة ثم انحدر اليهم صلاح الدين في عساكره من الجبل فهزمهم الى الجسر وغرق منهم في البحر نحو من مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على حصارهم واجتمع اليه الناس ثم عاد الافرنج الى صور وعاد السلطان الى بلبيس ليشارف عكا ويرجع الى مخيمه ولما وصل الى المعسكر جاء الخبر بأن الافرنج يتعدون عن صور ومذاهبهم لحاجاتهم فكتب الى المعسكر بعكا وواعدهم ثامن جمادى الاخيرة يوافونه من ناحيتهم للاغارة عليهم وأكمن لهم في الاودية والشعاب من سائر النواحي واختار جماعة من فرسان عسكره وتقدم اليهم بأن يتعرضوا للافرنج ثم يستطردوا لهم الى مواضع الكمناء ففعلوا وناشبوا الافرنج وانفوا من الاستطراد وطال على الكمناء الانتظار فخرجوا خشية على أصحابهم فوافوهم في شدة الحرب فانهزم المسلمون ووقع التمحيص وكان أربعة في الكمين من امراء طيئ فعدلوا عن طريق أصحابهم وسلكوا الوادي وتبعهم بعض العسكر من موالي صلاح الدين ورآهم الافرنج في الوادي فعلموا أنهم أضلوا الطريق فاتبعوهم وقتلوهم والله تعالى أعلم

(محاصرة الافرنج أهل صور لعكا والحروب عليها)

كانت صور كما قدمنا ضبطها المركيش من الافرنج الواصل من وراء البحر وقام بها وكان كلما فتح صلاح الدين مدينة أو حصنا على الامان لحق أهلها بصور فاجتمع بها عدد عظيم من الافرنج وأموال جمة ولما فتح القدس لبس كثير من رهبانهم وقسيسهم وزعمائهم السواد حزنا على البيت المقدس وارتحل بطرك من القدس وهم معه يستصرخون أهل الملة النصرانية من وراء البحر للاخذ بثأر القدس فخرجوا للجهاد من كل بلد حتى النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب ومن لم يستطع الخروج استأجر مكانه وبذلوا الاموال لهم وجاء الافرنج من كل مكان ونزلوا بصور ومدد الرجال والاقوات والاسلحة متداركة لهم في كل وقت واتفقوا على الرحيل الى عكا ومحاصرتها فخرجوا ثامن رجب من سنة خمس وثمانين وسلكوا على طريق الساحل وأساطيلهم تحاذيهم في البحر ومسلحة المسلمين تتخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا الى عكا منتصف رجب وكان رأى صلاح الدين أن يحاذيهم في مسيرهم لينال منهم فخالفه أصحابه واعتذروا بضيق الطريق ووعره فسلك طريقا آخر ووافاهم على عكا وقد نزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر الى البحر فليس للمسلمين اليها طريق ونزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الاطراف يستنفر الناس فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر

بلاد

بلاد الجزيرة وجاء تقي الدين ابن أخيه من حماة ومظفر الدين كوكبري من حران والرها وكان أمداد المسلمين تصل في البر وامداد الافرنج في البحر وهم محصورون في صورة محاصرين وكانت بينهم أيام مذكورة ووقائع مشهورة وأقام السلطان بقية رجب لم يقاتلهم فلما استهل شعبان قاتلهم يوما بكماله وبات الناس على تعبية ثم صبحهم بالقتال ونزل الصبر وحمل عليهم تقي الدين ابن أخيه منتصف النهار من الميمنة حملة أزالتهم عن مواقفهم وملك مكانهم واتصل بالبلد فدخلها المسلمون وشحنها صلاح الدين بالمدد من كل شيء وبعث اليهم الامير حسام الدين أبا الهيجاء السمين من أكابر امرائه من الاكراد الحطبية من اربل ثم نهض المسلمون من الغد فوجدوا الافرنج قد أداروا عليهم خندقا يمتنعون به ومنعوهم القتال يومهم وأقاموا كذلك ومع السلطان أحياء من العرب فكمنوا في معاطف النهر من ناحية الافرنج على الساحل للخطف منهم وكبسوهم منتصف شعبان وقتلوهم وجاؤا برؤسهم الى صلاح الدين فأحسن اليهم والله تعالى أعلم

(الوقعة على عكا)

كان صلاح الدين قد بعث عن عسكر مصر وبلغ الخبر الافرنج فارادوا معاجلته قبل وصولهم وكانت عساكره متفرقة في المسالح على الجهات فمسلحة تقابل انطاكية وسمند من أعمال حلب ومسلحة بحمص تحفظها من أهل طرابلس ومسلحة تقابل صور ومسلحة بدمياط والاسكندرية واعتزم الافرنج على مهاجمتهم بالقتال ولم يشعروا بهم وصبحوهم لعشرين من شعبان وركب صلاح الدين وعبى عساكره وقصدوا الميمنة وعليها تقي الدين ابن أخيه فتزحزح بعض الشيء وأمده صلاح الدين بالرجال من عنده فحطوا على صلاح الدين في القلب فتضعضع واستشهد جماعة منهم الامير علي ابن مردان والظهير أخو الفقيه عيسى والي القدس والحاجب خليل الهكاري وغيرهم وقصدوا خيمة صلاح الدين فقتلوا من وزرائه ونهبوا واستشهد جمال الدين بن رواحة من العلماء ووضعوا السيف في المسلمين وانهزم الذين كانوا حوالي الخيمة ولم تسقط وانقطع الذين ولوها من الافرنج عن أصحابهم وراءهم وحملت ميسرة المسلمين عليهم فاحجمتهم وراء الخنادق وعادوا الى خيمة صلاح الدين فقتلوا كل من وجدوا عندها من الافرنج وصلاح الدين قد عاد من اتباع أصحابه يردهم للقتال وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد وأسروا مقدم الفداوية فأمر بقتله وكان أطلقه مرة أخرى وبلغت عدة القتلى عشرة آلاف فألقوا في النهر وأما المنهزمون من المسلمين فمنهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الاردن ورجع ومنهم من بلغ دمشق واتصل قتال

المسلمين للافرنج وكادوا يلجون عليهم معسكرهم ثم جاءهم الصريخ بنهب اموالهم وكان المنهزمون قد حملوا اثقالهم فامتدت اليها أيدى الاوباش ونهبوها فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استئصال الافرنج وأقاموا فى ذلك يوما وليلة يستردون النهب من أيدى المسلمين ونفس بذلك عن الافرنج بعض الشئ والله تعالى أعلم

(رحيل صلاح الدين عن الافرنج بعكا)

ولما انقضت هذه الواقعة وامتلأت الارض من جيف الافرنج تغير الهواء وأنتن وحدث بصلاح الدين قولنج كان يعاوده فأشار عليه أصحابه بالانتقال عنهم الافرنج ينتقلون وان أقاموا عدنا اليهم وحمله الاطباء على ذلك فرحل رابع رمضان من السنة وتقدم الى أهل عكا بحياطتها وأعلمهم سبب رحيله فلما ارتحل اشتد الافرنج فى حصار عكا وأحاطوا بها دائرة مع اسطولهم فى البحر وحفروا خندقا على معسكرهم وأداروا عليهم سورا من ترابه حصنا من صلاح الدين أن يعود اليهم ومسلحة المسلمين قبالتهم يناوشوهم القتال فلا يقاتلونهم وبلغ ذلك صلاح الدين وأشار أصحابه بارسال العساكر ليمنع من التحصين فامتنع من ذلك لمرضه فتم للافرنج ما أرادوه وأهل عكا يخرجون اليهم فى كل يوم ويقاتلونهم والله تعالى أعلم

(معاودة صلاح الدين حصار الافرنج على عكا)

ثم وصل العادل أبو بكر بن أيوب منتصف شوال فى عساكر مصر ومعه الجم الغفير من المقاتلة والاصناف الكثيرة من آلات الحصار ووصل على اثره اسطول مصر مع الامير لؤلؤ وكبس مركبا فغنم ما فيه ودخل به الى عكا وبرئ صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة الى انسلاخ الشتاء وسمع الافرنج أن صلاح الدين سار اليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا اليهم فى صفر سنة ست وثمانين واستمات المسلمون وقتل بين الفريقين خلق وبلغ الخبر بذلك صلاح الدين وجاءته العساكر من دمشق وحمص وحماة فتقدم من الجزيرة الى تل كيسان وتابع القتال على الافرنج يشغلهم عن المسلمين فكانوا يقاتلون الفريقين وكان الافرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب ارتفاع كل برج ستون ذراعا وفيه خمس طبقات وغشوها بالجلود ودلوها بالادوية التى لا تعلق النار بها وشحنوها بالمقاتلة ودنوها الى البلد من ثلاث جهات فى العشرين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وأشرفوا بها على السور فكشف من عليه من المقاتلة وشرع الافرنج فى طم الخندق وبعث أهل عكا سابحا فى البحر يصف لهم حالهم فركب فى عساكره واشتد فى قتال الافرنج

نخف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا عن دفع الابراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعانى أحوال النفط فأخذ عقاقير وصنعها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء وقال ارم بهذا فى المنجنيق المقابل لاحدى الابراج فيحترق فخرد عليه ثم وافق ورمى به فى قدر ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوءة نارا فاضطرمت النار واحترق البرج بمن فيه ثم فعل بالثانى والثالث كذلك وفرح أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح الدين بالاحسان الى ذلك الرجل فلم يقبل وقال انما فعلته لله ولا أريد الجزاء الا منه ثم بعث صلاح الدين الى ملوك الاطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب اربل وكان كل واحد منهم اذا وصل يتقدم بعسكره فيقاتلون الافرنج ثم يضربون أبنيتهم وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر فجهز الافرنج أسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين برا وبحرا ودخل الاسطول الى مرسى عكا سالما والله تعالى أعلم بغيبه

(وصول ملك الالمان الى الشأم ومهلكه)

هؤلاء الالمان شعب من شعوب الافرنج كثير العدد موصوف بالبأس والشدة وهم موطنون بجزيرة انكلطيرة فى الجهة الشمالية الغربية من البحر المحيط وهم حديثو عهد بالنصرانية ولما سار القسس والرهبان بخبر بيت المقدس واستنفار النصرانية لها قام ملكهم لها وقعد وجمع عساكره وسار للجهاد بزعمه وفسح النصارى له الطريق وقصد القسطنطنية فعجز ملك الروم عن منعه بعد ان كان يعد بذلك نفسه وكتب بها الى صلاح الدين لكنه منع عنهم الميرة فضاقت عليهم الاقوات وعبروا خليج القسطنطينية ومروا بمملكة قليج ارسلان وتبعهم التركمان يحفون بهم ويتخطفون منهم وكان الفصل شتاء والبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع ومروا بقونية وبها قطب الدين ملكشاه بن قليج ارسلان قد غلب عليه أولاده وافترقوا فى النواحى فخرج ليصدهم فلم يطق ذلك ورجع فساروا فى أثره الى قونية وبعثوا اليه بهدية على أن يأذن لهم فى الميرة فاذن لهم واسترهنوا عشرين من أمرائه وتكاثر عليهم اللصوص فقيدوا أولئك الامراء وحبسوهم وساروا الى بلاد الارمن وصاحبها كافولى بن حطفاى بن اليون فأمدهم بالازواد والعلوفات وأظهر طاعتهم وسار الى

انطاكية ودخل ملكهم ليغتسل فى نهر هنالك فغرق وملك بعده ابنه ولما بلغوا انطاكية اختلفوا فبعضهم مال الى تمليك أخيه وبعضهم مال الى العود فعاد واكثرهم وسار ابن الملك فيمن ثبت معه يزيدون على أربعين ألفا وأصابهم الموتان وحسن اليهم صاحب انطاكية المسير الى الافرنج على عكا فساروا على جبلة واللاذقية ومروا بحلب وتخطف أهلها منهم خلقا وبلغوا طرابلس وقد أفناهم الموتان ولم يبق منهم الا نحو ألف رجل فركبوا البحر الى عكا ثم رأوا ما هم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر الى بلدهم وغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قليج أرسلان يكاتب صلاح الدين بأخبارهم ويعده بمنعهم من العبور عليه فلما عبروا اعتذر بالعجز عنهم وافتراق أولاده واستبدادهم عليه وأما صلاح الدين فانه استشار أصحابه عند وصول خبرهم فأشار بعضهم الى لقائهم فى طريقهم ومحاربتهم وأشار آخرون بالمقام لئلا يأخذ الافرنج عكا ومال صلاح الدين الى هذا الرأى وبعث العساكر من جبلة واللاذقية وشيزر الى حلب ليحفظوها من عاديتهم والله تعالى ولى التوفيق

(واقعة المسلمين مع الافرنج على عكا)

ثم زحف الافرنج على عكا فى عشر من جمادى الاخيرة من سنة ست وثمانين وخرجوا من خنادقهم الى عساكر صلاح الدين وقصد العادل أبو بكر بن أيوب فى عساكر مصر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كشفهم الافرنج عن الخيام وملكوها ثم كر عليهم المصريون فكشفوهم عن خيامهم وخالفهم بعض عساكر مصر الى الخنادق فقطعوا عنهم بعض مدد أصحابهم فأخذتهم السيوف وقتل منهم ما يزيد على عشرين ألفا وكانت عساكر الموصل قريبا من عسكر مصر ومقدمهم علاء الدين خوارزم شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فعدمت جرتهم وأمر صلاح الدين بمناجزتهم على هذا الحال وبلغه الخبر بموت الالمان وما أصاب قومه من الشتات فسر المسلمون بذلك وظنوا وهن الافرنج به ثم بعد يومين لحقت بالافرنج امداد فى البحر مع كند من الكنود يقال له الكندهرى ابن أخى الافرنسيس لابيه وابن أخى ملك انكلطيرة لامه ففرق فى الافرنج أموالا وجند لهم أجنادا ووعدهم بوصول الامداد على أثره فاعتزموا على الخروج لقتال المسلمين فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة لثلاث بقين من جمادى الاخيرة لضيق المجال ونتن المكان من جيف القتلى ثم نصب الكندهرى على عكا مجانيق وذبابات فأخذها أهل عكا وقتلوا عندها جموعا من الافرنج فلم يتمكن من ذلك ولا من الستائر عليها لان أهل البلاد كانوا يصيبونها فعمل تلا عاليا من التراب ونصب المجانيق من ورائه وضاقت الاحوال وقلت الميرة

وارسل

وأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يبعث الاقوات فى المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركبا ونصبوا فيها الصلبان يوهمون انه للافرنج حتى دخلوا الى المرسى وجاءت بعد الميرة من الاسكندرية ثم جاءت ملكة من الافرنج من وراء البحر فى نحو ألف مقاتل للجهاد بزعمها فأخذت ببحر الاسكندرية هى وجميع ما معها ثم كتب البابا كبير الملة النصرانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ويخبرهم بوصول الامداد وأنه راسل ملوك الافرنج يحثهم على امدادهم فازدادوا بذلك قوة واعتزموا على مناجزة المسلمين وجروا عسكر الحصار عكا وارتحلوا حادى عشر شوال من السنة فنقل صلاح الدين اثقال العسكر الى

بياض بالاصل

على ثلاثة فراسخ من عكا ولقى الافرنج على التعبية وكان أولاده الافضل على والظاهر غازى والظافر خضر فى القلب وأخوه العادل أبو بكر فى الميمنة بعساكر مصر ومن انضم اليهم وعماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر فى الميسرة وصلاح الدين فى خيمة صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه فلما وصل الافرنج وعاينوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم وباتوا ليلتهم وعادوا من الغد الى معسكرهم فاتبعوهم أهل المقدمة وتخطفوهم من كل ناحية وأجروهم وراء خنادقهم ثم ناوشوهم القتال فى الثالث والعشرين من شوال بعد ان أكمنوا لهم عسكرا فخرج لهم الافرنج فى نحو أربعمائة فارس واستطردلهم المسلمون الى أن وصلوا كمينهم فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الافرنج وبلغت الغرارة مائة دينار صورى مع ما كان يحمل اليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ومن صيدا على يد نائبها سيف الدين على ابن أحمد المشطوب ومن عسقلان وغيرها ثم اشتد الحال عليهم عند هيجان البحر وانقطاع المراكب فى فصل الشتاء ثم هجم الشتاء وأرسى الافرنج مراكبهم بصور خوفا عليها على عادتهم فى صور فى فصل الشتاء ووجد الطريق الى عكا فى البحر فأرسل أهلها الى صلاح الدين يشكون ما نزل بهم وكان بها الامير حسام الدين أبو الهيجاء السمين فشكى من ضجره بطول المقام والحرب فأمر صلاح الدين بانفاذ نائب وعسكر اليها بدلا منهم وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر عند جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وبعث العساكر اليها شيأ فشيأ كلما دخلت طائفة خرج بدلها فدخل عشرون أميرا بدلا من ستين كانوا وأهملوا أهل الرجل وتعينت دواوين صاحب صلاح الدين وكانوا نصارى على الجند فى اثباتهم واطلاق نفقاتهم فبلغ الحامية بعكا وضعفت وعادت مراكب الافرنج بعد انحسار الشتاء فانقطعت

الاخبار عن عكا وعنها وكان من الامراء الذين دخلوا عكا سيف الدين على بن أحمد المشطوب وعز الدين ارسلان مقدم الاسرية وابن جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة زين الدين صاحب اربل وولاية أخيه كوكبرى)

كان زين الدين يوسف بن زين الدين قد دخل فى طاعة صلاح الدين وكانت له اربل كما مر لابيه وحران والرها لاخيه مظفر الدين كوكبرى وكان يعسكر مع صلاح الدين فى غزواته وحضر عنده على عكا فأصابه المرض وتوفى فى ثامن عشر رمضان سنة أربع وثمانين فقبض أخوه مظفر الدين كوكبرى على بلد أمير من أمرائه وبعث الى صلاح الدين يطلب اربل وينزل عن حران والرها فأجابه وأقطعه اياهما وأضاف اليهما شهرزور وأعمالها ودار بند العرابلى وهى قفجاق وكاتب أهل اربل مجاهد الدين صاحب الموصل خوفا من صلاح الدين مع أن مجاهد الدين كان عز الدين قد حبسه كما مر ثم اطلقه وولاه نائبه وجعل بعض غلمانه عينا عليه فكان يناقضه فى كثير من الاحوال فقصد مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك فى اربل فامتنع منها وولاها مظفر الدين واستفحل أمره فيها ولما نزل مظفر الدين عن حران والرها وهبها صلاح الدين لابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه مضافة الى ميافارقين بديار بكر وحماة وأعمالها بالشأم وتقدم له أن يقطع أعمالها للجند فيتقوى بهم على الافرنج فسار تقى الدين اليها وقرر أمورها ثم انتهى الى ميافارقين وتجدد له طمع فيما يجاورها من البلاد فقصد مدينة حال من ديار بكر وسار اليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط فى عساكره وقاتله فهزمه تقى الدين ووطئ بلاده وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رستق وزير سلطان شاكرين وحبسه فى قلعة هنالك فلما انهزم كتب الى والى القلعة بقتله فوافاه الكتاب وتقى الدين محاصر له فلما ملك القلعة أطلق ابن رستق وسار الى خلاط وحاصرها فامتنعت عليه فعاد عنها الى ملاذكرد فضيق عليها حتى استأمنوا اليه وضرب لهم أجلا فى تسليم البلد ثم مرض ومات قبل ذلك الاجل بيومين وحمله ابنه الى ميافارقين فدفنه بها واستفحلت دولة بكتمر فى خلاط والله تعالى أعلم

(وصول امداد الافرنج من الغرب الى عكا)

ثم تتابعت امداد الافرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا وأول من وصل منهم الملك ملك افرنسة وهوذ ونصب فيهم وملكه ليس بالقوى هكذا قال ابن الاثير وعندى انه كان مستفحلا فى ذلك العصر لانه فى الحقيقة ملك الافرنج وهو فى ذلك

العصر أشد من كانوا قوة واستفحالا فوصل ثانى عشر ربيع الاول سنة أربع وثمانين فى ستة مراكب عظيمة مشحونة بالمقاتلة والسلاح فقوى الافرنج على عكا بمكانه وولى حرب المسلمين فيها وكان صلاح الدين على معمر عمر قريبا من معسكر الافرنج فكان يصابحهم كل يوم عن مزاحفة البلد وتقدم الى أسامة فى بيروت بتجهيز ماعنده من المراكب والشوانى الى مرسى عكا ليشغل الافرنج أيضا فبعثها ولقيت خمسة مراكب فى البحر وكان ملك الانكلطيرة أقدمها وأقام على جزيرة قبرص طامعا فى ملكها فغنم أسطول المسلمين الخمسة مراكب بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين الى سائر النواب بأعماله بمثل ذلك فجهزوا الشوانى وملؤا بها مرسى عكا وواصل الافرنج قتال البلد ونصبوا عليها المنجنيقات رابع جمادى وتحول صلاح الدين لمعسكره قريبا منهم ليشغلهم عن البلد فخف قتالهم عن أهل البلد ثم فرغ ملك انكلطيرة من جزيرة قبرص وملكها وعزل صاحبها وبلغ الى عكا فى خمس وعشرين مركبا مشحونة بالرجال والاموال ووصل منتصف رجب ولقى فى طريقه مركبا جهز من بيروت الى عكا وفيه سبعمائة مقاتل فقاتله فلما يئس المسلمون الذين به من الخلاص نزل مقدمهم وهو يعقوب الحلى غلام ابن شفنين فخرق المركب خوفا من أن يظفر الافرنج برجاله وذخائره فغرق ثم عمل الافرنج ذبابات وكباشا وزحفوا بها فأحرق المسلمون بعضها وأخذوا بعضها فرجع الافرنج الى نصب التلال من التراب يقاتلون من ورائها فامتنعت من نفوذ الحيلة فيها وضاق حال أهل عكا

(استيلاء الافرنج على عكا)

ولما جهد المسلمين بعكا الحصار خرج الامير سيف الدين على بن أحمد الهكارى المشطوب من أكبر أمرائها الى ملك افرنسة يستأمنه لاهل عكا فلم يجبه وضعفت نفوس أهل البلد لذلك ووهنوا ثم هرب من الامراء عز الدين ارسل الاسدى وابن عز الدين جاولى وسنقر الارجانى فى جماعة منهم ولحقوا بالعسكر فازداد أهل عكا وهنا وبعث الافرنج الى صلاح الدين فى تسليمها فأجاب على أن يؤمنوا أهل البلد ويطلق لهم من أسراهم بعدد أهل البلد ويعطيهم الصليب الذى أخذه من القدس فلم يرضوا بما فعل فبعث الى المسلمين بعكا أن يخرجوا بجمعهم ويتركوا البلد ويسيروا مع البحر ويحملوا على العدو حملة مستميتين ويجىء المسلمون من وراء العدو فعساهم يخلصون بذلك فلما أصبحوا زحف الافرنج الى البلد ورفع المسلمون اعلامهم وارسل المشطوب من البلد الى الافرنج فصالحهم على الامان على أن يعطيهم مائتى ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب ويعطى للمركيش صاحب صور أربعة عشر ألف

دينار فأجابوا الى ذلك وضربوا المدة للمال والاسرى شهرين وسلموا اليهم البلد فلما ملكوها غدروا بهم وحبسوهم رهنا بزعمهم فى المال والاسرى والصليب ولم يكن لصلاح الدين ذخيرة من المال لكثرة انفاقه فى المصالح فشرع فى جمع المال حتى اجتمع مائة ألف دينار وبعث نائبا يستحلفهم على أن يضمن الفداوية من الخلف والضمان خوفا من غدر أصحابه وقال ملوكهم اذا اسلمتم المال والاسرى والصليب تعطونا رهنا فى بقية المال ونطلق أصحابكم وطلب صلاح الدين أن يضمن الفداوية الرهن ويحلفوا فامتنعوا ايضا وقالوا ترسلون المائة ألف دينار والاسرى والصليب فنطلق من نراه ونبقى الباقى الى مجىء بقية المال فتبين المسلمون غدرهم وانهم يطلقون من لا يعبأ به ويمسكون الامراء والاعيان حتى يفادوهم فلم يجبهم صلاح الدين الى شئ ولما كان آخر رجب ركب الافرنج الى ظاهر البلد فى احتفال وركب المسلمون فشدوا عليهم وكشفوهم عن مواقفهم فاذا المسلمون الذين كانوا عندهم قتلى بين الصفين قد استلحموا ضعفاءهم وتمسكوا بالاعيان للمفاداة فسقط فى يد صلاح الدين وتمسك بالمال الذى جمعه لغيرها من المصالح والله تعالى أعلم

(تخريب صلاح الدين عسقلان)

ولما استولى الافرنج على عكا استوحش المركيش صاحب صور من ملك انكلطيرة وأحس منه بالغدر فلحق ببلده صور ثم سار الافرنج مستهل شعبان لقصد عسقلان وساروا مع ساحل البحر لا يفارقونه ونادى صلاح الدين باتباعهم مع ابنه الافضل وسيف الدين أبى زكوش وعز الدين خرديك فاتبعوهم يقاتلونهم ويتخطفونهم من كل ناحية ففتكوا فيهم بالقتل والاسر وبعث الافضل الى أبيه يستمده فلم يجد العساكر مستعدة وسار ملك انكلطيرة فى ساقة الافرنج فحملهم وانتهوا الى يافا فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم مقيمون ولحق بهم من عكا من احتاجوا اليه ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ويقتلون من ظفروا به منهم وزاحموهم عند قيسارية فنالوا منهم وباتوا بها مشاورين واختطف المسلمون منهم بالليل فقتلوا وأسروا وساروا من الغد الى أرسوف وسبقهم المسلمون اليها الضيق الطريق فحملوا عليهم عندها حتى اضطروهم الى البحر فحينئذ استمات الافرنج وحملوا على المسلمين فهزموهم وأثخنوا فى تابعهم وألحقوهم بالقلب وفيه صلاح الدين وتستر المسلمون المنهزمون بخمر الشعراء فرجع الافرنج عنهم وانفرج ما كانوا فيه من الضيق المذكور وساروا الى يافا فوجدوها خالية وملكوها وكان صلاح الدين قد سار من مكان الهزيمة الى الرملة وجمع مخلفه وأثقاله واعتزم على مسابقة الافرنج الى عسقلان فمنعه أصحابه وقالوا

نخشى أن تزاحمنا الافرنج عليها ويغلبونا على حصارها كما غلبونا على حصار عكا ويملكوها آخرا ويقووا بما فيها من الذخائر والاسلحة فندبهم الى المسير اليها وحمايتها من الافرنج فلجوا فى الامتناع من ذلك فسار وترك العساكر مع أخيه العادل قبالة الافرنج ووصل الى عسقلان وخربها تاسع عشر شعبان وألقيت حجارتها فى البحر وبقى أثرها وهلك فيها من الاموال والذخائر ما لا يحصى فلما بلغ الافرنج ذلك أقاموا بيافا وبعث المركيش الى ملك انكلطيرة يعذله حيث لم يناجز صلاح الدين على عسقلان ويمنعه من تخريبها فاخر بها حتى عجز عن حمايتها ثم رحل صلاح الدين من عسقلان ثانى شهر رمضان الى الرملة فخرب حصنها ثم سار الى القدس من شدة البرد والمطر لينظر فى مصالح القدس وترتيبهم فى الاستعداد للحصار وأذن للعساكر فى العود الى بلادهم للاراحة وعاد الى مخيمه ثامن رمضان وأقام الافرنج بيافا وشرعوا فى عمارتها فرحل صلاح الدين الى نطرون وخيم به منتصف رمضان وتردد الرسل بين ملك انكلطيرة وبين العادل على أن يزوجه ملك انكلطيرة أخته ويكون القدس وبلاد المسلمين بالساحل للعادل وعكا وبلاد الافرنج بالساحل لها الى مملكتها وراء البحر بشرط رضا الفداوية وأجاب صلاح الدين الى ذلك ومنع الاقسة والرهبان أخت ملك انكلطيرة من ذلك ونكروا عليها فلم يتم وانما كان ملك انكلطيرة يخادع بذلك ثم اعتزم الافرنج على القدس ورحلوا من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة وسار صلاح الدين الى القدس وقدم عليه عسكر مصر مع أبى الهيجاء السمين فقويت به نفوس المسلمين وسار الافرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجة والمسلمون يحاذونهم وكانت بينهم وقعات اسروا فى واحدة منها   وخمسين من مقاتلة الافرنج واهتم صلاح الدين بعمارة اسوار القدس ورم ما ثلم منها وضبط المكان الذى ملك القدس منه وسد فروجه وامر بحفر الخندق خارج الفصيل وقسم ولاية هذه الاعمال بين ولده وأصحابه وقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب الى الاماكن البعيدة وينقلها على مركوبه فيقتدى به العسكر ثم ان الافرنج ضاقت أحوالهم بالنطرون وقطع المسلمون عنهم الميرة من ساحلهم فلم يكن كما عهدوه بالرملة وسأل ملك انكلطيرة عن صورة القدس ليعلم كيفية ترتيب حصارها فصورت له ورأى الوادى محيطا بها الا قليلا من جهة الشمال مع عمقه ووعرة مسالكه فقال هذه لا يمكن حصارها الا انا اذا اجتمعنا عليها من جانب بقيت الجوانب الاخرى وان افترقنا على جانب الوادى والجانب الآخر كبس المسلمون احدى الطائفتين ولم تصل الاخرى لانجادهم خوفا من المسلمين على معسكرهم وان تركوا من أصحابه حامية المعسكر فالمدى بعيد لا يصلون للانجاد الا بعد الوفاة هذا الى ما يلحقنا من

بياض بالاصل

تعذر القوت بانقطاع الميرة فعلموا صدقه وارتحلوا عائدين الى الرملة ثم ارتحلوا فى محرم سنة ثمان وثمانين الى عسقلان وشرعوا فى عمارتها وسار ملك انكلطيرة الى مسلح المسلمين فواقعوهم وجرت بينهم حروب شديدة وصلاح الدين يبعث سراياه من القدس الى الافرنج للاغارة وقطع الميرة فيغنمون ويعودون والله تعالى أعلم

(مقتل المركيش وملك الكندهرى مكانه)

ثم ارتحل صلاح الدين الى سنان مقدم الاسماعيلية بالشأم فى قتل ملك انكلطيرة والمركيش وجعل له على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلطيرة لما رأوه من المصلحة لئلا يتفرغ لهم صلاح الدين وبعث رجلين لقتل المركيش فى زى الرهبان فاتصلا بصاحب صيدا وابن بازران صاحب وأقاما عندهما بصور ستة أشهر مقبلين على رهبانيتهما حتى أنس بهما المركيش ثم دعاه الاسقف بصور دعوى فوثبا عليه فجرحاه ولجأ أحدهما الى كنيسة واختفى فيها وحمل اليها المركيش لشدة جراحه فأجهز عليه ذلك الباطنى وقتله ونسب ذلك الى ملك انكلطيرة رجاء ان يتفرد بملك الافرنج بالشأم ولما قتل المركيش ملك المدينة زعيم من الافرنج الواردين من وراء البحر يعرف بالكندهرى ابن أخت ملك افرنسة وابن أخى ملك انكلطيرة من أبيه وتزوج بالملكة فى ليلته وبنى بها وملك عكا وسائر البلاد بعد عود ملك انكلطيرة وعاش الى سنة أربع وتسعين وسقط من سطح ولما رحل ملك انكلطيرة الى بلاده أرسل هذا الكندهرى الى صلاح الدين واستماله للصلح والتمس منه الخلعة فبعث اليه بها ولبسها بعكا والله تعالى أعلم

(مسير الافرنج الى القدس)

ولما قدم صلاح الدين القدس وكان قد بلغه مهلك تقى الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وان ابنه ناصر الدين استولى على أعماله بالجزيرة وهى حران والرها وسميساط وميافارقين وحان وبعث الى صلاح الدين يسأل ابقاءها فى يده مضافة الى ما كان لابيه من الاعمال بالشأم فاستقصره صلاح الدين لصغره وطلب منه ابنه الافضل أن يعطيها له وينزل عن دمشق فجابه الى ذلك وأمره أن يسير اليها وكاتب ملوك البلاد الشرقية بالموصل وسنجار والجزيرة واربل وسار لانجاده بالعساكر وعلم ناصر الدين انه لاقبل له بذلك فبعث للملك العادل يستشفع له عند صلاح الدين على أن يبقى بيده له ما كان لابيه بالشأم فقط وينزل عن بلاد الجزيرة فأقطعها صلاح الدين أخاه الملك العادل وبعثه يتسلمها ويرد ابنه الافضل فلحق بالافضل بحلب وأعاده وعبر

الفرات وتسلم البلاد من ناصر الدين بن تقى الدين وأنزل بها عماله واستصحبه وسائر العساكر الجزرية الى صلاح الدين بالقدس ولما بلغ الافرنج أن صلاح الدين بعث ابنه الافضل وأخاه العادل وفرق العساكر عليهما ولم يبق معه بالقدس الا بعض الخاصة فطمعوا فيه وأغاروا على عسكر مصر وهو قاصد اليه ومقدمهم سليمان أخو العادل لامه فأخذوه بنواحى الخليل وقتلوا وغنموا ونجا فلهم الى جبل الخليل وساروا الى الداروم فخربوه ثم ساروا الى القدس وانتهوا الى بيت نوجة على فرسخين من القدس تاسع جمادى الاولى من سنة ثمان وثمانين واستعد صلاح الدين للحصار وفرق ابراج السور على أمرائه وسلط السرايا والبعوث عليهم فرأوا ما لاقبل لهم به فتأخروا عن منازلتهم بيافا وأصبحت بقولهم ميرتهم غنائم للمسلمين وبلغهم أن العساكر الشرقية التى مع العادل والافضل عادت الى دمشق فعادوا الى عكا وعزموا على محاصرة بيروت فأمر صلاح الدين ابنه الافضل أن يسير فى العساكر الشرقية اليها فسار وانتهى الى مرج العيون فلم يبرح الافرنج من عكا واجتمع عند صلاح الدين خلال ذلك العساكر من حلب وغيرها فسار الى يافا فحاصرها وملكها عنوة فى عشرى رجب من السنة ثم حاصر القلعة بقية يومه وأشرفوا على فتحها وكانوا ينتظرون المدد من عكا فشغلوا المسلمين بطلب الامان الى الغد فأجابوهم اليه وجاءهم ملك انكلطيرة ليلا وتبعه مدد عكا وبرز من الغد فلم يتقدم اليه أحد من المسلمين ثم نزل بين السماطين وجلس للاكل وأمر صلاح الدين بالحملة عليهم فتقدم أخ المشطوب وكان يلقب بالجناح وقال لصلاح الدين نحن نتقدم للقتال ومماليكك للغنيمة فغضب صلاح الدين وعاد عن الافرنج الى خيامه حتى جاء ابنه الافضل وأخوه العادل فرحل الى الرملة ينتظر مآل أمره مع الافرنج وأقاموا بيافا والله تعالى أعلم

(الصلح بين صلاح الدين والافرنج ومسير ملك انكلطيرة الى بلاده)

كان ملك انكلطيرة الى هذه المدة قد طال مغيبه عن بلاده ويئس من بلاد الساحل لان المسلمين استولوا عليه فأرسل الى صلاح الدين يسأله فى الصلح وظن صلاح الدين أن ذلك مكر فلم يجبه وطلب الحرب فألح ملك انكلطيرة فى السؤال وظهر صدق ذلك منه فترك ما كان فيه من عمارة عسقلان وغزة والداروم والرملة وبعث الى الملك العادل بأن يتوسط فى ذلك فأشار على صلاح الدين بالاجابة هو وسائر الامراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات وهلاك الدواب والاسلحة وما بلغهم أن ملك انكلطيرة عائد الى بلاده وان لم تقع الاجابة آخر فصل الشتاء امتنع ركوب البحر فيقيم الى قابل فلما وعى ذلك صلاح الدين وعلم صحته أجاب الى الصلح وعقد الهدنة مع رسل الافرنج فى

عشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمدة أربعة وأربعين شهرا فتحالفوا على ذلك وأذن صلاح الدين للافرنج فى زيارة القدس وارتحل ملك انكلطيرة فى البحر عائدا الى بلده وأقام الكندهرى صاحب صور بعد المركيش ملكا على الافرنج بسواحل الشأم وتزوج الملكة التى كانت تملكهم قبله وقبل صلاح الدين كمامرّ وسار صلاح الدين الى القدس فأصلح اسواره وأدخل كنيسة صهيون فى البلد وكانت خارج السور واختط المدارس والربط والمارستان ووقف عليها الاوقاف واعتزم على الاحرام منه للحج فاعترضته القواطع دون ذلك فسار الى دمشق خامس شوّال واستخلف عليه الامير جرديك من موالى نور الدين ومرّ بكفور المسلمين نابلس وطبرية وصفد وبيروت ولما انتهى الى بيروت أتاه بها سمند صاحب انطاكية وطرابلس وأعمالها فالتزم طاعة صلاح الدين وعاد ودخل صلاح الدين دمشق فى الخامس والعشرين من شوّال وسرّ الناس بقدومه ووهن العدو والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعده)

ولما وصل صلاح الدين الى دمشق وقد خف من شواغل الافرنج بوهنهم وما عقد من الهدنة فأراح قليلا ثم اعتزم على احداث الغزو فاستشار ابنه الافضل وأخاه العادل فى مذهبه فأشار العادل بخلاط لانه كان وعده أن يقطعه اياها اذا ملكها وأشار الافضل ببلاد الروم ايالة بنى قليج ارسلان لسهولة أمرها واعتراض الافرنج فيها اذا قصدوا الشأم لانها طريقهم فقال لاخيه تذهب أنت لخلاط فى بعض ولدى وبعض العسكر وأذهب أنا الى بلاد الروم فاذا فرغت منها لحقت بكم فسرنا الى اذربيجان ثم الى بلاد العجم وأمره بالمسير الى الكرك وهى من أقطاعه ليتجهز منها ويعود لشأنه فسار الى الكرك ومرض صلاح الدين بعده ومات فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة لخمس وعشرين سنة من ملكه مصر رحمه الله تعالى وكان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين والعساكر عنده فملك دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها وكان بحلب ابنه الظاهر غازى فاستولى عليها وعلى أعمالها مثل حارم وتل باشر وعزاز وبرزية ودربساك وغيرها وأطاعه صاحب حماة ناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمعرة ومنبج وابن محمد بن شيركوه وله مع الرحبة حمص وتدمر وبعلبك بهرام شاه بن فرخشاه ابن شاهنشاه ولقبه الامجد وببصرى الظافر بن صلاح الدين ولقبه الامجد مع أخيه الافضل وشيزر سابق الدين عثمان بن الداية وبالكرك والشوبك الملك العادل وبلغ الخبر

الى العادل فأقام بالكرك واستدعاه الافضل من دمشق فلم يجبه لخوفه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل وقد كان سار من الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة فوعده بالنصر منه وأوهمه الرسول ان لم يسر الى الافضل بدمشق أنه متوجه الى العزيز بمصر ليحالفه عليه فحينئذ ارتاب العادل وسار الى الافضل بدمشق فتلقاه بالمبرة وجهز له العساكر لمدافعة عز الدين صاحب الموصل عن بلاد الجزيرة وأرسل الى صاحب حمص وصاحب حماة يحضهم على انفاذ العساكر معه وعبر بها الفرات وأقام بنواحى الرها وكان عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل لما بلغه وفاة صلاح الدين اعتزم على المسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها وسائرها لينتزعها من يده ومجاهد الدين قايماز اتابك دولته يثنيه عن ذلك ويعذله فيه فتبين حال العادل مع ابن أخيه وبينما هو فى ذلك اذ جاءت الاخبار بأن العادل بحران ثم وافاهم كتابه بأن الافضل ملك بعد أبيه صلاح الدين وأطاعه الناس فكاتب عز الدين جيرانه من الملوك مثل صاحب سنجار وصاحب ماردين يستنجدهم وجاء اليه أخوه على نصيبين وسار معه الى الرها فأصابه المرض فى طريقه ورجع الى الموصل فمات أوّل رجب من السنة واستقرت ايالة العادل فى ملكه من الجزيرة فلم ينتزع منها أحد والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مسير العزيز من مصر الى حصار الافضل بدمشق وما استقر بينهم فى الولايات)

كان العزيز عثمان بن صلاح الدين قد استقر بمصر كما ذكرناه وكان موالى أبيه منحرفين عن الافضل ورؤساؤهم يومئذ جهاركس وقراجا وقد استقر بهم عدوّ الافضل والاكراد وموالى شيركوه شيعة له فكان العدو يعدون العزيز بهؤلاء الشيع ويخوّفونه من أخيه الافضل ويغرونه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة تسعين وخمسمائة ونزل على دمشق واستنزل الافضل وهو بأعماله بالجزيرة وسار لعمه العادل بنفسه وسار معه الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة وشيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعساكر الموصل من قبل عز الدين مسعود بن مودود وساروا كلهم الى الافضل بدمشق لانجاده فامتنع على العزيز مرامه وتراسلوا فى الصلح على أن يكون القدس وأعمال فلسطين للعزيز وجبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب وتبقى دمشق وطبرية والغور للافضل وأن يستقر العادل بمصر مدبرا دولة العزيز على اقطاعه الاوّل وانعقد الصلح على ذلك ورجع العزيز الى مصر وعاد كل الى بلده والله تعالى أعلم

* (حصار العزيز ثانيا دمشق وهزيمته) *

ولما عاد العزيز الى مصر عاد موالى صلاح الدين الى اغرائه بأخيه الافضل فتجهز لحصاره بدمشق سنة احدى وتسعين وسار الافضل من دمشق الى عمه العادل بقلعة جعبر ثم الى أخيه الظاهر غازى بحلب مستنجدا لهما وعاد الى دمشق فوجد العادل قد سبقه اليها واتفقا على أن تكون مصر للافضل ودمشق للعادل ووصل العزيز الى قرب دمشق وكان الاكراد وموالى شيركوه منحرفين عنه كما قدمناه وشيعة للافضل ومقدمهم سيف الدين ابو ركوش من الموالى وأبو الهيجاء السمين من الاكراد فدلسا للافضل بالخروج الى العزيز وتراءاه الهزيمة عنه فخرجا فى العساكر وانحاز اليهما الموالى والاكراد وانهزم العزيز الى مصر وبعث الافضل العادل الى القدس فتسلمه من نائب العزيز وساروا فى اتباعه الى مصر والعساكر ملتفة على الافضل فارتاب العادل وخشى أن لا يفى له الافضل بما اتفقا عليه ولا يمكنه من دمشق فراسل العزيز بالثبات وأن ينزل حامية ووعد من نفسه المظاهرة على أخيه وتكفل له بمنعه من مقاتلته بلبيس فترك العزيز بها فخر الدين جهاركس فى عسكر من موالى أبيه وأراد الافضل مناجزتهم فمنعه العادل فأراد الرحيل الى مصر فمنعه أيضا وقال له ان أخذت مصر عنوة انخرقت الهيبة وطمع فيها الاعداء والمطاولة أولى ودس الى العزيز بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعا فيهم لمنزلته عند صلاح الدين فجاء اليهما وعقد الصلح بينهم على أن يكون للافضل القدس وفلسطين وطبرية والاردن مضافة الى دمشق ويكون للعادل كما كان القديم ويقيم بمصر عند العزيز يدبر أمره وتحالفوا على ذلك وعاد الافضل الى دمشق وأقام العادل عند العزيز بمصر انتهى والله أعلم

* (استيلاء العادل على دمشق) *

ثم ان العزيز استمال العادل وأطمعه فى دمشق أن يأخذها من أخيه ويسلمها اليه وكان الظاهر صاحب حلب يعذل الافضل فى موالاة عمه العادل ويحرضه على ابعاده فيلج فى ذلك ثم ان العادل والعزيز ساروا من مصر وحاصروا دمشق واستمالوا من أمراء الافضل أبا غالب الحمصى على وثوق الافضل به واحسانه اليه ففتح لهم الباب الشرقى عشية السابع والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين فدخل العادل منه الى دمشق ووقف العزيز بالميدان الاخضر وخرج اليه أخوه الافضل ثم دخل الافضل دار شيركوه وأظهروا مصالحة الافضل خشية من جموعه وأعادوه الى القلعة وأقاموا بظاهر البلد والافضل يغاديهم كل يوم ويراوحهم حتى استفحل أمرهم فأمروه بالخروج من دمشق وتسليم أعمالها وأعطوه قلعة صرخد وملك العزيز

القلعة ونقل للعادل أن العزيز يريد أن يتردد الى دمشق فجاء اليه وحمله على تسليم القلعة فسلمها وخرج الافضل الى رستاق له خارج البلد فأقام به وسار منه الى صرخد وعاد العزيز الى مصر وأقام العادل بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم

* (فتح العادل يافا من الافرنج واستيلاء الافرنج على بيروت وحصارهم تبنين) *

ولما توفى صلاح الدين وملك أولاده بعده جدد العزيز الهدنة مع الكندهرى ملك الافرنج كما عقد أبوه معه وكان الامير أسامة يقطع بيروت فكان يبعث الشوانى للاغارة على الافرنج وشكوا ذلك الى العادل بدمشق والعزيز بمصر فلم يشكاهم فأرسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فأمدوهم بالعساكر وأكثرهم من الالمان ونزلوا بعكا واستنجد العادل بالعزيز فبعث اليه بالعساكر وجاءته عساكر الجزيرة والموصل واجتمعوا بعين جالوت وأقاموا رمضان وبعض شوال من سنة ثنتين وتسعين ثم ساروا الى يافا فملكوا المدينة أولا وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوة واستباحوها وجاء الافرنج من عكا الصريخ اخوانهم وانتهوا الى قيسارية فبلغهم خبر وفاتهم وخبر وفاة الكندهرى ملكهم بعكا فرجعوا ثم اعتزموا على قصد بيروت فسار العادل لتخريبها حذرا عليها من الافرنج فتكفل له اسامة عاملها بحمايتها وعاد ووصل اليها الافرنج يوم عرفة من السنة وهرب منها اسامة وملكوها وفرق العادل العساكر فخربوا ما كان بقى من صيدا بعد تخريب صلاح الدين وعاثوا فى نواحى صور فعاد الافرنج الى صور ونزل المسلمون على قلعة هونين ثم نازل الافرنج حصن تبنين فى صفر سنة أربع وتسعين وبعث العادل عسكرا لحمايته فلم يغنوا عنه ونقب الافرنج أسواره فبعث العادل بالصريخ الى العزيز صاحب مصر فأغذ السير بعساكره وانتهى الى عسقلان فى ربيع من السنة وكان المسلمون فى تبنين قد بعثوا الى الافرنج من يستأمن لهم ويسلمون لهم فأنذرهم بعض الافرنج بأنهم يغدرون بهم فعادوا الى حصنهم وأصروا على الامتناع حتى وصل العزيز الى عسقلان فاضطرب الافرنج لوصوله ولم يكن لهم ملك وانما كان معهم الخنصكير القسيس من أصحاب ملك الالمان والمرأة زوجة الكندهرى فاستدعوا ملك قبرص واسمه هيرى وهو أخ الملك الذى أسر بحطين فجاءهم وزوجوه بملكتهم فلما جاء العزيز وسار من عسقلان الى جبل الخليل وأطل على الافرنج وناوشهم القتال رجع الافرنج الى صور ثم الى عكا ونزلت عساكر المسلمين باللجون فاضطرب أمراء العزيز واجتمع جماعة منهم منهم ميمون القصرى وقراسنقر والحجاب وابن المشطوب على الغدر بالعزيز ومدبر دولته فخر الدين جهاركس فأغذ السير الى مصر وتراسل العادل والافرنج فى

الصلح وانعقد بينهم في شعبان من السنة ورجع العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين كما يأتي خبره والله تعالى أعلم

(وفاة طغتكين بن أيوب باليمن وملك ابنه اسمعيل ثم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه)

قد كان تقدم لنا أن سيف الاسلام طغتكين بن أيوب سار الى المدينة سنة ثمان وسبعين بعد وفاة أخيه شمس الدولة توران شاه واختلاف نوابه باليمن واستولى عليها ونزل زبيد وأقام بها الى أن توفي في شوال سنة ثلاث وتسعين وكان سيء السيرة كثير الظلم للرعية جماعا للاموال ولما استفحل بها أراد الاستيلاء على مكة فبعث الخليفة الناصر الى أخيه صلاح الدين يمنعه من ذلك فمنعه ولما توفي ملك مكانه ابنه اسمعيل وبلغ المعز وكان أهوج فانتسب في بني أمية وادعى الخلافة وتلقب بالهادي ولبس الخضرة فبعث اليه عمه العادل بالملامة والتوبيخ فلم يقبل وأساء السيرة في رعيته وأهل دولته فوثبوا به وقتلوه وتولى ذلك سيف الدين سنقر مولى أبيه ونصب أخاه الناصر سنة ثمان وتسعين فأقام بأمره ثم هلك سنقر لاربع سنين من دولته وقام مكانه غازي بن جبريل من أمرائهم وتزوج أم الناصر ثم قتل الناصر مسموما وثار العرب منه بغازي المذكور وبقي أهل اليمن فوضى واستولى على طغان وبلاد حضرموت محمد بن محمد الحميري واستبدت ام الناصر وملكت زبيد وبعثت في طلب أحد من بني أيوب تملكه على اليمن وكان للمظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه وقيل لابنه سعد الدين شاهنشاه ابن اسمه سليمان ترهب ولبس المسوح ولقيه بالموسم بعض غلمانها وجاءته فتزوجته وملكته اليمن والله سبحانه وتعالى أعلم

(مسير العادل الى الجزيرة وحصاره ماردين)

كان نور الدين ارسلان شاه مسعود صاحب الموصل قد وقع بينه وبين قطب الدين محمد ابن عمه عماد الدين زنكي صاحب نصيبين والخابور والرقة وبين أبيه عماد الدين قبله فتنة بسبب الحدود في تخوم أعمالهم فسار نور الدين اليه في عساكره وملك منه نصيبين ولحق قطب الدين بحران والرها بالة العادل بن أيوب وبعث اليه بالصريخ وهو بدمشق وبذل له الاموال في انجاده فسار العادل الى حران وارتحل نور الدين من نصيبين الى الموصل وسار قطب الدين اليها فملكها وسار العادل الى ماردين في رمضان من السنة فحاصرها وكان صاحبها حسام الدين بولوا رسلان بن أبي الغازي بن ألبا بن تمرتاش ابي الغازي بن ارتق وهو صبي وكافله مولى النظام برتقش مولى أبيه والحكم له ودام حصاره عليها وملك الربض وقطع الميرة عنها ثم رحل عنها في العام القابل

كما

كما تقدم في أخبار دولة زنكي والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الافضل)

ثم توفي العزيز عثمان بن صلاح الدين آخر محرم سنة خمس وتسعين وكان فخر الدين اياس جهاركس مولى أبيه مستبدا عليه فأرسل العادل بمكانه من حصار ماردين يستدعيه للملك وكان جهاركس هذا مقدم موالي صلاح الدين وكانوا منحرفين عن الافضل وكان موالي صلاح الدين شيركوه والاكراد شيعة له وجمعهم جهاركس لينظر في الولاية وأشار بتولية ابن العزيز فقال له سيف الدين اياز كوش مقدم موالي شيركوه لا يصلح لذلك لصغره الا أن يكفله أحد من ولد صلاح الدين لان رياسة العساكر صنعة واتفقوا على الافضل ثم مضوا الى القاضي الفاضل فأشار بذلك أيضا وأرسل اياز كوش يستدعيه من صرخد فسار آخر صفر من السنة ولقيه الخبر في طريقه بطاعة القدس له وخرج أمراء مصر فلقوه ببلبيس وأضافه أخوه المؤيد مسعود وفخر الدين جهاركس ودولة العزيز فقدم أخاه وارتاب جهاركس واستأذنه في المسير ليصلح بين طائفتين من العرب اقتتلا فأذنه فسار فخر الدين الى القدس وتملكه ولحقه جماعة من موالي صلاح الدين منهم قراجا الدكرمس وقراسنقر وجاءهم ميمون القصري فقويت شوكتهم به واتفقوا على عصيان الافضل وأرسلوا الى الملك العادل يستدعونه فلم يجب لاجابتهم لطمعه في أخذ ماردين وارتاب الافضل بموالي صلاح الدين وهو شقيرة وايبك مطيش والبكي ولحق جماعة منهم بأصحابهم بالقدس وأرسل الافضل اليهم في العود على ما يختارونه فامتنعوا وأقام هو بالقاهرة وقرر دولته وقدم فيها سيف الدين اياز كوش والملك لابن أخيه العزيز عثمان وهو كافل له لصغره وانتظمت أمورهم على ذلك انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار الافضل دمشق وعوده عنها)

ولما انتظمت الامور للافضل بعث اليه الظاهر غازي صاحب حلب وابن عمه شيركوه ابن محمد بن شيركوه صاحب حمص يغريانه بملك دمشق لغيبة العادل عنها في حصار ماردين وبعدانه المظاهرة فسار من منتصف السنة ووصل الى دمشق منتصف شعبان وسبقه العادل اليها وترك العساكر مع ابنه الكامل على ماردين ولما نزل الافضل على دمشق وكان معه الامير مجد الدين أخو عيسى الهكاري فداخل قوما من الاجناد في دمشق في أن يفتحوا له باب السلامة ودخل منه هو والافضل سرا وانتهوا الى باب البريد ففطن عسكر العادل لقلتهم وانقطاع مددهم فتراجعوا وأخرجوهم ونزل

الافضل بعد ان الحصار وضعف أمره واعصوصب الاكراد من عساكره فارتاب بهم الآخرون وانحازوا عنهم فى المعسكر ووصل شيركوه صاحب حمص ثم الظاهر صاحب حلب اخر شعبان وأول رمضان لمظاهرة الافضل وارسل العادل الى موالى صلاح الدين بالقدس فساروا اليه وقوى بهم ويئس الافضل وأصحابه وخرج عساكر دمشق ليبيتوهم فوجدوهم حذرين فرجعوا وجاء الخبر الى العادل بوصول ابنه محمد الكامل الى حران فاستدعاه ووصل منتصف صفر سنة ست وتسعين فعند ذلك رحلت العساكر عن دمشق وعاد كل منهم الى بلاده انتهى والله أعلم

(افراج الكامل عن ماردين)

قد كان تقدم لنا مسير العادل الى ماردين وسار معه صاحب الموصل وغيره من ملوك الجزيرة وديار بكر وفى نفوسهم غصص من تغلب العادل على ماردين وغلبهم فلما عاد العادل الى دمشق لمدافعة الافضل وترك ابنه الكامل على حصار ماردين واجتمع ملوك الجزيرة وديار بكر على مدافعته عنها وسار نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطب الدين محمد بن زنكى صاحب سنجار وابن عمه قطب الدين سنجار شاه بن غازى صاحب جزيرة ابن عمر واجتمعوا كلهم بدنيسر حتى قضوا عيد الفطر وارتحلوا سادس شوال وقاربوا جبل ماردين وكان أهل ماردين قد اشتد عليهم الحصار وبعث النظام برتقش صاحبها الى الكامل بتسليم القلعة على شروط اشترطها الى أجل ضربه وأذن لهم الكامل فى ادخال الاقوات فى تلك المدة ثم جاءه الخبر بوصول صاحب الموصل ومن معه فنزل القائم للقائهم وترك عسكرا بالربض وبعث قطب الدين صاحب سنجار الى الكامل ووعده بالانهزام فلم يغن ولما التقى الفريقان حمل صاحب الموصل عليهم مستميتا فانهزم الكامل وصعد الى الربض فوجد أهل ماردين قد غلبوا عسكره الذى هنالك ونهبوا مخلفهم فارتحل الكامل منتصف شوال مجفلا ولحق بميافارقين وانتهب أهل ماردين مخلفه ونزل صاحبها فلقى صاحب الموصل وعاد الى قلعته وارتحل صاحب الموصل الى رأس عين لقصد حران والرها وبلاد الجزيرة من بلاد العادل فلقيه هنالك رسول الظاهر صاحب حلب يطلبه فى السكة والخطبة فارتاب لذلك وكان عازما على نصرتهم فقعد عنهم وعاد الى الموصل وأرسل الى الافضل والظاهر يعتذر بعرض طرقه وهم يومئذ على دمشق ووصل الكامل من ميافارقين الى حران فاستدعاه أبوه من دمشق وسار اليه فى العساكر وأفرج عنه الافضل والظاهر والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء العادل على مصر)

ولما

ولما رحل الافضل والظاهر الى بلادهم تجهز العادل الى مصر وأغراه موالى صلاح الدين بذلك واستحلفوه على أن يكون ابن العزيز ملكا وهو كافله وبلغت الاخبار بذلك الى الافضل وهو فى بلبيس فسار منها ولقيهم فانهزم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ودخل القاهرة ليلا وحضر الصلاة على القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى توفى تلك الليلة وسار العادل لحصار القاهرة وتخاذل أصحاب الافضل عنه فأرسل الى عمه فى الصلح وتسليم الديار المصرية له على أن يعوضه دمشق أو بلاد الجزيرة وهى حران والرها وسروج فلم يجبه وعوضه ميافارقين وجبال نور وتحالفوا على ذلك وخرج الافضل من القاهرة ثامن عشر ربيع واجتمع بالعادل وسار الى بلده صرخد ودخل العادل القاهرة من يومه ولما وصل الافضل صرخد بعث من يتسلم البلاد التى عوضه العادل وكان بها ابنه نجم الدين أيوب فامتنع من تسليم ميافارقين وسلم ما عداها ورد الافضل رسله فى ذلك الى العادل فزعم أن ابنه عصاه فعلم الافضل أنه أمره واستفحل العادل فى مصر وقطع خطبة المنصور بن العزيز وخطب لنفسه واعترض الجند ومحصهم بالمحو والاثبات فاستوحشوا لذلك وبعث العادل فخر الدين جهاركس مقدم موالى صلاح الدين فى عسكر الى بانياس ليحاصرها ويملكها لنفسه ففصل من مصر للشأم فى جماعة الموالى الصلاحية وكان بها الامير بشارة من أمراء الترك ارتاب العادل بطاعته فبعث العساكر اليه مع جهاركس والله تعالى أعلم

(مسير الظاهر والافضل الى حصار دمشق)

ولما قطع العادل خطبة المنصور بن العزيز بمصر استوحش الامراء لذلك ولما كان منه فى اعتراض الجند فراسلوا الظاهر بحلب والافضل بصرخد ان يحاصرا دمشق فيسير اليهما الملك العادل فيتأخرون عنه بمصر ويقومون بدعوتهما ونمى الخبر الى العادل وكتب به اليه الامير عز الدين أسامة جاء من الحج ومر بصرخد فلقيه الافضل ودعاه الى أمرهم وأطلعه على ما عنده فكتب به الى العادل وأرسل العادل الى ابنه المعظم عيسى بدمشق يأمره بحصار الافضل بصرخد وكتب الى جهاركس بمكانه من حصار بانياس والى ميمون القصرى صاحب نابلس بالمسير معه الى صرخد ففر منها الافضل الى أخيه الظاهر بحلب فوجده يتجهز لانه بعث أميرا من أمرائه الى العادل فرده من طريقه فسار الى منبج فملكها ثم قلعة نجم كذلك وذلك سلخ رجب من سنة سبع وتسعين وسار المعظم بقصد صرخد وانتهى الى بصرى وبعث عن جهاركس والذين معه على بانياس فغالطوه ولم يجيبوه فعاد الى دمشق وبعث اليهم الامير أسامة يستحثهم فأغلظوا له فى القول وتناوله البكاء منهم وثاروا به جميعا فتذمم لميمون القصرى منهم فأمنه وعاد الى

دمشق ثم ساروا الى الظاهر حضر به صلاح الدين وأنزله من صرخد واستحثوا الظاهر والافضل للوصول فتباطأ الظاهر عنهم وسار من منبج الى حماة فحاصرها حتى صالحه صاحبها ناصر الدين محمد على ثلاثين ألف دينار صورية فارتحل عنها تاسع رمضان الى حمص ومعه أخوه الافضل ومنها الى بعلبك الى دمشق ووافاه هنالك الموالى الصلاحية مع الظاهر خضر بن مولاهم وكان الوفاق بينهم اذا افتحوا دمشق أن تكون بيد الافضل فاذا ملكوا مصر سار اليها وبقيت للظاهر وأقطع الافضل صرخد لمولى أبيه زين الدين قراجا وأخرج أهله منها الى حمص عند شيركوه بن محمد بن شيركوه وكان العادل قد سار من مصر الى الشأم فانتهى الى نابلس وبعث عسكرا الى دمشق ووصلوا قبل وصول هذه العساكر فلما وصلوها قاتلوها يوما وثانيه منتصف ذى القعدة وأشرفوا على أخذها فبعث الظاهر الى الافضل بأن دمشق تكون له فاعتذر بأن أهله فى غير مستقر ولعلهم يأوون الى دمشق فى خلال ما يملك مصر فلج الظاهر فى ذلك وكان الموالى الصلاحية مشتملين على الافضل وشيعة له فخيرهم بين المقام والانصراف ولحق فخر الدين جهاركس وقراجا بدمشق فامتنعت عليهم وعادوا الى تجديد الصلح مع العادل على أن يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وبعض قرى المعرة والافضل له سميساط وسروج ورأس عين وجملين فتم ذلك بينهم ورحلوا عن دمشق فى محرم سنة ثمان وتسعين وسار الظاهر الى حلب والافضل الى حمص فأقام بها عند أهله ووصل العادل الى دمشق فى تاسوعاء وجاءه الافضل فلقيه بظاهر دمشق وعاد الى بلاده فتسلمها وكان الظاهر والافضل لما فصلا من منبج الى دمشق بعثا الى نور الدين صاحب الموصل أن يقصد بلاد العادل بالجزيرة وكانت بينه وبينهما وبين صاحب ماردين يمين واتفاق على العادل منذ ملك مصر مخافة أن يطرق أعمالهم فسار نور الدين عن الموصل فى شعبان ومعه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وعسكر ماردين ونزلوا رأس عين وكان بحران الفائز بن العادل فى عسكر يحفظ أعمالهم بالجزيرة فبعث الى نور الدين فى الصلح ووصل الخبر بصلح العادل مع الظاهر والافضل فأجابهم نور الدين الى الصلح واستحلفوا وبعث ارسلان من عنده الى العادل فاستحلفوه أيضا وصحت الحال والله تعالى ولى التوفيق

(حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والاشرف)

ثم بعث الملك العادل ابنه الاشرف موسى فى العساكر لحصار ماردين فسار اليها ومعه عساكر الموصل وسنجار ونزلوا بالحريم تحت ماردين وسار عسكر من قلعة البارعية من أعمال ماردين لقطع الميرة عن عسكر الاشرف فلقيهم جماعة من عسكر الاشرف

وهزموهم

وهزموهم وأفسد التركمان السابلة فى تلك النواحى وامتنع على الاشرف قصده فتوسط الظاهر غازى فى الاصلاح بينهم على أن يحمل صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف دينار والدينار أحد عشر قيراطا من الاميرى ويخطب له ببلاده ويضرب السكة باسمه وتعسكر طائفة من جنده معه متى دعاهم لذلك فأجاب العادل وتم الصلح بينهما ورحل الاشرف عن ماردين والله أعلم

(أخذ البلاد من يد الافضل)

قد كان تقدم أن الظاهر والافضل لما صالحا العادل سنة سبع وتسعين أخذ الافضل سميساط وسروج ورأس عين وجملين وكانت بيده معها قلعة نجم التى ملكها الظاهر بين يدى الحصار قبل الصلح ثم استرد العادل البلاد من يد الافضل سنة تسع وتسعين وأبقى له سميساط وقلعة نجم فطلب الظاهر قلعة نجم على أن يشفع له عند العادل فى رد ما أخذ منه فلم يجب فتهدده ولم تزل الرسل تتردد بينهما حتى سلمها اليه فى شعبان من السنة وبعث الافضل أمه الى العادل فى رد سروج ورأس عين عليهم فلم يشفعها فبعث الافضل الى ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم بطاعته وأن يخطب له فبعث اليه بالخلعة وخطب له الافضل فى سميساط سنة ستمائة وسار من جملة نوابه فى أعماله وفى سنة تسع وتسعين هذه خاف على مصر محمود بن العزيز صاحب مصر بعث العساكر الى الرها لانه لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين خاف على مصر من شيعة أبيه فأخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثم نقله فى هذه السنة الى الرها ومعه اخوانه وأمه وأهله فأقاموا بها والله أعلم

(واقعة الاشرف مع صاحب الموصل)

كانت الفتنة متصلة بين نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وبين ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار واستمال العادل بن أيوب قطب الدين فخطب له بأعماله وسار اليه نور الدين غيرة من ذلك فحاصر نصيبين فى شعبان من سنة ستمائة وبعث قطب الدين يستمد الاشرف موسى بن العادل وهو بحران فسار الى رأس عين لامداده ومدافعة نور الدين عنه بعد أن اتفق على ذلك مع مظفر الدين صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب كيفا وآمد ففارق نور الدين نصيبين وسار اليها الاشرف وجاءه أخوه نجم الدين صاحب ميافارقين وصاحب كيفا وصاحب الجزيرة وساروا جميعا الى بلد البقعا ونور الدين صاحب الموصل قد انصرف من تل اعفر وقد ملكها الى كفر زمان معتزما على مطاولتهم الى أن يفترقوا ثم أغراه بعض مواليه كان بعثه عينا عليهم فقللهم فى عينه

وحرضه على معاجلتهم باللقاء فسار الى نوشرا ونزل قريبا منهم ثم ركب لقتالهم واقتتلوا فانهزم نور الدين ولحق بالموصل ونزل الاشرف وأصحابه كفرزمان وعاثوا فى البلاد واكتسحوها وترددت الرسل بينهم فى الصلح على أن يعيد نور الدين على قطب الدين قلعة تل اعفر التى أخذها له فتم ذلك سنة احدى وستمائة وعاد الى بلده والله تعالى أعلم

(وصول الافرنج الى الشأم والصلح معهم)

ولما ملك الافرنج القسطنطينية من يد الروم سنة احدى وستمائة تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشأم وأرسوا بعكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين ثم ساروا فى نواحى الاردن فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشأم ومصر وسار فنزل بالطور قريبا من عكا لمدافعتهم وهم قبالته بمرج عكا وساروا الى كفركنا فاستباحوه ثم انقضت سنة احدى وستمائة وتراسلوا فى المهادنة على أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم وغيرها وتم ذلك بينهم وسار العادل الى مصر فقصد الافرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين محمد فهزموه وأقاموا أياما عليها ثم رجعوا والله تعالى أعلم

(غارة ابن ليون على أعمال حلب)

قد تقدم لنا ذكر ابن ليون ملك الارمن وصاحب الدروب فأغار سنة ثنتين وستمائة على أعمال حلب واكتسحها واتصل ذلك منه فجمع الظاهر غازى صاحب حلب ونزل على خمسة فراسخ من حلب وفى مقدمته ميمون القصرى من موالى أبيه منسوبا الى قصر الخلفاء بمصر ومنه كان أبوه وكان الطريق الى بلاد الارمن متعذرا من حلب لتوعر الجبال وصعوبة المضايق وكان ابن ليون قد نزل فى طرف بلاده لما يلى حلب ومن ثغورها قلعة دربساك فخشى الظاهر عليها منه وبعث اليها مددا وأمر ميمون القصرى أن يشيعه بطائفة من عسكره ففعل وبقى فى خف من الجند ووصل خبره الى ابن ليون فكبس القصرى ونال منه ومن المسلمين وانهزموا أمامه فظفر بمخلفهم ورجع فلقى فى طريقه المدد الذى بعث الى دربساك فهزمهم وظفر بما كان معهم وعاد الارمن الى بلادهم فاعتصموا بحصونهم والله تعالى أعلم

(استيلاء نجم الدين بن العادل على خلاط)

كان العادل قد استولى على ميافارقين وأنزل بها ابنه الاوحد نجم الدين ثم استولى نجم الدين على حصون من أعمال خلاط وزحف اليها سنة ثلاث وستمائة وقد استولى عليها بلبان مولى شاهرمن فقاتله وهزمه وعاد الى ميافارقين فهزمهم ثم دخلت سنة أربع

وستمائة

وستمائة وملك مدينة سوس وغيرها وأمده أبوه العادل بالعساكر فقصد خلاط وسار اليه بلبان فهزمه نجم الدين وحاصره بخلاط وبعث بلبان الى مغيث الدين طغرل شاه ابن قليج ارسلان صاحب ارزن الروم يستنجده فجاء فى عساكره واجتمع مع بلبان وانهزم نجم الدين ونزلا على مدينة تلبوس فحاصراها ثم غدر طغرل شاه ببلبان وقتله وسار الى خلاط ليملكها فطرده أهلها فسار الى ملازكرد فامتنعت عليه فعاد الى بلاده وأرسل أهل خلاط الى نجم الدين فملكوه خلاط وأعمالها وخافه الملوك المجاورون له وملك الكرك وتابعوا الغارات على بلاده فلم يخرج اليهم خشية على خلاط واعتزل جماعة من عسكر خلاط فاستولوا على حصن وان من أعظم الحصون وأمنعها فعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش واستمد نجم الدين على خلاط وأعمالها وعاد أخوه الاشرف الى أعماله بحران والرها ثم سار الاوحد نجم الدين الى ملازكرد ليرتب أحوالها فوثب أهل خلاط على عسكره فأخرجوهم وحصروا أصحابه بالقلعة ونادوا بشعار بنى شاهرمن وعاد نجم الدين اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحاصر خلاط واختلف أهلها فملكها واستلحم أهلها وحبس كثيرا من أعيانها كانوا فارين وذل أهل خلاط لبنى أيوب بعد هذه الوقعة الى آخر الدولة والله تعالى أعلم

(غارات الافرنج بالشأم)

كان الافرنج بالشأم قد أكثروا الغارات سنة أربع وستمائة بعد أن ملكوا القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها فأغار أهل طرابلس وحصن الاكراد منهم على حمص وأعمالها وعجز صاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه عن دفاعهم واستنجد عليهم فأنجده الظاهر صاحب حلب بعسكر أقاموا عنده للمدافعة عنه وأغار أهل قبرص فى البحر على اسطول مصر فظفروا منه بعدة قطع وأسروا من وجدوا فيها وبعث العادل الى صاحب عكا يحتج عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرص فى طاعة الافرنج الذين بالقسطنطينية وأنه لا حكم له عليهم فخرج العادل فى العساكر الى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق أسرى من المسلمين ثم سار الى حمص ونازل القلعتين عند بحيرة قدس ففتحه وأطلق صاحبه وغنم ما فيه وخربه وتقدم الى طرابلس فاكتسح نواحيها اثنى عشر يوما وعاد الى بحيرة قدس وراسله الافرنج فى الصلح فلم يجبهم وأظله الشتاء فأذن لعساكر الجزيرة فى العود الى بلادهم وترك عند صاحب حمص عسكرا أنجده بهم وعاد الى دمشق فشتى بها والله أعلم

(غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكهم ارجيش)

ولما ملك الاوحد نجم الدين خلاط كما مر ردد الكرج الغارات على أعمالها وعاثوا فيها ثم ساروا سنة خمس وستمائة الى مدينة ارجيش فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها وخام نجم الدين عن لقائهم ومدافعتهم الى أن انتقض عليه أهل خلاط لما فارقها ووقع بينه وبينهم ما مر ثم سار الكرج سنة تسع الى خلاط وحاصروها وحاربهم الاوحد وهزمهم وأسر ملكهم ثم فاداه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير وعلى الهدنة مع المسلمين وأن يزوج بنته من الاوحد فانعقد ذلك والله تعالى أعلم بغيبه

(استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من عمل سنجار وحصارها)

قد تقدم لنا أن قطب الدين زنكي بن محمود بن مودود صاحب سنجار والخابور ونصيبين وما اليها كانت بينه وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وفتنة متصلة وزوج نور الدين صاحب الموصل بنته من ابن العادل بن أيوب سنة خمس وستمائة واتصل بهما لذلك فزين له وزراؤه وأهل دولته أن يستنجد بالعادل على جزيرة ابن عمر وأعمالها التي لابن عمه سنجار شاه ابن غازى ابن مودود فتكون الجزيرة بكمالها مضافة الى الموصل وملك العادل سنجار وما اليها وهى ولاية قطب الدين فتكون له فأجاب العادل الى ذلك ورآه ذريعة الى ملك الموصل وأطمع نور الدين فى ايالة قطب الدين اذا ملكها تكون لابنه الذى هو صهره على ابنته وتكون عنده بالموصل وسار العادل بعساكره سنة ست وستمائة وقصد الخابور فملكه فتبين لنور الدين صاحب الموصل حينئذ انه لا مانع منه وندم على ما فرط فى رأيه من وفادته ورجع الى الاستعداد للحصار وخوفه الوزراء والحاشية أن ينتقض على العادل فبدأ به وسار العادل من الخابور الى نصيبين فملكها وقام بمدافعته عن قطب الدين وحماية البلد من الامير أحمد بن برتقش مولى أبيه وشرع نور الدين فى تجهيز العساكر مع ابنه القاهر مددا للعادل وبعث قطب الدين صاحب سنجار ابنه مظفر الدين يستشفع به الى العادل لمكانه منه وأثره فى موالاته فشفع ولم يشفعه العادل فراسل نور الدين صاحب الموصل فى الاتفاق على العادل فأجابه وسار بعساكره من الموصل واجتمع مع نور الدين بظاهرها واستنجد بصاحب حلب الظاهر وصاحب بلاد الروم كيخسرو وتداعوا على الحركة الى بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقاء على صاحب سنجار وبعثوا الى الخليفة الناصر أن يأمر العادل فبعث اليه أستاذداره أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير اقباش من خواص مواليه فأجاب الى

ذلك

ذلك ثم غالطهم وذهب الى المطاولة ثم صالحهم على سنجار فقط وله ما أخذ وتحالفوا على ذلك وعاد كل الى بلده ثم قبض المعظم عيسى سنة عشر وستمائة على الامير أسامة بأمر أبيه العادل وأخذ منه حصن كوكب وعجلون وكانا من أعماله فخربهما وحصن اردن بالكوكب وبنى مكانه حصنا قرب عكا على جبل الطور وشحنه بالرجال والاقوات والله تعالى أعلم

(وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية ابنه العزيز)

لما توفى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين بن أيوب صاحب حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشأم فى جمادى الاخيرة سنة ثلاث عشرة وكان مرهف الحد ضابطا جماعة للاموال شديد الانتقام محسنا للقضاة وعهد بالملك لابنه الصغير محمد بن الظاهر وهو ابن ثلاث سنين وعدل عن الكبير لان أمه بنت عمه العادل ولقبه العزيز غياث الدين وجعل أتابكه وكافله وخادمه طغرلبك ولقبه شهاب الدين وكان خيرا صاحب احسان ومعروف فأحسن كفالة الولد وعدل فى سيرته وضبط الايالة بجميل نظره والله أعلم

(ولاية مسعود بن الكامل على اليمن)

ولما ملك سليمان بن المظفر على اليمن سنة تسع وتسعين وخمسمائة أساء الى زوجته أم الناصر التى ملكته وضارّها وأعرض عنها واستبد بملكه وملأ الدنيا ظلما وأقام على ذلك ثلاث عشرة سنة ثم انتقض على العادل وأساء معاملته وكتب اليه بعض الاحيان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب العادل الى ابنه الكامل أن يبعث العساكر الى اليمن مع وال من قبله فبعث ابنه المسعود يوسف واسمه بالتركى اقسنس فى العساكر سنة ثنتى عشرة وستمائة فملك اليمن وقبض على سليمان شاه وبعث به معتقلا الى مصر فلم يزل بها الى أن استشهد فى حروب دمياط مع الافرنج أعوام تسع وأربعين وطالت أيام مسعود باليمن وحج سنة تسع عشرة وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة الناصر فكتب الناصر يشكوه الى أبيه فكتب اليه أبوه الكامل برئت من العادل يا أخس ان لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة الا بالله فاستعتب الى أبيه وأعتبه ثم غلب سنة ست وعشرين على مكة من يد الحسن بن قتادة سيد بنى ادريس بن مطاعن من بنى حسن وولى عليها وعاد الى اليمن فهلك بقية السنة وغلب على أمر اليمن بعده على بن رسول أستاذداره ونصب للملك ابنه الاشرف موسى وكفله ثم هلك موسى واستبد ابن رسول باليمن وأورثه بنيه فكانت لهم دولة اتصلت لهذا العهد كما نذكره فى أخبارها ان شاء الله تعالى

(وصول الافرنج من وراء البحر الى سواحل الشأم) (ومسيرهم الى دمياط وحصارها واستيلاؤهم عليها)

كان صاحب رومة أعظم ملوك الافرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومى وكانوا كلهم يدينون بطاعته وبلغه اختلاف أحوال الافرنج بساحل الشأم وظهور المسلمين عليهم فانتدب الى امدادهم وجهز اليهم العساكر فامتثلوا أمره من ايالته وتقدم الى ملوك الافرنج أن يسيروا بأنفسهم أو يرسلوا العساكر فامتثلوا أمره وتوافت الامداد الى عكا من سواحل الشأم سنة أربع عشرة وسار العادل من مصر الى الرملة وبرز الافرنج من عكا ليصدوه فسار الى نابلس يسابقهم الى أطراف البلاد ويدافعهم عنها فسبقوه ونزل هو على بيسان من الاردن وزحف الافرنج لحربه فى شعبان من السنة وكان فى خف من العساكر فخام عن لقائهم ورجع الى دمشق ونزل مرج الصفد واستدعى العساكر ليجمعها وانتهب الفرنج مخلفه فى بيسان واكتسحوا ما بينها وبين بانياس ونازلوا بانياس ثلاثا ثم عادوا الى مرج عكا بعد أن خربوا تلك الاعمال وامتلأت أيديهم من نهبها وسباياها ثم ساروا الى صور ونهبوا صيدا والشقيف على فرسخين من بانياس وعادوا الى عكا بعد عيد الفطر ثم حاصروا حصن الطور على جبل قريب من عكا كان العادل اختطها فحاصروها سبعة عشر يوما وقتل عليها بعض ملوكهم فرجعوا عنها وبعث العادل ابنه المعظم عيسى الى حصن الطور فخربها لئلا يملكها الافرنج ثم سار الافرنج من عكا فى البحر الى دمياط وأرسوا بسواحلها فى صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد فى النيل الى مصر فلما نزل الافرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم وبين الخندق وشرعوا فى حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار وبعث العادل الى ابنه الكامل بمصر أن يخرج فى العساكر ويقف قبالتهم ففعل وخرج من مصر فى عساكر المسلمين فنزل قريبا من دمياط بالعادلية وألح الافرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه ووجدوا السبيل الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط فبنى الكامل عوض السلاسل جسرا عظيما يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالا شديدا حتى قطعوه فأمر الكامل بمراكب مملوأة بالحجارة وخرقوها وغرقوها وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول الى النيل فعدل الافرنج الى خليج الازرق وكان النيل يجرى فيه قديما فحفروه فوق الجسر وأجروا فيه الماء الى البحر وأصعدوا مراكبهم الى قبالة معسكر المسلمين ليتمكنوا من قتالهم لان دمياط كانت حاجزة بينهم فاقتتلوا معهم

وهم

وهم فى مراكبهم فلم يظفروا والميرة والامداد متصلة الى دمياط والنيل حاجز بينهم وبين الافرنج فلا يحصل لهم من الحصار ضيق ثم بلغ الخبر بموت العادل فاختلف العسكر وسعى مقدم الامراء عماد الدين أحمد بن سيف الدين على بن المشطوب الهكارى فى خلع الكامل وولاية أخيه الاصغر الفائز ونمى الخبر الى الكامل فأسرى من ليلته الى اشمون طناح وتفقده المسلمون من الغد فأجفلوا ولحقوا بالكامل وخلفوا سوادهم بما فيه فاستولى عليه الافرنج وعبروا النيل الى البر المتصل بدمياط وجالوا بينها وبين أرض مصر وفسدت السابلة بالاعراب وانقطعت الميرة عن دمياط واشتد الافرنج فى قتالها وهى فى قلة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتة ولما جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوت استأمنوا الى الافرنج فملكوها آخر شعبان سنة ست عشرة وبثوا سراياهم فيما جاورها فأقفروه ورجعوا الى عمارة دمياط وتحصينها وأقام الكامل قريبا منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط والله تعالى أعلم

(وفاة العادل واقتسام الملك بين بنيه)

قد ذكرنا خبر العادل مع الافرنج الذين جاؤا من وراء البحر الى سواحل الشأم سنة أربع عشرة وما وقع بينه وبينهم بعكا وبيسان وانه عاد الى مرج الصفر قريبا من دمشق فأقام به فلما سار الافرنج الى دمياط انتقل هو الى خانقين فأقام بها ثم مرض وتوفى سابع جمادى الاخيرة سنة خمس عشرة وستمائة لثلاث وعشرين سنة من ملكه دمشق وخمس وسبعين من عمره وكان ابنه المعظم عيسى بنابلس فجاء ودفنه بدمشق وقام بملكها واستأثر بمخلفه من المال والسلاح وكان لا يعبر عنه يقال كان المال العين فى سترته سبعمائة ألف دينار وكان ملكا حليما صبورا مستبدا صاحب افادة وخديعة منحمة فى أحواله وكان قد قسم البلاد فى حياته بين بنيه فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما اليها للمعظم عيسى وخلاط وما اليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازى وقلعة جعبر للحضر ارسلان شاه فلما توفى استقل كل منهم بعمله وبلغ الخبر بذلك الى الملك الكامل بمكانه قبالة الافرنج بدمياط فاضطرب عسكره وسعى المشطوب كما تقدم فى ولاية أخيه الفائز ووصل الخبر بذلك الى أخيه المعظم عيسى فأغذ السير من دمشق اليه بمصر وأخرج المشطوب الى الشأم فلحق بأخيهما الاشرف وصار فى جملته واستقام للكامل ملكه بمصر ورجع المعظم من مصر فقصد القدس فى ذى القعدة من السنة وخرب أسواره حذرا عليه من الافرنج وملك الافرنج دمياط كما ذكرناه وأقام

الكامل قبالتهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(وفاة المنصور صاحب حماة وولاية ابنه الناصر)

قد تقدم لنا أن صلاح الدين كان قد أقطع تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه مدينة حماة وأعمالها ثم بعثه الى الجزيرة سنة سبع وثمانين فملك حران والرها وسروج وميافارقين وما اليهما من بلاد الجزيرة فأقطعه اياها صلاح الدين ثم سار الى بلاد ارمينية بكتمر صاحب خلاط وحاصرها ثم انتقل الى حصار ملازكرد وهلك عليها تلك السنة وتولى ابنه ناصر الدين محمد ويلقب المنصور على أعماله ثم انتزع صلاح الدين منه بلاد الجزيرة وأقطعها أخاه العادل وأبقى حماة وأعمالها بيد ناصر الدين محمد المذكور فلم تزل بيده الى أن توفي سنة سبع عشرة وستمائة لثمان وعشرين سنة من ولايته عليها بعد مهلك عم أبيه صلاح الدين والعادل وكان ابنه ولي عهده المظفر عند العادل بمصر وابنه الآخر قليج ارسلان عند خاله المعظم عيسى بمكانه من حصاره

بياض بالاصل

بياض بالاصل

فاستدعاه أهل دولته بحماة واشترط المعظم عليه مالا يحمله وأطلقه اليهم فملك حماة وتلقب الناصر وجاء أخوه ولي العهد من مصر فدافعه أهل حماة فرجع الى دمشق عند المعظم وكاتبهم واستمالهم فلم يجيبوه ورجع الى مصر والله تعالى أعلم

(مسير صاحب بلاد الروم الى حلب وانهزامه ودخولها في طاعة الاشرف)

قد كنا قدمنا وفاة الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ومنبج سنة ثلاث عشرة وولاية ابنه الاصغر محمد العزيز غياث الدين في كفالة طغرل الخادم مولى أبيه الظاهر وان شهاب الدين هذا الكافل أحسن السيرة وأفاض العدل وعف عن أموال الرعية وردّ السعاية فيهم بعضهم على بعض وكان بحلب رجلان من الاشرار يكثران السعاية عند الظاهر ويغريانه بالناس ولقي الناس منهما شدة فأبعدهما شهاب الدين فيمن أبعد من أهل الشر وردّ عليهما السعاية فكسدت سوقهما وتناولهما الناس بالالسنة والوعيد فلحقا ببلاد الروم وأطمعا صاحبها كيكاوس في ملك حلب وما بعدها ثم رأى ان ذلك لا يتم الا أن يكون معه بعض بني أيوب لينقاد أهل البلاد اليه وكان الافضل بن صلاح الدين بسميساط وقد دخل في طاعة كيكاوس غضبا من أخيه الظاهر وعمه العادل بما انتزعا من أعماله فاستدعاه كيكاوس وطلبه في المسير على ان يكون ما يفتحه من حلب وأعمالها للافضل والخطبة والسكة لكيكاوس ثم يقصدون بلاد الاشرف بالجزيرة حران والرها وما اليهما على هذا الحكم وتحالفوا على ذلك وجمعوا العساكر وساروا سنة خمس عشرة فملكوا قلعة رعبان فتسلمها الافضل ثم قلعة باشر من صاحبها

ابن بدر الدين ارزم الياروقي بعد ان كانوا حاصروها وضيقوا عليها وملكها كيكاوس لنفسه فاستوحش الافضل وأهل البلاد ان يفعل مثل ذلك في حلب وكان شهاب الدين كافل العزيز بن الظاهر مقيما بقلعة حلب لا يفارقها خشية عليها فطير الخبر الى الملك الاشرف صاحب الجزيرة وخلاط لتكون طاعتهم وخطبتهم له والسكة باسمه ويأخذ من أعمال حلب ما اختار فجمع العساكر وسار اليهم سنة خمس عشرة ومعه وأميرهم مانع من خدمه وغيرهم من العرب ونزل بظاهر حلب وتوجه كيكاوس والافضل من تل باشر الى منبج وسار الاشرف نحوهم وفي مقدمته العرب فلقوا مقدمة كيكاوس فهزموها فلما عادوا الى كيكاوس منهزمين أجفل الى بلاده وسار الاشرف فملك رعبان وتل باشر وأخذ من كان بها من عساكر كيكاوس وأطلقهم فلحقوا بكيكاوس فجمعهم في دار وأحرقها عليهم فهلكوا وسلم الاشرف ما ملكه من قلاع حلب لشهاب الدين الخادم كافل العزيز بحلب واعتزم على اتباع كيكاوس الى بلاده فأدركه الخبر بوفاة أبيه العادل فرجع انتهى والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

(دخول الموصل في طاعة الاشرف وملكه سنجار)

قد ذكرنا في دولة بني زنكي ان القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل توفي في ربيع سنة خمس عشرة وستمائة وولي ابنه نور الدين ارسلان شاه في كفالة مولى أبيه نور الدين لؤلؤ مولاه ومدبر دولته وكان أخوه عماد الدين زنكي في قلعة العقر والسوس من أعمال الموصل بوصية أبيهما اليه بذلك وانه بعد وفاة أخيه عز الدين طلب الامر لنفسه وملك العمادية وظاهره مظفر الدين كوكبري صاحب اربل على شأنه فبعث نور الدين لؤلؤ الى الاشرف موسى بن العادل والجزيرة كلها وخلاط وأعمالها في طاعته فأرسل اليه بالطاعة وكان على حلب مدافعا لكيكاوس صاحب بلاد الروم كما نذكره بعد فأجابه الاشرف بالقبول ووعده النصر على أعدائه وكتب الى مظفر الدين يقبح عليه ما وقع من نكث العهد في اليمين التي كانت بينهم جميعا ويأمره باعادة عماد الدين زنكي ما أخذه من بلاد الموصل والا فيسير بنفسه ويسترجعها ممن أخذها ويدعوه الى ترك الفتنة والاشتغال معه بما هو فيه من جهاد الافرنج فصمم مظفر الدين عن ندبته ووافقه صاحب ماردين وصاحب كيفا وآمد فجهز الى الاشرف عسكرا الى نصيبين للؤلؤ صاحب الموصل ثم جهز لؤلؤ العساكر الى عماد الدين فهزموه ولحق باربل عند المظفر وجاءت الرسل من الخليفة الناصر والملك الاشرف فأصلحوا بينهما وتحالفا ثم وثب عماد الدين زنكي الى قلعة كواشي فملكها وبعث لؤلؤ الى الاشرف وهو على حلب يستنجده فعبر الفرات الى حران واستمال مظفر الدين ملوك الاطراف وجاءهم

على طاعة كيكاوس والخطبة له وكان عدوّ الاشرف ومنازعاله فى منبج كما ذكره وبعث أيضا الى الامراء الذين مع الاشرف واستمالهم فأجابه منهم أحمد بن على المشطوب صاحب الفعلة مع الكامل على دمياط وعز الدين محمد بن نور الدين الحميدى وفارقوا الاشرف الى دنيس تحت ماردين ليجتمعوا على منع الاشرف من العبور الى الموصل ثم استمال الاشرف صاحب كيفا وآمد وأعطاه مدينة جانين وجبل الجودى ووعده بدارا اذا ملكها ولحق به صاحب كيفا وفارق أصحابه الملوك واقتدى به بعضهم فى طاعة الاشرف والنزوع اليه فافترق ذلك الجمع وسار كل ملك الى عمله وسار ابن المشطوب الى اربل ومرّ بنصيبين فقاتله عساكرها وهزموه وافترق جمعه ومضى منهزما واجتاز بسنجار وبها فروخ شاه عمر بن زنكى بن مودود فبعث اليه عسكرا فجاؤا به أسيرا وكان فى طاعة الاشرف فحبس له ابن المشطوب فأطلقه وسار بياض فى الاصل

فى جماعة من المفسدين الى البقعاء من أعمال الموصل فاكتسحها وعاد الى سنجار ثم سار ثانيا للاغارة على أعمال الموصل فأرصد له لؤلؤ عسكرا بتل اعفر من أعمال سنجار فلما مرّ بهم قاتلوه وصعد الى تل اعفر منهزما وجاء لؤلؤ من الموصل فحاصره بها شهرا أو بعضه وملكها منتصف ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وحبس ابن المشطوب بالموصل ثم بعث به الى الاشرف فحبسه بحران الى أن توفى فى ربيع الآخر من سنة سبعة عشر ولما افترق جمع الملوك سار الاشرف من حران فحاصر ماردين ثم صالحه على أن يرد عليه رأس عين وكان الاشرف أقطعه له وعلى أن يأخذ منه ثلاثين ألف دينار وعلى أن يعطى صاحب كيفا وآمد قلعة المور ومن بلده ورجع الاشرف من دنيس الى نصيبين يريد الموصل وكان عمر صاحب سنجار لما أخذ منه لؤلؤ تل اعفر تخاذل عنه أصحابه وساءت ظنونهم بنفسه لما ساء فعله فى أخيه وفى غيره فاعتزم على الالقاء باليد للاشرف وتسليم سنجار له والاعتياض عنها بالرقة وبعث رسله اليه بذلك فلحقوه فى طريقه من دنيس الى نصيبين فاجاب الى ذلك وسلم اليه الرقة وسلم سنجار فى مستهل جمادى الاولى سنة سبعة عشر وفارقها عمر فروخ شاه واخوته بأهليهم وأموالهم وسار الاشرف من سنجار الى الموصل فوصلها تاسع عشر جمادى الاولى من السنة وجاءته رسل الخليفة ومظفر الدين فى الصلح ورد ما أخذه عماد الدين من قلاع الموصل الى لؤلؤ ما عدا العمادية وطال الحديث فى ذلك ورحل الاشرف يريد اربل ثم شفع عنده صاحب كيفا وغيره من بطانته وأنهوا اليه بياض فى الاصل العساكر فأجاب الى هذا الصلح وفسح لهم فى تسليم القلاع الى مدة ضربوها وسار عماد الدين مع الاشرف حتى يتم تسليم الباقى ورحل الاشرف عن الموصل ثانى رمضان وبعث لؤلؤ نوابه الى

القلاع فامتنع جندها من تسليمها اليهم وانقضى الاجل واستمال عماد الدين زنكى شهاب الدين غازى أخا الاشرف فاستعطف له أخاه فأطلقه ورد عليه قلعة العقر وسوس وسلم لؤلؤ قلعة تل اعفر كما كانت من أعمال سنجار والله تعالى أعلم

(ارتجاع دمياط من يد الافرنج)

ولما ملك الافرنج دمياط أقبلوا على تحصينها ورجع الكامل الى مصر وعسكر بأطراف الديار المصرية مسلحة عليها منهم وبنى المنصورة بعد المنزلة وأقام كذلك سنين وبلغ الافرنج وراء البحر فتحها واستيلاء اخوانهم عليها فلهجوا بذلك وتوالت امدادهم فى كل وقت اليها والكامل مقيم بمكانه وتواترت الاخبار بظهور التتر ووصولهم الى اذربيجان واران وأصبح المسلمون بمصر والشأم على تخوف من سائر جهاتهم واستنجد الكامل بأخيه المعظم صاحب دمشق وأخيه الاشرف صاحب الجزيرة وارمينية وسار المعظم الى الاشرف يستحثه للوصول فوجده فى شغل بالفتنة التى ذكرناها فعاد عنه الى أن انقضت تلك الفتنة ثم تقدم الافرنج من دمياط بعساكرهم الى جهة مصر وأعاد الكامل خطابه اليهما سنة ثمانى عشرة يستنجدهما وسار المعظم الى الاشرف يستحثه فجاء معه الى دمشق وسار منها الى مصر ومعه عساكر حلب والناصر صاحب حماة وشيركوه صاحب حمص والامجد صاحب بعلبك فوجدوا الكامل على بحر اشمون وقد سار الافرنج من دمياط بجموعهم ونزلوا قبالته بعدوة النيل وهم يرمون على معسكره بالمجانيق والناس قد أشفقوا من الافرنج على الديار المصرية فسار الكامل وبقى أخوه الاشرف بمصر وجاء المعظم بعد الاشرف وقصد دمياط يسابق الافرنج ونزل الكامل والاشرف وظفرت شوانى المسلمين بثلاث قطع من شوانى الافرنج فغنموها بما فيها ثم ترددت الرسل بينهم فى تسليم دمياط على أن يأخذوا القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين غير الكرك فاشتطوا واشترطوا اعادة الكرك والشوبك وزيادة ثلثمائة ألف دينار لرمّ أسوار القدس التى خربها المعظم والكامل فرجع المسلمون الى قتالهم وافتقد الافرنج الأقوات لانهم لم يحملوها من دمياط ظنا بأنهم غالبون على السواد وميرته بأيديهم فبدا لهم ما لم يحتسبوا ثم فجر المسلمون النيل الى العدوة التى كانوا عليها فركبها الماء ولم يبق لهم الا مسلك ضيق ونصب الكامل الجسور عند اشمون فعبرت العساكر عليها وملكوا ذلك المسلك وحالوا بين الافرنج وبين دمياط ووصل اليهم مركب مشحون بالمدد من الميرة والسلاح ومعه حراقات فخرجت عليها شوانى المسلمين وهى فى تلك الحال فغنموها بما فيها واشتد الحال عليهم فى معسكرهم وأحاطت بهم عساكر المسلمين وهم فى تلك الحال يقاتلونهم

و يتخطفونهم من كل جانب فأحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأرادوا الاستمانة فى العود فرأوا ما حال بينهم وبينها من الرجل فاستأمنوا الى الكامل والاشرف على تسليم دمياط من غير عوض وبينما هم فى ذلك وصل المعظم صاحب دمشق من جهة دمياط كما مر فازدادوا وهنا وخذلانا وسلموا دمياط منتصف سنة ثمان عشرة وأعطوا عشرين ملكا منهم رهنا عليها وأرسلوا الاقسة والرهبان منهم الى دمياط فسلموها للمسلمين وكان يوما مشهودا ووصلهم بعد تسليمها مدد من وراء البحر فلم يغن عنهم ودخلها المسلمون وقد حصنها الافرنج فأصبحت من أمنع حصون الاسلام والله تعالى أعلم

(وفاة الاوحد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط وولاية أخيه الظاهر غازى عليها)

قد تقدم لنا أن الاوحد نجم الدين بن العادل ملك ميافارقين وبعدها خلاط وارمينية سنة ثلاث وستمائة ثم توفى سنة سبع فأقطع العادل ما كان بيده من الاعمال لاخيه الاشرف ثم أقطع العادل ابنه الظاهر غازى سنة ست عشرة سروج والرها وما اليها ولما توفى العادل واستقل ولده الاشرف بالبلاد الشرقية عقد لاخيه غازى على خلاط وميافارقين مضافا الى ولايته من أبيه العادل وهو سروج والرها وجعله ولى عهده لانه كان عاقرا لا يولد له وأقام على ذلك الى أن انتقض على الاشرف عندما حدثت الفتنة بين بنى العادل فانتزع أكثر الاعمال منه كما نذكره ان شاء الله تعالى

(فتنة المعظم مع أخويه الكامل والاشرف وما دعت اليه من الاحوال)

كان بنو العادل الكامل والاشرف والمعظم لما توفى أبوهم قد اشتغل كل واحد منهم بأعماله التى عهد له أبوه وكان الاشرف والمعظم يرجعان الى الكامل وفى طاعته ثم تغلب المعظم عيسى على صاحب حماة الناصر بن المنصور بن المظفر وزحف سنة تسع عشرة الى حماة فحاصرها وامتنعت عليه فسار الى سلمية والمعرة من أعمالها فملكهما وبعث اليه الكامل صاحب مصر بالنكير والافراج عن البلد فامتثل وأضغن ذلك عليه وأقطع الكامل سلمية لنزيله المظفر بن المنصور أخى صاحب حماة وكشف المعظم قناعه فى فتنة أخويه الكامل والاشرف وأرسل الى ملوك الشرق يدعوهم الى المظاهرة عليهما وكان جلال الدين منكبرى بن علاء الدين خوارزم شاه قد رجع من الهند بعد ما غلبه التتر على خوارزم وخراسان وغزنة وعراق العجم وجاز الى الهند ثم رجع سنة احدى وعشرين وستمائة فاستولى على فارس وغزنة وعراق العجم واذربيجان ونزل توريز وجاور بنى أيوب فى أعمالهم فراسله المعظم صاحب دمشق وصالحه واستنجده على أخويه فأجابه ودعا المعظم الظاهر أخا الاشرف وعامله على خلاط والمظفر كوكبرى

صاحب [بياض بالأصل] الى ذلك فأجابوه كلهم وانتقض الظاهر غازى على أخيه الاشرف فى خلاط وارمينية وأظهر عصيانه فى ولايته التى بيده فسار اليه الاشرف سنة احدى وعشرين وغلبه على خلاط فملكها وولى عليها حسام الدين أبا على الموصلى كان أصله من الموصل واستخدم للاشرف وترقى فى خدمته الى أن ولاه خلاط وعفا الاشرف عن أخيه الظاهر غازى وأقره على ميافارقين وسار المظفر صاحب اربل ولؤلؤ صاحبها فى طاعة الاشرف فحاصرها وامتنعت عليه ورجع عنها وسار المعظم بنفسه من دمشق الى حمص وصاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه فى طاعة الكامل فحاصرها وامتنعت عليه ورجع الى دمشق ثم سار الاشرف الى المعظم طالبا للصلح فأمسكه عنده على أن ينحرف عن طاعة الكامل وانطلق الى بلده فاستمر على شأنه ثم زحف جلال الدين صاحب اذربيجان سنة أربع وعشرين الى خلاط فحاصرها مرة بعد مرة وأفرج عنها فسار حسام الدين نائبها الى بلاد جلال الدين وملك حصونها واضطرب الحال بينهم وخشى الكامل مغبة الامر مع المعظم عما لأته لجلال الدين والخوارزمية فاستنجد هو بالافرنج وكاتب الانبراطور ملكهم من وراء البحر يستحثه للقدوم على عكا فى صريخه على أن ينزل له عن القدس وبلغ ذلك الى المعظم فخشى العواقب وأقصر عن فتنته وكتب اليه يستعطفه والله تعالى أعلم

{وفاة المعظم صاحب دمشق وولاية ابنه الناصر ثم استيلاء الاشرف عليها واعتياض الناصر بالكرك}

ثم توفى المعظم بن العادل صاحب دمشق سنة أربع وعشرين وولى مكانه ابنه داود ولقب بالناصر وقام بتدبير ملكه عز الدين ايبك خادم أبيه وجرى على سنن المعظم أولا فى طاعة الكامل والخطبة له ثم انتقض سنة خمس وعشرين عندما طالبه الكامل بالنزول له عن حصن الشوبك فامتنع وانتقض وسار الكامل اليه فى العساكر فانتهى الى غزة وانتزع القدس ونابلس من أيديهم وولى عليها من قبله واستنجد الناصر عمه الاشرف فجاء الى دمشق وخرج منها الى نابلس ثم تقدم منها الى الكامل ليصلح أمر الناصر معه فدعاه الكامل الى انتزاع دمشق من الناصر له وأقطعه اياها فلم يجب الناصر الى ذلك وعاد الى دمشق فحاصره الاشرف ثم صالح الكامل ملك الافرنج ليفرغ لامر دمشق عن الشواغل وأمكنهم من القدس على أن يخرب سورها فاستولوا عليها كذلك وزحف الكامل الى دمشق سنة ست وعشرين فحاصرها مع الاشرف وخاف [بياض بالأصل] الحصار بالناصر فنزل لهما عنها على أن يستقل بالكرك والشوبك والبلقاء فسلموا له فى ذلك وسار اليها واستولى الاشرف على دمشق ونزل للكامل عن أعماله وهى

حران والرها وما اليهما وبعكانهما من حصار دمشق ووصل الخبر الى الكامل بوفاة ابنه المسعود صاحب اليمن وقد مر خبره والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(استيلاء المظفر بن المنصور على حماة من يد أخيه الناصر)

ولما ملك الكامل دمشق شرع فى انجاد نزيله المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة وبها أخوه الناصر وقد كاتبه بعض أهل البلد يستدعونه لملكها فجهزه بالعساكر وسار اليها فحاصرها ودس لمن كاتبه من أهلها فأجابوه وواعدوه ليلا فطرقها وتسورها وملكها وكتب اليه الكامل أن يقطع الناصر قلعة ماردين فأقطعه اياها وانتزع الكامل منه سلمية وأقطعها الصاحب حمص شيركوه بن محمد بن شيركوه واستقل المظفر محمود بملك حماة وفوض أمور دولته الى حسام الدين على بن أبى على الهدبانى فقام بها ثم استوحش منه فلحق بأبيه نجم الدين أيوب ولم تزل ماردين بيد الناصر أخى المظفر الى سنة ثلاثين فهم الناصر بأن يملكها للافرنج وشكا المظفر بذلك للكامل فأمره بانتزاعها منه ثم اعتقله الكامل الى أن هلك سنة خمس وثلاثين انتهى والله أعلم

(استيلاء الاشرف على بعلبك من يد الامجد واقطاعها لاخيه اسمعيل بن العادل)

كان السلطان صلاح الدين قد أقطع الامجد بهرام شاه بن فرخنشاه أخى تقى الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب قلعة بعلبك وكانت بصرى لخضر ثم صارت بعد وفاة العادل لابنه الاشرف وعليها أخوه اسمعيل بن العادل فجهزه سنة ست وعشرين الى بعلبك وحاصر بها الامجد حتى تسلمها منه على اقطاع أقطعه اياه وسار اسمعيل الى دمشق فنزلها الى أن قتله مواليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الاشرف واستيلاؤه على خلاط)

قد كنا قدمنا أن جلال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان وجاور أعمال بنى أيوب وكان الاشرف قد ولى على خلاط لما انتزعها من يد أخيه غازى الدين سنة اثنتين وعشرين حسام الدين أبا على الموصلى ثم صالح المعظم جلال الدين خوارزم شاه ودعاه الى الفتنة مع أخويه كما قدمناه فزحف جلال الدين خوارزم شاه الى خلاط وحاصرها مرتين ورجع عنها فسار حسام الدين الى بلده وملك بعض حصونه وداخل زوجته التى كانت زوجة ازبك بن البهلوان وكانت مقيمة بخوا وهجرها جلال الدين وقطع عنها ما كانت تعتاده من التحكم فى الدولة مع زوجها قبله فدست الى حسام الدين نائب خلاط واستدعته هى وأهل خوا ليملكوه البلاد فسار وملك خوا وما فيها من الحصون ومدينة قرند وكاتبه أهل نقجوان وملكوه بلدهم وعاد الى خلاط ونقل معه

زوجة

زوجة جلال الدين وهى بنت السلطان طغرل فامتعض جلال الدين لذلك ثم ارتاب الاشرف بحسام الدين نائب خلاط وأرسل أكبر أمرائه عز الدين ايبك فقبض على حسام الدين وكان عدوا له وقتله غيلة وهرب مولاه فلحق بجلال الدين ثم زحف جلال الدين فى شوال سنة ست وعشرين الى خلاط فحاصرها ونصب عليها المجانيق وقطع عنها الميرة مدة ثمانية أشهر ثم ألح عليها بالقتال وملكها عنوة آخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين وامتنع ايبك وحاميتها بالقلعة واستماتوا واستباح جلال الدين مدينة خلاط وعاث فيها بما لم يسمع بمثله ثم تغلب على القلعة وأسر ايبك نائب خلاط فدفعه الى مولى حسام الدين نائبها قبله فقتله بيده والله تعالى أعلم

(مسير الكامل فى انجاد الاشرف وهزيمة جلال الدين أمام الاشرف)

ولما استولى جلال الدين على خلاط سار الاشرف من دمشق الى أخيه الكامل بمصر يستنجده فسار معه وولى على مصر ابنه العادل ولقيه فى طريقه صاحب الكرك الناصر بن المعظم وصاحب حماة المظفر بن المنصور وسائر بنى أيوب وانتهى الى سلمية وكلهم فى طاعته ثم سار الى آمد فملكها من يد مسعود بن محمد بن الصالح بن محمد بن قرا ارسلان بن سقمان بن ارتق وكان صلاح الدين أقطعه اياها عندما ملكها من ابن نعشان فلما نزل اليه اعتقله وملك آمد ثم انطلق بعد وفاة الكامل من الاعتقال ولحق بالتتر ثم استولى الكامل على البلاد الشرقية التى نزل له عنها الاشرف عوضا عن دمشق وهى حران والرها وما اليهما ولما تسلمها ولى عليها ابنه الصالح نجم الدين أيوب وكان جلال الدين لما ملك خلاط حضر معه صاحب ارزن الروم فاغتم لذلك علاء الدين كيقباد ملك بلاد الروم لما بينه وبين صاحب ارزن من العداوة والقرابة وخشيهما على ملكه فبعث الى الكامل والاشرف بحران يستنجدهما ويستحث الاشرف للوصول فجمع عساكر الجزيرة والشأم وسار الى علاء الدين فاجتمع معه بسيواس وسار نحو خلاط وسار جلال الدين للقائهما والتقوا بأعمال ارزنكان وتقدم عسكر حلب للقتال ومقدمهم عز الدين عمر بن على الهكارى من أعظم الشجعان فلم يثبت لهم مصاف جلال الدين وانهزم الى خلاط فأخرج حاميته منها ولحق باذربيجان ووقف الاشرف على خلاط وهى خاوية وكان صاحب ارزن الروم مع جلال الدين فجىء به أسيرا الى ابن عمه علاء الدين صاحب بلاد الروم فسار به الى ارزن وسلمها له وما يتبعها من القلاع ثم ترددت الرسل بينهم وبين جلال الدين فى الصلح فاصطلحوا كل على ما بيده وتحالفوا وعاد الاشرف الى سنجار وسار أخوه غازى صاحب ميافارقين فحاصر مدينة ارزن من ديار بكر وكان حاضرا مع الاشرف فى هذه الحروب وأسره جلال الدين ثم أطلقه بعد

ان أخذ عليه العهد فى طاعته فسار اليه شهاب الدين غازى وحاصره وملك منه ارزن صلحا وأعطاه عنها مدينة جانى من ديار بكر وكان اسمه حسام الدين وكان من بيت عريق فى الملك يعرفون ببنى الاحدب أقطعها لهم السلطان ملك شاه والله تعالى أعلم

(استيلاء العزيز صاحب حلب على شيزر ثم وفاته وولاية ابنه الناصر بعده)

كان سابق الدين عثمان بن الداية من أمراء الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى واعتقله ابنه الصالح اسمعيل فنكر عليه صلاح الدين ذلك وسار بنفسه الى دمشق فملكها وأقطع سابق الدين شيزر فلم تزل له ولبنيه الى أن استقرت لشهاب الدين يوسف ابن مسعود بن سابق الدين فسار اليه صاحب حلب محمد بن العزيز بن الغازى الظاهر بأمر الكامل سنة ثلاثين وستمائة وملكها من يده ثم هلك سنة أربع وثلاثين وملك فى حلب مكانه ابنه الناصر يوسف فى كفالة جدته لابيه صفية خاتون بنت العادل واستولى على الدولة شمس الدين لؤلؤ الارمنى وعز الدين المجلى واقبال الخاتونى وكانهم فى تصريفها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(فتنة كيقباد صاحب بلاد الروم واستيلاؤه على خلاط)

كان كيقباد بن كيكاوس صاحب بلاد الروم قد استفحل ملكه بها ومد يده الى ما يجاورها من البلاد فملك خلاط بعد ان دفع عنها مع الاشرف جلال الدين شاه كما قدمناه ونازعه الاشرف فى ذلك واستنجد بأخيه الكامل فسار بالعساكر من مصر سنة احدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث فى مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقيه كيقباد وهزمه وحصره فى خرت برت وتخاذل عن الحرب ثم استأمن المظفر صاحب حماة الى كيقباد فأمنه وملك خرت برت وكان لبنى ارتق ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ثنتين وثلاثين وكيقباد فى اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكهما من يد نواب الكامل وولى عليهما من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين والله أعلم

(وفاة الاشرف بن العادل واستيلاء الكامل على ممالكه)

كان الاشرف سنة أربع وثلاثين قد استوحش من أخيه الكامل ونقض طاعته ومالأه على ذلك أهل حلب وكنجسرو صاحب بلاد الروم وجميع ملوك الشام من قرابتهما غير الناصر بن المعظم صاحب الكرك فانه أقام على طاعة الكامل وسار اليه بمصر فتلقاه بالمبرة والتكرمة ثم هلك الاشرف خلال ذلك سنة خمس وثلاثين وعهد

بملك دمشق لاخيه الصالح اسمعيل صاحب بصرى فسار اليها وملكها وبقى الملوك فى وفاقه على الكامل كما كانوا على عهد الاشرف الا المظفر صاحب حماة فانه عدل عنهم الى الكامل وسار الكامل الى دمشق فحاصرها وضيق عليها حتى تسلمها صلحا من الصالح وعوضه عنها بعلبك واستولى على سائر أعمال الاشرف ودخل سائر بنى أيوب فى طاعته والله أعلم

{ وفاة الكامل وولاية ابنه العادل بمصر واستيلاء ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق }

ثم توفى الكامل بن العادل صاحب دمشق ومصر والجزيرة سنة خمس وثلاثين بدمشق لستة أشهر من وفاة أخيه الاشرف فانفض الملوك راجعين كل الى بلاده المظفر الى حماة والناصر الى الكرك وبويع بمصر ابنه العادل أبو بكر فنصب العساكر بدمشق الجواد يونس ابن عمه مودود بن العادل نائبا عنه وسار الناصر داود الى دمشق ليملكها فبرز اليه الجواد يونس وهزمه وتمكن فى ملك دمشق وخلع طاعة العادل بن الكامل وراسل الصالح أيوب فى أن يملكه دمشق وينزل له الصالح عن البلاد الشرقية التى ولاه أبوه عليها فسار الصالح لذلك سنة ست وثلاثين وملك دمشق وسار يونس الى البلاد الشرقية فاستولى عليها ولم تزل بيده الى ان زحف اليه لؤلؤ صاحب الموصل وغلبه عليها واستقرت دمشق فى يد الصالح ولما أخذ لؤلؤ البلاد من يونس الجواد سار عن القفر الى غزة فمنعه الصالح من الدخول اليها فدخل الى الافرنج بعكا وباعوه من الصالح اسمعيل صاحب دمشق فاعتقله وقتله انتهى والله أعلم

(أخبار الخوارزمية)

ثم زحف التتر الى اذربيجان واستولوا على جلال الدين وقتلوه سنة ثمان وعشرين وانفض أصحابه وذهبوا فى كل ناحية وسار جمهورهم الى بلاد الروم فنزلوا على علاء الدين كيقباد ملكها حتى اذا مات وملك ابنه كنجسرو ارتاب بهم وقبض على أمرائهم وانفض الباقون عنه وعاثوا فى الجهات فاستأذن الصالح أيوب صاحب سنجار وما اليها أباه الكامل صاحب مصر فى استخدامهم ليحسم عن البلاد ضررهم فاجتمعوا عنده وأفاض فيهم الارزاق ولما توفى الكامل سنة خمس وثلاثين انتقضوا عن الصلح وخرجوا الى اكتساح النواحى وسار لؤلؤ الى سنجار فحاصر الصالح فبعث الصالح الى الخوارزمية فاستمالهم وأقطعهم حران والرها ولقى بهم لؤلؤا فهزمه وغنم معسكره والله تعالى أعلم

(مسير الصالح الى مصر واعتقال الناصر له بالكرك)

لما ملك العادل بمصر بعد أبيه اضطرب عليه أهل الدولة وبلغهم استيلاء أخيه الصالح على دمشق فاستدعوه ليملكوه فبعث عن عمه الصالح اسمعيل من بعلبك ليسير معه فاعتذر عن الوصول وسار الصالح أيوب وولى على دمشق ابنه المغيث فتح الدين عمر ولما فصل عن دمشق خالفه اليها عمه الصالح اسمعيل فملكها ومعه شيركوه صاحب حمص وقبض على المغيث فتح الدين بن الصالح أيوب وبلغ الخبر اليه وهو بنابلس فانفضت عنه العساكر ودخل نابلس وجاءه الناصر داود من الكرك فقبض عليه واعتقله وبعث فيه أخوه العادل فامتنع من تسليمه اليه ثم قصد داود القدس فملكها من يد الافرنج وخرب القلعة والله تعالى ولى التوفيق

(وفاة شيركوه صاحب مصر وولاية ابنه ابراهيم المنصور)

ثم توفى المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص سنة ست وثلاثين وكانت ولايته أول المائة السابعة وولى من بعده ابنه ابراهيم ويلقب بالمنصور والله أعلم

(خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح أيوب على مصر)

ولما رجع الناصر داود من فتح القدس أطلق الصالح نجم الدين أيوب من الاعتقال فاجتمعت اليه مواليه واتصل اضطراب أهل الدولة بمصر على أخيه العادل فكاتبوا الصالح واستدعوه ليملكوه فسار معه الناصر داود وانتهى الى غزة وبرز العادل الى بلبيس وكتب الى عمه الصالح بدمشق يستنجده على أخيه أيوب فسار من دمشق وانتهى الى الغور ثم وثب بالعادل فى معسكره مواليه ومقدمهم ايبك الاسمر وقبضوا عليه وبعثوا الى الملك الصالح فجاء ومعه الناصر داود صاحب الكرك فدخل القلعة سنة سبع وثلاثين واستقر فى ملكه وارتاب منه الناصر داود فلحق بالكرك واستوحش من الامراء الذين وثبوا بأخيه فاعتقلهم وفيهم ايبك الاسمر وذلك سنة ثمان وثلاثين وحبس أخاه العادل الى أن هلك فى محبسه سنة خمس وأربعين ثم اختط قلعة بين سعى النيل ازاء المقياس واتخذها مسكنا وأنزل بها حامية من مواليه فكانوا يعرفون بالبحرية آخر أيامهم انتهى والله أعلم

(فتنة الخوارزمية)

ثم كثر عيث الخوارزمية بالبلاد المشرقية وعبروا الفرات وقصدوا حلب فبرزت اليهم عساكرها مع المعظم تورانشاه بن صلاح الدين فهزموه وأسروه وقتلوا الصالح بن

الافضل صاحب سميساط وكان فى جملته وملكوا منبج عنوة ورجعوا ثم ساروا من حران وعبروا من ناحية الرقة وعاثوا فى البلاد وجمع أهل حلب العساكر وأمدهم الصالح اسمعيل من دمشق بعسكر مع المنصور ابراهيم صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية فانقلبوا الى حران ثم تواقعوا مع العساكر فانهزموا واستولى عسكر حلب على حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وما اليها وخلص المعظم تورانشاه فبعث به لؤلؤ صاحب الموصل الى عسكر حلب ثم سار عسكر حلب الى آمد وحاصروا المعظم تورانشاه وغلبوه على آمد وأقام بحصن كيفا الى أن هلك أبوه بمصر واستدعى هو لملكها فسار لذلك وولى ابنه الموحد عبد الله بكيفا الى أن غلب التتر على بلاد الشأم ثم سار الخوارزمية سنة أربعين مع المظفر غازى صاحب ميافارقين من أقتال صاحب حلب ومعهم المنصور ابراهيم صاحب حمص فانهزموا وغنمت العساكر سوادهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(أخبار حلب)

قد كان تقدم لنا ولاية الظاهر غازى على حلب بعد وفاة أبيه ثم توفى سنة أربع وثلاثين ونصب أهل الدولة ابنه الناصر يوسف فى كفالة جدته أم العزيز صفية خاتون بنت العادل ولؤلؤ الارمنى واقبال الخاتونى وعز الدين بن مجلى قائمون بالدولة فى تصريفها ومازالت تجهز العساكر لدفاع الخوارزمية وتفتح البلاد الى أن توفيت سنة أربعين واستقل الناصر بتدبير ملكه وصرف النظر فى أموره لجمال الدين اقبال الخاتونى والله أعلم

(فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح اسمعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرا عليها)

قد كان تقدم لنا أن الصالح اسمعيل بن العادل خالف الصالح أيوب على دمشق عند مسيره الى مصر فملك دمشق سنة ست وثلاثين وكان بعد ذلك اعتقال الصالح بالكرك ثم استيلاؤه على مصر سنة سبع وثلاثين وبقيت الفتنة متصلة بينهما وطلب الصالح اسمعيل صاحب دمشق من الافرنج المظاهرة على أيوب صاحب مصر على أن يعطيهم حصن الشقيف وصفد فأمضى ذلك ونكره مشيخة العلماء بعصره وخرج من دمشق عز الدين بن عبد السلام الشافعى ولحق بمصر فولاه الصالح خطة القضاء بها ثم خرج بعده جمال الدين بن الحاجب المالكى الى الكرك ولحق بالاسكندرية فمات بها ثم تداعى ملوك الشأم لفتنة الصالح أيوب واتفق عليها اسمعيل الصالح صاحب دمشق والناصر يوسف صاحب حلب وجدته صفية خاتون وابراهيم المنصور بن شيركوه صاحب حمص وخالفهم المظفر صاحب حماة وجنح الى ولاية نجم الدين أيوب وأقام حالهم

فى القتنة على ذلك ثم جنحوا الى الصلح على أن يطلق صاحب دمشق فتح الدين عمر بن نجم الدين أيوب الذى اعتقله بدمشق فلم يجب الى ذلك واستحدثت الفتنة وسار الناصر داود صاحب الكرك مع اسمعيل الصالح صاحب دمشق واستظهروا بالافرنج وأعطاهم اسمعيل القدس على ذلك واستنجد بالخوارزمية أيضا فأجابوه واجتمعوا بغزة وبعث نجم الدين العساكر مع مولاه بيبرس وكانت لهذمة باعتقاله معه فتلاقوا مع الخوارزمية وجاءت عساكر مصر مع المنصور ابراهيم بن شيركوه ولاقوا الافرنج من عكا فكان الظفر لعساكر مصر والخوارزمية واتبعوهم الى دمشق وحاصروا بها الصالح اسمعيل الى أن جهده الحصار وسأل فى الصلح على أن يعوض عن دمشق ببعلبك وبصرى والسواد فأجابه أيوب الى ذلك وخرج اسمعيل من دمشق الى بعلبك سنة ثمان وأربعين وبعث نجم الدين الى حسام الدين على بن أبى على الهدبانى وكان معتقلا عند اسمعيل بدمشق فشرط نجم الدين اطلاقه فى الصلح الاول فأطلقه وبعث اليه بالنيابة عنه بدمشق فقام بها وانصرف ابراهيم المنصور الى حمص وانتزع صاحب حماة منه سلمية فملكها واشتط الخوارزمية على الهدبانى فى دمشق فى الولايات والاقطاعات وامتعضوا لذلك فسار بهم الصالح اسمعيل الى دمشق موصلا الكرة ومعه الناصر صاحب الكرك فقام الهدبانى فى دفاعهم أحسن قيام وبعث نجم الدين من مصر الى يوسف الناصر يستنجده على دفع الخوارزمية عن دمشق فسار فى عساكره ومعه ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص فهزموا الخوارزمية على دمشق سنة أربع وأربعين وقتل مقدمهم حسام الدين بركت خان وذهب بقيتهم مع مقدمهم الآخر كشلوخان فلحقوا بالتتر ثم اندرجوا فى جملتهم وذهب أثرهم من الشأم واستجار اسمعيل الصالح وكان معهم بالناصر صاحب حلب فأجاره من نجم الدين أيوب وسار حسام الدين الهدبانى بعساكر دمشق الى بعلبك وتسلمها بالامان وبعث بأولاد اسمعيل ووزيره ناصر الدين يغمور الى نجم الدين أيوب فاعتقلهم بمصر وسارت عساكر الناصر يوسف صاحب حلب الى الجزيرة فتوافقوا مع لؤلؤ صاحب الموصل فانهزم لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا وعاد عسكره الى حلب والله تعالى أعلم

﴿مسير الصالح أيوب الى دمشق أولا وثانيا وحصار حمص وما كان مع ذلك من الاحداث﴾

ثم بعث الصالح عن حسام الدين الهدبانى من دمشق وولى مكانه عليها جمال الدين بن مطروح ثم سار الى دمشق سنة خمس وأربعين واستخلف الهدبانى على مصر ولما وصل الى دمشق جهز فخر الدين بن الشيخ بالعساكر الى عسقلان وطبرية فحاصرهما مدة

وفتحهما من يد الافرنج ووفد على الصالح بدمشق المنصور صاحب حماة وكان أبوه المظفر توفى سنة ثلاث وأربعين وولى المنصور ابنه هذا واسمه محمد ووفد أيضا الاشرف موسى صاحب حمص وقد كان أبوه ابراهيم المنصور توفى سنة أربع وأربعين قبلها بدمشق وهو ذاهب الى مصر وافدا على الصالح أيوب وأقام بحمص ابنه مظفر الدين موسى ولقب الاشرف وجاءت عساكر حلب سنة ست وأربعين مع لؤلؤ الارمنى وحصروا حمص شهرين وملكوها من يد موسى الاشرف وأعاضوه عنها تل باشر من قلاع حلب مضافة الى الرحبة وتدمر وكانتا بيده مع حمص وغضب لذلك الصالح فسار من مصر الى دمشق وجهز العساكر الى حصار حمص مع حسام الدين الهدبانى وفخر الدين بن الشيخ فحاصروا حمص مدة وجاء رسول الخليفة المستعصم الى الصالح أيوب شافعا فأفرج العساكر عنها وولى على دمشق جمال الدين يغمور وعزل ابن مطروح والله تعالى أعلم

(استيلاء الافرنج على دمياط)

كانت افرنسة أمة عظيمة من الافرنج والظاهر أنهم أصل الافرنج وان افرنسة هى افرنجة انقلبت السين بها جيما عندما عربتها العرب وكان ملكها من أعظم ملوكهم لذلك العصر ويسمونه رى الافرنس ومعنى رى فى لغتهم ملك افرنس فاعتزم هذا الملك على سواحل الشأم وسار لذلك كما سار من قبله من ملوكهم وكان ملكه قد استفحل فركب البحر الى قبرس فى خمسين ألف مقاتل وشتى بها ثم عبر سنة سبع وأربعين الى دمياط وبها بنو كنانة أنزلهم الصالح بها حامية فلما رأوا ما لا قبل لهم به أجفلوا عنها فملكها رى افرنس وبلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بحمص فكر راجعا الى مصر وقدم فخر الدين ابن الشيخ أتابك عساكره ووصل بعده فنزل المنصورة وقد أصابه بالطريق وعك ثم اشتد عليه والله تعالى أعلم

(استيلاء الصالح على الكرك)

كان بين الصالح أيوب وبين الناصر داود ابن عمه المعظم من العداوة ما تقدم وقد ذكرنا اعتقال الناصر له بالكرك فلما ملك الصالح دمشق بعث العساكر مع أتابكه فخر الدين يوسف ابن الشيخ لحصار الكرك وكان أخوه العادل اعتقله وأطلقه الصالح ثم ألزمه بيته ثم جهزه لحصار الكرك فسار اليها سنة أربع وأربعين وحاصرها وملك سائر أعمالها وخرب نواحيها وسار الناصر من الكرك الى الناصر يوسف صاحب حلب مستجيرا به بعد أن بعث بذخيرته الى المستعصم وكتب له بخطه بوصولها وكان

قد استخلف على الكرك عندما سار الى حلب ابنه الاصغر عيسى ولقبه المعظم فغضب أخواه الاكبران الامجد حسن والظاهر شادى فقبضا على أخيهما عيسى ووفدا على الصالح سنة ست وأربعين وهو بالمنصورة قبالة الافرنج فملك الكرك والشوبك منهما وولى عليهما بدرا الصواى واقطعهما بالديار المصرية والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشام وسيد ملوك الترك﴾
﴿بمصر وولاية ابنه تورانشاه وهزيمة الافرنج وأسر ملكهم﴾

ثم توفى الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة سبع وأربعين بمكانه من المنصورة قبالة الافرنج وخشى أهل الدولة من الافرنج فكتموا موته وقامت أم ولده شجر الدر بالامر وجمعت الامراء وسيروا بالخبر الى حسام الدين الهدبانى بمصر فجمع الامراء وقوى جاشهم واستحلفهم وارسل الاتابك فخر الدين بن الشيخ بالخبر الى المعظم تورانشاه بن الصالح واستدعاه من مكان امارته بحصن كيفا ثم انتشر خبر الوفاة وبلغ الافرنج فشرهوا الى قتال المسلمين ودلفوا الى المعسكر فانكشف المسلمون وقتل الاتابك فخر الدين ثم أتاح الله الكرة للمسلمين وانهزم الافرنج ووصل المعظم تورانشاه من مكانه بحصن كيفا لثلاثة أشهر وتزيد فبايعه المسلمون واجتمعوا عليه واشتد وافى قتال الافرنج وغلبت أساطيلهم أساطيل العدو وسأل الافرنج فى الافراج عن دمياط على أن يعاضوا بالقدس فلم يجبهم المسلمون الى ذلك وسارت سرايا المسلمين من حولهم وفيما بين معسكرهم وبين دمياط فرحلوا راجعين اليها واتبعهم المسلمون فادركهم الدهش وانهزموا وأسر ملكهم ريد افرنس وهو المعروف بالفرنسيس وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفا واعتقل الفرنسيس بالدار المعروفة بفخر الدين بن لقمان ووكل به الخادم صبيح المعظمى ثم رحل المعظم بعساكر المسلمين راجعا الى مصر والله تعالى أعلم

(مقتل المعظم تورانشاه وولاية شجر الدر وفداء الفرنسيس بدمياط)

ولما بويع المعظم تورانشاه وكانت له بطانة من المماليك جاء بهم من كيفا فتسلطوا على موالى أبيه وتقسموهم بين النكبة والاهمال وكان للصالح جماعة من الموالى وهم البحرية الذين كان ينزلهم بالدار التى بناها ازاء المقياس وكانوا بطانته وخالصته وكان كبيرهم بيبرس وهو الذى كان الصالح بعثه بالعساكر لقتال الخوارزمية عندما زحفوا مع عمه الصالح اسمعيل صاحب دمشق وقد مر ذكر ذلك فصارت طاغيته معهم ثم استمالهم الصالح فصاروا معه وزحفوا مع عساكره الى عساكر دمشق والافرنج

فهزموهم وحاصروا دمشق وملكوها بدعوة الصالح كما مر واستوحش بيبرس حتى بعث اليه الصالح بالامان سنة أربع واربعين ولحقه بمصر فحبسه على ما كان منه ثم أطلقه وكان من خواص الصالح أيضا قلاون الصالحى كان من موالى علاء الدين قراسنقر مملوك العادل وتوفى سنة خمس وأربعين وورثه الصالح بحكم الولاء ومنهم اقطاى الجامدار وايبك التركمانى وغيرهم فأنفوا من استعلاء بطانة المعظم تورانشاه عليهم وتحكمهم فيهم فاعصوصبوا واعتزموا على الفتك بالمعظم ورحل من المنصورة بعد هزيمة الافرنج راجعا الى مصر فلما قربت له الحراقة عند البرج ليركب البحر كبسوه بمجلسه وتناوله بيبرس بالسيف فهرب الى البرج فاضرموه نارا فهرب الى البحر فرموه بالسهام فألقى نفسه فى الماء وهلك بين السيف والماء لشهرين من وصوله وملكه ثم اجتمع هؤلاء الامراء المتولون قتل تورنشاه ونصبوا للملك أم خليل شجر الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل المتوفى فى حياته وبه كانت تلقب وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها ووضعت علامتها على المراسم وكان نص علامتها أم خليل وقدم أتابك على العساكر عز الدين الجاشنكير ايبك التركمانى فلما استقرت الدولة طلبهم الفرنسيس فى الفداء على تسليم دمياط للمسلمين فاستولوا عليها سنة ثمان وأربعين وركب الفرنسيس البحر الى عكا وعظم الفتح وأنشد الشعراء فى ذلك وتناجلوا ولجمال الدين بن مطروح نائب دمشق أبيات فى الواقعة يتداولها الناس لهذا العصر والله تعالى ولى التوفيق وهى

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق عن قوول فصيح
آجرك الله على ما جرى * من قتل عباد يسوع المسيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها * تحسب أن الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم * ضاق بهم فى ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح
وفقك الله لامثالها * لعلنا من شركم نستريح
ان كان بابا كم بذا راضيا * فرب غش قد اتى من نصيح
أوصيكم خيرا به انه * لطف من الله اليكم أتيح
لو كان ذا رشد على زعمكم * ما كان يستحسن هذا القبيح
فقل لهم ان اضمروا عودة * لاخذ ثار أو لقصد قبيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشى صبيح

والطواشي في لغة أهل المشرق هو الخصي ويسمونه الخادم أيضا والله أعلم

{استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق وبيعة الترك بمصر لموسى الاشرف بن أطسز بن المسعود صاحب اليمن وتراجعهما ثم صلحهما}

ولما قتل المعظم تورانشاه ونصب الامراء بعده شجر الدر زوجة الصالح امتعض لذلك امراء بني أيوب بالشام وكان بدر الصوابي بالكرك والشوبك ولاه الصالح عليهما وحبس عنده فتح الدين عمر بن أخيه العادل فاطلقه من محبسه وبايع له وقام بتدبير دولته جمال الدين بن يغمور بدمشق واجتمع مع الامراء القصرية بها على استدعاء الناصر صاحب حلب وتمليكه فسار وملك دمشق واعتقل جماعة من موالي الصالح وبلغ الخبر الى مصر فخلعوا شجر الدر ونصبوا موسى الاشرف بن مسعود أخي الصالح بن الكامل وهو الذي ملك أخوه أطسز واسمه يوسف باليمن بعد ابيهما مسعود وبايعوا له وأجلسوه على التخت وجعلوا أيبك اتابكه ثم انتقض الترك بغزة ونادوا بطاعة المغيث صاحب الكرك فنادى الترك بمصر بطاعة المستعصم وجددوا البيعة للاشرف واتابكه ثم سار الناصر يوسف بعسكره من دمشق الى مصر فجهز الامراء العساكر الى الشام مع اقطاى الجامدار كبير البحرية ويلقب فارس الدين فاجفلت عساكر الشام بين يديه ثم قبض الناصر يوسف صاحب دمشق على الناصر داود لشيء بلغه عنه وحبسه بحمص وبعث عن ملوك بني أيوب فجاءه موسى الاشرف صاحب حمص والرحبة وتدمر والصالح اسمعيل ابن العادل من بعلبك والمعظم تورانشاه وأخوه نصر الدين ابنا صلاح الدين والامجد حسام الدين والظاهر شادى ابنا الناصر داود صاحب الكرك وتقي الدين عباس بن العادل واجتمعوا بدمشق وبعث في مقدمته مولاه لؤلؤ الارمني وخرج ايبك التركماني في العساكر من مصر للقائهم وأفرج عن ولدي الصالح اسمعيل المعتقلين منذ أخذهم الهذباني من بعلبك ليتهم الناس اباهم ويستريبوا به والتقى الجمعان في العباسية فانكشفت عساكر مصر وسارت عساكر الشام في اتباعهم وثبت ايبك وهرب اليه جماعة من عساكر الناصر ثم صدق ايبك الحملة على الناصر (بياض بالأصل) وسار منهزما وجيء لايبك بلؤلؤ الارمني أسيرا فقتله وأسر اسمعيل الصالح وموسى الاشرف وتورانشاه المعظم وأخوه ولحق المنهزمون من عسكر مصر بالبلد وشعر المتبعون لهم من عساكر الشام بهزيمة الناصر وراءهم فرجعوا ودخل ايبك الى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل يغمور وزير الصالح اسمعيل المعتقل ببعلبك مع بنيه وقتل الصالح اسمعيل في محبسه ثم جهز الناصر العساكر من دمشق الى غزة فتواقعوا مع فارس الدين اقطاى مقدم عساكر (بياض بالأصل) فهزموهم واستولوا عليها وترددت الرسل

بين الناصر وبين الامراء بمصر واصطلحوا سنة خمسين وجعلوا التخم بينهم نهر الاردن ثم اطلق ايبك حسام الدين الهذباني فسار الى دمشق وسار في خدمة الناصر وجاءت الى الناصر شفاعة المستعصم في الناصر داود صاحب الكرك الذي حبسه بحمص فافرج عنه ولحق ببغداد ومعه ابناه الامجد والظاهر فمنعه الخليفة من دخولها فطلب وديعته فلم يسعف بها وأقام في أحياء عرب ثم رجع الى دمشق بشفاعة من المستعصم للناصر وسكن عنده والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(خلع الاشرف بن أطسز واستبداد ايبك وامراء الترك بمصر)

قد تقدم لنا آنفا بيعة امراء التركمان بمصر للاشرف موسى بن يوسف أطسز بن الكامل وانهم خطبوا له وأجلسوه على التخت بعد ان نصبوا للملك ايبك وكان طموحا الى الاستبداد وكان اقطاى الجامدار من أمراء البحرية يدافعه عن ذلك ويغض من عنانه منافسة وغيرة فارصد له ايبك ثلاثة من المماليك اغتالوه في بعض سكك القصر وقتلوه سنة اثنتين وخمسين وكانت جماعة البحرية ملتفة عليه فانفضوا ولحقوا بالناصر في دمشق واستبد ايبك بمصر وخلع الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر امراء بني أيوب بمصر وخطب ايبك لنفسه ثم تزوج شجر الدر أم خليل الملكة قبله فلما وصل البحرية الى الناصر بدمشق أطمعوه في ملك مصر واستحثوه فتجهز وسار الى غزة وبرز ايبك بعساكره الى العباسية فنزل بها وانتقض عليه (بياض بالأصل) فتوهموا بالثورة به فارتاب بهم ولحقوا بالناصر ثم ترددت الرسل بين الناصر وايبك فاصطلحوا على أن يكون التخم بينهم العريش وبعث الناصر الى المستعصم مع وزيره كمال الدين ابن العديم في طلب الخلعة وكان ايبك قد بعث بالهدية والطاعة الى المستعصم فطل المستعصم الناصر بالخلعة حتى بعثها اليه سنة خمس وخمسين ثم قتل المعز أيبك قتلته شجر الدر غيلة في الحمام سنة خمس وخمسين غيرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فنصبوا مكانه ابنه عليا ولقبوه المنصور وثار وا به من شجر الدر كما نذكره في أخبارهم ان شاء الله تعالى

(مسير المغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحرية الى مصر وانهزامهم)

كان البحرية منذ لحقوا بالناصر بعد مقتل اقطاى الجامدار مقيمين عنده ثم ارتاب بهم وطردهم آخر سنة خمس وخمسين فلحقوا بغزة وكاتبوا المغيث فتح الدين عمر بن العادل بالكرك وقد كنا ذكرنا ان بدرا الصوافي أخرجه من محبسه بالكرك بعد مقتل تورانشاه بمصر وولاه الملك وقام بتدبير دولته وبعث اليه الآن بيبرس البندقداري

مقدم البحرية من غزة يدعوه الى الملك وبلغ الخبر الى الناصر بدمشق فجهز العساكر الى غزة فقاتلوهم وانهزموا الى الكرك فتلقاهم المغيث وقسم فيهم الاموال واستحثوه لملك مصر فسار معهم وبرزت عساكر مصر لقتالهم مع قطز مولى ايبك المعز ومواليه فالتقى الفريقان بالعباسية فانهزم المغيث والبحرية الى الكرك ورجعت العساكر الى مصر وفى خلال ذلك أخرج الناصر داود بن المعظم من دمشق حاجا ونادى فى الموسم بتوسله الى المستعصم فى وديعته وانصرف مع الحاج الى العراق فاكرهه المستعصم على براءته من وديعته فكتب وأشهد ولحق بالبرية وبعث الى الناصر يوسف يستعطفه فأذن له وسكن دمشق ثم رجع مع رسول المستعصم الذى جاء معه الى الناصر بالخلعة والتقليد فأقام بقرقيسيا حتى يستأذن له الرسول فلم يأذن له فأقام عند أحياء العرب فى التيه فقربوا فى تقلبهم من الكرك فقبض عليه المغيث صاحب الكرك وحبسه حتى اذا زحف التتر لبغداد بعث عنه المستعصم ليبعثه مع العساكر لمدافعتهم وقد استولى التتر على بغداد فرجع ومات ببعض قرى دمشق بالطاعون سنة ست وخمسين انتهى والله تعالى أعلم

(زحف الناصر صاحب دمشق الى الكرك وحصارها والقبض على البحرية)

ولما كان من المغيث والبحرية ما قدمناه ورجعوا منهزمين الى الكرك بعث الناصر عساكره من دمشق الى البحرية فالتقوا بغزة وانهزمت عساكر الناصر وظفرت البحرية بهم واستفحل أمرهم بالكرك فسار الناصر بنفسه اليهم بالعساكر من دمشق سنة سبع وخمسين وسار معه صاحب حماه المنصور بن المظفر محمود فنزلوا على الكرك وحاصروها وأرسل المغيث الى الناصر فى الصلح فشرط عليه أن يحبس البحرية فأجاب ونمى الخبر الى بيبرس اميرهم البندقدارى فهرب فى جماعة منهم ولحق بالناصر وقبض المغيث على الباقين وبعث بهم الى الناصر فى القيود ورجع .... الكرك ثم بعث الى الامراء بمصر وزيره كمال الدين بن العديم يدعوهم الى الاتفاق الى مدافعة التتر وفى أيام مقدم ابن العديم مصر خلع الامراء على ابن المعز أيبك وقبض عليه أتابك عسكره ومولى أبيه وجلس على التخت وخطب لنفسه وقبض على الامراء الذين يرتاب بمنازعتهم كما نذكره فى أخبارهم وأعاد ابن العديم الى مرسله صاحب دمشق بالاجابة والوعد بالمظاهرة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

بياض بالأصل

(استيلاء التتر على الشام وانقراض ملك بنى أيوب وهلاك من هلك منهم)

ثم زحف التتر وسلطانهم هلاكو الى بغداد واستولى على كرسى الخلافة وقتلوا المستعصم

وطمسوا

وطمسوا معالم الملة وكادت تكون من أشراط الساعة وقد شرحناها فى أخبار الخلفاء ونذكرها فى أخبار التتر فبادر الناصر صاحب دمشق بمصانعته وبعث ابنه العزيز محمدا الى السلطان هلاكو بالهدايا والالطاف فلم يغن ورده بالوعد ثم بعث هلاكو عساكره الى ميافارقين وبها الكامل محمد بن المظفر شهاب الدين غازى بن العادل الكبير فحاصروها سنتين ثم ملكوها عنوة سنة ثمان وخمسين وقتلوه وبعث العساكر الى اربل فحاصروها ستة أشهر وفتحوها وسار ملوك بلاد الروم كيكاوس وقليج ارسلان ابنا كيخسرو الى هلاكو اثر ما ملك بغداد فدخلوا فى طاعته ورجعوا الى بلادهم وسار هلاكو الى بلاد اذربيجان ووفد عليه هنالك لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين ودخل فى طاعته ورده الى بلده وهلك اثر ذلك وملك الموصل مكانه ابنه الصالح وسنجار ابنه علاء الدين ثم أوفد الناصر ابنه على هلاكو بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة واعتذر عن لقائه بالتخوف على سواحل الشام من الافرنج فتلقى ولده بالقبول وعذره وارجعه الى بلده بالمهادنة والمواعدة الجميلة ثم سار هلاكو الى حران وبعث ابنه فى العساكر الى حلب وبها المعظم توران شاه ابن صلاح الدين نائبا عن الناصر يوسف فخرج لقتالهم فى العساكر وأكمن له التتر واستجروهم ثم كروا عليهم فأثخنوا فيهم ورحلوا الى عزاز فملكوها صلحا وبلغ الخبر الى الناصر وهو بدمشق فعسكر عن ثورة سنة ثمان وخمسين وجاء الناصر بن المظفر صاحب حماة فأقام معه ينتظر أمرهم ثم بلغه ان جماعة من مواليه اعتزموا على الثورة به فكر راجعا الى دمشق ولحق أولئك الموالى بغزة ثم اطلع على خبثهم وان قصدهم تمليك أخيه الظاهر فاستوحش منهم ولحق الظاهر بهم فنصبوه للامر واعصوصبوا عليه وكان معهم بيبرس البندقدارى وشعر بتلاشى أحوالهم فكاتب المظفر صاحب مصر واستأمن اليه فأمنه وسار الى مصر فتلقى بالكرامة وأنزل بدار الوزارة وأقطعه السلطان قطز قليوب بأعماله ثم هرب هلاكو الى الفرات فملك .... وكان بها اسمعيل أخو الناصر معتقلا فأطلقه وسرحه الى عمله بالصبيبة وبانياس وولاه عليهما وقدم صاحب أرزن الى توران شاه نائب حلب يدعوه الى الطاعة فامتنع فسار اليها وملكها عنوة وأمنها واعتصم توران شاه والحامية بالقلعة وبعث أهل حماة بطاعتهم الى هلاكو وأن يبعث عليهم نائبا من قبله ويسمى برطانتهم الشحنة فأرسل اليهم قائدا يسمى خسروشاه وينسب فى العرب الى خالد بن الوليد رضى الله عنه وبلغ الناصر أخذ حلب فاجفل عن دمشق واستخلف عليها وسار الى غزة واجتمع عليه مواليه وأخوه وسار التتر الى نابلس فملكوها وقتلوا من كان بها من العسكر وسار الناصر من غزة الى العريش وقدم رسله الى قطز تسأله النصر من عدوهم واجتماع الايدى على المدافعة ثم تقدموا الى

بياض بالأصل

واستراب الناصر بأهل مصر فسار هو وأخوه الظاهر ومعهما الصالح بن الاشرف موسى بن شيركوه الى التيه فدخلوا اليه وفارقهم المنصور صاحب حماة والعساكر الى مصر فتلقاهم السلطان قطز بالصالحية وآنسهم ورجع بهم الى مصر واستولى التتر على دمشق وسائر بلاد الشام الى غزة وولوا على جميعها أمراءهم ثم افتتحت قلعة حلب وكان بها جماعة من البحرية معتقلين منهم سنقر الاشقر فدفعهم هلاكو الى السلطان جق من أكابر أمرائه وولى على حلب عماد الدين القزويني ووفد عليه بحلب الاشرف موسى بن منصور بن ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص وكان الناصر قد أخذها منه كما قدمناه فأعادها عليه هلاكو ورد جميع ولايته بالشام الى رأيه وسار الى قلعة حارم فملكها واستباحها وأمر بتخريب أسوار حلب وقلعتها وكذلك حماة وحمص وحاصروا قلعة دمشق طويلا ثم تسلموها بالامان ثم ملكوا بعلبك وهدموا قلعتها وساروا الى الصبينة وبها السعيد بن العزيز بن العادل فملكوها منه على الامان وسار معهم ووفد على هلاكو فخر الدين بن الزكي من أهل دمشق فولاه القضاء بها ثم اعتزم هلاكو على الرجوع الى العراق فعبروا الفرات وولى على الشام أجمع أميرا اسمه كسعا من أكابر أمرائه واحتمل عماد الدين القزويني من حلب وولى مكانه آخر وأما الناصر فلما دخل فى التيه هاله أمره وحسن له أصحابه قصد هلاكو فوصل الى كسعا نائب الشام يستأذنه ثم وصل فقبض عليه وسار به الى   حتى سلمها اليه أهلها

بياض بالاصل

وبعث به الى هلاكو فمر بدمشق ثم بحماة وبها الاشرف صاحب حمص وخسروشاه نائبها فخرجا لتلقيه ثم مر بحلب ووصل الى هلاكو فأقبل عليه ووعده برده الى ملكه ثم ثار المسلمون بدمشق بالنصارى أهل الذمة وخربوا كنيسة مريم من كنائسهم وكانت من أعظم الكنائس فى الجانب الذى فتحه خالد بن الوليد رحمه الله وكانت لهم أخرى فى الجانب الذى فتحه أبو عبيدة بالامان ولما ولى الوليد طالبهم فى هذه الكنيسة ليدخلها فى جامع البلد وأعلى لهم فى السوم فامتنعوا فهدمها وزادها فى الجامع لانها كانت لصقه فلما ولى عمر بن عبد العزيز استعاضوه فعوضهم بالكنيسة التى ملكها المسلمون بالعنوة مع خالد بن الوليد رحمه الله وقد تقدم ذكر هذه القصة فلما ثار المسلمون الآن بالنصارى أهل الذمة خربوا كنيسة مريم هذه ولم يبقوا لها أثرا ثم ان العساكر الاسلامية اجتمعت بمصر وساروا الى الشام لقتال التتر صحبة السلطان قطز صاحب ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل فسار اليه كسعا نائب الشام ومعه الاشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الصبينة ابن العزيز بن العادل والتقوا على عين جالوت بالغور فانهزم التتر وقتل أميرهم النائب كسعا وأسر

السعيد صاحب الصبينة فقتله قطز واستولى على الشام أجمع وأقر المنصور صاحب حماة على بلده ورجع الى مصر فهلك فى طريقه قتله بيبرس البندقدارى وجلس على التخت مكانه وتلقب بالظاهر حسبما نذكر ذلك كله فى دولة الترك ثم جاءت عساكر التتر الى الشام وشغل هلاكو عنهم بالفتنة مع قومه واسف على قتل كسعا نائبه وهزيمة عساكره فأحضر الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام وتجنى عليه بأنه غره بذلك فاعتذر له الناصر فلم يقبل فرماه بسهم فأنفذه ثم اتبعه بأخيه الظاهر وبالصالح بن الاشرف موسى صاحب حمص وشفعت زوجة هلاكو فى العزيز بن الناصر وكان مع ذلك يحبه فاستبقاه وانقرض ملك بنى ايوب من الشام كما انقرض قبلها من مصر واجتمعت مصر والشام فى مملكة الترك ولم يبق لبنى أيوب بهما ملك الا للمنصور بن المظفر صاحب حماة فان قطز أقره عليها والظاهر بيبرس من بعده وبقى فى امارته هو وبنوه مدة من دولة الترك وطاعتهم حتى أذن الله بانقراضهم وولى عليها غيرهم من أمرائهم كما نذكر فى أخبار دولتهم والله وارث الارض ومن عليها والعاقبة للمتقين

الظاهر غازى

محمد العزيز بن الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى

الصالح احمد

المنصور بن العزيز بن عثمان

الافضل على

الصالح بن الاشرف موسى بن المنصور ابراهيم بن شيركوه بن محمد بن شيركوه

الافضل محمد بن المؤيد اسمعيل بن الافضل بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه

المعظم توران شاه

الامجد عبد الله بن المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر

المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر

شادى بن الناصر داود بن المعظم عيسى

الصالح اسمعيل

الفائز ابراهيم

الاشرف موسى بن يوسف ... بن المسعود

الخبر عن دولة الترك القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بنى أيوب ولهذا العهد ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا ذكر الترك وانسابهم أول الكتاب عند ذكر أمم العالم ثم فى أخبار الامم السلجوقية وانهم من ولد يافث بن نوح باتفاق من أهل الخليقة فعند نسابة العرب انهم من عامور بن سويل بن يافث وعند نسابة الروم انهم من طيراش بن يافث هكذا وقع فى التوراة والظاهر ان ما وقع لنسابة العرب غلط وان عامور هو مصحف كومر لان كافه تنقلب عند التعريب غينا معجمة فربما صحفت عينا مهملة أو بقيت بحالها وأما سويل فغلط بالزيادة وأما ما وقع للروم من نسبتهم الى طيراش فهو منقول فى الاسرائيليات وهو رأى مرجوح عندهم لمخالفته لما فى التوراة وأما شعوبهم واجناسهم فكثيرة وقد عددنا منهم أول الكتاب التغرغز وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طمغاج وهى بلاد ملوكهم فى الاسلام تركستان وكاشغر وعددنا منهم أيضا الخزلخية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخلج وبلادهم الصغد قريبا من سمرقند ويسمون بها أيضا وعددنا منهم أيضا الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ويمك والعلان ويقال اللان وشركس واركش وقال صاحب كتاب زجار فى الكلام على الجغرافيا اجناس من الترك كلهم وراء النهر الى البحر المظلم وهى العسسية والتغرغزية والخرخيرية والكيماكية والخزلخية والخزر والخاسان وتركش واركش وخفشاخ والخلج والغزية وبلغار ويمناك وبرطاس وسخرت وخرجان وأنكر وذكر فى موضع آخر أنكر من شعوب الترك وانهم فى بلاد البنادقة من أرض الروم وأما مواطنهم فانهم ملكوا الجانب الشمالى من المعمور فى النصف الشرقى منه قبالة الهند والعراق فى ثلاثة أقاليم هى السادس والسابع والخامس كما ملك العرب الجانب الجنوبى من المعمور أيضا فى جزيرة العرب وما اليها من أطراف الشام والعراق وهم رحالة مثلهم وأهل حرب وافتراس ومعاش من التغلب والنهب الا فى الاقل وقد ذكرنا انهم عند الفتح لم يذعنوا الا بعد طول حرب وممارسة أيام سائر دولة بنى أمية وصدرا من صولة بنى العباس وامتلأت أيدى العرب يومئذ من سبيهم فاتخذوهم خولا فى المهن والصنائع ونساءهم فرشا للولادة كما فعلوه فى سبى الفرس والروم وسائر الامم الذين قاتلوهم على الدين وكان شأنهم أن لا يستعينوا برقيقهم فى شئ مما يعانونه من الغزو والفتوح ومحاربة الامم ومن أسلم منهم تركوه لسبيله التى هو عليها من أمر معاشه على طاغية هواه لان عصبية العرب كانت

مستفحلة يومئذ وشوكتهم قائمة مرهفة ويدهم ويد سلطانهم فى الامر جميعا ومرماهم
الى العز والمجد واحد وكانوا كأسنان المشط لتزاحم الانساب وغضاضة الدين حتى اذا
ارهف الملك حده ونهج الى الاستبداد طريقه واحتاج السلطان فى القيام بأمره الى
الاستظهار على المنازعين فيه من قومه بالعصبية المدافعة دونه والشوكة المعترض
شباها فى اذياله حتى تجدع أنوفهم عن التطاول الى رتبته وتغض أعنتهم عن السير
فى مضماره اتخذ بنو العباس من لدن المهدى والرشيد بطانة اصطنعوهم من
موالى الترك والروم والبربر ملؤا منهم المواكب فى الاعياد والمشاهد والحروب
والصوائف على السلطان وزينة فى أيام السلم واكنافا لعصابة بياض بالأصل
الملك حتى لقد اتخذ المعتصم مدينة سامرا لنزلهم تحرجا من اضرار الرعية باصطدام
مراكبهم وتراكم القتام بجوهم وضيق السكك على المارين بزحامهم وكان اسم الترك
غالبا على جميعهم فكانوا تبعا لهم ومندرجين فيهم وكانت حروب المسلمين لذلك العهد
فى القاصية وثغور وصامع الترك متصلة والفتوح فيهم متعاقبة وامواج السبى من كل
وجه متداركة ورمى بها رام الخلفاء عند استكمال بغيتهم واستجماع عصابتهم اصطفاء
علية منهم للمخالصة وقواد العساكر ورؤساء المراكب فكانوا يأخذون فى تدريجهم
لذلك بمذاهب الترشيح فينتقون من أجود السبى الغلمان كالدنانير والجوار كاللآلئ
ويسلمونهم الى قهارمة القصور وقرمة الدواوين يأخذونهم بحدود الاسلام
والشريعة وآداب الملك والسياسة ومراس الثقافة فى المران على المناضلة بالسهام
والمسالحة بالسيوف والمطاعنة بالرماح والبصر بأمور الحرب والفروسية ومعاناة
الخيول والسلاح والوقوف على معانى السياسة حتى اذا تنازعوا فى الترشيح وانسلخوا
من جلدة الخشونة الى رقة الحاشية وملكة التهذيب اصطنعوا منهم للمخالصة
ورقوهم فى المراتب واختاروا منهم لقيادة العساكر فى الحروب ورياسة المواكب
أيام الزينة ورتق الفتوق الحادثة وسد الثغور القاصية كل على شاكلة غنائه وسابق
اصطناعه فلم يزل هذا دأب الخلفاء فى اصطناعهم ودعامة سرير الملك بعمدهم وتمهيد
الخلافة بمقاماتهم حتى سموا فى درج الملك وامتلأت جوانحهم من الغزو وطمحت
أبصارهم الى الاستبداد فتغلبوا على الدولة وحجروا الخلفاء وقعدوا بدست الملك
ومدرج النهى والامر وقادوا الدولة بزمامهم واضافوا اسم السلطان الى مراتبهم
وكان مبدأ ذلك واقعة المتوكل وما حصل بعدها من تغلب الموالى واستبدادهم بالدولة
والسلطان ونهج السلف منهم فى ذلك السبيل للخلف واقتدى الآخر بالاول فكانت
لهم دول فى الاسلام متعددة تعقب غالبا دولة أهل العصبية وشوكة النسب كمثل دولة

بنى سامان وراء النهر وبنى سبكتكين بعدهم وبنى طولون بمصر وبنى طغج وما كان بعد
الدولة السلجوقية من دولاتهم مثل بنى خوارزم شاه بما وراء النهر وبنى طغرلتكين
بدمشق وبنى ارتق بماردين وبنى زنكى بالموصل والشام وغير ذلك من دولهم التى
قصصناها عليك فى تصانيف الكتاب حتى اذا استغرقت الدولة فى الحضارة والترف
ولبست أثواب البلاء والعجز ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسى الخلافة
وطمسوا رونق البلاد وأدالوا بالكفر من الايمان بما أخذ أهلها عند الاستغراق
فى التنعم والتشاغل فى اللذات والاسترسال فى الترف من تكاسل الهمم والقعود عن
المناصرة والانسلاخ من جلدة البأس وشعار الرجولية فكان من لطف الله سبحانه
ان تدارك الايمان باحياء رمقه وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية
سياجه بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها العزيزة المتوافرة أمراء
حامية وانصارا متوافية يجلبون من دار الحرب الى دار الاسلام فى مقادة الرق الذى
كمن اللطف فى طيه وتعرفوا العز والخير فى مغبته وتعرضوا للعناية الربانية بتلافيه
يدخلون فى الدين بعزائم ايمانية واخلاق بدوية لم يدنسها لؤم الطباع ولا خالطتها اقذار
اللذات ولا دنستها عوائد الحضارة ولا كسر من سورتها غزارة الترف ثم يخرج بهم
التجار الى مصر ارسالا كالقطا نحو الموارد فيستعرضهم أهل الملك منهم ويتنافسون
فى أثمانهم بما يخرج عن القيمة لا لقصد الاستعباد انما هو اكتناف للعصبية وتغليظ
للشوكة ونزوع الى العصبية الحامية يصطفون من كل منهم بما يؤنسونه من شيم
قومهم وعشائرهم ثم ينزلونهم فى غرف الملك ويأخذونهم بالمخالصة ومعاهدة التربية
ومدارسة القرآن وممارسة التعليم حتى يشتدوا فى ذلك ثم يعرضونهم على الرمى
والثقافة وركض الخيل فى الميادين والمطاعنة بالرماح والمماصعة بالسيوف حتى تشتد
منهم السواعد وتستحكم الملكات ويستيقنوا منهم المدافعة عنهم والاستماتة دونهم
فاذا بلغوا الى هذا الحد ضاعفوا أرزاقهم ووفروا من اقطاعهم وفرضوا عليهم استجادة
السلاح وارتباط الخيول والاستكثار من أجناسهم لمثل هذا القصد وربما عمروا بهم
خطط الملك ودرجوهم فى مراتب الدولة فيسترشح من يسترشح منهم لاقتعاد كرسى
السلطان والقيام بأمور المسلمين عناية من الله تعالى سابقة ولطائف فى خلقه سارية
فلا يزال نشؤ منهم يردف نشوا وجيل يعقب جيلا والاسلام يبتهج بما يحصل به من
الغناء والدولة ترف أغصانها من نضرة الشباب وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك
مصر والشام وأخوه العادل أبو بكر من بعده ثم بنوهم من بعدهم قد تناغوا فى
ذلك بما فوق الغاية واختص الصالح نجم الدين أيوب آخر ملوكهم بالمبالغة فى ذلك

والامعان فيه فكان عامة عسكره منهم فلما انفض عشيره وخذله أنصاره وقعد عنه أولياؤه وجنوده لم يدع سببا فى استجلابهم الا أتاه من استجادة المترددين الى ناحيتهم ومراضاة التجار فى أثمانهم بأضعاف ثمنهم وكان رقيقهم قد بلغ الغاية من الكثرة لما كان التتر قد دوّخوا الجانب الغربى من ناحية الشمال وأوقعوا بسكانه من الترك وهم شعوب القفجاق والروس والعلان والمولات وما جاورهم من قبائل جركس وكان ملك التتر بالشمال يومئذ دوشى خان بن جنكزخان قد أصابهم بالقتل والسبى فامتلأت أيدى أهل تلك النواحى برقيقهم وصاروا عند التجار من أنفس بضائعهم والله تعالى أعلم (ذكر بيبرس البندقدارى) فى تاريخه حكاية غريبة عن سبب دخول التتر لبلادهم بعد ان عد شعوبهم فقال ومن قبائلهم يعنى القفجاق قبيلة طغصبا وستاوبرج اغلا والبولى وقنغراغلى وأوغلى ودورت وقلابا اغلى وجرثان وقد كابركلى وكنن هذه احدى عشرة قبيلة وليس فيها ذكر الشعوب العشرة القديمة الذكر التى عددها النسابة كما قدمناه أول الترجمة وهذه والله أعلم بطون متفرعة من القفجاق فقط وهى التى فى ناحية الغرب من بلادهم الشمالية فان سياق كلامه انما هو فى الترك المجلوبين من تلك الناحية لا من ناحية خوارزم ولا ما وراء النهر قال بيبرس ولما استولى التتر على بلادهم سنة ست وعشرين والملك يومئذ بكرسى جنكزخان لولده دوشى خان واتفق ان شخصا من قبيلة دورت يسمى منقوش بن كتمر خرج متصيدا فلقيه آخر من قبيلة طغصبا اسمه آقاكبك وبين القبيلتين عداوة مستحكمة فقتله وأبطأ خبره عن أهله فبعثوا طليعة لاستكشاف أمره اسمه جلنقر فرجع اليهم وأخبرهم وأنه قتل وسمى لهم قاتله فجمعوا للحرب وتزاحفت القبيلتان فانهزمت قبيلة طغصبا وخرج اقاكبك القاتل وتفرق جمعه فارسل أخاه اقصر الى ملكهم دوشى يستعلم ما على ذوى قبيلة دورت القفجاقية وذكره ما فعل كتمر وقومه بأخيه وأغراه بهم وسهل له الشان فيهم وبعث دوشى خان جاسوسه لاستكشاف حالهم واختبار مراسهم وشكيمتهم فعاد اليه بتسهيل المرام فيهم وقال ان رأيت كلابا كثيرين على فريستهم متى طردتهم عنها تمكنت منها فاطمعه ذلك فى بلاد القفجاق واستحثه أقصر الذى جاء صريخا وقال له ما معناه نحن ألف رأس تجر ذنبا واحدا وأنتم رأس واحد تجر ألف ذنب فزاده ذلك اغراء ونهض بجموع التتر فأوقع بالقفجاق وأثخن فيهم قتلا وسبيا وأسرا وفرقهم فى البقاع وامتلأت أيدى التجار وجلبوهم الى مصر فعوضه الله بالدخول فى الايمان والاستيلاء

على الملك والسلطان انتهى كلام بيبرس ومساق القصة يدل على أن قبيلة دورت من القفجاق وان قبيلة طغصبا من التتر فيقتضى ذلك أن هذه البطون التى عددت ليست من بطن واحد وكذلك يدل مساقها على ان أكثر هؤلاء الترك الذين بديار مصر من القفجاق والله تعالى أعلم

{الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها}
{عن بنى أيوب ودولة المعز ايبك أول ملوكهم}

قد تقدم لنا ان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من المماليك الترك ومن فى معناهم من التركمان والارمن والروم وجركس وغيرهم الا أن اسم الترك غالب على جميعهم لكثرتهم ومزيتهم وكانوا طوائف متميزين بسمات من ينسبون اليه من نسب أو سلطان فمنهم العزيزية نسبة الى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحية نسبة الى هذا الصالح أيوب ومنهم البحرية نسبة الى القلعة التى بناها الصالح بين شعبتى النيل ازاء المقياس بما كانوا حاميتها وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصابة سلطانه وخواص داره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير التركمانى ورديفه فارس الدين اقطاى الجامدار وركن الدين بيبرس البندقدارى ولما كان ما قدمناه ووفاة الصالح بالمنصورة فى محاصرة الافرنج بدمياط فى سنة سبع وأربعين وكتمانهم موته ورجوعهم فى تدبير أمورهم الى شجر الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل وبعثهم الى ابنه المعظم توران شاه وانتظاره وان الافرنج شعروا بموت الصالح فدلفوا الى معسكر المسلمين على حين غفلة فانكشف أوائل العسكر وقتل فخر الدين الاتابك ثم أفرغ الله الصبر وثبت اقدامهم وأبلى أمراء الترك فى ذلك اليوم بلاء حسنا ووقفوا مع شجر الدر زوج السلطان تحت الرايات ينوهون بمكانها فكانت لهم الكرة وهزم الله العدو ثم وصل المعظم توران شاه من كيفا فبايعوا له وأعطوه الصفقة وانتظم الحال واستطال المسلمون على الافرنج برا وبحرا فكان ما قدمناه من هزيمتهم والفتك بهم وأسر ملكهم الفرنسيس ثم رحل المعظم اثر هذا الفتح الى مصر لشهرين من وصوله ونزل بفارس كور بدمصر وكانت بطانته قد استطالوا على موالى أبيه وتقسموهم بين النكبة والاهمال فاتفق كبراء البحرية على قتله وهم ايبك واقطاى وبيبرس فقتلوه كما مر ونصبوا للملك شجر الدر ام خليل وخطب لها على المنابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم ونصها أم خليل وقام ايبك التركمانى باتابكية العسكر ثم فودى الفرنسيس بالنزول عن دمياط وملكها المسلمون سنة ثمان وأربعين وسرحوه فى البحر الى بلاده بعد ان توثقوا منه باليمين أن لا يتعرض لبلاد المسلمين ما بقى

واستقلت الدولة بمصر للترك وانقرضت منها دولة بنى أيوب وبلغ الخبر الى بنى أيوب بقتل المعظم وولاية المرأة وما اكتنف ذلك فامتعضوا له وكان فتح الدين عمر بن العادل قد حبسه عمه الصالح أيوب بالكرك لنظر بدر الصوابى خادمه الذى ولاه على الكرك والشوبك لما ملكهما كامر فاطلق بدر الدين من محبسه وبايع له وقام بأمره ولقبه المغيث واتصل الخبر بمصر وعلموا أن الناس قد نقموا عليهم ولاية المرأة فاتفقوا على ولاية زعيمهم ايبك لتقدمه عند الصالح وأخيه العادل قبله فبايعوه له وخلعوا أم خليل ولقبوه بالمعز فقام بالامر وانفرد بملك مصر وولى مولاه سيف الدين قطز نائبا وعمر المراتب والوظائف بأمراء الترك والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

{نهوض الناصر صاحب دمشق من بنى أيوب الى مصر وولاية الاشرف موسى مكان أيبك}

كان الملك الصالح أيوب قبل موته قد استخلف جمال الدين بن يغمور على دمشق مكان ابن مطروح وامراء الدولة الايوبية بها متوافرون فلما بلغهم استبداد الترك بمصر وولاية ايبك وبيعة المغيث بالكرك أمعنوا النظر فى تلافى أمورهم وكبراء بنى أيوب يومئذ بالشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وحمص وما اليها فاستدعوه وبايعوا له بدمشق وأغروه بطلب مصر واتصل الخبر للترك فى مصر فاعتزموا على أن ينصبوا بعض بنى أيوب فيكفوا به ألسنة النكير عنهم فبايعوا الموسى الذى كان أبوه يوسف صاحب اليمن وهو يوسف اطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وتزحزح له ايبك عن كرسى السلطان الى رتبة الاتابكية واستمر الناصر على غلوائه فى النهوض الى مصر واستدعى ملوك الشام من بنى أيوب فأقبل اليه موسى الاشرف الذى كان صاحب حمص واسمعيل الصالح بن العادل صاحب بعلبك والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين وأخوه نصر الدين وابنا داود الناصر صاحب الكرك وهما الامجد حسن والظاهر شادى وارتحل من دمشق سنة ثمان وأربعين وفى مقدمته اتابكه لؤلؤ الارمنى وبلغ الخبر الى مصر فاضطرب الامر ونادوا بشعار الخلافة والدعاء للمستعصم وجددوا البيعة على ذلك للاشرف وجهزوا العساكر وخرجوا للقائهم وسار فى المقدمة اقطاى الجامدار وجمهور البحرية وتبعهم ايبك ساقة فى العساكر والتقى الجمعان بالعباسية فانكشف عسكر مصر أولا وتبعهم أهل الشام وثبت المعز فى القلب ودارت عليه رحى الحرب وهرب اليه جماعة من عسكر الناصر فيهم أمراء العزيزية مثل جمال الدين لايدعون وشمس الدين أتسز البرلى وشمس الدين أتسز الحسامى فضبوا من رياسة لؤلؤ عليهم

فهربوا وبقى لؤلؤ فى ثم حمل المعز على الناصر وأصحابه فانهزموا وانفض عسكرهم وجىء بلؤلؤ الاتابكى أسيرا فقتله صبرا وبأمراء بنى أيوب فحبسهم ورجع ايبك من الوقعة فوجد عساكر الناصر مجتمعين بالعباسية يظنون الغلب لهم فعدل الى بلبيس ثم الى القلعة ورجعت عساكر الشام من اتباع المنهزمين لما شعروا بهزيمة صاحبهم فلحقوا بالناصر بدمشق ودخل ايبك الى القاهرة وحبس بنى أيوب بالقلعة ثم قتل منهم اسمعيل الصالح ووزيره ابن يغمور الذى كان معتقلا من قبل ولما وصل الناصر الى دمشق ازاح علل عساكره وعجل الكرة الى مصر ونزل غزة سنة خمسين وبرزت عساكر مصر للقائه فتواقفوا مليا ثم وصل نجم الدين البادرائى رسول المستعصم فاصلح بين الطائفتين على أن يكون القدس والساحل الى نابلس للمعز والتخم بين المملكتين نهر الاردن وانعقد الامر على ذلك ورجع كل الى بلاده وأخرج المعز عن أمراء بنى أيوب الذين حبسهم يوم الوقعة والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالأصل

(واقعة العرب بالصعيد مع اقطاى)

لما شغل الصالح بالافرنج وما بعدهم عظم فساد العرب بالصعيد واجتمعوا على الشريف خضر الدين أبى ثعلب بن نجم الدين عمر بن فخر الدين اسمعيل بن حصن الدين ثعلب الجعفرى من ولد جعفر بن أبى طالب الذين أجازوا من الحجاز لما غلبهم بنو عمهم بنواحى المدينة فى الحروب التى كانت بينهم وأطاعه أعراب الصعيد كافة ولم يقدر على كفهم عن الراية واتصل ذلك وهلك الصالح واستبد الترك بمصر وشغلوا عنهم بما كان من مطالبة بنى أيوب لهم فلما فرغ المعز ايبك من أمر الناصر وعقد الصلح معه بعث لحربهم فارس الدين اقطاى وعز الدين ايبك الافرم أمير البحرية فساروا اليهم ولقوهم بنواحى اخميم فهزموهم وفر الشريف ناجيا بنفسه ثم قبض عليه بعد ذلك وقتل ورجعت العساكر الى القاهرة والله تعالى أعلم

(مقتل اقطاى الجامدار وفرار البحرية الى الناصر ورجوع ايبك الى كرسيه)

كان اقطاى الجامدار من أمراء البحرية وعظمائهم ويلقب فارس الدين وكان رديفا للمعز ايبك فى سلطانه واتابكه وكان يغض من عنانه عن الطموح الى الكرسى وكان يخفض من جناحه للبحرية يتألفهم بذلك فيميلون له عن ايبك فاعتزف الدولة واستفحل أمره وأخذ من المعز الاسكندرية اقطاعا وتصرف فى بيت المال وبعث فخر الدين محمد بن الناصر بهاء الدين بن حيا الى المظفر صاحب حماة فى خطبة ابنته فتزوجها وأطلق يده فى العطاء والاقطاع فعم الناس وكثر تابعه وغص به المعز ايبك واجمع

قتله فاستدعاه بعض الايام للقصر للشورى سنة ثنتين وخمسين وقد اكمن له ثلاثة من مواليه فى ممره بقاعة الاعمدة وهم قطز وبهادل وسنجر فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيوف وقتلوه لحينه واتصلت الهيعة بالبحرية فركبوا وطافوا بالقلعة فرمى اليهم برأسه فانفضوا واستراب أمراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقدارى وسيف الدين قلاون الصالحى وسيف الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بنسر الشمسى وسيف الدين بلبان الرشيدى وسيف الدين تنكر واخوه سيف الدين موافق ولحقوا بالشام فيمن انضم اليهم من البحرية واختفى من تخلف منهم واستصفيت أموالهم وذخائرهم وارتجع ما أخذه اقطاى من بيت المال ورد ثغر الاسكندرية الى أعمال السلطان وانفرد المعز ايبك بتدبير الدولة وخلع موسى الاشرف وقطع خطبته وخطب لنفسه وتزوج شجر الدر زوجة الصالح التى كانوا ملكوها من قبل واستخلص علاء الدين ايدغدى العزيزى وجماعة العزيزية وأقطعه دمياط ولما وصل البحرية وأمراؤهم الى غزة كاتبوا الناصر يستأذنونه فى القدوم وساروا اليه فاحتفل فى مبرتهم وأغروه بملك مصر فاجابهم وجهز العساكر وكتب المعز فيهم الى الناصر وطلبوا منه القدس والبلاد الساحلية فاقطعها لهم ثم سار الناصر الى الغور وبرز الى القاهرة فى العزيزية ومن اليهم ونزل العباسية وتواقف الفريقان مدة ثم اصطلحوا ورجع كل الى بلده سنة أربع وخمسين وبعث ايبك رسوله الى المستعصم بطاعته وطلب الالوية والتقليد ولما رجع الى مصر قبض على علاء الدين ايدغدى لاسترابته به وأعاد دمياط الى أعمال السلطان واتصلت أحواله الى أن هلك فى الدولة والله تعالى أعلم

(فرار الافرم الى الناصر بدمشق)

كان عز الدين ايبك الافرم الصالحى والياً على قوص واخميم وأعمالها فقوى أمره وهم بالاستبداد وأراد المعز عزله فامتنع عليه فبعث بعض الخوارزمية مدداً له ودس اليهم الفتك به فلما وصلوا اليه استخدمهم وخلطهم بنفسه فاغتالوه وقبضوا عليه وترامى اليه للدين فبطشوا بهم وقتلوهم وخلعوه ثم عزله بعد ذلك

بياض بالاصل

الدين الصيمرى فى خدمته واستدعاه الى مصر فأقام عنده ثم بعثه مع اقطاى الى الصعيد وحضر ومعه الشريف أبو ثعلب والعرب كما مر وعاد اقطاى الى مكانه من الدولة وأوعز المعز ايبك الى الافرم بالمقام لتمهيد بلاد الصعيد وأن يكون الصيمرى فى خدمته وبلغه وهو هنالك أن المعز عدا على اقطاى وقتله وان أصحابه البحرية فروا الى الشام فاستوحش وأظهر العصيان واستدعى الشريف أبا ثعلب وتظاهر معه على الفساد وجمعوا الاعراب من كل ناحية ثم بعث المعز سنة ثلاث وخمسين شمس الدين

البرلى

البرلى فى العساكر فهزمهم واعتقل الشريف فلم يزل فى محبسه الى أن قتله الظاهر ونجا الافرم فى فل من مواليه الى الواحات ثم اعتزم على قصد الشام فرجع الى الصعيد مع جماعة من اعراب جذام مروا به على السويس والطور ورجع عنه

بياض بالاصل

مواليه الى مصر ولما انتهى الى غزة تولع به الناصر فأذنه بالقدوم عليه بدمشق وركب يوم وصوله فتلقاه بالكسوة وأعطاه خمسة آلاف دينار ولم يزل عنده بدمشق الى أن هرب البحرية من الكرك الى مصر كما نذكر فخشى أن يأخذه الناصر وكاتب الاتابك قطز بمصر وسار اليه فتقبله أولا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقله بالاسكندرية وكان الصيمرى قد بقى بعد الافرم فى ولاية الصعيد واستفحل فيه فسولت له نفسه الاستبداد ولم يتم له فهرب الى الناصر سنة أربع وخمسين انتهى والله تعالى أعلم

(مقتل المعز ايبك وولاية ابنه على المنصور)

كان المعز ايبك عندما استفحل أمره ومهد سلطانه ودفع الاعداء عن حوزته طمعت نفسه الى مظاهرة المنصور صاحب حماة ولؤلؤ صاحب الموصل ليصل يده بهما وأرسل اليهما فى الخطبة وأثار ذلك غيرة من زوجته شجر الدر وأغرت به جماعة من الخصيان منهم محسن الخزرى وخصى العزيزى ويقال سنجر الخادمان فبيتوه فى الحمام بقصره وقتلوه سنة خمس وخمسين لثلاث سنين من ولايته وسمع مواليه الناعية من جوف الليل فجاؤا مع سيف الدين قطز وسنجر الغتمى وبهادر فدخلوا القصر وقبضوا على الجوجرى فقتلوه وفر سنجر العزيزى الى الشأم وهموا بقتل شجر الدر وقام الموالى الصالحية دونها فاعتقلوها ونصبوا للملك على بن المعز ايبك ولقبوه المنصور وكان أتابكه علم الدين سنجر الحلى واشتمل موالى المعز على ابنه المنصور فكبسوا علم الدين سنجر واعتقلوه ولوا مكانه اقطاى المعزى الصالحى مولى العزيز على الدولة فى نقضها وابرامها سنة ست وخمسين وأغرته أم المنصور بالصاحب شرف الدين الغازى لان المعز كان يستودعه سراياه عنده فاستصفاه وقتله وفى هذه السنة توفى زهير ابن على المهلى وكان يكتب عن الصالح ويلازمه فى سجنه بالكرك ثم صحبه الى مصر والله تعالى أعلم

(نهوض البحرية بالمغيث صاحب الكرك وانهزامهم)

قد ذكرنا فرار البحرية الى الناصر ونهوضهم به الى مصر وخروج ايبك الى العباسة وما كان بينهما من الصلح فلما انعقد الصلح ورجع الناصر الى دمشق ورجعوا عنه الى قلعة

بياض بالاصل

ولم يرضوا الصلح فاسترابهم الناصر وصرفهم عنه فلحقوا بغزة ونابلس وبعثوا الى المغيث صاحب الكرك بطاعتهم فأرسل الناصر عساكره للايقاع

بهم فهزموهم فسار اليهم بنفسه فهزموه الى البلقاء ولحقوا بالكرك وأطمعوا المغيث في مصر واستمدوه لها فأمدهم بعسكره وقصدوا مصر وكبراؤهم بيبرس البندقدارى وقلاوون الصالحى وبلبان الرشيدى وبرز الامير سيف الدين قطز بعساكر مصر الى الصالحية فهزمهم وقتل بلغار الاشرفى وأسر قلاوون الصالحى وبلبان الرشيدى وأطلق قلاوون بعد أيام فى كفالة أستاذ الدار فاختفى ثم لحق بأصحابه واستحثوا المغيث الى مصر فنهض فى عساكره سنة ست وخمسين ونزل الصالحية وقدم اليه عز الدين الرومى والكافورى والهواشرى ممن كان يكاتبه من أمراء مصر وبرز سيف الدين قطز فى عساكر مصر والتقى الجمعان فانهزم المغيث ولحق فى الفل بالكرك وفرت البحرية الى الغور فوجدوا هنالك احياء من الاكراد فروا من جبال شهرزور أمام التتر فاجتمعوا بهم والتحموا بالصهر معهم وخشى الناصر غائلة اجتماعهم فجهز العساكر من دمشق اليهم والتقوا بالغور فانهزمت عساكره فتجهز ثانيا بنفسه وسار اليهم فخاموا عن لقائه وافترقوا فلحق الاكراد بمصر واعترضهم التركمان فى طريقهم بالعريش فأوقعوا بهم وخلصوا الى مصر ولحق البحرية بالكرك مع عسكر المغيث ووعدهم بالنصر وأرسل اليه من دمشق فى اسلامهم اليه وتوعده أنفسهم واضطربوا فافترق بيبرس وقلاوون الى الصحراء وأقاموا بها ثم لحقوا بمصر وأكرمهم الاتابك قطز وأقطعهم وأقاموا عنده ولما فارق بيبرس وقلاوون من المغيث قبض على بقية أمراء البحرية سنقر الاشقر وشكر وبرابق وبعث بهم الى الناصر فحبسهم بقلعة حلب الى أن استولى التتر عليها ونقلهم هلاكو الى بلاده والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلع المنصور على بن ايبك واستبداد قطز بالملك)

ثم كان ماذكرناه ونذكره من زحف هلاكو الى بغداد واستيلائه عليها ومابعدها الى الفرات وفتحه ميافارقين واربل ومسير لؤلؤ صاحب الموصل اليه ودخوله فى طاعته ووفادة ابن الناصر صاحب دمشق اليه رسولا عن أبيه بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة والعذر عن الوصول بنفسه خوفا على سواحل الشأم من الافرنج فارتاب الامراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم المنصور على بن المعز ايبك عن مدافعة هذا العدو لعدم ممارسته للحروب وقلة دربته بالوقاع واتفقوا على البيعة لسيف الدين قطز المعزى وكان معروفا بالصرامة والاقدام فبايعوا له وأجلسوه على الكرسى سنة ست وخمسين ولقبوه المظفر وخلعوا المنصور لسنتين من ولايته وحبسوه وأخويه بدمياط ثم غربهما الظاهر بعد ذلك الى القسطنطينية وكان المتولون لذلك الصالحية والعزيزية

ومن يرجع الى نظر من المعزية وكان بهادر وسنجر الغتمى غائبين فلما قدما استراب بهما قطز وخشى من نكيرهما ومزاحمتهما فقبض عليهما وحبسهما وأخذ فى تمهيد الدولة فاستوسقت له وكان قطز من أولاد الملوك الخوارزمية يقال انه ابن أخت خوارزم شاه واسمه محمود بن مودود اسره التتر عند الحادثة عليهم وبيع واشتراه ابن الزعيم حكاه النووى عن جماعة من المؤرخين والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

{استيلاء التتر على الشأم وانقراض أمر بنى أيوب ثم مسير قطز بالعساكر وارتجاعه الشأم من أيدى التتر وهزيمتهم وحصول الشأم فى ملك الترك}

ثم عبر هلاكو الفرات سنة ثمان وخمسين وفر الناصر وأخوه الظاهر الى التيه ولحق بمصر المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا باحياء العرب فى القفر وملك هلاكو بلاد الشأم واحدة واحدة وهدم أسوارها وولى عليها وأطلق المعتقلين من البحرية بحلب مثل سنقر الاشقر وشكر وبرابق واستخدمهم ثم قفل الى العراق لاختلاف بين اخوته واستخلف على الشأم كسعا من أكبر أمرائه فى اثنى عشر ألفا من العساكر وتقدم اليه بمطالعة الاشرف ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص بعد ان ولاه على مدينة دمشق وسائر مدن الشأم واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد ان استشاره فى تجهيز العساكر بالشأم لمدافعة أهل مصر عنها فهون عليه الامر وقللهم فى عينه فجهز كسعا ومن معه ولما فصل سار كسعا الى قلعة دمشق وهى ممتنعة بعد فحاصرها وافتتحها عنوة وقتل نائبها بدر الدين بردبك وخيم بمرج دمشق وجاءه من ملوك الافرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر أخو الناصر صاحب صرخد فرده الى عمله وأوفد عليه المغيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله ورده الى أبيه واجتمعت عساكر مصر واحتشد المظفر العرب والتركمان وبعث اليهم بالعطايا وأزاح العلل وبعث كسعا الى المظفر قطز بأن يقيم طاعة هلاكو بمصر فضرب أعناق الرسل ونهض الى الشأم مصمما للقاء العدو ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل وزحف كسعا وعساكر التتر ومعه الاشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الصبيبة ابن العزيز بن العادل وبعث اليهما قطز يستميلهما فوعده الاشرف بالانهزام يوم اللقاء وأساء العزيز الرد على رسوله وأوقع به والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت وتحيز الاشرف عندما تناشبوا فانهزم التتر وقتل أميرهم كسعا فى المعركة وجىء بالسعيد صاحب الصبيبة أسيرا فوبخه ثم قتله وجىء بالعزيز بن المغيث وأسر يومئذ الذى ملك مصر بعد ذلك واتبع العادل بيبرس المنهزمين فى عسكر من الترك فأثخن فيهم وانتهى الى حمص فلقى مددا من التتر جاء لكسعا فاستأصلهم ورجع اليه الاشرف صاحب حمص من عسكر التتر فأقره

على بلده وبعث المنصور على بلده حماة وأقره عليها ورد اليه المعرة وانتزع منه سلمية فأقطعها الامير العرب مهنا بن مانع بن جديلة وسار الى دمشق فهرب من كان بها من التتر وقتل من وجد بها من بقاياهم ورتب العساكر فى البلاد وولى على دمشق علم الدين سنجر الحلى الصالحى وهو الذى كان أتابك على بن ايبك ونجم الدين أبا الهيجاء ابن خشترين الكردى وولى على حلب السعيد ويقال المظفر علاء الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل وكان وصل الى الناصر بمصر هاربا أمام التتر وسار معه فلما دخل الناصر منها لحق هو بمصر وأحسن اليه قطز ثم ولاه الناصر على حلب الآن ليتوصل الى أخبار التتر من أخيه الصالح بالموصل وولى على نابلس وغزة والسواحل شمس الدين دانشير البرلى من أمراء العزيز محمد وهو أبو الناصر وكان هرب منه عند نهوضه الى مصر فى جماعة من العزيزية ولحق باتابك ثم ارتاب بهم وقبض على بعضهم ورجع البرلى فى الباقين الى الناصر فاعتقله بقلعة حلب حتى سار الى التتر فلما دخل اليها سار البرلى مع العساكر الى مصر فأكرمه المظفر وولاه الآن على السواحل وغزة وأقام المظفر بدمشق عشرين ليلة وأقبل الى مصر ولما بلغ الى هلاكو ماوقع بقومه فى الشأم واستيلاء الترك عليه اتهم صاحب دمشق بأنه خدعه فى اشارته وقتله كما مر وانقرض ملك بنى أيوب من الشأم أجمع وصار لملوك مصر من الترك والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(مقتل المظفر وولاية الظاهر بيبرس)

كان البحرية من حين مقتل أميرهم اقطاى الجامدار يتحينون لاخذ ثاره وكان قطز هو الذى تولى قتله فكان مستريبا بهم ولما سار الى التتر ذهل كل منهم عن شأنه وجاء البحرية من القفر هاربين من المغيث صاحب الكرك فوثقوا لانفسهم من السلطان قطز أحوج ما كان الى أمثالهم من المدافعة عن الاسلام وأهله أمنهم واشتمل عليهم وشهدوا معه واقعة التتر على عين جالوت وأبلغوا فيها والمقدمون فيهم يومئذ بيبرس البندقدارى وأنز الاصبهانى وبلبان الرشيدى وبكتون الجوكندارى وبند وغار التركى فلما انهزم التتر من الشأم واستولوا عليه وحسر ذلك المد وأفرج عن الخائفين الروع عاد هؤلاء البحرية الى ديدنهم من الترصد لثار اقطاى فلما قفل قطز من دمشق سنة ثمان وخمسين أجمعوا أن يبرزوا به فى طريقهم فلما قارب مصر ذهب فى بعض أيامه يتصيد وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه وتقدم اليه أنز شفيعا فى بعض أصحابه فشفعه فأهوى يقبل يده فأمسكها وعلاه بيبرس بالسيف فخر صريعا لليدين والفم ورشقه الآخرون بالسهام فقتلوه وتبادروا الى المخيم وقام دون فارس الدين اقطاى على

ابن المعز ايبك وسأل من تولى قتله منكم فقالوا بيبرس فبايع له واتبعه أهل المعسكر ولقبوه الظاهر وبعثوا ايدمر الحلى بالخبر الى القلعة بمصر فأخذ له البيعة على من هنالك ووصل الظاهر منتصف ذى القعدة من السنة فجلس على كرسيه واستخلف الناس على طبقاتهم وكتب الى الاقطار بذلك ورتب الوظائف وولى الامراء وولى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الوزارة مع القضاء واقتدى بآثار أستاذه الصالح نجم الدين ومبدأ أمر هذا الظاهر بيبرس انه كان من موالى علاء الدين ايدكين البندقدارى مولى الصالح فسخط عليه واعتقله وانتزع ماله ومواليه وكان منهم بيبرس فصيره مع الجامدارية ومازال يترقى فى المراتب الى أن تقدم فى الحروب ورياسة المراكب ثم كان خبره بعد الصالح ماقصصناه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(انتقاض سنجر الحلى بدمشق ثم أقوش البرلى بحلب)

ولما بلغ علم الدين سنجر بدمشق مقتل قطز وولاية الظاهر بيبرس انتقض ودعا لنفسه وجلس على التخت بدمشق وتلقب المجاهد وخطب لنفسه وضرب السكة باسمه وتمسك المنصور صاحب حماة بدعوة الظاهر وجاءت عساكر التتر الى الشأم فلما شارفوا البيرة جرد اليهم السعيد بن لؤلؤ من حلب عسكرا فهزمهم التتر وقتلوهم واتهم الامراء العزيزية والناصرية ابن لؤلؤ فى ذلك فاعتقلوه وقدموا عليهم حسام الدين الجوكندارى وأقره الظاهر وزحف التتر الى حلب فملكوها وهرب حسام الدين الى حماة ثم زحف اليها التتر فلحق صاحبها المنصور وأخوه على الافضل الى حمص وبها الاشرف ابن شيركوه واجتمعت اليه العزيزية والناصرية وقصدوا التتر سنة تسع وخمسين فهزموهم بعد هزيمتهم ونازلوا حماة وسار المنصور والاشرف صاحب حمص الى سنجر الحلى بدمشق ولم يدخلا فى طاعته لضعفه وسار التتر من حماة الى   فحاصروها يوما وعبروا الفرات الى بلادهم وبعث بيبرس الظاهر صاحب مصر أستاذه علاء الدين البندقدارى فى العساكر لقتال سنجر الحلى بدمشق وقاتلهم فهزموه ولجأ الى القلعة ثم خرج منها الى بعلبك واتبعوه فقبضوا عليه وبعثوه الى الظاهر فاعتقله واستقر ايدكين بدمشق ورجع صاحب حمص وحماة الى بلديهما وبعث الظاهر الى ايدكين بالقبض على بهاء الدين بقرى وشمس الدين أقوش البرلى وغيرهما من العزيزية فقبض على بقرى وفر العزيزية والناصرية مع أقوش البرلى وطالبوا صاحب حمص وصاحب حماة فى الانتقاض فلم يجبهم الى ذلك فقال لفخر الدين   اطلب لى الظاهر المقدم معك فى خدمتك وبينما هو يسير لذلك خالفه البرلى الى حلب وثار بها وجمع العرب والتركمان ونصب للحرب فجاءت العساكر من مصر فقاتلوه

بياض بالاصل

بياض بالاصل

وغلبوه عليها ولحق بالبيرة فملكها واستقر بها حتى اذا جهز الظاهر عساكره سنة ستين الى حلب مع سنقر الرومى سار معه صاحب حماة وصاحب حمص للاغارة على انطاكية ولقيهم البرلى وأعطاهم طاعته وأقره الظاهر على البيرة ثم ارتاب به بعد ذلك واعتقله ثم علاء الدين ايدكين البندقدارى مولى السلطان بدمشق وولى عليها بيبرس الوزير ورجع والله ينصر من يشاء من عباده انتهى

{البيعة للخليفة بمصر ثم مقتله بالحديثة وغانة على يد التتر}
{والبيعة للآخر الذى استقرت الخلافة فى عقبه بمصر}

لما قتل الخليفة عبد الله المستعصم ببغداد بقى رسم الخلافة الاسلامية عطلا باقطار الارض والظاهر متشوف الى تجديده وعمارة دسته ووصل الى مصر سنة تسع وخمسين عم المستعصم وهو أبو العباس أحمد بن الظاهر كان بقصورهم ببغداد وخلص يوم البيعة وأقام يتردد فى الاحياء الى أن لحق بمصر فسر الظاهر بقدومه وركب للقائه ودعا الناس على طبقاتهم الى أبواب السلطان بالقلعة وأفرد بالمجلس أدبا معه وحضر القاضى تاج الدين ابن بنت الاعز فحكم باتصال نسبه بالشجرة الكريمة بشهادة العرب الواصلين به والخدم الناجعين من قصورهم ثم بايع له الظاهر والناس على طبقاتهم وكتب الى النواحى بأخذ البيعة له والخطبة على المنابر ونقش اسمه فى السكة ولقب المستنصر وأشهد هو حينئذ الملأ بتفويض الامر للظاهر والخروج له عن العهد وكتب بذلك سجله وأنشأه فخر الدين بن لقمان كاتب الترسيل ثم ركب السلطان والناس كافة الى خيمة بنيت خارج المدينة فقرئ التقليد على الناس وخلع على أهل المراتب والخواص ونادى السلطان بمظاهرته واعادته الى دار خلافته ثم خطب هذا الخليفة يوم الجمعة وخشع فى منبره فأبكى الناس وصلى وانصرفوا الى منازلهم ووصل على أثره الصالح اسمعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه اسحق صاحب الجزيرة وقد كان أبوهما لؤلؤ استخدم لهلاكو كما مر وأقره على الموصل وما اليها وتوفى سنة سبع وخمسين وقد ولى ابنه اسمعيل على الموصل وابنه اسمعيل المجاهد على جزيرة ابن عمر وابنه السعيد على سنجار وأقرهم هلاكو على أعمالهم ولحق السعيد بالناصر صاحب دمشق وسار معه الى مصر وصار مع قطز وولاه حلب كما مر ثم اعتقل ثم ارتاب هلاكو بالاخوين فأجفلا ولحقا بمصر وبالغ الظاهر فى اكرامهم وسألوه فى اطلاق أخيهم المعتقل فأطلقه وكتب لهم بالولاية على أعمالهم وأعطاهم الالوية وشرع فى تجهيز الخليفة الى كرسيه ببغداد فاستخدم له العساكر وأقام له الفساطيط والخيام ورتب له الوظائف وأزاح علل الجميع يقال أنفق فى تلك النوبة نحوا من ألف ألف دينار ثم سار من مصر فى شوال من

السنة الى دمشق ليبعث من هنالك الخليفة وابنى لؤلؤ الى ممالكهم ووصل الى دمشق ونزل بالقلعة وبعث بليبان الرشيدى وشمس الدين سنقر الى الفرات وصمم الخليفة لقصده وفارقهم وسار الصالح اسمعيل وأخواه الى الموصل وبلغ الخبر الى هلاكو فجرد العساكر الى الخليفة وكبسوه بغانة والحديثة فصابرهم قليلا ثم استشهد وبعث العساكر الى الموصل فحاصروها تسعة أشهر حتى جهدهم الحصار واستلموا فملكها التتر وقتلوا الصالح اسمعيل والظاهر خلال ذلك مقيم بدمشق وقد وفد عليه بنو أيوب من نواحى الشأم وأعطوه طاعتهم المنصور صاحب حماة والاشرف صاحب حمص فأكرم وصلهما وولاهما على أعمالهما وأذن لهما فى اتخاذ الا   لة   بلاد الاسماعيلية والى المنصور تل باشر الذى اعتاضه عن حمص لما أخذها منه الناصر صاحب حلب ووفد على الظاهر أيضا بدمشق الزاهد أسد الدين شيركوه صاحب   وصاحب بعلبك والمنصور والسعيد ابنا الصالح اسمعيل بن العادل والامجد بن الناصر داود والاشرف بن مسعود والظاهر بن المعظم فأكرم وفادتهم وقابل بالاحسان والقبول طاعتهم وفرض لهم الارزاق وقرر الجرايات ثم قفل الى مصر وأفرج عن العزيز بن المغيث الذى كان اعتقله قطز وأطلقه   بالكرك وولى على احياء العرب بالشأم عيسى بن مهنا بن مانع بن جديلة من رجالاتهم ووفر لهم الاقطاع على حفظ السابلة الى حدود العراق ورجع الى مصر فقدم عليه رجل من عقب المسترشد من خلفاء بنى العباس ببغداد اسمه أحمد فأثبت نسبه ابن بنت الاعز كالاول وجمع الظاهر الناس على مراتبهم وبايع له وفوض اليه هو الامور وخرج اليه عن التدبير وكانت هذه البيعة سنة ستين ونسبه عند العباسيين فى ادراج نسبهم الثابت أحمد بن أبى بكر على بن أبى بكر بن أحمد بن الامام المسترشد وعند نسابة مصر أحمد بن حسن بن أبى بكر بن الامير أبى على القبى بن الامير حسن بن الامام الراشد بن الامام المسترشد هكذا قال صاحب حماة فى تاريخه وهو الذى استقرت الخلافة فى عقبه بمصر لهذا العهد انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

هكذا بياض بالاصل

(فرار التركمان من الشأم الى بلاد الروم)

كان التركمان عند دخول التتر الى بلاد الشأم كلهم قد أجفلوا الى الساحل واجتمعت أحياؤهم بالجولان قريبا من صفد وكان الظاهر لما نهض الى الشأم اعترضه رسل الافرنج من يافا وبيروت وصفد يسألونه فى الصلح على ما كان لعهد صلاح الدين فأجابهم وكتب به الى الانبردور ملكهم ببلاد افرنسة وراء البحر فكانوا فى ذمة من الظاهر وعهد ووقعت بين الافرنج بصفد وبين أحياء التركمان واقعة يقال أغار فيها أهل صفد

عليهم فأوقع بهم التركمان وأسروا عدة من رؤسائهم وفادوهم بالمال ثم خشوا عاقبة ذلك من الظاهر فارتحلوا الى بلاد الروم وأنفر الشام منهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(انتقاض الاشرفية والعزيزية واستيلاء البرلى على البيرة)

كان هؤلاء العزيزية والاشرفية من أعظم جموع هؤلاء الموالى وكان مقدم الاشرفية بهاء الدين بقرى ومقدم العزيزية شمس الدين أقوش وكان المظفر قطز قد أقطعه نابلس وغزة وسواحل الشام ولما ولى الظاهر انتقض عليه سنجر الحلبى بدمشق وجهز أستاذه علاء الدين البندقدارى فى العساكر لقتاله وكان الاشرفية والعزيزية بحلب وقد انتقضوا على نائبها السعيد بن لؤلؤ كما مر فتقدم البندقدارى باستدعائهم معه الى دمشق ثم أضاف الظاهر بيسان للبرلى زيادة على ما بيده فسار وملك دمشق ثم أوعز الظاهر الى البندقدارى بالقبض على العزيزية والاشرفية فلم يتمكن الامن بقرى مقدم الاشرفية وفارقه الباقون وانتقضوا واستولى شرف الدين البرلى على البيرة وأقام بها وشن الغارات على التتر شرقى الفرات فنال منهم ثم جهز الظاهر عساكره اليه مع جمال الدين بادو الحموى فهزمهم وأطلقهم وأقام الظاهر على استمالته بالترغيب والترهيب حتى جنح الى الطاعة واستأذن فى القدوم وسار بكاس الفخرى للقائه فلقيه بدمشق سنة احدى وستين ثم وصل فأوسعه السلطان يدا وعطاء والواصلين معه على مراتبهم واختصه بمراكبته ومشورته وسأله النزول عن البيرة فنزل عنها فقبلها الظاهر وأعاضه عنها والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة صاحبها)

لما قفل السلطان من الشام سنة ستين كما قدمناه جرد عسكرا الى الشوبك مع بدر الدين ايدمرى فملكها وولى عليها بدر الدين بلبان الحصى ورجع الى مصر وكان عند المغيث بالكرك جماعة من الاكراد الذين أجفلوا من شهرزور أمام التتر الى الشام وكان قد اتخذهم جندا لعسكرته فسرحهم للاغارة على الشوبك ونواحيه فاعتزم السلطان على الحركة الى الكرك مخافة المغيث وبعث بالطاعة واستأمن الاكراد فقبلهم الظاهر وأمن الاكراد فوصلوا اليه ثم سار سنة احدى وستين الى الكرك واستخلف على مصر جدر الحلى واستخلف على غزة فلقى هنالك أم المغيث تستعطفه وتستأمن منه لحضور ابنها فأجابها وسار الى بيسان فسار المغيث للقائه فلما وصل قبض عليه وبعثه من حينه الى القاهرة مع اقسنقر الفارقانى وقتل بعد ذلك بمصر وولى على الكرك عز الدين

ايدمر وأرسل نور الدين بيسرى الشمسى ليؤمن أهل الكرك ويرتب الامور بها وأقام بالطور فى انتظاره فأبلغ بيسرى القصد من ذلك ورجع اليه فارتحل الى القدس وأمر بعمارة مسجده ورجع الى مصر وبلغه وفاة صاحب حمص موسى الاشرف بن ابراهيم المنصور بن شيركوه المجاهد بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه وكانت وراثة له من آبائه أقطعه نور الدين العادل لجده أسد الدين ولم تزل فى أيديهم وأخذها الناصر يوسف صاحب حلب سنة ست وأربعين وعوضه عنها تل باشر وأعادها عليه هلاكو وأقره الظاهر ثم توفى سنة احدى وستين وصارت للظاهر وانقرض منها ملك بنى أيوب والله سبحانه وتعالى أعلم

(هزيمة التتر على البيرة وفتح قيسارية وارسوف بعدها)

ثم رجعت عساكر التتر الى البيرة مع ردمانة من أمراء المغل سنة ثلاث وستين فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق فجهز السلطان العساكر مع لوغان من أمراء الترك فساروا فى ربيع من السنة وسار السلطان فى اثرهم وانتهى الى غزة ولما وصلت العساكر الى البيرة وأشرفوا عليها والعدو يحاصرها أجفلت عساكر التتر وساروا منهزمين وخلفوا أسوادهم وأثقالهم فنهبتها العساكر وارتحل السلطان من غزة وقصد قيسارية وهى للافرنج فنزل عليها عاشر جمادى من السنة فنصب المجانيق ودعا أهلها للحرب واقتحمها عليهم فهربوا الى القلعة فحاصرها خمسا وملكها عنوة وفر الافرنج منها ثم رحل فى خف من العساكر الى عملها فشن عليها الغارة وسرح عسكرا الى حيفا فملكها عنوة وخربوها وقلعتها فى يوم أو بعض يوم ثم ارتحل الى ارسوف فنازلها مستهل جمادى الاخيرة فحاصرها وفتحها عنوة وأسر الافرنج الذين بها وبعث بهم الى الكرك وقسم أسوارها على الامراء فرموها وعمد الى ما ملك فى هذه الغزاة من القرى والضياع والارضين فقسمها على الامراء الذين كانوا معه وكانوا اثنين وخمسين وكتب لهم بذلك وقفل الى مصر وبلغه الخبر بوفاة هلاكو ملك التتر فى ربيع من السنة وولاية ابنه ابغا مكانه وما وقع بينه وبين بركة صاحب الشمال من الفتنة ولاول دخوله لمصر قبض على شمس الدين سنقر الرومى وحبسه وكانت الفتنة قبل غزاته بين عيسى بن مهنا وزامل بعد ذلك بهلاكو ثم استأمن الى الظاهر فأمنه وعاد الى احيائه والله تعالى أعلم

(غزو طرابلس وفتح صفد)

كانت طرابلس للافرنج وبها سمند بن البرنس الاشتر وله معها انطاكية وبلغ السلطان انه قد فلقيه النائب بها علم الدين سنجر الباشقرو انهزم المسلمون

واستشهد كثير منهم فتجهز السلطان للغزو وسار من مصر فى شعبان سنة أربع وستين وترك ابنه السعيد عليا بالقلعة فى كفالة عز الدين ايدمر الحلى وقد كان عهد لابنه السعيد بالملك سنة ثنتين وستين ولما انتهى الى غزة بعث العساكر صحبة سيف الدين قلاون ايدغدى العزيزى فنازل القليعات وحلب وعرقا من حصون طرابلس فاستأمنوا اليه وزحفت العساكر وسار السلطان الى صفد فحاصرها عشرا ثم اقتحمها عليهم فى عشرين من رمضان السنة وجمع الافرنج الذين بها فاستلحمهم أجمعين وأنزل بها الحامية وفرض أرزاقهم فى ديوان العطاء ورجع الى دمشق والله تعالى أعلم

(مسير العساكر لغزو الارمن)

هؤلاء الارمن من ولد أخى ابراهيم عليه السلام من بنى قوممل بن ناحور وناحور بن تارح وعبر عنه فى التنزيل بآزر وناحور اخو ابراهيم عليه السلام ويقال ان الكرج اخوة الارمن وارمينية منسوبة اليهم وآخر مواطنهم الدروب المجاورة لحلب وقاعدتها سيس ويلقب ملكهم التكفور وكان ملكهم صاحب هذه الدروب لعهد الملك الكامل وصلاح الدين من بعده اسمه قليج بن اليون واستنجد به العادل وأقطع له وكان يعسكر معه وصالحه صلاح الدين على بلاده ثم كان ملكهم لعهد هلاكو والتتر هيثوم بن قسطنطين ولعله من أعقاب قليج أو قرابته ولما ملك هلاكو العراق والشأم دخل هيثوم فى طاعته فأقره على سلطانه ثم أمره بالاغارة على بلاد الشأم وأمده صاحب بلاد الروم من التتر وسار سنة ثنتين وستين ومعه بنو كلاب من أعراب حلب وانتهوا الى وجهز الظاهر عساكر حماة وحمص فساروا [بياض بالاصل]
اليهم وهزموهم ورجعوا الى بلادهم فلما رجع السلطان من غزاة طرابلس سنة أربع وستين سرح العساكر لغزو سيس وبلاد الارمن وعليهم سيف الدين قلاون والمنصور صاحب حماة فساروا لذلك وكان هيثوم ملكهم قد ترهب ونصب للملك ابنه كيقومن فجمع كيقومن الارمن وسار للقائهم ومعه أخوه وعمه وأوقع بهم المسلمون قتلا وأسرا وقتل أخوه وعمه فى جماعة من الارمن واكتسحت عساكر المسلمين بلادهم واقتحموا مدينة سيس وخربوها ورجعوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والسبى وتلقاهم الظاهر من دمشق عند قارا فلما رآهم ازداد سرورا بما حصل لهم وشكا اليه هنالك الرعية ما لحقهم من عدوان الاحياء الرحالة وانهم ينهبون موجودهم ويبيعون ما يختطفونه منهم من الافرنج بعكا فأمر باستباحتهم وأصبحوا نهبا فى أيدى العساكر بين القتل والاسر والسبى ثم سار الى مصر وأطلق كيقومن ملك الارمن وصالحه على بلاده ولم يزل مقيما الى أن بعث أبوه فى فدائه وبذل فيه الاموال والقلاع فأبى الظاهر من ذلك

وشرط عليه خلاص الامراء الذين أخذهم هلاكو من سجن حلب وهم سنقر الاشقر وأصحابه فبعث فيهم تكفر الى هلاكو فبعثهم اليه وبعث الظاهر بابنه منتصف شوال وتسلم القلاع التى بذلت فى فدائه وكانت من أعظم القلاع وأحصنها منها مرزبان ورعبان وقدم سنقر الاشقر على الظاهر بدمشق وأصبح معه فى الموكب ولم يكن أحد علم بأمره وأعظم اليه السلطان النعمة ورفع الرتبة ورعى له السابقة والصحبة وتوفى هيثوم سنة ستين بعدها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مسير الظاهر لغزو حصون الافرنج بالشأم وفتح يافا والشقيف ثم انطاكية)

كان الظاهر عندما رجع من غزاة طرابلس الى مصر أمر بتجديد الجامع الازهر واقامة الخطبة به وكان معطلا منها منذ مائة سنة وهو أول مسجد أسسه الشيعة بالقاهرة حين اختطوها ثم خرج الى دمشق لخبر بلغه عن التتر ولم يثبت فسار من هنالك الى صفد وكان أمر عند مسيره بعمارتها وبلغه اغارة أهل الشقيف على الثغور فقصدها وشن الغارة على عكا واكتسح بسائطها حتى سأل الافرنج منه الصلح على ما يرضيه فشرط المقاسمة فى صيدا وهدم الشقيف واطلاق تجار من المسلمين كانوا أسروهم ودية بعض القتلى الذى أصابوا دمه وعقد الصلح لعشر سنين ولم يوفوا بما شرط عليهم فنهض لغزوهم ونزل فلسطين فى جمادى سنة ست وستين وسرح العساكر لحصار الشقيف ثم بلغه مهلك صاحب يافا من الافرنج وملك ابنه مكانه وجاءت رسله اليه فى طلب الموادعة فحبسهم وصبح البلد فاقتحمها ولجأ أهلها الى القلعة فاستنزلهم بالامان وهدمها وكان أول من اختط مدينة يافا هذه صنكل من ملوك الافرنج عندما ملكوا سواحل الشأم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ثم مدنها وأتم عمارتها ريدافرنس المأسور على دمياط عندما خلص من محبسه بدار ابن لقمان ثم رجع الى حصن الشقيف فحاصره وافتتحه بالامان وبث العساكر فى نواحى طرابلس فاكتسحوها وخربوا عمرانها وكنائسها وبادر صاحب انطرسوس بطاعة [بياض بالاصل]
وبعث الى العساكر بالميرة وأطلق الاسرى الذين عنده ثلثمائة أو يزيدون ثم ارتحل السلطان الى حمص وحماة يريد انطاكية وقدم سيف الدين قلاون فى العساكر فنازل انطاكية فى شعبان فسار المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا بأحياء العرب فى القفر وكان صاحب انطاكية سمند بن تيمند وكانت قاعدة ملك الروم قبل الاسلام اختطها انطيخس من ملوك اليونانيين واليه تنسب ثم صارت للروم وملكها المسلمون عند الفتح ثم ملكها الافرنج عندما ساروا الى ساحل الشأم أعوام التسعين والاربعمائة ثم استطردها صلاح الدين من البرنس ارناط الذى

قتله فى واقعة حطين كما مر ثم ارتجعها الافرنج بعد ذلك على يد البرنس الاشتر وأظنه صنكل ثم صارت لابنه تيمند ثم لابنه تمند وكان عندما حاصرها الظاهر بطرابلس وكان بها كندا صطبل عم يغمور ملك الارمن آفلت من الواقعة عليه بالذرابند واستقر بانطاكية عند تمند فخرج فى جوعه لقتال الظاهر فانهزم أصحابه وأسر

على أن يحمل أهل انطاكية على الطاعة فلم يوافقوه ثم جهدهم الحصار واقتحمها المسلمون عنوة وأثخنوا فيهم ونجا فلهم الى القلعة فاستنزلوا على الامان وكتب الظاهر الى ملكهم تمند وهو بطرابلس وأطلق كندا صطبل وأقاربه الى ملكهم هيثوم بسيس ثم جمع الغنائم وقسمها وخرب قلعة انطاكية وأضرمها نارا واستأمن صاحب بغراس فبعث اليه سنقر الفارقى استاذداره فملكها وأرسل صاحب عكا الى الظاهر فى الصلح وهو ابن أخت صاحب قبرس فعقد له السلطان الصلح لعشر سنين ثم عاد الى مصر فدخلها ثالث أيام التشريق من السنة والله تعالى أعلم

(الصلح مع التتر)

ثم نهض السلطان من مصر سنة سبع وستين لغزو الافرنج بسواحل الشأم وخلف على مصر عز الدين ايدمر الحلى مع ابنه السعيد ولى عهده وانتهى الى ارسوف فبلغه أن رسلا جاؤا من عند ابغا بن هلاكو ومروا بتكفر ملك الروم فبعث بهم الى

فبعث أميرا من حلب لاحضارهم وقرأ كتاب ابغا يسعى تكفر فى الصلح ويحتال فيما أذاعه من رسالته فأعاد رسله بجوابهم وأذن للامراء فى الانطلاق الى مصر ورجع الى دمشق ثم سار منها فى خف من العسكر الى القلاع وبلغه وفاة ايدمر الحلى بمصر فخيم بخربة اللصوص وأغذ السير الى مصر متنكرا منتصف شعبان فى خف من التركمان وقد طوى خبره عن معسكره وأوهمهم القعود فى خيمته عليلا ووصل الى القلعة ليلة الثلاثاء رابعة سفره فتنكر له الحراس وطولع مقدم الطواشية فطلب منهم امارة على صدقهم فأعطوها ثم دخل فعرفوه وباكر الميدان يوم الخميس فسر به الناس ثم قضى حاجة نفسه وخرج ليلة الاثنين عائدا الى الشأم كما جاء فوصل الى مخيمه ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان وفرح الامراء بقدومه ثم فرق البعوث فى الجهات وأغاروا على صور وملكوا احدى ضياع وساحوا فى بسيط كركو فاستبحوها وامتلأت أيديهم بالغنائم ورجعوا والله تعالى أعلم

(استيلاء الظاهر على صهيون)

كان

كان صلاح الدين بن أيوب قد أقطعها يوم فتحها وهى سنة أربع وثمانين وخمسمائة لناصر الدين منكبرس فلم تزل بيده الى أن هلك وولى فيها بعده ابنه مظفر الدين عثمان وبعده ابنه سيف الدين بن عثمان واستبد الترك بمصر وبعث سيف الدين أخاه عماد الدين سنة ستين بالهدايا الى الملك الظاهر بيبرس فقبلها وأحسن اليه ثم مات سيف الدين سنة تسع وستين وكان أوصى أولاده بالنزول للظاهر عن صهيون فوفد ابناه سابق الدين وفخر الدين على السلطان بمصر فأكرمهما وأقطعهما وولى سابق الدين منهما أميرا وولى على صهيون من قبله ولم يزل كذلك الى أن غلب عليها سنقر الاشقر عندما انتقض بدمشق أيام المنصور والله تعالى أعلم

(نهوض الظاهر الى الحج)

ثم بلغ الظاهر أن أبانمى بن أبى سعد بن قتادة غلب عمه ادريس بن قتادة على مكة واستبد بها وخطب للظاهر فكتب له بالامارة على مكة واعتزم على النهوض الى الحج وتجهز لذلك سنة سبع وستين وأزاح علل أصحابه وشيع العساكر مع اقسنقر الفارقانى استاذداره الى دمشق وسار الى الكرك موريا بالصيد وانتهى الى الشوبك ورحل منه لاحدى عشرة ليلة من ذى القعدة ومر بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فأحرم من ميقاتها وقدم مكة لخمس من ذى الحجة وغسل الكعبة بيده وحمل لها الماء على كتفه واباح للمسلمين دخولها وأقام على بابها يأخذ بأيديهم ثم قضى حجه ومناسكه وولى نائبا على مكة شمس الدين مروان وأحسن الى الامير ابى نمى والى صاحب ينبع وخليص وسائر شرفاء الحجاز وكتب الى صاحب اليمن وقد وصلها فى سبع عشرة خطوة ثم فصل من مكة ثالث عشر ذى الحجة فوصل المدينة على سبعة أيام ووصل الى الكرك منسلخ السنة ثم وصل دمشق غرة ثمان وستين وسار الى زيارة القدس وقدم العساكر مع الامير اقسنقر الى مصر وعاد من الزيارة فأدركهم بتل العجول ووصل القلعة ثالث صفر من السنة والله تعالى أعلم

(اغارة الافرنج والتتر على حلب ونهوض السلطان اليهم)

كان صمغان من أمراء التتر مقيما ببلاد الروم وأميرا عليها فوقعت المراسلة بينه وبين الافرنج فى الاغارة على بلاد الشأم وجاء صمغان فى عسكره لموعدهم فأغار على أحياء العرب بنواحى حلب وبلغ الخبر الى الظاهر سنة ثمان وستين وهو يتصيد بنواحى الاسكندرية فنهض من وقته الى غزة ثم الى دمشق ورجع التتر على أعقابهم ثم سار الى

عكا فاكتسح نواحيها وأثخن فيها وفعل كذلك بحصن الاكراد ورجع الى دمشق آخر رجب ثم الى مصر ومر بعسقلان فخربها وطمس آثارها وجاء الخبر بمصر بان الفرنسيس لويس بن لويس وملك انكلترة وملك اسكوسنا وملك نودل وملك برسلونة وهو ريدرا كون وجماعة من ملوك الافرنج جاؤا فى الاساطيل الى صقلية وشرعوا فى الاستكثار من الشوانى وآلة الحرب ولم يعرف وجه مذهبهم فاهتم الظاهر بحفظ الثغور والسواحل واستكثر من الشوانى والمراكب ثم جاء الخبر الصحيح بأنهم قاصدون تونس فكان من خبرهم ما نذكره فى دولة السلطان بها من بنى أبى حفص والله تعالى أعلم

(فتح حصن الاكراد وعكا وحصون صور)

ثم سار السلطان سنة تسع وستين لغزو بلاد الافرنج وسرح ابنه السعيد فى العساكر الى المرقب لنظر الامير قلاون وبيليك الخزندار وسار هو الى طرابلس فاكتسحوا سائر تلك النواحى وتوافوا بحصن الاكراد عاشر شعبان من السنة فحاصره السلطان عشرا ثم اقتحمت أرباضه وانحجر الافرنج فى قلعته واستأمنوا وخرجوا الى بلادهم وملك الظاهر الحصون وكتب الى صاحب الاستبار بالفتح وهو بانطرطوس وأجاب بطلب الصلح فعقد له على انطرطوس والمرقب وارتحل السلطان عن حصن الاكراد بعد ان شحنه بالاقوات والحامية ونازل حصن عكا واشتد فى حصاره واستأمن أهله اليه وملكه ثم ارتحل بعد الفطر الى طرابلس واشتد فى قتالها وسأل صاحبها البرنس الصلح فعقد له على ذلك لعشر سنين ورجع الى دمشق ثم خرج آخر شوال الى
وملك قلعته بالامان على أن يتركوا الاموال والسلاح واستولى عليه وهدمه وسار الى اللجون وبعث اليه صور فى الصلح على أن ينزل له عن خمس من قلاعه فعقد له الصلح لعشر سنين وملكها ثم كتب الى نائبه بمصر أن يجهز عشرة من الشوانى الى قبرس فجهزها ووصلت ليلا الى قبرس والله أعلم

(استيلاء الظاهر على حصون الاسماعيلية بالشأم)

كان الاسماعيلية فى حصون من الشأم قد ملكوها وهى مصياف والعليقة والكهف والمنيفة والقدموس وكان كبيرهم لعهد الظاهر نجم الدين الشعرانى وكان قد جعل له الظاهر ولايتها ثم تأخر عن لقائه فى بعض الاوقات فعزله وولى عليها خادم الدين بن الرضا على أن ينزل له عن حصن مصياف وأرسل معه العساكر فتسلموه منه ثم قدم عليه سنة ثمان وستين وهو على حصن الاكراد وكان نجم الدين الشعرانى قد أسن وهرم فاستعتب وأعتبه الظاهر وعطف عليه وقسم الولاية بينه وبين ابن الرضا وفرض عليهما

مائة وعشرين ألف درهم يحملانها كل سنة ولما رجع سنة تسع وستين وفتح حصن الاكراد مر بحصن العليقة من حصونهم فملكه من يد ابن الرضى منتصف شوال من السنة وأنزل به حامية ثم سار لقتال التتر على البيرة كما يذكر ورجع الى مصر فوجد الاسماعيلية قد نزلوا على الحصون التى بقيت بأيديهم وسلموها لنواب الظاهر فملكوها وانتظمت قلاع الاسماعيلية فى ملكة الظاهر وانقرضت منها دعوتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(حصار التتر البيرة وهزيمتهم عليها)

ثم بعث ابغا بن هلاكو العساكر الى البيرة سنة احدى وسبعين مع درباى من مقدمى أمرائه فحاصرها ونصب عليها المجانيق وكان السلطان بدمشق فجمع العساكر من مصر والشأم وزحف الى الفرات وقد جهز العساكر على قاصيته فتقدم الامير قلاون وخالط التتر عليها فى مخيمهم فجالوا معه ثم انهزموا وقتل مقدمهم وخاض السلطان بعساكره بحر الفرات اليهم فأجفلوا وتركوا خيامهم بما فيها وخرج أهل البيرة فنهبوا سوادهم وأحرقوا آلات الحصار ووقف السلطان بساحتها قليلا وخلع على النائب بها لحق درباى بسلطانه ابغا مفلولا فسخطه ولم يعتبه والله تعالى ولى التوفيق

(غزوة سيس وتخريبها)

ثم نهض الظاهر من مصر لغزو سيس فى شعبان سنة ثلاث وسبعين وانتهى الى دمشق فى رمضان وسار منها وعلى مقدمته الامير قلاون وبدر الدين بيليك الخازندار فوصلوا الى المصيصة وافتتحوها عنوة وجاء السلطان على اثرهم وسار بجميع العساكر الى سيس بعد أن كنف الحامية بالبيرة خوفا عليها من التتر وبعث حسام الدين العنتابى ومهنا بن عيسى أمير العرب بالشأم للاغارة على بلاد التتر من ناحيتها وسار الى سيس فخربها وبث السرايا فى نواحيها فانتهوا الى باناس وأذنة واكتسحوا سائر الجهات ووصل الى دربند الروم وعاد الى المصيصة فى التعبية فأحرقها ثم انتهى الى انطاكية فأقام عليها حتى قسم الغنائم ثم رحل الى القصر وكان للافرنج خالصة التبركهم برومة الذى يسمونه البابا فافتتحه ولقيه هنالك حسام الدين العنتابى ومهنا بن عيسى راجعين من اغارتهم وراء الفرات ثم بلغه مهلك البرنس سمند بن تيمند صاحب طرابلس فبعث الظاهر بلبان الدوادار ليقرر الصلح مع بنيه فقرره على عشرين ألف دينار وعشرين أسيرا كل سنة وحضر لذلك صاحب قبرس وكان جاء معزيا لبنى البرنس ورجع الدوادار الى الظاهر فقفل الى دمشق منتصف ذى الحجة والله تعالى ينصر من

شاء من عباده

(ايقاع الظاهر بالتتر في بلاد الروم ومقتل البرواناة بمداخلته في ذلك)

كان علاء الدين البرواناة متغلبا على غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم من بني قليج ارسلان وقد غلب التتر على جميع ممالك بلاد الروم وأبقوا على كيخسرو اسم الملك في كفالة البرواناة وأقاموا أميرا من أمرائهم ومعه عسكر التتر حامية بالبلاد ويسمونه بالشحنة وكان أول أمير من التتر ببلاد الروم بيكو وهو الذي افتتحها وبعده صمغان وبعده توقو وتدوان شريكين في أمرهما العهد الملك الظاهر وكان البرواناة يتأفف من التتر لاستطالتهم عليه وسوء ملكهم ولما استفحل أمر الظاهر بمصر والشأم أمل البرواناة الظهور على التتر والكرة لبني قليج ارسلان بممالأة الظاهر فداخله في ذلك وكاتبه وزحف ابغا ملك التتر الى البيرة سنة أربع وسبعين وخرج الظاهر بالعساكر من دمشق وكاتبه البرواناة يستدعيه وأقام الظاهر على حمص وأرسل اليه البرواناة يستحثه للقاء التتر وعزم ابغا على البرواناة في الوصول فاعتذر ثم رحل متثاقلا وكتب اليه الامراء بعده بأن الظاهر قد نهض الى بلاد الروم بوصيته اليه بذلك فبعث الى ابغا واستمده فأمده بعساكر المغل وأمره بالرجوع لمدافعة الظاهر فرجع ووجد جماعة من الامراء قد كاتبوا الظاهر واستحثوه للقدوم فسقط في أيديهم وحيل بينهم وبين مرامهم ورجع الى مصر في رجب من السنة وأقام بها حولا ثم توقو وتدوان أميرا التتر ببلاد الروم وسار الى الثغور بالشأم وبلغ السلطان خبرهما فسار من مصر في رمضان سنة خمس وسبعين وقصد بلاد الروم وانتهى الى النهر الازرق فبعث شمس الدين سنقر الاشقر للقي مقدمة التتر فهزمهم ورجع الى السلطان وساروا جميعا فلقوا التتر على البلستين ومعهم علاء الدين البرواناة في عساكره فهزمهم وقتل الاميران توقو وتدوان وفر البرواناة وسلطانه كيخسرو لما كان منفردا عنهم وأسر كثير من المغل منهم سلار ابن طغرل ومنهم قفجاق وجاورجي وأسر علاء الدين بن معين الدين البرواناة وقتل كثير منهم ثم رحل السلطان الى قيسارية فملكها وأقام عليها ينتظر البرواناة لموعد كان بينهما وأبطأ عليه وقفل راجعا ورجع خبر الهزيمة الى ابغا ملك التتر واطلع من بعض عيونه على ما كان بين البرواناة والظاهر من المداخلة فتنكر للبرواناة ورجاه لوقته حتى وقف على موضع المعركة وارتاب لكثرة القتلى من المغل وان عسكر الروم لم يصب منهم أحد فرجع الى بلادهم بالقتل والتخريب والاكتساح وامتنع كثير من القلاع ثم منهم ورجع وسار معه البرواناة وهم بقتله أولا ثم رجع لتخليته لحفظ البلاد فأعرل

نساء القتلى من المغل عند بابه فرحم لبكائهن وبعث أميرا من المغل فقتله في بعض الطريق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم

(وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد)

ولما رجع السلطان من واقعته بالتتر على البلستين وقيسارية طرقه المرض في محرم سنة ست وسبعين وهلك من آخره وكان بيليك الخزندار مستوليا على دولته فكتم موته ودفنه ورجع بالعساكر الى مصر فلما وصل القلعة جمع الناس وبايع لبركة بن الملك الظاهر ولقبه السعيد وهلك بيليك اثر ذلك فقام بتدبير الدولة استاذداره شمس الدين الفارقاني وكان نائب مصر أيام مغيب الظاهر بالشأم واستقامت أموره ثم قبض على شمس الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسرى من أمراء الظاهر بسعاية بطانته الذين جمعهم عليه لاول ولايته وكانوا من أوغاد الموالي وكان يرجع اليهم لمساعدتهم له على هواه وصارت شيمته ولما قبض على هذين الاميرين نكر ذلك عليه خاله محمد ابن بركة خان فاعتقلهما فاستوحشت أمه لذلك فأطلق الجميع فارتاب الامراء وأجمعوا على منابذته فاستعتب واستحلفوه ثم أغراه بطانته بشمس الدين الفارقاني مدبر دولته فقبض عليه واعتقله وهلك لايام من اعتقاله وولي مكانه شمس الدين سنقر الالفي ثم سعى أولئك البطانة به فعزله وولي مكانه سيف الدولة كونك الساقي صهر الامير سيف الدين قلاون على أخت زوجته بنت كرمون كان أبوها من أمراء التتر الى الظاهر واستقر عنده وتزوج بنته من الامير قلاون وبنته الاخرى من كوزبك ثم حضر عند السعيد لاشين الربعي من حاشيته وغلب على هواه واستمال أهل الدولة بقضاء حاجاتهم واستمر معروفه لهم واستمر الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالأصل

(خلع السعيد وولاية أخيه شلامش)

ولما استقر السعيد بملكه في مصر أجمع المسير الى الشأم للنظر في مصالحه فسار لذلك سنة سبع وسبعين فاستقر بدمشق وبعث العساكر الى الجهات وسار قلاون الصالحي وبدر الدين بيسري الى سيس زين له ذلك لاشين الربعي والبطانة الذين معه وأغروه بالقبض عليهم عند مرجعهم ثم حدث بين هؤلاء البطانة وبين النائب سيف الدين كونك وحشة وآسفوه بما يلقون فيه عند السلطان فغضب لذلك وسارت العساكر فأغاروا على سيس واكتسحوا نواحيها ورجعوا فلقيهم النائب كونك وأسر اليهم ما أضمر لهم السلطان فخيموا بالمرج وقعدوا عن لقاء السلطان وبعثوا اليه بالعذل في بطانته

وأن ينصف نائبه منهم فأعرض عنهم ودس لموالى أبيه أن يعاودوهم اليه فأطلعوهم على كتابه فزادهم ضغنا وصرحوا بالانتقاض فبعث اليهم سنقر الاشقر وسنقر التركيتى استاذداره بالاستعطاف فردوهما فبعث أمه بنت بركة خان فلم يقبلوها وارتحلوا الى القاهرة فوصلوها فى محرم سنة ثمان وسبعين وبالقلعة عز الدين ايبك الافرم الصالحى أمير جندار وعلاء الدين اقطوان الساقى وسيف الدين بلبان أستاذداره فضبطوا أبواب القاهرة ومنعوهم من الدخول وترددت المراسلة بينهم وخرج ايبك الافرم واقطوان ولاشين التركمانى للحديث فتقبضوا عليهم ودخلوا الى بيوتهم ثم باكروا القلعة بالحصار ومنعوا عنها الماء وكان السعيد بعد منصرفهم من دمشق سار فى بقية العساكر واستنفر الاعراب وبث العطاء وانتهى الى غزة فتفرقت عنه الاعراب واتبعهم الناس ثم انتهى الى بلبيس ورأى قلة العساكر فردّ عن الشأم مع عز الدين ايدمر الظاهرى الى دمشق والنائب بها يومئذ اقوش فقبض عليه وبعث به الى الامراء بمصر ولما رحل السعيد من بلبيس الى القلعة اعتزل عنه سنقر الاشقر وسار الامراء فى العساكر لاعتراضه دون القلعة وألقى الله عليه حجابا من الغيوم المتراكمة فلم يهتدوا الى طريقه وخلص الى القلعة وأطلق علم الدين سنجر الحنفى من محبسه ليستعين به ثم اختلف عليه بطانته وفارقه بعضهم فرجع الى مصانعة الامراء بأن يترك لهم الشأم أجمع فأبوا الاحبسه فسألهم أن يعطوه الكرك فأجابوه وحلفهم على الامان وحلف لهم أن لا ينتقض عليهم ولا يداخل أحدا من العساكر ولا يستميله فبعثوه من حينه الى الكرك وكتبوا الى النائب بها علاء الدين ايدكزا الفخرى أن يمكنه منها ففعل واستقر السعيد بالكرك وقام بدولته ايدكزا الفخرى واجتمع الامراء بمصر وعرضوا الملك على الامير قلاون وكان أحق به فلم يقبل وأشار الى شلامش بن الظاهر وهو ابن ثمان سنين فنصبوه للملك فى ربيع سنة ثمان وسبعين ولقبوه بدر الدين وولى الامير قلاون أتابك الجيوش وبعث مكان جمال الدين اقوش نائب دمشق يتسلمها منه وسار اقوش الى حلب نائبا وولى قلاون فى الوزارة برهان الحصرى السنجاوى وجمع المماليك الصالحية ووفر اقطاعاتهم وعمر بهم مراتب الدولة وأبعد الظاهرية وأودعهم السجون الفساد ولم يقطع عنهم رزقا الى أن بلغ العقاب فيهم أجله فأطلقهم تباعا واستقام أمره والله تعالى أعلم

بياض بالأصل

(خلع شلامش وولاية المنصور قلاون)

أصل هذا السلطان قلاون من القفجاق ثم من قبيلة منهم يعرفون برج أغلى وقدمر ذكرهم وكان مولى لعلاء الدين اقسنقر الكابلى مولى الصالح نجم الدين أيوب فلما مات

علاء الدين صار من موالى الصالح وكان من نفرتهم واستقامتهم ما قدمناه ثم قدم الى مصر فى دولة المظفر قطز مع الظاهر بيبرس ولما ملك الظاهر قربه واختصه وأصهر اليه ثم بايع لابنه السعيد من بعده ولما استوحش الامراء من السعيد وخلعوه رغبوا من الامير قلاون فى الولاية عليهم كما قدمناه ونصب أخاه شلامش بن الظاهر فوافقه الامراء على ذلك طواعية له واتصلت رغبتهم فى ولايته مدة شهرين حتى أجابهم الى ذلك فبايعوه فى جمادى سنة ثمان وسبعين فقام بالامر ورفع كثيرا من المكوس والظلامات وقسم الوظائف بين الامراء وولى جماعة من مماليكه امرة الالوف وزادهم فى الاقطاعات وأفرج لوقته عن عز الدين ايبك الافرم الصالحى وولاه نائبا بمصر ثم استبقاه فأعفاه

بياض بالأصل

وولى مملوكه حسام الدين طرنطاى مكانه ومملوكه علم الدين سنجر الشجاعى الدواوين وأقر الصاحب برهان الدين السنجارى فى الوزارة ثم عزله بفخر الدين ابراهيم ابن لقمان وبعث عز الدين ايدمر الظاهرى الذى كان اعتقله جمال الدين اقوش حين رجع بعساكر الشأم عن السعيد بن الظاهر من بلبيس فجىء به مقيدا واعتقله والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولاية أخيه خسرو مكانه)

ولما ملك السلطان قلاون شرع السعيد بالكرك وكاتب الامراء بمصر والشأم فى الانتقاض وخاطبه السلطان بالعتاب على نقض العهد فلم يستعتب وبعث عساكره مع حسام الدين لاشين الجامدار الى الشوبك فاستولى عليها فبعث السلطان نور الدين بيليك الايدمرى فى العساكر فارتدها فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وقارن ذلك وفاة السعيد بالكرك واجتمع الامراء الذين بها ومقدمهم نائبه ايدكين الفخرى وقال ان نائبه كان ايدغرى الحرانى فنصبوا أخاه خسرو ولقبوه المسعود

بياض بالأصل

نجم الدين واستولى الموالى على رأيه وأفاضوا المال من غير تقدير ولا حساب حتى أنفقوا ما كان بالكرك من الذخيرة التى ادخرها الملك الظاهر و أمراء الشأم فى الخلاف وبعثوا العساكر فاستولوا على الصليب وحاصروا صرخد فامتنعت وكاتبوا سنقر الاشقر المتظاهر على الخلاف فبعث السلطان ايبك الافرم فى العساكر لحصار الكرك فحاصرها وضيق عليها ثم سأل المسعود فى الصلح على ما كان الناصر داود بن المعظم فأجابه السلطان قلاون وعقد له ذلك ثم انتقض ثانية ونزع عنه نائبه علاء الدين ايدغرى الحرانى ونزع عنه الى السلطان فصدق ما نقل عنه من ذلك ثم بعث السلطان سنة خمس وثمانين نائبه حسام الدين طرنطاى فى العساكر لحصار الكرك فحاصروها واستنزل المسعود وأخاه شلامش منها على الامان وملكها وجاء بهما الى

السلطان قلاون فأكرمهما وخلطهما بولده الى أن توفى فغرّبهما الاشرف الى القسطنطينية

(انتقاض سنقر الاشقر بدمشق وهزيمته ثم امتناعه بصهيون)

كان شمس الدين سنقر الاشقر لما استقر فى نيابة دمشق أجمع الانتقاض والاستبداد وتسلم القلاع من الظاهرية وولى فيها وطالب المنصور قلاون دخول الشام باسرها من العريش الى الفرات فى ولايته وزعم أنه عاهده على ذلك وولى السلطان على قلعة دمشق مولاه حسام الدين لاشين الصغير سلحدارا فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعين فنكر ذلك سنقر وانتقض ودعا لنفسه ثم بلغه خبر قلاون وجلوسه على التخت فدعا الامراء وأشاع ان قلاون قتل واستحلفهم على منعته وحبس من امتنع من اليمين وتلقب الكامل وذلك فى ذى الحجة من السنة وقبض على لاشين نائب القلعة وجهز سيف الدين الى الممالك الشامية والقلاع للاستحلاف وولى فى وزارة الشأم مجد الدين اسمعيل ابن كسيرات وسكن سنقر بالقلعة ثم بعث السلطان ايبك الافرم بالعساكر الى الكرك لما توفى السعيد صاحبها وانتهى الى غزة واجتمع اليه بيليك الايدمرى منقلبا من الشوبك بعد فتحه فحذرهم سنقر الاشقر وخاطب الافرم يتجنى على السلطان بأنه لم يفرده بولاية الشأم وولى فى قلعة دمشق وفى حلب وبعث الافرم بالكتاب الى السلطان قلاون فأجابه وتقدم الى الافرم أن يكاتبه بالعزل فيما فعله وارتكبه فلم يرجع عن شأنه وجمع العساكر من عمالات الشأم واحتشد العربان وبعثهم مع قراسنقر المعرى الى غزة فلقيهم الافرم وأصحابه وهزموهم وأسروا جماعة من أمرائهم وبعثوا بهم الى السلطان قلاون فأطلقهم وخلع عليهم ولما وصلت العساكر مفلولة الى دمشق عسكر سنقر الاشقر بالمرج وكاتب الامراء بغزة يستميلهم وبعث السلطان العساكر بمصر مع علم الدين سنجر لاشين المنصورى وبدر الدين بكتاش الفخرى السلحدار فساروا الى دمشق فلقيهم الاشقر على الجسر بالكسرة فهزموه فى صفر سنة تسع وسبعين وتقدموا الى دمشق فملكوها وأطلق علم الدين سنجر لاشين المنصورى من الاعتقال وولاه نيابة دمشق وولى على القلعة سيف الدين سنجار المنصورى وكتب الى السلطان بالفتح وسار سنقر الى الرحبة فامتنع عليه نائبها فسار الى عيسى بن مهنا ورجع عنه الى الفل وكاتبوا ابغا ملك التتر واستحثوه لملك الشأم يستميلونه فلم يجب وبعث اليه العساكر فأجفلوا الى صهيون وملكها سنقر وملك معها شيزر وبعث السلطان العساكر لحصار شيزر مع عز الدين الافرم فحاصرها وجاءت الاخبار بزحف ابغا ملك التتر الى الشأم فى مواعدة سنقر وابن مهنا واستدعى صغار صاحب بلاد الروم فيمن معه من المغل وانه بعث بيدوا بن

أخيه طرخان وصاحب ماردين وصاحب سيس من ناحية اذربيجان وجاء هو على طريق الشأم وفى مقدمته أخوه منوكتمر فلما تواترت الاخبار بذلك أفرج الافرم عن حصار شيزر ودعا الاشقر الى مدافعة عدو المسلمين فأجابه ورفع عن موالاة ابغا وسار من صهيون للاجتماع بعساكر المسلمين وجمع السلطان العساكر بمصر وسار الى الشأم واستخلف على مصر ابنه أبا الفتح عليا بعد ان ولاه عهده وقرأ كتابه بذلك على الناس وخرج لجمع العساكر فى جمادى سنة تسع وسبعين وانتهى الى غزة ووصل التتر الى حلب وقد أجفل عنها أهلها وأقفرت منازلها فأضرموا النار فى بيوتها ومساجدها وتولى كبر ذلك صاحب سيس والارمن وبلغهم وصول السلطان الى غزة فأجفلوا راجعين الى بلادهم وعاد السلطان الى مصر بعد ان جرّد العساكر الى حمص وبلاد السواحل بحمايتها من الافرنج ورجع سنقر الاشقر الى صهيون وفارقه كثير من عسكره الى   فلحقوا بالشأم وأقام معه سنجر الدوادار وعز الدين اردين والامراء الذين مكنوه من قلاع الشأم عند انتقاضه والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالأصل

{ مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع سنقر الاشقر بصهيون ومع بنى الظاهر بالكرك }

كان الافرنج الذين بحصن المرقب عندما بلغهم هجوم التتر على الشأم شنوا الغارات فى بلاد المسلمين من سائر النواحى فلما رجع التتر عن الشأم استأذن بليان الطباخى صاحب حصن الاكراد فى غزوهم وسار اليهم فى حامية الحصون بنواحيه وجمع التركمان وبلغ حصن المرقب ووقف أسفله واستطرد له أهل الحصن حتى تورّط فى أوعار الجبل ثم هجموا عليه دفعة فانهزم ونالوا من المسلمين وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من مصر لغزوهم آخر سنة تسع وسبعين واستخلف ابنه مكانه وانتهى الى الروحاء فوصله هنالك رسل الافرنج فى تقرير الهدنة مع أهل المرقب على أن يطلقوا من أسروه من المسلمين فى واقعة بليان فعقد لهم فى المحرم سنة ثمانين وعقد لصاحب بيت الاستبار وابنه ولصاحب طرابلس سمند بن تمند ولصاحب عكا على بلادهم وعلى قلاع الاسماعيلية وعلى جميع البلاد المستجدة الفتح وما سيفتحه على أن يسكن عمال المسلمين باللاذقية وأن لا يستجدوا اسر قلعة ولا غيرها ولا يداخلوا التتر فى فتنة ولا يمرّوا عليهم الى بلاد المسلمين ان أطاقوا ذلك وعقد معهم ذلك لاحدى عشرة سنة وبعث السلطان من أمرائه من يستحلف الافرنج على ذلك وبلغه الخبر بأن جماعة من أمرائه أجمعوا الفتك به وداخلوا الافرنج فى ذلك وكان كبيرهم كوندك فلما وصل الى بيسان قبض عليه وعليهم وقتلهم واستراب من داخلهم فى ذلك ولحقوا بسنقر فى صهيون ودخل السلطان

دمشق و بعث العساكر لحصار شيزر ثم ترددت الرسل بينه وبين الاشقر فى الصلح على أن ينزل عن شيزر (بياض بالأصل) ويتعوض عنها بالشغر وبكاس وعلى أن يقتصر فى حامية الحصون التى لقطره على ستمائة من الفرسان فقط ويطرد عنه الامراء الذين لحقوا به فتم الصلح على ذلك وكتب له التقليد بتلك الاعمال ورجع من عنده سنجر الدوادار فأحسن اليه السلطان وولى على نيابة شيزر بلبان الطباخى وكان بنو الظاهر بالكرك يسألون السلطان فى الصلح بالزيادة على الكرك كما كان السلطان داود فلما تم الصلح مع سنقر رجعوا الى القنوع بالكرك و بعث اليهم السلطان بأقاربهم من القاهرة وأتم لهم العقد على ذلك و بعث الامير سلحدار والقاضى تاج الدين بن الاثير لاستحلافهم والله تعالى أعلم

(واقعة التتر بحمص ومهلك ابغا سلطانهم باثرها)

ثم زحف التتر سنة ثمانين الى الشأم من كل ناحية متظاهرين فسار ابغا فى عساكر المغل وجموع التتر وانتهى الى الرحبة فحاصرها ومعه صاحب ماردين وقدم أخوه منكوتمر فى العساكر الى الشأم وجاء صاحب الشمال منكوتمر من بنى دوشى خان من كرسيهم بصراى مظاهر الابغا بن هلاكو على الشأم فمر بالقسطنطينية ثم نزل بين قيسارية وتفليس ثم سار الى منكوتمر بن هلاكو وتقدم معه الى الشأم وخرج السلطان من دمشق فى عساكر المسلمين وسابقهم الى حمص ولقيه هنالك سنقر الاشقر فيمن معه من أمراء الظاهرية وزحف التتر ومن معهم من عساكر الروم والافرنج والارمن والكرج ثمانون ألفا أو يزيدون والتقى الفريقان على حمص وجعل السلطان فى ميمنته صاحب حماة محمد بن المظفر ونائب دمشق لاشين السلحدار وعيسى بن مهنا فيمن اليه من العرب وفى الميسرة سنقر الاشقر فى الظاهرية مع جموع التركمان ومن اليهم جماعة من أمرائه وفى القلب نائبه حسام الدين طرنطاى والحاجب ركن الدين اباجى وجمهور العساكر والمماليك ووقف السلطان تحت الرايات فى مواليه وحاشيته ووقفت عساكر التتر كراديس وذلك منتصف رجب سنة ثمانين واقتتلوا ونزل الصبر ثم انفضت ميسرة المسلمين واتبعهم التتر وانفضت ميسرة التتر ورجعوا على ملكهم منكوتمر فى القلب فانهزم ورجع التتر من اتباع ميسرة المسلمين فمروا بالسلطان وهو ثابت فى مقامه لم يبرح ورجع أهل الميرة ونزل السلطان فى خيامه ورحل من الغد فى اتباع العدو وأوعز الى الحصون التى فى ناحية الفرات باعتراضهم على المقابر فعدلوا عنها وخاضوا الفرات فى المجاهل فغرقوا ومر بعضهم بردسلمية فهلكوا وانتهى الخبر الى ابغا وهو على الرحبة فأجفل الى بغداد وصرف السلطان العساكر الى أماكنهم وسار سنقر

الاشقر الى مكانه بصهيون وتخلف عنه كثير من الظاهرية عند السلطان وعاد السلطان الى دمشق ثم الى مصر آخر شعبان من السنة فبلغه الخبر بهلاك منكوتمر بن هلاكو بهمذان ومنكوتمر صاحب الشمال بصراى فكان ذلك تماما للفتح ثم هلك ابغا بن هلاكو سنة احدى وثمانين وكان سبب مهلكه فيما يقال انه اتهم شمس الدين الجريض وزيره باغتيال أخيه منكوتمر منصرفه من واقعة حمص فقبض عليه وامتحنه واستصفاه فدس له الجوينى من سمه ومات وكان ابغا اتهم بأخيه أيضا أميرا من المغل كان بمحنة بالجزيرة ففر ذنهاوا أقام مشمركا وبعث السلطان قلاون بعثا الى ناحية الموصل للاغارة عليها وانتهوا الى سنجر فصادفوا هذا الامير وجاؤا به الى السلطان فحبسه ثم أطلقه وأثبت اسمه فى الديوان وكان يحدث بكثير من أخبار التتر وكتب بعضها عنه وبعث السلطان فى هذه السنة بعوثا أخرى الى نواحى سيس من بلاد الروم جزاء بما كان من الارمن فى حلب ومساجدها فاكتسحوا تلك النواحى واقيهم بعض أمراء التتر بمكان هنالك فهزموه ووصلوا الى جبال بلغار ورجعوا غانمين وبعث السلطان شمس الدين قراسنقر المنصورى الى حلب لاصلاح ماخرب التتر من قلعتها وجامعها فأعاد ذلك الى أحسن ما كان عليه ثم أسلم ملوك التتر فبعث أولا بكدار بن هلاكو صاحب العراق باسلامه وأنه تسمى أحمد وجاءت رسله بذلك الى السلطان وهم شمس الدين أتابك مسعود ابن كيكاوس صاحب بلاد الروم وقطب الدين محمود الشيرازى قاضى شيواس وشمس الدين محمد بن الصاحب من حاشية صاحب ماردين وكان كتابه مؤرخا بجمادى سنة احدى وثمانين وحملوا على الكرامة وأجيب سلطانهم بما يناسبه ثم وصل رسول قودان بن طقان المتولى بكرسى الشمال بعد أخيه منكوتمر سنة ثنتين وثمانين بخبر ولايته ودخوله فى دين الاسلام ويطلب تقليد الخلفة واللقب منه والراية للجهاد فيمن يليه من الكفار فأسعف بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(استيلاء السلطان قلاون على الكرك وعلى صهيون ووفاة صاحب حماة)

ثم توفى المنصور محمد بن المظفر صاحب حماة فى شوال سنة ثنتين وثمانين وولى السلطان ابنه المظفر وبعث بالخلع له ولاقاربه وسار السلطان قلاون الى الشأم فى ربيع سنة ثلاث وثمانين لمحاصرة المرقب بما فعلوه من ممالاة العدو فحاصره حتى استأمنوا اليه وملك الحصن من أيديهم وانتظر وصول سنقر الاشقر من صهيون فلم يصل فرجع الى مصر وجهز النائب حسام الدين طرنطاى فى العساكر لحصار الكرك بما وقع من شلامش وخسرو من الانتقاض فسار سنة خمس وثمانين وحاصرهم حتى استأمنوا وجاء بهم الى السلطان فركب للقائهم وبالغ فى اكرامهم ثم ساءت سيرتهم فاسترابهم

واعتقالهم وغربهم الى القسطنطينية وولى على الكرك عز الدين المنصورى وبعده بيبرس الدويدار مؤلف أخبار الترك ثم جهز السلطان ثانيا النائب طرنطاى بالعساكر لحصار سنقر الاشقر بصهيون لانتقاضه واغارته على بلاد السلطان فسار لذلك سنة ست وثمانين وحاصره حتى استأمن هو ومن معه وجاء به الى السلطان وأنزله بالقلعة ولم يزل عنده الى أن هلك السلطان فقبض عليه وتولى ابنه الاشرف من بعده كما نذكره ان شاء الله تعالى

(وفاة ميخاييل ملك القسطنطينية)

قد تقدم لنا كيف تغلب الافرنج على القسطنطينية من يد الروم سنة ستمائة وكان ميخاييل هذا من بطارقتهم أقام فى بعض الحصون بنواحيها فلما أمكنته الفرصة بيتها وقتل من كان بها من الافرنج وفر الباقون فى مراكبهم واجتمع الروم الى ميخاييل هذا وملكوه عليهم وقتل الملك الذى قبله وكان بينه وبين صاحب مصر والناصر قلاون من بعده اتصال ومهاداة ونزل بنو الظاهر عليه عندما غربوا من مصر ثم مات ميخاييل سنة احدى وثمانين وولى ابنه ماندر ويلقب الراونس وميخاييل هذا يعرف بالاشكرى وبنوه من بعده بنو الاشكرى وهم ملوك القسطنطينية الى هذا العهد والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(أخبار النوبة)

كان الملك الظاهر وفد عليه أعوام سنة خمس وسبعين ملك النوبة مر تشكيل مستنجدا به على ابن أخيه داود لما كان تغلب عليه وانتزع الملك من يده فوعده السلطان وأقام ينتظر واستفحل ملك داود وتجاوز حدود مملكته الى قرب اسوان من آخر الصعيد فجهز السلطان العساكر اليه مع اقسنقر الفارقانى وايبك الافرم أستاذداره وأطلق معهم مر تشكين ملك النوبة فساروا لذلك واستنفروا العرب وانتهوا الى رأس الجنادل واستولوا على تلك البلاد وأمنوا أهلها وساروا فى البلاد فلقيهم داود الملك فهزموه وأثخنوا فى عساكره وأسروا أخاه وأخته وأمه وسار الى مملكة السودان بالابواب وراءه فقاتله ملكها وهزمه وأسره وبعث به مقيدا الى السلطان فاعتقل بالقلعة الى أن مات واستقر مر تشكين فى سلطان النوبة على جراية مفروضة وهدايا معلومة فى كل سنة وعلى أن تكون الحصون المجاورة لاسوان خالصة للسلطان وعلى أن يمكن ابن أخيه داود وجميع أصحابه من كل مالهم فى بلادهم فوفى بذلك ثم مات الظاهر وانقرضت دولته ودولة بنيه وانتقل الملك الى المنصور قلاون فبعث سنة ست وثمانين

العساكر الى النوبة مع علم الدين سنجر الخياط وعز الدين الكورانى وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدمر السيفى بعد ان استنفر العربان أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد كنز الدولة وجماعة من الغرب وبنى هلال. بياض بالاصل
وساروا على العدوة الغربية والشرقية فى دنقلة وملكهم بيتمامون هكذا سماه النووى وأظنه أخا مر تشكين وبرز واللعساكر فهزمتهم واتبعتهم خمسة عشر يوما وراء دنقلة ورتب ابن أخت بيتمامون فى الملك ورجعت العساكر الى مصر فجاء بيتمامون الى دنقلة فاستولى على البلاد ولحق ابن أخته بمصر صريخا بالسلطان فبعث معه عز الدين ايبك الافرم فى العساكر ومعه ثلاثة من الامراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ثمان وثمانين وبعثوا المراكب فى البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة باسوان ودفن بها وجاء نائبه صريخا الى السلطان فبعث معه داود بن أخى مر تشكين الذى كان أسيرا بالقلعة وتقدم جريس بين يدى العساكر فهرب بيتمامون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمس عشرة مرحلة وراء دنقلة ووقفت العساكر على ساحل البحر وتعذر وصول المراكب الى الجزيرة من كثرة الحجر وخرج بيتمامون منها فلحق بالابواب ورجع عنه أصحابه ورجعت العساكر الى دنقلة فملكوا داود ورجعوا الى مصر سنة تسع وثمانين لتسعة أشهر من مسيرهم بعد ان تركوا أميرا منهم مع الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع بيتمامون الى دنقلة وقتل داود وبعث الامير الذى كان معهم الى السلطان وحمله رغبة فى الصلح على أن يؤدى الضريبة المعلومة فأسعف لذلك واستقر فى ملكه انتهى والله تعالى أعلم

(فتح طرابلس)

كان الافرنج الذين بها قد نقضوا الصلح وأغاروا على الجهات فاستنفر السلطان العساكر من مصر والشأم وأزاح عللهم وجهز آلات الحصار وسار اليها فى محرم سنة ثمان وثمانين فحاصرها ونصب عليها المجانيق وفتحها عنوة لاربعة وثلاثين يوما من حصارها واستباحها وركب بعضهم الشوانى للنجاة فردتهم الريح الى السواحل فقتلوا وأسروا وأمر السلطان بتخريبها فخربت وأحرقت وفتح السلطان ما اليها من الحصون والمعاقل وأنزل حاميتها وعاملها بحصن الاكراد ثم اتخذ حصنا آخر اترك النائب والحامية فى العمل وسمى باسم المدينة وهو الموجود لهذا العهد وكان من خبر هذه المدينة من لدن الفتح ان معاوية أيام ولايته الشأم لعهد عثمان بن عفان رضى الله عنه بعث اليها سفيان بن مخنف الازدى فحاصرها وبنى عليها حصنا حتى جهد أهلها الحصار وهربوا منها فى البحر وكتب

سفيان الى معاوية بالفتح وكان يبعث العساكر كل سنة للمرابطة بها ثم جاء الى عبد الملك
ابن مروان بطريق من الروم وسأله فى عمارتها والنزول بها مجمعا على أن يعطيه الخراج
فأجابه وأقام قليلا ثم غدر بمن عنده من المسلمين وذهب الى بلاد الروم فتخطفته شوانى
المسلمين فى البحر وقتله عبد الملك ويقال الوليد وملكها المسلمون وبقى الولاة عليها يكونون من
دمشق الى أن جاءت دولة العبيديين فافردوها بالولاية وولوها ريان الخادم ثم سر الدولة
ثم أبو السعادة على بن عبد الرحمن بن جبارة ثم نزال ثم مختار الدولة بن نزال وهؤلاء كلهم
من أهل دولته ثم تغلب قاضيها أمين الدولة ابو طالب الحسن بن عمار وتوفى سنة أربع
وستين واربعمائة وكان من فقهاء الشيعة وهو الذى صنف الكتاب الملقب بخراب الدولة
ابن منقذ بن كود فقام بولاية أخيه أبى الحسن بن محمد بن عمار ولقبه جلال الدين وتوفى
سنة اثنتين وتسعين صنجيل من ملوكهم واسمه ميمنت ومعناه ميمون وصنجيل اسم مدينة
عرف بها وأقام صنجيل يحاصرها طويلا وعجز ابن عمار عن دفاعه ثم قصد سلطان
السلجوقية بالعراق محمد بن ملكشاه مستنجدا به واستخلف بالمناقب ابن عمه على طرابلس
ومعه سعد الدولة فتيان بن الاغر فقتله أبو المناقب ودعا للافضل بن أمير الجيوش المستبد
على خلفاء العبيديين بمصر لذلك العهد ثم هلك صنجيل وهو محاصرها وولى مكانه
السرداني من زعمائهم وبعث الافضل قائدا الى طرابلس فأقام بها وشغل عن مدافعة
العدو بجمع الاموال ونمى عنه الى الافضل أنه يروم الاستبداد فبعث آخر مكانه ونافر
أهل البلد لسوء سيرته فتبين وصول المراكب من مصر بالمدد وقبض على اعيانهم وعلى
مخلف فخر الملك بن عمار من أهله وولده وبعث بهم الى مصر وجاء فخر الملك بن عمار بعد ان
قطع حبل الرجاء فى يده من انجاد السلجوقية لما كانوا فيه من الشغل بالفتنة وربما
علله بعضهم بولاية الوزارة له ثم رجع الى دمشق سنة ثنتين وخمسمائة ونزل على
طغتكين الاتابك ثم ملكها السرداني سنة ثلاث وخمسمائة بعد حصارها سبع سنين
وجاء ابن صنجيل من بلاد الافرنج فملكها منه واقامت فى مملكته نحوا من ثلاثين
سنة ثم ثار عليه بعض الزعماء وقتله (بياض بالأصل) بطرس الاعور واستخلف فى طرابلس
القوش بطرا ثم كانت الواقعة بين صاحب القدس ملك الافرنج وبين زنكى الاتابك
صاحب الموصل وانهزم الافرنج وأسر القوش فى تلك الوقعة وتحامل الافرنج الى
تغريب فتحصن بها وحصره زنكى حتى اصطلحا على أن يعطى تغريب و يطلق زنكى
الاسرى فى الواقعة فانطلق القوش الى طرابلس فاقام بها مدة ووثب الاسماعيلية به
فقتلوه وولى بعده رهند صبيا وحضر مع الافرنج سنة سبع وخمسين وقعة حارم التى
هزمهم فيها العادل وأسر رهند يومئذ وبقى فى اعتقاله الى أن ملك صلاح الدين يوسف

ابن أيوب فاطلقه سنة سبعين وخمسمائة ولحق بطرابلس ولم تزل فى ملكه وملك ولده الى
أن فتحها المنصور سنة ثمان وثمانين كما مر والله تعالى أعلم

(انشاء المدرسة والمارستان بمصر)

كان المنصور قلاون قد اعتزم على انشاء المارستان بالقاهرة (بياض بالأصل) له الاماكن حتى
وقف نظره على الدار القطبية من قصور العبيديين وما يجاورها من القصرين واعتمد
انشاءه هنالك وجعل الدار أصل المارستان وبنى بازائه مدرسة لتدريس العلم وقبة
لدفنه وجعل النظر فى ذلك لعلم الدين الشجاعى فقام بانشاء ذلك لاقرب وقت وكملت
العمارة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ووقف عليها املاكا وضياعا بمصر والشأم وجلس
بالمارستان فى يوم مشهود وتناول قدحا من الاشربة الطبية وقال وقفت هذا المارستان
على مثلى فمن دونى من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره والله أعلم

(وفاة المنصور قلاون وولاية ابنه خليل الاشرف)

كان المنصور قلاون قد عهد لابنه علاء الدين ولقبه الصالح وتوفى سنة سبع وثمانين
فولى العهد مكانه ابنه الآخر خليل ثم انتقض الافرنج بعكا وأغاروا على النواحى
ومرت بهم رفقة من التجار برقيق من الروم والترك جلبوهم للسلطان فنهبوهم
وأسروهم فاجمع السلطان غزوهم وخرج فى العساكر بعد الفطر من سنة تسع
وثمانين واستخلف ابنه خليلا على القاهرة ومعه زين الدين سيف وعلم الدين الشجاعى
الوزير وعسكر بظاهر البلد فطرقه المرض ورجع الى قصره فمرض وتوفى فى ذى القعدة
من السنة فبويع ابنه خليل ولقب الاشرف وكان حسام الدين طرنطاى نائب المنصور
اليه فاقره وأشرك معه زين الدين سيف فى نيابة العتبة وأقر علم الدين الشجاعى على
الوزارة وبدر الدين بيدو استاذداره وعز الدين ايبك خزندارا وكان حسام الدين لاشين
السلحدار نائبا بدمشق وشمس الدين قراسنقر الجوكندار نائبا بحلب فاقرهما وجمع
ما كان بالشأم من ولاة أبيه ثم قبض على النائب حسام الدين طرنطاى لايام قلائل
وقتله واستولى على مخلفه وكان لا يعبر عنه كان الناض منها ستمائة ألف دينار وحملت
كلها لخزانته واستقل بدر الدين بالنيابة وبعث الى محمد بن عثمان بن السلعوس من
الحجاز فولاه الوزارة وكان تاجرا من تجار الشأم وتقرب له أيام أبيه واستخدم له فاستعمله
فى بعض اقطاعه بالشأم ووفر جبايتها فولاه ديوانه بمصر فاسرف فى الظلم وأنهى أمره
الى طرنطاى النائب فصادره المنصور وامتحنه ونفاه عن الشأم وحج فى هذه السنة

وولى الاشرف فكان أول أعماله البعث عنه وولاه الوزارة فبلغ المبالغ فى الظهور وعلو الكلمة واستخدم الخواص له وترفع عن الناس واستقل الرتب وقبض الاشرف على شمس الدين سنقر وحبسه وكان قد قبض مع طرنطاى النائب عن عز الدين سيف لما بلغه أنه يدبر عليه مع طرنطاى ثم تبت عنده براءته فاطلقه والله تعالى أعلم

(فتح عكا وتخريبها)

ثم سار الاشرف أول سنة تسعين وستمائة لحصار عكا متمما عزم أبيه فيها فجهز العساكر واستنفر أهل الشأم وخرج من القاهرة فاغذ السير الى عكا ووافاه بها أمراء الشأم والمظفر بن المنصور صاحب حماة فحاصرها ورماها بالمجانيق فهدم كثيرا من أبراجها وتلاها المقاتلة لاقتحامها فرشقوهم بالسهام فا   من اللبود وزحفوا فى كنها وردموا الخندق بالتراب فحمل كل واحد منهم ما قدر عليه حتى طموه وانتهوا الى الابراج المتهدمة فالصقوها بالارض واقتحموا البلد من ناحيتها واستلحموا من كان فيها وأكثروا القتل والنهب ونجا الفل من العدو الى ابراجها الكبار التى بقيت ماثلة فحاصرها عشرا آخر ثم اقتحمها عليهم فاستوعبهم السيف وكان الفتح منتصف جمادى سنة سبعين لمائة وثلاث سنين من ارتجاع الكفار لها من يد صلاح الدين سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأمر الاشرف بتخريبها فخربت وبلغ الخبر الى الافرنج بصور وصيدا وعتلية وحيفا فاجفلوا عنها وتركوها خاوية ومر السلطان بها وأمر بهدمها فهدمت جميعا وانكفأ راجعا الى دمشق وتقبض فى طريقه على لاشين نائب دمشق لان بعض الشياطين أوحى اليه ان السلطان يروم الفتك به فركب للفرار واتبعه علم الدين سنجر الشجاعى وسار الى بيروت ففتحها ومر السلطان بالكرك فاستعفى نائبها ركن الدين بيبرس الدوادار وهو المؤرخ فولى مكانه جمال الدين اتسز الاشرفى ورجع السلطان الى القاهرة فبعث شلامش وخسرو ابنى الظاهر من محبسهما بالاسكندرية الى القسطنطينية ومات شلامش هنالك وأفرج عن شمس الدين سنقر الاشقر وحسام الدين لاشين المنصورى اللذين اعتقلهما كما قدمناه وقبض على علم الدين سنجار نائب دمشق وسيق الى مصر معتقلا وأمر السلطان ببناء الرفوف بالقلعة على أوسع ما يكون وارفعه وبنى القبة بازائه لجلوس السلطان أيام الزينة والفرح فبنيت مشرفة على سوق الخيل والميدان والله سبحانه وتعالى أعلم

(فتح قلعة الروم)

ثم سار السلطان سنة احدى وتسعين فى عساكره الى الشأم بعد ان أفرج عن حسام

الدين

الدين لاشين ورده الى امارته وانتهى الى دمشق ثم سار الى حلب ثم دخل منها الى قلعة الروم فحاصرها فى جمادى من السنة وملكها عنوة بعد ثلاثين يوما من الحصار وقاتل المقاتلة الذريعة وخرب القلعة وأخذ فيها بترك الارمن أسيرا وانكفأ السلطان راجعا الى حلب فأقام بها شعبان وولى عليها سيف الدين الطباخى نائبا مكان قراسنقر الظاهرى لانه ولاه مقدم المماليك ورحل الى دمشق فقضى بها عيد الفطر واستراب لاشين النائب فهرب ليلة الفطر وأركب السلطان فى طلبه وتقبض عليه بعض العرب فى حيه وجاء به الى السلطان فبعثه مقيدا الى القاهرة وولى على نيابة دمشق عز الدين ايبك الحمدى عوضا عن علم الدين سنجر الشجاعى ورجع الى مصر فافرج عن علم الدين سنجر الشجاعى وتوفى لسنة بعد اطلاقه ثم قبض على سنقر الاشقر وقتله وشفع نائبه بيدو ببراءة لاشين فاطلقه وتوفى ابن الاثير بعد شهر فولى مكانه ابنه عماد الدين أيوب وكان أيوب قد اعتقله المنصور لاول ولايته فاطلقه الاشرف هذه السنة لثلاث عشرة سنة من اعتقاله واستخلصه للمجالسة والشورى وتوفى القاضى فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السر وصاحب ديوان الانشاء وله التقدم عنده وعند أبيه فولى مكانه فتح الدين أحمد بن الاثير الحلبى وترك ابن عبد الظاهر ابنه علاء الدين عليا فالقى عليه النعمة منتظما فى جملة الكتاب ثم سار السلطان الى الصعيد يتصيد واستخلف بيدو النائب على دار ملكه وانتهى الى قوص وكان ابن السلعوس قد دس اليه ان بيدو احتجن بالصعيد من الزرع ما لا يحصى فوقف هنالك على مخازنها واستكثرها وارتاب بيدو لذلك ولما رجع الاشرف الى مصر ارتجع منه بعض اقطاعه وبقى بيدو مرتابا من ذلك وأتحف السلطان بالهدايا من الخيام والهجن وغيرهما والله تعالى أعلم

(مسير السلطان الى الشأم وصلح الارمن وملكه فى مصيا وهدم الشوبك)

ثم تجهز السلطان سنة ثنتين وتسعين الى الشأم وقدم بيدو النائب بالعساكر وعاج على الكرك على الهجن فوقف عليها وأصلح من أمورها ورجع ووصل الى الشأم فوافاه رسول صاحب سيس ملك الارمن راغبا فى الصلح على أن يعطى تهسنا ومرعش وتل حمدون فعقدها لهم على ذلك وملك هذه القلاع وهى فى فم الدرب من ضياع حلب وكانت تهسنا للمسلمين ولما ملك هلاكو حلب باعها النائب من ملك الارمن سيس ثم سار السلطان الى حمص ووصل اليها فى رجب من السنة ومعه المظفر صاحب حماة ونزل سلمية ولقيه مهنا بن عيسى أمير العرب فقبض عليه وعلى أخويه محمد وفضل وابنه موسى وبعثهم معتقلين مع لاشين الى دمشق ومن هنالك الى مصر فحبسوا بها وولى على

الغرب مكانهم محمد بن أبى بكر على بن جديلة وأوز وهو بحمص لى نائب
الكرك بهدم قلعة الشوبك فهدمت وانكف راجعا الى مصر وقدم العساكر مع بيدو
وجاء فى الساقة على الهجن مع خواصه ولما دخل على مصر أفرج عن لاشين المنصورى
والله تعالى أعلم

(مقتل الاشرف وولاية أخيه محمد الناصر فى كفالة كيبغا)

كان النائب بيدو مستوليا على الاشرف والاشرف مستريب به حتى كأنه
مستبد وكان مستوحشا من الاشرف واعتزم الاشرف سنة ثلاث وتسعين على الصيد
فى البحيرة فخرج اليها وبعث وزيره ابن السلعوس للاسكندرية لتحصيل الاموال
والاقمشة فوجد بيدو وقد سبقوا اليها واستصفوا ماهنالك فكاتب السلطان
بذلك فغضب واستدعى بيدو فوبخه وتوعده ولم يزل هو يلاطفه حتى كسر من سورة
غضبه ثم خلص الى أصحابه وداخلهم فى التوثب به وتولى كبر ذلك منهم لاشين المنصورى
نائب دمشق وقراسنقر المنصورى نائب حلب وكان الامراء كلهم حاقدين على
الاشرف لتقديمه حاشيته عليهم ولما كتب اليه السلعوس بقلة المال صرف مواليه
الى القلعة تخفيفا من النفقة وبقى فى القليل وركب بعض أيامه يتصيد وهو مقيم
على فرجة فاتبعوه وأدركوه فى صيده فأوجس فى نفسه الشر منهم فعاجلوه وعلوه
بالسيوف ضربه أولا بيدو وثنى عليه لاشين وتركوه مجندلا بمصرعه منتصف محرم
من السنة ورجعوا الى المخيم وقد أبرموا أن يولوا بيدو فولوه ولقبوه القاهر وتقبض
على بيسرى الشمسى وسيف الدين بكتمر السلحدار واحتملوهما وساروا الى قلعة الملك وكان
زين الدين سيف قد ركب للصيد فبلغه الخبر فى صيده فسار فى اتباعهم ومعه سوس
الجاشنكير وحسام الدين استاذدار وركن الدين سوس وطقجى فى طائفة من
الجاشنكيرية وادركوا القوم على الطرانة ولما عاينهم بيدو وبيسرى وبكتمر المعتقلين فى
المخيم رجعوا الى كيبغا وأصحابه وفر عن بيدو من كان معه من العربان والجند وقاتل
قليلا ثم قتل ورجع برأسه على القناة وافترق أصحابه قراسنقر ولاشين بالقاهرة ويقال
ان لاشين كان مختفيا فى مأذنة جامع ابن طولون ووصل كيبغا وأصحابه الى القلعة وبها
علم الدين الشجاعى واستدعوا محمد بن قلاون أخا الاشرف وبايعوه ولقبوه الناصر
وقام بالنيابة كيبغا وبالاتابكية حسام الدين وبالوزارة علم الدين سنجر وبالاستاذدارية
ركن الدين سوس الجاشنكير واستبدوا بالدولة فلم يكن الناصر يملك معهم
شيأ من أمره وجدوا فى طلب الامراء الذين داخلوا بيدو فى قتل الاشرف فاستوعبوهم
بالقتل والصلب والقطع وكان بهادر راس نوبة وأقوش الموصلى فقتلا وأحرقت

بياض فى الاصل

أشلاؤهما وشفع كيبغا فى لاشين وقراسنقر المتولين كبر ذلك فظهرا من الاختفاء
وعادا الى محلهما من الدولة ثم تقبض على الوزير محمد بن السلعوس عند وصوله من
الاسكندرية وصادره الوزير الشجاعى وامتحنه فمات تحت الامتحان وأفرج عن عز
الدين ايبك الافرم الصالحى وكان الاشرف اعتقله سنة ثنتين وتسعين والله سبحانه
وتعالى أعلم

(وحشة كيبغا ومقتل الشجاعى)

ثم ان الشجاعى لطف محله من الناصر واختصه بالمداخلة وأشار عليه بالقبض على
جماعة من الامراء فاعتقلهم وفيهم سيف الدين كرجى وسيف الدين طونجى وطوى
ذلك عن كيبغا وبلغه الخبر وهو فى موكب بساحة القلعة وكان الامراء يركبون
فى خدمته فاستوحش وارتاب بالشجاعى وبالناصر ثم جاء بعض مماليك الشجاعى الى
كيبغا فى الموكب وجرد سيفه لقتله فقتله مماليكه وتأخر هو ومن كان معه من الامراء
عن دخول القلعة وتقبضوا على سوس الجاشنكير استاذدار وبعثوا به الى
الاسكندرية ونادوا فى العسكر فاجتمعوا وحاصروا القلعة وبعث اليهم السلطان أميرا
فشرطوا عليه أن يمكنهم من الشجاعى فامتنع وحاصروه سبعا واشتد القتال وفر من
كان بقى فى القلعة من العسكر الى كيبغا وخرج الشجاعى لمدافعتهم فلم يغن شيأ ورجع
الى السلطان وقد خامره الرعب فطلب أن يحبس نفسه فمضى به المماليك الى السجن
وقتلوه فى طريقهم وبلغ الخبر الى كيبغا ومن كان معه فذهبت عنهم الهواجس
واستأمنوا للسلطان فأمنهم واستحلفوه فحلف لهم ودخلوا الى القلعة وافاض كيبغا
العطاء فى الناس وأخرج من كان فى الطباق من المماليك بمداخلة الشجاعى فأنزلهم
الى البلد بمقاصر الكسر ودار الوزارة والجوار وكانوا نحوا من تسعة آلاف
فأقاموا بها ولما كان المحرم فاتح سنة أربع وتسعين اتعدوا الملة وركبوا فيها جميعا
وأخرجوا من كان فى السجون ونهبوا بيوت الامراء واعجلهم الصبح عن تمام قصدهم
وباكرهم الحاجب بهادر ببعض العساكر فهزمهم وافترقوا وتقبض على كثير منهم
فأخذ منهم العقاب مأخذه قتلا وضربا وعزلا وأفرج عن عز الدين ايبك الافرم وأعيد
الى وظيفته أمير ثم هلك قريبا واستحكم أمر السلطان ونائبه كيبغا وهو
مستبد عليه واستمر الحال على ذلك الى ان كان مانذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى
ولى التوفيق

بياض فى الاصل

(خلع الناصر وولاية كيبغا العادل)

ولما وقعت الوحشة بين كيبغا والشجاعي وتلتها هذه الفتنة استوحش كيبغا في ظاهر أمره وانقطع عن دار النيابة متمارضا وتردد السلطان لعيادته ثم حمل بطانته على الاستبداد بالملك والجلوس على التخت وكان طموحا لذلك من أول أمره فجمع الامراء ودعاهم الى بيعته فبايعوه وخلع الناصر وركب الى دار السلطان فجلس على التخت وتلقب بالعادل وأخرج السلطان من قصور الملك وكان مع أمه ببعض الحجر وولى حسام الدين لاشين نائبا والصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي الداروزير انقله اليها من النظر في الديوان لعلاء الدين ولي العهد ابن قلاون وعز الدين ايبك الافرم الصالحي أمير جندار وبهادر الحلبي أمير حاجب وسيف الدين متماص استاذدار وقسم امارة الدولة بين مماليكه وكتب الى نواب الشأم بأخذ البيعة فاجابوا بالسمع والطاعة وقبض على عز الدين ايبك الخازندار نائب طرابلس وولى مكانه فخر الدين ايبك الموصلي وكان الخازندار ينزل حصن الاكراد ونزل الموصلي بطرابلس وعادت دار امارة ثم وفد سنة خمس وتسعين على العادل كيبغا طائفة من التتر يعرفون بالاربدانية ومقدمهم طرنطاي كان مداخلا لبدولي كنجاب ابن عمه ملك التتر فلما سار الملك الى غازان خافه طرنطاي وكانت احياؤه بين غازان والموصل وأوعز غازان الى التتر الذين من ماردين أن يأخذ الطرق عليهم وبعث قطقرا من أمرائه للقبض على طرنطاي ومن معه من أكابر قبيله فسار لذلك في ثمانين فارسا فقتله طرنطاي وأصحابه وعبروا الفرات الى الشأم واتبعهم التتر من ديار بكر فكروا عليهم فهزموهم وأمر العادل سنجر الدوادار أن يتلقاهم بالرحب واحتفل نائب دمشق لقدومهم ثم ساروا الى مصر فتلقاهم شمس الدين قراسنقر وكانوا يجلسون مع الامراء بباب القلعة فانفوا لذلك وكان سببا لخلع العادل كما نذكر ووصل على اثرهم بقية قومهم بعد أن مات منهم كثير ثم رسخوا في الدولة وخالطهم الترك بأنفسهم وأسلموا واستخدموا أولادهم وخلطوهم بالصهر والولاء والله سبحانه وتعالى اعلم

(خلع العادل كيبغا وولاية لاشين المنصور)

كان أهل الدولة نقموا على السلطان كيبغا العادل تقديم مماليكه عليهم ومساواة الاربدانية من التتر بهم فتنفاوضوا على خلعه وسار الى الشأم في شوال سنة خمس وتسعين فعزل عز الدين ايبك الحموي نائب دمشق واستصفاه وولى مكانه سيف الدين غرلو من مواليه ثم سار الى حمص متصيدا ولقيه المظفر صاحب حماة فأكرمه ورده الى بلده وسار الى مصر والامراء مجمعون خلعه والفتك بمماليكه وانتهى الى

العوجاء من أرض فلسطين وبلغه عن بيسري الشمسي انه كاتب التتر فنكر عليه واغلظ له في الوعيد وارتاب الامراء من ذلك وتمشت رجالاتهم واتفقوا وركب حسام الدين لاشين وبدر الدين بيسري وشمس الدين قراسنقر وسيف الدين قفجاق وبهادر الحلبي الحاجب وبكتاش الفخري وبيليك الخازندار واقوش الموصلي وبكتمر السلحدار وسلار وطغجي وكرجي ومعطاي ومن انضاف اليهم بعد ان بايعوا لاشين وقصدوا مخيم بكتوت الازرق فقتلوه وجاءهم بيجاص فقتلوه أيضا وركب السلطان كيبغا في اقفه فحملوا عليه فانهزم الى دمشق وبايع القوم لاشين ولقبوه المنصور وشرطوا عليه أن لا ينفرد عنهم برأي فقبل وسار الى مصر ودخل القلعة ولما وصل كيبغا الى دمشق لقيه نائبه سيف الدين غرلو وأدخله القلعة واحتاط على حواصل لاشين والامراء الذين معه وأثن جماعة من مواليه ووصلت العساكر التي كانت مجردة بالرحبة ومقدمهم جاغان وكانوا قد داخلوا لاشين في شأنه ونزلوا ظاهر دمشق واتفقوا على بيعة لاشين وأعلنوا بدعوته وانحل أمر العادل وسأل ولاية صرخد وألقى بيده فحبس بالقلعة لتتبين من ولايته وبعث الامراء ببيعتهم للاشين ودخل سيف الدين جاغان الى القلعة ثم وصل كتاب لاشين ببعثه الى مصر وبعث الى كيبغا بولاية صرخد كما سأل ووصل قفجق المنصوري نائبا عن دمشق وأفرج لاشين بمصر عن ركن الدين بيبرس الجاشنكير وغيره من المماليك وولى قراسنقر نائبا وسيف الدين سلار استاذدار وسيف الدين بكتمر السلحدار أمير جاندار وبهادر الحلبي صاحب وأقر فخر الدين الخليلي على وزارته ثم عزله وولى مكانه شمس الدين سنقر الاشقر وقبض على قراسنقر النائب وسيف الدين سلار استاذدار آخر سنة ست وتسعين وولى مكانه سيف الدين منكوتمر الحسامي مولاه واستعمل سيف الدين قفجق المنصوري نائبا ثم أمر بتجديد عمارة جامع ابن طولون وندب لذلك علم الدين سنجر الدوادار وأخرج للنفقة فيه من خاص ماله عشرين ألف دينار ووقف عليه املاكا وضياعا ثم بعث سنة تسع وسبعين بالناصر محمد بن قلاون الى الكرك مع سيف الدين سلار استاذدار وقال لزين الدين ابن مخلوف فقيه بيته هو ابن استاذي وأنا نائبه في الامر ولو علمت أنه يقوم بالامر لاقمته وقد خشيت عليه في الوقت فبعثته الى الكرك فوصلها في ربيع وقال النووي انه بعث معه جمال الدين بن أقوش ثم قبض السلطان في هذه السنة على بدر الدين بيسري الشمسي بسعاية منكوتمر نائبه لان لاشين أراد أن يعهد اليه بالامر فرده بيسري عن ذلك وقبحه عليه فدس منكوتمر بعض مماليك بيسري وانهوا الى السلطان أنه يريد الثورة فقبض عليه آخر ربيع الثاني من السنة وأودعه السجن فمات في محبسه وقبض في

هذه السنة على بهادر الحابى وعلى عز الدين ايبك الحموى ثم أمر فى هذه السنة برد الاقطاعات فى النواحى وبعث الامراء والكتاب لذلك وتولى ذلك عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وقال مؤرخ حماة المؤيد كانت مصر منقسمة على أربعة وعشرين قيراطا أربعة منها للسلطان والكلف والرواتب وعشرة للامراء والاطلاقات والزيادات وعشرة للاجناد الحلقة فصيروها عشرة للامراء والاطلاقات والزيادات والاجناد وأربعة عشر للسلطان فضعف الجيش وقال النووى قرر للخاص فى الروك الجيزة واطفيح ودمياط ومنفلوط والكوم الاحمر وحوات السنة الخراجية من سنة ست وتسعين وهذا فى العدد انما هو بعد انقضاء ثلاثة وثلاثين سنة واحدة وهى تفاوت ما بين السنين الشمسية والقمرية وهو حجة ديوان الجيش فى انقضاء التفاوت الجيشى وهو تحويل بالاقلام فقط وليس فيه نقص شئ ثم أقطعت البلاد بعد الروك واستثنيت المراتب الجسرية والرزق الاحباسية انتهى كلام النووى رحمه الله والله تعالى أعلم

(فتح حصون سيس)

ولما ولى سيف الدين منكوتمر النيابة وكانت مختصا بالسلطان استولى على الدولة وطلب من السلطان أن يعهد له بالملك فنكر ذلك الامراء وتنواعنه السلطان فتنكر لهم منكوتمر وأكثر السعاية فيهم حتى قبض على بعضهم وتفرق الآخرون فى النواحى وبعث السلطان جماعة منهم سنة سبع وتسعين لغزو سيس وبلاد الارمن كان منهم بكتاش أمير سلاح وقراسنقر وبكتمر السلحدار وتدلار وتمراز ومعهم الالفى نائب صفد فى العساكر ونائب طرابلس ونائب حماة ثم أردفهم بعلم الدين سنجر الدوادار وجاءت رسل صاحب سيس وأغاروا عليها ثلاثة أيام واكتسحوها ثم مروا ببغراس ثم ببرج انطاكية وأقاموا بها ثلاثا وعبروا بجسر الحديد بلاد الروم ثم قصدوا تل حمدون فوجدوها خاوية وقد انتقل الارمن الذين بها الى قلعة النجيمة وفتحوا قلعة مرعش وحاصروا قلعة النجيمة أربعين يوما وافتتحوها صلحا وأخذوا احد عشر حصنا منها المصيصة وحموم وغيرهما واضطرب أهلها من الخوف فأعطوا طاعتهم ورجع العساكر الى حلب وبلغ السلطان لاشين أن التتر قاصدون الشأم فجهز العساكر الى دمشق مع جمال الدين أقوش الافرم وأمره أن يخرج العساكر من دمشق الى حلب مع قفجق النائب فسار الى حمص وأقام بها ثم بلغهم الخبر برجوع التتر ووصل أمر السلطان الى سيف الدين الطباخى نائب حلب بالقبض على بكتمر السلحدار والالفى نائب صفد وجماعة من الامراء بحلب بسعاية بكتمر وحاول الطباخى ذلك فتعذر عليه وبرز تدلار الى بسارقتو فى بها وأقام الآخرون وشعروا بذلك فلحقوا بقفجق النائب على حمص

فامنهم

فأمنهم وكتب الى السلطان يشفع فيهم فأبطأ جوابه وعزله سيف الدين كرجى وعلاء الدين ايدغرى من اجارتهم فاستراب وولى السلطان مكانه على دمشق جاغان فكتب الى قفجق بطلبهم فنفروا وافترق عسكره وعبر الفرات الى العراق ومعه أصحابه بعد ان قبضوا على نائب حمص واحتملوه ولحقهم الخبر بقتل السلطان لاشين وقد تورطوا فى بلاد العدو فلم يمكنهم الرجوع ووفدوا على غازان بنواحى واسط وكان قفجق من جند التتر وأبوه من جند غازان خصوصا ولما وقعت الفتنة بين لاشين وغازان وكان فيروز أتابك غازان مستوحشا من سلطانه فكاتب لاشين فى اللحاق به واطلع سلطانه على كتبه فأرسل الى قطلوشاه نائب حران فقبض على فيروز وقتله وقتل غازان أخويه فى بغداد والله تعالى أعلم

(مقتل لاشين وعود الناصر محمد بن قلاون الى ملكه)

كان السلطان لاشين قد فوض امر دولته الى مولاه منكوتمر فاستطال وطمع فى الاستبداد ونكره الامراء كما قدمناه فأغرى السلطان بهم وشردهم كل مشرد بالنكبة والابعاد وكان سيف الدين كرجى من الجاشنكير ومقدما عليهم كما كان قراسنقر مع الاشرف وكان جماعة المماليك معصوصبين عليه وسعى منكوتمر فى نيابته على القلاع التى افتتحت من الارمن ببلاد سيس فاستعفى من ذلك وأسرها فى نفسه وأخذ فى السعاية على منكوتمر وظاهره على أمره قفجى من كبار الجاشنكيرية وكان لطقجى صهر من كبار الجاشنكيرية اسمه طنطاى أغلظ له منكوتمر يوما فى المخاطبة فامتعض وفزع الى كرجى وطقجى فاتفقوا على اغتيال السلطان وقصدوه ليلا وهو يلعب بالشطرنج وعنده حسام الدين قاضى الحنفية فأخبره كرجى بغلق الابواب على المماليك فشكره ولم يزل يتصرف أمامه حتى ستر سيفه بمنديل طرحه عليه فلما قام السلطان لصلاة العتمة تحاشاعنه وعلاه بالسيف وافتقد السلطان سيفه فتعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه وهموا بقتل القاضى ثم تركوه وخرج كرجى الى طقجى بمكان انتظاره وقصدوا منكوتمر وهو بدار النيابة فاستجار بطقجى فأجاره وحبسه بالجب ثم راجعوا رأيهم واتفقوا على قتله فقتلوه وكان مقتل لاشين فى ربيع سنة ثمان وتسعين وكان من موالى على بن المعز ايبك فلما غرب للقسطنطينية تركه بالقاهرة واشتراه المنصور قلاون من القاضى بحكم البيع على الغائب بألف درهم وكان يعرف بلاشين الصغير لانه كان هنالك لاشين آخر أكبر منه وكان نائبا بحمص ولما قتل اجتمع الامراء وفيهم ركن الدين بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلار استاذدار وحسام الدين لاشين الرومى وقد وصل على البريد من بلاد سيس جمال الدين أقوش الافرم وقد عاد من

دمشق بعد ان أخرج النائب والعساكر الى حمص وعز الدين ايبك الخزندار وبدر الدين السلحدار فضبطوا القلعة وبعثوا الى الناصر محمد بن قلاون بالكرك يستدعونه للملك فاعتزم طقجى على الجلوس على التخت واتفق وصول الامراء الذين كانوا بحلب منصرفين من غزاة سيس وفيهم سيف الدين كرجى وشمس الدين سرقنشاه ومقدمهم بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح فأشار الامراء على طقجى بالركوب للقائهم فأنف أولا ثم ركب ولقيهم وسألوه عن السلطان فقال قتل فقتلوه وكان كرجى عند القلعة فركب هاربا وأدرك عند القرافة وقتل ودخل بكتاش والامراء القلعة لحول من غزاة سيس ثم اجتمعوا بمصر وكان الامراء دائرا بين سلار وبيبرس وايبك الجامدار وأقوش الافرم وبكتمر أمير جندار وكرت الحاجب وهم ينتظرون وصول الناصر من الكرك وكتبوا الى الامراء بدمشق بما فعلوه فوافقوا عليه ثم قبضوا على نائبها جاغان الحسامى وولى ذلك بهاء الدين قرا ارسلان السيفى فاعتقل ومات لايام قلائل فبعث الامراء بمصر مكانه سيف الدين قطلو بك المنصورى ثم وصل الناصر محمد بن قلاون الى مصر فى جمادى سنة ثمان وتسعين فبايعوا له وولى سلار نائبا وبيبرس استاذ دار وبكتمر الجوكندار أمير جندار وشمس الدين الاعسر وزيرا وعزل فخر الدين بن الخليلى بعد ان كان أقره وبعث على دمشق جمال الدين أقوش الافرم عوضا عن سيف الدين قطلو بك واستدعاه الى مصر فولاه حاجبا وبعث على طرابلس سيف الدين كرت وعلى الحصون سيف الدين كراى وأقر بلبان الطباخى على حلب وأفرج عن قراسنقر المنصورى وبعثه على الضبينة ثم نقله الى حماة عندما وصله وفاة صاحبها المظفر آخر السنة وخلع على الامراء وبث العطايا والارزاق واستقر فى ملكه وبيبرس وسلار مستوليان عليه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(الفتنة مع التتر)

قد كنا قدمنا ما كان من فرار قفجق نائب دمشق الى غازان وحدوث الوحشة بين المملكتين فشرع غازان فى تجهيز العساكر الى الشأم وبعث شلامش بن امال بن بكو فى خمسة وعشرين ألفا فى عساكر المغل ومعه أخوه قطقطو وأمره بالمسير من جهة سيس فسار لذلك ثم حدثته نفسه بالملك فخاضع وطلب الملك لنفسه وكاتب ابن قرمان أمير التركمان فسار اليه فى عشرة آلاف فارس وسار فى ستين ألف فارس وسار الى سيواس فامتنعت عليه وكتب الى صاحب مصر مع مخلص الرومى يستنجده فبعث الى نائب دمشق بانجاده وبلغ الخبر غازان فبعث لقتاله مولاى من أمراء التتر فى خمسة وثلاثين ألف فارس ولحقه الى سيواس فانتقض عليه العسكر ورجع التتر الى مولاى

ولحق التركمان بالجبال ولحق هو بسيس فى فل من العسكر وسار الى دمشق ثم الى مصر وسأل من السلطان لاشين أن يمده بعسكر ينقل به عياله الى الشأم فأمر السلطان نائب حلب أن ينجده على ذلك فبعث معه عسكرا عليهم بكتمر الحلبى وساروا الى سيس فاعترضهم التتر وهزموهم وقتل الحلبى ونجا شلامش الى بعض القلاع فاستنزله غازان وقتله واستقر أخوه قطقطو ومخلص بمصر وأقطع لهما وانتظما فى عسكر مصر والله تعالى أعلم

(واقعة التتر على الناصر واستيلاء غازان على الشأم ثم ارتجاعه منه)

قد كنا قدمنا ما حدث من الوحشة بين التتر وبين الترك بمصر وقدمنا من أسبابها ما قدمناه فلما بويع الناصر بلغه أن غازان زاحف الى الشأم فتجهز وقدم العساكر مع قطلبك الكبير وسيف الدين   وسار على أثرهم آخر سنة ثمان وسبعين وانتهى الى غزة فنمى اليه أن بعض المماليك مجمعون للتوثب عليه وأن الاربدانية الذين وفدوا من التتر على كيبغا داخلوهم فى ذلك وبينما هو يستكشف الخبر اذ بمملوك من أولئك قد شهر سيفه واخترق صفوف العساكر وهم مصطفون بظاهر غزة فقتل لحينه وتتبع أمرهم من هذه البادرة حتى ظهرت حليتها فسبق الاربدانية ومقدمهم طرنطاى وقتل بعض المماليك وحبس الباقون بالكرك ورحل السلطان الى عسقلان ثم الى دمشق ثم سار ولاقى غازان ما بين سلمية وحمص بجمع المروج ومعه الكرج والارمن وفى مقدمته أمراء الترك الذين هربوا من الشأم وهم قفجق المنصورى وبكتمر السلحدار وفارس الدين البكى وسيف الدين غزار فكانت الجولة منتصف ربيع فانهزمت ميمنة التتر وثبت غازان ثم حمل على القلب فانهزم الناصر واستشهد كثير من الامراء فقد حسام الدين قاضى الحنفية وعماد الدين اسمعيل ابن الامير وسار غازان الى حمص فاستولى على الذخائر السلطانية وطار الخبر الى دمشق فاضطرب العامة وثار الغوغاء وخرج المشيخة الى غازان يقدمهم بدر الدين بن جماعة وتقى الدين بن تيمية وجلال الدين القزوينى وبقى الولد فوضى وخاطب المشيخة غازان فى الامان فقال قد خالفكم الى بلدكم كتاب الامان ووصل جماعة من أمرائه فيهم اسمعيل بن الامير والشريف المرضى وقرأ كتاب الامان ويسمونه بلغتهم الفومان وترجل الامراء بالبساتين خارج البلد وامتنع علم الدين سلحدار   بالقلعة فبعث اليه اسمعيل يستنزله بالامان فامتنع فبعث اليه المشيخة من أهل دمشق فزاد امتناعا ودس اليه الناصر بالتحفظ وأن المدد على غزة ووصل قفجق بكتمر فنزلوا الميدان وبعثوا الى سنجر صاحب القلعة

فى الطاعة فأساء جوابهم وقال لهم ان السلطان وصل وهزم عساكر التتر التى اتبعته ودخل قفجق الى دمشق فقرأ عهد غازان له بولاية دمشق والشأم جميعا وجعل اليه ولاية القضاء وخطب لغازان فى الجامع وانطلقت أيدى العساكر فى البلد بأنواع جميع العيث وكذا فى الصالحية والقرى التى بها والمزودار يا وركب ابن تيمية الى شيخ الشيوخ نظام الدين محمود الشيبانى وكان نزل بالعادلية فأركبه معه الى الصالحية وطرد وامنها اهل العيث وركب المشيخة الى غازان شاكين فمنعوا من لقائه حذرا من سطوته بالتتر فيقع الخلاف ويقع ؤبال ذلك على أهل البلد فرجعوا الى الوزير سعد الدين ورشد الدين فأطلقوا لهم الاسرى والسبى وشاع فى الناس أن غازان أذن المغل فى البلد وما فيه ففزع الناس الى شيخ الشيوخ وفرضوا على أنفسهم أربعمائة ألف درهم مصانعة له على ذلك وأكرهوا على غرمها بالضرب والحبس حتى كملت ونزل التتر بالمدرسة العادلية فأحرقها ارجواش نائب القلعة ونصب المنجنيق على القلعة بسطح جامع بنى أمية فأحرقوه فأعيد عمله وكان المغل يحرسونه فانتهكوا حرمة المسجد بكل محرم من غير استثناء وهجم أهل القلعة فقتلوا النجار الذى كان يصنع المنجنيق وهدم نائب القلعة ارجواش ما كان حولها من المساكن والمدارس والابنية ودار السعادة وطلبوا ما لا يقدرون عليه وامتهن القضاة والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة وفحش القتل والسبى وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس ثم قفل الى بلده بعدان ولى على دمشق والشأم قفجق وعلى حماة وحمص بكتمر السلحدار وعلى صفد وطرابلس والساحل فارس الدين البكى وخلف نائبه قطلوشاه فى ستين ألف حامية للشأم واستصحب وزيره بدر الدين بن فضل الله وشرف الدين ابن الامير وعلاء الدين بن القلانسى وحاصر قطلوشاه القلعة فامتنعت عليه فاعتزم على الرحيل وجمع له قفجق الاوغاد فى جمادى من السنة وبقى قفجق منفردا بأمره فأمن الناس بعض الشئ وأمر مماليكه ورجعت عساكر التتر من اتباع الترك بعدان وصلوا الى القدس وغزة والرملة واستباحوا ونهبوا وقائدهم بودشد مولاى من أمراء التتر فخرج اليه ابن تيمية واستوهبه بعض الاسرى فأطلقهم وكان الملك الناصر لما وصل الى القلعة ووصل معه كيبغا العادل وكان حضر معه المعركة من محل نيابته بصرخد فلما وقعت الهزيمة سار مع السلطان الى مصر وبقى فى خدمة النائب سلار وجرّد السلطان العساكر وبث النفقات وسار الى الصالحية وبلغه رحيل غازان من الشأم ووصل اليه بلبان الطباخى نائب حلب على طريق طرابلس وجمال الدين الافرم نائب دمشق وسيف الدين كراى نائب طرابلس واتفق السلطان فى عساكرهم وبلغه أن قطلوشاه نائب غازان رحل من

الشأم على أثر غازان فتقدم بيبرس وسار فى العساكر ووقعت المراسلة بينه وبين قفجق وبكتمر والبكى فاذعنوا للطاعة ووصلوا الى بيبرس وسلار فبعثوا بهم الى السلطان وهو فى الصالحية فى شعبان من السنة فركب للقائهم وبالغ فى تكرمتهم والاقطاع لهم وولى قفجق على الشوبك ورحل عائدا الى مصر ودخل بيبرس وسلار الى مصر وقرروا فى ولايتها جمال الدين أقوش الافرم بدمشق وفى نيابة حلب قراسنقر المنصورى الجوكندار لاستعفاء بلبان الطباخى عنها وفى طرابلس سيف الدين قطلبك وفى حماة كيبغا العادل وفى قضاء دمشق بدر الدين بن جماعة لوفاة امام الدين بن سعد الدين القزوينى وعاد بيبرس وسلار الى مصر منتصف شوّال وعاقب الافرم كل من استخدم للتتر من أهل دمشق وأغزى عساكره جبل كسروان والدرزية لما نالوا من العسكر عند الهزيمة وألزم أهل دمشق بالرماية وحمل السلاح وفرضت على أهل دمشق ومصر الاموال ثمن بعث الخيالة والمساكن لاربعة أشهر و ضمان للقرى وكثر الارجاف

ساقط من الاصل

سنة سبعمائة بحركة التتر فتوجه السلطان الى الشأم بعد أن فرض على الرعية أموالا واستخرجها لتقوية عساكره وأقام بظاهر غزة أياما يؤلف فيها الامصار ثم بعث ألفى فارس الى دمشق وعاد الى مصر منسلخ ربيع الآخر وجاء غازان بعساكره وأجفلت الرعايا أمامه حتى ضاقت بهم السبل والجهات فنزل ما بين حلب ومرس ونازلها واكتسح البلاد الى انطاكية وجبل السمر وأصابهم هجوم البرد وكثرة الامطار والوحل وانقطعت الميرة عنهم وعدمت الاقوات وصوحت المراعى من كثرة الثلج وارتحلوا الى بلادهم وكان السلطان وقد جهز العساكر كما قلنا الى الشأم صحبة بكتمر السلحدار نائب صفد وولى مكانه سيف الدين فخاص المنصورى ثم وقعت المراسلة بين السلطان الناصر وبين غازان وجاءت كتبه وبعث الناصر كتبه ورسله وولى السلطان على حمص فارس الدين البكى والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة الخليفة الحاكم وولاية ابنه المستكفى والغزاة الى العرب بالصعيد)

ثم توفى الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد وهو الذى ولاه الظاهر وبايع له سنة ستين فتوفى سنة احدى وسبعمائة لاحدى وأربعين سنة من خلافته وقد عهد لابنه أبى الربيع سليمان فبايع له الناصر ولقبه المستكفى وارتفعت شكوى الرعايا فى الصعيد من الاعراب وكثر عيثهم فجهز اليهم السلطان العساكر مع شمس الدين قراسنقر فاكتسحهم وراجعوا الطاعة وقرر عليهم مالا حملوه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم وألف فرس واحدا وألفى جمل اثنين وعشرة آلاف رأس من الغنم وأظهروا الاستكانة ثم أظهروا النفاق فسار اليهم كافل المملكة سلار وبيبرس فى العساكر فاستلحموهم

وأبادوهم وأصابوا أموالهم ونعمهم ورجعوا واستأذن بيبرس فى قضاء فرضه فخرج حاجا وكان أبونمى أمير مكة قد توفى وقام بأمره فى مكة ابناه رميثة وحميضة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث فنقبا السجن وجاآ الى بيبرس مستعديين على أخويهما فقبض عليهما بيبرس وجاء بهما الى القاهرة وفى سنة ستين وسبعمائة بعدها خرجت الشوانى مشحونة بالمقاتلة الى جزيرة أرواد فى بحر انطرطوس وبها جماعة من الافرنج قد حصنوها وسكنوها فملكوها وأسروا أهلها وخربوها وأذهبوا آثارها والله تعالى ولى التوفيق

(تقرير العهد لاهل الذمة)

حضر فى سنة سبعمائة وزير من المغرب فى غرض الرسالة فرأى حال أهل الذمة وترفههم وتصرفهم فى أهل الدولة فنكره وقبح ذلك واتصل بالسلطان نكيره فأمر بجمع الفقهاء للنظر فى الحدود التى تقف عندها اهل الذمة بمقتضى عهود المسلمين لهم عند الفتح وأجمع الملأ فيهم على ماتذكره وهو أن يميز بين أهل الذمة بشعار يخصهم فالنصارى بالعمائم السود واليهود بالصفر والنساء منهن بعلامات تناسبهن وأن لايركبوا فرسا ولا يحملوا سلاحا واذا ركبوا الحمير ركبوها عرضا ويتنحون وسط الطريق ولايرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين ولايعلوا بناءهم على بناء المسلمين ولايظهروا شعائرهم ولايضربوا بالنواقيس ولا ينصروا مسلما ولايهودوه ولايشتروا من الرقيق مسلما ولا من سباه مسلم ولا من جرت عليه سهام المسلمين ومن دخل منهم الحمام يجعل فى عنقه جرسا يتميز به ولا ينقشوا فص الخاتم بالعربى ولايعلموا أولادهم القرآن ولا يستخدموا فى أعمالهم الشاقة مسلما ولايرفعوا النيران ومن زنا منهم بمسلمة قتل وقال البترك بحضرة العدول حرمت على أهل ملتى وأصحابى مخالفة ذلك والعدول عنه وقال رئيس اليهود أوقعت الكلمة على أهل ملتى وطائفتى وكتب بذلك الى الاعمال *(ولنذكر)* فى هذا الموضع نسخة كتاب عمر بالعهد لاهل الذمة بعد كتاب نصارى الشأم ومصر اليه ونصه هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى أهل الشأم ومصر لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا على أنفسنا ان لانحدث فى مدائننا ولافيما حولها ديرا ولا كنيسة ولاعلية ولا صومعة راهب ولانجدد ما خرب منها ولا ما كان فى خطط وان نوسع أبوابنا للمارة ولبنى السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولانؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولانكتم عيبا للمسلمين ولانعلم أولادنا القرآن ولانظهر شرعنا

ولاندعو اليه أحدا ولانمنع أحدا من ذى قرابتنا الدخول فى دين الاسلام ان أرادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم فى مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولانتشبه بهم فى شئ من ملابسهم فى قلنسوة ولاعمامة ولانعلين ولافرق شعر ولانتسمى بأسمائهم ولانتكنى بكناهم ولانركب السروج ولانتقلد بالسيوف ولانتخذ شيأ من السلاح ولانحمله معنا ولاننقش على خواتمنا بالعربية وان نجز مقدم رؤسنا ونكرم نزيلنا حيث كنا وان نشد الزنانير على أوساطنا ولانظهر صلباننا ولانفتح كتبنا فى طريق المسلمين ولاأسواقهم ولانضرب بنواقيسنا فى شئ من حضرة المسلمين ولانخرج سعانيننا ولاطواغيتنا ولانرفع أصواتنا مع موتانا ولانوقد النيران فى طرق المسلمين ولاأسواقهم ولانجاورهم بموتانا ولانتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولانطلع فى منازلهم ولانعلى منازلنا فلما أتى عمر بالكتاب زاد فيه ولانضرب أحدا من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا فى شئ مما شرطناه لكم علينا وضمناه على أنفسنا وأهل ملتنا فلاذمة لنا عليكم وقد حل بنا ما حل بغيرنا من أهل المعاندة والشقاق فكتب عمر رضى الله عنه أمض ماسألوه وألحق فيه حرفا اشترطه عليهم مع مااشترطوه من ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وعلى أحكام هذا الكتاب جرت فتاوى الفقهاء فى أهل الذمة نصا وقياسا وأما كنائسهم فقال أبوهريرة أمر عمر بهدم كل كنيسة استحدثت بعد الهجرة ولم يبق الا ما كان قبل الاسلام وسير عروة بن محمد فهدم الكنائس بصنعاء وصالح القبط على كنائسهم وهدم بعضها ولم يبق من الكنائس الا ما كان قبل الهجرة وفى اباحة رمها واصلاحها لهم خلاف معروف بين الفقهاء والله تعالى ولى التوفيق

(ايقاع الناصر بالتتر على شقحب)

ثم تواترت الاخبار سنة ثنتين وسبعمائة بحركة التتر وان قطلوشاه وصل الى جهة الفرات وأنه قدم كتابه الى نائب حلب بأن بلادهم محلة وأنهم يرتادون المراعى بنواحى الفرات نخادع بذلك عن قصده ويوهم الرعية أن يجفلوا من البسائط ثم وصلت الاخبار باجازتهم الفرات فأجفل الناس أمامهم كل ناحية ونزل التتر مرعش وبعث العساكر من مصر مددا لاهل الشأم فوصلوا الى دمشق وبلغهم هنالك ان السلطان قازان وصل فى جيوش التتر الى مدينة الرحبة ونازلها فقدم نائبها قرى وعلوفة واعتذر له بأنه فى طاعته الى أن يرد الشأم فان ظفر به فالرحبة أهون شئ وأعطاه ولده رهينة على ذلك فأمسك عنه ولم يلبث ان عبر الفرات راجعا الى بلاده وكتب الى أهل

الشأم كتابا مطولا ينذرهم فيه أن يستمدوا عسكر السلطان أو يستجيشوه ويخادعهم بلين القول وملاطفته وتقدم قطلوشاه وجوبان الى الشأم بعساكر التتر يقال في تسعين ألفا أو يزيدون وبلغ الخبر الى السلطان فقدم العساكر من مصر وتقدم بيبرس كافل المملكة الى الشأم والسلطان وسلار على اثره ومعهم الخليفة أبو الربيع وساروا في التعبية ودخل بيبرس دمشق وكان النائب بحلب قراسنقر المنصوري وقد اجتمع اليه كتبغا العادل نائب حماة وأسد الدين كرجي نائب طرابلس بمن معهم من العساكر فأغار التتر على القريتين وبها أحياء من التركمان كانوا أجفلوا أمامهم من الفرات فاستاقوا أحياءهم بما فيها واتبعهم العساكر من حلب فأوقعوا بهم واستخلصوا أحياء التركمان من أيديهم وزحف قطلوشاه وجوبان بجموعهما الى دمشق يظنان ان السلطان لم يخرج من مصر والعساكر والمسلمون مقيمون بمرج الصفر وهو المسمى بشقحب مع ركن الدين بيبرس ونائب دمشق أقوش الافرم ينتظرون وصول السلطان فارتابوا بالزحف التتر وتأخروا عن مراكزهم قليلا وارتاعت الرعايا من تأخرهم فأجفلوا الى نواحي مصر وبينما هم كذلك اذ وصل السلطان في عساكره وجموعه غرة رمضان من السنة فرتب مصافه وخرج لقصدهم فالتقى الجمعان بمرج الصفر وحمل التتر على ميمنة السلطان فثبت الله أقدامهم وصابروهم الى أن غشيهم الليل واستشهد جماعة في الجولة ثم انهزم التتر ولجؤا الى الجبل يعتصمون به واتبعهم السلطان فأحاط بالجبل الى أن أظل الصباح وشعر المسلمون باستماتتهم فأفرجوا لهم من بعض الجوانب وتسلل معظمهم مع قطلوشاه وجوبان وحملت العساكر الشامية على من بقي منهم فاستلحموهم وأبادوهم واتبعت الخيول آثار المنهزمين وقد اعترضتهم الاوحال بما كان السلطان قدم الى أهل الانهار بين أيديهم فبثقوها وحلت خيولهم فيها فاستوعبوهم قتلا وأسرا وكتب السلطان الى قازان بما يجدد عليه الحسرة ويملأ قلبه رعبا وبعث البشائر الى مصر ثم دخل الى دمشق وأقام بها عيد الفطر وخرج لثالثه منها الى مصر فدخلها آخر شوال في موكب حفل ومشهد عظيم وقر الاسلام بنصره وتيمن بنقيب نوابه وأنشده الشعراء في ذلك وفي هذه السنة توفي كتبغا العادل نائب حماة وهو الذي كان ولي الملك بمصر كما تقدم ذكره فدفن بدمشق وتوفي أيضا بلبان الجوكندار نائب حمص وتوفي أيضا القاضي تقي الدين بن دقيق العيد بمصر لولايته ست سنين بها وولي مكانه بدر الدين بن جماعة وهلك قازان ملك التتر يقال أصابته حمى حادة للهزيمة التي بلغته فهلك وولي أخوه خربندا وفيها أفرج السلطان عن رميثة وحميضة ولدي الشريف أبي نمي وولاهما بدلا من أخويهما عاطفة وأبي الغيث والله تعالى أعلم

أخبار الارمن وغزو بلادهم وادعاؤهم الصلح ثم مقتل ملكهم صاحب سيس على يد التتر

قد كان تقدم لنا ذكر هؤلاء الارمن وانهم واخوتهم الكرج من ولد قويل بن ناحور ابن آزر وناحور أخو ابراهيم عليه السلام وكانوا أخذوا بدين النصرانية قبل الملة وكانت مواطنهم ارمينية وهي منسوبة اليهم وقاعدتها خلاط وهي كرسي ملكهم ويسمى ملكهم التكفور ثم ملك المسلمون بلادهم وضربوا الجزية على من بقي منهم واختلف عليهم الولاة ونزلت بهم الفتن وخربت خلاط فانتقل ملكهم الى سيس عند الدروب المجاورة لحلب وانزووا اليها وكانوا يؤدون الضريبة للمسلمين وكان ملكهم لعهد نور الدين العادل قليج بن اليون وهو صاحب ملك الدروب واستخدم للعادل وأقطع له وملك المصيصة واردن وطرسوس من يد الروم وأبقاه صلاح الدين بعد العادل نور الدين على ما كان عليه من الخدمة وغدر في بعض السنين بالتركمان فغزاهم صلاح الدين وأثخن عليهم حتى أذعنوا ورجع الى حاله من أداء الجزية والطاعة وحسن الجوار بثغور حلب ثم ملكهم لعهد الظاهر هيثوم بن قسطنطين بن يانس ويظهر أنه من أعقاب قليج أو من أهل بيته ولما ملك هلاكو العراق والشأم دخل هيثوم في طاعته وأقره على سلطانه وأجلب مع التتر في غزواتهم على الشأم وغزا سنة ثنتين وستين صاحب بلاد الروم من التتر واستنفر معه بني كلاب من اعراب حلب وعاثوا في نواحي عنتاب ثم ترهب هيثوم بن قسطنطين ونصب ابنه ليعون للملك وبعث الظاهر العساكر سنة اربع وستين ومعه قلاون المنصور صاحب حماة الى بلادهم فلقيهم ليعون في جموعه قبل الدربند فانهزم وأسر وخرب العساكر مدينة سيس وبذل هيثوم الاموال والقلاع في فداء ابنه ليعون فشرط عليه الظاهر أن يستوهب سنقر الاشقر وأصحابه من ابغا بن هلاكو وكان هلاكو أخذهم من سجن حلب فاستوهبهم وبعث بهم وأعطى خمسا من القلاع منها رغبان ومرزبان لما توفي هيثوم سنة تسع وستين وملك بعده ابنه ليعون وبقي الملك في عقبه وكان بينهم وبين الترك نفرة واستقادة لقرب جوارهم من حلب والترك يرددون العساكر الى بلادهم حتى أجابوا بالصلح على الطاعة والجزية وشحنة التتر مقيم عندهم بالعساكر من قبل شحنة بلاد الروم ولما توفي ليعون ملك بعده ابنه هيثوم ووثب عليه أخوه سنباط فخلعه وحبسه بعد أن سمل عينه الواحدة وقتل أخاهما الاصغر بروس ونازلت عساكر الترك لعهده قلعة حموص من قبل العادل كتبغا فاستضعف الارمن سنباط وهموا به فلحق بالقسطنطينية وقدموا عليهم أخاه رندين فصالح المسلمين وأعطاهم مرعش وجميع القلاع على جيحان وجعلوهم تخما ورجعت العساكر عنهم

ثم أفرج رنذين عن أخيه هيثوم الاعور سنة تسع وستين فأقام معه قليلا ثم وثب برنذين ففر الى القسطنطينية وأقام هيثوم بسيس فى ملك الارمن وقدم ابن أخيه تروس معسول أتابكا واستقامت دولته فيهم وسار مع قازان فى وقعته مع الملك الناصر فعاث الارمن فى البلاد واستردوا بعض قلاعهم وخربوا تل حمدون فلما هزم الناصر التتر سنة ثنتين وسبعمائة بعث العساكر الى بلادهم فاسترجعوا القلاع وملكوا واحص واكتسحوا بسائط سيس وما اليها ومنع الضريبة المقررة عليهم فأنفذ نائب حلب قراسنقر المنصورى سنة سبع وستمائة العساكر اليهم مع أربعة من الامراء فعاثوا فى بلادهم واعترضهم شحنة التتر بسيس فهزموهم وقتل أميرهم وأسر الباقون وجهز العساكر من مصر مع بكتاش الفخرى أمير سلاح من بقية البحرية وانتهوا الى غزة وخشى هيثوم مغبة هذه الحادثة فبعث الى نائب حلب بالجزية التى عليهم لسنة خمس وقبلها وتوسل بشفاعته الى السلطان فشفعه وأمنه وكان شحنة التتر ببلاد الروم لهذا العهد ارفلى وكان قد أسلم لما أسلم ابغا وبنى مدرسة بأذنة وشيد فيها مئذنة ثم حدث بينه وبين هيثوم صاحب سيس وحشة فسعى فيه هيثوم عند خربندا ملك التتر بأنه مداخل لاهل الشأم وقدوا طأهم على ملك سيس وما اليها واستشهد له بالمدرسة والمئذنة وكتب بذلك الى ارفلى بعض قرابته فأسرها فى نفسه واغتاله فى صنيع دعاه اليه وقبض على وافد من ممالك الترك كان عند هيثوم من قبل نائب حلب يطلب الجزية المقررة عليه وهو ايدغدى الشهرزورى ولم يزل فى سجن التتر الى أن فر من محبسه بتوريز سنة عشر وسبعمائة ونصب الملك بسيس أوشين بن ليعون وسار ارفلى الى خربندا فسابقه الشاق أخو هيثوم بنسائه وولده مستعدين عليه فتفجع لهم خربندا   وسط ارفلى وقتله واقر أوشين أخاه فى ملكه لسيس فبادر الى مراسلة الناصر بمصر وتقرير الجزية عليه كما كانت ومازال يعشيها مع الاحيان والله تعالى أعلم

بياض بالاصل

(مراسلة ملك المغرب ومهاداته)

كان ملك المغرب الاقصى من بنى مرين المتولين أمره من بعد الموحدين وهو يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق قد بعث الى السلطان الناصر سنة أربع وسبعمائة رسوله علاء الدين ايدغدى الشهرزورى من الشهرزورية المقربين هنالك أيام الظاهر بيبرس ومعه هدية حافلة من الخيل والبغال والابل وكثير من ماعون المغرب وسائر طرفه وجملة من الذهب العين فى ركب عظيم من المغاربة ذاهبين لقضاء فرضهم فقابلهم السلطان بأبلغ وجوه التكرمة وبعث معهم أميرا لاكرامهم وقراهم فى طريقهم حتى قضوا فرضهم وعاد الرسول ايدغدى المذكور من حجه سنة خمس فبعث السلطان معه مكافأة هديتهم

بما يليق بها من النفاسة وعين لذلك أميرين من بابه ايدغدى البابلى وايدغدى الخوارزمى كل منهما لقبه علاء الدين فانتهوا الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان كما هو فى ربيع الآخر سنة ست فقابلهم بما يجب لهم ولمرسلهم وأوسع لهم فى الكرامة والحباء وبعثهم الى ممالكه بفاس ومراكش ليتطوفا بها ويعاينا مسرتها وهلك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان وانطلق الرسولان المذكوران من فاس راجعين من رسالتهما فى رجب سنة سبع فى ركب عظيم من أهل المغرب اجتمعوا عليهم لقصد الحج ولقوا السلطان أبا ثابت البزولى من بعد يوسف بن يعقوب فى طريقهم فبالغ فى التكرمة والاحسان اليهم وبعث الى مرسلهم الملك الناصر بهدية أخرى من الخيل والبغال والابل ثم مروا بتلمسان وبها أبو زيان وأبو حمو ابنا عثمان بن يغمراسن فلم يصرفا اليهما وجها من القبول وطلبا منهما خفيرا يخفرهما الى تخوم بلادهما لما كانت نواحى تلمسان قد اضطربت بعد مهلك يوسف بن يعقوب وما كان من شأنه فبعث معهما بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضهم فى طريقهم أشرار حصين من زغبة بنواحى المدية فبالغوا فى الدفاع فلم يغن عنهم واستولى الاشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر معهم وخلصوا   الى الشيخ بكر بن زغلى شيخ بنى يزيد بن زغبة بوطن حمزة بنواحى بجاية فأوصلهم الى السلطان بجاية أبى البقاء خالد من ولد الامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص ملوك افريقية فكساهم وحملهم الى حضرة تونس وبها السلطان أبو عصيدة محمد بن يحيى الواثق من بنى عمه فبالغ فى تكرمتهم وسافر معهم ابراهيم بن عيسى من بنى وسنار أحد أمراء بنى مرين كان أميرا على الغزاة بالاندلس وخرج لقضاء فرضه فمر بتونس واستنهضه سلطانها على الافرنج بجزيرة جربة فسار اليها بقومه ومعه عبد الحق بن عمر بن رحو من أعيان بنى مرين وكان الشيخ أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحيانى يحاصرها فى عسكر تونس فأقام معهم مدة ثم استوحش أبو يحيى اللحيانى من سلطانه بتونس فلحق بطرابلس وسار واجتمعا الى مصر وتقدم السلطان باكرامهم حتى قضوا فرضهم وعادوا الى المغرب واستمد أبو يحيى اللحيانى السلطان الناصر فأمده بالاموال والمماليك وكان سببا لاستيلائه على الملك بتونس كما نذكره فى أخباره ان شاء الله تعالى

بياض بالاصل

(وحشة الناصر من كافليه بيبرس وسلار ولحاقه بالكرك وخلعه والبيعة لبيبرس)

ثم عرضت وحشة بين السلطان الناصر وبين كافليه بيبرس وسلار سنة سبع فامتنع من العلامة على المراسم وترددت بينه وبينهم السعاة بالعتاب وركب بعض الامراء فى ساحة القلعة من جوف الليل ودافعهم الاوجاقية فى جوف الليل وافترقوا واستعض

السلطان لذلك وازداد وحشة ثم سعى بكتمر الجوكندار فى اصلاح الحال وحمل السلطان على تغريب بعض الخواص من مماليكه الى القدس وكان بيبرس ينسب اليهم هذه الفتنة ونشأتها من أجلهم فقربهم السلطان وأعتب الاميرين ثم أعيد الموالى من القدس الى محلهم من خدمتهم واتهم السلطان الجوكندار فى سعايته فسخطه وأبعده وبعثه نائبا عن صفد ثم غص بما هو فيه من الحجر والاستبداد وطلب الحج فهجره بيبرس وسلار وسار على الكرك سنة ثمان وودعه الامراء واستصحب بعضا منهم فلما مر بالكرك دخل القلعة وأخرج النائب جمال الدين أقوش الاشرف الى مصر وبعث عن أهله وولده كانوا مع المحمل الحجازى فعادوا اليه من العقبة وصرف الامراء الذين توجهوا معه وأظهر الانقطاع بالكرك للعبادة وأذن لهم فى اقامة من يصلح لامرهم فاجتمعوا بدار النيابة وتشاوروا واتفقوا على أن يكون بيبرس سلطانا عليهم وسلار على نيابته وبايعوا بيبرس فى شوال سنة ثمان ولقبوه المظفر وقلده الخليفة أبو الربيع وكتب للناصر بنيابة الكرك وعينت له اقطاع يختص بها وقام سيف الدين سلار بالنيابة على عادة من قبله وأقر أهل الوظائف والرتب على مراتبهم وبعث أهل الشأم بطاعتهم واستقر بيبرس فى سلطانه والله تعالى أعلم

(انتقاض الامير بيبرس وعود الناصر الى ملكه)

ولما دخلت سنة تسع هرب بعض موالى الناصر فلحقوا بالكرك وقلق الظاهر بيبرس المظفر وبعث فى اثرهم فلم يدركوهم واتهم آخرون فقبض عليهم ونشأت الوحشة لذلك واتصلت المكاتبة من الامراء الذين بالشأم الى السلطان بالكرك وخرج من مكانه يريد النهوض اليهم ثم رجع ووصل كتاب نائب دمشق أقوش الافرم فسكن الحال وبعث الجاشنكير بيبرس الى السلطان برسالة مع الامير علاء الدين مغلطاى ايدغلى وقطلوبغا تتضمن الارجاف فثارت لها حفائظه وعاقب الرسولين وكاتب أمراء الشأم يتظلم من بيبرس وأصحابه بمصر ويقول سلمت لهم فى الملك ورضيت بالضنك رجاء الراحة فلم يرجعوا عنى وبعثوا الى بالوعيد وانهم فعلوا ما فعلوا بأولاد المعز ايبك وبيبرس الظاهر ومثل ذلك من القول ويستنجدهم ويمت اليهم بوسائل التربية والعتق فى دفاع هؤلاء عنه والالحقت ببلاد التتر وبعث بهذه الرسالة مع بعض الجند كان مستخدما بالكرك من عهد أقوش الاشرفى وأقام هنالك وكان مولعا بالصيد فاتصل بالسلطان فى مصايده وبث اليه ذات يوم شكواه فقال أنا أكون رسولك الى أمراء الشأم فبعث اليهم بهذه الرسالة فامتعضوا وأجابوه بالطاعة كما يجب منهم وسار السلطان الى البلقاء وأرسل جمال الدين أقوش الافرم نائب دمشق الى مصر فأخبر الجاشنكير بيبرس بالحال

واستمده بالعساكر للدفاع فبعث اليه بأربعة آلاف من العساكر مع كبار الامراء وأزاح عللهم وأنفق فى سائر العساكر بمصر وكثر الارجاف وشغبت العامة وتعين مماليك السلطان للخروج الى النواحى استرابة بمكانهم ووصل الخبر برجوع السلطان من البلقاء الى الكرك لرأى رآه واسترابه لرجعته سائر أصحابه وحاشيته وخاف أن تتبعهم عساكر مصر بما كان يشاع عندهم من اعتزام بيبرس على ذلك ثم دس السلطان الى مماليكه وشيع اليهم فأجابوه وأعاد الكتاب الى نواب الشأم مثل شمس الدين اقسنقر نائب حلب وسيف الدين نائب حمص فأجابوه بالسمع والطاعة وبعث نائب حلب ولده اليه واستنهضوه للوصول فخرج من الكرك فى شعبان سنة تسع ولحق به طائفة من أمراء دمشق وبعث النائب أقوش أميرين لحفظ الطرقات فلحقا بالسلطان وكتب بيبرس الجاشنكير الى نواب الشأم بالوقوف مع جمال الدين أقوش نائب دمشق والاجتماع على السلطان الناصر عن دمشق فأعرضوا ولحقوا بالسلطان وسار أقوش الى البقاع والشقيف واستأمن الى السلطان فبعث اليه بالامان مع أميرين من أكابر أمرائه وسار الى دمشق فدخلها وهى خالصة يومئذ لسيف الدين بكتمر أمير جاندار جاء من صفد وهاجر الى خدمته فتلقاه وجازاه أحسن الجزاء ثم وصل أقوش الافرم فتلقاه السلطان بالمبرة والتكرمة وأقره على نيابة دمشق واضطربت أمور الجاشنكير بمصر وخرجت طائفة من مماليك السلطان هاربين الى الشأم فسرح فى اثرهم العساكر فأدركوهم ونال الهاربون منهم قتلا وجراحة ورجعوا وتجمعت وثاب العامة والغوغاء وأحاطوا بالقلعة وجاهروا بالخلعان وقبض على بعضهم وعوقب فلم يزدهم الا عتوا وتحاملا وارتاب الجاشنكير لحاله واجتمع الناس للحلف وحضر الخليفة وجدد عليه وعليهم الحلف وبعث نسخة البيعة لتقرأ بالجامع يوم الجمعة فصاح الناس بهم وهموا أن يحصبوهم على المنبر فرجع الى النفقة وبذل المال واعتزم على المسير الى الشأم وقدم أكابر الامراء فلحقوا بالسلطان وزاد اضطراب بيبرس وخرج السلطان من دمشق منتصف رمضان وقدم بين يديه أميرين من أمراء غزة فوصلاها واجتمعت اليه العرب والتركمان وبلغ الخبر الى الجاشنكير فجمع اليه شمس الدين سلار وبدر الدين بكتوت الجوكندار وسيف الدين السلحدار وفاوضهم فى الامر فرأوا أن الخرق قد اتسع ولم يبق الا البدار بالرغبة الى السلطان أن يقطعه الكرك أو حماة أو صهيون ويتسلم السلطان ملكه فأجمعوا على ذلك وبعثوا بيبرس الدوادار وسيف الدين بهادر بعد ان أشهد الجاشنكير بالخلع وخرج من القلعة الى اطفيح بمماليكه فلم يستقر بها وتقدم قاصدا اسوان واحتمل ما شاء من المال والذخيرة وخيول

الاصطبل وقام بحفظ القلعة صاحبه سيف الدين سلار وكاتب السلطان يطالعه بذلك وخطب للسلطان على المنابر ودعي باسمه على المآذن وهتف باسمه العامة فى الطرقات وجهز سلار سائر شعار السلطنة ووصلت رسل الجاشنكير الى السلطان بما طلب فأسعفه بصهيون وردهم اليه بالامان والولاية ووافى السلطان عيد الفطر بالبركة ولقيه هنالك سيف الدين سلار وأعطاه الطاعة ودخل السلطان الى القلعة وجلس باقى العيد بالايوان جلوسا فخما واستحلف الناس عامة وسأله سلار فى الخروج الى اقطاعه فأذن له بعد أن خلع عليه فخرج ثالث شوال وأقام ولده بباب السلطان ثم بعث السلطان الامراء الى الجيم فانتزعوا من الجاشنكير ما كان احتمله من المال والذخيرة وأوصلوها الى الخزائن ووصل معهم جماعة من مماليكه كانوا أمراء واختاروا الرجوع الى السلطان وولى السلطان سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار نائبا بمصر وقراسنقر المنصورى نائبا بدمشق وبعث نائبها الافرم نائبا بصرخد وسيف الدين قفجق نائبا بحلب وسيف الدين بهادر نائبا بطرابلس وخرجوا جميعا الى الشأم وقبض السلطان على جماعة من الامراء ارتاب بهم وولى على وزارته فخر الدين عمر بن الخليلى عوضا عن ضياء الدين أبى بكر (بياض بالأصل) ثم انصرف بيبرس الجاشنكير متوجها الى صهيون وبها بهادر (بياض بالأصل) بها الاشجعى موكل به الى حيث قصد ورجع عنه الامراء الذين كانوا عنده الى السلطان فاستضاف بعضهم الى مماليكه واعتقل بعضهم ثم بدا للسلطان فى أمره وبعث الى قراسنقر وبهادر وهما مقيمان بغزة ولم ينفصلا الى الشأم أن يقبضا عليه فقبضا عليه وبعثا به الى القلعة آخر ذى القعدة فاعتقل ومات هنالك والله تعالى ولى التوفيق

(خبر سلار وما آل أمره)

لما انتقل السلطان الناصر الى ملكه بمصر وكان لسلار من السعى فى أمره وتمكين سلطانه ما ذكرناه وكانت له سوابق عند السلطان يعتنى برعيها له وكانت الشوبك من اقطاعه فرغب الى السلطان فى المسير اليها والتخلى فيها فأذن له وخلع عليه وزاده فى اقطاعه واقطاع مماليكه واتبعه مائة من الطواشية باقطاعهم وسار من مصر الى الشوبك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة ثم بعث له داود المقسور بالكرك مضافا الى الشوبك وباللواء وبخلعة مذهبة ومركب ثقيل ومنطقة مجوهرة وأقام هنالك فلما كانت سنة عشر بعدها نمى الى السلطان عن جماعة من الامراء انهم معتزمون على الثورة وفيهم أخو سلار فقبض عليهم جميعا وعلى شيع سلار وحاشيته الذين بمصر وبعث علم الدين الجوالى لاستقدامه من الكرك تأنيسا له وتسكينا فقدم فى ربيع من السنة

واعتقل الى أن هلك فى معتقله واستصفيت أمواله وذخائره بمصر والكرك وكانت شيأ لا يعبر عنه من الاموال والفصوص واللآلى والاقمصة والدروع والكراع والابل ويقال انه كان يغل كل يوم من اقطاعه وضياعه ألف دينار وأما أوليته فانه لما خلص من أسر التتر صار مولى لعلاء الدين على بن المنصور قلاوون ولما مات صار لابيه قلاوون ثم لابنه الاشرف ثم لاخيه محمد بن الناصر وظهر فى دولهم كلها وكان بينه وبين لاشين مودة فاستخدم له وعظم فى دولته متقربا فى المراكب متحريا لمحبة السلطان الى أن انقرض أمره ويقال انه لما احتضر فى محبسه قيل له قد رضى عنك السلطان فوثب قائما ومشى خطوات ثم مات والله أعلم

(انتقاض النواب بالشأم ومسيرهم الى التتر وولاية تنكز على الشأم)

كان قفجق نائب حلب قد توفى بعد أن ولاه السلطان فنقل مكانه الى حلب (بياض بالأصل) الكرجى من حماة سنة عشر فتظلم الناس منه فقبض عليه ونقل اليها قراسنقر المنصورى من نيابة دمشق وولى مكانه بدمشق سيف الدين كراى المنصورى سنة احدى عشرة ثم سخطه واعتقله وولى مكانه بدمشق جمال الدين أقوش الاشرفى نقله اليها من الكرك وتوفى بها محمد (بياض بالأصل) نائب طرابلس فنقل اليها أقوش الافرم من صرخد ثم قبض على بكتمر الجوكندار نائب مصر وحبسه بالكرك وجعل مكانه فى النيابة بيبرس الدوادار ثم ارتاب قراسنقر نائب حلب فهرب الى البرية واجتمع مع مهنا بن عيسى ويقال انه استأذن السلطان فى الحج فأذن له فلما توسط البرية استوعرها فرجع فمنعه الامراء الذين بحلب من دخولها الا باذن السلطان فرجع الى الفرات وبعث مهنا بن عيسى شافعا له عند السلطان فقبله ورده الى نيابة حلب ثم بلغ السلطان أن خربندا ملك التتر زاحف الى الشأم فجهز العساكر من مصر وتقدم الى عساكر الشأم بأن يجتمعوا معهم بحمص فارتاب قراسنقر وخرج من حلب وعبر الفرات ثم راجع نفسه واستأمن السلطان على أن يقيم بالفرات فأقطعه السلطان الشوبك يقيم بها فلم يفعل وبقى بمكان من الفرات مع مهنا بن عيسى ثم ارتاب جماعة من الامراء فلحقوا به وفيهم أقوش الافرم نائب طرابلس وأمضوا عزمهم على اللحاق بخربندا فوصلوا الى ماردين فتلقاهم صاحبها بالكرامة وحمل اليهم تسعين ألف درهم ورتب لهم الاتاوات ثم ساروا الى خلاط الى أن جاءهم اذن خربندا فساروا اليه واستحثوه للشأم وبلغ الخبر الى السلطان فاتهم الامراء الذين فى خدمته بالشأم بمداخلة قراسنقر وأصحابه فاستدعاهم وعساكرهم وبعث على حلب سيف الدين (بياض بالأصل) مكان قراسنقر وعلى طرابلس بكتمر الساقى مكان أقوش وبعث على العرب فضل بن

عيسى مكان أخيه مهنا ووصل الامراء الى مصر فقبض عليهم جميعا وعلى أقوش الاشرفى نائب دمشق وولى مكانه تنكز الناصرى سنة ثنتى عشرة وجعل له الولاية على سائر الممالك الاسلامية وقبض على نائبه بمصر بيبرس الدوادار وحبسه بالكرك وولى مكانه ارغون الدوادار وعسكر بظاهر القلعة وارتحل بعد عيد الفطر من السنة فلقيه الخبر أثناء طريقه بأن خربندا وصل الى الرحبة ونازلها وانصرف عنها راجعا فانكفأ السلطان الى دمشق وفرق العساكر بالشأم ثم سار الى الكرك واعتزم على قضاء فرضه تلك السنة وخرج حاجا من الكرك ورجع سنة ثلاث عشرة الى الشأم وبعث الى مهنا بن عيسى يستميله وعاد الرسول بامتناعه ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا وأقطعه بالعراق وأقام هنالك فلم يرجع الا بعد مهلك خربندا والله سبحانه وتعالى أعلم

{رجوع حماة الى بنى المظفر شاهنشاه بن أيوب}
{ثم لبنى الافضل منهم وانقراض أمرهم}

قد كان تقدم لنا أن حماة كانت من اقطاع تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أقطعه اياها عمه صلاح الدين بن أيوب سنة أربع وسبعين وخمسمائة فلم تزل بيده الى أن توفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة فأقطعها ابنه ناصر الدين محمدا ولقبه المنصور وتوفى سنة سبع عشرة وستمائة بعد عمه صلاح الدين والعادل فوليها ابنه قلج ارسلان ويلقب الناصر سنة ست وعشرين وكان أخوه المظفر ولى عهد أبيه عند الكامل بن العادل فجهزه بالعساكر من دمشق وملكها من يد أخيه وأقام بها الى أن هلك سنة ثلاث وأربعين وولى ابنه محمد ويلقب المنصور ولم يزل فى ولايتها الى أن سار يوسف بن العزيز ملك الشأم من بنى أيوب هاربا الى مصر أيام التتر فسار معه المنصور صاحب حماة وأخوه الافضل ثم خشى من الترك بمصر فرجع الى هلاكو واستمر المنصور الى مصر فأقام بها وملك هلاكو الشأم وقتل الناصر وسائر بنى أيوب كما مر ثم سار قطز الى الشأم عند مارجع هلاكو عنه عندما شغل عنه بفتنة قومه فارتجعه من ملكة التتر وولى على قواعده وأمصاره ورد المنصور الى حماة فلم يزل واليا عليها وحضر واقعة قلاون على التتر بحمص سنة ثمانين وكان يتردد الى مصر سائر أيامه ويخرج مع البعوث الى بلاد الارمن وغيرها ويعسكر مع ملوك مصر متى طلبوه لذلك ثم توفى سنة ثلاث وثمانين وأقر قلاون ابنه المظفر على ما كان أبوه وجرى هو معهم على سننه الى أن توفى سنة ثمان وتسعين عند ما بويع الناصر محمد بن قلاون بعد لاشين وانقطع عقب المنصور فولى السلطان عليها اقراسنقر من أمراء الترك نقله اليها من الضبينة وأمره باستقرار بنى أيوب وسائر الناس على اقطاعاتهم ثم كان استيلاء قازان على الشأم ورجوعه سنة تسع وتسعين

ومسير بيبرس وسلار وانتزاع الشأم من التتر وكان كيبغا العادل الذى ملك مصر وخلعه لاشين نائبا بصرخد فجلا فى هذه الوقائع وتنصح لبيبرس وسلار وحضر معهم بدمشق فولوه على حماة وغزا بالعساكر بلاد الارمن وحضر هزيمة التتر مع الناصر سنة ثنتين وسبعمائة فرجع الى حماة فمات بها وولى السلطان بعده سيف الدين قفجق استدعاه اليها من اقطاعه بالشوبك وكان الافضل علاء الدين أخو المنصور صاحب حماة توفى أيام أخيه المنصور وخلف ولدا اسمه اسمعيل ولقبه عماد الدين ونشأ فى دولتهم عاكفا على العلم والادب حتى توفر منهما حظه وله كتاب فى التاريخ مشهور ولما رجع السلطان الناصر من الكرك الى كرسيه وسطا ببيبرس وسلار راجع نظره فى الاحسان الى أهل هذا البيت واختار منهم عماد الدين اسمعيل هذا وولاه على حماة مكان قومه ست عشرة وسبعمائة وكان عند رجوعه الى ملكه قد ولى نيابة حلب سيف الدين قفجق وجعل مكانه بحماة ايدمر الكرجى وتوفى قفجق فنقل ايدمر من حماة الى حلب مكانه وولى اسمعيل على حماة كما قلناه ولقبه المؤيد ولم يزل عليها الى أن توفى سنة ثنتين وثلاثين وولى الناصر ابنه الافضل محمد برغبة أبيه الى السلطان فى ذلك ثم مات الملك الناصر فى ذى الحجة سنة احدى وأربعين وقام بعده بالامر مولاه قوص ونصب ابنه أبا بكر محمدا فكان أول شئ أحدثه عزل الافضل من حماة وبعث عليها مكانه صقردمرول النائب وسار الافضل الى دمشق فمات بها سنة اثنتين وأربعين وانقرضت ايالة بنى أيوب من حماة والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه

(غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وآمد)

ثم خرج السلطان سنة ثلاث عشرة فعسكر بالاهرام موريا بالنزهة وقد بلغه ما نزل بالصعيد من عيث العرب وفسادهم فى نواحيه واضرارهم بالسابلة فسرح العساكر فى كل ناحية منه وأخذ الهلاك منهم مأخذه الى   واستباحهم من كل ناحية وشردبهم من خلفهم ثم سرح العساكر سنة أربع عشرة بعدها الى ملطية وهى للارمن وملكها   وسار لذلك تنكز نائب دمشق بعساكر الشأم وستة من أمراء مصر ونازلوها فى محرم سنة خمس عشرة وبها جموع من نصارى الارمن والعربان وقليل من المسلمين تحت الجزية فقاتلوهم حتى ألقوا باليد واقتحموها عنوة واستباحوها وجاؤا بملكها مع الاسرى فأبقاه السلطان وأنعم عليه ثم نمى عنه انه يكاتب ملوك العراق فحبسه ثم بعث السلطان العساكر من حلب سنة خمس عشرة الى عرقية من أعمال آمد ففتحوها وجاءت العساكر سنة سبع عشرة ثانية الى آمد ففتحوها واستباحوها وغنموا منها أموالا جمة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

البياض فى الموضعين بالاصل

(الولايات)

وفى سنة خمس عشرة سخط السلطان سيف الدين تمر نائب طرابلس الذى وليها بعد أقوش الافرم وأمدّه به وسيق معتقلا الى مصر وولى مكانه سيف الدين كستاى ثم هلك فولى مكانه شهاب الدين قرطاى نقله اليها من نيابة حمص وولى نيابة حمص سيف الدين اقطاى ثم قبض سنة ثمان عشرة على طغاى الحسامى من الجاشنكيرية وصرف نائبا الى صفد مكان بكتمر الحاجب ثم سخطه فأحضره معتقلا وحبسه بالاسكندرية وبعث على صفد سيف الدين اقطاى نقله اليها من حمص وبعث على حمص بدر الدين بكتوت القرمانى والله تعالى أعلم

(العمائر)

ابتدأ السلطان سنة احدى عشرة وسبعمائة ببناء الجامع الجديد بمصر وأكمله ووقف عليه الاوقاف المغلة ثم أمر سنة أربع عشرة ببناء القصر الابلق من قصور الملك فجاء من أفخر المصانع الملوكية وفى سنة ثمان عشرة أمر بتوسعة جامع القلعة فهدم ما حوله من المساكن وزيد فيه الى الحد الذى هو عليه بهذا العهد ثم أمر فى سنة ثلاث وعشرين بعمارة القصور لمنازله بسرياقوس وبنى بازائها الخانقاه الكبيرة المنسوبة اليه وفى سنة ثلاث وثلاثين أمر بعمارة الايوان الضخم بالقلعة وجعله مجلس ملكه وبيت كرسيه ودعاه دار العدل والله تعالى أعلم

(حجات السلطان)

وحج الملك الناصر محمد بن قلاون فى أيام دولته ثلاث حجات أوّلا سنة ثلاث عشرة عندما انقرض قراسنقر نائب حلب واقوش الافرم نائب طرابلس ومهنا بن عيسى أمير العرب وجاء خربندا الى الشأم ورجع من الرحبة فسار السلطان من مصر الى الشأم وبلغه رجوع خربندا فسار من هنالك حاجا وقضى فرضه سنة ثلاث عشرة ورجع الى الشأم ثم حج الثانية سنة تسع عشرة ركب اليها من مصر فى أواخر ذى القعدة ومعه المؤيد صاحب حماة والامير محمد ابن أخت علاء الدين ملك الهند صاحب دلى ولما قضى حجه انطلق الامير محمد ابن أخت علاء الدين من هنالك الى الهند على اليمن ورجع الى مصر فأفرج عن رميثة أمير مكة من بنى حسن وعن المعتقلين بمحبسه ووصله ووصلهم ثم حج الثالثة سنة ثنتين وثلاثين ومعه الافضل بن المؤيد صاحب حماة على عادة أبيه فى مراكبة السلطان وقفل من حجه سنة ثلاث وثلاثين فأمر بعمل باب الكعبة مصفحا بالفضة أنفق فيه خمسة وثلاثين ألف درهم وفى منصرفه من هذه الحجة مات بكتمر الساقى

من أعظم أمرائه وخواصه ويقال انه سمه وهو من مماليك بيبرس الجاشنكير وانتقل الى الناصر فجعله أمير السقاة وعظمت منزلته عنده واطفت خلته حتى كانا لا يفترقان اما فى بيت السلطان واما فى بيته وكان حسن السياسة فى الغاية وخلف بعد وفاته من الاموال والجواهر والذخائر ما يفوت الحصر والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

(أخبار النوبة واسلامهم)

قد تقدّم لنا غزو الترك الى النوبة أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاون لما كان عليهم من الجزية التى فرضها عمرو بن العاصى عليهم وقرّرها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها أو يمتنعون من أدائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلة أيام سارت العساكر من عند قلاون اليها سنة ثمانين وستمائة واسمه سمامون ثم كان ملكهم لهذا العهد اسمه آى لا أدرى أكان معاقبا لسمامون أو توسط بينهما متوسط وتوفى آى سنة ست عشرة وسبعمائة وملك بعده فى دنقلة أخوه كربيس ثم نزع من بيت ملوكهم رجل الى مصر اسمه نشلى وأسلم فحسن اسلامه وأجرى له رزقا وأقام عنده فلما كانت سنة ست عشرة امتنع كربيس من أداء الجزية فجهز السلطان اليه العساكر وبعث معها عبد الله نشلى المهاجر الى الاسلام من بيت ملكهم فخام كربيس عن لقائهم وفرّ الى بلد الابواب ورجعت العساكر الى مصر واستقرّ نشلى فى ملك النوبة على حاله من الاسلام وبعث السلطان الى ملك الابواب فى كربيس فبعث به اليه وأقام بباب السلطان ثم ان أهل النوبة اجتمعوا على نشلى وقتلوه بممالأة جماعة من العرب سنة تسع وبعثوا عن كربيس ببلد الابواب فألفوه بمصر وبلغ الخبر الى السلطان فبعثه الى النوبة فملكها وانقطعت الجزية باسلامهم ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها وملؤها عيثا وفسادا وذهب ملوك النوبة الى مدافعتهم فعجزوا ثم ساروا الى مصانعتهم بالصهر فافترق ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الاعاجم فى تمليك الاخت وابن الاخت فتمزق ملكهم واستولى اعراب جهينة على بلادهم وليس فى طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع من انقياد بعضهم الى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد ولم يبق لبلادهم رسم للملك وانما هم الآن رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادى الاعراب ولم يبق فى بلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام والله غالب على أمره والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(بقية أخبار الارمن الى فتح اياس ثم فتح سيس وانقراض أمرهم)

قد كنا قدمنا أخبار الارمن الى قتل ملكهم هيثوم على يد ايدغدى شحنة التتر ببلاد الروم سنة سبع واستقرار الملك بسيس لاخيه أوسير بن ليعون وكان بينه وبين قزمان ملك التركمان مصاف سنة تسع عشرة فهزمه قزمان ولم يزل أوسير بن ليعون ملكا عليهم الى سنة اثنتين وسبعين فهلك ونصبوا للملك بعده ابنه ليعون صغيرا ابن ثنتى عشرة سنة وكان الناصر قد طلب أوسير أن ينزل له عن القلاع التى تلى الشأم فامتنع وجهز اليه عساكر الشأم فاكتسحوا بلاده وخربوها وهلك أوسير على اثر ذلك ثم أمر الناصر كيتبغا نائب حلب بغزو سيس فدخل اليها بالعساكر سنة ست وثلاثين واكتسح جهاتها وحصر قلعة النقير وافتتحها وأسر من الارمن عدة يقال بلغوا الثمانمائة وبلغ خبرهم الى النصارى باياس فثاروا بمن عندهم من المسلمين وأحرقوهم غضبا للارمن لمشاركتهم فى دين النصرانية ولم يلبث أن بعث الى السلطان دمرداش بن جوبان شحنة المغل ببلاد الروم يعرفه بدخوله فى الاسلام ويستنفر عساكره لجهاد نصارى الارمن فأسعفه بذلك وجهز اليه عساكر الشأم من دمشق وحلب وحماة سنة سبع وثلاثين ونازلوا مدينة اياس ففتحوها وخربوها ونجا فلهم الى الجبال فاتبعتهم عساكر حلب وعادوا الى بلادهم ثم سار سنة احدى وستين بيدمر الخوارزمى نائب حلب لغزو سيس ففتح أذنة وطرسوس والمصيصة ثم قلعتى كلال والجريدة وسنباط كلا وتمرور وولى نائبين فى أذنة وطرسوس وعاد الى حلب وولى بعده على حلب عشقيم النصارى فسار سنة ست وسبعين وحصر سيس وقلعتها شهرين الى أن نفدت أقواتهم وجهدهم الحصار فاستأمنوا ونزلوا على حكمه فخرج ملكهم التكفور وأمراؤه وعساكره الى عشقيم فبعث بهم الى مصر واستولى المسلمون على سيس وسائر قلاعها وانقرضت منها دولة الارمن والبقاء لله وحده انتهى

(الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم)

كان للتتر دولتان مستفحلتان احداهما دولة بنى هلاكو آخذ بغداد والمستولى على كرسى الاسلام بالعراق وأصارها هو وبنوه كرسيا لهم ولهم مع ذلك عراق العجم وفارس وخراسان وماوراء النهر ودولة بنى دوشى خان بن جنكزخان بالشمال متصلة الى خوارزم بالمشرق الى القرم وحدود القسطنطينية بالجنوب والى أرض بلغار بالمغرب وكان بين الدولتين فتن وحروب كما تحدث بين الدول المتجاورة وكانت دولة الترك بمصر والشأم مجاورة لدولة بنى هلاكو وكانوا يطمعون فى ملك الشأم ويرددون الغزو اليه مرة بعد أخرى ويستميلون أولياءهم وأشياعهم من العرب والتركمان فيستظهرون بهم عليهم كما رأيت ذلك فى أخبارهم وكانت بين ملوكهم من الجانبين وقائع متعددة

وحروبهم فيها سجال وربما غلبوا من الفتنة بين دولة دوشى وبين بنى هلاكو ولبعدهم عن فتنة بنى دوشى خان لتوسط الممالك بين مملكتهم ومملكة مصر والشأم فتقع لهم الصاغية اليهم وتتجدد بينهم المراسلة والمهاداة فى كل وقت ويستحث ملك الترك ملك صراى من بنى دوشى خان لفتنة بنى هلاكو والاجلاب عليهم فى خراسان وما اليها من حدود مملكتهم ليشغلوهم عن الشأم ويأخذوا بحجزتهم عن النهوض اليه ومازال ذلك دأبهم من أول دولة الترك وكانت رغبة بنى دوشى خان فى ذلك أعظم يفتخرون به على بنى هلاكو ولما ولى صراى ازبك من بنى دوشى خان سنة ثلاث عشرة وكان نائبا ببلاد الروم قطلغمير وفدت عليه الرسل من مصر على العادة فعرض لهم قطلغمير بالصهر مع السلطان الناصر ببعض نساء ذلك البيت على شريطة الرغبة من السلطان فى ظاهر الامر والتمهل منهم فى امضاء ذلك وزعموا ان هذه عادة الملوك منهم ففعل السلطان ذلك وردد الرسل والهدايا أعواما ستة الى أن استحكم ذلك بينهم وبعثوا اليه بمخطوبته طلبناش بنت طغاجى بن هندو ابن بكر بن دوشى سنة عشرين مع كبير المغل وكان مقلدا يحمل على الاعناق ومعهم جماعة من أمرائهم وبرهان الدين امام ازبك ومروا بالقسطنطينية فبالغ لشكرى فى كرامتهم يقال انه أنفق عليهم ستين ألف دينار وركبوا البحر من هنالك الى الاسكندرية ثم ساروا بها الى مصر محمولة على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يجرها كديش يقوده اثنان من مواليها فى مظهر عظيم من الوقار والتجلة ولما قاربوا مصر ركب للقائهم النائبان ارغون وبكتمر الساقى فى العساكر وكريم الدين وكيل السلطان وأدخلت الخاتون الى القصر واستدعى ثالث وصولها القضاة والفقهاء وسائر الناس على طبقاتهم الى الجامع بالقلعة وحضر الرسل الوافدون عندهم بعد ان خلع عليهم وانعقد النكاح بين وكيل السلطان ووكيل ازبك وانفض ذلك الجمع وكان يوما مشهودا ووصلت رسل أبى سعيد صاحب بغداد والعراق سنة ثنتين وعشرين وفيهم قاضى توريز يسألون الصلح وانتظام الكلمة واجتماع اليد على اقامة معالم الاسلام من الحج واصلاح السابلة وجهاد العدو فأجاب السلطان الى ذلك وبعث سيف الدين ايتمش المحمدى لاحكام العقد معهم وامتضاء ايمانهم فتوجه لذلك بهدية سنية وعاد سنة ثلاث وعشرين ومعه رسل أبى سعيد ومعه جوبان لمثل ذلك فتم ذلك وانعقد بينهم وقد كانت قبل ذلك تجددت الفتنة بين أبى سعيد وصاحب صراى نفرة من ازبك صاحب صراى من تغلب جوبان على أبى سعيد وفتكه فى المغل وكانت بين جوبان وبين سبول صاحب خوارزم وماوراء النهر فتنة ظهر فيها ازبك وأمده بالعساكر فاستولى ازبك على أكثر بلاد خراسان وطلب من

الناصر بعد الالتحام بالصهر المظاهرة على أبى سعيد وجوبان فأجابه الى ذلك ثم بعث اليه أبو سعيد فى الصلح كما قلناه فآثره وعقد له وبلغ الخبر الى ازبك وبسل الناصر عنده فأغلظ فى القول وبعث بالعتاب واعتذر له الناصر بأنهم انما دعوه لاقامة شعائر الاسلام ولا يسع التخلف عن ذلك فقبل ثم وقعت بينه وبين أبى سعيد مراوضة فى الصلح بعد ان استرد جوبان ما ملكه ازبك من خراسان فتوادع كل هؤلاء الملوك واصطلحوا ووضعوا أوزار الحرب حينا من الدهر الى أن تقلبت الاحوال وتبدلت الامور والله مقلب الليل والنهار

(مقتل أولاد بنى نمى أمراء مكة من بنى حسن)

قد تقدم لنا استيلاء قتادة على مكة والحجاز من يد الهواشم واستقرارها لبنيه الى أن استولى منهم أبو نمى وهو محمد بن أبى سعيد على بن قتادة ثم توفى سنة ثنتين وسبعمائة وولى مكانه ابناه رميثة وخميصة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث ولما حج الاميران كافلا المملكة بيبرس وسلار هربا اليهما من مكان اعتقالهما وشكاما نالهما من رميثة وخميصة فأشكاهما الاميران واعتقلا رميثة وخميصة وأوصلاهما الى مصر وولما عطيفة وأبا الغيث وبعثا بهما الى السلطان صحبة الامير ايدمر الكوكبى الذى جاء بالعساكر معهما ثم رضى السلطان عنهما وولاهما مكان رميثة وخميصة وبعث معهما العساكر ثانيا سنة ثلاث عشرة وفر رميثة وخميصة عن البلاد ورجع العسكر وأقام أبو الغيث وعطيفة فرجع اليهما رميثة وخميصة وتلاقوا فانهزم ابو الغيث وعطيفة فصارا الى المدينة فى جوار منصور بن جماد فأمدهما ببنى عقبة وبنى مهدى ورجع الى حرب رميثة وخميصة فاقتتلوا ثانيا ببطن مرو فانهزم أبو الغيث وقتل واستمر رميثة وخميصة ولحق بهما أخوهما عطيفة وسار معهما ثم تشاجروا سنة خمس عشر ولحق رميثة بالسلطان مستعديا على أخويه فبعث معه العساكر ففر خميصة بعد ان استصفى أهل مكة وهرب الى السبعة مدن ولحقته العساكر فاستلحق أهل تلك المدن ولقيهم فانهزموا ونجا خميصة بنفسه ثم رجعت العساكر فرجع وبعث رميثة يستنجد السلطان فبعث اليه العساكر ففر خميصة ثم رجع واتفق مع أخويه رميثة وعطيفة ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة وبعث معه العساكر فقبضوا على رميثة وأوصلوه معتقلا فسجن بالقلعة واستقر عطيفة بمكة وبقى خميصة شريدا ثم لحق بملك التتر ملك العراق خربندا واستنجده على ملك الحجاز فانجده بالعساكر وشاع بين الناس انه داخل الروافض الذين عند خربندا فى اخراج الشيخين من قبريهما وعظم ذلك على الناس واقيه محمد بن عيسى أخو مهنا حسبة وامتعاضا للدين وكان عند

خربندا فاتبعه واعترضه وهزمه ويقال انه أخذ منه المعاول والفؤوس التى أعدوها لذلك وكان سببا لرضا السلطان عنه وجاء خميصة الى مكة سنة ثمانى عشرة وبعث الناصر العساكر اليه فهرب وتركها ثم أطلق رميثة سنة تسع عشرة فهرب الى الحجاز ومعه وزيره على بن هنجس فرد من طريقه واعتقل وأفرج عنه السلطان بعد مرجعه من الحج سنة عشرين ثم ان خميصة استأمن السلطان سنة عشرين وكان معه جماعة من المماليك هربوا اليه فخافوا أن يحضروا معه الى السلطان فاغتالوه وحضروا وكان السلطان قد أطلق رميثة من الاعتقال فامكنه منهم فثأر من المباشر قتل أخيه وعفا عن الباقين ثم صرف السلطان رميثة الى مكة وولاه مع أخيه عطيفة واستمرت حالهما ووفد عطيفة سنة احدى وعشرين على الابواب ومعه قتادة صاحب الينبع يطلب الصريخ على ابن عمه عقيل قاتل ولده فأجابه السلطان وجهز العساكر لصريخه وقويل كل منهما بالاكرام وانصرفوا وفى سنة احدى وثلاثين وقعت الفتنة بمكة وقتل العبيد جماعة من الامراء والترك فبعث السلطان ايدغمش ومعه العساكر فهرب الشرفاء والعبيد وحضر رميثة وبذل الطاعة وحلف متبرئا مما وقع فقبل منه السلطان وعفا له عنها واستمرت حاله على ذلك الى أن هلك سنة   وتداولت الامارة بين ابنيه عجلان وبقية ثم استبد عجلان كما نذكره فى أخبارهم وورثها بنوه لهذا العهد كما نذكره مرتبا فى أخبارهم ان شاء الله تعالى

(حج ملك التكرور)

كان ملك السودان بصحراء المغرب فى الاقليم الاول والثانى منقسما بين أمم من السودان أولهم مما يلى البحر المحيط امة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا فى الاسلام أيام الفتح وذكر صاحب كتاب رجار فى الجغرافيا ان بنى صالح من بنى عبد الله بن الحسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم ولم يقع الينا فى تحقيق هذا الخبر أكثر من هذا وصالح من بنى حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لاحد غير صوصو ثم يلى أمة صوصو أمة مالى من شرقهم وكرسى ملكهم بمدينة بنى ثم من بعدهم شرقا عنهم أمة كوكو ثم التكرور بعدهم وفيما بينهم وبين النوبة أمة كانم وغيرها وتحولت الاحوال باستمرار العصور فاستولى أهل مالى على ماوراءهم وبين أيديهم من بلاد صوصو وكوكو وآخرما استولوا عليه بلاد التكرور واستفحل ملكهم الى الغاية وأصبحت مدينتهم بنى حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا فى دين الاسلام منذ حين من السنين وحج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم برمندار وسمعت فى ضبطه من بعض فضلائهم برمندانه وسبيله فى الحج هى التى اقتفاها ملوكهم من بعده

قوله كما نذكره هذا قد تقدم فى الجزء الرابع مفصلا مع اختلاف يسير فى بعض الاسماء اه مصححه

بياض بالاصل

ثم حج منهم منساولى بن مارى جاطة أيام الظاهر بيبرس وحج بعده منهم مولاهم صاكوره وكان تغلب على ملكهم وهو الذى افتتح مدينة كوكو ثم حج أيام الناصر وحج من بعده منهم منساموسى حسبما ذلك مذكور فى أخبارهم عند دول البربر عند ذكر صنهاجة ودولة لمتونة من شعوبهم ولما خرج منساموسى من بلاد المغرب للحج سلك على طريق الصحراء وخرج عند الاهرام بمصر وأهدى الى الناصر هدية حفيلة يقال ان فيها خمسين ألف دينار وأنزله بقصر عند القرافة الكبرى وأقطعه اياها واقمه السلطان بمجلسه وحدثه ووصله وزوده وقرب اليه الخيل والهجن وبعث معه الامراء يقومون بخدمته الى أن قضى فرضه سنة أربع وعشرين ورجع فأصابته فى طريقه بالحجاز نكبة تخلصه منها أجله وذلك أنه ضل فى الطريق عن المحمل والركب وانفرد بقومه عن العرب وهى كلها مجاهل لهم فلم يهتدوا الى عمران ولا وقفوا على مورد وساروا على السمت الى أن نفذوا عند السويس وهم يأكلون لحم الحيتان اذا وجدوها والاعراب تتخطفهم من اطرافهم الى أن خلصوا ثم جدد السلطان له الكرامة ووسع له فى الحباء وكان أعد لنفقته من بلاده فيما يقال مائة حمل من التبر فى كل حمل ثلاثة قناطير فنفدت كلها وأعجزته النفقة فاقترض من أعيان التجار وكان فى صحبته منهم بنو الكويك فاقرضوه خمسين ألف دينار وابتاع منهم القصر الذى أقطعه السلطان وأمضى له ذلك وبعث سراج الدين بن الكويك معه وزيره يرد له منه ما أقرضه من المال فهلك هنالك وأتبعه سراج الدين آخرا بابنه فمات هنالك وجاء ابنه فخر الدين أبو جعفر بالبعض وهلك منساموسى قبل وفاته فلم يظفروا منه بشئ انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(انجاد المجاهد ملك اليمن)

قد تقدم لنا استبداد على بن رسول فى ملك بعد مهلك سيده يوسف اتسز بن الكامل بن العادل بن ايوب ويلقب المسعود وكان على بن رسول استاذداره ومستوليا على دولته فلما هلك سنة ست وعشرين وستمائة نصب ابن رسول ابنه موسى الاشرف للملك وكفله قريبا واستولى ابن رسول وأورث ملكه باليمن لبنيه لهذا العهد وانتقل الامر للمجاهد منهم على ابن داود والمؤيد بن يوسف المظفر بن عمر بن المنصور بن على بن رسول سنة احدى وعشرين وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه الاشرف فظهر عليه المجاهد واعتقله ثم انتقض عليه عمه المنصور سنة ثلاث وعشرين وحبسه وأطلق من محبسه واعتقل عمه المنصور وكان عبد الله الظاهر بن المنصور قائما بأمر أبيه ومنازلة المجاهد سنة أربع وعشرين بالصريخ الى الناصر سليمان الترك بمصر وكان هو وقومه

يعطونهم الطاعة ويبعثون اليهم الاتاوة من الاموال والهدايا وطرف اليمن وماعونه فجهز لهم الناصر صحبة بيبرس الحاجب وطينال من أعظم أمرائه فساروا الى اليمن ولقيهم المجاهد بعدن فأصلحوا بين الفريقين على أن تكون ويستقر المجاهد فى سلطانه باليمن ومالوا على كل من كان سببا فى الفتنة فقتلوهم ودوخوا اليمن وحملوا أهله على طاعة المجاهد ورجعوا الى محلهم من الابواب السلطانية والله تعالى ولى التوفيق

بياض بالأصل

(ولاية أحمد بن الملك الناصر على الكرك)

ولما استفحل ملك السلطان الناصر واستمر وكثر ولده طمحت نفسه الى ترشيح ولده لتقر عينه بملكهم فبعث كبيرهم أحمد الى قلعة الكرك سنة ست وعشرين ورتب الامراء المقيمين بوظائف السلطان فسار الى الكرك وأقام بها أربع سنين ممتعا بالملك والدولة وأبوه قرير العين بامارته فى حياته ثم استقدمه سنة ثلاثين وأقام فيه سنة الختان واحتفل فى الصنيع له وختن معه من أبناء الامراء والخواص جماعة انتقاهم ووقع اختياره عليهم ثم صرفه الى مكان امارته بالكرك فأقام بها الى أن توفى الملك الناصر وكان ما نذكره والله تعالى أعلم

(وفاة دمرداش بن جوبان شحنة بلاد الروم ومقتله)

كان جوبان نائب مملكة التتر مستوليا على سلطانه أبى سعيد بن خربندا الصغره وكانت حاله مع أبيه خربندا قريبا من الاستيلاء فولى على مملكة بلاد الروم دمرداش ثم وقعت الفتنة بينهم وبين ملك الشمال أزبك من بنى دوشى خان على خراسان وسار جوبان من بغداد سنة تسع وعشرين لمدافعته كما يأتى فى أخبارهم وترك عند السلطان أبى سعيد ببغداد ابنه خواجا دمشق فسعى به أعداؤه وانهوا عنه قبائح من الافعال لم يحتملها له سلطانه وقتله وبلغ الخبر الى أبيه جوبان فانتقض وعاجله أبو سعيد بالمسير الى خراسان فتفرقت عنه أصحابه وفر فأدرك بهراة وقتل وأذن السلطان أبو سعيد لاهله أن ينقلوه الى التربة التى اختطها بالمدينة النبوية لدفنه فاحتملوه ولم يتوقفوا على اذن صاحب مصر فمنعهم صاحب المدينة ودفنوه بالبقيع ولما بلغ الخبر بقتله الى ابنه دمرداش فى امارته ببلاد الروم خشى على نفسه فهرب الى مصر وترك مولاه ارتق مقيما الامر البلد وأنزله بسيواس ولما وصل الى دمشق وركب النائب لتلقيه وسار معه الى مصر فأقبل عليه السلطان وأحله محل الكرامة وكان معه سبعة من الامراء ومن العسكر نحو ألف فارس فأكرمهم السلطان وأجرى عليهم الارزاق وأقاموا عنده

وجاءت على اثره رسل السلطان أبى سعيد وطلبه بذمة الصلح الذى عقده مع الملك الناصر وأوضحوا العلم السلطان من فساد طويته وطوية أبيه جوبان وسعيهم فى الارض بالفساد مما أوجب اعطاءه باليد وشرط السلطان عليهم امضاء حكم الله تعالى فى قراسنقر نائب حلب الذى كان فر سنة ثنتى عشرة مع أقوش الافرم الى خربندا وأغروه بملك الشأم ولم يتم ذلك وأقاموا عند خربندا وولى أقوش الافرم على همذان فمات بها سنة ست عشرة فولى صاحبه قراسنقر مكانه بهمذان فلما شرط عليهم السلطان قتله كما قتل دمرداش أمضوا فيه حكم الله تعالى وقتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد فى الارض والله متولى جزائهم ثم وصل على اثر ذلك ابن السلطان أبى سعيد ومعه جماعة من قومه فى تأكيد الصلح والاصهار من السلطان فقوبلوا بالكرامة التى تليق بهم واتصلت المراسلة والمهاداة بين هذين السلطانين الى أن توفيا والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشأم وأخبار قومه)

هذا الحى من العرب يعرفون بآل فضل رحالة ما بين الشأم والجزيرة وتربة نجد من أرض الحجاز يتقلبون بينها فى الرحلتين وينتسبون فى طيئ ومعهم أحياء من زبيد وكلب وهذيل ومذحج احلاف لهم ويناهضهم فى الغلب والعدد آل مراد يزعمون أن فضلا ومرادا أبناء ربيعة ويزعمون أيضا أن فضلا ينقسم ولده بين آل مهنا وآل على وان آل فضل كلهم بأرض حوران فغلبهم عليها آل مراد وأخرجوهم منها فنزلوا حمص ونواحيها واقامت زبيد من احلافهم بحوران فهم بها حتى الآن لا يفارقونها قالوا ثم اتصل آل فضل بالدول السلطانية وولوهم على أحياء العرب وأقطعوهم على اصلاح السابلة بين الشأم والعراق فاستظهروا برياستهم على آل مراد وغلبوهم على المشاتى فصار عامة رحلتهم فى حدود الشأم قريبا من التلول والقرى لا ينجعون الى البرية الا فى الاقل وكانت معهم أحياء من افاريق العرب مندرجون فى لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزبيد كما كان آل فضل الآن أكثر من كان مع آل مراد من أولئك الاحياء وأوفرهم عدة بنو حارثة بن سنبس احدى شعوب طيئ هكذا ذكر لى الثقة عندى من رجالتهم وبنو حارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد فى تلول الشأم لا يجاوزونها الى العمران ورياسة آل فضل لهذا العهد لبنى مهنا وينسبونه هكذا مهنا بن مانع ابن جديلة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن على بن مفرج بن بدر بن سالم ابن جصة بن بدر بن سميع ويقفون عند سميع ويقول رعاؤهم ان سميعا هذا هو الذى ولدته العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكى وحاشى لله من هذه المقالة فى الرشيد وأخته وفى

انتساب كبراء العرب من طيئ الى موالى العجم من بنى برمك وانسابهم ثم ان الوجدان يحيل رياسة هؤلاء على هذا الحى ان لم يكونوا من نسبتهم وقد تقدم مثل ذلك فى مقدمة الكتاب وكان مبدأ رياستهم من أول دولة بنى أيوب قال العماد الاصبهانى فى كتاب البرق السامى نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب فى جموع كثيرة انتهى وكانت الرياسة قبلهم لعهد الفاطميين لبنى جراح من طيئ وكان كبيرهم مفرج بن دغفل بن جراح وكان من اقطاعه الرملة وهو الذى قبض على افتكين مولى بنى بويه لما انهزم مع مولاه بختيار بالعراق وجاء به الى المعز فأكرمه ورقاه فى دولته ولم يزل شان مفرج هكذا وتوفى سنة أربع وأربعمائة وكان من ولده حسان ومحمود وعلى وجران وولى حسان بعده وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين نفرة واستجاشة وهو الذى هدم الرملة وهزم قائدهم هاروق التركى وقتله وسبى نساءه وهو الذى مدحه التهامى وقد ذكر المسبحى وغيره من مؤرخى دولة العبيديين فى قرابة حسان بن مفرج فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح وأخاه بدر بن ربيعة ولعل فضلا هذا هو جد آل فضل وقال ابن الاثير وفضل بن ربيعة بن حازم كان آباؤه أصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الافرنج وتارة مع خلفاء مصر ونكره لذلك طغركين اتابك دمشق وكافل بنى تتش وطرده من الشأم فنزل على صدقة بن مزيد وحالفه ووصله حين قدم من دمشق بتسعة آلاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملك شاه سنة خمسمائة وما بعدها ووقعت بينهما الفتنة اجتمع فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض أمراء التركمان كانوا أولياء صدقة فساروا فى الطلائع بين يدى الحرب وهربوا الى السلطان فأكرمهم وخلع عليهم وأنزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن مزيد ببغداد حتى اذا سار السلطان لقتال صدقة استأذنه فضل فى الخروج الى البرية ليأخذ بحجزة صدقة فأذن له وعبر الى الانبار ولم يرجع للسلطان بعدها انتهى كلام ابن الاثير ويظهر من كلامه وكلام المسبحى ان فضلا هذا وبدرا من ال جراح من غير شك ويظهر من سياقة هؤلاء نسبهم ان فضلا هذا هو جدهم لانهم ينسبونه فضل بن على بن مفرج وهو عند الآخرين فضل بن على بن جراح فلعل هؤلاء نسبوا ربيعة الى مفرج الذى هو كبير بنى الجراح لطول العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية الغفل وأما نسبة هذا الحى فى طيئ فبعضهم يقول ان الرياسة فى طيئ كانت لاياس بن قبيصة من بنى سنبس بن عمرو بن الغوث بن طيئ واياس هو الذى ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر عندما قتل النعمان بن المنذر وهو الذى صالح خالد بن الوليد على الحيرة ولم تزل الرياسة على طيئ

فى بنى قبيصة هؤلاء صدرا من دولة الاسلام فلعل آل فضل هؤلاء وآل الجراح من أعقابهم وان كان انقرض أعقابهم فهم من أقرب الحى اليه لان الرياسة فى الاحياء والشعوب انما تتصل فى أهل العصبية والنسب كما مر أول الكتاب وقال ابن حزم عند ماذكر أنساب طيئ انهم لما خرجوا من اليمن نزلوا أجا وسلمى وأوطنوهما وما بينهما ونزل بنو اسد ما بينهما وبين العراق وفضل كثير منهم وهم بنو خارجة بن سعد بن من طيئ ويقال لهم جديلة نسبة الى أمهم بنت تيم الله وحبيش والاسعد اخوتهم رحلوا عن الجبلين فى حرب الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طيئ وأوطنوا تلك البلاد الابنى رمان ابن جندب بن خارجة بن سعد فانهم أقاموا بالجبلين فكان يقال لاهل الجبلين الجبليون ولاهل حلب وحاضر طيئ من بنى خارجة السهليون انتهى فلعل هذه أحياء الذين بالشأم من بنى الجراح وآل فضل من بنى خارجة هؤلاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا الى حلب وحاضر طيئ لان هذا الموطن أقرب الى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بنى الجراح بفلسطين من جبل اجا وسلمى اللذين هما موطن الآخرين والله أعلم أى ذلك يصح من انسابهم ولنرجع الآن الى سرد الخبر عن رياسة آل فضل أهل هذا البيت منذ دولة بنى أيوب فنقول كان الامير منهم لعهد بنى أيوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام العادل كما قلناه ونقلناه عن العماد الاصبهانى الكاتب ثم كان بعده حسام الدين مانع ابن حديثة بن غضية بن فضل وتوفى سنة ثلاثين وستمائة وولى عليهم بعده ابنه مهنا ولما ارتجع قطز ثالث ملوك الترك بمصر وملك الشأم من يد التتر وهزم عسكرهم بعين جالوت أقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن المظفر بن شاهنشاه صاحب حماة ولم أقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولى الظاهر على أحياء العرب بالشأم عندما استفحل أمر الترك وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم لبغداد فولى على العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له الاقطاعات على حفظ السابلة وحبس ابن عمه زامل بن على بن ربيعة من آل على لاعناته واعراضه ولم يزل أميرا على أحياء العرب وصلحوا فى أيامه لانه خالف أباه فى الشدة عليهم وهرب اليه سنقر الاشقر سنة تسع وتسعين وكاتبوا ابغا واستحثوه لملك الشأم وتوفى عيسى بن مهنا سنة أربع وثمانين فولى المنصور قلاون بعده ابنه مهنا ثم سار الاشرف بن قلاون الى الشأم ونزل حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى فى جماعة من قومه فقبض عليه وعلى ابنه موسى وأخويه محمد وفضل ابنى عيسى بن مهنا وبعث بهم الى مصر فحبسوا بها حتى أفرج عنهم العادل كتبغا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين ورجع الى امارته ثم كان له فى أيام الناصر نفرة واستجاشة وميل الى ملوك التتر بالعراق ولم يحضر شيأ من وقائع

غازان ولما انتقض سنقر وأقوش الافرم وأصحابهما سنة ثنتى عشرة وسبعمائة لحقوا به وساروا من عنده الى خربندا واستوحش هو من السلطان وأقام فى أحيائه منقبضا عن الوفادة ووفد أخوه فضل سنة ثنتى عشرة فرعى له حق وفادته وولاه على العرب مكان أخيه مهنا وبقى مهنا مشردا ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا ملك التتر فأكرمه وأقطعه بالعراق وهلك خربندا فى تلك السنة فرجع الى أحيائه وأوفد ابنيه أحمد وموسى وأخاه محمد بن عيسى مستعتبين للناصر ومتطارحين عليه فأكرم وفادتهم وأنزلهم بالقصر الابلق وشملهم بالاحسان وأعتب مهنا ورده على امارته واقطاعه وذلك سنة سبع عشرة وحج هذه السنة ابنه عيسى وأخوه محمد وجماعة من آل فضل اثنا عشر ألف راحلة ثم رجع مهنا الى ديدنه فى ممالأة التتر والاجلاب على الشأم واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخطه قومه أجمع وكتب الى نواب الشأم سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وادال منهم آل على عديدة نسبهم وولى منهم على أحياء العرب محمد بن أبى بكر وصرف اقطاع مهنا وولده الى محمد وولده فأقام مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع الافضل بن المؤيد صاحب حماة متوسلا به ومتطارحا على السلطان فاقبل عليه ورد عليه اقطاعه وامارته وذكر لى بعض أكابر الامراء بمصر ممن ادرك وفادته أو حدث عنها أنه تجافى فى هذه الوفادة عن قبول شئ من السلطان حتى انه ساق من النياق المحلوبة واستقاها وانه لم يغش باب أحد من أرباب الدولة ولا سألهم شيأ من حاجته ثم رجع الى أحيائه وتوفى سنة أربع وثلاثين فولى ابنه مظفر الدين موسى وتوفى سنة اثنين وأربعين عقب مهلك الناصر وولى مكانه أخوه سليمان ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولى مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفى سنة أربع وأربعين بالقدس ودفن عند قبر خالد بن الوليد رضى الله عنه وولى مكانه أخوه سيف بن فضل ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر سنة ست وأربعين وولى مكانه مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن مهنا ولقيه فياض بن مهنا فانهزم سيف ثم ولى السلطان حسين بن الناصر فى دولته الاولى وهو فى كفالة بيقاروس أحمد بن مهنا فسكنت الفتنة بينهم ثم توفى سنة تسع وأربعين فولى مكانه أخوه فياض وهلك سنة ثنتين وستين فولى مكانه أخوه خيار بن مهنا ولاه حسين بن الناصر فى دولته الثانية ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام سنتين بالقفر ضاحيا الى أن شفع فيه نائب حماة فأعيد الى امارته ثم انتقض سنة سبعين فولى السلطان الاشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى وجاء الى نواحى حلب واجتمع اليه بنو كلاب وغيرهم وعاثوا فى البلاد وعلى حلب يومئذ قشتمر المنصورى فبرز اليهم وانتهى الى محيهم واستاق نعمهم

وتخطى الى الخيام فاستماتوا دونها وهزموا عساكره وقتل قشمر وابنه فى المعركة وتولى بيده وذهب الى القفر منتقضا فولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى ثم بعث معيقل صاحبه سنة احدى وسبعين يستأمن لخيار فأمنه ثم وفد خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضى عنه السلطان فأعاده الى امارته ثم توفى سنة سبع وسبعين فولى أخوه قارة الى أن توفى سنة احدى وثمانين فولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن مهنا شريكين فى امارتهما ثم عزلا لسنة من ولايتهما وولى بصير بن جبار بن مهنا واسمه محمد وهو لهذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحياء طيئ والله تعالى أعلم

(وفاة أبى سعيد ملك العراق وانقراض أمر بنى هلاكو)

ثم توفى أبو سعيد ملك العراق من التتر ابن خربندا ابن ارغو بن ابغا بن هلاكو بن طولى خان بن جنكزخان سنة ست وثلاثين وسبعمائة لعشرين سنة من ملكه ولم يعقب فانقرض بموته ملك بنى هلاكو وصار الامر بالعراق لسواهم وافترق ملك التتر فى سائر ممالكهم كما نذكر فى أخبارهم ولما استبد ببغداد الشيخ حسن من أسباطهم كثر عليه المنازعون فبعث رسله الى الناصر قبل وفاته يستنجده على أن يسلم له بغداد و يعطى الرهن فى العساكر حتى يقضى بها فى أعدائه فاجابه الناصر الى ذلك ثم توفى قريبا فلم يتم والامر لله وحده

(وصول هدية ملك المغرب الاقصى مع رسله وكريمته صحبة الحاج)

كان ملك بنى مرين بالمغرب الاقصى قد استفحل لهذا العصر وصار للسلطان ابى الحسن على ابن السلطان أبى سعيد عثمان بن السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق جد ملوكهم وأسف الى ملك جيرانهم من الدول فزحف الى المغرب الاوسط وهو فى ملكة بنى عبد الواد اعداء قومه من زناتة ومالكهم أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو موسى ابن أبى سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان جد ملوكهم أيضا وكرسيه تلمسان سبعة وعشرين شهرا ونصب عليها المجانيق وادار بالاسوار سياجا المنع وصول الميرة والاقوات اليها وتقرى أعمالها بلدا بلدا فملك جميعها ثم افتتحها عنوة آخر رمضان سنة سبع وثلاثين ففض جموعها وقتل سلطانها عند باب قصره كما نذكره فى أخبارهم ثم كتب للملك الناصر صاحب مصر يخبره بفتحها وزوال العائق عن وفادة الحاج وانه ناظر فى ذلك بما يسهل سبيلهم ويزيل عللهم وكانت كريعة من كرائم ابيه السلطان أبى سعيد ومن أهل فراشه قد اقتضت منه الوعد بالحج عند ما ملك تلمسان فلما فتحها

وأذهب عدوه منها جهز تلك المرأة للحج بما يناسب قرابتها منه وجهز معها للملك الناصر صاحب مصر هدية فخمة مشتملة على خمسمائة من الجياد المغربيات بعدتها وعدة فرسانها من السروج واللجم والسيوف وظرف المغرب وماعونه من شتى أصنافه ومن ثياب الحرير والصوف والكتان وصنائع الجلد حتى ابزعموا أنه كان فيها من أوانى الخزف وأصناف الدر والياقوت ومايشبههما فى سبيل التودد وعرض أحوال المغرب على سلطان المشرق ولعظم قدر هذه الوافدة عند الناصر أوفد معها من عظماء قومه ووزرائه وأهل مجلسه فوفدوا على الناصر سنة ثمان وثلاثين وأحلهم بأشرف محل من التكرمة وبعث من اصطبلاته ثلاثين خطلا من البغال يحملون الهدية من بحر النيل سوى ماتبعها من البخاتى والجمال وجلس لهم فى يوم مشهود ودخلوا عليه وعرضوا الهدية فعمت بها أهل دولته احسانا فى ذلك المجلس واستأثر منها على مازعموا بالدر والياقوت فقط ثم فرقهم فى منازله وأنزلهم دار كرامته وقد هيئت بالفرش والماعون ووفر لهم الجرايات واستكثر لهم من الازودة وبعث أمراءه فى خدمتهم الى الحجاز حتى قضوا فرضهم فى تلك السنة وانقلبوا الى سلطانهم فجهز الناصر معهم هدية الى ملك المغرب تشتمل على ثياب الحرير المصنوعة بالاسكندرية وعين منها الحمل المتعارف فى كل سنة لخزانة السلطان وقيمته لذلك العهد خمسون ألف دينار وعلى خيمة من خيم السلطان المصنوعة بالشام فيها أمثال البيوت والقباب والكفات مرساة أطرافها فى الارض بأوتاد الحديد والخشب كأنها قباب ماثلة وعلى خيمة مؤزر باطنها من ثياب الحرير العراقية وظاهرها من ثياب القطن الصرافية مستجادة الصنعة بين الحدل والاوتاد أحسن مايراه من البيوت وعلى صوان من الحرير مربع الشكل يقام بالحدل الحافظ ظله من الشمس وعلى عشرة من الجياد المقربات الملوكية بسروج ولجم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة باللآلى والفصوص وبعث مع تلك الجياد خدم يقومون بشأنها المتعارف فيها ووصلت الهدية الى سلطان المغرب فوقعت منه أحسن المواقع وأعاد الكتب والرسل بالشكر واستحكمت المودة بين هذين السلطانين واتصلت المهاداة الى أن مضيا لسبيلهما والله تعالى ولى التوفيق

(وفاة الخليفة أبى الربيع وولاية ابنه)

قد ذكرنا أيام الظاهر وانه أقام خليفة بمصر من ولد الراشد وصل يومئذ من بغداد واسمه أحمد بن محمد وذكرنا نسبه هنالك الى الراشد وأنه بويع له بالخلافة سنة ستين وستمائة ولقبه الحاكم فلم يزل فى خلافته الى أن توفى سنة احدى وسبعمائة وقد عهد لابنه سليمان فبايع له أهل دولة الناصر الكافلون لها ولقبوه المستكفى فبقى خليفة سائر أيام

الناصر ثم تنكر له السلطان سنة ست وثلاثين لشئ نمى له عن بنيه فأسكنه بالقلعة ومنعه من لقاء الناس فبقى حولا كذلك ثم ترك سبيله ونزل الى بيته ثم كثرت السعاية فى بنيه فغربه سنة ثمان وثلاثين الى قوص هو وبنيه وسائر أقاربه وأقام هنالك الى أن هلك سنة أربعين قبل مهلك الناصر وقد عهد بالخلافة لابنه أحمد ولقبه الحاكم فلم يمض الناصر عهده فى ذلك لان أكثر السعاية المشار اليها كانت فيه فنصب للخلافة بعد المستكفى ابن عمه ابراهيم بن محمد ولقبه الواثق وهلك لاشهر قريبة فاتفق الامراء بعده على امضاء عهد المستكفى فى ابنه أحمد فبايعوه سنة احدى وأربعين وأقام فى الخلافة الى سنة ثلاث وخمسين فتوفى وولى أخوه أبو بكر ولقب المعتضد ثم هلك سنة ثلاث وستين لعشرة اشهر من خلافته ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل ونورد من أخباره فى أماكنها ما يحضرنا ذكره والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه

(نكبة تنكز ومقتله)

كان تنكز مولى من موالى لاشين اصطفاه الناصر وقربه وشهد معه وقائع التتر وسار معه الى الكرك وأقام فى خدمته مدة خلعه ولما رجع الى كرسيه ومهد أمور ملكه ورتب الولاية لمن يرضاه من أمرائه بعث تنكز الى الشأم وجعله نائبا بدمشق ومشارفا لسائر بلاد الروم ففتح ملطية ودوّخ بلاد الارمن وكان يتردد بالوفادة على السلطان يشاوره وربما استدعاه للمفاوضة فى المهمات واستفحل فى دفاع التتر وكيادهم ولما توفى أبو سعيد وانقرض ملك بنى هلاكو وافترق أمر بغداد وتوريز وكان امراؤها يجاورانه ويستنجدانه وسخطه بعضهم فراسل السلطان بغشه وادهانه فى طاعته وممالأة أعدائه وشرع السلطان فى استكشاف حاله وكان قد عقد له على بنته فبعث دواداره باجار يستقدمه للاعراس بها وكان عدوا له للمنافسة والغيرة فأشار على تنكز بالمقام وتخلفه من السلطان وغشه فى النصيحة وحذر السلطان منه فبعث الملك الناصر الى طشتمر نائب صفد ان يتوجه الى دمشق ويقبض عليه فقبض عليه سنة أربعين لثمان وعشرين سنة لولايته بدمشق وبعث الملك الناصر مولاه لشمك الى دمشق فى العساكر فاحتاط على موجوده وكان شيأ لا يعبر عنه من أصناف المتملكات وجاء به مقيدا فاعتقل بالاسكندرية ثم قتل فى محبسه والله تعالى أعلم

(وفاة الملك الناصر وابنه أنوك قبله وولاية ابنه أبى بكر ثم كجك)

ثم توفى الملك الناصر محمد بن المنصور قلاون أمجد ما كان ملكا وأعظم استبدادا توفى على فراشه فى ذى الحجة آخر احدى وأربعين وسبعمائة بعد ان توفى قبله بقليل ابنه أنوك

فاحتسبه وكانت وفاته لثمان وأربعين سنة من ولايته الاولى فى كفالة طنبغا ولثنتين وثلاثين من حين استبداده بأمره بعد بيبرس وصفا الملك له وولى النيابة فى هذه ثلاثة من أمرائه بيبرس الدوادار المؤرخ ثم بكتمر الجوكندار ثم أرغون الدوادار ولم يول أحد النيابة بعده وبقيت الوظيفة عطلا آخر أيامه وأما دواداريته فأيدمر ثم سلار ثم الحلى ثم يوسف بن الاسعد ثم بغا ثم طاجار وكتب عنه شرف الدين بن فضل الله ثم علاء الدين بن الامير ثم محيى الدين بن فضل الله ثم ابنه شهاب الدين ثم ابنه الآخر علاء الدين وولى القضاء فى دولته تقى الدين بن دقيق العيد ثم بدر الدين بن جماعة وانما ذكرت هذه الوظائف وان كان ذلك ليس من شرط الكتاب لعظم دولة الناصر وطول أمدها واستفحال دولة الترك عنده وقدمت الكتاب على القضاة وان كانوا أحق بالتقديم لان الكتاب أمس بالدولة فانهم من أعوان الملك ولما اشتد المرض بالسلطان وكان قوصون أحظى عظيم من أمرائه فبادر القصر فى مماليكه متسلحين وكان بشتك يضاهيه فلم تاب وسلح أصحابه وبدا بينهما التنافس ودس بشتك الشكوى الى السلطان فاستدعاهما وأصلح بينهما وأراد ان يعهد بالملك الى قوصون فامتنع فعهد لابنه أبى بكر ومات فمال من عماله بشتك الى ولاية أحمد صاحب الكرك وأبى قوصون الا الوفاء بعهد السلطان ثم رجع اليه بشتك بعد مراوضة فبويع أبو بكر ولقب المنصور وقام بأمر الدولة قوصون وردفه قطلوبغا الفخرى فولوا على نيابة السلطان طقردمر وبعثوا على حلب طشتمر وعلى حمص أخضر عوضا عن طغراى وأقروا كيبغا الصالحى على دمشق ثم استوحش بشتك من استبداد قوصون وقطلوبغا دونه فطلب نيابة دمشق وكان يعجب بها من يوم دخلها للعوطة على تنكز فاستعفوه فلما جاء للوداع قبض عليه قطلوبغا الفخرى وبعث به الى الاسكندرية فاعتقل بها ثم أقبل السلطان أبو بكر على لذاته ونزع عن الملك وصار يمشى فى سكك المدينة فى الليل متنكرا مخالطا للسوقة فنكر ذلك الامراء وخلعه قوصون وقطلوبغا لسبعة وخمسين يوما من بيعته وبعثوا به الى قوص فحبس بها وولوا أخاه كجك ولقبوه الاشرف وعزلوا طقردمر عن النيابة وقام بها قوصون وبعثوا طقردمر نائبا على حماة وأدالوا به من الافضل بن المؤيد فكان آخر من وليها من بنى المظفر وقبضوا على طاجار الدويدار وبعثوا به الى الاسكندرية فغرق فى البحر وبعثوا بقتل بشتك فى محبسه بالاسكندرية والله تعالى ينصر من يشاء من عباده

(مقتل قوصون ودولة أحمد بن الملك الناصر)

لما بلغ الخبر الى الامراء بالشأم باستبداد قوصون على الدولة غصوا من مكانه واعتزموا

على البيعة لاحمد بن الملك الناصر وكان يومئذ بالكرك مقيما منذ ولاه أبوه امارتها كما قدمناه فكاتبه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب واستدعاه الى الملك وبلغ الخبر الى مصر فخرج قطلوبغا فى العساكر لحصار الكرك وبعثوا الى طنبغا الصالحى نائب دمشق بالمسير فى العساكر الى حلب للقبض على طشتمر نائب حمص وأخضر وكان قطلوبغا الفخرى قد استوحش من صاحبه قوصون وغص باستبداده عليه فلما فصل بالجند من مصر بعث ببيعته الى أحمد بن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشأم فأقام دعوته فى دمشق ودعا اليها طقردمر نائب حماة فأجابه وقدم عليه وانتهى الخبر الى طنبغا نائب دمشق وهو يحاصر حلب فافرج عنها ودعاه قطلوبغا الى بيعة أحمد فأبى فانتقض عليه أصحابه وسار الى مصر واستولى قطلوبغا الفخرى على الشأم أجمع بدعوة أحمد وبعث الى الامراء بمصر فأجابوا اليها واجتمع ايدغمش وأقسنقر السلارى وغازى ومن تبعهم من الامراء على البيعة لاحمد واستراب بهم قوصون كافل المملكة وهم بالقبض عليهم وشاور طنبغا اليحياوى من عنده من أصحابه فى ذلك فغشوه وخذلوه وركب القوم ليلا وكان ايدغمش عنده بالاصطبل وهو أمير الماصورية وهم قوصون بالركوب فخذله وثنى عزمه ثم ركب معهم واتصلت الهيعة ونادى فى الغوغاء بنهب بيوت قوصون فنهبوها وخربوها وخربوا الحمامات التى بناها بالقرافة تحت القلعة ونهب شيخها شمس الدين الاصبهانى فسلبوه ثيابه وانطلقت أيدى الغوغاء فى البلد ولحقت الناس منهم مضرات فى بيوتهم واقتحموا بيت حسام الدين الغورى قاضى الحنفية فنهبوه وسبوا عياله وقادهم اليه بعض من كان يحنق عليه من الخصوم فجرت عليه معرة من ذلك ثم اقتحم ايدغمش وأصحابه القلعة وتقبضوا على قوصون وبعثوا به الى الاسكندرية فمات فى محبسه وكان قوصون قد أخرج جماعة من الامراء للقاء طنبغا الصالحى فسار أقسنقر السلارى فى أثرهم وتقبض عليهم وعلى الصالحى وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية فيما بعد سنة خمس وأربعين وبعث لاحمد بن الملك الناصر وطير اليه بالخبر وتقبض على جماعة من الامراء واعتقلهم ثم قدم السلطان أحمد من الكرك فى رمضان سنة ثنتين وأربعين ومعه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخرى فولى طشتمر نائبا بمصر وقطلوبغا الفخرى بعثه الى دمشق نائبا ثم قبض على أخضر لشهر أو نحوه وقبض على ايدغمش وأقسنقر السلارى ثم ولى ايدغمش على حلب وبلغ الخبر الى قطلوبغا الفخرى قبل وصوله الى دمشق فعدل الى حلب واتبعته العساكر فلم يدركوه وتقبض على ايدغمش بحلب وبعث به الى مصر فاعتقل مع طشتمر وارتاب الامراء بأنفسهم واستوحش السلطان

منهم انتهى والله أعلم

(مسير السلطان أحمد الى الكرك واتفاق الامراء على خلعه والبيعة لاخيه الصالح)

ولما استوحش الامراء من السلطان وارتاب بهم ارتحل الى الكرك لثلاثة أشهر من بيعته واحتمل معه طشتمر وايدغمش معتقلين واستصحب الخليفة الحاكم واستوحش نائب صفد بيبرس الاحمدى وسار الى دمشق وهى يومئذ فوضى فتلقاه العسكر وأنزلوه وبعث السلطان فى القبض عليه فأبى من اعطاء يده وقال انما الطاعة لسلطان مصر وأما صاحب الكرك فلا وطالت غيبة السلطان أحمد بالكرك واضطرب الشأم فبعث اليه الامراء بمصر فى الرجوع الى دار ملكه فامتنع وقال هذه مملكتى أنزل من بلادها حيث شئت وعمد الى طشتمر وايدغمش الفخرى فقتلهما فاجتمع الامراء بمصر وكبيرهم بيبرس العلائى وارغون الكاملى وخلعوه وبايعوا لاخيه اسمعيل فى محرم سنة ثلاث وأربعين ولقبوه الصالح فولى أقسنقر السلارى ونقل ايدغمش الناصرى من نيابة حلب الى نيابة دمشق وولى مكانه بحلب طقردمر ثم عزل ايدغمش من دمشق ونقل اليها طقردمر وولى بحلب طنبغا الماردانى ثم هلك الماردانى فولى مكانه طنبغا اليحياوى واستقامت أموره والله تعالى ولى التوفيق

(ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل السلطان أحمد)

ثم ان بعض المماليك داخل رمضان بن الملك الناصر فى الثورة بأخيه وواعدوه قبة النصر فركب اليهم وأخلفوه فوقف فى مماليكه ساعة يهتفون بدعوته ثم استمر هاربا الى الكرك واتبعه العسكر مجدين السير فى الطريق وجاؤا به فقتل بمصر وارتاب السلطان بالكثير من الامراء وتقبض على نائبه أقسنقر السلارى وبعث به الى الاسكندرية فقتل هنالك وولى مكانه الحاج الملك ثم سرح العساكر سنة أربع وأربعين لحصار الكرك مترادفة ونزع بعض العساكر عن السلطان أحمد من الكرك فلحقوا بمصر وكان آخر من سار من الامراء لحصار الكرك قمارى ومسارى سنة خمس وأربعين فأخذوا بمخنقه ثم اقتحموا عليه وملكوه وقتلوه فكان لبثه بالملك فى مصر ثلاثة أشهر وأياما وانتقل الى الكرك فى محرم سنة ثلاث وأربعين الى أن حوصر ومثل به وتوفى فى أيامه طنبغا الماردانى نائب حلب فولى مكانه طنبغا اليحياوى وسيف الدين طراى الجاشنكير نائب طرابلس فولى مكانه افسنقر الناصرى والله تعالى أعلم

(وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل)

ثم توفى الملك الصالح اسمعيل بن الملك الناصر حتف أنفه سنة ست وأربعين لثلاث سنين وثلاثة أشهر من ولايته وبويع بعده أخوه زين الدين شعبان ولقب الكامل وقام بأمره ارغون العلاوى وولى نيابة مصر وعرض اخجاج الملك الى صفد ثم رده من طريقه معتقلا الى دمشق وبعث الى القمارى الكبير فبعثه الى حبس الاسكندرية واستدعى طقردمر نائب دمشق وكحل الاشرف المخلوع بن الناصر الذى ولاه قوصون وهلك انجاح الملك الجوكندار فى محبسه بدمشق انتهى والله أعلم

(مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجى)

كان السلطان الكامل قد أرهف حده فى الاستبداد على أهل دولته فرارا مما توهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الامراء بمصر والشأم وأجمعوا الادالة منهم وانتقض طنبغا اليحياوى ومن معه بدمشق سنة سبع وأربعين وبرز فى العساكر يريد مصر وبعث الكامل منجو اليوسفى يستطلع أخبارهم فحبسه اليحياوى واتصل الخبر بالكامل فجرد العساكر الى الشأم واعتقل حاجى وأمير حسين بالقلعة واجتمع الامراء بمصر للثورة وركبوا الى قبة النصر مع ايدمر الحجازى وآقسنقر الناصرى وأرغون شاه فركب اليهم الكامل فى مواليه ومعه ارغون العلاوى نائبه فكانت بينهما جولة هلك فيها ارغون العلاوى ورجع الكامل الى القلعة منهزما ودخل من باب السر مختفيا وقصد محبس أخويه ليقتلهما فحال الخدام دونهما وغلقوا الابواب وجمع الذخيرة ليحملها فعاجلوه عنها ودخلوا القلعة وقصدوا حاجى بن الناصر فأخرجوه من معتقله وجاؤا به فبايعوه ولقبوه المظفر وافتقدوا الكامل وتهددوا جواريه بالقتل فدلوا عليه واعتقل مكان حاجى بالدهشة وقتل فى اليوم الثانى وأطلق حسين وقام بأمر المظفر حاجى ارغون شاه والحجازى وولوا طقتمر الاحمدى نائبا بحلب والصلاحى نائبا بحمص وحبس جميع موالى الكامل وأخرج صندوق من بيت الكامل قيل ان فيه السحر فأحرق بحضر الامراء ونزع المظفر حاجى الى الاستبداد كما نزع أخوه فقبض على الحجازى والناصرى وقتلهما لاربعين يوما من ولايته وعلى ارغون شاه وبعثه نائبا الى صفد وجعل مكان طقتمر الاحمدى فى حلب تدمر البدرى وولى على نيابة الحاج ارقطاى وأرهف حده فى الاستبداد وارتاب الامراء بمصر والشأم وانتقض اليحياوى بدمشق سنة ثمان وأربعين وداخله نواب الشأم فى الخلاف ووصل الخبر الى مصر فاجتمع الامراء وتواعدوا للوثوب ونمى الخبر الى المظفر فأركب مواليه من جوف الليل وطافوا بالقلعة وتداعى الامراء الى الركوب واستدعاهم من الغد الى القصر وقبض على كل من اتهمه

منهم بالخلاف وهرب بعضهم فأدرك بساحة البلد واعتقلوا جميعا وقتلوا من تلك الليلة وبعث بعضهم الى الشأم فقتلوا بالطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر اميرا ووصل الخبر الى دمشق فلاذ اليحياوى بالمغالطة يخادع بها وقبض على جماعة من الامراء وكان السلطان المظفر قد بعث الامير الجيبغا من خاصته الى الشأم عندما بلغه انتقاض طنبغا اليحياوى يستطلع أخباره فحمل الناس على طاعة المظفر وأغراهم باليحياوى حتى قتلوه وبعثوا برأسه الى مصر وسكنت الفتنة واستوسق الملك للمظفر والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل المظفر حاجى بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر ودولته الاولى)

قد كنا قدمنا أن السلطان بعث جبغا الى الشأم حتى مهده ومحا أثر الخلاف منه ورجع الى السلطان سنة ثمان وأربعين وقد استوسق أمره فوجد الامراء مستوحشين من السلطان ومنكرين عليه اللعب بالحمام فتنصح له بذلك يريد اقلاعه عنه فسخط ذلك منه وأمر بالحمام فذبحت كلها وقال لجبغا أنا أذبح خياركم كما ذبحت هذه فاستوحش جبغا وغدا على الامراء والنائب بيقاروس
وثاروا بالسلطان وخرجوا الى قبة النصر وركب المظفر فى مواليه والامراء الذين معه قد داخلوا الآخرين فى الثورة ورأيهم واحد فى خلعه فبعث اليهم الامير شيخوا يتلطف لهم فأبوا الا خلعه فجاءهم بالخبر ثم رجع اليهم وزحف معهم ولحق بهم الامراء الذين مع المظفر عندما تورط فى اللقاء وحمل عليه بيقاروس فأسلمه أصحابه وأمسكه باليد فذبحه فى تربة أمه خارج القلعة ودفن هنالك ودخلوا القلعة فى رمضان من السنة وأقاموا عامة يومهم يتشاورون فيمن يولونه حتى هم أكثر الموالى بالثورة والركوب الى قبة النصر فحينئذ بايعوا حسن بن الملك الناصر ولقبوه الناصر بلقب أبيه فوكل بأخيه حسين ومواليه لنفسه ونقل المال الذى بالحوش فوضعه بالخزانة وقام بالدولة ستة من الامراء وهم شيخوا وطاز والجبغا وأحمد شادى والشرنخاناه وأرغون الاسماعيلى والمستبد عليهم جميعا بيقاروس ويعرف بالقاسمى فقتل الحجازى وآقسنقر القائمين بدولة المظفر بحبسهما بالقلعة وولى بيقاروس نائبا بمصر فكان ارقطاى وأرغون شاه نائبا بحلب مكان تدمر البدرى ثم نقله الى دمشق   منذ مقتل اليحياوى وولى مكانه بحلب اياس الناصر ثم تقبض بيقاروس على رفيقه أحمد شادى الشرنخاناه وغرّبه الى صفد وأبعد الجبغا من رفقته وبعثه نائبا على طرابلس وبعث ارغون الاسماعيلى منهم نائبا على حلب وفى هذه السنة وقعت الفتنة بينه وبين مهنا بن عيسى ولقيه فهزمه ووفد أحمد أخوه على السلطان فولاه امارة العرب وهدأت الفتنة

بياض فى الوضعين بالاصل

بينهم ثم هلك سنة تسع وأربعين بعدها وولى أخوه فياض كما مرّ فى أخبارهم والله تعالى أعلم

(مقتل ارغون شاه نائب دمشق)

كان خبر هذه الواقعة الغريبة أن الجيبغا بعثوه نائبا على طرابلس وسار صحبة اياس الحاجب نائبا على حلب سنة خمسين وانتهوا الى دمشق ونما الى الجيبغا عن ارغون شاه أنه تعرض لبعض حرمه بصنيع جمع فيه نسوان أهل الدولة بدمشق فكتب اليه ليلا وطرقه فى بيته فلما خرج اليه قبض عليه وذبحه فى ربيع وصنع مرسوما سلطانيا دافع به الناس والامراء واستصفى أمواله ولحق بطرابلس وجاء الامر من مصر باتباعه وانكار المرسوم الذى أظهروه فزحفت العساكر من دمشق وقبضوا على الجيبغا واياس الحاجب بطرابلس وجاؤا بهما الى مصر فقتلا وولى الشمس الناصرى نيابة دمشق مع ارغون شاه وصلب ارغون الكافلى وذلك فى جمادى سنة خمسين واصل ارغون شاه من بلاد الصين جلب الى السلطان أبى سعيد ملك التتر ببغداد فاعطاه للامير خواجا نائب جوبان وأهداه خواجا للملك الناصر فحظى عنده وقدمه رأس نوبة وزوجه بنت عبد الواحد ثم ولاه الكامل استاذدار ثم عظمت مرتبته أيام المظفر وجعل نائبا فى صفد ثم فى حلب ولما حبس طنبغا اليحياوى على دمشق بسعاية الجيبغا كما مرّ ولى ارغون شاه بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم

(نكبة بيقاروس)

ثم ان السلطان حسن شرع فى الاستبداد وقبض على منجك اليوسفى استاذداره وعلى السلحدار واعتقلهما من غير مشورة بيقاروس وأصحابه وكان انحلال اختصاص بيقاروس وأخوه معه فارتاب واستأذن السلطان فى الحج هو وطاز فأذن لهما ودس الى طاز بالقبض على بيقاروس وسار الشأن بهما فلما نزلا بالينبع قبض طاز على بيقاروس فخرج ورغب اليه فى أن يتركه يحج مقيدا فتركه فلما قضى نسكه ورجعوا حبسه طاز بالكرك بأمر السلطان وأفرج عنه بعد ذلك وولى نيابة حلب وانتقض بها كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى وبلغ خبر اعتقاله الى أحمد شادى الشرنخاناه بصفد فانتقض وجهز السلطان اليه العساكر فقبض عليه وجىء به الى مصر فاعتقل بالاسكندرية وقام بالدولة مغلطاى من أمرائها والله تعالى أعلم

(واقعة الظاهر ملك اليمن بمكة واعتقاله ثم اطلاقه)

كان

كان ملك اليمن وهو المجاهد على بن داود المؤيد قد جاء الى مكة حاجا سنة احدى وخمسين وهى السنة التى حج فيها طاز وشاع فى الناس عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر وفد المصريين لوفد اليمنيين ووقعت فى بعض الايام هيعة فى ركب الحاج فتحاربوا وانهزم المجاهد وكان بيقاروس مقيدا فأطلقه وأركبه ليستعين به فخلا فى تلك الهيعة وأعيد الى اعتقاله ونهب حاج اليمن وقيد المجاهد الى مصر فاعتقل بها حتى أطلق فى دولة الصالح سنة اثنتين وخمسين وتوجه معه قشتمر المنصورى ليعيده الى بلاده فلما انتهى الى الينبع أشيع عنه أنه هم بالهرب فقبض عليه قشتمر المنصورى وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد الى ملكه والله أعلم

(خلع حسن الناصر وولاية أخيه الصالح)

لما قبض السلطان حسن على بيقاروس وحبسه وتنكر لاهل دولته ورفع عليهم مغلطاى واختصه واستوحشوا لذلك وتفاوضوا وداخل طاز وهو كبيرهم جماعة من الامراء فى الثورة وأجابه الى ذلك بيقو والشمسى فى آخرين واجتمعوا لخلعه وركبوا فى جمادى سنة ثنتين وخمسين فلم يمانعهم أحد وملكوا أمرهم ودخلوا القلعة وقبض طاز على حسن الناصر واعتقله وأخرج أخاه حسينا من اعتقاله فبايعه ولقبه الصالح وقام بحمل الدولة وأخرج بيقو الشمسى الى دمشق وبيقر الى حلب أميرين وانفرد بالامر ثم نافسه أهل الدولة واجتمعوا على الثورة وتولى كبر ذلك مغلطاى ومنكلى وبيبغا القمرى وركبوا فيمن اجتمع اليهم الى قبة النصر للحرب فركب طاز وسلطانه الصالح فى جموعه وحمل عليهم ففض جمعهم وأثخن فيهم وقبض على مغلطاى ومنكلى فحبسهما بالاسكندرية وأفرج عن منجك وعن شيخو وجعله أتابكه على العساكر وأشركه فى سلطانه وولى سيف الدين دلاى نيابته واختص سرغتمش ورقاه فى الدولة وقبض على الشمسى المحمدى نائب دمشق ونقل اليها لمكانه ارغون الكاملى من حلب وأفرج عن بيقاروس بالكرك وبعثه مكانه الى حلب ثم تغير منجك واختفى بالقاهرة والله تعالى أعلم

(انتقاض بيقاروس واستيلاؤه على الشأم ومسير السلطان اليه ومقتله)

قد تقدم لنا ذكر بيقاروس وقيامه بدولة حسن الاولى ونكبته فى طريقه الى الحج بالكرك ولما أطلقه طاز وولاه على حلب أدركته المنافسة والغيرة من طاز واستبداده بالدولة فحدثته نفسه بالخلاف وداخل نواب الشأم ووافقه فى ذلك بكتمش نائب طرابلس وأحمد شادى الشرنخاناه نائب صفد وخالفه ارغون الكاملى نائب دمشق وتمسك بالطاعة وتعاقد هؤلاء على الخلاف مع شيخو وسرغتمش فى رجب سنة ثلاث

وخمسين ثم دعا بيقاروس العرب والتركمان الى الموافقة فأجابه جبار بن مهنا من العرب وقراجا بن العادل من التركمان فى جوعهما وبرز من حلب بقصد دمشق فأجفل عنها ارغون النائب الى غزة واستخلف عليها الجيبغا العادلى ووصل بيقاروس فملكها وامتنعت القلعة فحاصرها وكثر العيث من عساكره فى القرى وسار السلطان الصالح وأمراء الدولة من مصر فى العساكر فى شعبان من السنة وأخرج معه الخليفة المعتضد أبا الفتح أبا بكر بن المستكفى وعثر بين يدى خروجه على منجك ببعض البيوت لسنة من اختفائه فبعث به سرغتمش الى الاسكندرية وبلغ بيقاروس خروج السلطان من مصر فأجفل عن دمشق وثار العوام بالتركمان فأثخنوا فيهم ووصل السلطان الى دمشق ونزل بالقلعة وجهز العساكر فى اتباع بيقاروس فجاؤا بجماعة من الامراء الذين كانوا معه فقتل السلطان بعضهم ثالث الفطر وحبس الباقين وولى على دمشق الامير عليا الماردانى ونقل منها ارغون الكاملى الى حلب وسرح العساكر فى طلب بيقاروس مع مغلطاى الدوادار وعاد الى مصر فدخلها فى ذى القعدة من السنة وسار مغلطاى فى طلب بيقاروس وأصحابه فأوقع بهم وقبض على بيقاروس وأحمد وقطلمش وقتلهم وبعث برؤسهم الى مصر أوائل سنة أربع وخمسين وأوعز السلطان الى ارغون الكاملى نائب حلب بأن يخرج فى العساكر لطلب قراجا بن العادل مقدم التركمان فسار الى بلده البلستين فوجدها مقفرة وقد أجفل عنها فهدمها ارغون واتبعه الى بلاد الروم فلما أحس بهم أجفل ولحق بابن ارشا قائد المغل فى سيواس ونهب العساكر أحياءه واستاقوا مواشيه ثم قبض عليه ابن ارشا قائد المغل وبعث به الى مصر فقتل بها وسكنت الفتنة وأطلق المعتقلون بالاسكندرية وتأخر منهم مغلطاى ومنجك أياما ثم أطلقا وغربا الى الشأم والله تعالى أعلم

(واقعة العرب بالصعيد)

وفى أثناء هذه الفتن كثر فساد العرب بالصعيد وعيثهم وانتهبوا الزروع والاموال وتولى كبر ذلك الاحدب وكثرت جموعه فخرج السلطان فى العساكر سنة أربع وخمسين ومعه طاز وسار شيخو فى المقدمة فهزم العرب واستلحم جموعهم وامتلأت أيدى العساكر بغنائمهم وخلص السلطان من الظهر والسلاح ما لا يعبر عنه وأسر جماعة منهم فقتلوا وهرب الاحدب حتى استأمن بعد رجوع السلطان فأمنه على أن يمتنعوا من ركوب الخيل وحمل السلاح ويقبلوا على الفلاحة والله تعالى أعلم

(خلع الصالح وولاية حسن الناصر الثانية)

كان شيخو أتابك العساكر قد ارتاب بصاحبه طاز فداخل الامراء بالثورة بالدولة وتربص بها الى أن خرج طاز سنة خمس وخمسين الى البحيرة متصيدا وركب الى القلعة فخلع الصالح ابن بنت تنكز وقبض عليه وألزمه بيته لثلاث سنين كوامل من دولته وبايع لحسن الناصر أخيه وأعاده الى كرسيه وقبض على طاز فاستدعاه من البحيرة فبعثه الى حلب نائبا وعزل ارغون الكاملى فلحق بدمشق حتى تقبض عليه سنة ست وخمسين وسيق الى الاسكندرية فحبس بها وبلغ الخبر بوفاة الشمسى الاحمدى نائب طرابلس وولى مكانه منجك واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالامر والنهى وولى على مكة عجلان بن رميثة وأفرده بامارتها وكانت له الولاية والعزل والحل والعقد سائر أيامه واعتمده الملوك من النواحى شرقا وغربا بالمخاطبات وكان رديفه فى حمل الدولة سرغتمش من موالى السلطان والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده بمنه

(مهلك شيخو ثم سرغتمش بعده واستبداد السلطان بأمره)

لم يزل شيخو مستبدا بالدولة وكافلا للسلطان حتى وثب عليه يوما بعض الموالى بمجلس السلطان فى دار العدل فى شعبان سنة ثمان وخمسين اعتمده فى دخوله من باب الايوان وضربه بالسيف ثلاثا أصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فخر لليدين ودخل السلطان بيته وانفض المجلس واتصلت الهيعة بالعسكر خارج القلعة فاضطربوا واقتحم موالى شيخو القلعة الى الايوان يقدمهم خليل بن قوصون وكان ربيبه لان شيخو تزوج بأمه فاحتمل شيخو الى منزله وأمر الناصر بقتل المملوك الذى ضربه فقتل ليومه وعاده الناصر من الغد وتوجل من الوثبة أن تكون بأمره وأقام شيخو عليلا الى أن هلك فى ذى القعدة من السنة وهو أول من سمى الامير الكبير بمصر واستقل سرغتمش رديفه بحمل الدولة وبعث عن طاز فأمسكه بحلب وحبسه بالاسكندرية وولى مكانه الامير عليا الماردانى نقله اليها من دمشق وولى مكانه بدمشق منجك اليوسفى ثم تقبض السلطان على سرغتمش فى رمضان سنة تسع وخمسين وعلى جماعة من الامراء معه مثل مغلطاى الدوادار وطشتمر القاسمى الحاجب وطنبغا الماجارى وخليل بن قوصون ومحمد المحمدار وغيرهم وركب مواليه وقاتلوا مماليك السلطان فى ساحة القلعة صدر نهار ثم انهزموا وقتلوا واعتقل سرغتمش وجماعته المنكوبون بالاسكندرية وقتل بمحبسه لسبعين يوما من اعتقاله وتخطت النكبة الى شيعته وأصحابه من الامراء والقضاة والعمال وكان الذى تولى نكبة هؤلاء كلهم بأمر السلطان منكلى بيبغا الشمسى ثم استبد السلطان بملكه واستولى على أمره وقدم مملوكه بيبغا القمرى وجعله أمير ألف وأقام فى الحجابة الجاى اليوسفى ثم بعثه الى دمشق نائبا واستقدم منجك نائب دمشق فلما وصل

الى غزة استتر واختفى فولى الناصر مكانه بدمشق الامير عليا المارداني نقله من حلب وولى على حلب سيف الدين بكتمر المؤمنى ثم أدال من على المارداني فى دمشق باستدمر ومن المؤمنى فى حلب بمندمر الحوراني وأمره السلطان سنة احدى وستين بغزو سيس وفتح أذنة وطرسوس والمصيصة فى حصون أخرى وولى عليها ورجع فولاه السلطان نيابة دمشق مكان استدمر وولى على حلب أحمد بن القتمرى ثم عثر بدمشق سنة احدى وستين على منجك بعد ان نال العقاب بسببه جماعة من الناس فلما حضر عفا عنه السلطان وأمده وخيره فى النزول حيث شاء من بلاد الشأم وأقام السلطان بقية دولته مستبدا على وكان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم فى بيته متبذلا ويفاوضهم فى مسائل العلم ويصلهم ويحسن اليهم ويخالطهم أكثر ممن سواهم الى أن انقرضت دولته والبقاء لله وحده

(ثورة يبغا ومقتل السلطان حسن وولاية منصور بن المعظم حاجى فى كفالة يبغا)

كان يبغا هذا من موالى السلطان حسن وأعلاهم منزلة عنده وكان يعرف بالخاصكى نسبة الى خواص السلطان وكان الناصر قد رقاه فى مراتب الدولة وولاه الامارة ثم رفعه الى الاتابكية وكان لجنوحه الى الاستبداد كثيرا ما يبوح بشكاية مثل ذلك فأحضره بعض الليالى بين حرمه وصرفه فى جملة من الخدمة لبعض مواليه وقادها فأسرها يبغا فى نفسه واستوحش وخرج السلطان سنة ثنتين وستين الى كوم برى وضرب بها خيامه وأذن للخاصكى فى مخيمه قريبا منه ثم نمى عنه خبر الانتقاض فأجمع القبض عليه واستدعاه فامتنع من الوصول وربما أشعره داعيه بالاسترابة فركب اليه الناصر بنفسه فيمن حضره من مماليكه وخواص أمرائه تاسع جمادى من السنة وبرز اليه يبغا وقد أنذر به واعتدله فصدقه القتال فى ساحة مخيمه وانهزم أصحاب السلطان عنه ومضى الى القلعة ويبغا فى اتباعه فامتنع الحراس بالقلعة من اخافة طارقة جوف الليل فتسرب فى المدينة واختفى فى بيت الامير ابن الازكشى بالحسينية وركب الامراء من القاهرة مثل ناصر الدين الحسينى وقشتمر المنصورى وغيرهما المدافعة يبغا فلقيهم ببولاق وهزمهم واجتمع ثانية وثالثة وهزمهم وتنكر الناصر مع ايدمر الدوادار يحاولان النجاة الى الشأم واطلع عليهما بعض المماليك فوشى بهما الى يبغا فبعث من أحضره فكان آخر العهد به ويقال انه امتحنه قبل القتل فدله على أموال السلطان وذخائره وذلك لست سنين ونصف من تملكه ثم نصب يبغا للملك محمد بن المظفر حاجى ولقبه المنصور وقام بكفالته وتدبير دولته وجعل طنبغا الطويل رديفه وولى قشتمر المنصورى نائبا وغشتمر أمير مجلس وموسى الازكشى أستاذدار وأفرج عن القاسمى

وبعثه نائبا بالكرك وأفرج عن طاز وقد كان عمى فبعثه الى القدس بسؤاله ثم الى دمشق ومات بها فى السنة بعدها وأقر عجلان فى ولاية مكة وولى على عرب الشأم جبار ابن مهنا وأمسك جماعة من الامراء فحبسهم والله تعالى أعلم

(انتقاض استدمر بدمشق)

ولما اتصل بالشأم ما فعله يبغا وأنه استبد بالدولة وكان استدمر نائبا بدمشق كما قدمناه امتعض لذلك وأجمع الانتقاض وداخله فى ذلك مندمر والبرى ومنجك اليوسفى واستولى على قلعة دمشق وسار فى العساكر ومعه السلطان المنصور ووصل الى دمشق واعتصم القوم بالقلعة وترددت بينهما القضاة بالشأم حتى نزلوا على الامان بعد ان حلف يبغا فلما نزلوا اليه بعث بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وولى الامير المارداني نائبا بدمشق وقطلوبغا الاحمدى نائبا بحلب مكان أحمد بن القتمرى بصفد وعاد السلطان المنصور ويبغا الى مصر والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفاة الخليفة المعتضد بن المستكفى وولاية ابنه المتوكل)

قد تقدم لنا أن الخليفة المستكفى لما توفى قبل وفاة الملك الناصر عهد لابنه أحمد ولقبه الحاكم وأن الناصر عدل عنه الى ابراهيم بن محمد عم المستكفى ولقبه الواثق فلما توفى الناصر آخر سنة احدى وأربعين أعاد الامراء القائمون بالدولة الامير أحمد الحاكم ابن المستكفى ولى عهده فلم يزل فى خلافته الى أن هلك سنة ثلاث وخمسين لاول دولة الصالح سبط تنكز وولى بعده أخوه أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى ولقب المعتضد ثم توفى سنة ثلاث وستين لعشرة أعوام من خلافته وعهد الى ابنه أحمد فولى مكانه ولقب المستكفى والله تعالى أعلم

(خلع المنصور وولاية الاشرف)

ثم بدا اليبغا الخاصكى فى أمر المنصور محمد بن حاجى فخلعه استرابة به فى شعبان سنة أربع وستين لسبعة وعشرين شهرا من ولايته ونصب مكانه شعبان بن الناصر حسن بن الملك الناصر وكان أبوه قد توفى فى ربيع الآخر من تلك السنة وكان آخر بنى الملك الناصر فمات فولى ابنه شعبان ابن عشر سنين ولقبه الاشرف وتولى كفالته وفى سنة خمس وستين عزل المارداني من دمشق وولى مكانه منكلى بغا نقله من حلب وولى مكانه قطلوبغا الاحمدى وتوفى قطلوبغا فولى مكانه غشقتمر المارداني ثم عزل غشقتمر سنة ست وستين فولى مكانه سيف الدين فرجى وأوعز اليه سنة سبع وستين أن يسير فى العساكر لطلب خليل بن قراجا بن العادل أمير التركمان فيحضره معتقلا فسار اليه وامتنع

فى خرت برت فحاصره أربعة أشهر واستأمن خليل بعدها وجاء الى مصر فأمنه السلطان وخلع عليه وولاه ورجع الى بلده وقومه والله تعالى أعلم

(واقعة الاسكندرية)

كان أهل جزيرة قبرص من أمم النصرانية وهم من بقايا الروم وانما ينتسبون لهذا العهد الى الافرنج لظهور الافرنج على سائر أمم النصرانية والا فقد نسبهم هروشيوش الى كيتم وهم الروم عندهم ونسب أهل رودس الى دودانم وجعلهم اخوة كيتم ونسبهما معا الى رومان وكانت على أهل قبرص جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر ومازالت مقررة عليهم من لدن فتحها على يد معاوية أمير الشأم أيام عمر وكانوا اذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشأم عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون فى سواحلها حتى يستقيموا لاداء الجزية وتقدم لنا آنفا فى دولة الترك أن الظاهر بيبرس بعث اليها سنة تسع وستين وستمائة اسطولا من الشوانى وطرقت مرساها البلا فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها فى كل ناحية ثم غلب لهذه العصور أهل جنوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكرى صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعمائة وأخذوا بمخنقها وأقام أهل قبرص معهم بين فتنة وصلح وسلم وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرص هذه على مسافة يوم وليلة فى البحر قبالة طرابلس منصوبة على سواحل الشأم ومصر واطلعوا بعض الايام على غرة فى الاسكندرية وأخبروا حاجبهم وعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض فى أساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافى مرساها سابع عشر من المحرم سنة سبع وستين فى اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعبى صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة برزوا من البلد على سبيل النزهة لا يلقون بالا لما هو فيه ولا ينظرون مغبة أمره لبعد عهدهم بالحرب وحاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم دون الرماة المناضلين دون الحصون خالية ونائبها القائم بمصالحها فى الحرب والسلم وهو يومئذ خليل بن عوام غائب فى قضاء فرضه فما هو الا أن رجعت تلك الصفوف على التعبية ونضحوا العوام بالنبل فأجفلوا متسابقين الى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا الى الاسوار ينظرون ووصل القوم الى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها وماج بعضهم فى بعض ثم أجفلوا الى جهة البر بما أمكنهم من عيالهم وولدهم وما قدروا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق والاباطح ذاهبين فى غير وجه حيرة ودهشة وشعر بهم الاعراب أهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الافرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البرود كاكين الصيارفة ومودعات التجار وملؤا

سفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبى والاسرى وأكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تمايل اليهم الصريخ من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج الى أساطيلهم وانكمشوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وطار الخبر الى كافل الدولة بمصر الامير يبقا فقام فى ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الاسكندرية منصرفه من الحج وفى مقدمته خليل بن قوصون وقطلو بغا الفخرى من أمرائه وعزائمهم مرهفة ونياتهم فى الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر فى طريقهم باقلاع العدو فلم يثنه ذلك واستمر الى الاسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرة الخراب وآثار الفساد فأمر برم ذلك واصلاحه ورجع ادراجه الى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على أهل قبرص فأمر بانشاء مائة اسطول من الاساطيل التى يسمونها القربان معتزما على غزو قبرص فيها بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل فى الاستعداد لذلك واستكثر من السلاح وآلات الحصار وكمل غرضه من ذلك كله فى رمضان من السنة لثمانية أشهر من الشروع فيه فلم يقدر على تمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما نقصه والله تعالى ولى التوفيق

(ثورة الطويل ونكبته)

كان طنبغا الطويل من موالى السلطان حسن وكانت وظيفته فى الدولة أمير سلاح وهو مع ذلك رديف يبقا فى أمره وكان يؤمل الاستبداد ثم حدثت له المنافسة والغيرة من يبقا كما حدثت لسائر أهل الدولة عندما استكمل أمره واستفحل سلطانه وداخلوا الطويل فى الثورة وكان دوادار السلطان ارغون الاشقرى وأستاذدار المحمدى وبيناهم فى ذلك خرج الطويل للسرحة بالعباسية فى جمادى سنة سبع وستين وفشا الامر بين أهل الدولة فنمى الى يبقا واعتزم على اخراج الطويل الى الشأم وأصدر له المرسوم السلطانى بنيابة دمشق وبعث به اليه وبالخلعة على العادة مع ارغون الاشقرى الدوادار وروس المحمدى أستاذدار من المداخلين له ومعه ارغون الارق وطنبغا العلائى من أصحاب يبقا فردهم الطويل وأساء عليهم وواعد يبقا قبة النصر فهزمهم وقبض على الطويل والاشقرى والمحمدى وحبسوا بالاسكندرية ثم شفع للسلطان فى الطويل فى شهر شعبان من السنة وبعثه الى القدس ثم أطلق الاشقرى والمحمدى وبعث بهما الى الشأم وولى مكان الطويل طيدمر الباسلى ومكان الاشقرى فى الدويدارية طنبغا الابى بكرى ثم عزله يبقا العلائى وولى مكانه روس العادل المحمدى وكان جماعة من الامراء أهل وظائف فى الدولة قد خرجوا مع الطويل وحبسوا فولى فى وظائفهم أمراء آخرين ممن لم تكن له وظيفة واستدعى منكلى يبقا

الشمسى نائب دمشق الى مصر يطلبه فقدم نائبا بحلب مكان سيف الدين برجى وأذن له فى الاستكثار من العساكر وجعلت رتبته فوق نائب دمشق وولى مكانه بدمشق اقطمر عبد العزيز انتهى والله تعالى أعلم

(ثورة المماليك بيبغا ومقتله واستبداد استدمر)

كان طنبغا قد طال استبداده على السلطان وثقلت وطأته على الامراء وأهل الدولة وخصوصا على مماليكه وكان قد استكثر من المماليك وأرهف حده لهم فى التأديب وتجاوز الضرب فيهم بالعصا الى جدع الانوف واصطلام الآذان

ضمائرهم لذلك وطووا على الغش وكان كبير خواصه استدمر واقتفان الاحمدى ووقع فى بعض الايام بمثل هذه العقوبة فى أخى استدمر فاستوحش له وارتاب وداخل سائر الامراء فى الثورة يرون فيها نجاتهم منهم وخلصوا النجوى مع السلطان فيه واقتضوا منه الاذن وسرح السلطان بيبغا الى البحيرة فى عام ثمان وسبعين وانعقد هؤلاء المماليك المتفاوضون فى الثورة بمنزل الطرانة وبيتوا له فيها ونمى اليه خبرهم ورأى العلامات التى قد أعطيها من أمرهم فركب مكرا فى بعض خواصه وخاض النيل الى القاهرة وتقدم الى نواتية البحر أن يرسوا سفنهم عند العدوة الشرقية ويمنعوا العبور كل من يرومه من العدوة الغربية وخالفه استدمر واقتفان الى السلطان فى ليلتهم وبايعوه على مقاطعة بيبغا ونكبته ولما وصل بيبغا الى القاهرة جمع من كان بها من الامراء والحجاب من مماليكه وغيرهم وكان بها ايبك البدرى أمير ماخورية فاجتمعوا عليه وكان يقتمر النظامى وارغون ططن بالعباسية سارحين فاجتمعوا اليه فخلع الاشرف ونصب أخاه انوك ولقبه المنصور وأحضر الخليفة فولاه واستعد للحرب وضرب مخيمه بالجزيرة الوسطى على عدوة البحر ولحق به من كانت له معه طاغية من الامراء الذين مع السلطان بصحابة أو أمر أو ولاية مثل بيبغا العلائى الدوادار ويونس الرمام وكشبغا الحموى وخليل بن قوصون ويعقوب شاه وقرابغا البدرى وابتغا الجوهرى ووصل السلطان الاشرف من الطرانة صبيحة ذلك اليوم على التعبية قاصدا دار ملكه وانتهى الى عدوة البحر فوجدها متفرقة من السفن فخيم هنالك وأقام ثلاثا وبيبغا وأصحابه قبالتهم بالجزيرة الوسطى يتخطفونهم بالنبل ويرسلون عليهم الحجارة من المجانيق وصواعق الانفاط وعوالم النظارة فى السفن الى أن تتوسط فيركبونها ويحركونها بالمجاذيف الى ناحية السلطان حتى كملت منها عدة وأكثرها من القربان التى أنشأها بيبغا وأجاز فيها السلطان وأصحابه الى جزيرة الفيل وسار على التعبية وقد ملأت عساكره وتابعه بسيط الارض وتراكم القتام بالجو وغشيت سحابه موكب بيبغا

السلطان على الامراء

وأصحابه فتقدموا للدفاع وصدقتهم عساكر السلطان القتال فانفضوا عن بيبغا وتركوه أوحش من وتد فى قلاع فولى منهزما ومر بالميدان فصلى ركعتين عند بابه واستمر الى بيته والعوام ترجمه فى طريقه وسار السلطان فى تعبيته الى القلعة ودخل قصره وبعث عن بيبغا فجىء به واعتقل بحبس القلعة سائر يومه فلما غشى الليل ارتاب المماليك بحياته وجاؤا الى السلطان يطلبونه وقد أضمروا الفتك به وأحضره السلطان وبينما هو مقبل على التضرع للسلطان ضربه بعضهم فأبان رأسه وارتاب من كان منهم خارج القصر فى قتله فطلبوا معاينته ولم يزالوا يتناقلون رأسه من واحد الى واحد حتى رماه آخرهم فى مشعل كان بازائه ثم دفن وفرغ من أمره وقام بأمر الدولة استدمر الناصرى ورديفه بيبغا الاحمدى ومعهما بجماس الطازى وقرابغا الصرغتمشى وتغرى بدمشق المتولون كبر هذه الفعلة وتقبضوا على الامراء الذين عدلوا عنهم الى بيبغا فحبسوهم بالاسكندرية وقد مر ذكرهم وعزل خليل بن قوصون وألزم بيته وولوا أمراء مكان المحبوسين وأهل وظائف من كانت له واستقر أمر الدولة على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(واقعة الاجلاب ثم نكبتهم ومهلك استدمر وذهاب دولته)

ثم تنافس هؤلاء القائمون بالدولة وحبسوا قرابغا السرغتمشى صاحبهم وامتعض له تغرى بدمشق وداخل بعض الامراء فى الثورة ووافقه ايبك البدرى وجماعة معه وركب منتصف رجب سنة ثمان وستين للحرب فركب له استدمر وأصحابه فتقبضوا عليهم وحبسوهم بالاسكندرية وعظم طغيان هؤلاء الاجلاب وكثر عيثهم فى البلد وتجاوزهم حدود الشريعة والملك وفاوض السلطان أمراءه فى شأنهم فأشاروا بمعاجلتهم وحسم دائهم فنبذ السلطان اليهم العهد وجلس على كرسيه بالاسطبل وتقدم الى الامراء بالركوب فركب الجائى اليوسفى وطغتمر النظامى وسائر أمراء السلطان ومن استخدموه من مماليك بيبغا وتحيز اليهم ايبغا الجلب وبجماس الطازى عن صاحبهما استدمر وركب لقتالهم استدمر وأصحابه وسائر الاجلاب وحاصروا القلعة الى أن خرج عند الطلحساه السلطانية فاختل مركز الامراء وفارقهم المستخدمون عندهم من مماليك بيبغا فانفض جمعهم وانهزموا وثبت الجائى اليوسفى وارغون التترى فى سبعين من مماليكهم فوقفوا قليلا ثم انهزموا الى قبة النصر وقتل دروط ابن أخى الحاج الملك وقبض على ايبغا الجلب جريحا وعلى طغتمر النظامى وعلى بجماس الطازى والجائى اليوسفى وارغون التتر وكثير من امراء الالوف ومن دونهم واستولى

استدمر وأصحابه الاجلاب على السلطان كما كانوا وولى مكان المحبوسين من الامراء وأهل الوظائف وعاد خليل بن قوصون على امرته وعزل قشتمر عن طرابلس وحبس بالاسكندرية واستبدل بكثير من أمراء الشأم واستمر الحال على ذلك بقية السنة والاجلاب على حالهم فى الاستهتار بالسلطان والرعية فلما كان محرم سنة تسع وستين عادوا الى الاجلاب على الدولة فركب أمراء السلطان الى استدمر يشكونهم ويعاتبونهم فى شأنهم فقبض على جماعة منهم كسر بهم الفتنة وذلك يوم الاربعاء سادس صفر فلما كان يوم السبت عاودوا الركوب ونادوا بخلع السلطان فركب السلطان فى مماليكه ونحو المائتين والتف عليهم العوام وقد حنقوا على الاجلاب بشراشرهم فيهم وركب استدمر فى الاجلاب على التعبية وهم ألف وخمسمائة وجاؤا من وراء القلعة على عادتهم حتى شارفوا القوم فأحجموا ووقفوا وأدلفتهم الحجارة من أيدى العوام بالمقاليع وحملت عليهم العساكر فانهزموا وقبض على ابقا السرغتمشى وجماعة معه فحبسوا بالخزانة ثم جىء باستدمر أسيرا وشفع فيه الامراء فشفعهم السلطان وأطلقه باقيا على أتابكيته ونزل الى بيته بقبض الكبس وكان خليل بن قوصون تولى آتابكا فى تلك الفترة فأمره السلطان أن يباكره لحبسه من الغد فركب خليل الى بيته وحمله على الانتقاض على أن يكون الكرسى لخليل بعلاقة نسبته الى الملك الناصر من أمه فاجتمع منهم جماعة من الاجلاب وركبوا بالرميلة فركب اليهم السلطان والامراء فى العساكر فانهزموا وقتل كثير منهم وبعثوا بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وقتل كثير ممن أسر فى تلك الواقعة منهم وطيف بهم على الجمال فى أقطار المدينة ثم تتبع بقية الاجلاب بالقتل والحبس بالثغور القاصية وكان ممن حبس منهم بالكرك برقوق العثمانى الذى ولى الملك بعد ذلك بمصر وبركة الجولانى وطنبقا الجوبانى وجركس الخليلى ونعنع وأقاموا كلهم متلفين بين السجن والنفى الى أن اجتمع شملهم بعد ذلك كما نذكره واستبد السلطان بأمره بعض الشئ وأفرج عن الجائى اليوسفى وطغتمر النظامى وجماعة من المسجونين من أمرائه وولى الجائى أمير سلاح وولى يلبغا المنصورى وبكتمر المحمدى من أمراء الاجلاب فى الاتابكية شريكين ثم نمى عنهما أنهما يرومان الثورة واطلاق المسجونين من الاجلاب والاستبداد على السلطان فقبض عليهما وبعث عن سنكلى بغا الشمسى من حلب وأقامه فى الاتابكية واستدعى أمير على الماردانى من دمشق وولاه النيابة وولى فى جميع الوظائف استبدادا وانشاء بنظره واختياره وكان منهم مولاه ارغون الاشرفى ومازال يرقيه فى الوظائف الى أن جعله أتابك دولته وكان خالصته كما سنذكر وولى على حلب مكان سنكلى بغا طنبغا الطويل

وعلى دمشق مكان الماردانى بندمر الخوارزمى ثم اعتقله وصادره على مائة ألف دينار ونفاه الى طرسوس وولى مكانه منجك اليوسفى نقله اليها من طرابلس وأعاد اليها غشقتمر الماردانى كما كان قبله ثم توفى طنبغا الطويل بحلب آخر سنة تسع وستين بعد ان كان يروم الانتقاض فولى مكانه استبغا الابوبكرى ثم عزله سنة سبعين وولى مكانه قشتمر المنصورى والله تعالى ولى التوفيق بمنه وفضله

(مقتل قشتمر المنصورى بحلب فى واقعة العرب)

كان جبار بن مهنا أمير العرب من آل فضل قد انتقض وولى السلطان مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى واستمر جبار على خلافه ووطئ بلاد حلب أيام المصيف واجتمع اليه بنو كلاب وامتدت أيديهم على السابلة فخرج اليهم نائب حلب قشتمر المنصورى فى عساكره فأغار على أحيائه واستاق نعمهم ومواشيهم وشرهوا الى اصطلامهم فتذامروا دون احيائهم وكانت بينه وبينهم جولة أجلت عن قشتمر المنصورى وابنه محمد قتيلين ويقال قتلهما نعير بن جبار ورجعت عساكر الترك منهزمين الى حلب وذهب جبار الى القفر ناجيا به وولى السلطان على العرب معيقيل بن فضل ثم استأمن له جبار بن مهنا وعاود الطاعة فأعاده السلطان الى امارته والله تعالى أعلم

(استبداد الجائى اليوسفى ثم انتقاضه ومقتله)

لما أذهب السلطان الاشرف أثر الاجلاب من دولته وقام بعض الشئ بأمره فاستدعى سنكلى بغا من حلب وجعله أتابكا وأمير على الماردانى من دمشق وجعله نائبا وولى الجائى اليوسفى أمير سلاح وولى اصبغا عبد الله دوادارا بعد ان كان الاجلاب ولوا فى الدوادارية منهم واحدا بعد واحد ثم سخطه وولى مكانه اقطمر الصاحبى وعمر سائر الخطط السلطانية بمن وقع عليه اختياره ورقى مولاه ارغون شاه فى المراتب من واحدة الى أخرى الى أن أربى به على الاتابكية كما يأتى وولى بهادر الجمالى استادار ثم أمير الماخورية تردد بينهما ثم استقر آخرا فى الماخورية وولى محمد بن اسقلاص استادارا وولى يلبغا الناصرى الحجابة بعد وظائف أخرى نقله منها وزوج أمه الجائى اليوسفى فعلت رتبته بذلك فى الدولة واستغلظ أمره وأغلظ له الدوادار يوما فى القول فنفى وولى مكانه منكوتمر عبد الغنى ثم عزل سنة ثنتين وسبعين لسنة من ولايته وولى السلطان مكانه طشتمر العلائى الذى كان دوادار اليبغا واستقرت الدولة على هذا النمط والجائى اليوسفى مستبد فيها ووصل قودمنجك من الشأم سنة أربع وسبعين بما لا يعبر عنه اشتمل على الخيل والبخاتى المجللة والجمال والهجن والقماش والحلاوات

والحلى والطرف والمواعين حتى كان فيها من الكلاب الصائدة والسباع والابل مالم ير مثله فى أصنافه ثم وصل قودقشتمر الماردانى من حلب على نسبة ذلك والله تعالى أعلم

(انتقاض الجائى اليوسفى ومهلكه واستبداد الاشرف بملكه من بعده)

لم تزل الدولة مستقرة على ماوصفناه الى أن هلك الامير سنكلى بغا الاتابك منتصف سنة أربع وسبعين واستضاف الجائى اليوسفى الاتابكية الى ما كان بيده ورتبته أشذ من ذلك كله وهو القائم المستبد بها ثم توفيت أم السلطان وهى فى عصمته فاستحق منها ميرا ثا ادعاه لؤم الاخلاق فيه الى المماحكة فى المخلف وتجافى السلطان له عن ذلك الا أنه كان ضيق الصدر شرس الاخلاق فكان يغلظ القول بما يخشن الصدور فأظلم الجو بينه وبين السلطان وتمكنت فيه السعاية وفكرت هذه انتقاضه الاول وذلك أنه كان سخط فى بعض النزعات على بعض العوام من البلد فامر بالركوب الى العامة وقتلهم فقتل منهم كثيرونمى الخبر الى السلطان على ألسنة أهل البصائر من دولته وعذلوه عنده فاستشاط السلطان وزجره وأغلظ له فغضب وركب الى قبة النصر منتقضا وذهب السلطان فى مداراة أمره الى الملاطفة واللين وكان الاتابك سنكلى بغا يوم ذاك حيا فأوعز السلطان اليه فرجع وخلع عليه وأعاده الى أحسن ما كان فلما بدرت هذه الثانية حذر السلطان بطانته من شأنه وخرج هو منتقضا وركب فى مماليكه بساحة القلعة وجلس السلطان وترددت الرسل بينهما بالملاطفة فأصر واستكبر ثم أذن السلطان لمماليكه فى قتاله وكان أكثرهم من الاجلاب مماليك يبقا وقد جمعهم السلطان واستخدمهم فى جملة ابنه أمير على ولى عهده فقاتلوه فى محرم سنة خمس وتسعين وكان موقفه فى ذلك المعترك الى حائط الميدان المتصل بالاساطيل فنفذت له المقاتلة من داخل الاساطيل ونضحوه بالسهام فتنحى عن الحائط حتى اذا حل مركزه ركبوا خيولهم وخرجوا من باب الاساطيل وصدقوا عليه الحملة فانهزم الى بركة الحبش ورجع من وراء الجبل الى قبة النصر فأقام بها ثلاثا والسلطان يراوضه وهو يشتط وشيعه يتسللون عنه ثم بعث اليه السلطان لمة من العسكر ففر أمامهم الى قليوب واتبعوه فخاض البحر وكان آخر العهد به ثم أخرج شلوه ودفن وأسف السلطان لمهلكه ونقل أولاده الى قصره ورتب لهم ولحاشيته الارزاق فى ديوانه وقبض على من اتهمه بمداخلته وأرباب وظائفه فصودروا كلهم وعزلوا وغربوا الى الشأم واستبد السلطان بأمره واستدعى ايدمر القرى الدوادار وكان نائبا بطرابلس فولاه اتابكا مكان الجائى ورفع رتبته وولى أرغون شاه وجعله أمير مجلس وولى سرغتمش من مواليه أمير سلاح واختص بالسلطان طشتمر الدوادار وناصر الدين محمد بن اسقلاص استاذدار فكانت أمور

الدولة منقسمة بينهما وتصاريفها تجرى بسياستهما الى ان كان ما نذكره والله تعالى ولى التوفيق

(استقدام منجك للنيابة)

كان أمير على الماردانى قد توفى سنة ثنتين وسبعين وبقيت وظيفته خلوا المكان الجائى اليوسفى وأحكامه ولما هلك سنة خمس وسبعين ولى السلطان اقطمر عبد الغنى نائبا ثم بدا له أن يولى فى النيابة منجك اليوسفى لما رآه فيه من الاهلية لذلك والقيام به ولتقلبه فى الامارة منذ عهد الناصر حسن وأنه كان من مواليه أخا ليبقاروس وطاز وسرغتمش فهو بقية المناجب فلما وقع نظره عليه بعث فى استقدامه بيبقا الناصرى من أمراء دولته وولى مكانه بندمر الخوارزمى وأعاد عشقتمر الى حلب مكانه ووصل منجك الى مصر آخر سنة خمس وسبعين ومعه مماليكه وحاشيته وصهره روس المحمدى فاحتفل السلطان فى تكرمته وأمر أهل الدولة بالركوب لتلقيه فتلقاه الامراء والعساكر وأرباب الوظائف من القضاة والفقهاء والدواوين وأذن له فى الدخول من باب السر راكبا وخاصة السلطان مشاة بين يديه حتى نزل عند مقاعد الطواشية بباب القصر حيث يجلس مقدم المماليك ثم استدعى الى السلطان فدخل وأقبل عليه السلطان وشافهه بالنيابة المطلقة وفوض اليه الولاية والعزل فى سائر المراتب السلطانية من الوزراء والخواص والقضاة والاوقاف وغيرها وخلع عليه وخرج ثم قرر تقليده بذلك فى الايوان ثانى يوم وصوله فكان يوما مشهودا وولى الاشرف فى ذلك اليوم بيبقا الناصرى الذى قدم به حاجبا ثم سافر عشقتمر نائب حلب آخر سنة ست وسبعين بعدها بالعساكر الى بلاد الارمن ففتح سائر أعمالها واستولى على ملكها التكفور بالامان فوصل بأهله وولده الى الابواب السلطانية ورتب لهم الارزاق وولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الارمن وتوفى منجك آخر هذه السنة فولى السلطان اقتمر الصاحبى المعروف بالحلى ثم عزله ورفع مجلسه وولى مكانه اقتمر الالفى ثم توفى جبار بن مهنا أمير العرب بالشأم فولى السلطان ابنه يعيرا مكانه ثم توفى أمير مكة من بنى حسن فولى الاشرف مكانه واستقرت الامور على ذلك والله أعلم

(الخبر عن مماليك يبقا وترشيحهم فى الدولة)

كان السلطان الاشرف بعد أن سطا بمماليك يبقا تلك السطوة وقسمهم بين القتل والنفى وأسكنهم السجون وأذهب أثرهم من الدولة بالجملة أرجع جملة منهم بعد ذلك وعاتبه سنكلى بغا فى شأنهم وأن فى اتلافهم قص جناح الدولة وأنهم ناشئة من الجند

بحتاج الملك لمثلهم فندم على من قتل منهم وأطلق من بقي من المحبوسين بعد خمس من السنين وسرحهم الى الشأم يستخدمون عند الامراء وكان فيمن أطلق الجماعة بحبس الكرك وهم برقوق العثمانى وبركة الجوبانى وطنبقا الجوبانى وجركس الخليلى ونعنع فأطلقوا الى الشأم ودعا منجك صاحب الشأم كبراءهم الى تعليم المماليك ثقافة الرمح وكانوا بصراء بها فأقاموا عنده مدة أخبرنى بذلك الطنبقا الجوبانى أيام اتصالى به قال وأقمنا عند منجك الى ان استدعاه السلطان الاشرف وكتب اليه الجائى اليوسفى بمثل ذلك فاضطرب فى أيهما يجيبه فيهما ثم أراد أن يخرج من العهدة فرد الامر الينا فأبينا الا امتثال أمره فتحير ثم اهتدى الى أن يبعث الى الجائى اليوسفى ودس الى قرطاى كافل الامير على ابن السلطان وكان صديقه بطلبنا من الجائى بخدمة ولى العهد وصانع الجهتين بذلك قال وصرنا الى ولى العهد فعرضنا على السلطان ابيه واختصصنا عنده بتعليم الثقافة لمماليكه الى أن دعانا السلطان يوم واقعة الجائى وهو جالس بالاصطبل فندبنا لحربه وذكرنا حقوقه وأزاح عللنا بالجياد والاسلحة فجلبنا فى قتاله الى ان انهزم ومازال السلطان بعدها يرعى لنا ذلك ويقدمنا انتهى خبر الجوبانى وكان طشتمر الدوادار قد لطف محله عند الاشرف وخلاله وجهه وكان هواه فى اجتماع مماليك يبقا فى الدولة يستكثر بهم فيما يؤمله من الاستبداد على السلطان فكان يشير فى كل وقت على الاشرف باستقدامهم من كل ناحية واجتماعهم عصابة للدولة يخادع بذلك عن قصده وكان محمد بن اسقلاص استاذ داره سامية فى الدولة ويزاحمه فى مخالصة الاشرف ولطف المحل عنده ينهى السلطان عن ذلك ويحذره مغبة اجتماعهم فغص طشتمر بذلك وكان عند السلطان مماليك دونه من مماليكه الخاصكية شبابا قد اصطفاهم وهذبهم وخالصهم بالمحبة والاصهار ورشحهم للمراتب وولى بعضهم وكان الاكابر من أهل الدولة يفضون اليهم بحاجاتهم ويتوسلون بمساعيهم فصرف طشتمر اليهم وجه السعاية وغشى مجالسهم وأغراهم بابن اسقلاص وانه يصد السلطان أكثر الاوقات عن اغراضهم منه ويسد أبواب الانعام والصلات منه وصدق ذلك عندهم كثرة حاجاتهم فى وظيفته وتقرر الكثير منها عليهم عنده فوغرت صدورهم منه وأغروا به السلطان باطباق اغراء طشتمر ظاهرا حتى تمت عليهم نكبته وجمعت الكلمة وقبض عليه منتصف جمادى سنة سبع وثمانين ونفاه الى القدس فخلا لطشتمر وجه السلطان ثم انفرد بالتدبير واجتمع المماليك اليبغاوية من كل ناحية حتى كثروا أهل الدولة وعمروا مراتبها ووظائفها واحتازوها من جوانبها الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{ حج السلطان الاشرف وانتقاض المماليك عليه بالعقبة وما كان مع ذلك من ثورة قرطاى بالقاهرة وبيعة الامير على ولى العهد ومقتل السلطان اثر ذلك }

لما استقر السلطان فى دولته على أكمل حالات الاستبداد والظهور واذعان الناس لطاعته فى كل ناحية وأكمل الله له الامتاع بملكه ودنياه سمت نفسه الى قضاء فرضه فأجمع الحج سنة ثمان وسبعين وتجهز لذلك واستكثر من الرواحل المستجادة والازودة المنقلة من سائر الاصناف واستعد للسفر واحتفل فى الابهة بما لم يعهد مثله واستخلف ابنه ولى العهد فى ملكه وأوصى النائب اكتمر عبد الغنى بمباكرة بابه والانتهاء الى مراسمه وأخرج بنى الملك الناصر المحجوبين بالقلعة مع سرد الشيخونى الى الكرك يقيمون به الى منصرفه وتجهز الخليفة العباسى محمد المتوكل بن المعتضد والقضاة للحج معه وجهز جماعة من الامراء أهل دولته وأزاح عللهم وملأ بمعروفه حقائبهم وخرج ثانى عشر شوال فى المراكب والقطارات يروق الناظرين كثرة ومخافة وزينة والخليفة والقضاة والامراء حفافيه وبرز النظارة حتى العواتق من خدورهن وتجلت بمركبهم البسيطة وماجت الارض بهم موجا وخيم بالبركة منزل الحاج وأقام بها أياما حتى فرغ الناس من حاجاتهم وارتحل فمازال يتنقل فى المنازل الى العقبة ثم أقام فيها على عادة الحاج وكان فى نفوس المماليك وخصوصا اليبقاوية وهم الاكثر شجى يتشوفون به الى الاستبداد من الدولة فتنكروا واشتطوا فى اقتضاء أرزاقهم والمباشرون يعللونهم وانتهى الى الفساد ثم طلبوا العلوفة المستقبلة الى دار الازلم فاعتذر المباشرون بأن الاقوات حملت الى أمام فلم يقبلوا وكشفوا القناع فى الانتقاض وباتوا ليلتهم على تعبية واستدعى الاشرف طشتمر الدوادار وكان كبيرهم ففاوضه فى الامر ليفل من عزمهم فأجمل العذر عنهم وخرج اليهم فخرجوا ثم ركبوا من الغد واصطفوا وأركبوا طشتمر معهم ومنعوه من معاودة السلطان وتولى كبر ذلك منهم مبارك الطازى وسراى تمر المحمدى وبطلقمر العلائى وركب السلطان فى خاصته يظن أنهم يرعوون أو يجنح اليه بعضهم فأبوا الا الاحفاف على قتاله ونضحوا موكبه بالنبل لما عاينوه فرجع الى خيامه منهزما ثم ركب الهجن فى لفيف من خواصه ومعه ارغون شاه الاتابك ويبقا الناصرى ومحمد بن عيسى صاحب الدرك من لفائف الاعراب أهل الضاحية وفى ركابه جماعة الشباب الذين أنشأهم فى مخالصته ورشحهم للوظائف فى دولته كما مر وخام الفل الى القاهرة وقد كان السلطان عندما سافر عن القاهرة ترك بها جماعة من الامراء والمماليك مقيمين فى وظائفهم كان منهم قرطاى الطازى كافل امير على ولى العهد واقتمر الخليلى وقشتمر واستدمر السرغتمشى

بياض بالاصل

وايبك البدرى وكان شيطان من المتمردة قد أوحى الى قرطاى بأنه يكون صاحب الدولة بمصر فكان يتشوف لذلك ويترصد له وربما وقع بينه وبين وزير الدولة منازعة فى جراية مماليك مكفوله ولى العهد وعلوفاتهم أغلظ له فيها الوزير فوجم وأخذ فى أسباب الانتقاض وداخل فى ذلك بعض أصحابه وواعدهم ثالث ذى القعدة وتقدم الى نائبة ولى العهد ليلة ذلك اليوم بأن يصلح من شأنه ويفرغ عليه ملابس السلطان ويهيئه لجلوس التخت وركب هو صبيحة ذلك اليوم ووقف بالرميلة عند مصلى العيد وتناول قطعة من ثوب فنصبها لواء وكان صبيان المدينة قد شرعوا فى اتخاذ الدبادب والطبيلات للعيد فأمر بتناول بعضها منهم وقرعت بين يديه وتسايل الناس اليه من كل أوب ونزل من كان بطباق القصر وغرفه وبالقاهرة من المماليك واجتمعوا اليه حتى كظ ذلك الفضاء وجاؤا تعادى بهم الخيل فاستغلظ لفيفهم ثم اقتحم القلعة فى جمعه من باب الاصطبل الى بيت مكفوله ولى العهد أمير على عند باب الستارة يطلبونه وقبضوا على زمام الدود وكانوا عدة حتى أحضروا ولى العهد وجاؤا به على الاكتاف الى الايوان فأجلسوه على التخت وأحضروا ايدمر نائب القلعة فبايع له ثم أنزلوه الى باب الاصطبل وأجلسوه هنالك على الكرسى واستدعى الامراء القائمين بالقاهرة فبايعوه وحبس بعضهم بالقلعة وبعث اقتمر الحلبى الى الصعيد يستكشف أحواله واختص منهم ايبك فجعله رديفا فى دولته وباتوا كذلك وأصبحوا يسائلون الركبان ويستكشفون خبر السلطان وكان السلطان لما انهزم من العقبة سار ليلتين وجاء الى البركة آخر الثانية وجاءه الخبر بواقعة القاهرة وما فعله قرطاى وتشاوروا فأشار محمد بن عيسى بقصد الشأم وأشار آخرون بالوصول الى القاهرة وسار السلطان اليها واستمروا الى قبة النصر وتهافتوا عن رواحلهم بالطلاح وقد أنهكهم التعب وأضناهم السير فما هو الا أن وقعوا لمناكبهم وجنوبهم وغشيهم النعاس وجاء الناصرى الى السلطان الاشرف من بينهم فنصح له بأن يتسلل من أصحابه ويتسرب فى بعض البيوت بالقاهرة حتى يتبين له وجه مذهبه وانطلق بين يديه فقصد بعض النساء ممن كان يتاب قصده واختفى فطن الغاة فى ذلك وفارقه الناصرى يطلب نفقا فى الارض وقد كانوا بعثوا من قبة النصر بعض المماليك عنهم روائد يستوضحون الخبر فأصبحوا بالرميلة أمام القلعة وتعرف الناس أنه من الحاج فرفعوه الى صاحب الدولة وعرض عليه العذاب حتى أخبره عن السلطان وأنه وأصحابه بقبة النصر مصرعين من غشى النوم فطار اليهم شرار العسكر مع استدمر السرغتمشى والجهور فى ساقتهم حتى وقفوا عليهم فى مضاجعهم وافتقدوا السلطان من بينهم وقتلوهم جميعا وجاؤا برؤسهم

ووجهوا الافتقاد السلطان ونادوا بطلبه وعرضوا العذاب والقتل على محمد بن عيسى صاحب الدرك فتبرأ وحبس رهينة من ثقاته ثم جاءت امرأة الى ايبك فدلته عليه فى بيت جارتها فاستخرجوه من ذلك البيت ودفعوه الى ايبك فامتحنه حتى دلهم على الذخيرة والاموال ثم قتلوه خنقا وجددوا البيعة لابنه الامير على ولقبوه المنصور واستقل بدولته كافله من قبل الامير قرطاى ورديفه ايبك البدرى واستقر الامر على ذلك

مجى طشتمر من العقبة وانهزامه ثم مسيره الى الشأم وتجديد البيعة للمنصور باذن الخليفة وتقديمه

لما انهزم السلطان من العقبة ومضى الى القاهرة اجتمع أهل الثورة على قشتمر وألقوا اليه القياد ودعوا الخليفة الى البيعة له فتفادى من ذلك ومضى الحاج من مكة مع أمير المحمل بهادر الجمالى على العادة ورجع القضاة والفقهاء الى القدس وتوجه طشتمر والامراء الى مصر لتلافى السلطان أو تلافه فلقيهم خبر مهلكه بعجرود وما كان من بيعة ابنه واستقلال قرطاى بالملك فثاب لهم رأى آخر فى حرب أهل الدولة وساروا على التعبية وبعثوا فى مقدمتهم قطلقتمر ولقى طلائع مصر فهزمهم وسار فى اتباعهم الى ساحة القلعة فلم يشعر الا وقد تورط فى جمهور العسكر فتقبضوا عليه وكان قرطاى قد بعث عن اقتمر الصاحبى الحنبلى من الصعيد وبرجع فى العساكر لحرب قشتمر وأصحابه فبرز اليهم والتقوا فى ساحة القلعة وانهزم قشتمر الى الكيمان بناحية مصر ثم استأمن فأمنوه واعتقلوه ثم جمع الناس ليوم مشهود وحضر الخليفة والامراء والقضاة والعلماء وعقد الخليفة للمنصور بن الاشرف وفوض اليه وقام قرطاى بالدولة وقسم الوظائف فولى قشتمر اللفاف   واستأمر الصرغتمشى أمير سلاح وقطلوبغا البدرى أمير مجلس وقرطاى الطازى رأس نوبة واياس الصرغتمشى دوادار وايبك البدرى أمير الماخورية وسردون جركس استاذدار واقتمر الحنبلى نائبا وجعل له الاقطاع للاجناد والامراء والنواب وأفرج عن طشتمر العلائى الدوادار   الاسكندرية وأحضر بنى الملك الناصر من الكرك مع حافظهم سردون الشيخونى وولاه حاجبا وكذلك قلوط الصرغتمشى وأصاب الناس فى آخر السنة طاعون الى أول سنة تسع وسبعين فهلك طشتمر اللفاف الاتابك وولى مكانه قرطاى الطازى فى وظيفته واستدعى بيبقا الناصرى من الشأم فاختصه الامير الكبير قرطاى بالمخالصة والمشاورة

(نكبة قرطاى واستقلال ايبك بالدولة ثم مهلكه)

البياض فى الموضعين بالاصل

كان ايبك الغزى هذا قد ردف قرطاى فى حمل الدولة من أول نوبتهم وقيامهم على السلطان بخالصه وخلطه بنفسه فى الاصهار اليه وكان ايبك يروم الاستبداد بشأن أصحابه وكان يعرف من قرطاى عكوفه على لذاته وانقسامه مع ندمائه فعمل قرطاى فى صفر سنة تسع وسبعين ضيافة فى بيته وجمع ندماءه مثل سودون جركس ومبارك الطازى وغيرهم واهدى له ايبك نبيذا أذيب فيه بعض المرقدات فباتوا يتعاطونه حتى غلبهم السكر على أنفسهم ولم يفيقوا فركب ايبك من ليلته وأركب السلطان المنصور معه واختار الامر لنفسه واجتمع اليه الناس وأفاق قرطاى بعد ثلاث وقد انحلت عنه العقدة واجتمع الناس على ايبك فبعث اليه قرطاى يستأمن فأمنه ثم قبض عليه فسيره الى صفد واستقل ايبك بالملك والدولة ثم بلغه منتصف صفر من السنة انتقاض طشتمر بالشأم وانتقاض الامراء هنالك فى سائر الممالك على الخلاف معه فنادى فى الناس بالمسير الى الشأم فتجهزوا وسرح المقدمة آخر صفر مع ابنه أحمد وأخيه قطلوبغا وفيها من مماليكه ومماليك السلطان وجماعة من الامراء كان منهم الاميران برقوق وبركة المستبدان بعد ذلك ثم خرج ايبك ثانى ربيع فى الساقة بالسلطان والامراء والعساكر وانتهوا الى بلبيس وثار الامراء الذين كانوا مع أخيه فى المقدمة ورجع اليه منهزما فأجفل راجعا الى القلعة بالسلطان والعساكر وخرج اليه ساعة وصوله يوم الاثنين جماعة من الامراء وهم قطلتمر العلائى الطويل والطنبغا السلطانى والنعناع وواعدوه قبة النصر فسرح اليهم العساكر مع أخيه قطلوبغا فأوقعوا به وقبضوا عليه وبلغ الخبر الى ايبك فسرح من حضره من الامراء للقائهم وهم أيدمر الشمسى واقطمر عبد الغنى وبهادر الجمالى ومبارك الطازى فى آخرين ولما تواروا عنه ركب هو هاربا الى كيمان مصر واتبعه ايدمر القنائى فلم يقف له على خبر ودخل الامراء من قبة النصر الى الاصطبل وامضوا الامراء الى قطلتمر العلائى وهم يحاذونه وأشير عليه بخلع المنصور والبيعة لمن يقوم على   من أبناء السلطان فأبى ثم وصل صبيحة الثلاثاء الامراء الذين ثاروا بأخى ايبك فى مقدمة العسكر وفيهم يبيقا الناظرى ودمرداش اليوسفى وبلاط من أمراء الالوف وبرقوق وبركة وغيرهما من الطلخانات فنازعوهم الامر وغلبوهم عليه وبعثوا بهم الى الاسكندرية معتقلين وفوض الامراء الى يبيقا الناظرى فقام بأمرهم وهو شعاع وآراؤهم مختلفة ثم حضر يوم الاحد التاسع من ربيع ايبك صاحب الدولة وظهر من الاختفاء وجاء الى بلاط منهم وأحضره عند يبيقا الناظرى فبعث به الى الاسكندرية فحبسه بها وكان يبيقا الناظرى يختص برقوق وبركة بالمفاوضة استرابة بالآخرين فاتفق

بياض بالأصل

رأيهم على ان يستدعى طشتمر من الشأم وينصبوه للامارة فبعثوا اليه بذلك وانتظروه

{ استبداد الاميرين أبى سعيد برقوق وبركة بالدولة من بعد ايبك ووصول طشتمر من الشأم وقيامه بالدولة ثم نكبته }

لما تغلب هؤلاء الامراء على الدولة ونصبوا يبيقا الناظرى ولم يمضوا له الطاعة بقى أمرهم مضطربا وآراؤهم مختلفة وكان برقوق وبركة أبصر القوم بالسياسة وطرق التدبير وكان الناظرى يخالصهما كامر فتفاوضوا فى القبض على هؤلاء المتصدين للمنازعة وكبح شكائمهم وهم دمرداش اليوسفى وتمرباى الحسنى واقتلاص السلجوقى واستدمر بن العثمانى فى آخرين من نظرائهم وركبوا منتصف صفر وقبضوا عليهم أجمعين وبعثوا بهم الى الاسكندرية فحبسوهم بها واصطفوا بلاطا منهم وولوه الامارة وخلطوه بأنفسهم وأبقوا يبيقا الناظرى على اتابكيته كما كان وأنزلوه من القلعة فسكن بيت شيخو قبالته وولى برقوق أمير الماخورية ونزل باب الاصطبل وولى بركة الجوبانى أمير مجلس واستقرت الدولة على ذلك وكان طشتمر نائب الشأم قد انتقض واستبد بأمره وجمع عساكر الشأم وامراءه واستنفر العرب والتركمان وخيم بظاهر دمشق يريد المسير الى مصر وبرز ايبك من مصر بالسلطان والعساكر يريد الشأم لمحاربته فكان ما قدمناه من نكبته وخروج الامراء عليه ومصيرهم الى جماعة اليبقاوية الطائرين بايبك ومقدمهم يبيقا الناظرى ثم تفاوض يبيقا الناظرى مع برقوق وبركة فى استدعاء طشتمر فوافقاه ونظراءه رأيا وخيمه   من الذين معه وحسم الداء منه بكونهم فى مصر فكتبوا اليه بالوصول الى مصر للاتابكية وتدبير الدولة وانه شيخ اليبقاوية وكبيرهم فسكنت نفسه لذلك ووضع أوزار الفتنة وسار الى مصر فلما وصلها اختلفوا فى أمره وتعظيمه وأركبوا السلطان الى الزيدانية لتلقيه ودفعوا الامراء اليه وأشاروا له الى الاتابكية ووضعوا زمام الدولة فى يده فصار اليه التولية والعزل والحل والعقد وولى يبيقا الناظرى أمير سلاح مكان سباطا وبعثوا بلاطا الى الكرك لاستقلال طشتمر بمكانه وولى بندمر الخوارزمى نائبا بدمشق على سائر وظائف الدولة وممالك الشأم كما اقتضاه نظره ووافق عليه استاذدار برقوق وبركة وولى ايبك اليوسفى فرتب برقوق رأس نوبة مكان الناصرى واستمر الحال على ذلك وبرقوق وبركة أثناء هذه الامور يستكثران من المماليك استغلاظا لشوكتهما واكتنافا لعصبيتهما ان يمتد الامير الى مراتبهما فبذلا الجاه لتابعهما ويوفران الاقطاع لمن يستخدم لهما ويخصان بالامرة من يجنح من أهل الدولة اليهما والى ابوابهما وانصرفت الوجوه عن سواهما وارتاب طشتمر بنفسه فى ذلك وأغراه أصحابه بالتوثب بهذين الاميرين فلما

بياض بالأصل

كان ذوالحجة سنة تسع وسبعين استعجل أصحابه على غيرروية وبعثوا اليه فأحجم وقعد عن الركوب واجتمع برقوق وبركة بالاصطبل … اليه وقاتل مماليك طشتمر بالرميلة ساعة من نهار وانهزموا وافترقوا واستأمن طشتمر فأمنوه واستدعوه الى القلعة فقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه منهم اطلمش الارغونى ومدلان الناصرى وأميرجج بن مغلطاى ودوادار أرغون وبعثهم الى الاسكندرية فحبسوا بها وبعث معهم بيبغا الناصرى كذلك ثم أفرج عنه لايام وبعثه نائبا على طرابلس ثم أفرج عن طشتمر بعد ذلك الى دمياط ثم الى القدس الى ان مات سنة سبع وثمانين واستقامت الدولة للاميرين بعد اعتقالهما وخلت لهما من المنازعين وولى الامير برقوق اتابكا وولى الماخورية الجابى الشمسى وولى قريبه اينال أميرسلاح مكان بيبغا الناصرى وولى أقتمر العثمانى دوادار مكان اطلمش الارغونى وولى الطنبغا الجوبانى رأس نوبة ثانيا ودمرداش أميرمجلس وتوفى بيبغا النظامى نائب حلب فولى مكانه عشقتمر الماردانى ثم استأذن … فأذن له وحبس بالاسكندرية وولى مكانه بحلب تمرتاشى الحسينى الدمرداشى ثم أفرج عنه وأقام بالقدس قليلا ثم استدعاه بركة وأكرم نزله وبعثه نائبا الى حلب

بياض بالأصل

بياض بالأصل

(ثورة اينال ونكبته)

كان اينال هذا أميرسلاح وكان له مقام فى الدولة وهو قريب الامير برقوق وكان شديد الانحراف على الامير بركة ويحمل قريبه على منافرته ولا يجيبه الى ذلك فاعتزم على الثورة وتحين لها سفر الامير بركة الى البحيرة يتصيد فركب الامير برقوق فى بعض تلك الايام متصيدا بساحة البلد فرأى ان قد خلا له الجو فركب وعمد الى باب الاصطبل فلكه ومعه جماعة من مماليكه ومماليك الامير برقوق وتقبضوا على أمير الماخورية جركس الخليلى واستدعوا السلطان المنصور ليظهروه للناس فمنعه المقدمون من باب الستارة وجاء الامير برقوق من صيده ومعه الاتابك الشمسى فوصلوا الى منزله خارج القلعة وأفرغوا السلاح على سائر مماليكهم وركبوا الى ساحة الاصطبل ثم قصدوا الى الباب فأحرقوه وتسلق الامير قرطاى المنصورى من جهة باب السر وفتحه لهم فدخلوا منه ودافعوا اينال وانتقض عليه المماليك الذين كانوا معه من مماليك الامير برقوق ورموه بالسهام فانهزم ونزل الى بيته جريحا وأحضر الى الامير برقوق فاعتذر له بانه لم يقصد بفعلته الا التغلب على بركة فبعث به الى الاسكندرية معتقلا وأعاد بيبغا الناصرى أميرسلاح كما كان واستدعى لها من نيابة طرابلس ووصل الخبر الى بركة فأسرع الكرّ من البحيرة وانتظم الحال ونظروا فى الوظائف التى خلت فى هذه الفتنة

فعمروها ابن يقوم بها واختصوا بها من حسن غناؤه فى هذه الواقعة مثل قردم وقرط وذلك سنة احدى وثمانين وأقام اينال معتقلا بالاسكندرية ثم أفرج عنه فى صفر سنة اثنتين وثمانين وولى على طرابلس ثم توفى منكلى بغا الاحمدى نائب حلب فولى اينال مكانه ثم تقبض عليه آخر السنة وحبس بالكرك وولى مكانه بيبغا الجمدى نائب دمشق فولى مكانه بندمر الخوارزمى ثم توفى سنة احدى وثمانين جبار بن المهنا أمير العرب بالشأم فولى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى شريكين ثم عزلا وولى بعير بن جبار

(ثورة بركة ونكبته واستقلال الامير برقوق بالدولة)

كان هذا الامير بركة يعادل الامير برقوق فى حمل الدولة كما ذكرناه وكان أصحابه يفوضون اليه الاستبداد فى الاموال وكان الامير برقوق كثير التثبت فى الامور والميل الى المصالح فيعارضهم فى الغالب ويضرب على أيديهم فى الكثير من الاحوال فغصوا بمكانه وأغروا بركة بالتوثب والاستقلال بالامر وسعوا عنده باشمس من كبار أصحاب الامير برقوق وأنه يحمل برقوق على مقاطعة بركة ويفسد ذات بينهما وأنه يطلب الامر لنفسه وقد اعتزم على الوثوب عليهما فجاء بركة بذلك الى الامير برقوق وأراد القبض على اشمس فمنعه الامير برقوق ودفع عنه وعظم انحراف بركة على أشمس ثم عن الامير برقوق وسعى فى الاصلاح بينهما الاكابر حتى كمال الدين شيخ التكية والخلدى شيخ الصوفية من أهل خراسان وجاؤا بأشمس الى بركة مستعتبا فأعتبه وخلع عليه ثم عاود انحرافه ثانية فمسح أعطافه وسكن وهو مجمع الثورة والفتك ثم عاود حاله ثالثة واتفق أن صنع فى بيت الامير برقوق لسرور ووليمة فى بعض أيام الجمعة فى شهر ربيع سنة ثنتين وثمانين وحضر عنده أصحاب بركة كلهم وأهل شوكته وقد جاءه النصيح بأن بركة قد أجمع الثورة غداة يومه فقبض الامير برقوق على من كان عنده من أصحاب بركة ليقص جناحه منهم وأركب حاشيته للقبض عليه واصعد بدلان الناصرى على مأذنة مدرسة حسن فنضحه بالنبل فى اصطبله وركب بركة الى قبة النصر وخيم بها ونودى فى العامة بنهب بيوته فنهبوها للوقت وخربوها وتحيز اليه بيبغا الناصرى فخرج معه وجلس الامير برقوق بباب القلعة من ناحية الاصطبل وسرّح الفرسان للقتال واقتتلوا عامة يومهم فزحف بركة على تعبيتين احداهما لبيبغا الناصرى وخرج الاق الشعبانى … للقائه وأشمس للقاء بيبغا الناصرى فانهزم أصحاب بركة ورجع الى قبة النصر وقد اثخنوا بالجراح وتسلل أكثرهم الى بيته وأقام الليل ثم دخل الى جامع … وبات به ونمى الى الامير برقوق خبره فأركب اليه الطنبغا الجوبانى

بياض بالأصل

وجاءبه الى القلعة وبعث به الامير برقوق الى الاسكندرية فحبس بها الى ان قتله النائب بها صلاح الدين بن عزام وقتل به فى خبر يأتى شرحه ان شاء الله تعالى وتقبض على بيبقا الناصرى وسائر شيعته من الامراء وأودعهم السجون الى ان استحالت الاحوال وولى وظائفهم من أوقف عليه نظره من امراء الدولة وأفرج عن اينال الثائر قبله وبعثه نائبا على طرابلس واستقل بحمل الدولة وانتظمت به أحوالها واستراب سندمر نائب دمشق لصحابته مع بركة فتقبض عليه وعلى أصحابه بدمشق وولى نيابة دمشق عشقتمر ونيابة حلب اينال وولى اشمس الاتابكية مكان بركة والاق الشعبانى أميرسلاح والطنبقا الجوبانى أميرمجلس وابقا العثمانى دوادارو جركس الخليلى أميرالماخورية والله تعالى ولى التوفيق

(انتقاض أهل البحيرة وواقعة العساكر)

كان هؤلاء الظواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هوارة ومزاتة وزناتة يعمرونها بن تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم ويقومون بخراج السلطان كل سنة فى ابانه وكانت الرياسة عليهم حتى فى اداء الخراج لبدر بن سلام وآبائه من قبله وهو من زناتة احدى شعوب لواتة وكان للبادية المتبدين مثل أبى ذئب شيخ أحياء مهرانة وعسرة ومثل بنى التركية امراء العرب بعقبة الاسكندرية اتصال بهم لاحتياجهم الى الميرة من البحيرة ثم استخدموا الامراء الترك فى مقاصدهم وأموالهم واعتزوا بجاههم وأسفوا على نظائرهم من هوارة وغيرهم ثم حدثت الزيادة فى وظائف الجباية كما هى طبيعة الدول فاستثقلوها وحدثتهم أنفسهم بالامتناع منها لما عندهم من الاعتزاز فأرهقوا فى الطلب وحبس سلام بالقاهرة وأجفل ابنه بدر الى الصعيد بالقبلية واعترضته هنالك عساكر السلطان فقاتلهم وقتل الكاشف فى حربه وسارت اليه العساكر سنة ثمانين مع الاق الشعبانى وأحمد بن بيبقا واينال قبل ثورته فهربوا وعاثت العساكر فى مخلفهم ورجعوا وعاد بدر الى البحيرة وشغلت الدولة عنهم بما كان من ثورة اينال وبركة بعده واتصل فساد بدر وامتناعه فخرجت اليه العساكر مع الاتابك اشمس والامير سلام والجوبانى أمير مجلس وغيرهم من الامراء الغربية ونزلت العساكر البحيرة واعتزم بدر على قتالهم فجاءهم النذير بذلك فانتبذوا عن الخيام وتركوها خاوية ووقفوا على مراكزهم حتى توسط القوم الخيم وشغلوا بنهبه فكرت عليهم العساكر فكادوا يستلحمونهم ولم يفلت منهم الا الاقل وبعث بدر بالطاعة واعتذر بالخوف وقام بالخراج فرجعت العساكر وولى تكتمر الشريف على البحيرة ثم استبدل منه بقرط بن عمر ثم عاد بدر الى ساله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاث القرط فيهم وقتل الكثير من رجالهم

وحبس آخرين ورجع عن بدر أصحابه مع ابن عمه ومات ابن شادى وطلب الباقى الامان فأمنوا وحبس رجال منهم وضمن الباقون القيام بالخراج واستأمن بدر فلم يقبل فلحق بناحية الصعيد واتبعته العساكر فهرب واستبيح مخلفه واحياؤه ولحق ببرقة ونزل على أبى ذئب فأجاره واستقام أمر البحيرة وتمكن قرط من جبايتها وقتل رحاب وأولاد شادى وكان قرطاى يستوعب رجالتهم بالقتل وأقام بدر عند أبى ذئب يتردد ما بين احيائه وبين الواحات حتى لقيه بعض أهل الثأر عنده فثأر وامنه سنة تسع وثمانين وذهب مثلا فى الآخرين والله تعالى أعلم

(مقتل بركة فى محبسه وقتل ابن عزام بثأره)

كان الامير بركة استعمل أيام امارته خليل بن عزام استاذداره ثم اتهمه فى ماله وسخطه ونكبه وصادره على مال امتحنه عليه ثم أطلقه فكان يطوى له على النكث ثم صار بركة الى ما صار اليه من الاعتقال بالاسكندرية وتولى ابن عزام نيابتها فحاول على حاجة نفسه فى قتل بركة ووصل الى القاهرة متبرئا من أمره متخوفا من مغبته ورجع وقد طوى من ذلك على الدغل ثم حمله الحقد الكامن فى نفسه على اغتياله فى جنح الليل فأدخل عليه جماعة متسلحين فقتلوه وزعم انه أذن له فى ذلك وبلغ الخبر الى كافل الدولة الامير برقوق وصرح مماليكه بالشكوى اليه فأنكر ذلك وأغلظ على ابن عزام وبعث دواداره الامير يونس يكشف عن سببه واحضار ابن عزام فجاء به مقيدا وأوقفه على شنيع مرتكبه فى بركة خلف الامير ليقادن منه به وأحضر الى القلعة فى منتصف رجب من سنة اثنتين وثمانين فضرب بباب القلعة اسواطا ثم حمل على جمل مشتهرا وأنزل الى سوق الخيل فتلقاه مماليك بركة فتناولوه بالسيوف الى أن تواقعت اشلاؤه بكل ناحية وكان فيه عظة لمن يتعظ أعاذنا الله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء انتهى

(وفاة السلطان المنصور على بن الاشرف وولاية الصالح أميرحاج)

كان هذا السلطان على بن الاشرف قد نصبه الامير قرطاى فى ثورته على أبيه الاشرف وهو ابن ثنتى عشرة سنة فلم يزل منصورا والامر ينتقل من دولة الى دولة كما ذكرناه الى أن هلك لخمس سنين من ولايته فى صفر سنة ثلاث وثمانين فحضر الامير برقوق واستدعى الامراء واتفقوا على نصب أخيه أميرحاج ولقبوه الصالح وأركبوه الى الايوان فأجلسوه على التخت وقلده الخليفة على العادة وجعل الامير برقوق كافله فى الولاية والنظر للمسلمين لصغره حينئذ عن القيام بهذه العهدة وأفتى العلماء يومئذ بذلك وجعلوه

من مضمون البيعة وقرئ كتاب التقليد على الامراء والقضاة والخاصة والعامة فى يوم مشهود وانفض الجمع وانعقد أمر السلطان وبيعته وضرب فيها للامير برقوق بسهم والله تعالى مالك الامور

(وصول أنس الغسانى والد الامير برقوق وانتظامه فى الامراء)

اصل هذا الامير برقوق من قبيلة جركس الموطنين ببلاد الشمال فى الجبال المحيطة بوطء القفجاق والروس واللان من شرقيها المطلة على بسائطهم ويقال انهم من غسان الداخلين الى بلاد الروم مع أميرهم جبلة بن الايهم عندما أجفل هرقل الى الشأم وسار الى القسطنطينية وخبر مسيره من أرض الشأم وقصته مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متناقلة معروفة بين المؤرخين وأما هذا الرأى فليس على ظاهره وقبيلة جركس من الترك معروفة بين النسابين ونزولهم بتلك المواطن قبل دخول غسان وتحقيق هذا الرأى ان غسان لما دخلوا مع جبلة الى هرقل أقاموا عنده ويئسوا من الرجوع لبلادهم وهلك هرقل واضطرب ملك الروم وانتشرت الفتنة هنالك فى ممالكهم واحتاجت غسان الى الحلف للمدافعة فى الفتن وحالفوا قبائل جركس ونزلوا فى بسيط جبلهم من جانبه الشرقى مما يلى القسطنطينية وخالطوهم بالنسب والصهر واندرجوا فيهم حتى تلاشت احياؤهم وصاروا الى [بياض بالاصل] وأووا من البسائط الى الجبال مع جركس فلا يبعد مع هذا أن تكون أنسابهم تداخلت معهم ممن انتسب الى غسان من جركس وهو مصدق فى نسبه ويستأنس له بما ذكرناه فهو نسبة قوية فى صحته والله تعالى أعلم وجلب هذا الامير برقوق على عهد الامير يبقا عثمان قراجا من التجار المعروفين يومئذ بتلك الجهات فملكه يبقا ورى فى اطباق بيته واوى من قصده وشد فى الرماية والثقافة وتعلم آداب الملك وانسلخ من جلدة الخشونة وترشح للرياسة والامارة والسعادة تشير اليه والعناية الربانية تحوم عليه ثم كان ما ذكرناه من شأن مماليك يبقا وهلك كبيرهم يومئذ اشدمر وكيف تقسموا بين الجلاء والسجن وكان الامير برقوق أعزه الله تعالى ممن أدركه التمحص فلبث فى سجن الكرك خمس سنين بين أصحاب له منهم فكانت تهوينا لما لقى من بوائقه وشكراله بالرجوع الى الله لينتم ما قدر الله فيه من حمل امانته واسترعاء عباده ثم خلص من ذلك المحبس مع أصحابه وخلى سبيله فانطلقوا الى الشأم واستخلصهم الامير منجك نائب الشأم يومئذ وكان بصيرا مجربا فألقى محبته وعنايته على هذا الامير لما رأى عليه من علامات القبول والسعادة ولم يزل هنالك فى خالصته الى أن هجس فى نفس السلطان

الاشرف استدعاء المرشحين من مماليكه وهذا الامير يقدمهم وأفاض فيهم الاحسان واستضافهم لولده الامير على ولم يكن الا أيام وقد انتقض الجائى القائم بالدولة وركب على السلطان فأحضرهم السلطان الاشرف وأطلق أيديهم فى خيوله المقربة وأسلحته المستجادة فاصطفوا منها ما اختاروه وركبوا فى مدافعة الجائى وصدقوه القتال حتى دافعوه على الرميلة ثم اتبعوه حتى ألقى نفسه فى البحر فكان آخر العهد به واحتلوا بمكان من أثرة السلطان واختصاصه فسوغ لهم الاقطاعات وأطلق لهم الجرايات ولهذا الامير بين يديه من بينهم مزيد مكانة ورفيع محل الى أن خرج السلطان الاشرف الى الحج وكان ما قدمناه من انتقاض قرطاى واستبداده ثم استبداد ايبك من بعده وقد عظم محل هذا الامير من الدولة وغاعزه وسمت رتبته ثم فسد أمر ايبك وتغلب على الامر جماعة من الامراء مفترقى الاهواء وخشى العقلاء انتقاض الامر وسوء المغبة فبادر هذا الامير وتناول الحبل بيده وجعل طرفه فى يد بركة رديفه فأمسك معه برهة من الايام ثم اضطرب وانتقض وصار الى ما صار اليه من الهلاك واستقل الامير برقوق بحمل الدولة والعناية الربانية تكفله والسعادة تواخيه وكان من جميل الصنع الربانى له أن كيف الله غريبة فى اجتماع شمل أبيه به فقدم وفد التجار بأبيه من قاصية بلادهم بعد ان أعملوا الحيلة فى استخلاصه وتلطفوا فى استخراجه وكان اسمه أنس فاحتفل ابنه الامير برقوق من مبرته وأركب العساكر وسائر الناس على طبقاتهم لتلقيه واعد الخيام بسرياقوس لنزوله فحضروا هنالك جميعا فى ثانى ذى الحجة سنة ثنتين وثمانين وجلس الامير أنس الوافد صدر المجلس وهم جميعا حفافيه من القضاة والامراء ونصب السماط فطعم الناس وانتشروا ثم ركبوا الى البلد وقد زينت الاسواق وأوقدت الشموع وماجت السكك بالنظارة من عالم لا يحصيهم الا خالقهم وكان يوما مشهودا وأنزله بالاصطبل تحت المدرسة الناصرية ونظمه السلطان فى أقربائه وبنى عمه وبنى اخوانه واجتمع شملهم به وفرض لهم الارزاق وقررهم فى الوظائف ثم مات هذا الاب الوافد وهو الامير أنس رحمه الله فى أواسط [بياض بالاصل] وثمانين بعد ان أوصى بحجة اسلامه وشرفت مراتب الامارة بمقامه ودفنه السلطان بتربة الدوادار يونس ثم نقله الى المدفن بجوار المدرسة التى أنشاها بين القصرين سنة ثمان وثمانين والله يؤتى الملك من يشاء

(خلع الصالح أمير حاج وجلوس الامير برقوق على التخت واستبداده بالسلطان)

كان أهل الدولة من اليبقاوية من ولى منهم هذا الامير برقوق قد طمعوا فى الاستبداد وظفروا بلذة الملك والسلطان ورتعوا فى ظل الدولة والامان ثم سمت أحوالهم الى أن

يستقل أميرهم بالدولة ويستبدبها دون الاصاغر بن المنتصبين بالمملكة وربما أشار بذلك بعض أهل الفتيا يوم بيعة أمير حاج وقال لابد أن يشترط معه فى تفويض الخليفة الامير القائم بالدولة لتشتد الناس الى عقدة محكمة فأمضى الأمر على ذلك وقام الامير بالدولة فأنس الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته واتفق أن جماعة من الامراء المختصين بهذا الصبى المنصوب غصوا بمكان هذا الامير وتفاوضوا فى الغدر به وكان متولى ذلك منهم ابقا العثمانى دوادار السلطان ونمى الخبر اليه بذلك فتقبض عليهم وبعث ابقا الى دمشق على امارته وغرب الآخرين الى قوص فاعتقلوا هنالك حتى أنفذ الله فيهم حكمه واشفق الامراء من تدبر مثل هؤلاء عليهم وتفاوضوا فى محو الاصاغر من الدست وقيامه بأمرهم مستقلا فجمعهم لذلك فى تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وأرباب الشورى والفتيا وأطبقوا على بيعته وعزل السلطان أمير حاج فبعث اليه أميرين من الامراء فادخلوه الى بيته وتناولوا السيف من يده فأحضروها ثم ركب هذا السلطان من مجلسه بباب الاصطبل وقد لبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة فدخل الى القصور السلطانية وجلس بالقصر الابلق على التخت وأتاه الناس ببيعتهم أرسالا وانعقد أمره يومئذ ولقب الملك الظاهر وقرعت الطبول وانتشرت البشائر وخلع على أمراء الدولة مثل أشمس الاتابك والطنبقا الجوبانى أمير مجلس وجركس الخليلى أمير الماخورية وسودون الشيخونى نائبا والطنبقا المعلم أمير سلاح ويونس النوروزى دوادار وقردم الحسينى رأس نوبة وعلى كتابه أوحد الدين بن ياسين كاتب سره ادال به من بدر الدين بن فضل الله كاتب سر السلطان من قبل وعلى جميع أرباب الوظائف من وزير وكاتب وقاض ومحتسب وعلى مشاهير العلم والفتيا والصوفية وانتظمت الدولة أحسن انتظام وسر الناس بدخولهم فى ايالة السلطان يقدر للامور قدرها ويحكم أواخيها واستأذنه الطنبقا الجوبانى أمير مجلس فى الحج تلك السنة وأذن له فانطلق لقضاء فرضه وعاد انتهى والله تعالى أعلم

(مقتل قرط وخلع الخليفة ونصب ابن عمه الواثق للخلافة)

كان قرط بن عمر من التركمان المستخدمين فى الدولة وكان له اقدام وصرامة رقابهما الى محل من مرادفة الامراء فى وجوههم ومذاهبهم ودفع الى ولاية الصعيد ومحاربة أولاد الكنز من العرب الجائلين فى نواحى اسوان فكان له فى ذلك غناء وأحسن فى تشريدهم عن تلك الناحية ثم بعث الى البحيرة واليا عند انتقاض بدر بن سلام وفراره ومرجع العساكر من تمهيدها فقام بولايتها وتتبع آثار أولئك المنافقين

وحسم عللهم وحضر فى ثورة اينال بخلاف ذلك اليوم لشهامته واقدامه وكان هو المتولى تسور الحائط واحراق الباب الظهرانى الذى ولجوا عليه وامسكوه فكان يمت بهذه الوسائل اجمع والسلطان يرعى له الا انه كان ظلوما غشوما فكثرت شكايات الرعايا والمتظلمين به فتقبض عليه لاول بيعته وأودعه السجن ثم عفا عنه وأطلقه وبقى مباكرا باب السلطان مع الخواص والاولياء وطوى على الغش وتربص بالدولة ونمى عنه أنه فاوض الخليفة المتوكل بن المعتضد فى الانتقاض والاجلاب على الدولة بالعرب المخالفين بنواحى برقة من أهل البحيرة وأصحاب بدر بن سلام وأن يفوض الخليفة الامر الى سوى هذا السلطان القائم بالدولة وانه داخل فى ذلك بعض ضعفاء العقول من امراء الترك ممن لا يؤبه له فاحضرهم من غداته وعرض عليهم الحديث فوجموا وتناكروا وأقر بعضهم واعتقل الخليفة بالقلعة وأخرج قرط هذا لوقته فطيف به على الجمل مسمرا ابلاغا فى عقابه ثم سيق الى مصرعه خارج البلد وقد بالسيف نصفين وضم الباقون الى السجون وولى السلطان الخلافة عمر بن ابراهيم الواثق من أقاربه وهو الذى كان الملك الناصر ولى أباه ابراهيم بعد الخليفة أبى الربيع وعزل عن ابنه أحمد كامر وكان هذا كله فى ربيع سنة خمس وثمانين وولى مكانه أخوه زكريا ولقب المعتصم واستقرت الاحوال الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الناصرى واعتقاله)

كان هذا الناصرى من مماليك يبقا وأرباب الوظائف فى أيامه وكان له مع السلطان الظاهر ذمة وداد وخلة من لدن المربى والعشرة فقد كانوا أترابا بها وكانت لهم دالة عليه لعلو سنه وقد ذكرنا كيف استبدوا بعد ايبك ونصبوا الناصرى اتابكا ولم يحسن القيام عليها وجاء طشتمر بعد ذلك فكان معه حتى فى النكبة والحبس ثم أشخص الى الشأم وولى على طرابلس ثم كانت ثورة اينال ونكبته فى جمادى سنة احدى وثمانين فاستقدمهم من طرابلس وولى أمير سلاح مكان اينال واستخلصه الامير بركة وخلطه بنفسه وكانت نكبته فحبس معه ثم أشخص الى الشأم وكان اينال قد أطلق من اعتقاله وولى على حلب سنة ثنتين وثمانين مكان منكلى بغا الاحمدى فاقام بها سنة أو نحوها ثم نمى عنه خبر الانتقاض فقبض عليه وحبس بالكرك وولى مكانه على حلب يلبغا الناصرى فى شوال سنة ثلاث وثمانين وقعد الظاهر على التخت لسنة بعدها واستبد بملك مصر وكان الناصرى لما عنده من الدالة يتوقف فى انفاذ أوامره لما يراه من المصالح بزعمه والسلطان ينكر ذلك ويحقده عليه وكان له مع

الطنبقا الجوبانى أمير مجلس أحد اركان الدولة حلف لم يغن عنه وأمر السلطان بالقبض على سولى بن بلقادر حين وفد عليه بحلب فأبى من ذلك صونا للوفاء بزعمه ودس بذلك الى سولى فهرب ونجا من النكبة ووفد على السلطان سنة خمس وثمانين وجدد حلفه مع الجوبانى ومع أشمس الاتابك ورجع الى حلب ثم خرج بالعساكر الى التركمان آخر سنة خمس وثمانين دون اذن السلطان فانهزم وفسدت العساكر ونجا بعد ثالثة جريحا وأحقد عليه السلطان هذه كلها ثم استقدمه سنة سبع وثمانين فلما انتهى الى سرياقوس تلقاه بها استاذدار فقبض عليه وطير به الى الاسكندرية فحبس بها مدة عامين وولى مكانه بحلب الحاجب سودون المظفرى وكان عينه نصح للسلطان وعينا على الناصرى فيما يأتيه ويذره لانه من وظائف الحاجب للسلطان فى دولة الترك خطة البريد المعروفة فى الدول القديمة فهو بطانة السلطان بما يحدث فى عمله ويعترض شجا فى صدر من يروم الانتقاض من ولاته وكان هذا الحاجب سودون هو الذى ينمى أخباره الى السلطان ويطلعه على مكامن مكره فلما حبس الناصرى بالاسكندرية ولاه مكانه بحلب وارتاب الجوبانى من نكبة الناصرى لما كان بينهما من الوصلة والحلف فوجم واضطرب وتبين السلطان منه النكر فنكبه كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى وأقصاه والله أعلم

(اقصاء الجوبانى الى الكرك ثم ولايته على الشأم بعد واقعة بندمر)

أصل هذا الامير الجوبانى من قبائل الترك واسمه الطنبقا وكان من موالى يبقا الخاصكى المستولى على السلطان الاشرف وقد مر ذكره ربى فى قصره وجو عزه ولقن الخلال والآداب فى كنفه وكانت بينه وبين السلطان خلة ومصافاة اكسبتها له تلك الكفالة بما كانا رضيعى ثديها وكوكبى أفقها وتربى مرقاها وقد كان متصلا فيما قبله بينهما من لدن المربى فى بلادهم واشتمل بعضهم على بعض واستحكم الاتحاد حتى بالعشرة أيام التمحيص والاغتراب كما مر فلقد كان معتقلا معه بالكرك أيام المحنة خمسا من السنين أدال الله لهذا السلطان حزنها بالمسرة والنحوسة بالسعادة والسجن بالملك وقسمت للجوبانى بها شائبة من رحمة الله وعنايته فى خدمة السلطان بدار الغربة والمحنة والفته به فى المنزل الخشن لتعظم له الوسائل وتكرم الاذمة والعهود

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم كان انطلاقهما الى الشأم ومقامهما جميعا واستدعاؤهما الى دار الملك ورقيهما فى درج العز والتغريب كذلك وكان للسلطان أصحاب سراة يمتون اليه بمثل هذه الوسائل وينتظمون فى سلكها وكان متميز الرتبة عنهم سابقا فى مرقى درجات العز أمامهم مجليا

فى الحلبة التى فيها اطلقهم الى أن ظفر بالملك واستولى على الدولة وهو يستتبعهم فى مقاماته ويوطئهم عقبه ويذلل لهم الصعاب فيقتحمونها ويحوز لهم الرتب فيستهمون عليها ثم اقتعد منبر الملك والسلطان واستولى على كرسيه وقسم مراتب الدولة ووظائفها بين هؤلاء الاصحاب وآثر الجوبانى منهم بالصفاء والمرباع فجعله أمير مجلسه ومعناه صاحب الشورى فى الدولة وهو ثانى الاتابك وتلو رتبته فكانت له القدم العالية من امرائه وخلصائه والحظ الوافر من رضاه وايثاره وأصبح أحد الاركان التى بها أعمد دولته وأساطينها وأرسى ملكه بقواعدها الى أن دبت عقارب الحسد الى مهاده وحومت شباة السعاية على قرطاسه وارتاب السلطان بمكانه وأعجل الحزم على امهاله فتقبض عليه يوم الاثنين لسبع بقين من سنة سبع وثمانين وأودعه بعض حجر القصر عامة يومه ثم أقصاه الى الكرك وعواطف الرحمة تنازعه وسجايا الكرم والوفاء تقض من سخطه ثم سمح وهو بالخير أسمح وجنح وهو الى الادنى من الله أجنح فسرح اليه من الغد برسوم النيابة على تلك الاعمال فكانت غريبة لم يسمع بمثلها من حلم هذا السلطان واناته وحسن نيته وبصيرته وكرم عهده وجميل وفائه وانطلقت الالسن بالدعاء له وامتلأت القلوب بالمحبة وعلم الاولياء والخاصة والشميع والكافة انهم فى كفالة أمن ولطف وملكة احسان وعدل ثم مكث حولا يتعقب أحواله ويتتبع سيره وأخباره طاويا شأنه فى ذلك عن سائر الاولياء الى أن وقف على الصحيح من أمره وعلم خلوص مصادقته وجميل خلوصه فاخفق سعى الداعين وخابت ظنون الكاشحين وأداله العتبى من العتاب والرضا من النكرى واعتقدان يمحو عنه هواجس الاسترابة والاستيحاش ويرده الى أرفع الامارة وبينما هو يطوى على ذلك ضميره ويناجى سره اذ حدثت واقعة بندمر بالشأم فكانت ميقاتا لبدر السعادة وعلما على فوزه بذلك الحظ كما نذكر ان شاء الله تعالى وخبر هذه الواقعة أن بندمر الخوارزمى كان نائبا بدمشق وقد مر ذكره غير مرة وأصله من الخوارزمية اتباع خوارزم شاه صاحب العراق عند استيلاء التتر وافترقوا عند مهلكه على يد جنكزخان فى ممالك الشأم واستخدموا لبنى أيوب والترك أول استبدادهم بمصر وكان هذا الرجل من أعقاب أصلهم وكان له نجابة جذبت بضبعه ونصب عند الامراء من سوقه فاستخدم بها الى أن ترشح للولاية فى الاعمال وتداول امارة دمشق مع منجك اليوسفى وعشقتمر الناصرى وكان له انتقاض بدمشق عند تغلب الخاصكى وحاصره واستنزله بأمانه ثم أعيد الى ولايته ثم تصرمت تلك الدول وتغلب هذا السلطان على الامر وارادفه فيه فولوه على دمشق وكانت صاغيته مع بركة فلما حدث انتقاض بركة كتب اليه والى بقرى بدمشق أولياؤه هنالك بالاستيلاء

على القلعة وكتب برقوق الى نائب القلعة بحذرهم فركب جنتمر اخ طاز وابن جرجي ومحمد بك وقاتلوه ثلاثا ثم أمسكوه وقيدوه ومعه يقري بن برقش وجبريل حرّته وسيقوا الى الاسكندرية فحبسوا فلما قتل بركة أطلق بندمر ومن كان حبس من أصحاب بركة مثل بيبغا الناصري ودمرداش الاحمدي ثم استخلصه السلطان برقوق وردّه الى عمله الاول بعد جلوسه على التخت والشأم له وكان جماعا للاموال شديد الظلامة فيها متحيلا على استخلاصها من أيدي أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب مصانعا للحاشية بماله من حاميته الى أن سئم الناس ايالته وترجحت القلوب منه وكان بدمشق جماعة من الموسوسين المسامرين لطلب العلم بزعمهم متهمون في عقيدتهم بين مجسم ورافضي وحلولي جمعت بينهم انساب الضلال والحرمان وقعدوا عن نيل الرتب بما هم فيه تلبسوا باظهار الزهد والنكير على الخلق حتى على الدولة في توسعة بطلان الاحكام والجباية عن الشرع الى السياسة التي تداولها الخلفاء وأرخص فيها العلماء وأرباب الفتيا وحملة الشريعة بما تمس اليه الحاجة من الوازع السلطاني والمعونة على الدفاع وقديما نصبت الشرطة الصغرى والكبرى ووظيفة المظالم ببغداد دار السلام ومقر الخلافة وايوان الدين والعلم وتكلم الناس فيها بما هو معروف وفرضت ارزاق العساكر في أثمان البياعات عند حاجة الدولة الاموية فليس ذلك من المنكر الذي يعتمد تغييره فلبس هؤلاء الحمق على الناس بامثال هذه الكلمات وداخلوا من في قلبه مرض من الدولة وأوهموا ان قد وثقوا من الحل والعقد في الانتقاض فرية انتحلوها وجعلوا انهوه نهايته وعدوا على كافل القلعة بدمشق وحاميتها يسألونهم الدخول معهم في ذلك لصحابة كانت بين بعضهم وبينه فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم وتحدث الناس أنهم داخلوا في ذلك بندمر النائب بمداخلة بعضهم كاتبه محمد شاه ونمى الخبر بذلك الى السلطان فارتاب به وعاجله بالقبض والتوثق منه ومن حاشيته ثم أخرج مستوفي الاموال بالحضرة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعايا واستأثر به على الدولة وأحضر هؤلاء الحمق ومن بسوء سيرتهم مقتدون الى الابواب العالية فقذفوا في السجون وكانوا أحق بغير ذلك من أنواع العذاب والنكال وبعث السلطان لعشقتمر الناصري وكان مقيما بالقدس أن يخرج نائبا على دمشق فتوجه اليها وأقام رسم الامارة بها أياما ظهر فيها عجزه وبين عن تلك الرتبة قعوده بما أصابه من وهن الكبر وطوارق الزمانة والضعف حتى زعموا أنه كان يحمل على الفراش في بيته الى منعقد حكمه فعندها بعث السلطان عن هذا الامير الجوباني وقد خلص من الفتن ابريزه وأينع بنفحات الرضا والقبول عوده وأفرخ بطالعة الانس والقرب روعه فجاء من الكرك على البريد وقد

أعدت

أعدت له أنواع الكرامة وهيئ له المنزل والركاب والفرش والثياب والآنية والخوان والخرثي والصوان واحتفل السلطان لقدومه وتلقيه بما لم يكن في أمله وقضى الناس العجب من حلم هذا السلطان وكرم عهده وجميل وفائه وتحدث به الركبان ثم ولاه نيابة دمشق وبعثه الى كرسيها مطلق اليد ماضي الحكم عزيز الولاية وعسكر بالزيدانية ظاهر القاهرة ثالث ربيع الاول من سنة سبع وثمانين وارتحل من الغد وسعادة السلطان تقدمه ورضاه ينقله الى أن قارب دمشق والناس يتلقونه أرسالا ثم دخل المدينة غرة ربيع الثاني وقد احتفل الناس لقدومه وغصت السكك بالمتنزهين وتطاول الى دولته أرباب الحدود وتحدث الناس بجمال هذا المشهد الحفيل وتناقلوا خبره واستقل بولاية دمشق وعناية السلطان تلاحظه ومذاهب الطاعة والخلوص تهديه بحسن ذكره وأفاض الناس الثناء في حسن اختياره وجمال مذهبه وأقام السلطان في وظيفته أحمد ابن الامير يبقا فكان أمير مجلس والله غالب على أمره

(هدية صاحب افريقية)

كان السلطان لهذا العهد بافريقية من الموحدين ومن أعقاب الامير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي المستبد بافريقية على بني عبد المؤمن ملوك مراكش أعوام خمس وعشرين وستمائة وهو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم أبي زكريا سلسلة ملوك كلهم ولم تزل ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد يعرفون لملوك الترك بمصر حقهم ويوجبون لهم الفضل والمزية بما خصهم الله من ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد المعظمة وخدمة الحرمين وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الاحيان ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الاحوال وكان لي اختصاص بذلك السلطان ومكان من مجلسه ولما رحلت الى هذا القطر سنة أربع وثمانين واتصلت بهذا السلطان بمصر الملك الظاهر سألني عنه لاول لقيه فذكرته له بأوصافه الحميدة وما عنده من الحب والثناء ومعرفة حقه على المسلمين أجمع وعلى الملوك خصوصا في تسهيل سبيل الحج وحماية البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود أحسن الله جزاءه ومثوبته ثم بلغني أن السلطان بافريقية صد أهلي وولدي عن اللحاق بي اغتباطا بمكاني وطلبا لفيئتي الى بابه ورجوعي فتطارحت على هذا السلطان في وسيلة شفاعة تسهل منه الاذن فاسعفني بذلك وخاطبت ذلك السلطان كان الله له أغبطه بمودة هذا السلطان والعمل على مواصلته ومهاداته كما كان بين سلفهم في الدولتين فقبل مني وبادر الى اتحافه بمقربات اذ ليس عندنا في المغرب تحفة تطرف بها ملوك الشرق الا الجياد العرب

وأما ماسوى ذلك من أنواع الطرف والتحف بالمغرب فكثير لديهم أمثاله ويقبح أن يطرف عظماء الملوك بالتافه المطروح لديهم واختار لتلك سفينته التى أعدها لذلك وأنزل بها أهلى وولدى بوسيلة هذا السلطان أيده الله لسهولة سبيل البحر وقرب مسافته فلما قاربوا مرسى الاسكندرية عاقتهم عواصف الرياح عن احتلال السفينة وغرق معظم مافيها من الحيوان والبضائع وهلك أهلى وولدى فيمن هلك ونفقت تلك الجياد وكانت رائعة الحسن صافية النسب وسلم من ذلك المهلك رسول جاء من ذلك السلطان لمد العهد وتقرر المودة فتلقى بالقبول والكرامة وأوسع النزل والقرى ثم اعتزم على العودة الى مرسله فانتقى السلطان ثيابا من الوشى المرقوم من عمل العراق والاسكندرية يفوت القيمة واستكثر منها واتحف بها السلطان ملك افريقية على يد هذا الرسول على عادة عظماء الملوك فى اتحافهم وهداياهم وخاطبت ذلك السلطان معه بحسن الثناء على قصده وجميل موقع هديته من السلطان واستحكام مودته له وأجابنى بالعذر من الموقع وأنه مستأنف من الاتحاف للسلطان واستحكام مودته بما يسره الحال فلما قدم الحاج من المغرب سنة ثمان وثمانين وصل فيهم من كبار الغرب بدولته وأبناء الاعاظم المستبدين على سلفه عبد بن القائد أبى عبد الله محمد بن الحكيم بهدية من المقربات رائقة الحلى رائعة الاوصاف منتخبة الاجناس والانساب غريبة الالوان والاشكال فاعترضها السلطان وقابلها بالقبول وحسن الموقع وحضر الرسول بكتابه فقرئ وأكرم حامله وأنعم عليه بالزاد لسفر الحج وأوصى أمراء المحمل فقضى فرضه على أكمل الاحوال وكانت أهم أمنيانه ثم انقلب ظافرا بقصده واعاده السلطان الى مرسله بهدية نحو من الاولى من أجناس تلك الثياب ومستجادها مما يجاوز الكثرة ويفوت واستحكمت عقدة المودة بين هذين السلطانين وشكرت الله على ما كان فيهما من أثر سعاى ولو قل وكان وصل فى جملة الحاج من المغرب كبير العرب من هلال وهو يعقوب بن على بن أحمد أمير رياح الموطنين بضواحى قسنطينة وبجاية والزاب فى وفد من بنيه واقربائه ووصل فى جملتهم أيضا عون بن يحيى بن طالب ابن مهلهل من الكعوب أحد شعوب سليم الموطنين بضواحى تونس والقيروان والجريد وبنو أبيه فقضوا فرضهم أجمعون وانقلبوا الى مواطنهم أواسط شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين واطردت أحوال هذه الدولة على أحسن ما يكون والله متولى أمرها بمنه وكرمه انتهى

(حوادث مكة وأمرائها)

قد تقدم لنا أن ملك مكة سار فى هذه الاعصار لبنى قتادة من بنى مطاعن الهواشم بنى

حسن وذلك منذ دولة الترك وكان ملكهم بها بدويا وهم يعطون الطاعة لملك مصر ويقيمون مع ذلك الدولة العباسية للخليفة الذى ينصبه الترك بمصر الى أن استقر أمرها آخر الوقت لاحمد بن عجلان من رميثة بن أبى نمى أعوام سنة ستين وسبعمائة بعد أبيه عجلان فأظهر فى سلطانه عدلا وتعففا عن أموال الناس وقبض أيدى أهل العيث والظلم وحاشيتهم وعبيدهم وخصوصا عن المجاورين وأعانه على ذلك ما كان له من الشوكة بقوة أخواله ويعرفون بنى عمر من اتباع هؤلاء السادة وهو واليهم فاستقام أمره وشاع بالعدل ذكره وحسنت سيرته وامتلأت مكة بالمجاورين والتجار حتى غصت بيوتها بهم وكان عنان ابن عمه مقامس بن رميثة ومحمد ابن عمه ابن رميثة

بياض بالاصل

ينفسون عليه ما آتاه الله من الخير و يجدون فى أنفسهم اذ ليس يقسم لهم برضاهم فى أموال جبايته فتنكروا له وهموا بالانتقاض فتقبض عليهم وكان لهم حلف مع أخيه محمد بن عجلان فراوده على تركهم أو حبسهم فحبسوا ولبثوا فى محبسهم ذلك حولا أو فوقه ثم نقبوا السجن ليلا وفروا فأدركوا من ليلتهم وأعيدوا الى محبسهم وأفلت منهم عنان بن مقامس ونجا الى مصر سنة ثمان وثمانين صريخا بالسلطان وعن قليل وصل الخبر بوفاة أحمد بن عجلان على فراشه وأن أخاه كبيش بن عجلان نصب ابنه محمدا مكانه وقام بأمره وانه عمد الى هؤلاء المعتقلين فسمهم صونا للامر عنهم لمكان ترشيحهم فنكر السلطان ذلك وسخطه من فعلاتهم واقتياتهم ونسب الى كبيش وأنه يفسد مكة بالفساد بين هؤلاء الاقارب ولما خرج الحاج سنة ثمان وثمانين أوصى أمير حاج بعزل الصبى المنصوب والاستبدال عنه بابن عنان بن مقامس والقبض على كبيش ولما وصل الحاج الى مكة وخرج الصبى لتلقى المحمل الخلافى وقد أرصد الرجال حفافيه للبطش بكبيش وأميره المنصوب فقعد كبيش عن الحضور وجاء الصبى وترجل عن فرسه لتقبيل الخف من راحلة المحمل على العادة فوثب به أولئك المرصدون طعنا بالخناجر يظنونه كبيشا ثم غابوا فلم يوقف لهم على خبر وتركوه طريحا بالبطحاء ودخل الامير الى الحرم فطاف وسعى وخلع على عنان بن مقامس الامارة على عادة من سلف من قومه ونجا كبيش الى جدة من سواحل مكة ثم لحق بأحياء العرب المتبدين بقاع الحجاز صريخا فقعدوا عن نصرته وفاء بطاعة السلطان وافترق أمره وخذله عشيره وانقلب الامير بالحاج الى مصر فعنفه السلطان على قتله الصبى فاعتذر باقتيات أولئك الرجال عليه فعذره وجاء كبيش بعد منصرف الحاج وقد انضم اليه أوباش من العرب فقعد بالمرصد يخيف السابلة والركاب والمسافرين ثم زحف الى مكة وحاصرها أول سنة تسع وثمانين وخرج عنان بن مقامس بعض الايام وبارزه فقتله واضطرب الامر

بمكة وامتدت أيدى عنان والاشرار معه الى أموال المجاورين فتسلطوا عليها ونهبوا زرع الامراء هنالك وزرع السلطان للصدقة وولى السلطان على بن عجلان واعتقله حسما المادة طوارق الفساد عن مكة واستقر الحال على ذلك الى أن كانت فتنة الناصر كما نذكر ان شاء الله تعالى انتهى

(انتقاض منطاش بملطية ولحاقه بسيواس ومسير العساكر فى طلبه)

كان منطاش هذا وتمرتاى الدمرداشى الذى مر ذكره أخوين لتمراز الناصرى من موالى الملك الناصر محمد بن قلاون وربيا فى كفالة أمهما وكان اسم تمرتاى محمدا وهو الاكبر واسم منطاش أحمد وهو الاصغر واتصل تمرتاى بالسلطان الاشرف وترقى فى دولته فى الوظائف الى أن ولى بحلب سنة ثمانين وكانت واقعته مع التركمان وذلك انه وفد عليه أمراؤهم فقبض عليهم لما كان من عيثهم فى النواحى واجتمعوا فساروا اليهم وأمده السلطان بعساكر الشأم وحماة وانهزموا أمامهم الى الدربند ثم كروا على العساكر فهزموها ونهبوها فى المضايق وتوفى تمرتاى سنة ثنتين وثمانين وكان السلطان الظاهر برقوق يرعى لهما هذا الولاء فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسى واستبد بالسلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهم به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان سودون باق من أمراء الالوف خالصة للسلطان ومن أهل عصبيته وكان من قبل ذلك فى جملة الامير تمرتاى فرعى لمنطاش حق أخيه وشفع له عند السلطان وكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم علل فسادهم وانطلق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم تزل آثار العصيان بادية عليه وربما داخل أمراء التركمان فى ذلك ونمى الخبر الى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبد على صبى من أعقاب بنى ارتنى ملوكها من عهد هلا كو وقد اعصوصب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حامية هنالك مع الشحنة فيها كما نذكره ولما وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضى بادر باجابته وبعث رسلا وفدا من أصحابه فى اتمام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف على ملطية دواداره وكان مغفلا فخشى مغبة ما رومه صاحبه من الانتقاض فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش وأقام دعوة السلطان فى البلد وبلغ الخبر الى منطاش فاضطرب ثم استمر وسار مع وفد القاضى الى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الحبل فى يده أعرض عنه وصار الى مغالطة السلطان عما أتاه من مداخلة منطاش وقبض عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثلاثين عساكره مع يونس الدوادار وقردم رأس نوبة والطنبغا الرماح أمير سلاح وسودون باق من أمراء الالوف وأوعز الى

الناصرى فأتى وطلب أن يخرج معهم بعساكره والى اينال اليوسفى من أمراء الالوف بدمشق وساروا جميعا وكان يومئذ ملك التتر بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جفطاى قد زحف الى العراقين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر تورّى بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب أتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بعساكره لخارج خرج عليه بقاصية ما وراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من أهلها فبادر القاضى الى اطلاق منطاش لوقته وقد كان أيام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن موالاة السلطان وممالأته ولم يزل يفتل له فى الذروة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيئة ابن اريثا بن أول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استئصال شأفتهم باستئصال ملك ابن اريثا وبلده ووصلت العساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها أياما وضيقوا عليها وكادت أن تلقى باليد ووصل منطاش اثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم العساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصرى فى هذه الوقائع وأدرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة بتوغلهم فى البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الامراء اليه فجنح لذلك بعضهم فانكفؤا على تعبيتهم وسار بعض التتر فى اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشأم على أحسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا علل العدو ويمحوا أثر الفتنة والله تعالى أعلم

(نكبة الجوبانى واعتقاله بالاسكندرية)

كان الامراء الذين حاصروا سيواس قد لحقهم الضجر والسآمة من طول المقام وفزع قردم والطنبغا المعلم منهم الى الناصرى مقدم العساكر بالشكوى من السلطان فيما دعاهم اليه من هذا المرتكب وتفاوضوا فى ذلك مليا وتداعوا الى الافراج عن البلد بعد أن بعثوا الى القاضى بها واتخذوا عنده يدا بذلك وأوصوه بمنطاش والابقاء عليه ليكون لهم وقوفا للفتنة وعلم يونس الدوادار أنهم فى الطاعة فلم يسعه خلافهم ففوض لهم ولما انتهى الى حلب غدا عليه دمرداش من أمرائها فنصح له بأن الجوبانى نائب دمشق مداخل للناصر فى تمريضه فى الطاعة وأنهما مصران على الخلاف وقفل يونس الى مصر فقص على السلطان نصيحته واستدعى دمرداش فشافهه السلطان بذلك واطلع منه على جلى الخبر فى شأنهما وكان للجوبانى مماليك أوغاد قد أبطرتهم النعمة واستهواهم الجاه وشرهوا الى التوثب وهو يزجرهم فصاروا الى اغرائه بالحاجب يومئذ طرنطاى

فقعد فى بيته عن المجلس السلطانى وطير بالخبر الى مصر فاستراب الجوبانى وسابقه بالحضور عند السلطان لينضح عنه ما علق به من الاوهام وأذن له فى ذلك فنهض من دمشق على البريد فى ربيع سنة تسعين ولما انتهى الى سرياقوس أزعج اليه استاذداره بهادر المنجكى فقبض عليه وطير به السفن الى الاسكندرية وأصبح السلطان من الغد فقبض على قردم والطنبغا المعلم وألحقهما به فحبسوا هنالك جميعا وانحسم ما كان يتوقع من انتقاضهم وولى السلطان مكان الجوبانى بدمشق طرنطاى الحاجب ومكان قردم بمصر ابن عمه مجماس ومكان المعلم دمرداش واستمر الحال على ذلك

(فتنة الناصرى واستيلاؤه على الشأم ومصر واعتقال السلطان بالكرك)

لما بلغ الناصرى بحلب اعتقال هؤلاء الامراء استراب واضطرب وشرع فى أسباب الانتقاض ودعا اليه من يشيع الشر وسماسرة الفتن من الامراء وغيرهم فأطاعوه وافتتح أمره بالنكير للامير سودون المظفرى والانحراف عنه لما كان منه فى نكبته واغراء السلطان به ثم ولايته مكانه ومن وظائف الحاجب فى دولة الترك خطة البريد المعروفة فى الدول القديمة فهو يطالع السلطان بما يحدث فى عمله ويعترض شجى فى صدر من يريد الانتقاض من ولاته فأظلم الجو بين هؤلاء الرهط وبين المظفرى وتفاقم الامر وطير بالخبر الى السلطان فأخرج لوقت دواداره الاصغر تلكتمر لنصلح بينهما ويسكن الثائرة وحين سمعوا بمقدمه ارتابوا وارتبكوا فى أمرهم وقدم تلكتمر فتلقاه الناصرى وألقى اليه كتاب السلطان بالندب الى الصلح مع الحاجب والاغضاء له فأجاب بعد أن التمس من حقائب تلكتمر مخاطبة السلطان وملاطفته للامراء حتى وقف عليه ثم غلب عليه أولئك الرهط من أصحابه بالفتك بالحاجب فأطاعهم وباكرهم تلكتمر بدار السعادة ليتم الصلح بينهم وتذهب الهواجس والنفرة فدعاه الناصر الى بعض خلواته وبينما هو يحادثه واذا بالقوم قد وثبوا على الحاجب وفتكوا به وتولى كبر ذلك انبغا الجوهرى واتصلت الهيعة فوجم تلكتمر ونهض الى محل نزوله واجتمع الامراء الى الناصرى واعصوصبوا عليه ودعاهم الى الخلعان فأجابوا وذلك فى محرم سنة احدى وتسعين واتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الامراء يروون الانتقاض منهم بدلار الناصرى عميد الفتن فتولى كبرها وجمع الذين تمالؤا عليها وعمدوا الى الايوان السلطانى المسمى بدار السعادة وقبضوا على النائب وحبسوه ولحق بدلار الناصرى فى عساكر طرابلس وأمرائها وفعل مثل ذلك أهل حلب وحمص وسائر ممالك الشأم وسرح السلطان العساكر لقتالهم فسار ايتمش الاتابك ويونس الدوادار والخليلى جركس أمير

المأخورية وأحمد بن يبقا أمير مجلس وايدكاز صاحب الحجاب فمن اليهم من العساكر وانتخب من ابطال مماليكهم وشجعانهم خمسمائة مقاتل واستضافهم الى الخليلى وعقد لهم لواءه المسمى بالشاليش وأزاح عللهم وعلل سائر العساكر وساروا على التعبية منتصف ربيع السنة وكان الناصرى لما فعل فعلته بعث عن منطاش وكان مقيما بين أحياء التتر منذ رجوع العساكر عن سيواس فدعاه ليمسك معه حبل الفتنة والخلاف فجاء وملاء مبرة واحسانا واستنفر طوائف التركمان والعرب ونهض فى جموعه يريد دمشق وطرنطاى نائبها يواصل تعريف السلطان بالاخبار ويستحث العساكر من مصر نائبها الامير الصفوى وبينه وبين الناصر علاقة وصحبة فاستراب وتقبضوا عليه ونهبوا بيته وبعثوا به حبيسا الى الكرك وولوا مكانه محمد باكيش بن جند التركمانى كان مستخدما عند بندمر هو وأبوه وولى لهذا العهد على نابلس فنقلوه الى غزة ثم تقدموا الى دمشق واختاروا من القضاة وفدا أوفدوه على الناصرى وأصحابه للاصلاح فلم يجيبوا وأمسكوا الوفد عندهم وساروا اللقاء ولما تراءى الجمعان بالمرج نزع أحمد بن يبقا وايدكاز الحاجب ومن معهما الى القوم فساروا معهم واتبعهم مماليك الامراء وصدق القوم الحملة على من بقى فانفضوا ولجأ ايتمش الى قلعة دمشق فدخلها وكان معه مكتوب السلطان بذلك متى احتاج اليه وذهب يونس حيران وقد أفرده مماليكه فلقيه عنقا أمير الامراء وكان عنده له بعض النزغات أيام سلطانه فتقبض عليه وأحيط بجركس الخليلى ومماليك السلطان حوله وقد أبلوا فى ذلك الموقف واستلحم عامتهم فخلص بعض العدو اليه وطعنه فأكبه ثم احتز رأسه وذهب ذلك الجمع شعاعا وافترقت العساكر فى كل وجه وجىء بهم أسرى من كل ناحية ودخل الناصرى وأصحابه دمشق لوقتهم واستولوا عليها وعاثت عساكرهم من العرب والتركمان فى نواحيها وبعث اليهم عنقا يستأذنهم فى أمر يونس فأمر بقتله فقتله وبعث اليهم برأسه وأوعزوا الى نائب القلعة بحبس ايتمش عنده وفرقوا المحبوسين من أهل الواقعة على السجون بقلعة دمشق وصفد وحلب وغيرها وأظهر ابن باكيش دعوته بغزة وأخذ بطاعتهم ومر به انيال اليوسفى من أمراء الالوف بدمشق ناجيا من الوقعة الى مصر فقبض عليه وحبسه بالكرك واستعد السلطان للمدافعة وولى دمرداش اتابكا مكان ايتمش وقرماش الجندار دوادارا مكان يونس وعمر سائر المراتب عمن فقد منها وأطلق الخليفة المعتقل المتوكل بن المعتضد وأعاده الى خلافته وعزل المنصوب مكانه وأقام الناصرى وأصحابه بدمشق أياما ثم أجمعوا المسير الى مصر ونهضوا اليها بجموعهم وعميت أنباؤهم

حتى أطلت مقدمتهم على بلبيس ثم تقدموا الى بركة الحاج وخيموا بها السبع من جمادى الاخيرة من السنة وبرز السلطان فى مماليكه ووقف أمام القلعة بقية يومه والناس يتسايلون الى الناصرى من العساكر ومن العامة حتى غصت بهم بسائط البركة واستأمن أكثر الامراء مع السلطان الى الناصرى فأمنهم واطلع السلطان على شأنهم وسارت طائفة من العسكر وناوشوهم القتال وعادوا منهزمين الى السلطان وارتاب السلطان بأمره وعاين انحلال عقدته فدس الى الناصرى بالصلح وبعث اليه بالملاطفة وأن يستمر على ملكه ويقوم بدولته خدمه وأعوانه وأشار بأن يتوارى بشخصه أن يصيبه أحد من غير البيبغاوية بسوء فلما غشيه الليل أذن لمن بقى معه من مماليكه فى الانطلاق ودخل الى بيته ثم خرج متنكرا وسرى فى غيابات المدينة وباكرهم الناصرى وأصحابه القلعة فاستولوا عليها ودعوا أمير حاج ابن الاشرف فأعادوه الى التخت كما كان ونصبوه للملك ولقبوه المنصور وبادروا باستدعاء الجوبانى والامراء المعتقلين بالاسكندرية فأغذوا السير ووصلوا ثانى يومهم وركب الناصرى وأصحابه للقائهم وأنزل الجوبانى عنده بالاصطبل وأشركه فى أمره وأصبحوا ينادون بطلب السلطان الظاهر بقية يومهم ذلك ومن الغد حتى دل عليه بعض مماليك الجوبانى وحين رآه قبل الارض وبالغ فى الادب معه وحلف له على الامان وجاء به الى القلعة فأنزله بقاعة الفضة واشتوروا فى أمره وكان حرص منطاش وزلار على قتله أكثر من سواهما وأبى الناصرى والجوبانى الا الوفاء بما اعتقد معهم واستقر الجوبانى اتابك والناصرى رأس النوبة الكبرى ودمرداش الاحمدى أمير سلاح وأحمد بن يلبغا أمير مجلس والابغا العثمانى دوادارا وابغا الجوهرى استاذدارا وعمرت الوظائف والمراتب ثم بعثوا زلار نائبا على دمشق وأخرجوه اليها وبعثوا كشبغا البيبغاوى على حلب وكان السلطان قد عزله عن طرابلس واعتقله بدمشق فلما جاء فى جملة الناصرى بعثه على حلب مكانه وقبضوا على جماعة من الامراء فيهم النائب سودون باق وسودون الطرنطاى فحبسوا بعضهم بالاسكندرية وبعثوا آخرين الى الشأم فحبسوا هنالك وتتبعوا مماليك السلطان فحبسوا أكثرهم وأشخصوا بقيتهم الى الشأم يستخدمون عند الامراء وقبضوا على استاذدار محمود قهرمان الدولة وقارون القصرى فصادروه على ألف ألف درهم ثم أودعوه السجن وهم مع ذلك يتشاورون فى مستقر السلطان بين الكرك وقوص والاسكندرية حتى اجمعوا على الكرك وورّوا بالاسكندرية حذرا عليه من منطاش فلما أزف مسيره قعد له منطاش عند البحر رصدا وبات عامة ليله وركب الجوبانى مع السلطان من القلعة وأركبه مع صاحب الكرك موسى بن عيسى فى لمة من قومه يوصلونه الى الكرك وسار معه برهة

من الليل مشيعا ثم رجع وشعر منطاش من أمره وطوى على الغش وأخذ ثياب الثورة كما نذكر ونجا السلطان الى الكرك فى فل من غلمانه ومواليه ووكل الناصرى به حسن الكشكى من خواصه وولاه على الكرك وأوصاه بخدمته ومنعه ممن يرومه بسوء فتقدمه الى الكرك وأنزله القلعة وهيأله النزول بما يحتاج اليه وأقام هنالك حتى وقع من لطائف الله فى أمره ما نذكر بعد ان شاء الله تعالى وجاء الخبر أن جماعة من مماليك الظاهر كانوا مختفين منذ الوقعة فاعتزموا على الثورة بدمشق وانهم ظفروا بهم وحبسوا جميعا ومنهم أيبغا الصغير والله تعالى أعلم

ثورة منطاش واستيلاؤه على الامر ونكبة الجوبانى وحبس الناصرى والامراء البيبغاوية بالاسكندرية

كان منطاش منذ دخل مع الناصرى الى مصر متربصا بالدولة طاويا جوانحه على الغدر لانهم لم يوفروا حظه من الاقطاع ولم يجعلوا له اسما فى الوظائف حين اقتسموها ولا راعى له الناصرى حق خدمته ومقارعته الاعداء وكان ينقم عليه مع ذلك ايثاره الجوبانى واختصاصه فاستوحش واجمع الثورة وكان مماليك الجوبانى لما حبس أميرهم وانتقض الناصرى بحلب لحقوا به وجاؤا فى جملته واشتملوا على منطاش فكان له بهم فى ذلك السفر أنس وله اليهم صغو فداخل جماعة منهم فى الثورة وحملهم على صاحبهم وتطفل على الجوبانى فى المخالصة بغشيان مجلسه وملابسة ندمائه وحضور مائدته وكان البيبغاوية جميعا ينقمون على الناصرى ويرون أنه مقصر فى الرواتب والاقطاع وطووا من ذلك على النكث ودعاهم منطاش الى التوثب فكانوا اليه أسرع وزينوه له وقعدوا عنه عند الحاجة ونمى الخبر الى الناصرى والجوبانى فعزموا على اشخاص منطاش الى الشأم فتمارض وتخلف فى بيته أياما يطاولهم ليحكم التدبير عليهم ثم عدا عليه الجوبانى يوم الاثنين وقد أكمن فى بيته رجالا للثورة فقبضوا على الجوبانى وقتلوه لحينه وركب منطاش الى الرميلة فنهب مراكب الامراء بباب الاصطبل ووقف عند مأذنة المدرسة الناصرية وقد شحنها ناشبة ومقاتلة مع أمير من أصحابه ووقف فى حمايتهم واجتمع اليه من داخله فى الثورة من الاشرفية وغيرهم واجتمع اليه من كان بقى من مماليك الظاهر واتصلت الهيعة فركب الامراء البيبغاوية من بيوتهم ولما أفضوا الى الرميلة وقفوا ينظرون مآل الحال وبرز الناصرى من الاصطبل فيمن حضر وأمر الامراء بالحملة عليهم فوقفوا وأحجم هو عن الحملة وتخاذل أصحابه وأصحاب منطاش ومال الى الناصرى مماليك الجوبانى لنكبة صاحبهم فهددهم منطاش بقتله فافترقوا وتحاجز الفريقان آخر النهار وباكروا شأنهم من الغد وحمل

الناصرى فانهزم وأقاموا على ذلك ثلاثا وجموع منطاش فى تزايد ثم انفض الناس عن الناصرى عشية الاربعاء لسبعين يوما من دخول القلعة واقتحمها عليه منطاش ونهب بيوته وخزائنه وذهب الناصرى حيران وأصحابه يرجعون عنه و باكر البيبقاوية بمجلس منطاش من الغد فقبض عليهم وسيق من تخلف منهم عن الناصرى أفذاذا وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية وبعث جماعة ممن حبسهم الناصرى الى قوص ودمياط ثم جدد البيعة لامير حاج المنصور ثم نادى فى مماليك السلطان بالعرض وقبض على جماعة منهم وفر الباقون وبعث بالمحبوسين منهم الى قوص وصادر جماعة من أهل الاموال وأفرج عن محمود استاذدار وخلع عليه ليوليه فى وظيفته ثم بدا له فى أمره وعاود مصادرته وامتحانه واستصفى منه أموالا عظيمة يقال ستين قنطارا من الذهب ولما استقل بتدبير الدولة عمر الوظائف والمراتب وولى فيها بنظره وبعث عن الاشقتمرى من الشأم وكان أخوه تمرتاى قد آخى بينهما فولاه

الكبرى وعن استدمر بن يعقوب شاه فجعله أمير سلاح وعن اينقا الصفوى فولاه صاحب الحجاب واختص الثلاثة بالمشورة وأقامهم أركانا للدولة وكان ابراهيم بن بطلقتمر أمير جندار قد داخله فى الثورة فرعى له ذلك وقدمه فى أمراء الالوف ثم بلغه أنه تفاوض مع الامراء فى الثورة به واستبداد السلطان فقبض عليه ثم أشخصه الى حلب على امارة هنالك وكان قد اختص ارغون السمندار وألقى عليه محبته وعنايته فغشيه الناس وباكروا بابه وعظم فى الدولة صيته ثم نمى عنه أنه من المداخلين لابراهيم أمير جندار فسطابه وامتحنه أن له على هؤلاء المداخلين لابراهيم فلاذ بالانكار وأقام فى محبسه وأفرج عن سودون النائب فجاء الى مصر فألزمه بيته واستقر الحال على ذلك انتهى

(ثورة بذلار بدمشق)

ولما بلغ الخبر الى بذلار بدمشق باستقلال منطاش بالدولة أنف من ذلك وارتاب وداخلته الغيرة جمع الانتقاض وكاتب نواب الممالك بالشأم فى حلب وغيرها يدعوهم الى الوفاق فأعرضوا عنه وتمسكوا بطاعتهم وكان الامير الكبير بدمشق جنتمر أخو طاز يداخل الامراء هنالك فى التوثب به وتوثق منهم للدولة وبلغ الخبر الى بذلار فركب فى مماليكه وشيعته يروم القبض عليه فلم يتمكن من ذلك واجتمعوا وظاهرهم عامة دمشق عليه فقاتلوه ساعة من نهار ثم أيقن بالغلب والهلكة فألقى بيده وقبضوا عليه وطيروا بالخبر الى منطاش وهو صاحب الدولة فأمر باعتقاله وهلك مريضا فى محبسه وولى منطاش جنتمر نيابة دمشق واستقرت الاحوال على ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من

يشاء من عباده

(خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشأم وحصاره دمشق)

ولما بلغ الخبر الى السلطان الظاهر بالكرك بأن منطاش استقل بالدولة وحبس البيبقاوية جميعا وأدال منهم بأصحابه أهمته نفسه وخشى غائلته ولم يكن عند منطاش لاول استقلاله أهم من شأنه وشأن السلطان فكتب الى حسن الكشكى نائب الكرك بقتله وقد كان الناصرى أوصاه فى وصيته حسين وكله به أن لا يمكنه ممن يرومه بسوء فتجافى عن ذلك واستدعى البريدى وفاوض أصحابه وقاضى البلد وكاتب السر فأشاروا بالتحرز من دمه بجهد الطاقة فكتب الى منطاش معتذرا بالخطر الذى فى ارتكابه دون اذن السلطان والخليفة فأعاد عليه الكتاب مع كتاب السلطان والخليفة بالاذن فيه واستحثه فى الاجهاز عليه فأنزل البريدى وعلله بالوعد وطاوله يرجو المخلص من ذلك وكانوا يطوون الامر عن السلطان شفقة واجلالا فشعر بذلك وأخلص اللجأ الى الله والتوسل بابراهيم الخليل لانه كان يراقب مدفنه من شباك فى بيته وانطلق غلمانه فى المدينة حتى ظفروا برجال داخلوهم فى حسن الدفاع عن السلطان وأفاضوا فيهم فأجابوا وصدقوا ما عاهدوا عليه واتعدوا لقتال البريدى وكان منزله بازاء السلطان فتوافوا ببابه ليلة العاشر من رمضان وهجموا عليه فقتلوه ودخلوا برأسه الى السلطان وشفار سيوفهم دامية وكان النائب حسن الكشكى يفطر على سماط السلطان تأنيسا لهم فلما رآهم دهش وهموا بقتله فأجاره السلطان وملك السلطان أمره بالقلعة وبايعه النائب وصعد اليه أهل المدينة من الغد فبايعوه ووفد عليه عرب الضاحية من بنى عقبة وغيرهم فأعطوه طاعتهم وفشا الخبر فى النواحى فتساقط اليه مماليكه من كل جهة وبلغت أخباره الى منطاش فأوعز الى ابن باكيش نائب غزة أن يسير فى العساكر الى الكرك وتردد السلطان بين لقائه والنهوض الى الشأم ثم أجمع المسير الى دمشق فبرز من الكرك منتصف شوال فعسكر بالقبة وجمع جموعه من العرب وسار فى ألف أو يزيدون من العرب والترك وطوى المراحل الى الشأم وسرح جنتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فيهم أمراء الشأم وأولاد بندمر قاتلة وابن قجب وكانت بينهم واقعة عظيمة أجلت عن هزيمة أهل دمشق وقتل الكثير منهم وظفر السلطان بهم واتبعهم الى دمشق ونجا الكثير منهم الى مصر ثم أحس السلطان بان ابن باكيش وعساكره فى اتباعه فكر اليهم وأسرى ليلته وصبحهم على غفلة فى عشر ذى القعدة فانهزموا ونهب السلطان وقومه جميع ما معهم وامتلأت أيديهم واستفحل أمره ورجع الى دمشق ونزل بالميدان وثار العوام وأهل القبيبات ونواحيها

بالسلطان وقصدوه بالميدان فركب ناجيا وترك أثقاله فنهبها العوام وسلبوا من لقوه من مماليكه ولحق بقبة بلبغا فأقام بها وأغلقوا الابواب دونه فأقام يحاصرهم الى محرّم سنة ثنتين وتسعين وكان كشبغا الحموى نائب حلب قد أظهر دعوته فى عمله وكاتبه بذلك عندما نهض من الكرك الى الشأم كما نذكره ولما بلغه حصاره لدمشق تجهز للقائه واحتمل معه ما يزيح علل السلطان من كل صنف وأقام له ابهة ووصل اينال اليوسفى وتجماش ابن عم السلطان وجماعة من الامراء كانوا محبوسين بصفد وكان مع نائبها جماعة من مماليك السلطان يستخدمون فغدر وابه وأطلقوا من كان من الامراء فى سجن صفد كما نذكر ولحقوا بالسلطان وتقدمهم اينال وهو محاصر لدمشق فأقاموا معه والله تعالى أعلم

(ثورة المعتقلين بقوص ومسير العساكر اليهم واعتقالهم)

ولما بلغ الخبر الى الامراء المحبوسين بقوص خلاص السلطان من الاعتقال واستيلاؤه على الكرك واجتماع الناس اليه فثاروا بقوص أوائل شوال من السنة وقبضوا على الوالى بها وأخذوا من مودع القاضى ما كان فيه من المال وبلغ خبرهم الى مصر فسرح اليهم العساكر ثم بلغه أنهم ساروا الى اسوان وشايعوا الوالى بها حسن بن قرط فلحن لهم بالوعد وعرض بالوفاق فطمعوا واعتزموا أن يسيروا من وادى القصب من الجهة الشرقية الى السويس ويسيروا من هنالك الى الكرك ولما وصل خبر ابن قرط أخرج منطاش سندمر بن يعقوب شاه ثامن عشرين من السنة وانكفأ جوعه وسار على العدوة الشرقية فى جوعه لاعتراضهم فوصل الى قوص وبادر ابن قرط فخالفه الى منطاش بطاعته فأكرمه وردّه على عمله فوافى ابن يعقوب شاه بقوص وقد استولى على النواحى واستنزل الامراء المخالفين ثم قبض عليهم وقتل جميع من كان معهم من مماليك السلطان الظاهر ومماليك ولاة الصعيد وجاء بالامراء الى مصر فدخل بهم منتصف ذى الحجة من السنة فأفرج عن أربعة منهم سودى الاذى وحبس الباقين والله تعالى أعلم

(ثورة كشبغا بحلب وقيامه بدعوة السلطان)

قد كنا قدمنا أن الناصرى ولى كشبغا رأس نوبة نيابة حلب ولما استقل منطاش بالدولة ارتاب ودعاه بدلار لما ثار بدمشق الى الوفاق فامتنع ثم بلغه الخبر بخلاص السلطان من الاعتقال بالكرك فأظهر الانتقاض وقام بدعوة السلطان وخالفه ابراهيم بن أمير جندار رواعص وصب عليه أهل باقوسا من أرباض حلب فقاتلهم كشبغا

لحن أى أشار قال الشاعر (ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا) واللحن يفهمه ذوو الالباب) ورحم الله المؤرخ غلبت عليه صناعة الترسل فكان كتابه هذا كتاب تاريخ وأدب فهو نعم الادب اهـ من خط الشيخ العطار

جمعا وهزمهم وقتل القاضى ابن أبى الرضا وكان معه فى ذلك الخلاف واستقل بأمر حلب وذلك فى شوال من السنة ثم بلغه أن السلطان هزم عساكر دمشق وابن باكيش وانه مقيم بقبة بلبغا محاصرا لدمشق بعد أن نهبوا أثقاله وأخرجوه من الميدان فتجهز من حلب اليه فى العساكر والحشود وجهز له جميع ما يحتاج اليه من المال والاقمشة والسلاح والخيل والابل وخيام الملك بفرشها وماعونها وآلات الحصار وتلقاه السلطان وبالغ فى تكرمته وفوض اليه فى الاتابكية والمشورة وقام معه محاصرا لدمشق واشتدّ الحصار على أهل دمشق بعد وصوله واستكثار السلطان من المقاتلة وآلات الحصار وخرب كثيرا من جوانبها بحجارة المجانيق وتصدعت حيطانها وأضرم كثيرا من البيوت على أربابها فاحترقت واستولى الخراب والحريق على القبيبات أجمع وتفاحش فيها واشتدّ أهل القتال والدفاع من فوق الاسوار وتولى كبر ذلك منهم قاضى الشافعية أحمد بن القرشى بما اشار عليهم وفاه أهل العلم والدين بالنكير فيه وكان منطاش لما بلغه حصار دمشق بعث طنبقا الحلبى دوادار الاشرف بعدد من المال يمدّ به العساكر هنالك وأقام معهم ثم بعث جنتمر الى أمير آل فضل يعبر بن جبار يستحديه لجاء لقتالهم وسار كشبغا نائب حلب فلقيه وفض جوعه وأسر خادمه وجاء به أسيرا فمنّ عليه السلطان وأطلقه وكساه وحمله وردّه الى صاحبه واستمر حصار دمشق الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ثورة اينال بصفد بدعوة السلطان)

كان اينال لما انهزم يوم واقعة دمشق فرّ الى مصر ومرّ بغزة فاعتقله ابن باكيش وحبس بالكرك فلما استولى الناصرى أشخصه الى صفد فحبس بها مع جماعة من الامراء وولى على صفد قاطبك النظامى فاستخدم جماعة من مماليك برقوق واتخذ منهم بلبغا السالمى دوادارا فلما بلغه خلاص السلطان من الاعتقال ومسيره الى الشأم داخل بلبغا مماليك استاذه قطلوبغا فى الخلاف واللحاق بالسلطان وهرب منهم جماعة فركب قطلوبغا فى اتباعهم وأبقى بلبغا السالمى دوادار وحاجب صفد فاطلقوا اينال وسائر المحبوسين من السلطان فملك اينال القلعة ورجع قطلوبغا من اتباع الهاربين فوجدهم قد استولوا وامتنعوا وارتاب من مماليكه فسار عن صفد ونهب بيته ومخلفه ولحق بالشأم فلقى الامراء المنهزمين أمام السلطان بشقحب قاصدين مصر فسار معهم ولحق اينال بالسلطان من صفد بعد أن ضبطها واستخلف عليها وأقام مع السلطان والله تعالى أعلم

{مسير منطاش وسلطانه أمير حاجى الى الشأم وانهزامهم ودخول منطاش الى دمشق وظفر السلطان الظاهر بأمير حاجى والخليفة والقضاة وعوده لملكه}

ولما تواترت الاخبار بهزيمة عساكر الشأم وحصار السلطان الظاهر دمشق وظهور دعوته فى حلب وصفد وسائر بلاد الشأم ثم وصلت العساكر المنهزمون وأولاد بندمر ونائب صفد واضرابهم ونحوه وتواترت كتب جنتمر نائب دمشق وصريخه أجمع منطاش أمره حينئذ على المسير الى الشأم فتجهز ونادى فى العساكر وأخرج السلطان والخليفة والقضاة والعلماء رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وتسعين وخيموا بالريدانية من ناحية القاهرة حتى أزاح العلل واستخلف على القاهرة دواداره صراى تمر وأطلق يده فى الحل والعقد والتولية والعزل واستخلف على القلعة بكا الاشرفى وعمد الى خزانة من خزائن الذخيرة بالقلعة فسد بابها ونقبها من أعلاها حتى صارت كهيئة الجب ونقل اليها من كان فى سجنه من أهل دولة السلطان ونقل سودون النائب الى القلعة فأنزله بها وأمر بالقبض على من بقى من مماليك السلطان حيث كانوا فتسربوا فى غيابات المدينة ولاذوا بالاختفاء وأوعز بسد كثير من أبواب الدروب بالقاهرة فسدت ورحل فى الثانى والعشرين من الشهر بالسلطان وعساكره على التعبية وطووا المراحل ونمى اليه أثناء طريقه أن بعض مماليك السلطان المستخدمين عند الامراء مجمعون على التوثب ومداخلون لغيرهم فأجمع السطوة بهم ففروا ولحقوا بالسلطان ولما بلغ خبره مسيرهم السلطان وهو محاصر دمشق ارتحل فى عساكره الى لقائهم ونزل قريبا من شقحب وأصبحوا على التعبية وكشيقا بعساكر حلب فى ميمنة السلطان ومنطاش قد عبى جيشه وجعل السلطان أمير حاجى والخليفة والقضاة والرماة من ورائهم ووقف معهم تمار تمر راس نوبة وسندمر بن يعقوب شاه أمير سلاح ووقف هو فى طائفة من مماليكه وأصحابه فى حومة المعترك فلما تراءى الجمعان حمل هو وأصحابه على ميمنة السلطان ففضوها وانهزم كشيقا الى حلب ومروا فى اتباعه ثم عطفوا على مخيم السلطان فنهبوه وأسروا قجماش ابن عمه كان هنالك جريحا ثم حطم السلطان على الذى فيه أمير حاجى والخليفة والقضاة فدخلوا فى حكمه ووكل بهم واختلط الفريقان وصار وافى عمى من أمرهم والسلطان فى لمة من فرسانه يخترق جوانب المعترك ويحطم الفرسان ويشردهم فى كل ناحية وشرد مماليكه وأمرائه يتساقطون اليه حتى كثف جمعه ثم حمل على بقية العسكر وهم ملتئمون على الصفدى فهزمهم ولحقوا بدمشق وضرب خيامه بشقحب ولما وصل منطاش الى دمشق أوهم النائب جنتمر أن الغلب له وأن السلطان أمير حاجى على الاثر ونادى فى العساكر بالخروج فى السلاح لتلقيه وخرج من الغد موريا بذلك فركب اليهم السلطان فى العساكر فهزمهم وأثخن فيهم واستلحم كثيرا من عامة دمشق ورجع السلطان

الزيدانية بالزاء المهملة المسماة الآن بالحصوة خارج القاهرة من خط الشيخ العطار

الى خيامه وبعث أمير حاجى بالتبرى من الملك والعجز عنه والخروج اليه من عهدته فأحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان والبيعة له والعود الى كرسيه وأقام السلطان بشقحب تسعا واشتد كلب البرد وافتقدت الاقوات لقلة الميرة فأجمع العود الى مصر ورحل يقصدها وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه فلما أطل عليه أحجم ورجع واستمر السلطان لقصده وقدم حاجب غزة للقبض على ابن باكيش فقبض عليه ولما وافى السلطان غزة ولى عليها مكانه وحمله معتقلا وسار وهو مستطلع أحوال مصر حتى كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

ثورة بكا والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بدعوة السلطان الظاهر وعوده الى كرسيه بمصر وانتظام أمره

كان منطاش لما فصل الى الشأم بسلطانه وعساكره كما مر واستخلف على القاهرة دواداره سراى تمر وأنزله بالاصطبل وعلى القلعة بكا الاشرفى ووكله بالمعتقلين هنالك فأخذوا أنفسهم بالحزم والشدة وبعد أيام نمى اليهم أن جماعة من مماليك السلطان مجتمعون للثورة وقد داخلوا مماليكهم فبيتوهم وقبضوا عليهم بعد جولة دافع فيها المماليك عن أنفسهم ثم تقبضوا على من داخلهم من مماليكهم وكانوا جماعة كثيرة وحدث لهم بذلك ريبة واشتداد فى الحزم فنادوا بالوعيد لمن وجد عنده أحد من مماليك السلطان ونقلوا ابن أخت السلطان من بيت أمه الى القلعة وحبسوه وأوعزوا بقتل الامراء المعتقلين بالفيوم فقتلوا وعميت عليهم أنباء منطاش والعساكر وبعثوا من يقتص لهم الطريق ويسائل الركبان واعتزموا على قتل المسجونين بالقلعة ثم تلاوموا فى ذلك ورجعوا الى التضييق عليهم ومنع المترددين بأقواتهم فضاقت أحوالهم وضجروا وأهمتهم أنفسهم وفى خلال ذلك عثر بعضهم على منفذ الى سرب تحت الارض يفضى الى حائط الاسطبل ففرحوا بذلك وتنسموا ريح الفرج ولما أظلتهم ليلة الاربعاء غرة صفر سنة ثنتين وتسعين مروا فى ذلك السرب فوجدوا فيه آلة النقب فنقبوا الحائط وأفضوا الى أعلى الاسطبل وتقدم بهم خاصكى من أكابر الخاصكية وهجموا على الحراس فثاروا اليهم فقتلوا بعضهم بالقيود من أرجلهم وهرب الباقون ونادوا بشعبان بكا نائب القلعة يوهمون أنه انتقض ثم كسروا باب الاسطبل الاعلى والاسفل وأفضوا الى منزل سراى تمر فأيقظه لغطهم وهلع من شأن بكا فرمى نفسه من السور ناجيا ومر بالحاجب قطلوبقا ولحق بمدرسة حسن وقد كان منطاش أنزل بها ناشبة من التركمان لحماية الاسطبل وأجرى لهم الارزاق وجعلهم لنظر تنكز راس نوبة ثم هجم أصحاب بكا على بيت سراى تمر فنهبوا ماله وقماشه وسلاحه وركبوا خيله واستولوا على الاسطبل

وفرعوا الطبول ليلتهم وقاتلهم بكلمش الغد وسرب الرجال الى الطبلخانات فملكها ثم
أزعجوه عنها وزحف سراى تمر وقطلوبغا الحاجب الى الاسطبل لقتالهم وبرزوا اليهم
فقاتلوهم واعتصموا بالمدرسة واستولى بكا على أمره وبعث الى باب السر من المدرسة
ليحرقه فاستأمن اليه التركمان الذين به فأنزلهم على الامان وسرب أصحابه فى البلد
لنهب بيوت منطاش وأصحابه فعاثوا فيها وتسلل اليه مماليك السلطان المختفون
بالقاهرة فبلغوا ألفا أو يزيدون ثم استأمن بكلمش من الغد فأمنه سودون النائب
وجاء به أمير سلاح ودمرداش وكان عنده بحبسهما بطاشم وقف
سودون على مدرسة حسن والارض تموج بعوالم النظارة فاستنزل منها سراى تمر
وقطلوبغا الحاجب فنزلا على أمانه وهمت العوالم بهما فحال دونهما وجاء بهما الى بكا
فحبسهما وركب سودون يوم الجمعة فى القاهرة ونادى بالامان والخطبة للسلطان
فخطب له من يومه وأمر بكا بفتح السجون واخراج من كان فيها فى حبس منطاش
وحكام تلك الدولة وهرب الوالى حسن بن الكورانى خوفا على نفسه لما كان شيعة
لمنطاش على مماليك السلطان ثم عثر عليه بكا وحبسه مع سائر شيعة منطاش وأطلق
جميع الامراء الذين حبسهم بمصر ودمياط والفيوم ثم بعث الشريف عنان بن
مقامس أمير بنى حسن بمكة وكان محبوسا وخرج معهم فبعثه مع أخيه ايقا على الهجن
لاستكشاف خبر السلطان ووصل يوم الاحد بعدها كتاب السلطان مع ابن صاحب
الدرك سيف بن محمد بن عيسى العائذى باعداد الميرة والعلوفة فى منازل السلطان على
العادة وقص خبر الواقعة وأن السلطان توجه الى مصر وانتهى الى الرملة ثم وصل
ايقا أخو بكا يوم الاربعاء ثامن صفر بمثل ذلك وتتابع الواصلون من عسكر السلطان
ثم نزل بالصالحية وخرج السلطان لتلقيه بالعكرشة ثم أصبح يوم الثلاثاء رابع صفر فى
ساحة القلعة وقلده الخليفة وعاد الى سريره ثم بعث عن الامراء الذين كان حبسهم
منطاش بالاسكندرية وفيهم الناصرى والجوبانى وابن بيبقا وقرادمرداش وابغا
الجوهرى وسودون باق وسودون الطرنطاى وقردمر المعلم فى آخرين متعددين
واستعتبوا السلطان فأعتبهم وأعادهم الى مراتبهم وولى ايتال اليوسفى اتابكا
والناصرى أمير سلاح والجوبانى رأس نوبة وسودون نائبا وبكا داودار وقرقماش
استاذدار وكشبقا الخاصكى أمير مجلس وتطلمش أمير الماخورية وعلاء الدين
كاتب سر الكرك كاتب سره بمصر وعمر سائر المراتب والوظائف وتوفى قرقماش
فولى محمود استاذداره الاول ورعى له سوابق خدمته ومحنة العدو له فى محبته وانتظم
أمر دولته واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشأم وتلافيه من مملكة العدو وفساده

والله تعالى أعلم

﴿ولاية الجوبانى على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولاية الناصرى مكانه﴾

لما استقر السلطان على كرسيه بالقاهرة وانتظمت أمور دولته صرف نظره الى الشأم
وشرع فى تجهيز العساكر لازعاج العدو منه وعين الجوبانى لنيابة دمشق ورياسة
العساكر والناصرى لحلب لان السلطان كان عاهد كمشبغا على اتابكية مصر وعين
قرادمرداش لطرابلس ومأمونا القلمطاوى لحماة فولى فى جميع ممالك الشأم ووظائفه
وامرهم بالتجهيز ونودى فى العساكر بذلك وخرجوا ثامن جمادى الاولى من سنة ثنتين
وتسعين وكان منطاش قد اجتهد جهده فى طى خبر السلطان بمصر عن أمرائه وسائر
عساكره ومازال يفشو حتى شاع وظهر بين الناس فانصرف هواهم الى السلطان
وبعث فى أثناء ذلك الامير عمازة نائبا على حلب فاجتمع اليه أهل كانقوسا وحاصر
كمشبغا بالقلعة نحوا من خمسة أشهر وشدّ حصارها وأحرق باب القلعة والجسر ونقب
سورها من ثلاثة مواضع واتصل القتال بين الفريقين فى احد الانقاب لشهرين على
ضوء الشموع ثم بعث العساكر الى طرابلس مع ابن ايماز التركمانى فحاصرها وملكوها
من يد سندمر حاجب حجابها وكان مستوليا عليها بدعوة الظاهر ولما ملكها ولى
عليها قشتمر الاشرفى ثم بعث العساكر الى بعلبك مع محمد بن سندمر فى نفر من قرابته
وجنده فقتلهم منطاش بدمشق أجمعين ثم أوعز الى قشتمر الاشرفى نائب طرابلس
بالمسير الى حصار صفد فسار اليها وبرز اليه جندها فقاتلوه وهزموه فجهز اليها العساكر
مع ابقا الصفدى كبير دولته فسار اليها فى سبعمائة من العساكر وقد كان لما تيقن
عنده استيلاء السلطان على كرسيه بمصر جنح الى الطاعة والاعتصام بالجماعة وكاتب
السلطان بمغارمه ووعده فلما وصل الى صفد بعث الى نائبها بطاعته وفارق أصحاب
منطاش ومن له هوى فيه وصفوا اليه وبات ليلته بظاهر صفد وارتحل من الغد الى مصر
فوصلها منتصف جمادى الاخيرة وأمراء الشأم معسكرون مع الجوبانى بظاهر القلعة
فأقبل السلطان عليه وجعله من أمراء الالوف ولما رجع أصحابه من صفد الى دمشق
اضطرب منطاش وتبين له نكر الناس وارتاب بأصحابه وقبض على جماعة من الامراء
وعلى جنتمر نائب دمشق وابن جرجى من أمراء الالوف وابن قفجق الحاجب وقتله
والقاضى محمد بن القرشى فى جملة من الاعيان واستوحش الناس ونفروا عنه
واستأمنوا الى السلطان مثل محمد بن سندمر وغيره وهرب كاتب السر بدر الدين
ابن فضل الله وناظر الجيش وقد كانوا يوم الواقعة على شقحب لحقوا بدمشق يظنون

أن السلطان يملكها يومه ذلك فبقوا فى ملكة منطاش وأجمعوا الفرار مرة بعد أخرى فلم يتهيأ لهم وشرع منطاش فى الفتك بالمنتمين الى السلطان من المماليك المحبوسين بالقلعة وغيرهم وذبح جماعة من الجراكسة وهم بقتل اشمس فدفعه الله عنه وارتحل الامراء من مصر فى العساكر السلطانية الى الشأم مع الجوبانى يطوون المراحل والامراء من دمشق يلقونهم فى كل منزلة هاربين اليهم حتى كان آخر من لقيهم ابن نصير أمير العرب بطاعة أبيه ودخلوا حدود الشأم ثم ارتبك منطاش فى أمره واستقر الخوف والهلع والاسترابة بمن معه فخرج منتصف جمادى الاخيرة هاربا من دمشق فى خواصه وأصحابه ومعه سبعون حملا من المال والاقمشة واحتمل معه محمد بن اينال وانتقض عليه جماعة من المماليك فرجعوا به الى أبيه وكان يعير بن جبار أمير آل فضل مقيما فى أحيائه ومعه أحياء آل مرا واميرهم عنقاء بن   فلحق بهم هنالك منطاش مستجيرا فأجاروه ونزل معهم ولما فصل منطاش عن دمشق خرج اشمس من محبسه وملك القلعة ومعه مماليك السلطان معصوصبون عليه وأرسل الى الجوبانى بالخبر فاغذ السير الى دمشق وجلس بموضع نيابته وقبض على من بقى من أصحاب منطاش وخدمه مع من كان حبس هو معهم ووصل الطنبغا الحلبى ودمرداش اليوسفى من طرابلس وكان منطاش استقدمهم وهرب قبل وصولهم وبلغ الخبر الى ايناز عمر وهو يحاصر حلب وأهل كانفوسا معصوصبون عليه فأجفل ولحق بمنطاش وركب كمشبغا من القلعة اليهم بعد أن أصلح الجسر وأركب معه الحجاب وقاتل أهل كانفوسا ومن معهم من أشياع منطاش ثلاثة أيام ثم هزموهم وقتل كمشبغا منهم أكثر من ثمانمائة وخرب كانفوسا فأصبحت خرابا وعمر القلعة وحصنها وشحنها بالاقوات وبعث الجوبانى العساكر الى طرابلس وملكوها من يد قشتمر الاشرفى نائب منطاش من غير قتال وكذلك حماة وحمص ثم بعث الجوبانى نائب دمشق وكافل الممالك الشامية الى يعير ابن جبار أمير العرب باسلام منطاش واخراجه من أحيائه فامتنع واعتذر فبرز من دمشق بالعساكر ومعه الناصرى وسائر الامراء ونهض الى مصر فلما انتهوا الى حمص أقاموا بها وبعثوا الى يعير يعتذرون اليه فلج واستكبر وحال دونه وبعث اليه اشمس خلال ذلك من دمشق بأن جماعة شيعة بندمر وجنتمر يرومون الثورة فركب الناصرى الى دمشق وكبسهم وأثخن فيهم ورجع الى العسكر وارتحلوا الى سلمية واستمر يعير فى غلوائه وترددت الرسل بينهما فلم تغن ثم كانت بين الفريقين حرب شديدة وحملت العساكر على منطاش والعرب فهزموهم الى الخيام واتبع دمرداش منطاش حتى جاوز به الحى وارتحلت العرب وحملوا بطانتهم على العسكر فلم يثبتوا لحملتهم وكان معهم آل

بياض بالأصل

على

على بجموعهم فنهبوهم من ورائهم وانهزموا وأفرد الجوبانى بمماليكه فأسره العرب وسيق الى يعير فقتله ولحق الناصرى بدمشق وأسر جماعة من الامراء وقتل منهم ايبقا الجوهرى ومأمون المعلم فى عدد آخرين ونهب العرب مخيمهم وأثقالهم ودخل الناصرى الى دمشق فبات ليلته وباكر من الغد آل على فى أحيائهم فكبسهم واستلحم منهم جماعة فثأر منهم بما فعلوه فى الواقعة ثم بعث اليه السلطان بنيابة دمشق منتصف شعبان من السنة فقام بأمرها وأحكم التصريف فى حمايتها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(اعادة محمود الى استاذية الدار واستقلاله فى الدولة)

هذا الرجل من ناشئة الترك وولدانهم ومن أعقاب كراى المنصورى منهم شب فى ظل الدولة ومرعى نعمها ونهض بنفسه الى الاضطلاع والكفاية وباشر كثيرا من أعمال الامراء والوزراء حتى أوفى على ثنية النجابة وعرضته الشهرة على اختيار السلطان فجم عوده ونقد جوهره ثم الحق به اغراض الخدمة ببابه فأصاب شاكلة الرمية ومضى قدما فى مذاهب السلطان مرهف الحد قوى الشكيمة فصدق ظنه وشكر اختياره ثم دفعه الى معاينة الحبس وشد الدواوين من وظائف الدولة فخلا فيهما وهلك خلال ذلك استاذ الدار بهادر المنجكى سنة تسعين فأقامه السلطان مكانه قهرمانا لداره ودولته وانتضاره على دواوين الجباية من قراب اختياره ونقده جماعة للاموال غواصا على استخراج الحقوق السلطانية قارونا للكنوز اكسيرا للنقود مغناطيسا للقنية يسابق أقلام الكتاب ويستوفى تفاصيل الحساب بمدارك الهامه وتصور صحيح وحدس ثاقب لا يرجع الى حذاقة الكتاب ولا   الاعمال بل يتناول الصعاب فيذللها ويحوم على الاغراض البعيدة فيقربها وربما يحاضر بذكائه فى العلوم فينفذ فى مسائلها ويفحم جهابذتها موهبة من الله اختصه بها ونعمة أسبغ عليه لبوسها فقام بما دفع اليه السلطان من ذلك وأدر خروج الجباية فضاقت افنية الحواصل والخزائن بما تحصل وتسرب اليها وكفى السلطان مهمه فى دولته ومماليكه ورجاله بما يسوغ لهم من نعمه ويوسع من أرزاقه وعطائه حتى أزاح عللهم بتوالى انفاقه وقرت عين السلطان باصطناعه وغص به الدواوين والحاشية ففوقوا اليه سهام السعاية وسلطوا عليه السنة المتظلمين فخاص من ذلك خلوص الابريز ولم تعلق به ظنة ولا حامت عليه ريبة ثم طرق الدولة ما طرقها من النكبة والاعتقال واودعته المحنة غيابات السجون وحفت به أنواع المكاره واصطلمت نعمته واستصفيت أمواله فى المصادرة والامتحان حتى زعموا أن الناصرى المتغلب يومئذ استأثر منه بخمسة قناطير من دنانير الذهب ومنطاش بعده بخمسة

بياض بالأصل

وخمسين ثم خلص ابريزه من ذلك السبك وأهل قمره بعد المحاق واستقل السلطان من نكبته وطلع بافق مصره وتمهد أريكة ملكه ودفعه لما كان بسبيله فأحسن الكرة فى الكفاية لمهمه وتوسيع عطاياه وأرزاقه وتمكين أحوال دولته وتسربت الجباية من غير حساب ولا تقرير الى خزائنه وأحسن النظر فى الصرف والخرج بحزمه وكفايته حتى عادت الامور الى أحسن معهودها بيمن تعبيته وسديد رأيه وصلابة عوده وقوة صرامته مع بذل معروفه وجاهه لمن تحت يده وبشاشته وكفايته لغاشيته وحسن الكرامة لمنتابه ومقابلة اليه بكرم مقاصده فأصبح طرازا للدولة وتاجا للخواص وقذفه المنافسون بخطا السعايات فزلت فى جهات حلم السلطان وجميل اغتباطه وتثبته حتى أعيتهم المذاهب وانسدت عليهم الطرق ورسخت قدمه فى الدولة واحتل من السلطان بكرم العهد والذمة ووثق بغنائه واضطلاعه فرمى اليه مقاليد الامور وأوطأ عقبه أعيان الخاصة والجمهور وأفرده فى الدولة بالنظر فى الامور حسبانا وتقديرا وجمعا وتقريرا وكنزا موفرا وصرفا لا يعرف تبذيرا وبطرا وفى الانهاء بالعزل والاهانة مشهورا مع ما يمتاز به من الامر والشان وسمو مرتبته على مر الازمان وهو على ذلك لهذا العهد عند سفر السلطان الى الشأم لمدافعة سلطان المغل كما مر ذكره والله متولى الامور لا رب غيره

{مسير منطاش ويعبر الى نواحى حلب وحصارها}
{ثم مفارقة يعبر وحصاره عنتاب ثم رجوعه}

ولما انهزمت العساكر بسلمية كما قلنا ارتحل يعبر فى أحيائه ومعه منطاش وأصحابه الى نواحى حلب وسار يعبر الى بالمسرمين من اقطاعه ليقسمها فى قومه على عادتهم وكان كمشبغا نائب حلب قد أقطعها الجند من التركمان فى خدمته فلما وافاها يعبر هربوا الى حلب فلقوا فى طريقهم احمد بن المهدار فى العساكر وقد نهض الى يعبر فرجعوا عنه ولقيهم على بن يعبر فقاتلوه وهزموه وقتلوا بعض أصحابه صبرا ورجع يعبر الى أحيائه وارتحلوا الى حلب فحاصروها وضيقوا عليها أيام رمضان ثم راجع يعبر نفسه وراسل كمشبغا نائب حلب فى الطاعة واعتذر عما وقع منه وطوق الذنب بالجوبانى وأصحابه أهل الواقعة وسال الامان مع حاجبه عبد الرحمن فأرسله كمشبغا الى السلطان وأخبره بما اشترط يعبر فأجابه السلطان الى سؤاله وشعر بذلك منطاش بمكانه من حصار حلب فارتاب وخادع يعبرا الى الغارة على التركمان بقربهم فأذن للعرب فى المسير معه وسار معه منهم سبعمائة فلما جاوز الدربند ارجلهم عن الخيل وأخذها ولحق بالتركمان ونزل بمرعش بلد أميرهم سولى ورجع العرب مشاة الى يعبر فارتحل الى سبيله راجعا وسار

منطاش الى عنتاب من قلاع حلب ونائبها محمد بن شهرى فملكها واعتصم نائبها بالقلعة أياما ثم ثبت منطاش وأثخن فى أصحابه وقتل جماعة من أمرائه وكانت العساكر قد جاءت من حلب وحماة وصفد لقتاله فهرب الى مرعش وسار منها الى بلاد الروم واضمحل أمره وفارقه جماعة من أصحابه الى العساكر وراجعوا طاعة السلطان آخر ذى العقدة من سنة ثنتين وسبعين وبعث سولى بن دلقادر أمير التركمان فى عشر ذى الحجة يستأمن الى السلطان فأمنه وولاه على البلستين كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم

(قدوم كمشبغا من حلب)

قد كان تقدم لنا أن كمشبغا الحموى رأس نوبة يبغا كان نائبا بطرابلس وان السلطان عزله وحبسه بدمشق فلما استولى الناصرى على دمشق أطلقه من الاعتقال وجاء فى جملته الى مصر فلما ولى على ممالك الشأم وأعمالها ولاه على حلب مكانه منتصف احدى وسبعين ولما استقل السلطان من النكبة وقصد دمشق كما مر أرسل كمشبغا اليه بطاعته ومشايعته على أمره وأظهر دعوته فى حلب وما اليها من أعماله ثم سار السلطان الى دمشق وحاصرها وامده كمشبغا بجميع ما يحتاج اليه ثم جاءه بنفسه فى عساكر حلب صريخا وحمل اليه جميع حاجاته وازاح علله وأقام له رسوم ملكه وشكر السلطان أفعاله فى ذلك وعاهده على اتابكية مصر ثم كانت الواقعة على شقحب فانهزم كمشبغا الى حلب فامتنع بها وحاصره يماز تمر اتابك منطاش أشهرا كما مر ثم هرب منطاش من دمشق الى العرب فأفرج يماز تمر عن حلب ثم كانت واقعة الجوبانى ومقتله وزحف منطاش ويعبر الى حلب فحاصروها مدة ثم وقع الخلاف بينهما وهرب منطاش الى بلاد التركمان ورجع يعبر الى بلده سلمية واستأمن الى السلطان ورجع الى طاعته منتصف شوال ولما أفرجوا عن حلب نزل كمشبغا من القلعة ورم خرابها وخرب بانقوسا واستلحم أهلها وأخذ فى اصلاح اسوار حلب ورم ما ثلم منها وكانت خرابا من عهد هلاكو وجمع له أهل حلب ألف ألف درهم للنفقة فيه وفرغ منه لثلاثة أشهر ولما استوسق أمر السلطان وانتظمت دولته بعث اليه يستدعيه فى شهر ذى الحجة سنة ثنتين وتسعين وولى مكانه فى حلب قرادمرداش نقله اليها من طرابلس وولى مكانه اينال الصغير فسار كمشبغا من حلب ووصل مصر تاسع صفر سنة ثلاث وتسعين فاهتز له السلطان وأركب الامراء للقائه مع النائب ثم دخل الى السلطان فحياه وبالغ فى تكرمته وتلقاه بالرحب ورفع مجلسه فوق الاتابك اينال وأنزله بيت منجك وقد هيأ فيه من الفرش والماعون والخرثى ما فيه للمنزل ثم بعث اليه بالاقمشة وقرب اليه

منطاش وتجهز لقصد الشأم ونادى فى العساكر بذلك عاشر شعبان وقتل أهل
الخلاف من الامراء المحبوسين وأشخص البطالين من الامراء الى الاسكندرية
ودمياط وخرج يوم عشرى شعبان نخيم بالريدانية حتى أزاح علل العساكر وقضوا
حاجاتهم واستخلف على القاهرة الاتابك كمشبغا الحموى وأنزله الاصطبل وجعل له
التصرف فى التولية والعزل وترك بالقاهرة من الامراء جماعة لنظر الاتابك وتحت
أمره وأنزل النائب سودون بالقلعة وترك بها استمائة من مماليكه الاصاغر وأخرج معه
القضاة الاربعة والمفتين وارتحل غرة رمضان من السنة بقصد الشأم وجاء الخبر رابع
الشهر بأن منطاش لما بلغه مسيرة السلطان من مصر هرب من دمشق منتصف شعبان
مع عنقا بن   أمير آل مراء الصريخ منطاش فكانت بينهما وقعة انهزم فيها
الناصرى وقتل جماعة من أمراء الشأم نحو خمسة عشر فيهم ابراهيم بن منجك وغيره
ثم خرج الناصرى من الغد فى اتباع منطاش وقد ذكر له أن الفلاحين نزعوا من نواحى
دمشق واحتاطوا به فركب اليه منطاش ليقاتله ففارقه أتابكه يماز تمر الى الناصرى
فى أكثر العساكر وولى هاربا ورجع الناصرى الى دمشق وأكرم يماز تمر وأجمل له
الوعد وجاء الخبر بأن السلطان قد دخل حدود الشأم فسار لملقاه فلقيه بقانون وبالغ
السلطان فى تكرمته وترجل حين نزوله وعانقه وأركبه بقربه ورده الى دمشق ثم سار
فى أثره الى أن وصل دمشق وخرج الناصرى ثانية ودخل الى القلعة ثانى عشر رمضان
من السنة والامراء مشاة بين يديه والناصرى راكب معه يحمل الخبز على رأسه وبعث
يعبر فى كتاب نائب حماة بالعذر عما وقع منه وانه اتهم الناصرى فى أمر منطاش فقصد
حسم الفتنة فى ذلك واستأمن السلطان وضمن له احضار منطاش من حيث كان
فأمنه وكتب اليه باجابة سؤاله ولما قضى عيد الفطر برز من دمشق سابع شوال
الى حلب فى طلب منطاش ولقيه أثناء طريقه رسول سولى بن دلقادر أمير التركمان
بهديته واستئمانه وعذره عن تعرضه لسيس وانه يسلمها لنائب حلب فقبل السلطان
منه وأمنه ووعده بالجميل ثم وفد عليه أمراء آل مهنا وآل عيسى فى الطاعة ومظاهرة
السلطان على منطاش ويعبر وأنهما نازلان بالرحبة من تخوم الشأم فأكرم السلطان
وفادتهم وتقبل طاعتهم وسار الى حلب ونزل بالقلعة منها ثانى شوال ثم وصل الخبر الى
السلطان بأن منطاش فارق يعبرا ومر ببلاد ماردين فواقعته عساكر هنالك وقبضوا على
جماعة من أصحابه وخلص هو من الواقعة الى سالم الرودكارى من أمراء
التركمان فقبض عليه وأرسل الى السلطان يطالعه بشأنه ويطلب بعض أمراء السلطان
قرادمرداش نائب حلب فى عساكره الى سالم الرودكارى لاحضار منطاش واتبعه

بياض بالأصل

بالناصرى وأرسل الاتابك الى ماردين لاحضار من حصل من أصحاب منطاش وانتهى
اينال الى رأس العين وأتى أصحاب سلطان ماردين وتسلم منهم أصحاب منطاش وكتب
سلطانهم بأنه معتمل فى مقاصد السلطان ومرتصد لعدوه وانتهى قرادمرداش الى
سالم الرودكارى وأقام عنده أربعة أيام فى طلب منطاش وهو يماطله فأغار
قرادمرداش عليه ونهب أحياءه وفتك فى قومه وهرب هو ومنطاش الى سنجار وجاء
الناصرى على أثر ذلك ونكر على دمرداش ما أتاه وارتفعت الملاحة بينهما حتى
هم الناصرى به ورفع الآلة يضربه ولم يحصل أحد منهم بطائل ورجعوا بالعساكر الى
السلطان وكتب اليه سالم الرودكارى بالعذر عن أمر منطاش وأن الناصرى كتب
اليه وأمره بالمحافظة على منطاش وأن فيه زبونا للترك فجلس السلطان بالقلعة جلوسا
ضخما سادس ذى الحجة من السنة واستدعى الناصرى فوبخه ثم قبض عليه وعلى ابن
أخيه كشلى ورأس نوبة شيخ حسن وعلى أحمد بن الهمدار الذى أمكنه من قلعة حلب
وأمر بقتله وقشتمر الاشرفى الذى وصل من ماردين معهم وولى على نيابة دمشق مكانه
بطا الدوادار وأعطى اقطاعه لقرادمرداش وأمره بالمسير الى مصر وولى مكانه بحجاب
حلبان رأس نوبة وولى أبايزيد دوادارا مكان بطا ورعى له وسائله فى الخدمة وتردده
فى السفارة بينه وبين الناصرى أيام ملك الناصرى وأجلب على مصر وأشار عليه
الناصرى بالانتقاء كما ذكرناه فاختفى عند أصحاب أبى يزيد هذا بسعايته فى ذلك ثم ارتحل
من حلب ووصل الى دمشق منتصف ذى الحجة وقتل بها جماعة من الامراء أهل
الفساد يبلغون خمسة وعشرين وولى على العرب محمد بن مهنا وأعطى اقطاع يعبر
لجماعة من التركمان وقفل الى مصر ولقيه الاتابك كمشبغا والنائب سودون
والحاجب سكيس ثم دخل الى القلعة على التعبية منتصف المحرم سنة أربع وتسعين
فى يوم مشهود ووصل الخبر اعاشر دخوله بوفاة بطا نائب دمشق فولى مكانه سودون
الطرنطاى ثم قبض فى منتصف صفر على قرادمرداش الاحمدى وهلك فى محبسه وقبض
على طنبغا المعلم وقردم الحسينى وجاء الخبر أواخر صفر من السنة بأن جماعة من
المماليك مقدمهم ايقاد وادار بذلار لما هلك بطا واضطرب أصحابه وهرب بعضهم عمد
هؤلاء المماليك الى قلعة دمشق وهجموا عليها وملكوها ونقبوا السجن وأخرجوا
المعتقلين به من أصحاب الناصرى ومنطاش وهم نحو المائة وركبت العساكر اليها
وحاصروها ثلاثا ثم هجموا على الباب فأحرقوه ودخلوا الى القلعة فقبضوا عليهم
أجمعين وقتلوهم   ايقاد وادار بذلار فى خمسة نفر وانحسمت عللهم ثم وصل
الخبر آخر شعبان من السنة بوفاة سودون الطرنطاى فولى السلطان مكانه كمشبغا

بياض بالأصل

الاشرفى أمير مجلس وولى مكان كمشبغا أمير شيخ الخاجكى انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(مقتل منطاش)

كان منطاش فر مع سالم الرودكارى الى سنجار وأقام معه أياما ثم فارقه ولحق بيعبر فأقام فى أحيائه وأصهر اليه بعض أهل الحى بابنته فتزوجها وأقام معهم ثم سار أول رمضان سنة أربع وتسعين وعبر الفرات الى نواحى حلب وأوقعت به العساكر هنالك وهزموهم وأسروا جماعة من أصحابه ثم طال على يعبر أمر الخلاف وضجر قومه من افتقاد الميرة من التلول فأرسل حاجبه يسال الامان وأنه يمكن من منطاش على أن يقطع أربع بلاد منها المعرة فكتب له الدوادار أبو يزيد على لسانه بالاجابة الى ذلك ثم وفد محمد بن سنة خمس وتسعين فأخبر أنه كان مقيما بسلمية فى أحيائه ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا اليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان منطاش فأكبه وجرحه ولم يعرف فى المعركة لسوء صورته بما أصابه من الشظف والحفاء فأردفه ابن يعبر ونجا به وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن انيال وجىء برؤسهما الى دمشق وأوعز السلطان الى أمراء الشأم أن يخرجوا بالعساكر وينفروه الى أطراف البلاد لحمايتها (بياض بالاصل) احتى يرفع الناس زروعهم ثم زحف يعبر ومنطاش فى العساكر أول جمادى الاخيرة من السنة الى سلمية فلقيهم نائب حلب ونائب حماة فهزموهما ونهبوا حماه وخالفهم نائب حلب الى أحياء يعبر فأغار عليها ونهب سوادها وأموالها واستاق نعمها ومواشيها وأضرم النار فيما بقى وأكمن لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بحماة فأسرعوا الكر الى أحيائهم فخرج عليهم الكمناء وأثخنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والامراء والمماليك ثم وفد على السلطان أواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائعا للسلطان ومنابذا لعمه وذكر أن بنى يعبر على طاعة السلطان وأنهم يمكنون من منطاش متى طلب منهم فأقبل عليه السلطان وأثقل كاهله بالاحسان والمواعيد ودس معه الى بنى يعبر بامضاء ذلك ولهم ما يختارونه فلما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعا ورغبوهم فيما عند السلطان ماهم فيه من الضنك وسوء العيش بالخلاف والانحراف عن الطاعة وعرضوا على يعبر بأن يجيبهم الى احدى الحسنيين من امساك منطاش أو تخلية سبيلهم الى طاعة السلطان ويفارقهم هو الى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسعه خلافهم وأذن لهم فى القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا الى نائب حلب

فيمن يتسلمه واستحلفوه على مقاصدهم من السلطان لهم ولا بيهم يعبر فحلف لهم وبعث اليهم بعض أمرائه فأمكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجالة حتى أوصلوه ودخل الى حلب فى يوم مشهود وحبس بالقلعة وبعث السلطان أميرا من القاهرة فاقتحمه وقتله وحمل رأسه وطاف به فى ممالك الشأم وجاء به الى القاهرة حادى عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلقت على باب القلعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت الى أهله فدفنوها آخر رمضان من السنة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

(حوادث مكة)

قد كان تقدم لنا أن عنان بن مقامس ولاه السلطان على مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان فى موسم سنة ثمان وثمانين وان كبيش بن عجلان أقام على خلافه وحاصره بمكة فقتل فى حومة الحرب سنة تسع بعدها وساء أثر عنان وعجز عن مغالبة الاشراف من بنى عمه وسواهم وامتدت أيديهم الى أموال المجاورين وصادروهم عليها ونهبوا الزرع الواصل فى الشوانى من مصر الى جدة للسلطان والامراء والتجار ونهبوا تجار اليمن وساءت أحوال مكة بهم وبتابعهم وطلب الناس من السلطان اعادة بنى عجلان لامارة مكة ووفد على السلطان بمصر سنة تسع وثمانين صبى من بنى عجلان اسمه على فولاه على امارة مكة وبعثه مع أمير الحاج وأوصاه بالاصلاح بين الشرفاء ولما وصل الامير الى مكة يومئذ قرقماس خشى الاشراف منه واضطرب عنان وركب للقائه ثم توجس الخيفة وكر راجعا واتبع الاشراف واجتمعوا على منابذة على بن عجلان وشيعته من القواد والعبيد ووفد عنان بن مقامس على السلطان سنة تسعين فقبض عليه وحبسه ولم يزل محبوسا الى أن خرج مع بطا عند ثورته بالقلعة فى صفر سنة ثنتين وتسعين وبعثه مع أخيه ايقا يستكشف خبر السلطان كما مر وانتظم أمر السلطان بسعاية بطا فى العود الى امارته رعيا لما كان بينهما من العشرة فى البحر وأسعفه السلطان بذلك وولاه شريكا لعلى بن عجلان فى الامارة فأقاما كذلك سنتين وأمرهما مضطرب والاشراف معصوصبون على عنان وهو عاجز عن الضرب على أيديهم وعلى بن عجلان مع القواد والعبيد كذلك وأهل مكة على وجل من أمرهم فى ضنك من اختلاف الايدى عليهم ثم استقدمهم السلطان سنة أربع وتسعين فقدموا أول شعبان من السنة فأكرمهما ورفع مجلسهما ورفع مجلس على على سائرهم ولما انقضى الفطر ولى على بن عجلان مستقلا واستبلغ فى الاحسان اليه بأصناف الاقمشة والخيول والممالك والحبوب وأذن له فى الجراية والعلوفة فوق الكفاية ثم ظهر عليه بعد شهر وقد أعد

الرواحل ليلحق بمكة هار بافقبض عليه وحبسه بالقلعة وسار على بن عجلان الى مكة وقبض على الاشراف لتستقيم امارته ثم خودع عنهم فأطلقهم فنفروا عنه ولم يعاودوا طاعته فاضطرب أمره وفسد رأيه وهو مقيم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره انه على كل شئ قدير

وصول أحياء من التتر وسلطانهم الى صاحب بغداد واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر اليه

كان هؤلاء التتر من شعوب الترك وقد ملكوا جوانب الشرق من تخوم الصين الى ماوراء النهر ثم خوارزم وخراسان وجانبيها الى سجستان وكرمان جنوبا وبلاد القفجاق وبلغار شمالا ثم عراق العجم وبلاد فارس واذربيجان وعراق العرب والجزيرة وبلاد الروم الى ان بلغوا حدود الفرات واستولوا على الشأم مرة بعد أخرى كما تقدم في أخبارهم ويأتي ان شاء الله تعالى وكان أول من خرج منهم ملكهم جنكزخان أعوام عشر وستمائة واستقلوا بهذه الممالك كلها ثم انقسمت دولته بين بنيه فيها فكان لبني دوشي خان منهم بلاد القفجاق وجانب الشمال بأسره ولبني هلاكو بن طولي خان خراسان والعراق وفارس واذربيجان والجزيرة والروم ولبني جغطاي خوارزم وما اليها واستمرت هذه الدول الثلاث الى هذا العهد في مائة وثمانين سنة انقرض فيها ملك بني هلاكو في سنة أربعين من هذه المائة بوفاة أبي سعيد اخرهم ولم يعقب وافترق ملكه بين جماعة من أهل دولته في خراسان واصبهان وفارس وعراق العرب واذربيجان وتوريز وبلاد الروم فكانت خراسان للشيخ ولي واصبهان وفارس وسجستان للمظفر الازدي وبنيه وخوارزم واعمالها الى تركستان لبني جغطاي وبلاد الروم لبني ارتنا مولى من موالي دمرداش بن جوبان وبغداد واذربيجان والجزيرة للشيخ حسن بن حسين بن أيبغا بن ايكان وايكان سبط ارغو بن ابغا بن هلاكو ولبنيه وهو من كبار المغل في نسبه ولم يزل ملكهم المفترق في هذه الدول متناقلا بين أعقابهم الى أن تلاشى واضمحل واستقر ملك بغداد واذربيجان والجزيرة لهذا العهد لاحمد بن أويس ابن الشيخ حسن سبط ارغو كما في أخبار يأتي شرحها في دول التتر بعد ولما كان في هذه العصور ظهر بتركستان وبخاري فيما وراء النهر أمير اسمه تمر في جموع من المغل والتتر ينسب هو وقومه الى جغطاي لا أدري هو جغطاي بن جنكزخان أو جغطاي آخر من شعوب المغل والاول أقرب لما تقدمه من ولاية جغطاي بن جنكزخان على بلاد ماوراء النهر لعهد أبيه وان اعترض معترض بكثرة هذا الشعب الذي مع تمر وقصر المدة أن هذه المدة من لدن جغطاي تقارب مائتي سنة لان جغطاي كان لعهد أبيه جنكزخان

يقارب الاربعين فهذه المدة أزيد من خمسة من العصور لان العصر أربعون سنة وأقل ما يتناسل من الرجل في العصر عشرة من الولد فاذا ضوعفت العشرة بالضرب خمس مراتب كانت مائة ألف وان فرضنا أن المتناسلين تسعة لكل عصر بلغوا في الخمسة عصور الى نحو من سبعين ألفا وان جعلناها ثمانية بلغوا فوق الاثنين وثلاثين وان جعلناهم سبعة بلغوا ستة عشر ألفا والسبعة أقل ما يمكن من الرجل الواحد لاسيما مع البداوة المقتضية لكثرة النسل والستة عشر ألفا عصابة كافية في استتباع غيرها من العصائب حتى تنتهي الى غاية العساكر ولما ظهر هذا فيما وراء النهر عبر الى خراسان فملكها من يد الشيخ ولي صاحبها أعوام أربعة وثمانين بعد مراجفات وحروب وهرب الشيخ ولي الى توريز فعمد اليه تمر في جموعه بسنة سبع وثمانين وملك توريز واذربيجان وخربها وقتل الشيخ ولي في حروبه وهر باصبهان فأعطوه طاعة معروفة واطل بعد توريز على نواحي بغداد فأرجفوا منه وواقعت عساكره باذربيجان جموع الترك أهل الجزيرة والموصل وكانت الحروب بينهم سجالا ثم تأخر الى ناحية اصبهان وجاءه الخبر بخارج خرج عليه من قومه يعرف بقمر الدين تطمش ملك الشمال من بني دوشي خان ابن جنكزخان وهو صاحب كرسي صراي أمده بأمواله وعساكره فكر راجعا الى بلده وعميت أنباؤه الى سنة خمس وتسعين ثم جاءت الاخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فساده واستولى على كرسي صراي فكر تمر راجعا وملكها ثم خطى الى اصبهان وعراق العجم وفارس وكرمان فملك جميعها من يد بني المظفر اليزدي بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبددت جموعهم وراسله صاحب بغداد أحمد بن أويس وصانعه بالهدايا والتحف فلم يغن عنه ومازال يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى ان فتر عزم أحمد وافترقت عساكره فصمد اليه يغذ السير حتى انتهى الى دجلة وسبق النذير الى أحمد فأسرى من ليله ومر بجسر الحلة فقطعه وصبح مشهد علي ووافى تمر وعساكره دجلة يوم الحادي والعشرين من شوال سنة خمس وتسعين وأجازوا دجلة سبحا ودخلوا بغداد واستولوا عليها وبعث العساكر في اتباع أحمد فلحقوا باعقابه وخاضوا اليه النهر عند الجسر المقطوع وأدركوه بالمشهد فكر عليهم في جموعه وقتل الامير الذي كان في اتباعه ورجعوا عنه بعد أن كانوا استولوا على جميع أثقاله ورواحله بما فيها من الاموال والذخيرة فرجعوا بها ونجا أحمد الى الرحبة من تخوم الشأم فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فأخرج اليه بعض خواصه بالنفقات والازواد ليستقدمه فقدم به الى حلب آخر ذي القعدة فأراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الاخبار بأن تمر عاث في مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لاغنيائهم

وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر فى شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى فى عساكره بالتجهز الى الشأم وقد كان تمر بعد ما استولى على بغداد زحف فى عساكره الى تكريت فأولى المخالفين وعثاء الحرابة ورصد السابلة وأناخ عليها بجموعه أربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأسرها ثم انتشرت عساكره فى ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من نهار فملكوها واشفوا نعمتها وافترق أهلها وبلغ الخبر الى السلطان فخيم بالريدانية أياما أزاح فيها علل عسكره وأفاض العطاء فى مماليكه واستوعب الحشد من سائر أصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب مودود وارتحل الى الشأم على التعبية ومعه أحمد بن أويس صاحب بغداد بعد أن كفاه مهمه ومرب النفقات فى تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان أوعز الى جلبان نائب حلب بالخروج الى الفرات واستيعاب العرب والتركمان للاقامة هنالك رصدا للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار القوم ورجع لانفاذ أوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره العساكر مددا له مع كمشبغا الاتابك وتلكمش أمير سلاح وأحمد بن بيبغا وكان العدو قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا ثم ملكها وعاثت عساكره فيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق مستجمع للوثبة به متى استقبل جهته والله ولى الامور وهذا آخر ما انتهت اليه دولة الترك بانتهاء الايام وما يعلم أحد ما فى غد والله مقدر الامور وخالقها

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق مولى الاشرف بن شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون ولى نجم الدين أيوب

الصالح أمير حاج

الصالح حاجى

أحمد

الكامل شعبان

قطز

السعيد بركة بن الظاهر بيبرس

شلامس

الخبر عن دولة بنى رسول موالى بنى أيوب الملوك باليمن بعدهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم

قد كان تقدم لنا كيف استولى بنو أيوب على اليمن واختلف عليها الولاة منهم الى أن ملكها من بنى المظفر شاهنشاه بن أيوب حافده سليمان بن ... ابن المظفر وانتقض أيام العادل سنة ثنتى عشرة وستمائة فأمر العادل ابنه الكامل خليفته على مصر أن يبعث ابنه يوسف المسعود الى اليمن وهو أخو الصالح ويلقب بالتركى اطس ويقال اقسنس وقد تقدم ذكر هذا اللقب فملكها المسعود من يد سليمان وبعث به معتقلا الى مصر وهلك فى جهاد الافرنج بدمياط سنة سبع وأربعين وهلك العادل أخو المسعود سنة خمس عشرة وستمائة وولى بعده ابنه الكامل وجدد العهد ... المسعود على اليمن وحج المسعود سنة تسع عشرة وكان من خبره فى تأخير أعلام الخليفة عن أعلامه ما مر فى أخبار دولتهم ثم جاء سنة عشرين الى مكة وأميرها حسن بن قتادة من بنى مطاعن احدى بطون بنى حسن فجمع لقتاله وهزمه المسعود وملك مكة وولى عليها ورجع الى اليمن فأقام به ثم طرقه المرض سنة ست وعشرين فارتحل الى مكة واستخلف على اليمن على بن رسول التركمانى أستاذداره ثم هلك المسعود بمكة لاربع عشرة سنة من ملكه وبلغ خبر وفاته الى أبيه وهو محاصر دمشق ورجع ابن قتادة الى مكة ونصب على بن رسول على اليمن موسى بن المسعود ولقبه الاشرف وأقام مملكا على اليمن الى ان خلع وخلف المسعود ولدا آخر اسمه يوسف ومات وخلفه ابنه واسمه موسى وهو الذى نصبه الترك بعد ايبك ثم خلعوه ثم خلع على بن رسول موسى الاشرف بن المسعود واستبد بملك اليمن وأخذ بدعوة الكامل بمصر وبعث أخويه رهنا على الطاعة ثم هلك سنة تسع وعشرين وولى ابنه المنصور عمر بن على بن رسول ولما هلك على بن منصور ولى بعده الكامل ابنه عمر ثم توفى الكامل سنة خمس وثلاثين وشغل بنو أيوب بالفتنة بينهم فاستغلظ سلطان عمر باليمن وتلقب المنصور ومنع الاتاوة التى كان يبعث بها الى مصر فأطلق صاحب مصر العادل بن الكامل عمومته الذين كان أبوه رهنهم على الطاعة لينازعوه فى الامر فغلبهم وحبسهم وكان أمر الزيدية بصعدة قد خرج من بنى الرسى وصار لبنى سليمان بن داود كما مر فى اخبارهم ثم بويع من بنى الرسى أحمد ابن الحسين من بنى الهادى يحيى بن الحسن بن القاسم الرسى بايع له الزيدية بحصن ملا وكانوا من يوم أخرجهم السليمانيون من صعدة قد أووا الى جبل مكانه فلما بويع أحمد بن الحسين هذا لقبوه الموطئ وكان تحصن بملا وكان الحديث شائعا بين الزيدية بأن الامر يرجع الى بنى الرسى وكان أحمد فقيها أديبا عالما بمذهب الزيدية

البياض فى الموضعين بالاصل

مجتهدا فى العبادة وبويع سنة خمس وأربعين وستمائة وأهم عمر بن رسول شأنه فشمر لحربه وحاصره بحصن ملامدة ثم أفرج عنه وجهز العساكر لحصاره من الحصون المجاورة له ولم يزل قائما بأمره الى أن وثب عليه سنة ثمان وأربعين جماعة من مماليكه ... بنى أخيه حسن فقتلوه لثمان عشرة سنة من ولايته المظفر يوسف بن عمر ولما هلك المنصور على بن رسول كما قلناه قام بالامر مكانه ابنه المظفر شمس الدين يوسف وكان عادلا محسنا وفرض الاتاوة عليه لملوك مصر من الترك لما استقلوا بالملك ومازال يصانعهم بها ويعطيهم اياها وكان لاول ملكه امتنع عليه حصن الدملوة فشغل بحصاره وتمكن أحمد الموطئ الثائر بحصن ملا من الزيدية من أعقاب بنى الرسى فملك عشرين حصنا من حصون الزيدية وزحف الى صعدة فملكها من يد السليمانيين ونزل له أحمد المتوكل امام الزيدية منهم فبايعه وأمنه ولما كانوا فى خطابه لم يزل فى كل عصر منهم امام كما ذكرناه فى اخبارهم قبل ولم يزل المظفر واليا على اليمن الى أن هلك بغتة سنة أربع وتسعين لست وأربعين سنة من ملكه الاشرف عمر بن المظفر يوسف ولما هلك المظفر يوسف كما قلناه وولى بعده ابنه الاشرف ممهد الدين عمر وكان أخوه داود واليا على الشحر فدعا لنفسه ونازعه الامر فبعث الاشرف عساكره وقاتلوه وهزموه وقبضوا عليه وحبسه واستمر الاشرف فى ملكه الى أن سمته جاريته فمات سنة ست وتسعين لعشرين شهرا من ولايته ... أخوه داود بن المظفر المؤيد يوسف ولما هلك الاشرف بن عمر بن المظفر يوسف أخرج أخاه مؤيد الدين داود من معتقله وولوه عليهم ولقبوه المؤيد وافتتح أمره بقتل الجارية التى سمت أخاه ومازال يواصل ملوك الترك بهداياه وصلاته وتحفه والضريبة التى قررها سلفه وانتهت هديته سنة احدى عشرة وسبعمائة الى مائتى وقر بعير بالثياب والتحف وطرف اليمن ومائتين من الجمال والخيل ثم بعث سنة خمس عشرة بمثل ذلك وفسد ما بينه وبين ملوك الترك بمصر وبعث بهديته سنة ثمان عشرة فردوها عليه ثم هلك سنة احدى وعشرين وسبعمائة لخمس وعشرين سنة من ملكه وكان فاضلا شافعى المذهب وجمع الكتب من سائر الامصار فاشتملت خزانته على مائة ألف مجلد وكان يتفقد العلماء بصلاته ويبعث لابن دقيق العيد فقيه الشافعية بمصر جوائزه ولما توفى المؤيد داود سنة احدى وعشرين كما قلناه قام بملكه ابنه المجاهد سيف الدين على ابن ثنتى عشرة سنة والله وارث الارض ومن عليها

(ثورة جلال الدين بن عمر الاشرف وحبسه)

ولما ملك المجاهد على شغل بلذاته وأساء السيرة فى أهل المناصب الدينية بالعزل والاستبدال بغير حق فنكره أهل الدولة وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه عمر

بياض بالاصل

الاشرف وزحف اليه وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد وغلب على جلال الدين وحبسه والله تعالى أعلم

(ثورة جلال الدين ثانيا وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف)

وبعد أن قبض المجاهد على جلال الدين ابن عمه الاشرف وحبسه لم يزل مشتغلا بلهوه عاكفا على لذاته وضجر منه أهل الدولة وداخلهم جلال الدين فى خلعه فوافقوه فرحل الى سنة ثنتين وعشرين فخرج جلال الدين من محبسه وهجم عليه فى بعض البساتين وفتك بحرمه وقبض عليه وبايع لعمه المنصور أيوب بن المظفر يوسف واعتقل المجاهد عنده فى تعز وأطلق جلال الدين ابن عمه والله تعالى أعلم بغيبه

{خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد الى}
{ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب له}

ولما جلس المجاهد بقلعة تعز واستقل المنصور بالملك اجتمع شيعة المجاهد وهجموا على المنصور فى بيته بتعز وحبسوه وأخرجوا المجاهد وأعادوه الى ملكه ورجع أهل اليمن لطاعته وكان أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بالدملوة فعصى عليه وامتنع بها وكتب اليه المجاهد يهدده بقتل أبيه فلج واتسع الخرق بينهما وعظمت الفتنة وافترق عليهما العرب وكثر عيثهم وكثر الفساد وبعث المنصور من محبسه الى ابنه عبد الله ان يسلم الدملوة خوفا على نفسه من القتل فأبى عبد الله من ذلك وأساء الرد على أبيه ولما يئس المجاهد منه قتل أباه المنصور أيوب بن المظفر فى محبسه واجتمع أهل الدملوة وكبيرهم الشريف ابن حمزة وبايعوا أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب وبعث عسكرا مع الشهاب الصفوى الى زبيد فحاصروها وفتحوها وجهز المجاهد عساكره اليها مع قائده على بن الدوادار ولما قاربوا زبيد أصابهم سيل وبيتهم أهل زبيد فنالوا منهم وأسروا أمراءهم واتهم المجاهد قائده على بن الدوادار بمداخلة عدوه فكتب اليه أن يسير الى عدن لتحصيل مواليها وكتب الى والى عدن بالقبض عليه ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث به الى الدوادار فرجع الى عدن وحاصرها وفتحها وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين وملك عدن بعدها ثم استمال صاحب صنعاء وحوض فقاموا بدعوة الظاهر وبعث المجاهد الى مذحج والاكراد يستنجدهم فلم ينجدوه وهو بحصن المعدية وكتب الظاهر الى أشراف مكة وقاضيها نجم الدين الطبرى بأن الامر قد استقر له باليمن والله تعالى ولى التوفيق لا رب سواه

(وصول العساكر من مصر مددا للمجاهد واستيلاؤه على امره وصلحه مع الظاهر)

ولما غلب الظاهر بن المنصور أيوب على قلاع اليمن وانتزعها من المجاهد وحاصره بقلعة

المعدية بعث المجاهد سنة أربع وعشرين بصريخه الى السلطان بمصر من الترك الناصر محمد بن قلاون سنة خمس وعشرين فبعث اليه العساكر مع بيبرس الحاجب وانيال من أمراء دولته ووصلوا اليه سنة خمس وعشرين فسار اليهم المجاهد من حصن المعدية بنواحى عدن الى تعز فاستأمن اليه أهلها فأمنهم وراسلوا الظاهر فى الصلح فأجاب على أن تكون له الدملوة وتحالفوا على ذلك وطلب أمراء الترك الشهاب الصفوى الذى أنشأ الفتنة بين المجاهد والظاهر فامتنع من اجابتهم فركب بيبرس وهجم عليه فى خيمته وقتله بسوق الخيل بتعز وأثخنوا فى العصاة على المجاهد فى كل ناحية حتى أطاعوا وتمهد له الملك ورجعت العساكر الى مصر سنة ست وعشرين والله سبحانه وتعالى أعلم

(نزول الظاهر للمجاهد عن الدملوة ومقتله)

ولما استقام الامر للمجاهد باليمن واستخلفه الظاهر على الدملوة أخذ المجاهد فى تأنيسه واحكام الوصلة به حتى اطمأن وهو يفتل له فى الذروة والغارب حتى نزل له عن الدملوة وولى عليها من قبله وصار الظاهر فى جملته ثم قبض عليه وحبسه بقلعة تعز ثم قتله فى محبسه سنة أربع وثلاثين والله تعالى أعلم

{حج المجاهد على بن المؤيد داود وواقعته مع أمراء}
{مصر واعتقاله بالكرك ثم اطلاقه ورجوعه الى ملكه}

ثم حج المجاهد سنة احدى وخمسين أيام حسن الناصرى الاولى وهى السنة التى حج فيها طاز كافل المملكة أميرا وحج بيبقاروس الكافل الآخر مقيدا لان السلطان أمر طاز بالقبض عليه فى طريقه فلما قبض عليه رغب منه أن يخلى سبيله لاداء فرضه فأجابه وحج مقيدا وجاء المجاهد ملك اليمن للحج وشاع عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر أمراء مصر وعساكرها لاهل اليمن ووقعت فى بعض الايام هيعة فى ركب اليمن فتحاربوا وانهزم وذهب سواده وركب أهل اليمن كافة وأطلق بيبقاروس للقتال فخلا فى تلك الوقعة وأعيد الى اعتقاله وحمل المجاهد الى مصر معتقلا فحبس ثم أطلق سنة ثنتين وخمسين فى دولة الصالح وبعثوا معه قشتمر المنصورى الى بلاده فلما انتهى الى الينبع ظهر عليه قشتمر بأنه يروم الهرب فرده وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد الى ملكه وأقام على مهاداة صاحب مصر ومصانعته الى أن توفى سنة ست وستين لثنتين وأربعين سنة من ملكه

(ولاية الافضل عباس بن المجاهد على)

ولما توفي المجاهد سنة ست وستين ولي بعده ابنه عباس واستقام له ملك اليمن الى أن هلك سنة ثمان وسبعين لثنتي عشرة سنة من ملكه والله تعالى أعلم

(ولاية المنصور محمد بن الافضل عباس)

ولما توفي الافضل عباس بن المجاهد سنة ثمان وسبعين ولي بعده ابنه المنصور محمد واستولى على أمره واجتمع جماعة من مماليكه سنة ثنتين وثمانين للثورة به وقتله واطلع على شأنهم فهربوا الى الدملوة وأخذهم العرب في طريقهم وجاؤا بهم وعفا عنهم واستمر في ملكه الى أن هلك والله تعالى أعلم

(ولاية أخيه الاشرف بن الافضل عباس)

ولما توفي المنصور محمد بن الافضل سنة ولي أخوه الاشرف اسمعيل واستقام أمره وهو صاحب اليمن لهذا العهد لسنة ست وتسعين والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الاشرف اسمعيل بن الافضل عباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول التركماني

الظاهر عبدالله بن المنصور أيوب

{الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا على الممالك الاسلامية وانتزوا على كرسي الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفترقة وكيف أسلموا بعد ذلك ومبدأ أمورهم وتصاريف أحوالهم}

قد تقدم لنا ذكر التتر وأنهم من شعوب الترك وأن الترك كلهم ولد كومر بن يافث على

الصحيح وهو الذى وقع فى التوراة وتقدم لنا ذكر أجناس الترك وشعوبهم وعددنا منهم الغز الذين منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم القلج وبلاد الصغد قريبا من سمرقند ويسمون بها أيضا وعددنا منهم الخطا والطغرغر وهم التتر وكانت مساكن هاتين الامتين بارض طمغاج ويقال انها بلاد تركستان وكاشغر وما اليها من وراء النهر وهى بلاد ملوكهم فى الاسلام وعددنا منهم الخزلجية والغور والخزر والخفشاخ وهم القفجاق ويمك والعلان ويقال الان وجركس واركش وعدّ صاحب زجار فى كتابه على الجغرافيا العسسه والتغزغزية والخرخيرية والكيماكية والخزلجية والخزر والخلج وبلغار ويمناك وبرطاس وسخرت وخرجان وانكر وذكر مساكن انكر فى بلاد البنادقة من أرض الروم وجمهور هذه الامم من الترك فيما وراء النهر شرقا الى البحر المحيط بين الجنوب والشمال من الاقليم الاول الى السابع والصين فى وسط بلادهم وكان الصين أولا لبنى صينى اخوانهم من بنى يافث ثم صار لهم واستولوا على معظمه الا قليلا من أطرافه على ساحل البحر وهم رحالة كما مرّ فى ذكرهم أول الكتاب وفى دولة السلجوقية وأكثرهم فى المفازة التى بين الصين وبلاد تركستان وكان لهم قبل الاسلام دولة ولهم مع الفرس حروب مذكورة وملكهم لذلك العهد فى بنى فراسيان وكان بينهم وبين العرب لاول الفتح حروب طويلة قاتلوهم على الاسلام فلم يجيبوا فأثخنوا فيهم وغلبوهم على أطراف بلادهم وأسلم ملوكهم على بلادهم وذلك من بعد القرن الاول وكانت لهم فى الاسلام دولة ببلاد تركستان وكاشغر ولا أدرى من أى شعوبهم كان هؤلاء الملوك وقد قيل فيهم انهم من ولد فراسيان ولا يعرف شعب فراسيان فيهم وكان هؤلاء الملوك يلقبون بالخاقان بالخاء والقاف سمة لكل من يملك منهم مثل كسرى للفرس وقيصر للروم وأسلم ملوكهم بعد صدر من الملة على بلادهم وملكهم فأقاموا بها وكان بينهم وبين بنى سامان الملوك القائمين فيما وراء النهر بدولة بنى العباس حرب وسلم اتصلت حالهم عليها الى أن تلاشت دولتهم ودولة بنى سامان جميعا وقام محمود بن سبكتكين من موالى بنى سامان بدولتهم وملكهم فيما وراء النهر وخراسان وقد ظهر لذلك العهد بنو سلجوق وغلبوا ملوك الترك على أمرهم وأصبحوا فى عداد ولاتهم شأن الدول البادية الجديدة مع الدول القديمة الحاضرة ثم قارعوا بنى سبكتكين وغلبوهم على ملكهم فيما بعد المائة الرابعة واستولوا على ممالك الاسلام باسرها وملكوا ما بين الهند ونهاية المعمور فى الشمال وما بين الصين وخليج القسطنطينية فى الغرب وعلى اليمن والحجاز والشأم وفتحوا كثيرا من بلاد الروم واستفحلت دولتهم بما لم تنته اليه دولة بعد العرب والخلفاء فى الملة

ثم

ثم تلاشت دولتهم وانقرضت بعد مائتين من السنين شأن الدول وسنة الله فى العباد وكانوا بعد خروج السلجوقية الى خراسان قد خلفتهم فى بلاد بعض نواحى تركستان وكاشغر من أمم الترك أمة الخطا ومن ورائهم أمة التتر ما الى تركستان وحدود الصين ولم يقدر ملوك الخانية بتركستان على دفاعهم لعجزهم عن ذلك فكان ارسلان خان بن محمد ابن سليمان ينزلهم مسالح على الدروب ما بينه وبين الصين ويقطعهم على ذلك ويوقع بهم على الفساد والعيث ثم زحف من الصين ملك الترك الاعظم كوخان سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ولحقت به أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بن بقراخان صاحب تركستان وما وراء النهر من الخانية وهو ابن أخت السلطان سنجر ابن ملك شاه صاحب خراسان من ملوك السلجوقية فهزموه وبعث بالصريخ الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم وسارت اليه أمم الترك والخطا وتواقعوا فى صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة وانهزم سنجر وأسرت زوجته ثم أطلقها كوخان ملك الترك واستولى على ما وراء النهر ثم مات كوخان سنة سبع وثلاثين وملكت بعده بنته ثم ماتت فملكت بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء النهر ثم غلب على خوارزم علاء الدين محمد بن تكش كما قدمناه ويلقب هو وأبوه بخوارزم شاه وكان ملوك الخانية ببلادهم فيما وراء النهر فاستصرخوا به على الخطا لما كثر من عيثهم وفسادهم فأجاب صريخهم وعبر النهر سنة ست وستمائة وملكهم يومئذ كبير السن بصير فى الحرب فلقيهم فهزموه وأسر خوارزم شاه ملكهم طانيكوه وحبسه بخوارزم وملك سائر بلاد الخطا الى أوركند وأنزل بها نوابه وزوّج أخته من الخان صاحب سمرقند وأنزل معه شحنة كما كانت للخطا وعاد الى بلاده وثار ملك الخانية بالشحنة بعد رجوعه بسنة وقتلهم وهمّ بقتل زوجته أخت خوارزم شاه وحاصره بسمرقند واقتحمها عليه عنوة وقتله فى جماعة من أقاربه ومحا أثر الخانية وملكهم مما وراء النهر وأنزل فى سائر البلد نوابه وكانت أمة التتر من وراء الخطا هؤلاء قد نزلوا فى حدود الصين ما بينها وبين تركستان وكان ملكهم كشلى خان ووقع بينهم وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الامم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف كشلى خان فى أمم التتر الى الخطا لينتهز الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يتلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمره وتضيق عنه قدرتهم وقدرته وبعث اليه كشلى ملك التتر بمثل ذلك فتجهز يوهم كل واحد من الفريقين أنه له وأقام متنبذا عنهما وقد تواقعوا وانهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم فى كل

وجه ولم ينج منهم الا القليل تحصنوا بين جبال فى نواحى تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه فكانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وأنها انما كانت بمظاهرته فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه فى بلادهم وأملاكهم وبعث خوارزم شاه بحربهم ثم علم أنه لا طاقة له بهم فمكث يراوغهم عن اللقاء وكشلى خان يعذله فى ذلك وهو يغالطه واستولى كشلى خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسبيجاب وقاشان وما حولها من المدن التى لم يكن فى بلاد الله أنزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد المسلمين وخرب جميعها خوفا أن يملكها التتر بعد ذلك وخرج على كشلى خان طائفة أخرى يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلى خان بحربهم عن خوارزم شاه وعبر النهر الى خراسان ونزل خوارزم الى أن كان من أمره ما نذكره والله سبحانه وتعالى أعلم

{ استيلاء التتر على ممالك خوارزم شاه فيما وراء النهر }
{ وخراسان ومهلك خوارزم شاه وتولية محمد بن تكش }

ولما رحل السلطان الى خراسان استولى على الممالك ما بينه وبين بغداد من خراسان ومازندان وباميان وغزنة الى بلاد الهند وغلب الغورية على ما بأيديهم ثم ملك الرى واصبهان وسائر بلاد الجبل وسار الى العراق وبعث الى الخليفة فى الخطبة كما كانت للملوك بنى سلجوق فامتنع الخليفة من ذلك كما مر ذلك كله فى أخبار دولتهم ثم عاد من العراق سنة ست عشرة وستمائة واستقر بنيسابور فوفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من نقرة المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما بينهما من بلاد الترك ويطلب الموادعة والاذن للتجار بالتردد لمتاجرهم من الجانبين وكان فى خطابه اطراء السلطان خوارزم شاه بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك وامتعض له وأجمع عداوته واستدعى محمودا الخوارزمى من رسل جنكزخان واصطنعه ليكون عينا له على صاحبه واستخبره عما قاله فى كتابه من أنه ملك الصين واستولى على مدينة طوغاج فصدق له ذلك وسأله عن مقدار العساكر فقللها وغشه فى ذلك ثم نكر عليه الخطاب بالولد ثم صرف الرسل بما طلبوه من الموادعة والاذن للتجار ووصل على اثر ذلك بعض التجار من بلادهم الى اطرار وبها اينال خان ابن خال السلطان خوارزم شاه فعثر على أموالهم ورفع الى السلطان أنهم عيون على البلاد وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم ففعل وأخذ أموالهم وقتلهم خفية وفشا الخبر الى جنكزخان فبعث بالنكير على السلطان فى ذلك

وقال

وقال له ان كان فعله اينال خان فابعثه الى وتهدده على ذلك فى كتابه فانزعج السلطان لها وقتل الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار فى العساكر الى بلاده وجبى السلطان من سمرقند خراج سنتين حصن به أسوار سمرقند وجبى ثالثة استخدم بها الفرسان لحمايتها ثم سار للقاء جنكزخان فكانت بينهما واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين فكبسهم وهو غائب عنهم ورجع خوارزم شاه الى جيحون وأقام عليه وفرق عساكره فى أعمال ماوراء النهر بخارى وسمرقند وترمذ وأنزل آينانج من أكبر أمرائه وأصحاب دولته فى بخارى وجعلهم لنظره ثم جاء جنكزخان اليه فعبر النهر محفلا وقصد جنكزخان اطرار فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها اينال خان الذى قتل التجار فأذاب الفضة فى أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى خربها ثم غدر بهم فقتلهم وسباهم وفعل مثل ذلك فى سمرقند سنة تسع عشرة ثم كتب كتبا الى أمراء خوارزم شاه قرابة أمه كأنها أجوبة عن كتبهم اليه باستدعائه والبراءة من خوارزم شاه وذمه بعقوق أمه فبسط آمالهم فى كتبه ووعد تركمان خان أم السلطان وكانت فى خوارزم فوعدها بزيادة خراسان وأن تبعث من يستحلفه على ذلك وبعث بالكتب من يعترض بها السلطان فلما قرأها ارتاب بأمه وبقرابتها فاستوحشوا ووقع التقاطع والنفرة ولما استولى جنكزخان على ماوراء النهر ونجا نائب بخارى فى الفل أجفل السلطان وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وتخاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر فى اثره نحوا من عشرين ألفا كانوا يسمونهم التتر المغربة لتوغلهم فى البلاد غربى خراسان الى بلاد القفجاق ووصل السلطان الى نيسابور فلم يلبث بها وارتحل الى مازندان والتتر فى أثره ثم انتهى الى همذان فكبسوه هنالك وفرقوا جموعه ونجا الى جبال طبرستان فأقام بقرية بساحل البحر فى فل من قومه ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر الى جزيرة فى بحيرة طبرستان وخاضوا فى اثره فغلبهم الماء ورجعوا وأقام خوارزم شاه بالجزيرة ومرض بها ومات سنة سبع عشرة وستمائة وعهد لابنه جلال الدين سكرى ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركمان خاتون بخوارزم خرجت سارية واعتصمت بقلعة ايلاز من مازندان ورجع التتر عن اتباع خوارزم شاه فافتتحوا قلاع مازندان وملكوها وملكوا قلعة ايلاز صلحا وأسروا أم السلطان وبناته وتزوجهن التتر وتزوج دوشى خان ابن جنكزخان واحدة وبقيت تركمان خاتون أسيرة عندهم فى ذل وخمول والله سبحانه وتعالى أعلم

{ مسير التتر المغربة بعد خوارزم شاه الى العراق واذربيجان }
{ واستيلاؤهم عليها الى بلاد قفجاق والروس وبلاد الخزر }

ولما رجع التتر المغربة من اتباع خوارزم شاه سنة سبع عشرة عادوا الى همذان وانتسفوا ما مروا عليه وصانعهم أهل همذان بما طلبوه ثم ساروا الى سنجار كذلك ثم الى قومس فامتنعوا منهم وحاصروها وملكوها غلابا وقتلوا أكثر من أربعين ألفا ثم ساروا الى اذربيجان وصانعهم صاحب تبريز وانصرفوا الى موقان ومروا ببلاد الكرج فاكتسحوها وجمعوا لهم فهزموهم وأثخنوا فيهم وذلك آخر سنة سبع عشرة ثم عادوا الى مراغة فملكوها عنوة فى صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها ورحلوا عنها الى اربل وبها مظفر الدين كوكبرى واستمد صاحب الموصل فأمده بالعساكر ثم استدعاهم الخليفة الناصر الى دقوقا للمدافعة عن العراق مع عساكره وولى عليهم مظفر الدين صاحب اربل فخام عن لقائهم وخاموا عن لقائه وساروا الى همذان وبها شحنتهم فامتنعوا من مصانعتهم وقاتلوهم فملكوها عنوة واستباحوها واستلحموا أهلها ورجعوا الى اذربيجان فملكوا أردبيل واستباحوها وخربوها وساروا الى تبريز وقد فارقها أزبك بن البهلوان الى نقجوان فصانعوهم بالامان وساروا الى بيلقان وملكوها عنوة وأفحشوا فى القتل والمثلة واكتسحوا جميع الضاحية ثم ساروا الى كنجة قاعدة ارّان فصانعهم أهلها فساروا الى بلاد الكرج فهزموهم وحاصروهم بقاعدتهم تفليس وردّهم كثرة الاوعار عن التوغل فيها ثم قصدوا دربند شروان وحاصروا مدينة سماجى ودخلوه عنوة وملكوه واستباحوه وأعجزهم الدربند عن المسير فراسلوا شروان فى الصلح فبعث اليهم رجالا من أصحابه فقتلوا بعضهم وقتلوا الباقين أذلاء وأفضوا من الدربند الى ارض أسحمة وبها من القفجاق واللاز والغز وطوائف من الترك مسلمون وكفار أمم لا تحصى ولم يطيقوا مغالبتهم لكثرتهم فرجعوا الى التضريب بينهم حتى استولوا على بلادهم ثم اكتسحوها وأوسعوهم قتلا وسبيا وفرّ أكثرهم الى بلاد الروس وراءهم واعتصم الباقون بالجبال والغياض وانتهى التتر الى مدينتهم الكبرى سرداق على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهى مادّتهم وفيها تجارتهم فملكها التتر وافترق أهلها فى الجبال وركب أهلها البحر الى بلاد الروم فى ايالة بنى قليج ارسلان ثم سار التتر سنة عشرين وستمائة من بلاد قفجاق الى بلاد الروس المجاورة لها وهى بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا الى مدافعتهم فى تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق أياما ثم انهزموا وأثخن فيهم التتر قتلا وسبيا ونهبا وركبوا السفن هاربين الى بلاد الاسلام وتركوا بلادهم فاكتسحها التتر ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار آخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد ان أكمنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم

الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكزخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

* (مسير جنكزخان الى خراسان وتغلبه على أعمالها وعلى خوارزم شاه) *

كان جنكزخان بعد أن أجفل خوارزم شاه من جيحون ومسير التتر المغربة فى طلبه سمرقند فبعث عسكرا الى ترمذ وعسكرا الى فرغانة وعسكرا الى خوارزم وعسكرا الى خراسان وكان عسكر خوارزم أعظمها لانها كرسى الملك ومأوى العساكر وبعث مع العساكر ابنه جغطاى واركطاى فحاصروها خمسة أشهر وامتنعت فأمدّهم جنكزخان بالعساكر متلاحقة وملكوها ناحية ناحية الى أن استوعبوا ثم نقبوا السدّ الذى يمنع ماء جيحون عنها فسال اليها جيحون فغرقها وتقسم أهلها بين السند والعراق هكذا قال ابن الاثير وقال النسائى كاتب جلال الدين ان دوشى خان عرض عليهم الامان وخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك فى محرّم سنة سبع عشرة وعاد دوشى خان والعساكر الى جنكزخان فوجدوه بالطالقان وأما عسكر ترمذ فساروا اليها وملكوها وتقدّموا الى كلابة من قلاع جيحون فملكوها وخربوها وعسكر فرغانة كذلك وأمّا عسكر خوارزم فعبروا الى بلخ وملكوها على الامان سنة سبع عشرة وأزلوا بها شحنة ثم ساروا الى الزوزان وايدحور ومازندان فملكوها وولوا عليها ثم ساروا الى الطالقان وحاصروا قلعة صاركوه وكانت منيعة وجاءهم جنكزخان بنفسه بعد امتناعها ستة أشهر فحاصروها أربعة أشهر أخرى ثم أمر بنقل الخشب والتراب ليجتمع به تل يعالى به البلد فلما استيقنوا الهلكة فتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجا الخيالة وتفرقوا فى البلاد والشعاب وقتل الرجالة ودخل التتر فاستباحوها وبعث جنكزخان عسكرا الى سبامع صهره قفجاق نوين فقتل فى حصارها ثم ملكوها فاستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أكثر من سبعين ألفا ثم بعث جنكزخان فى العساكر الى بأصفهان بالاصل

وقد كان الناجون من هذه الوقائع انزووا اليها فاجتمعوا بظاهرها أكثر من مائتى ألف لا يشكون فى الظفر فلما زحف اليهم التتر ولوا منهزمين وأثخنوا فيهم ثم حاصروا البلد خمسة أشهر واستنزلوا أميرها على الامان ثم قتلوهم جميعا وحضر جنكزخان قتلهم يقال قتل فيها سبعمائة ألف ثم ساروا الى نيسابور فاقتحموها عنوة وقتلوا وعاثوا ثم الى طرابلس كذلك ثم ساروا الى هراة فملكوها على الامان وأزلوا عندهم الشحنة وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل العساكر والسرايا فى نواحى خراسان حتى أتوا عليها تخريبا وذلك كله سنة سبع عشرة والله تعالى اعلم

* (اجفال جلال الدين ومسير التتر فى اتباعه وفراره الى الهند) *

ثم بعث العساكر فى طلب جلال الدين وقد كان بعد مهلك أبيه وخروج تركمان خاتون من خوارزم سار اليها وملكها واجتمع اليه الناس ثم نمى اليه أن قرابة تركمان خاتون وهم البياروتية مالوا الى أخيه يولغ شاه وابن أختهم وانهم يريدون الوثوب بجلال الدين ففر ولحق بنيسابور وجاءت عساكر التتر الى خوارزم فأجفل يولغ شاه وأخواه ليلحقوا به بنيسابور فأدركهم التتر وهم محاصرون قلعة قندهار فاستلحمهم ثم سار الى غزنة فملكها من يد الثوار الذين استولوا عليها أيام هذه الفتنة وذلك سنة ثمان عشرة ولحق به أمراء أبيه الذين تغلبوا على نواحى خراسان فى هذه الفتنة وأزعجهم التتر عنها فحضروا مع جلال الدين كبسة التتر بقلعة قندهار ولحق فلهم بجنكزخان و بعث ابنه طولى خان لقتال جلال الدين فهزمه جلال الدين وقتله ولحق الفل من عساكره بجنكزخان فسار فى أمم التتر ولقى جلال الدين فانهزم ولم يفلت من التتر الا الاقل ورجع جلال الدين فنزل على نهر السند وقد كان جماعة من أمرائه انعزلوا عنه يوم الواقعة الاولى بسبب الغنائم فبعث اليهم يستألفهم فعاجله جنكزخان وقاتله ثلاثا ثم هزمه واعترضه نهر السند فاقتحمه وخلص الى السند بعد أن قتل حرمه أجمعين وذلك سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم

* (أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر) *

كان خوارزم شاه قد قسم الملك بين ولده فجعل العراق لغورنشاه وكرمان لغياث الدين تمرشاه فلم ينفذ اليها أيام أبيه فلما فر خوارزم شاه الى ناحية الرى لقيه ابنه غورنشاه صاحب العراق ثم كانت واقعة التتر به على حدوى ولحق خوارزم شاه بجزيرة طبرستان ولحق غورنشاه بكرمان ثم رجع واستولى على اصبهان وعلى الرى ثم زحف التتر اليه وحاصروه بقلعة اوند وقتلوه وكان أخوه غياث الدين بكرمان وملكه بينه وبين بقاطر ابلسى اتابكه وفر الى ناحية اذربيجان واستولى غياث الدين على العراق ومازندان وخورستان فأقطع بقاطر ابلسى همذان ثم سار غياث الدين الى اذربيجان فصانعه صاحبها ازبك بن البهلوان ولحق به من كان متغلبا من أمراء أبيه بخراسان وكان اينانج خان نائب بخارا قد تغلب بعد الواقعة على نسا ونواحيها وجرجان وعلى شيروان وعامة خراسان وكان تكين بهلوان متغلبا على مرو فعبر جيحون سنة سبع عشرة وكبس شحنة التتر واتبعوه الى شيروان ولقوا اينانج خان على جرجان فهزموه ونجا فلهم الى غياث الدين على العراق والرى وما وراءها فى الجنوب من موكان واذربيجان وبقيت خوارزم طوائف وفى كل ناحية منها متغلب وعساكر التتر فى كل وقت تدوخ بلاد العراق وغياث الدين منهمك فى لذاته والله تعالى أعلم

رجوع جلال الدين من الهند واستيلاؤه على العراق وكرمان واذربيجان ثم زحف التتر اليه

ثم رجع جلال الدين من الهند سنة احدى وعشرين واستولى على ملك أخيه غياث الدين بالعراق وكرمان وبعث الى الخليفة يطلب الخطبة فلم يسعف فاستعد لمحاربته وقد كانت بلاد الرى من بعد تخريب التتر المغربة لها عاد اليها بعض أهلها وعمروها فبعث اليها جنكزخان عسكرا من التتر فخربوها ثانية وخربوا ساوة وقم وقاشان وأجفل امامهم عسكر خوارزم شاه من همذان فخربوها واتبعوهم فكبسوهم فى حدود اذربيجان ولحق بعضهم بتبريز واالتتر فى اتباعهم فصانعهم صاحبها أزبك بن البهلوان وبعث بهم الى التتر الذين فى اتباعهم بعد أن قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم وبالاموال على سبيل المصانعة فرجعوا عن بلاده وسار جلال الدين الى اذربيجان سنة ثنتين وعشرين فملكها وكانت له فيها أخبار ذكرناها فى دولته ثم بلغ السلطان جلال الدين أن التتر زحفوا من بلادهم وراء النهر الى العراق فنهض من تبريز للقائهم فى رمضان سنة خمس وعشرين ولقيهم على اصبهان وانفض عنه أخوه غياث الدين فى طائفة من العساكر وانهزمت ميسرة التتر وسار السلطان فى اتباعهم وقد أكمنوا له وأحاطوا به واستشهد جماعة ثم صدق عليهم الحملة فأفرجوا له ومضى لوجهه وانهزمت العساكر الى فارس وكرمان واذربيجان ورجع المتبعون للتتر من قاشان فوجدوه قد انهزم فافترقوا أشتاتا ولحق السلطان باصبهان بعد ثمانية أيام فوجد التتر يحاصرون اصبهان فبرز اليهم فى عساكرها وهزمهم واتبعهم الى الرى وبعث العساكر فى اتباعهم الى خراسان ورجع الى اذربيجان وأقام بها وكانت له فيها أخبار مذكورة فى دولته والله سبحانه وتعالى أعلم

مسير التتر الى اذربيجان واستيلاؤهم على تبريز ثم واقعتهم على جلال الدين بآمد ومقتله

كان التتر لما استقروا فيما وراء النهر عمروا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خاوية واستبد بالمدن فيها طوائف من الامراء أشباه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين منذ جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان وأران وما الى ذلك وبقيت خراسان مجالا لغزاة التتر وعساكرهم وسارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين الى اصبهان وكانت بينهم وبين جلال الدين الواقعة كما مر ثم زحف جلال الدين الى خلاط

وملكها وزحف اليه صاحبها الاشرف بن العادل من الشام وعلاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم وأوقعوا به كما مرّ فى أخباره سنة سبع وعشرين الواقعة التى أوهنت منه وحلت عرا ملكه وكان علاء الدين مقدّم الاسماعيلية بقلعة الموت عدوا لجلال الدين بما أثخن فى بلاده وقرّر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم أن الهزيمة أوهنته ويحثهم على قصده فسار الى اذربيجان أوّل سنة ثلاث وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فرحل من تبريز الى موقان وأقام بها فى انتظار شحنة خراسان ومازندران وشغل بالصيد فكبسه التتر ونهبوا معسكره وخاص الخيم ورداس من اران ثم رجع الى اذربيجان وشتى بماهان ثم جاءه النذير بمسير التتر اليه فرحل الى أران وتحصن بها وثار أهل تبريز لما بلغهم خبر الوقعة الاولى بمن عندهم من عساكر الخوارزمية وقتلوهم ومنعهم رئيسهم الطغرائى من طاعة التتر ووصل للسلطان ثم هلك قريبا فسلموا بلادهم للتتر وكذا فعل أهل كنجة وأهل سلماس

ثم سار السلطان الى كنجة وارتجعها وقتل المعترضين للثورة فيها وسار الى خلاط واستمدّ الاشرف بن العادل صاحب الشأم فعلله بالمواعيد وسار الى مصر ويئس من انجاده فبعث الى جيرانه من الملوك يستنجدهم مثل صاحب حلب وآمد وماردين وجرّد عسكرا الى بلاد الروم فى خرت برت وملطية واذربيجان فاقتحموها لما بين صاحبها كيقباد وبين الاشرف من الموالاة فاستوحش جميع الملوك من ذلك وقعدوا عن نصرته وجاءه الخبر وهو بخلاط أن التتر زحفوا اليه فاضطرب فى رحله وبعث اتابكه أوترخان فى أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبره أن التتر رجعوا من حدود ملاذكرد وأشار عليه قومه بالمسير الى اصبهان وزين له صاحب آمد قصد بلاد الروم وأطمعه فى الاستيلاء عليها ليتصل بالقفجاق ويستظهر بهم على التتر ووعده الامداد بنفسه يروم من صاحب الروم لما ملك من قلاعه فجنح الى رأيه وعدل عن اصبهان ونزل بآمد وبعث اليه التركمان بالنذير وأنهم رأوا نيران التتر فاتهم خبرهم وصبحه التتر على آمد منتصف شوّال سنة ثمان وعشرين وأحاطوا بخيمته وحمل عليهم اتابكه أوترخان وكشفهم عن الخيمة وركب السلطان وأسلم أهله وسواده ورد أوترخان العساكر وانتبذ ليتوارى عن عين العدو وسار أوترخان الى اصبهان واستولى عليها الى أن ملكها التتر من يده سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان منجفلا وقد امتلأت الدربندات والمضايق بالمفسدين من غيرهم فنزل فى بيدرها وفارقها أوترخان الى حلب وهجم التتر على السلطان بالبيدر وقتلوا من كان معه وهرب فصعد جبل الاكراد

بياض بالاصل

وهم

وهم مترصدون الطرق للنهب فسلبوه وهموا بقتله وشعر بعضهم أنه السلطان فمضى به الى بيته ليخلصه الى بعض النواحى ودخل البيت فى مغيبه بعض سفلتهم وهو يريد الثأر من الخوارزمية بأخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه أهل البيت ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعة فى سواد آمد وارزن وميافارقين وسائر ديار بكر فاكتسحوها وخربوها وملكوا مدينة اسعرد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومرّوا بميافارقين فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكتسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور ثم ساروا الى ايدس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوها كرى وارجيش وجاءت طائفة أخرى من اذربيجان الى أعمال اربل ومرّوا فى طريقهم بالتركمان الايوبية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج اليهم والى اربل مستمدّا أهلها وعساكر الموصل فلم يدركوهم فعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

التعريف بجنكزخان وقسمة الاعمال بين ولده
وانفراده بالكرسى فى قراقوم وبلاد الصين

هذا السلطان جنكزخان هو سلطان التتر لعهده ثم من المغل احد شعوبهم وفى كتاب لشهاب الدين بن فضل الله أنه من قبيلة من أشهر قبائل المغل وأكبرهم وزايه التى بين الكاف والخاء ليست صريحة وانما هى مشتملة بالصاد فينطق بها بين الصاد والزاى وكان اسمه تمرجين ثم أصاروه جنكز وخان تمام الاسم وهو بمعنى الملك عندهم وأمّا نسبته فهى هكذا جنكز بن بيسوكى بن بهادر بن تومان بن برتيل خان بن تومنيه ابن بادسنقر بن تيدوان ديرم بن بقا بن مودنجه احدعشر اسما أعجمية صعب الضبط وهذا منحاها وفى كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الاصبهانى امام المعقولات بالمشرق أخذها عن أصحاب نصير الدين الطوسى قال ان مودنجه اسم امرأة وهى جدّتهم من غير أب قالوا وكانت متزوجة وولدت ولدين اسم أحدهما بكتوت والآخر بلكتوت ويقال لولدها بنو الدلوكية ثم مات زوجها وتأيمت وحملت وهى أيم فنكر عليها قرابتها فذكرت أنها رأت بعض الايام نورا دخل فى فرجها ثلاث مرّات وطرأ عليها الحمل بعده وقالت لهم ان فى حملها ثلاثة ذكور فان صدق ذلك عند الوضع والا فافعلوا ما بدا لكم فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل فظهرت براءتها بزعمهم اسم أحدهم برقد والآخر قونا والثالث بجعو وهو جدّ جنكزخان الذى فى عمود نسبه كما مرّ وكانوا يسمونهم النورانيين نسبة الى النور الذى ادعته ولذلك يقولون جنكزخان بن الشمس وأمّا أوليته فقال يحيى بن أحمد بن على النسابى كاتب

قراقوم بفتح القاف والراء المهملة وألف وقاف مضمومة وواو ساكنة وميم معناه الرمل الاسود بالتركية قال ابن سعيد وقراقوم كانت قاعدة التتر وفى جهاتها بلاد المغل وهم خالصة التتر ومنها خاناتهم من تقويم البلدان لابى الفداء

جلال الدين خوارزم شاه فى تاريخ دولته ان مملكة الصين متسعة ودورها مسيرة تسعة اشهر وهى منقسمة من قديم الزمان على تسعة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى ملك كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائبا عن الخان الاعظم قال وكان الاعظم الذى عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش يقال له طرخان توارثها عن آبائه وكان مقيما بطوغاج وهى وسط الصين وكان جنكزخان من أولئك الخانات الستة وكان من سكان البدو ومن أهل النجدة والشرف وكان مشتاه قارءون من بلاد الصين وكان من خاناتهم أيضا ملك آخر اسمه دوشى خان كان متزوجا بزوجة جنكزخان واتفقت وفاته فحضر جنكزخان يوم وفاة زوجها دوشى خان فولته مكانه وحملت قومها على طاعته وبلغ الخبر الى الخان الاعظم طرخان فنكر ذلك وزحف اليهم فقاتلوه وهزموه وغلبوه على اثر بلاده ثم صالحهم عليها وأقام متغلبا ثم مات بقية الخانات الستة وانفرد جنكزخان بأمرهم جميعا وأصبح ملكهم وكان بينه وبين خوارزم شاه من الحروب ما قدمناه وفى كتاب ابن فضل الله محكيا عن الصاحب علاء الدين عطاء وحدثه به قال كان ملك عظيم من التتر فى قبيلة عظيمة من قبائلهم يدعى ازبك خان وكان مطاعا فى قومه فاتصل به جنكزخان فقربه واستخلصه ونافسه قرابة السلطان وسعوا به عنده حتى استفسدوه عليه وطوى له وتربص به وسخط ازبك خان على مملوكين عنده فاستجارا بجنكزخان فأجارهما وضمن لهما أمانه وأطلعاه على رأى السلطان فيه فاستوحش وحذر وثبة السلطان فأجفل أمامه واتبعه السلطان فى عساكره فلما أدركه كر عليه جنكزخان فهزمه وغنم سواده وما معه ثم استمرت العداوة وانتبذ عن السلطان واستألف العساكر والاتباع وأفاض فيهم الاحسان فاشتدت شوكته ودخل فى طاعته قبيلتان عظيمتان من المغل وهما أورات ومنفورات فعظمت جموعه وأحسن الى المملوكين اللذين حذراه من ازبك خان ورفع رتبتهما وكتب لهما العهود بما اختاراه وكتب فيها أن يستمر ذلك لهما الى تسعة بطون من أعقابهما ثم جهز العساكر لحرب ازبك خان فهزمه وقتله واستولى على مملكة التتر باسرها ولما توطأ أمره تسمى جنكزخان وكان اسمه تمرجين كما مر وكتب لهم كتابا فى السياسة سماه السياسة الكبيرة ذكر فيه أحكام السياسة فى الملك والحروب والاحكام العامة شبه أحكام الشرائع وأمر أن يوضع فى خزانته وان تختص بقرابته ولم يكن يؤتى بمثله وانما كان دينه ودين ابائه وقومه المجوسية حتى ملكوا الارض واستفحلت دولتهم بالعراق والشمال وما وراء النهر وأسلم من ملوكهم من هداه الله للاسلام كما نذكره ان شاء الله تعالى فدخلوا فى عدد ملوك الاسلام الى أن انقرضت دولهم وانقضت أيامهم والبقاء

بياض فى الاصل

لله وحده وأما ولده فكثير وهو الذى يقتضيه حال بداوته وعصبيته الا أن المشهور منهم أربعة أولهم دوشى خان ويقال جرجى وثانيهم جغطاى ويقال كداى وثالثهم أوكداى ويقال أوكتاى ورابعهم طولى بين التاء والطاء والثلاثة الاول لام واحدة وهى أوبولى بنت تيكى من كبار المغل وعد شمس الدين الاصبهانى الاربعة فقال جرجى وكداى وطولى وأوكداى وقال نظام الدين يحيى بن الحليم نور الدين عبد الرحمن الصيادى كاتب السلطان أبى سعيد فيما نقله عنه شهاب الدين بن فضل الله ان كداى هو جغطاى وجرجى هو طوشى فلما ملك جنكزخان البلاد قسم الممالك فكان لولده طوشى بلاد قبلاق الى بلغار وهى دست القفجاق وأضاف اليه أران وهمذان وتبريز ومراغة وعيرلان وكاى حدود آمد وقوباق وما أدرى تفسير هذه وجعله ولى عهده وعين لجغطاى من الايقور الى سمرقند وبخارا وما وراء النهر ولم يعين لطولى شيئا وعين لاخيه أوتمكين نوى بلاد أبغت ولا أدرى معنى هذا الاسم ولما استفحل ملكه واستولى على هذه الممالك جلس على التخت وانتقل الى وطنه القديم بين الخطا والايقور وهى تركستان وكاشغر وفى ذلك الوطن مدينة قراقورم وبها كان كرسيه ومكانه بين أعمال ولده مكان المركز من الدائرة وكان كبير ولده طوشى ويقال دوشى ومات فى حياته وخلف من الولد ناخوا وبركه ودا ووردة وطوقل هكذا قال ابن الحكيم وقال شمس الدين ناطو وبركه فقط ومات طولى أيضا فى حياته فى حربه مع جلال الدين خوارزم شاه بنواحى غزنة وخلف من الولد منكو وقبلاى وازبك وهلاكو والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(طوشى)

أوكداى

جغطاى — طولى — (صاحب التخت)

(كداى)

(تمرجين)

دوشى خان بن جنكزخان بن يسوكى بن بهادر بن تومان بن برتبل خان بن تومنيه بن بادسنغر بن تبدوان دوم

(البـ ـــ واتير)

يونس سانجى

موقو باغى

بقاى بن بوزنجر بن منغوجه

بنو الدوالكية

بهم

وهى امرأة ولدت بزعمهم من غير زوج

(ملوك التخت بقراقوم من بعد جنكزخان)

قال ابن فضل الله ولما هلك جنكزخان استقل أوكداى بالتخت وبدست القفجاق ومامعه وكان أصغر ولده وانتقل الى قراقوم بمكانهم الاصلى وقراباق التى كانت بيده لابنه كفود ولم يتمكن كداى وهو جغطاى من مملكة ماوراء النهر ونازع ناطو بن دوشى خان فى اران وهمذان وتبريز ومراغة وبعث أميرا من أمرائه لحمل أموالها والقبض على عماله بها وقد كان ناطو كتب اليهم بالقبض على ذلك الامير فقبضوا عليه وحملوه الى ناطو فطعنه و بلغ ذلك الى كفود فسار الى ناطو فى ستمائة الف من العساكر وهلك قبل أن يصل اليه بعشر مراحل فبعث القوم الى ناطو أن يكون صاحب التخت فأبى وجعله لاخيه منكوفان بن طولى و بعثه اليه وأخويه معه قبلاى وهلاكو وبعث معهم أخاه بركة بن طولى فى مائة ألف من العساكر ليجلسه على التخت فلما عاد من بخارا لقى الشيخ شمس الدين الباخورى من أصحاب نجم الدين كبير الصوفية فأسلم على يده وتأكدت صحبته معه وحرضه على التمسك بطاعة الخليفة ومكاتبته المعتصم ومبايعته ومهاداته وترددت الرسل بينه وبين المعتصم وتأكدت الموالاة واستقل منكوفان بالتخت وولى أولاد جغطاى عمه على ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابيهم التى مات دونها ووفد عليه جماعة من أهل قزوين و بلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الاسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هلاكو لقتالهم واستئصال قلاعهم فمضى لذلك وحسن لاخيه منكوفان الاستيلاء على أعمال الخليفة فأذن له فيه و بلغ ذلك بركة فنكره على أخيه ناطو الذى ولى منكوفان لما كان بين بركة والمعتصم من الولاية والوصلة بوصية الشيخ الباخورى فبعث ناطو الى أخيه هلاكو بالنهى عن ذلك وأن لا يتعدى مكانه و بلغته رسل ناطو بذلك وهو فيما وراء النهر قبل أن يفصل بالعساكر فأقام سنين امتثالا لامره حتى مات ناطو وتولى بركة مكانه فاستأذن أخاه منكوفان ثانية وسار لقصد الملاحدة وأعمال الخليفة فأوقع بالملاحدة وفتح قلاعهم واستلحمهم وأوقع بأهل همذان واستباحهم لميلهم الى بركة وأخيه ناطو ثم سار الى بركة بدست القفجاق فزحف اليه بركة فى جموع لا تحصى والتقيا واستمر القتل فى أصحاب هلاكو وهموا بالهزيمة ثم حال نهر الكر بين الفريقين وعاد هلاكو فى البلاد واستحكمت العداوة بينهما وسار هلاكو الى بغداد فكانت له الواقعة المشهورة كما مر ويأتى فى أخبار دولته ان شاء الله تعالى وفى كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الاصبهانى أن هلاكو لم يكن مستقلا بالملك وانما كان نائبا عن أخيه منكوفان ولا ضربت السكة باسمه ولا ابنه ابغا وانما ضربها منهم ارغو حين استقل فجعل اسمه

بياض بالاصل

فى السكة مع اسم صاحب التخت قال وكان شحنة صاحب التخت لا يزال ببغداد الى أن ملك قازان فطرد الشحنة وأفرد اسمه فى السكة وقال ماملكت البلاد الا بسيفى وبيت جنكزخان يرون أن بنى هلاكو انما كانوا نوابا وجنكزخان لم يملك طولى شيأ وان أخاه منكوقان الذى ولاه عليها انما بعثه نائبا مع أن منكوقان انما ولاه ناظرا ابن دوشى خان كما مر قال ونقل عن ثقاة أنه لم يبق هلاكو من يحقق نسبه لكثرة ماوقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن فر طالب الاختفاء بشخصه نخفى نسبه الا ماقيل فى محمل المنسوب الى بحرى قال شمس الدين الاصبهانى ونقله عن أمير كبير منهم ان أول من استقل بالتخت جنكزخان ثم ابنه اوكداى ثم ابنه كفود بن اوكداى ثم منكوقان بن طولى ثم أخوه اربكان ثم أخوهما قبلاى ثم دمرقاى ويقال تمرقاى ثم تربى كبزى ثم كيزقان ثم سندمرقان بن طرمالا بن جنكمر بن قبلاى بن طولى انتهى كلام ابن فضل الله وعن غيره أن منكوقان جهز عساكر التتر أيام ملكه على التخت الى بلاد الروم سنة مع أمير من أمراء المغل اسمه بكو فملكها من يد بنى قليج ارسلان كما هو مذكور فى أخبارهم فاقامت فى طاعة القان الى أن انقرض أمر المغل منها ثم بعث منكوقان العساكر لغزو بلاد الخطا مع أخيه قبلاى بعد أن عهد له بالخانية ثم سار على اثره بنفسه واستخلف أخاه الآخر ازبك على كرسى قراقوم وهلك منكوقان فى طريقه ذلك على نهر الطاى من بلاد الغور سنة ثمان وخمسين فجلس ازبك على التخت وعاد قبلاى من بلاد الخطا فزحف اليه ازبك فهزمه الى بعض النواحى واستأثر بالغنائم عن اخوته وقومه فمالوا الى طاعة قبلاى واستدعوه فجاء وقاتل أخاه ازبك فغلبه وتقبض عليه وحبسه واستقر فى الخانية وبلغ الخبر الى هلاكو وهو فى الشأم عند ما استولى عليه فرجع لما كان يؤمله من الخانية ولما انتهى الى جيحون بلغه استقلال أخيه قبلاى فى الخانية وتبين له عجزه عنه فسالمه وقنع بما فى يده ورجع الى العراق ثم نازع قبلاى فى الخانية لآخر دولته سنة سبع وثمانين بعض بنى أوكداى صاحب التخت الاول وهو قيدو بن قاشى بن كفود بن أوكداى ونزع اليه بعض أمراء قبلاى وقرابته نالك فسار له وبعث قبلاى العساكر للقائه مع ابنه تمقان فهزمه قيدو ورجع منهزما الى أبيه فسخطه وطرده الى بلاد الخطا ومات هنالك وسلط قبلاى على قيدو وكان غلب على ماوراء النهر براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاى من بنى جغطاى ملوك ماوراء النهر بوصية أبيهم جنكزخان فغلبه براق واستولى على ماوراء النهر ثم هلك قبلاى صاحب التخت سنة ثمان وثمانين وملك ابنه سرتوق هذا ما انتهى الينا من أخبار ملوك التخت بقراقوم من بنى جنكزخان ولم نقف على غيرها

بياض بالاصل

والله تعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

قيدو بن قاشى بن كفود بن اوكداى بن جنكزخان

تمقان بن قبلان بن طولى

سرعون

هلاكو

(ملوك بنى جغطاى بن جنكزخان بتركستان وكاشغر وماوراء النهر)

هذا الاقليم هو مملكة الترك الاولى قبل الاسلام وأسلم ملوكهم على تركستان وكاشغر فأقاموا بها وملك بنوسامان نواحى بخارا وسمرقند واستبدوا ومنها كان ظهور السلجوقية والتترمن بعدهم ولما استولى جنكزخان على البلاد أوصى بهذه المملكة لابنه جغطاى ولم يتم ذلك فى حياته ومات جغطاى دونه فلما ولى منكوقان بن طولى على التخت ولى أولاد جغطاى عمه على ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابيهم التى مات دونها وولى منكوقان فلما هلك ولى أخوه هلاكو ابنه مبارك شاه ثم غلب عليهم قيدو ابن قاشى بن كفود بن اوكداى بن جنكزخان وانتزع ماوراء النهر من أيديهم وكان جده كفوك صاحب التخت وبعده ولى منكوقان فلما ولى قيدو نازع صاحب التخت يومئذ وهو قبلاى وكانت بينهما حروب وأعان قبلاى فى خلالها بنى جغطاى على استرجاع ملكهم وولى منهم براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاى وأمده بالعساكر والاموال فغلب قيدو بن قاشى بن كفود بن اوكداى بن جنكزخان وانتزع من صاحب التخت يومئذ واستبد بملك آبائه ثم هلك فولى من بعده دوا ثم من بعد دوا بنون له أربعة واحدا بعد واحد وهم كجك ثم اسعانم كبك ثم انجكداى ثم ولى بعد

الاربعة دواتمر ثم ترماشين ثم توزون بن اوما كان بن   وتخلل هؤلاء من
توثب على الملك ولم ينتظم له مثل سيساور بن اركتم بن بغاتمر بن براق ولم يزل ملكهم بعد
ترماشين مضطربا الى أن ملك منهم جنقصو بن دواتمر بن حلو بن براق بن سنتف كانوا
كلهم على دين المجوسية وخصوصا دين جنكزخان وعبادته الشمس وكان فيما يقال على
دين النصرانية فكان بنو جغطاى يعضون عليها بالنواجذ ويتبعون سياسته مثل أصحاب
التخت فلما صار الملك الى ترماشين منهم أسلم رحمه الله سنة خمس وعشرين وسبعمائة
وجاهد وأكرم التجار المترددين وكانت تجار مصر ممنوعين من بلاده فلما بلغهم ذلك
قصدوها فحمدوها ولما انقرضت دول بنى جنكزخان وتلاشت فى جميع النواحى
ظهر فى أعقاب دولة بنى جغطاى هؤلاء بسمرقند وماوراء النهر ملك اسمه تمر
ولا أدرى كيف كان يتصل نسبه فيهم ويقال انه من غير نسبهم وانما هو متغلب على
صبى من أعقاب ملوكهم اسمه طغتمش أو محمود درج اسمه بعد مهلك أبيه واستبد عليه
وأنه من أمرائهم وأخبرنى من لقيته من أهل الصين أن أباه أيضا كان فى مثل مكانه من
الامارة والاستبداد وما أدرى أهو طينة فى نسب جغطاى أو من أحلافهم وأتباعهم
وأخبرنى الفقيه برهان الدين الخوارزمى وهو من علماء خوارزم وأعيانها قال كان
لعصره وأول ظهوره بخارا رجل يعرف بحسن من أمراء المغل وآخر بخوارزم
من ملوك صراى أهل التخت يعرف بالحاج حسن الصوفى   وزحف الى بخارا
فملكها من يد حسن ثم الى خوارزم وطالت حروبه مع الحاج حسن الصوفى وحاصرها
مرارا وهلك حسن خلال ذلك وولى أخوه يوسف فملكها تمر من يده وخربها فى حصار
طويل ثم كلف بعمارتها وبناء ماخرب منها وانتظم له الملك بماوراء النهر ونزل بخارى
ثم زحف الى خراسان فملك هراة من يد صاحبها وأظنه من بقايا ملوك الغورية ثم زحف
الى مازندان وطال تمرسه وحروبه مع صاحبها الشيخ ولى الى أن ملكها عليه سنة أربع
وثمانين ولحق الشيخ ولى بتوريز الى أن ملكها تمر سنة ثمان وثمانين فهلك فى حروبه
معها ثم زحف الى اصبهان فأتوه طاعة ممرضة وخالفه فى قومه كبير من أهل نسبه
يعرف بعمر الدين وأمده طغطمش صاحب التخت بصراى فكر راجعا وشغل بحربه
الى أن غلبه ومحا أثره وغلب طغطمش على ما بيده من البلاد ثم زحف الى بغداد
سنة خمس وتسعين فأجفل عنها ملكها أحمد بن أويس بن الشيخ حسن المتغلب عليه بعد
بنى هلاكو فلحق أحمد ببر الشأم سنة ست وتسعين واستولى تمر على بغداد والجزيرة وديار
بكر الى الفرات واستعد ملك مصر للقائه ونزل الفرات فأحجم عنه وتأخر عنه الى قلاع
الاكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قراباغ ما بين اذربيجان والابواب ورجع

بياض بالاصل

بياض بالاصل

خلال ذلك طغطمش صاحب التخت الى صراى وملكه فسار اليه تمر أول سنة سبع
وتسعين وغلبه على ملكه وأخرجه عن سائر ممالكه ثم وصل الخبر آخر السنة بظفره
بطغطمش وقتله اياه واستيلائه على جميع أعماله والحال على ذلك لهذا العهد والله
وارث الارض ومن عليها وفى خبر المنجم أن ظهوره سنة عذب بعنون سنة اثنين
وسبعين وسبعمائة بحساب الجمل فى حروف هذه اللفظة والله سبحانه وتعالى ولى
التوفيق بمنه وكرمه

جنقصو بن دواتمر بن حلو بن براق بن سنتق بن منكوقان بن جغطاى بن جنكزخان

مبارك شاه

هلاكو

قيدبن قاشى بن كفود بن اوكداى

{الخبر عن ملوك بنى دوشى خان من التتر ملوك خوارزم}
{ودست القفجاق ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم}

قد تقدم لنا أن جنكزخان عين هذه البلاد لابنه دوشى خان وملكه عليها وهى
مملكة متسعة فى الشمال آخذة من خوارزم الى ناركند وصغد وصراى الى مدينة
ماجرى واران وسرادق وبلغار وباشقرد وجدلمان وفى حدود هذه المملكة مدينة

باكو من مدن شروان وعندها باب الحديد ويسمونه دمرقفو وسمرحدود هذه المملكة في الجنوب الى حدود القسطنطينية وهي قليلة المدن كثيرة العمارة والله تعالى أعلم

(دوشى خان بن جنكزخان)

وأول من وليها ابن التتر دوشى خان فلم يزل مالكا عليها الى أن هلك في حياة أبيه كما مر سنة بياض بالأصل

(ناطوخان بن دوشى خان)

ولما هلك دوشى خان ولى مكانه ابنه ناطوخان ويقال صامرخان ومعناه الملك المغير فلم يزل ملكا عليها الى أن هلك سنة خمسين وستمائة

(طرطو بن دوشى خان)

ولما هلك ناطو ولى أخوه طرطو فأقام ملكا سنتين وهلك سنة ثنتين وخمسين ولما هلك ولى مكانه أخوه بركة هكذا نقل ابن فضل الله عن ابن الحكيم وقال المؤيد صاحب حماة في تاريخه انه لما هلك طرطو هلك عن غير عقب وكان لأخيه ناطوخان ولدان وهما تدان وبركة وكان مرشحا للملك فعدل عنه أهل الدولة وملكوا أخاه بركة وسارت أم تدان الى هلاكو عند ما ملك العراق تستحثه الملك قومها فردوها من الطريق وقتلوها واستقر بركة في سلطانه انتهى فنسب المؤيد بركة الى ناطوخان بن دوشى خان وابن الحكيم على ما نقل ابن فضل الله جعله ابن دوشى خان نفسه وذكر المؤيد قصة اسلامه على يد شمس الدين الباخورى من أصحاب نجم الدين وان الباخورى كان مقيما ببخارا وبعث الى بركة يدعوه الى الاسلام فأسلم وبعث اليه كتابه باطلاق يده في سائر أعماله عاشا فرده عليه وأعمل بركة الرحلة الى لقائه فلم يأذن له في الدخول حتى تطارح عليه أصحابه وسألوا الاذن لبركة فدخل وجدد الاسلام وعاهده الشيخ على اظهاره الاسلام وان يحمل عليه سائر قومه فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم وسياق القصة على ما ذكره المؤيد يدل على أن اسلامه كان أيام ملكه وعلى ما ذكر ابن الحكيم أن اسلامه كان أيام أخيه ناطو ولم يذكر ابن الحكيم طرطو وانما ذكر بعد ناطو أخاه بركة ولم نقف على تاريخ لدولتهم حتى يرجع اليه وهذا ما أدى اليه الاجتهاد وما بعدها مأخوذ من تاريخ المؤيد صاحب حماة من بنى المظفر بن شاهنشاه بن أيوب قال ثم بعث بركة أيام سلطانه أخاه ناطو الى ناحية الغرب للجهاد وقاتل ملك اللمان من الافرنج فانهزم ورجع ومات أسفا ثم حدثت الفتنة بين بركة وبين قبلاى صاحب التخت وانتزع بركة الخاقانية من أعمال قبلاى وولى عليها سرخاد ابن

أخيه ناطو وكان على دين النصرانية وداخله هلاكو في الانتقاض على عمه بركة الى أخيه قبلاى صاحب التخت ويقطعه الخاقانية وما يشاء معها وشعر بركة بشأنه وأن سرخاد يحاول قتله بالسم فقتله وولى الخاقانية أخاه مكانه وأقام هلاكو طالبا الثأر بسرخاد ووقعت الحرب بينه وبين بركة على نهر آمد سنة ستين ثم هلك هلاكو سنة ثلاث وستين وولى ابنه ابغا فسار الى حربه وسرح بركة للقائه سنتاى بن بايتغان بن جغطاى ونوغية بن تتر بن مغل بن دوشى خان فلما التقى الجمعان أحجم سنتاى ورجع منهزما وانهزم ابغا أمام نوغية وأثخن في عساكره وعظمت منزلة نوغية عند بركة وسخط بركة سنتاى وساءت منزلته عنده الى أن هلك بركة سنة خمس وستين والله سبحانه وتعالى أعلم

(منكوتمر بن طغان بن ناطوخان)

ولما هلك بركة ملك الدست بالشمال ملك مكانه منكوتمر بن طغان ابن ناطوخان ابن دوشى خان وطالت أيامه وزحف سنة سبعين الى القسطنطينية لحدة وجدها على الاشكرى ملكها فتلقاه بالخضوع والرغبة ورجع عنه ثم زحف سنة ثمانين الى الشام في مظاهرة ابغا بن هلاكو ونزل بين قيسارية وابلستين من بلاد الروم ثم أجاز الدربند ومر بابغا وهو منازل الرحبة وتقدم مع أخيه منكوتمر بن هلاكو الى حماة فنازلوها وزحف اليهم المنصور قلاوون ملك مصر والشأم من دمشق ولقيهم بظاهر حمص وكانت الدائرة على ملوك التتر وهلك خلق من عساكرهم وأمرا آخرون وأجفل ابغا من منازلة الرحبة ورجعوا الى بلادهم منهزمين وهلك على اثر ذلك منكوتمر ملك الشمال ومنكوتمر بن هلاكو سنة احدى وثمانين ولما هلك منكوتمر ملك مكانه ابنه تدان وجلس على كرسى ملكهم بصراى فأقام خمس سنين ثم ترهب وخرج عن الملك سنة ست وثمانين وانقطع الى صحبة المشايخ الفقراء ولما ترهب تدان بن منكوتمر وخرج عن الملك ملك مكانه اخوه قلابغا وأجمع على غزو بلاد الكرك واستنفر نوغية بن تتر ابن مغل بن دوشى خان وكان حاكما على طائفة من بلاد الشمال وله استبداد على ملوك بنى دوشى خان فنفر معه في عساكره وكانت عظيمة ودخلوا جميعا بلاد الكرك وأغاروا عليها وعاثوا في نواحيها وفصلوا منها وقد تمكن فصل الشتاء وملك السلطان مسافة اعتسف فيها البيداء وهلك أكثر عساكره من البرد والجوع وأكلوا دوابهم وسار نوغية من أقرب المسالك فنجا الى بلاده سالما من تلك الشدة فاتهمه السلطان قلابغا بالادهان في أمره وكان ينقم عليه استبداده حتى انه قتل امرأة كجك وكانت متحكمة في أيام أبيه وأخيه وشكت الى نوغية فأمر بقتلها خنقا وقتل أميرا كان في خدمتها اسمه بيطرا فتنكر له قلابغا وأجمع الفتك به وأرسل يستدعيه لما طوى له

عليه ونمى الخبر بذلك الى نوغينة فبالغ فى اظهار النصيحة والاشفاق على السلطان وخاطب أمه بأن عنده نصائح يود لو ألقاها الى السلطان فى خلوة فثنت ابنها عن رأيه فيه وأشارت عليه باستدعائه والاطلاع على ما عنده وجاء نوغينة وقد بعث عن جماعة من اخوة السلطان قلابغا كانوا يميلون اليه ومنهم طغطاى وبولك وصراى وتدان بنو منكوتمر بن طغان فجاؤا معه وقد هجم السلطان قلابغا وركب للقاء نوغينة فى قلة من عسكره وجاء نوغينة وقد أكمن له طائفة من العسكر فلما التقيا تحادثا مليا وخرج الكمناء وأحاطوا بالسلطان وقتلوه سنة تسعين وستمائة طغطاى ابن منكوتمر ولما قتل قلابغا ولوا مكانه طغطاى لوقته ورجع نوغينة الى بلاده وبعث الى طغطاى فى قتل الامراء الذين داخلوا قلابغا فى قتله فقتلهم طغطاى أجمعين ثم تنكر طغطاى لنوغينة لما كان عليه من الاستبداد وأنف طغطاى منه وأظلم الجو بينهما واجتمع أعيان الدولة الى نوغينه فكان على طغطاى واصهر الى طاز بن منجك منهم بابنته فسار اليه طغطاى ولقيه نوغينة فهزمه واعترضه نهر مل فغرق كثير من عسكره ورجع نوغينة عن اتباعه واستولى على بلاد الشمال وأقطع سبطه قراجا بن طشتمر سنة ثمان وسبعين مدينة القرم وسار اليها لقبض أموالها فأضافوه وبيتوه وقتلوه من ليلته وبعث نوغينة العساكر الى القرم فاستباحوها وما يجاورها من القرى والضياع وخرب سائرها وكان نوغينة كثير الايثار لاصحابه فلما استبد بأمره آثر ولده على الامراء الذين معه وحسوا عليهم وكان رديفه من ملك المغل اباجى بن قرمش وأخوه قراجا فلما آثر ولده عليهما نزعا الى طغطاى فى قومهما وسار ولد نوغينة فى اتباعهما فرجع بعضهم واستمر الباقون وقتل ولد نوغينه من رجع معه من أصحاب اباجى وقراجا وولدهم فامتعض لذلك أمراء المغل الذين معه ولحقوا بطغطاى واستحثوه لحرب نوغينة فجمع وسار اليه سنة تسع وتسعين بكوكانلك فانهزمت عساكر نوغينة وولده وقتل فى المعركة وحمل رأسه الى طغطاى فقتل قاتله وقال السوقة لا تقتل الملوك واستبيح معسكر نوغينة وبيع سباياهم وأسراهم فى الاقطار وكان بمصر منهم جماعة استرقوا بها وانتظموا فى ديوان جندها ولما هلك نوغينة خلفه فى أعماله ابنه جكك وانتقض عليه أخوه فقتله فاستوحش لذلك أصحابه وأجمعوا الفتك به وتولى ذلك نائبه طغر وصهره على أخته طاز بن منجك ونمى الخبر بذلك اليه وهو فى بلاد اللاز والروس غازيا فهرب ولحق ببلاده ثم لحق به عسكره فعاد الى حربهم وغلبهم على البلاد ثم أمدهما طغطاى على جكا بن نوغينة فانهزم ولحق ببلاد أولاق وحاول الامتناع ببعض القلاع من بلاد أولاق وفيها صهره فقبض عليه صاحب القلعة

البياض فى هذه المواضع الاربعة بالاصل

واستخدم بهم لطغطاى فأمره بقتله سنة احدى وسبعمائة ونجا أخوه طراى وابنه قراكسك شريدين وخلا الجو لطغطاى من المنازعين والمخالفين واستقرت فى الدولة قدمه وقسم أعماله بين أخيه صراى بغا وبين ابنيه وأنزل منكلى بغا من ابنيه فى عمل نهر طنا مما يلى باب الحديد ثم رجع صراى بن نوغينة من مفره واستذم بصراى بغا أخى طغطاى فأذمه وأقام عنده فلما أنس به كشف له القناع عما فى صدره واستهواه للانتقاض على أخيه طغطاى وكان أخوهما أكبر منه وكان مقيما عند طغطاى فركب اليه صراى بغا ليفاوضه فى الشأن فاستعظمه واطلع عليه أخاهما طغطاى فأمره لوقته باحضار أخيه صراى بغا وصراى بن نوغينة وقتلهما واستضاف عمل أخيه صراى بغا لابنه ايل بهادر ثم بعث فى طلب قراكسك بن نوغينة فأبعد فى ناحية الشمال واستذم ببعض الملوك هنالك ثم هلك سنة تسع وسبعمائة أخوه بذالك وابنه ايل بهادر وهلك طغطاى بعدهما سنة ثنتى عشرة والله تعالى أعلم

(أزبك بن طغرلجاى بن منكوتمر)

ولما هلك طغطاى بايع نائبه قطلتمر لازبك ابن أخيه طغرلجاى باشارة الخاتون تنوفالون زوج أبيه طغرلجاى وعاهده على الاسلام فأسلم واتخذ مسجدا للصلاة وأنكره بعض أمرائه فقتله وتزوج الخاتون تنافالون وكانت المواصلة بين طغطاى وبين ملوك مصر ومات طغطاى ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاون فرجعوا الى ازبك مكرمين وجدد ازبك الولاية معه و قطلتمر فى بعض كرائمهم يرغبه وعين له بنت بذالك آخى طغطان وتكررت الرسالة فى ذلك الى أن تم الامر وبعثوا بكريمتهم المخطوبة الى مصر فعقد عليها الناصر وبنى بها كما مر فى أخباره ثم حدثت الفتنة بين ازبك وبين ابى سعيد ملك التتر بالعراق من بنى هلاكو وبعث ازبك عساكره الى اذربيجان وكان بنو دوشى يدعون أن توريز ومراغة لهم وأن القان لما بعث هلاكو لغزو بلاد الاسماعيلية وفتح بغداد استكثر من العساكر وسار معه عسكر أهل الشمال هؤلاء وقررت لهم العلوفة بتوريز ولما مات هلاكو طلب بركة من ابنه ابغا أن يأذن له فى بناء جامع تبريز ودار لنسج الثياب والطرز فأذن له فبناهما بذلك ثم اصطلحوا وأعيدت فادعى بنو دوشى خان أن توريز ومراغة من اعمالهم ولم يزالوا مطالبين بهذه الدعوة فلما وقعت هذه الفتنة بين ازبك وأبى سعيد افتتح أمره بغزو موقان فبعث العساكر اليها سنة تسعة عشر فاكتسحوا نواحيها ورجعوا وجمع جوبان على دولته وتحكمه فى بنى جنكزخان وأنه يأنف أن يكون براق بن سنتف بن منكوفان ابن جغطاى ملكا على خوارزم فأغزاه ازبك فملك خراسان وأمده بالعساكر مع نائبه

البياض فى هذه المواضع الثلاثة بالاصل

قطلتمر وسار سيول لذلك وبعث أبو سعيد نائبه جوبان لمدافعتهما فلم يطق وغلب سيول على كثير من خراسان وصالحه جوبان عليها وهلك سيول سنة عشرين ثم عزل ازبك نائبه قطلتمر سنة احدى وعشرين وولى مكانه عيسى كوكز ثم رده سنة أربع وعشرين الى نيابته ولم تزل الحروب متصلة بين أزبك وابى سعيد الى أن هلك أبو سعيد سنة ست وثلاثين ثم هلك القان فى هذه السنة ولما هلك ازبك بن طغرلجاى ولى مكانه ابنه جانى بك وكان أبو سعيد قد هلك قبله كما قلناه ولم يعقب وولى مكانه على العراق الشيخ حسن من أسباط ابغا بن هلاكو وافترق الملك فى عمالاتهم طوائف وردد جانى بك العساكر الى خراسان الى أن ملكها سنة ثمان وخمسين ثم زحف الى اذربيجان وتوريز وكان قد غلب عليها الشيخ الصغير ابن دمرداش بن جوبان وأخوه الاشرف من بعده كما نذكر فى أخبارهم ان شاء الله تعالى فزحف جانى بك فى العساكر الى اذربيجان بتلك المطالبة التى كان سلفه يدعون بها فقتل الاشرف واستولى على توريز واذربيجان وانكفأ راجعا الى خورستان بعد ان ولى على توريز ابنه بردبيك واعتل جانى بك فى طريقه ومات

(برديبك بن جانى)

ولما اعتل جانى فى ذهابه من توريز الى خراسان طير أهل الدولة الخبر الى ابنه برديبك وقد استخلفه فى توريز فولى عليها أميرا من قبله وأغذ السير الى قومه ووصل الى صراى وقد هلك أبوه جانى فولى مكانه واستقل بالدولة وهلك لثلاث سنين من ملكه

(ماماى المتغلب على مملكة صراى)

ولما هلك برديبك خلف ابنه طغطمش غلاما صغيرا وكانت أخته بنت برديبك تحت كبير من أمراء المغل اسمه ماماى وكان متحكما فى دولته وكانت مدينة القرم من ولايته وكان يومئذ غائبا بها وكان جماعة من أمراء المغل متفرقين فى ولايات الاعمال بنواحى صراى ففرقوا الكلمة واستبدوا بأعمالهم فتغلب حاجى شركس على ناحية منج طرخان وتغلب أهل خان على عمله وايبك خان كذلك وكانوا كلهم يسمون أمراء الميسرة فلما هلك برديبك وانقرضت الدولة واستبد هؤلاء فى النواحى خرج ماماى الى القرم ونصب صبيا من ولد أزبك القان اسمه عبد الله وزحف به الى صراى فهرب منها طغطمش ولحق بمملكة أرض خان فى ناحية جبال خوارزم الى مملكة بنى جغطاى بن جنكزخان فى سمرقند وما وراء النهر والمتغلب عليها يومئذ السلطان تمر من أمراء المغل وقد نصب صبيا منهم اسمه محمود وطغطمش وتزوج أمه واستبد عليه فأقام طغطمش هنالك ثم تنافس الامراء المتغلبون على أعمال صراى وزحف حاجى

شركس صاحب عمل منج طرخان الى ماماى فغلبه على صراى فملكها من يده وسار ماماى الى القرم فاستبد بها ولما زحف حاجى شركس من عمله بعث أرض خان عساكره من نواحى خوارزم فحاصروا منج طرخان وبعث حاجى العساكر اليهم مع بعض أمرائه فأعمل الحيلة حتى هزمهم عن منج طرخان وقتلهم وبالامير الذى يقودهم وشغل حاجى شركس بتلك الفتنة فزحف اليه ايبك خان وملك صراى من يده واستبد بها أياما ثم هلك وولى بعده بصراى ابنه قاريخان ثم زحف اليه أرض خان من جبال خوارزم فغلبه على صراى وهرب قاريخان بن ايبك خان وعادوا الى عملهم الاول واستقر أرض خان بصراى وماماى بالقرم ما بينه وبين صراى فى مملكته وكان هذا فى حدود أعوام سنة ست وسبعين وطغطمش فى خلال ذلك مقيم عند السلطان تمر فيما وراء النهر ثم طمعت نفس طغطمش الى ملك آبائه بصراى فجهز معه السلطان تمر العساكر وسار بها فلما بلغ جبال خوارزم اعترضه هنالك عساكر أرض خان فقاتلوه وانهزم ورجع الى تمر ثم هلك أرض خان قريبا من منتصف تلك السنة فخرج السلطان تمر بالعساكر مع طغطمش مددا له الى حدود عمله ورجع واستمر طغطمش فاستولى على أعمال أرض خان بجبال خوارزم ثم سار الى صراى وبها عمال أرض خان فملكها من أيديهم واسترجع ما تغلب عليه ماماى من ضواحيها وملك أعمال حاجى شركس فى منج طرخان واسترجع جميع ما كان بأيدى المتغلبين ومحا أثرهم وسار الى ماماى بالقرم فهرب أمامه ولم يوقف على خبره ثم صح الخبر بهلكه من بعد ذلك واستوسق الملك بصراى وأعمالها لطغطمش ابن برديبك كما كان لقومه

(حروب السلطان تمر مع طغطمش صاحب صراى)

قد ذكرنا فيما مر ظهور هذا السلطان تمر فى دولة بنى جغطاى وكيف أجاز من بخارى وسمرقند الى خراسان أعوام أربعة وثمانين وسبعمائة فنزل على هراة وبها ملك من بقايا الغورية فحاصرها وملكها من يده ثم زحف الى مازندران وبها الشيخ ولى تغلب عليها بعد بنى هلاكو فطالت حروبه معه الى أن غلبه عليها ولحق الشيخ ولى بتوريز فى فل من أهل دولته ثم طوى تمر الممالك طيا وزحف الى اصبهان فأتاه ابن المظفر بها طاعته ثم الى توريز سنة سبع وثمانين فملكها وخربها وكان قد زحف قبلها الى دست القفجاق بصراى فملكها من يد طغطمش وأخرجه عنها فأقام بأطراف الاعمال حتى أجاز تمر الى اصبهان فرجع الى كرسيه وكان للسلطان تمر قريع فى قومه يعرف بقمر الدين فراسله طغطمش صاحب صراى وأغراه بالانتقاض على تمر وأمده بالاموال والعساكر فعاث فى تلك البلاد وبلغ خبره الى تمر منصرفه من فتحه فكر راجعا وعظمت حروبه مع قمر

الدين الى أن غلبه وحسم علته وصرف وجهه الى شأنه الاول
الزحف الى طغطمش وسار طغطمش للقائه ومعه اغلان بلاط من أهل بيته فداخله تمر وجماعة الامراء معه واستراب بهم طغطمش وقد حان اللقاء وتصافوا للحرب فصدم ناحية من عسكر تمر وصدم من لقى فيها وتبدد عياله وافترق الامراء الذين داخلوا تمر وساروا الى الثغور فاستولوا عليها وجاء طغطمش الى صراى فاسترجعها وهرب اغلان بلاط الى القرم فملكها وزحف اليه طغطمش فى العساكر فحاصرها وخالفه ارض خان الى صراى فملكها فرجع طغطمش وانتزعها من يده ولم تزل عساكره تختلف الى القرم وتعاهدها بالحصار الى أن ملكها وظفر باغلان بلاط فقتله وكان السلطان تمر بعد فراغه من حروبه مع طغطمش سار الى اصبهان فملكها أيضا واستوعب ملوك بنى المظفر بالقتل وانتظم له أعمالهم جميعا فى مملكته ثم زحف الى بغداد فملكها من يد أحمد بن أويس سنة خمس وتسعين كما مر ذكره ولحق أحمد بالسلطان الظاهر صاحب مصر مستصرخا به فخرج معه فى العساكر وانتهى الى الفرات وقد سار تمر عن بغداد الى ماردين فحاصرها وملكها وامتنعت عليه قلعتها فعاج من هنالك الى حصون الاكراد ثم الى بلاد الارمن ثم الى بلاد الروم وبعث السلطان الظاهر صاحب مصر العساكر مددا لابن أويس فسار الى بغداد وبها شرذمة من عسكر تمر فملكها من أيديهم ورجع الملك الظاهر الى مصر وقد أظل الشتاء ورجع تمر الى نواحى أعماله فأقام فى عمل قراباق ما بين اذربيجان وهمذان والابواب ثم بلغ الخبر الى تمر فسار من مكانه ذلك الى محاربة طغطمش وعميت أنباؤه مدة ثم بلغ الخبر آخر سنة سبع وتسعين الى السلطان بأن تمر ظفر بطغطمش وقتله واستولى على سائر أعماله والله غالب على أمره انتهى

(ملوك غزنة وباميان من بنى دوشى خان)

كانت اعمال غزنة وباميان هذه قد صارت لدوشى خان وهى من اعمال ماوراء النهر من جانب الجنوب وتتاخم سجستان وبلاد الهند وكانت فى مملكة بنى خوارزم شاه فملكها التتر لاول خروجهم من أيديهم وملكها جنكزخان لابنه دوشى خان وصارت لابنه أردنو ثم لابنه انجى بن أردنو وهلك على رأس المائة السابعة وخلف من الولد بيان وكبك ومنغطاى وانقسمت الاعمال بينهم وكان كبيرهم بيان فى غزنة وقام بالملك بعد انجى ابنه كبك وانتقض عليه أخوه بيان واستمد بطغطاى صاحب صراى فأمده بأخيه بذالك واستنجد كبك بقند وفأمده ولم يغن عنه وانهزم ومات سنة تسع وسبعمائة واستولى بيان على الاعمال وأقام بغزنة وزحف اليه قوشناى ابن أخيه كبك واستمد بقند وغلب عمه على غزنة ولحق بيان بطغطاى واستقر قوشناى بغزنة

ويقال ان الذى غلب عليها انما هو أخوه طغطاى ولم نقف بعد على شئ من أخبارهم والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم

(ملوك التخت بصراى)

طغطمش بن جانى بك بن ازبك بن طغرلجا بن منكوتمر بن طغان بن باطوخان بن دوشى خان بن جنكزخان

قلابقا
طغطاى
صرحو
بركة
منغطاى

دولة بنى هلاكو ملوك التتر بالعراقين وخراسان ومبادى أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدم لنا أن جنكزخان عهد بالتخت وهو كرسى الملك بقراقوم لابنه أوكداى ثم ورثه من بعده كفود بن أوكداى وان الفتنة وقعت بينه و بين صاحب الشمال من بنى جنكزخان وهو ناطو بن دوشى خان صاحب التخت بصراى وسار اليه فى جموع المغل والتتر وهلك فى طريقه وسلم المغل الذين معه التخت لناطو فامتنع من مباشرته بنفسه وبعث اليه أخاه منكوفان وبعث معه بالعساكر أخويه الآخرين قبلاى وهلاكو ومعهما أخوهما بركة ليجلسه على التخت فأجلسه سنة خمسين وذكرنا سبب اسلام بركة عند مرجعه وأن منكوفان استقل بالتخت وولى بنى جغطاى بن جنكزخان على بلاد ماوراء النهر امضاء لوصية جنكزخان وبعث أخاه هلاكو لتدويخ عراق العجم وقلاع الاسماعيلية ويسمون الملاحدة والاستيلاء على ممالك الخليفة

(هلاكو بن طولى)

ولما بعث منكوفان أخاه الى العراق فسار لذلك سنة ثنتين وخمسين وستمائة وفتح الكثير من قلاعهم وضيق بالحصار مخنقهم وولى خلال ذلك فى كرسى صراى بالشمال بركة بن ناطو بن دوشى خان فحدثت الفتنة بينه و بين هلاكو ونشأت من الفتنة الحرب وسار بركة ومعه نوغان بن ططر بن مغل بن دوشى خان والتقوا على نهر نول وقد جمد ماؤه لشدة البرد وانخسف من تحته فانهزم هلاكو وهلك عامة عسكره وقد ذكرنا أسباب الفتنة بينهما ثم رجع هلاكو الى بلاد الاسماعيلية وقصد قلعة الموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه فى طريقه وصية من ابن العلقمى وزير المستعصم ببغداد فى كتاب ابن الصلايا صاحب اربل يستحثه للمسير الى بغداد ويسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمى رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ وتعصب عليهم أهل السنة وتمسكوا بان الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا بأهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمى ودس الى ابن الصلايا باربل وكان صديقا له بأن يستحث التتر لملك بغداد وأسقط عامة الجند يموه بأنه يصانع التتر بعطائهم وسار هلاكو والتتر الى بغداد واستنفر بغو مقدم التتر ببلاد الروم فيمن كان معه من العساكر فامتنع أولا ثم أجاب وسار اليه ولما أطل هلاكو على بغداد فى عساكره برز للقائه ايبك الدوادار فى عساكر المسلمين فانهزموا عساكر التتر ثم تراجع التتر فهزموهم واعترضهم دون بغداد بثوق

انبثقت فى ليلتهم تلك من دجلة فحالت دونهم فاقتتلوا أجمعين وهلك ايبك الدوادار وأسر الامراء الذين معه ورجعوا الى البلد فحاصروها مدة ثم استأمن ابن العلقمى للمستعصم ولنفسه بأن هلاكو يستبقيه فخرج اليه فى موكب من الاعيان وذلك فى محرم سنة ست وخمسين وتقبض على المستعصم فشدخ بالمعاول فى عدل تجافيا عن سفك دمه بزعمهم و يقال ان الذى أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلثمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يحصره العدد والضبط وألقيت كتب العلم التى كانت فى خزائنهم بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن واعتزم هلاكو على اضرام بيوتها نارا فلم يوافقه أهل مملكته واستبقى ابن العلقمى على الوزارة والرتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره الا الكلام فى الدخل والخرج متصرفا من تحت آخر أقرب الى هلاكو منه فبقى على ذلك مدة ثم اضطرب وقتله هلاكو ثم بعث هلاكو بعد فتح بغداد بالعساكر الى ميافارقين وبها الكامل محمد بن غازى بن العادل فحاصروها سنين حتى جهد الحصار أهلها ثم اقتحموها عنوة واستلحموا حاميتها ثم بعث اليه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنه ركن الدين اسمعيل بالطاعة والهدية فتقبله و بعثه الى القان الاعظم منكوفان بقراقوم وأبطأ على لؤلؤ خبره فبعث بالولدين الآخرين شمس الدين اسحق وعلاء الدين بهدية أخرى ورجعوا اليه بخبر ابنه وقرب ايابه فتوجه لؤلؤ بنفسه الى هلاكو ولقيه باذربيجان وحضر حصار ميافارقين وجاء ابنه ركن الدين من عند منكوفان بولاية الموصل وأعمالها ثم هلك سنة سبع وخمسين وولى ابنه ركن الدين اسمعيل و يلقب الصالح و بعث هلاكو عسكرا الى اربل فحاصرها ستة أشهر وامتنعت فأفرجت عنها العساكر فاغتنم ابن الصلايا الفرصة ونزل عنها لشرف الدين الكردى ولحق بهلاكو فقتله وكان صاحب الشأم يومئذ الناصر بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين فلما بلغه استيلاء هلاكو على بغداد بعث اليه ابنه بالهدايا والمصانعة والعذر عن الوصول بنفسه لمكان الافرنج من سواحل الشأم فقبل هديته وعذره و رجع ابنه بالمواعيد ولم يتم لهلاكو الاستيلاء على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة وانتهى ملكه الى الفرات وتاخم الشام وعبر الفرات سنة ثمان وخمسين فملك البيرة و وجد بها السعيد أخا الناصر بن العزيز معتقلا فأطلقه و رده الى عمله بالصبيبة وبانياس ثم سار الى حلب فحاصرها مدة ثم ملكها ومن عليه وأطلقه ووجد بها المعتقلين من البحرية مماليك الصالح أيوب الذين حبسهم الناصر وهم سنقر الاشقر وتنكز فأطلقهم وكان معهم أمير من أكابر القفجاق لحق به واستخدم له فجعلهم معه وولى على البلاد

بياض بالأصل

التي ملكها من الشأم ثم جهز العساكر الى دمشق وارتحل الناصر الى مصر ورجع عنه الصالح بن الاشرف صاحب حمص الى هلاكو فولاه دمشق وجعل نوابه بها النظره وبلغ الناصر الى (بياض بالأصل) ثم استوحش الخليفة من قطز سلطان مصر لما كان بينهما من الفتنة فخرج الى هلاكو فأقبل عليه واستشاره في انزال الكتائب بالشأم فسهل له الامر في عساكر مصر ورجع الى رأيه في ذلك وترك نائبه كيبغا من أمراء التتر في خف من الجنود فبعث كيبغا الى سلطان مصر وأساء رسله بمجلس السلطان في الخطاب بطلب الطاعة فقتلهم وسار الى الشأم فلقي كيبغا بعين جالوت فانهزمت عساكر التتر وقتل كيبغا أميرهم والسعيد صاحب الضبينة أخو الناصر كان حاضرا مع التتر فقبض عليه وقتل صبرا ثم بعث هلاكو العساكر الى البيرة والسعيد بن لؤلؤ على حلب ومعه طائفة من العساكر فبعث بعضهم لمدافعة التتر فانهزموا وحنق الامراء على السعيد بسبب ذلك وحبسوه وولوا عليهم حسام الدين الجوكندار وزحف التتر الى حلب فأجفل عنها واجتمع مع صاحبها المنصور على حمص وزحفوا الى التتر فهزموهم وسار التتر الى افامية فحاصروها وهابوا ماوراءها وارتحلوا الى بلادهم وبلغ الخبر الى هلاكو فقتل الناصر صاحب دمشق لاتهامه اياه فيما أشار به من الاستهانة بأهل مصر وكان هلاكو لما فتح الشام سنة ثمان وخمسين بلغه مهلك أخيه القان الاعظم منكوقان في مسيره الى غزو بلاد الخطا فطمع في القانية وبادر لذلك فوجد أخاه قبلاي قد استقل فيها بعد حروب بدت بينه وبين أخيه ازبك تقدم ذكرها في أخبار القان الاعظم فشغل بذلك عن أمر الشأم ثم لما يئس من القانية قنع بما حصل عنده من الاقاليم والاعمال ورجع الى بلاده والاقاليم التي حصلت بيده اقليم خراسان كرسيه نيسابور ومن مدنه طوس وهراة وترمذ وبلخ وهمذان ونهاوند وكنجة عراق العجم كرسيه اصبهان ومن مدنه قزوين وقم وقاشان وشهرزور وسجستان وطبرستان وطلان وبلاد الاسماعيلية عراق العرب كرسيه بغداد ومن مدنه الدينور والكوفة والبصرة اذربيجان وكرسيه توريز ومن مدنه حران وسلماس وقفجاق خورستان كرسيها اشتر ومن مدنها الاهواز وغيرها فارس كرسيها شيراز ومن مدنها كش ونعمان ومجمل رزون والبحرين ديار بكر كرسيها الموصل ومن مدنها ميافارقين ونصيبين وسنجار واسعرد ودنيس وحران والرها وجزيرة ابن عمر بلاد الروم كرسيها قونية ومن مدنها ملطية واقصرا وأورنكار وسيواس وانطاكية والعلايا ثم اجلاه احمد الحاكم خليفة مصر فزحف الى بغداد وهذا الحاكم هو عم المستعصم لحق بمصر بعد الواقعة ومعه الصالح بن لؤلؤ بعد أن ازاله التتر من الموصل فنصب الظاهر بيبرس أحمد هذا

في الخلافة سنة تسع وخمسين وبعثه لاسترجاع بغداد ومعه الصالح بن لؤلؤ على الموصل فلما أجازوا الفرات وقاربوا بغداد كبسهم التتر ما بين هيت وعانة فكبسوا الخليفة وفر ابن لؤلؤ وأخواه الى الموصل فنازلهم التتر سبعة أشهر ثم اقتحموها عليهم عنوة وقتلوا الصالح وخشي الظاهر بيبرس غائلة هلاكو ثم ان بركة صاحب الشمال قد بعث الى الظاهر سنة (بياض بالأصل) باسلامه فجعلها الظاهر وسيلة للوصلة معه والانجاد وأغراه بهلاكو لما بينهما من الفتنة فسار بركة لحربه وأخذ بحجزته عن الشأم ثم بعث هلاكو عساكر التتر لحصار البيرة ومعه درباي من أكابر أمراء المغل وأردفه بابنه ابغا وبعث الظاهر عساكره لانجاد أهلها فلما أطلوا على عسكر درباي وعاينهم أجفل وترك المخيم والآلة ولحق بابغا منهزما فاعتقله وسخطه ثم هلك هلاكو سنة ثنتين وستين لعشر سنين من ولايته العراق والله أعلم

(ابغا بن هلاكو)

ولما هلك هلاكو ولي مكانه ابنه ابغا وسار لاول ولايته لحرب بركة صاحب الشمال فسرح اليه بركة العساكر مع قريبه نوغاي بن ططر بن مغل بن دوشي خان ومع سنتف بن منكوقان بن جغطاي بن جنكزخان وخام سنتف عن اللقاء ورجع منهزما وأقام نوغاي فهزم ابغا وأثخن في عساكره وعظمت منزلته بذلك عند بركة ثم بعث سنة احدى وسبعين عساكره مع درباي لحصار البيرة وعبر الظاهر اليهم الفرات وهزمهم وقتل أميرين مع درباي ولحق درباي بابغا منهزما فسخطه وأدال منه بابطاي وفي سنة ثنتين وسبعين زحف ابغا الى تكدار بن موجي بن جغطاي بن جنكزخان وكان صاحبه فاستنجد بابن عمه براق بن سنتف بن منكوقان بن جغطاي فأمده بنفسه وعساكره واستنفر ابغا عساكر الروم وأميرهم طمقان والبرواناة والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهزم تكدار ولجأ الى جبل هنالك حتى استأمن ابغا فأمنه وعهد ان لا يركب فرسا فارها ولا يمس قوسا ثم نمي الى ابغا ان الظاهر صاحب مصر سار الى بلاد الروم فبعث العساكر اليها مع قائدين من قواد المغل وهما تدوان وتغو افسارا وملك الظاهر قيسارية من تخوم بلادهم وبلغ الخبر الى ابغا فجاء بنفسه الى موضع الهزيمة وعاين مصارع قومه ولم يسمع ذكر الاحد من عسكر البرواناة انه صرع فاتهمه وبعث عنه بعد مرجعه فقتله ثم سار ابغا سنة ثمانين وعبر الفرات ونازل الرحبة وبعث الى صاحب ماردين فنزل معه هنالك وكان منكوتمر ابن أخي بركة ملك صراى فسار بعساكره من المغل وحشود الكرج والارمن والروم ومر بقيسارية وابلستين وأجاز الدربند الى (بياض بالأصل) فنازلها وبعث ابغا

اليه بالعساكر مع أخيه منكوتمر بن هلاكو وأقام هو على الرحبة وزحف الظاهر من مصر فى عساكر المسلمين فلقيهم على حمص وانهزم التتر هزيمة شنعاء هلك فيها عامة عساكرهم وأجفل ابغا من حصار الرحبة وهلك أخوه منكوتمر بن هلاكو مرجعه من تلك الواقعة يقال مسموما وانه مر ببعض أمرائه بجزيرة تسمى موغوا غا كان يضطغن له بعض الفعلات فسقاه سما عند مروره به وهرب الى مصر فلم يدركوه وانهم قتلوا ابناءه ونساءه ثم هلك ابغا سنة احدى بعدها ويقال مسموما أيضا على يد وزيره الصاحب شمس الدين الجونى مشيد دولته وكبيرها حمله الخوف على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

بياض بالاصل

(تكدار بن هلاكو ويسمى أحمد)

ولما توفى ابغا كما ذكرناه وكان ابنه أرغو غائبا بخراسان فبايع المغل لاخيه تكدار فأسلم وتسمى أحمد وخاطب بذلك الملوك لعصره وأرسل الى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وجاء بذلك قاضى سيواس قطب الدين الشيرازى وأتابك بلاد الروم وابن الصاحب من وراء ماردين وكان أخوه قنقرطاى مع صمغان الشحنة فبعث تكدار عن أخيه فامتنع من الاجابة وأجاره غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم فتوعده تكدار فخاف منه وسار هو وقنقرطاى الى تكدار فقتل أخاه وحبس غياث الدين وولى مكانه أخاه عز الدين وأدال من صمغان الشحنة بالولاطو من أمراء المغل ثم جهز العساكر الى خراسان لقتال أخيه أرغو فسار اليهم أرغو وكبسهم وهزمهم وفتك فيهم فسار تكدار بنفسه فهزم أرغو وأسره وأثخن فى عساكره وقتل اثنى عشر أميرا من المغل فاستوحش أهل معسكره وكانوا ينقمون عليه اسلامه فثاروا عليه وقتلوا نائبه ثم قتلوه سنة ثنتين وثمانين وبعثوا الى أرغو بن ابغا بطاعتهم والله تعالى أعلم

(أرغو بن ابغا)

ولما ثار المغل على تكدار وقتلوه وبعثوا بطاعتهم الى أرغو فجاء وولوه أمرهم فقام بسلطانه وقتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم فى محبسه اتهمه بمداهنته فى قتل عمه قنقرطاى وتقبض لاول ولايته على الوزير شمس الدين الجونى وكان متهما بأبيه وعمه فقتله وولى على وزارته سعدا اليهودى الموصلى ولقبه سعد الدولة وكان عالما بالحكمة وولى ابنيه قازان وخربندا على خراسان لنظر نيروز أتابكه ولما فرغ من أمور ملكه وكان قد عدل عن دين الاسلام واحب دين البراهمة من عبادة الاصنام وانتحال السحر والرياضة له ووفد عليه بعض سحرة الهند فركب له دواء لحفظ الصحة واستدامتها

فأصابه

فأصابه منه صرع فمات سنة سبعين والله سبحانه وتعالى أعلم

(كيخاتو بن ابغا)

ولما هلك أرغو بن ابغا وابناه قازان وخربندا غائبان بخراسان اجتمع المغل على أخيه كيخاتو فبايعوه وقدموه للملك ثم ساءت سيرته وأفحش فى المناكر واباحة الحرمات والتعرض للغلمان من أبنائهم وكان فى عسكره بيدو بن عم طرغاى بن هلاكو فاجتمع اليه أمراء المغل وبايعوه سرا وشعر بهم كيخاتو ففر من معسكره الى جهة كرمان وساروا فى اثره فأدركوه بأعمال غان وقتلوه سنة ثلاث وتسعين لثلاث سنين وأشهر من ولايته والله تعالى أعلم

(بيدو بن طرغاى بن هلاكو)

ولما قتل أمراء المغل كيخاتو بن ابغا بايعوا مكانه لابن عمه بيدو بن طرغاى بن هلاكو وكان قازان بن أرغو بخراسان فسار لحرب بيدو ومعه الاتابك نيروز فلما تقاربا للقاء تردد الناس بينهما فى الصلح على أن يقيم نيروز الاتابك عند بيدو واصطلحا وعاد قازان ثم أرسل نيروز الاتابك الى قازان يستحثه فسار من خراسان ولما بلغ الخبر الى بيدو فاوض فيه نيروز الاتابك فقال انا أكفيكه فصبر حتى أتى اليه فسرحه ولما وصل الى قازان أطلعه على شأن أمراء بيدو وانهم راغبون عنه وحرضه على المسير فامتعض لذلك بيدو وسار للقائهم فلما التقى الجمعان انتقض عليه أمراؤه بمداخلة نيروز فانهزم ولحق بنواحى همذان فأدرك هنالك وقتل سنة خمس وتسعين لثمانية أشهر من ملكه والله سبحانه وتعالى أعلم

(قازان بن أرغو)

ولما انهزم بيدو وقتل ملك على المغل مكانه قازان بن أرغو فجعل أخاه خربندا واليا على خراسان وجعل نيروز الاتابك مدبر المملكته وسعى لاول أمره فى التدبير على طرغاى من أمرائه وموالية من المغل الذى داخل بيدو فى قتل كيخاتو الذى تولى كبر ذلك فخافه طرغاى على نفسه وكان نازلا بين بغداد والموصل فبعث الى كتبغا العادل صاحب مصر والشأم يستأذنه فى اللحاق به ثم ولى قازان على ديار بكر أميرا من أشياعه اسمه مولان فهزمه وقتل الكثير من أصحابه ونجا الى الشأم وبعث كتبغا من تلقاه وجاء به الى مصر ودخل مجلس الملك ورفع مجلسه فيها قبل ان يسلم واستقر هو وقومه الاويراتية بمصر وأقطع لهم وكان ذلك داعيا الى الفتنة بين الدولتين ثم قتل قازان الاتابك نيروز وذلك أنه استوحش من قازان وكاتب لاجين سلطان مصر والشأم

المتولى بعد كيبغا وأحس نيروز بذلك فلحق بهراة مستجيرا بصاحبها وهو فخر الدين ابن شمس الدين كرت صاحب سجستان فقبض عليه فخر الدين وأسلمه الى قطلوشاه فقتله وقتل قازان بعد ذلك أخويه ببغداد وهما حاجى ولكرى وقفل السفير اليه بالكتاب من مصر ثم كان بعد ذلك مفرش لامس بن ايال ين منجو الى مصر وكان أميرا فى بلاد الروم على الطومار المحجر فيها والطومار عندهم عبارة عن مائة ألف من العساكر عن قازان فارتاب به وأرسل الى لاشين يستأذنه فى اللحاق به وبعث قازان العساكر اليه فقاتلوه وانفض عنه أكثر أصحابه ففر الى مصر وترك أهله وولده وبعث معه صاحب مصر العساكر لتلقى أهله ودروا بسيس فاعترضه عساكر التتر هنالك فهزموه وقتلوا أمير مصر الذى معه واعتصم هو ببعض القلاع فاستنزلوه منها وبعثوا به الى قازان فقتله وأقام أخوه قطقطو بمصر فى جملة عسكرها ونشأت بهذه كلها الفتن بين قازان وأهل مصر ونزع اليه أمراء الشأم فلحق نائب   ويكتمر نائب حلب (بياض بالاصل)
والبكى الظاهرى وعزاز الصالحين واستزابوا بسلطانهم الناصر محمد بن قلاون فلحقوا به واستحثوه الى الشأم وساروا سنة تسع وسبعين فى عساكر المغل والارمن ومعه نائبه قطلوشاه ومولى وجاء الملك الناصر من مصر فى عساكر المسلمين ولما انتهى الى غزة اطلع على تدبير بعض المماليك عليه من أصحاب كيبغا ومداخلة الامراء الذين هاجروا من المغل الى مملكة مصر لهم فى ذلك فسبق جميعهم وارتحل الى حمص للقاء التتر ثم سار فصبحهم بمرج المروج والتقى الجمعان وكانت الدبرة على المسلمين واستشهد منهم عدد ونجا السلطان الى مصر وسار قازان على التعبية فملك حمص واستوعب مخلف السلطان فيها ثم تقدم الى دمشق فملك المدينة وتقدم الى قفجاق لجباية أموالها ولحصار القلعة وبها علاء الدين سنجر المنصورى فامتنع وهدم ما حولها من العمران وفيها دار السعادة التى بها ايوان الملك وسار قازان الى حلب فملكها وامتنعت عليه القلعة وعاثت عساكره فى البلاد وانتهت غاراتهم الى غزة ولما امتنعت عليه القلاع ارتحل عائدا الى بلده وخلف قطلوشاه فى عساكر لحماية البلد وحصار القلعة ويحيى بن جلال الدين لجباية الاموال وترك قفجاق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحمص وحماة وكر الملك الناصر راجعا الى الشأم بعد أن جمع العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وعلى مقدمته بيبرس الجاشنكير وسلار كافلا مملكته فتقدموا الى حدود الشأم وأقام هو بالصالحية واستأمن لهما قفجاق وبكتمر النائبان بدمشق وحلب وراجعا طاعة السلطان واستولى بيبرس وسلار على الشأم ورجع قطلوشاه الى العراق ثم عاود قازان المسير الى الشأم سنة ثنتين وسبعين وعبر الفرات ونزل على الرحبة وكاتب أهل الشأم يخادعهم وقدم قطلوشاه

فأغار على القدس وبها احياء التركمان فقاتلوه ونالوا منه وتوقفوا هنالك وسار الناصر من مصر فى العساكر ثالث شعبان ولقى قطلوشاه بمرج الصفر فهزمه بعد حرب شديدة وسار فى اتباعهم الى الليل فاعتصموا بجبل فى طريقهم وبات المسلمون يحرسونهم ثم تسللوا وأخذ القتل منهم كل مأخذ واعترضهم الوحل من أمامهم من بثوق بثقت لهم من نهر دمشق فلم   منهم أحد وقدم الفل على قازان بنواحى (بياض بالاصل)
ومرض هنالك ومات فى ذى الحجة من السنة ويقال انه مات أسفا والله تعالى أعلم بالصواب

(خربندا ابن أرغو)

ولما هلك قازان ولى بعده أخوه خربندا وابتدا أمره بالدخول فى دين الاسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين وأقر قطلوشاه على نيابته ثم جهزه لقتال الكرد فى جبال كيلان وقاتلهم فهزموه وقتلوه وولى مكانه جوبان بن تدوان وأقام فى سلطانه حسن الدين معظما للخلفاء وكتب أسماءهم على سكته ثم صحب الروافض فساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الائمة الاثنى عشر على سكته ثم أنشأ مدينة بين قزوين وهمذان وسماها السلطانية ونزلها واتخذ بها بيتا الطيقا بلبن الذهب والفضة وأنشأ بازائها بستانا جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارا وأسكن به الغلمان والجوارى تشبيها له بالجنة وأفحش فى التعرض لحرمات قومه ثم سار الى الشأم سنة ثلاث عشرة وعبر الفرات ونزل الرحبة ورجع ثم هلك ويقال مات مسموما على يد بعض أمرائه سنة ست عشرة والله تعالى أعلم

(أبو سعيد بن خربندا)

ولما هلك خربندا خلف ابنه ابا سعيد طفلا صغيرا ابن ثلاث عشرة سنة فاستصغره جوبان وأرسل الى أزبك ملك الشمال بصراى يستدعيه لملك العراقين فحذره نائبه قطلقتمر من ذلك وبايع جوبان لابى سعيد بن خربندا على صغره وبدأ أمره بقتل أبى الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمذانى المتهم بقتل أبيه فقتله وكان مقدما فى العلوم وسريا فى الغاية وله تاريخ جمع فيه أخبار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجرا كما فى كتابنا هذا وكان جوبان يومئذ بخراسان يقاتل عليها سيول بن براق بن سنتف بن ماسان بن جغطاى صاحب خوارزم أغراه أزبك صاحب الشمال بخراسان وأمده بعساكره وكان جوبان موافقا له فلما هلك خربندا اطمع سيول فى الاستيلاء على خراسان وكاتب أمراء المغل بدولة أبى سعيد ترغبهم فأطمعوه فسار

جوبان الى الاردن ومعناه بلغتهم العسكر والخيم وانتهى الى أبي سعيد خبر أمرائه فقتل منهم أربعين ورجع جوبان الى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيول عليها وعلى طائفة من عراق العجم وبعث اليه أزبك صاحب الشمال نائبه قطلقتمر مددا في العساكر فلقيهم جوبان وكانت بينهم حروب وانتزع جوبان ما ملكه سيول من بلاد خراسان وصالحه على ما بقي ورجع ثم سار أزبك ملك الشمال الى مراغة فأغار عليها وغنم ورجع وأتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيول سنة عشرين وارتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزبك صاحب الشمال ينقم على أبي سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بني جنكزخان ويحرض أهل النواحي على جوبان ويتوقع له المهالك وأوصل الملوك في النواحي للمظاهرة على جوبان وسلطانه أبي سعيد حتى لقد صاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم الصلح لابي سعيد معه كما مر في أخبارهم وجهز أزبك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصرهم المدني بنهر كوزل الذي في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشا آخر مع قطلقتمر نائبه وكان جوبان نائب أبي سعيد قد ولى على بلاد الروم ابنه دمرداش فزحف سنة احدى وعشرين الى بلاد سيس وافتتح منها اقلاعا ثلاثا وخربها وبعث الى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الارمن بسيس فبعث السلطان عساكره سنة ثنتين وعشرين ومعهم من المتطوعة عدد وحاصروا سيس ثم انعقد الصلح سنة ثلاث وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واستقامت الاحوال وحج أكابر المغل من قرابة أبي سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينهما وسار نائبه جوبان سنة خمس وعشرين الى خراسان في العساكر وقد زحف اليه كبك بن سيول فجرت بينهما حروب وانهزم جوبان واستولى كبك على خراسان ثم كبسه جوبان فهزمه وأثخن في عساكره وغلبه على خراسان فعادت الى ملكة أبي سعيد وبينما جوبان مشتغل بتلك الفتنة والحروب في نواحي خراسان اذ بلغه الخبر بأن السلطان أبا سعيد تقبض على ابنه خواجا دمشق فلما بلغه الخبر بذلك انتقض وزحف اليه أبو سعيد فافترق عنه أصحابه ولحق بهراة فقتل بها سنة ست وعشرين وأذن أبو سعيد لولده ان ينقلوا شلوه الى تربته التي بناها بالمدينة النبوية على ساكنها افضل الصلاة والسلام ونقلوه فلم يقدر دفنه بها وتوقف أمير المدينة على اذن السلطان بمصر في ذلك فدفن بالبقيع ولما بلغ خبر جوبان لابنه دمرداش وهو أمير بلاد الروم انزعج لذلك ولحق بمصر فيمن معه من الامراء والعساكر وأقبل السلطان الملك الناصر عليه وأحله محل التكرمة وجاءت على أثره رسل أبي سعيد يطلب حكم الله فيه لسعيه في الفساد والفتنة وأجابه السلطان الى ذلك على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر المنازع

اليهم من أمراء الشأم فأمضى ذلك فيهما جزاء بما قدمت أيديهما ثم تأكدت أسباب المواصلة والالتحام بين هذين السلطانين بالاصهار والمهاداة واتصل ذلك وانقطع زبون العرب وفسادهم بين المملكتين وهلك السلطان أبو سعيد سنة ست وثلاثين ولم يعقب ودفن بالسلطانية واختلف أهل دولته وانقرض الملك من بني هلاكو وافترقت الاعمال التي كانت في ملكهم وأصبحت طوائف في خراسان وفي عراق العجم وفارس وفي اذربيجان كله في عراق العرب وفي بلاد الروم كما نذكر ذلك والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن ابغا بن هلاكو بن طولى خان بن جنكزخان

قازان

كنخاتو

بيدو بن طرغاى

تنقرطاى

(صاحب خوارزم نازع خربندا وابنه في خراسان)

كبك بن سيول بن براق بن سنتف بن ماسان بن جفطاى

اضطراب دولة بني هلاكو وانقسام الملك طوائف في أعمالهم وانفراد الشيخ حسن ببغداد واستيلاء بنيه معها على توريز وما كان لهم فيها من الملك والدولة وابتدائها ومصايرها

لما هلك أبو سعيد بن خربندا ملك التتر بكرسي بغداد سنة ست وثلاثين ولم يعقب نصب امراء المغل الوزير غياث الدين وخلع اورخان ونصب للملك موسى خان من اسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بيبغا بن املكان وهو ابن عمة السلطان أبي سعيد سبط ارغون بن ابغا ازله أبو سعيد بقلعة كانج من بلاد الروم ووكل به فلما هلك أبو سعيد

وانحل عقاله وذهب أبو نور بن ماس عنى عليها وبلغه شأن أهل الدولة ببغداد فلم يرضه ونهض اليها فقتل على ماسا القائم بالدولة وعزل موسى خان الملك ونصب مكانه محمد بن عنبرجى وهو الذى تقدم فى ملوك التخت صحة نسبه الى هلاكو واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز ثم سار اليه حسن بن دمرداش من مكان امارته وامارة أبيه ببلاد الروم وغلبه على توريز وقتل سلطانه محمد بن عنبرجى ولحق الشيخ حسن ببغداد واستقر حسن بن دمرداش فى توريز ونصب للملك أخت السلطان أبى سعيد اسمها صالبيك وزوجها لسليمان خان من أسباط هلاكو واستقل بملك توريز وكان يعرف بالشيخ حسن الصغير لان صاحب بغداد كان يشاركه فى اسمه وهو أسن وأدخل فى نسب الخان فميز بالكبير وميز هذا بالصغير ولما استقل حسن الصغير بالملك والخان عنده عجز عنه الشيخ حسن الكبير وغلبته أمم التركمان بضواحى الموصل الى سائر بلاد الجزيرة فيقال انه أرسل الى الملك الناصر صاحب مصر بأن يملكه بغداد ويلحق به فيقيم عنده وطلب منه أن يبعث عساكره لذلك على أن يرهن فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما اعترضه من الاحوال وافترقت مملكة بنى هلاكو فكان هو ببغداد والصغير بتوريز وابن المظفر بعراق العجم وفارس والملك حسين بخراسان واستولى على أكثرها ملك الشمال أزبك صاحب التخت بصراى من بنى دوشى خان بن جنكزخان ثم استوحش الشيخ حسن من سلطانه سليمان خان فقتله واستبد ثم هلك الشيخ حسن الصغير بن دمرداش بتوريز سنة أربع وأربعين وملك مكانه أخوه الاشرف ثم هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد سنة سبع وخمسين والله تعالى أعلم

(أويس بن الشيخ حسن)

ولما هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد ولى مكانه ابنه أويس وكان بتوريز الاشرف بن دمرداش فزحف اليه ملك الشمال جانى بك بن أزبك سنة ثمان وخمسين وملكها من يده ورجع الى خراسان بعد أن استخلف عليها ابنه واعتقل فى طريقه فكتب أهل الدولة الى ابنه برديبك يستحثونه للملك فأغذ السير اليهم وترك بتوريز عاملها أخيجوخ فسار اليه أويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم ارتجعها منه أخيجوخ وأقام بها فزحف اليه ابن المظفر صاحب اصبهان وملكها من يده وقتله وانتظم فى ملكه عراق العجم وتوريز وتستر وخوزستان ثم سار أويس فانتزعها من يد ابن المظفر واستقرت فى ملكه ورجع الى بغداد وجلس على التخت واستفحل أمره ثم هلك سنة ست وسبعين حسين بن أويس وقد خلف بنين خمسة وهم الشيخ حسن وحسين والشيخ على وأبو يزيد وأحمد وكان وزيره زكريا وكبير دولته الامير عادل كان كافلا لحسين ومن

اقطاعه السلطانية فاجتمع أهل الدولة وبايعوا لابنه حسين بتوريز وقتلوا الشيخ حسن وزعموا أن أباهم أويسا أوصاهم بقتله وكان الشيخ على بن أويس ببغداد فدخل فى طاعة أخيه حسين وكان قنبر على بادلك من أمرائهم نائبا بتستر وخوزستان فبايع لحسين وبعث اليه بطاعته واستولى على دولته بتوريز زكريا وزير أبيه وكان اسمعيل ابن الوزير زكريا بالشأم هاربا أمام أويس فقدم على أبيه زكريا وبعث به الى بغداد ليقوم بخدمة الشيخ على فاستخلصه واستبد عليه فغلب شجاع بن المظفر على توريز وارتجعها منه ولما استقل حسين بتوريز كان بنو المظفر طامعين فى ولايتها وقد ملكوها من قبل كما مر وانتزعها أويس منهم فلما توفى أويس سار شجاع الى توريز فى عساكره فأجفل عنها حسين بن أويس الى بغداد واستولى عليها شجاع ولحق حسين بأخيه الشيخ على ووزيره اسمعيل ببغداد مستجيشا بهما فسرحوا معه العساكر ورجع ادراجه اليها فهرب عنها شجاع وحصن ملكه بها واستقر فيها

(مقتل اسمعيل واستيلاء حسين على بغداد ثم ارتجاعها منه)

كان اسمعيل مستبدا على الشيخ على ببغداد كما قدمناه فتوثب به جماعة من أهل الدولة منهم مبارك شاه وقنبر وقرا محمد فقتلوه وعمه أمير أحمد منتصف احدى وثمانين واستدعوا قنبر على بادلك من تستر فولوه مكان اسمعيل واستبد على الشيخ على ببغداد ونكر حسين عليهم ما أتوه وسار فى عساكره من توريز الى بغداد ففارقها الشيخ على وقنبر على بادلك الى تستر واستولى حسين على بغداد واستمده فاتهمه بممالأة أخيه الشيخ على ولم يمده ونهض الشيخ على من تستر الى واسط وجمع العرب من عبادان والجزيرة فأجفل أحمد من واسط الى بغداد وسار الشيخ على فى اثره فأجفل حسين الى توريز واستوسق ملك بغداد للشيخ على واستقر كل ببلده والله تعالى أعلم

(انتقاض أحمد واستيلاؤه على توزير ومقتل حسين)

ولما رجع حسين من بغداد الى توريز عكف على لذاته وشغل بلهوه واستوحش منه أخوه أحمد فلحق بارديل وبها الشيخ صدر الدين واجتمع اليه من العساكر ثلاثة آلاف أو يزيدون فسار الى توريز وطرقها على حين غفلة فملكها واختفى حسين أياما ثم قبض عليه أحمد وقتله والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده

(انتقاض عادل ومسيره لقتال أحمد)

كان الامير عادل واليا على السلطانية وكانت من أقطاعه فلما بلغه مقتل حسين امتعض له وكان عنده أبو يزيد بن أويس فسارا الى شجاع بن المظفر اليزدى صاحب

البياض فى الموضعين بالاصل

فارس يستصرخانه على الامير أحمد بن أويس فبعث العساكر لصريخهما وبرز الامير أحمد للقائهم ثم تقاربوا واتفقوا أن يستقر أبو يزيد فى السلطانية أميرا ويخرج الامير عادل عن مملكتهم ويقيم عند شجاع بفارس واصطلحوا على ذلك وعاد أبو يزيد الى السلطانية فأقام بها وأضر أمراؤه وخاصته بالرعايا فدسوا بالصريخ الى أحمد بتوريز فسار فى العساكر اليه وقبض عليه وكحله وتوفى بعد ذلك ببغداد

(مقتل الشيخ على واستيلاء أحمد على بغداد)

لما قتل أحمد أخاه حسينا جمع الشيخ على العساكر واستنفر قرا محمد أمير التركمان بالجزيرة وسار من بغداد يريد توريز فبرز أحمد للقائه واستطرد له لما كان منه فبالغ فى اتباعه الى أن خفت عساكره فكر مستميتا وكانت جولة أصيب فيها الشيخ على بسهم فمات وأسر قرا محمد فقتل ورجع أحمد الى توريز واستوسق له ملكها ونهض اليه عادل ابن السلطان يروم فرصة فيه فهزمه ثم سار أحمد الى بغداد وقد كان استبد بها بعد مهلك الشيخ على خواجا عبد الملك من صنائعهم بدعوة أحمد ثم قام الامير عادل فى السلطانية بدعوة أبى يزيد وبعث الى بغداد قائدا اسمه برسق ليقيم بها دعوته فأطاعه عبد الملك وأدخله الى بغداد ثم قتله برسق ثانى يوم دخوله واضطرب البلد شهرا ثم وصل أحمد من توريز وخرج برسق القائد لمدافعته فانهزم وجىء به الى أحمد أسيرا فحبسه ثم قتله وقتل عادل بعد ذلك وكفى أحمد شره وانتظمت فى ملكه توريز وبغداد وتستر والسلطانية وما اليها واستوسق أمره فيها ثم انتقض عليه أهل دولته سنة ست وثمانين وسار بعضهم الى تمر سلطان بنى جفطاى بعد أن خرج من وراء النهر بملكه يومئذ واستولى على خراسان فاستصرخه على أحمد فأجاب صريخه وبعث معه العساكر الى توريز فأجفل عنها أحمد الى بغداد واستبد بها ذلك الثائر ورجع تمر الى مملكته الاولى وطمع طغطمش ملك الشمال من بنى دوشى خان فى انتزاع توريز من يد ذلك الثائر فسار اليها وملكها وزحف تمر فى عساكره سنة سبع وثمانين الى اصبهان وبعث العساكر الى توريز فاستباحها وخربها واستولى على تستر والسلطانية وانتظمهما فى أعماله وانفرد أحمد ببغداد وأقام بها

(استيلاء تمر على بغداد ولحاق أحمد بالشأم)

كان تمر سلطان المغل بعد أن استولى على توريز خرج عليه خارج من قومه فى بلاده يعرف بقمر الدين فجاءه الخبر عنه وأن طغطمش صاحب كرسى صراى فى الشمال أمده بأمواله وعساكره فكر راجعا من اصبهان الى بلاده وعميت أنباؤه الى سنة خمس

وسبعين ثم جاءت الاخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فساده ثم استولى على كرسى صراى وأعمالها ثم خطى الى اصبهان وعراق العجم والرى وفارس وكرمان فملك جميعها من بنى المظفر اليزدى بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم وشد أحمد ببغداد عزائمه وجمع عساكره وأخذ فى الاستعداد ثم عدل الى مصانعته ومهاداته فلم يغن ذلك عنه ومازال تمر يخادعه بالملاطفة والمراسلة الى أن فتر عزمه وافترقت عساكره فنهض اليه يغذ السير فى غفلة منه حتى انتهى الى دجلة وسبق النذير الى أحمد فأسرى بغلس ليله وحمل ما أقلته الرواحل من أمواله وذخائره وخرق سفن دجلة ومر بنهر الحلة فقطعه وصبح مشهد على ووافى تمر وعساكره دجلة فى حادى عشر شوال سنة خمس وتسعين ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ودخل بغداد واستولى عليها وبعث العساكر فى اتباع أحمد فساروا الى الحلة وقد قطع جسرها فخاضوا النهر عندها وأدركوا أحمد بمشهد على واستولوا على أثقاله ورواحله فكر عليهم فى جموعه واستماتوا وقتل الامير الذى كان فى اتباعه ورجع بقية التتر عنهم ونجا أحمد الى الرحبة من تخوم الشأم فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بعض خواصه لتلقيه بالنفقات والازواد وليستقدمه فقدم به الى حلب وأراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصبر وجاءت الاخبار بأن تمر عاث فى مخلفه واستصفى ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر فى شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخا به على طلب ملكه والانتقام من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى فى عسكره بالتجهز الى الشأم وقد كان تمر بعد ما استولى على بغداد زحف فى عساكره الى تكريت مأوى المخالفين وعش الحرابة ورصد السابلة وأناخ عليها بجموعه أربعين يوما فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره فى ديار بكر الى الرها ووقفوا عليها ساعة من نهار فملكوها وانتسفوا نعمها وافترق أهلها وبلغ الخبر الى السلطان فخيم بالريدانية أياما أزاح فيها علل عساكره وأفاض العطاء فى مماليكه واستوعب الحشد من سائر أصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب سودون وارتحل الى الشأم على التعبية ومعه أحمد بن أويس بعد أن كفاه مهمه وسرب النفقات فى تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الاولى وقد كان أوعز الى جلبان صاحب حلب بالخروج الى الفرات واستنفار العرب والتركمان للاقامة هنالك رصدا للعدو فلما وصل الى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهماته وما عنده من أخبار القوم ورجع لانفاذ أوامره والفصل

فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره العساكر مددا له مع كشبغا الاتابك وتكلتمش أمير سلاح وأحمد بن بيبقا وكان العدو تمر قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهرا وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها الى ناحية بلاد الروم ومر بقلاع الاكراد فأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة وتسعين مقيم بدمشق مستجمع لنطاحه والوثبة به متى استقبل جهته والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق بمنه وكرمه

بياض بالاصل

الشيخ حسن

أبو يزيد

أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن بن اقبغا بن ايلكان سبط ارغو بن ابغا

الشيخ حسن أبو يزيد

الخبر عن بنى المظفر اليزدى المتغلبين على اصفهان وفارس بعد انقراض دولة بنى هلاكو وابتداء أمورهم ومصايرها

كان أحمد المظفر من أهل يزد وكان شجاعا واتصل بالدولة أيام أبى سعيد فولوه حفظ السابلة بفارس وكان منها مبدأ أمرهم وذلك أنه لما توفى أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبعمائة ولم يعقب اضطربت الدولة ومرج أمر الناس وافترق الملك طوائف وغلب ازبك صاحب الشمال على طائفة من خراسان فملكها واستبد بهراة الملك حسين وألان محمود فرشجه من أهل دولة السلطان أبى سعيد عاملا على اصبهان وفارس فاستبد بأمره واتخذ الكرسى بشيراز الى أن هلك وولى بعده ابنه أبو اسحق أمير شيخ سالكا سبيله فى الاستبداد وكانت له آثار جميلة وله صنف الشيخ عضد الدين كتاب المواقف والشيخ عماد الدين الكاشى شرح كتاب المفتاح وسموهما باسمه وتغلب أيضا محمد بن المظفر على كرمان ونواحيها فصارت بيده وطمع فى الاستيلاء على فارس وكان أبو اسحق أمير شيخ قد قتل شريفا من أعيان شيراز فنادى بالنكير عليه ليتوصل الى غرض انتزاع الملك من يده وسار فى جموعه الى شيراز ومال اليه أهل البلد لنفرتهم عن أمير شيخ لفعلته فيهم فأمكنوه من البلد وملكها واستولى على كرسيها وهرب أبو اسحق أمير شيخ الى اصبهان واتبعه ففر منه أيضا وملك اصبهان وبث الطلب فى الجهات حتى تقبض عليه وقتله قصاصا بالشريف الذى قتله بشيراز وكان له من الولد أربعة شاه ولى ومحمود وشجاع وأحمد وتوفى شاه ولى أيام أبيه وترك ابنيه منصورا ويحيى وملك ابنه محمود اصبهان وابنه

شجاع شيراز وكرمان واستبد عليه محمود وشجاع وخلفاه فى ملكه سنة ستين وكلاه وتولى ذلك شجاع وسار اليه محمود من اصبهان بعد ان استجاش باويس بن حسن الكبير فأمده بالعساكر سنة خمس وستين وملك شيراز ولحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام بها واختلف عليه عماله ثم استقاموا على طاعته ثم جمع بعد ثلاث سنين ورجع الى شيراز ففارقها أخوه محمد الى اصبهان وأقام بها الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستضافها شجاع الى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بابنة أويس التى كانت تحت محمود وولى على مردى ابن أخيه شاه ولى ثم هلك شجاع سنة سبع وثمانين واستقل ابنه زين العابدين باصبهان وخلفه فى شيراز وفارس منصور ابن أخيه شاه ولى وكان عادل كبير دولة بنى أويس بالسلطانية كما مر ولحق به منصور بن شاه ولى هاربا من شيراز أمام عمه زين العابدين فحبس ثم فر من محبسه ولحق بأحمد بن أويس مستصرخا به فصارخه وأنزله بتستر من أعماله ثم سار منها الى شيراز ففارقها عمه زين العابدين الى اصبهان وأخوه يحيى بيزد وعمهما أحمد بن محمد بن المظفر بكرمان ثم زحف تمر سلطان التتر من بنى جفطاى بن جنكزخان سنة ثمان وثمانين وملك توريز وخربها كما مر فى أخباره فاطاعه يحيى صاحب يزد وأحمد صاحب كرمان وهرب زين العابدين من اصبهان وملكها عليه تمر فلحق بشيراز ورجع تمر الى بلاده فيما وراء النهر وعميت أنباؤه الى سنة خمس وتسعين فزحف الى بلاد فارس وجمع منصور بن شاه ولى العساكر لحربه فخادعه تمر بولايته وانكفأ راجعا الى هراة فافترقت عساكر منصور بن شاه ولى وجاءت عيون تمر بخبر افتراقها اليه فأغذ السير وكبس منصور بن شاه ولى بظاهر شيراز وهو فى قل من العساكر لا يجاوزون ألفين فهرب الكثير من أصحابه الى تمر واستمات هو والباقون وقاتلوا أشد قتال وفقد هو فى المعركة فلم يوقف له على خبر وملك تمر شيراز واستضافها الى اصبهان وولى عليهما من قبله وقتل أحمد بن محمد صاحب كرمان وابنيه وولى على كرمان من قبله وقتل يحيى بن شاه ولى صاحب يزد وابنيه وولى على يزد من قبله واستلحم بنى المظفر واستصفى زين العابدين بياض بالاصل وهرب ابنه فلحق بخاله أحمد بن أويس وهو لهذا العهد مقيم معه بمصر والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون

منصور بن شاه ولى

صاحب شيراز وفارس

صاحب كرمان

زين العابدين بن شجاع بن محمود بن محمد بن المظفر اليزدى

الخبر عن بنى ارتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بنى هلاكو والالمام بمبادى أمورهم ومصايرها

قد سبق لنا أن هذه المملكة كانت لبنى قليج ارسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين أقاموا فيها دعوة الاسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية واستضافوا اليها كثيرا من أعمال الارض ومن ديار بكر فانفسحت أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيهم بقونية ومن أعمالها اقصرا وانطاكية والعلايا وطغرل ودمرلو وقراحصار ومن ممالكهم اذربيجان ومن أعمالها اقشهر وكاخ وقلعة كعونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكرة وعداقلية ومنال ومن ممالكهم أيضا سيواس وأعمالها ملكوها من يد الواشمند كما مر فى أخبارهم ومن أعمالها نكسار واقاسية وتوقات وقنات وكنكرة كورية وسامسول وصغوى وكسحونية وطرخلوا وبرلوا ومما استضافوه من بلاد الارمن خلاط وارمينية الكبرى وانى وسلطان وارجيس وأعمالها ومن ديار بكر خرت برت وملطية وسميساط ومسارة فكانت لهم هذه الاعمال وما يتصل بها من الشمال الى مدينة برصة ثم الى خليج القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم ثم طرقها الهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الاسلام وورثوا الدول فى سائر النواحى واستقر التخت الاعظم لمنكوقان أخى هلاكو وجهز عساكر المغل سنة أربع وخمسين وستمائة الى هذه البلاد وعليهم بيكو من أكابر أمرائهم وعلى بلاد الروم يومئذ غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد وهو الثانى عشر من ملوكهم من ولد قطلمش فنزلوا على ارزن الروم وبها سنان الدين ياقوت مولى علاء الدين فملكوها بعد حصار شهرين واستباحوها وتقدموا أمامهم ولقيهم غياث الدين بالصحراء على اقشهر وزنجان وانهزم غياث الدين واحتمل ذخيرته وعياله ولحق بقونية واستولى بيكو على مخلفه ثم سار الى قيسارية فملكوها وهلك غياث الدين اثر ذلك وملك بعده بعهد ابنه علاء الدين كيقباد وأشرك معه أخويه فى أمره وهما عز الدين كيكاوس وركن الدين قليج ارسلان وعاثت عساكر التتر فى البلاد فسار علاء الدين كيقباد الى منكوقان صاحب التخت واختلف أخواه من بعده وغلب عز الدين كيكاوس واعتقل أخاه ركن الدين بقونية وبعث فى اثر أخيه علاء الدين من يستفسده منكوقان فلم يحصل من ذلك على طائل وهلك علاء الدين فى طريقه وكتب منكوقان بتشريك الملك بين عز الدين وركن الدين والبلاد بينهما مقسومة فعز الدين من سيواس الى تخوم القسطنطينية ولركن الدين من سيواس الى ارزن الروم متصلا من جهة الشرق ببلاد التتر وأفرج عز الدين عن ركن الدين واستقر فى طاعة

التتر وسار بيكو فى بلاد الروم قبل أن يرجع عز الدين فلقيه ارسلان دغمش من أمراء عز الدين فهزمه بيكو الى قونية فاجفل عنها عز الدين الى العلايا وحاصرها بيكو فملكها على يد خطيبها وخرج الى بيكو فأسلمت زوجته على يده ومنع التتر من دخولها الا وحدانا وأن لا يتعرضوا لاحد واستقر عز الدين وركن الدين فى طاعة التتر ولهما اسم الملك والحكم للشحنة بيكو ولما زحف هلاكو الى بغداد سنة ست وخمسين استنفر بيكو وعساكره فامتنع واعتذر بمن فى طريقه من طوائف الاكراد الفراسلية والبار وقية فبعث اليه هلاكو العساكر ومروا باذربيجان وقد أجفل أهلها الاكراد فملكوها وسار وامع بيكو الى هلاكو وحضر وامعه فتح بغداد وما بعدها ولما نزل هلاكو حلب استدعى عز الدين وركن الدين فحضرا معه فتحها وحضر معهما وزيرهما معين الدين سليمان البرواناه واستحسنه هلاكو وتقدم الى ركن الدين بأن يكون السفير اليه عنه فلم يزل على ذلك ثم هلك بيكو مقدم التتر ببلاد الروم وولى مكانه صمقار من أمراء المغل ثم اختلف الاميران عز الدين وغياث الدين سنة تسع وخمسين واستولى عز الدين على أعمال ركن الدين فسار ومعه البرواناة الى هلاكو صريخا فأمده بالعساكر وسار الى عز الدين فهزمهم واستمده ثانيا فأمده هلاكو وانهزم عز الدين فلحق بالقسطنطينية وأقام عند صاحبها الشكرى واستولى ركن الدين قليج ارسلان على بلاد الروم وامتنع التركمان الذين بتلك الاعمال بأطراف الاعمال والثغور والسواحل وطلبوا الولاية من هلاكو فولاهم وأعطاهم الله الملك فهم الملوك بها لهذا العهد يومئذ كما يأتى فى أخبارهم ان شاء الله تعالى وأقام عز الدين بالقسطنطينية وأراد التوثب بصاحبها الشكرى ووشى به أخواله من الروم فاعتقله الشكرى فى بعض قلاعه ثم هلك ويقال ان ملك الشمال منكوتمر صاحب التخت بصراى حدثت بينه وبين صاحب القسطنطينية فتنة فغزاه واكتسح بلاده ومر بالقلعة التى بها عز الدين معتقلا فاحتمله معه الى صراى وهلك عنده ولحق ابنه مسعود بعد ذلك بابغا بن هلاكو فأكرمه وولاه على بعض القلاع ببلاد الروم ثم ان معين الدين سليمان البرواناة ارتاب بركن الدين فقتله غيلة سنة ست وستين ونصب ابنه كيخسرو للملك ولقبه غياث الدين وكان متغلبا عليه مقيما مع ذلك على طاعة التتر ورعما كان يستوحش منهم فيكاتب سلطان مصر بالدخول فى طاعته واطلع ابغا على كتابه بذلك الى الظاهر بيبرس فنكره وهلك صمغار الشحنة فبعث ابغا مكانه أميرين من أمراء المغل وهما تدوان وتوقر فتقدما سنة خمس وسبعين الى بلاد الشام ونزلا [بياض بالأصل] ومعهما غياث الدين كيخسرو وكافله البرواناة فى العساكر وسار الظاهر من دمشق فلقيهم بالبلستين

وقد قعد البرواناة لما كان تواعد مع الظاهر عليه وهزمهم الظاهر جميعا وقتل الاميرين تدوان وتوقو في جماعة من التتر ونجا البرواناة وسلطانه فلم يصب منهم أحد واستراب السلطان بالبرواناة لذلك وملك الظاهر قيسارية كرسي بلاد الروم وعاد الى مصر وجاء ابغا ووقف على مكان الملحمة ورأى مصارع قومه فصدق الريبة بممالأة الظاهر والبرواناة وأصحابه فاكتسح البلاد وخربها ورجع ثم استدعى البرواناة الى معسكره فقتله وأقام مكانه في كفالة كيخسرو أخاه عز الدين محمدا ولم يزل غياث الدين واليا على بلاد الروم والشحنة من المغل حاكم في البلاد الى أن ولى تمكار بن هلاكو وكان أخوه قنقرطاى مقيما ببلاد الروم مع صمغار فبعث عنه وامتنع من الوصول وأوعز الى غياث الدين واعتقله بارزنكان وولى على بلاد الروم على الشحنة أولاكو من أمراء المغل وذلك سنة احدى وثمانين ويقال ان ارغون بن ابغا هو الذي ولى أولاكو شحنة ببلاد الروم بعد صمغار وان تدوان وتوقو انما بعث بهما ابغا لقتال الظاهر ولم يرسلهما شحنة ثم أقام مسعود بن عز الدين كيكاوس في سلطانه ببلاد الروم والحكم للشحنة التتر وليس له من الملك الا اسمه الى أن افترق واضمحل أمره وبقي أمراء المغل يتعاقبون في الشحنة ببلاد الروم وكان منهم أول المائة الثامنة الامير على وهو الذي قتل ملك الارمن هيثوش بن ليعون صاحب سيس واستعدى أخوه عليه بخربندا فأعداه وقتله كما مر في أخبار الارمن في دولة الترك وكان منهم سنة عشرين وسبعمائة الامير البشغانم ولى السلطان أبو سعيد على بلاد الروم دمرداش بن جوبان سنة ثلاث وعشرين واستفحل بها ملكه وجاهد الارمن بسيس واستمد الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر عليهم فأمده بالعساكر وافتتحوا اياس عنوة ورجعوا ثم نكب السلطان أبو سعيد نائبه جوبان بن بروان وقتله كما مر في أخبارهم وبلغ الخبر الى دمرداش ابنه ببلاد الروم فاضطرب لذلك ولحق بمصر في عساكره وأمرائه فأقبل السلطان عليه وتلقاه بالتكرمة والايثار وجاءت رسل أبي سعيد في اتباعه تطلب حكم الله تعالى فيه بسعيه في الفساد واثارة الفتنة على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع اليهم من أمراء الشأم فقتلوه وقتل دمرداش بمصر وذهبا بما كسبا وكان دمرداش لما هرب من بلاد الروم الى مصر ترك من أمرائه ارتنا وكان يسمى النوير اسم أبناء الملوك فبعث الى أبي سعيد بطاعته فولاه على البلاد فملكها ونزل سيواس واتخذها كرسي ملكه ثم استبد حسن بن دمرداش بتوريز فبايع له ارتنا ثم انتقض وكاتب الملك الناصر صاحب مصر ودخل في طاعته وبعث اليه بالولاية والخلع فجمع له حسن بن دمرداش وسار اليه بسيواس وسار ارتنا للقائه بصحراء كسنوك وهزمه وأسر جماعة من أمرائه

بياض بالاصل

وذلك سنة أربع وأربعين واستفحل ملك ارتنا من يومئذ وعجز جوبان وحسن ابن دمرداش عن طلبه الى أن توفي سنة ثلاث وخمسين وأما بنوه من بعده فلا أدري من ملك منهم ولا ترتيب ولايتهم الا أنه وقع في أخبار الترك ان السلطان أوعز سنة ست وستين الى نائب حلب أن يسير في العساكر لانجاد محمد بك بن ارتنا فمضوا وظفروا ومازال ارتنا وبنوه مستبدين ببلاد الروم وأعمالها واقتطع لهم التركمان منها بلاد الارمن سيس وما اليها فاستولى عليها ابن دلقادر على خلافه وزحف اليه وهي في أيديهم لهذا العهد ولما خالف سعاروس من أمراء الترك سنة ثنتين وخمسين ظاهره قراجا ابن دلقادر على خلافه وزحف اليه السلطان من مصر فافترقت جموعه واتبعته العساكر فقتل وبعث السلطان سنة أربع وخمسين عسكرا في طلب قراجا فسار والى البلستين وأجفل منها نائبها فنهبوا أحياءه ولحق هو بابن ارتنا بسيواس فقبض عليه وبعث به الى السلطان بمصر فقتله واقتطع التركمان ناحية الشمال من أعمالهم الى القسطنطينية وأثخنوا في أمم النصرانية وراءهم واستولوا على كثير من تلك الممالك وراء القسطنطينية وأميرهم لهذا العهد في عداد الملوك الاعاظم ودولتهم ناشئة متجددة وكان صبا بسيواس منذ أعوام الثمانين وهو من أعقاب بني ارتنا فاستبد عليه قاضي البلد لما كان كافلا له بوصية أبيه ثم قتل القاضي ذلك الصبي أعوام ثنتين وتسعين واستبد بذلك الملك وكانت هنالك أحياء التتر يناهزون ثلاثين ألفا أو نحوها مقيمين بتلك النواحي [بياض] دمرداش بن جوبان ومن قبله من أمراء المغل فكانوا شيعة لبني ارتنا وعصابة لهم وهم الذين استنجد بهم القاضي حين وجهت اليه عساكر مصر في طلب منطاش الثائر [بياض] ثم لحق به وسارت عساكر مصر في طلبه سنة تسع وثمانين فاستنجد القاضي بأحياء التتر هؤلاء وجاؤا لانجاده ورجعت عساكر مصر عنهم كما تقدم ذلك كله في أخبار الترك والحال على ذلك لهذا العهد والله مصير الامور بحكمته وهو على كل شي قدير

ج ب ا

ابراهيم بن محمد بك بن ارتنا النوير عامل أبي سعيد على بلاد الروم

البياض في الموضعين بالاصل

الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم
الى خليج القسطنطينية وماوراءه لبني عثمان واخوته

قد تقدم لنا في انساب العالم ذكر هؤلاء التركمان وانهم من ولد يافث بن نوح أي من توغرما بن كومر بن يافث كذا وقع في التوراة وذكر الفيومي من علماء بني اسرائيل ونسابتهم أن توغرما هم الخزر وان الخزر هم التركمان اخوة الترك ومواطنهم فيما وجدناه من بحر طبرستان ويسمى بحر الخزر الى جوف القسطنطينية وشرقها الى ديار بكر وبعد

انقراض العرب والارمن ملكوا نواحى الفرات من أوّله الى مصبه فى دجلة وهم شعوب متفرّقون وأحياء مختلفون لا يحصرهم الضبط ولا يحويهم العدّ وكان منهم ببلاد الروم جموع مستكثرة كان ملوكها يستكثرون بهم فى حروبهم مع أعدائهم وكان كبيرهم فيها العهد المائة الرابعة جق وكانت أحياؤهم متوافرة وأعدادهم متكاثرة ولما ملك سليمان بن قطلمش قونية بعد أبيه وفتح انطاكية سنة سبع وسبعين من يد الروم طالبه مسلم بن قريش بما كان له على الروم فيها من الجزية فأنف من ذلك وحدثت بينهما الفتنة وجمع قريش العرب والتركمان مع أميرهم جق وسار الى حرب سليمان بانطاكية فلما التقيا مال التركمان الى سليمان لعصبية الترك وانهزم مسلم بن قريش وقتل وأقام أولئك التركمان ببلاد الروم أيام بنى قطلمش وطنين بالجبال والسواحل ولما ملك التتر بلاد الروم وأبقوا على بنى قطلمش ملكهم وولوا ركن الدولة قليج ارسلان بعد ان غلب أخوه عز الدين كيكاوس وهرب الى القسطنطينية وكان أمراء هؤلاء التركمان يومئذ محمد بك وأخاه الياس بك وصهره على بك وقريبه سونج والظاهر أنهم من بنى جق فانتقضوا على ركن الدولة وبعثوا الى هلاكو بطاعتهم وتقرير الاتر عليهم وأن يبعث اليهم باللواء على العادة وأن يبعث شحنة من التتر تختص بهم فأسعفهم بذلك وقلدهم وهم من يومئذ ملوك بها ثم أرسل هلاكو الى محمد بك الامير يستدعيه فامتنع من المسير اليه واعتذر فأوعز هلاكو الى الشحنة الذى ببلاد الروم والى السلطان قليج ارسلان بمحاربته فساروا اليه وحاربوه ونزع عنه صهره على بك ووفد على هلاكو فقدمه مكان محمد صهره ولحق محمد بالعساكر فانهزم وأبعد فى المفر ثم جاء الى قليج ارسلان مستأمنا فأمنه وسار معه الى قونية فقتله واستقر صهره على بك أميرا على التركمان وفتحت عساكر التتر نواحى   الى اسطنبول والظاهر أن بنى عثمان ملوكهم لهذا العهد من أعقاب على بك أو أقاربه يشهد بذلك اتصال هذه الامارة فيهم مدة هذه المائة سنة ولما اضمحل أمر التتر من بلاد الروم واستقر بنو ارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركمان على ما وراء الدروب الى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا من تلك الناحية وكان يسمى أورخان بن عثمان جق فاتخذها دارا لملكهم ولم يفارق الخيام الى القصور وانما ينزل بخيامه فى بسيطها وضواحيها وولى بعده ابنه مراد بك وتوغل فى بلاد النصرانية وراء الخليج وافتتح بلادهم الى قريب من خليج البنادقة وجبال جنوة وصار أكثرهم ذمة ورعايا وعاث فى بلاد الصقالبة بما لم يعهد لمن قبله وأحاط بالقسطنطينية من جميع نواحيها حتى اعتقل ملكها من أعقاب شكرى وطلب منه الذمة وأعطاه الجزية ولم يزل على جهاد أمم النصرانية وراءه الى أن قتله الصقالبة

فى حروبه معهم سنة احدى وتسعين وسبعمائة وولى بعده ابنه أبو يزيد وهو ملكهم لهذا العهد وقد استفحل ملكهم واستجدت بالعز دولتهم وكان قد غلب على قطعة من بلاد الروم ما بين سيواس وبلادهم من انطاكية والعلايا بجبال البحر الى قونية بنو قرمان من أمراء التركمان وهم الذين كانوا فى حدود ارمينية وجدّهم هو الذى هزم أوشين ابن ليعون ملك سيس من الارمن سنة عشرين وسبعمائة ثم كان بين بنى عثمان جق وبين بنى قرمان اتصال ومصاهرة وكان ابن قرمان لهذا العهد صهر السلطان مراد بك على أخته فغلبه السلطان مراد بك على ما بيده ودخل ابن قرمون صاحب العلايا فى طاعته بل والتركمان كلهم وفتح سائر البلاد ولم يبق له الا سيواس بلد بنى ارتنا فى استبداد القاضى الذى عليها وما أدرى ما الله صانع بعد ظهور هذا الملك تمر المتغلب على ملك المغل من بنى جغطاى بن جنكزخان وملك ابن عثمان لهذا العهد مستفحل بتلك الناحية الشمالية ومتسع فى أقطارها ومرهوب عند أمم النصرانية هنالك ودولته مستجدة عزيزة على تلك الامم والاحياء والله غالب على أمره والى هنا انتهت أخبار الطبقة الثالثة من العرب ودولهم وهم الامم التابعة للعرب بما تضمنه من الدول

الاسلامية شرقا وغربا لهم ولمن تبعهم من العجم فلنرجع الآن الى ذكر الطبقة
الرابعة من العرب وهم المستعجمة أهل الجيل الناشئ بعد انقراض
اللسان المضرى ودروسه ونذكر أخبارهم ثم نخرج الى الكتاب
الثالث من الثالث فى أخبار البربر ودولهم فنفرغ
بفراغها من الكتاب ان شاء الله تعالى والله
ولى العون والتوفيق بمنه
وكرمه
م

(تم طبع الجزء الخامس ويليه الجزء السادس أوله الطبقة الرابعة)